١-٥

العقائد الإسلامية

الطبعة الأولى ١٤١٩

بسم الله الرحمن الرحیم

العقائد الاسلامیه:عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادر السنه و الشیعه

کاتب:

آیت الله سید علی حسینی سیستانی

نشرت فی الطباعهٔ:

مرکز المصطفی للدراسات الاسلامیه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵

العقائد الاسلامیه: عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادرالسنه والشیعه ----- ۴۴

اشارهٔ ----- ۴۴

المجلد۱ ----- ۴۴

فهرست مطالب کتاب: العقائد الإسلامیهٔ (المجلد ۱) ----- ۴۴

الفطرهٔ ----- ۴۸

آیات فطرهٔ السماوات والکون ----- ۴۸

انفطار الکون عند القیامهٔ ----- ۴۹

تکاد السماوات تتفطر من عظمهٔ الله ----- ۴۹

تکاد السماوات تتفطر من الافتراء علی الله ----- ۴۹

فطرهٔ الله التی فطر الناس علیه ----- ۴۹

الفطرهٔ الأولی والفطرهٔ الثانیهٔ ----- ۵۰

فطرهٔ الناس علی معرفهٔ الله تعالی و توحیده ----- ۵۰

الفطرهٔ حالهٔ استعداد لا تعنی الاجبار و سلب الإختیار ----- ۵۱

الفطرهٔ والمیثاق و عالم الذر ----- ۵۴

عالم الذر ----- ۵۴

تذکیر الأنبیاء بمیثاق الفطرهٔ ----- ۵۶

کل مولود یولد علی الفطرهٔ ----- ۵۷

و کل الحیوانات فطرت علی معرفهٔ الله تعالی ----- ۵۹

التوجه الفطری إلی الله تعالی ----- ۵۹

رأی صاحب تفسیر المیزان فی عالم الذر والمعرفهٔ والمیثاق ----- ۶۰

عوالم وجود الإنسان ----- ۷۱

من روایات عالم الأشباح (ظلال النور). ----- ۷۲

من روایات عالم الاظلة ۷۴
من روایات عالم طینة الخلق ۷۸
من آیات و روایات عالم الملکوت ۸۰
من آیات و روایات عالم الخزائن ۸۲
الفطرة بمعنی الولادة فی الإسلام ۸۴
قولهم من ولد علی الإسلام فهو من أهل الجنة ۸۴
القول بأن من ولد فی الإسلام فهو من أهل الجنة ۸۵
الفطرة والنبوة والشرائع الإلهیة ۸۵
معنی الفطرة والصبغة ۸۷
دور الفطرة فی المعرفة والثقافة والحضارة ۹۰
بحث فی دور الفطرة والنبوة فی الحیاة الإنسانیة ۹۱
امور ورد أنها من الفطرة ۹۴
امور ورد أنها تضر بالفطرة ۹۵
تقویة الفطرة و تضعیفها و إساءة استعمالها ۹۵
قابلیة الفطرة للتقویة والتخریب ۹۶
قدوات البشریة فی فطرتهم المستقیمة ۹۸
آدم فطرة الله تعالی ۹۸
ابراهیم إمام الإستقامة علی الفطرة ۹۹
نبینا رائد العارفین و رائد سعادتن ۱۰۱
خط الفطرة لم ینقطع من ذریة إبراهیم ۱۰۳
عمار علم الثابتین علی الفطرة بعد النبی ۱۰۴
علی إمام الثابتین علی الفطرة ۱۰۶
ولایة علی علامة علی صحة الفطرة و طیب المولد ۱۰۹
وجوب المعرفة والنظر ۱۱۱

وجوب معرفة الله تعالى و منشؤها ----- ۱۱۱
وجوب معرفة الله تعالى و أنها أساس الدين ----- ۱۱۱
معرفة الله تعالى و توحيده نصف الدين ----- ۱۱۲
لا تتحقق العبادة إلا بالمعرفة ----- ۱۱۲
فضل معرفة الله تعالى ----- ۱۱۳
الحث على مجالسة أهل المعرفة ----- ۱۱۳
فضل من مات على المعرفة ----- ۱۱۳
نعمة معرفة حمد الله و شكره ----- ۱۱۳
نعمة معرفة كرم الله و آلائه ----- ۱۱۴
معرفة الله لا تكون إلا بالله و من الله ----- ۱۱۴
لا يفوز الإنسان بالمعرفة إلا بإذن الله تعالى ----- ۱۱۴
الهداية والإضلال من الله تعالى لكن الإضلال باستحقاق العبد ----- ۱۱۵
دعاء طلب المعرفة من الله تعالى ----- ۱۱۶
وسائل معرفة الله ----- ۱۱۶
اداة معرفة الله تعالى: العقل ----- ۱۱۶
لا يحاسب الله الناس إلا على قدر معرفتهم، و ما بين لهم، و ما آتاهم ----- ۱۱۸
من أسباب المعرفة و آثارها ----- ۱۱۹
ما يورث المعرفة ----- ۱۱۹
ما تورثه المعرفة ----- ۱۲۰
ما يفسد المعرفة و يطفئ نوره ----- ۱۲۰
خطر ضلال الأمم بعد المعرفة ----- ۱۲۰
كان نبينا يخاف على أمته الضلال بعد المعرفة ----- ۱۲۰
وضع المعرفة فی بنی اسرائیل بعد موسی ----- ۱۲۰
اتهامهم نبيهم موسى بأنه لم يعرف الله تعالى ----- ۱۲۱

بولس يصف فساد الناس فى عصره و بعدهم عن المعرفة ----- ۱۲۱

المعرفة التى دعا إليها بولس الذى نصر النصارى ----- ۱۲۲

متى اخترع المسيحيون التثليث بعد التوحيد ----- ۱۲۲

متى تجب المعرفة على الإنسان ----- ۱۲۳

فى أى سن يجب التفكير والمعرفة ----- ۱۲۳

حكم الإنسان فى مرحلة التفكير والبحث ----- ۱۲۵

تجب المعرفة بالتفكير و لا يصح فيها التقليد ----- ۱۲۶

المعرفة والعمل ----- ۱۳۱

اشتراط كل من المعرفة والعمل بالآخر ----- ۱۳۱

افضل الأعمال بعد معرفة العقائد ----- ۱۳۵

اقل ما يجب، و أقصى ما يمكن، من المعرفة ----- ۱۳۵

المعرفة لا تتوقف على علم الكلام ----- ۱۴۳

و يكفى الدليل الاجمالى فى المعرفة ----- ۱۴۴

العجز عن معرفة ذات الله تعالى ----- ۱۴۷

النهى عن الفضولية فى معرفة الله تعالى ----- ۱۴۸

انواع من المعرفة والعارفين ----- ۱۴۹

المعرفة الحقيقية والمعرفة الشكلية ----- ۱۴۹

تحير المتصوفة فى دور العقل فى المعرفة ----- ۱۴۹

تحيرهم فى الفرق بين العلم والمعرفة ----- ۱۵۰

تصوراتهم عن العارف بالله تعالى ----- ۱۵۰

المؤلفة قلوبهم بالمال لكى يعرفوا ----- ۱۵۱

دعوة العدو فى الجهاد إلى معرفة الله تعالى ----- ۱۵۲

معرفة أهل الآخرة بديهية لا كسبية ----- ۱۵۲

بحث للشيخ الطوسى فى تعريف الإيمان والكفر ----- ۱۵۳

بحث للشهید الثانی فی تعریف الإیمان والکفر ----- ۱۵۴

هل یمکن أن یصیر المؤمن کافرا ----- ۱۵۹

هل تزول المعرفة والإیمان بإنکار الضروری؟ ----- ۱۶۰

هل أن الکافر یعرف الله تعالی؟ ----- ۱۶۱

بحث فی معرفة الله تعالی عن طریق معرفة النفس ----- ۱۶۳

الموقف الفقهی من الدعوة إلی معرفة الله تعالی عن طریق معرفة النفس ----- ۱۷۲

معرفة النبی والأئمة ----- ۱۷۳

یجب علی کل الناس معرفة النبی ----- ۱۷۴

یعرف النبی بالمعجزة والإمام بالنص والمعجزة ----- ۱۷۵

و تجب معرفة الأئمة لأن الله تعالی فرض طاعتهم ----- ۱۷۵

و تجب معرفتهم لأن الله تعالی فرض مودتهم ----- ۱۷۸

و تجب معرفتهم لأن الله تعالی فرض الصلاة علیهم ----- ۱۸۰

و تجب معرفتهم لانهم أهل الذکر الذین أمرنا الله بسؤالهم ----- ۱۸۵

و تجب معرفتهم لأن الأعمال لا تقبل إلا بولایتهم ----- ۱۸۷

و تجب معرفتهم لأنهم محال معرفة الله تعالی ----- ۱۸۹

و تجب معرفتهم لأنها طریق معرفة الله تعالی ----- ۱۹۰

و تجب معرفتهم لحدیث: من مات و لم یعرف إمام زمانه ----- ۱۹۰

صیغ الحدیث فی مصادر مذهب أهل البیت ----- ۱۹۱

فی وجوب معرفة الإمام من أهل البیت ----- ۱۹۱

فی أن معرفتهم و ولایتهم من دعائم الإسلام ----- ۱۹۳

فی أن الإمام من أهل البیت قد یغیب ----- ۱۹۳

تفسیر الحدیث فی مذهب أهل البیت ----- ۱۹۴

تفسیر الشیعة الزیدیة للحدیث ----- ۱۹۸

الفرق بین صیغ الحدیث فی مصادرنا و مصادر إخواننا ----- ۱۹۸

روایات إخواننا التی وردت فیها لفظة إمام ---- ۱۹۹
روایاتهم التی فیها لفظ طاعة ---- ۲۰۰
روایاتهم التی توجب طاعة الحاکم الجائر ---- ۲۰۱
مدرسة البخاری فی تفسیر هذا الحدیث ---- ۲۰۱
عبدالله بن عمر یطبق تفسیر إخواننا للحدیث ---- ۲۰۲
وامتنع عبدالله بن عمر عن بیعة علی، ثم ندم ---- ۲۰۳
ثم کانت علاقاته حسنة مع بنی أمیة و مع الثائرین علیهم ---- ۲۰۴
وروت مصادر الشیعة احتیاطا غریبا له فی تطبیق الحدیث ---- ۲۰۴
و لم یزد أحد علی ابن عمر فی تطبیق الحدیث إلا أبو سعید الخدری ---- ۲۰۴
تحیر إخواننا السنة فی هذا الحدیث قدیما وحدیثا ---- ۲۰۵
معرفة الإمام هی الحکمة ---- ۲۰۶
لا یمکن للناس معرفة الإمام المعصوم لیختاروه ---- ۲۰۶
معنی: إعرف الإمام ثم اعمل ما شئت ---- ۲۰۶
بعلی عرف المؤمنون بعد النبی ---- ۲۰۷
معرفة الآخرة والمعاد والحساب ---- ۲۰۷
المجلد۲ ---- ۲۰۸
فهرست مطالب کتاب: العقائد الإسلامیة (المجلد ۲) ---- ۲۰۸
جذور مسألة الرؤیة والتشبیه والتجسیم ---- ۲۱۵
اعتقاد السنیین أن الله تعالی یری بالعین ---- ۲۱۵
متی ظهرت أحادیث الرؤیة والتشبیه ---- ۲۱۵
عائشة تکذب أحادیث الرؤیة والتشبیه ---- ۲۱۶
موج الفریة جاء من الشام ---- ۲۱۶
و ابن عباس یحکم بشرک من یشبه الله تعالی بغیره ---- ۲۱۸
و أبوهریرة یوافق عائشة و ابن عباس و ابن مسعود ---- ۲۱۹

و كان الجمهور يرون رأى عائشة و يكذبون أحاديث الرؤية بالعين ----- ۲۱۹
على يوضح ما لم توضحه عائشة ----- ۲۲۰
و اصل روايات الرؤية بالعين لا تتجاوز العشرة ----- ۲۲۰
و غلبت موجة كعب و دخلت الرؤية والتشبيه فى عقائد المسلمين ----- ۲۲۱
و ايدوا قول كعب بحديث العماء وادعوا قدم الفضاء مع الله تعالى ----- ۲۲۲
و هاجموا أمهم عائشة وأساؤوا معها الأدب ----- ۲۲۳
ثم رووا الرؤية بالعين حتى عن ابن عباس وعائشة ----- ۲۲۳
ثم أفتوا بكفر و ضلال من خالفهم و شملت فتواهم أمهم عائشة ----- ۲۲۴
و كبر كعب الأحبار لأنه انتصرعلى المسلمين ----- ۲۲۶
واشتغل الوضاعون و كثرت أحاديث الرؤية والتشبيه والتجسيم ----- ۲۲۶
و انكر مالک أحاديث التشبيه و اعتذر عنه الذهبى بأنه جاهل ----- ۲۲۶
نماذج من الأحاديث الموضوعة لتأييد مذهب كعب ----- ۲۲۷
و فتحوا الطريق لنقد أحاديث الرؤية بتنازلهم عن عصمة البخارى ----- ۲۳۰
اهل البيت ينفون أحاديث الرؤية والتشبيه ----- ۲۳۳
الامام الكاظم والإمام الرضا يكشفان تحريف حديث النزول ----- ۲۳۵
مذاهب السنيين فى الألوهية والتوحيد ----- ۲۳۵
كيف نشأت هذه المذاهب؟ ----- ۲۳۵
المذهب الرابع: مذهب المتنقلين بين المذاهب والمذبذبين والمتحيرين ----- ۲۳۶
و صار الترمذى متأولا ذات يوم فكفره المجسمة ----- ۲۳۸
و دافع رشيد رضا عن أكثر الحنابلة و جعلهم متأولة ----- ۲۳۹
ثم تبنى رشيد رضا رأى الغزالى مع أنه كاد أن يكفر الحنابلة ----- ۲۳۹
و كل علماء السنة حتى المجسمة يصيرون متأولة عند الحاجة ----- ۲۴۰
بازار الأحاديث فى الرؤية والتشبيه والتجسيم ----- ۲۴۵
قالوا إن الله تعالى على صورة بشر ----- ۲۴۵

و قالوا له سمع و بصر کسمع الإنسان و بصره ----- ۲۴۶
و قالوا له عینان مثل الإنسان و هما سالمتان ----- ۲۴۶
و قالوا له أیدی و أعین و رجلان ----- ۲۴۶
و قالوا قد یکون له أذن و قد یکون بلا أذن ----- ۲۴۶
و قالوا له جنب و حقو ----- ۲۴۷
و قالوا إنه یمشئ و قد یرکض و یهرول ----- ۲۴۷
و قالوا إنه تعالی یری بالعین فی الدنی ----- ۲۴۷
و قالوا إنه یلبس قباء وجبة و یرکب علی جمل ----- ۲۴۷
و قالوا إنه فتی أمرد جعد الشعر ----- ۲۴۸
و قالوا إنه یضحک فی الدنیا والآخرة ----- ۲۴۸
و قالوا إنه یضحک لمن یستلقی علی دابته ----- ۲۴۹
و قالوا مادام الله یضحک فأملنا فیه کبیر ----- ۲۴۹
و قالوا إنه یضحک.. و یظل یضحک ----- ۲۴۹
و قالوا إنه ضحک لطلحة و سعد ----- ۲۵۰
و قالوا إنه یظهر لعباده ضاحکا ----- ۲۵۰
و قالوا منطقه کالرعد، و ضحکه کالبرق ----- ۲۵۰
و قالوا یظهر متجسدا لابی بکر وحده بدون ضحک ----- ۲۵۰
و قال عمر یجلس علی العرش و لعرشه أطیط و صریر من ثقله ----- ۲۵۱
معنی الاطیط ----- ۲۵۱
و قالوا العرش مطوق بحیة تحمیه ----- ۲۵۲
و قالوا الشمس تذهب کل یوم إلی تحت العرش ----- ۲۵۲
و قالوا حملة العرش ملائکة صوفیة ----- ۲۵۲
و قالوا حملة العرش یتکلمون بالفارسیة ----- ۲۵۲
و قالوا جبل لبنان من حملة العرش ----- ۲۵۲

و قالوا حملة العرش حیوانات كما فی التوراة ----- ۲۵۲
و قالوا جالس علی كرسیه و غائب عن العالم ----- ۲۵۳
و قالوا جالس علی العرش و حوله الأنبیاء علی كراسی ----- ۲۵۳
هشام بن عمار صاحب حدیث الكراسی حول العرش ----- ۲۵۴
و قالوا جنة عدن مسكن الله تعالی و عرشه فیه ----- ۲۵۶
و روینا ورووا أن الفردوس مسكن إبراهیم و آله و محمد و آله ----- ۲۵۶
و قالوا أرواح الشهداء فی حواصل طیور فی قنادیل معلقة بالعرش ----- ۲۵۷
ورد أهل البیت حدیث القنادیل و حواصل الطیور ----- ۲۵۷
واختلفت روایاتهم فیما هو مكتوب علی العرش ----- ۲۵۸
و قالوا إنه تعالی أثقل من الحدید ----- ۲۶۰
و قالوا یری بالعین فی الآخرة و یناقش رجلا و یضحک علیه ----- ۲۶۰
و قالوا یكشف عن ساقه بل عن ساقیه و یعفو عن المنافقین ----- ۲۶۱
و حاول الصنعانی والنووی تخلیص الله تعالی من كشف ساقه ----- ۲۶۵
و قالوا إنه یجلس علی الجسر و یضع رجله علی الاخری ----- ۲۶۶
الامام الصادق یقول إنها روایة یهودیة ----- ۲۶۶
و قالوا لا تمتلی النار حتی یضع رجله فیه ----- ۲۶۶
وادعوا أن رؤیته بالعین من أكبر اللذات ----- ۲۶۷
لكن اختلفوا هل تراه النساء فی الجنة ----- ۲۶۸
بازار أحادیث النزولات ----- ۲۶۸
قالوا: إن الله تعالی جسم ینزل إلی الأرض كل لیلة ----- ۲۶۸
و قالوا لو دلی رجل حبلا لهبط علی الله ----- ۲۶۹
و قالوا إنه تعالی ینزل لیلة النصف من شعبان ----- ۲۷۰
و قالوا إنه تعالی ینزل یوم عرفة ----- ۲۷۰
الامام الرضا یلعن الذین حرفوا حدیث النزول ----- ۲۷۰

و احادیث إخواننا تؤید ما قاله الإمام الرضا ---- ۲۷۱
و تؤیده أحادیث فیها اطلع الله بدل ینزل ---- ۲۷۱
و احادیث خالیة من ینزل و یصعد ---- ۲۷۲
وادعوا أن رؤیة الله تعالی فی المنام تدل علی الإیمان ---- ۲۷۲
اما درجة ابن عربی و أمثاله فهی أکبر من الرؤیة فی المنام ---- ۲۷۵
لکن الإمام الصادق تشاءم من صاحب هذه الرؤیة ---- ۲۷۵
خلاصة اعتقادنا فی التنزیه و نفی التشبیه ---- ۲۷۵
العقل والآیات والأحادیث تنفی إمکان رؤیة الله تعالی بالعین ---- ۲۷۵
الرسول یعلم الأمة التوحید ---- ۲۷۶
و یعلمنا أن أقصی ما یمکن أن یراه الإنسان نور عظمة الله ---- ۲۷۷
علی یثبت مشاهدة القلوب و ینفی مشاهدة العیان ---- ۲۷۷
لم یحلل فی الأشیاء... ولم ینأ عنه ---- ۲۷۷
لا تقدر عظمة الله سبحانه علی قدر عقلک ---- ۲۷۸
لا تدرکه الشواهد و لا تحویه المشاهد ---- ۲۷۹
اول الدین معرفته... و کمال الاخلاص له نفی الصفات عنه ---- ۲۸۰
کان المسلمون یعرفون قیمة الجواهر فیکتبونه ---- ۲۸۱
امیرالمؤمنین یرد علی تجسیم الیهود ---- ۲۸۲
و یوجه المسلمین إلی التفکر فی عظمة المخلوقات فیصف الطاووس ---- ۲۸۳
و یصف النملة والجرادة ---- ۲۸۴
علی مؤسس علم التوحید ---- ۲۸۴
الامام زین العابدین ینظم زبور آل محمد ---- ۲۸۵
الامام محمد الباقر یجیب علی سؤال متی وجد الله ---- ۲۸۶
و یرکز فی المسلمین قاعدة: لا تشبیه و لا تعطیل ---- ۲۸۷
الامام الصادق: لا نفی و لا تشبیه و لا جبر و لا تفویض ---- ۲۸۷

المؤمنون یرون الله بعقولهم و قلوبهم فی الدنیا والآخرة ----- ۲۸۸
الامام الصادق یرد علی الحلول والثنائیة بین الذات والصفات ----- ۲۸۸
الامام الکاظم یرد علی تجسید النصاری ----- ۲۸۹
و یبین أن الله تعالی غنی عن النزول والحرکة ----- ۲۸۹
الامام الرضا یعلم تلامیذه الدفاع عن التوحید ----- ۲۹۰
و یکشف حقیقة جدیدة فی الإسراء والمعراج ----- ۲۹۰
الامام الرضا یعلم بنی العباس التوحید ----- ۲۹۲
نماذج من کلمات علماء مذهب أهل البیت ----- ۲۹۴
من أین نشأت المشکلة عند إخواننا السنة ----- ۲۹۷
میل العوام إلی التشبیه والتجسیم ----- ۲۹۷
الخوف من أن یؤدی التنزیه إلی التعطیل ----- ۲۹۹
مضاهاة بعض المسلمین للیهود ----- ۳۰۰
اعتقاد الیهود والنصاری بتشبیه الله تعالی و رؤیته بالعین ----- ۳۰۱
محاولة بعض الیهود أن یتبرؤوا من التشبیه والتجسیم ----- ۳۰۶
لکن البابا فی عصرنا یصر علی التجسیم و ینتقد التوحید عند المسلمین ----- ۳۰۷
اول قنوات التشبیه والتجسیم والرؤیة من الیهودیة إلی الإسلام ----- ۳۱۰
من أفکار کعب الأحبار فی الرؤیة والتشبیه والتجسیم ----- ۳۱۲
کعب یدعی أن جنة عدن مسکن الله والأنبیاء والخلفاء ----- ۳۱۳
نموذج من علم کعب بالله تعالی ----- ۳۱۵
و قال کعب وعمر: یفضل من ربه أو من عرشه أربع أصابع ----- ۳۱۵
و قالوا: نبی الله داود یمسک بقدم الله تعالی و هو أعبد من جمیع الأنبیاء ----- ۳۱۶
و قالوا: عمر أفضل من داود لأنه یصافح الله و یعانقه ----- ۳۱۶
عبدالله بن عمر یؤکد أحادیث أبیه ----- ۳۱۶
من روایات أبی موسی الأشعری وابنه ----- ۳۱۷

و قال الجرجانی وغیره: أطیط العرش فکرة یهودیة ----- ۳۱۸
التجسیم فی مصادر إخواننا من روایات الحاخامات ----- ۳۱۸
الکوثری یصعد درجات و لا یصل إلی لب الحقیقة ----- ۳۲۱
السفیانان والحمادان ----- ۳۲۲
حماد بن سلمة ----- ۳۲۲
بعض روایات ابن سلمة فی التشبیه والتجسیم ----- ۳۲۳
حماد یروی أن النبی لا یحفظ القرآن ----- ۳۲۴
اخذ حماد القول بالجبر من شیخ شیخه وهب ----- ۳۲۴
ربیبه عبدالکریم بن أبی العوجاء ----- ۳۲۵
عشرات الألوف من الأحادیث و مئات التلامیذ ----- ۳۲۵
کان مفتی البصرة و له مسجد و یلزم تلامیذه بالکتابة عنه ----- ۳۲۶
و مع هذا وثقه إخواننا وغالوا فیه ----- ۳۲۷
و احترمه البخاری و روی عنه و لم یکتفوا بذلک ----- ۳۲۸
نعیم بن حماد ----- ۳۲۹
بعض مناکیره و روایاته فی التجسیم ----- ۳۲۹
و مع ذلک وثقوا نعیما لأنه صلب فی السنة ----- ۳۳۱
مکانة المشبهین والمجسمین فی مصادر السنیین ----- ۳۳۲
المشبهون سادة فی التاریخ و مصادر السنة ----- ۳۳۲
وهب بن منبه: فارسی، یهودی، مجسم محترم و شیخ للمحدثین ----- ۳۳۲
مقاتل بن سلیمان البلخی، مجسم و شیخ ابن حماد و أستاذ للمفسرین ----- ۳۳۵
یزید بن هارون من شیوخ الإمام أحمد ----- ۳۳۶
السمنانی المجسم رئیس الأشعریة ----- ۳۳۷
الامام الدارمی المجسم ----- ۳۳۷
ابوالعباس السراج و إسحاق الحنظلی إمامان مجسمان ----- ۳۳۸

و صار ابن عقيل شيخ الحنابلة ----- ۳۳۸

من عقائد الدولة: إطاعة الحاكم الجائر والتجسيم والرؤية ----- ۳۳۹

هجمة الحنابلة على الطبرى ----- ۳۳۹

هجمة الحنابلة على ابن حبان ----- ۳۴۰

من تكفيرات المجسمين لمن خالفهم ----- ۳۴۱

ملحد (سنى) يحبه المجسمة لأنه يلعن من خالفهم ----- ۳۴۲

من الفتن التى حدثت بسبب التجسيم ----- ۳۴۲

و واجه بعض الخلفاء تطرف المجسمين ----- ۳۴۲

و قتل خلفاء شرعيون إماما مجسما طمع بالحكم ----- ۳۴۳

و كان التجسيم منتشرا فى عصر ابن الجوزى والسبكى ----- ۳۴۴

وانتقل التجسيم من بغداد إلى مصر ----- ۳۴۴

الامام العبدرى المغربى المجسم ----- ۳۴۵

التجسيم ينتشر فى المغرب فيقاومه المهدى بن تومرت ----- ۳۴۵

و كثر الحشوية والمخلطون فى العالم الإسلامى ----- ۳۴۶

كل الناس مبرؤون... والشيعة متهمون ----- ۳۴۶

منطق السلطة و أتباعه ----- ۳۴۶

محاولات الدولة والمشبهين إلصاق التشبيه بالنبى وآله ----- ۳۴۷

بغض أهل البيت و شيعتهم إرث غير شرعى ----- ۳۴۷

و تواصلت علينا الإفتراءات عبر العصور ----- ۳۴۸

و تضاعفت التهم فى عصرنا عصر العلم و حرية الفكر ----- ۳۵۰

تفسير مقارن للآيات المتعلقة بالموضوع ----- ۳۵۱

الآيات المحكمة النافية لإمكان الرؤية ----- ۳۵۱

الآيات المتشابهة التى استدلوا بها على الرؤية ----- ۳۵۱

آيات: استوى على العرش ----- ۳۵۲

تفسیر آیة: لا تدرکه الابصار ----- ۳۵۲

النبی و آله یقولون: لا تدرکه الابصار و لا.. الاوهام ----- ۳۵۲

امیرالمؤمنین یدفع الشبهات ----- ۳۶۰

تفسیرهم الموافق لمذهبنا ----- ۳۶۳

محاولاتهم تأویل الآیة و إبطال معناه ----- ۳۶۴

تفسیر آیة: ما کذب الفؤاد ما رأی ----- ۳۶۶

قال أهل البیت: رأی ربه بفؤاده و رأی آیاته بعینیه ----- ۳۶۶

رأی الشیعة الزیدیة فی نفی الرؤیة ----- ۳۶۹

تفسیرهم الموافق لمذهبنا ----- ۳۶۹

و نفی قدماء المتصوفة الرؤیة بالعین فی الدنی ----- ۳۷۱

تفسیرهم الذی فیه تجسیم ----- ۳۷۲

و جهل بعضهم فنسب الدنو والتدلی إلی الله تعالی ----- ۳۷۶

و وصفوا عرشه بأنه تحمله حیوانات کما وصفه الیهود ----- ۳۷۶

و قالوا رأی ربه واقفا علی أرض خضرة خلف ستر شفاف ----- ۳۷۷

و حاول بعضهم أن یخفف القصة و یجعلها رؤیا فی المنام ----- ۳۷۷

تفسیر آیة: وجوه یومئذ ناضرة، إلی ربها ناظرة ----- ۳۷۷

تفسیر أهل البیت و فقهاء مذهبهم ----- ۳۷۷

رؤیة العارفین بقلوبهم أرقی من الرؤیة البصریة ----- ۳۷۹

تفسیرهم الموافق لمذهبنا ----- ۳۸۱

تفسیرهم الذی فیه تجسیم ----- ۳۸۱

تفسیر آیات التجلی لموسی ----- ۳۸۴

قال أهل البیت: تجلی بنوره الذی خلقه، لا بذاته ----- ۳۸۴

الامام الرضا یدفع التهم عن الأنبیاء ----- ۳۸۴

انواع التجلی الإلهی ----- ۳۹۰

تفسیر عرفانی لعدم إمکان رؤیهٔ الله تعالی ----- ۳۹۱
الله تعالی یتجلی بخلقه ----- ۳۹۱
من هو قیس بن ثابت راوی حدیث خنصر الله تعالی ----- ۳۹۴
تفسیر قوله تعالی: یوم یکشف عن ساق ----- ۳۹۵
فسرها أهل البیت بکشف حجاب الآخرهٔ و أهواله ----- ۳۹۵
تفسیر آیات الإستواء علی العرش ----- ۳۹۸
تفسیر أهل البیت ----- ۳۹۹
الاستواء علی العرش: استواء نسبهٔ الله إلی العالم ----- ۳۹۹
معنی العرش والکرسی عند أهل البیت ----- ۴۰۳
قالوا إن الله جالس علی کرسیه کما قال الیهود ----- ۴۰۷
و تناقضت روایاتهم فی العرش والکرسی ----- ۴۰۸
و قالوا عرش الله کرسی متحرک ----- ۴۰۹
و قالوا العرش غیر الکرسی، و قالوا العرش هو الکرسی ----- ۴۰۹
تفسیر قوله تعالی: عسی أن یبعثک ربک مقاما محمودا ----- ۴۱۰
و قالوا یجلس الله علی عرشه و یجلس النبی إلی جانبه ----- ۴۱۰
و نفی الفکرهٔ بعض علماء السنهٔ ----- ۴۱۱
و قال المستشرقون إنها فکرهٔ مسیحیهٔ ----- ۴۱۱
و اعترفوا بأن بعض هذه الأحادیث موضوع ----- ۴۱۲
و قالوا یجلس صاحب أحمد بن حنبل علی سجاد العرش ----- ۴۱۲
و قالوا یجلس أبابکر علی کرسی عند العرش ----- ۴۱۲
تفسیر قوله تعالی: فلما آسفونا انتقمنا منهم ----- ۴۱۲
قال أهل البیت: إن الله لا یأسف کأسفن ----- ۴۱۲
تفسیر آیات أخری تتعلق بالموضوع ----- ۴۱۶
باب معنی الحجزهٔ ----- ۴۱۷

باب معنی العین والاذن واللسان ----- ۴۱۷
المجلد۳ ----- ۴۱۹
فهرست مطالب کتاب: العقائد الإسلامیة (المجلد ۳) ----- ۴۱۹
مقدمة ----- ۴۲۵
تعریف الشفاعة و تاریخها ----- ۴۲۵
موقع الشفاعة من الرحمة الإلهیة ----- ۴۲۵
شبهة حول أصل الشفاعة ----- ۴۲۵
مثال لتقریب فهم عقیدة الشفاعة ----- ۴۲۵
محاولات المستشرقین التشکیک فی الشفاعة ----- ۴۲۶
تهافت منطق الوهابیین فی الشفاعة والاستشفاع ----- ۴۲۷
تعریف الشفاعة فی اللغة ----- ۴۳۰
تعریف الشفاعة عند المتکلمین ----- ۴۳۱
تحریف الیهود والنصاری للشفاعة ----- ۴۳۳
مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرهم ----- ۴۳۳
عراقة عقیدة الشفاعة ----- ۴۳۳
شفاعة ابراهیم للمؤمنین و لاسماعیل و لوط ----- ۴۳۴
شفاعة زکریا لبنی إسرائیل ----- ۴۳۴
البشارة بالشفیع الذی سیأتی (البراقلیطس) ----- ۴۳۴
توسیع بولس للشفاعة و حصرها بالمسیح ----- ۴۳۴
مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرن ----- ۴۳۷
الشفاعة عند عرب الجاهلیة ----- ۴۴۱
عبد العرب الأصنام أملا بشفاعتهن ----- ۴۴۱
مکانة اللات والعزی عند مشرکی العرب ----- ۴۴۳
الیمین الرسمی المقدس عند قریش باللات والعزی ----- ۴۴۴

بعض الصحابهٔ کانوا یقسمون باللات والعزی ----- ۴۴۴
اعتقاد قریش بنفع اللات والعزی و ضرهم ----- ۴۴۵
مصادرنا تروی بغض النبی لأصنام قریش ----- ۴۴۶
و تمسک سدنهٔ اللات والعزی بهما إلی آخر نفس ----- ۴۴۶
و حطم النبی کل الأصنام ----- ۴۴۶
و اخترعت قریش قصهٔ الغرانیق انتصارا للات والعزی ----- ۴۴۷
البخاری و مسلم رویا فریهٔ الغرانیق ----- ۴۴۹
نماذج من ردود علماء مذهب أهل البیت علی فریهٔ الغرانیق ----- ۴۵۱
تنبؤ عمیق للنبی حول اللات والعزی ----- ۴۵۴
کلیات الشفاعهٔ فی القرآن ----- ۴۵۴
آیات الشفاعهٔ و عناوینها ----- ۴۵۴
الشفاعهٔ الحسنهٔ والشفاعهٔ السیئهٔ فی الدنی ----- ۴۵۴
الشفعاء یوم القیامهٔ یشفعون بعهد من الله تعالی ----- ۴۵۴
الاولیاء المکرمون ینفعون موالیهم بفاعتهم ----- ۴۵۵
الشهداء بالحق شفعاء ----- ۴۵۵
الملائکهٔ یشفعون للناس بإذن الله تعالی ----- ۴۵۵
الشفیع الأکبر ----- ۴۵۵
لا شفاعهٔ من دون الله تعالی ----- ۴۵۵
لا شفاعهٔ إلا بإذنه و من بعد إذنه ----- ۴۵۵
الشفعاء المزعومون لا شفاعهٔ لهم ----- ۴۵۶
لا شفاعهٔ فی یوم القیامهٔ کشفاعهٔ الدنی ----- ۴۵۶
الکفار یبحثون بحثا حثیثا عن الشفعاء ----- ۴۵۶
لا شفاعهٔ للظالمین ----- ۴۵۶
شفاعهٔ نبینا ----- ۴۵۶

تفسیر (المقام المحمود) لنبینا ۴۵۶
تفسیر إخواننا السنیین القریب من تفسیرنا ۴۶۳
تفسیرهم الذی فیه تجسیم ۴۶۵
القعود علی العرش فکرة یهودیة مسیحیة ۴۶۶
انتقاد بعض علماء السنة التفسیر بالقعود علی العرش ۴۶۷
تفسیر قوله تعالی (و لسوف یعطیک ربک فترضی) ۴۶۸
تفسیر الآیة بالعطاء الالهی الاعم من الشفاعة ۴۶۸
تفسیرها بالشفاعة لامته أو بالشفاعة مطلقا ۴۶۹
تفسیرها بشفاعة النبی لأهل بیته خاصة ۴۷۱
تفسیرها بشفاعة النبی لجمیع أمته ۴۷۲
ملاحظتان ۴۷۳
حدود الشفاعة ۴۷۴
المذاهب فی حدود الشفاعة (من ارتضی) ۴۷۵
حدود الشفاعة عند أهل البیت ۴۷۵
ما دل علی استثناء المشرک والظالم من الشفاعة ۴۷۵
اصناف من الناس موعودون بالشفاعة ۴۷۸
من قضی لأخیه المؤمن حاجة ۴۷۸
من سعی فی حوائج ذریة النبی ۴۷۹
من زار قبر النبی ۴۷۹
من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالی ۴۷۹
من یدعو للمؤمنین ۴۸۰
شفاعة الملائکة لأهل مجلس الدعاء ۴۸۰
من شیع جنازة مسلم ۴۸۰
من حفظ علی أمتی أربعین حدیثا ۴۸۰

من عاهد أخاه المؤمن على الشفاعة ----- ۴۸۱
مجموعة أعمال و صفات توجب الشفاعة ----- ۴۸۱
اصناف لا تنالهم الشفاعة ----- ۴۸۲
السلطان الظالم الغشوم ----- ۴۸۲
المنان والبخيل والنمام ----- ۴۸۲
الذين يخرجون من النار بالشفاعة يكونون أدنى درجة ----- ۴۸۳
رأی السنيين القريب من رأی أهل البيت ----- ۴۸۳
شرط الشفاعة فی المظالم الشخصية ----- ۴۹۰
نتيجة ----- ۴۹۱
توسيعات الشفاعة عند الخليفة عمر و أتباعه ----- ۴۹۱
ان الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين حتى الطلقاء والمنافقين ----- ۴۹۲
ان الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى ----- ۴۹۶
ملاحظات على روايات هذا الرأی ----- ۵۰۰
احاديث أن الله تعالى يشفع عند نفسه ----- ۵۰۳
ان الشفاعة تشمل جميع الخلق ----- ۵۰۴
ان العقاب فی الآخرة ينتهی كليا و أن جهنم تفنى و ينقل أهلها إلى الجنة ----- ۵۰۶
آراء المسلمين فی آيات الخلود و أحاديثه ----- ۵۰۶
اجمع المسلمون على خلود الكفار فی جهنم ----- ۵۰۶
الروايات التی توافق هذا الرأی عند إخواننا السنيين ----- ۵۰۷
سبب خلود أهل النار فيه ----- ۵۰۹
آيات الخلود فی الجنة والنار ----- ۵۱۰
عدم خلود الموحدين فی النار فی مصادرن ----- ۵۱۱
عدم خلود الموحدين فی النار فی مصادر السنيين ----- ۵۱۲
روايات فی الصحاح تقول بخلود الموحدين فی النار ----- ۵۱۴

ما دل من مصادرنا لی أن الدار الآخرهٔ لا موت فیه ----- ۵۱۵
ما دل من مصادر السنیین علی أن الدار الآخرهٔ لا موت فیه ----- ۵۱۶
عودهٔ إلی رأی عمر بفناء النار ----- ۵۱۷
الجهمیهٔ أخذت من الخلیفهٔ عمر ----- ۵۲۰
والمرجئهٔ أخذوا من عمر ----- ۵۲۰
و ابن العاص أخذ من عمر ----- ۵۲۰
و رووا عن ابن مسعود أنه وافق عمر ----- ۵۲۱
و الشعبی أخذ من عمر ----- ۵۲۱
و المعتزلهٔ أخذت من عمر ----- ۵۲۱
و الجاحظ أخذ من عمر ----- ۵۲۱
و ابن عربی والجیلی أخذا من عمر ----- ۵۲۱
اما عمر فقد أخذ من کعب الأحبار والیهود ----- ۵۲۱
عمر ینظر إلی کعب کأنه نبی و یتلقی منه ----- ۵۲۲
شفاعات و حرمانات غیر معقولهٔ روتها مصادر السنیین ----- ۵۲۵
شفاعهٔ اثنین لصاحب الجنازهٔ ----- ۵۲۵
رأی أهل البیت فی الشهادهٔ للجنازهٔ ----- ۵۲۹
شفاعهٔ النبی للظالمین من الامهٔ ----- ۵۳۰
قال کعب الأحبار هم جمیع المسلمین و هم فی الجنهٔ ----- ۵۳۱
و قال الخولانی إنه قرأ ذلک فی کتب الیهود ----- ۵۳۱
عائشهٔ و عثمان یوافقان کعبا علی تفسیره ----- ۵۳۱
الحسن البصری یرد تفسیر کعب الأحبار ----- ۵۳۲
الخلیفهٔ عمر یمیل إلی تفسیر کعب ----- ۵۳۲
قال أهل البیت لا یمکن أن تشمل الآیهٔ کل الأمهٔ ----- ۵۳۴
نظریهٔ فداء المسلمین بالیهود والنصاری ----- ۵۳۷

اسقاط المحرمات عن أهل بدر ----- ۵۳۸
حرمان من سب الصحابة من الشفاعة ----- ۵۴۲
الدخول إلی جهنم ----- ۵۴۳
حرمان من الشفاعة بسبب صبغ الشعر ----- ۵۴۵
ماذا یصنع رواة الخلافة القرشیة بهذه الأحادیث ----- ۵۴۷
رأی أهل البیت ----- ۵۴۷
خلاصة المسألة ----- ۵۴۸
مرسوم بحرمان الزوجة التی تطلب الطلاق ----- ۵۴۹
محاولة القرشیین حرمان بنی هاشم من شفاعة النبی ----- ۵۵۰
حساسیة قریش من أسرة النبی ----- ۵۵۱
حادثة خطیرة، عتمتها الصحاح ----- ۵۵۲
براعة البخاری فی تضییع القضیة ----- ۵۵۶
ماذا قال کبار الشراح؟ ----- ۵۵۷
الحادثة فی بعض روایات أهل البیت ----- ۵۵۹
وسعوا شفاعة النبی للیهود والنصاری و لم یسمحوا أن تشمل أسرته ----- ۵۶۲
روایات أخری غیر منطقیة أیضا ----- ۵۶۳
اغرب شفاعة اخترعها القرشیون لرئیس بنی هاشم ----- ۵۶۸
بماذا یفسرون قول النبی سأبلها ببلاله ----- ۵۷۰
ضحضاح النور لا ضحضاح النار ----- ۵۷۱
محاولتهم التخلص من الوعد النبوی لبنی هاشم ----- ۵۷۲
عمل المعروف ینجی الکفار من النار إلا أبا طالب ----- ۵۷۳
احادیث نجت من الرقابة القرشیة ----- ۵۷۴
بخلهم علی أبی طالب و خدیجة و سخاؤهم علی غیرهم ----- ۵۷۶
اهم الأدلة علی إیمان أبی طالب ----- ۵۷۸

ولادة المذاهب المنحرفة من أفكار توسيع الشفاعة ----- ۵۸۳

عمل اليهود على إسقاط المحرمات من الأديان ----- ۵۸۳

اخبار النبى بظهور المرجئة والقدرية و تحذيره منهم ----- ۵۸۳

تعريف المرجئة و مذهبهم ----- ۵۸۴

المرجئة ولدوا من عهد الخليفة عمر ----- ۵۸۵

اول من تصدى لمذهب المرجئة على ----- ۵۸۶

كان المرجئة خداما لبنى أمية و مبررين لجرائمهم ----- ۵۸۹

تورط أصحاب المذاهب الأربعة فى الإرجاء ----- ۵۸۹

تورط أصحاب الصحاح الستة فى الارجاء ----- ۵۹۰

حب المستشرقين للمرجئة و حزنهم عليهم ----- ۵۹۲

المرجئة والجبرية شقيقان لاب و أم ----- ۵۹۳

القدرية المفوضة (الذين ينفون القدر) ----- ۵۹۴

القدرية الجبرية (الذين يثبتون القدر) ----- ۵۹۵

القدر عند أهل البيت: لا جبر و لا تفويض ----- ۵۹۶

ردة فعل الخوارج على توسيع الدولة للشفاعة ----- ۵۹۷

تبادل المواقع بين الخوارج والمرجئة ----- ۶۰۱

المعتزلة مثقفون متوسطون بين الدولة والخوارج ----- ۶۰۱

الصغائر تغفر والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة ----- ۶۰۱

و صاحب الكبيرة فى النار و لا تشمله الشفاعة ----- ۶۰۲

المزيد من تأثير الإسرائيليات على أحاديث الشفاعة ----- ۶۰۳

اتفق الجميع نظريا على أن الشفاعة من مختصات نبينا ----- ۶۰۳

نبينا أول شافع يوم القيامة ----- ۶۰۵

الاحاديث الموافقة لمذهبنا فى مصادر السنيين ----- ۶۰۷

الاحاديث المتأثرة بالاسرائيليات فى مصادر السنيين ----- ۶۰۸

البخاری یفضل أنبیاء بنی إسرائیل علی نبینا ----- ۶۰۹
احسن تصور فی مصادر السنیین عن شفاعة نبینا ----- ۶۱۲
مسألتا: الذبیح و أول من یکسی کسوة الجنة یوم القیامة ----- ۶۱۴
رأی أهل البیت ----- ۶۱۸
بحث فی إیمان عبدالمطلب و روایة أنا ابن الذبیحین ----- ۶۱۹
عبدالمطلب علیه سیماء الأنبیاء و بهاء الملوک ----- ۶۲۵
آراء شیعیة مخالفة للمشهور فی الذبیحین ----- ۶۲۶
رأی الشیخ الصدوق بأن إسحاق ذبیح أیضا ----- ۶۲۶
محاولة أحد المعاصرین تفسیر الذبیحین بإسماعیل و إسحاق ----- ۶۲۷
اول من یکسی کسوة الجنة ----- ۶۳۳
شفاعة الملائکة والأنبیاء والعلماء والشهداء ----- ۶۳۶
من مصادرنا ----- ۶۳۶
من مصادر السنیین ----- ۶۳۷
ما یوجب أمل المسلم بشفاعة إخوانه المؤمنین له ----- ۶۴۰
من مصادر السنیین ----- ۶۴۰
شفاعة القرآن، والکعبة، والحجاج، والزوار ----- ۶۴۱
و اصناف أخری من الناس... ----- ۶۴۱
شفاعة القرآن ----- ۶۴۲
شفاعة سور القرآن و آیاته ----- ۶۴۴
شفاعة القرآن لمن یتعلمه و یعلمه ----- ۶۴۶
شفاعة الکعبة لمن زاره ----- ۶۴۶
شفاعة حجاج بیت الله الحرام ----- ۶۴۷
شفاعة النبی الخاصة لزوار قبره ----- ۶۴۹
المجلد۴ ----- ۶۵۰

فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ۴) ---- ۶۵۰
شفاعة أحد شيعة أهل البيت ---- ۶۵۴
اويس القرنی أحد كبار الشفعاء شفيع تشتاق اليه الجنة ---- ۶۵۴
اويس خير التابعين ---- ۶۵۵
خير التابعين صارت: من خير التابعين ---- ۶۵۶
هل أن كلمة (من) إضافة أموية ---- ۶۵۶
كان أويس أسمر اللون جسيما مهيبا ---- ۶۵۷
صورة من تزاحم المسلمين على أويس ---- ۶۵۸
شعاره الصدق والجد فی أمر الله تعالی ---- ۶۵۸
و هو صاحب مدرسة فی شكر نعم الله تعالی ---- ۶۵۸
زاهد يضرب بزهده المثل ---- ۶۵۸
زاهد يحمل هم الفقراء و يتصدق عليهم حتی بطعامه و ثيابه ---- ۶۵۹
و قد ربی أويس تلاميذ علی سيرته ---- ۶۶۰
رأيه فی الحكام غير علی ---- ۶۶۰
اضطهاد مخابرات الخلافة لاويس ---- ۶۶۱
اويس من شيعة علی ---- ۶۶۲
صاحب البصيرة الزاهد، شجاع مجاهد ---- ۶۶۳
نسب أويس القرنی و نسبته ---- ۶۶۴
عشيرة الأويسات أو اللويسات السورية ---- ۶۶۵
روايات لقائه بعمر و استغفاره له ---- ۶۶۵
روايات توجب الشک فی استغفاره لعمر ---- ۶۶۸
من هم الذين خاطبهم النبی فی البشارة بأويس؟ ---- ۶۷۱
آراء شاذة و أخری مشبوهة الهدف فی أويس ---- ۶۷۱
فقد صرح متعصبوا الحنابلة بتفضيل بعض أصحابهم علی أويس القرنی ---- ۶۷۳

و زعم بعضهم أن قبر أویس طار من الأرض ----- ۶۷۸
آراء مضادة مغالیة فی أویس القرنی ----- ۶۷۹
صورة عن أویس القرنی من مصادرنا روائح الجنة تفوح من قرن! ----- ۶۸۲
خیر التابعین و نفس الرحمن ----- ۶۸۲
کان راعی إبل فصار الشفیع الموعود ----- ۶۸۳
اویس من أرکان التشیع لعلی ----- ۶۸۳
اویس ختام المسک الموعود فی حرب الجمل ----- ۶۸۴
اویس ختام المسک الموعود فی حرب صفین ----- ۶۸۵
متفرقات عن أویس ----- ۶۸۶
من الأدعیة المرویة عن أویس ----- ۶۸۷
شفاعة أویس القرنی لمئات الألوف أو الملایین ----- ۶۸۹
نتیجة ----- ۶۹۱
النواصب مطرودون من الشفاعة والجنة ----- ۶۹۲
حکم النواصب فی الفقه الإسلامی ----- ۶۹۲
علی میزان الإسلام والکفر والإیمان والنفاق ----- ۶۹۲
محاولة ابن حجر تجرید علی من هذه الفضیلة ----- ۶۹۶
قصة بریدة وحدها حجة بالغة ----- ۶۹۸
من دلالات قصة بریدة ----- ۷۰۵
لمحة عن بریدة و أحادیثه فی مصادرن ----- ۷۰۶
والزهراء والحسنان جزء من المقیاس النبوی أیض ----- ۷۱۰
و کل (أهل البیت) جزء من المقیاس النبوی ----- ۷۱۱
و ویل لمبغضیهم ----- ۷۱۳
و ویل للمکذبین بفضلهم ----- ۷۱۴
واللعنة علی ظالمیهم و قاتلیهم ----- ۷۱۴

و لا يقبل عمل المسلم إلا بحبهم ---- ۷۱۵

و الأمة مسؤولة عنهم يوم القيامة ---- ۷۱۵

و هذه الأحكام مختصة بهم و لا يقاس بهم أحد ---- ۷۱۶

و محبو أهل البيت و شيعتهم جزء من المقياس النبوی ---- ۷۱۶

كيف طبقت الخلافة القرشية سنة النبی فيهم ---- ۷۱۷

و أجبرت المسلمين على أن يكونوا نواصب ---- ۷۱۷

مرسوم آخر لخليفة المسلمين معاوية ---- ۷۱۷

مرسوم ثالث لخليفة المسلمين معاوية ---- ۷۱۸

مرسوم رابع لخليفة المسلمين معاوية ---- ۷۱۸

بعض ما ورد عن المقياس النبوی فی مصادرن ---- ۷۱۹

بعض ما ورد فی مصادرنا فی عدم شمول الشفاعة للنواصب ---- ۷۲۲

بعض ما ورد فی مصادرنا فی أحكام التعامل مع النواصب ---- ۷۲۲

النصب يجر إلى التجسيم ---- ۷۲۳

فضل العلماء الذين يدفعون شبهات النواصب ---- ۷۲۴

شفاعة النبی يوم القيامة بيد أهل بيته ---- ۷۲۴

على صاحب لواء النبی يوم القيامة ---- ۷۲۵

ماذا روت الصحاح عن رئاسة المحشر و لواء الحمد؟ ---- ۷۲۵

على آمر السقاية على حوض النبی يوم القيامة ---- ۷۲۷

محاولات الأمويين التكذيب بأحاديث الحوض ---- ۷۲۸

ندم أئمة المذاهب على تدوين أحاديث الحوض ---- ۷۲۹

و النتيجة للمتأمل فی أحاديث حوض الكوثر ---- ۷۳۰

نماذج من أحاديث الحوض والصحابة المطرودين ---- ۷۳۰

اسس تدوين أحاديث القيامة عند علماء الخلافة ---- ۷۳۲

نتيجة كلية ---- ۷۳۴

احادیث أن علیا هو الساقی علی الحوض والذائد عنه ---- ۷۳۴

من أحادیث الحوض فی مصادرنا ---- ۷۳۷

اهل البیت و شیعتهم علی الحوض ---- ۷۳۹

شعر حوض الکوثر فی مصادر الحدیث والأدب ---- ۷۴۰

علی قسیم الله بین الجنة والنار ---- ۷۴۷

حدیث قسیم الجنة والنار فی الشعر ---- ۷۵۳

علی أول الواردین علی النبی عند حوض الکوثر ---- ۷۵۴

لا یعبر إنسان الصراط إلا بجواز من علی ---- ۷۵۴

عنوان صحیفة المؤمن یوم القیامة حب علی ---- ۷۵۵

من هو المخاطب بقوله تعالی: ألقیا فی جهنم کل کفار عنید ---- ۷۵۵

شفاعة علی و الأئمة من ذریته ---- ۷۵۹

احادیث فی شفاعة الأئمة من أهل بیت النبی ---- ۷۶۰

احادیث فی شفاعة فاطمة الزهراء ---- ۷۶۳

یا فاطمة لا تبکی، علی و شیعته غدا هم الفائزون فی الجنة ---- ۷۶۷

نماذج من أحادیث شفاعة النبی و آله لزوار مشاهدهم المشرفة ---- ۷۶۸

الشفاعة لمن زار قبر أمیرالمؤمنین ---- ۷۶۹

الشفاعة لمن زار قبر الإمام الحسین ---- ۷۷۰

الشفاعة لمن زار قبر الإمام الرضا ---- ۷۷۰

ختام فی بعض قواعد الشفاعة و أحکامه ---- ۷۷۱

النهی عن الإتکال علی الشفاعة ---- ۷۷۱

امل العاصین بشفاعة النبی وآله ---- ۷۷۳

الاولی بشفاعة النبی وآله ---- ۷۷۴

الدعاء للنبی باعطائه الشفاعة ---- ۷۷۵

الدعاء بطلب الشفاعة لوالدیه و أقاربه ---- ۷۷۶

مسائل حول التوسل ----- ۷۷۶

مفردات التوسل ----- ۷۷۶

الدعاء والنداء ----- ۷۷۷

التوسل فی الأدیان السابقۀ ----- ۷۷۸

الفرق بین التوسل و أنواع الشرک ----- ۷۷۸

الرسول داعی الله ----- ۷۸۴

المؤمنون یدعون الله تعالی وحده ----- ۷۸۵

الاولیاء الشیاطین ----- ۷۸۶

انکشاف عدم فائدۀ الأولیاء من دون الله فی الآخرۀ ----- ۷۸۷

لا وجود حقیقیا لولی من دون الله ----- ۷۸۸

شبهۀ علی أصل التوسل ----- ۷۸۸

مسألۀ التوسل دقیقۀ و حساسۀ ----- ۷۸۹

تأکید الأئمۀ علی المحافظۀ علی التوحید فی التوسل ----- ۷۹۱

من هم المتوسل بهم عند المسلمین ----- ۷۹۱

التوسل بغیر المعصومین عند السنیین ----- ۷۹۲

التوسل الواسع فی صلاۀ الإستسقاء ----- ۷۹۴

التوسل العملی بالأعمال الصالحۀ ----- ۷۹۴

التوسل إلی الله فی مصادر السنیین ----- ۷۹۵

تعلیم النبی التوسل به إلی الله تعالی ----- ۷۹۵

توسل عمر بن الخطاب بالعباس عم النبی ----- ۷۹۶

توسل الناس فی المحشر واستشفاعهم بالنبی ----- ۷۹۶

ما ورد عندهم من الدعاء للنبی بالوسیلۀ ----- ۷۹۶

ما هی الوسیلۀ التی ورد الدعاء بها للنبی؟ ----- ۷۹۸

احادیث تفسر الوسیلۀ فی مصادرنا ----- ۷۹۸

خطبة الوسیلة من کتاب الکافی ---- ۷۹۹

التوسل إلی الله فی مصادرنا ---- ۸۰۴

التوسل إلی الله بالأعمال الصالحة ---- ۸۰۴

التوسل إلی الله بذاته و صفاته عزوجل ---- ۸۰۴

الاستشفاع إلی الله تعالی بحبه و معرفته ---- ۸۰۵

افتتاح الصلاة بالتوجه إلی الله بالنبی و آله ---- ۸۰۵

دلالة استحباب التوسل عند الأذان و افتتاح الصلاة ---- ۸۰۷

التوجه بالنبی و آله لدفع شر السلطان ---- ۸۰۷

التوجه إلی الله بالنبی و آله عند الحاجة والشدة ---- ۸۰۷

الاستشفاع بالنبی والأئمة عند زیارة قبورهم الشریفة ---- ۸۱۰

تفسیر الآیات الثلاث فی التوسل ---- ۸۱۱

عمل المفسرین السنیین لإبعاد الوسیلة عن النبی ---- ۸۱۱

جاؤوک، تشمل المجئ إلی قبر النبی والمجئ إلی وصیه ---- ۸۱۵

تفسیرنا للآیتین الکریمتین ---- ۸۱۶

تفسیر السنیین للآیتین الکریمتین ---- ۸۱۸

مناقشة تفسیرهم للآیات ---- ۸۲۰

علی أقرب الخلق وسیلة إلی الله ---- ۸۲۱

الترابط بین الوسیلة والوصیة ---- ۸۲۳

الشیعة وسیلة إلی الله یوم القیامة ---- ۸۲۳

ما ورد فی مصادرهم من تشویش علی الأحادیث المتقدمة ---- ۸۲۳

آیات مؤیدة لآیات التوسل ---- ۸۲۵

شذوذ الوهابیین عن اجماع المسلمین فی التوسل والإستشفاع ---- ۸۲۵

تلبیس ابن تیمیة لتحریم التوسل والإستشفاع ---- ۸۲۷

غرض ابن تیمیة من نقل التوسل من فروع الفقه إلی أصول العقائد ---- ۸۲۸

هل تراجع ابن تیمیة أمام القاضی أو فی سجنه عن تحریم التوسل ۸۲۸
علماء المذاهب الإسلامیة یردون علی شذوذ ابن تیمیة ۸۳۰
نماذج من ردهم علی مذهب ابن تیمیة ۸۳۰
مقتطفات من أهم کتب علماء المذاهب فی الرد علی ابن تیمیة ۸۳۱
کتاب (التوسل بالنبی و جهلة الوهابیین) ۸۳۷
کتاب (شفاء السقام) للإمام السبکی ۸۴۲
حدیث توسل آدم بالنبی ۸۴۳
توسل عیسی بالنبی ۸۴۴
توسل نوح و ابراهیم و سائر الأنبیاء بنبیا ۸۴۴
التوسل بالنبی (بعد موته) ۸۴۶
کتاب رفع المنارة لتخریج أحادیث التوسل والزیارة ۸۴۹
کتاب (حقیقة التوسل والوسیلة فی الکتاب والسنة) ۸۵۶
المجلد۵ ۸۶۰
فهرست مطالب کتاب: العقائد الإسلامیة (المجلد ۵) ۸۶۰
مقدمة ۸۶۷
عقیدة الیهود نفی الحکمة عن الله تعالی و نفی العصمة أنبیائه ۸۶۹
لماذا یحسد الیهود الشعوب التی عندها مقدسات ۸۶۹
لم یکن الیهود موحدین حتی فی عصور أنبیائهم ۸۶۹
الالحاد الصریح فی الیهود الماضین والمعاصرین ۸۷۰
افتراء الیهود علی الله تعالی و نفیهم عنه العلم والعدل ۸۷۱
وصفوا الله تعالی بأنه لا یعلم ما خلق ۸۷۱
و وصفوه بالطیش والغضب والظلم ۸۷۱
و افتروا علی الله تعالی بأنه ینسی عهده ثم یتذکره ۸۷۲
و زعموا أن یعقوب صارع الله تعالی فعجز الله أن یغلبه ۸۷۲

و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادی یسکن فی السماء ---- ۸۷۲
و وصفوه بأن له سبعة أرواح کالقطط ---- ۸۷۲
من إهانات الیهود لأنبیائهم و افتراءاتهم علیهم ---- ۸۷۲
افتروا علی ابراهیم بأنه کان قبل نبوته یعبد الأوثان ---- ۸۷۲
و اتهموا ابراهیم بأنه تزوج سارة و هی أخته ---- ۸۷۲
و اتهموه بأنه کذب علی الحاکم القبطی بأن سارة أخته ---- ۸۷۳
و اتهموا نبی الله إسحاق بنفس التهمة ---- ۸۷۵
و اتهموا إبراهیم و بقیة الأنبیاء بأنهم کانوا یشربون الخمر ---- ۸۷۵
و زعموا أن لوطا سکن فی سدوم اختلافه مع ابراهیم ---- ۸۷۵
و نسبوا إلی سارة رضی الله عنها الظلم والقسوة ---- ۸۷۵
و اتهموا إبراهیم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر و ابنها إسماعیل ---- ۸۷۶
اما مصادرنا فتبرئ إبراهیم و عترته من الظلم والمعصیة ---- ۸۷۷
و اتهموا نبی الله هارون و موسی بالشرک والمعاصی ---- ۸۷۸
و اتهموا أنبیاء الله بالحیل والدجل والبلاهة ---- ۸۷۹
و اتهموا یوشع بأنه ختن الیهود بسکاکین من حجر الصوان ---- ۸۸۰
و افتروا علی سلیمان أنه أشرک بالله تعالی ---- ۸۸۰
النتائج الخطیرة لتخریب الیهود لعقیدة العدل والعصمة ---- ۸۸۰
امتیاز الشیعة عن الیهود والسنة بعقیدة العصمة التامة ---- ۸۸۱
نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالی والعصمة التامة للأنبیاء والأئمة ---- ۸۸۱
من أحادیث الشیعة فی عصمة الأنبیاء والأئمة عصمة تامة ---- ۸۸۳
من شرائع دیننا عصمة الأنبیاء و الأوصیاء ---- ۸۸۳
وجوب طاعة الأنبیاء والأوصیاء تستوجب عصمتهم ---- ۸۸۴
ضرورة بعثة الأنبیاء تستوجب عصمتهم ---- ۸۸۵
العصمة من أول صفات الإمام ---- ۸۸۵

احادیث نصت علی إمامة الأئمة الإثنی عشر و عصمتهم ---- ۸۸۵
کتاب کفایة الأثر فی النصوص علی الأئمة الإثنی عشر ---- ۸۸۷
العصمة التامة هی الوسطیة بین الغلو والتقصیر ---- ۸۹۳
من کلمات علماء الشیعة فی عصمة الأنبیاء والأئمة ---- ۸۹۴
الانبیاء معصومون مطهرون کاملون ---- ۸۹۴
العصمة عن الذنوب، والغلط، والرذائل، وما ینفر ---- ۸۹۵
جلیلنا ---- ۸۹۵
اصل الأدلة عندنا علی العصمة التامة: الدلیل العقلی ---- ۸۹۵
العصمة لاتعنی الإجبار، و لا تنافی الإختیار ---- ۹۰۱
دفاع أهل البیت و شیعتهم عن عصمة الأنبیاء ---- ۹۰۵
الامام الصادق یتألم لظلم الناس للأنبیاء والأوصیاء ---- ۹۰۵
اشاره ---- ۹۰۵
ملاحظة ---- ۹۱۰
استغفار الأنبیاء والأوصیاء وابتلاؤهم لم یکن بسبب الذنوب ---- ۹۱۱
اشاره ---- ۹۱۱
ملاحظة ---- ۹۱۲
هشام بن الحکم یدافع عن عصمة الأنبیاء والأئمة تحت سیف هارون الرشید ---- ۹۱۲
مرجع الشیعة الشیخ المفید رحمه الله یدافع عن عصمة نبینا ---- ۹۱۵
مرجع الشیعة السید المرتضی قدس سره یؤلف کتابا فی تنزیه الأنبیاء ---- ۹۱۵
مقتطفات من کتاب تنزیه الأنبیاء ---- ۹۱۶
بیان الخلاف فی نزاهة الأنبیاء عن الذنوب ---- ۹۱۶
تنزیه آدم عن الغوایة ---- ۹۱۷
تنزیه نوح عما لا یلیق به ---- ۹۱۸
تنزیه إبراهیم عن الکفر والعصیان ---- ۹۱۸

تنزيه إبراهيم عن الشك فی الله تعالی ----- ۹۱۹
تنزيه إبراهيم عن الإستغفار للكفار ----- ۹۱۹
تنزيه يعقوب عن إيقاع التحاسد بين بنيه ----- ۹۱۹
تنزيه يعقوب عن الحزن المكروه ----- ۹۱۹
تنزيه يوسف عن الصبر علی الإستعباد ----- ۹۱۹
تنزيه يوسف عن الهم بالمعصية ----- ۹۱۹
فی أن أيوب ابتلی امتحانا لا عقابا ----- ۹۱۹
تنزيه موسی عن العصيان بالقتل ----- ۹۲۰
تنزيه يونس عن الظلم والمعصية بمغاضبته قومه ----- ۹۲۰
معركة تنزيه الأنبياء بين الشيعة و مخالفيهم ----- ۹۲۳
موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التی يبدو منها... ----- ۹۲۳
لا عصمة للأنبياء عند السنيين لكن الصحابة عندهم معصومون ----- ۹۲۴
نماذج من آراء علمائهم فی عصمة الأنبياء ----- ۹۳۰
رأی الغزالی ----- ۹۳۰
رأی الآمدی ----- ۹۳۱
رأی القاضی عياض ----- ۹۳۲
رأی الفخر الرازی ----- ۹۳۳
ملاحظات علی كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازی ----- ۹۳۵
الملاحظة ۰۱ ----- ۹۳۵
الملاحظة ۰۲ ----- ۹۳۵
رأی ابن تيمية و مشبهة الحنابلة فی عصمة الأنبياء ----- ۹۳۷
ابن تيمية يهاجم الشيعة لقولهم بعصمة الأنبياء ----- ۹۳۷
السبب الغريب لهجوم ابن تيمية علی العصمة ----- ۹۳۷
دفاع ابن تيمية عن اليهود و عن أسطورة الغرانيق ----- ۹۳۹

ابن تیمیة یجوز أن یکون النبی کافرا فاسقا شریرا ----- ۹۴۰
البخاری ینقض عصمة الأنبیاء و یفتری علیهم ----- ۹۴۰
صحیح البخاری مشحون بالإسرائیلیات التی تطعن فی الأنبیاء و أسوأ منها القرشیات التی تطعن فی نبینا ----- ۹۴۰
نبی الله إبراهیم یکذب ----- ۹۴۰
نبی الله موسی غضوب بطاش ----- ۹۴۱
نبی الله موسی یرکض عاریا وراء ثیابه ----- ۹۴۱
نبی الله سلیمان مفرط فی الجنس، معرض عن ذکر الله ----- ۹۴۱
البخاری یروی تفضیل نبینا علی الرسل والبشر ----- ۹۴۲
ثم یتراجع البخاری و یفضل نبی الله موسی علی نبینا لکنه یفضل قریشا علی الیهود ----- ۹۴۲
و یفضل عیسی علی نبینا ----- ۹۴۳
و یروی النهی عن تفضیل الأنبیاء علی بعضهم ----- ۹۴۳
الانبیاء عند البخاری عصبیون کما فی التوراة ----- ۹۴۴
قرشیات البخاری فی الطعن بنبینا أسوأ من إسرائیلیاته ----- ۹۴۴
روایات البخاری المشینة فی سلوک نبینا ----- ۹۴۵
البخاری یفتتح صحیحه بالطعن فی نبوة نبینا ----- ۹۴۵
غرانیق قریش و محاولات التغطیة علی البخاری ----- ۹۴۶
البخاری یروی فریة الغرانیق فی ست مواضع ----- ۹۴۷
تناقض الفخر الرازی فی حدیث الغرانیق ----- ۹۵۰
القاضی عیاض أکثر علماء السنة اعتدالا فی عصمة نبینا ----- ۹۵۳
غرانیق قریش یتصیدها بروکلمان و مونتغمری ----- ۹۵۵
ملاحظات علی قصة الغرانیق ----- ۹۵۶
عمر عندهم معصوم و أفضل من جمیع الأنبیاء ----- ۹۶۰
النبی معصوم نظریا، و أبوبکر و عمر معصومان عملیا ----- ۹۶۰
مقولة عدالة الصحابة سیاج لعصمة أبی بکر وعمر ----- ۹۶۰

اضطرارهم لتضییق سیاج الصحابهٔ بأهل بدر و بیعهٔ الرضوان ----- ۹۶۱
عصمهٔ عمر عندهم أعلی من عصمهٔ جمیع الأنبیاء ----- ۹۶۲
النبی عندهم أضعف من عمر أمام شیطانه ----- ۹۶۴
و زعموا أن الله تعالی یتکلم بلسان عمر ----- ۹۶۶
و زعموا أن الملائکهٔ تحدث عمر ----- ۹۶۶
و الفوا مؤلفات فی الأخطاء النبویهٔ والتصحیحات العمریهٔ ----- ۹۶۷
و اخترع الذهبی قاعدهٔ خاصهٔ لعصمهٔ عمر و أبی بکر ----- ۹۶۸
و غیروا إسم العصمهٔ لإثباتها لعمر و أبی بکر ----- ۹۶۹
و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبی ----- ۹۶۹
و منهم أخذ الصوفیون عصمهٔ الأقطاب و حفظ الأولیاء ----- ۹۷۰
رأی التفتازانی: فی عصمهٔ أبی بکر و عمر و عدالهٔ باقی الصحابهٔ ----- ۹۷۰
نقد منطق التفتازانی فی العصمهٔ فی مسائل ----- ۹۷۱
المسألهٔ ۰۱ ----- ۹۷۱
المسألهٔ ۰۲ ----- ۹۷۲
المسألهٔ ۰۳ ----- ۹۷۳
المسألهٔ ۰۴ ----- ۹۷۳
ابوبکر و عمر معصومان عند الغزالی، لکن لا یجب تقلیدهما ----- ۹۷۴
هل تشیع الغزالی فی آخر عمره؟ ----- ۹۷۵
النقد الذاتی قلیل نادر فی علمائهم ----- ۹۷۷
السلطهٔ القرشیهٔ تتبع الیهود حذو القذهٔ بالقذهٔ والنعل بالنعل ----- ۹۷۸
تقلید الیهود.. من مصادرهٔ الخلافهٔ الی.. ترک الصلاهٔ ----- ۹۷۸
اعمال تحریفیهٔ واسعهٔ من أجل ترسیخ عصمهٔ عمر و أبی بکر ----- ۹۸۲
بدأ نشاطهم بعد النبی واستمر إلی یومنا هذا ----- ۹۸۲
حملوا آیات مدح الصحابهٔ أکثر مما تحتمل ----- ۹۸۲

غيبوا الآيات الصريحة فى نقد الصحابة و ذمهم ۹۸۵

لابد من ميزان لتقييم الصحابة ۹۸۶

وضعوا أحاديث فى مدح الصحابة و عصمتهم ۹۸۷

ليقابلوا بها أحاديث عصمة العترة ۹۸۷

نقد حديث: خير القرون قرنى ۹۸۸

و معناه أن التاريخ الإسلامى يسير إلى الإنحدار، والأمة إلى الزوال ۹۸۹

الخط البيانى للأمة.. نزول ثم صعود ۹۸۹

تخبط الشراح فى حديث خير القرون قرنى ۹۹۰

ردهم شهادات النبى فى انحراف الصحابة بعده ۹۹۲

الامام مالک يعض يديه ندما لروايته أحاديث الحوض ۹۹۳

قرنوا الصحابة بالنبى فى الصلاة عليه من أجل عمر ۹۹۴

من الذى حذف الصلاة على آل النبى؟! ومن أين جاء قولهم، أو عليه وآله صحبه و سلم؟ ۹۹۴

من الذى وضع الصلاة على الصحابة بدل الآل أو معها؟ ۹۹۵

عصموا البخارى من أجل عصمة عمر ۹۹۸

مات البخارى قبل أن يكمل كتابه، فأكمله جماعة المتوكل ۹۹۹

السر فى تبنيهم كتاب البخارى ۹۹۹

هل أن تبنى البخارى عمل علمى أم ضد العلم؟ ۹۹۹

نظرية إلجام العوام بيد السلطة و رجال الدين ۱۰۰۰

الجام العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم ۱۰۰۰

الجام العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصية ۱۰۰۰

الجام العوام عن قبول شهادة النبى لقاتل عمار بالنار ۱۰۰۰

ابن حنبل يقول: صحابى فى النار ۱۰۰۱

الجام العوام عن قبول شهادة ثقة و أمين أسراره ۱۰۰۲

الجام العوام لتغطية مؤامرة خير القرون لقتل النبى ۱۰۰۳

الجام العوام لتغطیة اضطهاد خیر القرون لأهل بیت نبیهم ---- ۱۰۰۳
الجام العوام عن تصدیق القرآن بأن أکثریة خیر القرون لن یؤمنوا ---- ۱۰۰۴
من أسالیبهم فی إلجام العوام ---- ۱۰۰۴
تمییع الحقائق و حلف الإیمان ---- ۱۰۰۴
تعلیم العوام إنکار الحقائق نهارا جهارا ---- ۱۰۰۵
الجام أطفال المسلمین بتربیتهم علی عصمة عمر ---- ۱۰۰۵
الجام العوام باستخدام وسائل الإعلام ---- ۱۰۰۸
العصمة والمعصومون فی القرآن ---- ۱۰۰۸
المعصومون ثمرة الوجود البشری ---- ۱۰۰۸
آیات العصمة فی القرآن ---- ۱۰۰۹
آیات الإستخلاف ---- ۱۰۰۹
لا یکون خلیفة الله فی الأرض إلا معصوما ---- ۱۰۰۹
تکریم بنی آدم لا یعنی استخلافهم لأنه تکریم تکوینی واقتضائی ---- ۱۰۱۰
خلفاء الله فی الأرض لیس بالضرورة أن یکونوا حکاما ---- ۱۰۱۱
تعلیم آدم الأسماء دلیل علی عصمة خلفاء الله تعالی ---- ۱۰۱۲
آیات الإصطفاء الإلهی ---- ۱۰۱۳
آیات الإصطفاء الإلهی ---- ۱۰۱۵
معنی الإصطفاء و أنواعه ---- ۱۰۱۶
تفسیر آیة: ثم أورثنا الکتاب الذین اصطفین ---- ۱۰۱۶
الآیة من متشابهات القرآن ---- ۱۰۱۷
القرطبی یرفض التفسیر الرسمی ---- ۱۰۱۷
تفسیر أهل البیت ---- ۱۰۱۸
اختصاص أهل البیت بعلم الکتاب لا یلغی حجیته ---- ۱۰۲۰
ابناء فاطمة و أتباع أهل البیت ورثة مجازیون للکتاب ---- ۱۰۲۰

الظالم لنفسه درجات متفاوتهٔ ----- ۱۰۲۰
رأی علماء الشیعهٔ ----- ۱۰۲۱
بعض مفسری الشیعهٔ وافق علی تفسیر عمر و کعب ----- ۱۰۲۱
اهم الإشکالات علی التفسیر الحکومی ----- ۱۰۲۲
التوریث الإلهی للکتاب مقام عظیم ----- ۱۰۲۷
آیات الإستخلاص والإجتباء الإلهی ----- ۱۰۲۸
اخلاص الدین لله تعالی ----- ۱۰۲۸
دعاء الله بانقطاع و إخلاص ----- ۱۰۲۸
المخلصون المستخلصون ----- ۱۰۲۸
المخلصون ناجون من الضلال والهلاک ----- ۱۰۲۹
المخلصون مقربون من الله و لیسوا أبناءه ----- ۱۰۲۹
المخلصون ناجون من العذاب مکرمون فی الجنهٔ ----- ۱۰۲۹
یتمنی غیر المخلصین أن یکونوا منهم ----- ۱۰۲۹
معنی الإخلاص والمخلص ----- ۱۰۲۹
دلالهٔ الإستخلاص الإلهی علی العصمهٔ ----- ۱۰۳۰
آیات الإجتباء تشبه آیات الإستخلاص ----- ۱۰۳۲
آیات نفی سلطان الشیطان علی المخلصین ----- ۱۰۳۴
وجه دلالتها علی العصمهٔ ----- ۱۰۳۴
الحکمهٔ من نزول آیات متشابههٔ فی عصمهٔ الأنبیاء ----- ۱۰۳۸
معجزهٔ الجغرافیهٔ القرآنیهٔ ----- ۱۰۴۰
العصمهٔ و قاعدهٔ اللطف ----- ۱۰۴۱
معنی العصمهٔ فی القرآن واللغهٔ والحدیث ----- ۱۰۴۱
من تعریفات المتکلمین للعصمهٔ ----- ۱۰۴۳
قاعدهٔ اللطف الإلهی التی استدل بها علماؤنا علی العصمهٔ ----- ۱۰۴۳

قاعدة اللطف عقلية و شرعية ----- ۱۰۴۳

اللطف الإلهی فی القرآن ----- ۱۰۴۵

اللطف فی أحادیث النبی و آله ----- ۱۰۴۶

من کلمات علمائنا فی قاعدة اللطف ----- ۱۰۴۷

رد الفقهاء للإستدلال بقاعدة اللطف فی الفقه ----- ۱۰۴۹

ضرر الإغراق فی التأصیل بقاعدة اللطف ----- ۱۰۵۰

کیف یلطف الله تعالی بالمعصوم ----- ۱۰۵۱

درجات العصمة واللطف بالمعصومین ----- ۱۰۵۵

عصمة نبینا و آله أرقی أنواع العصمة ----- ۱۰۵۸

النبی و عترته المعصومون منظومة خاصة لا یقاس بهم أحد ----- ۱۰۵۹

درجة شیعة النبی و آله فی أحادیث الطرفین ----- ۱۰۶۰

زیادة رزین العبدری عن أبی داود ----- ۱۰۶۲

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۰۶۳

العقائد الاسلاميه: عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادرالسنه والشيعه

اشارة

عنوان و نام پديدآور : العقائد الاسلاميه: عرض مقارن لاهم موضوعاتها من مصادرالسنه والشيعه/ قام باعداده مركزالمصطفى للدراسات الاسلاميه؛ برعايه على السيد السيستانى.

مشخصات نشر : قم: مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه، ۱۴۱۹ق= -۱۳۷۷.

مشخصات ظاهرى : ۵ ج.

شابک : دوره۶-۱۱۷-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ريال: ج. ۴۱-۱۱۸-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ريال: ج. ۲۲-۱۱۹-۳۱۹-۹۶۴ ؛ :۷۰۰۰ ريال: ج. ۴۴-۱۲۱-۳۱۹-۹۶۴ :

يادداشت : عربى.

يادداشت : ج. ۲ (چاپ اول: ۱۴۱۹ق = ۱۳۷۷).

يادداشت : ج. ۴ (چاپ اول: ۱۴۲۰ق. = ۱۳۷۸).

يادداشت : كتابنامه.

مندرجات : ج. ۱. الفطره والمعرفه.- ج. ۳. الشفاعه.- ج. ۴. يشتمل على مسائل: شفاعه اهل‌البيت عليهم‌السلام والاستشفاع والتوسل

موضوع : اسلام -- عقايد

شناسه افزوده : سيستانى، على، ۱۳۰۹ -، مصحح

شناسه افزوده : مركز المصطفى للدراسات الاسلاميه

رده بندى كنگره : BP۲۰۳/ع۷ ۱۳۷۷

رده بندى ديويى : ۲۹۷/۴۱

شماره كتابشناسى ملى : م۷۷-۱۴۴۸۶

المجلد۱

فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ۱)

العقائد الإسلامية (المجلد ۱)

الفطرة

آيات فطرة السماوات والكون

انفطار الكون عند القيامة

تكاد السماوات تتفطر من عظمة الله

تكاد السماوات تتفطر من الافتراء على الله

فطرة الله التى فطر الناس عليه

الفطرة الأولى والفطرة الثانية

فطرة الناس على معرفة الله تعالى و توحيده

الفطرة حالة استعداد لا تعنی الاجبار و سلب الإختیار
الفطرة والمیثاق و عالم الذر
عالم الذر
تذکیر الأنبیاء بمیثاق الفطرة
کل مولود یولد علی الفطرة
و کل الحیوانات فطرت علی معرفة الله تعالی
التوجه الفطری إلی الله تعالی
رأی صاحب تفسیر المیزان فی عالم الذر والمعرفة والمیثاق
عوالم وجود الإنسان
من روایات عالم الأشباح (ظلال النور)
من روایات عالم الاظلة
من روایات عالم طینة الخلق
من آیات و روایات عالم الملکوت
من آیات و روایات عالم الخزائن
الفطرة بمعنی الولادة فی الإسلام
قولهم من ولد علی الإسلام فهو من أهل الجنة
القول بأن من ولد فی الإسلام فهو من أهل الجنة
الفطرة والنبوة والشرائع الإلهیة
معنی الفطرة والصبغة
دور الفطرة فی المعرفة والثقافة والحضارة
بحث فی دور الفطرة والنبوة فی الحیاة الإنسانیة
امور ورد أنها من الفطرة
امور ورد أنها تضر بالفطرة
تقویة الفطرة و تضعیفها و إساءة استعمالها
قابلیة الفطرة للتقویة والتخریب
قدوات البشریة فی فطرتهم المستقیمة
آدم فطرة الله تعالی
ابراهیم إمام الإستقامة علی الفطرة
نبینا رائد العارفین و رائد سعادتن
خط الفطرة لم ینقطع من ذریة إبراهیم
عمار علم الثابتین علی الفطرة بعد النبی
علی إمام الثابتین علی الفطرة
ولایة علی علامة علی صحة الفطرة و طیب المولد

وجوب المعرفة والنظر
وجوب معرفة الله تعالی و منشؤها
وجوب معرفة الله تعالی و أنها أساس الدین
معرفة الله تعالی و توحیده نصف الدین
لا تتحقق العبادة إلا بالمعرفة
فضل معرفة الله تعالی
الحث علی مجالسة أهل المعرفة
فضل من مات علی المعرفة
نعمة معرفة حمد الله و شکره
نعمة معرفة کرم الله و آلائه
معرفة الله لا تکون إلا بالله و من الله
لا یفوز الإنسان بالمعرفة إلا بإذن الله تعالی
الهدایة والإضلال من الله تعالی لکن الإضلال باستحقاق العبد
دعاء طلب المعرفة من الله تعالی
وسائل معرفة الله
اداة معرفة الله تعالی: العقل
لا یحاسب الله الناس إلا علی قدر معرفتهم، و ما بین لهم، و ما آتاهم
من أسباب المعرفة و آثارها
ما یورث المعرفة
ما تورثه المعرفة
ما یفسد المعرفة و یطفئ نوره
خطر ضلال الأمم بعد المعرفة
کان نبینا یخاف علی أمته الضلال بعد المعرفة
وضع المعرفة فی بنی اسرائیل بعد موسی
اتهامهم نبیهم موسی بأنه لم یعرف الله تعالی
بولس یصف فساد الناس فی عصره و بعدهم عن المعرفة
المعرفة التی دعا إلیها بولس الذی نصر النصاری
متی اخترع المسیحیون التثلیث بعد التوحید
متی تجب المعرفة علی الإنسان
فی أی سن یجب التفکیر والمعرفة
حکم الإنسان فی مرحلة التفکیر والبحث
تجب المعرفة بالتفکیر و لا یصح فیها التقلید
المعرفة والعمل

اشتراط کل من المعرفهٔ والعمل بالآخر
افضل الأعمال بعد معرفهٔ العقائد
اقل ما یجب، و أقصی ما یمکن، من المعرفهٔ
المعرفهٔ لا تتوقف علی علم الکلام
و یکفی الدلیل الاجمالی فی المعرفهٔ
العجز عن معرفهٔ ذات الله تعالی
النهی عن الفضولیهٔ فی معرفهٔ الله تعالی
انواع من المعرفهٔ والعارفین
المعرفهٔ الحقیقیهٔ والمعرفهٔ الشکلیهٔ
تحیر المتصوفهٔ فی دور العقل فی المعرفهٔ
تحیرهم فی الفرق بین العلم والمعرفهٔ
تصوراتهم عن العارف بالله تعالی
المؤلفهٔ قلوبهم بالمال لکی یعرفوا
دعوهٔ العدو فی الجهاد إلی معرفهٔ الله تعالی
معرفهٔ أهل الآخرهٔ بدیهیهٔ لا کسبیهٔ
بحث للشیخ الطوسی فی تعریف الإیمان والکفر
بحث للشهید الثانی فی تعریف الإیمان والکفر
هل یمکن أن یصیر المؤمن کافرا
هل تزول المعرفهٔ والإیمان بإنکار الضروری؟
هل أن الکافر یعرف الله تعالی؟
بحث فی معرفهٔ الله تعالی عن طریق معرفهٔ النفس
الموقف الفقهی من الدعوهٔ إلی معرفهٔ الله تعالی عن طریق معرفهٔ النفس
معرفهٔ النبی والأئمهٔ
یجب علی کل الناس معرفهٔ النبی
یعرف النبی بالمعجزهٔ والإمام بالنص والمعجزهٔ
و تجب معرفهٔ الأئمهٔ لأن الله تعالی فرض طاعتهم
و تجب معرفتهم لأن الله تعالی فرض مودتهم
و تجب معرفتهم لأن الله تعالی فرض الصلاهٔ علیهم
و تجب معرفتهم لانهم أهل الذکر الذین أمرنا الله بسؤالهم
و تجب معرفتهم لأن الأعمال لا تقبل إلا بولایتهم
و تجب معرفتهم لأنهم محال معرفهٔ الله تعالی
و تجب معرفتهم لأنها طریق معرفهٔ الله تعالی
و تجب معرفتهم لحدیث: من مات و لم یعرف إمام زمانه

صيغ الحديث فى مصادر مذهب أهل البيت
فى وجوب معرفة الإمام من أهل البيت
فى أن معرفتهم و ولايتهم من دعائم الإسلام
فى أن الإمام من أهل البيت قد يغيب
تفسير الحديث فى مذهب أهل البيت
تفسير الشيعة الزيدية للحديث
الفرق بين صيغ الحديث فى مصادرنا و مصادر إخواننا
روايات إخواننا التى وردت فيها لفظة إمام
رواياتهم التى فيها لفظ طاعة
رواياتهم التى توجب طاعة الحاكم الجائر
مدرسة البخارى فى تفسير هذا الحديث
عبدالله بن عمر يطبق تفسير إخواننا للحديث
وامتنع عبدالله بن عمر عن بيعة على، ثم ندم
ثم كانت علاقاته حسنة مع بنى أمية و مع الثائرين عليهم
وروت مصادر الشيعة احتياطا غريبا له فى تطبيق الحديث
و لم يزد أحد على ابن عمر فى تطبيق الحديث إلا أبو سعيد الخدرى
تحير إخواننا السنة فى هذا الحديث قديما وحديثا
معرفة الإمام هى الحكمة
لا يمكن للناس معرفة الإمام المعصوم ليختاروه
معنى: إعرف الإمام ثم اعمل ما شئت
بعلى عرف المؤمنون بعد النبى
معرفة الآخرة والمعاد والحساب

الفطرة

آيات فطرة السماوات والكون

فى هـذا الفصل بحوث كثيرة، لكن أصوله بشـكل عام موضع اتفاق بين المسـلمين، لذلك رتبنا مواد موضوعاته من المصادر المختلفة تحت عناوين مناسبة، ليسهل على الباحث الرجوع إليها. وبسطنا القول أحياناً فى بعضها لحاجتها إلى ذلك.

وهذه آيات فطرة الكون، وهى تنفع فى فهم فطرة الإنسان:

فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّى هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. الانعام: ۷۸-۷۹

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إبراهيم: ۱۰

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. وَتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ. الأنبياء: ۵۶ ـ ۵۷

يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى الَّذِى فَطَرَنِى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ. وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ. هود: ۵۱ ـ ۵۲

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. الشورى: ۱۱

الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. الملك: ۳

الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ. فاطر: ۱

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. الزمر: ۴۶

قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. الأنعام: ۱۴

إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. الأنعام: ۷۹

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيَا وَالآخرة تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ. يوسف: ۱۰۱

انفطار الكون عند القيامة

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ. وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ. وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ. عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ. الانفطار: ۱ ـ ۵

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا. السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولا. إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلى رَبِّهِ سَبِيلاً. المزمل: ۱۷ ـ ۱۹

تكاد السماوات تنفطر من عظمة الله

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ الشورى: ۵، وقال فى بحار الأنوار:۷۰/۳۴۶: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ، أى يتشققن من عظمة الله، وروى على بن إبراهيم عن الباقر عليه السلام: أى يتصدعن من فوقهن. انتهى. وروى نحوه السيوطى فى الدر المنثور:۶/۳

تكاد السماوات تنفطر من الافتراء على الله

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا. أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا. وَمَا يَنْبَغِى لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا. إِنْ كُلُّ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِى الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. مريم ۹۰ ـ ۹۳

فطرة الله التى فطر الناس عليه

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. صِبْغَةَ اللهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ. قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ. البقرة: ۱۳۵ ـ ۱۳۹

إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ. هود: ۵۱

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ. إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ. وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. الزخرف: ۲۶ ـ ۲۸

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ. وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونَ. يس: ۲۰ ـ ۲۳.

قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى. قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى. قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. طَهَ: ۷۰ ـ ۷۲

الفطرة الأولى والفطرة الثانية

وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا. أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا. يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلاً. الإسراء: ۴۹ ـ ۵۲

فطرة الناس على معرفة الله تعالى و توحيده

نهج البلاغة:۱/۲۱۵: (۱۱۰ ـ ومن خطبة له عليه السلام: إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله فإنه ذروة الإسلام، وكلمة الاخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة).ورواه في الفقيه:۱/۲۰۵

الكافي:۲/۱۲: (على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن هشام بن سالم، عن أبى عبدالله عليه السلام قال قلت: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا؟ قال: التوحيد.

على بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبدالله بن سنان، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، ما تلك الفطرة؟ قال: هى الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ وفيهم المؤمن والكافر.

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ؟ قال: الحنيفية من الفطرة التى فطر الله الناس عليها. لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ؟ قال: فطرهم على المعرفة به.

المحاسن للبرقى:۱/۲۴۱: (عنه، عن أبيه، عن محمد بن أبى عمير، عن عمر بن أذينة قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، ما الحنيفية؟ قال: هى الفطرة التى فطر الناس عليها، فطر الله الخلق على معرفته.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن على بن رئاب، عن زرارة قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا؟ قال: فطرهم جميعاً على التوحيد.

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضال، عن ابن أبى جميلة، عن محمد الحلبى، عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عز وجل: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا؟ قال: فطرهم على التوحيد.

عنه، عن الحسن بن على بن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ

مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَی أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّکَمْ قَالُوا بَلَی. قال: ثبتت المعرفة فی قلوبهم ونسوا الموقف وسیذکرونه یوماً ما، ولو لا ذلک لم یدر أحد من خالقه ولا من رازقه.

ورواه فی علل الشرائع:۱/۱۱۷، ورواه فی تفسیر القمی، وفیه: فمنهم من أقر بلسانه فی الذر ولم یؤمن بقلبه فقال الله: فما کانوا لیؤمنوا بما کذبوا به من قبل.

التوحید للصدوق/۳۲۸-۳۳۰: (روی الصدوق عشر روایات تحت عنوان (باب فطرة الله عز وجل الخلق علی التوحید) وقد تقدم أکثرها، وجاء فی السابعة منها (التوحید ومحمد رسول الله وعلی أمیر المؤمنین).

معانی الأخبار للصدوق/۳۵۰: (محمد بن أبی عمیر، عن عمر بن أذینة، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر علیه السلام عن قول الله عز وجل: حُنَفَاءَ لِلهِ غَیْرَ مُشْرِکِینَ بِهِ، وقلت: ما الحنفیة؟ قال: هی الفطرة. انتهی. ورواه فی بحار الأنوار:۳/۲۷۶، وروی عدداً وافراً من هذه الأحادیث:۳/۲۷۶ وج ۵/۱۹۶ وص ۲۲۳، والحلی فی مختصر بصائر الدرجات/۱۵۸-۱۶۰، والحویزی فی تفسیر نور الثقلین:۲/۹۶ وج ۴/۱۸۶.... وغیرهم.

الفطرة حالة استعداد لا تعنی الاجبار و سلب الإختیار

نهج البلاغة: ۱/۱۲۰: (اللهم داحی المدحوات وداعم المسموکات، وجابل القلوب علی فطرتها، شقیها وسعیدها، إجعل شرائف صلواتک ونوامی برکاتک علی محمد عبدک ورسولک، الخاتم لما سبق، والفاتح لما استقبل).

علل الشرائع:۱/۱۲۱: (أبی، قال حدثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن أبی عبدالله، عن أبیه، عن غیر واحد، عن الحسین بن نعیم الصحاف قال: قلت لابی عبدالله علیه السلام: أیکون الرجل مؤمناً قد ثبت له الإیمان ینقله الله بعد الإیمان إلی الکفر؟ قال: إن الله هو العدل، وإنما بعث الرسل لیدعو الناس إلی الإیمان بالله، ولا یدعو أحداً إلی الکفر. قلت فیکون الرجل کافراً قد ثبت له الکفر عند الله فینقله الله بعد ذلک من الکفر إلی الإیمان؟ قال: إن الله عز وجل خلق الناس علی الفطرة التی فطرهم الله علیها لا یعرفون إیماناً بشریعة ولا کفراً بجحود، ثم ابتعث الله الرسل إلیهم یدعونهم إلی الإیمان بالله، حجةً لله علیهم، فمنهم من هداه الله، ومنهم من لم یهده. انتهی.

ورواه فی الکافی:۲/۴۱۶، وجاء فی هامشه:

قال المجلسی رحمه الله: الظاهر أن کلام السائل استفهام، وحاصل الجواب: أن الله خلق العباد علی فطرة قابلة للایمان، وأتم علی جمیعهم الحجة بإرسال الرسل وإقامة الحجج، فلیس لأحد منهم حجة علی الله فی القیامة، ولم یکن أحد منهم مجبوراً علی الکفر لا بحسب الخلقة ولا من تقصیر فی الهدایة وإقامة الحجة، لکن بعضهم استحق الهدایات الخاصة منه تعالی فصارت مؤیدة لایمانهم، وبعضهم لم یستحق ذلک لسوء اختیاره، فمنعهم تلک الألطاف فکفروا، ومع ذلک لم یکونوا مجبورین ولا مجبولین بعد ذلک من الإیمان إلی الکفر.

تفسیر العیاشی:۱/۱۰۴:

عن مسعدة عن أبی عبد الله علیه السلام فی قول الله: کَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِیِّینَ مُبَشِّرِینَ وَ مُنْذِرِینَ.

فقال: کان ذلک قبل نوح. قیل: فعلی هدیً کانوا؟ قال: بل کانوا ضلالاً، وذلک أنه لما انقرض آدم وصالح ذریته بقی شیث وصیه لا یقدر علی إظهار دین الله الذی کان علیه آدم وصالح ذریته، وذلک أن قابیل تواعده بالقتل کما قتل أخاه هابیل، فسار فیهم بالتقیة والکتمان، فازدادوا کل یوم ضلالاً حتی لم یبق علی الأرض معهم إلا من هو سلف، ولحق الوصی بجزیرة فی البحر یعبد الله، فبدا لله تبارک وتعالی أن یبعث الرسل، ولو سئل هؤلاء الجهال لقالوا: قد فرغ من الأمر وکذبوا إنما هی (هو) أمر یحکم به الله فی کل عام، ثم قرأ: فیها یفرق کل أمر حکیم، فیحکم الله تبارک وتعالی ما یکون فی تلک السنة من شدة أو رخاء أو مطر أو غیر ذلک.

قلت: أفضلالاً کانوا قبل النبیین أم علی هدی؟

قال: لم يكونوا على هدى، كانوا على فطرة الله التى فطرهم عليها لا تبديل لخلق الله، ولم يكونوا ليهتدوا حتى يهديهم الله، أما تسمع يقول إبراهيم: لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لاكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، أى ناسياً للميثاق. انتهى. ورواه فى تفسير نور الثقلين:۱/۷۳۶

تفسير التبيان:۲/۱۹۵: (فإن قيل: كيف يكون الكل كفاراً مع قوله: فَهَدَىَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا؟قلنا: لا يمتنع أن يكونوا كلهم كانوا كفاراً، فلما بعث الله إليهم الأنبياء مبشرين ومنذرين اختلفوا، فآمن قوم ولم يؤمن آخرون.

وروى عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال: كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله، لا مهتدين ولا ضلالاً، فبعث الله النبيين....

بحار الأنوار:۶۵/۲۴۶: (وقال النيسابورى: إعلم أن جمهور الحكماء زعموا أن الإنسان فى مبدأ فطرته خال عن المعارف والعلوم، إلا أنه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وسائر القوى المدركة حتى ارتسم فى خياله بسبب كثرة ورود المحسوسات عليه حقائق تلك الماهيات وحضرت صورها فى ذهنه. ثم إن مجرد حضور تلك الحقائق إن كان كافياً فى جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض أو انتفاء بعضها عن بعض فتلك الأحكام علوم بديهية، وإن لم يكن كذلك بل كانت متوقفة على علوم سابقة عليها ـ ولا محالة تنتهى إلى البديهيات قطعاً للدور أو التسلسل ـ فهى علوم كسبية. فظهر أن السبب الأول لحدوث هذه المعارف فى النفوس الإنسانية هو أنه تعالى أعطى الحواس والقوى الداركة للصور الجزئية. وعندى أن النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمة هى التى ينبغى أن تسمى بالبديهيات، وإنما لا يظهر آثارها عليها، حتى إذا قوى وترقى ظهرت آثارها شيئاً فشيئاً. وقد برهنا على هذه المعانى فى كتبنا الحكمية فالمراد بقوله: لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا، أنه لا يظهر أثر العلم عليهم، ثم إنه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة يكتسب سائر العلوم. ومعنى: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، إن تصرفوا كل آلة فى ما خلقت لاجله، وليس الواو للترتيب حتى يلزم من عطف (جعل) على (أخرج) أن يكون جعل السمع والبصر والأفئدة متأخراً عن الاخراج من البطن.

بحار الأنوار:۱/۹۳: (مص: قال الصادق عليه السلام: الجهل صورة ركبت فى بنى آدم، إقبالها ظلمة، وإدبارها نور، والعبد متقلب معها كتقلب الظل مع الشمس، ألا ـ ترى إلى الإنسان تارة تجده جاهلاً بخصال نفسه حامداً لها عارفاً بعيبها فى غيره ساخطاً، وتارة تجده عالماً بطباعه ساخطاً لها حامداً لها فى غيره، فهو متقلب بين العصمة والخذلان، فإن قابلته العصمة أصاب، وإن قابله الخذلان أخطأ، ومفتاح الجهل الرضا والإعتقاد به، ومفتاح العلم الإستبدال مع إصابة موافقة التوفيق، وأدنى صفة الجاهل دعواه العلم بلا إستحقاق، وأوسطه جهله بالجهل، وأقصاه جحوده العلم، وليس شئ إثباته حقيقة نفيه إلا الجهل والدنيا والحرص، فالكل منهم كواحد، والواحد منهم كالكل.

وقال فى هامشه: وقوله عليه السلام: الجهل صورة ركبت.. إلخ. لأن طبيعة الإنسان فى أصل فطرتها خالية عن الكمالات الفعلية والعلوم الثابتة، فكأن الجهل عجن فى طينتها وركب مع طبيعتها، ولكن فى أصل فطرته له قوة كسب الكمالات بالعلوم والتَّنَورُّ والمعارف.

قوله عليه السلام: فالكل كواحد، لعل معناه أن هذه الخصال كخصلة واحدة لتشابه مباديها، وانبعاث بعضها عن بعض، وتقوى بعضها ببعض، كما لا يخفى.

بحار الأنوار:۱۱/۱۰:

... عن الباقر عليه السلام أنه قال: إنهم كانوا قبل نوح أمة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلالاً، فبعث الله النبيين. انتهى.

قال المجلسى رحمه الله: وعلى هذا فالمعنى أنهم كانوا متعبدين بما فى عقولهم غير مهتدين إلى نبوة ولا شريعة.

الاقتصاد للشيخ الطوسى/۱۰۰: (فإن قيل: لو كانت المعرفة لطفاً لما عصى أحد.

قلنا: اللطف لا يوجب الفعل، وإنما يدعو إليه ويقوى الداعى إليه ويسهله، فربما وقع عنده الفعل، وربما يكون معه أقرب وإن لم يقع.

شرح الأسماء الحسنى:۲/۸۴: (كما سئل عليه السلام: أنحن فى أمر فرغ أم فى أمر مستأنف؟ فقال: فى أمر فرغ وفى أمر مستأنف، فالموضوعان السعيد والشقى الاخرويان كما قال تعالى: يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ.

إن قلت: هذا فيما سوى هذا الوجه ينافى قوله صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على فطرة الإسلام، إلا أن أبواه يهودانه وينصرانه

ويمجسانه؟

قلت: كل مولود يولد على الفطرة روحاً وصورة بالجهة النورانية، والسعيد سعيد فى بطن أمه وكذا الشقى جسداً ومادة، وإذا جعلنا بطن الأم النشاة العلمية فكل مولود يولد على الفطرة وجوداً، والسعيد سعيد ماهية ومفهوماً، وكذا الشقى شقى ماهية ومفهوماً، كل منهما بالحمل الأولى، ليس فاقداً لنفسه، وليس مفهوم أحدهما هو المفهوم من الآخر، فإن المفاهيم من أية نشأة كانت فطرتها وذاتيها الإختلاف، والوجود أية مرتبة منه ذاته وجبلته الوحدة والإتفاق، ما به الإمتياز فيه عين ما به الإشتراك، به استمساك الماهيات التى هى مثار الكثرة والمخالفة، فهو جهة ارتباطها ونظمها وبه لا انفصام لها.

وبالجملة قد ظهر لك أن اختلاف الوجودات مرتبة فى العين، واختلاف قبول الماهيات لمراتب الوجود المقول بالتشكيك فيه، على طبق اختلاف الماهيات بحسب المفهوم فى العلم. وهذا معنى اختلاف الطينة فى الأزل كما هو عن الأئمة^مأثور... وهو مقتضى العدل.

ويمكن التوفيق بين هذا القول التحقيقى البرهانى والذوقى الوجدانى، وبين القول بالتسوية فى الطينة باعتبار الوجود والماهية، ولا سيما فى مقام الجمع.

شرح الأسماء الحسنى:۱/۵۴: (قال صدر المتألهين: إن الله عز وجل لا يولى أحداً إلا ما تولاه طبعاً وإرادة، وهذا عدل منه ورحمة. وقد ورد أن الله تعالى خلق الخلق كلهم فى ظلمة ثم قال: ليختر كل منكم لنفسه صورة أخلقه عليها، وهو قوله: خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ، فمنهم من قال رب اخلقنى خلقاً قبيحاً أبعد ما يكون فى التناسب وأوغله فى التنافر، حتى لا يكون مثلى فى القبح والبعد عن الاعتدال أحد، ومنهم من قال خلاف ذلك، وكل منهما أحب لنفسه التفرد فإن حب الفردانية فطرة الله السارية فى كل الأمم التى تقوم بها وجود كل شئ، فخلق الله كلاً على ما اختاره لنفسه، فتحت كل منكر معروف وقبل كل لعنة رحمة وهى الرحمة التى وسعت كل شئ، فإن الله يولى كلاً ما تولى، وهو قوله تعالى: وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا، فإن شك فى ذلك شاك فليتأمل قوله تعالى: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا.. الآية، ليعلم أن الله تعالى لا يحمل أحداً شيئاً قهراً وقسراً، بل يعرضه أولاً فإن تولاه ولاه وإلا فلا. وهذا من رحمة الله وعدله.

لا يقال: ليس تولى الشئ ما تولاه عدلاً حيث لا يكون ذلك التولى عن رشد وبصيرة فإن السفيه قد يختار لنفسه ما هو شر بالنسبة إليه وضر لجهله وسفاهته، فالعدل والشفقة عليه منعه إياه، لأنا نقول: هذا التولى والتوجيه الذى كلامنا فيه أمر ذاتى لا يحكم عليه بالخير والشر بل هو قبلهما، لأن ما يختاره السفيه إنما يعد شراً بالقياس إليه لأنه مناف لذاته بعد وجوده، فلذاته اقتضاء أول متعلق بنقيض هذه السفاهة، فذلك هو الذى أوجب أن يسمى ذلك شراً بالقياس إليه.

وأما الاقتضاء الأول الذى كلامنا فيه فلا يمكن وصفه بالشر، لأنه لم يكن قبله اقتضاء يكون هذا بخلافه فيوصف بأنه شر، بل هو الإقتضاء الذى جعل الخير خيراً، لأن الخير لشئ ليس إلا ما يقتضيه ذاته. والتولى الذى كلامنا فيه هو الإستدعاء الذاتى الأزلى والسؤال الوجودى الفطرى الذى يسأله الذات المطيعة السامعة لقول كن، وقوله ليس أمر قسر وقهر، لأن الله عز وجل غنى عن العالمين، فكأنه قال لربه إئذن لى أن أدخل فى عدلك وهو الوجود، فقال الله تعالى كن.

تفسير الميزان:۲/۳۴۶: (لكن يمكن أن يقال إن الإنسان بحسب خلقته على نور الفطرة هو نور إجمالى يقبل التفصيل، وأما بالنسبة إلى المعارف الحقة والأعمال الصالحة تفصيلاً فهو فى ظلمة بعد لعدم تبين أمره. والنور والظلمة بهذا المعنى لا يتنافيان ولا يمتنع اجتماعهما، والمؤمن بإيمانه يخرج من هذه الظلمة إلى نور المعارف والطاعات تفصيلاً، والكافر بكفره يخرج من نور الفطرة إلى ظلمات الكفر والمعاصى التفصيلية.

والاتيان بالنور مفرداً وبالظلمات جمعاً فى قوله تعالى: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ، وقوله تعالى: يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُمَاتِ، للإشارة إلى أن الحق واحد لا اختلاف فيه كما أن الباطل متشت مختلف لا وحدة فيه، قال تعالى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُمْ... الانعام: ۱۵۳

مجموعة الرسائل للشیخ الصافی ۲۴۳: (للشیخ المفید فی بحث الإعتقاد بالفطرة رأی آخر غیر ما ذهب إلیه الشیخ الصدوق، ولتوضیح ذلک نقول: توجد فی باب الإعتقاد بالفطرة وآیات الفطرة وأحادیثها کالحدیث (فطرهم علی التوحید) أو (کل مولود یولد علی الفطرة) ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن المراد من ذلک هو أن الله جعل فطرة الإنسان نقیة مقتضیة للتوحید والعقائد الحقة، وحب الحق والخیر والتصدیق بحسن العدل وقبح الظلم والنفور عن الباطل والشر، بحیث لو لم یحجب هذه الفطرة الأمور المخالفة من قبیل التربیة فالإنسان بنفسه سیهتدی إلی الله ویقر بوجود الصانع، کما یتقبل العقائد الحقة عندما تعرض علیه.

والصدوق فسر الفطرة بهذا المعنی وقد بحثنا بتفصیل فی (رسالتنا) فی تفسیر آیة الفطرة حول هذا الوجه وکونه موافقاً لاصول العقائد الإسلامیة فی الفطرة والأحادیث الشریفة التی تدل علی هذا المعنی.

الوجه الثانی: أن معنی (فطر الله الخلق علی التوحید) فطرهم للتوحید، أی خلق الناس للاعتقاد بالتوحید، وإلی هذا المعنی ذهب الشیخ الاعظم الشیخ المفید، واختاره.

الوجه الثالث: هو أنه عبر عن إرادة التوحید منهم بالإرادة التکوینیة، والظاهر أن المفید استظهر من کلام الصدوق هذا الوجه، فأجاب عن ذلک بقوله: لو کان الأمر کذلک لکان الجمیع موحدین.

وبدیهی أنه لو کان الأمر دائراً بین الوجه الثانی والثالث، فالقول الصحیح والمعتبر هو قول المفید (الوجه الثانی).

لکن بما أننا قلنا بأن الوجه المعتبر المستفاد من الآیة والروایات هو القول الأول وهو ما اختاره الصدوق ظاهراً، وفیه رجحان علی القول الثانی ظاهراً

الفطرة والمیثاق و عالم الذر

عالم الذر

تفسیر نور الثقلین:۱/۵۵: (فی کتاب علل الشرایع بإسناده إلی حبیب قال: حدثنی الثقة عن أبی عبدالله علیه السلام قال: إن الله تبارک وتعالی أخذ میثاق العباد وهم أظلة قبل المیلاد، فما تعارف من الأرواح ائتلف، وما تناکر منها اختلف.

وبإسناده إلی حبیب، عمن رواه، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: ما تقول فی الأرواح إنها جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناکر منها اختلف؟ قال فقلت إنا نقول ذلک، قال: فإنه کذلک، إن الله عز وجل أخذ من العباد میثاقهم وهم أظلة قبل المیلاد وهو قوله عز وجل: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَی أَنْفُسِهِمْ، إلی آخر الآیة، قال: فمن أقر به یومئذ جاءت ألفته هاهنا، ومن أنکره یومئذ جاء خلافه هاهنا.

فی کتاب التوحید، بإسناده إلی أبی بصیر عن أبی عبدالله علیه السلام قال: قلت له: أخبرنی عن الله عز وجل هل یراه المؤمن یوم القیمة؟ قال: نعم وقد رأوه قبل یوم القیمة، فقلت متی؟ قال: حین قال لهم أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ قَالُوا بَلَی، ثم سکت ساعة ثم قال: وإن المؤمنین لیرونه فی الدنیا قبل یوم القیمة، ألست تراه فی وقتک هذا؟ قال أبو بصیر فقلت له: جعلت فداک فأحدث بهذا عنک؟ فقال: لا، فإنک إذا حدثت به فأنکره منکر جاهل بمعنی ما تقول ثم قدر أن ذلک تشبیه کفر. ولیست الرؤیة بالقلب کالرؤیة بالعین، تعالی الله عما یصفه المشبهون والملحدون.

فی الکافی، محمد بن یحیی، عن محمد بن موسی، عن العباس بن معروف، عن ابن أبی نجران، عن عبد الله بن سنان، عن ابن أبی یعفور، عن أبی حمزة عن أبی جعفر علیه السلام قال: قال له رجل: کیف سمیت الجمعة جمعة؟ قال: إن الله عز وجل جمع فیها خلقه

لولاية محمد صلى الله عليه وآله ووصيه فى الميثاق، فسماه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه.

فى غوالى اللئالى، وقال عليه السلام: أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان، يعنى عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم، وتلا: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى.

فى الكافى، أبو على الأشعرى، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن أبى عميرة، عن عبد الرحمان الحذاء، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: كان على بن الحسين (عليهما السلام) لا يرى بالعزل بأساً، أتقرأ هذه الآية: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، فكل شئ أخذ الله منه الميثاق فهو خارج وإن كان على صخرة صماء.

عن ابن مسكان، عن بعض أصحابه، عن أبى جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أمتى عرضت على فى الميثاق، فكان أول من آمن بى على عليه السلام، وهو أول من صدقنى حين بعثت، وهو الصديق الأكبر، والفاروق يفرق بين الحق والباطل.

عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، قالوا بألسنتهم؟ قال: نعم وقالوا بقلوبهم، فقلت: وأى شئ كانوا يومئذ؟ قال: صنع منهم ما اكتفى به.

عن الأصبغ بن نباتة، عن على عليه السلام قال: أتاه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن الله تبارك وتعالى هل كلم أحداً من ولد آدم قبل موسى؟ فقال على عليه السلام: قد كلم الله جميع خلقه برّهم وفاجرهم وردوا عليه الجواب، فثقل ذلك على ابن الكوا ولم يعرفه، فقال له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال له: أو ما تقرأ كتاب الله إذ يقول لنبيه: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، فقد أسمعهم كلامه وردوا عليه الجواب، كما تسمع ف قول الله يابن الكوا وقالوا بلى، فقال لهم: إنى أنا الله لا إله إلا أنا، وأنا الرحمان، فأقروا له بالطاعة والربوبية، وميز الرسل والأنبياء والاوصياء، وأمر الخلق بطاعتهم فأقروا بذلك فى الميثاق، فقال الملائكة عند إقرارهم: شهدنا عليكم يا بنى آدم أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين.

فى الكافى، محمد بن يحيى وغيره، عن أحمد عن موسى بن عمر، عن ابن سنان عن سعيد القماط، عن بكير بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: لأى علة وضع الله الحجر فى الركن الذى هو فيه ولم يضع فى غيره؟ ولأى علة يُقَبَّل؟ ولأى علة أخرج من الجنة، ولأى علة وضع ميثاق العباد فيه والعهد فيه ولم يوضع فى غيره، وكيف السبب ذلك؟ تخبرنى جعلنى الله فداك فإن تفكرى فيه لعجب! قال فقال: سألت وأعضلت فى المسالة واستقصيت، فافهم الجواب وفرغ قلبك وأصغ سمعك، أخبرك إن شاء الله، إن الله تبارك وتعالى وضع الحجر الأسود وهى جوهرة أخرجت من الجنة إلى آدم عليه السلام فوضعت فى ذلك الركن لعلة الميثاق، وذلك أنه لما أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم حين أخذ الله عليهم الميثاق فى ذلك المكان وفى ذلك المكان ترائى لهم، وفى ذلك المكان يهبط الطير على القائم عليه السلام فأول من يبايعه ذلك الطير، وهو والله جبرئيل عليه السلام وإلى ذلك المقام يسند القائم ظهره وهو الحجة والدليل على القائم، وهو الشاهد لمن وافى فى ذلك المكان، والشاهد على من أدى إليه الميثاق والعهد الذى أخذ الله عز وجل على العباد.

فأما علة ما أخرجه الله من الجنة، فهل تدرى ما كان الحجر؟ قلت: لا، قال: كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أول من آمن به وأقر ذلك الملك، فاتخذه الله أميناً على جميع خلقه، فألقمه الميثاق وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن يجددوا عنده فى كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذى أخذ الله عز وجل عليهم، ثم جعله الله مع آدم فى الجنة يذكره الميثاق ويجدد عنده الإقرار فى كل سنة، فلما عصى آدم أخرج من الجنة أنساه الله العهد والميثاق الذى أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمد صلى الله عليه وآله ولوصيه عليه السلام وجعله تائهاً حيراناً، فلما تاب الله على آدم حول ذلك الملك فى صورة بيضاء، فرماه من الجنة إلى آدم وهو بأرض الهند، فلما نظر إليه أنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنه جوهرة، وأنطقه الله عز وجل، فقال له: ياآدم أتعرفنى؟ قال لا،

قال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك، ثم تحول إلى صورته التى كان مع آدم عليه السلام فى الجنة، فقال لادم: أين العهد والميثاق، فوثب إليه آدم عليه السلام وذكر الميثاق وبكى وخضع وقبله، وجدد الإقرار بالعهد والميثاق، ثم حوله الله عز وجل إلى جوهرة درة بيضاء صافية تضىء، فحمله آدم على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً، فكان إذا أعيا حمله عنه جبرئيل عليه السلام حتى وافى به مكة فما زال يأنس به بمكة ويجدد الإقرار له كل يوم وليلة، ثم إن الله عز وجل لما بنى الكعبة وضع الحجر فى ذلك المكان، لأنه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه فى ذلك المكان، وفى ذلك المكان ألقم الله الملك الميثاق، ولذلك وضع فى ذلك الركن وتنحى آدم من مكان البيت إلى الصفا وحوالى المروة، ووضع الحجر فى ذلك الركن، فلما نظر آدم من الصفا وقد وضع الحجر فى الركن كبر الله وهلله ومجده، فلذلك جرت السنة بالتكبير واستقبال الركن الذى فيه الحجر من الصفا، فإن الله أودعه الميثاق والعهد دون غيره من الملائكة...

بحار الأنوار:۳/۲۷۶:

سن البزنطى، عن رفاعة، عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى. قال: نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا وقبض يده. نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق، هكذا وقبض يده.

بحار الأنوار:۵/۲۴۴:

عن أبى جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحب مما أحب، وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار، ثم بعثهم فى الظلال: فقلت وأى شئ الظلال؟ فقال: ألم تر إلى ظلك فى الشمس شئ وليس بشئ؟ ثم بعث منهم النبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله وهو قوله عز وجل: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ، ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبيين فأنكر بعض وأقر بعض، ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب، وأنكرها من أبغض، وهو قوله عز وجل: فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثَمَّ.

توضيح: قوله عليه السلام: فى الظلال، أى عالم الأرواح بناء على أنها أجسام لطيفة، ويحتمل أن يكون التشبيه للتجرد أيضاً تقريباً إلى الافهام، أو عالم المثال على القول به قبل الانتقال إلى الابدان.

تذكير الأنبياء بميثاق الفطرة

سمى الله عز وجل القرآن الكريم: الذِّكْرَ، ووصف عمل النبى صلى الله عليه وآله بأنه تذكير، واستعمل مادة التذكير فى القرآن للتذكير بالله تعالى، والتذكير باليوم الآخر، والتذكير بالفطرة والميثاق.

ووصف أمير المؤمنين على عليه السلام عمل الأنبياء عليهم السلام بأنه مطالبة للناس بالانسجام مع ميثاق الفطرة، قال عليه السلام فى خطبة طويلة فى نهج البلاغة:۱/۲۳، يذكر فيها خلق آدم عليه السلام وصفته:

«فأهبطه إلى دار البلية، وتناسل الذرية، اصطفى سبحانه من ولده أنبياء، أخذ على الوحى ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع.... إلى آخر الخطبة».

وقال الشيخ محمد عبده فى شرح قوله عليه السلام «ليستأدوهم ميثاق فطرته»: كأن الله تعالى بما أودع فى الإنسان من الغرائز والقوى، وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى قد أخذ عليه ميثاقاً بأن يصرف ما أوتى من ذلك فيما خلق له، وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ـ ينقضه لولا ـ ما اعترضه من وساوس الشهوات، فبعث إليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق، أى ليطالبوهم بما

تقتضیه فطرتهم وما ینبغی أن تسوقهم إلیه غرائزهم.

دفائن العقول: أنوار العرفان التی تكشف للانسان أسرار الكائنات، وترتفع به إلی الایقان بصانع الموجودات، وقد یحجب هذه الأنوار غیوم من الأوهام وحجب من الخیال، فیأتی النبیون لإثارة تلك المعارف الكامنة وإبراز تلك الأسرار الباطنة.

وقال الراغب الأصفهانی فی المفردات/۱۷۹:

الذِّكْرَ: تارة یقال ویراد به هیئة للنفس بها یمكن للإنسان أن یحفظ ما یقتنیه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ یقال اعتباراً بإحرازه، والذكر یقال اعتباراً باستحضاره، وتارة یقال لحضور الشیء القلب أو القول، ولذلك قیل الذكر ذكران: ذكر بالقلب وذكر باللسان، وكل واحد منهما ضربان، ذكر عن نسیان وذكر لا عن نسیان بل عن إدامة الحفظ. وكل قول یقال له ذكر.

فمن الذكر باللسان قوله تعالی: لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَیْكُمْ كِتَابًا فِیهِ ذِكْرُكُمْ، وقوله تعالی: وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ، وقوله: هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِیَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِی، وقوله: أَءُنْزِلَ عَلَیْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَیْنِنَا، أی القرآن، وقوله تعالی: وَالْقُرْآنِ ذِی الذِّكْرِ... ومن الذكر عن النسیان قوله: فَإِنِّی نَسِیتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِیهُ إلا الشَّیْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ.

ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالی: فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا، وقوله: فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ...

والذكری: كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر، قال تعالی: رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَی لِأُولِی الْأَلْبَابِ، وذكر فإن الذكری تنفع المؤمنین....

وقال الراغب أیضاً: الوعظ زجر مقترن بتخویف. قال الخلیل: هو التذكیر بالخیر فیما یرق له القلب. والعظة والموعظة الاسم، قال تعالی: یَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ. ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ. قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ....

وقال أبو هلال العسكری فی الفروق اللغویة/۱۲۱:

الفرق بین التذكیر والتنبیه: أن قولك ذكر الشیء، یقتضی أنه كان عالماً به ثم نسیه فرده إلی ذكره ببعض الأسباب، وذلك أن الذكر هو العلم الحادث بعد النسیان علی ما ذكرنا. ویجوز أن ینبه الرجل علی الشیء لم یعرفه قط، ألا تری أن الله ینبه علی معرفته بالزلازل والصواعق وفیهم من لم یعرفه البتة فیكون ذلك تنبیهاً له كما یكون تنبیهاً لغیره، ولا یجوز أن یذكره ما لم یعلمه قط. انتهی.

وفیما ذكره اللغویون فوائد ومحال للنظر، وحاصل المسألة: أنه یصح القول إن تسمیة القرآن والدین بالذكر لأنه یدل علی ما أودعه الله تعالی فی عمق فكر الإنسان ومشاعره من الفطرة علی التوحید ومعرفة الله، ولكن السبب الأهم أنه یثیر ما بقی فی ذهنه ووجدانه من نشأته الأولی وحنینه إلی عالم الغیب والآخرة، وإحساسه بالمیثاق الذی أخذ علیه فی تلك النشأة.

وقد لاحظت أن الروایات صریحة فی أخذ المیثاق علی الناس قبل خلقهم فی هذه الدنیا، وهی متواترة فی مصادر المسلمین، ولذا فإن تفسیر تذكیر الأنبیاء لا یصح حصره بتذكیر الإنسان بفطرته لكی ینسجم معها، والتغافل عن التذكیر الحقیقی بالمیثاق الذی صرحت به الأحادیث الشریفة.

كل مولود یولد علی الفطرة

الكافی:۲/۱۲:

قال رسول الله صلی الله علیه وآله: كل مولود یولد علی الفطرة، یعنی المعرفة بأن الله عز وجل خالقه، كذلك قوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اللهُ.

علل الشرائع:۲/۳۷۶:

أبی رحمه الله قال: حدثنا محمد بن یحیی، عن محمد بن أحمد، عن سهل بن زیاد، عن علی بن الحكم، عن فضیل بن عثمان الأعور قال: سمعت أبا عبدالله علیه السلام یقول: ما من مولود ولد إلا علی الفطرة فأبواه یهودانه وینصرانه ویمجسانه، وإنما أعطی رسول الله

صلی الله علیه وآله الذمـة وقبل الجزیة عن رؤوس أولئک بأعیانهم علی أن لا یهودوا ولا ینصـروا ولا یمجسوا. فأما الأولاد وأهل الذمة الیـوم فلاـ ذمـة لهم! انتهی. ورواه الصـدوق فی الفقیه:۲/۴۹، وفی التوحیـد/۳۳۰، وروی المجلسـی عـدداً من هـذه الأحـادیث فی بحار الأنوار:۶۵/۱۰۰، والعاملی فی وسائل الشیعة:۱۱/۹۶

من لا یحضره الفقیه:۲ هامش/۵۰:

وقال الفاضل التفرشـی: قوله: إلا علی الفطرة، أی علی فطرة الإسـلام وخلقته، أی المولود خلق فی نفسه علی الخلقـة الصـحیحة التی لو خلی وطبعه کان مسـلماً صـحیح الإعتقاد والأفعال، وإنما یعرض له الفساد من خارج، فصـیرورته یهودیاً أو نصرانیاً أو مجوسیاً إنما هی من قبل أبویه غالباً لأنهما أشـد الناس اختلاطاً وتربیة له، ولعل وجه انتفاء ذمتهم أن ذمة رسول الله صـلی الله علیه وآله لم تشـملهم، بل أعطاهم الذمة بسـبب أن لا یفسدوا اعتقاد أولادهم لیحتاجوا إلی الذمة. ولم یعطوا الذمة من قبل الأوصـیاء علیهم السلام لعدم تمکنهم فی تصـرفات الإمامـة، وإنمـا یعطوها من قبل من لیس له تلک الولایـة، فإذا ظهر الحق وقام القائم علیه السـلام لم یقروا علی ذلک ولا یقبل منهم إلا الإسـلام. وأخـذ الجزیـة منهم هـذا الزمان من قبیل أخذ الخراج من الأرض، والمنع عن التعرض لهم باعتبار الأمان. وأما قوله فی حـدیث زرارة الآـتی: ذلـک إلی الإمـام، فمعنـاه أنه إذا کان متمکناً ویری المصـلحة فی أخـذ الجزیـة منهم کما وقع فی زمان رسول الله صلی الله علیه وآله وهو لا ینافی انتفاء الذمة عنهم الیوم. انتهی.

تفسیر التبیان:۸/۲۴۷: (قـال مجاهـد: فطرة الله الإسـلام، وقیل فطر الناس علیها ولها وبها بمعنی واحـد، کما یقول القائل لرسوله: بعثتک علی هذا ولهذا وبهذا بمعنی واحد. ونصب فطرة الله علی المصدر، وقیل تقدیره: اتبع فطرة الله التی فطر الناس علیها، لأن الله تعالی خلق الخلق للإیمان، ومنه قوله صلی الله علیه وآله: کل مولود یولد علی الفطرة فأبواه یهودانه وینصرانه ویمجسانه.

ومعنی الفطر الشق ابتداءً، یقولون: أنا فطرت هذا الشیٔ أی أنا ابتدأته، والمعنی خلق الله الخلق للتوحید والإسلام.

بحار الأنوار:۳/۲۲: (غوالی: قال النبی صلی الله علیه وآله: کل مولود یولد علی الفطرة حتی یکون أبواه یهودانه وینصرانه.

بیان: قال السـید المرتضی رحمه الله فی کتاب الغرر والدرر بعد نقل بعض التأویلات عن المخالفین فی هذا الخبر: والصحیح فی تأویله أن قوله یولد علی الفطرة، یحتمل أمرین:

أحـدهما: أن تکون الفطرة هاهنا الدین، ویکون علی بمعنی اللام، فکأنه قال: کل مولود یولد للدین ومن أجل الدین، لأن الله تعالی لم یخلق من یبلغه مبلغ المکلفین إلا لیعبـده فینتفع بعبادته، یشـهد بـذلک قوله تعالی: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إلا لِیَعْبُـدُونِ. والدلیل علی أن علی تقوم مقام اللام ما حکاه یعقوب بن السکیت عن أبی یزید، عن العرب أنهم یقولون: صف علیَّ کذا وکذا حتی أعرفه، بمعنی صف لی، ویقولون: ما أغبطک علیَّ یریدون ما أغبطک لی، والعرب تقیم بعض الصـفات مقام بعض، وإنما ساغ أن یرید بالفطرة التی هی الخلقـة فی اللغـة الـدین من حیث کان هو المقصود بها، وقـد یجری علی الشـیٔ اسم ماله به هذا الضـرب من التعلق والاختصاص، وعلی هـذا یتأول قوله تعالی: فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلـدِّینِ حَنِیفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا، أراد دین الله الـذی خلق الخلق له. وقوله تعالی: لاـ تَبْـدِیلَ لِخَلْقِ اللهِ، أراد به أن مـا خلـق الله العبـاد له من العبـادة والطاعـة لیس ممـا یتغیر ویختلف حتـی یخلق قومـاً للطاعـة وآخرین للمعصـیة. ویجوز أن یرید بذلک الأمر، وإن کان ظاهره ظاهر الخبر فکأنه قال: لا تبدلوا ما خلقکم الله له من الدین والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا.

والوجه الآـخر فی تأویـل قوله علیه السـلام علی الفطرة: أن یکون المراد به الخلقـة، وتکون لفظـة (علی) علی ظاهرهـا لم یرد بها غیره، ویکون المعنی: کل مولود یولـد علی الخلقـة الدالـة علی وحدانیة الله تعالی وعبادته والإیمان به، لأنه عز وجل قد صور الخلق وخلقهم علی وجه یقتضـی النظر فیه معرفته والإیمـان به وإن لم ینظروا ویعرفـوا، فکـأنه علیه السـلام قـال: کـل مخلوق ومولود فهو یـدل بخلقته وصورته علی عبادة الله تعالی وإن عدل بعضـهم فصار یهودیاً أو نصرانیاً. وهذا الوجه أیضاً یحتمله قوله تعالی: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا.

وإذا ثبت ما ذکرناه فی معنی الفطرة فقوله علیه الصلاة والسلام: حتی یکون أبواه یهودانه وینصرانه، یحتمل وجهین:

أحدهما: أن من کان یهودیاً أو نصرانیاً ممن خلقته لعبادتی ودینی فإنما جعله أبواه کذلک، أو من جری مجراهما ممن أوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدین، وإنما خص الابوین لأن الأولاد فی الاکثر ینشؤون علی مذاهب آبائهم ویألفون أدیانهم ونحلهم، ویکون الغرض بالکلام تنزیه الله تعالی عن ضلال العباد وکفرهم، وأنه إنما خلقهم للإیمان فصدهم عنه آباؤهم، أو من جری مجراهم.

والوجه الآخر: أن یکون معنی یهودانه وینصرانه أی یلحقانه بأحکامهما، لأن أطفال أهل الذمة قد ألحق الشرع أحکامهم بأحکامهم، فکأنه علیه السلام قال: لا تتوهموا من حیث لحقت أحکام الیهود والنصاری أطفالهم أنهم خلقوا لدینهم، بل لم یخلقوا إلا للإیمان والدین الصحیح، لکن آباءهم هم الذین أدخلوهم فی أحکامهم، وعبر عن إدخالهم فی أحکامهم بقوله: یهودانه وینصرانه.

وقال البخاری فی صحیحه:۲/۹۷: (أن أبا هریرة (رض) قال: قال رسول الله (ص): ما من مولود إلا یولد علی الفطرة فأبواه یهودانه أو ینصرانه أو یمجسانه کما تنتج البهیمة بهیمة، هل تحسون فیها من جدعاء، ثم یقول أبو هریرة (رض): فطرة الله التی فطر الناس علیها لا تبدیل لخلق الله ذلک الدین القیم.

وقال فی:۲/۱۰۴: (عن أبی هریرة (رض) قال قال رسول الله (ص): کل مولود یولد علی الفطرة فأبواه یهودانه أو ینصرانه أو یمجسانه، کمثل البهیمة تنتج البهیمة، هل تری فیها جدعاء. انتهی. وروی نحوه فی:۶/۲۰ وفی:۷/۲۱۱ ورواه أحمد فی مسنده:۲/۲۳۳ کما فی روایة البخاری الأولی. ورواه فی:۲/۲۷۵ وزاد (ثم یقول واقرؤوا إن شئتم: فطرة الله التی فطر الناس علیها لا تبدیل لخلق الله).

وروی أحمد فی:۲/۲۸۲: (عن طاوس عن أبی هریرة أن النبی(ص)قال: کل مولود ولد علی الفطرة فأبواه یهودانه وینصرانه، مثل الأنعام تنتج صحاحاً فتکوی آذانها. انتهی. وروی نحوه فی:۲/۳۴۶ وج ۳/۳۵۳، وروی نحوه مسلم فی:۸/۵۲ وأبو داود فی:۲/۴۱۶، والترمذیج ۳/۳۰۳، والحاکم:۲/۳۲۳، وکنز العمال:۱/۲۶۶، والسیوطی فی الدر المنثور:۲/۲۲۴ وج۵/۱۵۵، والبیهقی فی سننه:۶/۲۰۲ و:۹/۱۳۰

وفی شعب الإیمان:۱/۹۷: عن أبی هریرة، وروی عنه أیضاً أن رسول الله (ص) قال: کل إنسان تلده أمه علی الفطرة یلکزه الشیطان فی حضنیه، إلا مریم وابنها. انتهی. وهو غریب یشبه مقولات النصاری.

و کل الحیوانات فطرت علی معرفة الله تعالی

الکافی:۶/۵۳۹: (أبو علی الأشعری، عن محمد بن عبدالجبار، عن الحجال، وابن فضال، عن ثعلبة، عن یعقوب بن سالم، عن رجل، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: مهما أبهم علی البهائم من شئ فلا یبهم علیها أربعة خصال: معرفة أن لها خالقاً، ومعرفة طلب الرزق ومعرفة الذکر من الأنثی، ومخافة الموت. انتهی.

ورواه فی من لایحضره الفقیه:۲/۲۸۸ وقال: (وأما الخبر الذی روی عن الصادق علیه السلام أنه قال: لو عرفت البهائم من الموت ما تعرفون ما أکلتم منها سمیناً قط، فلیس بخلاف هذا الخبر، لأنها تعرف الموت لکنها لا تعرف منه ما تعرفون. انتهی، ورواه فی وسائل الشیعة:۸/۳۵۲.

ومحل هذا الموضوع فی المعرفة، لکن أوردناه هنا لیتضح أن الإنسان والحیوان مفطوران علی معرفة الله تعالی، بل والجماد أیضاً کما قال تعالی (وَإِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلا یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ).

التوجه الفطری إلی الله تعالی

شرح الأسماء الحسنی:۱/۶۷: (یا ملجئی عند اضطراری: فإن الإنسان إذا انقطعت جمیع وسائله وانبتت تمام حبائله التجأ إلیه تعالی بالفطرة وتشبث به بالجبلة، ولذا استدل الأئمة المعصومون کثیراً علی منکری الصانع بالحالات المشاهدة، والوقوع فی مظان التهلکة.

شرح الأسماء الحسنی:۱/۱۶۴: (یا أحب من کل حبیب: أما أنه أحب من کل حبیب لأهله فواضح، وقد مر، وأما أنه أحب للکل کما

هو مقتضی الإطلاق فلأن کل کمال وإفضال لما کان عکس کماله وإفضاله ومحبوبیتها باعتبار وجهها إلی الله، رجع محبوبیتها إلی محبوبیته، فإلیه یرجع عواقب الثناء کما ورد عن المعصوم، ولکن لا یستشعر بذلک إلا الخواص.

والتفاضل والإیمان والکفر بذلک الاستشعار، أو لأنه أحب لهم إجمالاً أو فطرة، کما أن الجاهل یعلم أن العالم خیر منه، والغضبان یصدق بأن الحلیم أشرف منه، والبخیل بأن الجواد أفضل منه، فهم یحبون الصفات الحمیدة فطرةً وإن أحبوا تلک الرذایل بالغریزة الثانیة.

شرح الأسماء الحسنی:۲/۴: (تنبیهاً علی أنه تعالی هو المعروف بتلک الصلات والصفات عند الفطرة الأولی التی فطر الناس علیها، فلا تذهب العقول إلی غیره تعالی حتی عقول الکفار، کما قال تعالی: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَیَقُولُنَّ اللهُ، وحین قال الخلیل علیه السلام: إن الله یأتی بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، لم ینکره نمرود بل بهت، لأن فطرته حاکمة بأن القادر علی ذلک لیس إلا هو.

رأی صاحب تفسیر المیزان فی عالم الذر والمعرفة والمیثاق

تفسیر المیزان للطباطبائی:۸/۳۰۵: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَی أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ قَالُوا بَلَی شَهِدْنَا

أخذ الشئ من الشئ یوجب انفصال المأخوذ من المأخوذ منه واستقلاله دونه بنحو من الأنحاء، وهو یختلف باختلاف العنایات المتعلقة بها والإعتبارات المأخوذة فیها کأخذ اللقمة من الطعام وأخذ الجرعة من ماء القدح، وهو نوع من الأخذ، وأخذ المال والأثاث من زید الغاصب، أو الجواد أو البائع أو المعیر، وهو نوع آخر، أو أنواع مختلفة أخری، وکأخذ العلم من العالم وأخذ الأهبة من المجلس وأخذ الحظ من لقاء الصدیق، وهو نوع، وأخذ الولد من والده للتربیة، وهو نوع.. إلی غیر ذلک.

فمجرد ذکر الأخذ من الشئ لا یوضح نوعه إلا ببیان زائد، ولذلک أضاف الله سبحانه إلی قوله وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ، الدال علی تفریقهم وتفصیل بعضهم من بعض: قوله مِنْ ظُهُورِهِمْ، لیدل علی نوع الفصل والأخذ، وهو أخذ بعض المادة منها بحیث لا تنقص المادة المأخوذ منها بحسب صورتها ولا تنقلب عن تمامها واستقلالها، ثم تکمیل الجزء المأخوذ شیئاً تاماً مستقلاً من نوع المأخوذ منه، فیؤخذ الولد من ظهر من یلده ویولده وقد کان جزء، ثم یجعل بعد الأخذ والفصل إنساناً تاماً مستقلاً من والدیه بعد ما کان جزء منهما، ثم یؤخذ من ظهر هذا المأخوذ مأخوذ آخر وعلی هذه الوتیرة حتی یتم الأخذ وینفصل کل جزء عما کان جزء منه ویتفرق الأناسی وینتشر الأفراد وقد استقل کل منهم عمن سواه، ویکون لکل واحد منهم نفس مستقلة لها ما لها وعلیها ما علیها.

فهذا مفاد قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ، ولو قال أخذ ربک من بنی آدم ذریتهم أو نشرهم ونحو ذلک، بقی المعنی علی إبهامه.

وقوله: وَأَشْهَدَهُمْ عَلَی أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ، ینبی عن فعل آخر إلهی تعلق بهم بعد ما أخذ بعضهم من بعض، وفصل بین کل واحد منهم وغیره، وهو إشهادهم علی أنفسهم، والإشهاد علی الشئ هو إحضار الشاهد عنده وإراءته حقیقته لیتحمله علماً تحملاً شهودیاً، فإشهادهم علی أنفسهم هو إراءتهم حقیقة أنفسهم لیتحملوا ما أرید تحملهم من أمرها، ثم یؤدوا ما تحملوه إذا سئلوا.

وللنفس فی کل ذی نَفَس جهات من التعلق والإرتباط بغیرها یمکن أن یستشهد الإنسان علی بعضها دون بعض، غیر أن قوله: أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ، یوضح ما أشهدوا لأجله وأرید شهادتهم علیه، وهو أن یشهدوا ربوبیته سبحانه لهم فیؤدوها عند المسألة. فالإنسان وإن بلغ من الکبر والخیلاء ما بلغ وغرته مساعدة الأسباب ما غرته واستهوته، لا یسعه أن ینکر أنه لایملک وجود نفسه ولا یستقل بتدبیر أمره، ولو ملک نفسه لوقاها مما یکرهه من الموت وسائر آلام الحیاة ومصائبها، ولو استقل بتدبیر أمره لم یفتقر إلی الخضوع قبال الأسباب الکونیة والوسائل التی یری لنفسه أنه یسودها ویحکم فیها، ثم هی کالإنسان فی الحاجة إلی ماوراءها والإنقیاد إلی حاکم غائب عنها

یحکم فیها لها أو علیها، ولیس إلی الإنسان أن یسد خلتها ویرفع حاجتها.

فالحاجة إلی رب مالک مدبر حقیقة الإنسان، والفقر مکتوب علی نفسه، والضعف مطبوع علی ناصیته، لا یخفی ذلک علی إنسان له أدنی الشعور الإنسانی والعالم والجاهل والصغیر والکبیر والشریف والوضیع فی ذلک سواء. فالإنسان فی أی منزل من منازل الإنسانیة نزل، یشاهد من نفسه أن له رباً یملکه ویدبر أمره، وکیف لا ـ یشاهد ربه وهو یشاهد حاجته الذاتیة، وکیف یتصور وقوع الشعور بالحاجة من غیر شعور بالذی یحتاج إلیه.

فقوله: أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ بیان ما أشهد علیه، وقوله: قَالُوا بَلَی شَهِدْنَا، اعتراف منهم بوقوع الشهادة وما شهدوه.

ولذا قیل إن الآیة تشیر إلی ما یشاهده الإنسان فی حیاته الدنیا أنه محتاج فی جمیع جهات حیاته من وجوده وما یتعلق به وجوده من اللوازم والأحکام، ومعنی الآیة إنا خلقنا بنی آدم فی الأرض وفرقناهم ومیزنا بعضهم من بعض بالتناسل والتوالد وأوقفناهم علی احتیاجهم ومربوبیتهم لنا، فاعترفوا بذلک قائلین: بلی شهدنا أنک ربنا. وعلی هذا یکون قولهم بلی شهدنا من قبیل القول بلسان الحال أو إسناداً للازم القول إلی القائل بالملزوم، حیث اعترفوا بحاجاتهم ولزمهم الإعتراف بمن یحتاجون إلیه.

والفرق بین لسان الحال والقول بلازم القول، أن الأول انکشاف المعنی عن الشئ لدلالة صفه من صفاته وحال من أحواله علیه، سواء شعر به أم لا، کما تفصح آثار الدیار الخربة عن حال ساکنیها وکیف لعب الدهر بهم وعدت عادیة الایام علیهم فأسکنت أجراسهم وأخمدت أنفاسهم، وکما یتکلم سیماء البائس المسکین عن فقره ومسکنته وسوء حاله. والثانی انکشاف المعنی عن القائل لقوله بما یستلزمه أو تکلمه بما یدل علیه بالالتزام.

فعلی أحد هذین النوعین من القول أعنی القول بلسان الحال والقول بالإستلزام یحمل اعترافهم المحکی بقوله تعالی: قَالُوا بَلَی شَهِدْنَا، والأول أقرب وأنسب فإنه لا ـ یکتفی فی مقام الشهادة إلا بالصریح منها المدلول علیه بالمطابقة دون الإلتزام. ومن المعلوم أن هذه الشهادة علی أی نحو تحققت فهی من سنخ الإستشهاد المذکور فی قوله: أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ، فالظاهر أنه قد استوفی الجواب بعین اللسان الذی سألهم به، ولذلک کان هناک نحو ثالث یمکن أن تحمل علیه هذه المساءلة والمجاوبة، فإن الکلام الإلهی یکشف به عن المقاصد الإلهیة بالفعل والإیجاد، کلام حقیقی، وإن کان بنحو التحلیل کما تقدم مراراً فی مباحثنا السابقة فلیکن هنا قوله: أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ، وقولهم: بَلَی شَهِدْنَا، من ذاک القبیل، وسیجئ للکلام تتمة.

وکیف کان، فقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ... الآیة، یدل علی تفصیل بنی آدم بعضهم من بعض وإشهاد کل واحد منهم علی نفسه، وأخذ الإعتراف علی الربوبیة منه، ویدل ذیل الآیة وما یتلوه ـ أعنی قوله: أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیَامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِینَ، أو تقولوا إنما أشرک آباؤنا من قبل وکنا ذریة من بعدهم أفتهلکنا بما فعل المبطلون ـ علی الغرض من هذا الأخذ والإشهاد. و هو علی ما یفیده السیاق إبطال حجتین للعباد علی الله، وبیان أنه لولا هذا الأخذ والإشهاد وأخذ المیثاق علی انحصار الربوبیة کان للعباد أن یتمسکوا یوم القیامة بإحدی حجتین یدفعون بها تمام الحجة علیهم فی شرکهم بالله والقضاء بالنار علی ذلک من الله سبحانه.

والتدبر فی الآیتین وقد عطفت إحدی الحجتین علی الأخری بأو التردیدیة، وبنیت الحجتان جمیعاً علی العلم اللازم للإشهاد، ونقلتا جمیعاً عن بنی آدم المأخوذین المفرقین، یعطی أن الحجتین کل واحدة منهما مبنیه علی تقدیر من تقدیری عدم الاشهاد کذلک.

والمراد إنا أخذنا ذریتهم من ظهورهم وأشهدناهم علی أنفسهم فاعترفوا بربوبیتنا فتمت لنا الحجة علیهم یوم القیامة، ولو لم نفعل هذا ولم نشهد کل فرد منهم علی نفسه بعد أخذه، فإن کنا أهملنا الاشهاد من رأس، فلم یشهد أحد نفسه وأن الله ربه ولم یعلم به، لأقاموا جمیعاً الحجة علینا یوم القیامة بأنهم کانوا غافلین فی الدنیا عن ربوبیتنا، ولا تکلیف علی غافل ولا مؤاخذة، وهو قوله تعالی: أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیَامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِینَ.

وإن کنا لم نهمل أمر الإشهاد من رأس وأشهدنا بعضهم علی أنفسهم دون بعض، بأن أشهدنا الإباء علی هذا الأمر الهام العظیم دون ذریاتهم ثم أشرک الجمیع کان شرک الإباء شرکاً عن علم بأن الله هو الرب لا رب غیره، فکانت معصیة منهم، وأما الذریة فإنما کان

شركهم بمجرد التقليد فيما لا سبيل لهم إلى العلم به لا إجمالاً ولا تفصيلاً، ومتابعة عملية محضة لآبائهم، فكان آباؤهم هم المشركون بالله العاصون فى شركهم لعلمهم بحقيقة الأمر، وقد قادوا ذريتهم الضعاف فى سبيل شركهم بتربيتهم عليه وتلقينهم ذلك، ولا سبيل لهم إلى العلم بحقيقة الأمر وإدراك ضلال آبائهم وإضلالهم إياهم، فكانت الحجة لهؤلاء الذرية على الله يوم القيامة لأن الذين أشركوا وعصوا بذلك وأبطلوا الحق هم الآباء، فهم المستحقون للمؤاخذة والفعل فعلهم، وأما الذرية فلم يعرفوا حقاً حتى يؤمروا به فيعصوا بمخالفته فهم لم يعصوا شيئاً ولم يبطلوا حقاً، وحينئذ لم تتم حجة على الذرية فلم تتم الحجة على جميع بنى آدم. وهذا معنى قوله تعالى: أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ

فإن قلت: هنا بعض تقادير أخر لا يفى بها البيان السابق، كما لو فرض إشهاد الذرية على أنفسهم دون الاباء مثلاً، أو إشهاد بعض الذرية مثلاً، كما أن تكامل النوع الإنسانى فى العلم والحضارة على هذه الوتيرة يرث كل جيل ما تركه الجيل السابق ويزيد عليه بأشياء، فيحصل للّاحق ما لم يحصل للسابق.

قلت: على أحد التقديرين المذكورين تتم الحجة على الذرية أو على بعضهم الذين أشهدوا، وأما الآباء الذين لم يشهدوا فليس عندهم إلا الغفلة المحضة عن أمر الربوبية، فلا يستقلون بشرك إذ لم يشهدوا، ولا يسع لهم التقليد إذ لم يسبق عليهم فيه سابق، كما فى صورة العكس فيدخلون تحت المحتجين بالحجة الأولى (إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ).

وأما حديث تكامل الإنسان فى العلم والحضارة تدريجاً فإنما هو فى العلوم النظرية الإكتسابية التى هى نتائج وفروع تحصل للانسان شيئاً فشيئاً، وأما شهود الإنسان نفسه وأنه محتاج إلى رب يربه فهو من مواد العلم التى إنما تحصل قبل النتائج، وهو من العلوم الفطرية التى تنطبع فى النفس انطباعاً أولياً ثم يتفرع عليها الفروع. وما هذا شأنه لا يتأخر عن غيره حصولاً، وكيف لا ونوع الإنسان إنما يتدرج إلى معارفه وعلومه عن الحس الباطنى بالحاجة، كما قرر فى محله.

فالمتحصل من الآيتين أن الله سبحانه فصل بين بنى آدم بأخذ بعضهم من بعض، ثم أشهدهم جميعاً على أنفسهم وأخذ منهم الميثاق بربوبيته، فهم ليسوا بغافلين عن هذا المشهد وما أخذ منهم من الميثاق، حتى يحتج كلهم بأنهم كانوا غافلين عن ذلك لعدم معرفتهم بالربوبية، أو يحتج بعضهم بأنه إنما أشرك وعصى آباؤهم وهم برآء.

ولذلك ذكر عدة من المفسرين أن المراد بهذا الظرف المشار إليه بقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ، هو الدنيا، والآيتان تشيران إلى سنة الخلقة الإلهية الجارية على الإنسان فى الدنيا، فإن الله سبحانه يخرج الذرية الإنسانية من أصلاب آبائهم إلى أرحام أمهاتهم ومنها إلى الدنيا، ويشهدهم فى خلال حياتهم على أنفسهم ويريهم آثار صنعه وآيات وحدانيته ووجوه احتياجاتهم المستغرقة لهم من كل جهة، الدالة على وجوده ووحدانيته، فكأنه يقول لهم عند ذلك أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، وهم يجيبونه بلسان حالهم بَلَى شَهِدْنَا بذلك وأنت ربنا لا رب غيرك، وإنما فعل الله سبحانه ذلك لئلا يحتجوا على الله يوم القيامة بأنهم كانوا غافلين عن المعرفة، أو يحتج الذرية بأن آباءهم هم الذين أشركوا، وأما الذرية فلم يكونوا عارفين بها وإنما هم ذرية من بعدهم نشأوا على شركهم من غير ذنب.

وقد طرح القوم عدة من الروايات تدل على أن الآيتين تدلان على عالم الذر، وأن الله أخرج ذرية آدم من ظهره فخرجوا كالذر فأشهدهم على أنفسهم وعرفهم نفسه، وأخذ منهم الميثاق على ربوبيته، فتمت بذلك الحجة عليهم يوم القيامة. وقد ذكروا وجوهاً فى إبطال دلالة الآيتين عليه وطرح الروايات بمخالفتها لظاهر الكتاب، وهى:

١ ـ أنه لا يخلو إما أنه جعل الله هذه الذرية المستخرجة من صلب آدم عقلاء أو لم يجعلهم كذلك، فإن لم يجعلهم عقلاء فلا يصح أن يعرفوا التوحيد وأن يفهموا خطاب الله تعالى، وإن جعلهم عقلاء وأخذ منهم الميثاق وبنى صحة التكليف على ذلك وجب أن يذكروا ذلك ولا ينسوه، لأن أخذ الميثاق إنما تتم الحجة به على المأخوذ منه إذا كان على ذكر منه من غير نسيان، كما ينص عليه قوله تعالى: أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ. ونحن لا نذكر وراء ما نحن عليه من الخلقة الدنيوية الحاضرة شيئاً، فليس المراد بالآية إلا موقف الإنسان فى الدنيا وما يشاهده فيه من حاجته إلى رب يملكه ويدبر أمره و هو رب كل شئ.

۲ ـ أنه لا ـ یجوز أن ینسی الجمع الکثیر والجم الغفیر من العقلاء أمراً قد کانوا عرفوه ومیزوه حتی لا ـ یذکره ولا واحد منهم، ولیس العهد به بأطول من عهد أهل الجنة بحوادث مضت علیهم فی الدنیا وهم یذکرون ما وقع علیهم فی الدنیا کما یحکیه تعالی فی مواضع من کلامه کقوله: قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّی کَانَ لِی قَرِینٌ... إلی آخر الآیات، الصافات: ۵۱. وقد حکی نظیر ذلک عن أهل النار کقوله: وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَی رِجَالاً کُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ.ص: ۶۲... إلی غیر ذلک من الآیات.

ولو جاز النسیان علی هؤلاء الجماعة مع هذه الکثرة لجاز أن یکون الله سبحانه قد کلف خلقه فیما مضی من الزمن ثم أعادهم لیثیبهم أو لیعاقبهم جزاء لأعمالهم فی الخلق الأول وقد نسوا ذلک، ولازم ذلک صحة قول التناسخیة أن المعاد إنما هو خروج النفس عن بدنها ثم دخولها فی بدن آخر لتجد فی الثانی جزاء الأعمال التی عملتها فی الأول.

۳ ـ ما أورد علی الأخبار الناطقة بأن الله سبحانه أخذ من صلب آدم ذریته وأخذ منهم المیثاق بأن الله سبحانه قال: أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ ولم یقل من آدم، وقال مِنْ ظُهُورِهِمْ ولم یقل من ظهره، وقال ذُرِّیَّتَهُمْ ولم یقل ذریته، ثم أخبر بأنه إنما فعل بهم ذلک لئلا یقولوا یَوْمَ الْقِیَامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِینَ أو یقولوا إِنَّمَا أَشْرَکَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَکُنَّا ذُرِّیَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ... الآیة. وهذا یقتضی أن یکون لهم آباء مشرکون فلا یتناول ظاهر الآیة أولاد آدم لصلبه.

ومن هنا قال بعضهم إن الآیة خاصة ببعض بنی آدم غیر عامة لجمیعهم، فإنها لا تشمل آدم وولده لصلبه وجمیع المؤمنین، ومن المشرکین من لیس له آباء مشرکون، بل تختص بالمشرکین الذین لهم سلف مشرک.

۴ ـ إن تفسیر الآیة بعالم الذر ینافی قولهم کما فی الآیة: إِنَّمَا أَشْرَکَ آبَاؤُنَا لدلالته علی وجود آباء لهم مشرکین، وهو ینافی وجود الجمیع هناک بوجود واحد جمعی.

۵ ـ ما ذکره بعضهم أن الروایات مقبولة مسلمة غیر أنها لیست بتأویل للآیة، والذی تقصه من حدیث عالم الذر إنما هو أمر فعله الله سبحانه ببنی آدم قبل وجودهم فی هذه النشأة لیجروا بذلک علی الأعراق الکریمة فی معرفة ربوبیته، کما روی أنهم ولدوا علی الفطرة، وکما قیل إن نعیم الأطفال فی الجنة ثواب إیمانهم بالله فی عالم الذر. وأما الآیة فلیست تشیر إلی ما تشیر إلیه الروایات، فإن الآیة تذکر أنه إنما فعل بهم ذلک لتنقطع به حجتهم یوم القیامه: إِنَّا کُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِینَ، ولو کان المراد به ما فعل بهم فی عالم الذر لکان لهم أن یحتجوا علی الله فیقولوا ربنا إنک أشهدتنا علی أنفسنا یوم أخرجتنا من صلب آدم فکنا علی یقین بأنک ربنا، کما أنا الیوم وهو یوم القیامة علی یقین من ذلک لکنک أنسیتنا موقف الإشهاد فی الدنیا التی هی موطن التکلیف والعمل ووکلتنا إلی عقولنا، فعرف ربوبیتک من عرفها بعقله وأنکرها من أنکرها بعقله، کل ذلک بالإستدلال، فما ذنبنا فی ذلک وقد نزعت منا عین المشاهدة وجهزتنا بجهاز شأنه الإستدلال وهو یخطئ ویصیب.

۶ ـ أن الآیة لا صراحة لها فیما تدل علیه الروایات لإمکان حملها علی التمثیل، وأما الروایات فهی إما مرفوعة أو موقوفة ولا حجیة فیها.

هذه جملة ما أوردوه علی دلالة الآیة وحجیة الروایات، وقد زیفها المثبتون لنشأة الذر وهم عامة أهل الحدیث وجمع من غیرهم من المفسرین بأجوبة:

فالجواب عن الأول، أن نسیان الموقف وخصوصیاته لا یضر بتمام الحجة، وإنما المضر نسیان أصل المیثاق وزوال معرفة وحدانیة الرب تعالی وهو غیر منسی ولا ـ زائل عن النفس، وذلک یکفی فی تمام الحجة، ألا تری أنک إذا أردت أن تأخذ میثاقاً من زید فدعوته إلیک وأدخلته بیتک وأجلسته مجلس الکرامة ثم بشرته وأنذرته ما استطعت ولم تزل به حتی أرضیته فأعطاک العهد وأخذت منه المیثاق، فهو مأخوذ بمیثاقه مادام ذاکراً لأصله وإن نسی حضوره عندک ودخوله بیتک وجمیع ما جری بینک وبینه وقت أخذ المیثاق، غیر أصل العهد.

والجواب عن الثانی، أن الإمتناع من تجویز نسیان الجمع الکثیر لذلک مجرد استبعاد من غیر دلیل علی الإمتناع، مضافاً إلی أن أصل المعرفة بالربوبیة مذکور غیر منسی کما ذکرنا وهو یکفی فی تمام الحجة، وأما حدیث التناسخیة فلیس الدلیل علی امتناع التناسخ

منحصراً فی استحالة نسیان الجماعة الکثیرة ما مضی علیهم فی الخلق الأول، حتی لو لم یستحل ذلک صح القول بالتناسخ، بل لابطال القول به دلیل آخر کما یعلم بالرجوع إلی محله، وبالجملة لا دلیل علی استحالة نسیان بعض العوالم فی بعض آخر.

والجواب عن الثالث، أن الآیة غیر ساکتة عن إخراج ولد آدم لصلبه من صلبه، فإن قوله تعالی: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ، کاف وحده فی الدلالة علیه، فإن فرض بنی آدم فرض إخراجهم من صلب آدم من غیر حاجة إلی مؤونة زائدة، ثم إخراج ذریتهم من ظهورهم بإخراج أولاد الأولاد من صلب الأولاد وهکذا، ویتحصل منه أن الله أخرج أولاد آدم لصلبه من صلبه ثم أولادهم من أصلابهم ثم أولاد أولادهم من أصلاب أولادهم حتی ینتهی إلی آخرهم، نظیر ما یجری علیه الأمر فی هذه النشأة الدنیویة التی هی نشأة التوالد والتناسل.

وقد أجاب الرازی عنه فی تفسیره بأن الدلالة علی إخراج أولاده لصلبه من صلبه من ناحیة الخبر، کما أن الدلالة علی إخراج أولاد أولاده من أصلاب آبائهم من ناحیة الآیة، فبمجموع الآیة والخبر تتم الدلالة علی المجموع، وهو کما تری.

وأما الأخبار المشتملة علی ذکر إخراج ذریة آدم من صلبه وأخذ المیثاق منهم، فهی فی مقام شرح القصة لا فی مقام تفسیر ألفاظ الآیة حتی یورد علیها بعدم موافقه الکتاب أو مخالفته. وأما عدم شمول الآیة لأولاد آدم من صلبه لعدم وجود آباء مشرکین لهم وکذا بعض من عداهم فلا یضر شیئاً، لأن مراد الآیة أن الله سبحانه إنما فعل ذلک لئلا یقول المشرکون یوم القیامة إنما أشرک آباؤنا، ولا أن یقول کل واحد منهم إنما أشرک آبائی، فهذا مما لم یتعلق به الغرض ألبتة، فالقول قول المجموع من حیث المجموع لا قول کل واحد، فیؤول المعنی إلی أنا لو لم نفعل ذلک لکان کل من أردنا إهلاکه یوم القیامة یقول لم أشرک أنا وإنما أشرک من کان قبلی ولم أکن إلا ذریاً وتابعاً لا متبوعاً.

والجواب عن الرابع، یظهر من الجواب عن سابقه، قد دلت الآیة والروایة علی أن الله فصل هناک بین الآباء والأبناء ثم ردهم إلی حال الجمع.

والجواب عن الخامس، أنه خلاف ظاهر بعض الروایات وخلاف صریح بعض آخر منها، وما فی ذیله من عدم تمام الحجة من جهة عروض النسیان، ظهر الجواب عنه من الجواب عن الإشکال الأول.

والجواب عن السادس، أن استقرار الظهور فی الکلام کاف فی حجیته، ولا یتوقف ذلک علی صفة الصراحة، وإمکان الحمل علی التمثیل لا یوجب الحمل علیه ما لم یتحقق هناک مانع عن حمله علی ظاهره، وقد تبین أن لا مانع من ذلک.

وإما أن الروایات ضعیفة لا معول علیها فلیس کذلک، فإن فیها ما هو الصحیح، وفیها ما یوثق بصدوره کما سیجیئ إن شاء الله تعالی فی البحث الروائی التالی.

هذا ملخص ما جری بینهم من البحث فیما استفید من الآیة من حدیث عالم الذر إثباتاً ونفیاً، واعتراضاً وجواباً. واستیفاء التدبر فی الآیة والروایات، والتأمل فیما یرومه المثبتون بإثباتهم ویدفعه المنکرون بإنکارهم، یوجب توجیه البحث إلی جهة أخری غیر ما تشاجر فیه الفریقان بإثباتهم ونفیهم.

فالذی فهمه المثبتون من الروایة ثم حملوه علی الآیة وانتهضوا لإثباته محصله: أن الله سبحانه بعدما خلق آدم إنساناً تاماً سویاً أخرج نطفه التی تکونت فی صلبه ثم صارت هی بعینها أولاده الصلبیین إلی الخارج من صلبه، ثم أخرج من هذه النطف نطفها التی ستتکون أولاداً له صلبیین ففصل بین أجزائها والأجزاء الأصلیة التی اشتقت منها، ثم من أجزاء هذه النطف أجزاء أخری هی نطفها ثم من أجزاء الأجزاء أجزاءها، ولم یزل حتی أتی آخر جزء مشتق من الأجزاء المتعاقبة فی التجزی.

وبعبارة أخری: أخرج نطفة آدم التی هی مادة البشر ووزعها بفصل بعض أجزائه من بعض إلی ما لا یحصی من عدد بنی آدم بحذاء کل فرد ما هو نصیبه من أجزاء نطفة آدم، وهی ذرات منبثة غیر محصورة، ثم جعل الله سبحانه هذه الذرات المنبثة عند ذلک أو کان قد جعلها قبل ذلک کل ذرة منها إنساناً تاماً فی إنسانیته هو بعینه الإنسان الدنیوی الذی هو جزء المقدم له، فالجزء الذی لزید هناک

هو زيد هذا بعينه والذى لعمرو هو عمرو هذا بعينه، فجعلهم ذوى حياة وعقل وجعل لهم ما يسمعون به وما يتكلمون به وما يضمرون به معانى فيظهرونها أو يكتمونها، وعند ذلك عرفهم نفسه فخاطبهم فأجابوه وأعطوه الإقرار بالربوبية، إما بموافقة ما فى ضميرهم لما فى لسانهم أو بمخالفة ذلك.

ثم إن الله سبحانه ردهم بعد أخذ الميثاق إلى مواطنهم من الأصلاب حتى اجتمعوا فى صلب آدم وهى على حياتها ومعرفتها بالربوبية وإن نسوا ما وراء ذلك مما شاهدوه عند الإشهاد وأخذ الميثاق، وهم بأعيانهم موجودون فى الأصلاب حتى يؤذن لهم فى الخروج إلى الدنيا فيخرجون، وعندهم ما حصلوه فى الخلق الأول من معرفة الربوبية، وهى حكمهم بوجود رب لهم من مشاهدة أنفسهم محتاجة إلى من يملكهم ويدبر أمرهم.

هذا ما يفهمه القوم من الخبر والآية ويرومون إثباته، وهو مما تدفعه الضرورة وينفيه القرآن والحديث بلا ريب، وكيف الطريق إلى اثبات أن ذرة من ذرات بدن زيد وهو الجزء الذرى الذى انتقل من صلب آدم من طريق نطفته إلى ابنه ثم إلى ابن ابنه حتى انتهى إلى زيد هو زيد بعينه وله إدراك زيد وعقله وضميره وسمعه وبصره، وهو الذى يتوجه إليه التكليف وتتم له الحجة ويحمل عليه العهود والمواثيق ويقع عليه الثواب والعقاب، وقد صح بالحجة القاطعة من طريق العقل والنقل أن إنسانية الإنسان بنفسه التى هى أمر وراء المادة حادث بحدوث هذا البدن الدنيوى، وقد تقدم شطر من البحث فيها.

على أنه قد ثبت بالبحث القطعى أن هذه العلوم التصديقية البديهية والنظرية، ومنها التصديق بأن له رباً يملكه ويدبر أمره، تحصل للانسان بعد حصول التطورات، والجميع تنتهى إلى الإحساسات الظاهرة والباطنة، وهى تتوقف على وجود التركيب الدنيوى المادى، فهو حال العلوم الحصولية التى منها التصديق بأن له رباً هو القائم برفع حاجته.

على أن هذه الحجة إن كانت متوقفة فى تمامها على العقل والمعرفة معاً فالعقل مسلوب عن الذرة حين أرجعت إلى موطنها الصلبى حتى تظهر ثانياً فى الدنيا، وإن قيل إنه لم يسلب عنها ما تجرى فى الأصلاب والأرحام فهو مسلوب عن الإنسان ما بين ولادته وبلوغه أعنى أيام الطفولية، ويختل بذلك أمر الحجة على الإنسان وإن كانت غير متوقفة عليه، بل يكفى فى تمامها مجرد حصول المعرفة، فأى حاجة إلى الاشهاد وأخذ الميثاق، وظاهر الآية أن الإشهاد وأخذ الميثاق إنما هما لأجل إتمام الحجة، فلا محالة يرجع معنى الآية إلى حصول المعرفة فيؤول المعنى إلى ما فسرها به المنكرون.

وبتقرير آخر إن كانت الحجة إنما تتم بمجموع الإشهاد والتعريف وأخذ الميثاق سقطت بنسيان البعض وقد نسى الإشهاد والتكليم وأخذ الميثاق، وإن كان الإشهاد وأخذ الميثاق جميعاً مقدمة لثبوت المعرفة ثم زالت المقدمة ولزمت المعرفة وبها تمام الحجة، تمت الحجة على كل إنسان حتى الجنين والطفل والمعتوه والجاهل، ولا يساعد عليه عقل ولا نقل، وإن كانت المعرفة فى تمام الحجة بها متوقفة على حصول العقل والبلوغ ونحو ذلك وقد كانت حصلت فى عالم الذر فتمت الحجة ثم زالت وبقيت المعرفة حجة ناقصة ثم كملت ثانياً لبعضهم فى الدنيا فتمت الحجة ثانياً بالنسبة إليهم، فكما أن لحصول العقل فى الدنيا أسباباً تكوينية يحصل بها وهى الحوادث المتكررة من الخير والشر، وحصول الملكة المميزة بينهما من التجارب حصولاً تدريجياً ينتهى من جانب إلى حد من الكمال ومن جانب إلى حد من الضعف لا يعبأ به، كذلك المعرفة لها أسباب إعدادية تهى الإنسان إلى التلبس بها وليست تحصل قبل ذلك، وإذا كانت تحصل فى ظرفنا هذا بأسبابها المعدة لها كالعقل، فأى حاجة إلى تكوينه تكويناً آخر فى سالف من الزمان لاتمام الحجة والحجة تامة دونه وماذا يغنى ذلك.

على أن هذا العقل الذى لا تتم حجة ولا ينفع إشهاد ولا يصح أخذ ميثاق بدونه حتى فى عالم الذر، المفروض هو العقل العملى الذى لا يحصل للانسان إلا فى هذا الظرف الذى يعيش فيه عيشة اجتماعية، فتتكرر عليه حوادث الخير والشر وتهيج عواطفه وإحساساته الباطنية نحو جلب النفع ودفع الضرر، فتتعاقب عليه الأعمال عن علم وإرادة فيخطى ويصيب، حتى يتدرب فى تمييز الصواب من الخطأ والخير من الشر والنفع من الضر.

والظرف الذی یثبتونه أعنی ما یصفونه من عالم الذر لیس بموطن العقل العملی، إذ لیس فیه شرائط حصوله وأسبابه، ولو فرضوه موطناً له وفیه أسبابه وشرائطه کما یظهر مما یصفونه تعویلاً ـ علی ما فی ظواهر الروایات أن الله دعاهم هناک إلی التوحید فأجابه بعضهم بلسان یوافقه قلبه وأجابه آخرون وقد أضمروا الکفر وبعث إلیهم الأنبیاء والاوصیاء فصدقهم بعض وکذبهم آخرون، ولا یجری ما هاهنا إلا علی ما جری به ما هنالک، إلی غیر ذلک مما ذکروه، کان ذلک إثباتاً لنشأة طبیعیة قبل هذه النشأة الطبیعیة فی الدنیا نظیر ما یثبته القائلون بالأدوار والأکوار، واحتاج إلی تقدیم کینونة ذریة أخری تتم بها الحجة علی من هنالک من الإنسان، لأن عالم الذر علی هذه الصفة لا یفارق هذا العالم الحیوی الذی نحن فیه الآن، فلو احتاج هذا الکون الدنیوی إلی تقدیم إشهاد وتعریف حتی تحصل المعرفة وتتم الحجة لاحتاج إلیه الکون الذری من غیر فرق فارق ألبتة.

علی أن الإنسان لو احتاج فی تحقق المعرفة فی هذه النشأة الدنیویة إلی تقدم وجود ذری یقع فیه الإشهاد ویوجد فیه المیثاق حتی تثبت بذلک المعرفة بالربوبیة، لم یکن فی ذلک فرق بین إنسان وإنسان، فما بال آدم وحواء استثنیا من هذه الکلیة، فإن لم یحتاجا إلی ذلک لفضل فیهما أو لکرامة لهما ففی ذریتهما من هو أفضل منهما وأکرم، وإن کان لتمام خلقتهما یومئذ فأثبتت فیهما المعرفة من غیر حاجة إلی إحضار الوجود الذری، فلکل من ذریتهما أیضاً خلقة تامة فی ظرفه الخاص به، فلم لم یؤخر إثبات المعرفة فیهم ولهم إلی تمام خلقتهم بالولادة حتی تتم عند ذلک الحجة، وأی حاجة إلی التقدیم.

فهذه جهات من الإشکال فی تحقق الوجود الذری للإنسان علی ما فهموه من الروایات لا طریق إلی حلها بالأبحاث العلمیة، ولا حمل الآیة علیه معها حتی بناء علی عادة القوم فی تحمیل المعنی علی الآیة إذا دلت علیه الروایة وإن لم یساعد علیه لفظ الآیة، لأن الروایة القطعیة الصدور کالآیة مصونة عن أن تنطق بالمحال.

وأما الحشویة وبعض المحدثین ممن یبطل حجة العقل الضروریة قبال الروایة ویتمسک بالآحاد فی المعارف الیقینیة، فلا بحث لنا معهم.

هذا ما علی المثبتین. بقی الکلام فیما ذکره النافون أن الآیة تشیر إلی ما علیه حال الإنسان فی هذه الحیاة الدنیا، وهو أن الله سبحانه أخرج کلا من آحاد الإنسان من الأصلاب والأرحام إلی مرحلة الإنفصال والتفرق، ورکب فیهم ما یعرفون به ربوبیته واحتیاجهم إلیه، کأنه قال لهم إذا وجه وجوههم نحو أنفسهم المستغرقة فی الحاجة: أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ، وکأنهم لما سمعوا هذا الخطاب من لسان الحال قالوا: بلی أنت ربنا شهدنا بذلک، وإنما فعل الله ذلک لتتم علیهم حجتة بالمعرفة وتنقطع حجتهم علیه بعدم المعرفة، وهذا میثاق مأخوذ منهم طول الدنیا جار ما جری الدهر والإنسان یجری معه.

والآیة بسیاقها لا تساعد علیه، فإنه تعالی افتتح الآیة بقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ... الآیة فعبر عن ظرف هذه القضیة بإذ، وهو یدل علی الزمن الماضی أو علی أی ظرف محقق الوقوع نحوه، کما فی قوله: وَإِذْ قَالَ اللهُ یَا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ آنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ، إلی أن قال: قَالَ اللهُ هَذَا یَوْمُ یَنْفَعُ الصَّادِقِینَ صِدْقُهُمْ. المائدة: ۱۱۹، فعبر بإذ عن ظرف مستقبل لتحقق وقوعه.

وقوله: وإذ أخذ ربک خطاب للنبی (ص) أوله ولغیره کما یدل علیه قوله: أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیَامَةِ... الآیة، إن کان الخطاب متوجهاً إلینا معاشر السامعین للآیات المخاطبین بها والخطاب خطاب دنیوی لنا معاشر أهل الدنیا، والظرف الذی یتکی علیه هو زمن حیاتنا فی الدنیا أو زمن حیاة النوع الإنسانی فیها وعمره الذی هو طول إقامته الأرض، والقصة التی یذکرها فی الآیة ظرفها عین ظرف وجود النوع فی الدنیا فلا مصحح للتعبیر عن ظرفها بلفظة إذ الدالة علی تقدم ظرف القصة علی ظرف الخطاب، ولا عنایة أخری فی المقام تصحح هذا التعبیر من قبیل تحقق الوقوع ونحوه وهو ظاهر.

فقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ، فی عین أنه یدل علی قصة خلقه تعالی النوع الإنسانی بنحو التولید، وأخذ الفرد من الفرد وبث الکثیر من القلیل، کما هو المشهود فی نحو تکون الآحاد من الإنسان وحفظهم وجود النوع بوجود البعض من البعض علی التعاقب، یدل علی أن للقصة وهی تنطبق علی الحال المشهود نوعاً من التقدم علی هذا المشهود من جریان الخلقة

وسيرها.

وقد تقدمت استحالة ما افترضوا لهذا التقدم من تقدم هذه الخلقة بنحو تقدماً زمانياً بأن يأخذ الله أول فرد من هذا النوع فيأخذ منه مادة النطفة التى منها نسل هذا النوع فيجزؤها أجزاء ذرية بعدد أفراد النوع إلى يوم القيامة، ثم يلبس وجود كل فرد بعينه بحياته وعقله وسمعه وبصره وضميره وظهره وبطنه ويكسيه وجوده التى هى له قبل أن يسير مسيره الطبيعى فيشهده نفسه ويأخذ منه الميثاق، ثم ينزعه منها ويردها إلى مكانها الصلبى، حتى يسير سيره الطبيعى وينتهى إلى موطنها الذى لها من الدنيا، فقدتقدم بطلان ذلك وأن الآية أجنبية عنه.

لكن الذى أحال هذا المعنى هو استلزامه وجود الإنسان بماله من الشخصية الدنيوية مرتين فى الدنيا واحدة بعد أخرى، المستلزم لكون الشئ غير نفسه بتعدد شخصيته، فهو الأصل الذى تنتهى إليه جميع المشكلات السابقة.

وأما وجود الإنسان أو غيره فى امتداد مسيره إلى الله ورجوعه إليه فى عوالم مختلفة النظام متفاوتة الحكم فليس بمحال، وهو مما يثبته القرآن الكريم ولو كره ذلك الكافرون الذين يقولون إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر فقد أثبت الله الحياة الآخرة للإنسان وغيره يوم البعث وفيه هذا الإنسان بعينه، وقد وصفه بنظام وأحكام غير هذه النشأة الدنيوية نظاماً وأحكاماً. وقد أثبت حياة برزخية لهذا الإنسان بعينه وهى غير الحياة الدنيوية نظاماً وحكماً. وأثبت بقوله: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُوم. الحجر: ۲۱، أن لكل شئ عنده وجوداً وسيعاً غير مقدر فى خزائنه وإنما يلحقه الأقدار إذا نزله إلى الدنيا مثلاً، فللعالم الإنسانى على سعته سابق وجود عنده تعالى فى خزائنه، أنزله إلى هذه النشأة.

وأثبت بقوله: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. فَسُبْحَانَ الَّذِی بِیَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَیْءٍ. يس: ۸۳، وقوله: وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ. القمر: ۵۰، وما يشابههما من الآيات.

أن هذا الوجود التدريجى الذى للأشياء ومنها الإنسان هو أمر من الله يفيضه على الشئ ويلقيه إليه بكلمة كن، إفاضة دفعية وإلقاء غير تدريجى.

فلوجود هذه الأشياء وجهان: وجه إلى الدنيا وحكمه أن يحصل بالخروج من القوة إلى الفعل تدريجاً ومن العدم إلى الوجود شيئاً فشيئاً، ويظهر ناقصاً ثم لا يزال يتكامل حتى يفنى ويرجع إلى ربه.

ووجه إلى الله سبحانه وهى بحسب هذا الوجه أمور تدريجية، وكل ما لها فهو لها فى أول وجودها من غير أن تحتمل قوة تسوقها إلى الفعل.

وهذا الوجه غير الوجه السابق وإن كانا وجهين لشئ واحد، وحكمه غير حكمه وإن كان تصوره التام يحتاج إلى لطف قريحة، وقد شرحناه فى الأبحاث السابقة بعض الشرح، وسيجى إن شاء الله استيفاء الكلام فى شرحه.

ومقتضى هذه الآيات أن للعالم الإنسانى على ما له من السعة وجوداً جميعاً عند الله سبحانه، وهو الذى يلى جهته تعالى ويفيضه على أفراده لا ـ يغيب فيها بعضهم عن بعض ولا ـ يغيبون فيه عن ربهم ولا ـ هو يغيب عنهم، وكيف يغيب فعل عن فاعله أو ينقطع صنع عن صانعه، وهذا هو الذى يسميه الله سبحانه بالملكوت، ويقول: وَكَذَلِكَ نُرِی إِبْرَاهِیمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِیَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِینَ. الانعام: ۷۵ ويشير إليه بقوله:كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْیَقِینِ. لَتَرَوُنَّ الْجَحِیمَ. ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَیْنَ الْیَقِینِ. التكاثر: ۷.

وأما هذا الوجه الدنيوى الذى نشاهده نحن من العالم الإنسانى، وهو الذى يفرق بين الآحاد ويشتت الأحوال والأعمال بتوزيعها على قطعات الزمان وتطبيقها على مر الليالى والأيام ويحجب الإنسان عن ربه بصرف وجهه إلى التمتعات المادية الأرضية واللذائذ الحسية، فهو متفرع على الوجه السابق متأخر عنه. وموقع تلك النشأة وهذه النشأة فى تفرعها عليها موقعاً كن ويكون فى قوله تعالى: أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَیَكُونُ. يس: ۸۲.

ويتبين بذلك أن هذه النشأة الإنسانية الدنيوية مسبوقة بنشأة أخرى إنسانية هى هى بعينها غير أن الآحاد موجودون فيها غير محجوبين

عن ربهم، یشاهدون فیها وحدانیته تعالی فی الربوبیة بمشاهده أنفسهم، لا من طریق الإستدلال، بل لأنهم لا ینقطعون عنه ولا یفقدونه ویعترفون به وبکل حق من قبله. وأما قذارة الشرک وألواث المعاصی فهو من أحکام هذه النشأة الدنیویة دون تلک النشأة التی لیس فیها إلا فعله تعالی القائم به، فافهم ذلک.

وأنت إذا تدبرت هذه الآیات ثم راجعت قوله تعالی: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّیَّتَهُمْ... الآیة، وأجدت التدبر فیها وجدتها تشیر إلی تفصیل أمر تشیر هذه الآیات إلی إجماله، فهی تشیر إلی نشأة إنسانیة سابقة فرق الله فیها بین أفراد هذا النوع ومیز بینهم وَأَشْهَدَهُمْ عَلَی أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَی شَهِدْنَا.

ولا یرد علیه ما أورد علی قول المثبتین فی تفسیر الآیة علی ما فهموه من معنی عالم الذر من الروایات علی ما تقدم، فإن هذا المعنی المستفاد من سائر الآیات والنشأة السابقة التی تثبته لا تفارق هذه النشأة الإنسانیة الدنیویة زماناً، بل هی معها محیطة بها لکنها سابقة علیها السبق الذی فی قوله تعالی: کُنْ فَیَکُونُ، ولا یرد علیه شئ من المحاذیر المذکورة.

ولا یرد علیه ما أوردناه علی قول المنکرین فی تفسیرهم الآیة بحال وجود النوع الإنسانی فی هذه النشأة الدنیویة من مخالفته لقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ، ثم التجوز فی الإشهاد بإرادة التعریف منه وفی الخطاب بقوله: أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ بإرادة دلالة الحال، وکذا فی قوله: قالوا بلی، وقوله: شَهِدْنَا، بل الظرف ظرف سابق علی الدنیا وهو غیرها، والإشهاد علی حقیقته والخطاب علی حقیقته.

ولا یرد علیه أنه من قبیل تحمیل الآیة معنی لا تدل علیه، فإن الآیة لا تأبی عنه، وسائر الآیات تشیر إلیه بضم بعضها إلی بعض.

وأما الروایات فسیأتی أن بعضها یدل علی أصل تحقق هذه النشأة الإنسانیة کالآیة، وبعضها یذکر أن الله کشف لادم علیه السلام عن هذه النشأة الإنسانیة وأراه هذا العالم الذی هو ملکوت العالم الإنسانی وما وقع فیه من الاشهاد وأخذ المیثاق، کما أری إبراهیم علیه السلام ملکوت السماوات والأرض.

رجعنا إلی الآیة، قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّکَ، أی واذکر لأهل الکتاب فی تتمیم البیان السابق، أو واذکر للناس فی بیان ما نزلت السورة ۲۰: لاجل بیانه، وهو أن لله عهداً علی الإنسان وهو سائله عنه وأن أکثر الناس لا یفون به وقد تمت علیهم الحجة، أذکر لهم موطناً قبل الدنیا أخذ فیه ربک من بنی آدم من ظهورهم ذریتهم فما من أحد منهم إلا استقل من غیره وتمیز منه فاجتمعوا هناک جمیعاً وهم فرادی فأراهم ذواتهم المتعلقة بربهم وأشهدهم علی أنفسهم فلم یحتجبوا عنه وعاینوا أنه ربهم، کما أن کل شئ بفطرته یجد ربه من نفسه من غیر أن یحتجب عنه، وهو ظاهر الآیات القرآنیة کقوله: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلَّا یُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَکِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِیحَهُمْ. الاسراء: ۴۴.

أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ، وهو خطاب حقیقی لهم لا ـ بیان حال، وتکلیم إلهی لهم فإنهم یفهمون مما یشاهدون أن الله سبحانه یرید به منهم الإعتراف وإعطاء الموثق، ولا نعنی بالکلام إلا ما یلقی للدلالة به علی معنی مراد، وکذا الکلام فی قوله: قَالُوا بَلَی شَهِدْنَا.

وقوله: أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیَامَةِ إِنَّا کُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِینَ، الخطاب للمخاطبین بقوله: أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ القائلین بَلَی شَهِدْنَا، فهم هناک یعاینون الاشهاد والتکلیم من الله والتکلم بالإعتراف من أنفسهم، وإن کانوا فی نشأة الدنیا علی غفلة مما عدا المعرفة بالإستدلال، ثم إذا کان یوم البعث وانطوی بساط الدنیا وانمحت هذه الشواغل والحجب عادوا إلی مشاهدتهم ومعاینتهم، وذکروا ما جری بینهم وبین ربهم. ویحتمل أن یکون الخطاب راجعاً إلینا معاشر المخاطبین بالآیات، أی إنما فعلنا ببنی آدم ذلک حذر أن تقولوا أیها الناس یوم القیامة کذا وکذا، والأول أقرب ویؤیده قراءة أن یقولوا بلفظ الغیبة.

وقوله: أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَکَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ، هذه حجة الناس إن فرض الإشهاد وأخذ المیثاق من الآباء خاصة دون الذریة، کما أن قوله أن تقولوا الخ، حجة للناس إن ترک الجمیع فلم یقع إشهاد ولا أخذ میثاق من أحد منهم.

ومن المعلوم أن لو فرض ترک الإشهاد وأخذ المیثاق فی تلک النشأة کان لازمه عدم تحقق المعرفة بالربوبیة فی هذه النشأة إذ لا حجاب بینهم وبین ربهم فی تلک النشأة، فلو فرض هناک علم منهم کان ذلک إشهاداً وأخذ میثاق، وأما هذه النشأة فالعلم فیها من

وراء الحجاب وهو المعرفة من طريق الإستدلال، فلو لم يقع هناك بالنسبة إلى الذرية إشهاد وأخذ ميثاق كان لازمه فى هذه النشأة أن لا يكون لهم سبيل إلى معرفة الربوبية فيها أصلاً، وحينئذ لم يقع منهم معصية شرك بل كان ذلك فعل آبائهم وليس لهم إلا التبعية العملية لآبائهم والنشوء على شركهم من غير علم، فصح لهم أن يقولوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ.

قوله تعالى: وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ.، تفصيل الآيات تفريق بعضها وتمييزه من بعض ليتبين بذلك مدلول كل منها ولا تختلط وجوه دلالتها، وقوله: وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، عطف على مقدر والتقدير لغايات عالية كذا وكذا ولعلهم يرجعون من الباطل إلى الحق.

(ثم أورد صاحب الميزان رحمه الله رواية ابن الكوا المتقدمة، وقال):

أقول والرواية كما تقدم وبعض ما يأتى من الروايات يذكر مطلق أخذ الميثاق من بنى آدم من غير ذكر إخراجهم من صلب آدم وإراءتهم إياه. وكان تشبيههم بالذر كما فى كثير من الروايات تمثيل لكثرتهم كالذر لا لصغرهم جسماً أو غير ذلك، ولكثرة ورود هذا التعبير فى الروايات سميت هذه النشأة بعالم الذر.

وفى الرواية دلالة ظاهرة على أن هذا التكليم كان تكليماً حقيقياً لا مجرد دلالة الحال على المعنى. وفيها دلالة على أن الميثاق لم يؤخذ على الربوبية فحسب، بل على النبوة وغير ذلك. وفى كل ذلك تأييد لما قدمناه.

وفى تفسير العياشى عن رفاعة قال: سالت أبا عبدالله عن قول الله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، قال نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا، وقبض يده.

أقول: وظاهر الرواية أنها تفسر الأخذ فى الآية بمعنى الإحاطة والملك.

وفى تفسير القمى عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن ابن مسكان، عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، قلت: معاينة كان هذا؟ قال: نعم... (إلى آخر الرواية المتقدمة)..

أقول: والرواية ترد على منكرى دلالة الآية على أخذ الميثاق فى الذر تفسيرهم قوله: وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، أن المراد به أنه عرفهم آياته الدالة على ربوبيته، والرواية صحيحة ومثلها فى الصراحة والصحة ما سيأتى من رواية زرارة وغيره.

وفى الكافى عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن زرارة: أن رجلاً سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ.. إلى آخر الآية، فقال وأبوه يسمع: حدثنى أبى أن الله عز وجل قبض قبضه من تراب التربة التى خلق منها آدم فصب عليها الماء العذب الفرات، ثم تركها أربعين صباحاً، ثم صب عليها الماء المالح الاجاج، فتركها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً، فخرجوا كالذر من يمينه وشماله، وأمرهم جميعاً أن يقعوا فى النار، فدخلها أصحاب اليمين فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها.

أقول: وفى هذا المعنى روايات أخر، وكأن الأمر بدخول النار كناية عن الدخول حظيرة العبودية والإنقياد للطاعة.

وفيه بإسناده عن عبدالله بن محمد الحنفى وعقبه جميعاً عن أبى جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل خلق الخلق، فخلق من أحب مما أحب، فكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض، وكان ما أبغض أن خلقه من طينه النار، ثم بعثهم فى الظلال، فقيل: وأى شئ الظلال قال: ألم تر إلى ظلك فى الشمس شئ وليس بشئ، ثم بعث معهم النبيين فدعوهم إلى الإقرار بالله، وهو قوله ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله، ثم دعوهم إلى الإقرار فأقر بعضهم وأنكر بعض، ثم دعوهم إلى ولايتنا، فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض، وهو قوله: وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل، ثم قال أبوجعفر عليه السلام كان التكذيب ثَمَّ.

أقول: والرواية وإن لم تكن مما وردت فى تفسير آية الذر، غير أنا أوردناها لاشتمالها على قصة أخذ الميثاق وفيها ذكر الظلال، وقد تكرر ذكر الظلال فى لسان أئمة أهل البيت عليهم السلام والمرادبه كما هو ظاهر الرواية وصف هذا العالم الذى هو بوجه عين العالم الدنيوى وبوجه غيره، وله أحكام غير أحكام الدنيا بوجه وعينها بوجه، فينطبق على ما وصفناه فى البيان المتقدم.

وفى الكافى وتفسير العياشى عن أبى بصير قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام كيف أجابوا وهم ذر؟ قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه، وزاد العياشى يعنى فى الميثاق.

أقول: وما زاده العياشى من كلام الراوى، وليس المراد بقوله جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه دلالة حالهم على ذلك، بل لما فهم الراوى من الجواب ما هو من نوع الجوابات الدنيوية استبعد صدوره عن الذر، فسأل عن ذلك فأجابه عليه السلام بأن الأمر هناك بحيث إذا نزلوا فى الدنيا كان ذلك منهم جواباً دنيوياً باللسان والكلام اللفظى، ويؤيده قوله عليه السلام ما إذا سألهم ولم يقل ما لو تكلموا ونحو ذلك.

وفى تفسير العياشى أيضاً عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام: فى قول الله: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ، قالوا بألسنتهم؟ قال نعم وقالوا بقلوبهم، فقلت وأين كانوا يومئذ؟ قال صنع منهم ما اكتفى به..

أقول: جوابه عليه السلام إنهم قالوا بلى بألسنتهم وقلوبهم مبنى على كون وجودهم يومئذ بحيث لو انتقلوا إلى الدنيا كان ذلك جواباً بلسان على النحو المعهود فى الدنيا، لكن اللسان والقلب هناك واحد، ولذلك قال عليه السلام نعم وبقلوبهم فصدق اللسان وأضاف إليه القلب. ثم لما كان فى ذهن الراوى أنه أمر واقع فى الدنيا ونشأة الطبيعة وقد ورد فى بعض الروايات التى تذكر قصة إخراج الذرية من ظهر آدم تعيين المكان له وقد روى بعضها هذا الراوى أعنى أبا بصير، سأله عليه السلام عن مكانهم بقوله وأين كانوا يومئذ؟ فأجابه عليه السلام بقوله: صنع منهم ما اكتفى به، فلم يجبه بتعيين المكان بل بأن الله سبحانه خلقهم خلقاً يصح معه السؤال والجواب، وكل ذلك يؤيد ما قدمناه فى وصف هذا العالم.

والرواية كغيرها مع ذلك كالصريح فى أن التكليم والتكلم فى الآية على الحقيقة دون المجاز، بل هى صريحة فيه.

وفى الدر المنثور أخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، وأبوالشيخ فى العظمة، وابن مردويه، عن أبى إمامة أن رسول الله (ص) قال: خلق الله الخلق وقضى القضية، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء، فأخذ أهل اليمين بيمينه، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى، وكلتا يدى الرحمن يمين، فقال: يا أصحاب اليمين، فاستجابوا له، فقالوا: لبيك ربنا وسعديك، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى. قال: يا أصحاب الشمال، فاستجابوا له، فقالوا: لبيك ربنا وسعديك، قال: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قالوا: بلى. فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم: رب لم خلطت بيننا، قال وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، ثم ردهم فى صلب آدم، فأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها. فقال قائل يا رسول الله فما الأعمال؟ قال: يعمل كل قوم لمنازلهم، فقال عمر بن الخطاب: إذاً نجتهد.

أقول: قوله (ص): وعرشه على الماء، كناية عن تقدم أخذ الميثاق وليس المراد به تقدم خلق الأرواح على الأجساد زماناً، فإن عليه من الإشكال ما على عالم الذر بالمعنى الذى فهمه جمهور المثبتين، وقد تقدم.

وقوله (ص) يعمل كل قوم لمنازلهم، أى أن كل واحد من المنزلين يحتاج إلى أعمال تناسبه فى الدنيا، فإن كان العامل من أهل الجنة عمل الخير لا محالة وإن كان من أهل النار عمل الشر لا محالة، والدعوة إلى الجنة وعمل الخير، لأن عمل الخير يعيّن منزله فى الجنة وإن عمل الشر يعيّن منزله فى النار لا محالة، كما قال تعالى: وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ. البقره: ۱۴۸ فلم يمنع تعين الوجهة عن الدعوة إلى استباق الخيرات، ولا منافاة بين تعين السعادة والشقاوة بالنظر إلى العلل التامة، وبين عدم تعينها بالنظر إلى اختيار الإنسان فى تعيين عمله، فإنه جزء العلة وجزء علة الشئ لا يتعين معه وجود الشئ ولا عدمه بخلاف تمام العلة، وقد تقدم استيفاء هذا البحث فى موارد من هذا الكتاب، وآخرها فى تفسير قوله تعالى: كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ. فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ الاعراف: ۳۰، وأخبار الطينة المتقدمة من أخبار هذا الباب بوجه.

وفيه، أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبو الشيخ، عن ابن عباس: فى قوله وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ الآية، قال: خلق الله آدم وأخذ ميثاقه أنه ربه، وكتب أجله ورزقه ومصيبته، ثم أخرج ولده من ظهره كهيئة الذر، فأخذ مواثيقهم أنه

ربهم، وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم.

أقول: وقد روى هذا المعنى عن ابن عباس بطرق كثيرة فى ألفاظ مختلفة، لكن الجميع تشترك فى أصل المعنى وهو إخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق منهم.

وفيه، أخرج ابن عبدالبر فى التمهيد من طريق السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمدانى، عن ابن مسعود وناس من الصحابة: فى قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، قالوا: لما أخرج الله آدم من الجنة، قبل تهبيطه من السماء مسح صفحه ظهره اليمنى، فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر، فقال لهم أدخلوا الجنة برحمتى، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولا أبالى، فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال. ثم أخذ منهم الميثاق، فقال أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، فأعطاه طائفة طائعين، وطائفة كارهين على وجه التقية، فقال هو والملائكة: شهدنا أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل، قالوا فليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف الله أنه ربه وذلك قوله عز وجل: وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وذلك قوله: فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ، يعنى يوم أخذ الميثاق.

أقول: وقد روى حديث الذر كما فى الروايه موقوفة وموصولة عن عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، كعلى عليه السلام، وابن عباس، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمر، وسلمان، وأبى هريرة، وأبى أمامة، وأبى سعيد الخدرى، وعبدالله بن مسعود، وعبدالرحمان بن قتادة، وأبى الدرداء وأنس ومعاوية وأبى موسى الأشعرى. كما روى من طرق الشيعة عن على وعلى بن الحسين، (ومحمد بن على)، وجعفر بن محمد، والحسن بن على العسكرى عليهم السلام.

ومن طرق أهل السنة أيضاً عن على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد بطرق كثيرة، فليس من البعيد أن يدعى تواتره المعنوى.

واعلم أن الروايات فى الذر كثيره جداً، وقد تركنا إيراد أكثرها لوفاء ما أوردنا من ذلك بمعناها. وهنا روايات أخر فى أخذ الميثاق عن النبى صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء عليهم السلام سنوردها فى محلها إن شاء الله تعالى. انتهى.

عوالم وجود الإنسان

تحصل من بحث صاحب الميزان رحمه الله أنه جعل الاقوال فى عالم الذر ثلاثة:

الأول: نفى وجود عالم الذر، والقول بأن ما ورد فى الآية من إشهاد الناس وإقرارهم بالربوبية، إنما هو تعبير مجازى عن تكوينهم الذى يهديهم إلى ربهم تعالى. وهو قول عدد من المتأثرين بالفلسفة اليونانية من القدماء، وبالثقافة الغربية من المتأخرين.

الثانى: أن عالم الذر بمعنى أن الله تعالى استخرج نطف أبناء آدم عليه السلام من ظهره، ثم من ظهور أبنائه إلى آخر أب، ثم كونهم بشكل معين وأشهدهم فأقروا، ثم أعادهم إلى حالتهم الأولى فى ظهر آدم عليه السلام. وقد ذهب إليه بعض المفسرين من السنة والشيعة.

الثالث: أن عالم الذر هو عالم الملكوت والخزائن، وهو الوجه الذى اختاره صاحب الميزان رحمه الله وأطال فى الكلام حوله واختصر فى الإستدلال عليه.

ولكن يرد عليه إشكالات متعددة، أهمها:

أولاً ـ أن عالم الملكوت اسم عام لكل عوالم ملك الله تعالى، وتفسير عالم الذر به لا يحل المشكلة، لأنه يبقى السؤال وارداً: فى أى عالم من ملكوت الله تعالى تم خلق الناس وأخذ الميثاق منهم؟

ثانياً: أن تفسير عالم الذر بعالم الملكوت تفسير استحسانى لا دليل عليه، وطريقنا إلى معرفة عوالم خلق الله وأفعاله سبحانه وتعالى،

محصور بما أخبرنا به النبی وآله صلی الله علیهم، وما دل العقل علیه بدلالة قطعیة، لا ظنیة أو احتمالیة.

ثالثاً: أن عوالم وجود النبی وآله صلی الله علیه وآله ووجود الناس قبل هذا العالم، وردت فیها أحادیث کثیرة لا یمکن إغفالها فی البحث، کما فعل بعضهم، ولا نفیها بجرة قلم کما فعل بعضهم، کما لا یمکن دمجها فی عالم واحد کعالم الملکوت أو الخزائن کما فعل صاحب المیزان رحمه الله بل هی عوالم متعددة قد تصل إلی عشرة عوالم، نذکر منها:

عالم الأنوار الأولی: أو عالم الاشباح، وهو أول ظلال أو فی خلقه الله تعالی من نور عظمته، وهو نور نبینا وآله صلی الله علیه وعلیهم.

عالم الأظلة: الذی تم فیه خلق جمیع الناس وتعارفهم.

عالم الذر، الذی أخذ فیه المیثاق علی الناس، وتدل الأحادیث علی أنه نفس عالم الأظلة أو مرتبط به بنحو من الإرتباط.

عالم الطینة، التی خلق منها الناس.

وذکرت أحادیث أخری أن خلق الأرواح تم قبل خلق الاجساد.. الخ.

کما ذکرت الآیات والأحادیث عوالم أخری مثل قوله تعالی: هَلْ أَتَی عَلَی الإنْسَانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ یَکُنْ شَیْئًا مَذْکُوراً. أی کان فی ذلک الحین شیئاً، ولکنه غیر مذکور، کما ورد فی الروایة عن الإمام الباقر علیه السلام.

وهذه العوالم کلها من عالم الملکوت ومن خزائن ملکه تعالی، ولکنها لیست نفس عالم الملکوت ولا الخزائن.

وقد تقدم عدد من روایات العوالم الأربعة الأولی، ونورد فیما یلی عدداً آخر، وبعضها نص علی أن عالم الذر هو عالم الأظلة.

من روایات عالم الأشباح (ظلال النور).

الأصول الستة عشر/۱۵: (عباد عن عمرو، عن أبی حمزة قال: سمعت علی بن الحسین علیه السلام یقول: إن الله خلق محمداً وعلیاً وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحاً فی ضیاء نوره یعبدونه قبل خلق الخلق، یسبحون الله ویقدسونه، وهم الأئمة من ولد رسول الله صلی الله علیه وآله.

ورواه الکلینی فی الکافی:۱/۵۳۰، عن محمد بن یحیی، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن الحسین، عن أبی سعید العصفوری، عن عمرو بن ثابت، عن أبی حمزة... کما فی الأصول الستة عشر.

الکافی:۱/۴۴۲: (الحسین (عن محمد) بن عبد الله، بن محمد بن سنان، عن المفضل، عن جابر بن یزید قال: قال لی أبو جعفر علیه السلام: یا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمداً صلی الله علیه وآله وعترته الهداة المهتدین، فکانوا أشباح نور بین یدی الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظل النور، أبدان نورانیة بلا أرواح، وکان مؤیداً بروح واحدة وهی روح القدس، فبه کان یعبد الله وعترته، ولذلک خلقهم حلماء علماء بررة أصفیاء، یعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبیح والتهلیل، ویصلون الصلوات ویحجون ویصومون. انتهی. ورواه البحرانی فی حلیة الأبرار:۱/۱۹

علل الشرائع:۱/۲۰۸: (حدثنا إبراهیم بن هارون الهاشمی قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبی الثلج قال: حدثنا عیسی بن مهران قال: حدثنا منذر الشراک قال: حدثنا إسماعیل بن علیة قال: أخبرنی أسلم بن میسرة العجلی، عن أنس بن مالک، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: إن الله عز وجل خلقنی وعلیاً وفاطمة والحسن والحسین قبل أن یخلق الدنیا بسبعة آلاف عام. قلت فأین کنتم یا رسول الله؟ قال: قدام العرش نسبح الله تعالی ونحمده ونقدسه ونمجده. قلت: علی أی مثال؟ قال: أشباح نور، حتی إذا أراد الله عز وجل أن یخلق صورنا صیرنا عمود نور، ثم قذفنا فی صلب آدم، ثم أخرجنا إلی أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ولا یصیبنا نجس الشرک ولا سفاح الکفر، یسعد بنا قوم ویشقی بنا آخرون، فلما صیرنا إلی صلب عبد المطلب أخرج ذلک النور فشقه نصفین فجعل نصفه فی عبد الله ونصفه فی أبی طالب، ثم أخرج النصف الذی لی إلی آمنة والنصف إلی فاطمة بنت أسد فأخرجتنی آمنة وأخرجت فاطمة علیاً، ثم أعاد عز وجل العمود إلی فخرجت منی فاطمة، ثم أعاد عز وجل العمود إلی علی فخرج منه الحسن والحسین

ـ یعنی من النصفین جمیعاً ـ فما کان من نور علی فصار فی ولد الحسن، وما کان من نوری صار فی ولد الحسین، فهو ینتقل فی الأئمة من ولده إلی یوم القیامة.

شرح الأخبار:۳/۶: (صفوان الجمال قال: دخلت علی أبی عبدالله جعفر بن محمد علیه السلام وهو یقرأ هذه الآیة: فَتَلَقَّیءادَمُ مِن رَّبِّهِ کَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَیْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیمُ. ثم التفت إلی فقال: یا صفوان إن الله تعالی ألهم آدم علیه السلام أن یرمی بطرفه نحو العرش، فإذا هو بخمسة أشباح من نور یسبحون الله ویقدسونه، فقال آدم: یا رب من هؤلاء؟ قال: یا آدم صفوتی من خلقی، لولاهم ما خلقت الجنة ولا النار، خلقت الجنة لهم ولمن والاهم، والنار لمن عاداهم. لو أن عبداً من عبادی أتی بذنوب کالجبال الرواسی ثم توسل إلیّ بحق هؤلاء لعفوت له.

فلما أن وقع آدم فی الخطیئة قال: یا رب بحق هؤلاء الأشباح اغفر لی، فأوحی الله عز وجل إلیه: إنک توسلت إلی بصفوتی وقد عفوت لک. قال آدم: یا رب بالمغفرة التی غفرت إلا أخبرتنی من هم؟ فأوحی الله إلیه: یا آدم هؤلاء خمسة من ولدک، لعظیم حقهم عندی اشتققت لهم خمسة أسماء من أسمائی، فأنا المحمود وهذا محمد، وأنا الأعلی وهذا علی، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، وأنا الإحسان وهذا الحسین.

شرح الأخبار:۳/۵۱۴: (عن عبدالقادر بن أبی صالح، عن هبة الله بن موسی، عن هناد بن إبراهیم، عن الحسن بن محمد، عن محمد بن فرحان، عن محمد بن یزید، عن اللیث بن سعد، عن العلاء بن عبدالرحمان، عن أبیه، عن أبی هریرة، عن النبی (علیهما السلام): أنه لما خلق الله تعالی آدم أبا البشر ونفخ فیه من روحه التفت آدم یمنة العرش فإذا فی النور خمسة أشباح... الحدیث.

شرح الأخبار:۲/۵۰۰: (أحمد بن محمد بن عیسی المصری، بإسناده عن أبی هریرة قال: سمعت رسول الله (علیهما السلام) یقول: لما خلق الله عز وجل آدم (علیه السلام) ونفخ فیه من روحه، نظر آدم (علیه السلام) یمنة العرش، فإذا من النور خمسة أشباح علی صورته رکعاً سجداً فقال: یا رب هل خلقت أحداً من البشر قبلی؟ قال: لا. قال: فمن هؤلاء الذین أراهم علی هیئتی وعلی صورتی؟ قال: هؤلاء خمسة من ولدک، لولاهم ما خلقتک ولا خلقت الجنة ولا النار ولا العرش ولا الکرسی ولا السماء ولا الأرض ولا الملائکة ولا الإنس ولا الجن، هؤلاء خمسة اشتققت لهم أسماء من أسمائی، فأنا المحمود وهذا محمد وأنا الأعلی وهذا علی، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا حسن، وأنا المحسن وهذا الحسین....

تحف العقول/۱۶۳:

... بل اشتقاق الحقیقة والمعنی من اسمه تعالی کما جاء فی حدیث المعراج: إن الله تعالی قال لی: یا محمد اشتققت لک إسماً من أسمائی فأنا المحمود وأنت محمد، واشتققت لعلی إسماً من أسمائی فأنا الأعلی وهو علی، وهکذا فاطمة والحسن والحسین علیهم السلام فکلهم أشباح نور من نوره تعالی جل اسمه.

کفایة الاثر/۷۰: (قال هارون: حدثنا حیدر بن محمد بن نعیم السمرقندی، قال حدثنی أبوالنصر محمد بن مسعود العیاشی، عن یوسف بن المشحت البصری، قال حدثنا إسحق بن الحارث، قال حدثنا محمد بن البشار، عن محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة، عن هشام بن یزید، عن أنس بن مالک قال: کنت أنا وأبوذر وسلمان وزید بن ثابت وزید بن أرقم عند النبی صلی الله علیه وآله ودخل الحسن والحسین (علیهما السلام) فقبلهما رسول الله صلی الله علیه وآله وقام أبوذر فانکب علیهما وقبل أیدیهما، ثم رجع فقعد معنا، فقلنا له سراً: أرأیت رجلاً ـ شیخاً من أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله یقوم إلی صبیین من بنی هاشم فینکب علیهما ویقبل أیدیهما؟ فقال: نعم، لو سمعتم ما سمعت فیهما من رسول الله صلی الله علیه وآله لفعلتم بهما أکثر مما فعلت. قلنا: وماذا سمعت یا أباذر؟ قال: سمعته یقول لعلی ولهما: یا علی والله لو أن رجلاً صلی وصام حتی یصیر کالشن البالی إذاً ما نفعه صلاته وصومه إلا بحبکم، یا علی من توسل إلی الله بحبکم فحق علی الله أن لا ـ یرده، یا علی من أحبکم وتمسک بکم فقد تمسک بالعروة الوثقی. قال: ثم قام أبوذر وخرج، وتقدمنا إلی رسول الله صلی الله علیه وآله فقلنا: یا رسول الله أخبرنا أبوذر عنک بکیت وکیت.

قال: صدق أبوذر، صدق والله، ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر. ثم قال: خلقنى الله تبارك وتعالى وأهل بيتى من نور واحد قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام، ثم نقلنا إلى صلب آدم، ثم نقلنا من صلبه فى أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، فقلت: يا رسول الله فأين كنتم وعلى أى مثال كنتم؟ قال: كنا أشباحاً من نور تحت العرش نسبح الله تعالى ونمجده، ثم قال: لما عرج بى إلى السماء وبلغت سدرة المنتهى ودعنى جبرئيل عليه السلام فقلت:حبيبى جبرئيل أفى هذا المقام تفارقنى؟ فقال: يا محمد إنى لا أجوز هذا الموضع فتحترق أجنحتى.

ثم زج بى فى النور ما شاء الله، فأوحى الله إلى: يا محمد إنى اطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فجعلتك نبياً، ثم اطلعت ثانياً فاخترت منها علياً فجعلته وصيك ووارث علمك والإمام بعدك، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة والأئمة المعصومين خزان علمى، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ولا الجنة ولا النار. يا محمد أتحب أن تراهم قلت: نعم يا رب، فنوديت: يا محمد إرفع رأسك، فرفعت رأسى فإذا أنا بأنوار على والحسن والحسين وعلى بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلى بن موسى ومحمد بن على وعلى بن محمد والحسن بن على، والحجة يتلألأ من بينهم كأنه كوكب درى، فقلت: يا رب من هؤلاء، ومن هذا؟ قال: يا محمد هم الأئمة بعدك المطهرون من صلبك، وهو الحجة الذى يملا الأرض قسطاً وعدلاً ويشفى صدور قوم مؤمنين.

قلنا: بآبائنا وأمهاتنا أنت يا رسول الله لقد قلت عجباً. فقال عليه السلام: وأعجب من هذا أن قوماً يسمعون منى هذا ثم يرجعون على أعقابهم بعد إذ هداهم الله، ويؤذونى فيهم، لا أنالهم الله شفاعتى.

بصائر الدرجات/۸۳: (أحمد بن محمد ويعقوب بن يزيد، عن الحسن بن على بن فضال، عن أبى جميلة، عن محمد بن الحلبى، عن أبى عبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله مثَّل لى أمتى فى الطين وعلمنى أسماءهم كلها، كما علم آدم الأسماء كلها، فمر بى أصحاب الرايات فاستغفرت لعلى وشيعته، إن ربى وعدنى فى شيعة على خصلة، قيل يا رسول الله وما هى؟ قال المغفرة منهم لمن آمن واتقى، لا يغادر منهم صغيرة ولا كبيرة، ولهم تبدل السيئات حسنات.

الحسن بن محبوب عن صالح بن سهل عن أبى عبد الله عليه السلام: أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: بأى شئ سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ قال: إنى كنت أول من أقر بربى وأول من أجاب، حيث أخذ الله ميثاق النبيين وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، وكنت أنا أول نبى قال بلى، فسبقتهم بالإقرار بالله.

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسن بن على بن النعمى، عن ابن مسكان، عن عبدالرحيم القصير، عن أبى جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أمتى عرضت علىَّ عند الميثاق، وكان أول من آمن وصدقنى على، وكان أول من آمن بى وصدقنى حيث بعثت فهو الصديق الأكبر.

حدثنا العباس بن معروف، عن حماد بن عيسى، عن أبى الجارود، عن أبى بصير، عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وعنده جماعة من أصحابه: اللهم لقنى إخوانى مرتين، فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول؟ فقال: لا، إنكم أصحابى، وإخوانى قوم من آخر الزمان آمنوا بى ولم يرونى، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشد بقية على دينه من خرط القتاد فى الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا. أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة. انتهى. وروايات البصائر هذه ليس فيها تصريح بعالم الأظلة أو الأشباح، لكن يصح حملها عليه بالقرائن.

من روايات عالم الاظلة

الإعتقادات للصدوق/۲۶: (وقال النبى صلى الله عليه وآله: الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. وقال

الصادق علیه السلام: إن الله آخی بین الأرواح فی الأظلة قبل أن یخلق الأبدان بألفی عام، فلو قد قام قائمنا أهل البیت لورَّث الأخ الذی آخا بینهما فی الأظلة، ولم یورث الأخ من الولادة. انتهی. ورواه فی الفقیه:۴/۳۵۲، ورواه فی بحار الأنوار:۶/۲۴۹، ورواه الصدوق فی الخصال/۱۶۹، قال:حدثنا علی بن أحمد بن موسی (رض) قال: حدثنا حمزة بن القاسم العلوی قال: حدثنا محمد بن عبدالله بن عمران البرقی قال: حدثنا محمد بن علی الهمدانی، عن علی بن أبی حمزة، عن أبی عبدالله وأبی الحسن (علیهما السلام) قالا: لو قد قام القائم لحکم بثلاث لم یحکم بها أحد قبله: یقتل الشیخ الزانی، ویقتل مانع الزکاة، ویورث الأخ أخاه فی الأظلة.

الکافی:۱/۴۴۱: (علی بن محمد، عن سهل بن زیاد، عن محمد بن علی بن إبراهیم، عن علی بن حماد، عن المفضل قال: قلت لابی عبدالله علیه السلام: کیف کنتم حیث کنتم فی الاظلة؟ فقال: یا مفضل کنا عند ربنا لیس عنده أحد غیرنا، فی ظلة خضراء نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده، وما من ملک مقرب ولا ذی روح غیرنا، حتی بدا له فی خلق الأشیاء، فخلق ما شاء کیف شاء من الملائکة وغیرهم، ثم أنهی علم ذلک إلینا. انتهی. والمقصود بقوله علیه السلام: ثم أنهی علم ذلک إلینا، شبیه قوله تعالی: وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمآءَ کُلَّهَا.

الکافی:۱/۴۳۶: (محمد بن یحیی، عن محمد بن الحسین، عن محمد بن إسماعیل بن بزیع، عن صالح بن عقبة، عن عبدالله بن محمد الجعفری، عن أبی جعفر علیه السلام وعن عقبة، عن أبی جعفر علیه السلام قال: إن الله خلق، فخلق ما أحب مما أحب، وکان ما أحب أن خلقه من طینة الجنة، وخلق ما أبغض مما أبغض، وکان ما أبغض أن خلقه من طینة النار، ثم بعثهم فی الظلال. فقلت: وأی شئ الظلال؟ قال: ألم تر إلی ظلک فی الشمس شئ ولیس بشئ، ثم بعث الله فیهم النبیین یدعونهم إلی الإقرار بالله وهو قوله: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَیَقُولُنَّ اللهُ. ثم دعاهم إلی الإقرار بالنبیین، فأقر بعضهم وأنکر بعضهم، ثم دعاهم إلی ولایتنا فأقر بها والله من أحب وأنکرها من أبغض، وهو قوله: فَمَا کَانُوا لِیُؤْمِنُوا بِمَا کَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ. ثم قال أبو جعفر علیه السلام: کان التکذیب ثَمَّ. انتهی.

ورواه فی الکافی:۲/۱۰: عن محمد بن یحیی، عن محمد بن الحسین، عن محمد بن إسماعیل، عن صالح بن عقبة، عن عبدالله بن محمد الجعفی وعقبة، جمیعاً عن أبی جعفر علیه السلام قال... ورواه فی علل الشرائع:۱/۱۱۸، رواه فی بصائر الدرجات /۸۰، وفیه (کان التکذیب ثمت).

الکافی:۸/۲: (حدثنی علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن فضال، عن حفص المؤذن، عن أبی عبد الله علیه السلام، وعن محمد بن إسماعیل بن بزیع، عن محمد بن سنان، عن إسماعیل بن جابر، عن أبی عبد الله علیه السلام أنه کتب بهذه الرسالة إلی أصحابه وأمرهم بمدارستها والنظر فیها وتعاهدها والعمل بها، فکانوا یضعونها فی مساجد بیوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فیها.

قال: وحدثنی الحسن بن محمد، عن جعفر بن محمد بن مالک الکوفی، عن القاسم بن الربیع الصحاف، عن إسماعیل بن مخلد السراج، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: خرجت هذه الرسالة من أبی عبد الله علیه السلام إلی أصحابه:

بسم الله الرحمن الرحیم

أما بعد، فاسألوا ربکم العافیة، وعلیکم بالدعة والوقار والسکینة، وعلیکم بالحیاء والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلکم، وعلیکم بمجاملة أهل الباطل....

وإیاکم وما نهاکم الله عنه أن ترکبوه، وعلیکم بالصمت إلا فیما ینفعکم الله به من أمر آخرتکم ویأجرکم علیه.. وعلیکم بالدعاء، فإن المسلمین لم یدرکوا نجاح الحوائج عند ربهم بأفضل من الدعاء والرغبة إلیه....

فاتقوا الله أیتها العصابة الناجیة أن أتم الله لکم ما أعطاکم، فإنه لا ـ یتم الأمر حتی یدخل علیکم مثل الذی دخل علی الصالحین قبلکم....

واعلموا أنه لیس من علم الله ولا من أمره أن یأخذ أحد من خلق الله فی دینه بهوی ولا رأی ولا مقائیس، قد أنزل الله القرآن وجعل فیه تبیان کل شئ، وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلاً ـ لا ـ یسع أهل علم القرآن الذین آتاهم الله علمه أن یأخذوا فیه بهوی لا رأی ولا

مقائيس، أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصهم به ووضعه عندهم، كرامة من الله أكرمهم بها، وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم، وهم الذين من سألهم – وقد سبق فى علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم ـ أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدى به إلى الله بإذنه، وإلى جميع سبل الحق، وهم الذين لا ـ يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذى أكرمهم الله به وجعله عندهم إلا من سبق عليه فى علم الله الشقاء فى أصل الخلق تحت الاظلة، فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم، وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقائيسهم حتى دخلهم الشيطان....

الأصول الستة عشر/۶۳: (جابر قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية، عن قول الله عز وجل: وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لاسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا، يعنى لو أنهم استقاموا على الولاية فى الأصل تحت الأظلة، حين أخذ الله ميثاق ذرية آدم، لاسقيناهم ماء غدقا: يعنى لأسقينا أظلتهم الماء العذب الفرات.

تفسير القمى:۲/۳۹۱: (أخبرنا أحمد بن إدريس قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن جابر قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول فى هذه الآية: وأن لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً: يعنى من جرى فيه شئ من شرك الشيطان. على الطريقة: يعنى على الولاية فى الأصل عند الأظلة، حين أخذ الله ميثاق ذرية آدم. انتهى. ونحوه فى تفسير نور الثقلين:۵/۴۳۸

بصائر الدرجات/۷۳: (حدثنا أحمد بن محمد، عن على بن الحكم، عن سيف بن عميره، عن أبى بكر الحضرمى، عن حذيفة بن أسيد الغفار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما تكاملت النبوة لنبى فى الأظلة حتى عرضت عليه ولايتى وولاية أهل بيتى، ومثلوا له، فأقروا بطاعتهم وولايتهم.

تفسير العياشى:۲/۱۲۶: (عن زرارة وحمران، عن أبى جعفر وأبى عبدالله (عليهما السلام) قالا ـ إن الله خلق الخلق وهى أظلة، فأرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وآله فمنهم من آمن به ومنهم من كذبه، ثم بعثه فى الخلق الآخر فآمن به من كان آمن فى الأظلة، وجحده من جحد به يومئذ، فقال: ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل.

تفسير فرات الكوفى/۱۴۷:

(فرات قال: حدثنى عثمان بن محمد معنعناً: عن أبى خديجة قال: قال محمد بن على (عليهما السلام): لو علم الناس متى سمى على أمير المؤمنين ما اختلف فيه اثنان.

قال: قلت: متى؟ قال فقال لى: فى الأظلة حين أخذ الله من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا: بلى. محمد نبيكم، على أمير المؤمنين وليكم.)

الايضاح لابن شاذان/۱۰۶: ((... فوالله ما الحق إلا ـ واضح بيّن منير، وما الباطل إلا مظلم كدر، وقد عرفتم موضعه ومستقره، إلا أن الميثاق قد تقدم فى الاظلة بالسعادة والشقاوة، وقد بين الله جل ذكره لنا ذلك بقوله: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا)).

شرح الأسماء الحسنى:۱/۱۶۶: (قد عرف النور بأنه الظاهر بذاته المظهر لغيره وهو القدر المشترك بين جميع مراتبه من الضوء وضوء الضوء والظل وظل الظل، فى كل بحسبه وهذا المعنى حق حقيقة الوجود، إذ كما أنها الموجودة بذاتها وبها توجد المهيات المعدومة بذواتها بل لا موجودة ولا معدومة، كذلك تلك الحقيقة ظاهرة بذاتها مظهرة لغيرها من الأعيان، والمهيات المظلمة بذواتها بل لا مظلمة ولا نورية، فمراتب الوجود من الحقايق والرقايق والأرواح والأشباح والأشعة والأظلة كلها أنوار لتحقق هذا المعنى فيها، حتى فى الأشباح المادية وأظلال الأظلال. انتهى.

ويدل النص التالى على أن حديث عالم الظلال كان معروفاً فى حياة النبى صلى الله عليه وآله ثم غاب من بعده كما غابت أحاديث كثيرة فى فضائله صلى الله عليه وآله والسبب فى ذلك أن هذه الأحاديث فيها ذكر فضل بنى هاشم وبنى عبد المطلب وفضل على

وفاطمة والأئمة الإثنى عشر الموعودين فى هذه الأمة! وقد عتموا عليها ما استطاعوا! وما رووه منها من فضائل النبى صلى الله عليه وآله جردوه من فضائل أهل بيته وعترته إلا ما أفلت منها، وما رواه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم!)

قال فى كنز العمال:۱۲/۴۲۷: (عن ابن عباس قال: سألت رسول الله(ص)فقلت: فداك أبى وأمى أين كنت وآدم فى الجنة؟ فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال: كنت فى صلبه وركب بى السفينة فى صلب أبى نوح، وقذف بى فى صلب أبى إبراهيم، لم يلتق أبواى قط على سفاح، لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً، لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما، قد أخذ الله بالنبوة ميثاقى وبالإسلام عهدى، ونشر فى التوراة والإنجيل ذكرى، وبين كل نبى صفتى، تشرق الأرض بنورى والغمام لوجهى، وعلمنى كتابه، ورقى بى فى سمائه وشق لى اسماً من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدنى أن يحبونى بالحوض والكوثر، وأن يجعلنى أول مشفع، ثم أخرجنى من خير قرن لأمتى وهم الحمادون، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

قال ابن عباس: فقال حسان بن ثابت فى النبى (ص):

من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يُخْصَف الورقُ

ثم سكنت البلاد لا بشرٌ أنت ولا نطفةٌ ولا علقُ

مطهرٌ تركب السفين وقد ألجمَ أهل الضلالة الغرق

تُنقل من صلب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

فقال النبى (ص): يرحم الله حساناً! فقال على بن أبى طالب: وجبت الجنة لحسان ورب الكعبة. كر، وقال: هذا حديث غريب جداً، والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس. انتهى. ولكن نسبة هذه الأبيات إلى حسان أولى، فهى تشبه شعره إلى حد كبير، ولم يعهد فى التاريخ شعر للعباس عم النبى، كما عهد لعمه أبى طالب صلى الله عليه وآله. ورواه فى مجمع الزوائد للعباس فى:۸/۲۱۷، وقال: رواه الطبرانى وفيهم من لم أعرفهم، قال:

وعن خريم بن أوس بن جارية بن لام قال: كنا عند النبى(ص)فقال له العباس بن عبدالمطلب: يا رسول الله إنى أريد أن أمدحك، فقال له (ص): هات لا يفضض الله فاك، فأنشأ يقول:

قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرق

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

وأنت لما ولدت أشرقت الأ رض وضاءت بنورك الأفق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النور سبل الرشاد نخترق

وروى نحوه فى مناقب آل ابى طالب:۱/۲۷

وفى مناقب آل ابى طالب:۲/۱۷:

أشباحكم كن فى بدو الظلال له دون البرية خداماً وحجاب

وأنتمُ الكلمات اللاى لقنها جبريل آدم عند الذنب إذ تاب

وأنتمُ قبلة الدين التى جعلت للقاصدين إلى الرحمن محراب

وقد روى إخواننا السنة أحاديث كثيرة وصححوا عدداً منها تنص على أن خلق النبى ونبوته صلى الله عليه وآله قد تما قبل خلق آدم عليه السلام ولكنها مجردة عن فضل أهل بيته، ففى مسند أحمد:۴/۱۲۷: (الكلبى عن عبد الله بن هلال السلمى، عن عرباض بن سارية

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى عبد الله لخاتم النبيين وإن آدم عليه السلام لمنجدل فى طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى بى، ورؤيا أمى التى رأت، وكذلك أمهات النبيين يَرَيْنَ. انتهى. ورواه فى مستدرك الحاكم:۲/۴۱۸ وص ۶۰۰ فى/۶۰۸ وزاد فيه: (وإن أم رسول الله صلى الله عليه وآله رأت حين وضعته له نورا أضاءت لها قصور الشام، ثم تلا: يا أيها النبى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إلى اللهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه فى مجمع الزوائد:۸/۲۲۳ تحت عنوان: باب قدم نبوته صلى الله عليه وآله كما فى الحاكم وقال (رواه أحمد بأسانيد، والبزار، والطبرانى بنحوه، وقال: سأحدثكم بتأويل ذلك: دعوة إبراهيم دعا، وابعث فيهم رسولاً منهم، وبشارة عيسى بن مريم قوله، ومبشراً برسول يأتى من بعدى إسمه أحمد، ورؤيا أمى التى رأت فى منامها أنها وضعت نوراً أضاءت منه قصور الشام. وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان.

وعن ميسرة العجر قال قلت يا رسول الله متى كتبت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. رواه أحمد والطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

وعن عبدالله بن شقيق عن رجل قال قلت يا رسول الله متى جعلت نبياً؟ قال: وآدم بين الروح والجسد. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وعن ابن عباس قال: قيل يا رسول الله متى كتبت نبياً؟ قال وآدم بين الروح والجسد. رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار، وفيه جابر بن يزيد الجعفى وهو ضعيف.

وعن أبى مريم قال أقبل أعرابى حتى أتى النبى(ص)وعنده خلق من الناس فقال: ألا تعطينى شيئاً أتعلمه وأحمله وينفعنى ولا يضرك، فقال الناس مه أجلس، فقال النبى(ص)دعوه فإنما يسأل الرجل ليعلم، فأفرجوا له حتى جلس، فقال: أى شئ كان أول نبوتك؟ قال: أخذ الميثاق كما أخذ من النبيين، ثم تلا: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا، وبشرى المسيح عيسى بن مريم، ورأت أم رسول الله (ص)فى منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام.

فقال الأعرابى هاه وأدنى منه رأسه وكان فى سمعه شئ، فقال النبى(ص)ووراء ذلك. رواه الطبرانى ورجاله وثقوا.

وروى أحاديثه فى كنز العمال:۱۱/۴۰۹ وقال فى مصادرها: (ابن سعد، حل ـ عن ميسرة الفجر، ابن سعد ـ عن ابن أبى الجدعاء، طب ـ عن ابن عباس). وقال فى هامشه: أخرجه الترمذى كتاب المناقب باب فضل البنى(ص)رقم(۳۶۰۹) وقال: حسن صحيح غريب.

وفى:۱۱/۴۱۸ وص ۴۴۹ وص ۴۵۰، وقال فى مصادره (حم، طب، ك، حل، هب ـ عن عرباض بن سارية). (حم وابن سعد، طب، ك، حل هب ـ عن عرباض بن سارية) (ابن سعد ـ عن مطرف بن عبدالله بن الشخير) (ابن سعد ـ عن عبدالله بن شقيق عن أبيه أبى الجدعاء، ابن قانع ـ عن عبدالله بن شقيق عن أبيه، طب ـ عن ابن عباس، ابن سعد ـ عن ميسرة الفجر) (ابن عساكر ـ عن أبى هريرة)

ورواها السيوطى عن المصادر المتقدمة وغيرها فى الدر المنثور:۱/۱۳۹ وج ۵/۱۸۴ وص ۲۰۷ وج ۶/۲۱۳.

وروى إخواننا كذلك أحاديث متعددة عن اختيار الله تعالى لبنى هاشم تؤيد هذه الأحاديث، وليس هذا مقام الكلام فيها.

من روايات عالم طينة الخلق

مجمع الزوائد:۹/۱۲۸: (وعن بريدة قال: بعث رسول الله(ص)علياً أميراً على اليمن، وبعث خالد بن الوليد على الجبل، فقال: إن اجتمعتما فعلى على الناس، فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيبوا مثله، وأخذ علىٌّ جاريةً من الخمس، فدعا خالد ابن الوليد بريدة فقال: إغتنمها فأخبر النبى(ص)ما صنع!

فقدمت المدينة ودخلت المسجد ورسول الله(ص)فى منزله، وناس من أصحابه على بابه، فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟

فقلت: خيراً فتح الله على المسلمين. فقالوا: ما أقدمك؟ قلت: جارية أخذها على من الخمس! فجئت لاخبر النبى(ص).

فقالوا: فأخبر النبی(ص)فإنه یسقط من عین النبی(ص)! ورسول الله(ص)یسمع الکلام، فخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام ینتقصون علیاً! من تنقص علیاً فقد تنقصنی، ومن فارق علیاً فقد فارقنی. إن علیاً منی وأنا منه، خلق من طینتی وخلقت من طینهٔ إبراهیم، وأنا أفضل من إبراهیم ذریهٔ بعضها من بعض والله سمیع علیم. یا بریدهٔ أما علمت أن لعلی أکثر من الجاریهٔ التی أخذ، وأنه ولیکم بعدی! فقلت: یا رسول الله بالصحبهٔ إلا بسطت یدک فبایعتنی علی الإسلام جدیداً! قال: فما فارقته حتی بایعته علی الإسلام. رواه الطبرانی فی الأوسط، وفیه جماعهٔ لم أعرفهم وحسین الأشقر ضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان.

مجمع الزوائد:۵/۲۰۸: (وعن جابر ـ قال: لما قدم جعفر من أرض الحبشهٔ تلقاه رسول الله، فلما نظر إلی رسول الله حجل إعظاماً لرسول الله(ص)فقبل رسول الله بین عینیه، وقال له: یا حبیبی أنت أشبه الناس بخلقی وخلقی، وخلقت من الطینهٔ التی خلقت منها، یا حبیبی حدثنی عن بعض عجائب أهل الحبشهٔ. قال: نعم بأبی أنت وأمی یا رسول الله، بینا أنا قائم فی بعض طرقها إذ أنا بعجوز علی رأسها مکیل، وأقبل شاب یرکض علی فرس فزحمها وألقی المکیل عن رأسها، واستوت قائمهٔ وأتبعته البصر وهی تقول: الویل لک غداً إذا جلس الملک علی کرسیه فاقتص للمظلوم من الظالم! قال جابر: فنظر إلی رسول الله(ص)وهو یقول: لا قدس الله أمهٔ لا تأخذ للمظلوم حقه من الظالم غیر متعتع. رواه الطبرانی فی الأوسط وفیه مکی بن عبد الله الرعینی وهو ضعیف. انتهی. ورواه فی مجمع الزوائد:۹/۲۷۲، وروی أیضاً:

وعن أسامهٔ بن زید أن النبی(ص)قال لجعفر: خلقک کخلقی وأشبه خلقی خلفک فأنت منی، وأنت یا علی فمنی وأبو ولدی. رواه الطبرانی عن شیخه أحمد بن عبدالرحمن بن عفال وهو ضعیف.

کنز العمال:۱۱/۶۶۲: (خلق الناس من أشجار شتی، وخلقت أنا وجعفر من طینهٔ واحدهٔ. ابن عساکر عن وهب بن جعفر بن محمد عن أبیه مرسلاً، ووهب کان یضع الحدیث.

مسند جابر بن عبدالله، عن مکی بن عبدالله الرعینی، ثنا سفیان بن عیینهٔ، عن ابن الزبیر، عن جابر قال: لما قدم جعفر من أرض الحبشهٔ تلقاه رسول الله، فلما نظر جعفر إلی رسول الله حجل إعظاماً منه لرسول الله(ص)، فقبل رسول الله بین عینیه وقال: یا حبیبی! أنت أشبه الناس بخلقی وخلقی وخلقت من الطینهٔ التی خلقت منها یا حبیبی. عق، وأبو نعیم، قال عق غیر محفوظ، وقال فی المیزان: مکی له مناکیر، وقال فی المغنی: تفرد عن ابن عیینهٔ بحدیث عب. انتهی. ورواه فی کنز العمال:۱۱/۶۶۲، بعدهٔ روایات فی بعضها من طینتی وفی بعضها من شجرتی.

الکافی:۲/۲: (علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن حماد بن عیسی، عن ربعی بن عبد الله عن رجل، عن علی بن الحسین (علیهما السلام) قال: إن الله عز وجل خلق النبیین من طینهٔ علیین: قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنین من تلک الطینهٔ و (جعل) خلق أبدان المؤمنین من دون ذلک وخلق الکفار من طینهٔ سجین، قلوبهم وأبدانهم، فخلط بین الطینتین، فمن هذا یلد المؤمن الکافر ویلد الکافر المؤمن، ومن هاهنا یصیب المؤمن السیئهٔ، ومن هاهنا یصیب الکافر الحسنهٔ. فقلوب المؤمنین تحن إلی ما خلقوا منه وقلوب الکافرین تحن إلی ما خلقوا منه. انتهی. ورواه فی علل الشرائع:۱/۸۲ وروی فی/۱۱۶: محمد بن یحیی، عن محمد بن الحسن، عن النضر بن شعیب، عن عبدالغفار الجازی، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: إن الله عز وجل خلق المؤمن من طینهٔ الجنهٔ وخلق الکافر من طینهٔ النار. وقال: إذا أراد الله عز وجل بعبد خیراً طیب روحه وجسده فلا یسمع شیئاً من الخیر إلا عرفه ولا یسمع شیئاً من المنکر إلا أنکره.

قال وسمعته یقول: الطینات ثلاث: طینهٔ الأنبیاء والمؤمن من تلک الطینهٔ إلا أن الأنبیاء هم من صفوتها، هم الأصل ولهم فضلهم، والمؤمنون الفرع من طین لازب، کذلک لا ـ یفرق الله عز وجل بینهم وبین شیعتهم. وقال: طینهٔ الناصب من حمأ مسنون، وأما المستضعفون فمن تراب، لا یتحول مؤمن عن إیمانه ولا ناصب عن نصبه، ولله المشیئهٔ فیهم.

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن محبوب، عن صالح بن سهل قال: قلت لابی عبد الله علیه السلام: جعلت فداک من أی شئ خلق الله عزوجل طینهٔ المؤمن؟ فقال: من طینهٔ الأنبیاء، فلم تنجس أبداً.

محمد بن يحيي وغيره، عن أحمد بن محمد وغيره، عن محمد بن خلف، عن أبى نهشل قال: حدثنى محمد بن إسماعيل، عن أبى حمزة الثمالى قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله عز وجل خلقنا من أعلى عليين، وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، وقلوبهم تهوى إلينا لأنها خلقت مما خلقنا منه، ثم تلا هذه الآية: كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ.كتاب مرقوم يشهده المقربون. وخلق عدونا من سجين، وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إليهم، لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآية: كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ. انتهى. ورواه فى علل الشرائع: ١/١١٦

الكافى:١/٣٨٩: (أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن محمد بن شعيب، عن عمران بن إسحاق الزعفرانى، عن محمد بن مروان، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لاحد فى مثل الذى خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة... الحديث.

الكافى:١/٤٠٢: (أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسين، عن منصور بن العباس، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، عن محمد بن عبد الخالق وأبى بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمد... وإن عندنا سراً من سر الله وعلماً من علم الله أمرنا الله بتبليغه، فبلغنا عن الله عز وجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمالة يحتملونه حتى خلق الله لذلك أقواماً، خلقوا من طينة خلق منها محمد وآله وذريته عليهم السلام ومن نور خلق الله منه محمداً وذريته، وصنعهم بفضل صنع رحمته التى صنع منها محمداً وذريته، فبلغنا عن الله ما أمرنا بتبليغه فقبلوه واحتملوا ذلك، وبلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا، فلولا أنهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك، لا والله ما احتملوه... الحديث.

من آيات و روايات عالم الملكوت

قال تعالى: أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَئ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ. الاعراف ١٨٤-١٨٥

وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَآ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ. فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. الأنعام: ٧٥ ـ ٧٧

قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَئ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ. المؤمنون: ٨٨ ـ ٨٩

فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَئ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. يس: ٨٣

نهج البلاغة:١/١٦٢: (... هو القادر الذى إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوساوس أن يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته، وتولهت القلوب إليه لتجرى فى كيفية صفاته، وغمضت مداخل العقول فى حيث لا تبلغه....

نهج البلاغة:١/١٦٣: (وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قدرته، ما دلنا باضطرار قيام الحجة...

نهج البلاغة:١/١٦٨: (ثم خلق سبحانه لاسكان سماواته، وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته، خلقاً بديعاً من ملائكته ملا بهم فروج فجاجها، وحشى بهم فتوق أجوائها. وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم فى حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد. ووراء ذلك الرجيج الذى تستك منه الأسماع....

نهج البلاغة:٢/٤٥: (الحمد لله الذى انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته، وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكوته....

مستدرک الوسائل:۱۱/۱۸۵: (الآمدی فی الغرر، عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه قال: التفکر فی ملکوت السماوات والأرض عبادة المخلصین.

الکافی:۱/۳۵: (عن حفص بن غیاث قال: قال لی أبوعبدالله علیه السلام: من تعلم العلم وعمل به وعلم لله، دعی فی ملکوت السماوات عظیماً، فقیل: تعلم لله واعمل لله وعلم لله. انتهی.

وروی نحوه فی کنز العمال:۱۰/۱۶۴ وفی سنن الترمذی:۴/۱۵۵، وروی فی مجمع الزوائد:۱۰/۲۴۸: (البراء بن عازب قال قال رسول الله (ص): من قضی نهمته فی الدنیا حیل بینه وبین شهوته فی الآخرة، ومن مد عینیه إلی زینة المترفین، کان مهیناً فی ملکوت السموات. ومن صبر علی القوت الشدید صبراً جمیلاً أسکنه الله من الفردوس حیث شاء.

وسائل الشیعة:۱۱/۲۷۸: (ثم قال: وذلک إذا انتهکت المحارم، واکتسب المآثم، وتسلط الأشرار علی الاخیار، ویفشو الکذب، وتظهر الحاجة، وتفشو الفاقة، ویتباهون فی الناس، ویستحسنون الکوبة والمعازف، وینکر الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر.. إلی أن قال: فأولئک یدعون فی ملکوت السماء: الأرجاس الأنجاس.... الحدیث.

الکافی:۱/۹۳: (محمد بن أبی عبدالله رفعه قال: قال أبوعبدالله علیه السلام: یا ابن آدم لو أکل قلبک طائر لم یشبعه، وبصرک لو وضع علیه خرق أبرة لغطاه، ترید أن تعرف بهما ملکوت السماوات والأرض، إن کنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله فإن قدرت أن تملأ عینیک منها فهو کما تقول.

الکافی:۱/۲۷۳: (علی بن إبراهیم، عن محمد بن عیسی، عن یونس، عن ابن مسکان، عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبدالله علیه السلام عن قول الله عز وجل: وَیَسْأَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی، قال: خلق أعظم من جبرئیل ومیکائیل، کان مع رسول الله صلی الله علیه وآله وهو مع الأئمة، وهو من الملکوت.

الکافی:۲/۲۶۳: (علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن النوفلی، عن السکونی، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: قال النبی صلی الله علیه وآله: طوبی للمساکین بالصبر، وهم الذین یرون ملکوت السماوات والأرض.

تفسیر الإمام العسکری/۵۱۳:

وَکَذَلِکَ نُرِی إِبْرَاهِیمَ مَلَکُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِیَکُونَ مِنَ الْمُوقِنِینَ، قوی الله بصره لما رفعه دون السماء حتی أبصر الأرض ومن علیها ظاهرین ومستترین، فرأی رجلاً وامرأة علی فاحشة فدعا علیهما بالهلاک فهلکا، ثم رأی آخرین فدعا علیهما بالهلاک فهلکا، ثم رأی آخرین فهم بالدعاء علیهما، فأوحی الله تعالی إلیه: یا إبراهیم أکفف دعوتک من عبادی وإمائی... الحدیث. انتهی. وروی نحوه فی الکافی:۸/۳۰۵ وفی کنز العمال:۴/۲۶۹.

علل الشرائع:۱/۱۳۱: (قالوا حدثنا محمد بن أبی عبدالله الکوفی الأسدی، عن موسی بن عمران النخعی، عن عمه الحسین بن یزید النوفلی، عن علی بن سالم عن أبیه، عن ثابت بن دینار قال سألت زین العابدین علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب علیه السلام عن الله جل جلاله: هل یوصف بمکان؟ فقال: تعالی عن ذلک. قلت: فلم أسری بنبیه محمد صلی الله علیه وآله إلی السماء؟ قال: لیریه ملکوت السموات، وما فیها من عجائب صنعه وبدایع خلقه....

علل الشرائع:۱/۱۵: (حدثنا علی بن أحمد، عن محمد بن أبی عبدالله، عن محمد بن إسماعیل البرمکی قال: حدثنا جعفر بن سلیمان بن أیوب الخزاز قال: حدثنا عبدالله بن الفضل الهاشمی قال: قلت لابی عبدالله علیه السلام: لأی علة جعل الله عز وجل الأرواح فی الأبدان بعد کونها فی ملکوته الأعلی فی أرفع محل؟ فقال علیه السلام: إن الله تبارک وتعالی علم أن الأرواح فی شرفها وعلوها متی ما ترکت علی حالها نزع أکثرها إلی دعوی الربوبیة دونه عز وجل، فجعلها بقدرته فی الأبدان التی قدر لها فی ابتداء التقدیر نظراً لها ورحمة بها، وأحوج بعضها إلی بعض وعلق بعضها علی بعض ورفع بعضها علی بعض فی الدنیا، ورفع بعضها فوق بعض درجات فی الآخرة، وکفی بعضها ببعض.

قلت: فقول الله عز وجل: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى.؟ قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من حجب النور فرأى ملكوت السموات، ثم تدلى صلى الله عليه وآله فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن أنه فى القرب من الأرض، كقاب قوسين أو أدنى.

وقد روت مصادر إخواننا السنة عدداً من الروايات عن عالم الملكوت، كالتى رواها أحمد فى مسنده:۲/۳۶۳، من حديث المعراج... فلما نزلت وانتهيت إلى سماء الدنيا فإذا أنا برهج ودخان وأصوات فقلت من هؤلاء؟ قال: الشياطين يحرفون على أعين بنى آدم أن لا يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض، ولولا ذلك لرأت العجائب.

وروى الهيثمى فى مجمع الزوائد:۹/۱۷۸: (وعن رقبة بن مصقلة قال لما حصر الحسين بن على رضى الله عنهما قال: أخرجونى إلى الصحراء لعلى أتفكر أنظر فى ملكوت السماوات يعنى الآيات، فلما أخرج به قال: اللهم إنى أحتسب نفسى عندك فإنها أعز الأنفس علىَّ، وكان مما صنع الله له أنه أحتسب نفسه. رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، إلا أن رقبة لم يسمع من الحسن فيما أعلم، وقد سمع من أنس فيما قيل.

من آيات و روايات عالم الخزائن

وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ. وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ. وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ. الحجر: ۱۹ ـ ۲۱

الصحيفة السجادية:۱/۷۱: (اللهم يا منتهى مطلب الحاجات، ويا من عنده نيل الطلبات، ويا من لا يبيع نعمه بالأثمان، ويا من لا يكدر عطاياه بالإمتنان، ويا من يستغنى به ولا يستغنى عنه، ويا من يرغب إليه ولا يرغب عنه، ويا من لا تفنى خزائنه المسائل، ويا من لا تبدل حكمته الوسائل، ويا من لا تنقطع عنه حوائج المحتاجين، ويا من لا يعنيه دعاء الداعين....

مصباح المتهجد/۴۶۷: (سبحان الحى القيوم، سبحان الدائم الباقى الذى لا يزول، سبحان الذى لا تنقص خزائنه، سبحان من لا ينفد ما عنده، سبحان من لا تبيد معالمه، سبحان من لا يشاور فى أمره أحداً، سبحان من لا إله غيره.

مصباح المتهجد/۵۷۸: (الحمد لله الفاشى فى الخلق أمره وحمده، الظاهر بالكرم مجده، الباسط بالجود يده، الذى لا تنقص خزائنه، ولا تزيده كثرة العطاء إلا كرماً وجوداً، إنه هو العزيز الوهاب.

مستدرك الحاكم:۱/۵۲۵: (عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه كان يدعو: اللهم احفظنى بالإسلام قائماً، واحفظنى بالإسلام قاعداً، واحفظنى بالإسلام راقداً، ولا تشمت بى عدواً حاسداً. اللهم إنى أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك. هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه.

هذا ماتيسر لنا تتبعه من الأحاديث الدالة على وجود الإنسان فى عوالم قبل الدنيا. وفيها بحوث شريفة فى عدد هذه العوالم وترتيبها وصفاتها، قلما تعرض المتكلمون والمفسرون لبحثها.

وفيهابحوث أخرى فى امتحان الإنسان فيها واختياره الكفر أو الإيمان قبل وصوله إلى عالم الأرض. وقد بحثها المفسرون والمتكلمون فى باب الجبر والاختيار، والقضاء والقدر.

قال المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار:۵/۲۶۰: (بيان: إعلم أن أخبار هذا الباب من متشابهات الأخبار ومعضلات الآثار، ولاصحابنا رضى الله عنهم فيها مسالك:

منها، ما ذهب إليه الأخباريون، وهو أنا نؤمن بها مجملاً، ونعترف بالجهل عن حقيقة معناها، وعن أنها من أى جهة صدرت، ونرد علمها إلى الأئمة عليهم السلام.

ومنها، أنها محمولة على التقية لموافقتها لروايات العامة، ولما ذهبت إليه الأشاعرة وهم جلهم، ولمخالفتها ظاهراً لما مر من أخبار

الإختيار والإستطاعة.

ومنها، أنها كناية عن علمه تعالى بما هم إليه صائرون، فإنه تعالى لما خلقهم مع علمه بأحوالهم فكأنه خلقهم من طينات مختلفة.

ومنها، أنها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابلياتهم، وهذا أمر بين لا يمكن إنكاره، فإنه لا شبهة فى أن النبى صلى الله عليه وآله وأبا جهل ليسا فى درجة واحدة من الإستعداد والقابلية، وهذا لا يستلزم سقوط التكليف، فإن الله تعالى كلف النبى صلى الله عليه وآله حسب ما أعطاه من الاستعداد لتحصيل الكمالات، وكلف أبا جهل حسب ما أعطاه من ذلك، ولم يكلفه ما ليس فى وسعه، ولم يجبره على شئ من الشر والفساد.

ومنها، أنه لما كلف الله تعالى الأرواح أولاً فى الذر وأخذ ميثاقهم فاختاروا الخير والشر باختيارهم فى ذلك الوقت، وتفرع اختلاف الطينة على ما اختاروه باختيارهم كما دل عليه بعض الأخبار السابقة، فلا فساد فى ذلك.

ولا يخفى ما فيه وفى كثير من الوجوه السابقة، وترك الخوض فى أمثال تلك المسائل الغامضة التى تعجز عقولنا عن الاحاطة بكنهها أولى، لا سيما فى تلك المسألة التى نهى أئمتنا عن الخوض فيها. (مسألة القضا والقدر).

ولنذكر بعض ما ذكره فى ذلك علماؤنا رضوان الله عليهم ومخالفوهم.

فمنها: ما ذكره الشيخ المفيد قدس الله روحه فى جواب المسائل السروية حيث سئل: ما قوله – أدام الله تأييده – فى معنى الأخبار المروية عن الأئمة الهادية عليهم السلام فى الأشباح وخلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفى عام، وإخراج الذرية من صلبه على صور الذر، ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

الجواب: وبالله التوفيق، إن الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها، وتتباين معانيها، وقد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة، وصنفوا فيها كتباً لغوا فيها، وهزئوا فيما أثبتوه منه فى معانيها، وأضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحق وتخرصوا الباطل بإضافتها إليهم، من جملتها كتاب سموه كتاب (الأشباح والأظلة) نسبوه فى تأليفه إلى محمد بن سنان، ولسنا نعلم صحة ما ذكروه فى هذا الباب عنه. وإن كان صحيحاً فإن ابن سنان قد طعن عليه وهو متهم بالغلو، فإن صدقوا فى إضافة هذا الكتاب إليه فهو ضلال لضال عن الحق، وإن كذبوا فقد تحملوا أوزار ذلك.

والصحيح من حديث الأشباح الرواية التى جاءت عن الثقاة بأن آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه أنها أشباح رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم، وأعلمه أنه لولا الأشباح التى رآها ما خلقه ولا خلق سماءً ولا أرضاً. والوجه فيما أظهره الله تعالى من الأشباح والصور لادم أن دله على تعظيمهم وتبجيلهم، وجعل ذلك إجلالاً لهم ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم، ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم، ولم يكونوا فى تلك الحال صوراً مجيبة، ولا أرواحاً ناطقة، لكنها كانت على مثل صورهم فى البشرية، يدل على ما يكونوا عليه فى المستقبل فى الهيئة، والنور الذى جعله عليهم يدل على نور الدين بهم وضياء الحق بحججهم. وقد روى أن أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش، وأن آدم عليه السلام لما تاب إلى الله عز وجل وناجاه بقبول توبته سأله بحقهم عليه ومحلهم عنده فأجابه، وهذا غير منكر فى العقول ولاـ مضاد للشرع المنقول، وقد رواه الصالحون الثقاة المأمونون، وسلم لروايته طائفة الحق، ولا طريق إلى إنكاره، والله ولى التوفيق. انتهى.

ويدل كلام المفيد قدس سره أن الغلاة فى عصره كانوا استغلوا أحاديث الأشباح والظلال وبنوا عليها أباطيل تخالف مذهب أهل البيت عليهم السلام، فشنع بسببها الخصوم على المذهب، فنفى المفيد دعوى الخصوم، وفى نفس الوقت أثبت أحاديث الأشباح والظلال، ثم فسرها بتفسير يفهمه العوام ولا يثير الخصوم.

وقال فى هامش الكافى:۲/۳: (الأخبار مستفيضة فى أن الله تعالى خلق السعداء من طينة عليين (من الجنة) وخلق الأشقياء من طينة سجين (من النار) وكل يرجع إلى حكم طينته من السعادة والشقاء، وقد أورد عليها: أولاً: بمخالفة الكتاب. وثانياً: باستلزام الجبر الباطل.

أما البحث الأول، فقد قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ، وقال: وبدأ خلق الإنسان من طين، فأفاد أن الإنسان مخلوق من طين، ثم قال تعالى: وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا.. الآية. وقال: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا.. الآية. فأفاد أن للإنسان غاية ونهاية من السعادة والشقاء، وهو متوجه إليها سائر نحوها. وقال تعالى: كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ.. الآية. فأفاد أن ما ينتهى إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاء هو ماكان عليه فى بدء خلقه وقد كان فى بدء خلقه طيناً، فهذه الطينة طينة سعادة وطينة شقاء، وآخرالسعيد إلى الجنة وآخرالشقى إلى النار، فهما أولهما لكون الآخر هو الأول، وحينئذ صح أن السعداء خلقوا من طينة الجنة والأشقياء خلقوا من طينة النار. وقال تعالى: كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ، كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ.. الآيات. وهى تشعر بأن عليين وسجين هما ما ينتهى اليه أمر الأبرار والفجار من النعمة والعذاب، فافهم.

وأما البحث الثانى، وهو أن أخبار الطينة تستلزم أن تكون السعادة والشقاء لازمين حتميين للإنسان، ومعه لا يكون أحدهما اختيارياً كسبياً للإنسان وهو الجبر الباطل. والجواب عنه، أن اقتضاء الطينة للسعادة أو الشقاء ليس من قبل نفسها بل من قبل حكمه تعالى وقضائه ماقضى من سعادة وشقاء، فيرجع الإشكال إلى سبق قضاء السعادة والشقاء فى حق الإنسان قبل أن يخلق، وإن ذلك يستلزم الجبر. وقد ذكرنا هذا الإشكال مع جوابه فى باب المشيئة والإرادة فى المجلد الأول من الكتاب/۱۵۰، وحاصل الجواب: أن القضاء متعلق بصدور الفعل عن اختيار العبد فهو فعل اختيارى فى عين أنه حتمى الوقوع، ولم يتعلق بالفعل سواء اختاره العبد أو لم يختره، حتى يلزم منه بطلان الإختيار. وأما شرح ما تشمل عليه هذه الأخبار تفصيلاً فأمر خارج عن مجال هذا البيان المختصر، فليرجع فيه إلى مطولات الشروح والتعاليق والله الهادى.(الطباطبائى) انتهى.

ونختم بالقول: إن مسألة وجود الإنسان فى عوالم قبل عالم الأرض، أوسع مما بحثه المتكلون والفلاسفة، وهى تحتاج إلى تتبع كامل وبحث دقيق فى أحاديثها الشريفة، للتوصل إلى عدد تلك العوالم وصفاتها، ولا يبعد أنها تحل كثيراً من المشكلات، ومنها مشكلة الجبر والاختيار، وقد تبين من مجموعها أن أخذ الميثاق تم من الذر المأخوذ من طين آدم كما فى بعضها، وفى عالم الظلال كما فى بعضها، ومن المحتمل أنه حصل فى أكثر من عالم.

كما لا يصح استبعاد أن تكون الذرة إنساناً كاملاً عاقلاً بعد ما سمعنا عن عالم الذرة والجينات.

ولا ـ يصح القول بأن عالم الذر هو عالم الملكوت وإن كان جزء من عالم الملكوت إلا من باب تسمية الجزء باسم الكل. والملكوت كما رأيت فى آياته وأحاديثه شامل لعوالم الشهادة والغيب، والبعد عن الله تعالى والحضور، وعالم الذر أو الظلال واحد من عوالم الحضور.

الفطرة بمعنى الولادة فى الإسلام

قولهم من ولد على الإسلام فهو من أهل الجنة

الكافى: ۸/۳۴۰:

قال على بن الحسين: ولم يولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة على فطرة الإسلام إلا فاطمة عليها السلام وقد كانت خديجة عليها السلام ماتت قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب بعد موت خديجة بسنة، فلما فقدهما رسول الله صلى الله عليه وآله سئم المقام بمكة ودخله حزن شديد وأشفق على نفسه من كفار قريش، فشكا إلى جبرئيل عليه السلام ذلك، فأوحى الله عز وجل إليه: أخرج من القرية الظالم أهلها وهاجر إلى المدينة فليس لك اليوم بمكة ناصر، وانصب للمشركين حرباً. فعند ذلك توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة. انتهى. ورواه فى بحار الأنوار:۱۹/۱۱۷

مستدرك الوسائل:۱۱/۵۸:

وعن إسماعيل بن موسى، بإسناده عن أبى البخترى قال: لما انتهى على عليه السلام إلى البصرة خرج أهلها... إلى أن قال: فقاتلوهم وظهروا عليهم وولوا منهزمين، فأمر على منادياً ينادى: لا- تطعنوا فى غير مقبل، ولا تطلبوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، وما كان بالعسكر فهو لكم مغنم، وما كان فى الدور فهو ميراث يقسم بينهم على فرائض الله عز وجل، فقام إليه قوم من أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين من أين أحللت لنا دماءهم وأموالهم وحرمت علينا نساءهم؟ فقال: لأن القوم على الفطرة، وكان لهم ولاء قبل الفرقة، وكان نكاحهم لرشدة. فلم يرضهم ذلك من كلامه. فقال لهم: هذه السيرة فى أهل القبلة فأنكرتموها، فانظروا أيكم يأخذ عائشة فى سهمه؟! فرضوا بما قال، فاعترفوا صوابه وسلموا لامره. انتهى. ورواه المغربى فى شرح الأخبار:۱/۳۹۵، وروته أيضاً مصادر التاريخ.

القول بأن من ولد فى الإسلام فهو من أهل الجنة

الدر المنثور:۲/۱۱۵:

وأخرج البيهقى عن ابن عابد قال: خرج رسول الله(ص)فى جنازة رجل فلما وضع قال عمر بن الخطاب: لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر، فالتفت رسول الله(ص)إلى الناس قال: هل رآه أحد منكم على الإسلام؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله حرس ليلة فى سبيل الله، فصلى عليه رسول الله(ص)وحثى عليه التراب وقال: أصحابك يظنون أنك من أهل النار، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة. وقال: يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة.

صحيح مسلم:۲/۴:

... فسمع رجلًا يقول الله اكبر، الله اكبر، فقال رسول الله (ص): على الفطرة ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، فقال رسول الله (ص): خرجت من النار، فنظروا فإذا هو راعى معزى.

كنز العمال:۸/۳۶۶:

كنا مع رسول الله(ص)فى سرية فسمعنا منادياً ينادى: الله اكبر، الله اكبر، فقال النبى (ص): على الفطرة فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: خرج من النار، فابتدرناه فإذا هو شاب حبشى يرعى غنماً له فى واد، فأدرك صلاة المغرب فأذن لنفسه ـ أبو الشيخ.

سنن الترمذى:۳/۸۷:

... واستمع ذات يوم فسمع رجلًا يقول: الله اكبر، الله اكبر، فقال: على الفطرة، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال خرجت من النار.

مسند أحمد:۳/۲۴۱:

... نحن مع رسول الله(ص)فى سفر إذ سمع رجلاً- يقول الله اكبر، الله اكبر، فقال النبى(ص): على الفطرة، قال أشهد ان لا- إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقال النبى (ص): خرج هذا من النار. انتهى.

وقد صحت الروايات عند اخواننا أن الخليفة عمر قد وسع دائرة شفاعة النبى صلى الله عليه وآله حتى تشمل المنافقين بل والكفار، بل صحت رواياتهم بأن مذهب الخليفة عمر أن جهنم تنتهى بعد مدة وينقل أهلها إلى الجنة.. إلخ. وسيأتى ذلك فى بحث الشفاعة إن شاء الله تعالى.

الفطرة والنبوة والشرائع الإلهية

الكافى:۸/۴۲۴:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبى نصر، عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفى، عن أبى جعفر عليه السلام

قال: كانت شريعة نوح عليه السلام أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد، وهى الفطرة التى فطر الناس عليها، وأخذ الله ميثاقه على نوح وعلى النبيين أن يعبدوا الله تبارك وتعالى ولا يشركوا به شيئاً، وأمر بالصلاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والحلال والحرام، ولم يفرض عليه أحكام حدود ولا فرض مواريث فهذه شريعته، فلبث فيهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم سراً وعلانية، فلما أبوا وعتوا قال: رب إنى مغلوب فانتصر. فأوحى الله عز وجل إليه أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. فلذلك قال نوح عليه السلام: وَلا يَلِدُوا إلا فَاجِرًا كَفَّارًا. فأوحى الله عز وجل إليه: أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ. انتهى. ورواه العياشى فى تفسيره:۲/۱۴۴، ورواه فى بحار الأنوار: ۱۱/۳۳۱

الكافى:۲/۱۷

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبى نصر، وعدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إبراهيم بن محمد الثقفى، عن محمد بن مروان، جميعاً عن أبان بن عثمان، عمن ذكره عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً صلى الله عليه وآله شرايع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى غليهم السلام: التوحيد والاخلاص وخلع الأنداد والفطرة الحنفية السمحة لا رهبانية ولا سياحة، أحل فيها الطيبات وحرم فيها الخبائث، ووضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم، ثم افترض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد فى سبيل الله، وزاده الوضوء، وفضله بفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة والمفصل، وأحل له المغنم والفى، ونصره بالرعب، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسله كافة إلى الابيض والاسود والجن والانس، وأعطاه الجزية وأسر المشركين وفداهم، ثم كلفه ما لم يكلف أحداً من الأنبياء، أنزل عليه سيف من السماء فى غير غمد وقيل له: قاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك.

ورواه فى بحار الأنوار:۷۲/۳۱۷ وقال:

تبيين: قوله عليه السلام (شرايع نوح) يحتمل أن يكون المراد بالشرايع أصول الدين، ويكون التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد بياناً لها، والفطرة الحنيفية معطوفة على الشرايع، وإنما خص عليه السلام ما به الاشتراك بهذه الثلاثة، مع اشتراكه عليه السلام معهم فى كثير من العبادات لاختلاف الكيفيات فيها دون هذه الثلاثة، ولعله عليه السلام لم يرد حصر المشتركات فيما ذكر لعدم ذكر السائل أصول الدين كالعدل والمعاد، مع أنه يمكن إدخالها بعض ما ذكر، لا سيما الإخلاص بتكلف.

ويمكن أن يكون المراد منها الأصول وأصول الفروع المشتركة وإن اختلفت فى الخصوصيات والكيفيات، وحينئذ يكون جميع تلك الفقرات إلى قوله عليه السلام (وزاده) بياناً للشرايع، ويشكل حينئذ ذكر الرهبانية والسياحة، إذ المشهور أن عدمهما من خصائص نبينا صلى الله عليه وآله، إلا أن يقال المراد عدم الوجوب وهو مشترك، أو يقال إنهما لم يكونا فى شريعة عيسى عليه السلام أيضاً.

وإن استشكل بالجهاد وأنه لم يجاهد عيسى عليه السلام فالجواب أنه يمكن أن يكون واجباً عليه لكن لم يتحقق شرائطه، ولذا لم يجاهد.

ولعل قوله عليه السلام (زاده وفضله) بهذا الوجه أوفق.

وكأن المراد بالتوحيد نفى الشريك فى الخلق، وبالاخلاص نفى الشريك فى العبادة، و خلع الأنداد تأكيد لهما، أو المراد به ترك أتباع خلفاء الجور وأئمة الضلالة أو نفى الشرك الخفى، أو المراد بالإخلاص نفى الشرك الخفى، وبخلع الأنداد نفى الشريك فى استحقاق العبادة.

والأنداد: جمع ند، وهو مثل الشئ الذى يضاده فى أموره، ويناده أى يخالفه.

والفطرة: ملة الإسلام التى فطر الله الناس عليها، كما مر.

والحنيفية: المائلة من الباطل إلى الحق، أو الموافقة لملة إبراهيم عليه السلام قال فى النهاية: الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم، وأصل الحنف الميل، ومنه الحديث بعثت بالحنيفية السمحة السهلة، وفى القاموس: السمحة الملة التى ما فيها ضيق.

بحار الأنوار:۶۸/۷۶:

مكا: عن الصادق عليه السلام قال: كان بين نوح وإبراهيم (عليهما السلام) ألف سنة، وكانت شريعة إبراهيم بالتوحيد والاخلاص وخلع الانداد، وهى الفطرة التى فطر الناس عليها وهى الحنيفية. وأخذ عليه ميثاقه وأن لا يعبد إلا الله، ولا يشرك به شيئاً، قال: وأمره بالصلاة والأمر والنهى، ولم يحكم له أحكام فرض المواريث، وزاده فى الحنيفية: الختان وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الاظفار وحلق العانة، وأمره ببناء البيت والحج والمناسك، فهذه كلها شريعته عليه السلام.

معنى الفطرة والصبغة

تفسير التبيان:۱/۴۸۵:

قوله تعالى: صِبْغَةَ اللهِ: معناه فطرة الله فى قول الحسن وقتادة وأبى العالية ومجاهد وعطية وابن زيد والسدى.

وقال الفراء والبلخى: إنه شريعة الله فى الختان الذى هو التطهير.

وقوله صبغة الله، مأخوذ من الصبغ، لأن بعض النصارى كانوا إذا ولد لهم مولود جعلوه فى ماء طهور يجعلون ذلك تطهيراً له ويسمونه العمودية، فقيل صبغة الله أى تطهير الله، تطهيركم بتلك الصبغة وهو قول الفراء.

وقال قتادة: اليهود تصبغ أبناءها يهوداً والنصارى تصبغ أبناءها نصارى، فهذا غير المعنى الأول، وإنما معناه أنهم يلقنون أولادهم اليهودية والنصرانية، فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه، فقيل صبغة الله التى أمر بها ورضيها يعنى الشريعة، لا صبغتكم.

وقال الجبائى: سمى الدين صبغة لأنه هيئة تظهر بالمشاهدة من أثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الآثار الجميلة التى هى كالصبغة، وقال أمية:

فى صبغة الله كان إذ نسى الـ هد وخلى الصواب إذ عزم

تفسير التبيان:۳/۳۳۴:

وقوله: وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ: اختلفوا فى معناه فقال ابن عباس، والربيع بن أنس، عن أنس: إنه الأخصاء، وكرهوا الأخصاء فى البهائم، وبه قال سفيان، وشهر بن حوشب، وعكرمة، وأبوصالح. وفى رواية أخرى عن ابن عباس: فليغيرن دين الله، وبه قال إبراهيم ومجاهد، وروى ذلك عن أبى جعفر وأبى عبدالله (عليهما السلام). قال مجاهد: كذب العبد يعنى عكرمة فى قوله إنه الأخصاء، وإنما هو تغيير دين الله الذى فطر الناس عليه فى قوله: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ. وهو قول قتادة والحسن والسدى والضحاك وابن زيد.

وقال الكفعمى فى المصباح/۳۴۰

الفاطر: أى المبتدع لأنه فطر الخلق أى ابتدعهم، وخلقهم من الفطر وهو الشق، ومنه: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، أى انشقت، وقوله: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ، أى يتشققن كأنه سبحانه شق العدم بإخراجنا منه، وقوله تعالى: فَاطِرِ السَّمَوَاتِ، أى مبدى خلقها.

بحار الأنوار:۳/۲۷۶-۲۸۱: (سن: المحسن بن أحمد، عن أبان الأحمر، عن أبى جعفر الأحول، عن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السلام قال: عروة الله الوثقى التوحيد، والصبغة الإسلام.

بيان: قال البيضاوى فى قوله تعالى: صِبْغَةَ اللهِ: أى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها، فإنها حلية الإنسان، كما أن الصبغة حلية المصبوغ، أو هدانا هدايته وأرشدنا حجته، أو طهر قلوبنا بالإيمان تطهيره. وسماه صبغة لأنه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ، وتداخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب، أو للمشاكلة فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه العمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم.

مع: أبى، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن فضالة، عن أبان، عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عز وجل: صِبْغَةَ اللهِ وَ

مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً، قال: هی الإسلام.

شف: من کتاب القاضی القزوینی، عن هارون بن موسی التلعکبری، عن محمد بن سهل، عن الحمیری، عن ابن یزید، عن علی بن حسان، عن عبد الرحمن بن کثیر، عن أبی عبدالله علیه السلام فی قوله الله عز وجل: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا، قال: هی التوحید، وأن محمداً رسول الله، وأن علیاً أمیر المؤمنین.

شی: عن زرارة، عن أبی جعفر وحمران، عن أبی عبدالله (علیهما السلام) قال: الصبغة الإسلام.

شی: عن عبدالرحمن بن کثیر، عن أبی عبد الله علیه السلام فی قول الله: صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة: قال: الصبغة معرفة أمیر المؤمنین علیه السلام بالولایة فی المیثاق.

بحار الأنوار:۱/۲۰۹: (ل: ماجیلویه، عن محمد العطار، عن الأشعری، عن أحمد بن محمد، عن ابن معروف، عن ابن مهزیار، عن حکم بن بهلول، عن ابن همام، عن ابن أذینة، عن أبان بن أبی عیاش، عن سلیم بن قیس الهلالی قال: سمعت علیاً علیه السلام یقول لأبی الطفیل عامر بن واثلة الکنانی: یا أبا الطفیل العلم علمان: علم لا یسع الناس إلا النظر فیه وهو صبغة الإسلام، وعلم یسع الناس ترک النظر فیه وهو قدرة الله عز وجل.

بیان: قال الفیروزآبادی: الصبغة بالکسر: الدین والملة، وصبغة الله: فطرة الله، أو التی أمر الله بها محمداً صلی الله علیه وآله وهی الختانة. انتهی.

أقول: المراد بالصبغة هنا الملة أوکل ما یصبغ الإنسان بلون الإسلام من العقائد الحقة، والأعمال الحسنة، والأحکام الشرعیة.

وقدرة الله تعالی: لعل المراد بها هنا تقدیر الأعمال، وتعلق قدرة الله بخلقها، أی علم القضاء والقدر والجبر والإختیار، فإنه قد نهی عن التفکر فیها.

وفی نهج البلاغة: أنه قال أمیر المؤمنین علیه السلام وقد سئل عن القدر فقال: طریق مظلم فلا تسلکوه. انتهی.

بحار الأنوار:۶۷/۱۳۰:

البقرة-۱۳۸: صِبْغَةَ اللهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ الروم-۳۰:

فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا لا تَبْدِیلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ وَلَکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ

کا: عن علی، عن أبیه ومحمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد جمیعاً، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن سنان، عن أبی عبدالله علیه السلام فی قول الله عز وجل: صِبْغَةَ اللهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً، قال: الإسلام.

بیان: قیل علی هذه الأخبار یحتمل أن تکون (صبغة) منصوبة علی المصدر من مسلمون فی قوله تعالی قبل ذلک: لا نُفَرِّقُ بَیْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. ثم یحتمل أن یکون معناها وموردها مختصاً بالخواص والخلص المخاطبین بـ(قولوا) فی صدر الآیات حیث قال: قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَیْنَا، دون سائر أفراد بنی آدم بل یتعین هذا المعنی إن فسر الإسلام بالخضوع والانقیاد للأوامر والنواهی کما فعلوه، وإن فسر بالمعنی العرفی فتوجیه التعمیم فیه کتوجیه التعمیم فی فطرة الله....

وقیل: صبغة الله إبداع الممکنات وإخراجها من العدم إلی الوجود وإعطاء کل ما یلیق به من الصفات والغایات وغیرهما....

وقیل: معناه کل مولود یولد علی معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحداً إلا وهو یقر بأن الله صانعه، وإن سماه بغیر اسمه أو عبد معه غیره، ومنه حدیث حذیفة (علی غیر فطرة محمد) أراد دین الإسلام الذی هو منسوب إلیه. انتهی.

وقال بعضهم: المراد بالفطرة کونه خلقاً قابلاً للهدایة ومتهیئاً لها، لما أوجد فیه من القوة القابلة لها، لأن فطرة الإسلام وصوابها موضوع فی العقول، وإنما یدفع العقول عن إدراکها تغییر الابوین، أو غیرهما.

وأجیب عنه بأن حمل الفطرة علی الإسلام لا یأباه العقل، وظاهر الروایات یدل علیه. وحملها علی خلاف الظاهر لا وجه له من غیر مستند.

... لا تبديل لخلق الله: أى بأن يكونوا كلهم أو بعضهم عند الخلق مشركين، بل كان كلهم مسلمين مقرين به أو قابلين للمعرفة، وأراهم نفسه: أى بالرؤية العقلية الشبيهة بالرؤية العينية فى الظهور ليرسخ فيهم معرفته، ويعرفوه فى دار التكليف، ولولا تلك المعرفة الميثاقية لم يحصل لهم تلك القابلية، وفسر عليه السلام الفطرة فى الحديث بالمجبولية على معرفة الصانع والإذعان به. كذلك قوله فى هذه الآية أيضاً محمولة على هذا المعنى: ولئن سألتهم، أى كفار مكة كما ذكره المفسرون أو الاعم كما هو الاظهر من الخبر، ليقولن الله، لفطرتهم على المعرفة. وقال البيضاوى: لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره، بحيث اضطروا إلى إذعانه.

والمشهور أنه مبنى على أن كفار قريش لم يكونوا ينكرون أن الصانع هو الله، بل كانوا يعبدون الأصنام لزعمهم أنها شفعاء عند الله، وظاهر الخبر أن كل كافر لو خلى وطبعه وترك العصبية ومتابعة الأهواء وتقليد الاسلاف والاباء، لاقر بذلك كما ورد ذلك الأخبار الكثيرة.

قال بعض المحققين: الدليل على ذلك ما ترى أن الناس يتوكلون بحسب الجبلة على الله ويتوجهون توجهاً غريزياً إلى مسبب الأسباب ومسهل الأمور الصعاب، وإن لم يتفطنوا لذلك، ويشهد لهذا قول الله عز وجل قال: أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَ تَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ.

وفى تفسير مولانا العسكرى عليه السلام أنه سئل مولانا الصادق عن الله فقال للسائل: يا عبدالله هل ركبت سفينة قط؟ قال: بلى، قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال بلى، قال: فهل تعلق قلبك هناك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: بلى، قال الصادق: فذلك الشئ هو الله القادر على الأنجاء حين لا منجى، وعلى الإغاثة حين لا مغيث.

ولهذا جعلت الناس معذورين فى تركهم اكتساب المعرفة بالله عزوجل متروكين على ما فطروا عليه، مرضياً عنهم بمجرد الإقرار بالقول، ولم يكلفوا الإستدلالات العلمية فى ذلك، وإنما التعمق لزيادة البصيرة ولطائفة مخصوصة. وأما الإستدلال فللرد على أهل الضلال.

ثم إن أفهام الناس وعقولهم متفاوتة فى قبول مراتب العرفان، وتحصيل الإطمينان كماً وكيفاً، شدةً وضعفاً، سرعةً وبطئاً، حالاً وعلماً، وكشفاً وعياناً، وإن كان أصل المعرفة فطرياً، إما ضرورى أو يهتدى إليه بأدنى تنبيه، فلكل طريقة هداه الله عز وجل إليها إن كان من أهل الهداية، والطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق، وهم درجات عند الله، يرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات.

قال بعض المنسوبين إلى العلم: إعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله عز وجل، فكأن هذا يقتضى أن يكون معرفته أول المعارف، وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول، ونرى الأمر بالضد من ذلك، فلا بد من بيان السبب فيه.

وإنما قلنا إن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله فمعنى لا تفهمه إلا بمثال، هو: أنا إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخيط مثلاً، فإن كونه حياً من أظهر الموجودات فحياته وعلمه وقدرته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة، إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه، وكل ذلك لا نعرفه، وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها، وبعضها نشك فيه، كمقدار طوله، واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته. أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيواناً فإنه جلى عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته، فإن هذه الصفات لا تحس بشئ من الحواس الخمس، ثم لا يمكن أن يعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته، فلو نظرنا إلى كل ما فى العالم سواء لم نعرف به صفاته، فما عليه إلا دليل واحد، وهو مع ذلك جلى واضح.

ووجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر، ونبات وشجر، وحيوان وسماء، وأرض وكوكب، وبر وبحر، ونار وهواء، وجوهر وعرض، بل أول شاهد عليه أنفسنا، وأجسامنا وأصنافنا، وتقلب أحوالنا، وتغير قلوبنا، وجميع أطوارنا، فى حركاتنا وسكناتنا.

وأظهر الأشياء فى علمنا أنفسنا، ثم محسوساتنا بالحواس الخمس، ثم مدركاتنا بالبصيرة والعقل، وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد، وشاهد ودليل واحد، وجميع ما فى العالم شواهد ناطقة، وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها، ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته. والموجودات المدركة لا حصر لها.

فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد له إلا شاهد واحد، وهو ما أحسسنا من حركة يده، فكيف لا يتصور في الوجود داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله، إذ كل ذرة فإنها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها، ولا حركتها بذاتها وإنما يحتاج إلى موجد ومحرك لها، يشهد بذلك أولاً تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا، ولحومنا وأعصابنا ونبات شعورنا، وتشكل أطرافنا، وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة، فإنا نعلم أنها لم تأتلف بنفسها، كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها. ولكن لما لم يبق في الوجود مدرك، ومحسوس ومعقول، وحاضر وغائب إلا ـ وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره، فانبهرت العقول، ودهشت عن إدراكه.

فإذن ما يقصر عن فهمه عقولنا له سببان: أحدهما خفاؤه في نفسه وغموضه، وذلك لا يخفى مثاله، والآخر ما يتناهى وضوحه. وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار، لا لخفاء النهار واستتاره، ولكن لشدة ظهوره، فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرق، فيكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع أبصاره فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الظلام بالضوء، وضعف ظهوره. فكذلك عقولنا ضعيفة، وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الأشراق والإستنارة وفي غاية الإستغراق والشمول، حتى لا يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السماوات والأرض، فصار ظهوره سبب خفائه، فسبحان من احتجب بإشراق نوره، واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره. ولا تتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور، فإن الأشياء تُستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى لا ضد له عسر إدراكه، فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون البعض أدركت التفرقة على قرب، ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر. ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض، فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض، ويزول عند غيبة الشمس....

الدر المنثور:۵/۱۵۵:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ... الآية. أخرج الفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد (رض) قوله: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، قال: الدين الإسلام، لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ، قال لدين الله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله: لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ، قال: دين الله. ذلك الدين القيم، قال: القضاء القيم.

دور الفطرة في المعرفة والثقافة والحضارة

تفسير نور الثقلين:۴/۱۷۵:

في توحيد المفضل بن عمر المنقول عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام في الرد على الدهرية:

تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه ونتيجة فكره، به يفهم غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبر شيئاً، وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للاتين وبها تجلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب، ولولاها لا نقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم وما روى لهم مما لا يسعهم جهله.

ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفطنة، وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه. وكذلك الكلام إنما هو شئ يصطلح عليه الناس فيجري بينهم، ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة بألسن مختلفة، وكذلك الكتابة ككتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي وغيرها من ساير الكتابة التي هي متفرقة في الأمم، إنما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام.

فيقال لمن ادعى ذلك إن الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة، فإن الشئ الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل في خلقه، فإنه لولم يكن له لسان مهيأ للكلام وذهن يهتدى به للأمور، لم يكن ليتكلم أبداً، ولو لم يكن له كف مهيأة

وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً، واعتبر ذلك من البهائم التى لا كلام لها ولا كتابة. فأصل ذلك فطرة البارى عز وجل، وما تفضل به على خلقه، فمن شكر أثيب، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين.

بحث فى دور الفطرة والنبوة فى الحياة الإنسانية

تفسير الميزان:۱۲۸/۱۰:

قوله تعالى: وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ.

قد مر أن المراد به الإختلاف الواقع فى نفس الدين من حملته، وحيث كان الدين من الفطرة كما يدل عليه قوله تعالى:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا... الروم: ۳۰

على أن الفطرة لا تنافى الغفلة والشبهة ولكن تنافى التعمد والبغى، ولذلك خص البغى بالعلماء ومن استبانت له الآيات الإلهية، قال تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَآ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقره: ۳۹، والآيات فى هذا المعنى كثيرة، وقد قيد الكفر فى جميعها بتكذيب آيات الله ثم أوقع عليه الوعيد. وبالجملة فالمراد بالآية أن هذا الإختلاف ينتهى إلى بغى حملة الكتاب من بعد علم...

وقد تبين من الآية:

أولاً: حد الدين ومعرفته وهو أنه نحو سلوك فى الحياة الدنيا يتضمن صلاح الدنيا بما يوافق الكمال الأخروى والحياة الدائمة الحقيقية عند الله سبحانه، فلابد فى الشريعة من قوانين تتعرض لحال المعاش على قدر الإحتياج.

وثانياً: أن الدين أول ما ظهر ظهر رافعاً للإختلاف الناشئ عن الفطرة، ثم استكمل رافعاً للإختلاف الفطرى وغير الفطرى معاً.

وثالثاً: أن الدين لا يزال يستكمل حتى تستوعب قوانينه جهات الإحتياج فى الحياة فإذا استوعبها ختم ختماً فلا دين بعده، وبالعكس إذا كان دين من الأديان خاتماً كان مستوعباً لرفع جميع جهات الإحتياج، قال تعالى: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ. الأحزاب: ۴۰، وقال تعالى: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْ‌ءٍ النحل: ۸۹، وقال تعالى: إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ. حم السجدة: ۴۲.

ورابعاً: أن كل شريعة لاحقة أكمل من سابقتها.

وخامساً: السبب فى بعث الأنبياء وإنزال الكتب، وبعبارة أخرى العلة فى الدعوة الدينية هو أن الإنسان بحسب طبعه وفطرته سائر نحو الإختلاف، كما أنه سالك نحو الإجتماع المدنى، وإذا كانت الفطرة هى الهادية إلى الإختلاف لم تتمكن من رفع الإختلاف، وكيف يدفع شئ ما يجذبه إليه نفسه، فرفع الله سبحانه هذا الإختلاف بالنبوة والتشريع بهداية النوع إلى كماله اللائق بحالهم المصلح لشأنهم. وهذا الكمال كمال حقيقى داخل فى الصنع والإيجاد، فما هو مقدمته كذلك، وقد قال تعالى: الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْ‌ءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى. طه: ۵۰، فبين أن من شأنه وأمره تعالى أن يهدى كل شئ إلى ما يتم به خلقه، ومن تمام خلقة الإنسان أن يهتدى إلى كمال وجوده فى الدنيا والآخرة، وقد قال تعالى أيضاً: كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا. الإسراء: ۲۰، وهذه الآية تفيد أن شأنه تعالى هو الإمداد بالعطاء يمد كل من يحتاج إلى إمداده فى طريق حياته ووجوده ويعطيه ما يستحقه، وأن عطاءه غير محظور ولا ممنوع من قبله تعالى إلا أن يمتنع ممتنع بسوء حظ نفسه من قبل نفسه لا من قبله تعالى.

ومن المعلوم أن الإنسان غير متمكن من تتميم هذه النقيصة من قبل نفسه، فإن فطرته هى المؤدية إلى هذه النقيصة، فكيف يقدر على تتميمها وتسوية طريق السعادة والكمال فى حياته الإجتماعية.

وإذا كانت الطبيعة الإنسانية هى المؤدية إلى هذا الإختلاف العائق للإنسان عن الوصول إلى كماله الحرى به، وهى قاصرة عن تدارك ما أدت إليه وإصلاح ما أفسدته فالأصلاح لو كان يجب أن يكون من جهة غير جهة الطبيعة وهى الجهة الإلهية التى هى النبوة

بالوحى، ولذا عبر تعالى عن قيام الأنبياء بهذا الأصلاح ورفع الإختلاف بالبعث، ولم ينسبه فى القرآن كله إلا إلى نفسه، مع أن قيام الأنبياء كسائر الأمور له ارتباطات بالمادة بالروابط الزمانية والمكانية.

فالنبوة حالة إلهية، وإن شئت قل غيبية، نسبتها إلى هذه الحالة العمومية من الإدراك والفعل نسبة اليقظة إلى النوم، بها يدرك الإنسان المعارف التى بها يرتفع الإختلاف والتناقض فى حياة الإنسان، وهذا الإدراك والتلقى من الغيب هو المسمى فى لسان القرآن بالوحى، والحالة التى يتخذها الإنسان منه لنفسه بالنبوة.

ومن هنا يظهر أن هذا ـ أعنى تأدية الفطرة إلى الإجتماع المدنى من جهة وإلى الإختلاف من جهة أخرى وعنايته تعالى بالهداية إلى تمام الخلقة ـ مبدأ حجة على وجود النبوة، وبعبارة أخرى دليل النبوة العامة.

تقريره: أن نوع الإنسان مستخدم بالطبع وهذا الإستخدام الفطرى يؤديه إلى الإجتماع المدنى وإلى الإختلاف والفساد فى جميع شئون حياته الذى يقضى التكوين والإيجاد برفعه، ولا يرتفع إلا بقوانين تصلح الحياة الإجتماعية برفع الإختلاف عنها. وهداية الإنسان إلى كماله وسعادته بأحد أمرين، إما بفطرته وإما بأمر وراءه، لكن الفطرة غير كافية فإنها هى المؤدية إلى الإختلاف فكيف ترفعه، فوجب أن يكون بهداية من غير طريق الفطرة والطبيعة وهو التفهيم الإلهى غير الطبيعى المسمى بالنبوة والوحى، وهذه الحجة مؤلفة من مقدمات مصرح بها فى كتاب الله تعالى كما عرفت فيما تقدم، وكل واحدة من هذه المقدمات تجربية بينتها التجربة للانسان تاريخ حياته واجتماعاته المتنوعة التى ظهرت وانقرضت فى طى القرون المتراكمة الماضية إلى أقدم أعصار الحياة الإنسانية التى يذكرها التاريخ. فلا الإنسان انصرف فى حين من أحيان حياته عن حكم الإستخدام، ولا استخدامه لم يؤد إلى الإجتماع وقضى بحياة فردية، ولا اجتماعه المكون خلا عن الإختلاف، ولا الإختلاف ارتفع بغير قوانين اجتماعية، ولا أن فطرته وعقله الذى يعده عقلًا سليماً قدرت على وضع قوانين تقطع منابت الإختلاف وتقلع مادة الفساد.

وناهيك فى ذلك ما تشاهده من جريان الحوادث الإجتماعية وما هو نصب عينيك من انحطاط الأخلاق وفساد عالم الإنسانية والحروب المهلكة للحرث والنسل والمقاتل المبيدة للملايين بعد الملايين من الناس، وسلطان التحكم ونفوذ الإستعباد فى نفوس البشر وأعراضهم وأموالهم فى هذا القرن الذى يسمى عصر المدنية والرقى والثقافة والعلم، فما ظنك بالقرون الخالية أعصار الجهل والظلمة.

وأما أن الصنع والإيجاد يسوق كل موجود إلى كماله اللائق به فأمر جار فى كل موجود بحسب التجربة والبحث، وكذا كون الخلقة والتكوين إذا اقتضى أثراً لم يقتض خلافه بعينه أمر مسلّم تثبته التجربة والبحث، وأما أن التعليم والتربية الدينيين الصادرين من مصدر النبوة والوحى يقدران على دفع هذا الإختلاف والفساد، فأمر يصدقه البحث والتجربة معاً، أما البحث فلان الدين يدعو إلى حقائق المعارف وفواضل الأخلاق ومحاسن الأفعال، فصلاح العالم الإنسانى مفروض فيه، وأما التجربة فالإسلام أثبت ذلك فى اليسير من الزمان الذى كان الحاكم فيه على الإجتماع بين المسلمين هو الدين، وأثبت ذلك بتربية أفراد من الإنسان صلحت نفوسهم وأصلحوا نفوس غيرهم من الناس على أن جهات الكمال والعروق النابضة فى هيكل الإجتماع المدنى اليوم التى تضمن حياة الحضارة والرقى مرهونة للتقدم الإسلامى وسريانه فى العالم الدنيوى على ما تعطيه التجزية والتحليل من غير شك. انتهى.

وأنت تلاحظ أن صاحب الميزان رحمه الله فسر الفطرة بالغرائز الخيرة والشريرة معاً، ولكن والذى يظهر من الأحاديث الشريفة اختصاصها ببعض الغرائز الخيرة.

تفسير الميزان:۱۱/۱۵۱:

فلو كان فى الدنيا خير مرجو وسعادة لوجب أن ينسب إلى الدين وتربيته. ويشهد بذلك ما نشاهده من أمر الأمم التى بنت اجتماعها على كمال الطبيعة وأهملت أمر الدين والأخلاق فإنهم لم يلبثوا دون أن افتقدوا الصلاح والرحمة والمحبة وصفاء القلب وسائر الفضائل الخلقية والفطرية، مع وجود أصل الفطرة فيهم، ولو كانت أصل الفطرة كافية ولم تكن هذه الصفات بين البشر من البقايا الموروثة من الدين، لما افتقدوا شيئاً من ذلك.

على أن التاريخ أصدق شاهد على الإقتباسات التى عملتها الأمم المسيحية بعد الحروب الصليبية فاقتبسوا مهمات النكات من القوانين العامة الإسلامية فتقلدوها وتقدموا بها، والحال أن المسلمين اتخذوها وراءهم ظهرياً فتأخر هؤلاء وتقدم أولئك.. والكلام طويل الذيل. وبالجملة الأصلان المذكوران ـ أعنى السراية والوراثة وهما التقليد الغريزى فى الإنسان والتحفظ على السيرة المألوفة ـ يوجبان نفوذ الروح الدينى فى الإجتماعات كما يوجبان فى غيره ذلك، وهو تأثير فعلى.

فإن قلت: فعلى هذه فما فائدة الفطرة فإنها لا تغنى طائلًا، وإنما أمر السعادة بيد النبوة، وما فائدة بناء التشريع على أساس الفطرة على ما تدعيه النبوة.

قلت: ما قدمناه فى بيان ما للفطرة من الإرتباط بسعادة الإنسان وكماله يكفى فى حل هذه الشبهة، فإن السعادة والكمال الذى تجلبه النبوة إلى الإنسان ليس أمراً خارجاً عن هذا النوع ولا غريباً عن الفطرة، فإن الفطرة هى التى تهتدى إليه لكن هذا الإهتداء لا يتم لها بالفعل وحدها من غير معين يعينها على ذلك، وهذا المعين الذى يعينها على ذلك وهو حقيقة النبوة ليس أيضاً أمراً خارجاً عن الإنسانية وكمالها منضماً إلى الإنسان كالحجر الموضوع فى جنب الإنسان مثلاً، وإلا ـ كان ما يعود منه إلى الإنسان أمراً غير كماله وسعادته كالثقل الذى يضيفه الحجر إلى ثقل الإنسان فى وزنه، بل هو أيضاً كمال فطرى للإنسان مذخور فى هذا النوع وهو شعور خاص وإدراك مخصوص مكمون فى حقيقته لا ـ يهتدى إليه بالفعل إلا ـ آحاد من النوع أخذتهم العناية الإلهية، كما أن للبالغ من الإنسان شعوراً خاصاً بلذة النكاح لا تهتدى إليه بالفعل بقية الأفراد غير البالغين بالفعل، وإن كان الجميع من البالغ وغير البالغ مشتركين فى الفطرة الإنسانية والشعور شعور مرتبط بالفطرة. وبالجملة لاحقيقة النبوة أمر زائد على إنسانية الإنسان الذى يسمى نبياً وخارج عن فطرته، ولا السعادة التى تهتدى سائر الأمة إليها أمر خارج عن إنسانيتهم وفطرتهم غريب عما يستأنسه وجودهم الإنسانى، وإلا لم تكن كمالاً وسعادة بالنسبه إليهم.

فإن قلت: فيعود الإشكال على هذا التقرير إلى النبوة فإن الفطرة على هذا كافية وحدها والنبوة غير خارجة عن الفطرة. فإن المتحصل من هذا الكلام هو أن النوع الإنسانى المتمدن بفطرته والمختلف فى اجتماعه يتميز من بين أفراده آحاد من الصلحاء فطرتهم مستقيمة وعقولهم سليمة عن الأوهام والتهوسات ورذائل الصفات، فيهتدون بإستقامة فطرتهم وسلامة عقولهم إلى ما فيه صلاح الإجتماع وسعادة الإنسان فيضعون قوانين فيها مصلحة الناس وعمران الدنيا والآخرة، فإن النبى هو الإنسان الصالح الذى له نبوغ اجتماعى.

قلت: كلا وإنما هو تفسير لا ينطبق على حقيقة النبوة ولا ما تستتبعه.

أما أولاً، فلان ذلك فرض افترضه بعض علماء الإجتماع ممن لا قدم له فى البحث الدينى والفحص عن حقائق المبدأ والمعاد. فذكر أن النبوة نبوغ خاص اجتماعى استتبعته استقامة الفطرة وسلامة العقل، وهذا النبوغ يدعوا إلى الفكر فى حال الإجتماع وما يصلح به هذا الإجتماع المختل وما يسعد به الإنسان الإجتماعى فهذا النابغة الإجتماعى هوالنبى والفكر الصالح المترشح من قواه الفكرية هو الوحى، والقوانين التى يجعلها لصلاح الإجتماع هو الدين، وروحه الطاهر الذى يفيض هذه الأفكار إلى قواه الفكرية ولا يخون العالم الإنسانى بإتباع الهوى هو الروح الأمين وهو جبرائيل، والموحى الحقيقى هو الله سبحانه والكتاب الذى يتضمن أفكاره العالية الطاهرة هو الكتاب السماوى، والملائكة هى القوى الطبيعية أو الجهات الداعية إلى الخير، والشيطان هى النفس الإمارة بالسوء أو القوى أو الجهات الداعية إلى الشر والفساد، وعلى هذا القياس. وهذا فرض فاسد وقد مر فى البحث عن الإعجاز، وأن النبوة بهذا المعنى لأن تسمى لعبة سياسية أولى بها من أن تسمى نبوة إلهية.

وقد تقدم أن هذا الفكر الذى يسمى هؤلاء الباحثون نبوغه الخاص نبوة، من خواص العقل العملى الذى يميز بين خير الأفعال وشرها بالمصلحة والمفسدة، وهو أمر مشترك بين العقلاء من أفراد الإنسان ومن هداية الفطرة المشتركة، وتقدم أيضاً إن هذا العقل بعينه هو الداعى إلى الإختلاف، وإذا كان هذا شأنه لم يقدر من حيث هو كذلك على رفع الإختلاف واحتاج فيه إلى متمم يتمم أمره، وقد عرفت أنه يجب أن يكون هذا المتمم نوعاً خاصاً من الشعور يختص به بحسب الفعلية بعض الآحاد من الإنسان، وتهتدى به الفطرة إلى

سعادة الإنسان الحقيقية فى معاشه ومعاده.

ومن هنا يظهر أن هذا الشعور من غير سنخ الشعور الفكرى، بمعنى أن ما يجده الإنسان من النتائج الفكرية من طريق مقدماتها العقلية، غير ما يجده من طريق الشعور النبوى والطريق غير الطريق.

ولا ـ يشك الباحثون فى خواص النفس فى أن فى الإنسان شعوراً نفسياً باطنياً، ربما يظهر فى بعض الآحاد من أفراده يفتح له باباً إلى عالم وراء هذا العالم، ويعطيه عجائب من المعارف والمعلومات وراء ما يناله العقل والفكر، صرح به جميع علماء النفس من قدمائنا وجمع من علماء النفس من أوروبا مثل جمز الإنجليزى وغيره.

فقد تحصل أن باب الوحى النبوى غير باب الفكر العقلى، وأن النبوة وكذا الشريعة والدين والكتاب والملك والشيطان لاينطبق عليها ما اختلقوه من المعانى.

امور ورد أنها من الفطرة

من لا يحضره الفقيه:۱/۱۳۰:

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن المجوس جزوا لحاهم ووفروا شواربهم، وإنا نجز الشوارب ونعفى اللحى، وهى الفطرة. انتهى.

ورواه فى وسائل الشيعة:۱/۴۲۳

الخصال/۳۱۰:

حدثنا أبو أحمد محمد بن جعفر البندار، قال حدثنا جعفر بن محمد بن نوح، قال حدثنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حماد من أهل قومس، قال حدثنا أبومحمد الحسن بن على الحلوانى، قال حدثنا بشر بن عمر، قال حدثنا مالك بن أنس، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمس من الفطرة: تقليم الأظفار: وقص الشارب، ونتف الابط، وحلق العانة، والإختتان. انتهى. ورواه فى وسائل الشيعة:۱/۴۳۴

مستدرك الوسائل:۲/۱۲۰:

دعائم الإسلام: عن أمير المؤمنين أنه قال: من الفطرة أن يستقبل بالعليل القبلة إذا احتضر. انتهى. ورواه فى بحار الأنوار:۸۵/۲۴۳ وروى نحوه الحاكم فى المستدرك: ۱/۳۵۳ والبيهقى فى سننه:۳/۳۸۴

الكافى:۵/۴۹۶:

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمون، عن عبدالله بن عبدالرحمن، عن مسمع أبى سيار، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحب أن يكون على فطرتى فليستن بسنتى وإن من سنتى النكاح.

بحار الأنوار:۲۲/۲۶۳:

كا: العدة، عن سهل، عن جعفر بن محمد الأشعرى، عن ابن القداح عن أبى عبدالله عليه السلام قال: جاءت امرأة عثمان بن مظعون إلى النبى صلى الله عليه وآله فقالت: يا رسول الله إن عثمان يصوم النهار ويقوم الليل، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مغضباً يحمل نعليه حتى جاء إلى عثمان فوجده يصلى، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: يا عثمان لم يرسلنى الله بالرهبانية، ولكن بعثنى بالحنيفية السهلة السمحة، أصوم وأصلى وألمس أهلى،فمن أحب فطرتى فليستن بسنتى ومن سنتى النكاح.

بحار الأنوار:۱۰۳/۲۲۰:

جع: قال صلى الله عليه وآله: النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى.

وقال: تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط.

وروى البخارى فى صحيحه:۷/۵۶:

... عن ابن عمر رضی الله عنهما عن النبی(ص)قال: من الفطرة قص الشارب... عن أبی هریرة روایة الفطرة خمس أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الابط، وتقلیم الأظفار، وقص الشارب.

... عن نافع عن ابن عمر رضی الله عنهما أن رسول الله(ص)قال: من الفطرة حلق العانة، وتقلیم الاظفار، وقص الشارب.

... عن أبی هریرة (رض) سمعت النبی(ص)یقول: الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقلیم الأظفار، ونتف الاباط.

... عن ابن عمر عن النبی(ص)قال: خالفوا المشرکین، ووفروا اللحی واحفوا الشوارب. انتهی. وروی نحوه فی:۷/۱۴۳ ورواه النسائی:۱/۱۴

وروی مسلم فی:۱/۱۵۳:

عن عائشة... قالت: قال رسول الله(ص): عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحیة، والسواک، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الابط، وحلق العانة، وانتقاص الماء. قال زکریا: قال مصعب: ونسیت العاشرة إلا أن تکون المضمضة، زاد قتیبة قال وکیع: انتقاص الماء، یعنی الإستنجاء. انتهی. ورواه النسائی:۸/۱۲۶ ونحوه فی سنن ابن ماجة:۱/۱۰۷ والبیهقی فی سننه:۱/۳.

وروی فی کنز العمال:۹/۵۲۰: عن مجاهد قال: غسل الدبر من الفطرة.

امور ورد أنها تضر بالفطرة

الکافی:۲/۴۰۰:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبی عبدالله، عن عثمان بن عیسی، عن رجل عن عبدالله علیه السلام قال: من شک فی الله بعد مولده علی الفطرة لم یفیئ إلی خیر أبداً.

شرح الأسماء الحسنی:۲/۴۳:

اللهم إن الطاعة تسرک والمعصیة لا تضرک، فهب لی ما یسرک، واغفر لی ما لا یضرک، یا أرحم الراحمین.

أی: لو خلیتنی یا إلهی ونفسی الخائنة الجانیة وأوهامی المؤملة المرجیة، فمن یزیل آثار زلاتی الجمة الکثیرة، کما هو مقتضی الجمع المضاف المفید للعموم، لأن إمهال العظیم الصبور مدید موفور، فإذا استحکمت الملکات الرذیلة وتجوهرت العادات السیئة صارت طبیعة ثانیة مخالفة للفطرة الأولی الإسلامیة (المحکمة الراسخة کیفاً) والذاتی لا یتبدل، والنفس موضوع بسیط ولا ضد له.

تهذیب الأحکام:۳/۲۶۹:

... عن زرارة ومحمد بن مسلم قالا: قال أبو جعفر علیه السلام: کان أمیر المؤمنین علیه السلام یقول: من قرأ خلف إمام یأتم به فمات بعث علی غیر الفطرة.

کنز العمال:۸/۲۸۶:

عن علی قال: من قرأ خلف الإمام فقد أخطأ الفطرة. لیس من الفطرة القراءة مع الإمام.

کنز العمال:۳/۶۲:

لن تزال أمتی علی الفطرة ما لم یتخذوا الأمانة مغنماً، والزکاة مغرماً، عن ثوبان.

صحیح البخاری:۱/۱۹۲:

شعبة عن سلیمان، قال سمعت زید بن وهب قال رأی حذیفة رجلاً لا یتم الرکوع والسجود قال: ما صلیت، ولو مت مت علی غیر الفطرة التی فطر الله محمداً(ص). انتهی. ونحوه فی سنن البیهقی:۲/۳۸۶، وکنز العمال:۸/۲۰۰، ومسند أحمد:۵/۳۸۴.

تقویة الفطرة و تضعیفها و إساءة استعمالها

قابلیة الفطرة للتقویة والتخریب

بحار الأنوار:۷۳/۲۶۹:

... ثم الناس فی هذه القوة علی درجات ثلاث فی أول الفطرة وبحسب ما یطرأ علیها من الأمور الخارجة من التفریط والإفراط والإعتدال، أما التفریط فیفقد هذه القوة أو یضعفها بأن لا یستعملها فیما هو محمود عقلًا وشرعاً مثل دفع الضرر عن نفسه علی وجه سائغ، والجهاد مع أعدائه والبطش علیهم، وإقامة الحدود علی الوجه المعتبر، والأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، فتحصل فیه ملکة الجبن بل ینتهی إلی عدم الغیرة علی حرمه وأشباه ذلک. انتهی. أقول: ویدل علیه أیضاً قوله صلی الله علیه وآله (ولکن أبواه یهودانه أو ینصرانه).

بحار الأنوار:۶۰/۳۷۲:

الإقبال: عن الحسین بن علی (علیهما السلام) فی دعاء یوم عرفة:

... ابتدأتنی بنعمتک قبل أن أکون شیئاً مذکوراً وخلقتنی من التراب، ثم أسکنتنی الأصلاب، آمناً لریب المنون واختلاف الدهور، فلم أزل ظاعناً من صلب إلی رحم فی تقادم الأیام الماضیة والقرون الخالیة، لم تخرجنی لرأفتک بی ولطفک لی وإحسانک إلی فی دولة أئمة الکفرة الذین نقضوا عهدک، وکذبوا رسلک، لکنک أخرجتنی رأفةً منک وتحنناً علی للذی سبق لی من الهدی الذین یسرتنی وفیه أنشأتنی، ومن قبل ذلک رؤفت بی بجمیل صنعک، وسوابغ نعمتک، فابتدعت خلقی، من منی یمنی، ثم أسکنتنی فی ظلمات ثلاث بین لحم وجلد ودم، لم تشهرنی بخلقی، ولم تجعل إلیَّ شیئاً من أمری، ثم أخرجتنی إلی الدنیا تاماً سویاً، وحفظتنی فی المهد طفلاً صبیاً، ورزقتنی من الغذاء لبناً مریاً، وعطفت علی قلوب الحواضن، وکفلتنی الأمهات الرحائم، وکلاتنی من طوارق الجان، وسلمتنی من الزیادة والنقصان، فتعالیت یا رحیم یا رحمان.

حتی إذا استهللت ناطقاً بالکلام، أتممت علی سوابغ الانعام، فربیتنی زائداً فی کل عام حتی إذا کملت فطرتی، واعتدلت سریرتی، أوجبت علیَّ حجتک بأن ألهمتنی معرفتک، وروعتنی بعجائب فطرتک، وأنطقتنی لما ذرأت لی فی سمائک وأرضک من بدائع خلقک، ونبهتنی لذکرک وشکرک، وواجب طاعتک وعبادتک، وفهمتنی ما جاءت به رسلک.. إلخ. انتهی.

قال المجلسی رحمه الله الفطرة إشارة إلی قوة الأعضاء والقوی الظاهرة، واعتدال السریرة إلی کمال القوی الباطنة... ألقیت فی روعی أی قلبی عجائب الفطرة، لکنه بعید عن الشائع فی إطلاق هذا اللفظ بحسب اللغة. انتهی.

أقول: الظاهر أن معناه: جعلتنی أدرک روائع وعجائب ما فطرته من مخلوقاتک.

تفسیر المیزان:۱۶/۱۷۸:

الفطرة بناء نوع من الفطر بمعنی الإیجاد والإبداع، وفطرة الله منصوب علی الأغراء أی إلزم الفطرة، ففیه إشارة إلی أن هذا الدین الذی یجب إقامة الوجه له، هو الذی تهتف به الخلقة وتهدی إلیه الفطرة الإلهیة التی لا تبدیل لها.

وذلک أنه لیس الدین إلا سنة الحیاة والسبیل التی یجب علی الإنسان أن یسلکها حتی یسعد فی حیاته، فلا غایة للإنسان یتبعها إلا السعادة، وقد هدی کل نوع من أنواع الخلیقة إلی سعادته التی هی بغیة حیاته بفطرته ونوع خلقته، وجهزه فی وجوده بما یناسب غایته من التجهیز، قال تعالی: رَبُّنَا الَّذِی أَعْطَی کُلَّ شَیْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَی. طه: ۵۰، وقال: الَّذِی خَلَقَ فَسَوَّی وَالَّذِی قَدَّرَ فَهَدَی. الأعلی: ۳.

فالإنسان کسائر الأنواع المخلوقة مفطور بفطرة تهدیه إلی تتمیم نواقصه ورفع حوائجه وتهتف له بما ینفعه وما یضره فی حیاته، قال تعالی: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا الشمس: ۸، وهو مع ذلک مجهز بما یتم له به ما یجب له أن یقصده من العمل، قال تعالی: ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ. عبس: ۲۰.

فللإنسان فطرة خاصة تهدیه إلی سنة خاصة فی الحیاة وسبیل معینة ذات غایة مشخصة لیس له إلا أن یسلکها خاصة، وهو قوله: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا، ولیس الإنسان العائش فی هذه النشأة إلا نوعاً واحداً لا یختلف ما ینفعه وما یضره بالنظر إلی هذه البنیة

المؤلفة من روح وبدن، فما للإنسان من جهة أنه إنسان إلا سعادة واحدة وشقاء واحد، فمن الضرورى حينئذ أن يكون تجاه عمله سنة واحدة ثابتة يهديه إليها هاد واحد ثابت، وليكن ذاك الهادى هو الفطرة ونوع الخلقة، ولذلك عقب قوله: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، بقوله: لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ، فلو اختلفت سعادة الإنسان باختلاف أفراده لم ينعقد مجتمع واحد صالح يضمن سعادة الأفراد المجتمعين، ولو اختلفت السعادة باختلاف الأقطار التى تعيش فيها الأمم المختلفة بمعنى أن يكون الأساس الوحيد للسنة الإجتماعية، أعنى الدين هو ما يقتضيه حكم المنطقة، كان الإنسان أنواعاً مختلفة باختلاف الأقطار، ولو اختلفت السعادة باختلاف الأزمنة، بمعنى أن تكون الأعصار والقرون هى الأساس الوحيد للسنة الدينية، اختلفت نوعية كل قرن وجيل مع من ورثوا من آبائهم أو أخلفوا من أبنائهم، ولم يسر الإجتماع الإنسانى سير التكامل، ولم تكن الإنسانية متوجهة من النقص إلى الكمال، إذ لا يتحقق النقص والكمال إلا مع أمر مشترك ثابت محفوظ بينهما.

وليس المراد بهذا إنكار أن يكون لاختلاف الأفراد أو الأمكنة أو الأزمنة بعض التأثير فى انتظام السنة الدينية فى الجملة، بل إثبات أن الأساس للسنة الدينية هو البنية الإنسانية التى هى حقيقة واحدة ثابتة مشتركة بين الأفراد، فللإنسانية سنة واحدة ثابتة بثبات أساسها الذى هو الإنسان، وهى التى تدير رحى الإنسانية مع ما يلحق بها من السنن الجزئية المختلفة باختلاف الأفراد أو الأمكنة أو الأزمنة. وهذا هو الذى يشير إلى قوله بعد ذلك: الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ....

وللقوم فى مفردات الآية ومعناها أقوال أخر متفرقة، منها: أن المراد بإقامة الوجه تسديد العمل، فإن الوجه هو ما يتوجه إليه وهو العمل وإقامته تسديده. وفيه أن وجه العمل هو غايته المقصودة منه وهى غير العمل، والذى فى الآية هو: فَأَقِمْ وَجْهَكَ، ولم يقل فأقم وجه عملك....

ومنها، أن لا فى قوله: لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ، تفيد النهى أى لا تبدلوا خلق الله أى دينه الذى أمرتم بالتمسك به، أولا تبدلوا خلق الله بإنكار دلالته على التوحيد، ومنه من نسب إلى ابن عباس أن المراد به النهى عن الخصاء.

وفيه، أن لا دليل على أخذ الخلق بمعنى الدين ولا موجب لتسمية الأعراض عن دلالة الخلقة أو إنكارها تبديلًا لخلق الله، وأما ما نسب إلى ابن عباس ففساده ظاهر.

ومنها، ما ذكره الرازى فى التفسير الكبير قال: ويحتمل أن يقال خلق الله الخلق لعبادته وهم كلهم عبيده لا تبديل لخلق الله، أى ليس كونهم عبيداً مثل كون المملوك عبداً للإنسان فإنه ينتقل عنه إلى غيره ويخرج عن ملكه بالعتق، بل لا خروج للخلق عن العبادة والعبودية. وهذا لبيان فساد قول من يقول العبادة لتحصيل الكمال والعبد يكمل بالعبادة فلا يبقى عليه تكليف، وقول المشركين إن الناقص لا يصلح لعبادة الله، وإنما الإنسان عبد الكواكب والكواكب عبيد الله، وقول النصارى إن عيسى كان يحل الله فيه وصار إلها، فقال: لا تبديل لخلق الله بل كلهم عبيد لا خروج لهم عن ذلك. إنتهى.

وفيه، أنه مغالطة بين الملك والعبادة التكوينيين والملك والعبادة التشريعيين، فإن ملكه تعالى الذى لا يقبل الإنتقال والبطلان ملك تكوينى بمعنى قيام وجود الأشياء به تعالى، والعبادة التى بإزائه عبادة تكوينية وهو خضوع ذوات الأشياء له تعالى، ولا تقبل التبديل والترك كما فى قوله: وَإِنْ مِنْ شَيْ‌ءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ إسراء: ۴۴.

وأما العبادة الدينية التى تقبل التبديل والترك فهى عبادة تشريعية بإزاء الملك التشريعى المعتبر له تعالى، فأفهمه. ولو دل قوله لا تبديل لخلق الله على عدم تبديل الملك والعبادة والعبودية لدل على التكوينى منهما، والذى يبدله القائلون بارتفاع التكليف عن الإنسان الكامل أو بعبادة الكواكب أو المسيح، فإنما يعنون به التشريعى منهما.

تفسير الميزان:۵/۳۱۲:

البيانات القرآنية تجرى فى بث المعارف الدينية وتعليم الناس العلم النافع هذا المجرى، وتراعى الطرق المتقدمة التى عينتها للحصول على المعلومات، فما كان من الجزئيات التى لها خواص تقبل الاحساس فإنها تصريح فيها إلى الحواس كالآيات المشتملة على قوله:

ألم تر، أفلا يرون، أفرأيتم، أفلا تبصرون، وغير ذلك.

وما كان من الكليات العقلية مما يتعلق بالأمور الكلية المادية، أو التى هى وراء عالم الشهادة، فإنها تعتبر فيها العقل اعتباراً جازماً وإن كانت غائبة عن الحس خارجة عن محيط المادة والماديات كغالب الآيات الراجعة إلى المبدأ والمعاد المشتملة على أمثال قوله: لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ، يَفْقَهُونَ، وغيرها.

وما كان من القضايا العملية التى لها مساس بالخير والشر والنافع والضار فى العمل والتقوى والفجور، فإنها تستند فيها إلى الإلهام الإلهى بذكر ما بتذكره يشعر الإنسان بإلهامه الباطنى كالآيات المشتملة على مثل قوله: ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ، فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ، وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، إنَّ اللهَ لا يَهْدِي، وغيرها، وعليك بالتدبر فيها.

ومن هنا يظهر أولاً أن القرآن الكريم يُخطّئ طريق الحسيين وهم المعتمدون على الحس والتجربة النافون للأحكام العقلية الصرفة فى الابحاث العلمية، وذلك أن أول ما يهتم القرآن به فى بيانه هو أمر توحيد الله عز اسمه، ثم يرجع إليه ويبنى عليه جميع المعارف الحقيقية التى يبينها ويدعو إليها.

ومن المعلوم أن التوحيد أشد المسائل ابتعاداً من الحس وبينونة للمادة وارتباطاً بالأحكام العقلية الصرفة. والقرآن يبين أن هذه المعارف الحقيقية من الفطرة، قال: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ. الروم: ۳۰، أى أن الخلقة الإنسانية نوع من الايجاد يستتبع هذه العلوم والإدراكات، ولا معنى لتبديل خلق إلا أن يكون نفس التبديل أيضاً من الخلق والإيجاد، وأما تبديل الإيجاد المطلق أى إبطال حكم الواقع فلا يتصور له معنى، فلن يستطيع الإنسان وحاشا ذلك أن يبطل علومه الفطرية ويسلك فى الحياة سبيلاً آخر غير سبيلها البتة.

وأما الانحراف المشهود عن أحكام الفطرة فليس إبطالاً لحكمها، بل استعمالاً لها غير ما ينبغى من نحو الإستعمال، نظير ما ربما يتفق أن الرامى لا يصيب الهدف فى رميته، فإن آلة الرمى وسائر شرائطه موضوعه بالطبع للإصابة، إلا أن الإستعمال يوقعها فى الغلط، والسكاكين والمناشير والمثاقب والإبر وأمثالها إذا عبثت فى الماكينات تعبئة معوجة تعمل عملها الذى فطرت عليه بعينه من قطع أو نشر أو ثقب وغير ذلك، لكن لا على الوجه المقصود، وأما الإنحراف عن العمل الفطرى كأن يخاط بنشر المنشار بأن يعوض المنشار فعل الإبرة من فعل نفسه فيضع الخياطة موضع النشر، فمن المحال ذلك.

وهذا ظاهر لمن تأمل عامة ما استدل به القوم على صحة طريقهم، كقولهم إن الأبحاث العقلية المحضة والقياسات المؤلفة من مقدمات بعيدة من الحس يكثر وقوع الخطأ فيها، كما يدل عليه كثرة الإختلافات فى المسائل العقلية المحضة، فلا ينبغى الإعتماد عليها لعدم إطمئنان النفس إليها. وقولهم فى الإستدلال على صحة طريق الحس والتجربة إن الحس آلة لنيل خواص الأشياء بالضرورة وإذا أحس بأثر فى موضوع من الموضوعات على شرائط مخصوصة ثم تكرر مشاهدة الأثر معه مع حفظ تلك الشرائط بعينها من غير تخلف واختلاف، كشف ذلك عن أن هذا الأثر خاصة الموضوع من غير اتفاق، لأن الإتفاق (الصدفة) لا يدوم البتة.

والدليلان كما ترى سيقاً لإثبات وجوب الإعتماد على الحس والتجربة ورفض السلوك العقلى المحض، مع كون المقدمات المأخوذة فيهما جميعاً مقدمات عقلية خارجة عن الحس والتجربة، ثم أريد بالأخذ بهذه المقدمات العقلية إبطال الأخذ بها، وهذا هو الذى تقدم أن الفطرة لن تبطل البتة، وإنما يغلط الإنسان فى كيفية استعمالها.

قدوات البشرية فى فطرتهم المستقيمة

آدم فطرة الله تعالى

الصحيفة السجادية:۲/۳۹:

فی الصلاة علی آدم علیه السلام: اللهم وآدم بدیع فطرتک، وأول معترف من الطین بربوبیتک، وبکر حجتک علی عبادک وبریتک.
بحار الأنوار:۱۰۱/۲۳۰:
(زیارة أخری) رواها الکفعمی فی البلد الأمین عن الصادق علیه السلام قال: إذا وصلت إلی الفرات فاغتسل وألبس أنظف ثوب تقدر علیه، ثم صر إلی القبر حافیاً وعلیک السکینة والوقار، وقف بالباب وکبر أربعاً وثلاثین تکبیرة وقل: السلام علیک یا وارث آدم فطرة الله، السلام علیک یا وارث نوح صفوة الله.

ابراهیم إمام الإستقامة علی الفطرة

الصحیفة السجادیة:۲/۲۵۶:
... یا موضع کل شکوی، ویا شاهد کل نجوی، ویا عالم کل خفیة، ویا دافع کل بلیة، یا کریم العفو، یا حسن التجاوز، توفنی علی ملة إبراهیم وفطرته، وعلی دین محمد وسنته، وعلی خیر الوفادة فتوفنی، موالیاً لأولیائک ومعادیاً لأعدائک. اللهم إنی أسألک التوفیق لکل عمل أو قول أو فعل یقربنی إلیک زلفی، یا أرحم الراحمین.
الکافی:۸/۳۶۶:
علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن أحمد بن محمد بن أبی نصر، عن أبان بن عثمان عن حجر، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: خالف إبراهیم علیه السلام قومه وعاب آلهتهم حتی أدخل علی نمرود فخاصمه، فقال إبراهیم علیه السلام: ربی الذی یحیی ویمیت قال: أنا أحیی وأمیت. قال إبراهیم: فإن الله یأتی بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذی کفر والله لا یهدی القوم الظالمین.
وقال أبو جعفر علیه السلام: عاب آلهتهم فنظر نظرة فی النجوم فقال إنی سقیم، قال أبو جعفر علیه السلام: والله ما کان سقیماً وما کذب، فلما تولوا عنه مدبرین إلی عید لهم دخل إبراهیم علیه السلام إلی آلهتهم بقدوم فکسرها إلا کبیراً لهم ووضع القدوم فی عنقه، فرجعوا إلی آلهتهم فنظروا إلی ما صنع بها فقالوا: لا والله ما اجترأ علیها ولا کسرها إلا الفتی الذی کان یعیبها ویبرأ منها، فلم یجدوا له قتلةً أعظم من النار، فجمعوا له الحطب واستجادوه، حتی إذا کان الیوم الذی یحرق فیه برز له نمرود وجنوده وقد بنی له بناء لینظر إلیه کیف تأخذه النار، ووضع إبراهیم علیه السلام فی منجنیق، وقالت الأرض: یا رب لیس علی ظهری أحد یعبدک غیره یحرق بالنار؟ قال الرب: إن دعانی کفیته.
فذکر أبان عن محمد بن مروان، عمن رواه عن أبی جعفر علیه السلام أن دعاء إبراهیم علیه السلام یومئذ کان (یا أحد یا أحد، یا صمد یا صمد، یا من لم یلد ولم یولد ولم یکن له کفواً أحد. ثم قال: توکلت علی الله) فقال الرب تبارک وتعالی: کفیت، فقال للنار: کُونِی بَرْدًا. قال فاضطربت أسنان إبراهیم علیه السلام من البرد حتی قال الله عز وجل: وَسَلامًا عَلَی إِبْرَاهِیمَ. وانحط جبرئیل علیه السلام وإذا هو جالس مع إبراهیم علیه السلام یحدثه فی النار، قال نمرود: من اتخذ إلهاً فلیتخذ مثل إله إبراهیم! قال: فقال عظیم من عظمائهم: إنی عزمت علی النار أن لا تحرقه، قال فأخذ عنق من النار نحوه حتی أحرقه!
قال: فآمن له لوط، وخرج مهاجراً إلی الشام هو وسارة ولوط.
ـ علی بن إبراهیم، عن أبیه، وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زیاد جمیعاً، عن الحسن بن محبوب، عن إبراهیم بن أبی زیاد الکرخی قال: سمعت أبا عبدالله علیه السلام یقول: ان إبراهیم علیه السلام کان مولده بکوثی ربا، وکان أبوه من أهلها وکانت أم إبراهیم وأم لوط سارة ورقة وفی نسخة رقیة أختین، وهما ابنتان للاحج، وکان لاحج نبیاً منذراً ولم یکن رسولاً، وکان إبراهیم علیه السلام فی شبیبته علی الفطرة التی فطر الله عز وجل الخلق علیها، حتی هداه الله تبارک وتعالی إلی دینه واجتباه، وإنه تزوج سارة ابنة لاحج وهی ابنة خالته، وکانت سارة صاحبة ماشیة کثیرة وأرض واسعة وحال حسنة، وکانت قد ملکت إبراهیم علیه السلام جمیع ما کانت تملکه، فقام فیه وأصلحه وکثرت الماشیة والزرع، حتی لم یکن بأرض کوثی ربا رجل أحسن حالاً منه.

وإن إبراهیم علیه السلام لما کسر أصنام نمرود أمر به نمرود فأوثق، وعمل له حیراً وجمع له فیه الحطب وألهب فیه النار، ثم قذف إبراهیم علیه السلام فی النار لتحرقه، ثم اعتزلوها حتی خمدت النار، ثم أشرفوا علی الحیر فإذا هم بإبراهیم علیه السلام سلیماً مطلقاً من وثاقه فأخبر نمرود خبره، فأمرهم أن ینفوا إبراهیم علیه السلام من بلاده وأن یمنعوه من الخروج بماشیته وماله، فحاجهم إبراهیم علیه السلام عند ذلک فقال: إن أخذتم ماشیتی ومالی فإن حقی علیکم أن تردوا علیَّ ما ذهب من عمری فی بلادکم، واختصموا إلی قاضی نمرود فقضی علی إبراهیم علیه السلام أن یسلم إلیهم جمیع ما أصاب فی بلادهم، وقضی علی أصحاب نمرود أن یردوا علی إبراهیم علیه السلام ما ذهب من عمره فی بلادهم!

فأخبر بذلک نمرود فأمرهم أن یخلوا سبیله وسبیل ماشیته وما له وأن یخرجوه، وقال: إنه إن بقی فی بلادکم أفسد دینکم وأضر بآلهتکم، فأخرجوا إبراهیم ولوطاً معه صلی الله علیهما من بلادهم إلی الشام، فخرج إبراهیم ومعه لوط لا یفارقه وسارة، وقال لهم: إنی ذاهب إلی ربی سیهدین، یعنی بیت المقدس.

فتحمل إبراهیم علیه السلام بماشیته وماله وعمل تابوتاً وجعل فیه سارة وشد علیها الأغلاق غیرةً منه علیها، ومضی حتی خرج من سلطان نمرود وصار إلی سلطان رجل من القبط یقال له عرارة، فمر بعاشر له فاعترضه العاشر لیعشر ما معه، فلما انتهی إلی العاشر ومعه التابوت.

قال العاشر لابراهیم علیه السلام: إفتح هذا التابوت حتی نعشر ما فیه.

فقال له إبراهیم علیه السلام: قل ما شئت فیه من ذهب أو فضة حتی نعطی عشره ولا نفتحه.

قال فأبی العاشر إلا فتحه، قال وغضب إبراهیم علیه السلام علی فتحه، فلما بدت له سارة وکانت موصوفة بالحسن والجمال، قال له العاشر: ما هذه المرأة منک؟

قال إبراهیم علیه السلام: هی حرمتی وابنة خالتی.

فقال له العاشر: فما دعاک إلی أن خبیتها فی هذا التابوت؟

فقال إبراهیم علیه السلام: الغیرة علیها أن یراها أحد.

فقال له العاشر: لست أدعک تبرح حتی أعلم الملک حالها وحالک، قال: فبعث رسولاً إلی الملک فأعلمه فبعث الملک رسولاً من قبله لیأتوه بالتابوت فأتوا لیذهبوا به. فقال لهم إبراهیم علیه السلام: إنی لست أفارق التابوت حتی تفارق روحی جسدی، فأخبروا الملک بذلک فأرسل الملک أن احملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهیم علیه السلام والتابوت وجمیع ما کان معه حتی أدخل علی الملک فقاله له الملک: إفتح التابوت.

فقال إبراهیم علیه السلام: أیها الملک إن فیه حرمتی وابنة خالتی وأنا مفتد فتحه بجمیع ما معی. قال: فغضب الملک وأجبر إبراهیم علیه السلام علی فتحه، فلما رأی سارة لم یملک حلمه سفهه أن مد یده إلیها فأعرض إبراهیم علیه السلام بوجهه عنها وعنه غیرة منه وقال: اللهم احبس یده عن حرمتی وابنة خالتی، فلم تصل یده إلیها ولم ترجع إلیه!

فقال له الملک: إن إلهک الذی فعل بی هذا؟

فقال له: نعم، إن إلهی غیور یکره الحرام وهو الذی حال بینک وبین ما أردت من الحرام.

فقال له الملک: فادع إلهک یرد علیَّ یدی فإن أجابک فلم أعرض لها.

فقال إبراهیم علیه السلام: إلهی رد علیه یده لیکف عن حرمتی.

قال: فرد الله عز وجل علیه یده فأقبل الملک نحوها ببصره، ثم أعاد بیده نحوها فأعرض إبراهیم علیه السلام عنه بوجهه غیرة منه وقال: اللهم احبس یده عنها، قال فیبست یده ولم تصل إلیها!

فقال الملک لابراهیم علیه السلام: ان إلهک لغیور وإنک لغیور فادع إلهک یرد علی یدی فإنه إن فعل لم أعد.

فقال له إبراهيم عليه السلام: أسأله ذلک على أنک إن عدت لم تسألنی أن أسأله.

فقال الملک: نعم.

فقال إبراهيم عليه السلام: اللهم إن کان صادقاً فرد عليه يده، فرجعت إليه يده!

فلما رأى ذلک الملک من الغيرة ما رأى ورأى الآية فی يده، عظم إبراهيم عليه السلام وهابه وأکرمه واتقاه، وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها أو لشئ مما معک، فانطلق حيث شئت ولکن لی إليک حاجة.

فقال إبراهيم عليه السلام: ما هی؟

فقال له: أحب ان تأذن لی أن أخدمها قبطية عندی جميلة عاقلة تکون لها خادماً.

قال: فأذن له إبراهيم عليه السلام فدعا بها فوهبها لسارة وهی هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

فسار إبراهيم عليه السلام بجميع ما معه وخرج الملک معه يمشئ خلف إبراهيم عليه السلام إعظاماً لابراهيم عليه السلام وهيبة له، فأوحى الله تبارک وتعالى إلى إبراهيم أن قف ولا تمش قدام الجبار المتسلط ويمشئ هو خلفک، ولکن اجعله أمامک وامش خلفه وعظمه وهبه، فإنه مسلط ولابد من إمرة فی الأرض برة أو فاجرة، فوقف إبراهيم عليه السلام وقال للملک: إمض فإن إلهی أوحى إلیَّ الساعة أن أعظمک وأهابک وأن أقدمک أمامی وأمشئ خلفک إجلالاً لک.

فقال له الملک: أوحى إليک بهذا؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: نعم.

فقال له الملک: أشهد أن إلهک لرفيق حليم کريم، وإنک ترغبنی فی دينک.

قال: وودعه الملک فسار إبراهيم عليه السلام حتى نزل بأعلى الشامات، وخلف لوطاً عليه السلام فی أدنى الشامات.

ثم إن إبراهيم عليه السلام لما أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعتنی هاجر لعل الله أن يرزقنا منها ولداً فيکون لنا خلفاً، فابتاع إبراهيم عليه السلام هاجر من سارة فوقع عليها فولدت اسماعيل. انتهى. ورواه فی تفسير نور الثقلين:۴/۴۱۶ ورواه المجلسی فی بحار الأنوار:۱۲/۴۸.

وفی هذا الحديث من الحقائق والاضواء على حياة سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وآله ما يرد کثيراً من الشبه الواردة فی الإسرائيليات، والتهم التی اتهمه بها اليهود، وقلدهم بعض المسلمين!!

نبينا رائد العارفين و رائد سعادتن

نهج البلاغة:۳/۴۴:

... والرسول قد عرف عن الله وأخبرنا، فهو رائد سعادتنا.

مروج الذهب للمسعودی:۱/۳۲:

فهذا ما روى عن أبی عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علی، عن أبيه علی بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علی، عن أمير المؤمنين علی بن أبی طالب کرم الله وجهه:

إن الله حين شاء تقدير الخليقة وذرأ البرية وإبداع المبدعات، نصب الخلق فی صور کالهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء، وهو فی انفراد ملکوته وتوحد جبروته فأتاح (فأساح) نوراً من نوره فلمع، و[نزع]قبساً من ضيائه فسطع، ثم اجتمع النور فی وسط تلک الصور الخفية فوافق ذلک صورة نبينا محمد(ص)، فقال الله عز من قائل: أنت المختار المنتخب، وعندک مستودع نوری وکنوز هدايتی، من أجلک أسطح البطحاء، وأمرج الماء، وأرفع السماء، وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار، وأنصب أهل بيتک للهداية، وأوتيهم من مکنون علمی ما لا يشکل عليهم دقيق ولا يعييهم خفی، وأجعلهم حجتی على بريتی، والمنبهين على قدرتی ووحدانيتی، ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية والإخلاص بالوحدانية. فبعد أخذ ما أخذ من ذلک شاب ببصائر الخلق انتخاب محمد وآله (فقبل أخذ ما أخذ

جل شأنه ببصائر الخلق انتخب محمد وآله) وأراهم أن الهدایهٔ معه والنور له والإمامهٔ فی آله، تقدیماً لسنهٔ العدل، ولیکون الأعذار متقدماً.

ثم أخفی الله الخلیقهٔ فی غیبه، وغیبها فی مکنون علمه، ثم نصب العوامل وبسط الزمان، ومرج الماء، وأثار الزبد، وأهاج الدخان، فطفا عرشه علی الماء، فسطح الأرض علی ظهر الماء[وأخرج من الماء دخاناً فجعله السماء]ثم استجلبهما إلی الطاعهٔ فأذعنتا بالإستجابهٔ.

ثم أنشأ الله الملائکهٔ من أنوار أبدعها، وأرواح اخترعها، وقرن بتوحیده نبوهٔ محمد(ص)، فشهرت فی السماء قبل بعثته فی الأرض، فلما خلق آدم أبان فضله للملائکهٔ، وأراهم ما خصه به من سابق العلم من حیث عرفه عند استنبائه إیاه أسماء الأشیاء، فجعل الله آدم محراباً وکعبهٔ وباباً وقبلهٔ أسجد إلیها الأبرار والروحانیین الأنوار، ثم نبه آدم علی مستودعه، وکشف له[عن]خطر ما ائتمنه علیه، بعد ما سماه إماماً عند الملائکهٔ، فکان حظ آدم من الخیر ما أراه من مستودع نورنا، ولم یزل الله تعالی یخبئ النور تحت الزمان إلی أن فضل محمداً (ص)فی ظاهر الفترات، فدعا الناس ظاهراً وباطناً، وندبهم سراً وإعلاناً، واستدعی علیه السلام التنبیه علی العهد الذی قدمه إلی الذر قبل النسل، فمن وافقه وقبس من مصباح النور المقدم اهتدی إلی سره، واستبان واضح أمره، ومن أبلسته الغفلهٔ استحق السخط.

ثم انتقل النور إلی غرائزنا، ولمع فی أئمتنا، فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض، فبنا النجاء، ومنا مکنون العلم، والینا مصیر الأمور، وبمهدینا تنقطع الحجج، خاتمهٔ الأئمهٔ، ومنقذ الأمهٔ، وغایهٔ النور، ومصدر الأمور، فنحن أفضل المخلوقین، وأشرف الموحدین، وحجج رب العالمین، فلیهنأ بالنعمهٔ من تمسک بولایتنا، وقبض علی عروتنا. انتهی. وروی شبیهاً به ابن الجوزی فی تذکرهٔ الخواص ص۱۲۸-۱۳۰

علل الشرائع:۱/۵:

حدثنا الحسن بن محمد سعید الهاشمی قال: حدثنا فرات بن إبراهیم بن فرات الکوفی قال: حدثنا محمد بن أحمد بن علی الهمدانی، قال حدثنی أبوالفضل العباس بن عبدالله البخاری، قال حدثنا محمد بن القاسم بن إبراهیم بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن محمد بن أبی بکر، قال حدثنا عبدالسلام بن صالح الهروی، عن علی بن موسی الرضا، عن أبیه موسی بن جعفر، عن أبیه جعفر بن محمد، عن أبیه محمد بن علی، عن أبیه علی بن الحسین، عن أبیه الحسین بن علی، عن أبیه علی بن أبی طالب غلیهم السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ما خلق الله خلقاً أفضل منی ولاأکرم علیه منی، قال علی علیه السلام فقلت یا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئیل؟ فقال: یا علی إن الله تبارک وتعالی فضل أنبیاءه المرسلین علی ملائکته المقربین وفضلنی علی جمیع النبیین والمرسلین، والفضل بعدی لک یا علی وللأئمهٔ من بعدک، وإن الملائکهٔ لخدامنا وخدام محبینا. یا علی الذین یحملون العرش ومن حوله یسبحون بحمد ربهم ویستغفرون للذین آمنوا بولایتنا، یا علی لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنهٔ ولا النار ولا السماء ولا الأرض، فکیف لا نکون أفضل من الملائکهٔ، وقد سبقناهم إلی معرفهٔ ربنا وتسبیحه وتهلیله وتقدیسه، لأن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحیده وتحمیده، ثم خلق الملائکهٔ فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائکهٔ إنا خلق مخلوقون، وإنه منزه عن صفاتنا، فسبحت الملائکهٔ بتسبیحنا ونزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائکهٔ أن لا إله إلا الله وأنَّا عبید ولسنا بآلههٔ یجب أن نعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلا الله، فلما شاهدوا کبر محلنا کبَّرنا لتعلم الملائکهٔ أن الله أکبر من أن ینال عظم المحل إلاـ به، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العز والقوهٔ قلنا لاـ حول ولاـ قوهٔ إلاـ بالله لتعلم الملائکهٔ أن لا حول لنا ولا قوهٔ إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علینا وأوجبه لنا من فرض الطاعهٔ قلنا الحمد الله لتعلم الملائکهٔ ما یحق الله تعالی ذکره علینا من الحمد علی نعمته، فقالت الملائکهٔ الحمد لله.

فبنا اهتدی إلی معرفهٔ توحید الله وتسبیحه وتهلیله وتحمیده وتمجیده، ثم أن الله تبارک وتعالی خلق آدم، فأودعنا صلبه وأمر الملائکهٔ بالسجود له تعظیماً لنا وإکراماً.

علل الشرائع:۱/۱۱۷:

- حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحميرى عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالرحمان بن كثير، عن داود الرقى، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: لما أراد الله عز وجل أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه، ثم قال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة صلوات عليهم أجمعين، فقالوا: أنت ربنا، فحمَّلهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة دينى وعلمى وأمنائى فى خلقى وهم المسؤولون، ثم قيل لبنى آدم أقروا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة والولاية، فقالوا نعم ربنا أقررنا، فقال الله جل جلاله للملائكة: إشهدوا، فقالت الملائكة شهدنا... على أن لا يقولوا غداً إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، يا داود الأنبياء مؤكدة عليهم فى الميثاق.

الإعتقادات للصدوق/۶۷:

... وأن محمداً صلى الله عليه وآله سيدهم وأفضلهم، وأنه جاء بالحق وصدق المرسلين، وأن الذين كذبوه لذائقوا العذاب الأليم. وأن الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون الفائزون. ويجب أن يعتقد أن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أفضل من محمد صلى الله عليه وآله والأئمة غليهم السلام، وأنهم أحب الخلق إلى الله وأكرمهم، وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى. وأن الله بعث نبيه محمد صلى الله عليه وآله للأنبياء فى الذر. وأن الله عز وجل أعطى ما أعطى كل نبى على قدر معرفته، ومعرفة نبينا محمد صلى الله عليه وآله، وسبقه إلى الإقرار به. ونعتقد: أن الله تبارك وتعالى خلق جميع الخلق له ولاهل بيته غليهم السلام، وأنه لولاهم ما خلق الله سبحانه السماء والأرض ولا الجنة ولا النار ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة، ولا شيئاً مما خلق، صلوات الله عليهم أجمعين. انتهى.

وقد أوردنا فى فصل الفطرة تحت عنوان: عوالم وجود الإنسان، عدداً من أحاديث خلق نور النبى وآله صلى الله عليه وعليهم قبل الخلق.

خط الفطرة لم ينقطع من ذرية إبراهيم

بحار الأنوار:۱۵/۱۱۷:

بيان: اتفقت الإمامية رضوان الله عليهم على أن والدى الرسول وكل أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين، بل كانوا من الصديقين: إما أنبياء مرسلين، أو أوصياء معصومين، ولعل بعضهم لم يظهر الإسلام لتقية أو لمصلحة دينية....

ورووا عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: لم يزل ينقلنى الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجنى فى عالمكم هذا، لم يدنسنى بدنس الجاهلية. ولو كان من آبائه عليه السلام كافر لم يصف جميعهم بالطهارة، مع قوله سبحانه: إنما المشركون نجس...

وهذا المسلك ذهبت إليه طائفة، منهم الإمام فخر الدين الرازى، فقال فى كتابه أسرار التنزيل ما نصه: قيل: إن آزر لم يكن والد إبراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه:

منها: أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً، ويدل عليه وجوه: منها قوله تعالى: أَلَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ. وَتَقَلُّبَكَ فِى أَلسَّاجِدِينَ....

الثانية: أن الأحاديث والاثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح عليه السلام إلى بعثة النبى صلى الله عليه وآله إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له، وبهم تحفظ الأرض، ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها....

وأما المخالفون: فذهب أكثرهم إلى كفر والدى الرسول صلى الله عليه وآله وكثير من أجداده كعبد المطلب وهاشم وعبد مناف صلوات الله عليهم اجمعين، وإجماعنا وأخبارنا متظافرة... وقال فى هامشه:

وذهب بعضهم إلى إيمان والديه صلى الله عليه وآله وأجداده، واستدلوا عليه بالكتاب والسنة، منهم السيوطى، قال فى كتاب مسالك

الحنفاء: المسلک الثانی أنهما أی عبد الله وآمنة لم یثبت عنهما شرک، بل کانا علی الحنیفیة دین جدهما إبراهیم علی نبینا وعلیه الصلاة والسلام....

ثم قال (السیوطی): وعندی فی نصرة هذا المسلک وما ذهب إلیه الإمام فخر الدین أمور: أحدها دلیل استنبطه مرکب من مقدمتین.

الأولی: أن الأحادیث الصحیحة دلت علی أن کل أصل من أصول النبی صلی الله علیه وآله من آدم علیه السلام إلی أبیه عبدالله، فهو خیر أهل قرنه وأفضلهم، ولا أحد فی قرنه ذلک خیر منه ولا أفضل.

الثانیة: إن الأحادیث والآثار دلت علی أنه لم تخل الأرض من عهد نوح علیه السلام أو آدم علیه السلام إلی بعثة النبی صلی الله علیه وآله إلی أن تقوم الساعة من ناس علی الفطرة یعبدون الله ویوحدونه ویصلون له، وبهم تحفظ الأرض ولولا هم لهلکت الأرض ومن علیها، وإذا قرنت بین هاتین المقدمتین أنتج منهما قطعاً أن آباء النبی صلی الله علیه وآله لم یکن فیهم مشرک، لأنه ثبت فی کل منهم أنه خیر قرنه... (ثم ذکر عن السیوطی آیات وأحادیث لإثبات ذلک منها): ما ورد فی تفسیر قوله تعالی: وَجَعَلَهَا کَلِمَةً بَاقِیَةً فِی عَقِبِهِ، تدل علی أن التوحید کان باقیاً فی ذریة إبراهیم علیه السلام ولم یزل ناس من ذریته علی الفطرة یعبدون الله تعالی حتی تقوم الساعة.... فحصل مما أوردناه أن آباء النبی صلی الله علیه وآله من عهد إبراهیم إلی کعب بن لؤی کانوا کلهم علی دین إبراهیم علیه السلام....

الدر المنثور:۳/۳۴۱:

وأخرج أبو الشیخ عن زید بن علی (رض) قال: قالت سارة رضی الله عنها لما بشرتها الملائکة غلیهم السلام: یا ویلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلی شیخاً إن هذا لشئ عجیب، فقالت الملائکة ترد علی سارة: أتعجبین من أمر الله رحمة الله وبرکاته علیکم أهل البیت إنه حمید مجید، قال فهو کقوله: وَجَعَلَهَا کَلِمَةً بَاقِیَةً فِی عَقِبِهِ، بمحمد(ص)من عقب إبراهیم.

الدر المنثور:۴/۸۷:

وأخرج ابن المنذر عن ابن جریج (رض) فی قوله: رب اجعلنی مقیم الصلاة ومن ذریتی، قال فلن یزال من ذریة إبراهیم علیه السلام ناس علی الفطرة یعبدون الله تعالی حتی تقوم الساعة.

الدر المنثور:۶/۱۶:

وأخرج ابن أبی حاتم عن عکرمة: وَجَعَلَهَا کَلِمَةً بَاقِیَةً فِی عَقِبِهِ، قال: فی الإسلام أوصی بها ولده.

وأخرج عبد بن حمید وابن المنذر عن مجاهد: وجعلها کلمة باقیة فی عقبه... الآیة، قال: الإخلاص والتوحید لا یزال فی ذریته من یقولها من بعده.

وأخرج عبد بن حمید عن ابن عباس: وَجَعَلَهَا کَلِمَةً بَاقِیَةً فِی عَقِبِهِ... الآیة، قال: لا إله إلا الله، فی عقبه: قال عقب إبراهیم ولده.

عمار علم الثابتین علی الفطرة بعد النبی

بحار الأنوار:۲۲/۳۲۰:

لی: بهذا الاسناد عن إبراهیم بن الحکم، عن عبیدالله بن موسی، عن سعد بن أوس، عن بلال بن یحیی العبسی قال: لما قتل عمار (کذا والصحیح عثمان) أتوا حذیفة فقالوا: یا عبدالله قتل هذا الرجل وقد اختلف الناس، فما تقول؟ قال إذا أتیتم فأجلسونی، قال: فأسندوه إلی صدر رجل منهم فقال: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: أبو الیقظان علی الفطرة ثلاث مرات، لن یدعها حتی یموت. انتهی. ورواه فی بحار الأنوار:۳۳/۹.

شرح الأخبار:۱/۴۱۲:

أبو أحمد بإسناده عن حذیفة بن الیمان، أنه لما احتضر قیل له أوصنا، فقال: أما إذا قلتم ذلک فأسندونی، فأسندوه، فقال: سمعت رسول الله صلوات الله علیه وآله یقول: أبو الیقظان علی الفطرة لا یدعها ثلاث مرات، لا یدعها حتی یموت.

روضة الواعظين للنيسابوري/۲۸۶:

... وقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أبواليقظان على الفطرة ثلاث مرات لن يدعها حتى يموت، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أشدهما.

مستدرك الحاكم:۳/۳۹۳:

... عن عائشة أنها قالت: أنظروا عمار بن ياسر فإنه يموت على الفطرة، إلا أن تدركه هفوة من كبر. صحيح الإسناد.

... عن قيس بن أبي حازم قال قال عبدالله: ما أعلم أحداً خرج في الفتنة يريد به وجه الله تعالى والدار الآخرة إلا عمار بن ياسر. صحيح الإسناد.

مجمع الزوائد:۹/۲۹۵:

وعن بلال بن يحيى قال: لما قتل عثمان (رض) أتى حذيفة فقيل له يا أبا عبدالله قتل هذا الرجل، وقد اختلف الناس، فما تقول؟ قال أسندوني فأسندوه إلى ظهر رجل، فقال: سمعت رسول الله(ص)يقول: أبو اليقظان على الفطرة لا يدعها حتى يموت أو يمسه الهرم. رواه البزار والطبراني في الأوسط باختصار، ورجالهما ثقات.

كنز العمال:۱۱/۷۲۳:

أبو اليقظان على الفطرة، أبواليقظان على الفطرة، أبو اليقظان على الفطرة، لا يدعها حتى يموت أو يمسه الهرم. ن، وابن سعد، عد وضعفه، عن حذيفة.

كنز العمال:۱۳/۵۳۲ و ۵۳۷:

عن حذيفة قال: إن عماراً لا تصيبه الفتنة حتى يخرف، سمعت رسول الله(ص) يقول: أبواليقظان على الفطرة لم يدعها حتى يموت، أو ينسيه الهرم. كر. انتهى.

ملاحظة: من واضحات تاريخنا الإسلامي أن عمار بن ياسر (رض) وقف بعد النبي صلى الله عليه وآله مع علي عليه السلام في مواجهة بيعة السقيفة، ثم في عهد أبي بكر وعمر، وأحداث خلافة عثمان، وكان عمار من قادة جيش علي عليه السلام في حرب الجمل، وله فيها مواقف سجلها التاريخ، ومنها مواقف مع عائشة، ثم ختم الله له بالشهادة تحت راية علي في صفين، وقتلته فئة معاوية الباغية كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وآله.. ولذلك لا يشك الإنسان بأن جعل النبي عماراً علماً على خط الفطرة من بعده، يعني جعله علياً عليه السلام علماً للامة، وتأكيده بأن خط علي من بعده هو خط الفطرة.

ومن الطبيعي أن تكون مواقف عمار إلى جانب علي ثقيلة على عائشة وعلى قريش، وأن لا يرووا في حقه مثل هذه الشهادة النبوية التي تدينهم، ولكنها كانت شهادة معروفة بين المسلمين، ومن هنا أدخل خصوم علي عليه السلام في روايتها غمغمة واستثناءات وشروطاً لغرض إحباط مفعولها!

ويدل على بطلان هذه الإضافات أن الشهادة النبوية وردت في حق عمار مطلقة بنصوص صحيحة عندنا وعند إخواننا وليس فيها تلك الإستثناءات. مضافاً إلى أن طبيعة مثل هذه الشهادة لا تقبل الإستثناء، لأنه يؤدي إلى نسبة التناقض إلى النبي صلى الله عليه وآله حيث يشهد لشخص بأنه على الفطرة حتى يموت، ويجعله علماً لأمته من بعده ويأمرهم بأن يكونوا في خطه، ثم يستثني من ذلك ويشترط شرطاً مبهماً يبطل كلامه الأول، ويوقع الأمة في الشك والريب!!

وقد روى الهيثمي في مجمع الزوائد:۷/۲۴۳ حديثاً يدل على مدى تأثير هذه الشهادة النبوية ومدى حسد قريش لعلي عليه السلام قال:

وعن سيار أبي الحكم قال: قالت بنو عبس لحذيفة: إن أمير المؤمنين عثمان قد قتل فما تأمرنا؟ قال آمركم أن تلزموا عماراً. قالوا إن عماراً لا يفارق علياً! قال إن الحسد هو أهلك الجسد، وإنما ينفركم من عمار قربه من علي؟! فوالله لعلي أفضل من عمار أبعد ما بين التراب والسحاب، وإن عماراً لمن الاحباب. وهو يعلم أنهم إن لزموا عماراً كانوا مع علي. رواه الطبراني ورجاله ثقات، إلا أني لم

أعرف الرجل المبهم. انتهى. ولا يبعد أن يكون إسم بنى عبس وضع فى هذه الرواية بدل قريش لأن حسدة بنى هاشم الذين عناهم حذيفة والذين تحدث عنهم القرآن هم قبائل قريش، وليسوا بنى عبس أو تميم.

على إمام الثابتين على الفطرة

نهج البلاغة:۱/۱۰۵:

ومن كلام له عليه السلام لأصحابه: أما إنه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبى والبراءة منى، فأما السب فسبونى فإنه لى زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرؤوا منى فإنى ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة.

شرح الأخبار:۱/۱۵۹:

عن الشعبى أنه كان يقول: سمعت رشيد الهجرى والحارث الأعور الهمدانى وصعصعة بن صوحان العبدى وسالم بن دينار الأزدى، كلهم يذكرون أنهم سمعوا على بن أبى طالب عليه السلام على منبر الكوفة يقول فى خطبته: يا معشر أهل الكوفة، والله لتصبرن على قتال عدوكم أو ليسلطن الله عليكم أقواماً أنتم أولى بالحق منهم، فيعذبكم الله بهم ثم يعذبهم بما شاء من عنده، أوَ من قتلة بالسيف تفرون إلى الموت على الفراش. فإنى أشهد إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن معالجة ملك الموت لأشد من ضربة ألف سيف، أخبرنى جبرئيل يا على إنه يصيبكم بعدى أَثَرةٌ وزلزال، فعليكم بالصبر الجميل.

وقال لى أيضاً: قضاء مقضى على لسان النبى الأمى: إنه لا يبغضك يا على مؤمن ولا يحبك كافر، وقد خاب من حمل ظلماً وافترى. ثم جعل يقول لنفسه: يا على إنك ميت مقتول، بل مقتول إن شاء الله، فما ينتظر أشقاها أن يخضب هذه من هذا، ثم أمرَّ يده اليمنى على لحيته، ثم وضعها على رأسه، ثم قال: أما لقد رأيت فى منامى أنه يهلك فى اثنان ولا ذنب لى: محب غال، ومبغض قال. ثم قال: إلا أنكم ستعرضون على البراءة منى فلا تتبرأ وا منى، فإن صاحبكم والله على فطرة الله التى فطر الناس عليها. ثم نزل عن المنبر.

شرح الأخبار:۱/۱۶۹:

... ثم قال: سيظهر عليكم بعدى رجل وإنه سيعرضكم على سبى والبراءة منى، فإن خفتموه فسبونى فإنما هى زكاة ونجاة، وإن سألكم البراءة منى فلا تبرؤوا منى فإنى على الفطرة.

مناقب أمير المؤمنين:۲/۶۴:

ثم قال: يكون بعدى أئمة يأمرونكم بسبى والبراءة منى، أما السب فسبونى، ولا ـ تتبرؤوا منى فإنى ولدت على الفطرة وأموت على الفطرة إن شاء الله.

بحار الأنوار:۳۶/۳۵۰:

عن سعيد بن المسيب قال: سمعت رجلاً ـ يسأل ابن عباس عن على بن أبى طالب فقال له ابن عباس: إن على بن أبى طالب صلى القبلتين وبايع البيعتين، ولم يعبد صنماً ولا وثناً، ولم يضرب على رأسه بزلم ولا قدح، ولد على الفطرة ولم يشرك بالله طرفة عين. فقال الرجل: إنى لم أسألك عن هذا إنما أسألك عن حمله سيفه على عاتقه يختال به حتى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً، ثم سار إلى الشام فلقى حواجب العرب فضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم، ثم أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم!

فقال له ابن عباس: أعلىٌّ أعلم عندك أم أنا؟ فقال: لو كان على أعلم عندى منك ما سألتك!

قال: فغضب ابن عباس حتى اشتد غضبه ثم قال: ثكلتك أمك علىٌّ علمنى، وكان علمه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله علمه الله من فوق عرشه، فعلم النبى من علم الله، وعلم على من علم النبى، وعلمى من علم على، وعلم أصحاب محمد كلهم فى علم على كالقطرة الواحدة فى سبعة أبحر!!

بحار الأنوار:۴۳/۳۱۶:

ما: بإسناد أخی دعبل عن الرضا عن آبائه علیهم السلام عن علی بن أبی طالب علیه السلام أنه قال: إلا أنکم ستعرضون علی سبی، فإن خفتم علی أنفسکم فسبونی، إلا وأنکم ستعرضون علی البراءة منی فلا تفعلوا فإنی علی الفطرة...

فإن قیل: کیف علل نهیه لهم من البراءة منه بقوله: فإنی ولدت علی الفطرة، فإن هذا التعلیل لا یختص به لأن کل ولد یولد علی الفطرة وإنما أبواه یهودانه وینصرانه؟

والجواب: أنه علل نهیه لهم عن البراءة منه بمجموع أمور وهو کونه ولد علی الفطرة وسبق إلی الإیمان والهجرة، ولم یعلل بآحاد هذا المجموع. ومراده هنا بالولادة علی الفطرة أنه لم یولد فی الجاهلیة لأنه ولد لثلاثین عاماً مضت من عام الفیل، والنبی أرسل لاربعین مضت من عام الفیل، وقد جاء فی الأخبار الصحیحة أنه مکث قبل الرسالة سنین عشراً یسمع الصوت ویری الضوء ولا یخاطبه أحد، وکان ذلک إرهاصاً لرسالته فحکم تلک السنین العشر حکم أیام رسالته صلی الله علیه وآله، فالمولود فیها إذا کان فی حجره وهو المتولی لتربیته مولود فی أیام کأیام النبوة، ولیس بمولود فی جاهلیة محضة، ففارقت حاله حال من یدعی له من الصحابة مماثلته فی الفضل.

وقد روی أن السنة التی ولد فیها هذه السنة التی بدی فیها رسول الله صلی الله علیه وآله، فأسمع الهتاف من الأحجار والأشجار وکشف عن بصره، فشاهد أنواراً وأشخاصاً ولم یخاطب منها بشئ، وهذه السنة هی السنة التی ابتدأ فیها بالتبتل والإنقطاع والعزلة فی جبل حراء، فلم یزل به حتی کوشف بالرسالة وأنزل علیه الوحی، وکان رسول الله صلی الله علیه وآله یتیمن بتلک السنة وبولادة علی علیه السلام فیها، ویسمیها سنة الخیر وسنة البرکة، وقال لأهله لیلة ولادته، وفیها شاهد ما شاهد من الکرامات والقدرة الإلهیة ولم یکن من قبلها شاهد من ذلک شیئاً: لقد ولد لنا مولود یفتح الله علینا به أبواباً کثیرة من النعمة والرحمة. وکان کما قال صلوات الله علیه، فإنه کان ناصره والمحامی عنه وکاشف الغم عن وجهه، وبسیفه ثبت دین الإسلام ورست دعائمه وتمهدت قواعده.

وفی المسألة تفصیل آخر، وهو أن یعنی بقوله: فإنی ولدت علی الفطرة التی لم تتغیر ولم تحل، وذلک أن معنی قول النبی صلی الله علیه وآله: کل مولود یولد علی الفطرة، أن کل مولود فإن الله تعالی قد هیأه بالعقل الذی خلقه فیه وبصحة الحواس والمشاعر لأن یتعلم التوحید والعدل، ولم یجعل فیه مانعاً یمنعه من ذلک، ولکن التربیة والعقیدة فی الوالدین والألف لاعتقادهما وحسن الظن فیها یصده عما فطر علیه، وأمیر المؤمنین علیه السلام دون غیره ولد علی الفطرة التی لم تحل، ولم یصد عن مقتضاها مانع، لا من جانب الأبوین ولا من جهة غیرهما.

وغیره ولد علی الفطرة ولکنه حال عن مقتضاها وزال عن موجبها.

ویمکن أن یفسر أنه أراد بالفطرة العصمة، وأنه منذ ولد لم یواقع قبیحاً، ولا کان کافراً طرفة عین، ولا مخطئاً ولا غالطاً فی شئ من الأشیاء المتعلقة بالدین، وهذا تفسیر الإمامیة. انتهی.

أقول: التفسیران الأخیران اللذان ذکرهما المجلسی رحمه الله متحدان، لأن قصد أمیر المؤمنین علیه السلام والله أعلم، إنی ولدت علی فطرة الله الصافیة ولم أدنسها بعبادة وثن ولا بارتکاب ذنب، وسبقت إلی الإیمان بالنبی صلی الله علیه وآله والوقوف معه والهجرة معه.. ولا شک أن فطرة الله تعالی التی خلق علیها ولیه ووزیر رسوله صلی الله علیهما أرقی من الفطرة العادیة التی یولد علیها کل مولود، فالنبی وآله خیرة الله تعالی وفطرتهم خیرة الفطر، وقد ورد فی الدعاء: یا دائم الفضل علی البریة، یا باسط الیدین بالعطیة، یا صاحب المواهب السنیة، صل علی محمد وآله خیر الوری سجیة، واغفر لنا یاذا العلی فی هذه العشیة.

وتوجد هنا مسألتان فی هذا الحدیث یناسب التعرض لهما، وإن کان محلهما باب الإمامة.

المسألة الأولی: أن الفرق بین السب والبراءة من وجهین:

أولهما، أن البعد السیاسی فی السب أقوی وأظهر منه فی البراءة، والبعد العقائدی فی البراءة أقوی وأظهر. فالخطر العقائدی علی

المسلمین فی البراءة أکثر، بینما سب السلطة له علیه السلام وإجبارها المسلمین علی ذلک لاتصل خطورته إلی خطورة البراءة، وإن کان فیه خطر کبیر علی أجیال المسلمین.

ولعل هذا هو مقصود الفقهاء الذین اعتبروا أن البراءة شهادة بالکفر بعکس السب واللعن، قال السید الگلپایگانی رحمه الله فی الدر النضید:۲/۲۵۳: ولعل الفرق بین السب والبراءة حیث أمر بالأول ونهی عن الثانی، أن السب صادر بالنسبة إلی المسلم أیضاً، بخلاف البراءة فإنها تکون عن المشرکین والکافرین، کما قال الله تعالی: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَ رَسُولِهِ إلی الَّذِینَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِکِینَ. وکان من کان یأمر بالبراءة عن الإمام علیه السلام یرید أن یجعل الإمام فی عداد المشرکین والخارجین عن الدین، ومن کان یتبرأ منه صلوات الله علیه یعده من الکفار، وبهذه المناسبة علل الإمام علیه السلام نهیه عن البراءة بقوله: فإنی ولدت علی الفطرة وسبقت إلی الإیمان والهجرة وعلی هذا فلو أکره علی السب فسب فلا شیء علیه، بل وربما کان محموداً علی فعله کما یشهد بذلک حکایة عمار ونزول الآیة الکریمة: مَنْ کَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِیمَانِهِ إلا مَنْ أُکْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإیمَانِ. انتهی.

والفرق الثانی، أن الحق الشخصی فی السب أقوی منه فی البراءة، فالحق العام فی السب وإن کان عظیماً بسبب أنه ظلم وعدوان علی وصی النبی صلی الله علیه وآله الذی یمثل دین الله تعالی، ولکن فیه حقاً شخصیاً أیضاً لأنه ظلم وعدوان علی شخص علی علیه السلام وباعتبار هذا الحق الشخصی کان له علیه السلام أن یجعل المؤمنین فی حل عند الضرورة بخلاف البراءة منه. فکأنه علیه السلام قال: بما أن السب مرکب من حقین، فأنتم فی حل من حقی، ویبقی حق الله تعالی فهو حکم شرعی بینکم وبینه، وهو تعالی یجیزه عند الضرورة. أما البراءة فحقها الالهی غالب، لأن البراءة منی براءة من الفطرة النقیة التی أنا علیها، وبراءة من إیمانی بالله ورسوله وجهادی وهجرتی فلا أستطیع أن أجعلکم فی حل منها، بل یجری علیها الحکم الشرعی.

والمسألة الثانیة: أن فقهاءنا رضوان الله علیهم أفتوا بجواز البراءة عند الضرورة المهمة کالخوف من القتل، ولم یفت أحد منهم بوجوب تحمل القتل للتخلص من البراءة، إلا ما یظهر من المفید کما سیأتی، وذلک لأنه لم یثبت عندهم النص الذی تضمن النهی عن البراءة، بل رووا تکذیب حدیث علی علیه السلام، فقد روی الحمیری فی قرب الإسناد/۱۲:

- عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، قال قیل له: إن الناس یروون أن علیاً علیه السلام قال علی منبر الکوفة: أیها الناس إنکم ستدعون إلی سبی فسبونی، ثم ستدعون إلی البراءة منی، وإنی لعلی دین محمد. ولم یقل وتبرؤوا منی، فقال له السائل: أرأیت إن اختار القتل دون البراءة منه؟

فقال: والله ما ذلک علیه، وما له إلا ما مضی علیه عمار بن یاسر حیث أکرهه أهل مکة وقلبه مطمئن بالإیمان، فأنزل الله تبارک وتعالی فیه: إِلا مَنْ أُکْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإیمَانِ، فقال له النبی صلی الله علیه وآله عندها: یا عمار إن عادوا فعد، فقد أنزل الله عز وجل عذرک فی الکتاب وأمرک ان تعود إن عادوا. انتهی. وقد أفتی بهذا الحدیث ابن إدریس فی السرائر: ۳/۶۲۴ وأکثر فقهائنا.

لکن اختلفوا فی أن أیهما أرجح، ولعل الذین ثبت عندهم النهی عن البراءة حملوه علی کراهة البراءة وترجیح تحمل القتل علیها، ویشهد له ما رواه فی وسائل الشیعة: ۱۱/۴۷۵ عن الکشی فی رجاله عن جبرئیل بن أحمد، عن محمد بن عبد الله بن مهران، عن محمد بن علی الصیرفی، عن علی بن محمد عن یوسف بن عمران المیثمی قال: سمعت میثم النهروانی یقول: دعانی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام وقال: کیف أنت یا میثم إذا دعاک دعی بنی أمیة عبید الله بن زیاد إلی البراءة منی؟

فقلت: یا أمیر المؤمنین أنا والله لا أبرأ منک؟

قال: إذاً والله یقتلک ویصلبک.

قلت: أصبر فذاک فی الله قلیل!

فقال: یا میثم إذا تکون معی فی درجتی.. الحدیث. انتهی. وقال فی الوسائل: رواه الراوندی فی الخرائج والجرائح عن عمران عن أبیه میثم.

وفی المقابل توجد روایات یفهم منها ترجیح التقیة والبراءة، ففی الوسائل:۱۱ ص ۴۷۵:... عن عبدالله بن عطاء قال: قلت لابی جعفر علیه السلام: رجلان من أهل الکوفة أخذا فقیل لهما إبرآ من أمیر المؤمنین علیه السلام فبرئ واحد منهما وأبی الآخر، فخلی سبیل الذی برىء وقتل الآخر، فقال: أما الذی برى فرجل فقیه فی دینه، وأما الذی لم یبرأ فرجل تعجل إلی الجنة.

ولعل تعارض روایات الترجیح جعل السید الخوئی رحمه الله یفتی بتخییر المکلف وعدم ترجیح أی من التقیة أو الشهادة، قال فی مستند العروة (التنقیح):۴/۲۶۴: وقد یقال إن ترک التقیة أرجح من التقیة بإظهار التبری منه علیه السلام، وعلیه فیکون المقام من موارد التقیة المکروهة والمرجوحة، وإذا قلنا بعکس ذلک وإن التقیة بإظهار التبری أرجح من ترکها فیکون المقام مثالاً للتقیة المستحبة لا محالة. والصحیح أن الأمرین متساویان ولا دلالة لشیئ من الروایات علی أرجحیة أحدهما عن الآخر، أما روایة عبدالله بن عطاء فلأنها إنما دلت علی أن من ترک التقیة فقتل فقد تعجل إلی الجنة، ولا دلالة لذلک علی أن ترک التقیة باختیار القتل أرجح من فعلها، وذلک لأن العامل بالتقیة أیضاً من أهل الجنة وإنما لم یتعجل بل تأجل، فلا یستفاد منه إلا تساویهما. انتهی.

لکن یبدو من المفید رحمه الله أنه یفتی بحرمة البراءة ووجوب تحمل القتل، فقد عبر عن حدیث نهج البلاغة بأنه مستفیض، وفیه نهی مشدد عن البراءة، قال فی الإرشاد:۱/۳۲۲:

ومن ذلک ما استفاض عنه علیه السلام من قوله: إنکم ستعرضون من بعدی علی سبی فسبونی، فإن عرض علیکم البراءة منی فلا تبرؤوا منی فإنی ولدت علی الإسلام، فمن عرض علیه البراءة منی فلیمدد عنقه، فمن تبرأ منی فلا دنیا له ولا آخرة، وکان الأمر ذلک کما قال علیه السلام. انتهی.

وقد رد الشیخ الأنصاری علی القول بوجوب تحمل القتل، فقال فی المکاسب/ ۳۲۵: بل عن المفید فی الإرشاد أنه قد استفاض عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه قال: ستعرضون من بعدی علی سبی فسبونی، ومن عرض علیه البراءة فلیمدد عنقه، فإن برأ منی فلا دنیا له ولا آخرة. وظاهرها حرمة التقیة فیها کالدماء، ویمکن حملها علی أن المراد الإستمالة والترغیب إلی الرجوع حقیقة عن التشیع إلی النصب، مضافاً إلی أن المروی فی بعض الروایات أن النهی من التبری مکذوب علی أمیر المؤمنین علیه السلام وأنه لم ینه عنه. انتهی.

وذکر السید الگلپایگانی: أنه قد یجب العمل بالتقیة أحیاناً فلا بد من ملاحظة المصالح والمفاسد، قال رحمه الله فی الدر النضید:۴/۲۵۳:

قلت: بل وربما یستفاد منه (حدیث مسعدة) ومن غیره أن الأفضل له ذلک وإن کان لو لم یجبهم إلی ذلک ولم یسب وقتل لذلک لم یکن آثماً ومؤاخذاً علیه، بل هو مأجور وقد تعجل إلی جنات النعیم وإلی جوار الله رب العالمین، علی حسب ما ورد فی بعض الروایات، إلا أن التقیة أفضل. ومع ذلک کله لابد من ملاحظة المصالح والمفاسد والعمل علی وفقها، فربما یترتب علی ترک التقیة وعلی قتله مثلاً مفاسد عظیمة، فهنا لابد له من التقیة. انتهی.

ولا یبعد أن یکون أصل الحکم فی المسألة جواز الأمرین للمکلف، وأنه قد یطرأ عنوان من المصلحة أو المفسدة الملزمة فیوجب اختیار التقیة أو اختیار تحمل الشهادة. ویکون تشخیص ذلک راجعاً إلی المکلف نفسه، أو إلی أهل الخبرة.

ولایة علی علامة علی صحة الفطرة و طیب المولد

شرح الأخبار:۳/۴۴۹:

–... عمران بن میثم قال: دخلت علی حبابة الوالبیة فسمعتها تقول: والله ما أحد علی الفطرة إلا نحن وشیعتنا، والناس براء. وهذا صحیح لأن من لم یکن من شیعة محمد وآل محمد فهو من عدوهم، وقال الله تعالی: هَذَا مِنْ شِیعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ، ومن کان عدواً لمحمد وآله لم یکن علی فطرة الإسلام. انتهی. وروی نحوه فی:۳/۵۷۳.

وسائل الشیعة:۲۰/۱۶۰:

أقول: وفی الکشی، عن محمد بن مسعود بإسناده عن عمران بن میثم قال: دخلت أنا وعبایة الأسدی علی امرأة من بنی أسد یقال لها حبابة الوالبیة، فقال لها عبایة: تدرین من هذا الشاب الذی هو معی؟ قالت: لا، قال: مه ابن أخیک میثم. قالت: إی والله إی والله، ثم قالت: ألا أحدثکم بحدیث سمعته من أبی عبدالله الحسین بن علی علیهم السلام؟ قلنا بلی، قالت: سمعت الحسین بن علی علیه السلام یقول: نحن وشیعتنا علی الفطرة التی بعث الله علیها محمداً صلی الله علیه وآله وسائر الناس منها براء.

مناقب أمیر المؤمنین:۱/۲۲۶:

... سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: یا علی أنت وشیعتک علی الفطرة، وسائر الناس منهم براء.

بحار الأنوار:۶۷/۲۳:

... یخرجونهم من النور إلی الظلمات، قیل من نور الفطرة إلی فساد الإستعداد، وفی الکافی عن الصادق علیه السلام: النور آل محمد، والظلمات عدوهم.

تهذیب الأحکام:۴/۱۴۵:

... عن الحرث بن المغیرة النصری قال: دخلت علی أبی جعفر علیه السلام فجلست عنده، فإذا نجیة قد استأذن علیه فأذن له، فدخل فجثی علی رکبتیه ثم قال: جعلت فداک إنی أرید أن أسألک عن مسألة والله ما أرید بها إلا فکاک رقبتی من النار، فکأنه رق له فاستوی جالساً فقال له... وقال: یا نجیة ما علی فطرة إبراهیم علیهم السلام غیرنا وغیر شیعتنا. انتهی. وروی نحوه فی الاختصاص / ۱۰۷ عن الإمام زین العابدین علیه السلام.

بحار الأنوار:۳/۲۷۶:

فس: الحسین بن محمد، عن معلی بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن جعفر بن بشیر، عن علی بن أبی حمزة، عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السلام فی قوله: فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفًا، قال: الولایة.

کنز: محمد بن العباس، عن أحمد بن الحسین بن سعید، عن جعفر بن بشیر، عن علی بن حمزة، عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: فَأَقِمْ وَجْهَکَ لِلدِّینِ حَنِیفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا، قال: هی الولایة. انتهی. ورواه أیضاً فی:۲۳/۳۶۵.

تفسیر القمی:۲/۱۵۴ و ۱۵۵:

حدثنا الهیثم بن عبدالله الرمانی، قال حدثنا علی بن موسی الرضا علیه السلام، عن أبیه، عن جده محمد بن علی بن الحسین علیهم السلام فی قوله: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا، قال: هو لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علی أمیر المؤمنین ولی الله، إلی هاهنا التوحید.

التوحید للصدوق/۳۲۸:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الولید رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن علی بن حسان الواسطی، عن الحسن بن یونس، عن عبدالرحمن بن کثیر مولی جعفر، عن أبی عبدالله علیه السلام فی قول الله عز وجل: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا، قال: التوحید، ومحمد رسول الله، وعلی أمیر المؤمنین. انتهی. ورواه فرات الکوفی فی تفسیره/۳۲۲، والمجلسی فی بحار الأنوار:۳/۲۷۶ وج۲۶/۲۷۷ والحویزی فی نور الثقلین:۴/۱۸۲.

وفی بصائر الدرجات/۷۸:

أحمد بن موسی، عن الحسین بن موسی الخشاب، عن علی بن حسان، عن عبدالرحمان بن کثیر، عن أبی عبد الله علیه السلام فی قوله: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْهَا، قال: فقال: علی التوحید، ومحمد رسول الله، وعلی أمیر المؤمنین.

وفی بحار الأنوار:۳/۲۷۶:

شی: عن عبدالرحمن بن کثیر، عن أبی عبدالله علیه السلام فی قول الله: صِبْغَةَ اللهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً، قال: الصبغة معرفة أمیر

المؤمنين عليه السلام بالولاية فى الميثاق.

وفى المحاسن:۱/۱۳۸:

عن أبى عبدالله المداينى قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا برد على قلب أحدكم حبنا فليحمد الله على أولى النعم، قلت: على فطرة الإسلام؟ قال: لا، ولكن على طيب المولد، إنه لا يحبنا إلا من طابت ولادته، ولا يبغضنا إلا الملزق الذى تأتى به أمه من رجل آخر فتلزقه زوجها، فيطلع على عوراتهم ويرثهم أموالهم فلا ـ يحبنا ذلك أبداً، ولا ـ يحبنا إلا ـ من كان صفوة، من أى الجِبَل كان. انتهى، والجِبَل هى الجِبِلَّات، جمع جِبِلَّة. انتهى. ورواه فى بحار الأنوار:۲۷/۱۵۲.

مناقب آل أبى طالب:۳/۱۱:

وقال آخر:

أحب النبى وآل النبى لانى ولدت على الفطرة

إذا شك فى ولد والد فآيته البغض للعترة

ثواب الأعمال/۱۷۴:

أبى رحمه الله قال حدثنى سعد بن عبدالله، قال حدثنى الحسن بن موسى الخشاب، عن عقيل بن المتوكل المكى، يرفعه عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده غليهم السلام، قال: من صاغ خاتماً عقيقاً فنقش فيه (محمد نبى الله وعلى ولى الله) وقاه الله ميتة السوء ولم يمت إلا على الفطرة. ورواه فى وسائل الشيعة:۳/۴۰۳.

وجوب المعرفة والنظر

وجوب معرفة الله تعالى و منشؤها

وجوب معرفة الله تعالى و أنها أساس الدين

نهج البلاغة:۱/۱۴:

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة...

الهداية للصدوق/۱:

يجب أن يعتقد أن الله تعالى واحد ليس كمثله شئ لا يحد ولايحس ولا يجس، ولا يدرك بالأوهام والأبصار، ولا تأخذه سنة ولا نوم، شاهد كل نجوى، ومحيط بكل شئ، لا يوصف بجسم ولا صورة ولا جوهر ولا عرض ولا سكون ولا حركة ولا صعود ولا هبوط ولا قيام ولا قعود ولا ثقل ولا خفة ولا جيئة ولا ذهاب ولا مكان ولا زمان ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا فوق ولا أسفل ولا يمين ولا شمال ولا وراء ولا أمام، وأنه لم يزل ولا يزال سميعاً بصيراً حكيماً عليماً حياً قيوماً قدوساً عزيزاً أحداً فرداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأنه شئ ليس كمثله شئ وخارج من الحدين حد الأبطال وحد التشبيه، خالق كل شئ، لا إله إلا هو، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير.

وقال عليه السلام: من زعم أن الله تعالى من شئ أو فى شئ أو على شئ فقد أشرك، ثم قال عليه السلام: من زعم أن الله تعالى من شئ فقد جعله محدثاً، ومن زعم أنه فى شئ فقد زعم أنه محصور ومن زعم أنه على شئ فقد جعله محمولاً.

وقال فى هامشه:

قال الصدوق فى رسالة الإعتقادات بعد أن ذكر نحواً مما ذكر ما نصه: من قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإمامية غير ما

وصف فی التوحید فهو كاذب، وكل خبر یخالف ما ذكرت فی التوحید فهو موضوع مخترع، وكل حدیث لا یوافق كتاب الله فهو باطل، وإن وجد فی كتب علمائنا فهو مدلس، والأخبار التی یتوسمها الجهال تشبیهاً لله تعالی بخلقه فمعانیها محمولة علی ما فی القرآن من نظائرها...

الإقتصاد للشیخ الطوسی/۴:

الذی یلزم المكلف أمران: علم، وعمل. فالعمل تابع للعلم ومبنی علیه. والذی یلزم العلم به أمران: التوحید، والعدل.

فالعلم بالتوحید لا ـ یتكامل إلا بمعرفة خمسة أشیاء: أحدها معرفة ما یتوصل به إلی معرفة الله تعالی، والثانی معرفة الله علی جمیع صفاته، والثالث معرفة كیفیة استحقاقه لتلك الصفات، الرابع معرفة ما یجوز علیه وما لا یجوز، الخامس معرفته بأنه واحد لا ثانی له فی القدم.

معرفة الله تعالی و توحیده نصف الدین

التوحید للصدوق/۶۸

حدثنا أبوعبدالله الحسین بن محمد الأشنانی الرازی العدل ببلخ، قال: حدثنا علی بن مهرویه القزوینی، عن داود بن سلیمان الفراء عن علی بن موسی الرضا، عن أبیه، عن آبائه، عن علی غلیهم السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: التوحید نصف الدین، واستنزلوا الرزق بالصدقة. انتهی. ورواه فی دعائم الإسلام:۱/۱۳

لا تتحقق العبادة إلا بالمعرفة

علل الشرائع:۱/۹

حدثنا أبی (رض) قال: حدثنا أحمد بن إدریس، عن الحسین بن عبیدالله، عن الحسن بن علی بن أبی عثمان، عن عبدالكریم بن عبدالله، عن سلمة ابن عطاء، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: خرج الحسین بن علی (علیهما السلام) علی أصحابه فقال: أیها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا لیعرفوه فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه...

علل الشرائع:۱/۱۳

حدثنا محمد بن الشیبانی (رض) قال: حدثنا محمد بن أبی عبد الله الكوفی قال: حدثنا موسی بن عمران النخعی، عن عمه الحسین بن یزید النوفلی، عن علی بن سالم، عن أبیه بصیر قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن قول الله عز وجل: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إلا لِیَعْبُدُونِ، قال: خلقهم لیأمرهم بالعبادة، قال: وسألته عن قول الله عز وجل: وَلا یَزَالُونَ مُخْتَلِفِینَ إلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ؟ قال: لیفعلوا ما یستوجبون به رحمته فیرحمهم.

جواهر الكلام: ۲۹/۳۰

نعم ربما قیل بالتفصیل بین من كانت عبادته من الأعمال فالتزویج أفضل منها، لإطلاق ما دل علی ذلك، وبین من كانت عبادته تحصیل العلوم الدینیة فهی أفضل منه، لأن كمال الإنسان العلم الذی هو الغرض الأصلی من خلقته، قال الله تعالی: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إلا لِیَعْبُدُونِ، والمراد بها كما فی الحدیث المعرفة.

شرح الأسماء الحسنی:۲/۲۳

قوله علیه السلام: یا من دل علی ذاته بذاته.

وهو مجمع علیه للعرفاء الشامخین والعقلاء والمتكلمین، بل جمیع إرسال الرسل وإنزال الكتب وإرشاد الكاملین المكملین إنما هو للإیصال إلی هذه البغیة العظمی والغبطة الكبری، كما قال تعالی وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإنْسَ إلا لِیَعْبُدُونِ، وفی القدسی: خلقت الخلق

لکی أعرف....

فانظر إلی جعلهم غایهٔ العمل هی المعرفهٔ والشهود، ولذا فسر المفسرون لیعبدون بقولهم لیعرفون.

شرح الأسماء الحسنی:۱/۱۸۹

... ولا یجوز للمؤمن إنکار ذلک الشهود لأن انکاره إنکار الکتب السماویهٔ والسنن النبویهٔ والآثار الولویهٔ، بل هو غایهٔ إرسال المرسلین وإرشاد الأئمهٔ الهادین وسیر السائرین وسلوک السالکین، ولولاه لم یکن سماء ولا أرض ولا بسیط ولا مرکب، کما قال تعالی: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إلا لِیَعْبُدُونِ أی لیعرفون. وفی الحدیث القدسی فخلقت الخلق لأعرف....

الرواشح السماویهٔ/۲۱

... لأن المعرفهٔ غایهٔ وجودهم وغرض خلقهم کما فی قوله تعالی: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إلا لِیَعْبُدُونِ، أی لیعرفون، ومعرفتهم بالله وباليوم الآخر لا تحصل إلا من طریق النبوهٔ والرسالهٔ لأن عقولهم غیر کافیهٔ فیها، سیما ما یتعلق منها بأحوال المعاد وحشر العباد فیحتاجون إلی معلم بشری...

فضل معرفهٔ الله تعالی

الکافی:۸/۲۴۷: (محمد بن سالم بن أبی سلمهٔ، عن أحمد بن الریان، عن أبیه، عن جمیل بن دراج، عن عبدالله علیه السلام قال: لو یعلم الناس ما فی فضل معرفهٔ الله عز وجل ما مدوا أعینهم إلی ما متع الله به الأعداء من زهرهٔ الحیاهٔ الدنیا ونعیمها، وکانت دنیاهم أقل عندهم مما یطونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفهٔ الله عز وجل وتلذذوا بها تلذذ من لم یزل فی روضات الجنان مع أولیاء الله.

إن معرفهٔ الله عز وجل أنس من کل وحشهٔ، وصاحب من کل وحدهٔ، ونور من کل ظلمهٔ، وقوهٔ من کل ضعف، وشفاء من کل سقم.

ثم قال علیه السلام: وقد کان قبلکم قوم یقتلون ویحرقون وینشرون بالمناشیر وتضیق علیهم الأرض برحبها، فما یردهم عما هم علیه شئ مما هم فیه، من غیر ترهٔ وتروا من فعل ذلک بهم ولا أذی، بل ما نقموا منهم إلا أن یؤمنوا بالله العزیز الحمید، فاسألوا ربکم درجاتهم واصبروا علی نوائب دهرکم تدرکوا سعیهم.

مستدرک الوسائل:۱۱/۲۳۶ (وقال علیه السلام: أکثر الناس معرفهٔ أخوفهم لربه.

الحث علی مجالسهٔ أهل المعرفهٔ

مستدرک الوسائل:۸/۳۲۸

الکشی فی الرجال: روی علی بن جعفر عن أبیه، عن جده، عن علی بن الحسین غلیهم السلام أنه کان یقول لبنیه: جالسوا أهل الدین والمعرفهٔ، فإن لم تقدروا علیهم فالوحدهٔ آنس وأسلم، فإن أبیتم مجالسهٔ الناس، فجالسوا أهل المروات، فإنهم لا یرفثون فی مجالسهم. انتهی. ورواه فی مسائل علی بن جعفر/۳۳۸

فضل من مات علی المعرفهٔ

نهج البلاغهٔ:۲/۱۳۳

... ولا تستعجلوا بما لم یعجله الله لکم. فإنه من مات منکم علی فراشه وهو علی معرفهٔ حق ربه وحق رسوله وأهل بیته، مات شهیداً ووقع أجره علی الله، واستوجب ثواب ما نوی من صالح عمله. وقامت النیهٔ مقام إصلاته لسیفه. وإن لکل شئ مدهٔ وأجلاً.

نعمهٔ معرفهٔ حمد الله و شکره

الصحیفة السجادیة:۱/۲۲

والحمـدلله الـذی لو حبس عن عباده معرفـة حمده علی ماأبلاهم من مننه المتتابعة، وأسبغ علیهم من نعمه المتظاهرة، لتصـرفوا فی مننه فلم یحمـدوه، وتوسـعوا فی رزقه فلم یشـکروه، ولو کانوا کـذلک لخرجوا من حـدود الإنسانیة إلی حد البهیمة، فکانوا کما وصف فی محکم کتابه: إن هم إلا کالأنعام بل هم أضل سبیلاً. والحمد لله علی ما عرَّفنا من نفسه.

الکافی:۸/۳۹۴

علی بن محمـد، عن بعض أصـحابه رفعه قال: کان علی بن الحسـین علیه السـلام إذا قرأ هـذه الآیـة: وَإِنْ تَعُـدُّوا نِعْمَـةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا، یقول: سبحان من لم یجعل فی أحد من معرفه نعمه إلا المعرفة بالتقصیر عن معرفتها، کما لم یجعل فی أحد من معرفة إدراکه أکثر من العلم أنه لا یدرکه، فشکر عز وجل معرفة العارفین بالتقصـیر عن معرفة شـکره، فجعل معرفتهم بالتقصیر شکراً، کما جعل علم العالمین أنهم لا یدرکونه إیماناً. علماً منه أنه قدر وسع العباد فلا یجاوزون ذلک.

نعمة معرفة کرم الله و آلائه

الصحیفة السجادیة:۲/۴۰۷

وإن أنامتنی الغفلة عن الإسـتعداد للقائک، فقد نبهتنی المعرفة بکرمک وآلائک، وإن أوحش ما بینی وبینک فرط العصـیان والطغیان، فقد آنسنی بشری الغفران والرضوان.

الصحیفة السجادیة:۲/۲۲۵

فو عزتـک لو انتهرتنی مـا برحت عن بابـک، ولاـ کففت عن تملقـک، لمـا أُلهم قلبی من المعرفـة بکرمک، وسـعة رحمتک، إلی من یذهب العبد إلا إلی مولاه، وإلی من یلتجی المخلوق إلا إلی خالقه.

معرفة الله لا تکون إلا بالله و من الله

مصباح المتهجد/۵۸۲

روی أبوحمزة الثمالی قال: کان علی بن الحسـین سـیدالعابدین صـلوات الله علیهما یصلی عامة اللیل فی شهر رمضان، فإذا کان السحر دعا بهـذا الـدعاء: إلهی لا تؤدبنی بعقوبتک ولا تمکر بی فی حیلتک، من أین لی الخیر یا رب ولا یوجد إلا من عندک، ومن أین لی النجـاة ولاـ تسـتطاع إلاـ بـک، لاـ الـذی أحسن اسـتغنی عن عونـک ورحمتـک، ولا الـذی أساء واجترأ علیک ولم یرضک خرج عن قدرتک، یا رب یا رب یا رب، بک عرفتک وأنت دللتنی علیک ودعوتنی إلیک، ولولا أنت لم أدر ما أنت... إلخ.

الکافی:۱/۸۵۱

علی بن محمد، عمن ذکره، عن أحمد بن عیسـی، عن محمد حمران، عن الفضل بن السکن، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: قال أمیر المؤمنین علیه السلام: إعرفوا الله بالله، والرسول بالرسالة، وأولی الأمر بالمعروف والعدل والاحسان.

ومعنی قوله علیه السـلام: إعرفوا الله بالله، یعنی أن الله خلق الأشـخاص والأنوار والجواهر والأعیان، فالأعیان الأبدان، والجواهر الأرواح، وهـو عز وجـل لاـ یشـبه جسـماً ولاـ روحـاً، ولیس لأحـد فی خلق الروح الحسـاس الـدراک أمر ولاـ سـبب، هو المتفرد بخلق الأرواح والأجسام فإذا نفی عنه الشبهین: شبه الأبدان وشبه الأرواح فقد عرف الله بالله، وإذا شبهه بالروح أو البدن أو النور، فلم یعرف الله بالله.

لا یفوز الإنسان بالمعرفة إلا بإذن الله تعالی

أمالی المرتضی:۱/۳۰

إن قال قائل: ما تأويل قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إلا بِإِذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ) يونس: ۱۰.

... فأما ظن السائل دخول الإرادة في محتمل اللفظ فباطل، لأن الاذن لا يحتمل الإرادة في اللغة، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه لأنه إذا قال إن الإيمان لا يقع إلا وأنا مريد له لم ينف أن يكون مريداً لما لم يقع، وليس في صريح الكلام ولا دلالته شئ من ذلك.

وأما قوله تعالى: وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ، فلم يعن بذلك الناقصي العقول، وإنما أراد الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم، والإعتراف بنبوة رسله والإنقياد إلى طاعتهم. ووصفهم تعالى بأنهم لا يعقلون تشبيهاً، كما قال تعالى صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ، وكما يصف أحدنا من لم يفطن لبعض الأمور أو لم يعلم ما هو مأمور بعمله بالجنون وفقد العقل.

الهداية والإضلال من الله تعالى لكن الإضلال باستحقاق العبد

الكافي:۱/۱۶۳

محمد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن حكيم قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: المعرفة من صنع من هي؟ قال: من صنع الله، ليس للعباد فيها صنع.

محمد بن أبي عبدالله، عن سهل بن زياد، عن علي بن إسباط، عن الحسين بن زيد، عن درست بن أبي منصور، عمن حدثه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ستة أشياء ليس للعباد فيها صنع: المعرفة والجهل والرضا والغضب والنوم واليقظة.

الكافي:۱/۱۶۵

باب الهداية أنها من الله عز وجل: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن إسماعيل السراج، عن ابن مسكان، عن ثابت بن سعيد قال: قال أبوعبدالله: يا ثابت ما لكم وللناس، كفوا عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم، فوالله لو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلالته ما استطاعوا أن يهدوه، ولو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلوا عبداً يريد الله هدايته ما استطاعوا أن يضلوه، كفوا عن الناس ولا يقول أحد: عمي وأخي وابن عمي وجاري، فإن الله إذا أراد بعبد خيراً طيب روحه فلا يسمع معروفاً إلا عرفه ولا منكراً إلا أنكره، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره.

علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن حمران، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال: إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور وفتح مسامع قلبه ووكل به ملكاً يسدده، وإذا أراد بعبد سوءاً نكت في قلبه نكتة سوداء وسد مسامع قلبه ووكل به شيطاناً يضله، ثم تلا هذه الآية: فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ.

دعائم الإسلام:۱/۱۳

وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أنه سئل ما الإيمان وما الإسلام؟

فقال: الإسلام الإقرار والإيمان الإقرار والمعرفة فمن عرفه الله نفسه ونبيه وإمامه ثم أقر بذلك فهو مؤمن.

قيل له: فالمعرفة من الله والإقرار من العبد؟

قال: المعرفة من الله حجة ومنة ونعمة والإقرار من يمن الله به على من يشاء، والمعرفة صنع الله في القلب، والإقرار فعل القلب بمن من الله وعصمه ورحمه، فمن لم يجعله الله عارفاً فلا حجة عليه، وعليه أن يقف ويكف عما لا يعلم، ولا يعذبه الله على جهله ويثيبه على عمله بالطاعة ويعذبه على عمله بالمعصية، ولا يكون شئ من ذلك إلا بقضاء الله وقدره وبعلمه وبكتابه بغير جبر، لأنهم لو كانوا مجبورين لكانوا معذورين وغير محمودين، ومن جهل فعليه أن يرد إلينا ما أشكل عليه، قال الله عز وجل: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. انتهى.

وقـد عقـد البخاری باباً فی:۱/۱۰ تحت عنـوان (بـاب قول النـبی(ص)أنـا أعلمکم بـالله وإن المعرفـهٔ فعـل القلب لقول الله تعـالی ولکن یؤاخـذکم بمـا کسـبت قلوبکم) ولکنه لم یرو حـدیثاً علی أن المعرفـهٔ فعل القلب، ومثل هـذه الظاهرهٔ متکررهٔ فی البخاری، حیث تجد عنواناً ولا معنون له.

دعاء طلب المعرفهٔ من الله تعالی

مصباح المتهجد/۴۱۱

وما روی عن أبی عمرو بن سعید العمری (رض) قال: أخبرنا جماعهٔ، عن محمد هرون بن موسی التلعکبری أن أبا علی محمد بن همام أخبره بهـذا الـدعاء، وذکر أن الشـیخ أبا عمرو العمری قدس الله روحه أملاه علیه وأمره أن یدعو به، وهو الدعاء فی غیبهٔ القائم من آل محمد علیه وعلیهم السلام:

اللهم عرفنی نفسک، فإنک إن لم تعرفنی نفسک لم أعرف رسولک.

اللهم عرفنی رسولک، فإنک إن لم تعرفنی رسولک لم أعرف حجتک.

اللهم عرفنی حجتک، فإنک إن لم تعرفنی حجتک ضللت عن دینی.

الکافی:۱/۳۳۷

علی بن إبراهیم، عن الحسن بن موسـی الخشـاب، عن عبـدالله بن موسـی عن عبـدالله بن بکیر، عن زرارهٔ قال: سـمعت أبا عبـدالله علیه السـلام یقول: إن للغلام غیبهٔ قبل أن یقوم، قال: قلت ولم؟ قال: یخاف ـ وأومأ بیده إلی بطنه ـ ثم قال: یا زرارهٔ وهو المنتظر، وهو الذی یشـک فی ولاـدته، منهم من یقول مـات أبوه بلاـ خلف، ومنهم من یقول حمـل، ومنهم من یقول إنه ولـد قبل موت أبیه بسـنتین، وهو المنتظر غیر أن الله عز وجل یحب أن یمتحن الشیعهٔ، فعند ذلک یرتاب المبطلون یا زرارهٔ.

قال قلت: جعلت فداک إن أدرکت ذلک الزمان أی شئ أعمل؟ قال: یا زرارهٔ إذا أدرکت هذا الزمان فادع بهذا الدعاء:

اللهم عرفنی نفسـک، فإنـک إن لم تعرفنی نفسـک لم أعرف نبیـک، اللهم عرفنی رسولـک، فإنک إن لم تعرفنی رسولک لم أعرف حجتک، اللهم عرفنی حجتک، فإنک إن لم تعرفنی حجتک ضللت عن دینی.

ثم قال: یا زرارهٔ لابد من قتل غلام بالمدینهٔ، قلت: جعلت فداک ألیس یقتله جیش السـفیانی؟ قال: لا ولکن یقتله جیش آل بنی فلان، یجی حتی یدخل المدینهٔ فیأخذ الغلام فیقتله، فإذا قتله بغیاً وعدواناً وظلماً لا یمهلون، فعند ذلک توقع الفرج إن شاء الله.

وسائل معرفهٔ الله

اداهٔ معرفهٔ الله تعالی: العقل

الکافی:۱/۴۸

عـدهٔ من أصـحابنا، عن أحمد بن محمد، عن نوح بن شـعیب النیسابوری، عن عبید الله بن عبدالله الدهقان، عن درست بن أبی منصور، عن عروهٔ بن أخی شعیب العقرقوفی عن شعیب، عن أبی بصیر قال: سمعت أبا عبدالله علیه السلام یقول: کان أمیر المؤمنین علیه السلام یقول: یا طالب العلم إن العلم ذو فضائل کثیرهٔ: فرأسه التواضع، وعینه البراءهٔ من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النیهٔ وعقله معرفهٔ الأشیاء والأمور، ویده الرحمهٔ، ورجله زیارهٔ العلماء.

الکافی:۱/۱۳

أبوعبدالله الأشعری، عن بعض أصحابنا، رفعه عن هشام بن الحکم قال: قال لی أبوالحسن موسی بن جعفر (علیهما السلام): یا هشام إن

الله تبارک وتعالی بشر أهل العقل والفهم فی کتابه فقال: فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِینَ یَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَیَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِکَ الَّذِینَ هَدَاهُمُ اللهُ وَ أُولَئِکَ هُمْ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ.

یا هشام، إن الله تبارک وتعالی أکمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبیین بالبیان، ودلهم علی ربوبیته بالأدلة فقال: «وَإِلَهُکُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِیمُ. إِنَّ فِی خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِمَا یَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْیَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِیهَا مِنْ کُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِیفِ الرِّیَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لایَاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ».

یا هشام، قد جعل الله ذلک دلیلًا علی معرفته بأن لهم مدبراً فقال: «وَسَخَّرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِی ذَلِکَ لایَاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ». وقال: «هُوَ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ یُخْرِجُکُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّکُمْ ثُمَّ لِتَکُونُوا شُیُوخًا وَ مِنْکُمْ مَنْ یُتَوَفَّی مِنْ قَبْلُ وَ لِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّی وَ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ». وقال: «وَاخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْیَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ تَصْرِیفِ الرِّیَاحِ آیَاتٌ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ». وقال: «یُحْیِی الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَیَّنَّا لَکُمُ الأَیَاتِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ».

وقال: «وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِیلٌ صِنْوَانٌ وَغَیْرُ صِنْوَانٍ یُسْقَی بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَی بَعْضٍ فِی الأُکُلِ إِنَّ فِی ذَلِکَ لایَاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ».

وقال: «وَمِنْ آیَاتِهِ یُرِیکُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَیُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَیُحْیِی بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِی ذَلِکَ لآیَاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ».

وقال: «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّکُمْ عَلَیْکُمْ أَلا تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئًا وَ بِالْوَالِدَیْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَکُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُکُمْ وَإِیَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ ذَلِکُمْ وَصَّاکُمْ بِهِ لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ».

وقال: «هَلْ لَکُمْ مِمَّا مَلَکَتْ أَیْمَانُکُمْ مِنْ شُرَکَاءَ فِی مَا رَزَقْنَاکُمْ فَأَنْتُمْ فِیهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ کَخِیفَتِکُمْ أَنْفُسَکُمْ کَذَلِکَ نُفَصِّلُ الأَیَاتِ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ».

یا هشام، ما بعث الله أنبیاءه ورسله إلی عباده إلا لیعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأکملهم عقلاً أرفعهم درجة فی الدنیا والآخرة.

یا هشام، إن لله علی الناس حجتین: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبیاء والأئمة علیهم السلام، وأما الباطنة فالعقول.

یا هشام، إن العاقل الذی لا یشغل الحلال شکره، ولا یغلب الحرام صبره.

یا هشام، الصبر علی الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنیا والراغبین فیها، ورغب فیما عند الله، وکان الله أنسه فی الوحشة، وصاحبه فی الوحدة، وغناه فی العیلة، ومعزه من غیر عشیرة.

یا هشام، إن الله حکی عن قوم صالحین أنهم قالوا: رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَیْتَنَا وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَةً إِنَّکَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، حین علموا أن القلوب تزیغ وتعود إلی عماها ورداها. إنه لم یخف الله من لم یعقل عن الله، ومن لم یعقل عن الله لم یعقد قلبه علی معرفة ثابتة یبصرها ویجد حقیقتها فی قلبه، ولا یکون أحد کذلک إلا من کان قوله لفعله مصدقاً، وسره لعلانیته موافقاً، لأن الله تبارک اسمه لم یدل علی الباطن الخفی من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه.

رسائل الشریف المرتضی:۱/۱۲۷

المسألة التاسعة قد سئل رحمه الله عن الطریق إلی معرفة الله بمجرد العقل أو من طریق السمع.

الجواب: إن الطریق إلی معرفة الله تعالی هو العقل، ولا یجوز أن یکون السمع، لأن السمع لا یکون دلیلاً علی الشئ إلا بعد معرفة الله وحکمته، وإنه لا یفعل القبیح ولا یصدق الکذابین، فکیف یدل السمع علی المعرفة. ووجه دلالته مبنی علی حصول المعارف بالله حتی یصح أن یوجب علیه النظر. ورددنا علی من یذهب من أصحابنا إلی أن معرفة الله تستفاد من قول الإمام، لأن معرفة کون الإمام إماماً

مبنية على المعرفة بالله تعالى....

وبينا أن العاقل إذا نشأ بين الناس، وسمع اختلافهم فى الديانات، وقول كثير منهم أن للعالم صانعاً خلق العقلاء ليعرفوه، ويستحقوا الثواب على طاعاتهم، وأن من فرط فى المعرفة استحق العقاب: لابد من كونه خائفاً من ترك النظر وإهماله، لأن خوف الضرر وجهه على وجوب كل نظر فى دين أو دنيا، وأنه متى خاف الضرر وجب عليه النظر وقبح منه إهماله والاخلال به.

الرسالة السعدية للعلامة الحلى/۵۴

وخامسها: أن معرفة الله تعالى واجبة، وليس مدرك الوجوب السمع، لأن معرفة الإيمان يتوقف على معرفة الموجب، فيستحيل معرفة الإيجاب قبل معرفة الموجب، فلو أسندت معرفة الموجب به، دار.

نهج الحق للعلامة الحلى/۵۱

الحق أن وجوب معرفة الله تعالى مستفاد من العقل وإن كان السمع قد دل عليه بقوله: فاعلم أنه لا إله إلا الله، لأن شكر المنعم واجب بالضرورة وآثار النعمة علينا ظاهرة، فيجب أن نشكر فاعلها، وإنما يحصل بمعرفته، ولأن معرفة الله تعالى واقعة للخوف الحاصل من الإختلاف، ودفع الخوف واجب بالضرورة.

وقالت الأشعرية: إن معرفة الله تعالى واجبة بالسمع لا بالعقل فلزمهم ارتكاب الدور المعلوم بالضرورة بطلانه، لأن معرفة الايجاب تتوقف على معرفة الموجب فإن من لاـ نعرفه بشئ من الإعتبارات البتة نعلم بالضرورة أنا لا نعرف أنه أوجب، فلو استفيدت معرفة الموجب من معرفة الايجاب لزم الدور المحال!

وأيضاً لو كانت المعرفة إنما تجب بالأمر لكان الأمر بها إما أن يتوجه إلى العارف بالله تعالى أو إلى غير العارف والقسمان باطلان، فتعليل الايجاب بالأمر محال، أما بطلان الأول فلانه يلزم منه تحصيل الحاصل وهو محال، وأما بطلان الثانى: فلان غير العارف بالله تعالى يستحيل أن يعرف أن الله قد أمره وأن امتثال أمره واجب، وإذا استحال أن يعرف أن الله تعالى قد أمره وأن امتثال أمره واجب استحال أمره وإلا لزم تكليف ما لا يطاق. وسيأتى بطلانه إن شاء الله تعالى.

لا يحاسب الله الناس إلا على قدر معرفتهم، و ما بين لهم، و ما آتاهم

الكافى:۱۶۳/۱-۱۶۴

عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إن الله لم ينعم على عبد نعمة إلا وقد ألزمه فيها الحجة من الله، فمن منَّ الله عليه فجعله قوياً فحجته عليه القيام بما كلفه، واحتمال من هو دونه ممن هو أضعف منه، فمن منَّ الله عليه فجعله موسعاً عليه فحجته عليه ماله، ثم تعاهده الفقراء بعد بنوافله، ومن منَّ الله عليه فجعله شريفاً فى بيته، جميلاًـ فى صورته، فحجته عليه أن يحمد الله تعالى على ذلك وأن لا يتطاول على غيره، فيمنع حقوق الضعفاء لحال شرفه وجماله.

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحجال، عن ثعلبة بن ميمون، عن عبدالأعلى بن أعين قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام من لم يعرف شيئاً هل عليه شئ؟ قال: لا.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن داود بن فرقد عن أبى الحسن زكريا بن يحيى، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ما حجب الله عن العباد فهو موضوع عنهم.

محمد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد عن ابن أبى عمير، عن جميل بن دراج، عن ابن الطيار، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إن الله احتج على الناس بما آتاهم وعرفهم.

وبهذا الإسناد، عن يونس، عن حماد، عن عبدالاعلى قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: أصلحك الله هل جعل فى الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ قال: فقال: لا، قلت: فهل كلفوا المعرفة؟ قال: لا، على الله البيان: لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا، لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا مَا

آتَاهَا، قال: وسألته عن قوله: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ، قال: حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه.

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عن حمزة بن محمد الطيار، عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عز وجل: «وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ». قال: «حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه». وقال: «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا»، قال: بين لها ما تأتى وما تترك، وقال: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا»، قال: عرفناه، إما آخذ وإما تارك. وعن قوله: وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى، قال: عرفناهم فاستحبوا العمى على الهدى وهم يعرفون؟ وفى رواية: بينا لهم.

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن على بن الحكم، عن أبان الأحمر عن حمزة بن الطيار، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: أكتب فأملى على: إن من قولنا أن الله يحتج على العباد بما آتاهم وعرفهم، ثم أرسل إليهم رسولاً وأنزل عليهم الكتاب فأمر فيه ونهى، أمر فيه بالصلاة والصيام فنام رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصلاة فقال: أنا أنيمك وأنا أوقظك فإذا قمت فصل ليعلموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون، ليس كما يقولون إذا نام عنها هلك، وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا أصحك، فإذا شفيتك فأقضه.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: وكذلك إذا نظرت فى جميع الأشياء لم تجد أحداً فى ضيق، ولم تجد أحداً إلا ولله عليه الحجة ولله فيه المشيئة، ولا أقول: إنهم ما شاؤوا صنعوا، ثم قال: إن الله يهدى ويضل، وقال: وما أمروا إلا بدون سعتهم، وكل شئ أمر الناس به فهم يسعون له، وكل شئ لا يسعون له فهو موضوع عنهم، ولكن الناس لا خير فيهم، ثم تلا عليه السلام: «لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَى وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ» ـ فوضع عنهم ـ ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم. ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ـ قال: فوضع عنهم لانهم لا يجدون.

الإعتقادات للصدوق/۱۶۸

قال الشيخ أبوجعفر رحمه الله: إعتقادنا فى ذلك أن الله تعالى فطر جميع الخلق على التوحيد وذلك قوله عز وجل: فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا. وقال الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ. وقال عليه السلام: حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه.

وقال فى قوله تعالى: فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قال: بين لها ما تأتى وما تترك من المعاصى.

وقال فى قوله تعالى: إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا، قال: عرفناه إما آخذاً وإما تاركاً.

وفى قوله تعالى: وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى، قال: وهم يعرفون.

وسئل عن قول الله عز وجل: وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ، قال: نجد الخير ونجد الشر.

وقال عليه السلام: ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم.

وقال عليه السلام: إن الله تعالى احتج على الناس بما آتاهم وعرفهم.

من أسباب المعرفة و آثارها

ما يورث المعرفة

مستدرك الوسائل:۷/۵۰۰

الحسن بن أبى الحسن الديلمى فى إرشاد القلوب: عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال فى ليلة المعراج: يا رب ما أول العبادة؟ قال: أول العبادة الصمت والصوم، قال: يا رب وما ميراث الصوم؟ قال: يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة،

والمعرفة تورث الیقین، فإذا استیقن العبد لا یبالی کیف أصبح بعسر أم بیسر.

ما تورثه المعرفة

مستدرک الوسائل:۱۱/۱۸۵

... قال رسول الله صلی الله علیه وآله: فکر ساعة خیر من عبادة سنة، ولا ینال منزلة التفکر إلا من خصه الله بنور المعرفة والتوحید.

ما یفسد المعرفة و یطفئ نوره

مستدرک الوسائل:۱۶/۲۱۸

الحسن بن فضل الطبرسی فی مکارم الاخلاق: عن رسول الله صلی الله علیه وآله أنه قال: لا تشبعوا فیطفأ نور المعرفة من قلوبکم.

مستدرک الوسائل:۱۶/۲۱۳

القطب الراوندی فی لب اللباب: عن جعفر بن محمد (علیهما السلام) أنه قال: فساد الجسد فی کثرة الطعام، وفساد الزرع فی کسب الأثام، وفساد المعرفة فی ترک الصلاة علی خیر الأنام.

خطر ضلال الأمم بعد المعرفة

کان نبینا یخاف علی أمته الضلال بعد المعرفة

الکافی:۲/۷۹

قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ثلاث أخافهن علی أمتی من بعدی: الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن والفرج. انتهی. ورواه فی وسائل الشیعة:۱۱/۱۹۸ وفی مستدرک الوسائل:۱۱/۲۷۶ وفی مسند الإمام زید/۴۹۴

أمالی المفید/۱۱۱

قال: أخبرنی أبوحفص عمر بن محمد الصیرفی قال: حدثنا علی بن مهرویه القزوینی قال: حدثنا داود بن سلیمان الغاری قال: حدثنا الرضا علی بن موسی قال: حدثنی موسی بن جعفر قال: حدثنی أبی جعفر بن محمد قال: حدثنی أبی محمد بن علی قال: حدثنی علی بن الحسین قال: حدثنی أبی الحسین بن علی قال: حدثنی أبی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب غلیهم السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ثلاثة أخافهن علی أمتی: الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة الفرج والبطن.

وقد روت هذا المعنی مصادر إخواننا السنة، ففی مسند أحمد:۴/۴۲۰:

عن أبی برزة الأسلمی، قال أبو الأشهب لا أعلمه إلا عن النبی(ص)قال: «إن مما أخشی علیکم شهوات الغی فی بطونکم وفروجکم ومضلات الفتن». وفی روایة ومضلات الهوی. انتهی. ورواه فی مجمع الزوائد:۷/۳۰۵ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحیح. ورواه فی کنز العمال:۱۶/۴۵.

وضع المعرفة فی بنی اسرائیل بعد موسی

العهد القدیم:۲/۲۸۲

الإصحاح الرابع ۱ إسمعوا قول الرب یا بنی اسرائیل. إن للرب محاکمة مع سکان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله فی الأرض. ۲ لعنٌ وکذبٌ وقتل وسرقة وفسق. یعتنفون ودماء تلحق دماء....

قد هلك شعبى من عدم المعرفة. لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا حتى لاتكهن لى. ولأنك نسيت شريعة إلهك أنسى أنا أيضاً بنيك.

العهد القديم/۲۵۴

الإصحاح الخامس والعشرون ۱ وأقام إسرائيل فى شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب. ۲ فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن. ۳ وتعلق إسرائيل ببعل فغور. فحمى غضب الرب على إسرائيل.

العهد القديم/۲۹۶

الإصحاح الحادى عشر ۱ فأحبب الرب إلهك واحفظ حقوقه وفرائضه وأحكامه ووصاياه كل الأيام. ۲ واعلموا اليوم أنى لست أريد بنيكم الذين لم يعرفوا ولا رأوا تأديب الرب إلهكم عظمته ويده الشديدة وذراعه الرفيعة. ۳ وآياته وصنائعة التى عملها فى مصر بفرعون ملك مصر وبكل أرضه. ۴ والتى عملها بجيش مصر بخيلهم ومراكبهم حيث أطاف مياه بحر سوف على وجوههم حين سعوا وراءكم فأبادهم الرب إلى هذا اليوم. ۵ والتى عملها لكم فى البرية حتى جئتم إلى هذا المكان. ۶ والتى عملها بداثان وأبيرام ابنى الياب ابن راوبين اللذين فتحت الأرض فاها وابتلعتهما مع بيوتهما وخيامهما وكل الموجودات التابعة لهما فى وسط كل إسرائيل.... ۲۷ البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التى أنا أوصيكم بها اليوم. ۲۸ واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التى أنا أوصيكم بها اليوم، لتذهبوا وراء آلهة أخرى لم تعرفوها.

العهد القديم/۳۰۰

الإصحاح الثالث عشر ۱ إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة ۲ ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلًا لنذهب وراء آلهة أخرى لم نعرفها ونعبدها ۳ فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم....

وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلًا: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك ۷ من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها ۸ فلا ترض منه ولا تسمع لا ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره....

قد خرج أناس بنو لئيم من وسطك وطوحوا سكان مدينتهم قائلين: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها.

العهد القديم/۱۹۶

وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن. ۱۷ يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن. ۱۸ ينزع السيد فى ذلك اليوم زينة الخلاخيل والضفائر والاهلة. ۱۹ والحلق والاساور والبراقع. ۲۰ والعصائب والسلاسل والمناطق وحناجر الشمامات والاحراز. ۲۱ والخواتم وخزائم الأنف. ۲۲ والثياب المزخرفة والعطف والأردية والأكياس. ۲۳ والمرائى والقمصان والعمائم والازر. ۲۴ فيكون عوض الطيب عفونة، وعوض المنطقة حبل، وعوض الجدائل قرعة، وعوض الديباج زنار مسح، وعوض الجمال كى.

اتهامهم نبيهم موسى بأنه لم يعرف الله تعالى

العهد القديم ۱۴۲

وقال موسى للرب أنظر، أنت قائل لى أصعد هذا الشعب، وأنت لم تعرفنى من ترسل معى، وأنت قد قلت عرفتك باسمك، ووجدت أيضاً نعمة فى عينى، ۱۳ فالان إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فعلمنى طريقك حتى أعرفك لكى أجد نعمة فى عينيك.

بولس يصف فساد الناس فى عصره و بعدهم عن المعرفة

العهد الجدید/۲۴۶

الإصحاح الأول ۲۱ لانهم لما عرفوا الله لم یمجدوه أو یشکروه کإله بل حمقوا فی أفکارهم وأظلم قلبهم الغبی. ۲۲ وبینما هم یزعمون أنهم حکماء صاروا جهلاء. ۲۳ وأبدلوا مجد الله الذی لا یفنی بشبه صورة الإنسان الذی یفنی والطیور والدواب والزحافات....

وکذلک الذکور أیضاً تارکین استعمال الأنثی الطبیعی اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلین الفحشاء ذکوراً بذکور ونائلین فی أنفسهم جزاء ضلالهم المحق. ۲۸ وکما لم یستحسنوا أن یبقوا الله فی معرفتهم أسلمهم الله إلی ذهن مرفوض لیفعلوا ما لا- یلیق. ۲۹ مملوئین من کل إثم وزنا وشر وطمع وخبث، مشحونین حسداً وقتلاً وخصاماً ومکراً وسوءاً. ۳۰ نمامین مفترین مبغضین لله، ثالبین متعظمین مدعین مبتدعین شروراً، غیر طائعین للوالدین. ۳۱ بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضی ولا رحمة. ۳۲ الذین إذ عرفوا حکم الله أن الذین یعملون مثل هذه یستوجبون الموت لا یفعلونها فقط، بل أیضاً یسرون بالذین یعملون.

المعرفة التی دعا إلیها بولس الذی نصر النصاری

العهد الجدید/۳۸۱

رسالة بطرس الرسول الثانیة الإصحاح الأول. ۱ سمعان بطرس عبد یسوع المسیح ورسوله إلی الذین نالوا معنا إیماناً ثمیناً مساویاً لنا ببر إلهنا والمخلص یسوع المسیح. ۲ لتکثر لکم النعمة والسلام بمعرفة الله ویسوع ربنا. ۳ کما أن قدرته الإلهیة قد وهبت لنا کل ما هو للحیاة والتقوی بمعرفة الذی دعانا بالمجد والفضیلة. ۴ اللذین بهما قد وهب لنا المواعید العظمی والثمینة، لکی تصیروا بها شرکاء الطبیعة الإلهیة هاربین من الفساد الذی فی العالم بالشهوة... لأن هذه إذا کانت فیکم وکثرت تُصَیِّرکم لا متکاسلین ولا غیر مثمرین لمعرفة ربنا یسوع المسیح....

العهد الجدید/۳۸۹

الاصحاح الرابع ۱ أیها الأحباء لا تصدقوا کل روح بل امتحنوا الأرواح هل هی من الله لأن أنبیاء کذبة کثیرین قد خرجوا إلی العالم. ۲ بهذا تعرفون روح الله. کل روح یعترف بیسوع المسیح أنه قد جاء فی الجسد فهو من الله. ۳ وکل روح لا یعترف بیسوع المسیح أنه قد جاء فی الجسد فلیس من الله... نحن من الله فمن یعرف الله یسمع لنا ومن لیس من الله لا یسمع لنا. من هذا نعرف روح الحق وروح الضلال.

ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التی لله فینا. الله محبة ومن یثبت فی المحبة یثبت فی الله والله فیه.

العهد الجدید/۳۹۰

الإصحاح الخامس ۱ کل من یؤمن أن یسوع هو المسیح فقد ولد من الله، وکل من یحب الوالد یحب المولود منه أیضاً. ۲ بهذا نعرف إننا نحب أولاد الله إذا أحببنا الله وحفظنا وصایاه... ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصیرة لنعرف الحق، ونحن فی الحق فی ابنه یسوع المسیح، هذا هو الاله الحق والحیاة الابدیة. ۲۱ أیها الأولاد إحفظوا أنفسکم من الأصنام.

متی اخترع المسیحیون التثلیث بعد التوحید

قاموس الکتاب المقدس/۲۳۲

الثالوث الأقدس (تثلیث) عرف قانون الإیمان هذه العقیدة بالقول (نؤمن بإله واحد الأب والابن والروح القدس إله واحد جوهر واحد متساوین فی القدرة والمجد). فی طبیعة هذا الإله الواحد تظهر ثلاثة خواص أزلیة، یعلنها الکتاب فی صورة شخصیات (أقانیم) متساویة. ومعرفتنا بهذه الشخصیة المثلثة الأقانیم لیست إلا حقاً سماویاً أعلنه لنا الکتاب فی العهد القدیم بصورة غیر واضحة المعالم،

لکنه قدمه فی العهد الجدید واضحاً، ویمکن أن نلخص العقیدهٔ فی هذه النقاط الست التالیهٔ:

١ ـ الکتاب المقدس یقدم لنا ثلاث شخصیات یعتبرهم شخص الله.

٢ ـ هؤلاء الثلاثهٔ یصفهم الکتاب بطریقهٔ تجعلهم شخصیات متمیزهٔ الواحدهٔ عن الأخری.

٣ ـ هذا التثلیث فی طبیعهٔ الله لیس موقتاً أو ظاهریاً بل أبدی وحقیقی.

۴ ـ هذا التثلیث لا یعنی ثلاثهٔ آلههٔ بل إن هذه الشخصیات الثلاث جوهر واحد.

۵ ـ الشخصیات الثلاث الأب والابن والروح القدس متساوون.

۶ ـ ولا یوجد تناقض فی هذه العقیدهٔ، بل بالاحری أنها تقدم لنا المفتاح لفهم باقی العقائد المسیحیهٔ. ولقد کانت هذه الحقیقهٔ متضمنهٔ فی تعلیم المسیح (یو: ٩-١۴١: ١ ویو ١۴: ٢۶ ویو ١۵: ٢۶).

وقد تمسکت الکنیسهٔ بما جاء واضحاً فی مت ٢٨: ١٩، وتحدث الرسل مقدمین هذه الحقیقهٔ فی ٢ کو ١٣: ١۴ و ١ بط ١: ٢ و ١ یو ۵: ٧.

ولا نستطیع أن نغفل منظر معمودیهٔ المسیح وفیه یسمنع صوت الأب واضحاً موجهاً إلی المسیح، ویستقر الروح القدس علی رأس المسیح الابن فی شکل حمامهٔ (مت ٣: ١۶ و ١٧ ومر ١: ١٠ و ١١ ولو ٣: ٢١ و ٢٢ ویو ١: ٣٢ و ٣٣).

ولقد کان یقین الکنیسهٔ وإیمانها بلاهوت المسیح هو الدافع الحتمی لها لتصوغ حقیقهٔ التثلیث فی قالب یجعلها المحور الذی تدور حوله کل معرفهٔ المسیحیین بالله فی تلک البیئهٔ الیهودیهٔ أو الوثنیهٔ وتقوم علیه.

والکلمهٔ نفسها (التثلیث أو الثالوث) لم ترد فی الکتاب المقدس، ویظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتلیان فی القرن الثانی للمیلاد. ثم ظهر سبیلیوس ببدعته فی منتصف القرن الثالث وحاول أن یفسر العقیدهٔ بالقول: إن التثلیث لیس أمراً حقیقیاً لله لکنه مجرد إعلان خارجی، فهو حادث موقت ولیس أبدیاً. ثم ظهرت بدعهٔ إریوس الذی نادی بأن الاب وحده هو الأزلی بینما الابن والروح القدس مخلوقان متمیزان عن سائر الخلیقهٔ.

وأخیراً ظهر إثناسیوس داحضاً هذه النظریات وواضعاً أساس العقیدهٔ السلیمهٔ التی قبلها واعتمدها مجمع نیقیهٔ فی عام ٣٢۵ میلادیهٔ.

ولقد تبلور قانون الإیمان الاثناسیوسی علی ید اغسطینوس فی القرن الخامس، وصار القانون عقیدهٔ الکنیسهٔ الفعلیهٔ من ذلک التاریخ إلی یومنا هذا.

متی تجب المعرفهٔ علی الإنسان

فی أی سن یجب التفکیر والمعرفهٔ

رسائل الشهید الثانی:٢/١٣۵

إعلم أن المتکلمین حددوا وقت التکلیف بالمعرفهٔ بالتمکن من العلم بالمسائل الأصولیهٔ، حیث قالوا فی باب التکلیف أن المکلف یشترط کونه قادراً علی ما کلف به ممیزاً بینه وبین غیره مما لم یکلف به متمکناً من العلم بما کلف به، إذ التکلیف بدون ذلک محال. وظاهر أن هذا لا یتوقف علی تحقق البلوغ الشرعی بإحدی العلامات المذکورهٔ فی کتب الفروع، بل قد یکون قبل ذلک بسنتین أو بعده کذلک، بحسب مراتب الإدراک قوهٔ وضعفاً. وذکر بعض فقهائنا أن وقت التکلیف بالمعارف الإلهیهٔ هو وقت التکلیف بالأعمال الشرعیهٔ، إلا أنه یجب أولاً بعد تحقق البلوغ والعقل المسارعهٔ إلی تحصیل المعارف قبل الإتیان بالأعمال.

أقول: هذا غیر جید، لأنه یلزم منه أن یکون الاناث أکمل من الذکور، لأن الأنثی تخاطب بالعبادات عند کمال التسع إذا کانت عاقلهٔ، فتخاطب بالمعرفهٔ أیضاً عند ذلک، والصبی لا یبلغ عند کمال التسع بالإحتلام ولا بالانبات علی ما جرت به العادهٔ، فلا یخاطب بالمعرفهٔ

وإن کان ممیزاً عاقلًا لعدم خطابه بالعبادات، فتکون أکمل منه استعداداً للمعارف، وهو بعید عن مدارک العقل والنقل. ومن ثم ذهب بعض العلماء إلی وجوب المعرفة علی من بلغ عشراً عاقلًا، ونسب ذلک إلی الشیخ أبی جعفر الطوسی قدس سره وأیضاً هذا لا یوافق ما هو الحق من أن معرفة الله تعالی واجبة عقلًا لا سمعاً، لأنا لو قلنا إن المعرفة لا تجب إلا بعد تحقق البلوغ الشرعی الذی هو مناط وجوب العبادات الشرعیة، لکنا قد أوجبنا المعرفة بالشرع لا بالعقل، لأن البلوغ المذکور إنما علم من الشرع، ولیس فی العقل ما یدل علی أن وجوب المعرفة إنما یکون عند البلوغ المذکور، فلو وجبت عنده لکان الوجوب معلوماً من الشرع، لا من العقل.

لا ـ یقال: العقل إنما دل علی وجوب المعرفة فی الجملة دون تحدید وقته، والشرع إنما دل علی تحدید وقت الوجوب وهو غیر الوجوب، فلا یلزم کون الوجوب شرعیاً.

لأنا نقول: لا نسلم أن فی الشرع ما یدل علی تحدید وقت وجوب المعرفة أیضاً، بل إنما دل علی تحدید وقت العبادات فقط، نعم دل الشرع علی تقدم المعرفة علی العبادات فی الجملة، وهو أعم من تعیین وقت التقدم، فلا یدل علیه.

وأیضاً لامعنی لکون العقل یدل علی وجوب المعرفة فی الجملة من دون اطلاعه علی وقت الوجوب، إذ لا ریب أنه یلزم من الحکم بوجوبها کونها واجبة فی وقت الحکم.

والحاصل: أنه لا یمکن العلم بوجوبها إلا بعد العلم بوقت وجوبها، فالوقت کما أنه ظرف لها فهو ظرف للوجوب أیضاً.

وتوضیحه: أن العبد متی لاحظ هذه النعم علیه وعلم أن هناک منعماً أنعم بها علیه، أوجب علی نفسه شکره علیها فی ذلک الوقت، خوفاً من أن یسلبه إیاها لو لم یشکره، وحیث أنه لم یعرفه بعد یوجب علی نفسه النظر فی معرفته فی ذلک الوقت لیمکنه شکره، فقد علم أنه یلزم من وجوب المعرفة بالعقل معرفة وقتها أیضاً.

نعم ما ذکروه إنما یتم علی مذهب الأشاعرة، حیث أن وجوب المعرفة عندهم سمعی.

فإن قلت: قوله صلی الله علیه وآله: رفع القلم عن الصبی حتی یبلغ، فیه دلالة علی تحدید وقت وجوب المعرفة بالبلوغ الشرعی، لأن رفع القلم کنایة عن رفع التکلیف وعدم جریانه علیه إلی الغایة المذکورة، فقبلها لا یکون مکلفاً بشیء، سواء کان قد عقل أم لا.

قلت: لا نسلم دلالته علی ذلک، بل إن دل فإنما یدل علی أن البلوغ الشرعی غایة لرفع التکلیف مطلقاً. وإن کان عقلیاً، فیبقی الدلیل الدال علی کون التکلیف بالمعرفة عقلیاً سالماً عن المعارض، فإنه یستلزم تحدید وقت وجوب المعرفة بکمال العقل، کما تقدمت الإشارة إلیه.

والحاصل: أن عموم رفع القلم مخصص بالدلیل العقلی، وقد عرف العقل الذی هو مناط التکالیف الشرعیة بأنه قوة للنفس بها تستعد للعلوم والإدراکات، وهو المعنی بقولهم غریزة یتبعها العلم بالضروریات عند سلامة الآلات، وهذا التفسیر اختاره المحقق الطوسی رحمه الله وجماعة.

مجمع الفائدة والبرهان:۱۰/۴۰۹

المراهق إذا أسلم حکم بإسلامه، فإن ارتد بعد ذلک یحکم بارتداده وإن لم یتب قتل...

وقال أبو حنیفة: یصح إسلامه وهو مکلف بالإسلام، وإلیه ذهب بعض أصحابنا، لأنه یمکنه معرفة التوحید بالنظر والإستدلال، فصح منه کالبالغ، ونقل الشیخ عن أصحابه أنهم حکموا بإسلام علی علیه السلام وهو غیر بالغ وحکم بإسلامه بالإجماع. والإستدلال بالروایة مشکل، لعدم ظهور الصحة والدلالة علی هذا المطلب، وما نقل عن أمیر المؤمنین علیه السلام مما لا یقاس علیه غیره، فإن النبی صلی الله علیه وآله والأئمة غلیهم السلام لیسوا من قبیل سائر الناس، ولهذا حکموا بکون الحجة صلوات الله وسلامه علیه إماماً مع کونه ابن خمس سنین.

نعم الحکم بإسلام المراهق غیر بعید لعموم من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلی الله علیه وآله فهو مسلم، وقاتلوهم حتی یقولوا لا إله إلا الله، وأمثاله کثیرة. ولأنهم إذا قدروا علی الإستدلال وفهموا أدلة وجود الواجب والتوحید وما یتوقف علیه، ووجوب المعرفة

والنظر فی المعرفة، یمکن أن یجب علیهم ذلک، لأن دلیل وجوب المعرفة عقلی، فکل من یعرف ذلک یدخل تحته، ولا خصوصیة له بالبالغ، ولا استثناء فی الأدلة العقلیة، فلا یبعد تکلیفهم، بل یمکن أن یجب ذلک، فإذا أوجب علیهم یجب أن یصح منهم، بل یلزم من الحکم بالصحة وجوبه أیضاً، ویترتب علیه الأحکام... وقد أجمعوا علی عدم وجوب الفروع علیهم وعدم تکلیفهم بها، ولهذا صرح بعض العلماء بأن الواجبات الأصولیة العقلیة تجب علی الصغیر قبل بلوغه دون الفرعیة. والظاهر أن ضابطة القدرة علی الفهم والأخذ والإستدلال علی وجه مقنع، ففی کل من وجب فیه ذلک یصح ویمکن أن یجب علیه ذلک المقدار، ومن لم یوجد فیه ذلک لم یجب. وقال فی الدروس، وهو لما قاله الشیخ قریب ولا شک أنه أحوط، وما استدل به الشیخ مؤید فقوله قریب.

قال فی التذکرة: غیر الممیز والمجنون لا یصح إسلامهما مباشرة إجماعاً ولا یحکم بإسلامهما إلا بالتبعیة لغیره. فیرید بهما من لا قدرة له علی الإستدلال، ولا یفهم وجوب المعرفة ونحوه، وجنون المجنون أخرجه عن الفهم والقدرة علی الإستفهام والإستدلال مثل غیر الممیز، وأما إذا کان لهم فهم مستقل لا یبعد اعتباره حینئذ وإجراء الأحکام فی حقه علیه، فتأمل.

حکم الإنسان فی مرحلة التفکیر والبحث

رسائل الشهید الثانی:۲/۱۳۳

المبحث الثالث فی أن الإنسان فی زمان مهلة النظر... هل هو کافر أو مؤمن؟ جزم السید الشریف المرتضی (رض) بکفره، واستشکل بعضهم. والظاهر أن محل النزاع فی من لم یسبق منه اعتقاد ما یوجب الکفر، فإنه فی زمان طلب الحق بالنظر فیه مع بقاء ذلک الإعتقاد لا ـ ریب فی کفره. بل النزاع فی من هو فی أول مراتب التکلیف إذا وجه نفسه للنظر فی تحقیق الحق لیعتقده ولم یکن معتقداً لما یوجب الکفر بل هو متردد حتی یرجح عنده شئ فیعتقده. وکذا من سبق له اعتقاد ما یوجب الکفر رجع عنه إلی الشک بسبب نظره فی تحقیق الحق ولما یترجح عنده الحق، فهذان هل هما کافران فی مدة النظر أم لا؟

أقول: ما تقدم من تعریف الکفر بأنه عدم الإیمان مما من شأنه أن یکون مؤمناً یقتضی الحکم بکفرهما حالة النظر، لصدق عدم الإیمان علیهما فی تلک الحالة، وهذا مشکل جداً، لأنه یقتضی الحکم بکفر کل أحد أول کمال عقله الذی هو أول وقت التکلیف بالمعرفة، لأنه أول وقت إمکان النظر، إذ النظر قبله لا عبرة به، ویقتضی أن یکون من أدرکه الموت فی تلک الحالة مخلداً فی جهنم. ولا یخفی بعد ذلک عن حکمة الله تعالی وعدله، ولزوم: إما تکلیف ما لا یطاق إن عذبه علی ترک الإیمان، حیث لم یمض له وقت یمکن تحصیله فیه قبل الموت کما هو المفروض، أو الظلم الصرف إن لم یقدر علی ذلک، تعالی الله عن ذلک، إذ لم یسبق له إعتقاد ما یوجب الکفر کما هو المفروض أیضاً، لیکون التعذیب علیه.

ویلزم من ذلک القدح فی صحة تعریف الکفر بذلک. اللهم إلا أن یقال: إن مثل هذا النوع من الکفر لا یعذب صاحبه، لکن لا یلزم منه القدح فی الإجماع علی أن کل کافر مخلد فی النار، ولیس بعیداً التزام ذلک، وأن یکون المراد من الکافر المخلد من کان کفره عن اعتقاد، فیکون الإجماع مخصوصاً بمن عدا الأول.

إن قلت: إن لم یکن هذا الشخص من أهل النار، یلزم أن یکون من أهل الجنة، إذ لا واسطة بینهما فی الآخرة علی المذهب الحق، فیلزم أن یخلد فی الجنة من لا ـ إیمان له أصلاً کما هو المفروض، وهو مخالف لما انعقد علیه الإجماع من أن غیر المؤمن لا یدخل الجنة.

قلت: یجوز أن یکون إدخاله الجنة تفضلاً من الله تعالی کالأطفال، ویکون الإجماع مخصوصاً بمن کلف الإیمان ومضت علیه مدة کان یمکنه تحصیله فیها فقصر.

وأقول أیضاً: الذی یقتضیه النظر إن هذا الشخص لا ـ یحکم علیه بکفر ولا ـ بإیمان فی زمان النظر حقیقة بل تبعاً کالأطفال، فإنه لم یتحقق له التکلیف التام لیخرج عن حکم الأطفال، فهو باق علی ذلک إلی أن یمضی علیه زمان یمکن فیه النظر الموصل إلی الإیمان،

لکن هذا لا یتم فی من لم یسبق له کفر، کمن هو فی أول بلوغه. أما من سبق له اعتقاد الکفر ثم رجع عنه إلی الشک، فیتم فیه.

تجب المعرفهٔ بالتفکیر و لا یصح فیها التقلید

الاقتصاد للشیخ الطوسی/۹

الطریق إلی معرفهٔ الأشیاء أربعهٔ لا خامس لها:

أولها، أن یعلم الشیـئ ضرورهٔ لکونه مرکوزاً فی العقول، کالعلم بأن الإثنین أکثر من واحد، وأن الجسم الواحد لا یکون فی مکانین فی حالـهٔ واحـدهٔ، وأن الجسـمین لا یکونان مکان واحـد فی حالـهٔ واحـدهٔ، والشـئ لا یخلو من أن یکون ثابتاً أو منفیاً، وغیر ذلک مما هو مرکوز فی العقول.

والثانی، أن یعلم من جههٔ الإدراک إذا أدرک وارتفع اللبس، کالعلم بالمشاهدات والمدرکات بسائر الحواس.

والثالث، أن یعلم بالأخبار کالعلم بالبلدان والوقائع وأخبار الملوک وغیر ذلک.

والرابع، أن یعلم بالنظر والإستدلال.

والعلم بالله تعالی لیس بحاصل من الوجه الأول، لأن ما یعلم ضـرورهٔ لا یختلف العقلاء فیه بل یتفقون علیه، ولذلک لا یختلفون فی أن الواحد لا یکون أکثر من اثنین، وأن الشبر لا یطابق الذراع. والعلم بالله فیه خلاف بین العقلاء فکیف یجوز أن یکون ضروریاً.

ولیس الإدراک أیضاً طریق العلم بمعرفهٔ الله تعالی، لأنه تعالی لیس بمدرک بشئ من الحواس علی ما سنبینه فیما بعد، ولو کان مدرکاً محسوساً لأدرکناه مع صحهٔ حواسنا وارتفاع الموانع المعقولهٔ.

والخبر أیضـاً لاـ یمکن أن یکون طریقاً إلی معرفته، لأن الخبر الـذی یوجب العلم هو ما کان مسـتنداً إلی مشاهـدهٔ وإدراک، کالبلـدان والوقـائع وغیر ذلـک، وقـد بینـا أنه لیس بمـدرک، والخبر الـذی لا یسـتند إلی الإدراک لا یوجب العلم. ألا تری أن جمیع المسـلمین یخبرون من خـالفهم بصـدق محمـد صـلی الله علیه وآله فلاـ یحصـل لمخـالفیهم العلم به لأـن ذلـک طریقه الـدلیل، وکـذلک جمیع الموحدین یخبرون الملحدهٔ بحدوث العالم فلا یحصل لهم العلم به لأن ذلک طریقه الدلیل.

فإذا بطل أن یکون طریق معرفته الضرورهٔ أو المشاهدهٔ أو الخبر، لم یبق إلا أن یکون طریقهٔ النظر.

فإن قیل: أین أنتم عن تقلید المتقدمین؟

قلنا: التقلیـد إن أریـد به قبول قول الغیر من غیر حجهٔ وهو حقیقهٔ التقلید فذلک قبیح فی العقول، لأن فیه إقداماً علی ما لا یأمن کون ما یعتقـده عنـد التقلیـد جهلاً لتعریه من الـدلیل، والأقـدام علی ذلک قبیـح فی العقول، ولانه لیس فی العقول أن تقلیـد الموحد أولی من تقلید الملحد إذا رفعنا النظر والبحث عن أوهامنا ولا یجوز أن یتساوی الحق والباطل.

فإن قیل: نقلد المحق دون المبطل.

قلنا: العلم بکونه محقاً لا یمکن حصوله إلا بالنظر، لانا إن علمناه بتقلیـد آخر أدی إلی التسـلسل، وإن علمناه بـدلیل فالدلیل الدال علی وجوب القبول منه یخرجه عن باب التقلیـد، ولـذلک لم یکن أحـدنا مقلـداً للنبی أو المعصوم فیما نقبله منه لقیام الدلیل علی صـحهٔ ما یقوله.

ولیس یمکن أن یقال: نقلد الأکثر ونرجع إلیهم، وذلک لأن الأکثر قد یکونون علی ضلال بل ذلک هو المعتاد المعروف، ألا تری أن الفرق المبطلهٔ بالإضافهٔ إلی الفرق المحقهٔ جزء من کل وقلیل من کثیر.

ولا یمکن أن یعتبر أیضاً بالزهد والورع، لأن مثل ذلک یتفق فی المبطلین، فلذلک تری رهبان النصاری علی غایهٔ العبادهٔ ورفض الدنیا مع أنهم علی باطل فعلم بذلک أجمع فساد التقلید.

فإن قیل: هذا القول یؤدی إلی تضلیل أکثر الخلق وتکفیرهم، لأن أکثر من تعنون من العقلاء لا یعرفون ما یقولونه، من الفقهاء والأدباء

والرؤساء والتجار وجمهور العوام، ولا يهتدون إلى ما يقولونه، وإنما يختص بذلك طائفة يسيرة من المتكلمين، وجميع من خالفهم يبدعهم فى ذلك، ويؤدى إلى تكفير الصحابة والتابعين وأهل الأمصار، لأنه معلوم أن أحداً من الصحابة والتابعين لم يتكلم فيما تكلم فيه المتكلمون ولا سمع منه حرف واحد ولا نقل عنهم شئ منه، فكيف يقال بمذهب يؤدى إلى تكفير أكثر الأمة وتضليلها، وهذا باب ينبغى أن يزهد فيه ويرغب عنه.

قيل: هذا غلط فاحش وظن بعيد، وسوء ظن بمن أوجب النظر المؤدى إلى معرفة الله، ولسنا نريد بالنظر المناظرة والمحاجة والمخاصمة والمحاورة التى يتداولها المتكلمون ويجرى بينهم، فإن جميع ذلك صناعة فيها فضيلة وإن لم تكن واجبة، وإنما أوجبنا النظر الذى هو الفكر فى الأدلة الموصلة إلى توحيد الله تعالى وعدله ومعرفة نبيه وصحة ما جاء به، وكيف يكون ذلك منهياً عنه أو غير واجب والنبى عليه السلام لم يوجب القبول منه على أحد إلا بعد إظهار الإعلام والمعجزة من القرآن وغيره، ولم يقل لأحد إنه يجب عليك القبول من غير آية ولا دلالة. وكذلك تضمن القرآن من أوله إلى آخره التنبيه على الأدلة ووجوب النظر، قال الله تعالى: أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِى مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَئٍ وقال: أَفَلا يَنْظُرُونَ إلى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ. وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ. وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ. وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ. وقال: وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ. وقال: قتل الإنسان ما أكفره. من أى شئ خلقه. من نطفة خلقه. الآية. وقال: إِنَّ فِى خَلْقِ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لايَاتٍ لأُولِى الأَلْبَابِ. إلى قوله: إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ. وقال: فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إلى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا، إلى قوله: مَتَاعًا لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ. وقال: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ. إلى قوله فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. وقال: إِنَّ فِى ذَلِكَ لايَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، ولأُولِى الأَلْبَابِ، ولمن كان له قلب، يعنى عقل. وغير ذلك من الآيات التى تعدادها يطول.

وكيف يحث تعالى على النظر وينبه على الأدلة وينصبها ويدعو إلى النظر فيها، ومع ذلك يحرمها. إن هذا لا يتصوره إلا غبيٌّ جاهل. فأما من أومى إليه من الصحابة والتابعين وأهل الأعصار من الفقهاء والفضلاء والتجار والعوام، فأول ما فيه أنه غير مسلم، بل كلام الصحابة والتابعين مملؤ من ذلك.

... وروى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه. وقال أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبته المعروفة: أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفى الصفات عنه، لشهادة العقول إن من حلته الصفات فهو مخلوق، وشهادتها أنه خالق ليس بمخلوق ثم قال: بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعتقد معرفته، وبالنظر يثبت حجته، معلوم بالدلالات، مشهور بالبينات، إلى آخر الخطبة. وخطبه فى هذا المعنى أكثر من أن تحصى.

وقال الحسن عليه السلام: والله ما يعبد الله إلا من عرفه، فأما من لم يعرفه فإنما يعبده هكذا ضلالاً، وأشار بيده.

وقال الصادق عليه السلام: وجدت علم الناس فى أربع: أولها أن تعرف ربك، والثانى أن تعرف ما صنع بك، والثالث أن تعرف ما أراد منك، والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك....

فإن قالوا: أكثر من أومأتم إليه إذا سألته عن ذلك لا يحسن الجواب عنه.

قلنا: وذلك أيضاً لا يلزم، لأنه لا يمتنع أن يكون عارفاً على الجملة وإن تعذرت عليه العبارة عما يعتقده، فتعذر العبارة عما فى النفس لا يدل على بطلان ذلك ولا ارتفاعه.

الرسالة السعدية للعلامة الحلى/۳-۹

وقد حرم الله تعالى على جميع العبيد سلوك طريق التقليد، بل أوجب البحث فى أصول العقايد اليقينية وتحصيلها باستعمال البراهين القطعية... المقدمة الثانية فى تحريم التقليد. طلب الله تعالى من المكلف اعتقاداً جازماً يقينياً مأخوذاً من الحجج والأدلة، وذلك فى المسائل الأصولية، واعتقاداً مستفاداً إما من الحجة، أو من التقليد فى المسائل الفروعية.

رسائل المحقق الكركى:۱/۵۹

یجب علی کل مکلف حرّ وعبد ذکر وأنثی أن یعرف الأصول الخمسة التی هی أرکان الإیمان، وهی: التوحید، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد، بالدلیل لا بالتقلید. ومن جهل شیئاً من ذلک لم ینتظم فی سلک المؤمنین، واستحق العقاب الدائم مع الکافرین.

رسائل المحقق الکرکی:۱/۸۰ وج ۳/۱۷۳

ویجب أمام فعلها معرفة الله تعالی، وصفاته الثبوتیة والسلبیة، وعدله وحکمته، ونبوة نبینا محمد صلوات الله علیه وآله، وإمامة الائمة علیهم السلام والإقرار بکل ما جاء به النبی صلوات الله علیه وآله من أحوال المعاد، بالدلیل لا بالتقلید.

قوله: بالدلیل لا بالتقلید، الدلیل هو ما یلزم من العلم به العلم بشیء آخر إثباتاً أو نفیاً. والتقلید هو الأخذ بقول الغیر من غیر حجة ملزمة، مأخوذ من تقلیده بالقلادة وجعلها عنقه کأن المقلد یجعل ما یعتقده من قول الغیر من حق أو باطل قلادة فی عنق من قلده.

رسائل الشهید الثانی:۲/۵۶

إعلم أن العلماء أطبقوا علی وجوب معرفة الله تعالی بالنظر وأنها لا تحصل بالتقلید، إلا من شذ منهم کعبدالله بن الحسن العنبری والحشویة والتعلیمیة، حیث ذهبوا إلی جواز التقلید فی العقائد الأصولیة، کوجود الصانع وما یجب له ویمتنع، والنبوة، والعدل وغیرها، بل ذهب إلی وجوبه.

لکن اختلف القائلون بوجوب المعرفة فی أنه عقلی أو سمعی، فالإمامیة والمعتزلة علی الأول والأشعریة علی الثانی، ولا غرض لنا هنا ببیان ذلک، بل ببیان أصل الوجوب المتفق علیه.

من ذلک: أن لله تعالی علی عبده نعماً ظاهرة وباطنة لا تحصی، یعلم ذلک کل عاقل، ویعلم أنها لیست منه ولا من مخلوق مثله. ویعلم أیضاً أنه إذا لم یعترف بإنعام ذلک المنعم ولم یذعن بکونه هو المنعم لا غیره ولم یسع فی تحصیل مرضاته، ذمه العقلاء، ورأوا سلب تلک النعم عنه حسناً، وحینئذ فتحکم ضرورة العقل بوجوب شکر ذلک المنعم. ومن المعلوم أن شکره علی وجه یلیق بکمال ذاته یتوقف علی معرفته، وهی لا تحصل بالظنیات کالتقلید وغیره، لاحتمال کذب المخبر وخطأ الإمارة، فلابد من النظر المفید للعلم.

وهذا الدلیل إنما یستقیم علی قاعدة الحسن والقبح، والأشاعرة ینکرون ذلک، لکنه کما یدل علی وجوب المعرفة بالدلیل، یدل أیضاً علی کون الوجوب عقلیاً.

واعترض أیضاً بأنه مبنی علی وجوب ما لا یتم الواجب المطلق الا به، وفیه أیضاً منع للأشاعرة. ومن ذلک أن الأمة اجتمعت علی وجوب المعرفة، والتقلید وما فی حکمه لا یوجب العلم، إذ لو أوجبه لزم اجتماع الضدین فی مثل تقلید من یعتقد حدوث العالم ویعتقد قدمه.

وقد اعترض علی هذا بمنع الإجماع، کیف والمخالف معروف، بل عورض بوقوع الإجماع علی خلافه، وذلک لتقریر النبی صلی الله علیه وآله وأصحابه العوام علی إیمانهم وهم الأکثرون فی کل عصر، مع عدم الإستفسار عن الدلائل الدالة علی الصانع وصفاته، مع أنهم کانوا لا یعلمونها، وإنما کانوا مقرین باللسان ومقلدین فی المعارف، ولو کانت المعرفة واجبة لما جاز تقریرهم علی ذلک مع الحکم بإیمانهم.

وأجیب عن هذا: بأنهم کانوا یعلمون الأدلة إجمالاً، کدلیل الاعرابی حیث قال: البعرة تدل علی البعیر، وأثر الاقدام علی المسیر، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج لا تدلان علی اللطیف الخبیر؟! فلذا أقروا ولم یسألوا عن اعتقاداتهم، أو أنهم کان یقبل منهم ذلک للتمرین، ثم یبین لهم ما یجب علیهم من المعارف بعد حین.

ومن ذلک: الإجماع أنه لا یجوز تقلید غیر المحق، وإنما یعلم المحق من غیره بالنظر فی أن ما یقوله حق أم لا، وحینئذ فلا یجوز له التقلید إلا بعد النظر والإستدلال، وإذا صار مستدلاً امتنع کونه مقلداً، فامتنع التقلید فی المعارف الإلهیة.

ونقض ذلک بلزوم مثله فی الشرعیات، فإنه لا یجوز تقلید المفتی إلا إذا کانت فتیاه عن دلیل شرعی، فإن اکتفی فی الإطلاع علی ذلک بالظن وإن کان مخطئاً فی نفس الأمر لحط ذلک عنه، فلیجز مثله فی مسائل الأصول.

وأجيب بالفرق بأن الخطأ فى مسائل الأصول يقتضى الكفر بخلافه فى الفروع، فساغ فى الثانية مالم يسغ فى الأولى.

إحتج من أوجب التقليد فى مسائل الأصول بأن العلم بأمر الله غير ممكن، لأن المكلف به إن لم يكن عالماً به تعالى إمتنع أن يكون عالماً بأمره، وحال امتناع كونه عالماً بأمره يمتنع كونه مأموراً من قبله، وإلا لزم تكليف ما لا يطاق، وإن كان عالماً به استحال أيضاً أمره بالعلم به لاستحالة تحصيل الحاصل.

والجواب عن ذلك على قواعد الإمامية والمعتزلة ظاهر، فإن وجوب النظر والمعرفة عندهم عقلى لا سمعى. نعم يلزم ذلك على قواعد الأشاعرة، إذ الوجوب عندهم سمعى.

أقول: ويجاب أيضاً معارضةً، بأن هذا الدليل كما يدل على امتناع العلم بالمعارف الأصولية، يدل على امتناع التقليد فيها أيضاً، فينسد باب المعرفة بالله تعالى، وكل من يرجع إليه فى التقليد لابد وأن يكون عالماً بالمسائل الأصولية ليصح تقليده، ثم يجرى الدليل فيه فيقال: علم هذا الشخص بالله تعالى غير ممكن، لأنه حين كلف به إن لم يكن عالماً به تعالى استحال أن يكون عالماً بأمره بالمقدمات، وكل ما أجابوا به فهو جوابنا، ولا مخلص لهم إلا أن يعترفوا بأن وجوب المعرفة عقلى، فيبطل ما ادعوه من أن العلم بالله تعالى غير ممكن، أو سمعى فكذلك.

فإن قيل: ربما حصل العلم لبعض الناس بتصفية النفس أو إلهام إلى غير ذلك فيقلده الباقون.

قلنا: هذا أيضاً يبطل قولكم أن العلم بالله تعالى غير ممكن، نعم ما ذكروه يصلح أن يكون دليلًا على امتناع المعرفة بالسمع، فيكون حجة على الأشاعرة، لا دليلًا على وجوب التقليد.

واحتجوا أيضاً بأن النهى عن النظر قد ورد فى قوله تعالى: مَا يُجَادِلُ فِی آيَاتِ اللهِ إلا الَّذِينَ كَفَرُوا. والنظر يفتح باب الجدال فيحرم. ولانه صلى الله عليه وآله رأى الصحابة يتكلمون فى مسألة القدر، فنهى عن الكلام فيها وقال: إنما هلك من كان قبلكم بخوضهم هذا، ولقوله عليه السلام: عليكم بدين العجائز، والمراد ترك النظر، فلو كان واجباً لم يكن منهياً عنه.

وأجيب عن الأول: إن المراد الجدال بالباطل، كما فى قوله تعالى: وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ، لا الجدال بالحق لقوله تعالى: وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ، والأمر بذلك يدل على أن الجدال مطلقاً ليس منهياً عنه.

وعن الثانى: بأن نهيهم عن الكلام فى مسألة القدر على تقدير تسليمه لا يدل على النهى عن مطلق النظر، بل عنه فى مسألة القدر، كيف وقد ورد الإنكار على تارك النظر فى قوله تعالى: أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِی أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ، وقد أثنى على فاعله فى قوله تعالى: وَيَتَفَكَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ.

على أن نهيهم عن الخوض فى القدر لعله لكونه أمراً غيبياً وبحراً عميقاً، كما أشار إليه على عليه السلام بقوله: بحر عميق فلا تلجه. بل كان مراد النبى تفويض مثل ذلك إلى الله تعالى، لأن ذلك ليس من الأصول التى يجب اعتقادها، والبحث عنها مفصلة.

وهاهنا جواب آخر عنهما معاً، وهو أن النهى فى الآية والحديث مع قطع النظر عما ذكرناه إنما يدل على النهى عن الجدال الذى لا يكون إلا عن متعدد، بخلاف النظر فإنه يكون من واحد، فهو نصب الدليل على غير المدعى.

وعن الثالث: بالمنع من صحة نسبته إلى النبى صلى الله عليه وآله فإن بعضهم ذكر أنه من مصنوعات سفيان الثورى، فإنه روى أن عمر بن عبدالله المعتزلى قال: إن بين الكفر والإيمان منزلة بين منزلتين، فقالت عجوز، قال الله تعالى: هُوَ الَّذِی خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ، فلم يجعل من عباده إلا الكافر والمؤمن، فسمع سفيان كلامها، فقال: عليكم بدين العجائز.

على أنه لو سلم فالمراد به التفويض إلى الله تعالى فى قضائه وحكمه والإنقياد له فى أمره ونهيه.

واحتج من جوز التقليد: بأنه لو وجب النظر فى المعارف الإلهية لوجد من الصحابة، إذ هم أولى به من غيرهم، ولم يوجد، وإلا لنقل كما نقل عنهم النظر والمناظرة فى المسائل الفقهية، فحيث لم ينقل لم يقع، فلم يجب.

وأجيب: بالتزام كونهم أولى به لكنهم نظروا، وإلا لزم نسبتهم إلى الجهل بمعرفة الله تعالى، وكون الواحد منا أفضل منهم، وهو باطل

إجماعاً، وإذا كانوا عالمين وليس بالضرورة فهو بالنظر والإستدلال. وأما إنه لم ينقل النظر والمناظرة فلاتفاقهم على العقائد الحقة، لوضوح الأمر عندهم، حيث كانوا ينقلون عقائدهم عمن لا ينطق عن الهوى، فلم يحتاجوا إلى كثرة البحث والنظر، بخلاف الأخلاف بعدهم فإنهم لما كثرت شبه الضالين، واختلفت أنظار طالبی اليقين لتفاوت أذهانهم فی إصابة الحق، احتاجوا إلى النظر والمناظرة، ليدفعوا بذلك شبه المضلين ويقفوا على اليقين.

أما المسائل الفروع، فإنها لما كانت أموراً ظنية اجتهادية خفية، لكثرة تعارض الإمارات فيها، وقع بينهم الخلاف فيها والمناظرة والتخطئة لبعضهم من بعض، فلذا نقل.

واحتجوا أيضاً: بأن النظر مظنة الوقوع فی الشبهات والتورط فی الضلالات بخلاف التقليد فإنه أبعد عن ذلك وأقرب إلى السلامة فيكون أولى، ولأن الأصول أغمض أدلة من الفروع وأخفى، فإذا جاز التقليد فی الأسهل جاز فی الأصعب بطريق أولى، ولأنهما سواء فی التكليف بهما، فإذا جاز فی الفروع فليجز فی الأصول.

وأجيب عن الأول: بأن اعتقاد المعتقد إن كان عن تقليد، لزم إما التسلسل، أو الإنتهاء إلى من يعتقد عن نظر لإنتفاء الضرورة، فيلزم ما ذكرتم من المحذور مع زيادة وهی احتمال كذب المخبر، بخلاف الناظر مع نفسه، فإنه لا يكابر نفسه فيما أدى إليه نظره.

على أنه لو اتفق الإنتهاء إلى من اتفق له العلم بغير النظر كتصفية الباطن كما ذهب إليه بعضهم، أو بالإلهام، أو بخلق العلم فيه ضرورة، فهو إنما يكون لأفراد نادرة،لانه على خلاف العادة، فلا يتيسر لكل أحد الوصول إليه مشافهة بل بالوسائط، فيكثر احتمال الكذب، بخلاف الناظر فإنه لايكابر نفسه، ولأنه أقرب إلى الوقوع فی الصواب.

إن قلت: ما ذكرت من الجواب إنما يدل على كون النظر أولى من التقليد، ولا يدل على عدم جوازه، فجواز التقليد باق لم يندفع، على أن ما ذكرته من احتمال الكذب جار فی الفروع، فلو منع من التقليد فيها لمنع فی الأصول.

قلت: متى سلمت الأولوية وجب العمل بها، وإلا لزم العمل بالمرجوح مع تيسر العمل بالراجح، وهو باطل بالإجماع، لا سيما فی الإعتقاديات.

وأما الجواب عن العلاوة، فلانه لما كان الطريق إلى العمل بالفروع إنما هو النقل ساغ لنا التقليد فيها، ولم يقدح احتمال كذب المخبر، وإلا لانسد باب العمل فيها،بخلاف الإعتقادات فإن الطريق إليها بالنظر ميسر، فاعتبر قدح الإحتمال فی التقليد فيها.

وأما احتمال الخطأ فی النظر، فإنه وإن أمكن إلا أنه نادر جداً بالقياس إلى الخطأ فی النقل، فكان النظر أرجح، وقد بينا أن العمل بالأرجح واجب.

وأجيب عن الثانی: أولاً بالمنع من كونها أغمض أدلة، بل الأمر بالعكس لتوقف الشرعيات على العقليات عملاً وعلماً.

وثانياً بالمنع من الملازمة، فإن كونها أغمض أدلة لا يستلزم جواز التقليد فيها فضلاً عن كونه أولى، لأن المطلوب فيها اليقين، بخلاف الشرعيات فإن المطلوب فيها الظن اتفاقاً. ومن هذا ظهر الجواب عن الثالث.

واحتجوا أيضاً: بأن هذه العلوم إنما تحصل بعد الممارسة الكثيرة والبحث الطويل، وأكثر الصحابة لم يمارسوا شيئاً منها، فكان اعتقادهم عن تقليد.

وأجيب: بأنهم لمشاهدتهم المعجزات وقوة معارفهم بكثرة البينات من صاحب الوحی عليه السلام لم يحتاجوا فی تيقن تلك المعارف إلى بحث كثير فی طلب الأدلة عليها.

أقول: ومما يبطل به مذهب القائلين بالتقليد أنه إما أن يفيد العلم أولاً، فإن أفاده لزم اجتماع الضدين فيما لو قلد واحداً فی قدم العالم وآخر فی حدوثه، وهو ظاهر. وإن لم يفده وجب ترجيح النظر عليه، إذ من المعلوم ضرورة أن النظر الصحيح يفيد العلم، فإذا ترجح النظر عليه وجب اعتباره وترك المرجوح اجماعاً.

وأقول: مما يدل على اعتبار اليقين فی الإيمان أن الأمة فيه على قولين: قول باعتبار اليقين فيما يتحقق به الإيمان. وقول بالإكتفاء

بالتقليد أو ما فى حكمه فإذا انتفى الثانى بما ذكرناه من الأدلة ثبت الأول.

وأقول أيضاً مما يصلح شاهداً على ذلك قوله تعالى: قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ، فنفى ما زعموه إيماناً، وهو التصديق القولى، بل ماسوى التصديق الجازم، حيث لم يثبت لهم من الإيمان إلا ما دخل القلب. ولا ـ ريب أن ما دخل القلب يحصل به الإطمئنان، ولا إطمئنان فى الظن وشبهه لتجويز النقيض معه، فيكون الثبات والجزم معتبراً فى الإيمان.

فإن قلت: قوله تعالى حكاية عن إبراهيم: أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى، يدل على أن الجزم والثبات غير معتبر فى الإيمان، وإلا لما أخبر عليه السلام عن نفسه بالإيمان، بقوله بلى مع أن قوله (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى) يدل على أنه لم يكن مطمئناً فلم يكن جازماً.

قلت: يمكن الجواب بأنه عليه السلام طلب العلم بطريق المشاهدة، ليكون العلم بإحياء الموتى حاصلاً له من طريق الأبصار والمشاهدة، ويكون المراد من اطمئنان قلبه عليه السلام استقراره وعدم طلبه لشئ آخر بعد المشاهدة، مع كونه موقناً بإحياء الموتى قبل المشاهدة. أيضاً وليس المراد أنه لم يكن متيقناً قبل الارائة، فلم يكن مطمئناً ليلزم تحقق الإيمان مع الظن فقط.

وأيضاً إنما طلب عليه السلام كيفية الأحياء، فخوطب بالإستفهام التقريرى على الإيمان بالكيف الذى هو نفس الاحياء، لأن التصديق به مقدم على التصديق بالكيفية فأجاب عليه السلام بلى آمنت بقدرة الله تعالى على الأحياء، لكنى أريد الإطلاع على كيفية الأحياء، ليطمئن قلبى بمعرفة تلك الكيفية الغريبة، البديعة، ولا ريب أن الجهل بمعرفة تلك الكيفية لا يضر بالإيمان، ولا يتوقف على معرفتها.

وأما سؤال الله سبحانه عن ذلك مع كونه عالماً بالسرائر، فهو من قبيل خطاب المحب لحبيبه.

إن قلت: فما الجواب أيضاً عن قوله تعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إلا ـ وَهُمْ مُشْرِكُونَ، فإنه يفهم من الآية الكريمة وصف الكافر المشرك بالإيمان حال شركه، إذ الجملة الإسمية حالية، فضلاً عن الإكتفاء بالظن وما فى حكمه فى الإيمان، وهو ينافى اعتبار اليقين.

قلت: لا ـ فإن الآية الكريمة إنما دلت على إخباره تعالى عنهم بالإيمان بالصانع والتصديق بوجوده، لكنهم لم يوحدوه فى حالة تصديقهم به، بل اعتقدوا له شريكاً تعالى الله عما يشركون. وحينئذ فيجوز كونهم جازمين بوجود الصانع تعالى مع كونهم غير موحدين، فإن التوحيد مطلب آخر، فكفرهم كان كذلك، فلم يتحقق لهم الإيمان الشرعى بل الإيمان جزء منه، وهو غير كاف.

على أنه يجوز أن يكون المراد من الإيمان المنسوب إليهم فى الآية الكريمة التصديق اللغوى، وقد بينا سابقاً أنه أعم من الشرعى، وليس النزاع فيه بل فى الشرعى. ويكون المعنى والله أعلم: ومايؤمن أكثرهم بلسانه إلا وهو مشرك بقلبه، أى حال إشراكه بقلبه، نعوذ بالله من الضلالة. ونسأله حسن الهداية. هذا ما تيسر لنا من المقال فى هذا المقام.

شرح المقاصد للتفتازانى:۱/۲۶۶

... الثالث: أنا لا نسلم أن المعرفة الكاملة لا تحصل إلا بالنظر، بل قد تحصل بالتعليم على ما يراه الملاحدة.. أو بقول المعصوم على ما يراه الشيعة...

المعرفة والعمل

اشتراط كل من المعرفة والعمل بالآخر

نهج البلاغة:۴/۵۰

وسئل عليه السلام عن الإيمان فقال: الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان.

نهج البلاغة:۲/۳۲

... وأنه لا ينبغى لمن عرف عظمة الله أن يتعظم، فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له، وسلامة الذين يعلمون ما قدرته أن

يستسلموا له.

الكافی:۱/۴۴

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن ابن مسكان، عن حسين الصيقل قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له. ألا إن الإيمان بعضه من بعض.

الكافی:۲/۳۳-۳۷

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال: حدثنا أبوعمرو الزبيرى، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قلت له: أيها العالم أخبرنى أى الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به، قلت: وما هو؟ قال: الإيمان بالله الذى لا إلا هو، أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظاً، قال: قلت ألا تخبرنى عن الإيمان أَقَوْلٌ هو وعمل أم قولٌ بلا عمل؟ فقال: الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل، بفرض من الله، بين فى كتابه، واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد له به الكتاب ويدعوه إليه.

قال: قلت: صفه لى جعلت فداك حتى أفهمه.

قال: الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التام المنتهى تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح الزائد رجحانه.

قلت: إن الإيمان ليتم وينقص ويزيد؟

قال: نعم.

قلت: كيف ذلك؟

قال: لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، فمنها قلبه الذى به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذى لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره، ومنها عيناه اللتان يبصر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشى بهما، وفرجه الذى الباه من قبله، ولسانه الذى ينطق به، ورأسه الذى فيه وجهه. فليس من هذه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تبارك اسمه، ينطق به الكتاب لها ويشهد به عليها.

ففرض على القلب غير ما فرض على السمع، وفرض على السمع وغير ما فرض على العينين، وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان، وفرض على اللسان غير ما فرض على اليدين، وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين، وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج، وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله صلوات الله عليه وآله، والإقرار بما جاء من عند الله من نبى أو كتاب، فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله، وهو قول الله عز وجل: «إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا».

وقال: «أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ.».

وقال: «الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم».

وقال: «وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِی أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ..» فذلك ما فرض الله عز وجل على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله وهو رأس الإيمان.

وفرض الله على اللسان القول التعبير عن القلب بما عقد عليه وأقر به، قال الله تبارك وتعالى: وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، وقال: قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِی أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فهذا ما فرض الله على اللسان، وهو عمله.

وفرض على السمع أن يتنزه عن الإستماع إلى ما حرم الله وأن يعرض عما لا يحل له مما نهى الله عز وجل عنه والأصغاء إلى ما أسخط الله عز وجل، فقال في ذلك: «وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَ يُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ»، ثم استثنى الله عز وجل موضع النسيان فقال: «إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وقال: فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ.».

وقال عز وجل: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوةِ فَاعِلُونَ.».

وقال: «وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ».

وقال: «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا». فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصغى إلى ما لا يحل له، وهو عمله وهو من الإيمان.

وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه، وأن يعرض عما نهى الله عنه مما لا يحل له، وهو عمله وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ، فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه ويحفظ فرجه أن ينظر إليه. وقال: وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها وتحفظ فرجها من أن ينظر إليها.

وقال: كل شئ في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا، إلا هذه الآية فإنها من النظر. ثم نظم ما فرض على القلب واللسان والسمع والبصر في آية أخرى فقال: «وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لا أَبْصَارُكُمْ وَ لا جُلُودُكُمْ»، يعني بالجلود: الفروج والافخاذ.

وقال: «وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا». فهذا ما فرض الله على العينين من غض البصر عما حرم الله عز وجل، وهو عملهما وهو من الإيمان.

وفرض الله على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرم الله، وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله عز وجل، وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهاد في سبيل الله والطهور للصلاة، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إلى الصَّلَوةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إلى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إلى الْكَعْبَيْنِ». وقال: «فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا». فهذا ما فرض الله على اليدين لأن الضرب من علاجهما.

وفرض على الرجلين أن لا يمشى بهما إلى شئ من معاصى الله، وفرض عليهما المشى إلى ما يرضى الله عز وجل فقال: «وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً»، وقال: «وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ»، وقال فيما شهدت الأيدى والأرجل على أنفسهما وعلى أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عز وجل به وفرضه عليهما: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

فهذا أيضاً ممافرض الله على اليدين وعلى الرجلين وهو عملهما وهو من الإيمان.

وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». فهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين، وقال في موضع آخر: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا».

وقال فيما فرض على الجوارح من الطهور والصلاة بها وذلك أن الله عز وجل لما صرف نبيه صلى الله عليه وآله إلى الكعبة عن البيت المقدس فأنزل الله عز وجل: «وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ.»، فسمى الصلاة إيماناً فمن لقى الله عز وجل حافظاً لجوارحه موفياً كل جارحة من جوارحه ما فرض الله عز وجل عليها لقى الله عز وجل مستكملاً لإيمانه، وهو من أهل الجنة. ومن خان في شئ منها أو تعدى ما أمر الله عز وجل فيها لقى الله عز وجل ناقص الإيمان.

قلت: قد فهمت نقصان الإيمان وتمامه، فمن أين جاءت زيادته.

فقال: قول الله عز وجل: «وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إلى رِجْسِهِمْ». وقال: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى»، ولو كان كله واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لاحد منهم فضل على الآخر، ولاستوت النعم فيه ولاستوى الناس وبطل التفضيل. ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة وبالزيادة فى الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله، وبالنقصان دخل المفرطون النار.

الكافى:۲/۵۵۳

عنه، عن أبى إبراهيم عليه السلام دعاء فى الرزق: يا الله يا الله يا الله، أسألك بحق من حقه عليك عظيم أن تصلى على محمد وآل محمد، وأن ترزقنى العمل بما علمتنى من معرفة حقك، وأن تبسط على ما حظرت من رزقك.

دعائم الإسلام:۱/۵۲

... ثم قال أبو عبد الله جعفر بن محمد صلى الله عليه... وإنما يقبل الله عز وجل العمل من العباد بالفرائض التى افترضها عليهم بعد معرفة من جاء بها من عنده ودعاهم إليه، فأول ذلك معرفة من دعا إليه، وهو الله الذى لا إله إلا هو وحده، والإقرار بربوبيته، ومعرفة الرسول الذى بلغ عنه، وقبول ما جاء به، ثم معرفة الوصى ثم معرفة الأئمة بعد الرسل الذين افترض الله طاعتهم فى كل عصر وزمان على أهله، والإيمان والتصديق بأول الرسل والأئمة وآخرهم. ثم العمل بما افترض الله عز وجل على العباد من الطاعات ظاهراً وباطناً، واجتناب ما حرم الله عز وجل عليهم ظاهره وباطنه، وإنما حرم الظاهر بالباطن، والباطن بالظاهر معاً جميعاً، والأصل والفرع، فباطن الحرام حرام كظاهره، ولا يسع تحليل أحدهما، ولا يجوز ولا يحل إباحة شئ منه، وكذلك الطاعات مفروض على العباد إقامتها، ظاهرها وباطنها، لا يجزى إقامة ظاهر منها دون باطن ولا باطن دون ظاهر، ولا تجوز صلاة الظاهر مع ترك صلاة الباطن، ولا صلاة الباطن مع ترك صلاة الظاهر. وكذلك الزكاة، والصوم والحج والعمرة، وجميع فرائض الله افترضها على عباده، وحرماته وشعائره.

وسائل الشيعة:۱۱/۲۶۰

وفى عيون الأخبار بأسانيده عن الفضل بن شاذان، عن الرضا عليه السلام فى كتابه إلى المأمون قال: الإيمان هو أداء الأمانة، واجتناب جميع الكبائر، وهو معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. إلى أن قال: واجتناب الكبائر وهى: قتل النفس التى حرم الله تعالى، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به من غير ضرورة، وأكل الربا بعد البينة، والسحت، والميسر وهو القمار، والبخس فى المكيال والميزان، وقذف المحصنات، والزنا، واللواط، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، ومعونة الظالمين، والركون اليهم، واليمين الغموس، وحبس الحقوق من غير عسر، والكذب والكبر، والاسراف والتبذير، والخيانة، والإستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله، والإشتغال بالملاهى، والإصرار على الذنوب. ورواه ابن شعبة فى (تحف العقول) مرسلاً نحوه.

وروت مصادر إخواننا السنة اقتران المعرفة والعمل عن على عليه السلام، ففى كنز العمال: ۱/۲۷۳، عن على قال: سألت النبى صلى الله عليه وآله عن الإيمان ما هو؟ قال: معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالاركان - أبو عمرو بن حمدان فى فوائده.

وفى سنن ابن ماجة:۱/۲۵

حدثنا سهل بن أبى سهل ومحمد بن إسماعيل قالا ثنا عبدالسلام بن صالح أبو الصلت الهروى، ثنا على بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن على بن الحسين، عن أبيه، عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله (ص): الإيمان معرفة بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالأركان. قال أبو الصلت:

لو قرى هذا الإسناد على مجنون لبرأ. انتهى ورواه البيهقى فى شعب الإيمان:۱/۴۷ ورواه فى كنز العمال:۱/۲۷۳، بعدة روايات عن على عليه السلام. ونحوه الجزرى فى أسنى المطالب:۱/۱۲۵.

وفی مروج الذهب للمسعودی:۴/۱۷۱

قال علی بن محمد بن علی بن موسی عن أبیه عن أجداده عن علی (رض) قال: قال رسول الله (ص): أکتب یا علی، قلت وما أکتب؟ قال لی: أکتب: بسم الله الرحمن الرحیم. الإیمان ما وقرته القلوب، وصدقته الأعمال، والإسلام ما جری به اللسان، به المناکحة.

وفی إرشاد الساری:۱/۸۶–۸۷

الإیمان قول وفعل.. وهو موافق لقول السلف، اعتقاد بالقلب ونطق اللسان. وقال المتأخرون منهم الأشعریة، ووافقهم ابن الراوندی من المعتزلة: هو تصدیق الرسول (ص) بما علم مجیئه به....

إذا تقرر هذا فاعلم أن الإیمان (یزید) بالطاعة (وینقص) بالمعصیه کما عند المؤلف وغیره وأخرجه أبو نعیم... بل قال به من الصحابة عمر بن الخطاب وعلی بن أبی طالب... ومن التابعین کعب الأحبار... وعمر بن عبدالعزیز... أما توقف مالک رحمه الله عن القول بنقصانه فخشیة أن یتأول علیه موافقة الخوارج.

افضل الأعمال بعد معرفة العقائد

الکافی:۲/۱۳۰ و ۳۱۷: محمد بن مسلم بن عبید الله قال سئل علی بن الحسین (علیهما السلام) أی الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسوله صلی الله علیه وآله أفضل من بغض الدنیا فإن لذلک لشعباً کثیرة، وللمعاصی شعب فأول ما عصی الله به الکبر، معصیة إبلیس حین أبی واستکبر وکان من الکافرین، ثم الحرص وهی معصیة آدم وحواء (علیهما السلام)حین قال الله عز وجل لهما: فَکُلا مِنْ حَیْثُ شِئْتُمَ وَلا تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَکُونَا مِنَ الظَّالِمِینَ. فأخذا ما لا حاجة بهما إلیه، فدخل ذلک علی ذریتهما إلی یوم القیامة، وذلک أن أکثر ما یطلب ابن آدم ما لا حاجة به إلیه، ثم الحسد وهی معصیة ابن آدم حیث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلک حب النساء وحب الدنیا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الکلام وحب العلو والثروة، فصرن سبع خصال فاجتمعن کلهن فی حب الدنیا، فقال الأنبیاء والعلماء بعد معرفة ذلک: حب الدنیا رأس کل خطیئة، والدنیا دنیا آن: دنیا بلاغ، ودنیا ملعونة. انتهی. ورواه فی وسائل الشیعة:۱۱/۳۰۸.

الکافی:۳/۲۶۴

ـ حدثنی محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد بن عیسی، عن الحسن بن محبوب، عن معاویة بن وهب قال: سألت أبا عبدالله علیه السلام عن أفضل ما یتقرب به العباد إلی ربهم وأحب ذلک إلی الله عز وجل ما هو؟ فقال: ما أعلم شیئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا تری أن العبد الصالح عیسی ابن مریم علیه السلام قال: «وأوصانی بالصلاة والزکوة ما دمت حیاً». انتهی. ورواه فی وسائل الشیعة:۱/۱۷ وج ۱۱/۳۰۸.

اقل ما یجب، و أقصی ما یمکن، من المعرفة

الکافی:۱/۹۱

محمد بن أبی عبدالله رفعه، عن عبدالعزیز بن المهتدی قال: سألت الرضا علیه السلام عن التوحید، فقال: کل من قرأ قل هو الله احد وآمن بها فقد عرف التوحید، قلت: کیف یقرؤها؟ قال: کما یقرؤها الناس وزاد فیه کذلک الله ربی، کذلک الله ربی.

الکافی:۱/۹۱

أحمد بن ادریس، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان بن یحیی، عن أبی أیوب، عن محمد بن مسلم، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: إن الیهود سألوا رسول الله صلی الله علیه وآله فقالوا: أنسب لنا ربک، فلبث ثلاثاً لا یجیبهم ثم نزل: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، إلی آخرها.

محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد بن عیسی، ومحمد بن الحسین، عن ابن محبوب، عن حماد بن عمرو النصیبی، عن أبی عبدالله

عليه السلام قال: سألت أبا عبدالله عن قل هو الله أحد، فقال: نسبة الله إلى خلقه أحداً صمداً أزلياً صمدياً لا ظل له يمسكه وهو يمسك الأشياء بأظلتها، عارف بالمجهول، معروف عند كل جاهل، فردانياً، لا خلقه فيه ولا هو خلقه، غير محسوس ولا محسوس، لا تدركه الأبصار، علا فقرب ودنا فبعد، وعصى فغفر وأطيع فشكر، لا تحويه أرضه ولا تقله سماواته، حامل الأشياء بقدرته، ديمومى أزلى، لا ينسى ولا ـ يلهو ولا ـ يغلط ولا يلعب، ولا لإرادته فصل وفصله جزاء وأمره واقع، لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك، ولم يكن له كفواً أحد.

دعائم الإسلام:۱/۱۳

وعنه صلوات الله عليه أنه قيل له: يا أمير المؤمنين ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً، وما أدنى ما يكون به كافراً، وما أدنى ما يكون به ضالاً؟

قال: أدنى ما يكون به مؤمناً أن يعرفه الله نفسه فيقر له بالطاعة، وأن يعرفه الله نبيه صلى الله عليه وآله فيقر له بالطاعة، وأن يعرفه الله حجته فى أرضه وشاهده على خلقه فيعتقد إمامته فيقر له بالطاعة.

قيل: وإن جهل غير ذلك؟ قال: نعم ولكن إذا أمر أطاع وإذا نهى انتهى.

وأدنى ما يصير به مشركاً أن يتدين بشئ مما نهى الله عنه فيزعم أن الله أمر به، ثم ينصبه ديناً ويزعم أنه يعبد الذى أمر به وهو غير الله عزوجل. وأدنى ما يكون به ضالاً أن لا يعرف حجة الله فى أرضه وشاهده على خلقه فيأتم به.

الرسائل للشيخ الأنصارى:۱/۲۷۵

وقد ذكر العلامة فى الباب الحادى عشر فيما يجب معرفته على كل مكلف، من تفاصيل التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد، أموراً لا دليل على وجوبها كذلك، مدعياً أن الجاهل بها عن نظر وإستدلال خارج عن ربقة الإيمان مستحق للعذاب الدائم. وهو فى غاية الإشكال.

نعم يمكن أن يقال: إن مقتضى عموم وجوب المعرفة، مثل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ، أى ليعرفون. وقوله (صلى الله عليه وآله): وما أعلم بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس، بناء على أن الأفضلية من الواجب، خصوصاً مثل الصلاة، تستلزم الوجوب.

وكذا عمومات وجوب التفقه فى الدين الشامل للمعارف بقرينة استشهاد الإمام عليه السلام بها، لوجوب النفر لمعرفة الإمام بعد موت الإمام السابق عليه السلام وعمومات طلب العلم هو وجوب معرفة الله جل ذكره ومعرفة النبى صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام ومعرفة ما جاء به النبى (صلى الله عليه وآله) على كل قادر يتمكن من تحصيل العلم، فيجب الفحص حتى يحصل اليأس، فإن حصل العلم بشئ من هذه التفاصيل إعتقد وتدين به، وإلا توقف ولم يتدين بالظن لو حصل له.

ومن هنا قد يقال: إن الإشتغال بالعلم المتكفل لمعرفة الله ومعرفة أوليائه صلوات الله عليهم أهم من الإشتغال بعلم المسائل العلمية بل هو المتعين، لأن العمل يصح عن تقليد، فلا يكون الإشتغال بعلمه إلا كفائياً بخلاف المعرفة.

هذا، ولكن الإنصاف ممن جانب الإعتساف يقتضى الإذعان بعدم التمكن من ذلك إلا للأوحدى من الناس، لأن المعرفة المذكورة لا تحصل إلا بعد تحصيل قوة استنباط المطالب من الأخبار وقوة نظرية أخرى لئلا يأخذ بالأخبار المخالفة للبراهين العقلية، ومثل هذا الشخص مجتهد فى الفروع قطعاً، فيحرم عليه التقليد. ودعوى جوازه له للضرورة ليس بأولى من دعوى جواز ترك الإشتغال بالمعرفة التى لا تحصل غالباً بالأعمال المبتنية على التقليد.

هذا إذا لم يتعين عليه الإفتاء والمرافعة لأجل قلة المجتهدين. وأما فى مثل زماننا فالأمر واضح.

فلا تغتر حينئذ بمن قصر استعداده أو همته عن تحصيل مقدمات استنباط المطالب الإعتقادية الأصولية والعلمية عن الأدلة العقلية والنقلية، فيتركها مبغضاً لها لأن الناس أعداء ما جهلوا، ويشتغل بمعرفة صفات الرب جل ذكره وأوصاف حججه صلوات الله عليهم بنظر فى الأخبار لا يعرف به من ألفاظها الفاعل من المفعول، فضلاً عن معرفة الخاص من العام. وبنظر فى المطالب العقلية لا يعرف به

البدیهیات منها، ویشتغل فی خلال ذلک بالتشنیع علی حملة الشریعة العملیة واستهزائهم بقصور الفهم وسوء النیة، فیسأتیهم أنباء ما کانوا به یستهزئون. هذا کله حال وجوب المعرفة مستقلاً.

وأما اعتبار ذلک فی الإسلام أو الإیمان فلا دلیل علیه، بل یدل علی خلافه الأخبار الکثیرة المفسرة لمعنی الإسلام والإیمان.

ففی روایة محمد بن سالم عن أبی جعفر علیه السلام المرویة فی الکافی: إن الله عز وجل بعث محمداً (صلی الله علیه وآله) وهو بمکة عشر سنین، ولم یمت بمکة فی تلک العشر سنین أحد یشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، إلا أدخله الله الجنة بإقراره وهو إیمان التصدیق.

فإن الظاهر أن حقیقة الإیمان التی یخرج الإنسان بها عن حد الکفر الموجب للخلود فی النار لم تتغیر بعد انتشار الشریعة. نعم ظهر فی الشریعة أمور صارت ضروریة الثبوت من النبی(ص)، فیعتبر فی الإسلام عدم إنکارها.

لکن هذا لا ـ یوجب التغییر، فإن المقصود أنه لم یعتبر فی الإیمان أزید من التوحید والتصدیق بالنبی (صلی الله علیه وآله) وبکونه رسولاً صادقاً فیما یبلغ. ولیس المراد معرفة تفاصیل ذلک، وإلا لم یکن من آمن بمکة من أهل الجنة أو کان حقیقة الإیمان بعد انتشار الشریعة غیرها فی صدر الإسلام.

وفی روایة سلیم بن قیس عن أمیر المؤمنین علیه السلام: إن أدنی ما یکون به العبد مؤمناً أن یعرفه الله تبارک وتعالی إیاه فیقر له بالطاعة، ویعرفه نبیه فیقر له بالطاعة، ویعرفه إمامه وحجته فی أرضه وشاهده علی خلقه فیقر له بالطاعة.

فقلت له: یا أمیر المؤمنین! وإن جهل جمیع الأشیاء إلا ما وصفت قال: نعم. وهی صریحة فی المدعی.

وفی روایة أبی بصیر عن أبی عبدالله علیه السلام قال: جعلت فداک، أخبرنی عن الدین الذی افترضه الله تعالی علی العباد ما لایسعهم جهله ولا ـ یقبل منهم غیره، ما هو؟ فقال: أعده علی، فأعاد علیه، فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإیتاء الزکاة، وحج البیت من استطاع إلیه سبیلاً، وصوم شهر رمضان، ثم سکت قلیلاً، ثم قال: والولایة والولایة، مرتین ثم قال: هذا الذی فرض الله عز وجل علی العباد، لا یسأل الرب العباد یوم القیامة، فیقول: ألا زدتنی علی ما افترضت علیک، ولکن من زاد زاده الله. إن رسول الله صلی الله علیه وآله سن سنة حسنة ینبغی للناس الأخذ بها.

ونحوها روایة عیسی بن السری، قلت لأبی عبد الله علیه السلام: حدثنی عما بنیت علیه دعائم الإسلام التی إذا أخذت بها زکی عملی....

وفی روایة أبی الیسع قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام: أخبرنی عن دعائم الإسلام التی لا یسع أحداً التقصیر عن معرفة شئ منها... (وقد أوردنا الروایتین فی بحث معرفة الإمام)

وفی روایة إسماعیل: قال: سألت أبا جعفر علیه السلام عن الدین الذی لا یسع العباد جهله فقال: الدین واسع، وإن الخوارج ضیقوا علی أنفسهم بجهلهم.

فقلت: جعلت فداک أما أحدثک بدینی الذی أنا علیه. فقال: بلی. قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وأتولاکم وأبرأ من عدوکم ومن رکب رقابکم وتأمر علیکم وظلمکم حقکم. فقال: ما جهلت شیئاً. فقال: هو والله الذی نحن علیه. فقلت: فهل یسلم أحد لا یعرف هذا الأمر. قال: لا إلا المستضعفین. قلت: من هم قال: نساؤکم وأولادکم. قال: أرأیت أم أیمن! فإنی أشهد أنها من أهل الجنة، وما کانت تعرف ما أنتم علیه.

فإن فی قوله (ما جهلت شیئاً) دلالة واضحة علی عدم اعتبار الزائد فی أصل الدین. والمستفاد من الأخبار المصرحة بعدم اعتبار معرفة أزید مما ذکر فیها فی الدین، وهو الظاهر أیضاً من جماعة من علمائنا الأخیار کالشهیدین فی الألفیة وشرحها، والمحقق الثانی فی الجعفریة، وشارحها وغیرهم، وهو أنه یکفی فی معرفة الرب التصدیق بکونه موجوداً وواجب الوجود لذاته والتصدیق بصفاته الثبوتیة الراجعة إلی صفتی العلم والقدرة ونفی الصفات الراجعة إلی الحاجة والحدوث، وأنه لا یصدر منه القبیح فعلاً أو ترکاً.

والمراد بمعرفة هذه الأمور ركوزها في اعتقاد المكلف، بحيث إذا سألته عن شئ مما ذكر أجاب بما هو الحق فيه، وإن لم يعرف التعبير عنه بالعبارات المتعارفة على ألسنة الخواص.

ويكفي في معرفة النبي (صلى الله عليه وآله) معرفة شخصه بالنسب المعروف المختص به، والتصديق بنبوته وصدقه، فلا يعتبر في ذلك الإعتقاد بعصمته، أعني كونه معصوماً بالملكة من أول عمر إلى آخره. قال في المقاصد العلية: ويمكن اعتبار ذلك، لأن الغرض المقصود من الرسالة لا يتم إلا به، فينتفي بالفائدة التي باعتبارها وجب إرسال الرسل. وهو ظاهر بعض كتب العقائد المصدرة بأن من جهل ما ذكروه فيها فليس مؤمناً مع ذكرهم ذلك، والأول غير بعيد عن الصواب. انتهى.

أقول: والظاهر أن مراده ببعض كتب العقائد هو الباب الحادي عشر للعلامة قدس سره حيث ذكر تلك العبارة، بل ظاهره دعوى إجماع العلماء عليه.

نعم يمكن أن يقال: إن معرفة ما عدا النبوة واجبة بالإستقلال على من هو متمكن منه بحسب الإستعداد وعدم الموانع، لما ذكرنا من عمومات وجوب التفقه وكون المعرفة أفضل من الصلوات الواجبة، وأن الجهل بمراتب سفراء الله جل ذكره مع تيسر العلم بها تقصير في حقهم وتفريط في حبهم ونقص يجب بحكم العقل رفعه، بل من أعظم النقائص.

وقد أومأ النبي (صلى الله عليه وآله) إلى ذلك حيث قال مشيراً إلى بعض العلوم الخارجة من العلوم الشرعية: إن ذلك علم لا يضر جهله. ثم قال: إنما العلوم ثلاثة، آية محكمة وفريضة عادلة وسنة قائمة، وما سواهن فهو فضل.

وقد أشار إلى ذلك رئيس المحدثين في ديباجة الكافي، حيث قسم الناس إلى أهل الصحة والسلامة وأهل المرض والزمانة، وذكر وضع التكليف عن الفرقة الأخيرة.

ويكفي في معرفة الأئمة صلوات الله عليهم، معرفتهم بنسبهم المعروف والتصديق بأنهم أئمة يهدون بالحق ويجب الإنقياد إليهم والأخذ منهم. وفي وجوب الزائد على ما ذكر من عصمتهم الوجهان. وقد ورد في بعض الأخبار تفسير معرفة حق الإمام بمعرفة كونه إماماً مفترض الطاعة.

ويكفي في التصديق بما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) التصديق بما علم مجيؤه به متواتراً من أحوال المبدأ والمعاد، كالتكليف بالعبادات والسؤال في القبر وعذابه والمعاد الجسماني والحساب والصراط والميزان والجنة والنار إجمالاً، مع تأمل في اعتبار معرفة ما عدا المعاد الجسماني من تلك الأمور في الإيمان المقابل للكفر الموجب للخلود في النار، للأخبار المتقدمة المستفيضة والسيرة المستمرة، فإنا نعلم بالوجدان جهل كثير من الناس بها من أول البعثة إلى يومنا هذا. ويمكن أن يقال: إن المعتبر هو عدم إنكار هذه الأمور وغيرها من الضروريات، لا وجوب الإعتقاد بها، على ما يظهر من بعض الأخبار، من أن الشاك إذا لم يكن جاحداً فليس بكافر. ففي رواية زرارة عن أبي عبدالله عليه السلام: لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا. ونحوها غيرها. ويؤيدها ما عن كتاب الغيبة للشيخ قدس سره بإسناده عن الصادق عليه السلام: إن جماعة يقال لهم الحقية، وهم الذين يقسمون بحق علي ولا يعرفون حقه وفضله، وهم يدخلون الجنة.

وبالجملة، فالقول بأنه يكفي في الإيمان الإعتقاد بوجود الواجب الجامع للكمالات المنزه عن النقائص وبنبوة محمد (صلى الله عليه وآله) وبإمامة الائمة عليهم السلام والبراءة من أعدائهم، والإعتقاد بالمعاد الجسماني الذي لا ينفك غالباً عن الإعتقادات السابقة غير بعيد، بالنظر إلى الأخبار والسيرة المستمرة.

وأما التدين بسائر الضروريات ففي اشتراطه، أو كفاية عدم إنكارها، أو عدم اشتراطه أيضاً، فلا يضر إنكارها إلا مع العلم بكونها من الدين وجوه، أقواها الأخير ثم الأوسط. وما استقربناه في ما يعتبر في الإيمان وجدته بعد ذلك في كلام محكي عن المحقق الورع الأردبيلي في شرح الإرشاد.

كفاية الأصول/٣٢٩

نعم يجب تحصيل العلم فى بعض الإعتقادات لو أمكن، من باب وجوب المعرفة لنفسها كمعرفة الواجب تعالى وصفاته، أداء لشكر بعض نعمائه، ومعرفة أنبيائه فإنهم وسائط نعمه وآلائه، بل وكذا معرفة الإمام عليه السلام على وجه صحيح، فالعقل يستقل بوجوب معرفة النبى ووصيه لذلك، ولإحتمال الضرر فى تركه.

ولا يجب عقلًا معرفة غير ما ذكر، إلا ما وجب شرعاً معرفته كمعرفة الإمام عليه السلام على وجه آخر غير صحيح، أو أمر آخر مما دل الشرع على وجوب معرفته، وما لا ـ دلالة على وجوب معرفته بالخصوص، لا ـ من العقل ولا من النقل، كان أصالة البراءة من وجوب معرفته محكمة. ولا دلالة لمثل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ.. الآية، ولا لقوله صلى الله عليه وآله: وما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس. ولا ـ لما دل على وجوب التفقه وطلب العلم من الآيات والروايات على وجوب معرفته بالعموم، ضرورة أن المراد من (ليعبدون) هو خصوص عبادة الله ومعرفته، والنبوى إنما هو بصدد بيان فضيلة الصلوات لا بيان حكم المعرفة، فلا إطلاق فيه أصلًا. ومثل آية النفر، إنما هو بصدد بيان الطريق المتوسل به إلى التفقه الواجب، لا بيان ما يجب فقهه ومعرفته، كما لا يخفى. وكذا ما دل على وجوب طلب العلم إنما هو بصدد الحث على طلبه لا بصدد بيان ما يجب العلم به.

ثم إنه لا ـ يجوز الإكتفاء بالظن فيما يجب معرفته عقلًا أو شرعاً حيث أنه ليس بمعرفة قطعاً، فلا بد من تحصيل العلم لو أمكن، ومع العجز عنه كان معذوراً إن كان عن قصور لغفلة أو لغموضة المطلب مع قلة الإستعداد، كما هو المشاهد فى كثير من النساء بل الرجال، بخلاف ما إذا كان عن تقصير فى الإجتهاد، ولو لأجل حب طريقة الآباء والأجداد واتباع سيرة السلف، فإنه كالجبلى للخلف، وقلما عنه تخلف. ولا يصغى إلى ما ربما قيل: بعدم وجود القاصر فيها، لكنه إنما يكون معذوراً غير معاقب على عدم معرفة الحق، إذا لم يكن يعانده بل كان ينقاد له على إجماله لو احتمله.

حاشية السيد البروجردى على كفاية الأصول:۲/۱۹۳

فصل. إنما الثابت بمقدمات دليل الإنسداد فى الأحكام هو حجية الظن فيها، لا حجيته فى تطبيق المأتى به فى الخارج معها، فيتبع مثلًا فى وجوب صلاة الجمعة يومها، لا فى إتيانها، بل لا بد من علم أو علمى بإتيانها، كما لا يخفى. نعم ربما يجرى نظير مقدمة الإنسداد فى الأحكام فى بعض الموضوعات الخارجية، من إنسداد باب العلم به غالباً، وإهتمام الشارع به بحيث علم بعدم الرضا بمخالفة الواقع بإجراء الأصول فيه مهما أمكن، وعدم وجوب الإحتياط شرعاً أو عدم إمكانه عقلًا، كما فى موارد الضرر المردد أمره بين الوجوب والحرمة مثلًا، فلا محيص عن اتباع الظن حينئذ أيضاً، فافهم.

خاتمة: يذكر فيها أمران استطراداً:

الأول: هل الظن كما يتبع عند الإنسداد عقلًا ـ فى الفروع العملية، المطلوب فيها أولاً ـ العمل بالجوارح، يتبع فى الأصول الإعتقادية المطلوب فيها عمل الجوانح من الإعتقاد به وعقد القلب عليه وتحمله والإنقياد له، أو لا. الظاهر لا، فإن الأمر الإعتقادى وإن أنسد باب القطع به، إلا أن باب الإعتقاد إجمالاً ـ بما هو واقعه والإنقياد له وتحمله ـ غير منسد، بخلاف العمل بالجوارح فإنه لا يكاد يعلم مطابقته مع ما هو واقعه إلا بالإحتياط، والمفروض عدم وجوبه شرعاً، أو عدم جوازه عقلًا، ولا أقرب من العمل على وفق الظن. وبالجملة: لا موجب مع إنسداد باب العلم فى الإعتقاديات لترتيب الأعمال الجوانحية على الظن فيها، مع إمكان ترتيبها على ما هو الواقع فيها، فلا يتحمل إلا لما هو الواقع، ولا ينقاد إلا له، لا لما هو مظنونه، وهذا بخلاف العلميات، فإنه لا محيص عن العمل بالظن فيها مع مقدمات الإنسداد.

نعم يجب تحصيل العلم فى بعض الإعتقادات لو أمكن، من باب وجوب المعرفة لنفسها، كمعرفة الواجب تعالى وصفاته أداء لشكر بعض نعمائه، ومعرفة أنبيائه، فإنهم وسائط نعمه وآلائه، بل وكذا معرفة الإمام عليه السلام على وجه صحيح، فالعقل يستقل بوجوب معرفة النبى ووصيه لذلك، ولاحتمال الضرر فى تركه، ولا يجب عقلًا معرفة غير ما ذكر، إلا ما وجب شرعاً معرفته، كمعرفة الإمام عليه السلام على وجه آخر غير صحيح، أو أمر آخر مما دل الشرع على وجوب معرفته، وما لا دلالة على وجوب معرفته بالخصوص، لا

من العقل ولا من النقل، كان أصالة البراءة من وجوب معرفته محكمة.

ولا دلالـة لمثل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ.. الآيـة، ولا لقوله صـلى الله عليه وآله: وما أعلم شـيئاً بعـد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس، ولا لما دل على وجوب التفقه وطلب العلم من الآيات والروايات على وجوب معرفته بالعموم، ضرورة أن المراد من (ليعبـدون) هو خصوص عبادة الله ومعرفته، والنبوى إنما هو بصـدد بيان فضـيلة الصـلوات لا بيان حكم المعرفـة، فلا إطلاق فيه أصـلًا، ومثـل آيـة النفر إنمـا هو بصـدد بيـان الطريق المتوسل به إلى التفقه الواجب، لا بيان ما يجب فقهه ومعرفته كما لا يخفى، وكـذا ما دل على وجوب طلب العلم إنما هو بصدد الحث على طلبه، لا بصدد بيان ما يجب العلم به.

ثم إنه لا ـ يجوز الإكتفاء بالظن فيما يجب معرفته عقلًا أو شـرعاً، حيث أنه ليس بمعرفـة قطعاً، فلا بـد من تحصـيل العلم لو أمكن، ومع العجز عنه كان معذوراً إن كان عن قصور لغفلة أو لغموضة المطلب مع قلة الإستعداد، كما هو المشاهد فى كثير من النساء بل الرجال، بخلاـف مـا إذا كـان عن تقصير فى الإجتهـاد، ولو لاجـل حب طريقـة الآباء والأجـداد واتباع سيرة السـلف، فإنه كالجبلى، وقلما عنه تخلف.

والمراد من المجاهـدة فى قوله تعـالى: وَالَّذِينَ جَاهَـدُوا فِينَا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا، بتخليتها عن الرذائل وتحليتها بالفضائل، وهى التى كانت أكبر من الجهاد، لا النظر والإجتهاد، وإلا لأدى إلى الهدايـة، مع أنه يؤدى إلى الجهالة والضـلالة، إلا إذا كانت هناك منه تعالى عناية، فـإنه غالبـاً بصـدد إثبـات أن مـا وجـد آبـاءه عليه هو الحق، لاـ بصـدد الحق، فيكون مقصـراً مع اجتهـاده ومؤاخـذ إذا أخطأ على قطعه واعتقاده.

ثم لا إسـتقلال للعقل بوجوب تحصـيل الظن مع اليأس عن تحصيل العلم، فيما يجب تحصيله عقلا لو أمكن، لو لم نقل باستقلاله بعدم وجوبه بل بعـدم جوازه، لما أشـرنا إليه من أن الأمور الإعتقاديـة مع عدم القطع بها أمكن الإعتقاد بما هو واقعها والإنقياد لها، فلا إلجاء فيها أصلًا إلى التنزل إلى الظن فيما انسد فيه باب العلم، بخلاف الفروع العملية كما لا يخفى.

وكذلك لا دلالة من النقل على وجوبه فيما يجب معرفته مع الامكان شـرعاً، بل الأدلة الدالة على النهى عن اتباع الظن، دليل على عدم جوازه أيضاً.

وقـد انقـدح من مطاوى ما ذكرنا أن القاصـر يكون فى الإعتقاديات للغفلـة، أو عـدم الإسـتعداد للإجتهاد فيها، لعـدم وضوح الأمر فيها بمثابة لا يكون الجهل بها إلا عن نقص كما لا يخفى، فيكون معذوراً عقلًا.

ولا يصـغى إلى ما ربما قيل بعدم وجود القاصر فيها، لكنه إنما يكون معذوراً غير معاقب على عدم معرفة الحق، إذا لم يكن يعانده، بل كان ينقاد له على إجماله لو احتمله.

حقائق الأصول:۲/۲۱۱

قوله: فإن الأمر الإعتقادى، يعنى أن العمل على الظن فى الأصول الإعتقاديـة يتوقف على تتميم مقـدمات الإنسداد فيها وهو غير ممكن إذ منها عـدم إمكان الإحتياط الموجب للـدوران بين الأخـذ بالطرف المظنون والموهوم، وبقاعـدة قبـح ترجيـح المرجوح يتعين الأول، وفى المقـام لاـ مجال للـدوران المـذكور لإمكان الإعتقاد بها إجمالًا على ما هى عليه واقعاً، إلا أن يـدعى وجوب الإعتقاد بها تفصـيلًا حتى فى حال الجهل، فإنه حيث لا يمكن العلم بها لابـد من سـلوك الظن لأنه أقرب إلى الواقع، لكن لابـد من الإلتزام بالكشف إذ لو لم تكشف المقدمات عن كون الظن حجة شرعاً كان الإعتقاد المطابق له تشريعاً محرماً عقلًا، فتأمل جيداً.

إلا أن دعوى وجوب الإعتقاد تفصيلًا مطلقاً لا دليل عليها من عقل أو شرع فلاحظ.

قوله: كمعرفـة الواجب تعالى، لا ريب ظاهراً فى وجوب هذه المعارف وإنما الخلاف فى وجوبها عقلًا أو شـرعاً، فالمحكى عن العدلية الأول، وعن الأشاعرة الثانى، والخلاف فى ذلك منهم مبنى على الخلاف فى ثبوت قاعدة التحسـين والتقبيح العقليين، فعلى القول بها ـ كما هو مـذهب الأولين ـ تكون واجبـة عقلًا لأن شـكر المنعم ودفع الخوف عن النفس واجبان وهما يتوقفان على المعرفـة وما يتوقف

عليه الواجب واجب، وظاهر تقرير هذا الدليل كون وجوب المعرفة غيرى، والمصنف رحمه الله جعل وجوبها نفسياً بناء منه على كون المعرفة بنفسها شكراً، فإذا كان الشكر واجباً عقلاً لكونه حسناً بنفسه كانت المعرفة بنفسها واجبة لا أنها مقدمة لواجب، ولذا قال فى تعليل وجوبها: أداء لشكر بعض... الخ.

نعم لو كان الشكر واجباً من باب وجوب دفع الضرر كان وجوبه غيرياً فيكون وجوب المعرفة حينئذ غيرياً، بل لو قلنا حينئذ بأن وجوب دفع الضرر ليس عقلياً بل فطرياً كان وجوبها فطرياً غيرياً لا عقلياً لا نفسياً ولا غيرياً.

والإنصاف يقتضى التأمل فى وجوب الشكر لنفسه وإن كان حسناً لأن حسنه لا يلازم وجوبه، نعم هو واجب من باب وجوب دفع الضرر المحتمل، فيكون وجوب المعرفة غيرياً لا نفسياً. وأما كونه عقلياً أو فطرياً فقد عرفت فيما سبق تحقيقه. فلاحظ.

ثم إنه قد يتوهم كون وجوب المعرفة غيرياً من جهة توقف الإعتقاد عليها، لكنه إنما يتم لو كان الإعتقاد واجباً تفصيلاً مطلقاً غير مشروط بالمعرفة مع توقفه على المعرفة، وقد عرفت الإشكال فى الأول، كما يمكن منع الثانى لإمكان تحقق الإعتقاد بلا معرفة غاية الأمر أنه تشريع محرم عقلاً لكن تحريمه كذلك لا يقتضى وجوب المعرفة. نعم لو كان الواجب عقلاً هو الإعتقاد عن معرفة كانت واجبة لغيرها لكنه أول الكلام.

قوله: فإنهم وسائط، يعنى فتكون معرفتهم أداء للشكر الواجب، وكذا معرفة الإمام عليه السلام على وجه صحيح (هامش: وهو كون الإمامة كالنبوة منصباً إلهياً يحتاج إلى تعيينه تعالى ونصبه لا أنها من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين وهو الوجه الآخر منه (قدس سره)، فالعقل يستقل بوجوب معرفة النبى ووصيه لذلك ولاحتمال الضرر فى تركه، ولا يجب عقلاً معرفة غير ما ذكر إلا ما وجب شرعاً معرفته – كمعرفة الإمام عليه السلام – على وجه آخر غير صحيح أو أمر آخر مما دل الشرع على وجوب معرفته، وما لا دلالة على وجوب معرفته بالخصوص لا من العقل ولا من النقل كان أصالة البراءة من وجوب معرفته محكمة، ولا دلالة لمثل قوله تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإنْسَ، الآية ولا لقوله (صلى الله عليه وآله): وما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات الخمس، ولا لما دل على وجوب التفقه وطلب العلم من الآيات والروايات على وجوب معرفته بالعموم أن المراد من: ليعبدون، هو خصوص عبادة الله ومعرفته والنبوى إنما هو بصدد بيان فضيلة الصلوات لا بيان حكم المعرفة فتجب.

قوله: وكذا معرفة الإمام عليه السلام، يعنى واجبة لنفسها لأن الإمامة كالنبوة من المناصب الإلهية فيكون الإمام عليه السلام من وسائط النعم فتجب معرفته كمعرفة النبى (صلى الله عليه وآله) وهذا هو الوجه الصحيح....

نهاية الافكار:۲/۱۸۸

أما المقام الأول، فلا ينبغى الإشكال فى وجوب تحصيل معرفة الواجب تعالى ومعرفة ما يرجع إليه من صفات الجمال والجلال، ككونه واحداً قادراً عالماً مريداً حياً غنياً لم يكن له نظير ولا شبيه، ولم يكن بجسم ولا مرئى ولا له حيز ونحو ذلك.. كما لا إشكال أيضاً فى كون الوجوب المزبور نفسياً، لأن المعرفة بالمبدأ سبحانه هى الغاية القصوى والغرض الأصلى من خلق العباد وبعث الرسل كما ينبى عنه قوله سبحانه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ، حيث أن حقيقة العبودية هى المعرفة ولا ينافى ذلك مقدميتها لواجب آخر عقلى أو شرعى كالتدين والإنقياد ونحوه. ثم إن عمدة الدليل على وجوب المعرفة إنما هو حكم العقل الفطرى واستقلاله بوجوب تحصيل المعرفة بالمبدأ تعالى على كل مكلف بمناط شكر المنعم باعتبار كونها من مراتب أداء شكره فيجب بحكم العقل تحصيل المعرفة به سبحانه، وبما يرجع إليه من صفات الجمال والجلال، بل ويجب أيضاً معرفة أنبيائه ورسله وحججه الذين هم وسائط نعمه وفيضه.

وإلا فمع الأغماض عن هذا الحكم العقلى الفطرى لا تجدى الأدلة السمعية كتاباً وسنة من نحو قوله سبحانه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ، لعدم تمامية مثل هذه الإستدلالات للجاهل بهما لا إلزاماً ولا إقناعاً، لأن دليليتهما فرع الإعتقاد بهما وبكلامهما، وحينئذ فالعمدة فى الدليل على الوجوب هو حكم العقل الفطرى.

نعم بعد تحصیل المعرفة بالمبدأ ووسائط نعمه بحکم العقل، لا بأس بالإستدلال بالکتاب والسنة لإثبات وجوب المعرفة لما عداهما فی فرض تمامیة إطلاق تلک الأدلة من حیث متعلق المعرفة، وإلا فبناء علی عدم إطلاقها من هذه الجهة فلا مجال للتمسک بها أیضاً.

ثم إنه مما ذکرنا ظهر الحال فی المقام الثانی، حیث أنه بعد ما وجب تحصیل المعرفة بالواجب تعالی وبوسائط نعمه یجب بحکم العقل الإعتقاد وعقد القلب والانقیاد له سبحانه، لکون مثله أیضاً من مراتب أداء شکره الواجب علیه. بل الظاهر أن وجوب ذلک أیضاً کوجوب أصل المعرفة مطلق غیر مشروط بحصول العلم من الخارج، فیجب علیه حینئذ تحصیل العلم مقدمة للإنقیاد الواجب.

هذا کله بالنسبة إلی أصل وجوب المعرفة، وأما المقدار الواجب منها فإنما هو المعرفة بالمبدأ جل شأنه وبوحدانیته وبما یرجع إلیه من صفات الجمال والجلال، وکذا معرفة أنبیائه ورسله وحججه الذین هم وسائط نعمه وفیضه، وکذلک الحشر والنشر ولو بنحو الاجمال.

وأما ما عدا ذلک کتفاصیل التوحید وکیفیة علمه وإرادته سبحانه، وتفاصیل المحشر وخصوصیاته، وأن المیزان والصراط بأی کیفیة، ونحو ذلک فلا یجب تحصیل العلم ولا الإعتقاد بها بتلک الخصوصیات.

نعم فی فرض حصول العلم بها من الخارج یجب الإعتقاد وعقد القلب بها. فوجوب الإعتقاد بخصوصیات الأمور المزبورة إنما کان مشروطاً بحصول العلم بها من باب الإتفاق، لا ـ أن وجوبها مطلق حتی یجب تحصیل العلم بها من باب المقدمة. نعم الواجب علی المکلف هو الإعتقاد الإجمالی بما هو الواقع ونفس الأمر فیعتقد وینقاد بتلک الأمور علی ما هی علیها فی الواقع ونفس الأمر.

ومن هذا البیان ظهر الحال فی المقام الثالث أیضاً، فإن مقتضی الأصل فیما عدا المقدار المزبور هو عدم وجوب تحصیل المعرفة زائداً علی المقدار الذی یستقل العقل بوجوب تحصیله، إلا ما ثبت من الخارج وجوب الإعتقاد به من ضرورة ونحوه کالمعاد الجسمانی.

وأما الإستدلال علی وجوب المعرفة بتفاصیل الأمور المزبورة بما ورد من الأدلة النقلیة کتاباً وسنة کقوله سبحانه: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ، وعموم آیة النفر، وقوله علیه السلام: لا أعلم شیئاً بعد المعرفة أفضل من الصلوات الخمس، وقوله: طلب العلم فریضة علی کل مسلم ومسلمة، فیدفعه مضافاً إلی قضاء العادة بامتناع حصول المعرفة بما ذکر إلا للأوحدی من الناس، أنه لا إطلاق لها من حیث متعلق المعرفة لأنها بین ما کان فی مقام بیان فضیلة الصلاة والحث والترغیب إلیها لا فی مقام بیان حکم المعرفة، وبین ما کان بصدد إثبات أصل وجوب المعرفة بالمبدأ ورسله وحججه لا فی مقام وجوبها علی الإطلاق، حتی بالنسبة إلی التفاصیل المزبورة. وعلیه فعند الشک لابد من الرجوع إلی الأصل المقتضی لعدم وجوبها.

نعم حیث قلنا بعدم وجوب تحصیل المعرفة فی الزائد عن المقدار المعلوم فلیس له إنکاره والجحد به، إذ لا یستلزم عدم وجوب المعرفة بشئ جواز إنکاره، بل ربما یکون إنکاره حراماً علیه، بل موجباً لکفره إذا کان من الضروریات، لما یظهر منهم من التسالم علی کفر منکر ضروری الدین کالمعراج والمعاد الجسمانی ونحوهما. فلا بد لمثل هذا الشخص حینئذ من الإعتقاد إجمالاً بما هو الواقع.

شرح المواقف للجرجانی:۸/۱۰۵

... والجواب منع التکلیف بکمال معرفته إذ هو أی التکلیف بقدر وسعنا فنحن مکلفون بأن نعرف من صفاته ما یتوقف تصدیق النبی علیه السلام علی العلم به لا ـ بمعرفة صفات أخری. أو بأن نقول سلمنا تکلیفنا بکمال معرفته لکن لا یلزم من التکلیف به حصوله من جمیع المکلفین بل ربما یعرفه معرفة کاملة بعض منهم کالأنبیاء والکاملین من أتباعهم....

فإن قلت: مرادهم أنا مکلفون بکمال معرفة ممکنة، وقد لا یسلمون کون معرفته تعالی بالکنه ممکنة.

قلت: لو سلم فلعل له تعالی صفة لا یمکن لنا معرفتها أیضاً فلا یتجه لهم بما ذکروه نفی صفة غیر السمع بالکلیة، فتأمل.

قوله: فنحن مکلفون إلی آخره.. هذا مترتب علی منة التکلیف بکمال المعرفة، ثم الترتب باعتبار الأخبار نظیره الفاء فی قوله تعالی: وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ، أی إذا کان التکلیف بکمال المعرفة ممنوعاً فأخبرکم أنا مکلفون بکذا لا بکذا، وحینئذ لا یرد أن مثل السمع والبصر والکلام داخل تحت الوسع، فیقتضی قوله إذ هو بقدر وسعنا أن نکون مکلفین بمعرفته أیضاً مع أن التفریع یقتضی عدم التکلیف بها، إذ لا یتوقف تصدیق النبی علیه السلام علی شئ منها، فتدبر.

المعرفة لا تتوقف علی علم الكلام

مستدرک الوسائل:۱/۱۶۱

فقه الرضا علیه السلام: إیاک والخصومة فإنها تورث الشک وتحبط العمل، وتردی صاحبها، وعسی أن یتکلم بشئ لا یغفر له.

ونروی: إنه کان فیما مضی قوم انتهی بهم الکلام إلی الله عز وجل فتحیروا، فإن کان الرجل لیدعی من بین یدیه فیجیب من خلفه.

وأروی: تکلموا فیما دون العرش، فإن قوماً تکلموا فی الله عز وجل فتاهوا.

وأروی عن العالم: وسألته عن شئ من الصفات فقال: لا تتجاوز ما فی القرآن.

وأروی: إنه قری بین یدی العالم علیه السلام قوله: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ، فقال: إنما عنی أبصار القلوب وهی الاوهام، فقال: لا تدرک الأوهام کیفیته، وهو یدرک کل وهم، وأما عیون البشر فلا تلحقه، لأنه لا یحل فلا یوصف. هذا ما نحن علیه کلنا.

رسائل الشهید الثانی:۲/۱۷۴

التوحید علی ثلاثة أقسام:

الأول: توحید الذات ونفی الشریک فی واجب الوجود.

الثانی: بحسب الصفات هو نفی الصفة الموجودة القائمة بذاته تعالی.

الثالث: توحیده تعالی بحسب العبودیة وتخصیص العبادة له جل جلاله.

والعمدة فی الإستدلال علی الأول قوله تعالی: لَوْ کَانَ فِیهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللهُ لَفَسَدَتَا. والدلیل علی الثانی والثالث قوله تعالی: وَلا یُشْرِکْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا، وقول مولانا أمیر المؤمنین علیه السلام: إن أول الدین معرفته، وکمال معرفته التصدیق به، وکمال التصدیق به توحیده، وکمال توحیده الإخلاص له، وکمال الإخلاص له نفی الصفات عنه، بشهادة کل صفة أنها غیر الموصوف وشهادة کل موصوف أنه غیر الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله. صدق ولی الله علیه السلام.

وروی محمد بن أبی عمیر عن الکاظم علیه السلام حین سأله عن التوحید؟ فقال: یا أبا أحمد لا تجاوز فی التوحید عما ذکره الله تعالی فی کتابه فتهلک.

وسائر صفاته الثبوتیة مذکورة فی القرآن، مصرحة بواجب الوجود، وهو دلیل علی نفی الصفات السلبیة، لإستلزامها الامکان المضاد للوجوب. وباقی الأصول من النبوة والإمامة والمعاد الجسمانی مستفاد من الکتاب العزیز والسنة النبویة والإمامیة، بحیث لا مزید علیها.

فظهر أن تحصیل الإیمان لا یتوقف علی تعلم علم الکلام ولا المنطق، ولا غیرها من العلوم المدونة، بل یکفی مجرد الفطرة الإنسانیة علی اختلاف مراتبها، والتنبیهات الشرعیة من الکتاب والسنة المتواترة أو الشائعة المشهورة، بحیث یحصل من العلم بها العلم بالمسائل المذکورة. وکل ممکن برهان، وکل آیة حجة، وکل حدیث دلیل، وفهم المقصود استدلال، وکل عاقل مستدل، وإن لم یعلم الصغری ولا الکبری ولا التالی ولا المقدم، بهذه العبارات والقانونات والإصطلاحات.

رسائل الشهید الثانی:۲/۱۷۶

الباب السادس، فی الکلام علی تعلم علم الکلام، واعلم أنه علم إسلامی وضعه المتکلمون لمعرفة الصانع وصفاته العلیا، وزعموا أن الطریق منحصر فیه وهو أقرب الطرق. والحق أنه أبعدها وأصعبها وأکثرها خوفاً وخطراً، ولذلک نهی النبی صلی الله علیه وآله عن الغور فیه، حیث روی أنه مر علی شخصین متباحثین علی مسألة، کالقضاء والقدر، فغضب صلی الله علیه وآله حتی احمرت وجنتاه.

وروی هارون بن موسی التلعکبری أستاد شیخنا المفید قدس سرهما، عن عبدالله ابن سنان قال: أردت الدخول علی أبی عبدالله علیه السلام، فقال لی مؤمن الطاق، استأذن لی علی أبی عبدالله علیه السلام، فقلت: نعم، فدخلت علیه فاعلمته مکانه، فقال علیه السلام: یابن سنان لا تأذن له علی، فإن الکلام والخصومات یفسدان النیة وتمحق الدین.

وعن عاصم بن حميد الحناط عن أبى عبيدة الحذاء قال: قال لى أبوجعفر عليه السلام وأنا عنده: إياك وأصحاب الكلام والخصومات ومجالستهم، فإنهم تركوا ما أمروا بعلمه وتكلفوا ما لم يؤمروا بعلمه حين تكلفوا أهل أبناء السماء. يا أبا عبيدة خالط الناس بأخلاقهم وزائلهم فى أعمالهم، يا أبا عبيدة إنا لا نعد الرجل فقيهاً عالماً حتى يعرف لحن القول، وهو قوله تعالى: وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ.

وعن جميل بن دراج قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: متكلموا هذه الأمة من شرار أمتى ومن هم منهم.

وعنه عليه السلام: يهلك أهل الكلام وينجو المسلمون.

وورد فى موضع آخر: إن شر هذه الأمة المتكلمون.

وروى أن يونس قال للصادق عليه السلام: جعلت فداك إنى سمعت أنك تنهى عن الكلام تقول: ويل لاصحاب الكلام. فقال عليه السلام: إنما قلت ويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يقولون.

أقول: يمكن أن يكون هذا إشارة إلى أنهم تركوا التشبيهات كما عرفت الواردة فى القرآن والآثار النبوية والإمامية صلوات الله عليهم، وعدلوا عنها إلى خيالاتهم الفاسدة وحكاياتهم الباردة، المذكورة فى الكتب الكلامية.

قال سيد المحققين رضى الدين على بن طاووس قدس سره: مثل مشائخ المعتزلة فى تعليمهم معرفة الصانع، كمثل شخص أراد أن يعرف غيره النار، فقال: يا هذا معرفتها تحتاج إلى أسباب: أحدها الحجر ولا يوجد إلا طريق مكة. والثانى الحديد وصفته كذا وكذا. والثالث حراق على هذه الصفة. والرابع مكان خال عن شدة الهواء، فأخذ المسكين فى تحصيل هذه الأسباب.

ولو قال له فى أول الحال: إن هذه الجسم المضى الذى تشاهده هو النار التى تطلبها لأراح واستراح.

فمثل هذا العالم حقيق أن يقال إنه قد أضل، ولا يقال إنه قد هدى، أو عدل بالخلائق (فى معرفة الخالق) إلى تلك الطرائق الضيقة البعيدة، وضيق عليهم سبيل الحقيقة، كما عدل من أراد تعريف النار المعلومة بالإضطرار إلى استخراجها من الأخبار.

أقول: هذا حال الكلام الذى كان فى أول الإسلام، ولا شك أنه ما كان بهذه المثابة من البحث والخصومة، فما ظنك بهذه المباحثات والخصومات الشائعة فى زماننا. وليت شعرى أن هؤلاء الجماعة هل لهم دليل عقلى ونقلى على وجوبه واستحبابه؟ أو مجرد تقليد آبائهم وأسلافهم، وأنهم على آثارهم لمقتدون. وأنهم هل يقرون بإيمان السابقين أو ينكرونه؟ وهل يعترفون بإيمان العوام الغافلين عنه أو لا ـ يعترفون؟ فإن أقروا واعترفوا فما فائدته؟ وإلا فكيف يعاشرونهم بالرطوبات؟ مع اعتقادهم بأن عدم المعرفة بالأصول كفر والكافر نجس. وكيف يجوز الإشتغال بالواجب مع استلزامه ترك ما هو أوجب؟ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى كانوا يوعدون.

و يكفى الدليل الاجمالى فى المعرفة

الاقتصاد للشيخ الطوسى/۱۵

فإن قيل: قد ذكرتم أنه يخرج الإنسان عن حد التقليد بعلم الجملة، ما حد ذلك بينوه لنقف عليه؟

قلنا: أحوال الناس تختلف فى ذلك: فمنهم من يكفيه الشئ اليسير، ومنهم من يحتاج إلى أكثر منه بحسب ذكائه وفطنته وخاطره، حتى يزيد بعضهم على بعض إلى أن يبلغ إلى حد لا يجوز له الإقتصار على علم الجملة بل يلزمه على التفصيل لكثرة خواطره وتواتر شبهاته. وليس يمكن حصر ذلك لشئ لا يمكن الزيادة عليه ولا النقصان عنه.

فإن قيل: فعلى كل حال بينوا لذلك مثالاً على وجه التقريب.

قلنا: أما على وجه التقريب فإنا نقول: من فكر فى نفسه فعلم أنه لم يكن موجوداً ثم وجد نطفة ثم صار علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم جنيناً فى بطن أمه ميتاً ثم صار حياً فبقى مدة ثم ولد صغيراً، فتتقلب به الأحوال من صغر إلى كبر ومن طفولة إلى رجلة ومن عدم عقل إلى عقل كامل ثم إلى الشيخوخة وإلى الهرم ثم الموت، وغير ذلك من أحواله، عَلِمَ أن هنا من يصرفه هذا التصريف ويفعل به هذا

الفعل، لأنه یعجز عن فعل ذلک بنفسه، وحال غیره من أمثاله حاله من العجز عن مثل ذلک. فعلم بـذلک أنه لابد من أن یکون هناک من هو قـادر علی ذلـک مخالف له، لأنه لو کان مثله لکان حکمه حکمه. ویعلم أنه لا بـد أن یکون عالماً من حیث أن ذلک فی غایهٔ الحکمهٔ والإتساق، مع علمه الحاصل بأن بعض ذلک لا یصدر ممن لیس بعالم، وبهذا القدر یکون عالماً بالله تعالی علی الجملهٔ.

وهکـذا إذا نظر فی بـذر یبـذر فینبت منه أنواع الزرع والغرس ویصـعد إلی منتهاه، فمنه ما یصـیر شـجراً عظیماً یخرج منه أنواع الفواکه والملاذ، ومنه ما یصیر زرعاً یخرج منه أنواع الأقوات، ومنه ما یخرج منه أنواع المشمومات الطیبهٔ الروائح، ومنه ما یکون خشبه فی غایهٔ الطیب کـالعود الرطب وغیر ذلک، وکالمسک الـذی یخرج من بعض الظباء والعنبر الـذی یخرج من البحر، فیعلم بـذلک أن مصـرف ذلک وصانعه قادر عالم لتأتی ذلک وإتساقه، ولعجزه وعجز أمثاله عن ذلک، فیعلم بذلک أنه مخالف لجمیع أمثاله، فیکون عارفاً بالله علی الجملهٔ.

وکـذلک إذا نظر إلی السـماء صاحیـهٔ فتهب الریـاح وینشأ السـحاب ویصـعد ولا یزال یتکاثف ویظهر فیه الرعـد والبرق والصواعق، ثم ینزل منه من المیاه والبحار العظیمـهٔ التی تجری منها الأنهار العظیمـهٔ والأودیـهٔ الوسـیعهٔ، وربما کان فیه من البرد مثل الجبال، کل ذلک فی ساعـهٔ واحـدهٔ ثم تنقشع السـماء وتبـدو الکواکب وتطلع الشـمس أو القمر کأن ما کان لم یکن من غیر تراخ ولا زمان بعیـد، فیعلم ببدیهـهٔ أنه لابد أن یکون من صح ذلک منه قادراً علیه ممکن منه، وأنه مخالف له ولأمثاله، فیکون عند ذلک عارفاً بالله. وأمثال ذلک کثیرهٔ لا نطول بذکره.

فمتی عرف الإنسان هذه الجملهٔ وفکر فیها هذا الفکر واعتقد هذا الإعتقاد، فإن مضـی علی ذلک ولم یشـغله خاطر ولا طرقته شبههٔ فهو ناج متخلص.

وأکثر من أشـرتم إلیه یجوز أن یکون هـذه صـفته، وإن بحث عن ذلـک وعن علل ذلک فطرقته شـبهات وخطرت له خطرات وأدخل علیه قوم ملحـدون مـا حیره وبلبله فحینئـذ یلزمه التفتیش ولاـ تکفیه هـذه الجملـهٔ، ویجب علیه أن یتکلف البحث والنظر علی ما سـنبینه لیسلم من ذلک ویحصل له العلم علی التفصیل.

ونحن نبین ذلک فی الفصل الذی یلی هذا الفصل علی ما وعدنا به إنشاء الله.

فإن قیل: أصـحاب الجُمَل (بضم الجیم أی أصحاب المعرفهٔ الإجمالیهٔ) علی ما ذکرتم لا یمکنهم أن یعرفوا صفات الله تعالی وما یجوز علیه ومـا لاـ یجوز علیه منها علی طریق الجمله، وإذا لم یمکنهم ذلک لم یمکنهم أن یعلموا أن أفعاله کلها حکمـهٔ ولا حسن التکلیف ولا النبوات ولا الشرعیات، لأن معرفهٔ هذه الأشیاء لا یمکن إلا بعد معرفهٔ الله تعالی علی طریق التفصیل.

قلنـا: یمکن معرفـهٔ جمیع ذلک علی وجه الجملـهٔ، لأنه إذا علم بما قـدمناه من الافعال ووجوب کونه قادراً عالماً، وعلم أنه لا یجوز أن یکون قادراً بقـدرهٔ محدثـهٔ لأنها کانت تجب أن تکون من فعله، وقـد تقرر أن المحـدث لابـد له من محـدث، وفاعلها یجب أن یکون قـادراً أولاًـ فلولا تقـدم کونه قادراً قبل ذلک لما صـح منه تعالی فعل القـدرهٔ، فیعلم أنه لم یکن قادراً بقـدرهٔ محدثـهٔ، ولأجله علم أنه کـذلک لاـمر لاـ اختصـاص له بمقـدور دون مقـدور، فیعلم أنه یجب أن یکون قـادراً علی جمیع الأجنـاس ومن کـل جنس علی ما لا یتناهی لفقد التخصیص.

وکـذلک إذا علم بـالمحکم من أفعـاله کونه عالماً علم أن ما لاجله علم ما علمه لا اختصاص له بمعلوم دون معلوم، إذ المخصـص هو العلم المحـدث والعلم لاـ یقع إلاـ من عـالم، فلابـد أن یتقـدم کونه عالمـاً لا بعلم محـدث، وما لأجله علم لا اختصاص له بمعلوم دون معلوم، فیعلم أنه عالم بما لا یتناهی وبکل ما یصـح أن یکون معلوماً لفقد الاختصاص. فیعلم أنه لا یشـبه الأشـیاء، لأنه لو أشـبهها لکان مثلها فی کونها محدثـهٔ، لأن المثلین لا یکون أحـدهما قـدیماً والآخر محـدثاً. ویعلم أنه غیر محتاج، لأن الحاجـهٔ من صـفات الاجسام، لأنهـا تکـون إلی جلب المنـافع ودفع المضـار وهمـا من صـفات الأجسـام، فیعلم عنـد ذلـک أنه غنی. ویعلم أنه لاـ تجـوز علیه الرؤیهٔ والإدراکات، لأنه لا یصح أن یدرک إلا ما یکون هو أو محله فی جههٔ، وذلک یقتضـی کونه جسماً أو حالاً فی جسم، وهکذا یقتضی

حدوثه وقد علم أنه قديم. وإذا علم أنه عالم بجميع المعلومات، وعلم كونه غنياً، علم أن جميع أفعاله حكمة وصواب ولها وجه حسن وأن لم يعلمه مفصلاً، لأن القبيح لا يفعله إلا من هو جاهل بقبحه أو محتاج إليه وكلاهما منتفيان عنه، فيقطع عند ذلك على حسن جميع أفعاله من خلق الخلق والتكليف وفعل الآلام وخلق المؤذيات من الهوام والسباع وغير ذلك.

ويعلم أيضاً عند ذلك صحة النبوات، لأن النبى إذا ادعى النبوة وظهر على يده علم معجز يعجز عن فعله جميع المحدثين علم أنه من فعل الله، ولو لا صدقه لما فعله، لأن تصديق الكذاب لا يحسن، وقد أمن ذلك بكونه عالماً غنياً. فإذا علم صدق الأنبياء بذلك علم صحة ما أتوا به من الشرعيات والعبادات، لكونهم صادقين على الله، وأنه لا يتعبد الخلق إلا بما فيه مصلحتهم.

وإذا ثبت له هذه العلوم فتشاغل بالعبادة أو بالمعيشة ولم تخطر له شبهة ولا أورد عليه ما يقدح فيما علمه، ولا فكر هو فى فروع ذلك، لم يلزمه أكثر من ذلك. ومتى أورد عليه شبهة فإن تصورها قادحة فيما علمه يلزمه حينئذ النظر فيها حتى يحلها ليسلم له ما علمه، وإن لم يتصورها قادحة ولا اعتقد أنها تؤثر فيما علمه لم يلزمه النظر فيها ولا التشاغل بها.

وهذه أحوال أكثر العوام وأصحاب المعايش والمترفين، فإنهم ليس يكادون يلتفتون إلى شبهة تورد عليهم ولا يقبلونها ولا يتصورونها قادحة فيما اعتقدوه، بل ربما أعرضوا عنها واستغنوا عن سماعها وإيرادها وقالوا: لا تفسدوا علينا ما علمناه. وقد شاهدت جماعة هذه صورتهم. فبان بهذه الجملة ما أشرنا إليه من أحوال أصحاب الجُمَل.

رسائل الشهيد الثانى:۲/۱۴۲

الثانى فى بيان معنى الدليل الذى يكفى فى حصول المعرفة المحققة للايمان عند من لا يكتفى بالتقليد فى المعرفة.

إعلم أن الدليل بمعنى الدال، وهو لغة المرشد، وهو الناصب للدليل كالصانع، فإنه نصب العالم دليلاً عليه، والذاكر له كالعالم، فإنه دال بمعنى أنه يذكرون العالم دليلاً على الصانع، ويقال لما به الإرشاد كالعالم، لأنه بالنظر فيه يحصل الإرشاد، أى الإطلاع على الصانع تعالى.

واصطلاحاً: هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبرى، وهذا يشمل الإمارة، لأنها توصل بالنظر فيها إلى الظن بمطلوب خبرى، كالنظر إلى الغيم الرطب فى فصل الشتاء، فإن التأمل فيه يوجب الظن بنزول المطر فيه. وقيل: إنه ما يمكن التوصل به إلى العلم بمطلوب خبرى، فلا يشمل الإمارة. وهذان التعريفان للأصوليين. وقوله: ما يمكن، يشمل ما نظر فيه بالفعل وأوجب المطلوب وما لم ينظر فيه بعد، فالعالم قبل النظر فيه دليل على وجود الصانع عند الأصوليين دون المنطقيين حيث عرفوه بأنه قولان فصاعداً يكون عنهما قول آخر، وهذا يشمل الإمارة، وقيل: قولان فصاعداً يلزم عنه لذاته قول آخر، وهذا لا يشمل الإمارة. فالدليل عندهم إنما يصدق على القضايا المصدق بها حالة النظر فيها أى ترتيبها، لأنها الحالة التى تكون فيه أو يلزم منها قول آخر.

ويمكن أن يقال: على اعتبار اللزوم لا يصدق الدليل على المقدمات حال ترتيبها، لأن اللزوم لا يحصل عنده بل بعده. اللهم إلا أن يراد باللزوم اللغوى، أى الإستتباع.

ثم إن الذى يكفى إعتباره فى تحقق الإيمان من هذه التعاريف هو التعريف الثانى للأصوليين لكن بعد النظر فيما يمكن التوصل به، لا الأول، لأن ما يفيد الظن بالمعارف الأصولية غير كاف فى تحقق الإيمان على المذهب الحق.

ولا يعتبر فى تحققه شئ من تعريف المنطقيين، لأن العلم بترتيب المقدمات وتفصيلها على الوجه المعتبر عندهم غير لازم فى حصول الإيمان، بل اللازم من الدليل فيه ما تطمئن به النفس بحسب استعدادها ويسكن إليه القلب، بحيث يكون ذلك ثابتاً مانعاً من تطرق الشك والشبهة إلى عقيدة المكلف، وهذا يتفق كثيراً بملاحظة الدليل إجمالاً، كما هو الواقع لأكثر الناس.

أقول: يمكن أن يقال أن حصول العلم عن الدليل لا يكون إلا بعد ترتيب المقدمات على الوجه التفصيلى المعتبر فى شرائط الإستدلال، وحصوله فى النفس وإن لم يحصل الشعور بذلك الترتيب، إذ ليس كل ما اتصفت به النفس تشعر به، إذ العلم بالعلم غير لازم.

والحاصل أن الترتیب المـذکور طبیعی لکل نفس ناطقـة مرکوز فیها. وهذا معنی ما قالوه من أن الشـکل الأول بدیهی الإنتاج لقربه من الطبع، فـدل علی أن فی الطبیعـة ترتیباً مطبوعاً متی أشـرفت علیه النفس حصل به العلم، وحینئـذ فالمعتبر فی حصول العلم بالدلیل لیس إلاـ مـا ذکره المنطقیون. والخلاـف بینهم وبین الأـصولیین لیس إلاـ فی التسـمیة، لانهم یطلقون الـدلیل علی نفس المحسوس کالعالم، وأهل المعقول لا یطلقونه إلا علی نفس المعقول کالقضایا المرتبـة، مع أن حصول العلم بالفعل علی الإصـطلاحین یتوقف علی ترتیب القضایـا المعقولـة، ومـا نحن فیه من هـذا القبیـل،فـإن حصول الإیمان بالفعل أعنی التصـدیق بالمعارف الإلهیـة إنمایکون بعـد الترتیب المذکور.

فقولهم إن الـدلیل الإجمـالی کـاف فی الإیمـان لاـ یخلو عن مسامحـة، لمـا بینـا من أن الترتیب لابـد منه فی النظریات، وکأنهم أرادوا بالإجمال عدم الشـعور بذلک الترتیب وعدم العلم بشـرائط الإستدلال، لا عدم حصول ذلک فی النفس، والثانی هو المعتبر فی حصول العلم دون الأول. نعم الأول إنما یعتبر فی المناظرات ودفع المغالطات ورد الشبهة وإلزام الخصوم.

ویؤیـد ما ذکرناه أنک لا تجـد فی مباحث الـدلیل وتعریفه إشارة إلی أنه قـد یکون تفصـیلیاً وقد یکون إجمالیاً، وما یوجد فی مباحث الإیمان من أنه یکفی فیه الدلیل الجملی، فقد بینا المراد منه.

العجز عن معرفة ذات الله تعالی

الکافی:۱/۹۲:

باب النهی عن الکلام فی الکیفیة:

محمد بن الحسن، عن سـهل بن زیاد، عن الحسن بن محبوب، عن علی بن رئاب، عن أبی بصیر قال: قال أبوجعفر علیه السلام: تکلموا فی خلق الله ولاـ تتکلموا فی الله فـإن الکلاـم فی الله لاـ یزداد صـاحبه إلاـ تحیراً. وفی روایـة أخری عن حریز: تکلموا فی کل شـئ ولا تتکلموا فی ذات الله.

محمـد بن یحیی، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبی عمیر، عن عبدالرحمن بن الحجاج، عن سـلیمان بن خالد قال: قال أبو عبدالله علیه السلام: إن الله عز وجل یقول: وَأَنَّ إِلی رَبِّکَ الْمُنْتَهی، فإذا انتهی الکلام إلی الله فأمسکوا.

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر عن أبی أیوب، عن محمد بن مسلم قال: قال أبو عبدالله علیه السلام: یا محمد إن الناس لا یزال بهم المنطق حتی یتکلموا فی الله، فإذا سمعتم ذلک فقولوا: لا إله إلا الله الواحد الذی لیس کمثله شئ.

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابه، عن الحسین بن المیاح، عن أبیه قال سمعت أبا عبدالله علیه السلام یقول: من نظر فی الله کیف هو؟ هلک.

عـدة من أصـحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن عبدالحمید، عن العلاء بن رزین، عن محمد بن مسـلم، عن أبی جعفر علیه السلام قال: إیاکم والتفکر فی الله، ولکن إذا أردتم أن تنظروا إلی عظمته فانظروا إلی عظیم خلقه.

محمد بن أبی عبدالله رفعه قال: قال أبوعبدالله علیه السـلام: یا ابن آدم لو أکل قلبک طائر لم یشـبعه، وبصرک لو وضع علیه خرق إبرة لغطاه، ترید أن تعرف بهما ملکوت السـماوات والأرض، إن کنت صادقاً فهذه الشمس خلق من خلق الله، فإن قدرت تملأ عینیک منها فهو کما تقول.

نهج البلاغة:۲/۶۷:

... فمن هـداک لإجترار الغـذاء من ثـدی أمک، وعرفک عند الحاجة مواضع طلبک وإرادتک. هیهات، إن من یعجز عن صـفات ذی الهیئة والأدوات فهو عن صفات خالقه أعجز. وَمِن تناوِلِه بحدود المخلوقین أبعد.

نهج البلاغة:۲/۱۱۹:

ومن خطبة له علیه السلام فی التوحید وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة:

ما وحده من کیفه، ولا حقیقته أصاب من مَثَّله، ولا إیاه عنی من شَبَّهه، ولا صمده من أشار إلیه وتوهمه.

کل معروف بنفسه مصنوع، وکل قائم فی سواه معلول.

فاعلٌ لا باضطراب آلة، مقدر لا بجول فکرة، غنی لا بإستفادة، لا تصحبه الأوقات، ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات کونه، والعدم وجوده، والإبتداء أزله.

بتشعیره المشاعر عُرِفَ أن لا مُشْعِرَ له، وبمضادته بین الأمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بین الأشیاء عُرِفَ أن لا قرین له، ضاد النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل....

نهج البلاغة:۱/۱۵۸

ومن خطبة له علیه السلام: الحمد لله المعروف من غیر رؤیة، والخالق من غیر رَوِیَّة، الذی لم یزل قائماً دائماً إذ لا سماء ذات أبراج، ولا حجب ذات أرتاج، ولا لیل داج، ولا بحر ساج، ولا جبل ذو فجاج....

نهج البلاغة:۱/۱۶۴

... وأشهد أن من شبهک بتباین أعضاء خلقک، وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبیر حکمتک، لم یعقد غیب ضمیره علی معرفتک، ولم یباشر قلبه الیقین بأنه لا ند لک وکأنه لم یسمع تبرأ التابعین من المتبوعین، إذ یقولون: تَأَللهِ إنْ کُنَّا لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ إذْ نُسَوِّیکُمْ بِرَبِّ أَلْعَالَمِینَ. کذب العادلون بک، إذ شبهوک بأصنامهم، ونحلوک حلیة المخلوقین بأوهامهم، وجزؤوک تجزئة المجسمات بخواطرهم، وقدروک علی الخلقة المختلفة القوی بقرائح عقولهم....

الکافی:۱/۱۳۷

علی بن محمد، عن صالح بن أبی حماد، عن الحسین بن یزید، عن الحسن بن علی ابن أبی حمزة، عن إبراهیم عن أبی عبدالله علیه السلام قال: إن الله تبارک اسمه، وتعالی ذکره، وجل ثناؤه، سبحانه وتقدس، وتفرد وتوحد، ولم یزل ولا یزال، وهو الأول والآخر و الظاهر والباطن فلا أول لأولیته، رفیعٌ فی أعلی علوه، شامخ الأرکان، رفیع البنیان عظیم السلطان، منیف الآلاء، سنی العلیاء، الذی عجز الواصفون عن کنه صفته، ولا یطیقون حمل معرفة إلهیته، ولا یحدون حدوده، لأنه بالکیفیة لا یتناهی إلیه.

علی بن إبراهیم، عن المختار بن محمد بن المختار ومحمد بن الحسن، عن عبدالله ابن الحسن العلوی جمیعاً، عن الفتح بن یزید الجرجانی قال: ضمنی وأبا الحسن علیه السلام الطریق فی منصرفی من مکة إلی خراسان وهو سائر إلی العراق، فسمعته یقول: من اتقی الله یتقی، ومن أطاع الله یطاع، فتلطفت الوصول إلیه، فوصلت فسلمت علیه، فرد علی السلام ثم قال: یا فتح من أرضی الخالق لم یبال بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فقمن أن یسلط الله علیه سخط المخلوق، وإن الخالق لا یوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنی یوصف الذی تعجز الحواس أن تدرکه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به، جل عما وصفه الواصفون، وتعالی عما ینعته الناعتون، نأی فی قربه، وقرب فی نأیه، فهو فی نأیه قریب، وفی قربه بعید، کیَّف الکیف فلا یقال: کیف؟ وأیَّن الاین فلا یقال: أین؟ إذ هو منقطع الکیفوفیة والاینونیة.

النهی عن الفضولیة فی معرفة الله تعالی

مستدرک الوسائل:۱۲/۴۷

محمد بن مسعود العیاشی فی تفسیره: عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبیه (علیهما السلام): إن رجلاً قال لامیر المؤمنین علیه السلام: هل تصف ربنا نزداد له حباً وبه معرفة؟ فغضب وخطب الناس، فقال فیما قال:

علیک یا عبدالله بما دلک علیه القرآن من صفته، وتقدمک فیه الرسول من معرفته، فائتم به، واستضی بنور هدایته، فإنما هی نعمة

وحكمة أوتيتها، فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك فى الكتاب فرضه، ولا فى سنة الرسول وأئمة الهدى أثره، فكل علمه إلى الله، ولا تقدر عظمة الله عليه قدر عقلك، فتكون من الهالكين، وأعلم يا عبدالله أن الراسخين فى العلم، هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب، إقراراً بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فقالوا: آمنا به كل من عند ربنا، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً.

انواع من المعرفة والعارفين

المعرفة الحقيقية والمعرفة الشكلية

الصحيفة السجادية:۲/۱۰۸

... عن ثابت البناني قال: كنت حاجاً وجماعة عباد البصرة مثل أيوب السجستاني، وصالح المرى، وعتبة الغلام، وحبيب الفارسى، ومالك بن دينار، فلما أن دخلنا مكة رأينا الماء ضيقاً، وقد اشتد بالناس العطش لقلة الغيث، ففزع إلينا أهل مكة والحجاج يسألوننا أن نستسقى لهم، فأتينا الكعبة وطفنا بها، ثم سألنا الله خاضعين متضرعين بها، فمنعنا الإجابة. فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتى قد أقبل وقد أكربته أحزانه وأقلقته أشجانه، فطاف بالكعبة أشواطاً، ثم أقبل علينا، فقال: يا مالك بن دينار ويا ثابت البناني ويا صالح المرى ويا عتبة الغلام ويا حبيب الفارسى ويا سعد ويا عمر ويا صالح الأعمى ويا رابعة ويا سعدانة ويا جعفر بن سليمان، فقلنا: لبيك وسعديك يا فتى. فقال: أما فيكم أحد يحبه الرحمن؟ فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة، فقال: أبعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه!

ثم أتى الكعبة فخر ساجداً، فسمعته يقول فى سجوده: سيدى بحبك لى إلا سقيتهم الغيث. قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب. فقلت: يا فتى من أين علمت أنه يحبك؟ قال: لو لم يحبنى لم يستزرنى، فلما استزارنى علمت أنه يحبنى، فسألته بحبه لى فأجابنى. ثم ولى عنا وأنشأ يقول:

من عرف الرب فلم تُغْنِهِ معرفة الرب فذاك الشقِى
ما ضر ذو الطاعة ما ناله فى طاعة الله وما ذا لقِى
ما يصنع العبد بغير التقى والعز كل العز للمتقِى

فقلت يا أهل مكة من هذا الفتى؟ قالوا: على بن الحسين بن على بن أبى طالب. ورواه فى مستدرك الوسائل:۶/۲۰۹

تحير المتصوفة فى دور العقل فى المعرفة

التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى/۶۳-۶۷ (تحقيق د. عبد الحليم محمود طبع عيسى الحلبى مصر ۱۹۶۰)

قولهم فى معرفة الله تعالى:

أجمعوا على أن الدليل على الله هو الله وحده، وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل فى حاجته إلى الدليل لأنه محدث، والمحدث لا يدل إلا على مثله. وقال رجل للنورى: ما الدليل على الله؟ قال: الله. قال فما العقل؟ قال العقل عاجز، والعاجز لا يدل إلا على عاجز مثله! وقال ابن عطاء: العقل آلة للعبودية لا للأشراف على الربوبية. وقال غيره: العقل يجول حول الكون، فإذا نظر إلى المكون ذاب. وقال أبوبكر القحطبى: من لحقته العقول فهوت مقهورة إلا ـ من جهة الإثبات، ولولا أنه تعرف إليها بالألطاف لما أدركته من جهة الإثبات. وأنشدونا لبعض الكبار:

من رامه بالعقل مسترشداً سرحه فی حیرهٔ یلهو

وشاب بالتلبیس أسراره یقول من حیرته هل هو

وقال بعض الکبار من المشایخ: البادی من المکونات معروف بنفسه لهجوم العقل علیه، والحق أعز من أن تهجم العقول علیه وإنه عرفنا نفسه أنه ربنا فقال: أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ؟ ولم یقل: من أنا؟ فتهجم العقول علیه حین بدأ معرفاً، فلذلک انفرد عن العقول، وتنزه عن التحصل غیر الإثبات.

وأجمعوا أنه لا یعرفه إلا ذو عقل، لأن العقل آلهٔ للعبد یعرف به ما عرف، وهو بنفسه لا یعرف الله تعالی.

وقال أبوبکر السباک: لما خلق الله العقل قال له: من أنا؟ فسکت فکحله بنور الوحدانیهٔ ففتح عینیه فقال: أنت الله لا إله إلا أنت. فلم یکن للعقل أن یعرف الله إلا الله.

تحیرهم فی الفرق بین العلم والمعرفهٔ

ثم اختلفوا فی المعرفهٔ نفسها: ما هی؟ والفرق بینها وبین العلم.

فقال الجنید: المعرفهٔ وجود جهلک عند قیام علمه. قیل له زدنا، قال: هو العارف وهو المعروف. معناه: إنک جاهل به من حیث أنت، وإنما عرفته من حیث هو، وهو کما قال سهل: المعرفهٔ هی المعرفهٔ بالجهل.

وقال سهل: العلم یثبت بالمعرفهٔ، والعقل یثبت بالعلم، وأما المعرفهٔ فإنها تثبت بذاتها. معناه: إن الله إذا عرف عبداً نفسه فعرف الله تعالی بتعرفه إلیه، أحدث له بعد ذلک علماً، فأدرک العلم بالمعرفهٔ وقام العقل فیه بالعلم الذی أحدثه فیه.

وقال غیره: تبین الأشیاء علی الظاهر علم، وتبینها علی استکشاف بواطنها معرفهٔ. وقال غیره: أباح العلم للعامهٔ وخص أولیاءه بالمعرفهٔ.

وقال أبوبکر الوراق: المعرفهٔ معرفهٔ الأشیاء بصورها وسماتها، والعلم علم الأشیاء بحقائقها.

وقال أبو سعید الخراز: المعرفهٔ بالله هی علم الطلب لله من قبل الوجود له، والعلم بالله هو بعد الوجود، فالعلم بالله أخفی وأدق من المعرفهٔ بالله.

وقال فارس: المعرفهٔ هی المستوفیهٔ فی کنه المعروف.

وقال غیره: المعرفهٔ هی حقر الأقدار إلا قدر الله، وأن لا یشهد مع قدر الله قدراً.

وقیل لذی النون: بم عرفت ربک؟ قال: ما هممت بمعصیهٔ فذکرت جلال الله إلا استحییت منه. جعل معرفته بقرب الله منه دلالهٔ المعرفهٔ له.

وقیل لعلیان: کیف حالک مع المولی؟ قال: ما جفوته منذ عرفته. قیل له: متی عرفته؟ قال: منذ سمونی مجنوناً. جعل دلالهٔ معرفهٔ له تعظیم قدره عنده.

قال سهل: سبحان من لم یدرک العباد من معرفته إلا عجزاً عن معرفته.

تصوراتهم عن العارف بالله تعالی

التعرف لمذهب أهل التصوف للکلاباذی/۱۳۶-۱۳۸

سئل الحسن بن علی بن یزدانیار: متی یکون العارف بمشهد الحق؟ قال: إذا بدا الشاهد، وفنی الشواهد، وذهب الحواس، واضمحل الإخلاص.

معنی بدا الشاهد: یعنی شاهد الحق، وهو أفعاله بک مما سبق منه إلیک من بره لک، وإکرامه إیاک بمعرفته، وتوحیده، والإیمان به، تفنی رؤیهٔ ذلک منک رؤیهٔ أفعالک وبرک وطاعتک، فتری کثیر ما منک مستغرقاً فی قلیل ما منه، وإن کان ما منه لیس بقلیل، وما

منک لیس بکثیر.

وفناء الشواهد: بسقوط رؤیة الخلق عنک، بمعنی الضر والنفع والذم والمدح.

وذهاب الحواس هو معنی قوله: فبی ینطق وبی یبصر، الحدیث.

ومعنی اضـمحل الإخلاـص: أن لاـ یراک مخلصـاً، وما خلص من أفعالک خلص، ولن یخلص أبـداً إذا رأیت صـفتک، فإن أوصافک معلولة مثلک.

سئل ذوالنون، عن نهایة العارف، فقال: إذا کان کما کان حیث کان قبل أن یکون، معناه: أن یشاهد الله وأفعاله دون شاهده وأفعاله.

قال بعضهم: أعرف الخلق بالله أشدهم تحیراً فیه.

قیل لذی النون: ما أول درجة یرقاها العارف؟

فقال: التحیر، ثم الافتقار، ثم الإتصال، ثم التحیر.

الحیرة الأولی فی أفعاله به ونعمه عنده، فلا یری شـکره یوازی نعمه، وهو یعلم أنه مطالب بشـکرها، وإن شـکر کان شـکره نعمة یجب علیه شکرها، ولا یری أفعاله أهلًا أن یقابله بها استحقاراً لها، ویراها واجبة علیه، لا یجوز له التخلف عنها.

وقیل قام الشبلی یوماً یصلی فبقی طویلًا ثم صلی، فلما انفتل عن صلاته قال: یا ویلاه إن صلیت جحدت، وإن لم أصل کفرت.

أی جحدت عظم النعمة وکمال الفضل حیث قابلت ذلک بفعلی شکراً له مع حقارته. ثم أنشد:

الحمـد لله علـی أننـی کضفدع یسکن فی الیم

إن هی فاهت ملات فمها أو سکتت ماتت من الغم

والحیرة الأـخیرة: أن یتحیر فی متاهـات التوحیـد، فیضـل فهمه ویخنس عقله فی عظم قـدرة الله تعـالی وهیبته وجلاـله. وقـد قیـل: دون التوحید متاهات تضل فیها الأفکار.

سـأل أبو السوداء بعض الکبـار فقـال: هـل للعارف وقت؟ قال: لا. فقال: لم؟ قال: لأن الوقت فرجـة تنفس عن الکربـة، والمعرفـة أمواج تغط، وترفع وتحط، فالعارف وقته أسود مظلم. ثم قال:

شرط المعارف محو الکل منک إذا بدا المرید بلحظ غیر مطلع

قال فارس العارف: من کان علمه حالة، وکانت حرکاته غلبة علیه.

سئـل الجنیـد عن العـارف فقـال: لون الماء لون الإناء. یعنی أنه یکون فی کل حال بما هو أولی فتختلف أحواله، ولـذلک قیل: هو ابن وقته.

سئل ذو النون عن العارف، فقال: کان هاهنا فذهب. یعنی أنک لا تراه فی وقتین بحالة واحدة، لأن مصرفه غیره. وأنشدونا لابن عطاء:

ولو نطقت فی السن الدهر خبرت بأنی فی ثوب الصبابة أرفل

وما أن لها علم بقدری وموضعی وما ذاک موهوم لانی أنقل

وقال سـهل بن عبـدالله: أول مقام فی المعرفة أن یعطی العبد یقیناً فی سـره تسـکن به جوارحه، وتوکلًا فی جوارحه یسـلم به فی دنیاه، وحیاة فی قلبه یفوز بها فی عقباه.

قلنـا: العارف هو الـذی بـذل مجهوده فیما لله، وتحقق معرفته بما من الله، وصـح رجوعه من الأشـیاء إلی الله. قال الله تعالی: تری أعینهم تفیض من الدمع مما عرفوا من الحق.

المؤلفة قلوبهم بالمال لکی یعرفوا

اجتهد الخلیفة عمر بن الخطاب فی آیة المؤلفة قلوبهم فأسـقط سهمهم رغم نص الآیة علیه، وقد خالفه فی ذلک علی والأئمة من أهل

البيت غليهم السلام وعدد من الصحابة لأن الآية نصت على ذلك ولا يجوز نسخها بالإجتهاد!

الكافى:٢/٤١٢

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن على بن حسان، عن موسى بن بكر، عن رجل قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ما كانت المؤلفة قلوبهم قط أكثر منهم اليوم، وهم قوم وحدوا الله وخرجوا من الشرك ولم تدخل معرفة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله قلوبهم وما جاء به، فتألفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وتألفهم المؤمنون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لكى ما يعرفوا.

مجمع الفائدة والبرهان:٤/١٥٨

الرابع: المؤلفة قلوبهم، قال المصنف فى المنتهى: أجمع علمائنا على أن من المشركين قوم مؤلفة يستمالون بالزكاة لمعاونة المسلمين، ونقل فى التهذيب من تفسير على بن إبراهيم، عن العالم عليه السلام أنه قال: والمؤلفة قلوبهم قال: هم قوم وحدوا الله وخلعوا عبادة من دون الله ولم تدخل المعرفة قلوبهم أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتألفهم يعلمهم ويعرفهم كيما يعرفوا، فجعل لهم نصيباً فى الصدقات لكى يعرفوا ويرغبوا.

راجع أيضاً: الحدائق الناضرة:١٢/١٧٥، وذخيرة المعاد/٤٥٤، ومستند الشيعة:٢/٤٦، وجواهر الكلام:١٥/٣٣٩، وفقه السيد الخوئى:٢٣/٢٤٧، ومصباح الفقية:٣/٩٥، وغيرها من مصادر الحديث والفقه والتفسير.

دعوة العدو فى الجهاد إلى معرفة الله تعالى

الكافى:٥/٣٦

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقرى، عن سفيان بن عيينة، عن الزهرى قال: دخل رجال من قريش على على بن الحسين صلوات الله عليهما، فسألوه كيف الدعوة إلى الدين؟ قال: تقول: بسم الله الرحمن الرحيم أدعوكم إلى الله عز وجل وإلى دينه، وجماعه أمران: أحدهما معرفة الله عز وجل، والآخر العمل برضوانه، وأن معرفة الله عز وجل أن يعرف بالوحدانية والرأفة والرحمة والعزة والعلم والقدرة والعلو على كل شئ وأنه النافع الضار، القاهر لكل شئ، الذى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وأن محمداً عبده ورسوله، وأن ما جاء به هو الحق من عند الله عز وجل، وما سواه هو الباطل، فإذا أجابوا ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمون، عن عبدالله بن عبدالرحمن، عن مسمع بن عبدالملك، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لما وجهنى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن قال:يا على لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وأيم الله لأن يهدى الله عز وجل على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه. انتهى. وروى نحو الحديث الأول فى تهذيب الأحكام:٦/١٤١

معرفة أهل الآخرة بديهية لا كسبية

رسائل الشريف المرتضى:٢/١٣٣

قال المرتضى (رض): سألت بيان أحكام أهل الآخرة فى معارفهم وأحوالهم، وأنا ذاكر من ذلك جملة وجيزة: إعلم أن لأهل الآخرة ثلاث أحوال: حال ثواب، وحال عقاب، وحال أخرى للمحاسبة. ويعمهم فى هذه الأحوال الثلاث سقوط التكليف عنهم، وأن معارفهم ضرورية، وأنهم ملجؤون إلى الإمتناع من القبيح وإن كانوا مختارين لأفعالهم مؤثرين لها، وهذا هو الصحيح دون ما ذهب إليه من خالف هذه الجملة....

وأما الذى يدل على أن أهل الآخرة لابد أن يكونوا عارفين بالله تعالى وأحواله، فهو أن المثاب متى لم يعرفه تعالى، لم يصح منه معرفة

كون الثواب ثواباً وواصلاً إليه على الوجه الذى يستحقه، وأنه دائم غير منقطع، وإذا كانت هذه المعارف واجبة فما لا يتم هذه المعرفة إلا به ـ من معرفة الله تعالى وإكمال العقل وغيرهما ـ لابد من حصوله.

بحث للشيخ الطوسى فى تعريف الإيمان والكفر

الاقتصاد/۱۴۰

الإيمان هو التصديق بالقلب، ولاـ إعتبار بما يجرى على اللسان، وكل من كان عارفاً بالله وبنبيه وبكل ما أوجب الله عليه معرفته مقراً بذلك مصدقاً به فهو مؤمن. والكفر نقيض ذلك، وهو الجحود بالقلب دون اللسان مما أوجب الله تعالى عليه المعرفة به، ويعلم بدليل شرعى أنه يستحق العقاب الدائم الكثير.

وفى المرجئة من قال: الإيمان هو التصديق باللسان خاصة وكذلك الكفر هو الجحود باللسان، والفسق هو كل ما خرج به عن طاعة الله تعالى إلى معصيته، سواء كان صغيراً أو كبيراً. وفيهم من ذهب إلى أن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان معاً، والكفر هو الجحود بهما.

وفى أصحابنا من قال: الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان والعمل بالجوارح، وعليه دلت كثير من الأخبار المروية عن الائمة غليهم السلام.

وقالت المعتزلة: الإيمان إسم للطاعات، ومنهم من جعل النوافل والفرائض من الإيمان، ومنهم من قال النوافل خارجة عن الإيمان. والإسلام والدين عندهم شئ واحد، والفسق عندهم عبارة عن كل معصية يستحق بها العقاب، والصغائر التى تقع عندهم مكفرة لا تسمى فسقاً. والكفر عندهم هو ما يستحق به عقاب عظيم، وأجريت على فاعله أحكام مخصوصة، فمرتكب الكبيرة عندهم ليس بمؤمن ولا كافر بل هو فاسق.

وقالت الخوارج قريباً من قول المعتزلة إلا أنهم لا يسمون الكبائر كلها كفراً، وفيهم من يسميها شركاً.

والفضيلية منهم تسمى كل معصية كفراً صغيرة كانت أو كبيرة.

والزيدية من كان منهم على مذهب الناصر يسمون الكبائر كفر نعمة، والباقون يذهبون مذهب المعتزلة.

والذى يدل على ما قلناه: أولاً، هو أن الإيمان فى اللغة هو التصديق، ولا يسمون أفعال الجوارح إيماناً، ولا خلاف بينهم فيه.

ويدل عليه أيضاً قولهم: فلان يؤمن بكذا وكذا وفلان لا يؤمن بكذا. وقال تعالى: يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ. وقال: وما أنت بمؤمن لنا، أى بمصدق، وإذا كان فائدة هذه اللفظة فى اللغة ما قلناه وجب إطلاق ذلك عليها إلا أن يمنع مانع، ومن ادعى الانتقال فعليه الدلالة، وقد قال الله تعالى: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. وقال: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ. وقال: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا. وكل ذلك يقتضى حمل هذه اللفظة على مقتضى اللغة. وليس إذا كان هاهنا ألفاظ منتقلة وجب أن يحكم فى جميع الألفاظ بذلك، وإنما ينتقل عما ينتقل بدليل يوجب ذلك. وإن كان فى المرجئة من قال ليس هاهنا لفظ منتقل ولا يحتاج إلى ذلك.

ولاـ يلزمنا أن نسمى كل مصدق مؤمنا لأنا إنما نطلق ذلك على من صدق بجميع ما أوجبه الله عليه. والإجماع مانع من تسمية من صدق بالجبت والطاغوت مؤمناً، فمنعنا ذلك بدليل وخصصنا موجب اللغة، وجرى ذلك مجرى تخصيص العرف لفظ الدابة ببهيمة مخصوصة، وإن كان موجب اللغة يقتضى تسمية كل ما دب دابة، ويكون ذلك تخصيصاً لا نقلاً. فعلى موجب هذا، يلزم من ادعى انتقال هذه اللفظة إلى أفعال الجوارح أن يدل عليه.

وليس لأحد أن يقول: إن العرف لا يعرف التصديق فيه إلا بالقول، فكيف حملتموه على ما يختص القلب؟

قلنا: العرف يعرف بالتصديق باللسان والقلب، لانهم يصفون الاخرس بأنه مؤمن وكذلك الساكت، ويقولون: فلان يصدق بكذا وكذا وفلان لا يصدق، ويريدون ما يرجع إلى القلب، فلم يخرج بما قلناه عن موجب اللغة.

وإنما منعنا إطلاقه فی المصدق باللسان لأنه لو جاز ذلک لوجب تسمیته بالإیمان وإن علم جحوده بالقلب، والإجماع مانع من ذلک.

... وأما الکفر فقد قلنا إنه عند المرجئة من أفعال القلوب، وهو جحد ما أوجب الله تعالی معرفته مما علیه دلیل قاطع کالتوحید والعدل والنبوة وغیر ذلک، وأما فی اللغة فهو الستر والجحود، وفی الشرع عبارة عما یستحق به العقاب الدائم الکثیر، ویلحق بفاعله أحکام شرعیة کمنع التوارث والتناکح.

والعلم بکون المعصیة کفراً طریقه السمع لا ـ مجال للعقل فیه، لأن مقادیر العقاب لا تعلم عقلاً، وقد أجمعت الأمة علی أن الإخلال بمعرفة الله تعالی و توحیده وعدله وجحد نبوة رسله کفر، لا یخالف فیه إلا أصحاب المعارف الذین بینا فساد قولهم.

ولا فرق بین أن یکون شاکاً فی هذه الأشیاء أو یکون معتقداً لما یقدح فی حصولها، لأن الاخلال بالواجب یعم الکل.

فعلی هذا، المجبرة والمشبهة کفار، وکذلک من قال بالصفات القدیمة لأن اعتقادهم الفاسد فی هذه الأشیاء ینافی الإعتقاد الصحیح من المعرفة بالله تعالی وعدله وحکمته.

بحث للشهید الثانی فی تعریف الإیمان والکفر

رسائل الشهید الثانی: ۲/۵۰

فی تعریف الإیمان لغة وشرعاً، فاعلم أن الإیمان لغةً: التصدیق، کما نص علیه أهلها، وهو إفعال من الأمن، بمعنی سکون النفس واطمئنانها لعدم ما یوجب الخوف لها، وحینئذ فکان حقیقة آمن به سکنت نفسه واطمأنت بسبب قبول قوله وامتثال أمره، فتکون الباء للسببیة. ویحتمل أن یکون بمعنی آمنه التکذیب والمخالفة، کما ذکره بعضهم فتکون الباء فیه زائدة، والأول أولی کما لا یخفی وأوفق لمعنی التصدیق، وهو یتعدی باللام کقوله تعالی: وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا، فَأَمَنَ لَهُ لُوطٌ. وبالباء کقوله تعالی: آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ.

وأما التصدیق: فقد قیل أنه القبول والإذعان بالقلب، کما ذکره أهل المیزان.

ویمکن أن یقال: معناه قبول الخبر أعم من أن یکون بالجنان أو باللسان، ویدل علیه قوله تعالی: قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا. فأخبروا عن أنفسهم بالإیمان وهم من أهل اللسان، مع أن الواقع منهم هو الإعتراف باللسان دون الجنان، لنفیه عنهم بقوله تعالی: قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا. وإثبات الإعتراف بقوله تعالی: وَلَکِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا، الدال علی کونه إقراراً بالشهادتین، وقد سموه إیماناً بحسب عرفهم، والذی نفاه الله عنهم إنما هو الإیمان فی عرف الشرع.

إن قلت: یحتمل أن یکون ما ادعوه من الإیمان هو الشرعی، حیث سمعوا الشارع کلفهم بالإیمان، فیکون المنفی عنهم هو ما ادعوا ثبوته لهم، فلم یبق فی الآیة دلالة علی أنهم أرادوا اللغوی.

قلت: الظاهر أنه فی ذلک الوقت لم تکن الحقائق الشرعیة متقررة عندهم، لبعدهم عن مدارک الشرعیات، فلا یکون المخبر عنه إلا ما یسمونه إیماناً عندهم.

وقوله تعالی: آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمِ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ، وقوله تعالی: وَمِنَ النَّاسِ مَن یَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْیَوْمِ الآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِینَ.

وجه الدلالة فی هذه الآیات أن الإیمان فی اللغة التصدیق، وقد وقع فی الأخبار عنهم أنهم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم، فیلزم صحة إطلاق التصدیق علی الإقرار باللسان وإن لم یوافقه الجنان. وعلی هذا فیکون المنفی هو الإیمان الشرعی أعنی القلبی، جمعاً بین صحة النفی والإثبات فی هذه الآیات.

لا یقال: هذا الإطلاق مجاز، وإلا لزم الإشتراک، والمجاز خیر منه.

لانا نقول: هو من قبیل المشترک المعنوی لا اللفظی، ومعناه قبول الخبر أعم من أن یکون باللسان أو بالجنان، واستعمال اللفظ الکلی فی أحد أفراد معناه باعتبار تحقق الکلی فی ضمنه حقیقة لا مجازاً، کما هو المقرر فی بحث الالفاظ.

فإن قلت: إن المتبادر من معنی الإیمان هو التصدیق القلبی عند الإطلاق، وأیضاً یصح سلب الإیمان عمن أنکر بقلبه وإن أقر بلسانه،

والأول علامهٔ الحقیقهٔ والثانی علامهٔ المجاز.

قلت: الجواب عن الأول أن التبادر لا یدل علی أکثر من کون المتبادر هو الحقیقی لا المجازی، لکن لا یدل علی کون الحقیقهٔ لغویهٔ أو عرفیهٔ، وحینئذ فلا یتعین أن اللغوی هو التصدیق القلبی، فلعله العرفی الشرعی.

إن قلت: الأصل عدم النقل، فیتعین اللغوی.

قلت: لا ـ ریب أن المعنی اللغوی الذی هو مطلق التصدیق لم یبق علی إطلاقه بل أخرج عنه إما بالتخصیص عند بعض أو النقل عند آخرین. ومما یدل علی ذلک أن الإیمان الشرعی هو التصدیق بالله وحده وصفاته وعدله، وبنبوهٔ نبینا محمد صلی الله علیه وآله وبما علم بالضرورهٔ مجیئه به لا ما وقع فیه الخلاف وعلی هذا أکثر المسلمین. وزاد الإمامیهٔ التصدیق بإمامهٔ إمام الزمان، لأنه من ضروریات مذهبهم أیضاً أنه مما جاء به النبی صلی الله علیه وآله وقد عرفت أن الإیمان فی اللغهٔ التصدیق مطلقاً، وهذا أخص منه.

ویؤید ذلک قوله تعالی: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ. أخبر عنهم تعالی بالإیمان، ثم أمرهم بإنشائه فلابد أن یکون الثانی غیر الأول، وإلا لکان أمراً بتحصیل الحاصل. وإذا حصلت المغایرهٔ کان الثانی المأمور به هو الشرعی، حیث لم یکن حاصلًا لهم، إذ لا محتمل غیره إلا التأکید، والتأسیس خیر منه. وعن الثانی بالمنع من کون ما صح سلبه هو الإیمان اللغوی بل الشرعی، ولیس النزاع فیه.

إن قلت: ما ذکرته معارض بما ذکره أهل المیزان فی تقسیم العلم إلی التصور والتصدیق، من أن المراد بالتصدیق الإذعان القلبی، فیکون فی اللغهٔ کذلک لأن الأصل عدم النقل.

قلت: قد بینا سابقاً أن الخروج عن هذا الأصل ولو سلم فلا دلالهٔ فی ذلک علی حصر معنی التصدیق مطلقاً فی الإذعان القلبی، بل التصدیق الذی هو قسم من العلم ولیس محل النزاع.

علی أنا نقول: لو سلمنا صحهٔ الإطلاق مجازاً ثبت مطلوبنا أیضاً، لانا لم ندع إلا ـ أن معناه قبول الخبر مطلقاً، ولا ریب أن الألفاظ المستعملهٔ لغهٔ فی معنی من المعانی حقیقهٔ أو مجازاً تعد من اللغهٔ، وهذا ظاهر.

واما الإیمان الشرعی: فقد اختلفت فی بیان حقیقته العبارات بحسب اختلاف الإعتبارات. وبیان ذلک: إن الإیمان شرعاً: إما أن یکون من أفعال القلوب فقط، أو من أفعال الجوارح فقط، أو منهما معاً. فإن کان الأول فهو التصدیق بالقلب فقط، وهو مذهب الأشاعرهٔ وجمع من متقدمی الإمامیهٔ ومتأخریهم، ومنهم المحقق الطوسی رحمه الله فی فصوله، لکن اختلفوا فی معنی التصدیق فقال أصحابنا: هو العلم. وقال الأشعریهٔ: هو التصدیق النفسانی، وعنوا به أنه عبارهٔ عن ربط القلب علی ما علم من أخبار المخبر، فهو أمر کسبی یثبت باختیار المصدق، ولذا یثاب علیه بخلاف العلم والمعرفهٔ، فإنها ربما تحصل بلا کسب، کما فی الضرویات.

وقد ذکر حاصل ذلک بعض المحققین، فقال: التصدیق هو أن تنسب باختیارک الصدق للمخبر حتی لو وقع ذلک فی القلب من غیر اختیار لم یکن تصدیقاً وإن کان معرفهٔ، وسنبین إن شاء الله تعالی[قصور]ذلک.

وإن کان الثانی، فإما أن یکون عبارهٔ عن التلفظ بالشهادتین فقط، وهو مذهب الکرامیهٔ. أوعن جمیع أفعال الجوارح من الطاعات بأسرها فرضاً ونفلاً وهو مذهب الخوارج وقدماء المعتزلهٔ والغلاهٔ والقاضی عبدالجبار. أو عن جمیعها من الواجبات وترک المحظورات دون النوافل، وهو مذهب أبی علی الجبائی وابنه هاشم وأکثر معتزلهٔ البصرهٔ.

وإن کان الثالث، فهو إما أن یکون عبارهٔ عن أفعال القلوب مع جمیع أفعال الجوارح من الطاعات، وهو قول المحدثین وجمع من السلف کابن مجاهد وغیره، فإنهم قالوا: إن الإیمان تصدیق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأرکان.

وإما أن یکون عبارهٔ عن التصدیق مع کلمتی الشهادهٔ، ونسب إلی طائفهٔ، منهم أبوحنیفهٔ.

أو یکون عبارهٔ عن التصدیق بالقلب مع الإقرار باللسان، وهو مذهب المحقق نصیر الدین الطوسی رحمه الله فی تجریده، فهذه سبعهٔ مذاهب ذکرت فی الشرح الجدید للتجرید وغیره.

واعلم أن مفهوم الإیمان علی المذهب الأول یکون تخصیصاً للمعنی اللغوی، وأما علی المذاهب الباقیهٔ فهومنقول، والتخصیص خیر

من النقل.

وهنا بحث وهو أن القائلين بأن الإيمان عبارة عن فعل الطاعات، كقدماء المعتزلة والعلاف والخوارج، لا ريب أنهم يوجبون اعتقاد مسائل الأصول، وحينئذ فما الفرق بينهم وبين القائلين بأنه عبارة عن أفعال القلوب والجوارح؟

ويمكن الجواب، بأن اعتقاد المعارف شرط عند الأولين وشطر عند الاخرين...

إعلم أن المحقق الطوسی رحمه الله ذكر فی قواعد العقائد أن أصول الإيمان عند الشيعة ثلاثة: التصديق بوحدانية الله تعالى فی ذاته تعالى، والعدل فی أفعاله، والتصديق بنبوة الأنبياء عليهم السلام والتصديق بإمامة الأئمة المعصومين من بعد الأنبياء عليهم السلام.

وقال أهل السنة: إن الإيمان هو التصديق بالله تعالى، وبكون النبی صلى الله عليه وآله صادقاً، والتصديق بالأحكام التی يعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وآله حكم بها دون ما فيه اختلاف واشتباه.

والكفر يقابل الإيمان، والذنب يقابل العمل الصالح، وينقسم إلى كبائر وصغائر.

ويستحق المؤمن بالإجماع الخلود فی الجنة، ويستحق الكافر الخلود فی العقاب. انتهى.

وذكر فی الشرح الجديد للتجريد أن الإيمان فی الشرع عند الأشاعرة هو التصديق للرسول فيما علم مجيئه به ضرورة، فتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً، فهو فی الشرع تصديق خاص. انتهى.

فهؤلاء اتفقوا على أن حقيقة الإيمان هی التصديق فقط، وإن اختلفوا فی المقدار المصدق به. والكلام هاهنا فی مقامين:

الأول: فی أن التصديق الذی هو الإيمان المراد به اليقين الجازم الثابت، كما يظهر من كلام من حكينا عنه.

الثانی: فی أن الأعمال ليست جزء من حقيقة الإيمان الحقيقی، بل هی جزء من الإيمان الكمالی. أما الدليل على الأول فآيات بينات:

منها قوله تعالى: إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. والإيمان حق للنص والإجماع، فلا يكفی فی حصوله وتحققه الظن.

ومنها: إن يتبعون إلا الظن، إن هم إلا يظنون، إن بعض الظن إثم. فهذه قد اشتركت فی التوبيخ على اتباع الظن، والإيمان لا يوبخ من حصل له بالإجماع، فلا يكون ظناً.

ومنها قوله: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا. فنفی عنهم الريب، فيكون الثابت هو اليقين.

إن قلت: هذه الآية الكريمة لا تدل على المدعی بل على خلافه، وهو عدم اعتبار اليقين فی الإيمان، وذلك أنها إنما دلت على حصر الإيمان فيما عدا الشك، فيصدق الإيمان على الظن.

قلت: الظن فی معرض الريب، لأن النقيض مجوز فيه ويقوى بأدنی تشكيك، فصاحبه لا يخلو من ريب حيث أنه دائماً يجوز النقيض، على أن الريب قد يطلق على ما هو أعم من الشك، يقال: لا أرتاب فی كذا. ويريد أنه منه على يقين، وهذا شائع ذائع.

ومن السنة المطهرة قوله عليه السلام: يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبی على دينك، فلو لم يكن ثبات القلب شرطاً فی الإيمان لما طلبه عليه السلام، والثبات هو الجزم والمطابقة، والظن لإثبات فيه، إذ يجوز ارتفاعه.

وفيه، منع كون الثبات شرطاً فی تحقيق الإيمان، ويجوز أن يكون عليه السلام طلبه لكونه الفرد الأكمل، وهو لا نزاع فيه.

ومن جملة الدلائل على ذلك أيضاً الإجماع، حيث ادعى بعضهم أنه يجب معرفة الله تعالى التی لا يتحقق الإيمان بها إلا بالدليل إجماعاً من العلماء كافة، والدليل ما أفاد العلم، والظن لا يفيده.

وفی صحة دعوى الإجماع بحث، لوقوع الخلاف فی جواز التقليد فی المعارف الأصولية، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

واعلم أن جميع ما ذكرناه من الأدلة لا يفيد شئ منه العلم بأن الجزم والثبات معتبر فی التصديق الذی هو الإيمان إنما يفيد الظن باعتبارهما، لأن الآيات قابلة للتأويل وغيرها كذلك، مع كونها من الاحاد.

ومن الآيات أيضاً قوله تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللهُ. واعترض على هذا الدليل بأنه أخص من المدعى، فإنه إنما يدل على اعتبار اليقين فی بعض المعارف، وهو التوحيد دون غيره، والمدعى اعتبار اليقين فی كل ما التصديق به شرط فی تحقق الإيمان، كالعدل والنبوة

والمعاد وغيرها.

وأجيب بأنه لا قائل بالفرق، فإن كل من اعتبر اليقين اعتبره فى الجميع، ومن لم يعتبره لم يعتبره فى شئ منها. واعلم أن ما ذكرناه على ما تقدم وارد هاهنا أيضاً.

واعترض أيضاً بأن الآية الكريمة خطاب للرسول صلى الله عليه وآله، فهى إنما تدل على وجوب العلم عليه وحده دون غيره.

وأجيب بأن ذلك ليس من خصوصياته صلى الله عليه وآله بالإجماع، وقد دل دليل وجوب التأسى به على وجوب اتباعه، فيجب على باقى المكلفين تحصيل العلم بالعقائد الأصولية.

وأيضاً أورد أنه إنما يفيد الوجوب لو ثبت أن الأمر للوجوب، وفيه منع لاحتماله غيره، وكذا يتوقف على كون المراد من العلم هاهنا القطعى، وهو غير معلوم، إذ يحتمل أن يراد به الظن الغالب، وهو يحصل بالتقليد. وبالجملة فهو دليل ظنى.

وأما المقالة الثانية وهو أن الأعمال ليست جزء من الإيمان ولا نفسه فالدليل عليه من الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، والإجماع.

أما الكتاب، فمنه قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فإن العطف يقتضى المغايرة، وعدم دخول المعطوف فى المعطوف عليه، فلو كان عمل الصالحات جزء من الإيمان أو نفسه لزم خلو العطف عن الفائدة لكونه تكراراً.

وَرُدَّ ذلك بأن الصالحات جمع معرف يشمل الفرض والنفل، والقائل بكون الطاعات جزء من الإيمان يريد بها فعل الواجبات واجتناب المحرمات، وحينئذ فيصح العطف لحصول المغايرة المفيدة لعموم المعطوف، فلم يدخل كله فى المعطوف عليه، نعم ذلك يصلح دليلاً على إبطال مذهب القائلين بكون المندوب داخلاً فى حقيقة الإيمان كالخوارج.

ومنه قوله تعالى: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، أى حالة إيمانه، فإن عمل الصالحات فى حالة الإيمان يقتضى المغايرة لما أضيف إلى تلك الحالة وقارنه فيها، وإلا لصار المعنى: ومن يعمل بعض الإيمان حال حصول ذلك البعض، أو ومن يعمل من الإيمان حال حصوله، وحينئذ فيلزم تقدم الشئ على نفسه وتحصيل الحاصل.

إن قلت: الآية الكريمة إنما تدل على المغايرة فى الجملة، لكن لا يلزم من ذلك أن لا تكون الأعمال جزءاً، فإن المعنى والله أعلم: ومن يعمل من الصالحات حال إيمانه، أى تصديقه بالمعارف الإلهية، وحينئذ فيجوز أن يكون الإيمان الشرعى بمجموع الجزئين، أى عمل الصالحات والتصديق المذكور، فالمغايرة إنما هى بين جزئى الإيمان ولا محذور فيه، بل لابد منه وإلا لما تحقق الكل، بل لابد لنفى ذلك من دليل.

قلت: من المعلوم أن الإيمان قد غير عن معناه لغة، فأما التصديق بالمعارف فقط فيكون تخصيصاً، أو مع الأعمال فيكون نقلاً، لكن الأول أولى، لأن التخصيص خير من النقل.

ووجه الإستدلال بالآية أيضاً بأن ظاهرها كون الإيمان الشرعى شرطاً لصحة الأعمال، حيث جعل سعيه مقبولاً إذا وقع حال الإيمان، فلابد أن يكون الإيمان غير الأعمال، وإلا لزم إشتراط الشئ بنفسه.

ويرد على هذا ما ورد على الأول بعينه، نعم اللازم هنا أن يكون أحد جزئى المركب شرطاً لصحة الآخر ولا محذور فيه.

والجواب عن هذا هو الجواب عن ذلك فتأمل.

ومنه قوله تعالى: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا... فإنه أثبت الإيمان لمن ارتكب بعض المعاصى، فلو كان ترك المنهيات جزء من الإيمان لزم تحقق الإيمان وعدم تحققه فى موضع واحد فى حالة واحدة وهو محال.

ولهم أن يجيبوا عن ذلك بمنع تحقق الإيمان حالة ارتكاب المنهى، وكون تسميتهم بالمؤمنين باعتبار ما كانوا عليه وخصوصاً على مذهب المعتزلة، فإنهم لا يشترطون فى صدق المشتق على حقيقة بقاء المعنى المشتق منه.

ويمكن دفعه بأن الشارع قد منع من جواز إطلاق المؤمن على من تحقق كفره وعكسه، والكلام فى خطاب الشارع، فلا نسلم لهم الجواب.

ومنه قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، فإن أمرهم بالتقوى التى لا تحصل إلا بفعل الطاعات والإنزجار عن المنهيات مع وصفهم بالإيمان، يدل على عدم حصول التقوى لهم، وإلاـ لما أمروا بها مع حصول الإيمان لو صفهم به، فلا تكون الأعمال نفس الإيمان ولا جزء منه، وإلا لكان أمراً بتحصيل الحاصل.

ويرد عليه، جواز أن يراد من الإيمان الذى وصفوا به اللغوى، ويكون المأمور به هو الشرعى وهو الطاعات، أو جزؤه عند من يقول بالجزئية. ويجاب عنه بنحو ما أجيب عما أورد على الدليل الثانى، فليتأمل.

ومنه أيضاً الآيات الدالة على كون القلب محلاً للايمان من دون ضميمة شئ آخر، كقوله تعالى: أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ. أى جمعه وأثبته فيها والله أعلم.

ولو كان الإقرار غيره من الأعمال نفس الإيمان أو جزءه، لما كان القلب محل جمعه، بل هو مع اللسان وحده، أو مع بقية الجوارح على اختلاف الآراء.

وقوله تعالى: وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ. ولو كان غير القلب من أعمال الجوارح نفس الإيمان أو جزءه، لما جعل كله محل القلب، كما هو ظاهر الآية الكريمة.

وقوله تعالى: وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ. فإن إطمئنانه بالإيمان يقتضى تعلقه كله به، وإلا لكان مطمئناً ببعضه لا كله.

أقول: يرد على الأخير أنه لاـ يلزم من اطمئنانه بالإيمان كونه محلًا له، إذ من الجائز كونه عبارة عن الطاعات وحدها، أو مع شئ آخر واطمئنان القلب لإطلاعه على حصول ذلك، فإن القلب يطلع على الأعمال.

ويرد على الأولين أن الإيمان المكتوب والداخل فى القلب إنما هو العقائد الأصولية، ولا يدل على حصر الإيمان فى ذلك، ونحن لا نمنع ذلك بل نقول بإعتبار ذلك فى الإيمان إما على طريق الشرطية لصحته، أو الجزئية له، إذ من يزعم أنه الطاعات فقط لابد من حصول ذلك التصديق عنده أيضاً لتصح تلك الأعمال، غاية الأمر أنه شرط للإيمان أو جزؤه لا نفسه، كما تقدمت الاشارة إليه.

نعم هما يدلان على بطلان مذهب الكرامية، حيث يكتفون فى تحققه بلفظ الشهادتين من غير شئ آخر أصلاً لا شرطاً ولا جزءاً.

قيل: وكذا آيات الطبع والختم تشعر بأن محل الإيمان القلب، كقوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ... فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ... وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ. وفيه ما تقدم.

وأما السنة المطهرة، فكقوله عليه السلام: يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبى على دينك، وجه الدلالة فيه أن المراد من الدين هنا الإيمان، لأن طلب تثبيت القلب عليه يدل على أنه متعلق بالإعتقاد، وليس هناك شئ آخر غير الإيمان من الإعتقاد يصلح لثبات القلب عليه بحيث يسمى ديناً، فتعين أن يكون هو الإيمان، وحيث لم يطلب غيره فى حصول الإيمان علم أن الإيمان يتعلق بالقلب لا بغيره.

وكذا ما روى أن جبرئيل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وآله فسأله عن الإيمان؟ فقال: أن تؤمن بالله ورسوله واليوم الاخر. ومعنى ذلك: أن تصدق بالله ورسله واليوم الآخر، فلو كان فعل الجوارح أو غيره من الإيمان لذكره له، حيث سأله الرسول صلى الله عليه وآله عما هو الإيمان المطلوب للشارع.

وإن قيل: ظاهر الحديث فيه مناقشة، وذلك أن الرسول عليه السلام سأله عن حقيقة الإيمان، فكان من حق الجواب فى شرح معناه أن يقال: أن تصدق بالله لا أن تؤمن، لأن أن مع الفعل فى تأويل المصدر، فيصير حاصله الإيمان هو الإيمان بالله، فيلزم منه تعريف الشئ بنفسه فى الجملة، وذلك لا يليق بنفس الأمر.

والجواب أن المراد من قوله: أن تؤمن بالله، أن تصدق، وقد كان التصديق معلوماً له عليه السلام لغة، فلم يكن تعريف الشئ بنفسه، فهذا إنما يكون بالقياس إلى غيرهما (عليهما السلام)، وإلا فالسائل والمسؤول غنيان عن معرفة المعانى من الألفاظ.

وأما الإجماع، فهو أن الأمة أجمعت على أن الإيمان شرط لسائر العبادات، والشئ لاـ يكون شرطاً لنفسه، فلاـ يكون الإيمان هو العبادات.

أقول: على تقدير تسليم دعوى الإجماع، فللخصوم أن يقولوا: نحن نقول بكون التصديق بمسائل الأصول شرطاً لصحة العبادات التى هى الإيمان، ولا ـ يلزمنا بذلك أن يكون تلك المسائل هى الإيمان، فإن سميتموها إيماناً بالمعنى اللغوى فلا مشاحة فى ذلك، وإن قلتم بل هى الإيمان الشرعى، فهو محل النزاع ودليلكم لا يدل عليه.

وأجمعت أيضاً على أن فساد العبادات لا يوجب فساد الإيمان، وذلك يقتضى كون الإيمان غير أعمال الجوارح.

أقول: إن صح نقل الإجماع، فلا ريب فى دلالته على المدعى، وسلامته عن المطاعن المتقدمة.

هل يمكن أن يصير المؤمن كافرا

... المؤمن هل يجوز أن يكفر بعد إيمانه أم لا؟ ذهب إلى الأول جماعة من العلماء، وظاهر القرآن العزيز يدل عليه فى آيات كثيرة، كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا... إلى غير ذلك من الآيات، ولو كان التصديق بالمعارف الأصولية يعتبر فيه الجزم والثبات لما صح ذلك، إذ اليقين لا يزول بالأضعف، ولا ريب أن موجب الكفر أضعف مما يوجب الإيمان.

قلت: لا ـ ريب أن الإيمان من الكيفيات النفسانية، إذ هو نوع من العلم على ما هو الحق، فهو عرض، وقبوله للزوال بعروض ضده أو مثله، عند من يقول الأعراض لا ـ تبقى زمانين كالأشاعرة ظاهر. وكذا على القول بأن الباقى محتاج إلى المؤثر فى بقائه أو غير محتاج مع قطع النظر عن بقاء الأعراض زمانين، لأن الفاعل مختار، فيصح منه الإيجاد والإعدام فى كل وقت. غاية الأمر أن تبديل الإيمان بالكفر لا يجوز أن يكون من فعل الله تعالى على ما تقتضيه قواعد العدلية، من أن العبد له فعل، وأن اللطف واجب على الله تعالى، ولو كان التبديل منه تعالى لنافى اللطف. على أنا نقول: قد يستند الكفر إلى الفعل دون الإعتقاد، فيجامع الجزم اليقين فى المعارف الأصولية، كما فى السجود للصنم وإلقاء المصاحف فى القاذورات مع كونه مصدقاً بالمعارف.

إن قلت: فعلى هذا يلزم جواز اجتماع الإيمان والكفر فى محل واحد وزمان واحد، وهو محال، لأن الكفر عدم الإيمان عما من شأنه أن يكون مؤمناً.

قلت: الإيمان هو التصديق بالأصول المذكورة بشرط عدم السجود وغيره مما يوجب فعله الكفر بدلالة الشارع عليه، وانتفاء الشرط يستلزم انتفاء المشروط.

ثانيها يلزم أن يكون الظان ولو فى أحد من الأصول الخمسة كافراً وإن كان عالماً بالباقى، لأن الظن من أضداد اليقين فلا يجامعه. فيلزم (القول) بكفر مستضعفى المسلمين بل كثير من عوامهم، لعدم التصديق فى الأول والثبات فى الثانى، كما نشاهد من تشككهم عند التشكيك، مع أن الشارع حكم بإسلامهم وأجرى عليهم أحكامه. ومن هاهنا اكتفى بعض العلماء فى الإيمان بالتقليد، كما تقدمت الاشارة إليه.

ويمكن الجواب عن ذلك: بأن من يشترط اليقين يلتزم الحكم بكفرهم لو علم كون اعتقادهم بالمعارف عن ظن، لكن هذا الإلتزام فى المستضعف فى غاية البعد والضعف. وأما إجراء الأحكام الشرعية فإنما هو للاكتفاء بالظاهر إذ هو المدار فى إجراء الأحكام الشرعية فهو لا ينافى كون المجرى عليه كذلك كافراً فى نفس الأمر. وبالجملة، فالكلام إنما هو فى بيان ما يتحقق به كون المكلف مؤمناً عند الله سبحانه، وأما عندنا فيكفى ما يفيد الظن حصول ذلك له، كإقراره بالمعارف الأصولية مختاراً غير مستهزى، لتعذر العلم علينا غالباً بحصول ذلك له.

ثالثها: أنه إذا كان الإيمان هو التصديق الجازم الثابت، فلا يمكن الحكم بإيمان أحد حتى نعلم يقيناً أن تصديقه بما ذكر يقينى، وأنى لنا بذلك، ولا يطلع على الضمائر إلا خالق السرائر.

والجواب عن هذا هو الجواب عن الثانى.

رابعها: انتقاض حد الإيمان والكفر جمعاً ومنعاً بحالة النوم والغفلة وكذا بالصبى لأنه إن كان مصدقاً فهو مؤمن وإلا فكافر، لعدم

الواسطة، مع أن الشارع لم يحكم عليه بشئ منهما حقيقة بل تبعاً.

وأجيب عن الأولين بأن التصديق باق لم يزل، والذهول والغفلة إنما هو عن حصوله واتصاف النفس به، إذ العلم بالعلم وبصفات النفس غير لازم، ولا عدمه ينافى حصولهما.

على أن الشارع جعل الأمر المحقق الذى لم يطرأ عليه ما يضاده ويزيله فى حكم الباقى، فسمى من اتصف بالإيمان مؤمناً، سواء كان مستشعراً بإيمان نفسه، أو غافلاً عن ذلك مع اتصاف نفسه به.

وعن الثالث بأن الكلام فى الإيمان الشرعى فهو من أفراد التكليف، فلا يوصف الصبى بشئ منها حقيقة، لعدم دخوله فى المكلف، نعم يوصف تبعاً.

هل تزول المعرفة والإيمان بإنكار الضرورى؟

نهاية الافكار:۲/۱۹۰

وحيث انجر الكلام إلى هنا ينبغى عطف الكلام إلى بيان أن كفر منكر الضرورى هل هو لمحض إنكاره أو أنه من جهة استتباعه لتكذيب النبى صلى الله عليه وآله، وتظهر الثمرة فيما لو كان منشأ الإنكار الإعتقاد بعدم صدور ما أنكره عن النبى صلى الله عليه وآله، أو اشتباه الأمر عليه، فإنه على الأول

يحكم عليه بالكفر ويرتب عليه آثاره بمحض إنكاره، بخلاف الثانى حيث لا يحكم عليه بالكفر فى الفرض المزبور.

فنقول: إن ظاهر إطلاق كلماتهم فى كفر منكر الضرورى وإن كان يقتضى الوجه الأول، ولكن النظر الدقيق فيها يقتضى خلافه، وذلك لما هو المعلوم من انصراف إطلاق كلماتهم إلى المنكر المنتحل للاسلام المعاشر للمسلمين. ومن الواضح ظهور إنكار مثل هذا الشخص فى تكذيبه للنبى صلى الله عليه وآله ومع هذا الانصراف لا ـ مجال للأخذ بإطلاق كلامهم فى الحكم بكفر منكر الضرورى حتى مع العلم بعدم رجوع إنكاره إلى تكذيب النبى صلى الله عليه وآله، وبعد عدم دليل فى البين على ثبوت الكفر بمحض الإنكار أمكن الإلتزام بعدم الكفر فيمن يحتمل فى حقه الشبهة وخفاء الأمر عليه بحسب ظهور حاله كما فيمن هو قريب عهد بالإسلام عاش فى البوادى ولم يختلط بالمسلمين، حيث أن إنكار مثله لا يكون له ظهور فى تكذيب النبى صلى الله عليه وآله، وبذلك يندفع ما قد يتوهم من اقتضاء البيان المزبور عدم الحكم بالكفر حتى فى من نشأ فى الإسلام وعاشر المسلمين مع احتمال الشبهة فى حقه خصوصاً مع دعواه عدم اعتقاده بصدور ما أنكره عن النبى صلى الله عليه وآله وأنه من الموضوعات. إذ نقول إنه كذلك لولا ظهور حال مثله فى تكذيب النبى صلى الله عليه وآله وعدم خفاء شئ عليه من أساس الدين وضرورياته، حيث أن العادة قاضية بأن من عاشر المسلمين مدة مديدة من عمره لا يخفى عليه شئ من أساس الدين وضرورياته فضلاً عمن كان مسلماً وكان نشوؤه من صغره بين المسلمين، فإنكار مثل هذا الشخص يكشف لا محالة بمقتضى ظهور حاله عن تكذيب النبى بحيث لو ادعى جهله بذلك أو اعتقاده بعدم صدور ما أنكره عن النبى لا يسمع منه بل يحكم بكفره.

وهذا بخلاف غيره ممن كان نشوه فى البوادى أو البلاد التى لا يوجد فيها المسلم فإن ظهور حاله ربما يكون على العكس، ومن ذلك لا نحكم بكفره بمجرد انكاره لشئ من ضروريات الدين خصوصاً مع دعواه عدم علمه بكون ما أنكره صادراً عن النبى صلى الله عليه وآله.

بل ولعل فى جعل مدار الكفر على إنكار الضرورى دلالة على ما ذكرنا من طريقية الإنكار للتكذيب بلحاظ بُعد خفاء ما هو أساس الدين وضرورياته على المنتحل للإسلام المعاشر مع المسلمين، بخلاف غير الضرورى حيث لا بُعد فى خفائه، وإلا فلا فرق فى استلزام الإنكار للتكذيب بين الضرورى وغيره، وحينئذ فيمكن الجمع بين إطلاق كلامهم فى كفر منكر الضرورى وبين ما هو الظاهر من طريقية الإنكار للتكذيب بحمل الإطلاقات على المنكر المنتحل للإسلام المعاشر مع المسلمين برهة من عمره.

وقد يستدل على استتباع مجرد الإنكار للكفر بما رواه زرارة عن أبى عبدالله عليه السلام من قوله: لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا، ولكن يدفعه ظهور الرواية فى الإنكار الناشئ عن العناد إذ الجحد ليس إلا عبارة عن ذلك ومن المعلوم عدم صلاحية مثله للدلالة على ثبوت الكفر بمحض الإنكار، ومجرد كون الإنكار العنادى موجباً للكفر لا يقتضى تسرية الحكم إلى مطلق الإنكار، ومن ذلك نقول أن الإنكار العنادى موجب للكفر مطلقاً ولو فى غير الضرورى.

هذا كله فى صورة التمكن من تحصيل العلم والإعتقاد الجزمى، ولقد عرفت وجوبه عليه فيما يرجع إلى الله جل شأنه وما يرجع إلى أنبيائه ورسله وحججه وأنه مع الإخلال به يكون معاقباً لا محالة.

نعم يبقى الكلام حينئذ فى كفره وترتيب آثاره عليه من النجاسة وغيرها مع الإخلال بتحصيل المعرفة، فنقول:

أما مع عدم إظهاره للشهادتين فلا إشكال فى كفره وترتيب آثاره عليه من النجاسة وعدم الارث والمناكحة. وأما مع إظهار الشهادتين ففيه إشكال ينشأ من كفاية مجرد إظهار الشهادتين مع عدم الإنكار فى الحكم بالإسلام، ومن عدم كفايته ولزوم الإعتقاد فى الباطن أيضاً.

ولكنه لا ينبغى التأمل فى عدم كفايته، فإن حقيقة الإسلام عبارة عن الإعتقاد بالواجب تعالى والتصديق بالنبى عليه السلام بكونه رسولاً من عند الله سبحانه، وأن الإكتفاء بإظهار الشهادتين من جهة كونه أمارة على الإعتقاد فى الباطن كما يظهر ذلك أيضاً من النصوص الكثيرة.

ولا ينافى ذلك ما يترائى فى صدر الإسلام من معاملة النبى صلى الله عليه وآله مع المنافقين معاملة الإسلام بمجرد إظهارهم الشهادتين مع علمه صلى الله عليه وآله بعدم كونهم مؤمنين بالله ولا مصدقين برسوله واقعاً، وأن إظهارهم الشهادتين كان لمحض الصورة، إما لاجل خوفهم من القتل، وإما لبعض المصالح المنظورة لهم كالوصول إلى مقام الرياسة والامال الدنيوية لما سمعوا وعلموا من الكهنة بارتقاء الإسلام وتفوقه على سائر المذاهب والأديان، مع أنهم لم يؤمنوا بالله طرفة عين كما نطقت به الأخبار والاثار المروية عن الأئمة الأطهار.

إذ نقول إن فى معاملة النبى صلى الله عليه وآله والوصى مع هؤلاء المنافقين فى الصدر الأول معاملة الإسلام بمحض إظهارهم الشهادتين وجوها ومصالح شتى:

منها: تكثير جمعية المسلمين وازديادهم فى قبال الكفار وعبدة الأوثان الموجب لازدياد صولة المسلمين فى أنظار المشركين.

ومنها: حفظ من فى أصلابهم من المؤمنين الذين يوجدون بعد ذلك.

ومنها: تعليم الأمة فى الأخذ بما يقتضيه ظاهر القول بالشهادتين فى الكشف عن الإعتقاد فى الباطن، فإنه لو فتح مثل هذا الباب فى الصدر الأول لقتل كل أحد صاحبه لاجل ما كان بينهم من العداوة فى الجاهلية بدعوى أن اعتقاده على خلاف ما يظهره باللسان وأن إظهار الشهادتين كان لأجل الخوف من القتل أو الطمع فى الشركة فى أخذ الغنيمه، ومثله لا يزيد المسلمين وشوكتهم إلا ضعفاً كما يشهد لذلك الآية الشريفة: وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا، وقضية أسامة بن زيد فى ذلك معروفة.

ومنها: غير ذلك من المصالح التى لاحظها النبى صلى الله عليه وآله مع علمه بكونهم حقيقة غير مؤمنين على ما نطق به الكتاب المبين فى مواضع عديدة فى قوله سبحانه: يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ، وقوله: وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ... الخ. وغير ذلك من الآيات الكثيرة.

وأين ذلك وزماننا هذا الذى قد كثر فيه المسلمون كثرة عظيمة، وحينئذ فلا يمكن الإلتزام بترتيب آثار الإسلام على مجرد إظهار الشهادتين مع العلم بعدم كون إظهارها إلا صورياً محضاً خصوصاً مع ظهور اعتبار القول فى كونه لأجل الحكاية والطريقية عن الإعتقاد فى الباطن، بل لابد من ترتيب آثار الكفر عليه فى الفرض المزبور.

هل أن الكافر يعرف الله تعالى؟

مسالك الأفهام:۲/۷۵

النيـة معتبرة فى الكفارة لأنها عبادة تقع على وجوه مختلفـة فلا يتميز المقصد منها بالنية لقوله صـلى الله عليه وآله: إنما الأعمال بالنيات ويعتبر فيها نية القربة لقوله تعالى: وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ. وهذا هو القدر المتفق عليه منها....

إذا تقرر ذلك فقـد فرع المصـنف على اعتبار نيـة القربة به أنه لا يصح من الكافر كتابياً كان أم غيره، محتجاً بتعذر نية القربة فى حقه، وفيه نظر، لأنه إن أراد بنيـة القربـة المتعـذرة منه نية إيقاع الفعل طلباً للتقرب إلى الله بواسـطه نيل الثواب أو ما جرى مجرى ذلك سواء حصل له ما نواه أم لا، منعنا من تعذر نية القربة من مطلق الكافر، لأن من اعترف منهم بالله تعالى وكان كفره بجحد نبوة النبى صلى الله عليه وآله أو غيره من الأنبياء أو بعض شـرايع الإسـلام يمكن منه هـذا النوع من التقرب، وإنما يمتنع من الكافر المعطل الذى لا يعترف بوجود الله تعالى كالدهرى وبعض عبدة الأصـنام، وإن أراد بها إيقاعه على وجه التقرب إلى الله تعالى بحيث يستحق بها الثواب طالبناه بدليل على اشتراط مثل ذلك وعارضـناه بعبارة المخالف من المسـلمين وعتقه فإنه لا يسـتتبع الثواب عنده مع صـحة عتقه، وفى صـحة عبادات غيره بحث فُرِد فى محله.

وبالجملـة فكلامهم فى هـذا الباب مختلف غير منقـح، لانهم تارة يحكمون ببطلان عبادة الكافر مطلقاً اسـتناداً إلى تعـذر نية القربة منه، ومقتضـى ذلـك إرادة المعنى الثـانى لأنـ ذلـك هو المتعـذر منه لا ـ الأـول، وتارة يجوزون منه بعض العبادات كالعتق وسـيأتى تجويز جماعة من الأصحاب له منه، مع اشتراط القربة فيه نظراً إلى ما ذكرناه من الوجه فى الأول.

وقد وقع الخلاف بينهم فى وقفه وصدقته وعتقه المتبرع به ونحو ذلك من التصرفات المالية المعتبر فيها القربة، واتفقوا على عدم صحة العبـادات البدنيـة منه نظراً إلى أن المـال يراعى فيه جـانب المـدفوع إليه ولو بفـك الرقبـة من الرق فيرجـح فيه جانب القربات بخلاف العبـادات البدنيـة، ومن ثم ذهب بعض العامـة إلى عـدم اشتراط النيـة فى العتق والإطعـام واعتبرها فى الصـيام، إلا أن هـذا الإعتبار غير منضبط عند الأصحاب كما أشرنا إليه، وسيأتى له فى العتق زيادة بحث.

ثم عد إلى العبارة واعلم أن قوله ذمياً كان الكافر أو حربياً أو مرتداً لا يظهر للتسوية بين هذه الفرق مزية، لأن الكافر المقر بالله تعالى لا يفرق فيه بين الـذمى والحربى، وإن افترقـا فى الإـقرار بالجزيـة فـإن ذلـك أمر خارج عن هـذا المطلق، وإنما حق التسويـة بين أصـناف الكفار أن يقول سواء كان مقراً بالله كالكتابى أم جاحداً له كالوثنى، لأن ذلك هو موضع الإشكال ومحل الخلاف.

وأما ما قاله بعضـهم من أن الكافر مطلقاً لا يعرف الله تعالى على الوجه المعتبر ولو عرفه لأقر بجميع رسـله ودين الإسلام فهو كلام بعيد عن التحقيق جـداً، ولا ملازمـة بين الأمرين كما لا ملازمة بين معرفة المسـلم لله تعالى ومعرفة دين الحق من فرق الإسـلام، وكل حزب بما لديهم فرحون.

مسالك الأفهام:۲/۱۵۳

قوله: ويصح اليمين من الكافر.. إلخ. إذا حلف الكافر بالله تعالى على شـئ سواء كان مقراً بالله كاليهودى والنصرانى، أو من كفر بجحد فريضة من المسـلمين، أو غير مقر به كالوثنى، ففى انعقاد يمينه أقوال أشـهرها الأول، وهو الذى اختاره المصـنف والشيخ فى المبسوط وأتباعه وأكثر المتأخرين لوجود المقتضـى وهو حلفه بالله تعالى مع باقى الشـرايط وانتفاء المانع، إذ ليس هناك إلا كفره وهو غير مانع لتناول الأدلـة الدالـة على انعقاد اليمين له من الآيات والأخبار، ولأن الكفار مخاطبون بفروع الشـرايع فيدخلون تحت عموم قوله تعالى: وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الأَيْمَانَ، وغيره.

وقال الشـيخ فى الخلاف وابن إدريس: لا ينعقد مطلقاً لأن شـرط صحتها الحلف بالله والكافر لا يعرف الله، وفى إطلاق القولين معاً منع ظاهر.

وفصل العلامـة جيـداً فى المختلف فقال: إن كان كفره باعتبار جهله بالله وعـدم علمه به لم ينعقد يمينه لأنه يحلف بغير الله، ولو عبر به

فعبارته لغو لعـدم اعتقاده ما یقتضـی تعظیمه بالحلف به، وإن کان جحده باعتبار جحد نبوة أو فریضة انعقدت یمینه، لوجود المقتضـی وهو الحلف بـالله تعـالی من عـارف به إلی آخر مـا اعتبر. وتوقف فعل المحلوف علیه لو کان طاعـة، والتکفیر علی تقـدیر الحنث علی الإسلام لا یمنع أصل الإنعقاد، لأنه مشروط بشرط زاید علی أصل الیمین فلا ملازمة بینهما.

وفائدة الصـحة تظهر فی بقاء الیمین لو أسـلم فی المطلقة أو قبل خروج وقت الموقتة، وفی العقاب علی متعلقها لو مات علی کفره ولما یفعله لا فی تدارک الکفارة ولو سبق الحنث الإسلام، لأنها تسقط به عنه.

قوله: وفی صـحة التکفیر.. إلـخ. إذا قلنا بصـحة یمین الکـافر علی بعض الوجوه وحنث فی یمینه وجبت علیه الکفـارة مطلقاً، ومـذهب الأصـحاب عدم صـحتها منه حال الکفر لأنها من العبادات المشروطة بنیة القربة، وهی متعذرة فی حقة سواء عرف الله أم لا، لأن المراد من القربة ما یترتب علیه الثواب وهو منتف فی حقه.

والمصـنف رحمه الله تردد فی ذلـک، ووجه الـتردد مـا ذکر ومن احتمـال أن یراد بالقربـة قصـد التقرب إلی الله تعـالی سواء حصـل له القرب والثواب أم لا کما سبق تحقیقه فی عتق الکافر، ومن حیث أن بعض خصال الکفارة قد یشک فی اعتبار نیة القربة فیها کالإطعام والکسوة کما یقوله العامـة فإنهم لا یعتبرون النیـة إلا فی الصوم من خصالها ویجوزون الإطعام ونحوه بدونها، ولکن مذهب الأصـحاب اعتبـار نیـة القربـة فی جمیع خصالهـا، وظـاهرهم اختیار المعنی الأول من معانی القربـة، ومن ثم أبطلوا عبادات الکافر، ومن اختار منهم صحة یمینه منع من صحة التکفیر منه مادام علی کفره، فما تردد المصنف رحمه الله فیه لا یظهر فیه خلاف معتد به.

بحث فی معرفة الله تعالی عن طریق معرفة النفس

تفسیر المیزان للطباطبائی:۶/۱۶۹ وما بعده

فی الغرر والدرر للآمدی عن علی علیه السلام قال: من عرف نفسه عرف ربه.

أقول ورواه الفریقان عن النبی أیضاً وهو حـدیث مشـهور، وقـد ذکر بعض العلماء أنه من تعلیق المحال، ومفاده اسـتحالة معرفـة النفس لإسـتحالة الاحاطـة العلمیـة بالله سـبحانه. ورد أولاً، بقوله صـلی الله علیه وآله فی روایـة أخری: أعرفکم بنفسه أعرفکم بربه. وثانیاً، بأن الحدیث فی معنی عکس النقیض، لقوله تعالی: وَلا تَکُونُوا کَالَّذِینَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ.

وفیه عنه علیه السلام: قال الکیس من عرف نفسه وأخلص أعماله.

أقول: تقدم فی البیان السابق معنی ارتباط الإخلاص وتفرعه علی الإشتغال بمعرفة النفس.

وفیه عنه علیه السلام: قال المعرفة بالنفس أنفع المعرفتین.

أقول: الظاهر أن المراد بالمعرفتین المعرفة بالآیات الأنفسیة والمعرفة بالآیات الآفاقیة، قال تعالی: سَنُرِیهِمْ آیَاتِنَا فِی الأفَاقِ وَفِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أوَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلَی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ. حم السجده: ۵۳، وقـال تعالی: وَفِی الأَرْضِ آیَاتٌ لِلْمُوقِنِینَ وَفِی أَنْفُسِکُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ. الذاریات: ۲۱.

وکون السـیر الأنفسـی أنفع من السـیر الآفاقی لعله لکون المعرفة النفسانیة لا تنفک عادةً من إصلاح أوصافها وأعمالها بخلاف المعرفة الآفاقیـة، وذلک أن کون معرفـة الآیات نافعة إنما هو لأن معرفة الآیات بما هی آیات موصـلة إلی معرفة الله سـبحانه وأسـمائه وصـفاته وأفعاله، ککونه تعـالی حیـاً لا یعرضه موت، وقادراً لا یشوبه، عجز وعالماً لا یخالطه جهل، وأنه تعالی هو الخالق لکل شـئ، والمالک لکـل شـئ، والرب القـائم علی کـل نفس بمـا کسبت، خلق الخلق لا لحاجـة منه إلیهم بل لینعم علیهم بما اسـتحقوه، ثم یجمعهم لیوم الجمع لا ریب فیه، لیجزی الذین أساؤوا بما عملوا ویجزی الذین احسنوا بالحسنی.

وهـذه وأمثالهـا معـارف حقـة، إذا تناولها الإنسان وأتقنها مثلت له حقیقه حیاته وأنها حیاة مؤبـدة ذات سـعادة دائمـة أو شـقوة لازمـة، ولیست بتلک المتهوسة المنقطعة اللاهیة اللاغیة.

وهذا موقف علمی یهدی الإنسان إلی تکالیف ووظائف بالنسبهٔ إلی ربه وبالنسبهٔ إلی أبناء نوعه فی الحیاهٔ الدنیا والحیاهٔ الآخرهٔ، وهی التی نسمیها بالدین، فإن السنهٔ التی یلتزمها الإنسان فی حیاته ولا یخلو عنها حتی البدوی والهمجی، إنما یضعها ویلتزمها أو یأخذها ویلتزمها لنفسه من حیث أنه یقدر لنفسه نوعاً من الحیاهٔ أی نوع کان، ثم یعمل بما استحسنه من السنهٔ لاسعاد تلک الحیاهٔ، وهذا من الوضوح بمکان.

فالحیاهٔ التی یقدرها الإنسان لنفسه تمثل له الحوائج المناسبهٔ لها فیهتدی بها إلی الأعمال التی تضمن عادهٔ رفع تلک الحوائج فیطبق الإنسان عمله علیها، وهو السنهٔ أو الدین.

فتلخص مما ذکرنا أن النظر فی الآیات الأنفسیهٔ والآفاقیهٔ ومعرفهٔ الله سبحانه بها یهتدی الإنسان إلی التمسک بالدین الحق والشریعهٔ الإلهیهٔ، من جهه تمثیل المعرفهٔ المذکورهٔ الحیاهٔ الإنسانیهٔ المؤبدهٔ له عند ذلک، وتعلقها بالتوحید والمعاد والنبوهٔ.

وهذه الهدایهٔ إلی الإیمان والتقوی یشترک فیها الطریقان معاً، أعنی طریقی النظر إلی الآفاق والأنفس، فهما نافعان جمیعاً، غیر أن النظر إلی آیات النفس أنفع، فإنه لا یخلو من العثور علی ذات النفس وقواها وأدواتها الروحیهٔ والبدنیهٔ وما یعرضها من الإعتدال فی أمرها أو طغیانها أو خمودها، والملکات الفاضلهٔ أو الرذیلهٔ والأحوال الحسنهٔ أو السیئهٔ التی تقارنها.

واشتغال الإنسان بمعرفهٔ هذه الأمور والإذعان بما یلزمها من أمن أو خطر وسعادهٔ أو شقاوهٔ لا ینفک من أن یعرفه الداء والدواء من موقف قریب، فیشتغل بإصلاح الفاسد منها والإلتزام بصحیحها، بخلاف النظر فی الآیات الافاقیهٔ، فإنه إن دعا إلی إصلاح النفس وتطهیرها من سفاسف الأخلاق ورذائلها وتحلیتها بالفضائل الروحیهٔ، لکنه ینادی لذلک من مکان بعید، وهو ظاهر.

وللروایهٔ معنی آخر أدق مستخرج من نتائج الأبحاث الحقیقیهٔ فی علم النفس، وهو أن النظر فی الآیات الآفاقیهٔ والمعرفهٔ الحاصلهٔ من ذلک نظر فکری وعلم حصولی، بخلاف النظر فی النفس وقواها وأطوار وجودها والمعرفهٔ المتجلیهٔ منها، فإنه نظر شهودی وعلم حضوری، والتصدیق الفکری یحتاج فی تحققه إلی نظم الأقیسه واستعمال البرهان وهو باق ما دام الإنسان متوجهاً إلی مقدماته غیر ذاهل عنها ولا مشتغل بغیرها، ولذلک یزول العلم بزوال الأشراف علی دلیله وتکثر فیه الشبهات ویثور فیه الإختلاف.

وهذا بخلاف العلم النفسانی بالنفس وقواها وأطوار وجودها فإنه من العیان، فإذا اشتغل الإنسان بالنظر إلی آیات نفسه وشاهد فقرها إلی ربها وحاجتها فی جمیع أطوار وجودها وجد أمراً عجیباً، وجد نفسه متعلقهٔ بالعظمهٔ والکبریاء متصلهٔ فی وجودها وحیاتها وعلمها وقدرتها وسمعها وبصرها وإرادتها وحبها وسائر صفاتها وأفعالها، بما لا یتناهی بهاءً وسناءً وجمالاً وجلالاً وکمالاً من الوجود والحیاهٔ والعلم والقدرهٔ وغیرها من کل کمال.

وشاهد ما تقدم بیانه أن النفس الإنسانیهٔ لا شأن لها إلا فی نفسها، ولا مخرج لها من نفسها، ولا شغل لها إلا السیر الإضطراری فی مسیر نفسها، وإنها منقطعهٔ عن کل شئ کانت تظن أنها مجتمعه معه مختلطه به إلا ربها، المحیط بباطنها وظاهرها وکل شئ دونها، فوجدت أنها دائماً فی خلا مع ربها وإن کانت فی ملا من الناس.

وعند ذلک تنصرف عن کل شیء وتتوجه إلی ربها وتنسی کل شئ، وتذکر ربها فلا یحجبه عنها حجاب، ولا تستتر عنه بستر، وهو حق المعرفهٔ الذی قدر للإنسان.

وهذه المعرفهٔ الأحری بها أن تسمی بمعرفهٔ الله بالله....

وأما المعرفهٔ الفکریهٔ التی یفیدها النظر فی الآیات الآفاقیهٔ سواء حصلت من قیاس أو حدس أو غیر ذلک، فإنما هی معرفهٔ بصورهٔ ذهنیهٔ عن صورهٔ ذهنیهٔ، وجل الاله أن یحیط به ذهن أو تساوی ذاته صورهٔ مختلقهٔ اختلقها خلق من خلقه، ولا یحیطون به علما.

وقد روی فی الإرشاد والإحتجاج علی ما فی البحار، عن الشعبی، عن أمیر المؤمنین علیه السلام فی کلام له: إن الله أجل من أن یحتجب عن شئ أو یحتجب عنه شئ.

وفی التوحید، عن موسی بن جعفر علیه السلام فی کلام له: لیس بینه وبین خلقه حجاب غیر خلقه، احتجب بغیر حجاب محجوب،

واستتر بغیر ستر مستور، لا إله إلا هو الکبیر المتعال.

وفی التوحید مسنداً عن عبد الاعلی، عن الصادق علیه السلام فی حدیث: ومن زعم أنه یعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال، فهو مشرک، لأن الحجاب والصورة والمثال غیره، وإنما هو واحد موحد، فکیف یوحد من زعم أنه یوحده بغیره! إنما عرف الله من عرفه بالله، فمن لم یعرفه به فلیس یعرفه، إنما یعرف غیره.. الحدیث.

والأخبار المأثورة عن أئمة أهل البیت علیه السلام فی معنی ما قدمناه کثیرة جداً لعل الله یوفقنا لایرادها وشرحها فی ماسیأتی إن شاء الله العزیز من تفسیر سورة الاعراف.

فقد تحصل أن النظر فی آیات الانفس أنفس وأغلی قیمةً، وأنه هو المنتج لحقیقة المعرفة فحسب، وعلی هذا فعده علیه السلام إیاها أنفع المعرفتین لا معرفة متعینة إنما هو لأن العامة من الناس قاصرون عن نیلها، وقد أطبق الکتاب والسنة وجرت السیرة الطاهرة النبویة وسیرة أهل بیته الطاهرین علی قبول من آمن بالله عن نظر آفاقی وهو النظر الشائع بین المؤمنین. فالطریقان نافعان جمیعاً، لکن النفع فی طریق النفس أتم وأغزر.

وفی الدرر والغرر عن علی علیه السلام قال: العارف من عرف نفسه فاعتقها ونزهها عن کل ما یبعدها. أقول: أی أعتقها عن إسارة الهوی وَرِقِّیة الشهوات.

وفیه، عنه علیه السلام قال: أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه.

وفیه، عنه علیه السلام قال: أعظم الحکمه معرفة الإنسان نفسه.

وفیه، عنه علیه السلام قال: أکثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه. أقول: وذلک لکونه أعلمهم بربه وأعرفهم به، وقد قال الله سبحانه: إِنَّمَا یَخْشَی اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.

وفیه، عنه علیه السلام قال: أفضل العقل معرفة المرء بنفسه، فمن عرف نفسه عقل، ومن جهلها ضل.

وفیه، عنه علیه السلام قال: عجبت لمن ینشد ضالته وقد أضل نفسه فلا یطلبها.

وفیه، عنه علیه السلام قال: عجبت لمن یجهل نفسه کیف یعرف ربه.

وفیه، عنه علیه السلام قال: غایه المعرفة أن یعرف المرء نفسه. أقول: وقد تقدم وجه کونها غایة المعرفة فإنها المعرفة حقیقة.

وفیه، عنه علیه السلام قال: کیف یعرف غیره من یجهل نفسه.

وفیه، عنه علیه السلام قال: کفی بالمرء معرفةً أن یعرف نفسه، وکفی بالمرء جهلاً أن یجهل نفسه.

وفیه، عنه علیه السلام قال: من عرف نفسه تجرد. أقول: أی تجرد عن علائق الدنیا، أو تجرد عن الناس بالإعتزال عنهم، أو تجرد عن کل شئ بالإخلاص لله.

وفیه، عنه علیه السلام قال: من عرف نفسه جاهدها، ومن جهل نفسه أهملها.

وفیه، عنه علیه السلام قال: من عرف نفسه جل أمره.

وفیه، عنه علیه السلام قال: من عرف نفسه کان لغیره أعرف، ومن جهل نفسه کان بغیره أجهل.

وفیه، عنه علیه السلام قال: من عرف نفسه فقد انتهی إلی غایة کل معرفة وعلم.

وفیه، عنه علیه السلام قال: من لم یعرف نفسه بعد عن سبیل النجاة، وخبط فی الضلال والجهالات.

وفیه، عنه علیه السلام قال: معرفة النفس أنفع المعارف.

وفیه، عنه علیه السلام قال: نال الفوز الأکبر من ظفر بمعرفة النفس.

وفیه، عنه علیه السلام قال: لا تجهل نفسک فإن الجاهل معرفة نفسه جاهل بکل شئ.

وفی تحف العقول، عن الصادق علیه السلام فی حدیث: من زعم أنه یعرف الله بتوهم القلوب فهو مشرک، ومن زعم أنه یعرف الله

بالإسم دون المعنى فقد أقر بالطعن لأن الإسم محدث، ومن زعم أنه يعبد الإسم والمعنى فقد جعل مع الله شريكاً، ومن زعم أنه يعبد بالصفة لا بالإدراك فقد أحال على غائب، ومن زعم أنه يضيف الموصوف إلى الصفة فقد صغر بالكبير، وما قدروا الله حق قدره.

قيل له: فكيف سبيل التوحيد؟ قال: باب البحث ممكن وطلب المخرج موجود، إن معرفة عين الشاهد قبل صفته، ومعرفة صفة الغائب قبل عينه. قيل وكيف يعرف عين الشاهد قبل صفته؟ قال: تعرفه وتعلم علمه، وتعرف نفسك به ولا تعرف نفسك من نفسك، وتعلم أن ما فيه له وبه، كما قالوا ليوسف إنك لانت يوسف، قال أنا يوسف وهذا أخى، فعرفوه به ولم يعرفوه بغيره ولا أثبتوه من أنفسهم بتوهم القلوب... الحديث.

أقول: قد أوضحنا فى ذيل قوله عليه السلام: المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين، الرواية الثانية من الباب أن الإنسان إذا اشتغل بآية نفسه وخلا بها عن غيرها انقطع إلى ربه من كل شئ، وعقب ذلك معرفة ربه معرفة بلا توسيط وسط وعلماً بلا تسبيب سبب، إذ الإنقطاع يرفع كل حجاب مضروب، وعند ذلك يذهل الإنسان بمشاهدة ساحة العظمة والكبرياء عن نفسه. وأحرى بهذه المعرفة أن تسمى معرفة الله بالله... وانكشف له عند ذلك من حقيقه نفسه أنها الفقيرة إلى الله سبحانه المملوكة له ملكاً لا تستقل بشئ دونه، وهذا هو المراد بقوله عليه السلام: تعرف نفسك به، ولا تعرف نفسك بنفسك من نفسك، وتعلم أن ما فيه له وبه.

وفى هذا المعنى ما رواه المسعودى فى إثبات الوصية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال فى خطبة له: فسبحانك ملات كل شئ وباينت كل شئ، فأنت لا يفقدك شئ وأنت الفعال لما تشاء... إلى أن قال: سبحانك أى عين تقوم نصب بهاء نورك وترقى إلى نور ضياء قدرتك، وأى فهم يفهم ما دون ذلك إلا أبصار كشفت عنها الأغطية وهتكت عنها الحجب العمية فرقت أرواحها على أطراف أجنحة الأرواح، فناجوك فى أركانك وولجوا بين أنوار بهائك، ونظروا من مرتقى التربة إلى مستوى كبريائك، فسماهم أهل الملكوت زواراً، ودعاهم أهل الجبروت عماراً.

وفى البحار عن إرشاد الديلمى وذكر بعد ذلك سندين لهذا الحديث وفيه: فمن عمل برضائى ألزمه ثلاث خصال: أعرفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً لا يخالطه النسيان، ومحبة لا يؤثر على محبتى محبة المخلوقين. فإذا أحبنى أحببته وأفتح عين قلبه إلى جلالى ولا أخفى عليه خاصة خلقى وأناجيه فى ظلم الليل ونور النهار، حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم، واسمعه كلامى وكلام ملائكتى وأعرفه السر الذى سترته عن خلقى، وألبسه الحياء حتى يستحيى منه الخلق كلهم، ويمشئ على الأرض مغفوراً له، واجعل قلبه واعياً وبصيراً، ولا أخفى عليه شيئاً من جنة ولا نار، وأعرفه ما يمر على الناس فى القيامة من الهول والشدة، وما أحاسب به الأغنياء والفقراء والجهال والعلماء، وأنومه فى قبره وأنزل عليه منكراً ونكيراً حتى يسألاه، ولا يرى غم الموت وظلمة القبر واللحد وهول المطلع، ثم أنصب له ميزانه وأنشر ديوانه، ثم أضع كتابه فى يمينه فيقرؤه منشوراً، ثم لا أجعل بينى وبينه ترجماناً. فهذه صفات المحبين.

يا أحمد إجعل همك هماً واحداً، واجعل لسانك لساناً واحداً، واجعل بدنك حياً لا يغفل أبداً، من يغفل عنى لا أبالى بأى واد هلك.

والروايات الثلاثة الأخيرة وإن لم تكن من أخبار هذا البحث المعقود على الإستقامة، إلا أنا إنما أوردناها ليقضى الناقد البصير بما قدمناه من أن المعرفة الحقيقية لا تستوفى بالعلم الفكرى حق استيفائها، فإن الروايات تذكر أموراً من المواهب الإلهية المخصوصة بأوليائه لا ينتجها السير الفكرى البتة. وهى أخبار مستقيمة صحيحة يشهد على صحتها الكتاب الإلهى على ما سنبين ذلك فيما سيوافيك من تفسير سوره الأعراف إن شاء الله العزيز....

وأما سائر الفرق المذهبية من الهنود، كالجوكية أصحاب الأنفاس والأوهام، وكأصحاب الروحانيات، وأصحاب الحكمة، وغيرهم، فلكل طائفة منهم رياضات شاقة عملية لا تخلو عن العزلة وتحريم اللذائذ الشهوانية على النفس.

وأما البوذية فبناء مذهبهم على تهذيب النفس ومخالفة هواها وتحريم لذائذها عليها للحصول على حقيقة المعرفة، وقد كان هذا هو الطريقة التى سلكها بوذا نفسه فى حياته فالمنقول أنه كان من أبناء الملوك أو الرؤساء فرفض زخارف الحياة وهجر أريكة العرش إلى

غابة موحشة لزمها فى ريعان شبابه واعتزل الناس وترك التمتع بمزايا الحياة وأقبل على رياضة نفسه والتفكر فى أسرار الخلقة، حتى قذفت المعرفة فى قلبه وسنه إذ ذاك ستة وثلاثون، وعند ذاك خرج إلى الناس فدعاهم إلى ترويض النفس وتحصيل المعرفة، ولم يزل على ذلك قريباً من أربع وأربعين سنة على ما فى التواريخ.

وأما الصابئون، ونعنى بهم أصحاب الروحانيات فهم وإن أنكروا أمر النبوة غير أن لهم فى طريق الوصول إلى كمال المعرفة النفسانية طرقاً لا تختلف كثيراً عن طرق البراهمة والبوذيين، قالوا على ما فى الملل والنحل: أن الواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية، ونهذب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية، حتى يحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات، فنسأل حاجاتنا منهم ونعرض أحوالنا عليهم ونصبوا فى جميع أمورنا إليهم، فيشفعون لنا إلى خالقنا وخالقهم ورازقنا ورازقهم.

وهذا التطهير ليس يحصل إلا باكتسابنا ورياضتنا، وفطامنا أنفسنا عن دنيئات الشهوات، استمداداً من جهة الروحانيات، والإستمداد هو التضرع والإبتهال بالدعوات وإقامة الصلوات، وبذل الزكوات، والصيام عن المطعومات والمشروبات، وتقريب القرابين والذبائح، وتبخير البخورات وتعزيم العزائم، فيحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة. انتهى.

وهؤلاء وإن اختلفوا فيما بين أنفسهم بعض الإختلاف فى العقائد العامة الراجعة إلى الخلق والايجاد لكنهم متفقوا الرأى فى وجوب ترويض النفس للحصول على كمال المعرفة وسعادة النشأة.

وأما المانوية من الثنوية، فاستقرار مذهبهم على كون النفس من عالم النور العلوى وهبوطها إلى هذه الشبكات المادية المظلمة المسماة بالأبدان، وأن سعادتها وكمالها التخلص من دار الظلمة إلى ساحة النور، إما اختياراً بالترويض النفسانى، وإما اضطراراً بالموت الطبيعى المعروف.

وأما أهل الكتاب ونعنى بهم اليهود و النصارى والمجوس، فكتبهم المقدسة وهى العهد العتيق والعهد الجديد وأوستا، مشحونة بالدعوة إلى إصلاح النفس وتهذيبها ومخالفة هواها. ولاتزال كتب العهدين تذكر الزهد فى الدنيا والإشتغال بتطهير السر، ولا يزال يتربى بينهم جم غفير من الزهاد وتاركى الدنيا، جيلاً بعد جيل وخاصة النصارى فإن من سننهم المتبعة الرهبانية. وقد ذكر أمر رهبانيتهم فى القرآن الشريف قال تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ. المائده: ۸۲، وقال تعالى: وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، الحديد: ۲۷. كما ذكر المتعبدون من اليهود فى قوله: لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. آل عمران: ۱۱۴.

وأما الفرق المختلفة من أصحاب الإرتياضات والأعمال النفسية كأصحاب السحر والسيمياء، وأصحاب الطلسمات وتسخير الأرواح والجن وروحانيات الحروف والكواكب وغيرها، وأصحاب الإحضار وتسخير النفوس، فلكل منهم ارتياضات نفسية خاصة تنتج نوعاً من السلطة على أمر النفس.

وجملة الأمر على ما يتحصل من جميع ما مر: أن الوجهة الأخيرة لجميع أرباب الأديان والمذاهب والأعمال هو تهذيب النفس بترك هواها والإشتغال بتطهيرها من شوب الأخلاق والأحوال غير المناسبة للمطلوب.

لعلك ترجع وتقول إن الذى ثبت من سنن أرباب المذاهب والطرق وسيرهم هو الزهد فى الدنيا وهو غير مسألة معرفة النفس أو الإشتغال بأمر النفس بالمعنى الذى تقدم البحث عنه. وبلفظ أوضح: الذى يندب إليه الأديان والمذاهب التى تدعو إلى العبودية بنحو أن يتزهد الإنسان نوع تزهد فى الدنيا بإتيان الأعمال الصالحة وترك الهوى والاثام ورذائل الأخلاق ليتهيأ بذلك لأحسن الجزاء، إما فى الآخرة كما تصرح به الأديان النبوية كاليهودية والنصرانية والإسلام، أو فى الدنيا كما استقر عليه دين الوثنية ومذهب التناسخ وغيرهما، فالمتعبد على حسب الدستور الدينى يأتى بما ندب إليه من نوع التزهد من غير أن يخطر بباله أن هناك نفساً مجردة وأن لها نوعاً من المعرفة فيه سعادتها وكمال وجودها.

وكذلك الواحد من أصحاب الرياضات على اختلاف طرقها وسننها إنما يرتاض بما يرتاض من مشاق الأعمال ولا همَّ له فى ذلك إلا حيازه المقام الموعود فيها والتسلط على نتيجه العمل كنفوذ الإرادة مثلاً، وهو فى غفلة من أمر النفس المذكور من حين يأخذ فى عمله إلى حين يختمه. على أن فى هؤلاء من لا ـ يرى فى النفس إلا ـ أنها أمر مادى طبيعى كالـدم أو الروح البخار أو الأجزاء الأصـلية، ومن يرى أن النفس جسم لطيف مشاكل للبدن العنصرى حال فيه وهو الحامل للحياة، فكيف يسوغ القول بكون الجميع يرومون بذلك أمر معرفة النفس.

لكنه ينبغى لك أن تتذكر ما تقدم ذكره أن الإنسان فى جميع هذه المواقف التى يأتى فيها بأعمال تصرف النفس عن الإشتغال بالأمور الخارجية والتمتعات المتفننة المادية إلى نفسـها، للحصول على خواص وآثار لا توصل إليها الأسباب المادية والعوامل الطبيعية العادية، لا يريد إلا الإنفصال عن العلل والأسباب الخارجية والإستقلال بنفسه للحصول على نتائج خاصة لا سبيل للعوامل المادية العادية إليها.

فالمتـدين المتزهـد فى دينه يرى أن من الواجب الإنسانى أن يختار لنفسه سـعادته الحقيقية، وهى الحياه الطيبة الأخروية عند المنتحلين بالمعـاد، والحيـاة السـعيدة الدنيويـة الـتى تجمـع له الخير وتـدفع عنه الشر عنـد المنكرين له كالوثنيـة وأصـحاب التناسـخ، ثم يرى أن الإسترسـال فى التمتعات الحيوانيـة لا تحوز له سـعادته ولا تسـلك به إلى غرضه، فلا محيص له عن رفض الهوى وترك الإنطلاق إلى كل ما تتهوسه نفسه بأسبابها العادية فى الجملة، والإنجذاب إلى سـبب أو أسـباب فوق الأسـباب المادية العادية بالتقرب إليه والإتصال به، وأن هـذا التقرب والإتصال إنما يتأتى بالخضوع له والتسـليم لامره، وذلك أمر روحى نفسانى لا ينحفظ إلا بأعمال وتروك بدنيـة، وهذه هى العبادة الدينية من صلاة ونسك أو ما يرجع إلى ذلك.

فالأعمال والمجاهدات والإرتياضات الدينية ترجع جميعاً إلى نوع من الإشـتغال بأمر النفس، والإنسان يرى بالفطرة أنه لا يأخذ شيئاً ولا يترك شـيناً إلا لنفع نفسه، وقـد تقـدم أن الإنسان لا يخلو ولا لحظة من لحظات وجوده من مشاهدة نفسه وحضور ذاته، وأنه لا يخطى فى شعوره هذا البتة، وإن أخطأ فإنما يخطى فى تفسيره بحسب الرأى النظرى والبحث الفكرى.

فظهر بهـذا البيان أن الأديان والمذاهب على اختلاف سـننها وطرقها تروم الإشـتغال بأمر النفس فى الجملة، سواء علم بذلك المنتحلون بهـا أم لم يعلموا. وكـذلك الواحـد من أصـحاب الرياضات والمجاهـدات وإن لم يكن منتحلاً بـديلاً ولا مؤمناً بأمر حقيقـة النفس، لا يقصـد بنوع رياضـته التى يرتاض بها إلا الحصول على نتيجتها الموعودة له، وليست النتيجـة الموعودة مرتبطـة بالأعمال والتروك التى يـأتى بهـا ارتباطـاً طبيعياً نظير الإرتباط الواقع بين الأسـباب الطبيعيـة ومسـبباتها، بل هو ارتباط إرادى غير مادى متعلق بشـعور المرتاض وإرادته المحفوظين بنوع العمل الذى يأتى به، دائر بين نفس المرتاض وبين النتيجة الموعودة.

فحقيقـة الرياضـة المذكورة هى تأييد النفس وتكميلها فى شـعورها وإرادتها للنتيجة المطلوبة. وإن شـئت قلت: أثر الرياضة أن تحصـل للنفس حالة العلم بأن المطلوب مقدور لها، فإذا صـحت الرياضة وتمت صارت بحيث لو أرادت المطلوب مطلقاً أو أرادته على شـرائط خاصة، كإحضار الروح للصبى غير المراهق فى المرآة، حصل المطلوب.

وإلى هذا الباب يرجع معنى ما روى: أنه ذكر عند النبى صلى الله عليه وآله أن بعض أصحاب عيسى عليه السلام كان يمشئ على الماء فقال صـلى الله عليه وآله: لو كان يقينه أشد من ذلك لمشى على الهواء، فالحديث كما ترى يومئ إلى أن الأمر يدور مدار اليقين بالله سبحانه وإمحاء الأسباب الكونية عن الإستقلال فى التأثير.

فإلى أى مبلغ بلغ ركون الإنسان إلى القدرة المطلقة الإلهية انقادت له الأشياء على قدره، فافهم ذلك.

ومن أجمع القول فى هـذا الشأن قول الصادق عليه السـلام: ما ضـعف بـدن عما قويت عليه النية. وقال صـلى الله عليه وآله فى الحديث المتواتر: إنما الأعمال بالنيات.

فقـد تبين أن الاثـار الدينيـة للاعمـال والعبادات وكـذلك آثار الرياضات والمجاهـدات إنما تسـتقر الرابطـة بينها وبين النفس الإنسانية بشؤونها الباطنية، فالإشتغال بشئ منها اشتغال بأمر النفس....

إياك أن يشتبه عليك الأمر فتستنتج من الأبحاث السابقة أن الدين هو العرفان والتصوف، أعنى معرفة النفس كما توهمه بعض الباحثين من الماديين، فقسم المسلك الحيوى الدائر بين الناس إلى قسمين المادية والعرفان وهو الدين. وذلك أن الذى يعقد عليه الدين أن للانسان سعادة حقيقية ليس ينالها إلا بالخضوع لما فوق الطبيعة، ورفض الإقتصار على التمتعات المادية.

وقد أنتجت الابحاث السابقة أن الأديان أيما كانت من حق أو باطل تستعمل تربية الناس وسوقهم إلى السعادة التى تعدهم إياها، وتدعوهم إليها إصلاح لنفس وتهذيبها إصلاحاً وتهذيباً يناسب المطلوب. وأين هذا من كون عرفان النفس هو الدين.

فالدين يدعو إلى عبادة الاله سبحانه من غير واسطة، أو بواسطة الشفعاء والشركاء، لأن فيها السعادة الإنسانية والحياة الطيبة التى لا بغية للإنسان دونها، ولا ينالها الإنسان ولن ينالها إلا بنفس طاهرة مطهرة من ألواث التعلق بالماديات والتمتعات المرسلة الحيوانية، فمست الحاجة إلى أن يدرج فى أجزاء دعوته إصلاح النفس وتطهيرها ليستعد المنتحل به المتربى فى حجره للتلبس بالخير والسعادة ولا يكون كمن يتناول الشئ بإحدى يديه ويدفعه بالأخرى.

فالدين أمر وعرفان النفس أمر آخر وراءه وإن استلزم الدين العرفان نوعاً من الإستلزام.

وبنظير البيان يتبين أن طرق الرياضة والمجاهدة المسلوكة لمقاصد متنوعة غريبة عن العادة أيضاً غير عرفان النفس وإن ارتبط البعض بالبعض نحواً من الإرتباط.

نعم لنا أن نقضى بأمر وهو: إن عرفان النفس بأى طريق من الطرق فرض السلوك إليه إنما هو أمر مأخوذ من الدين، كما أن البحث البالغ الحر يعطى أن الأديان على اختلافها وتشتتها إنما انشعبت هذه الانشعابات من دين واحد عريق تدعو إليه الفطرة الإنسانية وهو دين التوحيد.

فإنا إذا راجعنا فطرتنا الساذجة بالأغماض عن التعصبات الطارئة علينا بالوراثة من أسلافنا أو بالسراية من أمثالنا لم نرتب فى أن العالم على وحدته فى كثرته وارتباط أجزائه فى عين تشتتها، ينتهى إلى سبب واحد فوق الأسباب وهو الحق الذى يجب الخضوع لجانبه، وترتيب السلوك الحيوى على حسب تدبيره وتربيته، وهو الدين المبنى على التوحيد.

والتأمل العميق فى جميع الأديان والنحل يعطى أنها مشتملة نوع اشتمال على هذا الروح الحى حتى الوثنية والثنوية، وإنما وقع الإختلاف فى تطبيق السنة الدينية على هذا الأصل والإصابة والخطأ فيه، فمن قائل مثلاً أنه أقرب إلينا من حبل الوريد وهو معنا أينما كنا ليس لنا من دونه من ولى ولا ـ شفيع، فمن الواجب عبادته وحده من غير إشراك، ومن قائل أن تسفل الإنسان الأرضى وخسة جوهره لا ـ يدع له مخلصاً إلى الإتصال بذاك الجناب، وأين التراب ورب الأرباب فمن الواجب أن نتقرب إلى بعض عباده المكرمين المتجردين عن جلباب المادة، الطاهرين المطهرين من ألواث الطبيعة، وهم روحانيات الكواكب، أو أرباب الأنواع، أو المقربون من الإنسان، وما نعبدهم إلا ـ ليقربونا إلى الله زلفى. وإذ كانوا غائبين عن حواسنا متعالين عن جهاتنا كان من الواجب أن نجسدهم بالأنصاب والأصنام حتى يتم بذلك أمر التقرب العبادى. وعلى هذا القياس فى سائر الأديان والملل، فلا نجد فى متونها إلا ما هو بحسب الحقيقة نحو توجيه لتوحيد الاله عز اسمه.

ومن المعلوم أن السنن الدائرة بين الناس وإن انشعبت أى انشعاب واختلفت أى إختلاف شديد، فإنها تميل إلى التوحد إذا رجعنا إلى سابق عهودها القهقرى، وتنتهى بالآخرة إلى دين الفطرة الساذجة الإنسانية وهو التوحيد.

فدين التوحيد أبو الأديان وهى أبناء له صالحة أو طالحة.

ثم إن الدين الفطرى إنما يعتبر أمر عرفان النفس ليتوصل به إلى السعادة الإنسانية التى يدعو إليها، وهى معرفة الإله التى هى المطلوب الأخير عنده. وبعبارة أخرى: الدين إنما يدعو إلى عرفان النفس دعوة طريقية لا غائية، فإن الذوق الدينى لا يرتضى الإشتغال بأمر إلا فى سبيل العبودية، وإن الدين عند الله الإسلام ولا يرضى لعباده الكفر، فكيف يرضى بعرفان النفس إذا استقل بالمطلوبية.

ومن هنا يظهر أن العرفان ينتهى إلى أصل الدين الفطرى إذ ليس هو بنفسه أمراً مستقلاً تدعو إليه الفطرة الإنسانية، حتى تنتهى فروعه

وأغصانه إلی أصل واحد هو العرفان الفطری.

ویمکن أن یستأنس فی ذلک بأمر آخر وهو: أن الإنسانیهٔ وإن اندفعت بالفطرهٔ إلی الإجتماع والمدنیهٔ لاسعاد الحیاهٔ، وأثبت النقل والبحث أن رجالاً أو أقواماً اجتماعیین دعوا إلی طرائق قومیهٔ أو وضعوا سنناً اجتماعیهٔ وأجروها بین أممهم، کسنن القبائل، والسنن الملوکیهٔ، والدیمقراطیهٔ، ونحوها، ولم یثبت بنقل أو بحث أن یدعو إلی عرفان النفس وتهذیب أخلاقها أحد من غیر أهل الدین فی طول التاریخ البشری.

نعم من الممکن أن یکون بعض أصحاب هذه الطرق غیر الدینیهٔ، کأصحاب السحر والأرواح ونحوهما إنما تنبه إلی هذا النوع من عرفان النفس من غیر طریق الدین، لکن لا ـ من جههٔ الفطرهٔ، إذ الفطرهٔ لا حکم لها فی ذلک کما عرفت، بل من جهه مشاهدهٔ بعض الآثار النفسانیهٔ الغریبهٔ علی سبیل الإتفاق، فتتوق نفسه إلی الظفر بمنزلهٔ نفسانیهٔ یملک بها أعمالاً عجیبهٔ وتصرفات فی الکون نادرهٔ تستغربها النفوس، فیدفعه هذا التوقان إلی البحث عنه والسلوک إلیه، ثم السلوک بعد السلوک یمهد السبیل إلی المطلوب ویسهل الوعر منه.

یحکی عن کثیر من صلحائنا من أهل الدین أنهم نالوا فی خلال مجاهداتهم الدینیهٔ کرامات خارقهٔ للعادهٔ، وحوادث غریبهٔ اختصوا بها من بین أمثالهم کتمثل أمور لأبصارهم غائبهٔ عن أبصار غیرهم، ومشاهدهٔ أشخاص أو وقائع لا یشاهدها حواس من دونهم من الناس، واستجابهٔ للدعوهٔ وشفاء المریض الذی لا مطمع لنجاح المداواهٔ فیه، والنجاهٔ من المخاطر والمهالک من غیر طریق العادهٔ.

وقد یتفق نظائر ذلک لغیر أهل الصلاح إذا کان ذا نیهٔ صادقهٔ ونفس منقطعهٔ، فهؤلاء یرون ما یرون وهم علی غفلهٔ من سببه القریب، وإنما یسندون ذلک إلی الله سبحانه من غیر توسیط وسط.

وإستناد الأمور إلیه تعالی وإن کان حقاً لا محیص عن الإعتراف به، لکن نفی الأسباب المتوسطهٔ مما لا مطمع فیه.

وربما أحضر الروحی روح أحد من الناس فی مرآهٔ أو ماء ونحوه بالتصرف فی نفس صبی علی ما هو المتعارف، وهو کغیره یری أن الصبی إنما یبصره بالبصر الحسی، وأن بین أبصار سائر الناظرین وبین الروح المحضر حجاباً مضروباً، لو کشف عنه لکانوا مثل الصبی فی الظفر بمشاهدته.

وربما وجدوا الأرواح المحضرهٔ أنها تکذب فی أخبارها فیکون عجباً لأن عالم الأرواح عالم الطهارهٔ والصفاء لا سبیل للکذب والفریهٔ والزور إلیه.

وربما أحضروا روح إنسان حی فیستنطقونه بأسراره وضمائره وصاحب الروح فی حالهٔ الیقظهٔ مشغول بأشغاله وحوائجه الیومیهٔ لا خبر عنده من أن روحه محضر مستنطق یبث من القول ما لا یرضی هو ببثه.

وربما نوم الإنسان تنویماً مغناطیسیاً، ثم لقن بعمل حتی ینعم بقبوله، فإذا أوقظ ومضی لشأنه أتی بالعمل الذی لقنه علی الشریطهٔ التی أرید بها وهو غافل عما لقنوه، وعن إنعامه بقبوله.

وبعض الروحیین لما شاهدوا صوراً روحیهٔ تماثل الصور الإنسانیهٔ أو صور بعض الحیوان ظنوا أن هذه الصور فی عالم المادهٔ وظرف الطبیعهٔ المتغیرهٔ، وخاصهٔ بعض من لا ـ یری لغیر الأمر المادی وجوداً، حتی حاول بعض هؤلاء أن یخترع أدوات صناعیهٔ یصطاد بها الأرواح! کل ذلک استناداً منهم إلی فرضیهٔ افترضوها فی النفس أنها مبدأ مادی أو خاصهٔ لمبدأ مادی، یفعل بالشعور والإرادهٔ، مع أنهم لم یحلوا مشکلهٔ الحیاهٔ والشعور حتی الیوم.

ونظیر هذه الفرضیهٔ فرضیهٔ من یری أن الروح جسم لطیف مشاکل للبدن العنصری فی هیئاته وأشکاله، لما وجدوا أن الإنسان یری نفسه فی المنام وهو علی هیئته فی الیقظه، وربما یمثل لأرباب المجاهدات صور أنفسهم قبالاً خارج أبدانهم وهی مشاکلهٔ للصورهٔ البدنیهٔ مشاکلهٔ تامهٔ، فحکموا أن الروح جسم لطیف حال البدن العنصری مادام الإنسان حیاً فإذا فارق البدن کان هو الموت.

وقد فاتهم أن هذه صورهٔ إدراکیهٔ قائمهٔ بشعور الإنسان نظیره صورته التی یدرکها من بدنه، ونظیره صور سائر الأشیاء الخارجهٔ

المنفصلة عن بدنه، وربما تظهر هذه الصورة المنفصلة لبعض أرباب المجاهدة أكثر من واحدة، أو فی هيئة غير هيئة نفسه، وربما يرى نفسه عين نفس غيره من أفراد الناس، فإذا لم يحكموا فی هذه الصور المذكور أنها هی صورة الروح، فجدير بهم أن لا يحكموا فی الصورة الواحدة المشاكلة التی تتراءى لأرباب المجاهدات أنها صورة الروح.

وحقيقة الأمر أن هؤلاء نالوا شيئاً من معارف النفس وفاتهم معرفة حقيقتها، فأخطاوا فی تفسير ما نالوه، وضلوا فی توجيه أمره. والحق الذی يهدى إليه البرهان والتجربة أن حقيقة النفس التی هی هذا الشعور المتعقل المحكی عنه بقولنا (أنا) أمر مغاير فی جوهره لهذه الأمور المادية كما تقدم، وأن أقسام شعوره وأنواع إدراكاته من حس أو خيال أو تعقل من جهة كونها مدركات إنما هی متقررة فی عالمه وظرفه غير الخواص الطبيعية الحاصلة فی أعضاء الحس والإدراك من البدن، فإنها أفعال وانفعالات مادية فاقدة فی نفسها للحياة والشعور، فهذه الأمور المشهودة الخاصة بالصلحاء وأرباب المجاهدات والرياضات غير خارجة عن حيطة نفوسهم، وإنما الشأن فی أن هذه المعلومات والمعارف كيف استقرت فی النفس وأين محلها منها، وأن للنفس سمة علية لجميع الحوادث والأمور المرتبطة بها ارتباطاً ما. فجميع هذه الأمور الغريبة المطاوعة لأهل الرياضة والمجاهدة، إنما ترتضع من إرادتهم ومشيئتهم، والإرادة ناشئة من الشعور، فللشعور الإنسانی دخل فی جميع الحوادث المرتبطة به والأمور المماسة له.

فمن الحرى أن نقسم المشتغلين بعرفان النفس فی الجملة إلى طائفتين، إحداهما: المشتغلون بالإشتغال بإحراز شئ من آثار النفس الغريبة الخارجة عن حومة المتعارف من الأسباب والمسببات المادية كأصحاب السحر والطلسمات وأصحاب تسخير روحانيات الكواكب والموكلين على الأمور والجن وأرواح الآدميين وأصحاب الدعوات والعزائم ونحو ذلك.

والثانية: المشتغلون بمعرفة النفس بالانصراف عن الأمور الخارجة عنها والانجذاب نحوها، للغور فيها ومشاهدة جوهرها وشؤونها كالمتصوفة على اختلاف طبقاتهم ومسالكهم.

وليس التصوف مما أبدعه المسلمون من عند أنفسهم لما (ثبت) أنه يوجد بين الأمم التی تتقدمهم فی النشوء كالنصارى وغيرهم، حتى الوثنية من البرهمانية والبوذية، ففيهم من يسلك الطريقة حتى اليوم، بل هی طريقة موروثة ورثوها من أسلافهم. لكن لا بمعنى الأخذ والتقليد العادى كوراثة الناس ألوان المدنية بعضهم من بعض، وأمة منهم متأخرة من أمة منهم متقدمة، كما جرى على ذلك عده من الباحثين الأديان والمذاهب وذلك لما عرفت فی الفصول السابقة من أن دين الفطرة يهدى إلى الزهد، والزهد يرشد إلى عرفان النفس.

فاستقرار الدين بين أمة وتمكنه من قلوبهم يعدهم ويهيؤهم لأن تنشأ بينهم طريقة عرفان النفس لا محالة، ويأخذ بها بعض من تمت فی حقه العوامل المقتضية لذلك. فمكث الحياة الدينية فی أمة من الأمم برهه معتداً بها ينشئ بينهم هذه الطريقة لا محالة صحيحة أو فاسدة، وإن انقطعوا عن غيرهم من الأمم الدينية كل الإنقطاع. وما هذا شأنه لا ينبغی أن يعد من السنن الموروثة التی يأخذها جيل عن جيل.

ثم ينبغی أن نقسم أصحاب القسم الثانی من القسمين المتقدمين وهم أهل العرفان حقيقة إلى طائفتين: فطائفة، منهم يسلكون الطريقة لنفسها فيرزقون شيئاً من معارفها من غير أن يتم لهم تمام المعرفة لها، لأنهم لما كانوا لا يريدون غير النفس فهم فی غفلة عن أمر صانعها وهو الله عز اسمه الذی هو السبب الحق الأخذ بناصية النفس فی وجودها وآثار وجودها. وكيف يسع الإنسان تمام معرفة شئ مع الذهول عن معرفة أسباب وجوده وخاصة السبب الذی هو سبب كل سبب، وهل هو إلا كمن يدعی معرفة السرير على جهل منه بالنجار وقدومه ومنشاره، وغرضه فی صنعه، إلى غير ذلك من علل وجود السرير.

ومن الحرى بهذا النوع من معرفة النفس أن يسمى كهانة بما فی ذيله من الحصول على شئ من علوم النفس وآثارها.

وطائفة منهم يقصدون طريقة معرفة النفس لتكون ذريعة لهم إلى معرفة الرب تعالى، وطريقتهم هذه هی التی يرتضيها الدين فی الجملة وهی أن يشتغل الإنسان بمعرفة نفسه بما أنها آية من آيات ربه وأقرب آية، وتكون النفس طريقاً مسلوكاً والله سبحانه هو الغاية

التى يسلك إليها، وأن إلى ربك المنتهى.

وهؤلاء طوائف مختلفة ذووا مذاهب متشتتة فى الأمم والنحل، وليس لنا كثير خبرة بمذاهب غير المسلمين منهم وطرائقهم التى يسلكونها. وأما المسلمون فطرقهم فيها كثيرة ربما انهيت بحسب الأصول إلى خمس وعشرين سلسلة، تنشعب من كل سلسلة منها سلاسل جزئية أخر، وقد استندوا فيها إلا واحدة، إلى على عليه أفضل السلام.

وهناك رجال منهم لا ينتمون إلى واحدة من هذه السلاسل ويسمون الأويسية نسبة إلى أويس القرنى، وهناك آخرون منهم لا يتسمون بإسم ولا يتظاهرون بشعار.

ولهم كتب ورسائل مسفورة ترجموا فيها عن سلاسلهم وطرقهم والنواميس والآداب التى لهم عن رجالهم، وضبطوا فيها المنقول من مكاشفاتهم، وأعربوا فيها عن حججهم ومقاصدهم التى بنوها عليها، من أراد الوقوف عليها فليراجعها.

وأما البحث عن تفصيل الطرق والمسالك وتصحيح الصحيح ونقد الفاسد، فله مقام آخر، وقد تقدم فى الجزء الخامس من هذا الكتاب بحث لا يخلو عن نفع فى هذا الباب، فهذه خلاصه ما أردنا إيراده من البحث المتعلق بمعنى معرفة النفس.

واعلم أن عرفان النفس بغية عملية لا يحصل تمام المعرفة بها إلا من طريق السلوك العملى دون النظرى.

وأما علم النفس الذى دَوَّنه أرباب النظر من القدماء فليس يغنى من ذلك شيئاً، وكذلك فن النفس العملى الذى دونه المتأخرون حديثاً، فإنما هو شعبة من فن الاخلاق على ما دونه القدماء، والله الهادى. انتهى.

الموقف الفقهى من الدعوة إلى معرفة الله تعالى عن طريق معرفة النفس

ما ذكره صاحب الميزان رحمه الله من الطريقين لمعرفة الله تعالى: طريق النظر فى الآفاق وطريق النظر فى الأنفس، مطلب شائع بين العرفانيين والمتصوفة، والظاهر أنهم أخذوه من قوله تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) ولابد هنا من تسجيل الملاحظات التالية:

أولاً: وردت أحاديث شريفة فى تفسير الآية المذكورة بأنها من علامات ظهور الإمام المهدى عليه السلام أو من الاحداث التى تظهر على يده، وأن المقصود بالآفاق آفاق الأرض حيث (تنتقض الأطراف عليهم) أى على الجبارين قرب ظهوره عليه السلام. ويؤيد ذلك سين الإستقبال فى الآية، التى تخبر عن حدث فى المستقبل، وإلا لقال (ولقد أريناهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) مثلاً. أو قال (أو لم ينظروا فى الآفاق) كما قال تعالى (أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ).

ثانياً: لا شك أن النظر فى ملكوت السماوات والأرض، أى فيما يمكن للإنسان معرفته وفهمه وأخذ العبرة منه، أمر محبوب شرعاً وموصل إلى معرفة الله تعالى وزيادة الإيمان به. قال تعالى: أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ الاعراف: ۱۸۵، ولكن نفس الإنسان جزء من هذا الملكوت وواحدة من هذه الآفاق، وليست طريقاً فى مقابل بقية الآفاق.

ثالثاً: لم أجد سنداً للحديث الذى ذكره (المعرفة بالنفس أنفع المعرفتين) ومن البعيد أن يكون حديثاً شريفاً، وعلى فرض صحته لا يصح تفسيره بما ذكره رحمه الله فإن المقابل لمعرفة الله بالنفس معرفة الله بالله تعالى، أو معرفة الله بأنبيائه وأوليائه، أو معرفة الله بآياته غير النفس..فمن أين جعل رحمه الله المعرفة التى تقابل معرفة النفس، معرفة الآفاق وحصره المقابلة بها. ثم إذا كانت المعرفة بالسير الآفاقى تشمل معرفة الله بالله تعالى وبأوليائه صلوات الله عليهم، فكيف يصح تفضيل معرفته عن طريق النفس على هذه المعرفة؟!

رابعاً: تقدم بحث الحد الأدنى الواجب من معرفة الله تعالى، ولم يتعرض الفقهاء والمتكلمون إلى طرقه، ولم يفضلوا بعضها على بعض. كما تقدم أن معرفة الله هى من صنعه تعالى فى نفس الإنسان وألطافه به، ولا صنع للإنسان فيها.

خامساً: لا شك فى صحة ما ذكره رحمه الله من أن تزكية النفس وتهذيبها من الرذائل والشهوات والتعلق بحطام الدنيا ومتاعها، مقدمة

لازمـهٔ لتحقیق هدف الدین الذی هو عبادهٔ الله تعالی. قال تعالی (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِیَعْبُدُونِ) وقال تعالی (هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الأُمِّیِّینَ رَسُولاً مِنْهُمْ یَتْلُواْ عَلَیْهِمْ آیَاتِهِ وَیُزَکِّیهِمْ) ولکن الوارد فی القرآن الکریم والأحادیث الشریفهٔ هو تزکیهٔ النفس وجهاد النفس ومخالفهٔ النفس، وهی أمور عملیهٔ غیر ما یطرحه المتصوفهٔ والعرفاء من معرفهٔ النفس، وإن کانت تزکیهٔ النفس تتوقف علی قدر من معرفتها.

سادساً: لو سلمنا أن تزکیهٔ النفس ومخالفتها وجهادها هی نفس معرفهٔ النفس التی طرحها المتصوفهٔ والعرفاء، ولکن الدعوهٔ إلی معرفهٔ الله تعالی وطاعته عن طریق معرفهٔ النفس علی إجمالها وإهمالها تتضمن مخاطر عدیدهٔ لا یمکن قبولها، لأنها تتسع للضد والنقیض فی الأسالیب والاهداف والقدوات.. جمیعاً.

فبعض الدعوات إلی معرفهٔ الله تعالی عن طریق معرفهٔ النفس تتبنی العزلهٔ والرهبانیهٔ، وبعضها یتبنی إصلاح النفس والمجتمع والحکم. وبعضها یدعو إلی التقید بأحکام الشریعهٔ المقررهٔ فی هذا المذهب أو ذاک... وبعضها یدعو إلی تقلید الأستاذ شیخ الطریقهٔ أو أستاذ الأخلاق وما شابه، دون الحاجهٔ إلی أخذ أی مفهوم أو حکم شرعی من غیره!

وبعضها یدعی أنه یتصل بالله تعالی عن طریق المعرفهٔ فیلهم العقائد والأحکام الشرعیهٔ، ولا یحتاج عند ذلک إلی شریعهٔ! بل ولا إلی نبوهٔ!!

وبعض الدعوات تجعل قدوتها فی المعرفهٔ بعض الصحابهٔ أو الأولیاء الذین لم یجعلهم الله تعالی ولا رسوله قدوهٔ. بل قد یتخذ بعضهم قدوهٔ من العرفاء والمتصوفهٔ غیر المسلمین.. إلی آخر ما هنالک من تعدد الأسالیب والأهداف والقدوات.

ولهذا، فإن من المشکل جداً أن ندعو الناس إلی معرفهٔ الله تعالی عن طریق معرفهٔ النفس، ونقول لهم اقتدوا بأستاذکم حتی یصل أحدکم إلی الله تعالی فیصیر أستاذاً مجتهداً! فما أیسر أن یجلس الشیطان فی هذا الطریق وینحرف بالإنسان!

سابعاً: بما أن حب الذات أقوی غرائز الإنسان علی الإطلاق، فإن دعوهٔ العوام بل وأکثر المتعلمین إلی سلوک طریق العرفان والتصوف بدون تحدید الوسائل والأهداف والقدوهٔ، یجعلهم فی معرض الوقوع فی عبادهٔ الذات وتعظیمها، فیتخیل أحدهم أنه وصل إلی الله تعالی، وحصل علی ارتباط به، وصار صاحب أسرار إلهیهٔ، ویزین له الشیطان العیش فی عالم من نسیج الخیال وحب الذات، وقد تظهر منه ادعاءات باطلهٔ واتجاهات منحرفهٔ، أعاذنا الله وجمیع المؤمنین.

لذلک فإن الإئتمام فی المعرفهٔ وتعیین وسائلها وهدفها من أول ضروریاتها، فالواجب الترکیز علی القدوهٔ فی معرفهٔ النفس والسلوک، قبل الدعوهٔ إلی سلوک طریق لا إمام له.

ثامناً: ما دامت معرفهٔ النفس عند المتصوفهٔ طریقاً إلی معرفهٔ الله تعالی، ومعرفهٔ الله تعالی طریقاً إلی عبادته، فالهدف المتفق علیه عند الجمیع هو عبادهٔ الله سبحانه. وهذه العبادهٔ التی هی غایهٔ الخلق وطریق التکامل الإنسانی الوحید، إنما تحصل بإطاعته سبحانه، وإطاعهٔ رسوله صلی الله علیه وآله وإطاعهٔ أهل بیته علیهم السلام أولی الأمر الذین أمرنا الله ورسوله بإطاعتهم والاقتداء بهم..

ولذلک فلابد فی الدعوهٔ إلی المعرفهٔ والعرفان وتزکیهٔ النفس وتطهیرها وجهادها وغرس الفضائل فیها.. أن تتقید بإطاعهٔ الأحکام الشرعیهٔ کاملهٔ، وتتخذ من النبی وآله صلی الله علیه وعلیهم قدوهٔ وأئمهٔ فی المسلک والسلوک.. حتی تکون طریقاً صحیحاً فی الحیاهٔ، موصلهٔ إلی رضوان الله تعالی. ولذلک أجاب أحد الفقهاء شخصاً سأله ما هو العرفان، وکیف یکون الإنسان عارفاً، فقال له: هذه الأحکام الشرعیهٔ التی تطبقها یومیاً فتصلی وتقوم بالواجبات وتترک المحرمات هی العرفان، وأنت بسلوکک هذا تمارس المعرفهٔ.

ومن الطبیعی أن یکون ذلک السلوک علی درجات ومراتب ومقامات، ولکنها تتحق من هذا الطریق الذی سلکه النبی وآله وتلامذتهم، لا من غیره.

معرفهٔ النبی والأئمهٔ

يجب على كل الناس معرفة النبى

الكافى:۱/۱۶۸

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن العباس بن عمر الفقيمى، عن هشام بن الحكم، عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق الذى سأله من أين أثبتت الأنبياء والرسل؟ قال: أنه لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا- يلامسوه، فيباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفى تركه فناوهم، فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم فى خلقه والمعبرون عنه عز وجل، وهم الأنبياء غليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم فى الخلق والتركيب - فى شئ من أحوالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك فى كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة، يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته.

دعائم الإسلام:۱/۵

فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن الله تبارك وتعالى هو الواحد، لا إله إلا هو وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله والإقرار بما كان من عند الله من نبى أو كتاب، وذلك ما فرض على القلب من الإقرار والمعرفة.

الهداية للصدوق/۵

يجب أن يعتقد أن النبوة حق كما اعتقدنا أن التوحيد حق، والأنبياء الذين بعثهم الله مئة ألف نبى وأربعة وعشرون ألف نبى، جاؤوا بالحق من عند الحق وأن قولهم قول الله وأمرهم أمر الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، فإنهم لم ينطقوا إلا عن الله تبارك وتعالى وعن وحيه. وأن سادة الأنبياء خمسة الذين عليهم دارت الرحى، وهم أصحاب الشرايع وهم أولوا العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله عليهم، وأن محمداً صلى الله عليه وآله سيدهم وأفضلهم، وأنه جاء بالحق وصدق المرسلين، وأن الذين كذبوه لذائقوا العذاب الأليم، وأن الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون.

ويجب أن يعتقد أن الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمد صلى الله عليه وآله ومن بعده الأئمة صلوات الله عليهم، وأنهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه، وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين من الذر، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، وأن الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله فى الذر، وأن الله أعطى ما أعطى كل نبى على قدر معرفته، ونبينا صلى الله عليه وآله سبقهم إلى الإقرار به.

ويعتقد أن الله تبارك وتعالى خلق جميع ما خلق له ولاهل بيته صلى الله عليه وآله وأنه لولاهم ما خلق السماء والأرض، ولا الجنة والنار، ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة، ولا شيئاً مما خلق، صلوات الله عليهم أجمعين...

رسائل الشهيد الثانى:۲/۱۴۴

الثالث، فى بيان المعارف التى يحصل بها الإيمان، وهى خمسة أصول: الأصل الأول، معرفة الله تعالى وتقدس. المراد بها التصديق الجازم الثابت بأنه تعالى موجود أزلاً وأبداً، واجب الوجود لذاته....

الأصل الثانى، التصديق بعدله، أى بأنه عادل. والتصديق بحكمته....

الأصل الثالث، التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وبجميع ما جاء به، تفصيلاً فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً. وليس بعيداً أن يكون التصديق الإجمالى بجميع ما جاء به عليه السلام كافياً فى تحقق الإيمان، وإن كان المكلف قادراً على العلم بذلك تفصيلاً يجب العلم بتفاصيل ما جاء به من الشرائع للعمل به.

وأما تفصيل ما أخبر به من أحوال المبدأ والمعاد، كالتكليف بالعبادات، والسؤال في القبر وعذابه، والمعاد الجسماني، والحساب والصراط، والجنة، والنار، والميزان، وتطاير الكتب، مما ثبت مجيؤه به تواتراً، فهل التصديق بتفاصيله معتبرة في تحقق الإيمان؟ صرح باعتباره جمع من العلماء. والظاهر أن التصديق به إجمالاً كاف، بمعنى أن المكلف لو اعتقد حقية كل ما أخبر به عليه السلام بحيث كلما ثبت عنده جزئي منها صدق به تفصيلاً كان مؤمناً وإن لم يطلع على تفاصيل تلك الجزئيات بعد، ويؤيد ذلك أن أكثر الناس في الصدر الأول لم يكونوا عالمين بهذه التفاصيل في الأول، بل كانوا يطلعون عليها وقتاً فوقتاً، مع الحكم بإيمانهم في كل وقت من حين التصديق بالوحدانية والرسالة، بل هذا حال أكثر الناس في جميع الاعصار كما هو المشاهد، فلو اعتبرناه لزم خروج أكثر أهل الإيمان عنه، وهو بعيد عن حكمة العزيز الحكيم. نعم العلم بذلك لا ريب أنه من مكملات الإيمان....كشف الغطاء/۴

... ثم لا تجب على الأمم اللاحقة معرفة الأنبياء السابقين، نعم ربما وجب معرفة أن لله أنبياء قد سبقت دعوتهم وانقرضت ملتهم على الاجمال. ويجب معرفة عصمته بالدليل، ويكفي فيه أنه لو جاز عليه الخطأ والخطيئة لم يبق وثوق بإخباره ولا إعتماد على وعده ووعيده، فتنتفي فائدة البعثة.

يعرف النبي بالمعجزة والإمام بالنص والمعجزة

رسائل الشريف المرتضى:۳/۱۸

باب ما يجب اعتقاده في النبوة. متى علم الله سبحانه أن لنا في بعض الأفعال مصالح وألطافاً، أو فيها ما هو مفسدة في الدين، والعقل لا يدل عليها، وجب بعثة الرسول لتعريفه، ولا سبيل إلى تصديقه إلا بالمعجز. وصفة المعجز أن يكون خارقاً للعادة، ومطابقاً لدعوى الرسول ومتعلقاً بها، وأن يكون متعذراً في جنسه أو صفته المخصوصة على الخلق، ويكون من فعله تعالى أو جارياً مجرى فعله تعالى، وإذا وقع موقع التصديق فلا بد من دلالته على المصدق وإلا كان قبيحاً.

... باب ما يجب إعتقاده في الإمامة وما يتصل به أوجب في الإمام عصمته، لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحاجة إليه فيه، وهذا يتناهى من الرؤساء والإنتهاء إلى رئيس معصوم. وواجب أن يكون أفضل من رعيته وأعلم، لقبح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه في العقول. فإذا وجبت عصمته وجب النص من الله تعالى عليه وبطل إختيار الإمامة، لأن العصمة لا طريق للأنام إلى العلم بمن هو عليها.

الاقتصاد للشيخ الطوسي/۱۵۱

ولا طريق إلى معرفة النبي إلا بالمعجز، والمعجز في اللغة عبارة عمن جعل غيره عاجزاً، مثل المقدور الذي يجعل غيره قادراً إلا أنه صار بالعرف عبارة عما يدل على صدق من ظهر على يده واختص به، والمعتمد على ما في العرف دون مجرد اللغة.

والمعجز يدل على ما قلناه بشروط: أولها أن يكون خارقاً للعادة، والثاني يكون من فعل الله أو جارياً مجرى فعله، والثالث أن يتعذر على الخلق جنسه أو صفته المخصوصة، والرابع أن يتعلق بالمدعي على وجه التصديق لدعواه.

... فعلى هذا لا يلزم أن يظهر الله على يد كل إمام معجزاً، لأنه يجوز أن يعلم إمامته بنص أو طريق آخر، ومتى فرضنا أنه لا طريق إلى معرفة إمامته إلا المعجز وجب إظهار ذلك عليه وجرى مجرى النبي سواء، لأنه لابد لنا من معرفته كما لابد لنا من معرفة النبي المتحمل لمصالحنا. ولو فرضنا في نبي علمنا نبوته بالمعجز أنه نص على نبي آخر لاغنى ذلك عن ظهور المعجز على يد النبي الثاني، بأن نقول: النبي الأول أعلمنا أنه نبي، كما يعلم بنص إمام على إمامته ولا يحتاج إلى معجز.

و تجب معرفة الأئمة لأن الله تعالى فرض طاعتهم

رسائل الشهيد الثاني:۲/۱۴۵

الأصل الرابع: التصديق بإمامة الإثنى عشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا الأصل اعتبرته فى تحقق الإيمان الطائفة المحقة الإمامية، حتى أنه من ضروريات مذهبهم، دون غيرهم من المخالفين، فإنه عندهم من الفروع....

الكافى: ۱/۱۸۰

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه، عمن ذكره، عن محمد بن عبدالرحمن بن أبى ليلى، عن أبيه، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا، حتى تصدقوا ولا تصدقوا، حتى تسلموا، أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها... إنما يتقبل الله من المتقين، فمن اتقى الله فيما أمره لقى الله مؤمناً بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا، وأشركوا من حيث لا يعلمون. إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، ومن أخذ فى غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعة ولى أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما أنزل من عند الله عز وجل، خذوا زينتكم عند كل مسجد والتمسوا البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.

إن الله قد استخلص الرسل لأمره، ثم استخلصهم مصدقين بذلك فى نذره فقال: وإن من أمة إلا خلا فيها نذير، تاه من جهل، واهتدى من أبصر وعقل. إن الله عز وجل يقول: فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ، وكيف يهتدى من لا يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبر؟ إتبعوا رسول الله وأهل بيته وأقروا بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الإمامة والتقى، واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى ابن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن. اقتصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الآثار، تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم...

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة، عن أبى جعفر عليه السلام قال: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى: الطاعة للإمام بعد معرفته، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا.

الحسين بن محمد الأشعرى، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على الوشاء عن أبان بن عثمان، عن أبى الصباح قال: أشهد أنى سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: أشهد أن علياً إمام فرض الله طاعته، وأن الحسن إمام فرض الله طاعته، الحسين إمام فرض الله طاعته، وأن على بن الحسين إمام فرض الله طاعته، وأن محمد بن على إمام فرض الله طاعته.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار، عن بعض أصحابنا، عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله عز وجل: وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. قال: الطاعة المفروضة.

أحمد بن محمد، عن محمد بن أبى عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبى الصباح الكنانى قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: نحن قوم فرض الله عز وجل طاعتنا، ولنا صفوا المال، ونحن الراسخون فى العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ.

أحمد بن محمد، عن على بن الحكم، عن الحسين بن أبى العلاء قال: ذكرت لابى عبد الله عليه السلام قولنا فى الاوصياء أن طاعتهم مفترضة قال فقال: نعم، هم الذين قال الله تعالى: أَطِيعُوا اللَهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ. وهم الذين قال الله عز وجل: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا.

وبهذا الإسناد، عن أحمد بن محمد، عن معمر بن خلاد قال: سأل رجل فارسى الحسن عليه السلام فقال: طاعتك مفترضة؟ فقال نعم، قال: مثل طاعة على ابن أبى طالب عليه السلام؟ فقال: نعم.

وبهذا الإسناد، عن أحمد بن محمد عن على بن الحكم، عن على بن أبى حمزة عن بصير، عن أبى عبدالله عليه السلام قال سألته عن الأئمة هل يجرون فى الأمر والطاعة مجرى واحداً؟ قال: نعم.

علی، عن محمد بن عیسی، عن یونس، عن محمد بن الفضیل قال: سألته عن أفضل ما یتقرب به العباد إلی الله عز وجل، قال: أفضل ما یتقرب به العباد إلی الله عز وجل طاعهٔ الله وطاعهٔ رسوله وطاعهٔ أولی الأمر، قال أبو جعفر علیه السلام: حبنا إیمان وبغضنا کفر.

محمد بن الحسن، عن سهل بن زیاد، عن محمد بن عیسی، عن فضالهٔ بن أیوب، عن أبان، عن عبدالله بن سنان، عن إسماعیل بن جابر، قال: قلت لأبی جعفر علیه السلام: أعرض علیک دینی الذی أدین الله عز وجل به؟ قال: فقال هات، قال فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له وأن محمداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله، وأن علیاً کان إماماً فرض الله طاعته، ثم کان بعده الحسن إماماً فرض الله طاعته، ثم کان بعده الحسین إماماً فرض الله طاعته، ثم کان بعده علی بن الحسین إماماً فرض الله طاعته حتی انتهی الأمر إلیه، ثم قلت: أنت یرحمک الله؟ قال: فقال: هذا دین الله ودین ملائکته.

دعائم الإسلام:۱/۵۲

... ثم قال أبوعبدالله جعفر بن محمد صلی الله علیه... وإنما یقبل الله عز وجل العمل من العباد بالفرائض التی افترضها علیهم بعد معرفهٔ من جاء بها من عنده، ودعاهم إلیه، فأول ذلک معرفهٔ من دعا إلیه، وهو الله الذی لا إله إلا هو وحده والإقرار بربوبیته، ومعرفهٔ الرسول الذی بلغ عنه، وقبول ما جاء به، ثم معرفهٔ الوصی، ثم معرفهٔ الأئمهٔ بعد الرسل الذین افترض الله طاعتهم فی کل عصر وزمان علی أهله، والإیمان والتصدیق بأول الرسل والأئمهٔ وآخرهم. ثم العمل بما افترض الله عز وجل علی العباد من الطاعات ظاهراً وباطناً، واجتناب ما حرم الله عز وجل علیهم ظاهره وباطنه....

الهدایهٔ للصدوق/۶

باب الإمامهٔ. یجب أن یعتقد أن الإمامهٔ حق، کما اعتقد أن النبوهٔ حق، ویعتقد أن الله عز وجل الذی جعل النبی صلی الله علیه وآله نبیاً هو الذی جعل الإمام إماماً، وأن نصب الإمام واختیاره إلی الله عز وجل، وأن فضله منه.

ویجب أن یعتقد أنه یلزمنا من طاعهٔ الإمام ما یلزمنا من طاعهٔ النبی صلی الله علیه وآله وکل فضل آتاه الله عز وجل نبیه فقد آتاه الإمام إلا النبوهٔ....

باب معرفهٔ الأئمهٔ الذین هم حجج الله علی خلقه بعد نبیه صلوات الله علیه وعلیهم بأسمائهم.

یجب أن یعتقد أن حجج الله عز وجل علی خلقه بعد نبیه محمد صلی الله علیه وآله الأئمهٔ الإثنا عشر: أولهم أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب ثم الحسن، ثم الحسین، ثم علی بن الحسین، ثم محمد بن علی، ثم جعفر بن محمد، ثم موسی بن جعفر، ثم الرضا علی بن موسی، ثم محمد بن علی، ثم علی بن محمد، ثم الحسن بن علی، ثم الحجهٔ القائم صاحب الزمان خلیفهٔ الله فی أرضه، صلوات الله علیهم أجمعین.

ویجب أن یعتقد أنهم أولوا الأمر الذین أمر الله بطاعتهم، وأنهم الشهداء علی الناس، وأنهم أبواب الله والسبیل إلیه والأدلاء علیه، وأنهم عیبهٔ علمه وتراجمهٔ وحیه وأرکان توحیده، وأنهم معصومون من الخطأ والزلل، وأنهم الذین أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً، وأن لهم المعجزات والدلائل، وأنهم أمان لأهل الأرض کما أن النجوم أمان لأهل السماوات، ومَثَلُهم فی هذه الأمهٔ کمثل سفینهٔ نوح وباب حطهٔ الله، وأنهم عباد الله المکرمون الذین لا یسبقونه بالقول وهم بأمره یعملون. ویجب أن یعتقد أن حبهم إیمان وبغضهم کفر، وأن أمرهم أمر الله ونهیهم نهی الله، وطاعتهم طاعهٔ الله ومعصیتهم معصیهٔ الله، وولیهم ولی الله وعدوهم عدو الله.

ویجب أن یعتقد أن حجهٔ الله فی أرضه وخلیفته علی عباده فی زماننا هذا هو القائم المنتظر ابن الحسن بن علی بن محمد بن علی بن موسی بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب غلیهم السلام، وأنه هو الذی أخبر النبی صلی الله علیه وآله به عن الله عز وجل بإسمه ونسبه، وأنه هو الذی یملا الأرض قسطاً وعدلاً کما ملئت جوراً وظلماً، وأنه هو الذی یظهر الله عز وجل به دینه صلی الله علیه وآله علی الدین کله ولو کره المشرکون، وأنه هو الذی یفتح الله عز وجل علی یده مشارق الأرض ومغاربها، حتی لا یبقی مکان إلا ینادی فیه بالأذان ویکون الدین کله لله، وأنه هو المهدی الذی إذا خرج نزل عیسی بن مریم علیه السلام فصلی خلفه،

ویکون إذا صلی خلفه مصلیاً خلف الرسول صلی الله علیه وآله لأنه خلیفته.

ویجب أن یعتقد أنه لا یجوز أن یکون القائم غیره، بقی فی غیبته ما بقی، ولو بقی فی غیبته عمر الدنیا لم یکن القائم غیره، لأن النبی صلی الله علیه وآله والأئمة علیهم السلام عرفوا باسمه ونسبه ونصوا به وبشروا.

ویجب أن یتبرأ إلی الله عز وجل من الأوثان الأربعة: یغوث ویعوق ونسر وهبل، ومن الأنداد الأربع اللات والعزی ومناة والشعری، وممن عبدوهم ومن جمیع أشیاعهم وأتباعهم، ویعتقد فیهم أنهم أعداء الله وأعداء رسوله وأنهم شر خلق الله، ولا یتم الإقرار بجمیع ما ذکرناه إلا بالتبری منهم.

المقنعة/۳۲

ویجب علی کل مکلف أن یعرف إمام زمانه، ویعتقد إمامته وفرض طاعته، وأنه أفضل أهل عصره وسید قومه، وأنهم فی العصمة والکمال کالأنبیاء علیهم السلام یعتقد أن کل رسول لله تعالی فهو نبی إمام، ولیس کل إمام نبیاً ولا رسولاً، وأن الأئمة بعد رسول الله صلی الله علیه وآله حجج الله تعالی وأولیائه وخاصة أصفیاء الله، أولهم وسیدهم أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، علیه أفضل السلام، وبعده الحسن والحسین، ثم علی بن الحسین، ثم محمد بن علی بن الحسین، ثم جعفر بن محمد، ثم موسی بن جعفر، ثم علی بن موسی، ثم محمد بن علی بن موسی، ثم علی بن محمد بن علی، ثم الحسن بن علی بن محمد، ثم الحجة القائم بالحق ابن الحسن بن علی بن محمد بن علی بن موسی علیهم السلام، لاإمامة لاحد بعد النبی صلی الله علیه وآله غیرهم، ولا یستحقها سواهم، وأنهم الحجة علی کافة الانام کالأنبیاء علیهم السلام وأنهم أفضل خلق الله بعد نبیه علیه وآله السلام، والشهداء علی رعایاهم یوم القیامة، کما أن الأنبیاء علیهم السلام شهداء الله علی أممهم، وأنه بمعرفتهم وولایتهم تقبل الأعمال، وبعداوتهم والجهل بهم یستحق النار.

رسائل الکرکی:۲/۲۹۸

مسألة: معرفة تعداد الأئمة علیهم السلام شرط فی صحة عقد النکاح، أم یکفی معرفتهم وإعتقاد إمامتهم إجمالاً من الزوجین من غیر معرفة التعداد علی الترتیب أو من غیر تعداد مطلقاً؟

الجواب: إن کانت الزوجة عارفة فلا بد من معرفة الزوج.

العروة الوثقی:۲/۳۱۸

مسألة: استشکل بعض العلماء فی جواز إعطاء الزکاة لعوام المؤمنین الذین لا یعرفون الله إلا بهذا اللفظ، أو النبی أو الأئمة کلاً أو بعضاً، شیئاً من المعارف، الخمس واستقرب عدم الأجزاء، بل ذکر بعض آخر أنه لا یکفی معرفة الأئمة بأسمائهم بل لابد فی کل واحد أن یعرف أنه من هو وابن من، فیشترط تعیینه وتمییزه عن غیره، وأن یعرف الترتیب فی خلافتهم، ولو لم یعلم أنه هل یعرف ما یلزم معرفته أم لا یعتبر الفحص عن حاله، ولا یکفی الإقرار الإجمالی بأنی مسلم مؤمن واثنی عشری. وما ذکروه مشکل جداً، بل الاقوی کفایة الإقرار الإجمالی وإن لم یعرف أسماؤهم أیضاً فضلاً عن أسماء آبائهم والترتیب فی خلافتهم.

و تجب معرفتهم لأن الله تعالی فرض مودتهم

الغدیر للامینی:۲/۳۲۴

أخرج القاضی عیاض فی الشفاء عن النبی صلی الله علیه وآله أنه قال: معرفة آل محمد براءة من النار، وحب آل محمد جواز علی الصراط، والولایة لآل محمد أمان من العذاب. ویوجد فی الصواعق/۱۳۹، والإتحاف/۱۵، ورشفة الصادی/۴۵۹.

الغدیر:۲/۳۰۷

أخرج الحافظ أبو عبد الله الملا فی سیرته أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: إن الله جعل أجری علیکم المودة فی أهل بیتی، وإنی

سائلکم غداً عنهم. ورواه محب الدین الطبری فی الذخائر/۲۵ وابن حجر فی الصواعق/۱۰۲ و ۱۳۶ والسمهودی فی جواهر العقدین.

قال جابر بن عبدالله: جاء أعرابی إلی النبی صلی الله علیه وآله وقال: یا محمد أعرض علی الإسلام.

فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، وأن محمداً عبده ورسوله.

قال: تسألنی علیه أجراً قال: لا، إلا المودة فی القربی.

قال: قرابتی أو قرابتک!

قال: قرابتی.

قال: هات أبایعک، فعلی من لا یحبک ولا یحب قرابتک لعنة الله.

فقال النبی صلی الله علیه وآله: آمین.

أخرجه الحافظ الکنجی فی الکفایة/۳۱ من طریق الحافظ أبی نعیم، عن محمد بن أحمد بن مخلد، عن الحافظ ابن أبی شیبة بإسناده.

وأخرج الحافظ الطبری، وابن عساکر، والحاکم الحسکانی فی شواهد التنزیل لقواعد التفضیل، بعدة طرق عن أبی أمامة الباهلی، قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: إن الله خلق الأنبیاء من أشجار شتی، وخلقنی من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلی فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسین ثمرها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوی، ولو أن عبداً عبد الله بین الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام، ثم لم یدرک محبتنا، أکبه الله علی منخریه فی النار. ثم تلا: قل لا أسألکم علیه أجراً إلا المودة فی القربی.

الغدیر:۱/۲۴۲

شمس الدین أبوالمظفر سبط ابن الجوزی الحنفی المتوفی ۶۵۴، رواه فی تذکرته/۱۹ قال: ذکر أبوإسحاق الثعلبی فی تفسیره بإسناده أن النبی(ص)لما قال ذلک (یعنی حدیث الولایة) طار فی الأقطار وشاع فی البلاد والأمصار فبلغ ذلک الحرث بن النعمان الفهری فأتاه علی ناقة له فأناخها علی باب المسجد، ثم عقلها وجاء فدخل فی المسجد فجثا بین یدی رسول الله(ص)فقال: یا محمد إنک أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنک رسول الله فقبلنا منک ذلک، وإنک أمرتنا أن نصلی خمس صلوات فی الیوم واللیلة ونصوم رمضان ونحج البیت ونزکی أموالنا فقبلنا منک ذلک، ثم لم ترض بهذا حتی رفعت بضبعی ابن عمک وفضلته علی الناس وقلت: من کنت مولاه فعلی مولاه. فهذا شئ منک أو من الله؟!

فقال رسول الله(ص)وقد احمرت عیناه: والله الذی لا إله إلا هو ما هو إلا من الله.

فولی الحرث وهو یقول: اللهم إن کان ما یقول محمد حقاً فأرسل من السماء علینا حجارة أو ائتنا بعذاب ألیم! قال: فوالله ما بلغ ناقته حتی رماه الله من السماء بحجر فوقع علی هامته فخرج من دبره و مات، وأنزل الله تعالی: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. الآیات....

شمس الدین الشربینی القاهری الشافعی المتوفی ۹۷۷ (المترجم/۱۳۵) قال: فی تفسیره السراج المنیر ۴/۳۶۴: اختلف فی هذا الداعی فقال ابن عباس: هو النضر بن الحرث، وقیل: هو الحرث بن النعمان... انتهی.

ملاحظة: لا ینافی هذا الحدیث نزول الآیة فی مکة، لأن ما وقع فی المدینة یکون تأویلها، فیکون المعنی أن الحرث الفهری هو السائل بالعذاب الذی أخبر عنه الله تعالی قبل ذلک، أو یکون مصداقاً للسائلین بالعذاب.

علی أنه لا مانع من القول بنزول جبرئیل مرة أخری بالآیة مؤکداً حادثة تأویلها، بل لا مانع من نزول الآیة مرتین.

الشفا للقاضی عیاض جزء ۲/۴۷

فصل. ومن توقیره(ص)وبره بر آله وذریته وأمهات المؤمنین أزواجه کما حض علیه(ص)وسلکه السلف الصالح رضی الله عنهم، قال الله تعالی: إِنَّمَا یُرِیدُ اللهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ، الآیة. وقال تعالی: وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ.

أخبرنا الشیخ أبو محمد بن أحمد العدل من کتابه وکتبت من أصله، حدثنا أبو الحسن المقری الفرغانی، حدثتنی أم القاسم بنت الشیخ

أبی بکر الخفاف، قالت حـدثنی أبی حدثنا خاتم هو ابن عقیل، حدثنا یحیی هو ابن اسـماعیل، حدثنا یحیی هو الحمائی، حدثنا وکیع، عن أبیه، عن سعید بن مسروق، عن یزید بن حیان، عن زید بن أرقم (رض) قال قال رسول الله (ص): أنشدکم الله أهل بیتی، ثلاثاً. قلنا لزید: من أهل بیته؟ قال آل علی وآل جعفر وآل عقیل وآل العباس.

وقال (ص): إنی تارک فیکم ما إن أخذتم به لم تضلوا: کتاب الله وعترتی أهل بیتی، فانظروا کیف تخلفونی فیهما.

وقال (ص): معرفهٔ آل محمد(ص)براءهٔ من النار، وحب آل محمد جواز علی الصراط، والولایهٔ لآل محمد أمان من العذاب.

قال بعض العلماء: معرفتهم هی معرفهٔ مکانهم من النبی(ص)وإذا عرفهم بذلک، عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه. انتهی.

ونلاحظ أن القاضـی عیاضاً قـد بتر حـدیث الغدیر الذی یرویه مسـلم وغیره، فلم یرو إلا جزءً من آخره، ثم فسـر معرفهٔ آل محمد بأنها معرفهٔ نسبهم من النبی صلی الله علیه وآله أو معرفهٔ معزته لهم، مدعیاً أن الإنسان یستحق براءهٔ من النار!! وهذا من عجائب الفتاوی التی تجعل الجنهٔ مشـروطهٔ بمعرفهٔ نسب آل النبی صـلی الله علیه وعلیهم! أما اتِّباعهم وإطاعتهم، وموالاهٔ من ولیهم ومعاداهٔ عدوهم فلا یجب منه شی..!

وقد تعرض السید شرف الدین لهذا الحدیث فی المراجعات/۸۲ وقال فی هامشه:

أورده القاضـی عیاض فی الفصل الـذی عقده لبیان أن من توقیره وبره صـلی الله علیه وآله بر آله وذریته، من کتاب الشـفا فی أول/۴۰ من قسمه الثانی طبع الاستانهٔ سنهٔ ۱۳۲۸، وأنت تعلم أن لیس المراد من معرفتهم هنا مجرد معرفهٔ أسـمائهم وأشخاصهم وکونهم أرحام رسول الله صـلی الله علیه وآله فـإن أبـا جهـل وأبا لهب لیعرفان ذلک کله، وإنما المراد معرفـهٔ أنهم أولوا الأمر بعـد رسول الله علی حد قوله صلی الله علیه وآله: من مات ولم یعرف إمام زمانه مات میتهٔ جاهلیهٔ. انتهی.

ومن الطریف أن القاضی عیاضاً روی بعد هذا الحدیث أحادیث أخری تفسر معرفهٔ أهل البیت غلیهم السلام بخلاف ما فسرها، قال:

وعن عمر بن أبی سلمهٔ لما نزلت: إِنَّمَا یُرِیدُ اللهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ، الآیهٔ - وذلک فی بیت أم سلمهٔ - دعا فاطمهٔ وحسناً وحسیناً فجللهم بکساء وعلی خلف ظهره ثم قال:اللهم هؤلاء أهل بیتی فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیرا.

وعن سعد بن أبی وقاص: لما نزلت آیهٔ المباهلهٔ دعا النبی(ص)علیاً وحسناً وحسیناً وفاطمهٔ وقال: اللهم هؤلاء أهلی.

وقال النبی(ص)فی علی: من کنت مولاه فعلی مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. وقال فیه: لا یحبک إلا مؤمن ولا یبغضک إلا منافق... وقال أبو بکر (رض): إرقبوا محمداً فی أهل بیته. انتهی!

و تجب معرفتهم لأن الله تعالی فرض الصلاهٔ علیهم

رسائل الشریف المرتضی:۲/۲۴۹

الرسالـهٔ البـاهرهٔ فی العترهٔ الطـاهرهٔ. بسم الله الرحمن الرحیم. قـال (رض): مما یـدل أیضاً علی تقـدیمهم غلیهم السـلام وتعظیمهم علی البشـر أن الله تعالی دلنا علی أن المعرفـهٔ بهم کالمعرفهٔ به تعالی فی أنها إیمان وإسـلام، وإن الجهل والشک فیهم کالجهل به والشـک فیه فی أنه کفر وخروج من الإیمان، وهـذه منزلـهٔ لیس لاحـد من البشـر إلا لنبینا صـلی الله علیه وآله وبعده لامیر المؤمنین علیه السـلام والأئمهٔ من ولده علی جماعتهم السـلام. لأن المعرفهٔ بنبوهٔ الأنبیاء المتقدمین من آدم إلی عیسـی غلیهم السلام أجمعین غیر واجبهٔ علینا ولا۔ تعلق لها بشـئ من تکالیفنا، ولولا أن القرآن ورد بنبوهٔ من سـمی فیه من الأنبیاء المتقـدمین فعرفناهم تصـدیقاً للقرآن وإلا فلا وجه لوجوب معرفتهم علینا، ولا تعلق لها بشئ من أحوال تکلیفنا.

وبقی علینا أن ندل علی أن الأمر علی ما ادعیناه.

والذی یدل علی أن المعرفهٔ بإمامهٔ من ذکرناه غلیهم السلام من جملهٔ الإیمان وأن الإخلال بها کفر ورجوع عن الإیمان، إجماع الشیعهٔ الإمامیـهٔ علی ذلک فإنهم لا یختلفون فیه، وإجماعهم حجـهٔ بدلالـهٔ أن قول الحجهٔ المعصوم الذی قد دلت العقول علی وجوده فی کل

زمان فی جملتهم وفی زمرتهم، وقد دللنا علی هذه الطریقة فی مواضع کثیرة من کتبنا واستوفیناها فی جواب التبانیات خاصة، وفی کتاب نصرة ما انفردت به الشیعة الإمامیة من المسائل الفقهیة، فإن هذا الکتاب مبنی علی صحة هذا الأصل.

ویمکن أن یستدل علی وجوب المعرفة بهم علیهم السلام بإجماع الأمة، مضافاً إلی ما بیناه من إجماع الإمامیة وذلک أن جمیع أصحاب الشافعی یذهبون إلی أن الصلاة علی نبینا صلی الله علیه وآله فی التشهد الاخیر فرض واجب ورکن من أرکان الصلاة من أخل به فلا صلاة له، وأکثرهم یقول: إن الصلاة فی هذا التشهد علی آل النبی علیهم الصلوات فی الوجوب واللزوم ووقوف أجزاء الصلاة علیها کالصلاة علی النبی صلی الله علیه وآله والباقون منهم یذهبون إلی أن الصلاة علی الال مستحبة ولیست بواجبة.

فعلی القول الأول لابد لکل من وجبت علیه الصلاة من معرفتهم من حیث کان واجباً علیه الصلاة علیهم، فإن الصلاة علیهم فرع علی المعرفة بهم، ومن ذهب إلی أن ذلک مستحب فهو من جملة العبادة وإن کان مسنوناً مستحباً والتعبد به یقتضی التعبد بما لا یتم إلا به من المعرفة. ومن عدا أصحاب الشافعی لا ینکرون أن الصلاة علی النبی وآله فی التشهد مستحبة، وأی شبهة تبقی مع هذا فی أنهم علیهم السلام أفضل الناس وإجلالهم وذکرهم واجب فی الصلاة.

وعند أکثر الأمة من الشیعة الإمامیة وجمهور أصحاب الشافعی أن الصلاة تبطل بترکه وهل مثل هذه الفضیلة لمخلوق سواهم أو تتعداهم؟

ومما یمکن الإستدلال به علی ذلک أن الله تعالی قد ألهم جمیع القلوب، وغرس فی کل النفوس تعظیم شأنهم وإجلال قدرهم علی تباین مذاهبهم واختلاف دیاناتهم ونحلهم، وما اجتمع هؤلاء المختلفون المتباینون مع تشتت الاهواء وتشعب الاراء علی شئ کإجماعهم علی تعظیم من ذکرناه وإکبارهم، إنهم یزورون قبورهم ویقصدون من شاحط البلاد وشاطئها مشاهدهم ومدافنهم والمواضع التی وسمت بصلاتهم فیها وحلولهم بها، وینفقون فی ذلک الأموال ویستنفدون الأحوال، فقد أخبرنی من لا أحصیه کثرة أن أهل نیسابور ومن والاها من تلک البلدان یخرجون فی کل سنة إلی طوس لزیارة الإمام أبی الحسن علی بن موسی الرضا صلوات الله علیهما بالجمال الکثیرة والاهبة التی لا توجد مثلها إلا للحج إلی بیت الله. وهذا مع المعروف من انحراف أهل خراسان عن هذه الجهة وازورارهم عن هذا الشعب.

وما تسخیر هذه القلوب القاسیة وعطف هذه الأمم البائنة إلا کالخارق للعادات والخارج عن الأمور المألوفات، وإلا فما الحامل للمخالفین لهذه النحلة المنحازین عن هذه الجملة علی أن یراوحوا هذه المشاهد ویغادوها ویستنزلوا عندها من الله تعالی الأرزاق ویستفتحوا الإغلاق ویطلبوا ببرکاتها الحاجات ویستدفعوا البلیات، والأحوال الظاهرة کلها لا توجب ذلک ولا تقتضیه ولا تستدعیه وإلا فعلوا ذلک فیمن یعتقدونهم، وأکثرهم یعتقدون إمامته وفرض طاعته، وأنه فی الدیانة موافق لهم غیر مخالف ومساعد غیر معاند.

ومن المحال أن یکونوا فعلوا ذلک لداع من دواعی الدنیا، فإن الدنیا عند غیر هذه الطائفة موجودة وعندها هی مفقودة، ولا لتقیة واستصلاح، فإن التقیة هی فیهم لا منهم ولا خوف من جهتهم ولا سلطان لهم، وکل خوف إنما هو علیهم فلم یبق إلا داعی الدین، وذلک هو الأمر الغریب العجیب الذی لا ینفذ فی مثله إلا مشیة الله وقدرة القهار التی تذلل الصعاب، وتقود بأزمتها الرقاب.

ولیس لمن جهل هذه المزیة أو تجاهلها وتعامی عنها وهو یبصرها أن یقول: إن العلة فی تعظیم غیر فرق الشیعة لهؤلاء القوم لیست ما عظمتموه وفخمتموه وادعیتم خرقه للعادة وخروجه من الطبیعة، بل هی لأن هؤلاء القوم من عترة النبی صلی الله علیه وآله وکل من عظم النبی صلی الله علیه وآله فلا بد من أن یکون لعترته وأهل بیته معظماً مکرماً، وإذا انضاف إلی القرابة الزهد وهجر الدنیا والعفة والعلم زاد الإجلال والإکرام لزیادة أسبابهما.

والجواب عن هذه الشبهة الضعیفة: أنه شارک أئمتنا علیهم السلام فی حسبهم ونسبهم وقراباتهم من النبی صلی الله علیه وآله غیرهم، وکانت لکثیر منهم عبادات ظاهرة وزهادة فی الدنیا بادیة، وسمات جمیلة وصفات حسنة، من ولد أبیهم علیه وآله السلام، ومن ولد العباس رضوان الله علیه، فما رأینا من الإجماع علی تعظیمهم وزیارة مدافنهم والاستشفاع بهم فی الاغراض، والاستدفاع بمکانهم

للأعراض والأمراض، وما وجدنا مشاهداً معايناً فی هذا الشراک، وإلا فمن ذا الذی أجمع علی فرط إعظامه وإجلاله من سائر صنوف العترة فی هذه الحالة یجری مجری الباقر والصادق والکاظم والرضا صلوات الله علیهم أجمعین، لأن من عدا من ذکرناه من صلحاء العترة وزهادها ممن یعظمه فریق من الأمة ویعرض عنه فریق، ومن عظمه منهم وقدمه لا- ینتهی فی الاجلال والاعظام إلی الغایة التی ینتهی إلیها من ذکرناه.

ولو لا أن تفصیل هذه الجملة ملحوظ معلوم لفصلناها علی طول ذلک ولاسمینا من کنینا عنه ونظرنا بین کل معظم مقدم من العترة لیعلم أن الذی ذکرناه هو الحق الواضح، وما عداه هو الباطل الماضح.

وبعد فمعلوم ضرورة أن الباقر والصادق ومن ولیهما من الأئمة صلوات الله علیهم أجمعین کانوا فی الدیانة والإعتقاد وما یفتون من حلال وحرام علی خلاف ما یذهب إلیه مخالفوا الإمامیة، وإن ظهر شک فی ذلک کله فلا شک ولا شبهة علی منصف فی أنهم لم یکونوا علی مذهب الفرقة المختلفة المجتمعة علی تعظیمهم والتقرب إلی الله تعالی بهم.

وکیف یعترض ریب فیما ذکرناه، ومعلوم ضرورة أن شیوخ الإمامیة وسلفهم فی تلک الازمان کانوا بطانة للصادق والکاظم والباقر علیهم السلام وملازمین لهم ومتمسکین بهم، ومظهرین أن کل شئ یعتقدونه وینتحلونه ویصححونه أو یبطلونه فعنهم تلقوه ومنهم أخذوه، فلو لم یکونوا عنهم بذلک راضین وعلیه مقرین لابوا علیهم نسبة تلک المذاهب إلیهم وهم منها بریئون خلیون، ولنفوا ما بینهم من مواصلة ومجالسة وملازمة وموالاة ومصافاة ومدح وإطراء وثناء، ولابدلوه بالذم واللوم والبراءة والعداوة، فلو لم یکونوا علیهم السلام لهذه المذاهب معتقدین وبها راضین لبان لنا واتضح، ولو لم یکن إلا هذه الدلالة لکفت وأغنت. وکیف یطیب قلب عاقل أو یسوغ فی الدین لأحد أن یعظم فی الدین من هو علی خلاف ما یعتقد أنه الحق وما سواه باطل، ثم ینتهی فی التعظیمات والکرامات إلی أبعد الغایات وأقصی النهایات، وهل جرت بمثل هذا عادة أو مضت علیه سنة؟

أو لا- یرون أن الإمامیة لا- تلتفت إلی من خالفها من العترة وحاد عن جادتها فی الدیانة ومحجتها فی الولایة، ولا تسمح له بشئ من المدح والتعظیم فضلاً عن غایته وأقصی نهایته، بل تتبرأ منه وتعادیه وتجریه فی جمیع الأحکام مجری من لا نسب له ولا حسب له ولا قرابة ولا علقة. وهذا یوقظ علی أن الله خرق فی هذه العصابة العادات وقلب الجبلات، لیبین من عظیم منزلتهم وشریف مرتبتهم. وهذه فضیلة تزید علی الفضائل وتربی علی جمیع الخصائص والمناقب، وکفی بها برهاناً لائحاً ومیزاناً راجحاً، والحمد لله رب العالمین. انتهی.

ملاحظة: نعرف قوة استدلال الشریف الرضی قدس الله نفسه عندما نلاحظ أن نیشابور کانت مرکزاً للعلماء والمذاهب المخالفة لأهل البیت علیهم السلام فمنها أئمة الحدیث وأساتیذ أصحاب الصحاح والشخصیات العلمیة السنیة. بل کانت إلی القرن السادس العاصمة العلمیة للسنة، ومع ذلک کانت تخرج کلها لزیارة قبر الإمام الرضا علیهم السلام فی طوس، کل سنة بقوافل کقوافل الحج!! ولا یتسع المقام للتفصیل.

الغدیر للامینی:۲/۳۰۳

فی المقام أخبار کثیرة وکلمات ضافیة توجد فی طیات کتب الفقه والتفسیر والحدیث. ذکر ابن حجر فی الصواعق/۸۷ قوله تعالی: إِنَّ اللَه وَمَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا صَُّوا عَلَیْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِیمًا. وروی جملة من الأخبار الصحیحة الواردة فیها وأن النبی صلی الله علیه وآله قرن الصلاة علی آله بالصلاة علیه لما سئل عن کیفیة الصلاة والسلام علیه، ثم قال: وهذا دلیل ظاهر علی أن الأمر بالصلاة علی أهل بیته وبقیة آله مراد من هذه الآیة، وإلا لم یسألوا عن الصلاة علی أهل بیته وآله عقب نزولها، ولم یجابوا بما ذکر، فلما أجیبوا به دل علی أن الصلاة علیهم من جملة المأمور به، وأنه صلی الله علیه وآله أقامهم فی ذلک مقام نفسه، لأن القصد من الصلاة علیه مزید تعظیمه ومنه تعظیمهم، ومن ثم لما دخل من مر فی الکساء قال: اللهم إنهم منی وأنا منهم فاجعل صلاتک ورحمتک ومغفرتک ورضوانک علیَّ وعلیهم. وقضیة استجابة هذا الدعاء: أن الله صلی علیهم معه، فحینئذ طلب من المؤمنین صلاتهم

عليهم معه.

ويروى: لا تصلوا على الصلاة البتراء، فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد. ثم نقل للامام الشافعى قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

فقال: فيحتمل لا صلاة له صحيحة، فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة على الال، ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوليه.

وقال فى هامش الغدير: نسبهما إلى الإمام الشافعى الزرقانى فى شرح المواهب: ۷/۷ وجمع آخرون.

وقال ابن حجر فى/۱۳۹ من الصواعق: أخرج الدار قطنى والبيهقى حديث: من صلى صلاة ولم يصل فيها علىّ وعلى أهل بيتى لم تقبل منه. وكأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعى(رض): إن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة كالصلاة عليه صلى الله عليه وآله لكنه ضعيف، فمستنده الأمر فى الحديث المتفق عليه: قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، والأمر للوجوب حقيقة على الأصح.

وقال الرازى فى تفسيره:۷/۳۹۱: إن الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد فى الصلاة، وقوله: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وارحم محمداً وآل محمد، وهذا التعظيم لم يوجد فى حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حب آل محمد واجب.

وقال: أهل بيته صلى الله عليه وآله ساووه فى خمسة أشياء: فى الصلاة عليه وعليهم فى التشهد. وفى السلام. والطهارة. وفى تحريم الصدقة. وفى المحبة.

وقال النيسابورى فى تفسيره عند قوله تعالى: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، كفى شرفاً لال رسول الله صلى الله عليه وآله وفخراً ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم فى كل صلاة.

وروى محب الدين الطبرى فى الذخاير/۱۹ عن جابر (رض) أنه كان يقول: لو صليت صلاة لم أصل فيها على محمد وعلى آل محمد، ما رأيت أنها تقبل.

وأخرج القاضى عياض فى الشفا عن ابن مسعود مرفوعاً: من صلى صلاة لم يصل علىَّ فيها وعلى أهل بيتى، لم تقبل منه.

وللقاضى الخفاجى الحنفى فى شرح الشفا ۳/۵۰۰-۵۰۵ فوائد جمة حول المسألة وذكر مختصر ما صنفه الإمام الخيصرى فى المسألة سماه: زهر الرياض فى رد ما شنعه القاضى عياض.

وصور الصلوات المأثورة على النبى وآله مذكورة فى (شفاء السقام) لتقى الدين السبكى/۱۸۱-۱۸۷، وأورد جملة منها الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد: ۱۰/۱۶۳ وأول لفظ ذكره عن بريدة قال: قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلى عليك؟ قال قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وآل محمد، كما جعلتها على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. انتهى.

وقد روت مصادر إخواننا السنة هذا الحديث وصححته، ولكنهم لا يعملون به إلا فى صلاتهم، فتراهم غالباً يصلون على النبى وحده فى غير صلاتهم، حتى فى أدعيتهم، مع أنهم رووا أن الدعاء لا يقبل ولا يصعد إلى الله تعالى إذا لم يصل معه على النبى صلى الله عليه وآله ورووا أن النبى علمهم كيفية الصلاة عليه، فكأن استجابة أدعيتهم ليست مهمة عندهم!

ولا يسع المجال لايراد الأحاديث الكثيرة فى فضل الصلاة على النبى وآله صلى الله عليه وآله وأحكامها وكيفيتها التى يسمونها الصلاة الإبراهيمية، وهى جديرة ببحث مفصل، وقد ألف فيها عدد من القدماء رسائل مستقلة.

وقد روى أحاديث الصلاة الابراهيمية الإمام مالك فى كتاب الموطأ:۱/۱۶۵، وكتاب المسند/۳۴۹، وكتاب الام:۱/۱۴۰، والبخارى فى صحيحه:۴/۱۱۸ - ۱۹ وج ۶/۲۷ وج ۷/۱۵۶-۱۵۷، ومسلم:۲/۱۶-۱۷، وابن ماجة:۱/۲۹۳، وأبو داود:۱/۲۲۱-۲۲۲، والترمذى:۵/۳۸، والنسائى:۳/۴۵-۵۰، وأحمد:۴/۱۱۸-۱۱۹ وص ۲۴۴ وج ۵/۳۵۳ وص ۴۲۴، والدارمى:۱/۱۶۵ وص ۳۰۹، والحاكم:۱/۲۶۸-۲۷۰،

والبیهقی فی سننه:۲/۱۴۶-۱۵۳ وص ۳۷۸-۳۷۹، والهیثمی فی مجمع الزوائد:۲/۱۴۴-۱۴۵، والهندی فی کنز العمال:۲/۲۶۶-۲۸۳ وج ۵، وأورد السیوطی عدداً کبیراً من أحادیثها فی الدر المنثور:۵/۲۱۵-۲۲۰، وغیره من المفسرین، والفقهاء کالنووی فی المجموع:۳/۴۶۶، وابن قدامهٔ فی المغنی:۱/۵۸۰، وابن حزم فی المحلی:۳/۲۷۲.... ولا نطیل بذکر کلماتهم.

الشفا للقاضی عیاض جزء ۲/۶۴

...فی الحدیث: لاـ صلاهٔ لمن لم یصل علی، قال ابن القصار معناه کاملهٔ أو لمن لم یصل علی مرهٔ فی عمره. وضعف أهل الحدیث کلهم روایهٔ هذا الحدیث.

وفی حدیث أبی جعفر عن ابن مسعود عن النبی (ص): من صلی صلاهٔ لم یصل فیها علی وعلی أهل بیتی لم تقبل منه. قال الدارقطنی: الصواب أنه من قول أبی جعفر محمد بن الحسین: لو صلیت صلاهٔ لم أصل فیها علی النبی(ص)ولا علی أهل بیته لرأیت أنها لا تتم....

فقال النبی (ص): عجل هذا، ثم دعاه فقال له ولغیره: إذا صلی أحدکم فلیبدأ بتحمید الله والثناء علیه، ثم لیصل علی النبی(ص)، ثم لیدع بعد بما شاء، ویروی من غیر هذا السید بتمجید الله وهو أصح.

وعن عمر بن الخطاب (رض) قال: الدعاء والصلاهٔ معلق بین السماء والأرض فلا یصعد إلی الله منه شئ حتی یصلی علی النبی(ص).

وقال الأردبیلی فی زبدهٔ البیان/۸۴

التاسعهٔ: إِنَّ اللهَ وَ مَلائِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَی النَّبِیِّ یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِیمًا...

قال فی الکشاف: الصلاهٔ علیه واجبهٔ، وقد اختلفوا فی حال وجوبها، فمنهم من أوجبها کلما جری ذکره، وفی الحدیث: من ذکرت عنده فلم یصل علی فدخل النار فأبعده الله... ومنهم من قال: تجب فی کل مجلس مرهٔ، وإن تکرر ذکره، کما قیل فی آیهٔ السجدهٔ، وتسمیت العاطس وکذلک فی کل دعاء فی أوله وآخره، ومنهم من أوجبها فی العمر مرهٔ وکذا قال فی إظهار الشهادتین مرهٔ، والذی یقتضیه الإحتیاط الصلاهٔ علیه عند کل ذکر، لما ورد من الأخبار. انتهی.

والأخبار من طرقنا أیضاً مثل الأول موجودهٔ مع صحهٔ بعضها، ولا شک أن احتیاط الکشاف أحوط، واختار فی کنز العرفان الوجوب کلما ذکر وقال إنه اختیار الکشاف... ثم قال فی الکشاف: فإن قلت: فما تقول فی الصلاهٔ علی غیره صلی الله علیه وآله.

قلت: القیاس یقتضی جواز الصلاهٔ علی کل مؤمن، لقوله تعالی: هُوَ الَّذِی یُصَلِّی عَلَیْکُمْ وَ مَلائِکَتُهُ، وقوله: وصل علیهم إن صلوتک سکن لهم، وقوله صلی الله علیه وآله: اللهم صل علی آل أبی أوفی، ولکن للعلماء تفصیلاً فی ذلک، وهو أنها إن کان علی سبیل التبع کقولک صلی الله علی النبی وآله، فلاـ کلام فیها، وأما إذا أفرد غیره من أهل البیت بالصلاهٔ کما یفرد هو، فمکروه لأن ذلک صار شعاراً لذکر رسول الله صلی الله علیه وآله ولانه یؤدی إلی الاتهام بالرفض! (راجع تفسیر الکشاف:۲/۵۴۹)

ولاـ یخفی ما فیه فإن ما ذکره برهان لاـ قیاس، وإن البرهان من العقل والنقل کتاباً وسنهٔ کما نقله، ومثله قوله تعالی: وَبَشِّرِ الصَّابِرِینَ الَّذِینَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِیبَهٌٔ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَ إِنَّا إِلَیْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِکَ عَلَیْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَهٌٔ، فإنها تدل علی أن صلوات الله علی من یقول هذا بعد المصیبهٔ، ولا شک فی صدوره کذلک عن أهل البیت بل غیرهم أیضاً. فإذا ثبت لهم الصلاهٔ من الله فیجوز القول بذلک لهم، وهو ظاهر اقتضی جوازه مطلقاً، بل الإنفراد بخصوصه فلا مجال للتفصیل.... وإنما صار ذلک شعار الرافضهٔ لانهم فعلوا ذلک، وترکه غیرهم بغیر وجه، وإلاـ فهو مقتضی البرهان، ومع ذلک لاـ یستلزم کونه شعاراً لهم، ومتداولاً بینهم ترکه، وإلاـ یلزم ترک العبادات کذلک فإنها شعارهم.

وبالجملهٔ لا ینبغی منع ما یقتضی العقل والنقل جوازه بل استحبابه وکونه عبادهٔ، بسبب أن جماعهٔ من المسلمین یفعلون هذه السنهٔ والعبادهٔ، فإن ذلک تعصب وعناد محض، ولیس فیه تقرب إلی الله تعالی وطلب لمرضاته وعمل لله تعالی وهو ظاهر، ولا یناسب من العلماء العمل إلا لله.

ولهم أمثال ذلک کثیرهٔ، مثل ما ورد فی تسنیم القبور أن المستحب هو التسطیح، ولکن هو شعار للرفضهٔ فالتسنیم خیر منه، وکذلک

فى التختم باليمين وغير ذلك، ومنه ذكر (على) بعد قوله صلى الله عليه وعلى آله، وترك الآل معه(ص)مع أنه مرغوب بغير نزاع، وإنما النزاع كان فى الأفراد، فإنهم يتركون الآل معه ويقولون صلى الله عليه!

والعجب أنهم يتركون الآل وفى حديث كعب حيث يقولون سأله عن كيفية الصلاة عليه، فقال صلى الله عليه وآله قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم.. إلخ. فتأمل.

وقال ابن أبى جمهور الإحسائى عن الصلاة البتراء فى كتابه غوالى اللئالى:۲/۴۰: وبمعناه ما رواه الإمام السخاوى الشافعى فى القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع فى الباب الأول، فى الأمر بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله ولفظ الحديث: ويروى عنه(ص)مما لم أقف على إسناده: لا تصلوا علىَّ الصلاة البتيراء، قالوا وما الصلاة البتيرا يا رسول الله؟ قال: تقولوا: اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. أخرجه أبو سعد فى شرف المصطفى. انتهى.

ملاحظة: كان أكثر علماء السنة فى القرون الماضية يصلون على النبى فى كتبهم بصيغة (عليهما السلام) ونلاحظ ذلك بوضوح فى مخطوطات كتبهم التى وصلت إلينا سالمة ولم تمسها يد المحرفين والنواصب. ويظهر أن حذف الصلاة على آل النبى صلى الله عليه وآله انتشر مع موجة التعصب العثمانى الأخيرة ضد الشيعة. وقد ورث هذه الموجة وأفرط فيها الوهابيون و (المحققون) والناشرون الذين أطعموهم من سحت أموالهم، فمدوا أيديهم إلى كتب التراث وخانوا مؤلفيها فحذفوا منها وحرفوا كثيراً من المواضع، ومن ذلك عبارة صلى الله عليه وآله ووضعوا بدلها(ص).

والحمدلله أنه بقى فى المحققين والناشرين أفراد أمناء وأصحاب ضمائر مستقيمة أثبتو الصلاة على آل النبى كما وردت فى مخطوطات المؤلفين مثل مستدرك الحاكم. كما بقيت النسخ المخطوطة ومصوراتها وستبقى شاهدة على نواصب التحقيق والنشر.

كما ينبغى الاشارة إلى أن المسلمين الاوائل فهموا معنى التسليم فى قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا، بأنه التسليم لأمر النبى وليس السلام عليه صلى الله عليه وآله لأنه لم يقل وسلموا سلاماً. ولذا نجد أن الصلاة عليه استعملت مجردة فى القرون الأولى بدون (وسلم) وإن كان الدعاء بتسليم الله عليه من نوع الدعاء بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً، ولكنى أظن أنهم بعد أن حذفوا كلمة (وآله) التى كانت سائدة عند الجميع قروناً طويلة وجدوا خلاً فملؤوه بكلمة (وسلم). وهذا موضوع مهم، يحتاج إلى بحث واسع موثق.

و تجب معرفتهم لانهم أهل الذكر الذين أمرنا الله بسؤالهم

بصائر الدرجات/۳۷-۴۱

حدثنا العباس بن معروف، عن حماد بن عيسى، عن عمرو بن يزيد، قال قال أبو جعفر عليه السلام: وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون، قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته أهل الذكر وهم المسؤولون.

حدثنا يعقوب بن يزيد، عن ابن أبى عمير، عن ابن أذينه، عن بريد، عن معاوية قال أبوجعفر عليه السلام فى قول الله تبارك وتعالى: وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ، قال: إنما عنانا بها، نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون....

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن أبى عثمان، عن المعلى بن خنيس، عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ، قال هم آل محمد، فذكرنا له حديث الكلبى أنه قال: هى فى أهل الكتاب، قال فلعنه وكذبه.

حدثنا السندى بن محمد، عن علاء عن محمد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السلام قال قلت له إن من عندنا يزعمون أن قول الله تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ، أنهم اليهود والنصارى، قال: إذاً يدعونهم إلى دينهم، ثم أشار بيده إلى صدره فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون.

حدثنا عبدالله بن جعفر، عن محمد بن عیسی، عن محمد بن سنان، عن إسماعیل بن جابر وعبدالکریم، عن عبدالحمید بن أبی الدیلم، عن أبی عبدالله علیه السلام فی قول الله تعالی: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ، قال: کتاب الله الذکر، وأهله آل محمد الذین أمر الله بسؤالهم ولم یؤمروا بسؤال الجهال. وسمی الله القرآن ذکراً فقال: وأنزلنا إلیک الذکر لتبین للناس مانزل إلیهم ولعلهم یتفکرون.

روضة الواعظین/۲۰۳

وقال الباقر علیه السلام فی قوله تعالی: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ، قال نحن أهل الذکر. قال أبو زرعة: صدق محمد بن علی، ولعمری إن أبا جعفر لمن أکبر العلماء.

العمدة/۳۰۳

ومنها قوله تعالی: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. وهذا أیضاً غایة فی الأمر باتباعه، لموضع الأمر بسؤاله، وبجعله تعالی أهل الذکر، والذکر هو القرآن، وهو أهله بنص کتاب الله تعالی، فوجب اتباعه واتباع ذریته، لموضع الأمر بسؤالهم.

نهج الحق/۲۱۰

الثالثة والثمانون: روی الحافظ، محمد بن موسی الشیرازی من علماء الجمهور، واستخرجه من التفاسیر الإثنی عشر، عن ابن عباس فی قوله تعالی: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ، قال: هم محمد، وعلی، وفاطمة، والحسن، والحسین. هم أهل الذکر، والعلم، والعقل، والبیان، وهم أهل بیت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائکة، والله ما سمی المؤمن مؤمناً إلا کرامة لامیر المؤمنین. ورواه سفیان الثوری عن السدی عن الحارث.

أمان الأمة/۱۹۶

وأخرج الثعلبی فی تفسیره الکبیر فی تفسیر قوله تعالی: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ، عن جابر قال: قال علی بن أبی طالب: نحن أهل الذکر. وأخرجه الطبری فی تفسیره. وأخرج الحسکانی فی ذلک روایات غیرها.

الخطط السیاسیة لتوحید الامة/۹۷

وما یؤکد أنهم أولو الأمر وأهل الذکر: أن الهدایة لا تدرک بعد النبی إلا بالقرآن وبهم معاً، وأن الضلالة لا یمکن تجنبها إلا بالقرآن وبهم معاً، فهم أحد الثقلین بالنص، وإن کنت فی شک من ذلک فارجع مشکوراً إلی صحیح الترمذی:۵/۳۲۸ حدیث ۳۸۷۴، وجامع الأصول لابن الاثیر:۱/۱۸۷ حدیث ۶۵، والمعجم الکبیر للطبرانی/۱۳۷، ومشکاة المصابیح:۲/۲۵۸، وإحیاء المیت للسیوطی بهامش الاتحاف /۱۱۴، والفتح الکبیر للنبهانی:۱/۵۰۳ وج ۳/۳۸۵ والصواعق المحرقة لابن حجر/۱۴۷ و ۲۲۶، والمعجم الصغیر للطبرانی:۱/۱۳۵، ومقتل الحسین للخوارزمی:۱/۱۰۴، والطبقات الکبری لابن سعد:۲/۱۹۴، وخصائص النسائی/۲۱، ومجمع الزوائد للهیثمی:۵/۱۹۵. ولولا الرغبة بالاختصار لذکرت لک ۱۹۲ مرجعاً.

الخطط السیاسیة لتوحید الأمة/۲۶۶

فإذا ذکر ذاکر أن الله تعالی قد أذهب الرجس عن أهل البیت وطهرهم تطهیراً، جاءک الجواب سریعاً، إن أهل البیت هم نساء النبی وحدهن، ومنهم من یتبرع بالمباهلة إذا کان أهل البیت غیر نساء النبی!

وإذا قیل إن النبی لا یسأل أجراً إلا المودة فی القربی، قیل: کل قریش قرابة النبی، بل کل العالم أقارب النبی، وهو جد التقی ولو کان عبداً حبشیاً!

وإذا قیل: هم أهل الذکر. قیل لک: إن العلماء هم أهل الذکر، وهم ورثة الأنبیاء!

وباختصار فلا تجد نصاً فی القرآن الکریم یتعلق بأهل البیت الکرام أو ببنی هاشم، إلا وقد حضرت له البطون ومن والاها عشرات التفسیرات والتأویلات لإخراجه عن معناه الخاص بأهل البیت الکرام! ولا تجد فضلاً اختص به أهل البیت الکرام إلا وقد أوجدت

بطون قریش لرجالاتها فضلًا یعادله عن طریق التفسیر والتأویل! ومع سیطرهٔ البطون وإشرافها علی وسائل الأعلام، وهیمنتها علی الدولهٔ الإسلامیهٔ خلطت کافهٔ الأوراق، حتی إذا أخرجت یدک لم تکد تراها.

معالم الفتن لسعید أیوب:۱/۱۲۳

والخلاصهٔ: إن الروایات التی فسرت الآیهٔ بینت أن الذکر رسول الله وأن عترته أهله. وروی فی قوله عز وجل: وَأْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلَوهِٔ وَاصْطَبِرْ عَلَیْهَا، إن الآیهٔ مکیهٔ وعلی هذا فالمراد بقوله: أهلک، بحسب وقت النزول خدیجهٔ زوج النبی (ص) وعلی بن أبی طالب، وکان من أهله وفی بیته أو هما وبعض بنات النبی(ص). وعلی هذا فإن القول بأن أهله جمیع متبعیه من أمته غیر سدید... وروی أن النبی صلی الله علیه وآله ظل یأمر أهله بالصلاهٔ فی مکهٔ والمدینهٔ حتی فارق الدنیا.

وفی الدر المنثور أخرج الطبرانی فی الأوسط وأبونعیم فی الحلیهٔ والبیهقی فی شعب الإیمان بسند صحیح عن عبدالله بن سلام قال: کان النبی(ص)إذا نزلت بأهله شدهٔ أو ضیق أمرهم بالصلاهٔ وتلا: وأمر أهلک بالصلاهٔ، وروی أنه صلی الله علیه وآله کان یجی إلی باب علی وفاطمهٔ ثمانیهٔ أشهر، وفی روایهٔ تسعهٔ أشهر ویقول: الصلاهٔ رحمکم الله. إِنَّمَا یُرِیدُ الله لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَیْتِ وَ یُطَهِّرُکُمْ تَطْهِیراً....

و تجب معرفتهم لأن الأعمال لا تقبل إلا بولایتهم

الکافی:۱/۱۸۳

محمد بن یحیی، عن محمد بن الحسین، عن صفوان بن یحیی، عن العلاء بن رزین عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: کل من دان الله عز وجل بعبادهٔ یجهد فیها نفسه ولا إمام له من الله فسعیه غیر مقبول، وهو ضال متحیر والله شأنی لأعماله، ومثله کمثل شاهٔ ضلت عن راعیها وقطیعها، فهجمت ذاهبهٔ وجائیهٔ یومها، فلما جنها اللیل بصرت بقطیع غنم مع راعیها، فحنت إلیها واغترت بها، فباتت معها فی مربضها فلما أن ساق الراعی قطیعهٔ أنکرت راعیها وقطیعها، فهجمت متحیرهٔ تطلب راعیها وقطیعها فبصرت بغنم مع راعیها فحنت إلیها واغترت بها فصاح بها الراعی: الحقی براعیک، وقطیعک فأنت تائهٔ متحیرهٔ عن راعیک وقطیعک، فهجمت ذعرهٔ متحیرهٔ تائهٔ لا راعی لها یرشدها إلی مرعاها أو یردها، فبینا هی کذلک إذا اغتنم الذئب ضیعتها فأکلها، وکذلک والله یا محمد من أصبح من هذه الأمهٔ لا إمام له من الله عز وجل. انتهی. ونحوه فی المحاسن/۹۲، وتفسیر العیاشی:۲/۲۵۲.

علل الشرائع:۱/۲۵۰

حدثنا محمد بن علی ماجیلویه رحمه الله، عن عمه محمد بن أبی القاسم، عن یحیی بن علی الکوفی، عن محمد بن سنان، عن صباح المداینی، عن المفضل بن عمر، أن أباعبدالله علیه السلام کتب إلیه کتاباً فیه: إن الله تعالی لم یبعث نبیاً قط یدعو إلی معرفهٔ الله لیس معها طاعهٔ فی أمر ولا نهی، وإنما یقبل الله من العباد العمل بالفرایض التی فرضها الله علی حدودها، مع معرفهٔ من دعا إلیه. ومن أطاع وحرم الحرام ظاهره وباطنه وصلی وصام وحج واعتمر وعظم حرمات الله کلها ولم یدع منها شیئاً، وعمل بالبر کله ومکارم الاخلاق کلها وتجنب سیئها.

ومن زعم أنه یحل الحلال ویحرم الحرام بغیر معرفهٔ النبی صلی الله علیه وآله لم یحل لله حلالاً ـ ولم یحرم له حراماً، وإن من صلی وزکی وحج واعتمر وفعل (البر) کله بغیر معرفهٔ من افترض الله علیه طاعته، فلم یفعل شیئاً من ذلک، لم یصل ولم یصم ولم یزک ولم یحج ولم یعتمر ولم یغتسل من الجنابهٔ ولم یتطهر ولم یحرم لله، ولیس له صلاهٔ وإن رکع وإن سجد، ولا له زکاهٔ ولا حج، وإنما ذلک کله یکون بمعرفهٔ رجل مَنَّ الله تعالی علی خلقته بطاعته وأمر بالأخذ عنه، فمن عرفه وأخذ عنه أطاع الله.

ومن زعم أن ذلک إنما هی المعرفهٔ وأنه إذا عرف اکتفی بغیر طاعهٔ فقد کذب وأشرک، وإنما قیل إعرف واعمل ما شئت من الخیر فإنه لا ـ یقبل منک ذلک بغیر معرفهٔ، فإذا عرفت فاعمل لنفسک ما شئت من الطاعهٔ قل أو کثر، فإنه مقبول منک. انتهی. ورواه فی

وسائل الشیعة:۱/۹۵.

وسائل الشیعة: ۱/۹۰

وعن علی بن إبراهیم، عن أبیه وعن عبدالله بن الصلت جمیعاً، عن حماد بن عیسی، عن حریز بن عبدالله، عن زرارة، عن أبی جعفر علیه السلام (فی حدیث) قال: ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشیاء ورضا الرحمان الطاعة للإمام بعد معرفته، أما لو أن رجلاً قام لیله وصام نهاره، وتصدق بجمیع ماله وحج جمیع دهره، ولم یعرف ولایة ولی الله فیوالیه وتکون جمیع أعماله بدلالته إلیه، ما کان له علی الله حق فی ثوابه ولا کان من أهل الإیمان. ورواه البرقی فی المحاسن عن عبدالله بن الصلت بالإسناد.

وعن محمد بن الحسن، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن علی بن عقبة، عن أبیه عقبة بن خالد، عن میسر، عن أبی جعفر علیه السلام (فی حدیث) قال: إن أفضل البقاع ما بین الرکن والمقام، وباب الکعبة وذاک حطیم إسماعیل، ووالله لو أن عبداً صف قدمیه فی ذلک المکان، وقام اللیل مصلیاً حتی یجیئه النهار، وصام النهار حتی یجیئه اللیل، ولم یعرف حقنا وحرمتنا أهل البیت لم یقبل الله منه شیئاً أبداً.

علی بن إبراهیم فی تفسیره، عن أحمد بن علی، عن الحسین بن عبید الله، عن السندی بن محمد، عن أبان، عن الحارث، عن عمرو، عن أبی جعفر علیه السلام فی قوله تعالی: وَإِنِّی لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَی، قال: ألا تری کیف اشترط ولم تنفعه التوبة والإیمان والعمل الصالح حتی اهتدی؟ والله لو جهد أن یعمل ما قبل منه حتی یهتدی، قال: قلت: إلی من جعلنی الله فداک؟ قال: إلینا. أقول: والأحادیث فی ذلک کثیرة جداً.

مستدرک الوسائل:۱/۱۴۹-۱۵۵

وعن سلام بن سعید المخزومی عن یونس بن حباب عن علی بن الحسین علیه السلام قال قام رسول الله صلی الله علیه وآله فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: ما بال أقوام إذا ذکر عندهم آل إبراهیم وآل عمران فرحوا واستبشروا، وإذا ذکر عندهم آل محمد اشمأزت قلوبهم! والذی نفس محمد بیده لو أن عبداً جاء یوم القیامة بعمل سبعین نبیاً ما قبل الله ذلک منه حتی یلقی الله بولایتی وولایة أهل بیتی!

ورواه ابن الشیخ الطوسی فی أمالیه، عن أبیه، عن المفید، عن علی بن خالد المراغی، عن الحسن بن علی الکوفی، عن إسماعیل بن محمد المزنی، عن سلام بن أبی عمرة، عن سعد بن سعید، مثله.

(وقال فی هامشه: کتاب سلام بن أبی عمرة/۱۱۷، أمالی الطوسی:۱/۱۴۰ باختلاف یسیر وعنه فی بحار الأنوار:۲۷/۱۷۲ ح ۱۵).

أحمد بن محمد بن خالد البرقی فی المحاسن، عن خلاد المقری، عن قیس بن الربیع، عن لیث بن سلیمان، عن ابن أبی لیلی، عن الحسین بن علی علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: إلزموا مودتنا أهل البیت فإنه من لقی الله وهو یودنا أهل البیت دخل الجنة بشفاعتنا. والذی نفسی بیده لا ینتفع عبد بعلمه إلا بمعرفة حقنا.

(وقال فی هامشه: المحاسن/۶۱ ح ۱۰۵، أمالی المفید/۴۳ ح۲ باختلاف یسیر. أمالی المفید/۱۳ ح ۱، عنه فی بحار الأنوار:۷۵/۱۰۱ ح ۷)

وعن أبیه، عن أبی منصور السکری، عن جده علی بن عمر عن العباس بن یوسف الشکلی، عن عبید الله بن هشام، عن محمد بن مصعب، عن الهیثم بن حماد عن یزید الرقاشی، عن أنس بن مالک، قال رجعنا مع رسول الله صلی الله علیه وآله قافلین من تبوک، فقال لی فی بعض الطریق ألقوا لی الأحلاس والأقتاب ففعلوا، فصعد رسول الله صلی الله علیه وآله فحمد الله وأثنی علیه بما هو أهله، ثم قال معاشر: الناس ما لی إذا ذکر آل إبراهیم تهللت وجوهکم، وإذا ذکر آل محمد کأنما یفقأ فی وجوهکم حب الرمان، فوالذی بعثنی بالحق نبیاً لو جاء أحدکم یوم القیامة بأعمال کأمثال الجبال ولم یجی بولایة علی بن أبی طالب أکبه الله عز وجل فی النار.

(وقال فی هامشه: أمالی الطوسی:۱/۳۱۴ باختلاف یسیر، عنه فی بحار الأنوار: ۲۷/۱۷۱ ح ۱۲. الاحلاس: واحده حلس بکسر فسکون

كحمل وأحمال: كساء يوضع على ظهر البعير تحت القتب–لسان العرب:۶/۵۴، مجمع البحرين:۴/۶۳ حلس، والأقتاب: جمع قتب وهو بالتحريك: رحل البعير – لسان العرب:۱/۶۶۰، مجمع البحرين:۲/۱۳۹ قتب).

الغدير للامينى:۲/۳۰۱

عن ابن عباس فى حديث عن النبى صلى الله عليه وآله: لو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمد، دخل النار. أخرجه الحاكم فى المستدرك ۳/۱۴۹ وصححه، والذهبى فى تلخيصه.

وأخرج الطبرانى فى الأوسط من طريق أبى ليلى، عن الإمام السبط الشهيد، عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: إلزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقى الله عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذى نفسى بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا. و ذكره الهيثمى فى المجمع ۹/۱۷۲، وابن حجر فى الصواعق، ومحمد سليمان محفوظ فى أعجب ما رأيت ۱/۸ والنبهانى فى الشرف المؤبد/۹۶ والحضرمى فى رشفة الصادى/۴۳.

وأخرج الحافظ السمان فى أماليه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لو أن عبداً عبدالله سبعة آلاف سنة و(هو) عمر الدنيا ثم أتى الله عز وجل يبغض على بن أبى طالب جاحداً لحقه ناكثاً لولايته، لاتعس الله خيره وجدع أنفه. وذكره القرشئ فى شمس الأخبار/۴۰.

وأخرج الخوارزمى فى المناقب/۳۹ عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال لعلى: يا على لو أن عبداً عبد الله عز وجل مثل ما قام نوح فى قومه وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه فى سبيل الله، ومد فى عمره حتى حج ألف عام على قدميه، ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثم لم يوالك يا على، لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها.

عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: يا أم سلمة أتعرفينه؟ قلت: نعم هذا على بن أبى طالب. قال: صدقت، سجيته سجيتى ودمه دمى وهو عيبة علمى، فاسمعى واشهدى لو أن عبداً من عباد الله عز وجل عبد الله ألف عام بين الركن والمقام ثم لقى الله عز وجل مبغضاً لعلى بن أبى طالب وعترتى، أكبه الله تعالى على منخره يوم القيامة فى نار جهنم.

أخرجه الحافظ الكنجى بإسناده من طريق الحافظ أبى الفضل السلامى ثم قال: هذا حديث سنده مشهور عند أهل النقل.

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه مسنداً عن جابر بن عبدالله عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى حديث: يا على لو أن أمتى صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلوا حتى يكونوا كالاوتار، ثم أبغضوك لأكبهم الله فى النار.

وذكره الكنجى فى الكفاية/۱۷۹، وأخرجه الفقيه ابن المغازلى فى المناقب، ونقله عنه القرشئ فى شمس الأخبار/۳۳ ورواه شيخ الإسلام الحموينى فى الفرايد فى الباب الأول. وهناك أخبار كثيرة تضاهى هذه فى ولاء أمير المؤمنين وعترته لا يسعنا ذكرها....

– قال الشيخ أبوبكر بن شهاب السقاف، وهو شيخ محمد بن عقيل الحضرمى صاحب النصائح الكافية:

حب آل البيت قربَهْ وهو أسمى الحب رتبَهْ

ذنب من والأهم يغسله مزن المحبَّهْ

والذى يبغضهم لا يسكن الإيمان قلبَهْ

علمه والنسك رجسٌ عسلٌ فى ضَرْعِ كلبَهْ

لعن الله عدو الآل إبليس وحزبَهْ

و تجب معرفتهم لأنهم محال معرفة الله تعالى

الكافى:۴/۵۷۸

محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن هارون بن مسلم، عن على بن حسان، عن الرضا عليه السلام قال: سئل أبى، عن إتيان قبر

الحسین علیه السلام فقال: صلوا فی المساجد حوله ویجزی فی المواضع کلها أن تقول: السلام علی أولیاء الله وأصفیائه، السلام علی أمناء الله وأحبائه، السلام علی أنصار الله وخلفائه، السلام علی محال معرفة الله، السلام علی مساکن ذکر الله، السلام علی مظهری أمر الله ونهیه، السلام علی الدعاة إلی الله، السلام علی المستقرین فی مرضات الله، السلام علی الممحصین فی طاعة الله، السلام علی الأدلاء علی الله، السلام علی الذین من والأهم فقد وال الله ومن عاداهم فقد عادی الله ومن عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله ومن تخلی منهم فقد تخلی من الله. انتهی.ورواه فی من لا یحضره الفقیه:۲/۶۰۸

من لا یحضره الفقیه:۲/۶۰۹

... السلام علی أئمة الهدی، ومصابیح الدجی وأعلام التقی، وذوی النهی، وأولی الحجی، وکهف الوری، وورثة الأنبیاء، والمثل الأعلی، والدعوة الحسنی، وحجج الله علی أهل الدنیا والآخرة والأولی، ورحمة الله وبرکاته، السلام علی محال معرفة الله، ومساکن برکة الله، ومعادن حکمة الله وحفظة سر الله، وحملة کتاب الله، وأوصیاء نبی الله، وذریة رسول الله صلی الله علیه وآله ورحمة الله وبرکاته....

المزار/۱۷۶

باب زیارة جامعة لسائر الأئمة غلیهم السلام وتجزؤک فی جمیع المشاهد علی ساکنیها السلام أن تقول: السلام علی أولیاء الله وأصفیائه، السلام علی أمناء الله وأحبائه، السلام علی أنصار الله وخلفائه، السلام علی محال معرفة الله، السلام علی معادن حکمة الله، السلام علی مساکن ذکر الله، السلام علی عباد الله المکرمین الذین لا یسبقونه بالقول، وهم بأمره یعملون....

و تجب معرفتهم لأنها طریق معرفة الله تعالی

الکافی:۱/۱۸۰

الحسین بن محمد، عن معلی بن محمد، عن الحسن بن علی الوشاء قال: حدثنا محمد بن الفضیل، عن أبی حمزة قال قال لی أبو جعفر علیه السلام: إنما یعبد الله من یعرف الله، فأما من لا یعرف الله فإنما یعبده هکذا ضلالاً. قلت: جعلت فداک فما معرفة الله؟ قال: تصدیق الله عز وجل وتصدیق رسوله صلی الله علیه وآله وموالاة علی علیه السلام والإئتمام به وبأئمة الهدی غلیهم السلام والبراءة إلی الله عز وجل من عدوهم، وهکذا یعرف الله عز وجل.

علل الشرائع:۱/۹

حدثنا أبی (رض) قال: حدثنا أحمد بن إدریس، عن الحسین بن عبید الله، عن الحسن بن علی بن أبی عثمان، عن عبدالکریم بن عبدالله، عن سلمة ابن عطا، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: خرج الحسین بن علی (علیهما السلام) علی أصحابه فقال أیها الناس: إن الله جل ذکره ما خلق العباد إلا لیعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوا استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه.

فقال له رجل: یابن رسول الله بأبی أنت وأمی فما معرفة الله؟ قال معرفة أهل کل زمان إمامهم الذی یجب علیهم طاعته؟

قال مصنف هذا الکتاب یعنی ذلک: أن یعلم أهل کل زمان أن الله هو الذی لا یخلیهم فی کل زمان عن إمام معصوم، فمن عبد رباً لم یقم لهم الحجة فإنما عبد غیر الله عز وجل.

و تجب معرفتهم لحدیث: من مات و لم یعرف إمام زمانه

هذا الحدیث بصیغه المتعددة متواتر فی مصادرنا ومصادر إخواننا السنة، ولکن المهم معرفة صیغته الأصلیة وظروفه التی قاله فیها النبی صلی الله علیه وآله لأنه نص علی الوصیة بنظام الإمامة من بعده صلی الله علیه وآله.

لذلک نورد صِیَغَه وتطبیقاته علی مذهب أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله ثم علی مذاهب إخواننا السنة، لکی نستکشف منها أصل

الحديث. وقد أوردنا عدداً من صيغه ومصادره فى (معجم أحاديث الإمام المهدى عليه السلام) ونضيف إليها هنا ما عثرنا عليه مجدداً.

صيغ الحديث فى مصادر مذهب أهل البيت

فى وجوب معرفة الإمام من أهل البيت

روى البرقى فى المحاسن:۱/۱۵۳:

عنه (أحمد بن أبى عبدالله البرقى) عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبى، عن بشير الدهان قال قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية، ثم قال: فعليكم بالطاعة، قد رأيتم أصحاب على، وأنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته، لنا كرائم القرآن، ونحن أقوام افترض الله طاعتنا، ولنا الانفال ولنا صفو المال.

وروى فى/۱۵۴: عنه (أحمد بن عبدالله البرقى) عن أبيه، عن النضر، عن يحيى الحلبى، عن حسين بن أبى العلاء قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات ليس له إمام مات ميتة جاهلية، فقال: نعم، لو أن الناس تبعوا على بن الحسين (عليهما السلام) وتركوا عبدالملك بن مروان اهتدوا، فقلنا من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ميتة كفر؟ فقال: لا، ميتة ضلال.

وفى تفسير العياشى:۲/۳۰۳، عن عمار الساباطى، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: لا تترك الأرض بغير إمام يحل حلال الله ويحرم حرامه، وهو قول الله: يوم ندعو كل أناس بإمامهم، ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. فمدوا أعناقهم، وفتحوا أعينهم، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ليست الجاهلية الجهلاء.

وروى الكلينى فى الكافى:۱/۳۷۶

الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن على الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبى أذينة، عن الفضيل بن يسار قال: إبتدأنا أبو عبدالله عليه السلام يوماً وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهلية. فقلت: قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: إى والله قد قال. قلت: فكل من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟ قال: نعم.

وفيها: الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء قال: حدثنى عبدالكريم بن عمرو، عن ابن أبى يعفور قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، قال قلت ميتة كفر؟ قال: ميتة ضلال، قلت: فمن مات اليوم وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟ فقال: نعم.

وفى/۳۷۷: أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان، عن الفضيل، عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا يعرف إمامه، مات ميتة جاهلية؟ قال: نعم، قلت: جاهلية جهلاء جاهلية لا يعرف امامه؟ قال: جاهلية كفر ونفاق وضلال.

وفى/۳۷۸: على بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبدالرحمن، قال: حدثنا حماد، عن عبدالاعلى قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول العامة رسول الله صلى الله عليه وآله قال فقال: الحق والله... الحديث-كما فى روايته الثانية بتفاوت.

وفى:۱/۳۷۱: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن على بن النعمان، عن محمد بن مروان، عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لامامه لم يضره تقدم هذا أو تأخر. ومن مات وهو عارف لامامه كان كمن هو مع القائم فى فسطاطه.

وفى:۱/۳۹۰: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن سنان، عن ابن مسكان عن سدير قال: قلت لابى جعفر عليه السلام: إنى تركت مواليك مختلفين يتبرأ بعضهم من بعض قال: فقال: وما أنت وذاك، إنما كلف الناس ثلاثة: معرفة الأئمة، والتسليم

لهم فيما ورد عليهم، والرد إليهم فيما اختلفوا فيه.

وفى:۸/۱۴۶: يحيى الحلبى، عن بشير الكناسى قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: وصلتم وقطع الناس، وأحببتم وأبغض الناس، وعرفتم وأنكر الناس، وهو الحق، إن الله اتخذ محمداً صلى الله عليه وآله عبداً قبل أن يتخذه نبياً وإن علياً عليه السلام كان عبداً ناصحاً لله عز وجل فنصحه وأحب الله عز وجل فأحبه، إن حقنا فى كتاب الله بين، لنا صفو الأموال ولنا الأنفال وإنا قوم فرض الله عزو جل طاعتنا وإنكم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية، عليكم بالطاعة فقد رأيتم أصحاب على عليه السلام.

الغيبة للنعمانى/۱۲۷–۱۳۰: كما فى المحاسن، بسند آخر، عن معاوية بن وهب....

رجال الكشى/۴۲۴: قريباً من رواية الكافى الخامسة.

كمال الدين:۲/۴۱۳: عن سليم بن قيس الهلالى أنه سمع من سلمان ومن أبى ذر ومن المقداد حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: من مات.. وليس له إمام مات ميتة جاهلية، ثم عرضه على جابر وابن عباس فقالا: صدقوا وبروا، وقد شهدنا ذلك وسمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وإن سلمان قال: يا رسول الله إنك قلت من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية، من هذا الإمام؟ قال: من أوصيائى يا سلمان، فمن مات من أمتى وليس له إمام منهم يعرفه فهى ميتة جاهلية، فإن جهله وعاداه فهو مشرك، وإن جهله ولم يعاده ولم يوال له عدواً فهو جاهل وليس بمشرك. انتهى. ومثله فى الإمامة والتبصرة/۳۳

ثواب الأعمال/۲۰۵: قريباً من رواية الكافى الخامسة.

عيون أخبار الرضا:۲/۵۸: عن على بن أبى طالب قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام من ولدى مات ميتة جاهلية، ويؤخذ بما عمل فى الجاهلية والإسلام.

الإختصاص/۲۶۸: عن عمر بن يزيد، عن أبى الحسن الأول عليه السلام قال سمعته يقول: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، إمام حى يعرفه، فقلت: لم أسمع أباك يذكر هذا يعنى إماماً حياً فقال: قد والله قال ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام يسمع له ويطيع مات ميتة جاهلية.

رسائل المفيد/۳۸۴: كما فى المحاسن، عن النبى صلى الله عليه وآله وقال: خبر صحيح يشهد به إجماع أهل الآثار ويقوى منار صريح القرآن حيث يقول جل اسمه: يوم ندعو كل أناس بإمامهم، فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلًا.

دعائم الإسلام:۱/۲۷: وعنه (الإمام الصادق عليه السلام) أنه قال فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية، فقال: إماماً حياً. قيل له: لم نسمع حياً، قال: قد قال والله ذلك، يعنى رسول الله.

وعنه عليه السلام أنه قال فى قول الله عز وجل يوم ندعو كل أناس بإمامهم، فقال: بمن كانوا يأتمون به فى الدنيا، يدعى علىٌّ بالقرن الذى كان فيه، والحسن بالقرن الذى كان فيه، والحسين بالقرن الذى كان فيه، وعدد الأئمة، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا ـ يعرف إمام دهره مات ميتة جاهلية. انتهى. ورواه فى مناقب آل أبى طالب:۱/۲۱۲ وج ۲/۲۴۶ و:۳/۱۸ وص۴۱۳، بعدة روايات. ورواه الحر العاملى فى وسائل الشيعة:۱۳/۳۵۲.

وروى نحوه فى:۱۸/۵۶۵ وفى:۱۱/۴۹۱ وقال: ورواه على بن عيسى فى كشف الغمة نقلاً ـ عن الطبرسى فى إعلام الورى. وفى كنز الفوائد/۱۵۱: بسند آخر، عن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: - كما فى رواية العيون.وفى تلخيص الشافى: ۴/۱۳۲: كما فى رسائل المفيد، مرسلًا. وفى إثبات الهداة:۱/۸۷: عن روايات الكافى. وفى غاية المرام/۲۶۶ – عن رواية الكافى الخامسة بتفاوت يسير. وفى /۲۷۳ – عن رواية العياشئ الثانية. وفى تفسير البرهان:۱/۳۸۲ – عن رواية الكافى الخامسة.وفى/۳۸۶ – عن رواية العياشى الأولى. وفى:۲/۴۳۰ – عن رواية العياشى الثانية. وفى تفسير نور الثقلين:۱/۵۰۳ – عن روايتى الكافى السادسة والخامسة. وفى بحار الأنوار: ۸/۱۲ – عن رواية العياشى الثانية. وفى: ۲۳/۷۶ – عن رواية المحاسن الأولى. وفى/۸۱ – عن رواية العيون. وفى/۹۲ –

عن کنز الکراجکی بتفاوت یسیر. وفی/۷۸ – عن النعمانی. وفی/۸۵ – عن ثواب الأعمال.وفی/۸۸ – عن کمال الـدین. وفی/۸۹ – عن رجال الکشیٔ. وفی/۹۲ – عن الاختصـاص. وفی:۶۸/۳۳۷ – عن روایـهٔ الکافی السادسـهٔ. وفی/۳۸۷ – عن روایـهٔ العیاشـی الأولی، وفیه (عیسی بن السری، بدل یحیی بن السری).

فی أن معرفتهم و ولایتهم من دعائم الإسلام

روی الکلینی فی الکافی:۲/۱۹

محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد، عن صـفوان بن یحیی، عن عیسـی بن السـری الیسع قال: قلت لابی عبدالله علیه السلام: أخبرنی بدعائم الإسلام التی لا یسع أحد التقصیر عن معرفهٔ شئ منها، الذی من قصر عن معرفهٔ شئ منها فسد دینه ولم یقبل الله منه عمله، ومن عرفها وعمل بها صلح له دینه وقبل منه عمله، ولم یضق به مما هو فیه لجهل شئ من الأمور جهله؟

فقـال: شـهادهٔ أن لاـ إله إلاـ الله، والإیمان بأن محمـداً رسول الله صـلی الله علیه وآله والإقرار بما جاء به من عنـد الله، وحق فی الأموال الزکاهٔ، والولایهٔ التی أمر الله عز وجل بها ولایهٔ آل محمد صلی الله علیه وآله. قال: فقلت له: هل فی الولایهٔ فضل یعرف لمن أخذ به؟ قـال: نعم قـال الله عز وجـل: یَـا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللهَ وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الأَمْرِ مِنْکُمْ. وقال رسول الله صـلی الله علیه وآله: من مات ولا یعرف إمامه مات میتهٔ جاهلیهٔ. وکان رسول الله صلی الله علیه وآله وکان علیاً علیه السلام وقال الاخرون: کان معاویهٔ، ثم کان الحسن علیه السلام ثم کان الحسین علیه السلام وقال الآخرون: یزید بن معاویهٔ وحسین بن علی، ولا سواء ولا سواء.

قـال: ثم سـکت ثم قال: أزیـدک؟ فقال له حکم الأعور: نعم جعلت فـداک قال: ثم کان علی بن الحسین ثم کان محمـد بن علی أبو جعفر وکـانت الشـیعهٔ قبـل أن یکون أبو جعفر وهم لاـ یعرفون مناسک حجهم وحلالهم وحرامهم حتی کان أبوجعفر ففتـح لهم وبین لهم مناسـک حجهم وحلاـلهم وحرامهم حتی صار الناس یحتاجون إلیهم من بعـد ما کانوا یحتاجون إلی الناس، وهکـذا یکون الأمر، والأـرض لاـ تکون إلاـ بإمـام، ومن مـات لا یعرف إمامه مات میتـهٔ جاهلیـهٔ، وأحوج ما تکون إلی ما أنت علیه إذا بلغت نفسک هـذه، وأهوی بیده إلی حلقه، وانقطعت عنک الدنیا تقول: لقد کنت علی أمر حسن. انتهی. ومثله فی تفسیر العیاشی:۱/۲۵۲.

وفی الکافی:۲/۲۱ علی بن إبراهیم، عن محمد بن عیسـی، عن یونس، عن حماد بن عثمان، عن عیسی بن السری قال قلت لابی عبدالله علیه السلام.... کما فی روایهٔ العیاشی الأولی، وزاد فیه: وأحوج ما یکون أحدکم إلی معرفته إذا بلغت نفسه هاهنا قال وأهوی بیده إلی صـدره، یقول حینئـذ: لقـد کنت علی أمر حسن. انتهی. ونحوه فی المحـاسن/۹۲ ونحوه فی وسائل الشـیعهٔ:۲۰/۲۸۷ عن النجاشـیٔ ۲۰۹ وخلاصهٔ الرجال/۶۰ والشیخ/۲۵۷ والفهرست/۱۴۳ وجامع الرواهٔ:ص ۶۵۱ والکشی/ ۱. ۳۶.

وفی رجال الکشی/۴۲۴: جعفر بن أحمد، عن صفوان، عن أبی الیسع قال قلت لابی عبدالله علیه السلام حدثنی عن دعائم الإسلام التی بنی علیهـا ولا یسع أحـداً من الناس تقصـیر عن شـئ منها... کما فی روایـهٔ الکافی الثانیـهٔ بتفاوت. وفی ثواب الأعمال/۲۰۵ – کمـا فی روایـهٔ الکافی الأخیرهٔ. وفی تفسیر الصافی: ۱/۴۶۳ – عن روایـهٔ الکافی الثانیهٔ. وفی تفسیر البرهان:۱/۳۸۳ – عن روایـهٔ الکافی الثانیهٔ، بتفاوت یسیر. وفی بحار الأنوار:۲۳/۲۸۹ ب ۴ ح ۳۵ – عن روایـهٔ الکافی الثانیـهٔ. وفی تفسیر نور الثقلین:۱/۵۰۳ – عن روایـهٔ الکافی الثانیهٔ. وفی تنقیح المقال/۳۶۰–عن الکشی.

فی أن الإمام من أهل البیت قد یغیب

روی الصدوق فی کمال الدین:۲/۴۰۹

حدثنا محمد بن إبراهیم بن إسـحاق (رض) قال: حدثنی أبوعلی بن همام قال: سمعت محمد بن عثمان العمری قدس الله روحه یقول: سمعت أبی یقول سئل أبو محمد الحسن بن علی (علیهما السلام) وأنا عنده عن الخبر الذی روی عن آبائه غلیهم السلام: إن الأرض لا

تخلو من حجهٔ الله علی خلقه إلی یوم القیامهٔ، وإن من مات ولم یعرف إمام زمانه مات میتهٔ جاهلیهٔ، فقال: إن هذا حق کما أن النهار حق، فقیل له: یا ابن رسول الله فمن الحجهٔ والإمام بعدک؟ فقال: إبنی محمد هو الإمام والحجهٔ بعدی، من مات ولم یعرفه مات میتهٔ جاهلیهٔ، أما إن له غیبهٔ یحار فیها الجاهلون، ویهلک فیها المبطلون، ویکذب فیها الوقاتون، ثم یخرج فکأنی أنظر إلی الاعلام البیض تخفق فوق رأسه بنجف الکوفهٔ.

وفی کفایهٔ الاثر/۲۹۲: أخبرنا أبوالمفضل رحمه الله قال: حدثنی أبو همام قال: سمعت محمد بن عثمان العمری قدس الله روحه یقول: - کما فی کمال الدین.

وفی إعلام الوری/۴۱۵ و۴۴۲ - کما فی کمال الدین بتفاوت یسیر عن الإمام الباقر.وفی کشف الغمهٔ: ۳/۳۱۸ - عن إعلام الوری، بتفاوت یسیر.وفی إثبات الهداهٔ: ۳/۴۸۲ - عن کمال الدین، وقال: ورواه علی بن محمد الخزاز فی کتاب الکفایهٔ. وفی وسائل الشیعهٔ:۱۱/۴۹۱ ـ أوله، عن إعلام الوری.وفی حلیهٔ الابرار:۲/۵۵۲ ـ کما فی کمال الدین، عن ابن بابویه. وفی بحار الأنوار:۵۸/۱۶۰ ـ عن کمال الدین، وأشار إلی مثله عن کفایهٔ الأثر.وفی منتخب الاثر/۲۲۶ ـ عن کفایهٔ الأثر.

کما توجد فی مصادرنا أحادیث أخری عدیدهٔ، یمکن أن تصل إلی مجموعات أخری

ـکالذی رواه فی الکافی:۱/۳۹۷

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن منصور، عن فضل الاعور، عن أبی عبیدهٔ الحذاء قال: کنا زمان أبی جعفر علیه السلام حین قبض نتردد کالغنم لاـ راعی لها، فلقینا سالم بن أبی حفصهٔ فقال لی: یا أبا عبیدهٔ من إمامک؟ فقلت أئمتی آل محمد فقال: هلکت وأهلکت أما سمعت أنا وأنت أبا جعفر علیه السلام یقول: من مات ولیس علیه إمام مات میتهٔ جاهلیهٔ؟ فقلت: بلی لعمری، ولقد کان قبل ذلک بثلاث أو نحوها دخلت علی أبی عبدالله علیه السلام فرزق الله المعرفهٔ فقلت لأبی عبدالله علیه السلام: إن سالماً قال لی کذا وکذا، قال فقال: یا أبا عبیدهٔ أنه لا یموت منا میت حتی یخلف من بعده من یعمل بمثل عمله ویسیر بسیرته ویدعو إلی ما دعا إلیه، یا أبا عبیدهٔ إنه لم یمنع ما أعطی داود أن أعطی سلیمان، ثم قال: یا أبا عبیدهٔ إذا قام قائم آل محمد علیه السلام حکم بحکم داود وسلیمان لا یسأل بینهٔ. انتهی. وروی مثله فی بصائر الدجات/۲۵۹، ونحوه فی/۵۰۹ وص ۵۱۰

والذی رواه فی أعلام الدین/۴۵۹

وسأله أبوبصیر عن قول الله تعالی: وَمَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْرًا کَثِیرًا، ما عنی بذلک؟ فقال: معرفهٔ الإمام واجتناب الکبائر، ومن مات ولیس فی رقبته بیعهٔ لإمام مات میتهٔ جاهلیهٔ، ولا یعذر الناس حتی یعرفوا إمامهم، فمن مات وهو عارف بالإمامهٔ لم یضره تقدم هذا الأمر أو تأخر، فکان کمن هو مع القائم فی فسطاطه. قال: ثم مکث هنیئهٔ ثم قال: لا بل کمن قاتل معه، ثم قال: لا بل والله کمن استشهد مع رسول الله صلی الله علیه وآله. انتهی. ورواه فی بحار الأنوار:۲۷/۱۲۶ - عن أعلام الدین.

تفسیر الحدیث فی مذهب أهل البیت

فی هذا الحدیث الشریف عناصر ومفاهیم عدیدهٔ، نذکر أهمها:

المفهوم الأول: أن النبی صلی الله علیه وآله بلغ الأمهٔ نظام الإمامهٔ من بعده، وأنه الطریق الوحید لضمان عدم الوقوع فی الجاهلیهٔ. وأن الله تعالی جعل الإمام رکناً عملیاً من أرکان الإسلام مثل الصلاهٔ والزکاهٔ والحج، وجعل طاعته فریضهٔ علی کل مسلم.

روی فی الإمامهٔ والتبصرهٔ/۶۳

سعد، عن محمد بن عیسی بن عبید، عن حماد بن عیسی، عن إسماعیل بن جعفر: عن أبی عبدالله علیه السلام قال: جاء رجل إلی أبی عبدالله علیه السلام فسأله عن الأئمهٔ علیهم السلام فسماهم حتی انتهی إلی ابنه، ثم قال: والأمر هکذا یکون، والأرض لا تصلح إلا بإمام، قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من مات لا یعرف إمامه، مات میتهٔ جاهلیهٔ. ثلاث مرات.

المفهوم الثانی: أن الأئمة الذین قصدهم النبی صلی الله علیه وآله هم الأئمة من ذریته غلیهم السلام فقد أخبره الله تعالی أنهم سیکونون فی الأمة فی کل عصر مع القرآن لا یفترقان حتی یردا علیه الحوض، کما ورد فی حدیث الثقلین الذی صح عند الجمیع.

بل روت مصادرنا أن النبی صلی الله علیه وآله قد نص فی هذا الحدیث علی أن الأئمة من ذریته ففی مستدرک الوسائل:۱۸/۱۷۶ قال: أبو الفتح الکراجکی فی کنز الفوائد، عن محمد بن أحمد بن شاذان القمی عن أحمد بن محمد بن عبید الله بن عیاش، عن محمد بن عمر، عن الحسن بن عبد الله بن محمد بن العباس الرازی، عن أبیه، عن علی بن موسی الرضا، عن آبائه، عن أمیر المؤمنین غلیهم السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من مات ولیس له إمام من ولدی مات میتة جاهلیة، یؤخذ بما عمل فی الجاهلیة والإسلام. انتهی. ورواه فی تفسیر نور الثقلین:۱/۵۰۳ وص ۵۴۰ وج ۲/۲۸۲ وج ۳/۱۹۴ وج ۴/۲۴۰ وتفسیر کنز الدقائق: ۲/۵۹۵، وغیرها.

وقد روی جمیع المسلمین شهادات النبی صلی الله علیه وآله فی حق علی والحسن والحسین غلیهم السلام وروی الشیعة شهاداته وشهادات علی والحسنین فی حق بقیة الائمة غلیهم السلام ومن ذلک:

ما رواه البرقی فی المحاسن/۱۵۵: عن ابن فضال، عن ثعلبة بن میمون، عن بشیر العطار، قال: قال أبو عبدالله علیه السلام: یوم ندعو کل أناس بإمامهم، ثم قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وعنی إمامکم، وکم من إمام یجی یوم القیامة یلعن أصحابه ویلعنونه، نحن ذریة محمد صلی الله علیه وآله وأمنا فاطمة علیها السلام وما آتی الله أحداً من المرسلین شیئاً إلا وقد آتاه محمداً صلی الله علیه وآله کما آتی المرسلین من قبله، ثم تلا: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِکَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّیَّةً.

وروی الطبرسی فی أعلام الدین/۴۵۹: عن أبی بصیر عن الإمام الصادق علیه السلام فی قول الله تعالی: وَمَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَةَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْرًا کَثِیرًا، ما عنی بذلک؟ فقال: معرفة الإمام واجتناب الکبائر، ومن مات ولیس فی رقبته بیعة لامام مات میتة جاهلیة، ولا یعذر الناس حتی یعرفوا إمامهم.

المفهوم الثالث: أن هذا الحدیث الثابت المتواتر، یؤید نفی أهل البیت وشیعتهم للروایات القائلة بأن النبی صلی الله علیه وآله لم یوص بشئ فی أمر الخلافة، لأنه یدل علی أنه صلی الله علیه وآله قد أرسی نظام الإمامة وعین أشخاصه من ذریته، کما أمره الله تعالی، وهو فی هذا الحدیث یوجه الأمة إلی ضرورة معرفة الإمام فی کل عصر، فإن تعبیر (لا یعرف إمام زمانه) یدل علی أن مشکلة وجود الإمام فی کل زمان محلولة فی الإسلام بتکفل الله تعالی ببقاء ذریة نبیه إلی یوم القیامة واختیاره إماماً منهم فی کل عصر، وإنما هی مشکلة المسلمین فی أن یعرفوا إمام زمانهم ویبایعوه!

والمتأمل فی الحدیث الشریف یری أن اختیار الله تعالی محمداً صلی الله علیه وآله للنبوة واختیار آله من بعده للامامة، منسجم مع سنة الله تعالی فی الأنبیاء السابقین وذریاتهم، وبالتالی فالحدیث بعید کل البعد عن عالم اختیار الناس لانفسهم بعد النبی صلی الله علیه وآل وبعیدٌ عن منطق تقسیم الأمر بین بنی هاشم الذین کانت لهم النبوة، وبین قبائل قریش الذین ینبغی أن تکون لهم الخلافة مناوبةً أو مغالبةً کما قالوا.... إلی آخر المنطق القرشئ القبلی الذی ظهر فی مرض النبی ویوم وفاته، وانتصر فی السقیفة فی فترة انشغال أهل البیت بجنازة النبی صلی الله علیه وآله! وسیطر علی الحکم فی تاریخنا الإسلامی إلی أن انتهی علی ید العثمانیین بأسوأ نهایة!

المفهوم الرابع: أن المسلم فی کل عصر لا یتم إسلامه حتی یبایع الإمام من ذریة النبی صلی الله علیه وآله بأن یعتقد به ویعترف بما له من حق الطاعة بأمر الله تعالی وأمر رسوله صلی الله علیه وآله. فالذی لا یعرف الإمام یکون فیه نوع من الجهل والجاهلیة، وإن مات علی ذلک مات علی نوع من الجاهلیة.

المفهوم الخامس: أن أهل بیت النبی صلی الله علیه وعلیهم هم امتحان الأمة بعد نبیها، فهم میزان الإسلام والجاهلیة، وهم میزان الإیمان والنفاق، وهم میزان الوفاء للنبی صلی الله علیه وآله وإطاعته بعد رحیله أو عصیانه. وقد وردت أحادیث کثیرة فی مصادر الطرفین تنص علی هذه المفاهیم الإسلامیة وتؤکدها وتؤیدها.

من ذلک ما روته مصادر الطرفین وصححه علماء الحدیث، من أن بغض علی علیه السلام علامة علی النفاق وعدم الإیمان بالنبی صلی

الله علیه وآله.

فقد روی أحمد فی مسنده:۱/۹۵ وص ۱۲۸ وص ۲۹۲ عن زر بن حبیش عن علی (رض) قال: عهد إلیَّ النبی(ص)أنه لا ـ یحبک إلا مؤمن ولا یبغضک إلا منافق. ورواه الترمذی فی سننه:۵/۳۰۶، وقال الترمذی فی سننه:۵/۲۹۸:

حدثنا قتیبة أخبرنا جعفر بن سلیمان، عن أبی هارون العبدی، عن أبی سعید الخدری قال: إن کنا لنعرف المنافقین نحن معشر الأنصار ببغضهم علی بن أبی طالب. هذا حدیث غریب. وقد تکلم شعبة فی أبی هارون العبدی، وقد روی هذا عن الأعمش عن أبی صالح عن سعید.

وقال الهیثمی فی مجمع الزوائد:۹/۱۳۲

وعن جابر بن عبدالله قال: والله ما کنا نعرف منافقینا علی عهد رسول الله(ص)إلا ببغضهم علیاً. رواه الطبرانی فی الأوسط والبزار بنحوه، إلا أنه قال ما کنا نعرف منافقینا معشر الأنصار، بأسانید کلها ضعیفة (....).

وعن ابن عباس قال: نظر رسول الله(ص)إلی علی فقال: لا ـ یحبک إلا ـ مؤمن ولا ـ یبغضک إلا ـ منافق، من أحبک فقد أحبنی ومن أبغضک فقد أبغضنی، وحبیبی حبیب الله وبغیضی بغیض الله، ویل لمن أبغضک بعدی. رواه الطبرانی فی الأوسط ورجاله ثقات إلا أن فی ترجمة أبی الأزهر أحمد بن الأزهر النیسابوری أن معمراً کان له ابن أخ رافضی فأدخل هذا الحدیث فی کتبه، وکان معمر مهیباً لا یراجع وسمعه عبدالرزاق. وعن عمران بن الحصین أن رسول الله(ص) قال لعلی: لا ـ یحبک إلا ـ مؤمن ولا ـ یبغضک إلا منافق. رواه الطبرانی فی الأوسط، وفیه محمد بن کثیر الکوفی حرق أحمد حدیثه وضعفه الجمهور ووثقه ابن معین، وعثمان بن هشام لم أعرفه، وبقیة رجاله ثقات (...).

وروی فی کنز العمال:۱۳/۱۰۶

عن أبی ذر قال: ما کنا نعرف المنافقین علی عهد رسول الله(ص)إلا بثلاث: بتکذیبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلاة وببغضهم علی بن أبی طالب. خط، فی المتفق.

وروی الحاکم فی المستدرک:۳/۱۲۸

... عن ابن عباس رضی الله عنهما قال نظر النبی صلی الله علیه وآله إلی علی فقال: یا علی أنت سید فی الدنیا، سید فی الآخرة، حبیبک حبیبی وحبیبی حبیب الله، وعدوک عدوی وعدوی عدو الله، والویل لمن أبغضک بعدی. صحیح علی شرط الشیخین، وأبو الأزهر بإجماعهم ثقة، وإذا تفرد الثقة بحدیث فهو علی أصلهم صحیح.

وروی الحاکم فی:۳/۱۳۵

... سمعت عمار بن یاسر (رض) یقول سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول لعلی: یا علی طوبی لمن أحبک وصدق فیک، وویل لمن أبغضک وکذب فیک. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه.

وروی الحاکم فی:۳/۱۴۲، أن النبی صلی الله علیه وآله قد أخبر علیاً بأن الأمة ستغدر به من بعده! فقال: عن حیان الأسدی سمعت علیاً یقول قال لی رسول الله صلی الله علیه وآله: إن الأمة ستغدر بک بعدی، وأنت تعیش علی ملتی وتقتل علی سنتی. من أحبک أحبنی ومن أبغضک أبغضنی، وإن هذه ستخضب من هذا یعنی لحیته من رأسه. صحیح. انتهی.

بل روی الشیعة والسنة إخبار النبی صلی الله علیه وآله بأن مبغض علی علیه السلام (یموت میتة جاهلیة) فقد روی الصدوق فی علل الشرائع:۱/۱۵۷:

حدثنی الحسین بن یحیی بن ضریس، عن معاویة بن صالح بن ضریس البجلی قال: حدثنا أبوعوانة قال: حدثنا محمد بن یزید وهشام الزراعی قال: حدثنی عبدالله بن میمون الطهوی قال: حدثنا لیث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال بینا أنا مع النبی صلی الله علیه وآله فی نخیل المدینة وهو یطلب علیاً علیه السلام إذا انتهی إلی حایط فاطلع فیه فنظر إلی علی وهو یعمل فی الأرض وقد اغْبَارَّ، فقال: ما ألوم

الناس أن یکنوک أبا تراب، فلقد رأیت علیاً تمعر وجهه وتغیر لونه واشتد ذلک علیه، فقال النبی صلی الله علیه وآله ألا أرضیک یا علی؟ قال: نعم یا رسول الله، فأخذ بیده فقال: أنت أخی ووزیری وخلیفتی فی أهلی تقضی دینی وتبری ذمتی، من أحبک فی حیاة منی فقد قضی له بالجنة، ومن أحبک فی حیاة منک بعدی ختم الله له بالامن والإیمان، ومن أحبک بعدک ولم یرک ختم الله له بالامن والإیمان وآمنه یوم الفزع الأکبر، ومن مات وهو یبغضک یا علی مات میتة جاهلیة یحاسبه الله عز وجل بما عمل فی الإسلام.وروی نحوه فی ص۱۴۴، وروی نحوه المغربی فی شرح الأخبار: ۱/۱۱۳، وقال فی/۱۵۷: وبآخر عن علی صلوات الله علیه، أنه قال: قال لی رسول الله صلی الله علیه وآله: إن الله أمرنی أن أدنیک فلا أقصیک، وأن أعلمک فلا أجفوک، وحق علی أطیع ربی عز وجل، وحق علیک أن تعی. یا علی من مات وهو یحبک کتب الله له بالأمن والأمان ما طلعت شمس وما غربت، ومن مات وهو یبغضک مات میتة الجاهلیة وحوسب بعمله فی الإسلام. انتهی. وروی فی: ۲/۴۷۷: یا علی إنه من أبغضک فی حیاتی وبعد موتی مات میتة جاهلیة، وحوسب بعمله فی الإسلام. یا علی أنت معی فی الجنة. انتهی. وروی نحوه فی مستدرک الوسائل: ۱۸/۱۸۱ وص ۱۸۷ وص ۱۸۲ وفیه (من مات لا یعرف إمام دهره..)

وروی محمد بن سلیمان فی مناقب أمیر المؤمنین:۱/۳۲۰، وروی نحوه فی:۲/۴۸۶ فقال: محمد بن منصور عن أبی هشام الرفاعی محمد بن یزید، عن عبدالله بن میمون الطهوی، عن لیث عن مجاهد: عن ابن عمر قال: بینا أنا مع رسول الله صلی الله علیه وآله فی نخل بالمدینة وهو یطلب علیاً إذ انتهی إلی حائط فاطلع فیه فنظر إلی علی وهو یعمل فی الأرض وقد أغبار فقال له: ما ألوم الناس أن یکنوک بأبی تراب. قال ابن عمر: فلقد رأیت علیاً تمعر وجهه وتغیر لونه واشتد ذلک علیه فقال له النبی صلی الله علیه وآله: ألا أرضیک یا علی؟ قال: بلی یا رسول الله، قال: أنت أخی ووزیری وخلیفتی فی أهلی، تقضی دینی وتبری ذمتی. من أحبک فی حیاة منی فقد قضی نحبه، ومن أحبک فی حیاة منک بعدی فقد ختم الله له بالامن والإیمان، ومن أحبک بعدک ولم یرک ختم الله له بالامن والإیمان وآمنه یوم الفزع الأکبر. ومن مات وهو یبغضک یا علی مات میتة جاهلیة یهودیاً أو نصرانیاً، ویحاسبه الله بما عمل فی الإسلام. ثم قال ابن عمر: لقد سماه الله فی أکثر من ثلاثین آیة سماه فیها کلها مؤمناً.

وقال فی هامشه: هذا الحدیث - أو قریب منه سند ومتناً - رواه الحافظ الطبرانی فی الحدیث: ۱۰۰ أو ما حوله من مسند عبدالله بن عمر من کتاب المعجم الکبیر:۳ من المخطوطة الورق ۲۰/ب.

ورواه الهیثمی فی مجمع الزوائد:۹/۱۲۱، وتوقف فی صحته، قال: رواه الطبرانی وفیه من لم أعرفه. وقال عن روایة أخری له: رواه أبو یعلی وفیه زکریا الأصبهانی وهو ضعیف. وقال عن روایة ثالثة له فی:۹/۱۱۱: رواه الطبرانی فی الکبیر والأوسط وفیه حامد بن آدم المروزی وهو کذاب. وقال عن روایة رابعة له: رواه الطبرانی فی الأوسط وفیه أشعث ابن عم الحسن بن صالح وهو ضعیف ولم أعرفه. انتهی. وقد رأیت تضعیفه للأحادیث المتقدمة التی صححها الحاکم علی شرط الشیخین وعلی شرطه!

ولکن الهندی رواه ووثقه، قال فی کنز العمال:۱۱/۶۱۰ و:۱۳/۱۵۹:

عن علی قال: طلبنی رسول الله(ص)فوجدنی فی جدول نائماً فقال: قم ما ألوم الناس یسمونک أبا تراب، قال فرآنی کأنی وجدت فی نفسی من ذلک: قم والله لأرضینک! أنت أخی وأبو ولدی، تقاتل عن سنتی وتبری ذمتی، من مات فی عهدی فهو کنز الله، ومن مات فی عهدک فقد قضی نحبه، ومن مات بحبک بعد موتک ختم الله له بالأمن والإیمان ما طلعت شمس أو غربت، ومن مات یبغضک مات میتة جاهلیة وحوسب بما عمل فی الإسلام.ع، قال البوصیری: رواته ثقات. انتهی.

المفهوم السادس: أن معنی (مات میتة جاهلیة) یتفاوت حسب حالة الشخص فقد روی فی الکافی:۱/۳۷۷... عن الحارث بن المغیرة قال: قلت لأبی عبدالله علیه السلام: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من مات لا یعرف إمامه مات میتة جاهلیة؟ قال: نعم، قلت جاهلیة جهلاء أو جاهلیة لا یعرف إمامه؟ قال جاهلیة کفر ونفاق وضلال. ونحوه فی المحاسن/۱۵۵ ونحوه فی الإمامة والتبصرة ۸۲ عن الإمام الباقر علیه السلام وفی روایة منها (مات میتة جاهلیة کفر وشرک وضلال).

وروى الصدوق فى كمال الدين:۲/۴۱۳: عن سليم بن قيس الهلالى... عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية... وإن سلمان قال: يا رسول الله إنك قلت من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية، من هذا الإمام؟ قال: من أوصيائى يا سلمان، فمن مات من أمتى وليس له إمام منهم يعرفه فهى ميتة جاهلية، فإن جهله وعاداه فهو مشرك، وإن جهله ولم يعاده ولم يوال له عدواً فهو جاهل وليس بمشرك. انتهى. ونحوه فى/۶۶۸.

وهذا الحكم النبوى غير عجيب، وإن بدا شديداً، لأن الجميع رووا عنه صلى الله عليه وآله من أبغض أهل البيت عليهم السلام أو نصب لهم العداوة فهو كافر. ولا يتسع المجال لاستعراض حكم الناصبى والنواصب فى مصادر فقه الطرفين. ولذلك فإن قوله صلى الله عليه وآله: مات ميتة جاهلية، وقوله فى هذا الحديث: فإن جهله وعاداه فهو مشرك، منسجم مع آية المودة فى القربى، وما رواه الجميع فى تفسيرها. أما إذا كان موقف المسلم الجهل بأهل البيت عليهم السلام بدون موقف عدائى منهم.. فلا يكون ناصبياً. وفى الحديث الذى وثقه البوصيرى دلالة مهمة على أن محب على عليه السلام يموت على الإسلام ولا يحاسب بما عمل فى الإسلام، وأن مبغضه يموت على جاهلية ويحاسب بما عمل فى الجاهلية وفى الإسلام!! فيكون على عليه السلام ميزاناً لجميع الأمة مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

تفسير الشيعة الزيدية للحديث

مسند زيد بن على/۳۶۱

حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على (ع م) قال: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية إذا كان الإمام عدلاً براً تقياً.

الأحكام فى الحلال والحرام:۲/۴۶۶

تقريب القول فيما روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية.

قال يحيى بن الحسين صلوات الله عليه: إذا كان فى عصر هذا الإنسان إمام قائم زكى، تقى، علم، نقى، فلم يعرفه ولم ينصره وتركه وخذله ومات على ذلك مات ميتة جاهلية، فإذا لم يكن إمام ظاهر معروف باسمه مفهوم بقيامه، فالإمام الرسول والقرآن وأمير المؤمنين، وممن كان على سيرته وفى صفته من ولده.

فتجب معرفة ما ذكرنا على جميع الانام إذا لم يعلم فى الأرض فى ذلك العصر إمام، ويجب عليهم أن يعلموا أن هذا الأمر فى ولد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاصاً دون غيرهم، وأنه لا يعدم فى كل عصر حجة لله يظهر منهم إمام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإذا علم كلما ذكرنا وكان الأمر عنده على ما شرحنا ثم مات فقد نجا من الميتة الجاهلية ومات على الميتة الملية، ومن جهل ذلك ولم يقل به ولم يعتقده فقد خرج من الميتة الملية ومات على الميتة الجاهلية. هذا تفسير الحديث ومعناه.

الفرق بين صيغ الحديث فى مصادرنا و مصادر إخواننا

روت مصادر إخواننا السنة هذا الحديث بشكل واسع وصيغ متعددة، وفى بعضها لفظة: إمام كما فى مصادرنا، وفى أكثر صيغه حلت محلها لفظة: أمير. وقد خلت صيغه عندهم تقريباً من مادة معرفة الإمام وحلت محلها بيعة الإمام أو الأمير.

ونلاحظ وجود عناصر جديدة فى رواياتهم، منها أن يكون ذلك الإمام إمام جماعة، والمقصود به الذى يستطيع أن يسيطر على أكثرية الناس فى منطقته، مهما كان أسلوبه فى السيطرة، فهو فى مصطلح إخواننا إمام جماعة، ومن يعارضه إمام فرقة.

ومنها، حرمة نكث بيعته والخروج عليه.

ومنها، أنه لا يشترط فيه أى شروط إلا أن يكون من قبائل قريش، ويسيطر على أكثرية الناس فى بلده، أو أكثرية الأمة..

ومنها، أنه لا يجوز لغير قريش أن تتصدى لحكم المسلمين أو تطمع فيه، كما أن الصراع القبلى بين قبائل قريش على الخلافة حرام... إلى آخر الإضافات التى تعكس الخلاف الدموى على الخلافة ومحاولة فرقائه بإسناد مواقفهم بتطوير هذا الحديث وغيره! كما روت

مصادر إخواننا تطبيقات الصحابة والتابعين لهذا الحديث، خاصة عبدالله بن عمر، وأبى سعيد الخدرى.

والسبب فى سعة روايته عندهم أن أصل الحديث كان مشهوراً، وكانت السلطة تحتاج إليه - بشرط تحريفه ومصادرته-ليكون شعاراً لإثبات شرعيتها ثم لتحريم الخروج عليها، ولذلك كثر توظيفه لمصلحة الحاكم حتى لو كان فى أول أمره خارجاً على الشرعية وتسلط على المسلمين بالقهر والغلبة، فقد استشهد بهذا الحديث معاوية بن أبى سفيان، قال الهيثمى فى مجمع الزوائد:۵/۲۱۸: عن معاوية قال: قال رسول الله (ص): من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. وفى رواية من مات وليس من عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. انتهى.

ولكن مهما كانت الفروقات فى صيغ الحديث، ففيه عنصران ثابتان عند الطرفين، وهما أن النبى صلى الله عليه وآله تحدث عن نظام الحكم من بعده. وأنه تحدث عن الإمام ونظام الإمامة ولم يتحدث عن نظام الخلافة.

وهذه الحقيقة رأس خيط فى الإعتقاد بأن الله تعالى قد اختار نوع نظام الحكم للامة بعد نبيها صلى الله عليه وآله ووضع له آلية، وأن هذا الحديث إحدى مفردات هذه الآلية التى وصلت إلينا باتفاق جميع الأطراف!

ومن السهل أن نتعقل معنى الحديث أو صيغة الحكم الإسلامى على مذهب أهل البيت عليهم السلام وأن الله تعالى اختار ذرية نبيه للامامة من بعده، وضَمِن بقدرته استمرار وجود إمام منهم فى كل عصر، وكلف الأمة بمعرفته وبيعته، وجعل خاتمهم الإمام المهدى الموعود عليه السلام الذى يظهر سبحانه على يده دينه على الدين كله، ويملا به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، على حد تعبير جده المصطفى صلى الله عليه وآله.

وأما على مذهب إخواننا السنة فمن المشكل أن يتعقل الإنسان أن مشروع الله تعالى لخاتم الأديان هو نظام الخلافة الذى بدأ يوم وفاة النبى صلى الله عليه وآله فى السقيفة، وامتد فى تاريخ الأمة صراعات متصلة على الخلافة وأمواجاً من الإنقسامات والدماء، حتى انتهى بسقوط الخلافة العثمانية، واستسلام الأمة استسلاماً ذليلاً لأعدائها الغربيين!!

روايات إخواننا التى وردت فيها لفظة إمام

روى أحمد فى مسنده:۴/۹۶

عن عاصم عن أبى صالح، عن معاوية، قال قال رسول الله (ص): من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية.

وروى الطيالسى فى مسنده/۱۲۵۹

حدثنا أبوداود قال: حدثنا خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، ومن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له.

وروى ابن حبان فى صحيحه:۷/۴۹

عن معاوية، قال: قال رسول الله (ص): من مات وليس له مات ميتة جاهلية. وقال ابن حبان: قوله (ص): مات ميتة الجاهلية معناه: من مات ولم يعتقد أن له إماماً يدعو الناس إلى طاعة الله حتى يكون قوام الإسلام به عند الحوادث والنوازل، مقتنعاً فى الإنقياد على من ليس نعته ما وصفنا، مات ميتة جاهلية.

وروى الطبرانى فى معجمه الكبير:۱۰/۳۵۰

حدثنا الحسن بن جرير الصورى، ثنا أبو الجماهر، ثنا خليد بن دعلج، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): من فارق جماعة المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ومن مات ليس عليه إمام فميتته جاهلية، ومن مات تحت راية عمية يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتلته جاهلية.

وروى الحاكم فى المستدرک:۱/۱۱۷

.. من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه. وقال: من مات وليس عليه إمام جماعة فإن موتته موتة

جاهلية.

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد:۵/۲۱۸-۲۱۹

عن معاوية قال: قال رسول الله(ص)من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. وفي رواية من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. رواه الطبراني وإسنادهما ضعيف. انتهى. ولكنه مال إلى تصحيحه في:۵/۲۲۵

وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله (ص): ألا ـ إن الجنة لا ـ تحل لعاص، ومن لقي الله ناكثاً بيعته لقيه وهو أجذم، ومن خرج من الجماعة قيد شبر متعمداً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ومن مات ليس لإمام جماعة عليه طاعة مات ميتة جاهلية. رواه الطبراني وفيه عمرو بن واقد وهو متروك.

وعن أبي الدرداء قال قام فينا رسول الله(ص)فقال: ألا ـ إن الجنة لا ـ تحل لعاص، من لقي الله وهو ناكث بيعته يوم القيامة لقيه وهو أجذم، ومن خرج من الطاعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ومن أصبح ليس لأمير جماعة عليه طاعة بعثه الله يوم القيامة من ميتة جاهلية، ولو أعذر عبد أسنه الناس يوم القيامة. رواه الطبراني وعمر بن رويبة وهو متروك.

وروى النووي في المجموع:۱۹/۱۹۰

حديث مسلم الآتي وقال: وأخرجه عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر بمعنى حديث نافع، وأخرجه الحاكم عن ابن عمر بلفظ: من خرج من الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه، ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن ميتته ميتة جاهلية. وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فميتته جاهلية. انتهى. ورواه البيهقي في سننه: ۸/۱۵۶.

وروى في كنز العمال:۱/۱۰۳: من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية. حم، طب، عن معاوية.

وروى في كنز العمال:۱/۲۰۷-۲۰۸

من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه حتى يراجعه. ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن موتته موتة جاهلية. ك، عن ابن عمر.

من فارق المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، ومن مات ليس عليه إمام فميتته ميتة الجاهلية، ومن مات تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية. طب.

من فارق جماعة المسلمين شبراً أخرج من عنقه ربقة الإسلام، والمخالفين بألويتهم يتناولونها يوم القيامة من وراء ظهورهم، ومن مات من غير إمام جماعة مات ميتة جاهلية. ك، عن ابن عمر.

وفي كنز العمال أيضاً:۶/۶۵

من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، ومن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له. ط، حل، عن ابن عمر.

رواياتهم التي فيها لفظ طاعة

روى ابن أبي شيبة في مصنفه:۱۵/۳۸

حدثنا علي بن حفص، عن شريك، عن عاصم، عن عبدالله بن عامر، عن أبيه قال: قال رسول الله (ص): من مات ولا طاعة عليه مات ميتة جاهلية، ومن خلعها بعد عقده إياها فلا حجة له.

وروى أحمد في مسنده:۳/۴۴۶

عن عبدالله بن عامر، يعني ابن ربيعة عن أبيه قال: قال رسول الله (ص): من مات وليست عليه طاعة مات ميتة جاهلية، فإن خلعها من بعد عقدها في عنقه لقي الله تبارك وتعالى وليست له حجة. وقال قال الحسن: بعد عقده إياها في عنقه.

وروى البخاري في تاريخه:۶/۴۴۵، أوله، كما في ابن أبي شيبة.

ورواه الهیثمی فی مجمع الزوائد:۵/۲۲۳ وقال: رواه أحمد، وأبو یعلی، والبزار، والطبرانی. وروی نحوه فی:۲/۲۵۲.. وغیرهم... وغیرهم.

روایاتهم التی توجب طاعة الحاکم الجائر

وهی کثیرة جداً فی مصادر إخواننا، وقد وصل فیها التحذیر إلی حد اعتبار الثائر علی الحاکم الجائر خارجاً عن الإسلام، باغیاً، واجب القتل، مهدور الدم، یموت موتة جاهلیة وأنه کافر مخلد فی النار، لکنه إذا انتصر صار حاکماً شرعیاً واجب الطاعة، وصار الخارج علیه ملعوناً کما کان هو ملعوناً قبل ساعة.. وهکذا تصنع السیاسة ومخالفة الرسول!!

روی مسلم فی صحیحه:۶/۲۱

عن أبی هریرة عن النبی(ص)أنه قال: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات میتة جاهلیة.

وروی مسلم فی:۶/۲۲

عن الحسن بن الربیع، عن حماد قال: من رأی من أمیره شیئاً یکرهه فلیصبر علیه، فإنه لیس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات علیه إلا مات میتة جاهلیة... انتهی. وروی نحوه ابن ماجة:۲/۱۳۰۲

وروی الحاکم فی المستدرک:۱/۱۱۸

عن أبی هریرة أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: من فارق الجماعة فمات، مات موتة جاهلیة. انتهی. وروی نحوه أحمد فی مسنده:۲/۹۳ وص ۱۲۳ وص ۱۵۴ وص ۲۹۶ وص ۳۰۶ وص ۴۸۸ وج ۳/۴۴۵ و۴۴۶

وروی الهیثمی فی مجمع الزوائد:۵/۲۱۸

وعن أبی هریرة أن رسول الله(ص)قال: سیلیکم بعدی ولاة، فیلیکم البر ببره والفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم. انتهی. والنسائی:۷/۱۲۳، والدارمی:۲/۲۴۱، والبیهقی فی سننه:۸/۱۵۷، والهیثمی فی مجمع الزوائد:۱/۳۲۴ وج ۶/۲۸۶، وکنز العمال:۳/۵۰۹ وج ۶/۵۲، وابن حزم فی المحلی:۹/۳۵۹..، وغیرهم..، وغیرهم..

مدرسة البخاری فی تفسیر هذا الحدیث

لعل أکثر هذا الروایات صراحة فی التأکید علی حرمة الخروج علی الحاکم، تلک التی تحذر المسلمین من موتة الجاهلیة إذا هم لم یطیعوه ویتحملوا منه مهما کانت أعماله مکروهة، وقد اقتصر البخاری فی صحیحه علی هذه الروایات فلم یرو شیئاً فی التحذیر من میتة الجاهلیة غیرها! ولان إطاعة الحاکم عنده ولو کان جائراً هی الضمان الوحید لعدم رجوع المسلم إلی الجاهلیة، قال فی صحیحه: ۸/۸۷: ... عن أبی رجاء عن ابن عباس عن النبی صلی الله وسلم قال: من کره من أمیره شیئاً فلیصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات میتة جاهلیة. ورواه أیضاً فی نفس الصفحة بعدة روایات. ورواه أیضاً فی: ۸/۱۰۵ ورواه مسلم فی صحیحه: ۶/۲۱، والبیهقی فی سننه:۸/۱۵۶ – ۱۵۷ وج ۱۰/۲۳۴، وأحمد فی مسنده:۱/۲۹۷ وص ۳۱۰، ونحوه فی:۲/۷۰ وص۹۳ وص۱۲۳ وص ۴۴۵ وفی:۳/۴۴۶.

وروی الهیثمی فی مجمع الزوائد:۵/۲۱۹ اعلاناً من الله ورسوله ببراءة ذمة المسلمین عند الله تعالی فی طاعتهم لحکام الجور، قال: عن المقدام بن معدی کرب أن رسول الله(ص)قال: أطیعوا أمراءکم مهما کان، فإن أمروکم بشیء مما جئتکم به فإنهم یؤجرون علیه وتؤجرون بطاعتهم، وأن أمروکم بشیء مما لم آتکم به فإنه علیهم وأنتم منه براء، ذلکم بأنکم إذا لقیتم الله قلتم ربنا لا ظلم فیقول لا ظلم، فتقولون ربنا أرسلت إلینا رسلاً فأطعناهم بإذنک واستخلفت علینا خلفاء فأطعناهم بإذنک، وأمرت علینا أمراء فأطعناهم بإذنک، فیقول صدقهم هو علیهم وأنتم منه براء. رواه الطبرانی وفیه إسحق بن إبراهیم بن زبریق وثقه أبو حاتم وضعفه النسائی، وبقیة رجاله ثقات. انتهی.

والفریة الکبری فی هذا الحدیث أن الحاکم الجائر قد استخلفه الله تعالی علی عباده وأمرهم بطاعته مهما عصی الله تعالی (واستخلفت

علینا خلفاء فأطعناهم بإذنک) بل ادعی واضع الحدیث أن ذلک یشمل عمال الحاکم وموظفیه أیضاً (وأمرت علینا أمراء فأطعناهم بإذنک)!

ومن العجیب أن مخالفی أهل البیت غلیهم السلام یستکثرون أن یکون الله عزوجل اختار لهذه الأمة اثنی عشر إماماً بعد نبیها من ذریته، وقد صحت روایاته عند الطرفین، ولا یستکثرون مافی مصادرهم وعقائدهم من الإفتراء علی الله تعالی بأنه اختار کل الحکام والطغاة والمفسدین فی الأرض بل والکفار المستعمرین أئمة وحکاماً وأمر المسلمین بطاعتهم!!

عبدالله بن عمر یطبق تفسیر إخواننا للحدیث

من أبرز من روی عنه حدیث المیتة الجاهلیة عبدالله بن عمر، وقد اقترنت روایته بقصة عبد الله مع الحدیث وتطبیقاته له فی حیاته التی امتدت إلی زمن الحجاج الثقفی وخلافة عبد الملک بن مروان، وقد ذکرت مصادر الحدیث والتاریخ والفقه أن عبدالله بن عمر کان یعارض کل تحرک ضد الحاکم مهما فسق وطغی بحجة هذا الحدیث، لأن المهم برأیه أن یکون فی عنق المسلم بیعة لأحد، أی أحد، وأن لا ینام علی فراشه لیلة إلا والبیعة فی عنقه، حتی لا یموت موتة جاهلیة!!

روی مسلم صحیحه:۶/۲۲

عن زید بن محمد عن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر إلی عبدالله بن مطیع حین کان من أمر الحرة ما کان زمن یزید بن معاویة فقال: إطرحوا لأبی عبدالرحمن وسادة، فقال: إنی لم آتک لأجلس، أتیتک لأحدثک حدیثاً سمعت رسول الله (ص)یقوله، سمعت رسول الله(ص)یقول: من خلع یداً من طاعة لقی الله یوم القیامة لا حجة له، ومن مات ولیس فی عنقه بیعة مات میتة جاهلیة.

وروی ابن سعد فی الطبقات:۵/۱۴۴

عن أمیة بن محمد بن عبدالله بن مطیع، أن عبدالله بن مطیع أراد أن یفر من المدینة لیالی فتنة یزید بن معاویة، فسمع بذلک عبدالله بن عمر فخرج إلیه حتی جاءه قال: أین ترید یابن عم؟ فقال: لا أعطیهم طاعة أبداً، فقال: یابن عم، لا تفعل فإنی أشهد أنی سمعت رسول الله(ص)یقول: من مات ولا بیعة علیه مات میتة جاهلیة. انتهی. وروی نحوه أحمد فی مسنده:۳/۱۴۷۸ – ۱۴۷۹: عن عبد الله بن عمر. وروی نحوه الحاکم فی المستدرک:۱/۷۷ وقال: هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین. وقد حدث به الحجاج بن محمد أیضاً عن اللیث ولم یخرجاه. ورواه الطبرانی الأوسط:۱/۱۷۵ – کما فی ابن سعد..ورواه غیرهم..

وعبد الله بن مطیع الذی ذهب إلیه عبدالله بن عمر لینصحه بالتسلیم هو الذی اختاره أهل المدینة أمیراً علیهم عندما ثاروا علی ظلم بنی أمیة وطردوهم من المدینة، فأرسل یزید جیشاً من الشام لغزو مدینة الرسول صلی الله علیه وآله وجرت بین أهلها بقیادة ابن مطیع وبین جیش یزید معرکة الحرة المشهورة التی استشهد فیها مئات ممن بقی من الأنصار والمهاجرین، واستباح علی أثرها جیش یزید المدینة، وعاث فیها فساداً وتعدیاً علی الحرمات والأعراض، وأخذوا البیعة من أهلها وختموهم فی أعناقهم علی أنهم عبید أقنان لیزید!

قال الذهبی فی تاریخ الإسلام:۶/۳۱۴: وعن إسحاق بن یزید قال: رأیت أنساً (رض) مختوماً فی عنقه، ختمه الحجاج، أراد أن یذله بذلک... وقال عمر بن عبد العزیز: لو تخابثت الأمم وجئنا بالحجاج لغلبناهم... وقال عاصم بن أبی النجود: ما بقیت لله حرمة إلا وقد انتهکها الحجاج! انتهی.

ولا بد أن یکون هذا الختم فی زمن الحجاج ختماً آخر ختمه بنو أمیة فی أعناق أهل المدینة!!

وقال الذهبی فی:۵/۲۷۴

جمع ابن عمر بنیه وأهله، وقال: أما بعد فإنا قد بایعنا هذا الرجل علی بیع الله ورسوله وإنی سمعت رسول الله(ص)یقول: إن الغادر ینصب له لواء یوم القیامة یقال هذه غدرة فلان... فلا یخلعن منکم أحد یزید.

وقال الشاطبی فی الاعتصام ۲/۱۲۸ – ۲۹

عن نافع قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع إبن عمر حشده وولده وقال: إني سمعت رسول الله يقول: لينصب لكل غادر لواء يوم القيامة. وإنا قد بايعنا هذا الرجل وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا تابع في هذا الأمر، إلا كانت الفيصل بيني وبينه.

قال ابن العربي: وقد قال ابن الخياط إن بيعة عبد الله ليزيد كانت كرهاً، وأين يزيد من ابن عمر؟ ولكن رأى بدينه وعلمه التسليم لامر الله والفرار عن التعرض لفتنة فيها من ذهاب الأموال والأنفس ما لا يخفى.

وقال النووي في شرح مسلم:۶/۲۲

... ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميته جاهلية... في هذا دليل على مذهب عبد الله بن عمر كمذهب الأكثرين في منع القيام على الإمام وخلعه إذا حدث فسقه.

وقال الشاطبي في الاعتصام:۲/۱۲۸

قيل ليحيى بن يحيى: البيعة مكروهة؟ قال لا، قيل له: فإن كانوا أئمة جور؟ فقال: قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان، وبالسيف أخذ الملك!

وقال ابن حزم في المحلى:۱/۴۵–۴۶

مسألة... ومن بات ليلة وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية... عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله (ص): من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية.

وقال ابن باز في فتاويه:۴/۳۰۳

في صحيح البخاري: أن عبد الله بن عمر كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقاً ظالماً. انتهى.

– ولكن النووي ادعى أن بيعة إبن عمر لعبد الملك كانت أيضاً خوفاً وتقية من بني أمية، قال في شرح مسلم ۸ جزء ۱۶/۹۸:

... قوله رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا حبيب. فيه استحباب السلام على الميت في قبره وغيره وتكرير السلام ثلاثاً. وفيه منقبة لابن عمر لقوله الحق في الملأ وعدم اكتراثه بالحجاج، لأنه يعلم أنه يبلغه مقامه عليه وقوله وثناؤه عليه، فلم يمنعه ذلك أن يقول الحق ويشهد لابن الزبير بما يعلمه فيه من الخير وبطلان ما أشاع عنه الحجاج من قوله إنه عدو الله وظالم.. ومذهب أهل الحق أن ابن الزبير كان مظلوماً وأن الحجاج ورفقته كانوا خوارج عليه.

وامتنع عبدالله بن عمر عن بيعة علي، ثم ندم

قال المسعودي في مروج الذهب:۲/۳۶۱

وقعد عن بيعة على جماعة عثمانية لم يروا إلا الخروج عن الأمر، منهم سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وبايع (عبد الله بن عمر) يزيد بعد ذلك، والحجاج لعبد الملك بن مروان.

وقال ابن الاثير في أسد الغابة:۲/۲۲۹–۲۲۸

ولم يقاتل في شئ من الفتن ولم يشهد مع علي شيئاً من حروبه حين أشكلت عليه، ثم كان بعد ذلك يندم على ترك القتال معه. أخبرنا القاضي أبوغانم محمد بن هبة الله ابن محمد بن أبي جرادة... حدثنا عبدالله بن حبيب أخبرني أبي قال قال ابن عمر حين حضره الموت: ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية، أخرجه أبو عمر، وزاد فيه مع علي.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب:۱/–۷۷

وصح عن عبدالله بن عمر من وجوه أنه قال: ما آسى على شئ كما آسى أني لم أقاتل الفئه الباغية مع علي (رض). ونحوه في:۳/۹۵۳

وورووا أن نـدمه على عـدم إطاعـة على كان شديـداً إلى حـد أنه كاد أن يثور فى وجه معاويـة. فقد روى البخارى فى صـحيحه:٣ جزء ٥/٤٨: قال خطب معاوية فقال: من كان يريد أن يتكلم فى هذا الأمر فليطلع لنا قرنه، فلنحن أحق به منه ومن أبيه! قال حبيب بن مسـلمة: فهلا۔ أجبته؟ قـال عبـد الله: هممت أن أقول: أحق بهـذا الأـمر منـک من قاتلـك وأباك على الإسـلام، فخشـيت أقول كلمـة تفرق بين الجمع! وجاء فى تاريخ الإسـلام للذهبى:٣/٥٥٣ و: ٥/٤٦٣: قـال ابن عمر: فحللت حبوتى وهممت أن أقول: أحق به من قاتلك وأباك على الإسلام!

ثم كانت علاقاته حسنة مع بنى أمية و مع الثائرين عليهم

روى البخارى فى الادب المفرد/٢٩٩

عن عبـد الله بن دينار أن عبد الله بن عمر كتب إلى عبد الملك ابن مروان يبايعه فكتب إليه.. فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وأقر لك بالسمع والطاعة.

وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام:٨/١٩٥

عن عمير بن هانى قال: وجهنى عبـد الملك بكتاب إلى الحجاج وهو محاصـر ابن الزبير، وقد نصب المنجنيق يرمى على البيت، فرأيت ابن عمر إذا أقيمت الصلاة صلى مع الحجاج، وإذا حضر ابن الزبير المسجد صلى معه.

وقال ابن أبى شيبة فى المصنف:٤/٣٤٠

عن مغيرة عن رجل أنه رأى ابن عمر صلى خلف ابن الزبير بمنى ركعتين، قال: ورأيته صلى خلف الحجاج أربعاً!

وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام:٥/٦٠

وكـان المختـار محسـناً إلى ابن عمر يبعث إليه بـالجوائز والعطايا لأنه كان زوج أخت المختار.. وكان (المختار) غلاماً يعرف بالانقطاع إلى بنى هاشم ثم خرج فى آخر خلافـة معاويـة إلى البصـرة فأقام بها يظهر ذكر الحسـين، فأخبر بذلك عبيد الله بن زياد فأخذه وجلده مائة وبعث به إلى الطائف... ثم أن عبدالله بن عمر كتب فيه إلى يزيد لما بكت صفية أخت المختار على زوجها ابن عمر... فكتب يزيد إلى عبيد الله فأخرجه... فأتى الحجاز واجتمع بابن الزبير فحضه على أن يبايع الناس.

وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام:٥/٤٦٢: إن المختار بن أبى عبيدة كان يرسل إلى ابن عمر المال فيقبله.

وروت مصادر الشيعة احتياطا غريبا له فى تطبيق الحديث

قال الطبرى الشيعى فى كتابه المسترشد/١٦

عبـدالله بن عمر الـذى قعد عن بيعة على عليه السـلام ثم مضـى إلى الحجاج فطرقه ليلًا فقال: هات يدك لأبايعك لأمير المؤمنين عبد الملك فإنى سـمعت رسول الله صـلى الله عليه وآله يقول: من مات وليس عليه إمام فميتته جاهليـة، حتى أنكرها عليه الحجاج مع كفره وعتوه.

وروى ذلـك المحـدث القمى فى الكنى والألقـاب، وفيه: فـأخرج الحجـاج رجله وقـال: خـذ رجلى فإن يـدى مشـغولة، فقال ابن عمر: أتسـتهزئ منى؟! قـال الحجاج: يا أحمق بنى عـدى ما بايعت علياً وتقول اليوم: من مات ولـم يعرف إمام زمانه مات ميتـة جاهليـة! أو ما كـان علىٌّ إمـام زمانك؟! والله ما جئت إلىَّ لقول النبى صـلى الله عليه وآله بل جئت مخافـة تلك الشـجرة التى صـلب عليها ابن الزبير. انتهى.

و لم يزد أحد على ابن عمر فى تطبيق الحديث إلا أبو سعيد الخدرى

مجمع الزوائد:۵/۲۱۹

وعن بشر بن حرب أن ابن عمر أتى أبا سعيد فقال: يا أبا سعيد ألم أخبر أنك بايعت أميرين قبل أن تجتمع الناس على أمير واحد؟ قال نعم بايعت ابن الزبير، فجاء أهل الشام فساقونى إلى حبيش بن دلجة فبايعته! فقال ابن عمر: إياها كنت أخاف؟!

قال أبو سعيد: يا أبا عبدالرحمن ألم تسمع أن رسول الله(ص)قال: من استطاع أن لا ينام يوماً ولا يصبح صباحاً ولا يمسى مساء إلا وعليه أمير؟ قال نعم، ولكنى أكره أن أبايع أميرين من قبل أن يجتمع الناس على أمير واحد. انتهى. وقال الهيثمى: رواه أحمد، وبشر بن حرب ضعيف.

تحير إخواننا السنة فى هذا الحديث قديما وحديثا

لا مشكلة عندنا نحن الشيعة بسبب هذا الحديث بل هو منسجم مع مذهبنا، وهو من أدلتنا على نظام الإمامة فى الإسلام وأن النبى صلى الله عليه وآله قد بلغه إلى الأمة، وقد ثبت عندنا بأدلة قاطعة أن الله تعالى جعل إمامة هذه الأمة فى ذرية نبيها، وكفاها مؤونة اختيار الحاكم وأخطار الصراع على الحكم، لو أنها أطاعت. أما إذا أعرضت الأمة عنهم ومشت خلف آخرين فالمشكلة مشكلتها، ولا يتغير من أمر الله تعالى شئ، ولا تبطل إمامة الأئمة الذين اختارهم الله تعالى.

أما طريق معرفة الإمام فهى النص عليه من النبى صلى الله عليه وآله أو من الإمام السابق، كما أنه يعرف بما يجريه الله تعالى على يده من المعجزات والدلالات لإثبات إمامته، وسيأتى ذلك فى بحث الإمامة إن شاء الله تعالى.

ولكن هذا الحديث، سبب مشكلة لا تنحل عند إخواننا السنة، مهما تكن صيغه التى رووه بها، لأنه يوجب عليهم معرفة الإمام فى كل عصر أو بيعته، وإلا فإنهم يموتون موتة جاهلية على غير الإسلام!

فلا مخرج للسنى من الموتة الجاهلية، إلا بأحد أمور أربعة: بأن يصير شيعياً، أو يبايع إماماً قرشياً جامع الشروط، أو يلتزم بأن الإمام الشرعى فى الإسلام كل من تسلط على المسلمين ولو بالحديد والنار، فتجب بيعته وطاعته مهما عصى الله تعالى، أو يكون على مذهب حركة التكفير والهجرة! ومن لم يفعل ذلك ومات، فموتته جاهلية!!

قال الشهيد الثانى فى رسائله: ۲/۱۵۰

واعلم أن من مشاهير الأحاديث بين العامة والخاصة وقد أوردها العامة فى كتب أصولهم وفروعهم أن: من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتة جاهلية، فنحن والحمد لله نعرف إمام زماننا فى كل وقت، ولم يمت أحد من الإمامية ميتة جاهلية، بخلاف غيرنا من أهل الخلاف فإنهم لو سئلوا عن إمام زمانهم لسكتوا ولم يجدوا إلى الجواب سبيلًا، وتشتت كلمتهم فى ذلك، فقائل بأن إمامهم القرآن العزيز، وهؤلاء يحتج عليهم بأن القرآن العزيز قد نطق بأن الإمام والمطاع غيره، حيث قال الله تعالى: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ.

على أنه لو سلم لهم ذلك لزمهم اجتماع إمامين فى زمان واحد، وهو باطل بالإجماع منا ومنهم، كما صرحوا به فى كتب أصولهم، وذلك لأن القرآن العزيز منذ رحلة النبى صلى الله عليه وآله من الدنيا، وقد حكموا بإمامة الأربعة الخلفاء فى وقت وجود القرآن العزيز، فيلزم ما ذكرناه.

وقائل إن الأمويين والعباسيين كانوا أئمة بعد الخلفاء الأربعة الماضين، ثم استشكل هذا القائل الأمر بعد هؤلاء المذكورين، فهو أيضاً ممن لا يعرف إمام زمانه.

فإن قالوا: إن الآية الكريمة دلت على أن كل ذى أمر تجب طاعته، وأولوا الأمر من الملوك موجودون فى كل زمان، فيكون الإمام أو من يقوم مقامه متحققاً.

قلنا لهم، أولاً: إنكم أجمعتم على عدم جواز تعدد الإمام فى عصر واحد، فمن يكون منهم إماماً؟ ولا يمكنهم الجواب باختيار واحد

لأنا نجد الأمة مختلفة باختلافهم، فإن أهل كل مملكة يطيعون مليكهم مع اختلاف أولئك الملوك، فيلزم اجتماع الأمة على الخطأ، وهو عدم نصب إمام مطاع فى الكل وهو باطل، لأن الأمة معصومة بالإجماع منهم، ومنا بدخول المعصوم عندنا.

ولا يرد مثل ذلك علينا، لأن الإمامة عندنا بنص الله تعالى ورسوله، وقد وقعا، لا بنصب (أهل) الشريعة، والإمام عندنا موجود فى كل زمان، وإنما غاب عنا خوفاً أو لحكمة مخفية، وبركاته وآثاره لم تنقطع عن شيعته فى وقت من الأوقات وإن لم يشاهده أكثرهم، فإن الغرض من الإمامة الأول لا الثانى.

وثانياً، بأن ما ذكرتم من الملوك ظلمة جائرون لا يقومون بصلاح الشريعة فى الدنيا فضلًا عن الدين، وقد قال تعالى عز من قائل: لا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ، أى لا تنال الظالمين ولايتى، والإمامة من أعظم الولايات. انتهى.

معرفة الإمام هى الحكمة

الكافى:۱/۱۸۲

على بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أيوب بن الحر، عن أبى بصير، عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عز وجل: وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا، فقال: طاعة الله ومعرفة الإمام.

الكافى:۲/۲۸۴

يونس، عن ابن مسكان، عن أبى بصير، عن أبى عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول: ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً. قال: معرفة الإمام، واجتناب الكبائر التى أوجب الله عليها النار. انتهى. ورواه فى مستدرك الوسائل:۱۱/۳۵۴.

لا يمكن للناس معرفة الإمام المعصوم ليختاروه

الكافى:۱/۲۰۱

(عن الإمام الرضا عليه السلام من حديث طويل): الإمام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا إكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب. فمن ذا الذى يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات ضلت العقول وتاهت الحلوم، وحارت الألباب وخسئت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الالباء، وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير.

وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شئ من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغنى غناه، لا كيف وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟! أتظنون أن ذلك يوجد فى غير آل الرسول محمد صلى الله عليه وآله، كذبتهم والله أنفسهم....

معنى: إعرف الإمام ثم اعمل ما شئت

وسائل الشيعة:۱/۸۸

محمد بن على بن الحسين، فى معانى الأخبار عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن على بن النعمان، عن فضيل بن عثمان، قال: سئل أبوعبدالله عليه السلام عما روى عن أبيه: إذا عرفت فاعمل ما شئت، وأنهم يستحلون بعد ذلك كل محرم، فقال: ما لهم لعنهم الله؟ إنما قال أبى عليه السلام: إذا عرفت الحق فاعمل ما شئت من خير يقبل منك.

دعائم الإسلام:۱/۵۲

وعن أبی عبدالله جعفر بن محمد صلی الله علیه وآله أن رجلًا من أصحابه ذکر له عن بعض من مرق من شیعته واستحل المحارم ممن کان یعد من شیعته، وقال: إنهم یقولون الدین المعرفهٔ، فإذا عرفت الإمام فاعمل ما شئت، فقال أبو عبد الله جعفر بن محمد: إنا لله وإنا إلیه راجعون، تأمَّل الکفرهٔ ما لا ـ یعلمون، وإنما قیل إعرف الإمام واعمل ما شئت من الطاعهٔ فإنها مقبولهٔ منک، لأنه لا یقبل الله عز وجل عملاً ـ بغیر معرفهٔ. ولو أن الرجل عمل أعمال البر کلها وصام دهره وقام لیله، وأنفق ماله فی سبیل الله، وعمل بجمیع طاعات الله عمره کله، ولم یعرف نبیه الذی جاء بتلک الفرائض ثم معرفهٔ وصیه والأئمهٔ من بعده.

مستدرک الوسائل:۱/۱۷۴

وعنه علیه السلام أن رجلًا من أصحابه ذکر له عن بعض من مرق من شیعته واستحل المحارم وأنهم یقولون إنما الدین المعرفهٔ فإذا عرفت الإمام فاعمل ما شئت! فقال أبوعبدالله علیه السلام: إنا لله وإنا إلیه راجعون، تأول الکفرهٔ ما لا یعلمون، وإنما قیل إعرف واعمل ما شئت من الطاعهٔ فإنه مقبول منک، لأنه لا یقبل الله عملاً من عامل بغیر معرفهٔ. لو أن رجلًا عمل أعمال البر کلها وصام دهره وقام لیله وأنفق ماله فی سبیل الله وعمل بجمیع طاعهٔ الله عمره کله ولم یعرف نبیه الذی جاء بتلک الفرائض فیؤمن به ویصدقه، وإمام عصره الذی افترض الله طاعته فیطیعه، لم ینفعه الله بشئ من عمله، قال الله عز وجل فی مثل هؤلاء: وقدمنا إلی ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً.

بعلی عرف المؤمنون بعد النبی

أمالی المفید/۲۱۳

حدثنا أبوجعفر محمد بن علی بن الحسین قال: حدثنی أبی قال: حدثنی محمد بن یحیی العطار قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عیسی، عن علی بن الحکم، عن هشام بن سالم، عن سلیمان بن خالد، عن أبی عبدالله جعفر بن محمد الصادق، عن آبائه علیهم السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله لعلی علیه السلام: یا علی أنت منی وأنا منک: ولیک ولیی وولیی ولی الله، وعدوک عدوی وعدوی عدو الله.

یا علی أنا حرب لمن حاربک، وسلم لمن سالمک.

یا علی لک کنز فی الجنهٔ وأنت ذو قرنیها.

یا علی أنت قسیم الجنهٔ والنار، لا یدخل الجنهٔ إلا من عرفک وعرفته، ولا یدخل النار إلا من أنکرک وأنکرته.

یا علی أنت والأئمهٔ من ولدک علی الأراف یوم القیامهٔ تعرف المجرمین بسیماهم، والمؤمنین بعلاماتهم.

یا علی لولاک لم یعرف المؤمنون بعدی. انتهی. وقد تقدم أن المؤمنین والمنافقین کانوا یُعْرَفون حتی فی زمان النبی صلی الله علیه وآله بموقفهم النفسی من علی علیه السلام.

معرفهٔ الآخرهٔ والمعاد والحساب

رسائل الشهید الثانی/۱۴۵

الأصل الخامس، المعاد الجسمانی. اتفق المسلمون قاطبهٔ علی إثباته، وذهب الفلاسفهٔ إلی نفیه وقالوا بالروحانی. والمراد من الأول إعادهٔ البدن بعد فنائه ما کان علیه قبله... لنفع دائم أو ضرر دائم، أو منقطع یتعلقان به، وذهب جمع من الأشاعرهٔ إلی أن المراد منه هو إعادهٔ مثل البدن لا هو نفسه، وهو ضعیف لما سیأتی. واعلم أن العقل لا یستقل بإثبات المعاد البدنی کاستقلاله بإثبات الصانع تعالی ووحدته، بل إنما ثبت علی وجه یقطع العقل بوقوعه بمعونهٔ السمع.

کشف الغطاء/۵

والمقدار الواجب بعد معرفة أصل المعاد، معرفة الحساب وترتب الثواب والعقاب. ولا یجب المعرفة علی التحقیق التی لا یصلها إلا صاحب النظر الدقیق کالعلم بأن الأبدان هل تعود بذواتها أو إنما یعود ما یماثلها بهیئاتها، وإن الأرواح هل تعدم کالأجساد أو تبقی مستمرة حتی تتصل بالأبدان عند المعاد، وأن المعاد هل یختص بالإنسان أو یجری علی کافة ضروب الحیوان، وأن عودها بحکم الله دفعی أو تدریجی.

وحیث لزمه معرفة الجنان وتصور النیران، لا یلزم معرفة وجودهما الآن ولا العلم بأنهما فی السماء أو فی الأرض أو یختلفان.

وکذا حیث یجب معرفة المیزان، لا یجب علیه معرفة أنها میزان معنویة أو لها کفتان، ولا یلزم معرفة أن الصراط جسم دقیق أو هو عبارة عن الإستقامة المعنویة علی خلاف التحقیق.

والغرض أنه لا یشترط فی تحقق الإسلام معرفة أنهما من الاجسام وإن کانت الجسمیة هی الاوفق بالإعتبار، وربما وجب القول بها عملاً بظاهر الأخبار.

ولا تجب معرفة أن الأعمال هل تعود إلی الاجرام وهل ترجع بعد المعنویة إلی صور الأجسام، ولا یلزم معرفة عدد الجنان والنیران وإدراک کنه حقیقة الحور والولدان.

وحیث لزم العلم بشفاعة خاتم الأنبیاء لا یلزم معرفة مقدار تأثیرها فی حق الأشقیاء.

وحیث یلزم معرفة الحوض لا یجب علیه توصیفه ولا تحدیده وتعریفه، ولا یلزم معرفة ضروب العذاب وکیفیة ما یلقاه العصاة من أنواع النکال والعقاب. انتهی. ونکتفی هنا بهذه السطور عن معرفة الآخرة والمعاد، وستأتی مسائله فی محالها إن شاء الله تعالی.

تم المجلد الأول من کتاب العقائد الإسلامیة

ویلیه المجلد الثانی إن شاء الله تعالی، وأوله بحث الرؤیة.

المجلد۲

فهرست مطالب کتاب: العقائد الإسلامیة (المجلد ۲)

العقائد الإسلامیة (المجلد ۲)

جذور مسألة الرؤیة والتشبیه والتجسیم

اعتقاد السنیین أن الله تعالی یری بالعین

متی ظهرت أحادیث الرؤیة والتشبیه

عائشة تکذب أحادیث الرؤیة والتشبیه

موج الفریة جاء من الشام

و ابن عباس یحکم بشرک من یشبه الله تعالی بغیره

و أبوهریرة یوافق عائشة و ابن عباس و ابن مسعود

و کان الجمهور یرون رأی عائشة و یکذبون أحادیث الرؤیة بالعین

علی یوضح ما لم توضحه عائشة

و اصل روایات الرؤیة بالعین لا تتجاوز العشرة

و غلبت موجة کعب و دخلت الرؤیة والتشبیه فی عقائد المسلمین

و ایدوا قول کعب بحدیث العماء وادعوا قدم الفضاء مع الله تعالی

و هاجموا أمهم عائشة وأساؤوا معها الأدب

ثم رووا الرؤیة بالعین حتی عن ابن عباس وعائشة

ثم أفتوا بکفر و ضلال من خالفهم و شملت فتواهم أمهم عائشة

و کبر کعب الأحبار لأنه انتصرعلی المسلمین

واشتغل الوضاعون و کثرت أحادیث الرؤیة والتشبیه والتجسیم

و انکر مالک أحادیث التشبیه و اعتذر عنه الذهبی بأنه جاهل

نماذج من الأحادیث الموضوعة لتأیید مذهب کعب

و فتحوا الطریق لنقد أحادیث الرؤیة بتنازلهم عن عصمة البخاری

اهل البیت ینفون أحادیث الرؤیة والتشبیه

الامام الکاظم والإمام الرضا یکشفان تحریف حدیث النزول

مذاهب السنیین فی الألوهیة والتوحید

کیف نشأت هذه المذاهب؟

المذهب الرابع: مذهب المتنقلین بین المذاهب والمذبذبین والمتحیرین

و صار الترمذی متأولا ذات یوم فکفره المجسمة

و دافع رشید رضا عن أکثر الحنابلة و جعلهم متأولة

ثم تبنی رشید رضا رأی الغزالی مع أنه کاد أن یکفر الحنابلة

و کل علماء السنة حتی المجسمة یصیرون متأولة عند الحاجة

بازار الأحادیث فی الرؤیة والتشبیه والتجسیم

قالوا إن الله تعالی علی صورة بشر

و قالوا له سمع و بصر کسمع الإنسان و بصره

و قالوا له عینان مثل الإنسان و هما سالمتان

و قالوا له أیدی و أعین و رجلان

و قالوا قد یکون له أذن و قد یکون بلا أذن

و قالوا له جنب و حقو

و قالوا إنه یمشئ و قد یرکض و یهرول

و قالوا إنه تعالی یری بالعین فی الدنی

و قالوا إنه یلبس قباء وجبة و یرکب علی جمل

و قالوا إنه فتی أمرد جعد الشعر

و قالوا إنه یضحک فی الدنیا والآخرة

و قالوا إنه یضحک لمن یستلقی علی دابته

و قالوا مادام الله یضحک فأملنا فیه کبیر

و قالوا إنه یضحک.. و یظل یضحک

و قالوا إنه ضحک لطلحة و سعد

و قالوا إنه یظهر لعباده ضاحكا

و قالوا منطقه كالرعد، و ضحكه كالبرق

و قالوا یظهر متجسدا لابی بكر وحده بدون ضحك

و قال عمر یجلس علی العرش و لعرشه أطیط و صریر من ثقله

معنی الاطیط

و قالوا العرش مطوق بحیة تحمیه

و قالوا الشمس تذهب كل یوم إلی تحت العرش

و قالوا حملة العرش ملائكة صوفیة

و قالوا حملة العرش یتكلمون بالفارسیة

و قالوا جبل لبنان من حملة العرش

و قالوا حملة العرش حیوانات كما فی التوراة

و قالوا جالس علی كرسیه و غائب عن العالم

و قالوا جالس علی العرش و حوله الأنبیاء علی كراسی

هشام بن عمار صاحب حدیث الكراسی حول العرش

و قالوا جنة عدن مسكن الله تعالی و عرشه فیه

و روینا ورووا أن الفردوس مسكن إبراهیم و آله و محمد و آله

و قالوا أرواح الشهداء فی حواصل طیور فی قنادیل معلقة بالعرش

ورد أهل البیت حدیث القنادیل و حواصل الطیور

واختلفت روایاتهم فیما هو مكتوب علی العرش

و قالوا إنه تعالی أثقل من الحدید

و قالوا یری بالعین فی الآخرة و یناقش رجلا و یضحك علیه

و قالوا یكشف عن ساقه بل عن ساقیه و یعفو عن المنافقین

و حاول الصنعانی والنووی تخلیص الله تعالی من كشف ساقه

و قالوا إنه یجلس علی الجسر و یضع رجله علی الاخری

الامام الصادق یقول إنها روایة یهودیة

و قالوا لا تمتلی النار حتی یضع رجله فیه

وادعوا أن رؤیته بالعین من أكبر اللذات

لكن اختلفوا هل تراه النساء فی الجنة

بازار أحادیث النزولات

قالوا: إن الله تعالی جسم ینزل إلی الأرض كل لیلة

و قالوا لو دلی رجل حبلا لهبط علی الله

و قالوا إنه تعالی ینزل لیلة النصف من شعبان

و قالوا إنه تعالی ینزل یوم عرفة

الامام الرضا یلعن الذین حرفوا حدیث النزول

و احادیث إخواننا تؤید ما قاله الإمام الرضا

و تؤیده أحادیث فیها اطلع الله بدل ینزل

و احادیث خالیة من ینزل و یصعد

وادعوا أن رؤیة الله تعالی فی المنام تدل علی الإیمان

اما درجة ابن عربی و أمثاله فهی أکبر من الرؤیة فی المنام

لکن الإمام الصادق تشاءم من صاحب هذه الرؤیة

خلاصة اعتقادنا فی التنزیه و نفی التشبیه

العقل والآیات والأحادیث تنفی إمکان رؤیة الله تعالی بالعین

الرسول یعلم الأمة التوحید

و یعلمنا أن أقصی ما یمکن أن یراه الإنسان نور عظمة الله

علی یثبت مشاهدة القلوب و ینفی مشاهدة العیان

لم یحلل فی الأشیاء... ولم ینأ عنه

لا تقدر عظمة الله سبحانه علی قدر عقلک

لا تدرکه الشواهد و لا تحویه المشاهد

اول الدین معرفته... و کمال الاخلاص له نفی الصفات عنه

کان المسلمون یعرفون قیمة الجواهر فیکتبونه

امیرالمؤمنین یرد علی تجسیم الیهود

و یوجه المسلمین إلی التفکر فی عظمة المخلوقات فیصف الطاووس

و یصف النملة والجرادة

علی مؤسس علم التوحید

الامام زین العابدین ینظم زبور آل محمد

الامام محمد الباقر یجیب علی سؤال متی وجد الله

و یرکز فی المسلمین قاعدة: لا تشبیه و لا تعطیل

الامام الصادق: لا نفی و لا تشبیه و لا جبر و لا تفویض

المؤمنون یرون الله بعقولهم و قلوبهم فی الدنیا والآخرة

الامام الصادق یرد علی الحلول والثنائیة بین الذات والصفات

الامام الکاظم یرد علی تجسید النصاری

و یبین أن الله تعالی غنی عن النزول والحرکة

الامام الرضا یعلم تلامیذه الدفاع عن التوحید

و یکشف حقیقة جدیدة فی الإسراء والمعراج

الامام الرضا یعلم بنی العباس التوحید

نماذج من کلمات علماء مذهب أهل البیت

من أین نشأت المشکلة عند إخواننا السنة
میل العوام إلی التشبیه والتجسیم
الخوف من أن یؤدی التنزیه إلی التعطیل
مضاهاة بعض المسلمین للیهود
اعتقاد الیهود والنصاری بتشبیه الله تعالی و رؤیته بالعین
محاولة بعض الیهود أن یتبرؤوا من التشبیه والتجسیم
لکن البابا فی عصرنا یصر علی التجسیم و ینتقد التوحید عند المسلمین
اول قنوات التشبیه والتجسیم والرؤیة من الیهودیة إلی الإسلام
من أفکار کعب الأحبار فی الرؤیة والتشبیه والتجسیم
کعب یدعی أن جنة عدن مسکن الله والأنبیاء والخلفاء
نموذج من علم کعب بالله تعالی
و قال کعب وعمر: یفضل من ربه أو من عرشه أربع أصابع
و قالوا: نبی الله داود یمسک بقدم الله تعالی و هو أعبد من جمیع الأنبیاء
و قالوا: عمر أفضل من داود لأنه یصافح الله و یعانقه
عبدالله بن عمر یؤکد أحادیث أبیه
من روایات أبی موسی الأشعری وابنه
و قال الجرجانی وغیره: أطیط العرش فکرة یهودیة
التجسیم فی مصادر إخواننا من روایات الحاخامات
الکوثری یصعد درجات و لا یصل إلی لب الحقیقة
السفیانان والحمادان
حماد بن سلمة
بعض روایات ابن سلمة فی التشبیه والتجسیم
حماد یروی أن النبی لا یحفظ القرآن
اخذ حماد القول بالجبر من شیخ شیخه وهب
ربیبه عبدالکریم بن أبی العوجاء
عشرات الألوف من الأحادیث و مئات التلامیذ
کان مفتی البصرة و له مسجد و یلزم تلامیذه بالکتابة عنه
و مع هذا وثقه إخواننا وغالوا فیه
و احترمه البخاری و روی عنه و لم یکتفوا بذلک
نعیم بن حماد
بعض مناکیره و روایاته فی التجسیم
و مع ذلک وثقوا نعیما لأنه صلب فی السنة
مکانة المشبهین والمجسمین فی مصادر السنیین

المشبهون سادهٔ فی التاریخ و مصادر السنهٔ

وهب بن منبه: فارسی، یهودی، مجسم محترم و شیخ للمحدثین

مقاتل بن سلیمان البلخی، مجسم و شیخ ابن حماد و أستاذ للمفسرین

یزید بن هارون من شیوخ الإمام أحمد

السمنانی المجسم رئیس الأشعریهٔ

الامام الدارمی المجسم

ابوالعباس السراج و إسحاق الحنظلی إمامان مجسمان

و صار ابن عقیل شیخ الحنابلهٔ

من عقائد الدولهٔ: إطاعهٔ الحاکم الجائر والتجسیم والرؤیهٔ

هجمهٔ الحنابلهٔ علی الطبری

هجمهٔ الحنابلهٔ علی ابن حبان

من تکفیرات المجسمین لمن خالفهم

ملحد (سنی) یحبه المجسمهٔ لأنه یلعن من خالفهم

من الفتن التی حدثت بسبب التجسیم

و واجه بعض الخلفاء تطرف المجسمین

و قتل خلفاء شرعیون إماما مجسما طمع بالحکم

و کان التجسیم منتشرا فی عصر ابن الجوزی والسبکی

وانتقل التجسیم من بغداد إلی مصر

الامام العبدری المغربی المجسم

التجسیم ینتشر فی المغرب فیقاومه المهدی بن تومرت

و کثر الحشویهٔ والمخلطون فی العالم الإسلامی

کل الناس مبرؤون... والشیعهٔ متهمون

منطق السلطهٔ و أتباعه

محاولات الدولهٔ والمشبهین إلصاق التشبیه بالنبی وآله

بغض أهل البیت و شیعتهم إرث غیر شرعی

و تواصلت علینا الإفتراءات عبر العصور

و تضاعفت التهم فی عصرنا عصر العلم و حریهٔ الفکر

تفسیر مقارن للآیات المتعلقهٔ بالموضوع

الآیات المحکمهٔ النافیهٔ لإمکان الرؤیهٔ

الآیات المتشابههٔ التی استدلوا بها علی الرؤیهٔ

آیات: استوی علی العرش

تفسیر آیهٔ: لا تدرکه الابصار

النبی و آله یقولون: لا تدرکه الابصار و لا.. الاوهام

امیرالمؤمنین یدفع الشبهات
تفسیرهم الموافق لمذهبنا
محاولاتهم تأویل الآیهٔ و إبطال معناه
تفسیر آیهٔ: ما کذب الفؤاد ما رأی
قال أهل البیت: رأی ربه بفؤاده و رأی آیاته بعینیه
رأی الشیعهٔ الزیدیهٔ فی نفی الرؤیهٔ
تفسیرهم الموافق لمذهبنا
و نفی قدماء المتصوفهٔ الرؤیهٔ بالعین فی الدنی
تفسیرهم الذی فیه تجسیم
و جهل بعضهم فنسب الدنو والتدلی إلی الله تعالی
و وصفوا عرشه بأنه تحمله حیوانات کما وصفه الیهود
و قالوا رأی ربه واقفا علی أرض خضرهٔ خلف ستر شفاف
و حاول بعضهم أن یخفف القصهٔ و یجعلها رؤیا فی المنام
تفسیر آیهٔ: وجوه یومئذ ناضرهٔ، إلی ربها ناظرهٔ
تفسیر أهل البیت و فقهاء مذهبهم
رؤیهٔ العارفین بقلوبهم أرقی من الرؤیهٔ البصریهٔ
تفسیرهم الموافق لمذهبنا
تفسیرهم الذی فیه تجسیم
تفسیر آیات التجلی لموسی
قال أهل البیت: تجلی بنوره الذی خلقه، لا بذاته
الامام الرضا یدفع التهم عن الأنبیاء
انواع التجلی الإلهی
تفسیر عرفانی لعدم إمکان رؤیهٔ الله تعالی
الله تعالی یتجلی بخلقه
من هو قیس بن ثابت راوی حدیث خنصر الله تعالی
تفسیر قوله تعالی: یوم یکشف عن ساق
فسرها أهل البیت بکشف حجاب الآخرهٔ و أهواله
تفسیر آیات الإستواء علی العرش
تفسیر أهل البیت
الاستواء علی العرش: استواء نسبهٔ الله إلی العالم
معنی العرش والکرسی عند أهل البیت
قالوا إن الله جالس علی کرسیه کما قال الیهود
و تناقضت روایاتهم فی العرش والکرسی

و قالوا عرش الله كرسى متحرك
و قالوا العرش غير الكرسى، و قالوا العرش هو الكرسى
تفسير قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا
و قالوا يجلس الله على عرشه و يجلس النبى إلى جانبه
و نفى الفكرة بعض علماء السنة
و قال المستشرقون إنها فكرة مسيحية
و اعترفوا بأن بعض هذه الأحاديث موضوع
و قالوا يجلس صاحب أحمد بن حنبل على سجاد العرش
و قالوا يجلس أبابكر على كرسى عند العرش
تفسير قوله تعالى: فلما آسفونا انتقمنا منهم
قال أهل البيت: إن الله لا يأسف كأسفن
تفسير آيات أخرى تتعلق بالموضوع
باب معنى الحجزة
باب معنى العين والاذن واللسان

جذور مسألة الرؤية والتشبيه والتجسيم

اعتقاد السنيين أن الله تعالى يرى بالعين

المقصود بمسألة الرؤية: إمكان أن يرى الإنسان الله تعالى بحاسة العين فى الدنيا أو فى الآخرة.

١ ـ والمقصود بالتشبيه والتجسيم: تشبيه ذات الله تعالى بشئ من مخلوقاته.

وقد نفى كل ذلك نفياً مطلقاً أهل البيت عليهم السلام وأم المؤمنين عائشة وجمهور الصحابة، وبه قال الفلاسفة والمعتزلة وغيرهم، واستدلوا على ذلك بالقرآن بمثل قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) وقوله تعالى (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ).. إلخ. واستدلوا أيضاً بالعقل فقالوا إن القول بإمكان رؤيته سبحانه بالعين يستلزم تشبيهه وتجسيمه لا محالة، لأن ما يرى بالعين لا يكون إلا وجوداً مادياً يشبه غيره بأنه محدود بالمكان والزمان.

بينما تبنى الحنابلة وأتباع المذاهب الأشعرية وهم أكثر الحنفية والمالكية والشافعية، القول برؤية الله تعالى بالعين فى الدنيا أو فى الآخرة بسبب روايات رووها، وبعض الآيات المتشابهة التى يبدو منها ذلك، وحاولوا أن يؤولوا الآيات المحكمة والأحاديث الصحيحة النافية لإمكان الرؤية بالعين.

وبسبب الإرتباط بين مسائل الرؤية والتشبيه والتجسيم والإشتراك فى بحوثها ونصوصها جعلناها تحت عنوان واحد.

متى ظهرت أحاديث الرؤية والتشبيه

تدل نصوص الحديث والتاريخ على أن الجو الذى كان سائداً فى صحابة النبى فى عهده صلى الله عليه وآله وعهد الخليفة أبى بكر هو الإنسجام مع آيات القرآن النافية لإمكان الرؤية، وأن الله تعالى ليس من نوع الأشياء التى ترى بالعين أو تحس بالحواس الخمس.. لأنه وجود أعلى من الأشياء المادية، فهو يدرك بالعقل ويحس بالقلب والبصيرة لا بالبصر.

ویبدو أن أفکار التشبیه والرؤیهٔ ظهرت بین المسلمین فی عهد الخلیفهٔ عمر وما بعده، فنهض أهل البیت علیهم السلام وبعض الصحابهٔ لردها وتکذیبها.

وتدل أحادیث التکذیب التی رویت عن أم المؤمنین عائشهٔ أنها کغیرها فوجئت وصدمت بهذه المقولات الغریبهٔ عن عقائد الإسلام، المناقضهٔ لما بَلَّغه النبی صلی الله علیه وآله عن ربه تعالی، سواء فی آیات القرآن أو فی أحادیثه الشریفهٔ! ولذلک أعلنت أم المؤمنین أن هذه الأحادیث مکذوبهٔ، بل هی فریهٔ عظیمهٔ علی الله تعالی ورسوله صلی الله علیه وآله ومن واجب المسلمین ردها وتکذیبها!!

عائشهٔ تکذب أحادیث الرؤیهٔ والتشبیه

صحیح البخاری:۶/۵۰:

... عن عامر عن مسروق قال قلت لعائشهٔ رضی الله عنها: یا أمتاه هل رأی محمد(ص)ربه؟ فقالت لقد قَفَّ شعری مما قلت! أین أنت من ثلاث من حدثکهن فقد کذب: من حدثک أن محمداً(ص)رأی ربه فقد کذب ثم قرأت: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ، وَمَا کَانَ لِبَشَرٍ أَنْ یُکَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْیًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، ومن حدثک أنه یعلم ما فی غد فقد کذب ثم قرأت: وما تدری نفس ماذا تکسب غداً، ومن حدثک أنه کتم فقد کذب ثم قرأت: یَا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ الآیهٔ، ولکنه رأی جبرئیل علیه السلام فی صورته مرتین.

صحیح البخاری:۸/۱۶۶:

... عن الشعبی عن مسروق عن عائشهٔ رضی الله عنها قالت: من حدثک أن محمداً(ص)رأی ربه فقد کذب، وهو یقول: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، ومن حدثک أنه یعلم الغیب فقد کذب، وهو یقول: لا یعلم الغیب إلا الله. انتهی. وروی نحوه فی:۲ جزء ۴/۸۳ وج ۳ جزء ۶/۵۰ وج ۴/۸۳ وقد استوفینا بقیهٔ مصادره فی کتاب (الوهابیهٔ والتوحید).

موج الفریهٔ جاء من الشام

مع أن الخلیفهٔ عمر أخذ من ثقافهٔ کعب الأحبار وجماعته وأجاز لهم رسمیاً أن یحدثوا المسلمین فی مساجدهم، وأن یکتب المسلمون عنهم، ولکن روایات الرؤیهٔ واجهت سداً من الصحابهٔ فبقی انتشارها محدوداً فی زمن الخلیفهٔ عمر، ولکن الدولهٔ الأمویهٔ تبنت نشرها بقوهٔ فارتفعت موجتها من الشام، ووصلت إلی المدینهٔ فاستنکرها أهل البیت وعائشهٔ والصحابهٔ!

تدل الروایهٔ التالیهٔ علی أن الشام کانت مرکز القول بالتشبیه والتجسیم، وسبب ذلک أن کعب الأحبار وجماعته اتخذوا الشام قاعدهٔ لهم وکانوا مقربین من معاویهٔ، وقد أطلق یدهم لیملوا أفکارهم وثقافتهم علی المسلمین، ویظهر أن أول من تأثر بهم وتبعهم أهل الشام حتی تأصلت أفکارهم فیهم.

ومن الظواهر الملفتهٔ أن الشام فی تاریخنا الإسلامی کانت موطناً للتشبیه والتجسیم أکثر من أی قطر إسلامی آخر! فلا توجد فی العالم الإسلامی منطقهٔ یعتبر فیها تأویل صفات الله تعالی التی یتوهم منها التشبیه والتجسیم جریمهً وخروجاً عن الدین إلا الشام، فقد صارت کلمهٔ (متاولهٔ) تساوی کلمهٔ کفار أو أسوأ منها، وکم من مسلم قتل فی بلاد الشام بجرم أنه (متوالی) أی متأول! وما زالت هذه الکلمهٔ إرثاً عند العوام ینبزون بها شیعهٔ أهل البیت علیهم السلام وهی فی فهم عوامهم أسوأ من الکفر أو مساوقهٔ له!

قال الصدوق فی التوحید/۱۷۹:

حدثنا أبو طالب المظفر بن جعفر بن المظفر العلوی السمرقندی (رض) قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مسعود، عن أبیه محمد بن مسعود العیاشی قال: حدثنا الحسین بن أشکیب قال: أخبرنی هارون بن عقبهٔ الخزاعی، عن أسد بن سعید النخعی قال: أخبرنی عمرو بن شمر، عن جابر بن یزید الجعفی قال: قال محمد بن علی الباقر (علیهما السلام): یا جابر ما أعظم فریهٔ أهل الشام علی الله عز وجل،

يزعمون أن الله تبارک وتعالی حیث صعد إلی السماء وضع قدمه علی صخرهٔ بیت المقدس، ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه علی حجر فأمرنا الله تبارک وتعالی أن نتخذه مصلی، یا جابر إن الله تبارک وتعالی لا نظیر له ولا شبیه، تعالی عن صفهٔ الواصفین، وجلَّ عن أوهام المتوهمین، واحتجب عن أعین الناظرین، لا یزول مع الزائلین، ولا یأفل مع الأفلین، لیس کمثله شئ وهو السمیع العلیم.

ورواه العیاشئ فی تفسیره:۱/۵۹، ورواه المجلسی فی بحار الأنوار: ۱۰۲/ ۲۷۰ وقال: بیان: الظاهر أن المراد بالعبد النبی صلی الله علیه وآله حیث وضع قدمه الشریف علیه لیلهٔ المعراج وعرج منه کما هو المشهور ویحتمل غیره من الأنبیاء والأوصیاء علیهم السلام وعلی أی حال یدل علی استحباب الصلاهٔ علیه. انتهی. ولکن الصحیح ما قاله الربانی فی هامش بحار الأنوار:

بل الظاهر من الحجر أن المراد به مقام إبراهیم وبه أثر قدمه الشریف، وقد أمرنا الله عز وجل بقوله: وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِیمَ مُصَلًّی، أن نتخذه مصلی. انتهی.

ولا ـ یبعد أن یکون مقصود الإمام الباقر علیه السلام بتعبیره (أهل الشام) بنی أمیهٔ، وهو تعبیر یستعمله عنهم أهل البیت علیهم السلام وهذا یدعونا إلی القول بأن سبب عدم نجاح أفکار کعب فی المدینهٔ المنورهٔ أو فی الکوفهٔ أو محدودیهٔ نجاحها فی القرن الأول، الخلیفهٔ عمر رغم أنه أعطی کعباً مکانهٔ عظیمهٔ فی دولهٔ الخلافهٔ وکان یقبل أفکاره، ولکن کان یوجد فی عهده صحابهٔ کثیرون یجابهون کعباً ویردون إسرائیلیاته کما شاهدنا فی موقف عائشهٔ، وکما نری فی الموقف التالی لعلی علیه السلام حیث غضب من کلام کعب ونهض لیخرج من مجلس الخلیفهٔ عمر محتجاً علی أفکاره التجسیمیهٔ الیهودیهٔ!

فقد روی المجلسی فی بحار الأنوار:۴۴/۱۹۴:

عن ابن عباس أنه حضر مجلس عمر بن الخطاب یوماً وعنده کعب الحبر إذ قال: یا کعب أحافظ أنت للتوراهٔ.

قال کعب: إنی لاحفظ منها کثیراً.

فقال رجل من جنبهٔ المجلس: یا أمیر المؤمنین سله أین کان الله جل ثناؤه قبل أن یخلق عرشه، ومم خلق الماء الذی جعل علیه عرشه.

فقال عمر: یا کعب هل عندک من هذا علم؟

فقال کعب: نعم یا أمیر المؤمنین نجد فی الأصل الحکیم أن الله تبارک وتعالی کان قدیماً قبل خلق العرش وکان علی صخرهٔ بیت المقدس فی الهواء، فلما أراد أن یخلق عرشه تفل تفلهٔ کانت منها البحار الغامرهٔ واللجج الدائرهٔ، فهناک خلق عرشه من بعض الصخرهٔ التی کانت تحته، وآخر ما بقی منها لمسجد قدسه!

قال ابن عباس: وکان علی بن أبی طالب علیه السلام حاضراً فعظم علی ربه وقام علی قدمیه ونفض ثیابه فأقسم علیه عمر لما عاد إلی مجلسه ففعله.

قال عمر: غص علیها یا غواص، ما تقول یا أبا الحسن فما علمتک إلا مفرجاً للغم. فالتفت علی علیه السلام إلی کعب فقال: غلط أصحابک وحرفوا کتب الله وفتحوا الفریهٔ علیه! یا کعب ویحک إن الصخرهٔ التی زعمت لا تحوی جلاله ولا تسع عظمته، والهواء الذی ذکرت لا یحوز أقطاره، ولو کانت الصخرهٔ والهواء قدیمین معه لکان لهما قدمته، وعز الله وجل أن یقال له مکان یومی إلیه، والله لیس کما یقول الملحدون ولا کما یظن الجاهلون، ولکن کان ولا مکان بحیث لا تبلغه الأذهان، وقولی (کان) عجز عن کونه وهو مما علم من البیان یقول الله عز وجل (خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَیَانَ) فقولی له (کان) ما علمنی من البیان لأنطق بحججه وعظمته، وکان ولم یزل ربنا مقتدراً علی ما یشاء محیطاً بکل الأشیاء، ثم کوَّن ما أراد بلا فکرهٔ حادثهٔ له أصاب، ولا شبههٔ دخلت علیه فیما أراد، وإنه عز وجل خلق نوراً ابتدعه من غیر شئ، ثم خلق منه ظلمهٔ، وکان قدیراً أن یخلق الظلمهٔ لا من شئ کما خلق النور من غیر شئ، ثم خلق من الظلمهٔ نوراً وخلق من النور یاقوتهٔ غلظها کغلظ سبع سماوات وسبع أرضین، ثم زجر الیاقوتهٔ فماعت لهیبته فصارت ماء مرتعداً ولا یزال مرتعداً إلی یوم القیامهٔ، ثم خلق عرشه من نوره وجعله علی الماء، وللعرش عشرهٔ آلاف لسان یسبح الله کل لسان منها بعشرهٔ آلاف لغهٔ لیس فیها لغهٔ تشبه الأخری، وکان العرش علی الماء من دونه حجب الضباب، وذلک قوله: وکان عرشه علی الماء لیبلوکم.

یا کعب ویحک، إن من کانت البحار تفلته علی قولک، کان أعظم من أن تحویه صخرهٔ بیت المقدس أو یحویه الهواء الذی أشرت إلیه أنه حل فیه، فضحک عمر بن الخطاب وقال: هذا هو الأمر وهکذا یکون العلم لا کعلمک یا کعب، لأعشت إلی زمان لا أری فیه أبا حسن. انتهی.

وفی هذه الروایهٔ مادهٔ غنیهٔ للبحث نکتفی منها بأن کعب الأحبار طرح التجسیم رسمیاً فی دار الخلافهٔ ومجلس الخلیفهٔ ولم یرده إلا علی علیه السلام وقد قبل الخلیفهٔ تنزیه علیّ لله تعالی ووبخ کعب الأحبار فی ذلک المجلس، ولکن یظهر أنه قبل منه التجسیم بعد ذلک کما سیأتی فی أحادیث الخلیفهٔ عن تجسیم الله تعالی، وأنه یجلس علی عرشه ویطقطق العرش من ثقله.. إلخ.

و ابن عباس یحکم بشرک من یشبه الله تعالی بغیره

قال الدیلمی فی فردوس الأخبار:۴/۲۰۶:

ابن عباس: من شبه الله عز وجل بشئ أو ظن أن الله عز وجل یشبهه شئ، فهو من المشرکین.

وروی الطبری فی تفسیره:۹/۳۸:

عن ابن عباس قوله تعالی: سُبْحَانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِینَ یقول: أنا أول من یؤمن أنه لا یراک شئ من خلقک.

وقال النویری فی نهایهٔ الإرب: ۷ جزء ۱۳/۲۱۱:

قال وهب: واختلف العلماء فی معنی التجلی، قال ابن عباس: ظهر نوره للجبل.

وقال ابن قیم الجوزیهٔ فی زاد المعاد:۳/۲۹-۳۰:

واختلف الصحابهٔ رضی الله عنهم هل رأی ربه تلک اللیلهٔ أم لا؟ فصح عن ابن عباس أنه رأی ربه، وصح عنه أنه قال: رآه بفؤاده. انتهی.

وقال ناشر الکتاب الشیخ عبد القادر عرفان فی هامشه:

لم أقف علی هذه الروایهٔ فی الصحیح بل الذی صح عن ابن عباس (رض) ما جاء عند مسلم فی الإیمان ۱۷۶/۲۸۵ فی قوله تعالی: مَا کَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَی، وقوله تعالی: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْرَی، قال: رآه بفؤاده مرتین. وأخرجه الترمذی فی التفسیر. (۳۲۸۰).

ثم قال ابن قیم الجوزیهٔ: وصح عن عائشهٔ وابن مسعود إنکار ذلک وقالا: إن قوله ولقد رآه نزلهٔ أخری عند سدرهٔ المنتهی إنما هو جبریل. وصح عن أبی ذر أنه سأله هل رأیت ربک؟ فقال (ص): نور، أنی أراه! أی: حال بینی وبین رؤیته النور، کما قال فی لفظ آخر: رأیت نوراً. وقد حکی عثمان بن سعید الدارمی اتفاق الصحابهٔ علی أنه لم یره.

ثم قال ابن قیم الجوزیهٔ: قال شیخ الإسلام ابن تیمیهٔ قدس الله روحه: ولیس قول ابن عباس: إنه رآه مناقضاً لهذا ولا قوله رآه بفؤاده وقد صح عنه أنه قال: رأیت ربی تبارک وتعالی ولکن لم یکن هذا فی الإسراء ولکن کان فی المدینهٔ لما احتبس عنهم فی صلاهٔ الصبح ثم أخبرهم عن رؤیهٔ ربه تبارک وتعالی تلک اللیلهٔ فی منامه، وعلی هذا بنی الإمام أحمد قدس سره وقال: نعم رآه حقاً فإن رؤیا الأنبیاء حق ولا بد، ولکن لم یقل أحمد قدس سره أنه رآه بعینی رأسه یقظهٔ، ومن حکی عنه ذلک فقد وهم علیه، ولکن قال مرهٔ رآه، ومرهٔ قال رآه بفؤاده، فحکیت عنه روایتان، وحکیت عنه الثالثهٔ من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعینی رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودهٔ لیس فیها ذلک. انتهی.

وقد کفانا ناشر الکتاب الجواب علی کلام ابن تیمیهٔ أیضاً حیث قال فی هامشه: (۶) جزء من حدیث ضعیف أخرجه أحمد فی مسنده ۳۴۸۴/۱ من طریق أبی قلابهٔ عن ابن عباس (رض). وأبو قلابهٔ ـ واسمه عبدالله بن زید الجرمی ـ لم یسمع من ابن عباس ـ التهذیب ۵ ـ ۱۹۷ ومن طریقه أخرجه الترمذی ۳۲۳۳ وقال: وقد ذکر بین أبی قلابهٔ وبین ابن عباس فی هذا الحدیث رجلًا. وقد رواه قتادهٔ عن أبی قلابهٔ عن خالد بن اللجلاج عن ابن عباس اهـ أقول: لم یسمع قتادهٔ من أبی قلابهٔ. تهذیب الکمال ۳۲۶۶/۱۰ ط. دار الفکر وأخرجه

ابن الجوزی فی العلل المتناهیهٔ رقم ۱۲ و۱۳ و۱۴ وتعقبه بقوله: أصل هذا الحدیث وطرقه مضطربهٔ، قال الدار قطنی: کل أسانیده مضطربهٔ لیس فیها صحیح... وقال أبوبکر البیهقی: قد روی من أوجه کلها ضعاف... وقال أبو زرعهٔ فیما نقله عنه المزی فی تحفهٔ الأشراف ۴/۳۸۳ عن أحمد بن حنبل: حدیث قتادهٔ هنا لیس بشی... وأخرجه ابن خزیمهٔ فی کتاب التوحید/۳۱۹ ـ ۳۲۰ والاجری فی الشریعهٔ /۴۹۶ والترمذی بنحوه ۳۲۳۴ وابن أبی عاصم فی السنهٔ ۴۶۹ وأبو یعلی ۲۶۰۸ من طرق عن ابن عباس. وتعقبه الحافظ ابن حجر فی (النکت الظراف ۴/۳۸۲ نقلاً عن محمد بن نصر فی تعظیم قدر الصلاهٔ قوله: هذا حدیث اضطرب الرواهٔ فی إسناده ولیس یثبت عند أهل المعرفهٔ. وفی الباب عن جابر بن سمرهٔ (رض) عند ابن أبی عاصم فی السنهٔ ۴۶۵ وعن أبی أمامهٔ (رض) فی المصدر المذکور ۴۶۶ وعن ثوبان (رض) أیضاً برقم ۴۷۰ وعند البزار ۲۱۲۸ وعن أم الطفیل عن ابن أبی عاصم ۴۷۱ وعن أبی رافع عند الطبرانی فی الکبیر ۹۳۸ وعن ابن عمر عند البزار ۲۱۲۹ من طرق ضعیفهٔ أو واهیهٔ لا یعتد بها ولا تصح للإحتجاج بها، والله تعالی أعلم. وقد تقدم القول فی هذا الحدیث فی أول الکتاب. راجع الفهرس أخی الکریم رحمک الله تعالی. انتهی.

وروی المجلسی فی بحار الأنوار:۳/۳۶:

۲۵ ـ لی ید: ابن المتوکل عن السعد آبادی، عن البرقی، عن أبیه، عن أحمد بن النضر، عن محمد بن مروان، عن محمد بن السائب، عن أبی صالح، عن عبدالله بن عباس فی قوله عز وجل: فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِینَ، قال یقول: سبحانک تبت إلیک من أن أسألک رؤیهٔ، وأنا أول المؤمنین بأنک لا تری. انتهی.

والظاهر أن قصد ابن عباس من إنکار التشبیه والرؤیهٔ هو ما ادعوه فی زمانه وردت علیه عائشهٔ وأکدت أنه إفتراء. وهذه الروایهٔ وغیرها تعارض ما رووه عن ابن عباس من القول بأن الله تعالی یری بالعین أو أن النبی صلی الله علیه وآله رأی ربه بعینه.

و أبوهریرهٔ یوافق عائشهٔ و ابن عباس و ابن مسعود

یظهر أن أبا هریرهٔ کان یوافق عائشهٔ وابن عباس ویروی أحادیث نفی التشبیه والرؤیهٔ..إلی أن غلب الجو القائل بالرؤیهٔ فرویت عنه أحادیثها! قال ابن ماجهٔ فی سننه:۲/۱۴۲۶:... عن سعید بن یسار عن أبی هریرهٔ عن النبی(ص)قال: إن المیت یصیر إلی القبر فیجلس الرجل الصالح فی قبره غیر فزع ولاـ مشعوف، ثم یقال له فیم کنت؟ فیقول: کنت فی الإسلام فیقال له: ما هذا الرجل فیقول: محمد رسول الله(ص)جاءنا بالبینات من عند الله فصدقناه فیقال له: هل رأیت الله فیقول: ما ینبغی لأحد أن یری الله، فیفرج له فرجهٔ قبل النار فینظر إلیها یحطم بعضها بعضاً فیقال له: أنظر إلی ما وقاک الله، ثم یفرج له قبل الجنهٔ فینظر إلی زهرتها وما فیها فیقال له: هذا مقعدک، ویقال له: علی الیقین کنت وعلیه مت وعلیه تبعث إن شاء الله.

و کان الجمهور یرون رأی عائشهٔ و یکذبون أحادیث الرؤیهٔ بالعین

قال الثعالبی فی الجواهر الحسان:۳/۲۵۳:

ولقد رآه... فقالت عائشهٔ والجمهور هو عائد علی جبرئیل.

وقال الشاطبی فی الاعتصام:۲/۱۷۶:

الأولون ردوا کثیراً من الأحادیث الصحیحه بعقولهم وأساؤوا الظن (...) بما صح عن النبی(ص) حتی ردوا کثیراً من الأمور الاخری... وأنکروا رؤیهٔ الباری.

وقال فی الاعتصام:۲ الهامش ۱/۱۹۷:

بعض علماء الکلام.. عدوا من البدعهٔ قول من یصف الباری تعالی بالعلو وبأنه علی عرشه... وهذا هو عین السنهٔ المأثوره عن الصحابه.

وقال فی الإعتصام: ۲/۳۳۴:

وذهب جماعة من العلماء إلى أن المراد بالرأى المذموم فى هذه الأخبار البدع المحدثة كرأى أبى جهم وغيره..فقالوا لايجوز أن يرى الله فى الآخرة لأنه تعالى يقول: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ..

وقال الذهبى فى تاريخ الإسلام:۲۰/۱۵۳:

محمد بن أحمد بن حفص بن الزبرقان: أبو عبد الله البخارى عالم أهل بخارى وشيخهم وكان فقيها ورعاً زاهداً، ويكفر من قال بخلق القرآن ويثبت أحاديث الرؤية والنزول، ويحرم المسكر توفى سنة ۲۶۴ هفى رمضان. انتهى. ومدحه للبخارى بأنه يثبت أحاديث الرؤية والنزول يدل على أنه يوجد كثيرون ينفونها.

وقال الطوسى فى تفسير التبيان: ۴/۲۲۶:

روى مسروق عن عائشة أنها قالت: من حدثك أن رسول الله رأى ربه فقد كذب: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ولكن رأى جبرئيل فى صورته مرتين. وفى رواية أخرى أن مسروقاً لما قال لها: هل رأى محمد ربه قالت: سبحان الله لقد قف شعرى مما قلت! ثم قرأت الآية. وقال الشعبى: قالت عائشة: من قال إن أحداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على الله، وقرأت الآية، وهو قول السدى وجماعة أهل العدل من المفسرين كالحسن والبلخى والجبائى والرمانى وغيرهم. وقال أهل الحشو والمجبرة بجواز الرؤية على الله تعالى فى الآخرة، وتأولوا الآية على الإحاطة، وقد بينا فساد ذلك.

على يوضح ما لم توضحه عائشة

نهج البلاغة:۱/۱۴:

الحمد لله الذى لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصى نعمه العادون، ولا يؤدى حقه المجتهدون.

الذى لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذى ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود.

فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه. كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شئ لا بمقارنة، وغير كل شئ لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والالة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده. انتهى.

وسيأتى فى الفصل الرابع المزيد من جواهر النبى وآله فى التوحيد ونفيهم المطلق للرؤية والتشبيه والتجسيم عن الله تبارك وتعالى.

و اصل روايات الرؤية بالعين لا تتجاوز العشرة

قال الذهبى فى سيره:۱۰/۴۵۵:

قال أحمد بن حنبل: أخبرنى رجل من أصحاب الحديث أن يحيى بن صالح قال: لو ترك أصحاب الحديث عشرة أحاديث يعنى هذه التى فى الرؤية، ثم قال أحمد: كأنه نزع إلى رأى جهم... قلت: والمعتزلة تقول لو أن المحدثين تركوا ألف حديث فى الصفات والأسماء والرؤية والنزول لاصابوا. والقدرية تقول أنهم تركوا سبعين حديثاً فى إثبات القدر. والرافضة تقول لو أن الجمهور تركوا من الأحاديث التى يدعون صحتها ألف حديث لأصابوا، وكثير من ذوى الرأى يردون أحاديث شافه بها الحافظ المفتى المجتهد أبو هريرة رسول الله(ص)، ويزعمون أنه ما كان فقيهاً ويأتوننا بأحاديث ساقطة أو لا يعرف لها إسناد أصلاً محتجين بها.

قلنا: وللكل موقف بين يدى الله تعالى، يا سبحان الله أحاديث رؤية الله فى الآخرة متواترة والقرآن مصدق لها، فأين الإنصاف. انتهى.

نقول: الإنصاف أن فی القرآن آیات تنفی الرؤیة بالعین بشکل قاطع فهی محکمة، وفیه آیات یفهم من ظاهرها الرؤیة بالعین فیجب تأویلها لأنها متشابه یحمل علی المحکم، أما أحادیث الرؤیة بالعین فهی مهما کثرت مخالفة للقرآن، مضافاً إلی أن بعضها کذبه الصحابة، وجمیعها کذبها أهل بیت النبی الذین أمر النبی أمته أن تأخذ معالم دینها منهم صلوات الله علیه وعلیهم، وکذبتها عائشة وغیرها من الصحابة. فهذا هو الإنصاف! جعلنا الله جمیعاً من المنصفین فی الأمور العلمیة والعملیة.

الأحادیث القدسیة من الصحاح:۱/۱۴۷:

اختلف العلماء فی الحدیث أعلاه لأنه حدیث من أحادیث الصفات، قال الإمام أبو بکر بن فورک: إنها غیر ثابته عند أهل النقل ولکن قد رواها مسلم وغیره فهی صحیحة..وقول أهل السلف إنه حق ولایتکلم فی تأویلها. انتهی.

ولا بد أن المقصود بقوله أهل النقل الذین لم تثبت عندهم: علماء الجرح والتعدیل وأئمة الحدیث النقاد، بینما هی ثابتة عند المتساهلین، وعند الذین یمیلون إلی ما تریده الدولة. کما أن شهادة ابن فورک بأن مسلماً روی فی صحیحه ما لم یثبت عند أهل النقل یجب أن تفتح الباب لإعادة تقییم روایات مسلم.

و غلبت موجة کعب و دخلت الرؤیة والتشبیه فی عقائد المسلمین

کانت موجة التشبیه التی ساندتها الدولة أقوی من مواجهة الراوین فقد استطاع الخلیفة عمر ومن سار علی خطه أن یحدثوا موجة من القول بالرؤیة کما ستعرف، وقد غلبت هذه الموجة رأی عائشة وکل الصحابة ورجحت علیهم، وصارت الرؤیة بالعین جزءً من عقیدة جمهور المسلمین إلی یومنا هذا، وتبرع علماء إخواننا السنة بتأویل کلام عائشة رغم صراحته، بل تجرؤوا علی رد کلامها رغم ثقتهم بها ومکانتها فی عقائدهم، وقالوا إنها قالت ذلک باجتهادها!! مع أن الطبری وغیره رووا أنها لم تنف الرؤیة من اجتهادها بل روت ذلک عن النبی صلی الله علیه وآله.

قال الدمیری فی حیاة الحیوان:۲/۷۲:

واختلف العلماء من السلف والخلف فی أنه هل رأی نبینا محمد(ص)ربه تعالی أم لا، فأنکرته عائشة وأبو هریرة وابن مسعود وجماعة من السلف، وبه قال جماعة من المتکلمین والمحدثین، وأجازه جماعة من السلف وأنه(ص)رأی ربه لیلة الاسراء بعینی رأسه، وهو قول ابن عباس وأبی ذر وکعب الأحبار والحسن البصری والشافعی وأحمد بن حنبل، وحکی أیضاً عن ابن مسعود وأبی هریرة، والمشهور عنهما الأول، وبهذا القول الثانی قال أبو الحسن وجماعة من أصحابه، وهو الاصح، وهو مذهب المحققین من السادة الصوفیة... قلت: رؤیة الله تعالی فی الدنیا والآخرة جائزة بالأدلة العقلیة والنقلیة... وأما استدلال عائشة رضی الله عنها علی عدم الرؤیة بقوله تعالی: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ، ففیه بُعْدٌ، إذ یقال بین الادراک والأبصار فرق، فیکون معنی لا تدرکه الأبصار أی لا تحیط به مع أنها تبصره، قاله سعید بن المسیب وغیره. وقد نفی الإدراک مع وجود الرؤیة فی قوله تعالی: فَلَمَّا تَرَاءَی الْجَمْعَانِ قال أصحاب موسی إنا لمدرکون قال کلا أی لا یدرکونکم. وأیضاً فإن الأبصار عموم وهو قابل للتخصیص فیختص المنع بالکافرین کما قال تعالی عنهم: کَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ یَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، ویکرم المؤمنین أو من شاء الله منهم بالرؤیة کما قال تعالی: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وبالجملة فالآیة لیست نصاً ولا من الظواهر الجلیة فی عدم جواز الرؤیة، فلا حجة فیها والله أعلم. انتهی.

وقد لاحظت کیف صاغ صاحب حیاة الحیوان الموضوع، وجعله مسألة ذات وجهین وکثَّر القائلین بالرؤیة من السلف والخلف، ثم خلط الإدراک بمعنی اللحوق بالإدراک بمعنی الرؤیة، وجعل إمکان تخصیص الله تعالی لعموم آیة تخصیصاً بالفعل، ثم کابر فی إنکار الظاهر.. ثم جعل روایة عائشة استدلالاً من زمیلة له.. کل ذلک لأنه یرید مذهب کعب الأحبار فی الرؤیة بالعین بأی ثمن!!

وقال فی عارضة الأحوذی: ۶ جزء ۱۱ هامش/۱۸۸:

عن ابن عربی إن الله لم ینزل هذه الآیة لنفی الرؤیة لله ولا جاءت بها عائشة، فإنه سبحانه وتعالی یری فی الدنیا والآخرة جوازاً ووقوعاً!!

وقال النووی فی شرح مسلم:۲ جزء ۳/۴-۵:

قال القاضی عیاض: اختلف السلف والخلف هل رأی نبینا (ص) ربه لیلة الإسراء فأنکرته عائشة.. وجاء مثله عن أبی هریرة..

... الراجح عند أکثر العلماء أن رسول الله (ص) رأی ربه بعینی رأسه لیلة الإسراء... عائشة لم تنف الرؤیة وإنما اعتمدت الإستنباط من الآیات... أما احتجاج عائشة بقول الله: لا تدرکه الابصار فإن الإدراک هو الإحاطة!

وقال النووی فی شرح مسلم:۲/۹۴ ـ هامش الساری:

عن عبدالله بن مسعود (رض) فی قوله تعالی مَا کَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَی قال: رأی جبریل له ستمائة جناح وهو مذهبه فی هذه الآیة.. وذهب الجمهور من المفسرین إلی أن المراد أنه رأی ربه سبحانه وتعالی! انتهی.

وقال الطبری فی تفسیره:۷/۲۰۱ ـ ۲۰۲:

إلاـ أنه جائز أن یکون معنی الآیة: لاـ تدرکه أبصار الظالمین فی الدنیا والآخرة وتدرکه أبصار المؤمنین وأولیاء الله! قالوا وجائز أن یکون معناها لا تدرکه الأبصار بالنهایة والإحاطة وأما الرؤیة فبلی. وقال آخرون الآیة علی العموم ولن یدرک الله بصر أحد فی الدنیا والآخرة، ولکن الله یحدث لأولیائه یوم القیامه حاسة سادسة سوی حواسهم الخمس فیرونه بها! انتهی.

ولکن دعوی الحاسة السادسة تعنی التنازل عن أحادیث الرؤیة التی تصرح بالرؤیة بالعین البشریة المعهودة، کما سیأتی.

و ایدوا قول کعب بحدیث العماء وادعوا قدم الفضاء مع الله تعالی

مسند أحمد:۴/۱۱:

ابن سلمة عن یعلی بن عطاء عن وکیع بن حدس عن عمه أبی رزین قال قلت یا رسول الله أین کان ربنا عز وجل قبل أن یخلق خلقه؟ قال: کان فی عماء. ما تحته هواء وما فوقه هواء. ثم خلق عرشه علی الماء.

سنن الترمذی:۴/۳۵۱:

قال: کان فی عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه علی الماء. قال أحمد قال یزید: العماء أی لیس معه شی. هکذا یقول حماد بن سلمة. هذا حدیث حسن. انتهی ورواه ابن ماجة فی سننه:۱/۶۴ ورواه البیهقی فی المحاسن والمساوئ:۱/۴۷.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۳/۳۲۲:

وأخرج الطیالسی وأحمد والترمذی وحسنه وابن ماجه وابن جریر وابن المنذر وأبوالشیخ فی العظمة وابن مردویه والبیهقی فی الأسماء والصفات عن أبی رزین (رض)... قال: کان فی عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه علی الماء. قال الترمذی (رض): العماء أی لیس معه شی. انتهی. ورواه فی کنز العمال:۱/۲۳۶ وفی:۱۰/۳۷۰ وقال فی مصادره (حم وابن جریر، طب وأبوالشیخ فی العظمة. عن أبی رزین) وقال فی هامشه: العماء بالفتح والمد: السحاب. قال أبو عبید: لایدری کیف کان ذلک العماء. وفی روایة کان فی عما بالقصر، ومعناه لیس معه شی. النهایة ۳ـ۳۰۴. انتهی.

ملاحظة: مقصود الراوی بالعماء الفضاء الخالی، وبعض روایات الحدیث نصت علی ذلک، فیکون الفضاء حسب تصوره إلهاً مع الله تعالی، أو قبله! ویکون وجوده تعالی مادیاً محتاجاً لأن یکون فی فضاء! وقد کان الترمذی محتاطاً فابتعد عن مسؤولیة تفسیره بأنه لیس معه أحد، وجعل ذلک علی عهدة یزید وحماد بن سلمة!

ویؤید ما ذکرنا، أن کلمة العماء تستعمل عند عوام العرب لمکان الخراب فی مقابل العمران، شبیهاً بالأرض البائرة والمزروعة، فیقولون کانت هذه المنطقة عماء لاـ عمران فیها أو لاـ إنسان فیها. فیکون معنی أن الله تعالی کان فی عماء أن الراوی تصور أن الکون کان فضاء وهواء وکان الله تعالی فی ذلک الفضاء العماء، ثم أعمره بالخلق.

وقد یقال فی توجیه الحدیث إنه تفسیر لقوله تعالی (وَکَانَ عَرْشُهُ عَلَی الْمَاءِ) ولکن السؤال فیه عما قبل العرش وقبل کل الخلق، أی

عما هو قبل القبل، فکیف یصح جعل العماء والهواء قدیماً أو واجب الوجود قبل القبل!

وقد یقال إن المقصود بالخلق فی السؤال الملائکة والناس. ولکن إطلاق السؤال عما قبل الخلق یأبی تخصیصه بذوی الأرواح أو ببعض المخلوقات.

وکذلک لا یصح تفسیر العماء بالعدم المطلق، لأن تعبیر (ما تحته هواء وما فوقه هواء) یجعل تفسیره بالعدم المطلق تعامیاً!

و هاجموا أمهم عائشة وأساؤوا معها الأدب

کتاب التوحید لابن خزیمة/۲۲۵-۲۳۰:

قال أبوبکر: هذه لفظة أحسب عائشة تکلمت بها فی وقت غضب، ولو کانت لفظة أحسن منها یکون فیها درک لبغیتها کان أجمل بها، لیس یحسن فی اللفظ أن یقول قائل أو قائلة: قد أعظم ابن عباس الفریة وأبوذر وأنس بن مالک وجماعات من الناس الفریة علی ربهم! ولکن قد یتکلم المرء عند الغضب باللفظة التی یکون غیرها أحسن وأجمل منها... إلی آخر هجوم ابن خزیمة المجسم وغیره علی أمهم عائشة. راجع الفصل الأول من کتاب الوهابیة والتوحید.

ثم رووا الرؤیة بالعین حتی عن ابن عباس وعائشة

مستدرک الحاکم:۲/۳۱۶:

أخبرنا أبو زکریا یحیی بن محمد العنبری، ثنا محمد بن عبدالسلام، ثنا إسحاق بن إبراهیم، أنبأ إبراهیم بن الحکم بن أبان، حدثنی أبی، عن عکرمة، عن ابن عباس رضی الله عنهما أنه سئل هل رأی محمد ربه؟ قال: نعم رأی کأن قدمیه علی خضرة دونه ستر من لؤلؤ! فقلت یا ابن عباس ألیس یقول الله: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ؟ قال: یا لا أم لک، ذلک نوره وهو نوره، إذا تجلی بنوره لا یدرکه شی. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه.

وقال فی هامش تهذیب التهذیب:۴/۱۱۳:

فی تهذیب الکمال عن عکرمة عن ابن عباس قال: رأی محمد(ص)ربه تعالی، فقلت لابن عباس: ألیس الله یقول: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ؟ قال: أسکت لا أم لک، إنما ذلک إذا تجلی بنوره لم یقم لنوره شی. اه.

مجمع الزوائد:۷/۱۱۴:

وعن ابن عباس قال: إن محمد(ص)رأی ربه، قال عکرمة: یا أبا عباس ألیس یقول الله: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ؟ فقال ابن عباس لا أم لک، إنما ذلک إذا تجلی بکیفیة لم یقم له بصر.

قلت: له حدیث رواه الترمذی غیر هذا رواه الطبرانی وفیه إبراهیم بن الحکم بن أبان وهو متروک. انتهی.

مجمع الزوائد:۱/۷۸:

وعن ابن عباس أنه کان یقول: إن محمداً(ص)رأی ربه مرتین مرة ببصره ومرة بفؤاده. رواه الطبرانی فی الأوسط ورجاله رجال الصحیح، خلا جهور بن منصور الکوفی، وجهور بن منصور ذکره ابن حبان فی الثقات.

کتاب التوحید لابن خزیمة/۱۹۸:

... عن عبدالله بن أبی سلمة أن عبدالله بن عمر بن الخطاب بعث إلی عبدالله بن العباس یسأله هل رأی محمد(ص)ربه؟ فأرسل إلیه عبد الله بن العباس أن نعم، فرد علیه عبدالله بن عمر رسوله أن کیف رآه؟ قال فأرسل أنه رآه فی روضة خضراء دونه فراش من ذهب علی کرسی من ذهب یحمله أربعة من الملائکة، ملک فی صورة رجل، وملک فی صورة ثور، وملک فی صورة نسر، وملک فی صورة أسد. انتهی.

هـذه هى الروايـة التى شـهرها ابن خزيمـة سـيفاً على مذهب أمه عائشة، لأنها خالفت فيه مذهب الخليفة عمر، وهى رواية إسـرائيلية مع الاسف! وقـد علق عليها الشـيخ محمد الهراس بقوله (لعل ابن عباس أخذ رأيه هذا من كعب الأحبار فقد كان كعب يقول إن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد).

ثم قال ابن خزيمة فى/۱۹۹:

عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية... عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: رأى محمد(ص)ربه... عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال: رأى محمد ربه. انتهى.

وعلق عليه الهراس بقوله (هذا رأى لا دليل عليه، وهذا مخالف لقوله عليه السلام فى حديث أبى ذر (نور) أنى أراه).

وقد روى ابن خزيمة نفسه حديث أبى ذر فى نفى النبى رؤية ربه بعينه! قال فى/۲۰۶:... محمد بن بشار بندار حدثنا بهذا الخبر، قال ثنا معاذ بن هشام، قال حـدثنى أبى، عن قتادة، عن عبدالله بن شـقيق، قال قلت لأبى ذر: لو رأيت رسول الله(ص)لسألته، فقال عن أى شـئ كنت تسأله؟ فقال كنت أسأله هل رأيت ربك؟ فقال أبوذر: قد سألته فقال رأيت نوراً. انتهى.

ويلاحظ أن ابن خزيمـة لم يرو تعجب النبى صـلى الله عليه وآله من سؤال أبى ذر (أنى أراه!) فقـد علق عليه الهراس بقوله (قوله رأيت نوراً: يفيـد أنه لم يرد بـذلك النور نور ذاته عز وجـل، وإلاـ لقـال للسائـل نعم رأيته، فهو أراد أن يفهم السائل أن الـذى رآه هو النور، ولعله نور الحجاب كما ورد فى حديث أبى موسى (حجابه النور) وهو الذى حال دون رؤيته له سبحانه). انتهى. ولم يترك ابن خزيمة شيئاً إلاـ وتشبث به لاثبـات الرؤيـة بـالعين فقـد روى أن الحسن البصـرى كان يحلف الإيمان على الرؤيـة بالعين!! قال فى/۱۹۹:.. ابن سليمان عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن يحلف بالله لقد رأى محمد ربه. انتهى.

وعلق عليه الهراس بقوله: كيف يحلف الحسن سـامحه الله على أمر لم يتبين صـدقه، وهو محـل خلاـف بين الصـحابة وجمهورهم على نفيه! انتهى.

ثم أفتوا بكفر و ضلال من خالفهم و شملت فتواهم أمهم عائشة

قال النووى فى شرح مسلم:۲ جزء ۳/۱۵:

بـاب إثبـات رؤيـة المـؤمنين فى الآـخرة لربهم..إن مـذهب أهـل السـنة أن رؤيـة الله ممكنـة.. وزعمت طائفـة من أهـل البـدع المعـتزلة والخوارج وبعض المرجئة أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً.

قال الشاطبى فى الاعتصام:۱/۲۳۱:

ومنها ردهم أهل البدع للاحاديث التى غير موافقه لاغراضـهم ومذاهبهم..كالمنكر لعذاب القبر والصراط المستقيم والميزان، ورؤية الله فى الآخرة، وكذلك حديث الذباب وقتله، وأن فى أحد جناحيه داء والآخر دواء!

وقال الذهبى فى سيره:۱۴/۳۹۶:

أخبرنا إسماعيل بن إسماعيل فى كتابه: أخبرنا أحمد بن تميم اللبلى ببعلبك، أخبرنا أبو روح بهراة، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبدالواحـد بن أحمـد المليجى، أخبرنا أحمد بن محمد الخفاف، حدثنا أبو العباس السـراج إملاء قال: من لم يقر بأن الله تعالى يعجب ويضـحك وينزل كل ليلة إلى السـماء الدنيا فيقول من يسألنى فأعطيه، فهو زنديق كافر، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين.

قلت: لا يكفر إلا إن علم أن الرسول(ص)قاله، فإن جحـد بعـد ذلك فهـذا معانـد، نسأل الله الهدى، وإن اعترف أن هذا حق ولكن قال أخوض فى معانيه فقد أحسن، وإن آمن وأول ذلك كله أو تأول بعضه، فهو طريقة معروفة.

وقال الذهبى فى سيره:۷/۳۸۱:

قال حفص بن عبدالله: سمعت إبراهيم بن طهمان يقول: والله الذى لا إله إلا هو لقد رأى محمد ربه.

وقال أبوحاتم: شيخان بخراسان مرجئان: أبوحمزة السكرى وإبراهيم بن طهمان وهما ثقتان. وقال أبو زرعة: كنت عند أحمد بن حنبل فذكر إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً من علة فجلس وقال: لا ينبغى أن يذكر الصالحون فيتكأ. وقال أحمد: كان مرجئاً شديداً على الجهمية.

وقال الدميرى فى حياة الحيوان:۲/۷۲:

واختلف فى جواز الرؤية فأكثر المبتدعة على إنكار جوازها فى الدنيا والآخرة وأكثر أهل السنة والسلف على جوازها فيهما ووقوعها فى الآخرة.

وقال الذهبى فى تذكرة الحفاظ:۲/۴۳۵:

وقال أحمد بن سلمة: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: جمعنى وهذا المبتدع ابن أبى صالح مجلس الأمير عبدالله بن طاهر فسألنى الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال ابن أبى صالح: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء! فقلت: آمنت برب يفعل ما يشاء.

هذه حكاية صحيحة رواها البيهقى فى الأسماء والصفات. قال البخارى: مات ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وله سبع وسبعون سنة.

وقال السبحانى فى بحوث فى الملل والنحل:۲/۳۷۳:

... وقفنا على فتوى لعبد العزيز بن عبد الله بن باز مؤرخة ۸/۳/۱۴۰۷ مرقمة ۱۷۱۷/۲ جواباً على سؤال عبدالله عبدالرحمن فى جواز الإقتداء والإئتمام بمن لا يعتقد بمسألة الرؤية يوم القيامة فأفتى: من ينكر رؤية الله سبحانه وتعالى فى الآخرة لا يصلى خلفه وهو كافر عند أهل السنة والجماعة. واستدل لذلك بما ذكره ابن القيم فى كتابه (حادى الأرواح) ذكر الطبرى وغيره أنه قيل لمالك: إن قوماً يزعمون أن الله لا يرى يوم القيامة فقال مالك رحمه الله: السيف السيف.

وقال أبو حاتم الرازى: قال أبو صالح كاتب الليث: أملى علىَّ عبدالعزيز بن سلمة الماجشون رسالة عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملى لهم الشيطان حتى جحدوا قول الله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.

... عن أحمد بن حنبل وقيل له فى رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبى العواطف إن الله لا يرى فى الآخرة فقال: لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم ثم قال: أخزى الله هذا.

وقال أبو بكر المروزى: من زعم أن الله لا يرى فى الآخرة فقد كفر. وقال: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمى والجهمى كافر.

وقال إبراهيم بن زياد الصائغ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية من كذب بها فهو زنديق، وقال: من زعم أن الله لا يرى فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره، يستتاب فإن تاب وإلا قتل.. إلخ) انتهى.

ويشمل حكم الشيخ ابن باز هذا أم المؤمنين عائشة لأنها كذبت من زعم أن النبى صلى الله عليه وآله رأى الله تعالى واستدلت على نفى إمكانية رؤية الله تعالى مطلقاً فى الدنيا والآخرة بقوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ. ولا طريق أمام ابن باز إلا أن يقول بكفر عائشة، أو يكذب روايات البخارى ومسلم عنها!!

وقد كان الألبانى أرحم من أستاذه ابن باز فقد رفع حكم التكفير عن أمه عائشة وعن عدة فئات من المسلمين فقال فى فتاويه/۱۲۳: علماء السلف كفروا الجهمية وأعلنوا كفرهم. وأفتوا بقتل رأسهم لكنهم لا يكفرون الأباضية الذين ينكرون رؤية الله فى الآخرة كذلك المعتزلة.. لكنهم يكتفون بتضليلهم دون كفرهم.. وقال فى/۲۹۲ قال ابن تيمية:... كان أبو حنيفة والشافعى وغيرهما يقبلون شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية ويصححون الصلاة خلفهم.. أئمة الدين لا يكفرون ولا يفسقون ولا يؤثمون أحداً من المجتهدين المخطئين لا فى مسائل علمية ولا عملية... كتنازع الصحابة هل رأى محمد ربه.

.. وأهل السنة لا يبتدعون قولاً ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ، كما لم تكفر الصحابة الخوارج مع تكفيرهم لعثمان وعلى ومن والاهما.

وفی مقابل حملة التکفیر هذه، فإن الذین نفوا رؤیة الله تعالی بالعین لم یکفروا أصحاب الرؤیة بل أفتوا بأنهم: لا یفهمون ما یقولون! قال الشاطبی فی الاعتصام:۱/۲۳۶: حکی أبو بکر بن العربی عن بعض من لقی بالمشرق من المنکرین للرؤیة أنه قیل له: هل یکفر من یقول بإثبات الرؤیة؟ فقال لا، لأنه قال بما لا یعقل..قال ابن العربی: فهذه منزلتنا عندهم!

و کبر کعب الأحبار لأنه انتصرعلی المسلمین

روی الذهبی فی سیره:۱۴/۴۵ عن عکرمة حدیث ابن عباس، وقال الناشر فی هامشه: أخرجه ابن خزیمة فی التوحید/۱۹۹ من طریق عبد الوهاب بن الحکم الوراق، حدثنا هاشم بن القاسم، عن قیس بن الربیع، عن عاصم الاحول، عن عکرمة، عن ابن عباس قال: إن الله.. الخ. وأخرجه أیضاً/۱۹۷ من طریق محمد بن بشار، ومحمد بن المثنی قالا: حدثنا معاذ بن هشام، حدثنی أبی، عن قتادة، عن عکرمة، عن ابن عباس... وهذا رأی لا دلیل علیه، وهو مخالف للأدلة الکثیرة الوفیرة فی أنه(ص)لم یر ربه فی تلک اللیلة. وقد حکی عثمان بن سعید الدارمی اتفاق الصحابة علی ذلک. أنظر التفصیل فی زاد المعاد:۳/۳۶-۳۷. انتهی.
هذا، ولکن المعروف عن ابن عباس أنه کان ینفی التشبیه والرؤیة کما تقدم، فلا یبعد أن یکون الحدیث مکذوباً علیه من عکرمة غلامه، فقد کان عکرمة معروفاً بالکذب علی ابن عباس فی حیاته وبعد وفاته، حتی ضربه ابن عباس وولده وحبسوه لهذا السبب فی المرحاض، کما هو معروف فی کتب الجرح والتعدیل. وکان عکرمة یروی الاسرائیلیات عن وهب وکعب وغیرهما من الیهود.
ویؤید ذلک أن السهیلی روی هذا الحدیث فی الروض الأنف:۲/۱۵۶ عن کعب ولیس عن ابن عباس. وغرض کعب من هذه الروایة أن یثبت تجسم الله تعالی ورؤیته بالعین، فقد کان ذلک مطلباً مهماً یسعی إلیه، فقد روی ابن خزیمة فی کتاب التوحید/۲۲۵ -۲۳۰:... عن الشعبی عن عبدالله بن الحرث قال: اجتمع ابن عباس وکعب فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم نزعم أو نقول: إن محمداً رأی ربه مرتین، قال فکبر کعب حتی جاوبته الجبال! فقال: إن الله قسم رؤیته وکلامه بین محمد وموسی صلی الله علیهما وسلم! انتهی.
ومن الواضح أن تکبیر کعب الأحبار (حتی جاوبته الجبال!) یدل علی أن إثبات رؤیة النبی صلی الله علیه وآله کان مطلباً مهماً عند کعب وأنه کان یبحث عمن یوافقه علیه ولاـ یجد، فلما وافقه ابن عباس کما تدعی الروایة صرخ بصوت عال من فرحه، لأن ذلک یوافق مصادره الیهودیة فی تجسید الله تعالی وجلوسه علی عرشه ونزوله إلی الأرض ومصارعته لیعقوب.. إلی آخر افتراءات الیهود علی الله تعالی!

واشتغل الوضاعون و کثرت أحادیث الرؤیة والتشبیه والتجسیم

تقدم عن عائشة وغیرها تکذیب أحادیث الرؤیة عموماً، وقد طفح کیل هذه الأحادیث من کل لون، لأن الدول کانت تشجعه، ولأن الموضوع قابل للأسطورة..حتی اعترفت مصادر الجرح والتعدیل عند إخواننا بوضع عدد کبیر منها!
هل روی حماد أحادیث الرؤیة والتشبیه أم دسوها فی لحیته؟
قال ابن حجر فی تهذیب التهذیب:۳/۱۵:
حدثنی إبراهیم بن عبدالرحمن بن مهدی قال: کان حماد بن سلمة لا یعترف بهذه الأحادیث أی فی الصفات، حتی أخرج مرة إلی عبادان فجاء وهو یرویها، فسمعت عباد بن صهیب یقول: إن حماداً کان لا یحفظ، وکانوا یقولون إنها دست فی لحیته. وقد قیل إن ابن أبی العوجاء کان ربیبه فکان یدس فی کتبه..

و انکر مالک أحادیث التشبیه و اعتذر عنه الذهبی بأنه جاهل

قال الذهبی فی سیره:۸/۱۰۳:

أبو أحمد بن عدى: حدثنا أحمد بن على المدائنى، حدثنا إسحاق ابن إبراهيم بن جابر، حدثنا أبوزيد بن أبى الغمر، قال قال ابن القاسم: سألت مالكاً عمن حدث بالحديث الذين قالوا: إن الله خلق آدم على صورته. والحديث الذى جاء: إن الله يكشف عن ساقه، وأنه يدخل يده فى جهنم حتى يخرج من أراد. فأنكر مالك ذلك إنكاراً شديداً ونهى أن يحدث بها أحد! فقيل له: أن ناساً من أهل العلم يتحدثون به فقال: من هو؟ قيل ابن عجلان عن أبى الزناد. قال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء، ولم يكن عالماً. وذكر أبا الزناد فقال: لم يزل عاملاً لهؤلاء حتى مات. رواها مقدام الرعينى عن ابن أبى الغمر والحارث بن مسكين قالا: حدثنا ابن القاسم.

قلت: أنكر الإمام ذلك لأنه لم يثبت عنده ولا ـ اتصل به فهو معذور، كما أن صاحبى الصحيحين معذوران فى إخراج ذلك أعنى الحديث الأول والثانى لثبوت سندهما، وأما الحديث الثالث فلا أعرفه! انتهى.

وهذا النص يدل بوضوح على أن الأمويين كانوا يتبنون أحاديث الرؤية والتجسيم، وأن الإمام مالك ذم الراوى بأنه كان عاملاً مطيعاً لهم حتى مات. وأن أجواء هذه الإعتقادات كانت محدودة بالدولة بخلاف الجو العام للمسلمين الذى يعيش فيه الإمام مالك. وقد بينا فى كتاب الوهابية والتوحيد عدم صحة ما نسبه الوهابيون إلى الإمام مالك من تفسير الصفات بالظاهر.

نماذج من الأحاديث الموضوعة لتأييد مذهب كعب

قال فى كتابه الموضوعات:١/١٢٤ ـ ١٢٥:

حديث آخر فى ذكر النزول يوم عرفة، إذ لو رواه الثقات كان مردوداً والرسول منزه أن يحكى عن الله عز وجل ما يستحيل عليه، وأكثر رجاله مجاهيل وفيهم ضعفاء. أنبأنا أبو منصور عبدالرحمن بن محمد العرار (القزاز) قال أنبأنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت، قال أنبأنا الحسن بن أبى بكر، قال أنبأنا محمد بن عبد الله الشافعى، قال حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذى، قال حدثنا نعيم بن حماد، قال حدثنا ابن وهب، قال حدثنا عمرو بن الحرث، عن سعيد بن أبى هلال، عن مروان بن عثمان، عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل امرأة أبى أنها سمعت رسول الله(ص)يذكر أنه رأى ربه تعالى فى المنام فى أحسن صورة شاباً موفوراً رجلاه فى مخصر عليه نعلان من ذهب فى وجهه مراس من ذهب.

أما نعيم فقد وثقه قوم وقال ابن عدى: كان يضع الحديث، وكان يحيى بن معين يهجنه فى روايته حديث أم الطفيل وكان يقول: ما كان ينبغى له أن يحدث بمثل هذا وليس نعيم بشئ فى الحديث.

وأما مروان فقال أبو عبد الرحمن النسائى: ومن مروان حتى يصدق على الله عز وجل، قال مهنى: سألت أحمد عن هذا الحديث فحول وجهه عنى وقال: هذا حديث منكر هذا رجل مجهول عنى مروان. قال: ولا يعرف أيضاً عمارة.

وقال الذهبى فى ميزان الاعتدال:۴/۲۶۹:

نعيم بن حماد، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبى هلال، عن مروان بن عثمان عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل ـ أنها سمعت النبى (ص) يقول: رأيت ربى فى أحسن صورة شاباً موقراً رجلاه فى خصر عليه نعلان من ذهب. قال أبو عبدالرحمن النسائى: ومن مروان حتى يصدق على الله تعالى.

وقال فى سيره:١٠/٦٠٢:

قال عبد الخالق بن منصور: رأيت يحيى بن معين كأنه يهجن نعيم بن حماد فى خبر أم الطفيل فى الرؤية ويقول: ما كان ينبغى له أن يحدث بمثل هذا. وقال أبو زرعة النصرى: عرضت على دحيم ما حدثناه نعيم بن حماد، عن الوليد بن مسلم، عن ابن جابر، عن ابن أبى زكريا، عن رجاء بن حيوة، عن النواس: إذا تكلم الله بالوحى. الحديث فقال لا ـ أصل له. فأما خبر أم الطفيل فرواه محمد بن إسماعيل الترمذى وغيره حدثنا نعيم، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبى هلال أن مروان بن عثمان حدثه عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل امرأة أبى بن كعب: سمعت رسول الله(ص)يذكر أنه رأى ربه فى صورة كذا. فهذا خبر منكر جداً.

وقال فی هامش سیر أعلام النبلاء:۱۸/۴۹:

(۴) أخرجه الخطیب فی تاریخه ۱۳ ـ ۳۱۱ من طریق نعیم بن حماد، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث، عن سعید بن أبی هلال، عن مروان بن عثمان، عن عمارة بن عامر، عن أم الطفیل إمرأة أبی أنها سمعت النبی(ص)یذکر أنه رأی ربه تعالی فی المنام فی أحسن صورة شاباً موقراً رجلاه فی خضرة له نعلان من ذهب علی وجهه مراس من ذهب، وأورده ابن الجوزی فی الموضوعات وقال: موضوع، نعیم وثقه قوم وقال ابن عدی: یضع، وصفه ابن عدی بسبب هذا الحدیث، ومروان کذاب، وعمارة مجهول، وسئل أحمد عن هذا الحدیث فقال: منکر. وفی المیزان ۴ ـ ۹۲: مروان بن عثمان بن أبی سعید بن المعلی الزرقی: ضعفه أبوحاتم، وقال أبوبکر محمد بن أحمد الحداد الفقیه: سمعت النسائی یقول: ومن مروان بن عثمان حتی یصدق علی الله! قاله فی حدیث أم الطفیل. وأورده فیالمیزان ۴ ـ ۲۲۹ فی ترجمة نعیم بن حماد فی جملة الأحادیث التی أنکرت علیه. وقال الحافظ فی الإصابة ۴ ـ ۴۷۰ فی ترجمة أم الطفیل بعد أن أورده عن الدار قطنی من طریق مروان بن عثمان... ومروان متروک، قال ابن معین: ومن مروان حتی یصدق.

وقال ابن الجوزی فی الموضوعات: ۱/۲۹۰:

عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله (ص): إن الله أعطی موسی الکلام وأعطانی الرؤیة وفضلنی بالمقام المحمود والحوض المورود. هذا حدیث موضوع علی رسول الله(ص)، والمتهم به محمد بن یونس وهو الکدیمی، وکان وضاعاً للحدیث. قال ابن حبان لعله قد وضع أکثر من ألف حدیث!

وقال فی الموضوعات:۳/۲۵۹:

عن أنس بن مالک عن النبی(ص)قال: إذا أسکن الله عز وجل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. قال: فیهبط تبارک وتعالی إلی الجنة فی کل جمعة فی کل سبعة آلاف یعنی سنة مرة. قال وفی وحیه: وإن یوماً عند ربک کألف سنة مما تعدون فیهبط عز وجل إلی مرج الجنة فیمد بینه وبین الجنة حجاباً من نور فیبعث جبریل إلی أهل الجنة فیأمر فلیزوروه، فیخرج رجل من موکب عظیم حوله صفق أجنحة الملائکة ودوی تسبیحهم والنور بین أیدیهم أمثال الجبال فیمد أهل الجنة أعناقهم فیقولون: من هذا قد أذن له علی الله عز وجل فتقول الملائکة: هذا المجبول بیده والمنفوخ فیه من روحه والمعلم الأسماء والمسجود له من الملائکة الذی أبیح له الجنة، هذا آدم.

وذکر نحو هذا فی إبراهیم ومحمد وقال: ثم یخرج کل نبی وأمته فیخرج الصدیقون والشهداء علی قدر منازلهم حتی یحفوا حول العرش فیقول لهم عز وجل بلذاذة صوته وحلاوة نغمته: مرحباً بعبادی. وذکر حدیثاً طویلاً لا فائدة فی ذکره. وهو حدیث موضوع لا نشک فیه والله عز وجل متنزه عن أن یوصف بلذة الصوت وحلاوة النغمة فکافأ الله من وضع هذا. وفی إسناده یزید الرقاشی وهو متروک الحدیث وضرار بن عمرو قال یحیی: لیس بشیء ولا یکتب حدیثه، وقال الدار قطنی: ذاهب متروک. ویحیی بن عبد الله قال ابن حبان: یأتی عن الثقاة بأشیاء معضلات.

وقال فی الموضوعات: ۳/۲۶۰:

عن أنس بن مالک: أن النبی(ص)قرأ هذه الآیة: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، قال: والله ما نسخها منذ أنزلها یزورون ربهم فیطعمون ویسقون ویطیبون ویحلون وترفع الحجب بینه وبینهم وینظرون إلیه وینظر إلیهم، وذلک قوله تعالی: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِیهَا بُکْرَةً وَعَشِیًّا. هذا حدیث لا یصح وفیه میمون بن شیاه قال ابن حبان: یتفرد بالمناکیر عن المشاهیر، لا یحتج به إذا انفرد. وفیه صالح المری، قال النسائی: متروک الحدیث.

... قال سمعت أنس بن مالک یقول: سمعت رسول الله(ص)یقول: إن الله تعالی یتجلی لأهل الجنة فی مقدار کل یوم علی کثیب کافور أبیض. هذا حدیث لا أصل له وجعفر وجدّه وعاصم مجهولون.

... عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله (ص): بینما أهل الجنة فی نعیمهم إذ سطع لهم نور فنظروا فإذا الرب قد أشرف علیهم من

فوقهم فقال: السلام علیکم یا أهل الجنة فذلک قوله: سلام قولاً من رب رحیم، قال فینظر إلیهم وینظرون إلیه فلا یزالون کذلک حتی یحتجب فیبقی نوره وبرکته علیهم وفی دارهم.

طریق ثان... طریق ثالث...

هذا حدیث موضوع علی رسول الله(ص)ومدار طرقه کلها علی الفضل بن عیسی الرقاشی، قال یحیی: کان رجل سوء. ثم فی طریقه الأول والثانی عبدالله بن عبید، قال العقیلی: لا یعرف إلا به ولا یتابع علیه. وفی طریقة الثالث محمد بن یونس الکدیمی وقد ذکرنا أنه کذاب، وقال ابن حبان: کان یضع الحدیث.

وقال الشاطبی فی الاعتصام:۱ هامش/۳۹:

ولا یغترن أحد بترغیب الخطباء الجاهلین ولا بالحدیث الذی یذکرونه علی منابرهم وهو إذا کانت لیلة النصف من شعبان فقوموا لیلها وصوموا نهارها فإن الله ینزل فیها لغروب الشمس إلی سماء الدنیا فیقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتلی فأعافیه ألا کذا إلا کذا حتی یطلع الفجر. فإن هذا حدیث واه أو موضوع رواه ابن ماجة وعبدالرزاق عن أبی بکر بن عبدالله بن أبی سبرة، وقد قال فیه ابن معین والإمام أحمد أنه یضع الحدیث. نقل ذلک محشیء سنن ابن ماجة عن الزوائد. ووافقه الذهبی فی المیزان فی الإمام أحمد، وذکر عن ابن معین أنه قال فیه: لیس حدیثه بشیء، وقال الناس: متروک.

وقال ابن خزیمة فی کتاب التوحید/۲۱۴:

وقد روی الولید بن مسلم خبراً یتوهم کثیر من طلاب العلم ممن لا یفهم علم الأخبار أنه خبر صحیح من وجه النقل ولیس کذلک هو عند علماء أهل الحدیث، وأنا مبین علله إن وفق الله لذلک حتی لا ـ یغتر بعض طلاب الحدیث به فیلتبس الصحیح بغیر الثابت من الأخبار، وقد أعلمت ما لا أحصی من مرة أنی لا أستحل أن أموه علی طلاب العلم بالاحتجاج بالخبر الواهی وإنی خائف من خالقی جل وعلا ـ إذا موهت علی طلاب العلم بالاحتجاج بالأخبار الواهیة وإن کانت الأخبار حجة لمذهبی. روی الولید قال حدثنی عبدالرحمن بن یزید بن جابر، قال ثنا خالد ابن اللجلاج، قال حدثنی عبدالرحمن بن عائش الحضرمی، قال سمعت رسول الله (ص): رأیت ربی فی أحسن صورة فقال فیم یختصم الملأ الأعلی.. إلخ. انتهی.

وقال ابن الأثیر فی أسد الغابة: ۳/۳۰۴:

اللجلاج وأبو سلام الحبشی لا تصح صحبته لأن حدیثه مضطرب، أخبرنا أبومنصور ابن مکارم بن أحمد بن سعد المؤدب بإسناده عن المعافی بن عمران، عن الأوزاعی، عن عبدالرحمن بن زید أنه سمع خالد بن اللجلاج یحدث مکحولاً، عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمی، أن النبی(ص)قال: رأیت ربی فی أحسن صورة فذکر أشیاء...

وقال المزی فی تهذیب الکمال:۱۷/۲۰۲:

عبدالرحمان بن عائش الحضرمی ویقال: السکسکی الشامی مختلف فی صحبته وفی إسناد حدیثه، روی عنه عن النبی (ص): رأیت ربی فی أحسن صورة وقیل: عنه عن رجل من أصحاب النبی(ص)عن النبی(ص)وقیل: عنه عن مالک بن یخامر، عن معاذ بن جبل، عن النبی(ص)وقیل: غیر ذلک.

وقال أبو زرعة الدمشقی: سألت عبدالرحمن بن إبراهیم قلت له: لعبد الرحمان بن عائش حدیث سوی: رأیت ربی فی أحسن صورة؟ فقال لی عبدالرحمن بن إبراهیم: حدثنا الولید بن مسلم، عن الولید بن سلیمان بن أبی السائب، عن ربیعة بن یزید، عن عبدالرحمان بن عائش قال: الفجر فجران... فذکر الحدیث. وقال أبو زرعة الدمشقی أیضاً: قلت لأحمد بن حنبل إن ابن جابر یحدث عن خالد بن اللجلاج عن عبدالرحمان بن عائش عن النبی (ص): رأیت ربی فی أحسن صورة، ویحدث به قتادة عن أبی قلابة عن خالد بن اللجلاج عن عبدالله بن عباس فأیهما أحب الیک قال: حدیث قتادة هذا لیس بشئ والقول ما قال ابن جابر.

وقال أبوحاتم الرازی: هو تابعی وأخطأ من قال له صحبة.

وقال أبو زرعة: الرازی لیس بمعروف. روی له الترمذی وقد وقع لنا حدیثه بعلو.

وقال ابن ناصر فی توضیح المشتبه:۱/۵۸۸:

محمد بن شجاع الثلجی الفقیه صاحب التصانیف مشهور مبتدع.. قلت:.. وبدعته کونه من أصحاب بشر المریسی یقول بقوله فی القرآن، ومع ذلک رمی بالوضع والکذب، ومن افترائه أنه تکلم فی الشافعی وأحمد..کان یضع أحادیث التشبیه وینسبها إلی أصحاب الحدیث لیثلبهم بذلک..

وقال السقاف فی شرح العقیدة الطحاویة/۴۴۰ ـ ۴۴۱:

فصل: فی بیان أربعة أحادیث باطلة تتعلق بالکرسی:

الحدیث الأول: روی عن سیدنا ابن عباس رضی الله عنهما أنه قال: سئل النبی(ص)عن قول الله تعالی: وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قال: کرسیه موضع قدمیه والعرش لا یقدر قدره.

وهذا باطل مرفوعاً وموقوفاً! وما هو إلا هراء یجل مقام سیدنا رسول الله (ص) أو ابن عباس رضی الله عنهما أن یفوها به، إلا إن حکیاه عن الیهود فی مقام ذم عقائدهم الباطلة وذکر فساد ما یقولون! وقد رواه مرفوعاً الخطیب البغدادی فی تاریخه ۹-۲۵۱، وابن الجوزی فی العلل المتناهیة ۱ ـ ۲۲، ورواه موقوفاً الطبرانی فی الکبیر ۱۲ ـ ۳۹، والحاکم ۲ ـ ۲۸۲، والمجسم الکذاب محمد بن عثمان بن أبی شیبة فی کتاب (العرش)، قال ابن کثیر فی تفسیره ۱ ـ ۳۱۷ کذا أورد هذا الحدیث الحافظ أبو بکر بن مردویه من طریق شجاع بن مخلد الفلاس فذکره وهو غلط، ثم قال بعد ذلک بقلیل وقد رواه ابن مردویه من طریق الحاکم بن ظهیر الفزاری الکوفی وهو متروک، عن السدی عن أبیه عن أبی هریرة مرفوعاً ولا یصح أیضاً.

قلت: الصحیح عندنا فی هذا الحدیث أنه إسرائیلی مأخوذ من کعب الأحبار لأن أبا هریرة وابن عباس رضوان الله علیهما رویا عن کعب الأحبار کما فی تهذیب الکمال للحافظ المزی ۲۴ ـ ۱۹۰ فإذا علمت ذلک فستعرف خطأ الحافظ الهیثمی فی مجمع الزوائد ۶ ـ ۳۲۳ حیث اکتفی بالتصریح بأن رجاله رجال الصحیح، وکذا الإمام الحاکم فی المستدرک صحح الموقوف أیضاً علی شرط الشیخین، وأقره الذهبی (رحمهم الله)فلا تغفل عن هذا، لأن هؤلاء (رحمهم الله) کثیراً ما یصححون فیرد تصحیحهم.

وقد روی نحو هذا الحدیث عن أبی موسی الأشعری موقوفاً کما فی الأسماء والصفات/۴۰۴ للحافظ البیهقی رحمه الله وقد تأول هذا النص البیهقی هناک بقوله: ذکرنا أن معناه فیما نری أنه ـ أی الکرسی ـ موضوع من العرش موضع القدمین من السریر، ولیس فیه إثبات المکان لله سبحانه.

وفی أثر أبی موسی هذا ذکر للاطیط!وقد صرح الحفاظ بأنه لایصح حدیث فی الاطیط وقد اعترف الشیخ المتناقض (یقصد الالبانی) بذلک فی ضعیفته ۲ ـ ۲۵۷ و ۳۰۷!

و فتحوا الطریق لنقد أحادیث الرؤیة بتنازلهم عن عصمة البخاری

فتاوی الألبانی/۵۲۴-۵۳۵:

السؤال هو: هل سبق للشیخ أن ضعف أحادیث فی البخاری وضعفها فی کتاب ما؟ وإن حصل ذلک فهل سبقک إلی ذلک العلماء؟ نرجو الجواب مع الإشارة جزاک الله خیراً.

جواب: حدد لی ذلک.. إلی ماذا.. لأن سؤالک یتضمن شیئین.. هل سبق لک أن ضعفت شیئاً من أحادیث البخاری وهل جمعت ذلک فی کتاب.. فلما ذکرت هل سبقک إلی ذلک.. ماذا تعنی: إلی تضعیف أو إلی تألیف.

سؤال: إلی الاثنین.

جواب: أما أنه سبق لی أن ضعفت أحادیث البخاری فهذه الحقیقة یجب الإعتراف بها ولا یجوز إنکارها. ذلک لأسباب کثیرة جداً

أولها: المسلمون كافة لا فرق بين عالم أو متعلم أو جاهل مسلم..كلهم (...) يجمعون على أنه لا عصمة لاحد بعد رسول الله(ص).. وعلى هذا، من النتائج البديهية أيضاً أن أى كتاب يخطر فى بال المسلم أو يسمع باسمه قبل أن يقف على رسمه، لابد أن يرسخ فى ذهنه أنه لا بد أن يكون فيه شئ من الخطأ، لأن العقيدة السابقة أن العصمة من البشر لم يحظ بها أحد إلا رسول الله(ص).

من هنا يروى عن الإمام الشافعى (رض) أنه قال: أبى الله أن يتم إلا كتابه. فهذه حقيقة لا تقبل المناقشة.

هذا أولاً.. هذا كأصل.. أما كتفريع، فنحن من فضل الله علينا وعلى الناس لكن أكثر الناس لا يعلمون ولكن أكثر الناس لا يشكرون. قد مكننى الله عز وجل من دراسة علم الحديث أصولاً وفروعاً وتعليلاً وتجريحاً، حتى تمكنت إلى حد كبير بفضل الله ورحمته أيضاً أن أعرف الحديث الصحيح من الضعيف من الموضوع، من دراستى لهذا العلم.

على ذلك طبقت هذه الدراسة على بعض الأحاديث التى جاءت فى صحيح البخارى فوجدت نتيجة هذه الدراسة أن هناك بعض الأحاديث التى تعتبر بمرتبة الحسن فضلاً عن مرتبة الصحة فى صحيح البخارى، فضلاً عن صحيح مسلم.

هذا جوأبى عما يتعلق بى أنا.. أما عما يتعلق بغيرى مما جاء فى سؤالك وهو هل سبقك أحد، فأقول والحمد لله سبقت من ناس كثيرين هم أقعد منى وأعرف منى بهذا العلم الشريف وقدامى جداً بنحو ألف سنة.

فالإمام الدارقطنى وغيره قد انتقدوا الصحيحين فى عشرات الأحاديث.. أما أنا فلم يبلغ بى الأمر أن أنتقد عشرة أحاديث. ذلك لأننى وجدت فى عصر لا يمكننى من أن أتفرغ لنقد أحاديث البخارى ثم أحاديث مسلم.. ذلك لاننا نحن بحاجة أكبر إلى تتبع الأحاديث التى وجدت فى السنن الأربعة فضلاً عن المسانيد والمعاجم ونحو ذلك لنبين صحتها من ضعفها. بينما الإمام البخارى والإمام مسلم قد قاما بواجب تنقية هذه الأحاديث التى أو دعوها فى الصحيحين من مئات الالوف من الأحاديث.

هذا جهد عظيم جداً.. ولذلك فليس من العلم وليس من الحكمة فى شئ أن أتوجه أنا إلى نقد الصحيحين (...) وأدع الأحاديث الموجودة فى السنن الأربعة وغيرها، غير معروف صحيحها من ضعيفها.

لكن فى أثناء البحث العلمى تمر معى بعض الأحاديث فى الصحيحين أو فى أحدهما، فينكشف لى أن هناك بعض الأحاديث الضعيفة. لكن من كان فى ريب من ما أحكم أنا على بعض الأحاديث فليعد إلى فتح البارى فسيجد هناك أشياء كثيرة وكثيرة جداً ينتقدها الحافظ أحمد ابن حجر العسقلانى الذى يسمى بحق أمير المؤمنين فى الحديث، والذى أعتقد أنا وأظن أن كل من كان مشاركاً فى هذا العلم يوافقنى على أنه لم تلد النساء بعده مثله.

هذا الإمام أحمد ابن حجر العسقلانى يبين فى أثناء شرحه أخطاء كثيرة فى أحاديث البخارى، بوجه ما كان ليس فى أحاديث مسلم فقط بل وما جاء فى بعض السنن وفى بعض المسانيد.

ثم نقدى الموجود فى أحاديث صحيح البخارى تارة يكون للحديث كله.. أى يقال هذا حديث ضعيف وتارة يكون نقداً لجزء من حديث، أصل الحديث صحيح، لكن يكون جزء منه غير صحيح.

من النوع الأول مثلاً حديث ابن عباس قال: تزوج أو نكح رسول الله (ص)ميمونة وهو محرم.

هذا حديث ليس من الأحاديث التى تفرد بها البخارى دون صاحبه مسلم، بل اشتركا واتفقا على رواية الحديث فى صحيحيهما.

والسبب فى ذلك أن السند إلى راوى هذا الحديث وهو عبدالله بن عباس لاغبار عليه فهو إسناد صحيح لا مجال لنقد أحد رواته، بينما هناك أحاديث أخرى هناك مجال لنقدها من فرد من أفراد رواته.

مثلاً من رجال البخارى اسمه: فليح بن سليمان، هذا يصفه ابن حجر فى كتابه التقريب أنه صدوق سى الحفظ. فهذا إذا روى حديثاً فى صحيح البخارى وتفرد به ولم يكن له متابع أو لم يكن لحديثه شاهد، يبقى حديثه فى مرتبة الضعيف الذى يقبل التقوية بمتابع أو مشاهد. فحديث ابن عباس أن رسول الله(ص) تزوجها وهو محرم لا مجال لنقد إسناده من حيث فرد من رواته كفليح بن سليمان مثلاً.. لا..كلهم ثقات. لذلك لم يجد الناقدون لهذا الحديث من العلماء الذين سبقونا بقرون لم يجدوا مجالاً لنقد هذا الحديث إلا فى رواية

الأول وهو صحابی جلیل فقالوا إن الوهم جاء من ابن عباس، ذلک لأنه کان صغیر السن من جهة، ومن جهة أخری أنه خالف فی روایته لصاحبة القصة أی زوجة النبی(ص)التی هی میمونة، فقد صح عنها أنه علیه السلام تزوجها وهما محلان.

إذاً هذا حدیث وهم فیه راویه الأول وهو ابن عباس فکان الحدیث ضعیفاً، وهو کما ترون کلمات محدودات (تزوج میمونة وهو محرم) أربع کلمات.. مثل هذا الحدیث وقد یکون أطول منه له أمثلة أخری فی صحیح البخاری.

النوع الثانی، یکون الحدیث أصله صحیحاً لکن أحد رواته أخطأ من حیث أنه أدرج فی متنه جملة لیست من حدیث النبی(ص).. من ذلک الحدیث المعروف فی صحیح البخاری أن النبی(ص)قال: إن أمتی یأتون یوم القیامة غراً محجلین من آثار الوضوء. إلی هنا الحدیث صحیح وله شواهد کثیرة زاد أحد الرواة فی صحیح البخاری: فمن استطاع منکم أن یطیل غرته فلیفعل. قال الحافظ ابن حجر العسقلانی، وقال ابن قیم الجوزیة، وقال شیخه ابن تیمیة، وقال الحافظ المنذری وعلماء آخرون: هذه الزیادة مدرجة لیست من کلام الرسول علیه السلام... وإنما هو من کلام أبی هریرة.

إذاً الجواب تم حتی الان عن الشطر الأول.. أی انتقدت بعض الأحادیث وسبقت من أئمة کثیرین.

أما أننی ألفت أو ألف غیری فأنا ما ألفت، أما غیری فقد ألفوا لکن لا نعرف الیوم کتاباً بهذا الصدد. هذا جواب ما سألت...

الآن ندخل بتصحیح البخاری وندع تضعیف مسلم، وقد تکون المسألة بالعکس حدیث ضعفه البخاری وصححه مسلم وهذا یقع کثیراً.. الذی لیس عنده مرجح آخر لا شک أنه یطمئن لقول البخاری، سواء کان تصحیحاً أو تضعیفاً أو کان توثیقاً أو کان تجریحاً فیقدم قوله علی قول من دونه کمسلم مثلاً علی شهرته بعلمه، فضلاً عما إذا خالف البخاری بعض المتأخرین کالدارقطنی أو ابن حبان أو غیرهما. هذا من المرجحات بلا شک. الآن نأتی إلی مثال عرف فی العصر الحاضر قیمته وهو: التخصص فی العلم...

تعرفون الیوم مثلاً ـ العلم علم الطب وأنواعه وأقسامه، هناک مثلاً طب عام وهناک طب خاص. رجل یشکو من ألم فی فمه أو فی عینه أو فی أذنه لا یذهب إلی الطبیب العام بل إلی المختص. وهذا مثال واضح جداً. رجل یرید أن یعرف الحکم هل هو حلال أو حرام ما یسأل اللغوی ولا یسأل الطبیب ولا عدداً الامثلة کلها. وإنما یسأل عالماً بالشرع. وأنا أعنی التعمیم الآن یسأل عالماً بالشرع، لکن العلماء بالشرع ینقسمون إلی أقسام: علماء بما یسمی الیوم بالفقه المقارن فیقول لک قال فلان کذا وقال فلان کذا وقال فلان کذا فیجعلک فی حیرة، علی کل حال سؤالک إیاه أقرب من المنطق بنسبة لا حدود لها من أن تسأل من کان عالماً أو متخصصاً باللغة العربیة. لکن إذا کنت تعلم أن هناک رجلاً آخر عالماً بالشرع لکنه یفتی علی الراجح من أقوال العلماء بناء علی الدلیل من الکتاب والسنة وأقوال الأئمة السلف، لا شک أنک تطمئن لهذا أکثر من الأول. وهکذا.

الآن ندخل فی ما نحن بصدده. الان کما قلت اختلف الأقوال وبعضهم یرد علی بعض. الشئ الذی ینبغی أن یلاحظه طالب العلم هو هذا التسلسل المنطقی، وأنا لا أرید لنفسی وإن کان هذا یتعلق بی تماماً، لکن هذا مثل للقاعدة العلمیة التی ینبغی للعالم ـ عفواً لطالب العلم ـ أن ینطلق منها.

عندنا مثلاً الآن مشکلة تتعلق بالعقیدة.. عندنا الشیخ عبدالعزیز بن باز حفظه الله، وعندنا هذا الرجل الذی ابتلی الشعب الأردنی بجهله وبقلة أدبه مع علماء السلف فضلاً عن الخلف، یقول مثلاً عن الشیخ ابن باز بأنه: لا علم عنده بالتوحید.

أنا أتعجب من هؤلاء ـ الشباب الذین التفوا حوله متی عرف هذا الرجل بالعلم حتی یعتمد علیه والشیخ ابن باز یملأ ـ علمه العالم الإسلامی.

إذاً هنا أحد شیئین إما الجهل أو اتباع الهوی. فهؤلاء الذین یلتفون حول هذا الرجل. هذا الرجل ابن الیوم فی العلم، ما أحد عرفه ولا أحد شهد له لا من العلماء المهتدین، ولا من العلماء الضالین، ما أحد شهد له بأنه رجل عالم. فلماذا یلتف حوله هؤلاء الشباب أحد شیئین: إما أنهم لا ـ یعلمون هذا التدقیق الذی نحن نتسلسل فیه من الصحابة إلی الیوم..صحابیان اختلفا، رجل من الأولین السابقین وآخرون اتبعهم بإحسان بالفتح وغیره ممن تأخروا بالإسلام، هؤلاء أهل علم وهؤلاء أهل علم.. لکن هؤلاء من السابقین الأولین. فهنا

نفس القضية تمشئ تماماً.. رجلان أحدهما بلغ من السن ما شاء الله وهو عالم وينشر العلم ويعترف بعلمه وفضله.. وآخر لا قيمة له ولا يعترف بعلمه وليس له منزلة علمية إطلاقاً فى بلده فضلاً عن بلاد أخرى.

إذاً من هنا يأخذ الإنسان منهج ممن يتلقى العلم، أمن هذا الحدث أو من ذاك الرجل الفاضل الذى ملا بعلمه الدنيا.

نأتى الان إلى صلب سؤالك..والله اختلفت الأقوال الآن بعضهم يرد على بعض.. وأنا أقول إخواننا طلبة العلم مع الأسف الشديد ينطبق عليهم ما ينطبق على هؤلاء المغشوشين مثل السقاف.. تركوا العلماء قديماً وحديثاً والتفوا حوله وهو ابن اليوم لا أقول فى العلم..فى طلب العلم، وربما لا يصدق عليه ذلك!!

اهل البيت ينفون أحاديث الرؤية والتشبيه

روى المجلسى فى بحار الأنوار:۴/۳۸:

۱۵ ـ يد: أبى عن محمد العطار عن ابن عيسى عن البزنطى عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسرى بى إلى السماء بلغ بى جبرئيل عليه السلام مكاناً لم يطأه جبرئيل قط، فكشف لى فأرانى الله عز وجل من نور عظمته ما أحب.

وروى الكلينى فى الكافى:۱/۹۵ باب فى إبطال الرؤية:

۱ ـ محمد بن أبى عبد الله عن على بن أبى القاسم عن يعقوب بن إسحاق قال: كتبت إلى أبى محمد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربه وهو لا ـ يراه؟ فوقع عليه السلام: يا أبا يوسف جل سيدى ومولاى والمنعم على وعلى آبائى أن يرى. قال وسألته: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه؟ فوقع عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب. انتهى. ورواه المجلسى فى بحار الأنوار:۴/۴۳

وروى الكلينى فى الكافى:۱/۹۵:

۲ ـ أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال: سألنى أبو قرة المحدث أن أدخله على أبى الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فى ذلك فأذن لى، فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قرة: إنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والإنس: لا تدركه الأبصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شئ أليس محمد! قال: بلى. قال: كيف يجى رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: لا تدركه الأبصار، ولا يحيطون به علماً، وليس كمثله شئ، ثم يقول أنا رأيته بعينى وأحطت به علماً وهو على صورة البشر! أما تستحيون! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتى من عند الله بشئ ثم يأتى بخلافه من وجه آخر!

قال أبو قرة: فإنه يقول: ولقد رآه نزلة أخرى.

فقال أبو الحسن عليه السلام: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى فقال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى، فآيات الله غير الله، وقد قال الله: ولا يحيطون به علماً، فإذا رأته الابصار فقدأحاطت به العلم ووقعت المعرفة!

فقال أبو قرة: فتكذِّب بالروايات!

فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها. وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شى. انتهى.

وقال فى هامشه: إعلم أن الأمة اختلفوا فى رؤية الله سبحانه وتعالى عن ذلك على أقوال: فذهب المشبهة والكرامية إلى جواز رؤيته تعالى فى الدارين فى الجهة والمكان لكونه تعالى عندهم جسماً! وذهب الأشاعرة إلى جواز رؤيته تعالى فى الآخرة منزهاً عن المقابلة

والجهة والمكان. وذهب المعتزلة والإمامية إلى امتناعها فى الدنيا والآخرة، وقد دلت الآيات الكريمة والبراهين العقلية والأخبار المتواترة عن أهل بيت الرسول صلوات الله عليهم على امتناعها مطلقاً كما ستعرف، وقد أفرد العلامة المجاهد السيد عبدالحسين شرف الدين العاملى قدس سره كتاباً أسماه: كلمة حول الرؤية فجاء ـ شكر الله سعيه ـ وافياً كما يهواه الحق ويرتضيه الإنصاف ونحن نذكر منه بعض الأدلة العقلية:

منها: أن كل من استضاء بنور العقل يعلم أن الرؤية البصرية لا يمكن وقوعها ولا تصورها إلا أن يكون المرئى فى جهة ومكان ومسافة خاصة بينه وبين رائيه، ولابد أن يكون مقابلاً لعين الرائى، وكل ذلك ممتنع على الله تعالى مستحيل بإجماع أهل التنزيه من الأشاعرة وغيرهم.

ومنها: أن الرؤية التى يقول الأشاعرة بإمكانها ووقوعها، إما أن تقع على الله كله فيكون مركباً محدوداً متناهياً محصوراً يشغل فراغ الناحية المرئى فيها فتخلو منه بقية النواحى، وإما أن تقع على بعضه فيكون مبعضاً مركباً متحيزاً، وكل ذلك مما يمنعه ويبرأ منه أهل التنزيه من الأشاعرة وغيرهم.

ومنها: أن كل مرئى بجارحة العين مشار إليه بحدقتها، وأهل التنزيه من الأشاعرة وغيرهم ينزهون الله تعالى عن أن يشار إليه بحدقة، كما ينزهونه عن الإشارة إليه بإصبع أو غيرها.

ومنها: أن الرؤية بالعين الباصرة لا تكون فى حيز الممكنات ما لم تتصل أشعة البصر بالمرئى، ومنزهوا الله تعالى من الأشاعرة وغيرهم مجمعون على امتناع اتصال شئ ما بذاته جل وعلا.

ومنها: أن الإستقراء يشهد أن كل متصور لابد أن يكون إما محسوساً أو متخيلاً، من أشياء محسوسة أو قائماً فى نفس المتصور بفطرته التى فطر عليها، فالأول كالأجرام وألوانها المحسوسة بالبصر وكالحلاوة والمرارة ونحوهما من المحسوسة بالذائقة، والثانى كقول القائل: أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد، ونحوه مما تدركه المخيلة مركباً من عدة أشياء أدركه البصر. والثالث: كالالم واللذة والراحة والعناء والسرور والحزن ونحوها مما يدركه الإنسان من نفسه بفطرته، وحيث أن الله سبحانه متعال عن هذا كله لم يكن تصوره ممكناً. انتهى. وروى النيسابورى فى روضة الواعظين/۳۳ حديث أبى قرة المتقدم. ورواه المجلسى فى بحار الأنوار:۴/۳۶ وقال فى/۳۷: قوله تعالى: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، يحتمل كون ضمير الفاعل فى رأى راجعاً إلى النبى صلى الله عليه وآله وإلى الفؤاد.

قال البيضاوى: ما كذب الفؤاد ما رأى ببصره من صورة جبرئيل، أو ما كذب الفؤاد بصره بما حكاه له، فإن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر، أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قال ذلك كان كاذباً لأنه عرفه بقلبه كما رآه بصره، أو ما رآه بقلبه. والمعنى لم يكن تخيلاً كاذباً، ويدل عليه أنه سئل عليه السلام هل رأيت ربك فقال: رأيته بفؤادى، وقرأ: ما كذب أى صدقه ولم يشك فيه. أفتمارونه على ما يرى أفتجادلونه عليه، من المراء وهو المجادلة. انتهى.

قوله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، قال الرازى: يحتمل الكلام وجوهاً ثلاثة: الأول الرب تعالى والثانى جبرئيل عليه السلام والثالث الآيات العجيبة الإلهية. انتهى. أى ولقد رآه نازلاً نزلة أخرى فيحتمل نزوله صلى الله عليه وآله ونزول مرئية. فإذا عرفت محتملات تلك الآيات عرفت سخافة استدلالهم بها على جواز الرؤية ووقوعها بوجوه:

الأول: أنه يحتمل أن يكون المرئى جبرئيل، إذ المرئى غير مذكور فى اللفظ، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الوجه فى الخبر السابق. وروى مسلم فى صحيحه بإسناده عن زرعة عن عبد الله: ما كذب الفؤاد ما رأى قال: رأى جبرئيل عليه السلام له ستمائة جناح. وروى أيضاً بإسناده عن أبى هريرة: ولقد رآه نزلة أخرى قال: رأى جبرئيل عليه السلام بصورته التى له فى الخلقة الأصلية.

الثانى: ما ذكره عليه السلام فى هذا الخبر، وهو قريب من الأول لكنه أعم منه.

الثالث: أن يكون ضمير الرؤية راجعاً إلى الفؤاد، فعلى تقدير إرجاع الضمير إلى الله تعالى أيضاً لافساد فيه.

الرابع: أن يكون على تقدير ارجاع الضمير إليه عليه السلام وكون المرئى هو الله تعالى والمراد بالرؤية غاية مرتبة المعرفة ونهاية

الانكشاف.

وأما استدلاله عليه السلام بقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فهو إما لأن الرؤية تستلزم الجهة والمكان وكونه جسماً أو جسمانياً، أو لأن الصورة التى تحصل منه فى المدركة تشبهه.

قوله عليه السلام: حيث قال، أى أولاً قبل هذه الآية، وإنما ذكر عليه السلام ذلك لبيان أن المرئى قبل هذه الآية غير مفسر أيضاً، بل إنما يفسره ما سيأتى بعدها.

قوله عليه السلام: وما أجمع المسلمون عليه، أى اتفق المسلمون على حقية مدلول ما فى الكتاب مجملاً. والحاصل أن الكتاب قطعى السند متفق عليه بين جميع الفرق فلا تعارضه الأخبار المختلفة المتخالفة التى تفردتم بروايتها.

ثم اعلم أنه عليه السلام أشار فى هذا الخبر إلى دقيقة غفل عنها الأكثر وهى أن الأشاعرة وافقونا فى أن كنهه تعالى يستحيل أن يتمثل فى قوة عقلية، حتى أن المحقق الدوانى نسبه إلى الأشاعرة موهماً اتفاقهم عليه وجوزوا ارتسامه وتمثله فى قوة جسمانية، وتجويز إدراك القوة الجسمانية لها دون العقلية بعيد عن العقل مستغرب، فأشار عليه السلام إلى أن كل ما ينفى العلم بكنهه تعالى من السمع ينفى الرؤية أيضاً، فإن الكلام ليس فى رؤية عرض من أعراضه تعالى، بل فى رؤية ذاته وهو نوع من العلم بكنهه تعالى.

الامام الكاظم والإمام الرضا يكشفان تحريف حديث النزول

قال الصدوق فى كتابه التوحيد/۱۸۳:

۱۸ ـ حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق قدس سره قال: حدثنا محمد بن أبى عبدالله الكوفى قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكى، عن على بن العباس عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر الجعفرى، عن أبى إبراهيم موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا فقال: إن الله تبارك وتعالى لا ينزل ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنما منظره فى القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج بل يحتاج إليه، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم. أما قول الواصفين: إنه تبارك وتعالى ينزل فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فظن بالله الظنون فهلك، فاحذروا فى صفاته من أن تقفوا له على حد فتحدوه بنقص أو زيادة أو تحرك أو زوال أو نهوض أو قعود، فإن الله جل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين.

وقال الصدوق فى كتابه التوحيد/۱۷۶:

۷ ـ حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (رض) قال: حدثنا محمد بن هارون الصوفى قال: حدثنا عبيد الله بن موسى أبو تراب الرويانى، عن عبدالعظيم بن عبد الله الحسنى، عن إبراهيم بن أبى محمود قال قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول فى الحديث الذى يرويه الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؟ فقال عليه السلام: لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) كذلك، إنما قال صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى يُنْزِلُ ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة فى الثلث الاخير وليلة الجمعة فى أول الليل فيأمره فينادى: هل من سائل فأعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، يا طالب الخير أقبل، يا طالب الشر أقصر، فلا يزال ينادى بهذا حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء. حدثنى بذلك أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

مذاهب السنيين فى الألوهية والتوحيد

كيف نشأت هذه المذاهب؟

عندما قبل إخواننا السنة أحاديث الرؤية والتشبيه، تورطوا فيها، وانقسموا فى تفسيرها منذ القرن الأول إلى أربعة مذاهب وأكثر، وقد ولدت هذه المذاهب العقائدية قبل أن تتكون مذاهبهم الفقهية بمدة طويلة، بقيت حاكمة على أئمة المذاهب الأربعة وأتباعهم إلى يومنا هذا!

المذهب الأول: مذهب المتأولين الذين يوافقون مذهب أهل البيت عليهم السلام تقريباً، ويدافعون عن تنزيه الله تعالى ويجعلون الاساس الآيات المحكمة فى التوحيد مثل قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) و (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) ويقولون بتأويل كل نص يظهر منه التشبيه أو الرؤية بالعين، لينسجم مع حكم العقل وبقية الآيات والأحاديث.

المذهب الثانى: مذهب التفويض وتحريم التأويل، ومعناه تجميد تفسير آيات الصفات وأحاديثها، وتفويضها إلى الله تعالى، وتحريم الكلام فى معانيها مطلقاً. وهو مذهب عدد من قدامى رواة الأحاديث، وقليل من المتأخرين.

المذهب الثالث: مذهب تحريم التأويل ووجوب تفسير آيات الصفات وأحاديثها بمعناها الظاهرى الحسى، والقول بأن لله تعالى يداً ووجهاً ورجلاً ـ وجنباً بالمعنى اللغوى المعروف، غاية الأمر أنهم لايقولون إن شكل ذلك مثل جوارح الإنسان، وهو مذهب اليهود وكعب الأحبار ومن وافقهم من الصحابة، وهو المجسمة من الحنابلة، الذى تعصب له ابن تيمية والذهبى والوهابيون، وادعوا أنه مذهب السلف وأهل السنة.

المذهب الرابع: مذهب المتنقلين بين المذاهب، والمذبذبين، والمتحيرين، وهم أنواع ثلاثة.

والظاهر أن لقب (المتاولة) الذى يطلقه السنة على الشيعة فى بلاد الشام وفلسطين ومصر، جاء من هؤلاء المجسمة الذين كانوا يكفرون الشيعة وغيرهم، لانهم يقولون بتأويل أحاديث الصفات.. ومع أن التأويل موجود عند إخواننا السنة بل أكثرهم (متاولة) إلا أن نبز هذا اللقب وَسُبَّتَهُ بقيت من نصيب شيعة أهل البيت المظلومين، وبقيت كلمة (مِتْوَالى) بكسر الميم فى ذهن كثير من عوام السنة أسوأ من كلمة كافر!

ونكتفى هنا بالاشارة إلى هذه المذاهب، وبما كتبناه فى (الوهابية والتوحيد)

نعم لابد من ذكر شيء عن أصحاب المذهب الرابع:

المذهب الرابع: مذهب المتنقلين بين المذاهب والمذبذبين والمتحيرين

الإنتقال من مذهب فقهى إلى مذهب آخر أمر طبيعى يكثر حدوثه فى المسلمين، وكذا الإنتقال من مذهب عقائدى إلى مذهب آخر. ونلاحظ فى مسألتنا أن المنتقلين من مذهب عقائدى إلى مذهب آخر كثيرون. كما نلاحظ ظاهرةً ثانية عند بعضهم هى الجمع بين التأويل والتفويض فترى أحدهم متأولاً ـ تارة مفوضاً أخرى. والظاهر أن ذلك كان أمراً شائعاً ومقبولاً عند القدماء، لأنهم يجوزون الأمرين.

ولكن تبقى ظاهرة التناقض بين التأويل والتفويض والحمل على الظاهر عند أصحاب الظاهر، أمراً لا يقبل الحل، لأنهم حرموا التأويل والتفويض وهاجموا الآخرين بسببه بل كفروهم، ثم ارتكبوا ما حرموه. وفيما يلى نماذج من التهافت عند أهل هذه المذاهب، فبدؤها بما ذكره ابن تيمية عن تهافت آراء ابن فورك، فى حين نسى هو تهافت آرائه، قال ابن تيمية فى تفسيره:۶/۱۰۸:

فصل. أقوال الفرق فى صفات الله تعالى... هذا مع أن ابن فورك هو ممن يثبت الصفات الخبرية كالوجه واليدين وكذلك المجى والإتيان موافقة لأبى الحسن فإن هذا قوله وقول متقدمى أصحابه، فقال ابن فورك فيما صنف فى أصول الدين: فإن سألت الجهمية عن الدلالة على أن القديم سميع بصير؟ قيل لهم: قد اتفقنا على أنه من تستحيل عليه الآفات والحى إذا لم يكن مأووفاً بآفات تمنعه من إدراك المسموعات والمبصرات كان سميعاً بصيراً.

وإن سألت فقلت: أين هو؟ فجوابنا إنه فى السماء كما أخبر فى التنزيل عن نفسه بذلك، فقال عز من قائل: أأمنتم من فى السماء،

وإشارة المسلمین بأیدیهم عند الدعاء فی رفعها إلیه، وإنک لو سألت صغیرهم وکبیرهم فقلت: أین الله؟ لقالوا إنه فی السماء، ولم ینکروا بلفظ السؤال بـ (أین) لأن النبی(ص)سأل الجاریة التی عرضت للعتق فقال: أین الله؟ فقالت فی السماء مشیرة بها. فقال النبی (ص): إعتقها فإنها مؤمنة، ولو کان ذلک قولاً منکراً لم یحکم بإیمانها ولانکره علیها، ومعنی ذلک أنه فوق السماء لأن (فی) بمعنی (فوق) قال الله تعالی: فَسِیحُوا فِی الأَرْضِ أی فوقها.

قال ابن فورک: وإن سألت کیف هو؟ قلنا له: کیف سؤال عن صفته وهو ذو الصفات العلی، هو العالم الذی له العلم، والقادر الذی له القدرة، والحی الذی له الحیاة، الذی لم یزل منفرداً بهذه الصفات، لا یشبه شیئاً ولا یشبهه شئ.

(قلت) فهذا الکلام هو موافق لما ذکره الأشعری فی کتاب الإبانة ولما ذکره ابن کلاب لما حکاه عنه ابن فورک، لکن ابن کلاب یقول إن العلو والمباینة من الصفات العقلیة، وأما هؤلاء فیقولون: کونه فی السماء صفة خبریة کالمجی والإتیان، ویطلقون القول بأنه بذاته فوق العرش وذلک صفة ذاتیة عندهم. والأشعری یبطل تأویل من تأول الإستواء بمعنی الإستیلاء والقهر بأنه لم یزل مستولیاً علی العرش وعلی کل شئ، والاستواء مختص بالعرش، فلو کان بمعنی الاستیلاء لجاز أن یقال (هو مستولیاً (کذا) علی کل شئ وعلی الأرض وغیرها) کما یقال إنه مستول علیها، ولما اتفق المسلمون علی أن الإستواء مختص بالعرش، فهذا الإستواء الخاص لیس بمعنی الإستیلاء العام، وأین للسلطان جعل الاستواء بمعنی الغلبة والقهر وهو الإستیلاء فیشبه والله أعلم أن یکون اجتهاده مختلفاً فی هذه المسائل کما اختلف اجتهاد غیره، فأبو المعالی کان یقول بالتأویل ثم حرمه، وحکی إجماع السلف علی تحریمه، وابن عقیل له أقوال مختلفة، وکذلک لأبی حامد والرازی وغیرهم.

ومما بین اختلاف کلام ابن فورک أنه فی مصنف آخر قال: فإن قال قائل: أین هو فقال: لیس بذی کیفیة فنخبر عنها إلا أن یقول: کیف صنعه؟ فمن صنعه أنه یعز من یشاء ویذل من یشاء وهو الصانع للاشیاء کلها.

فهنا أبطل السؤال عن الکیفیة، وهناک جوزه وقال: الکیفیة هی الصفة وهو ذو الصفات، وکذلک السؤال عن الماهیة. قال فی ذلک المصنف: وإن سألت الجهمیة فقلت ما هو یقال لهم (ما) یکون استفهاماً عن جنس أو صفة فی ذات المستفهم، فإن أردت بذلک سؤالاً عن صفته فهو العلم والقدرة والکلام والعزة والعظمة.

سیر أعلام النبلاء:۱۰/۶۱۰:

أخبرنا محمد بن إسماعیل الترمذی، سمعت نعیم بن حماد یقول: من شبه الله بخلقه، فقد کفر، ومن أنکر ما وصف به نفسه، فقد کفر، ولیس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبیه.

قلت: هذا الکلام حق، نعوذ بالله من التشبیه ومن إنکار أحادیث الصفات، فما ینکر الثابت منها من فقه، وإنما بعد الإیمان بها هنا مقامان مذمومان: تأویلها وصرفها عن موضوع الخطاب، فما أولها السلف ولا حرفوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأمروها کما جاءت.

المقام الثانی: المبالغة فی إثباتها، وتصورها من جنس صفات البشر، وتشکلها فی الذهن، فهذا جهل وضلال، وإنما الصفة تابعة للموصوف، فإذا کان الموصوف عز وجل لم نره، ولا أخبرنا أحد أنه عاینه مع قوله لنا فی تنزیله: لیس کمثله شئ، فکیف بقی لأذهاننا مجال فی إثبات کیفیة الباری تعالی الله عن ذلک، فکذلک صفاته المقدسة، نقر بها ونعتقد أنها حق، ولا نمثلها أصلاً ولا نتشکلها.

وقال الذهبی فی سیره:۲۰/۸۰ ـ ۸۶:

التیمی الإمام العلامة الحافظ شیخ الإسلام أبوالقاسم إسماعیل بن محمد... حدث عنه: أبوسعد السمعانی وأبو العلاء الهمذانی وأبوطاهر السلفی وأبو القاسم بن عساکر... قال أبو موسی المدینی: أبوالقاسم إسماعیل الحافظ إمام أئمة وقته وأستاذ علماء عصره وقدوة أهل السنة فی زمانه، حدثنا عنه جماعة فی حال حیاته... قال أبو موسی: ولا أعلم أحداً عاب علیه قولاً ولا فعلاً ولا عانده أحد إلا ونصره الله... وقال السلفی: وسمعت أبا الحسین بن الطیوری غیر مرة یقول: ما قدم علینا من خراسان مثل إسماعیل بن محمد.

... وقد سئل أبو القاسم التيمى قدس سره: هل يجوز أن يقال لله حد أو لا، وهل جرى هذا الخلاف فى السلف؟ فأجاب: هذه مسألة أستعفى من الجواب عنها لغموضها وقلة وقوفى على غرض السائل منها، لكنى أشير إلى بعض ما بلغنى: تكلم أهل الحقائق فى تفسير الحد بعبارات مختلفة محصولها أن حد كل شئ موضع بينونته عن غيره، فإن كان غرض القائل: ليس لله حد لا يحيط علم الحقائق به فهو مصيب، وإن كان غرضه بذلك لا يحيط علمه تعالى بنفسه فهو ضال، أو كان غرضه أن الله بذاته فى كل مكان فهو أيضاً ضال.

قلت: الصواب الكف عن إطلاق ذلك إذ لم يأت فيه نص، ولو فرضنا أن المعنى صحيح فليس لنا أن نتفوه بشئ لم يأذن به الله خوفاً من أن يدخل القلب شئ من البدعة اللهم إحفظ علينا إيماننا.

وقال فى هامش سير أعلام النبلاء:۱۹/۴۴۳:

وقد بين شيخ الإسلام فى درء تعارض العقل والنقل ۸ ـ ۶۰ ـ ۶۱ نوع الخطأ الذى وقع فيه (ابن عقيل) فقال:

ولابن عقيل أنواع من الكلام، فإنه كان من أذكياء العالم كثير الفكر والنظر فى كلام الناس، فتارة يسلك مسلك نفاة الصفات الخبرية وينكر على من يسميها صفات ويقول: إنما هى إضافات موافقة للمعتزلة كما فعله فى كتابه ذم التشبيه وإثبات التنزيه، وغيره من كتبه، واتبعه على ذلك أبوالفرج ابن الجوزى فى كف التشبيه بكف التنزيه، وفى كتابه منهاج الوصول.

وتارة يثبت الصفات الخبرية ويرد على النفاة والمعتزلة بأنواع من الأدلة الواضحات، وتارة يوجب التأويل كما فعله فى كتابه الواضح وغيره. وتارة يحرم التأويل ويذمه وينهى عنه كما فعله فى كتابه الإنتصار لأصحاب الحديث، فيوجد فى كلامه من الكلام الحسن البليغ ما هو معظم مشكور، ومن الكلام المخالف للسنة والحق ما هو مذموم ومدحور... ولابن عقيل من الكلام فى ذم من خرج عن الشريعة من أهل الكلام والتصوف ما هو معروف كما قال فى الفنون، ومن خطه نقلت ثم ذكر فصلاً مطولاً استوعب سبع صفحات من الكتاب فراجعه.

و صار الترمذى متأولا ذات يوم فكفره المجسمة

قال السقاف فى شرح العقيدة الطحاوية/۱۷۰-۱۷۱:

... فهذا ابن القيم يقول فى كتابه الصواعق المرسلة ـ أنظر مختصر الصواعق ۲ ـ ۲۷۵: وأما تأويل الترمذى وغيره له بالعلم فقال شيخنا: [۱] وهو ظاهر الفساد من جنس تأويلات الجهمية... وهذا الخلال يقول فى سنته/۲۳۲ ناقلاً: لا أعلم أحداً من أهل العلم ممن تقدم ولا فى عصرنا هذا إلا وهو منكر لما أحدث الترمذى [۲] من رد حديث محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً قال يقعده على العرش [۳] فهو عندنا جهمى يهجر ونحذر عنه.

أقول: ومن العجيب الغريب أن الالبانى ينكر هذا ويقول بعدم صحته وأنه لم يثبت كما سيأتى، وكذلك محقق الكتاب وهو متمسلف معاصر ينكر ذلك أيضاً، ويحكم على هذا الاثر بالضعف حيث يقول فى هامش تلك الصحيفة تعليق رقم ۱۹: إسناده ضعيف!

فهل هؤلاء جهمية! وما هذا الخلاف الواقع بين هؤلاء فى أصول اعتقادهم!

ومن الغريب العجيب أيضاً أنهم اعتبروا أن نفى قعود سيدنا محمد(ص) بجنب الله نافياً ودافعاً لفضيلة من فضائل النبى(ص)، والدليل على ما قلناه قول الخلال هناك/۲۳۷:

(وقال أبو على إسماعيل بن إبراهيم الهاشمى (وهو مجهول بنظر المحقق): إن هذا المعروف بالترمذى عندنا مبتدع جهمى، ومن رد حديث مجاهد فقد دفع فضل رسول الله(ص)، ومن رد فضيلة الرسول(ص)فهو عندنا كافر مرتد عن الإسلام)!

وقال/۲۳۴ ناقلاً (وأنا أشهد على هذا الترمذى أنه جهمى خبيث)!!

[۱] يعنى بشيخه: ابن تيمية كما لا ينتطح فى ذلك كبشان.

[۲] مع أن التأويل والتفويض لم يحدثه ولم يخترعه الترمذى قدس سره. ومن الغريب العجيب أيضاً أن محقق سنة الخلال عطية

الزهرانی ـ حاول أن ینفی أن کون الترمذی المراد هنا هو الإمام المعروف صاحب السنن فقال/۲۲۴ فی الهامش تعلیق رقم ۴ هو جهم بن صفوان ثم تراجع عن ذلک/۲۳۲ فقال فی الهامش التعلیق رقم ۸ (کنت أظنه جهم ولکن اتضح من الروایات أن یقصد رجلًا آخر لم أتوصل إلی معرفته) فیا للعجب!!.

[۳] وهذا القعود الذی یتحدثون عنه هو قعود سیدنا محمد(ص)بجنب الله تعالی علی العرش! تعالی الله عن ذلک علواً کبیراً! والدلیل علیه قول الخلال هناک/۲۴۴:حدثنا أبو معمر ثنا أبو الهذیل عن محمد بن فضیل عن لیث عن مجاهد: قال: عسی أن یبعثک ربک مقاماً محموداً، قال: یجلسه معه علی العرش، قال عبد الله: سمعت هذا الحدیث من جماعة وما رأیت أحداً من المحدثین ینکره، وکان عندنا فی وقت ما سمعناه من المشائخ أن هذا الحدیث إنما تنکره الجهمیة.

و دافع رشید رضا عن أکثر الحنابلة و جعلهم متأولة

قال فی تفسیر المنار:۳/۱۹۸-۱۹۹:

... الصفات التی هی فی الحادث انفعالات نفسیة کالمحبة والرحمة والرضا والغضب والکراهة، فالسلف یقرونها علی ظاهرها مع تنزیه الله تعالی عن انفعالات المخلوقین، فیقولون إن لله تعالی محبة تلیق بشأنه لیست انفعالاً نفسیاً کمحبة الناس. والخلف یؤولون ما ورد من النصوص فی ذلک فیرجعونه إلی القدرة أو إلی الإرادة فیقولون الرحمة هی الإحسان بالفعل أو إرادة الإحسان.

ومنهم من لا یسمی هذا تأویلًا بل یقولون إن الرحمة تدل علی الإنفعال الذی هو رقة القلب المخصوصة علی الفعل الذی یترتب علی ذلک الإنفعال، وقالوا إن هذه الألفاظ إذا أطلقت علی الباری تعالی یراد بها غایتها التی هی أفعال دون مبادیها التی هی انفعالات.

وإنما یردون هذه الصفات إلی القدرة والإرادة بناء علی أن إطلاق لفظ القدرة والإرادة وکذا العلم علی صفات الله إطلاق حقیقی لا مجازی.

والحق أن جمیع ما أطلق علی الله تعالی فهو منقول مما أطلق علی البشر، ولما کان العقل والنقل متفقین علی تنزیه الله تعالی عن مشابهة البشر، تعین أن نجمع بین النصوص فنقول إن لله تعالی قدرة حقیقیة ولکنها لیست کقدرة البشر، وإن له رحمة لیست کرحمة البشر، وهکذا نقول فی جمیع ما أطلق علیه تعالی جمعاً بین النصوص، ولا ندعی أن إطلاق بعضها حقیقی وإطلاق البعض الآخر مجازی، فکما أن القدرة شأن من شؤونه لا یعرف کنهه ولا یجهل أثره کذلک الرحمة شأن من شؤونه لا یعرف کنهه ولا یخفی أثره، وهذا هو مذهب السلف فهم لا ـ یقولون إن هذه الالفاظ لا ـ یفهم لها معنی بالمرة، ولا یقولون إنها علی ظاهرها بمعنی أن رحمة الله کرحمة الإنسان ویده کیده وإن ظن ذلک فی الحنابلة بعض الجاهلین.

ومحققوا الصوفیة لا یفرقون بین صفات الله تعالی ولا یجعلون بعضها محکماً إطلاق اللفظ علیه حقیقی، وبعضها متشابهاً إطلاقه علیه مجازی، بل کل ما أطلق علیه تعالی فهو مجاز.

ثم تبنی رشید رضا رأی الغزالی مع أنه کاد أن یکفر الحنابلة

للغزالی رسالة إسمها (إلجام العوام عن علم الکلام) حرم فیها علی العوام حتی السؤال عن معنی أحادیث الرؤیة والتجسیم، وقد تبناها الشیخ رشید رضا ونقلها کلها فی تفسیره قال فی:۳/۲۰۷-۲۰۸:

وللإمام الغزالی تفصیل فی کیفیة الإستعمال وتحقیق فی هذا البحث قاله بعد الرجوع إلی مذهب السلف (!) فننقله هنا من کتابه (إلجام العوام عن علم الکلام) وهو: الباب الأول فی شرح اعتقاد السلف فی هذه الأخبار:

إعلم أن الحق الصریح الذی لأمراء فیه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعنی مذهب الصحابة والتابعین، وها أنا أورد بیانه وبیان برهانه فأقول: حقیقة مذهب السلف ـ وهو الحق عندنا ـ أن کل من بلغه حدیث من هذه الأحادیث من عوام الخلق یجب علیه فیه سبعة

أمور: التقديس، ثم التصديق، ثم الإعتراف بالعجز، ثم السكوت، ثم الامساك، ثم الكف، ثم التسليم لأهل المعرفة.

أما التقديس فأعنى به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها.

وأما التصديق فهو الإيمان بما قاله(ص)، وأن ما ذكره حق وهو فيما قاله صادق، وأنه حق على الوجه الذى قاله وأراده.

وأما الإعتراف بالعجز، فهو أن يقر بأن معرفة مراده ليست على قدر طاقته، وأن ذلك ليس من شأنه وحرفته.

وأما السكوت فأن لا يسأل عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم أن سؤاله عنه بدعة، وأنه فى خوضه فيه مخاطر بدينه، وأنه يوشك أن يكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر.

وأما الإمساك فأن لا نتصرف فى تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان منها والجمع والتفريق، بل لا ينطق إلا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الإيراد والإعراب والتصريف والصيغة.

وأما الكف فأن يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر فيه.

وأما التسليم لأهله فأن لا يعتقد أن ذلك إن خفى عليه لعجزه فقد خفى على رسول الله(ص)أو على الأنبياء أو على الصديقين والأولياء.

فهذه سبع وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام، لا ينبغى أن يظن بالسلف الخلاف فى شئ منها، فلنشرحها وظيفة وظيفة إن شاء الله تعالى... انتهى.

ومع أن الغزالى أنزل بالعوام هذه الفتاوى الشديدة منعاً لهم من تكذيب روايات السلف وأشاد بالسلف مدعياً أن ما يقوله هو مذهبهم، لكنه قدم تأويلاً لها مخالفاً للحنابلة والسلف وهاجم اتجاههم فى تحريم التأويل والميل إلى التشبيه حتى جعل منهم عبدة أصنام!

قال فى/۲۰۹:

الوظيفة الأولى التقديس ومعناه: أنه إذا سمع اليد والأصبع وقوله (ص): إن الله خمر طينة آدم بيده وإن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فينبغى أن يعلم أن اليد تطلق لمعنيين: أحدهما هو الوضع الأصلى وهو عضو مركب من لحم وعظم وعصب، واللحم والعظم والعصب جسم مخصوص وصفات مخصوصة، أعنى بالجسم عبارة عن مقدار له طول وعرض وعمق يمنع غيره من أن يوجد بحيث هو إلا بأن يتنحى عن ذلك المكان. وقد يستعار هذا اللفظ أعنى اليد لمعنى آخر ليس ذلك المعنى بجسم أصلاً كما يقال البلدة فى يد الأمير فإن ذلك مفهوم وإن كان الأمير مقطوع اليد مثلاً.

فعلى العامى وغير العامى أن يتحقق قطعاً ويقيناً أن الرسول عليه السلام لم يرد بذلك جسماً هو عضو مركب من لحم ودم وعظم وأن ذلك فى حق الله تعالى محال وهو عنه مقدس، فإن خطر بباله أن الله جسم مركب من أعضاء فهو عابد صنم! فإن كل جسم فهو مخلوق وعبادة المخلوق كفر وعبادة الصنم كان كفراً لأنه مخلوق وكان مخلوقاً لأنه جسم، فمن عبد جسماً فهو كافر بإجماع الأئمة، السلف منهم والخلف، سواء كان ذلك الجسم كثيفاً كالجبال الصم الصلاب أو لطيفاً كالهواء والماء، وسواء كان مظلماً كالأرض أو مشرقاً كالشمس والقمر والكواكب، أو مشفاً لالون له كالهواء، أو عظيماً كالعرش والكرسى والسماء، أو صغيراً كالذرة والهباء، أو جماداً كالحجارة، أو حيواناً كالإنسان. فالجسم صنم، فبأن يقدر حسنه وجماله أو عظمه أو صغره أو صلابته وبقاؤه لا يخرج عن كونه صنماً.

ومن نفى الجسمية عنه وعن يده وإصبعه، فقد نفى العضوية واللحم والعصب وقدس الرب جل جلاله عما يوجب الحدوث ليعتقد بعده أنه عبارة عن معنى من المعانى ليس بجسم ولا عرض فى جسم يليق ذلك المعنى بالله تعالى، فإن كان لا يدرى ذلك المعنى ولا يفهم كنه حقيقته فليس عليه فى ذلك تكليف أصلاً، فمعرفة تأويله ومعناه ليس بواجب عليه، بل واجب عليه أن لا يخوض فيه. انتهى.

وبذلك وافق الغزالى ورشيد رضا مذهبنا ومذهب المتأولين، وخالف المفوضة وأهل الظاهر!

و كل علماء السنة حتى المجسمة يصيرون متأولة عند الحاجة

كل المجسمة من الأشاعرة والحنابلة والوهابيين الذين حرموا التأويل، وأنكروا وجود المجاز فى القرآن، وأوجبوا حمل ألفاظه وألفاظ أحاديث الصفات على معانيها الظاهرة الحقيقية، بل حتى أولئك الذين حكموا بأن المتاولة أهل ضلالة وبدعة وكفر وحذروا منهم..كلهم يصيرون متأولة من الدرجة الأولى عندما يقعون فى مأزق الآيات والأحاديث التى تخالف مذهبهم وتنفى إمكان الرؤية بالعين والتشبيه والتجسيم كقوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ... لَيسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ... لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا... لَنْ تَرَانِى.. إلخ. وهكذا نجد أن إخواننا الذين نبزونا بألفاظ (متاولة، متوالى، بنى متوال) يقومون هم بتأويل جميع الآيات والأحاديث المخالفة لمذهبهم جهاراً نهاراً وجوباً قربة إلى الله تعالى، من أجل الدفاع عن أحاديث الرؤية بالعين وظاهر الآيات المتشابهة فيها!

وهكذا يسقط منهجهم العلمى بتحريمهم التأويل فى بعض الآيات والأحاديث وتحليله فى بعضها! وكان الأولى بهم أن لا يلقوا أنفسهم فى هذا المأزق ويتأولوا الآيات التى يوهم ظاهرها الرؤية من أول الأمر من أجل الجمع المنطقى بينها وبين الآيات النافية للرؤية.

وإذا سألتهم: لماذا أوجبتم الأخذ بظاهر هذه المجموعة من الآيات والأحاديث وحرمتم تأويلها، وأوجبتم تأويل تلك المجموعة وحرمتم الأخذ بظاهرها! فليس عندهم جواب، إلا أنهم أرادوا المحافظة على ظواهر آيات الرؤية بالعين وأحاديث الاحاد، مهما كلفهم ذلك من تناقض فى المنهج العلمى، فالمهم عندهم أن لا تنخدش روايات الرؤية بالعين عن كعب الأحبار ومن قلده من الخلفاء!

قال السقاف فى شرح العقيدة الطحاوية/۱۴۸:

ومن ذلك قول الحافظ ابن حجر فى الفتح ۱۳-۴۳۲: فمن أجرى الكلام على ظاهره أفضى به الأمر إلى التجسيم، ومن لم يتضح له وعلم أن الله منزه عن الذى يقتضيه ظاهرها إما أن يكذب نقلتها وإما أن يؤولها. انتهى.

وقد تبنى ابن تيمية والوهابيون هذا الحل (الشرعى) فحكموا بوجوب تصديق هذه الروايات وتحريم تأويلها حتى لو أدت إلى التجسيم، ثم هجموا على روايات التنزيه ونفى التجسيم بمعول التأويل!

وقال السقاف فى شرح العقيدة الطحاوية/۱۵۶-۱۵۹:

وقد نقل الحافظ ابن جرير فى تفسيره ۲۷ ـ ۷ تأويل لفظة (أيد) الواردة فى قوله تعالى: وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ، بالقوة أيضاً عن جماعة من أئمة السلف منهم: مجاهد وقتادة ومنصور وابن زيد وسفيان... ومما يجدر التنبيه عليه هنا ولا يجوز إغفاله أن هؤلاء القوم الذين يحاربون التأويل ويزعمون أنه ضلال وبدعة وتحريف للقرآن والسنة هم أنفسهم يؤولون ما لا يوافق آراءهم من نصوص الكتاب والسنة فى مسائل الصفات! فنراهم يؤولون مثل قوله تعالى: وهو معكم وقوله تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لا تُبْصِرُونَ، وقوله تعالى: مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ، وقوله تعالى: إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَ أَرَى، وقوله تعالى: وَهُوَ مَعَكُمْ، إلى غير ذلك من نصوص واضحة!

فإذا كان هذا قرآن وذاك قرآن فما الذى أوجب اعتقاد ظاهر هذا دون ظاهر ذاك وكله قرآن؟! ولماذا جوزوا تأويل ظاهر هذا دون ذلك؟!

... روى الخلال بسنده عن حنبل عن عمه الإمام أحمد بن حنبل أنه سمعه يقول: احتجوا على يوم المناظرة فقالوا: تجئ يوم القيامة سورة البقرة... الحديث قال فقلت لهم: إنما هو الثواب. اهـ فتأمل فى هذا التأويل الصريح... نقل الحافظ البيهقى فى الأسماء والصفات/۴۷۰ عن البخارى أنه قال: معنى الضحك: الرحمة اهـ وقال الحافظ البيهقى/۲۹۸: روى الفربرى عن محمد بن إسماعيل البخارى أنه قال: معنى الضحك فيه ـ أى الحديث ـ الرحمة اهفتأمل. وقد نقل هذا التأويل أيضاً الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ۶-۴۰.

وقال التلمسانى فى نفح الطيب:۸/۳۴:

حكاية أبى بكر بن الطيب مع رؤساء بعض المعتزلة. وذلك أنه اجتمع معه فى مجلس الخليفه فناظره فى مسألة رؤية البارى فقال

رئیسـهم: ما الدلیل أیها القاضی علی جواز رؤیة الله تعالی قال قوله تعالی: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، فنظر بعض المعتزلة إلی بعض وقالوا: جن القاضـی! وذلک أن هـذه الآیـة هی معظم ما احتجوا علی مذهبهم وهو ساکت ثم قال لهم: أتقولون إن من لسان العرب قولک الحائط لا یبصـر قالوا: لا... قال فلا یصح إذا نفی الصـفة عما من شأنه صـحة إثباتها له؟ قالوا: نعم، قال فکذلک قوله تعالی: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، لو لا جواز إدراک الابصار له لم یصح نفیه عنه! انتهی.

وهکذا نری أن الذین حرموا التأویل وکفروا المسلمین بسببه، أفرطوا فی ارتکابه ووصلوا به إلی حد السفسطة، فأولوا النفی الصریح بالاثبات، ولم یبق علیهم إلا أن یؤلوا (لا إله إلا الله) بوجود عدة آلهة مع الله سبحانه وتعالی عما یصفون. وسوف تری مزیداً من فنونهم فی تأویل آیات نفی الرؤیة والتنزیه، عند استعراض تفسیرها، إن شاء الله تعالی.

ونختم بما قاله الشیخ محمد رضا جعفری فی بحث الکلام عند الإمامیة/۱۵۱ من مجلة تراثنا عدد ۳۰:

قـال أبو الفرج ابن الجوزی: «واعلم أن عموم المحـدثین حملوا ظاهر ما تعلق من صـفات الباری سـبحانه علی مقتضـی الحس فشـبهوا، لانهم لم یخالطوا الفقهاء فیعرفوا حمل المتشابه علی مقتضی الحکم..» [۱].

وقال أیضاً: «واعلم أن الناس فی أخبار الصفات علی ثلاث مراتب: إحداها، إمرارها علی ما جاءت من غیر تفسیر ولا تأویل، إلا أن تقع ضرورة کقوله تعالی (وَجَاءَ رَبُّکَ) [۲] أی: جاء أمره، وهذا مذهب السلف.

والمرتبة الثانیة، التأویل، وهو مقام خطر.

والمرتبة الثالثة، القول فیها بمقتضی الحس، وقد عمَّ جهلة الناقلین [۳]، إذ لیس لهم حظ من علوم المعقولات التی یعرف بها ما یجوز علی الله تعالی وما یستحیل، فإن علم المعقولات یصرف ظواهر المنقولات عن التشبیه، فإذا عدموا تصرفوا فی النقل بمقتضی الحس» [۴].

وقال تقی الدین ابن تیمیة، راداً علی من قال: إن أکثر الحنابلة مجسمة ومشبهة: «المشبهة والمجسمة فی غیر أصحاب الإمام أحمد أکثر منهم فیهم، فهؤلاء أصـناف الأکراد، کلهم شافعیـة، وفیهم من التشبیه والتجسـیم ما لا یوجد فی صـنف آخر، وأهل جیلان فیهم شافعیة وحنبلیـة، وأما الحنبلیـة المحضـة فلیس فیهم من ذلک ما فی غیرهم، والکرامیـة کلهم حنفیة». [۵] ولست أقر ابن تیمیـة علی دفاعه عن أهل مذهبه ولکنی أسکت عنه.

۴ ـ نماذج مختارة: وکنموذج لما أشار إلیه ابن الجوزی فی کلامه عن المحـدثین أختار ثلاثـة لم یکونوا من الحنابلة الصـرحاء، وأقدم لکل منهم بعض الترجمة کی لا یتهمنی متهم بأنی عثرت علی مغمورین خاملین لم یکونوا ذوی شأن عند المحدثین:

۱ ـ إسحاق بن إبراهیم بن مخلد بن إبراهیم، أبو یعقوب الحنظلی المروزی، ابن راهویه النیسابوری (۱۶۱/۷۷۸ ت ۲۳۸/۸۵۳).

قال الخطیب: کان أحـد أئمـة المسلمین، وعلماً من أعلام الدین، اجتمع له الحدیث والفقه، والحفظ والصدق، والورع والزهد، ورحل إلی العراق، والحجـاز، والیمن، والشـام... وورد بغـداد وجـالس حفـاظ أهلهـا، وذاکرهم، وعاد إلی خراسان فاسـتوطن نیسابور إلی أن توفی بها، وانتشـر علمه عنـد الخراسانیین. وهکـذا قال المزی والسـبکی. وهو شـیخ البخاری، ومسـلم، والترمـذی، وأبوداود، والنسائی، وبقیة بن الولید، ویحیی بن آدم ـوهما من شیوخه ـ وأحمد بن حنبل، وإسحاق الکوسج، ومحمد بن رافع، ویحیی بن معین ـ هؤلاء من أقرانه ـ وجماعة.

قـال نعیم بن حمـاد: إذا رأیت العراقی یتکلم فی أحمـد بن حنبـل فاتهمه فی دینه، وإذا رأیت الخراسانی یتکلم فی إسـحاق بن راهویه فاتهمه فی دینه.

وقال النسائی: أحد الأئمة، ثقة مأمون. وقال أحمد بن حنبل: إذا حدثک أبو یعقوب أمیر المؤمنین فتمسک به. وقال أبو حاتم: إمام من أئمـة المسـلمین. وقال ابن حبان: وکان إسـحاق من سادات زمانه فقهاً، وعلماً، وحفظاً، ونظراً، ممن صـنف الکتب، وفرع السـنن، وذب عنهـا، وقمع من خالفهـا، وقبره مشـهور یزار. وقال أبو عبـدالله الحاکم: إمام عصـره فی الحفظ والفتوی. وقال أبو نعیم الأصـبهانی: کان

إسحاق قرين أحمد[بن حنبل]وكان للآثار مثيراً، ولأهل الزيغ مبيراً.

وقال الذهبى: الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، قد كان مع حفظه إماماً فى التفسير، رأساً فى الفقه، من أئمة الإجتهاد. [۶] .

أبو عيسى الترمذى ـ بعد أن أخرج الروايات التى تقول: إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه... الحديث ـ قال: وقد قال غير واحد من أهل العلم فى هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات فى هذا ويؤمن بها ولا يتوهم، ولا يقال: كيف؟

هكذا روى عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا فى هذه الأحاديث: أمروها بلا كيف. وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكر الله عزوجل فى غير موضع من كتابه: اليد، والسمع، والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد ها هنا القوة.

وقال إسحاق بن إبراهيم [۷] : إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع، فهذا التشبيه. وأما إذا قال ـ كما قال الله تعالى: يد، وسمع، وبصر، ولا يقول: كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً، وهو كما قال الله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). [۸] .

۲ ـ أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمى النيسابورى (۲۲۳/۸۳۸ ـ ۳۱۱/۹۲۴) قالوا عنه: إنه كان إمام نيسابور فى عصره، فقيهاً، مجتهداً، بحراً من بحور العلم، اتفق أهل عصره على تقدمه فى العلم، ولقبه الصفدى، واليافعى، والذهبى، والسبكى، وابن الجزرى، والسيوطى، وابن عبدالحى بإمام الأئمة. وقال الدار قطنى: كان إماماً معدوم النظير. وقال ابن كثير: هو من المجتهدين فى دين الإسلام. وذكروا له الكرامات. وقال السمعانى: وجماعة[من المحدثين]ينسبون إليه، يقال لكل واحد منهم خزيمى[فهو إمام مدرسة حدثية]. وهذا بعض ما قيل فيه: [۹] .

أثبت ابن خزيمة الوجه لله سبحانه، وقال: (ليس معناه أن يشبه وجهه وجه الآدميين، وإلا لكان كل قائل إن لبنى آدم وجهاً، وللخنازير، والقردة، والكلاب... – إلى آخر ما عدد من الحيوانات – وجوهاً، قد شبه وجوه بنى آدم بوجوه الخنازير والقردة والكلاب...) [۱۰] .

وذكر مثل هذا فى العين، واليد، والكف، واليمين، وقال: إن عينى الله لا تشبهان أى عين لغيره، وأضاف: نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى وما فى السماوات العلى وما بينهما ونزيد شرحاً وبياناً ونقول: عين الله عزوجل قديمة لم تزل باقية، ولا يزال محكوم لها بالبقاء منفى عنها الهلاك والفناء، وعيون بنى آدم محدثة، كانت عدماً غير مكونة فكونها الله وخلقها بكلامه الذى هو صفة من صفات ذاته...»[۱۱] .

وقال: إن لله يدين ويداه قديمتان لم تزالا باقيتين، وأيدى المخلوقين محدثة فأى تشبيه!... [۱۲] ونفى التأويل عن كل هذا، خاصة تأويل اليد بالنعمة أو القوة. [۱۳] .

وذكر «أن كلام ربنا عزوجل لا يشبه كلام المخلوقين، لأن كلام الله كلام متواصل لا سكت بينه ولا سمت، لا ككلام الآدميين الذى يكون بين كلامه سكت وسمت لانقطاع النفس، أو التذاكر، أو العى...»[۱۴] .

۳ ـ عثمان بن سعيد، أبو سعيد الدارمى، التميمى، السجستانى (ح ۱۹۹/ ۸۱۵–۲۸۰/۸۹۴) الإمام العلامة الحافظ، الناقد الحجة، وكان جذعاً وقذئ فى أعين المبتدعة، قائماً بالسنة، ثقة، حجة، ثبتاً. وقيل فيه: كان إماماً يقتدى به فى حياته وبعد مماته. ذكره الشافعية فى طبقاتهم، وعده الحنابلة من أصحاب ابن حنبل [۱۵] .

قال الدارمى بأن لله مكاناً حده، وهو العرش [۱۶] و (هو بائن من خلقه فوق عرشه بفرجة بينه فى هواء الآخرة، حيث لا خلق معه هناك غيره، ولا فوقه سماء) [۱۷] وقال (قد عينا له مكاناً واحداً، أعلى مكان، وأطهر مكان، وأشرف مكان: عرشه العظيم فوق السماء السابعة العليا، حيث ليس معه هناك إنس ولا جان، ولا بجنبه حش، ولا مرحاض، ولا شيطان. وزعمت أنت [۱۸] والمضلون من زعمائك أنه

فی کل مکان، وکل حش ومرحاض، وبجنب کل إنسان وجان! أفأنتم تشبهونه إذ قلتم بالحلول فی الأماکن أم نحن؟!) [۱۹] .

وقال (ولو لم یکن لله یـدان بهما خلق آدم ومسه مسـیساً کما ادعیت، لم یجز أن یقال (لله): بیدک الخیر...) [۲۰] وأحال فی ذلک کل معنی أو تأویل من نعمة أو قوة إلا الیدین [۲۱] (بما لهما من المعنی، وهو العضو الخاص المحسوس)، (وأن لله إصبعین، من غیر تأویل بمعنی آخر) [۲۲] (والقدمان قدمان من غیر تأویل) [۲۳] (غیر أنـا نقول، کما قال الله (وَیَبْقَی وَجْهُ رَبِّکَ) [۲۴] إنه عنی به الوجه الذی هو الوجه عند المؤمنین، لا الأعمال الصالحة، ولا القبلة...) [۲۵] وإن نفی التشبیه إنما هو بأن یکون لله کل هذا، ولکن لا یشبه شئ منه شیئاً مما فی المخلوقین) [۲۶] .

[۱] تلبیس ابلیس: ط ادارة الطباعة المنیریة، القاهرة: ۱۳۶۸/۱۱۶.

[۲] الفجر ۸۹:: ۲۲.

[۳] ویقصد بهم المحدثین.

[۴] دفع شبه التشبیه بأکف التنزیه، المکتبة التوفیقیة، القاهرة: ۱۹۷۶/۷۳-۷۴.

[۵] المناظرة فی العقیدة الواسطیة، مجموعة الرسائل الکبری، دار إحیاء التراث العربی، بیروت، لبنان، ط ۲:۱۳۹۲/۱۹۷۲، ۱/۴۱۸.

[۶] التاریخ الکبیر ۱-۳۷۹-۳۸۰ = ۱۲۰۹، التاریخ الصـغیر ۲/۳۶۸، الجرح والتعـدیل ۱-۱ (۲) ۲۰۹-۲۱۰= ۷۱۴، ابن حبـان، الثقات ۸/۱۱۵-۱۱۶، طبقات الحنابلة ۱/۱۰۹ = ۱۲۲، المنهـج الاحمد ۱/۱۰۸-۱۰۹ = ۴۳،تاریخ بغداد ۶/۳۴۵-۳۳۵ = ۳۳۸۱، حلیـة الأولیاء ۹/۲۳۴-۲۳۸ ابن خلکان ۱/۱۹۹-۲۰۱، الانساب ۶/۵۶ ـ۵۷، السبکی، طبقات الشافعیة ۲/۸۳-۹۳، میزان الاعتدال ۱/۱۸۲-۱۸۳ = ۷۳۳، سیر أعلاـم النبلاء ۱۱/۳۵۸ ـ۳۸۲، تـذکرة الحفاظ ۲/۴۳۳-۴۳۵، العبر ۱/۴۲۶، الوافی بالوفیـات ۸/۳۸۶-۳۸۸ = ۳۸۲۵، طبقات الحفاظ /۱۸۸-۱۸۹ = ۴۱۹، ابن کـثیر ۱۰/۳۱۷، تهذیب التهذیب ۱/۲۱۶-۲۱۹ = ۴۰۸، تهذیب الکمال ۲/۳۷۳-۳۸۸ ـ۳۳۲، طبقات المفسرین ۱/۱۰۲-۱۰۳، شذرات الذهب ۲/۸۹.

[۷] هو إسحاق بن راهویه-عارضة الأحوذی: ۳/۳۳۲.

[۸] الجامع الصحیح، الزکاة (ما جاء فی فضل الصدقة) ۳/۵۰-۵۱ أی ۶۶۲.

[۹] الـذهبی سیر أعلام النبلاء: ۱۴/۳۶۵-۳۸۲، تـذکرة الحفاظ: ۲/۷۲۰-۷۳۱، العبـر: ۲/۱۴۹، السـمعانی، الانساب: ۵/۱۲۴، ابن الاثیر، اللباب: ۱/۴۴۲، ابـن الجـوزی، المنتظـم: ۶/۱۸۴-۱۸۶، ابن کثیر، البدایـة والنهایـة،۱۱/۱۴۹، السـبکی، طبقات الشافعیـة: ۳/۱۰۹-۱۱۹، الصـفدی، الوافی بالوفیات: ۲/۱۹۶، الیـافعی، مرآة الجنان:۲/۲۶۴، ابن عبـد الحی، شـذرات الـذهـب: ۲/۲۶۲-۲۶۳، السیـوطی، طبقات الحفاظ: ۳۱۰-۳۱۱، ابن الجزری،طبقات القراء: ۲/۹۷-۹۸.

[۱۰] التوحیـد واثبـات صـفات الرب، راجعه وعلق علیه محمـد خلیل هراس، المـدرس بکلیـة أصول الـدین (بالأزهر)، مکتبـة الکلیات الأزهریة، القاهرة: ۱۳۸۷/۱۹۶۸، /۲۳.

[۱۱] المصدر/۵۰ ـ۵۲.

[۱۲] المصدر/۸۲-۸۵.

[۱۳] المصدر/۸۵-۸۷.

[۱۴] المصدر/۱۴۵.

[۱۵] سیر أعلاـم النبلاء: ۱۳/۳۱۹-۳۲۶، تـذکرة الحفاظ: ۲/۶۲۱-۶۲۲، العبـر: ۲/۶۴، مرآة الجنـان: ۲/۱۹۳، ابن کـثیر ۱۱/۶۹، طبقات الشافعیة: ۲/۳۰۲-۳۰۶، طبقات الحفاظ: ۲۷۴، طبقات الحنابلة: ۱/۲۲۱، شذرات الذهب: ۲/۱۷۶.

[۱۶] الرد علی بشـر المریسـی، عقائد السـلف، نشر: دکتور علی سامی النشار، عمار جمعی الطالبی، منشأة المعارف الاسکندریة، مصر: ۱۹۷۱/۳۸۲.

[۱۷] المصدر/۴۳۹.

[۱۸] يخاطب به بشر المريسى، الذى يرد عليه الدارمى، وهو بشر بن غياب المريسى، البغدادى، الحنفى (ح ۱۳۸/۷۵۵–۲۱۸/۸۳۳) من أعلام الحنفية، وممن نادى بخلق القرآن ودافع عنه، وعن كثير من آراءالمعتزلة.

[۱۹] المصدر/۴۵۴.

[۲۰] المصدر/۳۸۷.

[۲۱] (بما لهما من المعنى، وهو العضو الخاص المحسوس) المصدر/۳۹۸.

[۲۲] المصدر/۴۲۰.

[۲۳] المصدر/۴۲۳–۴۲۴، ۴۲۷–۴۲۸.

[۲۴] الرحمن ۵۵/۲۷.

[۲۵] المصدر/۵۱۶.

[۲۶] المصدر/۴۳۲–۴۳۳، ۵۰۸.. انتهى.

بازار الأحاديث فى الرؤية والتشبيه والتجسيم

قالوا إن الله تعالى على صورة بشر

صحيح مسلم:۸/۳۲:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله (ص) إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته..

فردوس الأخبار للديلمى:۲/۲۹۹:

أبو هريرة: خلق الله عز وجل آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً... فكل من يدخل الجنة على صورة آدم ستون ذراعاً فلم تزل تنقص بعده حتى الان. انتهى. ونحوه فى:۵/۱۶۵ ونحوه فى مصابيحه:۳/۲۶۶

مختصر تاريخ دمشق:۳ جزء ۵/۱۲۵:

عن أبى هريرة، عن النبى (ص) قال: خلق الله آدم على صورته طوله سبعون ذراعاً... إلى آخره. وقد تقدم تكذيب الإمام مالك لهذا الحديث وغيره من أحاديث رؤية الله تعالى بالعين، من سير أعلام النبلاء:۸/۱۰۳

وروى ابن حجر فى لسان الميزان:۳/۲۹۹: صيغة معقولة لهذا الحديث قال:... العلاء بن مسلمة، حدثنا عبدالله بن سيف، ثنا إسماعيل بن رافع، عن المقبرى، عن أبى هريرة (رض) مرفوعاً: لا يضربن أحدكم وجه خادمه ولا يقول لعن الله من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورة وجهه. انتهى. فهل يقبلها اخواننا ويخلصون أنفسهم من ورطة التجسيم.

لجنة الافتاء الوهابية:۳/۳۶۸ فتوى رقم ۲۳۳۱:

س ۱: عن أبى هريرة (رض) عن النبى(ص) أنه قال: خلق الله آدم على صورته ستون ذراعاً، فهل هذا الحديث صحيح؟

ج: نص الحديث: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً ثم قال: إذهب فسلم على أولئك النفر، وهم نفر من الملائكة جلوس، فاستمع فما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً، فلم يزل الخلق تنقص بعده إلى الآن. رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم. وهو حديث صحيح ولا غرابة فى متنه فإن له معنيان:

الأول: أن الله لم يخلف آدم صغيراً قصيراً كالأطفال من ذريته ثم نما وطال حتى بلغ ستين ذراعاً، بل جعله يوم خلقه طويلاً على صورة نفسه النهائية طوله ستون ذراعاً.

والثانی: أن الضـمیر فی قوله (علی صورته) یعود علی الله بدلیل ما جاء فی روایة أخری صحیحة: علی صورة الرحمن وهو ظاهر السیاق ولاـ یلزم علی ذلـک التشبیه، فإن الله سـمی نفسه بأسـماء سـمی بها خلقه، ووصف نفسه بصـفات وصف بها خلقه، ولم یلزم من ذلک التشبیه وکـذا الصورة، ولاـ یلزم من إتیانهـا لله تشبیهه بخلقه لأـن الاشتراک فی الاسم وفی المعنی الکلی لا یلزم منه التشبیه فیما یخص کلا منهما، لقوله تعالی: لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ وَهُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ.

و قالوا له سمع و بصر کسمع الإنسان و بصره

سنن أبی داود:۲/۴۱۹:

... مولی أبی هریرة قال سـمعت أبا هریرة یقرأ هـذه الآیـة: إِنَّ اللهَ یَأْمُرُکُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلی أَهْلِهَا.. إلی قوله تعالی سـمیعاً بصـیراً، قال: رأیت رسول الله (ص) یضع إبهامه علی أذنه والتی تلیها علی عینه، قال أبو هریرة: رأیت رسول الله(ص)یقرؤها ویضع إصبعیه، قال ابـن یـونس قـال المقریء: یعنی أن الله سـمیع بصـیر، یعنی أن لله سـمعاً وبصـراً، قـال أبـو داود: وهـذا رد علی الجهمیـة. انتهی. ورواه فی:۲/۲۳۳، وکأن قصد أبی داود أن الجهمیة أفرطوا فی التنزیه، فیجب أن نرد علیهم بالتجسیم!

و قالوا له عینان مثل الإنسان و هما سالمتان

صحیح البخاری:۲ جزء ۴/۱۴۱:

قال عبـدالله (یعنی ابن عمر) ذکر النبی (ص) یوماً بین ظهری الناس المسیح الـدجال فقال: إن الله لیس بأعور، إلا أن المسیـح الـدجال أعور العین. انتهی. وقـد فسـرها الوهابیون وأسـلافهم، بأن الله تعالی له عینان سالمتان! ورواه البغوی فی مصابیحه:۳/۴۹۷، ۵۰۷ عن ابن عمر أنه قـال: قام رسول الله (ص) ثم ذکر الـدجال: تعلمون أنه أعور، وأن الله لیس بأعور. عن عباده ابن الصامت عن رسول الله (ص): إن المسیح الدجال رجلٌ قصیر أفجح جعد أعور، وإن ربکم لیس بأعور.

و قالوا له أیدی و أعین و رجلان

قال ابن حزم فی المحلی:۱/۳۳:

مسألـة: وإن لله عز وجل عزاً وعزة وجلالاً وإکراماً، ویـداً ویـدین وأیـدیاً (کـذا) ووجهاً وعیناً وأعیناً، وکبریاء، وکل ذلک حق لا یرجع منه ولاـ من علمه تعالی وقـدره وقوته إلا إلی الله تعالی لا إلی شـئ غیر الله عز وجل أصـلاً، نقر من ذلک مما فی القرآن وما صـح عن رسول الله(ص)، ولا یحل أن یزاد فی ذلک ما لم یأت به نص من قرآن أو سنة صحیحة.

قـال عز وجل: ذُو الْجَلالِ وَ الإِکْرَامِ وقال تعالی: یَدُ اللهِ فَوْقَ أَیْدِیهِمْ، لما خلقت بیـدی، ومما عملت أیـدینا أنعاماً، إنما نطعمکم لوجه الله، ولتصـنع علی عینی، إنک بأعیننا. ولا یحل أن یقال عینین لأنه لم یأت بذلک نص، ولا أن یقال سـمع وبصر ولا حیاة، لأنه لم یأت بذلک نص لکنه تعالی سمیع بصیر حی قیوم. انتهی.

ولعل ابن حزم لم یطلع علی نص العینین وحدیث السمع والبصر وغیرها، وإلا لقال بها!

و قالوا قد یکون له أذن و قد یکون بلا أذن

فتاوی الالبانی/۳۴۴:

سؤال السائل: صفة الاذن لله، موقف أهل السنة والجماعة منها؟

جواب: لا یثبتون ولا ینفون بالرأی، أما ما أثبته النص فهم یثبتونه بـدون تکییف... السـلفیون مستریحون من هذه الکیفیة یعنی استراحوا

من التشبيه عملاً بالتنزيه... وأن العين: صفة من صفاته تليق بعظمته وجلاله.

و قالوا له جنب و حقو

تفسير الطبرى:۲۶/۳۶:

عن أبى هريرة عن رسول الله (ص) أنه قال خلق الله الخلق فلما فرغ منهم تعلقت الرحم بحقو الرحمن فقال مه! فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة... ورواه البغوى فى مصابيحه: ۳/۳۵۰.

وقال الشاطبى فى الاعتصام:۲/۳۰۳:

قول من زعم: أن لله سبحانه وتعالى جنباً مستدلاً بقوله: أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت من جنب الله.

و قالوا إنه يمشئ و قد يركض و يهرول

فتاوى الألبانى/۵۰۶:

سؤال: حول الهرولة، وهل أنكم تثبتون صفة الهرولة لله تعالى؟

جواب: الهرولة كالمجئ والنزول صفات ليس يوجد عندنا ما ينفيها.

فتاوى ابن باز:۵/۳۷۴:

... ومن ذلك الحديث القدسى وهو قول الله سبحانه: من تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتانى يمشئ أتيته هرولة... أما التأويل للصفات وصرفها عن ظاهرها فهو مذهب أهل البدع من الجهمية والمعتزلة... انتهى.

و قالوا إنه تعالى يرى بالعين فى الدنى

الفرق بين الفرق للبغدادى/۲۹۴:

وأجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئياً للمؤمنين فى الآخرة، وقالوا بجواز رؤيته فى كل حال ولكل حى من طريق العقل ووجوب رؤيته للمؤمنين خاصة فى الآخرة، من طريق الخبر..

مسند أحمد:۴/۶۶:

... عن خالد بن اللجلاج عن عبدالرحمن بن عائش عن بعض أصحاب النبى(ص)أن رسول الله(ص)خرج عليهم ذات غداة وهو طيب النفس مسفر الوجه أو مشرق الوجه فقلنا: يا رسول الله إنا نراك طيب النفس مسفر الوجه أو مشرق الوجه، فقال: وما يمنعى وأتانى ربى عز وجل الليلة فى أحسن صورة، قال يا محمد، قلت لبيك ربى وسعديك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لا أدرى أى رب! قال ذلك مرتين أو ثلاثاً، قال فوضع كفيه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى حتى تجلى لى ما فى السموات وما فى الأرض، ثم تلا هذه الآية: وَكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ. انتهى. ورواه فى:۵/۳۷۸، وستأتى بقية رواياته فى تفسير قوله تعالى (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى).

و قالوا إنه يلبس قباء وجبة و يركب على جمل

لسان الميزان:۲/۲۳۸:

ومما فى الصفات له (حدثنا) أبو حفص بن سلمون ثنا عمرو بن عثمان ثنا أحمد بن محمد بن يوسف الأصبهانى ثنا شعيب بن بيان الصفار ثنا عمران القطان عن قتادة عن أنس (رض) مرفوعاً: إذا كان يوم الجمعة ينزل الله بين الأذان والإقامة عليه رداء مكتوب عليه

إننی أنا الله لا إله إلا أنا، یقف فی قبلة کل مؤمن مقبلًا علیه، فإذا سلم الإمام صعد إلی السماء. وروی عن ابن سلمون بإسناد له: رأیت ربی بعرفات علی جمل أحمر علیه إزار! انتهی. ورواه فی میزان الاعتدال:۱/۵۱۲

و قالوا إنه فتی أمرد جعد الشعر

میزان الاعتدال:۱/۵۹۳:

... عن ثابت عن أنس أن النبی(ص) قرأ: فلما تجلی ربه للجبل، قال: أخرج طرف خنصره وضرب علی إبهامه فساخ الجبل، فقال حمید الطویل لثابت: تحدث بمثل هذا! قال فضرب فی صدر حمید وقال: یقوله أنس ویقوله رسول الله(ص)وأکتمه أنا! رواه جماعة عن حماد وصححه الترمذی. إبراهیم بن أبی سوید وأسود بن عامر، حدثنا حماد، عن قتادة، عن عکرمة، عن ابن عباس مرفوعاً: رأیت ربی جعداً أمرد، علیه حلة خضراء.

وقال ابن عدی: حدثنا عبدالله بن عبدالحمید الواسطی، حدثنا النضر بن سلمة شاذان، حدثنا الأسود بن عامر، عن حماد، عن قتادة، عن عکرمة، عن ابن عباس أن محمداً رأی ربه فی صورة شاب أمرد دونه ستر من لؤلؤ قدمیه أو رجلیه فی خضرة.

... قال المرودی: قلت لأحمد: یقولون لم یسمع قتادة عن عکرمة فغضب وأخرج کتابه بسماع قتادة عن عکرمة فی ستة أحادیث. ورواه الحکم بن أبان عن زیرک عن عکرمة. وهو غریب جداً.

و قالوا إنه یضحک فی الدنیا والآخرة

صحیح البخاری:۲ جزء ۳/۲۱۰:

عن أبی هریرة (رض) أن رسول الله(ص)قال: یضحک الله إلی رجلین یقتل أحدهما الآخر یدخلان الجنة، یقاتل هذا فی سبیل الله فیقتل ثم یتوب الله علی القاتل فیستشهد.

صحیح البخاری:۴/۲۲۶:

... فباتا طاویین، فلما أصبح غد إلی رسول الله(ص)فقال: ضحک الله اللیلة أو عجب من فعالکما، فأنزل الله: ویؤثرون علی أنفسهم ولو کان بهم خصاصة ومن یوق شح نفسه فأولئک هم المفلحون.

سنن النسائی:۶/۳۸:

... عن أبی هریرة عن النبی(ص)قال: إن الله عز وجل یعجب من رجلین یقتل أحدهما صاحبه، وقال مرة أخری: لیضحک من رجلین یقتل أحدهما صاحبه ثم یدخلان الجنة. تفسیر ذلک أخبرنا محمد بن سلمة... عن أبی هریرة أن رسول الله(ص)قال یضحک الله إلی رجلین یقتل أحدهما الآخر کلاهما یدخل الجنة، یقاتل هذا فی سبیل الله فیقتل ثم یتوب الله علی القاتل فیقاتل فیستشهد. انتهی. ورواه ابن ماجة فی:۱/۶۸.

وروی أحمد فی مسنده:۱/۳۹۲:

عبدالله بن مسعود عن النبی(ص)قال: إن آخر من یدخل الجنة رجل یمشئ علی الصراط فینکب مرة ویمشئ مرة وتسفعه النار مرة، فإذا جاوز الصراط التفت إلیها فقال: تبارک الذی نجانی منک لقد أعطانی الله ما لم یعط أحداً من الأولین والآخرین، قال فترفع له شجرة فینظر إلیها فیقول: یا رب أدننی من هذه الشجرة فأستظل بظلها وأشرب من مائها، فیقول: أی عبدی فلعلی إن أدنیتک منها سألتنی غیرها، فیقول: لا یا رب، ویعاهد الله أن لا یسأله غیرها والرب عز وجل یعلم أنه سیسأله لأنه یری ما لا صبر له یعنی علیه، فیدنیه منها ثم ترفع له شجرة وهی أحسن منها فیقول: یا رب أدننی من هذه الشجرة فأستظل بظلها وأشرب من مائها فیقول: أی عبدی ألم تعاهدنی أنک لا تسألنی غیرها، فیقول: یا رب هذه لا أسألک غیرها ویعاهده والرب یعلم أنه سیسأله غیرها فیدنیه منها، فترفع له شجرة عند باب

الجنة هی أحسن منها فیقول: رب أدننی من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها فیقول: أی عبدی ألم تعاهدنی أن لا تسألنی غیرها، فیقول: یا رب هذه الشجرة لاـ أسألک غیرها ویعاهده والرب یعلم أنه سیسأله غیرها لأنه یری ما لا صبر له علیها فیدنیه منها فیسمع أصوات أهل الجنة فیقول: یا رب الجنة الجنة، فیقول: عبدی ألم تعاهدنی أنک لا تسألنی غیرها، فیقول: یا رب أدخلنی الجنة. قال فیقول عز وجل: ما یصرینی منک أی عبدی أیرضیک أن أعطیک من الجنة الدنیا ومثلها معها؟ قال فیقول: أتهزؤ بی وأنت رب العزة! قال فضحک عبدالله حتی بدت نواجذه ثم قال: ألا تسألونی لم ضحکت؟ قالوا له لم ضحکت؟ قال: لضحک رسول الله(ص).

ثم قال لنا رسول الله (ص): ألا تسألونی لم ضحکت؟ قالوا: لم ضحکت یا رسول الله؟ قال: لضحک الرب حین قال أتهزأ بی وأنت رب العزة!! انتهی. ورواه فی:۱/۴۱۱ وج ۲/۳۱۸ وص ۴۶۴ وص ۵۱۱ وروی نحوه فی:۲ /۲۷۶ وص ۲۹۴ وص۵۳۴ وج ۳/۸۰ وابن ماجة فی سننه:۱/۶۴ والدیلمی فی فردوس الأخبار:۳/۹ ح ۳۷۰۳ والبغوی فی مصابیحه:۱/۴۳۳ وص ۵۴۴ وج ۳/۵۴۶ والبیهقی فی شعب الإیمان:۱/۲۴۹ وفی دلائل النبوة: ۶/۱۴۳ والهیثمی فی مجمع الزوائد:۱۰/۶۱۵ والشوکانی فی نیل الأوطار:۳ /۵۷ وغیرهم.. وغیرهم.

وسیأتی عدد آخر من روایات ضحک الله المزعوم علی هذا الرجل فی روایات رؤیته بالعین فی الآخرة.

وقال ابن تیمیة فی الإیمان/۴۲۴:

وفی الصحیحین فی حدیث الشفاعة یقول کل من الرسل إن ربی قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله... وکذلک ضحکه إلی رجلین یقتل أحدهما الآخر کلاهما یدخل الجنة وضحکه إلی الذی یدخل الجنة آخر الناس ویقول: أتسخر بی وأنت رب العالمین! وکل هذا فی الصحیح.

و قالوا إنه یضحک لمن یستلقی علی دابته

وروی أحمد فی:۱/۳۳۰ روایة غریبة نسب فیها تصرفاً غیر معقول للنبی صلی الله علیه وآله، ونسب فیها إلی الله تعالی أنه یضحک لمن یذکره علی دابته ثم یستلقی! قال الإمام أحمد:

عن عبدالله بن عباس أن رسول الله(ص)أردفه علی دابته فلما استوی علیها کبر رسول الله(ص)ثلاثاً، وحمد الله ثلاثاً، وسبح الله ثلاثاً، وهلل الله واحدة ثم استلقی علیه فضحک، ثم أقبل علیَّ فقال: ما من إمرئ یرکب دابته فیصنع کما صنعت إلا أقبل الله تبارک وتعالی فضحک إلیه کما ضحکت إلیک!

و قالوا مادام الله یضحک فأملنا فیه کبیر

روی أحمد فی مسنده:۴/۱۱ وص ۱۲ وص ۱۳ روایة تعطی الناس الامل بالله تعالی لأنه یضحک! قال:... عن وکیع بن حدس عن عمه أبی رزین قال قال رسول الله (ص): ضحک ربنا من قنوط عباده وقرب غیره، قال قلت: یا رسول الله أو یضحک الرب عز وجل! قال نعم، قال: لن نعدم من رب یضحک خیراً!

وروی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۳/۱۰:

أبوذر الغفاری: ضحک الله ربنا عز وجل من قنوط عباده وقرب غیره ولن نعدم من رب یضحک خیراً. وستأتی روایته عن النویری وغیره.

و قالوا إنه یضحک.. و یظل یضحک

قال ابن قیم الجوزیة فی زاد المعاد:۳/۵۶۶-۵۶۷:

قوله (ص): فیظل یضحک، هو من صفات أفعاله سبحانه وتعالی التی لا یشبهه فیها شئ من مخلوقاته کصفات ذاته..وکذلک: فأصبح

ربک یطوف فی الأرض، هو من صفات فعله کقوله تعالی: وَجَاءَ رَبُّکَ وَ الْمَلَکُ، وینزل ربنا کل لیلة إلی السماء الدنیا، ویدنو عشیة عرفة فیباهی بأهل الموقف الملائکة. والکلام فی الجمیع صراط واحد مستقیم إثبات بلا تمثیل وتنزیه بلا تحریف ولا تعطیل.

وقال النویری فی نهایة الارب:۷ جزء ۱۴/۲۹۲:

عن لقیط بن عامر العقیلی قال... أتینا رسول الله (ص) حین انصرف من صلاة الغداة فقام خطیباً فقال أیها الناس... یشرف علیکم أزلین فیظل یضحک، قد علم أن غوثکم قریب. قال لقیط له: لن نعدم من رب یضحک خیراً.. انتهی. وروی نحوه المنذری فی الترغیب والترهیب:۱/۴۳۴ وص ۴۳۶ وج ۴/۵۰۳.

و قالوا إنه ضحک لطلحة و سعد

أسد الغابة:۳/۸۳:روی أنه (طلحة بن البراء) توفی لیلاً فقال أدفنونی.. ولا تدعوا رسول الله (ص) فإنی أخاف علیه (ص) یصاب فی سببی، فأخبر رسول الله حین أصبح فجاء (ص) حتی وقف علی قبره وقال: اللهم إلقَ طلحة وأنت تضحک إلیه وهو یضحک إلیک..

مسند أحمد:۶/۴۵۶:

... أسماء بنت یزید بن سکن قالت: لما توفی سعد بن معاذ صاحت أمه، فقال النبی (ص): ألا یرفأ دمعک ویذهب حزنک فإن ابنک أول من ضحک الله له واهتز له العرش.

و قالوا إنه یظهر لعباده ضاحکا

فردوس الأخبار:۵/۳۶۸:

أبو موسی: یتجلی ربنا ضاحکاً یوم القیامة، حتی ینظروا إلی وجهه فیخرون له سجداً فیقول: ارفعوا رؤوسکم فلیس هذا یوم عبادة.

و قالوا منطقه کالرعد، و ضحکه کالبرق

فردوس الأخبار للدیلمی:۵/۳۶۶:

أبو هریرة: ینشیء الله عز وجل السحاب ثم ینزل فیه، لا شئ أحسن من ضحکه ولا شئ أحسن من منطقه، منطقه الرعد ومضحکه البرق!

أسد الغابة:۳/۸۳ وج ۶/۳۹۹:

عن رجل من بنی غفار..قال: سمعت رسول الله (ص) یقول: إن الله عز وجل ینشیء السحاب فیضحک أحسن الضحک وینطق أحسن النطق!

و قالوا یظهر متجسدا لابی بکر وحده بدون ضحک

قال السیوطی فی الدر المنثور:۶/۲۹۲:

وأخرج أحمد وعبد بن حمید والدار قطنی عن جابر عن النبی (ص): إن الله لیتجلی للناس عامة ویتجلی لأبی بکر خاصة.

وأخرج الدار قطنی عن جابر قال قال النبی (ص): إن الله لیتجلی للناس عامة ویتجلی لأبی بکر الصدیق خاصة.

وقال الدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/۴۰۰:

أنس بن مالک: یا أبا بکر لأبشرک أن الله عز وجل یتجلی لک یوم القیامة خاصة وللناس عامة.

وقال ابن حبان فی المجروحین:۱/۱۴۳:

أحمد بن محمد بن عمر بن يونس اليمامى... والصحيح من حديثه موقوف على أبى هريرة وروى عن أبيه... عن أبى هريرة قال لما قدم رسول الله (ص) من الغار يريد المدينة أخذ أبو بكر بغرزه فقال.. ألا أبشرك يا أبا بكر؟ قال: بلى بأبى أنت وأمى يا رسول الله، قال: إن الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة، ويتجلى لك خاصة.

وقال فى المجروحين:۲/۱۱۵:

على بن عبدة بن قتيبة... كان يسرق الحديث ولا يحل الاحتجاج به.. عن جابر قال رسول الله (ص) إن الله يتجلى للمؤمنين عامة ولأبى بكر خاصة.

و قال عمر يجلس على العرش و لعرشه أطيط و صرير من ثقله

ذكرنا عدداً من روايات أطيط العرش عن الخليفة عمر من فردوس الأخبار وكنزالعمال ومجمع الزوائد وقد وثقها الهيثمى، ونضيف إليها هنا من سنن أبى داود:۲/۴۱۸:

... إن عرشه على سمواته لهكذا وقال بأصابعه مثل القبة عليه، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب. قال ابن بشار فى حديثه: إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته وساق الحديث.. وقال عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عتبة وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح وافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلى بن المدينى ورواه جماعة عن ابن إسحاق كما قال أحمد أيضاً وكان سماع عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار من نسخة واحدة فيما بلغنى.

فردوس الأخبار للديلمى:۱/۲۲۰:

جبير بن معطم: إن الله عز وجل فوق عرشه وعرشه فوق سمائه وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب!

الهيثمى فى مجمع الزوائد:۱۰/۳۹۸:

وعن أبى أمامة عن النبى(ص)قال: سلوا الله الفردوس فإنها سرة الجنة وإن أهل الفردوس ليسمعون أطيط العرش. رواه الطبرانى وفيه جعفر بن الزبير وهو متروك. انتهى. ورواه فى كنز العمال:۲/۷۳

وفى كنز العمال:۱/۲۲۴:

ويحك إنه لا- يستشفع بالله على أحد إن شاء والله أعظم من ذلك. ويحك أتدرى ما الله؟ إن الله فوق عرشه وعرشه على سمواته، وأرضه مثل القبة، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب. د عن جبير بن مطعم. ورواه فى: ۱۰/۳۶۳ وروى فى/۳۶۷

إن كرسيه وسع السماوات والأرض، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من شقه بز. انتهى. أى من مسافة بعيدة!

وفى كنز العمال:۱۴/۴۶۹:

إن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش. ابن مردويه عن أبى أمامة.

تاريخ بغداد:۴/۳۹:

... عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده. قال: جاء أعرابى إلى النبى(ص)فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال فاستسق لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله. فقال النبى (ص): سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه، ثم قال له: ويحك ما تدرى ما الله، إن شأنه أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع به على أحد، إنه لفوق سماواته على عرشه، وإنه عليه هكذا وأشار بيده مثل القبة، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب.

معنى الاطيط

هامش سنن أبى داود:۲/۴۱۸: أط الرحل: صوت أى أصدر صوتاً هو كصوت الطقطقة.

وقال ابن الاثير فى النهاية:١/٥۴ فى معنى أطت السماء: الأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها... وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى... إذ كان معلوماً أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله.

و قالوا العرش مطوق بحية تحميه

العقد الفريد لابن عبد ربه:۶/۲۰۸:

ومن حديث عبد الله بن عمر قال: العرش مطوق بحية، والوحى ينزل فى السلاسل.

و قالوا الشمس تذهب كل يوم إلى تحت العرش

صحيح البخارى:٣ جزء ۶/٣٠:

عن أبى ذر... قال كنت مع النبى (ص) فى المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر أتدرى أين تغرب الشمس... قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش. انتهى. ورواه الشوكانى فى فتح القدير:۴/۴۹۴.

صحيح البخارى:۴ جزء ٨/١٧٨:

عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال: سألت النبى (ص) عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها... قال مستقرها تحت العرش...

ونحوه فى فردوس الأخبار للديلمى: ۵/١٣٣.

وفى صحيح مسلم:١/٩۶:

عن أبى ذر أن النبى (ص) قال يوماً أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال: إن هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة... فقال لها ارتفعى أصحبى طالعة من مغربك..

و قالوا حملة العرش ملائكة صوفية

فردوس الأخبار للديلمى:۵/٢۶:

ابن مسعود: نزل جبريل فى بعض الليل فقعد فمسحت يدى على ظهره فأصبت الشعر فقلت: يا جبريل ما هذا الشعر؟ قال الصوف، قلت: سبحان الله، الملائكة يلبسون الصوف؟ قال: نعم يا محمد، والله للباس حملة العرش الصوف.

و قالوا حملة العرش يتكلمون بالفارسية

المصنف لابن أبى شيبة:٧/١۶٠:

عن أبى أمامة قال: إن الملائكة الذين يحملون العرش يتكلمون بالفارسية.

و قالوا جبل لبنان من حملة العرش

مختصر تاريخ دمشق:١ جزء ١/٢٨٨:عن أبى الزاهرية قال: أنبئنا: جبل لبنان أحد حملة العرش الثمانية يوم القيامة.

و قالوا حملة العرش حيوانات كما فى التوراة

سنن ابن ماجة:١/۶٩:

حدثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن الصباح ثنا الوليد بن أبى ثور الهمدانى، عن سماك، عن عبدالله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس،

عن العباس بن عبـد المطلب، قال: كنت بالبطحاء فی عصابة وفیهم رسول الله(ص)، فمرت به سـحابة فنظر إلیها فقال: ما تسـمون هذه؟ قالوا السـحاب، قال والمزن، قالوا والمزن، قال والعنان، قال أبو بكر قالوا والعنان، قال كم ترون بینكم وبین السـماء؟ قالوا لا ندری، قال فإن بینكم وبینها إما واحداً أو اثنین أو ثلاثاً وسـبعین سـنة، والسـماء فوقها كذلك، حتی عد سـبع سموات، ثم فوق السماء السابعة بحر بین أعلاه وأسفله كما بین سـماء إلی سـماء، ثم فوق ذلك ثمانیـة أوعال بین أظلافهن وركبهن كما بین سـماء إلی سـماء، ثم علی ظهورهن العرش بین أعلاه وأسفله كما بین سماء إلی سماء، ثم الله فوق ذلك تبارك وتعالی!

فردوس الأخبار للدیلمی:۵/۱۳۰:

العبـاس بن عبـد المطلب: ویحمـل عرش ربـك فوقهم یومئـذ ثمانیـة: ثمانیـة أملاك فی صورة الأوعال، ما بین ظلف أحـدهم وركبته مسیرة خمسمائة عام. انتهی.

حیاة الحیوان للدمیری:۲/۴۲۸:

عن عروة بن الزبیر (رض) قال: حملة العرش أحدهم علی صورة إنسان، والثانی علی صورة ثور، والثالث علی صورة نسر، والرابع علی صورة أسد.

تفسیر الطبری:۱/۱۱۸:

عن شـعیب الجبـائی قـال: فی كتاب الله (یقصـد التوراة) الملائكـة حملـة العرش لكل ملك منهم وجه إنسان وثور وأسـد، فإذا حركوا أجنحتهم فهو البراق..

كتاب الحیوان للجاحظ: ۶/۲۲۱ ـ ۲۲۲:

روی تصدیق النبی (ص) لأمیة بن أبی الصلت حین أنشده:

رجل وثور تحت رجل یمینه والنسر للاخری ولیث مرصد

وقال فی هامش:۱/۲۲۲ وفی الإصابة ۵۴۹ عن ابن عباس أن النبی (ص) أنشد هذا البیت فقال: صدق. هكذا صفة حملة العرش..

و قالوا جالس علی كرسیه و غائب عن العالم

مجمع الزوائد:۱/۸۶:

وعن ابن مسـعود (رض) أنه قـال: مـا بین سـماء الـدنیا والتی تلیها مسـیرة خمسـمائة عام، وما بین كل سـماءین خمسـمائة عام، وما بین السـماء السابعة والكرسـی مسـیرة خمسـمائة عام، وما بین الكرسی والماء خمسمائة عام، والعرش علی الماء والله جل ذكره علی العرش یعلم ما أنتم علیه. رواه الطبرانی فی الكبیر ورجاله رجال الصحیح.

و قالوا جالس علی العرش و حوله الأنبیاء علی كراسی

المصنف لابن أبی شیبة:۲/۵۸:

عن أنس قـال قـال رسول الله (ص): أتـانی جبریل وفی یـده كالمرآة البیضاء... قال (جبریل) لأن ربك تبارك وتعالی اتخـذ فی الجنة وادیـاً من مسـك أبیض، فـإذا كـان یـوم الجمعـة هبـط من علیین علی كرسـیه تبـارك وتعـالی ثم حف كرسـیه منـابر من ذهب مكللة بالجواهر ثم یجی النبیون حتی یجلسوا علیها.

وروی السیوطی حدیث المرآة عن الدارقطنی فی: ۶/۲۹۰ وروی روایة لقیط مفصلة عن زوائد عبد الله بن أحمد بن حنبل...

تهذیب الكمال: ۱۶/۴۲۳:

أخبرنـا أبوالحسن ابن البخـاری... أخبرنا أبو حفص بن طبرزد... عن سـعید بن المسـیب: أنه لقی أبا هریرة فقال أبو هریرة: أسأل الله أن

یجمع بینی وبینک فی سوق الجنـة. فقال سعید: أو فیها سوق؟ قال أبو هریرة: نعم، أخبرنی رسول الله (ص): أن أهل الجنة إذا دخلوها فنزلوا فیها بفضل أعمالهم فیؤذن لهم فی مقدار یوم الجمعة من أیام الدنیا فیرون الله، ویبرز لهم عرشه، ویتبدا لهم فی روضة من ریاض الجنـة، فیوضع لهم منـابر من ذهب ومنابر من فضـة، ویجلس أدناهم وما فیهم دنی علی کثبان المسک والکافور، لا یرون أن أصـحاب الکراسی أفضل منهم مجلساً.

قال أبو هریرة: وهل نری ربنا یا رسول الله قال: نعم، هل تمارون فی رؤیة الشـمس والقمر لیلة البدر قلنا: لا، قال: کذلک لا تمارون فی رؤیة ربکم عز وجل. ولا یبقی فی ذلک المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة، حتی إنه لیقول للرجل منهم: یا فلان بن فلان. أتذکر یوم عملت کذا وکذا، فیذکره بعض غدراته فی الدنیا، فیقول: یا رب، أفلم تغفر لی؟ فیقول: بلی بسعة مغفرتی بلغت منزلتک هذه.

قال فبیناهم علی ذلک غشیتهم سحابة من فوقهم فأمطرت علیهم طیباً لم یجدوا مثل ریحه شیئاً قط، قال: ثم یقول ربنا عز وجل: قوموا إلی ما أعـددت لکم من الکرامـة، فخذوا ما اشـتهیتم. قال: فنأتی سوقاً قد حفت به الملائکة، فیه ما لم تنظر العیون إلی مثله. ولم یخطر علی القلوب، قـال: فیحمـل لنـا مـا اشـتهینا، لیس یباع فیه شـئ ولا یشتری، فی ذلک السوق یلقی أهل الجنـة بعضـهم بعضاً. قال: فیقبل الرجـل ذو المنزلـة الرفیعـة فیلقی من هو دونه وما فیهم یعنی دنی، فیروعه ما یری یعنی علیه من اللباس، فما یتقضـی آخر حـدیثه حتی یتمثـل علیه أحسن منه، وذلـک أنه لاـ ینبغی لاحـد أن یحزن فیها، قال: ثم ننصـرف إلی منازلنا فنلقی أزواجنا، فیقولون (فیقلن): مرحباً وأهلاً بحبنا لقد جئت وإن بک من الجمال والطیب أفضل مما فارقتنا علیه، قال: فنقول: إنا جالسـنا الیوم ربنا الجبار عز وجل ویحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا. رواه الترمذی عن محمد بن إسماعیل البخاری، عن هشام بن عمار، عنه، فوقع لنا بدلاً عالیاً بدرجتین ولیس عنده غیره، وقال: غریب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ورواه ابن ماجة عن هشام بن عمار. فوافقناه فیه بعلو. (سنن ابن ماجة:۲/۱۴۵۰)

هشام بن عمار صاحب حدیث الکراسی حول العرش

سیر أعلام النبلاء:۱۱/۴۲۰:

هشام بن عمار، الإمام الحافظ العلامة المقرئ عالم أهل الشام، أبو الولید السـلمی ویقال الظفری خطیب دمشق، نقل عنه الباغندی قال: ولدت سنة ثلاث وخمسین ومئة، وسمع من مالک وتمت له معه قصة...

وحدث عنه بشر کثیر وجم غفیر... وعدة سواهم مذکورین فی تهذیب الکمال وفی تاریخ دمشق. فلقد کان من أوعیة العلم...

وروی عنه: أبو عبید القاسم بن سـلام، ومات قبله بنیف وعشـرین سـنة، ومحمد بن سعد ومات قبله ببضع عشرة سنة، ومؤمل بن الفضل الحرانی کذلک، ویحیی بن معین، کذلک وحدث عنه من کبار شیوخه: الولید بن مسلم، ومحمد بن شعیب ابن شابور...

وحدث عنه من أصـحاب الکتب: البخاری، وأبوداود، والنسائی، وابن ماجة، وروی الترمذی عن رجل عنه، ولم یلقه مسـلم، ولا ارتحل إلی الشام، ووهم من زعم أنه دخل دمشق.

... وکان خطیباً بدمشق رزق کبر السن وصحة العقل والرأی، فارتحل الناس إلیه فی نقل القراءة والحدیث.

... فلما توفی ابن ذکوان سنة اثنتین وأربعین، اجتمع الناس علی إمامة هشام بن عمار فی القراءة والنقل.

قـال صالـح بن محمـد جزرة: کـان هشـام بن عمار یأخـذ علی الحـدیث، ولا یحـدث ما لم یأخـذ... کنت شارطت هشاماً أن أقرأ علیه بانتخابی ورقـة، فکنت آخـذ الکاغد الفرعونی وأکتب مقرمطاً، فکان إذا جاء اللیل، أقرأ علیه إلی أن یصـلی العتمة، فإذا صـلی العتمة، یقعد وأقرأ علیه، فیقول: یا صالح لیس هذه ورقة، هذه شقة!

... قال: وکان یأخذ علی کل ورقتین درهما ویشارط ویقول إن کان الخط دقیقاً، فلیس بینی وبین الدقیق عمل.

قال أبوبکر المروذی: ذکر أحمد بن حنبل هشام بن عمار، فقال: طیاش خفیف.

خیثمة: سـمعت محمد بن عوف، یقول: أتینا هشام بن عمار فی مزرعة له، وهو قاعد علی مورج له وقد انکشـفت سوءته، فقلنا: یا شیخ

غط علیک. فقال: رأیتموه لن ترمد عینکم أبداً، یعنی یمزح.

قال الحافظ محمد بن أبی نصر الحمیدی: أخبرنی بعض أصحاب الحدیث ببغداد أن هشام بن عمار قال: سألت الله تعالی سبع حوائج، فقضی لی منها ستاً، والواحدهٔ ما أدری ما صنع فیها. سألته أن یغفر لی ولوالدی فما أدری، وسألته أن یرزقنی الحج ففعل، وسألته أن یعمرنی مئهٔ سنهٔ ففعل. قلت: إنما عاش اثنتین وتسعین سنهٔ.

ثم قال: وسألته أن یجعلنی مصدقاً علی حدیث رسول الله(ص)، ففعل.

وسألته أن یجعل الناس یغدون إلی فی طلب العلم ففعل.

وسألته أن أخطب علی منبر دمشق ففعل.

وسألته أن یرزقنی ألف دینار حلالاً ففعل.

قال: فقیل له: کل شیٔ قد عرفناه، فألف دینار حلال من أین لک؟ فقال: وجه المتوکل بعض ولده لیکتب عنی لما خرج إلینا،یعنی لما سکن دمشق، وبنی له القصر بداریا. قال: ونحن نلبس الأزر، ولا نلبس السراویلات فجلست فانکشف ذکری، فرآه الغلام فقال: إستتر یا عم. قلت رأیته قال: نعم. قلت: أما إنه لا ترمد عینک أبداً إن شاء الله!

قال: فلما دخل علی المتوکل ضحک، قال فسأله فأخبره بما قلت له، فقال: فأل حسن تفاءل لک به رجل من أهل العلم! احملوا إلیه ألف دینار، فحملت إلی فأتتنی من غیر مسألهٔ، و لا استشراف نفس. فهذه حکایهٔ منقطعهٔ. ولعلها جرت.

وذکر الذهبی قصته مع مالک فی/۴۲۸ فقال:

قال أبوبکر محمد بن سلیمان الربعی: حدثنا محمد بن الفیض الغسانی، سمعت هشام بن عمار یقول: باع أبی بیتاً له بعشرین دیناراً، وجهزنی للحج، فلما صرت إلی المدینهٔ، أتیت مجلس مالک، ومعی مسائل أرید أن أسأله عنها. فأتیته، وهو جالس فی هیئهٔ الملوک وغلمان قیام والناس یسألونه وهو یجیبهم! فلما انقضی المجلس قال لی بعض أصحاب الحدیث: سل عن ما معک، فقلت له: یا أبا عبدالله ما تقول فی کذا وکذا؟ فقال: حصلنا علی الصبیان، یا غلام احمله! فحملنی کما یحمل الصبی وأنا یومئذ غلام مدرک، فضربنی بدرهٔ مثل درهٔ المعلمین سبع عشرهٔ درهٔ، فوقفت أبکی فقال لی: ما یبکیک أوجعتک هذه الدرهٔ؟ قلت: إن أبی باع منزله ووجه بی أتشرف بک وبالسماع منک فضربتنی! فقال: أکتب، قال: فحدثنی سبعهٔ عشر حدیثاً، وسألته عما کان معی من المسائل فأجابنی!

قال یعقوب بن إسحاق الهروی، عن صالح بن محمد الحافظ: سمعت هشام بن عمار، یقول: دخلت علی مالک فقلت له حدثنی، فقال: إقرأ، فقلت: لا بل حدثنی، فقال إقرأ، فلما أکثرت علیه، قال: یا غلام تعال اذهب بهذا فاضربه خمسهٔ عشر، فذهب بی فضربنی خمس عشرهٔ درهٔ، ثم جاء بی إلیه فقال قد ضربته، فقلت له: لم ظلمتنی ضربتنی خمس عشرهٔ درهٔ بغیر جرم، لا أجعلک فی حل، فقال مالک فما کفارته قلت: کفارته أن تحدثنی بخمسهٔ عشر حدیثاً. قال: فحدثنی بخمسهٔ عشر حدیثاً. فقلت له: زد من الضرب، وزد فی الحدیث، فضحک مالک، وقال: اذهب!

قال الخلیلی: سمعت علی بن أحمد بن صالح المقرئ، حدثنا الحسن بن علی الطوسی، سمعت محمد بن طرخان، سمعت هشام بن عمار، یقول: قصدت باب مالک، فهجمت علیه بلا إذن فأمر غلاماً له، حتی ضربنی سبعهٔ عشر ضرب السلاطین. وأخرجت! فقعدت علی بابه أبکی، ولم أبک للضرب بل بکیت حسرهٔ، فحضر جماعهٔ قال فقصصت علیهم، فشفعوا فی، فأملی علی سبعهٔ عشر حدیثاً...

قلت: لم یخرج له الترمذی سوی حدیث سوق الجنهٔ ثم قال عبدان: ما کان فی الدنیا مثله.

قال ابن حبان البستی: کانت أذناه لاصقتین برأسه، وکان یخضب بالحناء.

وقال فی هامشه: أخرجه الترمذی (۲۵۴۹) باب ما جاء فی سوق الجنهٔ، من طریق محمد بن إسماعیل، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عبدالحمید بن حبیب بن أبی العشرین، حدثنا الأوزاعی، حدثنا حسان بن عطیهٔ، عن سعید بن المسیب، عن أبی هریرهٔ، عن رسول الله(ص). وقال أبو عیسی الترمذی: هذا حدیث غریب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ونصه بتمامه: إن أهل الجنة إذا دخلوها، نزلوا فیها بفضل أعمالهم، ثم یؤذن فی مقدار یوم الجمعة من أیام الدنیا، فیزورون ربهم، ویبرز لهم عرشه، ویتبدی لهم فی روضة من ریاض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ویجلس أدناهم–وما فیهم من دنی–علی کثبان المسک والکافور، وما یرون أن أصحاب الکراسی بأفضل منهم مجلساً. قال أبو هریرة: قلت: یا رسول الله، وهل نری ربنا؟ قال: نعم، قال: هل تتمارون فی رؤیة الشمس والقمر لیلة البدر قلنا: لا. قال: کذلک لا تمارون فی رؤیة ربکم، ولا یبقی فی ذلک المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، حتی یقول للرجل منهم: یا فلان ابن فلان، أتذکر یوم کذا وکذا، فیذکره ببعض غدراته فی الدنیا، فیقول: یا رب، أفلم تغفر لی؟ فیقول: بلی، فسعة مغفرتی بلغت بک منزلتک هذه.

فبینما هم علی ذلک، غشیتهم سحابة من فوقهم، فأمطرت علیهم طیباً لم یجدوا مثل ریحه شیئاً قط. ویقول ربنا، تبارک وتعالی: قوموا إلی ما أعددت لکم من الکرامة، فخذوا ما اشتهیتم. فنأتی سوقاً قد حفت به الملائکة، وفیه ما لم تنظر العیون إلی مثله ولم تسمع الأذان ولم یخطر علی القلوب، فیحمل لنا ما اشتهینا، لیس یباع فیها ولا یشتری. وفی ذلک السوق یلقی أهل الجنة بعضهم بعضا. قال: فیقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة، فیلقی من هو دونه ـ وما فیهم دنی ـ فیروعه ما یری علیه من اللباس، فما ینقضی آخر حدیثه حتی یتخیل إلیه ما هو أحسن منه، وذلک أنه ما ینبغی لأحد أن یحزن فیها.

ثم ننصرف إلی منازلنا، فیتلقانا أزواجنا، فیقلن: مرحباً وأهلاً، لقد جئت وإن بک من الجمال أفضل مما فارقتنا علیه، فیقول: إنا جالسنا الیوم ربنا الجبار، ویحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا. وأخرجه ابن ماجة (۴۳۳۶) عن هشام بن عمار به.

و قالوا جنة عدن مسکن الله تعالی و عرشه فیه

وقد تقدمت أحادیثها فی الفصل الخامس عن عمر وکعب وأبی موسی الأشعری، ومنها ما رواه السیوطی فی الدر المنثور:۴/۲۵۴.

وأخرج ابن أبی حاتم عن أبی موسی الأشعری قال قال رسول الله (ص): الفردوس مقصورة الرحمن فیها خیار الأنهار والأثمار.

تفسیر الطبری:۱۵/۹۴:

عن أبی الدرداء قال: قال رسول الله (ص): إن الله یفتح الذکر فی ثلاث ساعات یبقین من اللیل، فی الساعة الأولی منهن ینظر فی الکتاب الذی لاینظر فیه أحد غیره، فیمحو ما یشاء ویثبت، ثم ینزل فی الساعة الثانیة إلی جنة عدن وهو داره التی لم ترها عین.. وهی مسکنه ولاـ یسکن معه من بنی آدم غیر ثلاثة: النبیین والصدیقین والشهداء..ثم ینزل فی الساعة الثالثة إلی السماء الدنیا بروحه وملائکته..

وروی الهیثمی فی مجمع الزوائد:۱۰/۱۵۴:

وعن أبی الدرداء قال قال رسول الله (ص): ینزل الله تبارک وتعالی فی آخر ثلاث ساعات بقین من اللیل فینظر فی الساعة الأولی فی الکتاب الذی لاـ ینظر فیه غیره فیمحو ما یشاء ویثبت، وینظر فی الساعة الثانیة فی جنة عدن وهی مسکنه التی لا یکون فیها معه إلا الأنبیاء والشهداء والصدیقون، وفیها ما لم یره أحد ولا خطر علی قلب بشر، ثم یهبط آخر ساعة من اللیل فیقول ألا مستغفر یستغفرنی فأغفر له، ألا سائل یسئلنی فأعطیه، ألا داع یدعونی. ولذلک قال الله: وقرآن الفجر إن قرآن الفجر کان مشهوداً، فیشهده الله والملائکة. رواه الطبرانی فی الکبیر والأوسط والبزاز بنحوه. وفیه زیادة بن محمد الأنصاری، وهو منکر الحدیث.

و روینا ورووا أن الفردوس مسکن إبراهیم و آله و محمد و آله

روی النسائی فی سننه:۴/۱۲ عن فاطمة الزهراء علیها السلام أن الفردوس مسکن النبی (صلی الله علیه وآله)، ولم یذکر أنها مسکن الله تعالی. قال: عن أنس أن فاطمة بکت علی رسول الله(ص)حین مات فقالت: یا أبتاه من ربه ما أدناه، یا أبتاه إلی جبریل ننعاه، یا أبتاه جنة الفردوس مأواه. وروی ذلک غیره أیضاً.

وفی کنز العمال:۲/۲۷۴:

عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت علیاً یقول: ألا إن لکل شئ ذروة، وإن ذورتنا جبال الفردوس فی بطنان الفردوس قصراً من لؤلؤة بیضاء وصفراء من عرق واحد، وإن فی البیضاء سبعین ألف قصر، منازل إبراهیم وآل إبراهیم، فإذا صلیتم علی محمد فصلوا علی إبراهیم وآل إبراهیم. خط فی تلخیص المتشابه.

وقال القسطلانی فی إرشاد الساری:۵/۳۸:

فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة أی أفضلها، قال: وفوقه عرش الرحمن. انتهی.

وروی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۳/۱۶۲ حدیثاً غریباً طریفاً لطیفا، قال: عمر بن الخطاب: فاطمة وعلی والحسن والحسین فی حظیرة القدس فی قبة بیضاء سقفها عرش الرحمن عز وجل.

و قالوا أرواح الشهداء فی حواصل طیور فی قنادیل معلقة بالعرش

صحیح مسلم:۶/۳۸:

عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآیة: وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ قُتِلُوا فِی سَبِیلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْیَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ یُرْزَقُونَ، قال: أما إنا قد سألناه عن ذلک فقال: أرواحهم فی جوف طیر خضر لها قنادیل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حیث شاءت، ثم تأوی إلی تلک القنادیل، فاطلع إلیهم ربهم اطلاعةً فقال هل تشتهون شیئاً؟ قالوا أی شئ نشتهی ونحن نسرح من الجنة حیث شئنا، ففعل ذلک بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن یترکوا من أن یسألوا، قالوا: یا رب نرید أن ترد أرواحنا فی أجسادنا حتی نقتل فی سبیلک مرة أخری، فلما رأی أن لیس لهم حاجة، ترکوا.

وروی الدمیری فی حیاة الحیوان:۱/۶۵۷:

أرواح الشهداء فی حواصل طیور خضر ترعی فی الجنة وتأوی إلی قنادیل معلقة تحت العرش. قال شیخنا: أولئک شهداء السیوف، وأما شهداء الصفوة فأجسادهم أرواح!

وقال الدارمی فی سننه:۲/۲۰۶:

عن مسروق قال سألنا عبدالله عن أرواح الشهداء ولو لا عبدالله لم یحدثنا أحد، قال: أرواح الشهداء عند الله یوم القیامة فی حواصل طیر خضر لها قنادیل معلقة بالعرش (ترعی) أی الجنة حیث شاءت، ثم ترجع إلی قنادیلها فیشرف علیهم ربهم فیقول: ألکم حاجة تریدون شیئاً، فیقولون لا إلا أن نرجع إلی الدنیا فنقتل مرة أخری. انتهی. وروی نحوه ابن ماجة فی:۱/۴۶۶ و:۲/۹۳۶ وأبو داود:۱/۵۶۶ والترمذی فی:۴/۲۹۹ وقال: هذا حدیث حسن صحیح. وأحمد:۱/۲۶۵ وص ۳۸۶ والحاکم ج۲/۸۸ وص ۲۹۷ وابن منصور فی سننه:۲/۲۱۶ والبیهقی فی سننه:۹/۱۶۳ والهیثمی فی مجمع الزوائد:۶/۳۲۸ والهیثمی فی:۵/۲۹۸ والهندی فی کنز العمال:۴/۳۰۸ وص ۴۰۳ وص ۴۱۳ وص ۴۱۴ وج ۱۳/۴۸۱

ورد أهل البیت حدیث القنادیل و حواصل الطیور

الکافی:۳/۲۴۴:

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن الحسن بن محبوب، عن أبی ولاد الحناط عن أبی عبد الله علیه السلام قال قلت له: جعلت فداک یروون أن أرواح المؤمنین فی حواصل طیور خضر حول العرش؟ فقال: لا، المؤمن أکرم علی الله من أن یجعل روحه فی حوصلة طیر، ولکن فی أبدان کأبدانهم.

الکافی:۳/۲۴۵:

محمد، عن أحمد، عن الحسین بن سعید، عن أخیه الحسن، عن زرعهٔ، عن أبی بصیر قال: قلت لابی عبدالله علیه السلام: إنا نتحدث عن أرواح المؤمنین أنها فی حواصل طیور خضر ترعی فی الجنهٔ وتأوی إلی قنادیل تحت العرش، فقال: لا، ما هی فی حواصل طیر، قلت: فأین هی قال: فی روضهٔ کهیئهٔ الأجساد فی الجنهٔ. انتهی. وروی نحوه الطوسی فی تهذیب الأحکام:۱/۴۶۶

واختلفت روایاتهم فیما هو مکتوب علی العرش

تاریخ بغداد:۱۱/۱۷۳:

عن أنس بن مالک قال قال النبی (ص): لما عرج بی رأیت علی ساق العرش مکتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، أیدته بعلی، نصرته بعلی.

لسان المیزان:۲/۴۸۴:

وحدثنا محمد بن عثمان ثنا زکریا بن یحیی الکسائی ثنا یحیی بن سالم ثنا أشعث بن عم الحسن بن صالح ثنا مسعر عن عطیهٔ العوفی عن جابر (رض) مرفوعاً: مکتوب علی باب الجنهٔ لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أیدته بعلی. قال أبو نعیم الحافظ حدثنا أبو علی بن الصواف ومحمد بن علی بن سهل وسلیمان الطبرانی والحسن بن علی بن الخطاب قالوا: ثنا محمد بن عثمان بن أبی شیبهٔ فساقه بنحوه، لکن لفظه علی باب الجنهٔ لا إله إلا الله محمد رسول الله علی أخو رسول الله قبل أن یخلق الله السموات بألفی عام، ساقه الخطیب عن أبی نعیم فی ترجمهٔ الحسن هذا، وقد روی الکسائی عن ابن فضیل وجماعهٔ، وقال النسائی والدارقطنی متروک. انتهی. وقد تقدم فی ترجمهٔ أشعث ابن عم الحسن بن صالح لهذا الرجل ذکر بالتشیع، وسیأتی کلام ابن عداء فیه فی ترجمهٔ علی بن القاسم.

الجواهر الحسان للثعالبی:۱/۶۷:

وقالت طائفهٔ إن آدم رأی مکتوباً علی ساق العرش: محمد رسول الله، فتشفع به، فهی الکلمات..

لسان المیزان:۳/۲۳۷:

ومن أباطیله عن خالد بن أبی عمرو الازدی عن الکلبی عن أبی صالح عن أبی هریرهٔ (رض) قال: مکتوب علی العرش لاإله إلا الله، محمد عبدی ورسولی أیدته بعلی.

میزان الاعتدال:۳/۱۸۲:

عمر بن إسماعیل بن مجالد بن سعید الهمدانی. عن أبیه وغیره. کذبه ابن معین. وقال النسائی والدارقطنی: متروک. وقال ابن عدی: یسرق الحدیث... وقال ابن جریر الطبری: حدثنا عمر بن إسماعیل، حدثنا ابن فضیل، عن ابن جریج، عن عطاء، عن أبی الدرداء مرفوعاً: رأیت لیلهٔ الإسراء جریدهٔ خضراء فیها مکتوب بنور: لا إله إلا الله، أبوبکر الصدیق، عمر الفاروق. تابعه السری بن عاصم.

فردوس الأخبار للدیلمی:۴/۴۱۰:

البراء بن عازب: مکتوب علی العرش لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبی بکر الصدیق، عمر الفاروق، عثمان الشهید، علی الرضا.

فردوس الأخبار للدیلمی:۵/۴۶۸:

تحشر ابنتی فاطمهٔ ومعها ثیاب مصبوغهٔ بدم، فتتعلق بقائمهٔ من قوائم العرش فتقول: یا عدل، أحکم بینی وبین قاتل ولدی، فیحکم لابنتی ورب الکعبهٔ.

لسان المیزان:۳/۴۲۳:

عبدالرحمن بن عفان... قال ابن الجنید سمعت یحیی بن معین وذکر أبابکر بن عفان ختن مهدی بن حفص فقال: کذاب مکذب رأیت له حدیثاً حدث به عن أبی إسحاق الفزاری کذباً.

قلت: وله خبر آخر عن محمد بن محمد بن الصائغ عن جعفر بن محمد عن أبیه عن جده مرفوعاً: لما أسری بی رأیت علی العرش

مكتوباً لا ـ إله إلا ـ الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين، يقتل ظلماً. رواه الختلى فى الديباج عنه، والمتهم به صاحب الترجمة.

الموضوعات:۱/۳۲۷:

أنبأنا عبدالرحمن بن محمد قال أنبأنا أحمد بن على بن ثابت قال: أخبرنى أحمد بن عمر بن على القاضى قال: أنبأنا أحمد بن على بن محمد بن الجهم قال: حدثنا محمد بن جرير الطبرى قال: حدثنى عمر بن إسماعيل بن مجالد قال: حدثنا ابن فضيل عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبى الدرداء عن النبى(ص)قال: رأيت ليلة أسرى بى فى العرش فرندة خضراء فيها مكتوب بنور أبيض: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق. هذا حديث لا يصح، والمتهم به عمر بن اسماعيل، قال يحيى: ليس بشئ كذاب دجال سوء خبيث، وقال النسائى والدارقطنى: متروك الحديث.

الموضوعات:۱/۳۳۶:

أنبأنا عبدالرحمن بن محمد القزاز قال: أنبأنا أحمد بن على بن ثابت قال: أنبأنا القاضى أبوالفرج محمد بن أحمد بن الحسن الشافعى قال: حدثنا أبوبكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعى قال: حدثنا أحمد ابن محمد القاضى قال: حدثنا الاحتياطى قال: حدثنا على بن جميل، عن جرير بن عبدالحميد، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): ما فى الجنة شجرة إلا مكتوب على ورقة محمد رسول الله، أبوبكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين. اسم الإحتياطى الحسن بن عبد الرحمن بن عباد أبو على.

قال أبوحاتم بن حبان: هذا باطل موضوع، وعلى بن جميل كان يضع الحديث لا تحل الرواية عنه بحال...

أنبأنا أبو منصور القزاز قال: أنبأنا أبوبكر أحمد بن على ابن ثابت قال: أنبأنا محمد بن عبيدالله الحنائى قال: أنبأنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: أنبأنا إسحاق بن إبراهيم الختلى قال: حدثنا أبوبكر عبدالرحمن بن عنان الصوفى قال: حدثنا محمد بن مجيب الصائغ قال: حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله (ص): ليلة أسرى بى رأيت على العرش مكتوباً لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذو النورين يقتل مظلوماً. هذا حديث لا ـ يصح عن رسول الله(ص). وأبو بكر الصوفى ومحمد بن مجيب كذابان، قاله يحيى بن معين.

لسان الميزان:۲/۲۹۵:

وقال الهيثم بن خلف حدثنا الحسن بن عبدالرحمن الاحتياطى، ثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس فى الجنة شجرة إلا ـ على كل ورقة منها مكتوب لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أبوبكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان ذوالنورين. قلت: هذا باطل والمتهم به الحسين. انتهى. وكذا فى ميزان الاعتدال:۱/۵۴۰ ونحوه فى لسان الميزان:۶/۶۱ وميزان الاعتدال: ۴/۱۴۵ وفى كتاب المجروحين:۱/۱۱۶ وقال أخبرناه الحسن بن عبدالله بن يزيد القطان بالرقة قال: حدثنا على بن جميل. وهذان خبران باطلان موضوعان لا شك فيه، وله مثل هذا أشياء كثيرة يطول الكتاب بذكرها. ومات على بن جميل بالرقة سنة تسع وأربعين ومائتين. ونحوه فى المجروحين: ۱/۳۶۶

نهج الحق للعلامة الحلى/۲۵۲:

وقد ذكرت فى كتاب: كشف اليقين فى فضائل أمير المؤمنين: أن الفضائل إما قبل ولادته، مثل ما روى أخطب خوارزم، من علماء الجمهور، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه عطس آدم، فقال: الحمد لله، فأوحى الله تعالى إليه حمدنى عبدى، وعزتى وجلالى لو لا عبدان أريد أن أخلقهما فى دار الدنيا ما خلقتك، قال: إلهى فيكونان منى قال: نعم يا آدم، ارفع رأسك، وانظر، فرفع رأسه، فإذا مكتوب على العرش: لا إله إلا الله، محمد نبى الرحمة، وعلى مقيم الحجة، من عرف حق على زكا وطاب، ومن أنكر حقه لعن وخاب، أقسمت بعزتى وجلالى: أن أدخل الجنة من أطاعه، وإن عصانى، وأقسمت بعزتى: أن أدخل النار من عصاه وإن أطاعنى. والأخبار فى ذلك كثيرة.

وقال فی هامشه: رواه فی المناقب، بسنده عن الاعمش، عن أبی وائل، عن ابن مسعود، کما فی ینابیع المودۀ/۱۱.

و قالوا إنه تعالی أثقل من الحدید

الدر المنثور:۳/۶:

وأخرج عبد بن حمید وابن جریر وابن المنذر وأبوالشیخ والحاکم وصححه عن ابن عباس رضی الله عنهما: تَکَادُ السَّمَوَاتُ یَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ، قال: من الثقل. انتهی. أی من ثقل الله تعالی! وستأتی بقیۀ روایاتهم عن أطیط العرش وصریره فی تفسیر آیات الإستواء علی العرش.

و قالوا یری بالعین فی الآخرۀ و یناقش رجلا و یضحک علیه

صحیح البخاری:۱/۱۹۵:

(عن أبی هریرۀ) أن الناس قالوا یا رسول الله هل نری ربنا یوم القیامۀ؟

قال: هل تمارون فی القمر لیلۀ البدر لیس دونه سحاب؟

قالوا: لا یا رسول الله.

قال: فهل تمارون فی الشمس لیس دونها سحاب؟

قالوا: لا.

قال: فإنکم ترونه کذلک. یحشر الناس یوم القیامۀ فیقول: من کان یعبد شیئاً فلیتبع، فمنهم من یتبع الشمس ومنهم من یتبع القمر، ومنهم من یتبع الطواغیت، تبقی هذه الأمۀ فیها منافقوها، فیأتیهم الله عز وجل فیقول أنا ربکم. فیقولون: هذا مکاننا حتی یأتینا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فیأتیهم الله فیقول: أنا ربکم. فیقولون: أنت ربنا؟! فیدعوهم فیضرب الصراط بین ظهرانی جهنم فأکون أول من یجوز من الرسل بأمته، ولا یتکلم یومئذ أحد إلا الرسل و کلام الرسل یومئذ اللهم سلم سلم. وفی جهنم کلالیب مثل شوک السعدان، هل رأیتم شوک السعدان؟ قالوا: نعم.

قال فإنها مثل شوک السعدان غیر أنه لا یعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من یوبق بعمله ومنهم من یخردل ثم ینجو، حتی إذا أراد الله رحمۀ من أراد من أهل النار أمر الله الملائکۀ أن یخرجوا من کان یعبد الله فیخرجونهم ویعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله علی النار أن تأکل أثر السجود، فیخرجون من النار، فکل ابن آدم تأکله النار إلا أثر السجود، فیخرجون من النار قد امتحشوا فیصب علیهم ماء الحیاۀ، فینبتون کما تنبت الحبۀ فی حمیل السیل!

ثم یفرغ الله من القضاء بین العباد، ویبقی رجل بین الجنۀ والنار وهو آخر أهل النار دخولاً الجنۀ مقبلاً بوجهه قبل النار، فیقول: یا رب إصرف وجهی عن النار قد قشبنی ریحها وأحرقنی ذکاؤها.

فیقول: هل عسیت إن فعل ذلک بک أن تسأل غیر ذلک؟

فیقول: لا وعزتک، فیعطی الله ما یشاء من عهد ومیثاق فیصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به علی الجنۀ رأی بهجتها سکت ما شاء الله أن یسکت ثم قال: یا رب قدمنی عند باب الجنۀ.

فیقول الله له: ألیس قد أعطیت العهود والمیثاق أن لا تسأل غیر الذی کنت سألت: فیقول: یا رب لا أکون أشقی خلقک.

فیقول: فما عسیت أن أعطیت ذلک أن لا تسأل غیره.

فیقول: لا ـ وعزتک لا أسأل غیر ذلک، فیعطی ربه ما شاء من عهد و میثاق فیقدمه إلی باب الجنۀ، فإذا بلغ بابها فرأی زهرتها وما فیها من النضرۀ والسرور فیسکت ما شاء الله أن یسکت فیقول: یا رب أدخلنی الجنۀ.

فیقول الله تعالی: ویحک یا ابن آدم ما أغدرک، ألیس قد أعطیت العهد والمیثاق أن لا تسأل غیر الذی أعطیت؟

فیقول: یا رب لا تجعلنی أشقی خلقک، فیضحک الله عز وجل منه ثم یأذن له فی دخول الجنة فیقول له: تمنَّ، فیتمنی، حتی إذا انقطع أمنیته قال الله عز وجل: زد من کذا وکذا، وأقبل یذکره ربه عز وجل، حتی إذا انتهت به الأمانی، قال الله تعالی: لک ذلک ومثله معه.

قال أبو سعید الخدری لأبی هریرة رضی الله عنهما: إن رسول الله(ص)قال: قال الله عز و جل لک ذلک و عشرة أمثاله.

قال أبو هریرة: لم أحفظ من رسول الله صلی الله علیه و سلم إلا قوله لک ذلک ومثله معه.

قال أبو سعید الخدری: إنی سمعته یقول ذلک لک وعشرة أمثاله.

وروی نحوه فی:۷/۲۰۵ وفیه (فلا یزال یدعوا حتی یضحک، فإذا ضحک منه أذن له بالدخول فیها فإذا دخل فیها، قیل تمن من کذا فیتمنی، ثم یقال له تمن من کذا فیتمنی، حتی تنقطع به الأمانی فیقول: هذا لک ومثله معه.

قال أبو هریرة: وذلک الرجل آخر أهل الجنة دخولاً. قال عطاء وأبو سعید الخدری جالس مع أبی هریرة لا یغیر علیه شیئاً من حدیثه حتی انتهی إلی قوله هذا لک ومثله معه، قال أبو سعید سمعت رسول الله(ص)یقول: هذا لک وعشرة أمثاله، قال أبو هریرة: حفظت مثله معه).وروی البخاری نحوه أیضاً فی عدة مواضع من صحیحه کما فی:۱ جزء ۱/۱۳۸ و ۱۴۳ و ۱۹۵ وجزء ۲/۱۱۳-۱۱۴ وج ۳ جزء ۶/۴۸، ۵۶ و ۷۲ وج ۴ جزء ۷/۱۹۸، ۲۰۳، ۲۰۴، ۲۰۵ و ۲۰۶ وج ۴ جزء ۸/۱۷۹، ۱۸۱، ۱۸۴، ۲۰۳ وج ۵/۱۷۹ وج ۶ ص۴۸ وج ۸/ص ۱۶۷، ۱۷۹ و ۱۸۶!!

و قالوا یکشف عن ساقه بل عن ساقیه و یعفو عن المنافقین

زاد مسلم علی البخاری إضافات وتفصیلات عن تجسد الله تعالی وعن شمول شفاعة النبی صلی الله علیه وآله للمنافقین والمشرکین حتی لا یکاد یبقی فی النار أحد! فقال فی:۱/۱۱۲:

عن أبی سعید الخدری أن ناساً فی زمن رسول الله(ص)قالوا یا رسول الله هل نری ربنا یوم القیامة؟

قال رسول الله (ص): نعم.

قال هل تضارون فی رؤیة الشمس بالظهیرة صحواً لیس معها سحاب؟ وهل تضارون فی رؤیة القمر لیلة البدر صحواً لیس فیها سحاب؟

قالوا: لا یا رسول الله.

قال: ما تضارون فی رؤیة الله تبارک وتعالی یوم القیامة إلا کما تضارون فی رؤیة أحدهما.

إذا کان یوم القیامة أذن مؤذن لیتبع کل أمة ما کانت تعبد، فلا یبقی أحد کان یعبد غیر الله سبحانه من الأصنام والانصاب إلا یتساقطون فی النار، حتی إذا لم یبق إلا من کان یعبدالله من بر وفاجر، وغیر أهل الکتاب فیدعی الیهود فیقال لهم ما کنتم تعبدون؟ قالوا: کنا نعبد عزیراً بن الله، فیقال کذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا عطشنا یا ربنا فاسقنا، فیشار إلیهم ألا تردون، فیحشرون إلی النار کأنها سراب یحطم بعضها بعضاً فیتساقطون فی النار.

ثم یدعی النصاری فیقال لهم ما کنتم تعبدون؟ قالوا: کنا نعبد المسیح ابن الله، فیقال لهم کذبتم مااتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فیقال لهم ماذا تبغون؟ فیقولون عطشنا یا ربنا فاسقنا، قال فیشار إلیهم ألا تردون، فیحشرون إلی جهنم کأنها سراب یحطم بعضها بعضاً فیتساقطون فی النار.

حتی إذا لم یبق إلا من کان یعبد الله تعالی من بر وفاجر أتاهم رب العالمین سبحانه وتعالی فی أدنی صورة من التی رأوه فیها.

قال فما تنتظرون، تتبع کل أمة ما کانت تعبد!

قالوا یا ربنا فارقنا الناس فی الدنیا أفقر ما کنا إلیهم ولم نصاحبهم.

فیقول أنا ربکم.

فیقولون نعوذ بالله منک لا نشرک بالله شیئاً، مرتین أو ثلاثاً!

حتی أن بعضهم لیکاد أن ینقلب فیقول هل بینکم وبینه آیهٔ فتعرفونه بها؟

فیقولون نعم، فیکشف عن ساق، فلا یبقی من کان یسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا یبقی من کان یسجد اتقاء ورياء، إلا جعل الله ظهره طبقهٔ واحدهٔ کلما أراد أن یسجد خر علی قفاه، ثم یرفعون رؤسهم وقد تحول فی صورته التی رأوه فیها أول مرهٔ فقال: أنا ربکم.

فیقولون أنت ربنا.

ثم یضرب الجسر علی جهنم، وتحل الشفاعهٔ، ویقولون اللهم سلم سلم.

قیل یا رسول الله وما الجسر؟ قال دحض مزلهٔ فیه خطاطیف وکلالیب وحسک تکون بنجد فیها شویکهٔ یقال لها السعدان، فیمر المؤمنون کطرف العین وکالبرق وکالریح وکالطیر وکأجاوید الخیل والرکاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل، ومکدوس فی نار جهنم، حتی إذا خلص المؤمنون من النار فوالذی نفسی بیده ما منکم من أحد بأشد منا شدهٔ لله فی استقصاء الحق من المؤمنین لله یوم القیامهٔ لاخوانهم الذین فی النار، یقولون ربنا کانوا یصومون معنا ویصلون ویحجون، فیقال لهم أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم علی النار فیخرجون خلقاً کثیراً قد أخذت النار إلی نصف ساقیه وإلی رکبتیه، ثم یقولون ربنا ما بقی فیها أحد ممن أمرتنا به، فیقول إرجعوا، فمن وجدتم فی قلبه مثقال دینار من خیر فأخرجوه، فیخرجون خلقاً کثیراً، ثم یقولون ربنا لم نذر فیها أحداً ممن أمرتنا، ثم یقول إرجعوا فمن وجدتم فی قلبه مثقال نصف دینار من خیر فأخرجوه فیخرجون خلقاً کثیراً، ثم یقولون ربنا لم نذر فیها ممن أمرتنا أحداً، ثم یقول إرجعوا فمن وجدتم فی قلبه مثقال ذرهٔ من خیر فأخرجوه، فیخرجون خلقاً کثیراً، ثم یقولون ربنا لم نذر فیها خیراً.

وکان أبو سعید الخدری یقول: إن لم تصدقونی بهذا الحدیث فاقرؤوا إن شئتم: إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَکُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا، فیقول الله عز وجل: شفعت الملائکهٔ وشفع النبیون وشفع المؤمنون ولم یبق إلا أرحم الراحمین، فیقبض قبضهٔ من النار فیخرج منها قوماً لن یعملوا خیراً قط، قد عادوا حمماً فیلقیهم فی نهر فی أفواه الجنهٔ یقال له نهر الحیاهٔ، فیخرجون کما تخرج الحبهٔ فی حمیل السیل، ألا ترونها تکون إلی الحجر أو إلی الشجر ما یکون إلی الشمس أصیفر وأخیضر وما یکون منها إلی الظل یکون أبیض، فقالوا یا رسول الله کأنک کنت ترعی بالبادیهٔ، قال فیخرجون کاللؤلؤ فی رقابهم الخواتم یعرفهم أهل الجنهٔ هؤلاء عتقاء الله الذین أدخلهم الله الجنهٔ بغیر عمل عملوه ولا خیر قدموه، ثم یقول أدخلوا الجنهٔ فما رأیتموه فهو لکم، فیقولون ربنا أعطیتنا مالم تعط أحداً من العالمین، فیقول لکم عندی أفضل من هذا فیقولون یا ربنا أی شئ أفضل من هذا؟ فیقول رضای فلا أسخط علیکم بعده أبداً.

وروی مسلم عدداً من أحادیث الرؤیهٔ أیضاً فی:۲/۱۱۳

وروی أبو داود فی سننه نحو حدیث البخاری المتقدم فی:۲/۴۱۹

وروی أحمد فی مسنده:۳/۳۸۳... أخبرنی أبوالزبیر أنه سمع جابر بن عبدالله یسأل عن الورود قال: نحن یوم القیامهٔ علی کذا وکذا أنظر أی ذلک فوق البأس، قال فتدعی الأمم بأوثانها وما کانت تعبد الأول فالأول، ثم یأتینا ربنا بعد ذلک فیقول من تنظرون؟ فیقولون ننتظر ربنا عز وجل، فیقول أنا ربکم، یقولون حتی ننظر إلیک، فیتجلی لهم یضحک، قال سمعت النبی (ص)قال: فینطلق بهم ویتبعونه ویعطی کل إنسان منافق أو مؤمن نوراً، ثم یتبعونه وعلی جسر جهنم کلالیب وحسک تأخذ من شاء الله، ثم یطفأ نور المنافق ثم ینجو المؤمنون فتنجو أول زمرهٔ وجوههم کالقمر لیلهٔ البدر سبعون ألفاً لا یحاسبون، ثم الذین یلونهم کأضوأ أنجم فی السماء، ثم کذلک، ثم تحل الشفاعهٔ حتی یخرج من النار من قال لا إله إلا الله وکان فی قلبه من الخیر ما یزن شعیرهٔ، فیجعلون بفناء أهل الجنهٔ، ویجعل أهل الجنهٔ یرشون علیهم الماء حتی ینبتون نبات الشئ فی السیل، ثم یسأل حتی یجعل له الدنیا وعشرهٔ أمثالها معها.

ورواه ابن ماجه فی سننه:۱/۶۳، ۶۶، ۵۹۰ وج ۲/۷۳۱ و ۱۴۵۰ وفیه (ویتبدی لهم فی روضهٔ من ریاض الجنهٔ... ویجلس أدناهم).

وأبو داود فی سننه:۲/۴۲۰ وج ۴/۲۳۳–والترمذی:۴/۹۰ وج ۴/۹۲، ۹۳، ۹۵–والبغوی فی المصابیح:۳/۵۳۳ وص ۵۴۲ وص ۵۶۹–وروی من أحادیث الرؤیة فی الآخرة ابن أبی شیبة فی المصنف:۲/۵۸–والهیثمی فی مجمع الزوائد:۱۰/۳۴۳–وابن الاثیر فی أسد الغابة:۱/۳۳۴–والهندی فی کنز العمال:۱۴/۴۳۶ و۴۴۶ و۴۹۳–والبیقی فی سننه:۱۰/۴۱ وفی البعث والنشور/۲۶۲ وفی شعب الإیمان:۳/۲۰۲،

وقال فی شعب الإیمان:۳/۹۹: عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله أن الناس یجلسون یوم القیامة من الله علی قدر رواحهم إلی الجمعة، الأول ثم الثانی ثم الثالث. انتهی. ورواه الحاکم فی المستدرک:۴/۵۶۰ و/۵۸۲ مع تفاوت فی التفاصیل. ورواه الطبری فی تفسیره:۲۵/۹۴ وفی:۲۹/۲۶ وج ۳۰/۱۱۹، ـ وقال فی:۲۹/۲۴:

قال أبو الزهراء عن عبد الله یتمثل الله للخلق یوم القیامة..

وأورد السیوطی فی الدر المنثور:۶/۲۹۰ عدداً وفیراً من أحادیث الرؤیة قال: وأخرج عبدالرزاق وأحمد وعبد بن حمید والبخاری ومسلم والنسائی والدارقطنی فی الرؤیة والبیهقی فی الأسماء والصفات عن أبی هریرة قال قال الناس یا رسول الله هل نری ربنا یوم القیامة قال هل تضارون الشمس... الخ.

وأخرج الدار قطنی فی الرؤیة عن أبی هریرة قال: سأل الناس رسول الله (ص)فقالوا یا رسول الله هل نری ربنا یوم القیامة قال هل تضارون... الخ. وفیه تفصیلات لا توجد فی غیره.

وأخرج الدارقطنی فی الرؤیة عن أبی هریرة قال قال رسول الله (ص): إذا جمع الله الأولین والآخرین یوم القیامة جاء الرب عز وجل إلی المؤمنین فوقف علیهم والمؤمنون علی کوم فیقول هل تعرفون ربکم عز وجل فیقولون إن عرفنا نفسه عرفناه فیقول لهم الثانیة هل تعرفون ربکم فیقولون إن عرفنا نفسه عرفناه فیتجلی لهم عز وجل فیضحک فی وجوههم فیخرون له سجداً.

وأخرج النسائی والدار قطنی وصححه عن أبی هریرة قال قلنا یا رسول الله هل نری ربنا... الخ.

وأخرج الدار قطنی عن أبی هریرة أن النبی(ص)قال ترون الله عز وجل یوم القیامة کما ترون القمر لیلة البدر... الخ.

وأخرج أحمد وعبد بن حمید والبخاری ومسلم والدار قطنی والحاکم والبیهقی عن أبی سعید الخدری قال قلنا یا رسول الله هل نری ربنا یوم القیامة... الخ.

وقال البخاری فی:۶/۷۲:

عن أبی سعید (رض) قال سمعت النبی(ص)یقول: یکشف ربنا عن ساقة فیسجد له کل مؤمن ومؤمنة ویبقی من کان یسجد فی الدنیا ریاء وسمعة فیذهب لیسجد فیعود ظهره طبقاً واحداً. انتهی. ورواه فی:۸/۱۸۱ وهو یشبه ما تقدم عن رؤیة الله تعالی وفیه:

(فیقال لهم ما یحبسکم وقد ذهب الناس... وإنما ننتظر ربنا قال فیأتیهم الجبار فی صورة غیر صورته التی رأوه فیها أول مرة فیقول أنا ربکم فیقولون أنت ربنا فلا یکلمه إلا الأنبیاء فیقول هل بینکم وبینه آیة تعرفونه فیقولون الساق فیکشف عن ساقه فیسجد له کل مؤمن ویبقی من کان یسجد لله ریاء وسمعة فیذهب کیما یسجد فیعود ظهره طبقاً واحداً). وروی نحوه فی:۳ جزء ۶/۷۲ وروی نحوه الدارمی فی سننه:۲/۳۲۶ والحاکم فی المستدرک:۴/۵۹۰ وج ۴/۵۹۹ وأحمد فی:۳/۱۷ والهیثمی فی مجمع الزوائد:۱۰/۳۲۹ وج ۱۰/۳۴۰ والهندی فی کنز العمال:۱۴/۲۹۸ وص ۴۴۱ والسیوطی فی الدر المنثور:۶/۲۹۲–وقال الصنعانی فی تفسیره:۲/۲۴۸–عن ابن مسعود فی قوله تعالی: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ قال: یعنی ساقیه تبارک وتعالی! وقال المنذری فی الترغیب والترهیب: ۴/۳۹۱:عن عبدالله ابن مسعود قال النبی (ص)... أن أمة محمد تبقی یوم القیامة تنتظر خروج ربها فلا یعرفونه إلا بکشف ساقه. انتهی. وقال فی:۵/۳۶۹: ابن مسعود: یکشف ربنا عز وجل عن ساقه یوم القیامة.

وقال الهیثمی فی مجمع الزوائد:۱۰/۳۴۰:

وعن عبدالله بن مسعود عن النبی(ص)قال یجمع الله الأولین الآخرین لمیقات یوم معلوم قیاماً أربعین سنة شاخصة أبصارهم ینتظرون

فصل القضاء، قال وینزل الله عز وجل فی ظلل من الغمام من العرش إلی الکرسی، ثم ینادی مناد أیها الناس ألم ترضوا من ربکم الذی خلقکم ورزقکم وأمرکم أن تعبدوه ولا تشرکوا به شیئاً أن یولی کل أناس منکم ما کانوا یعبدون فی الدنیا، ألیس ذلک عدلاً من ربکم؟ قالوا بلی، قال فینطلق کل قوم إلی ما کانوا یعبدون ویقولون فی الدنیا قال فینطلقون ویمثل لهم أشباه ما کانوا یعبدون فمنهم من ینطلق إلی الشمس ومنهم من ینطلق إلی القمر والأوثان من الحجارة وأشباه ما کانوا یعبدون، قال ویمثل لمن کان یعبد عیسی شیطان عیسی ویمثل لمن کان یعبد عزیراً شیطان عزیر.

ویبقی محمد(ص)وأمته، قال فیتمثل الرب تبارک وتعالی فیأتیهم فیقول: ما لکم لا تنطلقون کانطلاق الناس؟ فیقولون إن لنا لالهاً ما رأیناه، فیقول هل تعرفونه إن رأیتموه؟ فیقولون إن بیننا وبینه علامة إذا رأیناها عرفناها، قال فیقول ما هی؟ فنقول یکشف عن ساقه، قال فعند ذلک یکشف عن ساقه فیخر کل من کان نظره، ویبقی قوم ظهورهم کصیاصی البقر یریدون السجود فلا یستطیعون، وقد کانوا یدعون إلی السجود وهم سالمون، ثم یقول ارفعوا رؤوسکم فیرفعون رؤسهم فیعطیهم نورهم علی قدر أعمالهم فمنهم من یعطی نوره مثل الجبل العظیم یسعی بین یدیه، ومنهم من یعطی نوره أصغر من ذلک، ومنهم من یعطی مثل النخلة بیده، ومنهم من یعطی أصغر من ذلک، حتی یکون آخرهم رجلاً یعطی نوره علی إبهام قدمیه یضیء مرة ویطفأ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه وإذا طفیء قام، قال والرب تبارک وتعالی أمامهم حتی یمر فی النار فیبقی أثره کحد السیف، قال فیقول مروا فیمرون علی قدر نورهم، منهم من یمر کطرفة العین، ومنهم من یمر کالبرق، ومنهم من یمر کالسحاب، ومنهم من یمر کانقضاض الکوکب، ومنهم من یمر کالریح، ومنهم من یمر کشد الفرس، ومنهم من یمر کشد الرحل، حتی یمر الذی یعطی نوره علی ظهر قدمیه یجثو علی وجهه ویدیه ورجلیه تخرُّ یدٌ وتعلق ید، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصیب جوانبه النار، فلا یزال کذلک حتی یخلص فإذا خلص وقف علیها فقال الحمد لله فقد أعطانی الله ما لم یعط أحداً إذ نجانی منها بعد إذ رأیتها، قال فینطلق به إلی غدیر عند باب الجنة فیغتسل فیعود إلیه ریح أهل الجنة وألوانهم، فیری ما فی الجنة من خلل الباب فیقول رب أدخلنی الجنة فیقول الله أتسأل الجنة وقد نجیتک من النار، فیقول رب اجعل بینی وبینها حجاباً لا أسمع حسیسها، قال فیدخل الجنة ویری أو یرفع له منزل أمام ذلک کأن ما هو فیه إلیه حلم، فیقول رب أعطنی ذلک المنزل فیقول له لعلک إن أعطیتکه تسأل غیره فیقول لا ـ وعزتک لا أسألک غیره، وأنی منزل أحسن منه، فیعطی فینزله ویری أمام ذلک منزلاً ـ کأن ما هو فیه إلیه حلم، قال رب أعطنی ذلک المنزل، فیقول الله تبارک وتعالی له فلعلک إن أعطیتکه تسأل غیره، فیقول وعزتک یا رب وأنی منزل یکون أحسن منه فیعطاه وینزله ثم یسکت، فیقول الله جل ذکره مالک لا ـ تسأل، فیقول رب قد سألتک حتی قد استحییتک وأقسمت حتی استحییتک، فیقول الله جل ذکره ألم ترض أن أعطیک مثل الدنیا منذ خلقتها إلی یوم أفنیتها وعشرة أضعافه، فیقول أتهزأ بی وأنت رب العزة؟ فیضحک الرب تبارک وتعالی من قوله!

قال فرأیت عبدالله بن مسعود إذا بلغ هذا المکان من هذا الحدیث ضحک، فقال له رجل یا أبا عبدالرحمن قد سمعتک تحدث هذا الحدیث مراراً کلما بلغت هذا المکان ضحکت، قال إنی سمعت رسول الله(ص)یحدث هذا الحدیث مراراً کلما بلغ هذا المکان من هذا الحدیث ضحک حتی تبدو أضراسه، قال فیقول الرب جل ذکره لا ولکنی علی ذلک قادر، سل فیقول ألحقنی بالناس، فیقول الحق بالناس، قال فینطلق یرمل فی الجنة حتی إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فیخر ساجداً، فیقال له إرفع رأسک مالک، فیقول رأیت ربی أو تراءی لی ربی، فیقال له إنما هو منزل من منازلک، قال ثم یلقی رجلاً فیتهیأ للسجود له فیقال له مه، فیقول رأیت أنک ملک من الملائکة، فیقول إنما أنا خازن من خزانک وعبد من عبیدک تحت یدی ألف قهرمان علی مثل ما أنا علیه، قال فینطلق أمامه حتی یفتح له القصر قال وهو من درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتیحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء فیها سبعون باباً کل باب یفضی إلی جوهرة خضراء مبطنة کل جوهرة تفضی إلی جوهرة علی غیر لون الأخری فی کل جوهرة سرر وأزواج ووصائف، أدناهن حوراء عیناء علیها سبعون حلة یری مخ ساقها من وراء حللها، کبدها مرآته وکبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت فی عینه سبعین ضعفاً عما کانت قبل ذلک، فیقول لها والله لقد أزددت فی عینی سبعین ضعفاً، وتقول له وأنت

ازددت فی عینی سبعین ضعفاً، یقال له أشرف فیشرف فیقال له ملکک مسیرة مائة عام ینفذه بصرک.

قال فقال عمر ألا تسمع ما یحدثنا ابن أم عبد یا کعب عن أدنی أهل الجنة منزلاً فکیف أعلاهم؟ قال یا أمیر المؤمنین ما لا عین رأت ولا ـ أذن سمعت، إن الله جل ذکره خلق داراً جعل فیها ما شاء من الازواج والثمرات والاشربة ثم أطبقها فلم یرها أحد من خلقه لا جبریل ولا ـ غیره من الملائکة، ثم قال کعب: فلا تعلم نفس ما أخفی لهم من قرة أعین جزاءاً بما کانوا یعملون، قال وخلق دون ذلک جنتین وزینهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه، ثم قال من کان کتابه فی علیین نزل فی تلک الدار التی لم یرها أحد، حتی أن الرجل من أهل علیین لیخرج فیسیر فی ملکه فلا تبقی خیمة من خیم الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه، فیستبشرون لریحه فیقولون واهاً لهذا الریح هذا ریح رجل من أهل علیین قد خرج یسیر فی ملکه.

قال ویحک یا کعب إن هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها، فقال کعب إن لجهنم یوم القیامة لزفرة ما من ملک مقرب ولا نبی مرسل إلا خرَّ لرکبتیه، حتی أن إبراهیم خلیل الله لیقول: رب نفسی نفسی حتی لو کان لک عمل سبعین نبیاً إلی عملک لظننت أن لا تنجو... رواه کله الطبرانی من طرق ورجال أحدها رجال الصحیح غیر أبی خالد الدالانی وهو ثقة). انتهی.

ویدل هذا الحدیث الذی وثقه الطبرانی علی أن دار الخلافة بحضور الخلیفة عمر کانت عامرة بمثل هذه الأحادیث، وأن کعب الأحبار کان المرجع الذی یؤخذ برأیه! وتفصیل ذلک فی الفصل الخامس.

وقال البغوی فی مصابیحه:۳/۵۲۹:

وقال (ص): یکشف ربنا عن ساقه فیسجد له کل مؤمن ومؤمنة. انتهی. ورواه الدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/۳۶۹ ورواه السهمی فی تاریخ جرجان/۳۹۱

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۶/۲۵۴:

قوله تعالی (یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ) الآیة.. أخرج البخاری وابن المنذر وابن مردویه عن أبی سعید....

وأخرج ابن مندة فی الرد علی الجهمیة عن أبی هریرة قال قال رسول الله (ص): یوم یکشف عن ساق، قال یکشف الله عز وجل عن ساقه.

وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حمید وابن المنذر وابن مندة عن ابن مسعود فی قوله: یوم یکشف عن ساق، قال عن ساقیه تبارک وتعالی، قال ابن مندة: لعله فی قراءة ابن مسعود یکشف بفتح الیاء وکسر الشین.

وأخرج ابن مردویه عن کعب الحبر قال: والذی أنزل التوراة علی موسی والانجیل علی عیسی والزبور علی داود والفرقان علی محمد أنزلت هذه الآیات فی الصلوات المکتوبات حیث ینادی بهن یوم یکشف عن ساق إلی قوله وقد کانوا یدعون إلی السجود وهم سالمون الصلوات الخمس إذا نودی بها.

وأخرج إسحق بن راهویه فی مسنده وعبد بن حمید وابن أبی الدنیا والطبرانی والاجری فی الشریعة والدارقطنی فی الرؤیة والحاکم وصححه وابن مردویه والبیهقی فی البعث عن عبدالله بن مسعود، عن النبی(ص) قال... الخ. ونحوه فی الدر المنثور:۵/۳۴۱.

و حاول الصنعانی والنووی تخلیص الله تعالی من کشف ساقه

تفسیر الصنعانی: ۲/۲۴۷:

عن إبراهیم فی قوله تعالی: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ قال: عن أمر عظیم وقال: قد قامت الحرب علی ساق. وقال إبراهیم... قال ابن عباس: یکشف عن ساق فیسجد کل مؤمن ویقسو ظهر الکافر فیکون عظماً واحداً.

وقال النووی فی شرح مسلم:۲ جزء ۳/۲۷:

قوله (ص) فیکشف عن ساق... أی یکشف عن شدة وأمر مهول... وکشف عن ساقه للإهتمام به. قال القاضی: وقیل المراد بالساق هنا

نور عظیم.. وقیل قد یکون الساق علامة بینه وبین المؤمنین. انتهی.

وسوف نورد فی تفسیر آیـة: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، أن کشـفت الحرب عن ساقها، أو کشف الأمر عن ساقه، فی اللغة العربیة تعبیر عن حلول الأمر الشدید، وسنورد عدداً من الأحادیث التی فسرت الآیة بذلک.

و قالوا إنه یجلس علی الجسر و یضع رجله علی الاخری

روی ابن أبی شیبة فی المصنف:۶/۱۱۲:

عن الحکم قـال: سألت أبا مجلز عن الرجل یجلس ویضع إحـدی رجلیه علی الأخری فقال: لا بأس به إنما هو شـئ کرهته الیهود، قالوا إنه خلق السموات والأرض فی ستة أیام، ثم استوی یوم السبت فجلس تلک الجلسة.

روی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/۳۶۹:

عن ثوبان مولی النبی (ص): یقبل الجبار عز وجل یوم القیامة فیثنی رجله علی الجسر!

وروی الذهبی فی تاریخ الإسلام:۹/۵۲۰:

عثمان بن أبی عاتکة... روی عن أبی أمامة عن رسول الله (ص): إن الله یجلس یوم القیامة علی القنطرة الوسطی بین الجنة والنار.

الامام الصادق یقول إنها روایة یهودیة

تفسیر العیاشی:۱/۱۳۷:

... عن حماد عنه (الإمام جعفر الصادق علیه السـلام) قال: رأیته جالساً متورکاً برجله علی فخذه فقال له رجل عنده: جعلت فداک هذه جلسـة مکروهـة، فقال: لا، إن الیهود قالت: إن الرب لما فرغ من خلق السـموات والأرض جلس علی الکرسـی هـذه الجلسـة لیستریـح، فأنزل الله: الله لا إله إلا هو الحی القیوم لا تأخذه سنة ولا نوم.

و قالوا لا تمتلی النار حتی یضع رجله فیه

صحیح البخاری:۳ جزء ۶/۴۷:

... عن أنس (رض) عن النبی(ص)قال یلقی فی النار وتقول هل من مزید حتی یضع قدمه فتقول قط قط.

... عن أبی هریرة... یقـال لجهنم هـل امتلاـت وتقول هـل من مزیـد، فیضع الرب تبـارک وتعالی قـدمه علیها فتقول قط قط.. إلی آخر الروایة وفیها من مناظرة بین الجنة والنار.

... عن أبی هریرة (رض) قـال قـال النبی(ص)تحـاجت الجنـة والنـار فقـالت النار أوثرت بالمتکبرین والمتجبرین، وقالت الجنـة مالی لا یـدخلنی إلاـ ضـعفاء النـاس وسـقطهم، قال الله تبارک وتعالی للجنـة أنت رحمتی أرحم بک من أشاء من عبادی، وقال للنار إنما أنت عـذاب أعـذب بک من أشاء من عبادی، ولکل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلی حتی یضع رجله فتقول قط قط، فهنالک تمتلی ویزوی بعضها إلی بعض.

صحیح البخاری:۴ جزء ۷/۲۲۴:

عن أنس بن مالک: قال النبی (ص) لا تزال جهنم تقول هل من مزید حتی یضع رب العزة فیها قدمه فتقول قط قط.

صحیح البخاری:۴ جزء ۸/۱۶۶:

وقال أنس قال النبی(ص)تقول جهنم قط قط وعزتک.

صحیح البخاری:۴ جزء ۸/۱۶۷:

عن أنس عن النبی (ص) قال: لا یزال یلقی فیها وتقول هل من مزید حتی یضع فیها رب العزة قدمه فینزوی بعضها إلی بعض ثم تقول قد قد بعزتک.

صحیح البخاری:۴ جزء ۸/۱۸۶:

عن أبی هریرة عن النبی (ص) قال..وإنه ینشأ للنار من یشاء فیلقون فیها، فتقول هل من مزید ثلاثاً، حتی یضع قومه فتمتلیٔ ویرد بعضها إلی بعض وتقول قط قط قط.

صحیح مسلم:۸/۱۵۱:

فأما النار فلا تمتلی فیضع قدمه علیها فتقول قط قط فهنالک تمتلی ویزوی بعضها إلی بعض... فأما النار فلا تمتلی حتی یضع الله تبارک وتعالی رجله تقول قط قط قط، فهنالک تمتلی ویزوی بعضها إلی بعض، ولا یظلم الله من خلقه أحداً. وأما الجنة فإن الله ینشیء لها خلقاً.

صحیح مسلم:۸/۱۵۲:

... جهنم تقول هل من مزید حتی یضع فیها رب العزة تبارک وتعالی قدمه فتقول قط قط وعزتک، ویزوی بعضها إلی بعض...

... عن أنس بن مالک عن النبی(ص)أنه قال لا تزال جهنم یلقی فیها وتقول هل من مزید حتی یضع رب العزة فیها قدمه فینزوی بعضها إلی بعض وتقول قط قط بعزتک وکرمک. ولا یزال فی الجنة فضل حتی ینشیء الله لها خلقاً فیسکنهم فضل الجنة.

سنن الترمذی:۴/۹۵:

عن أبی هریرة أن رسول الله(ص)قال: یجمع الله الناس یوم القیامة فی صعید واحد ثم یطلع علیهم رب العالمین فیقول: ألا یتبع کل إنسان ما کانوا یعبدون فیمثل لصاحب الصلیب صلیبه ولصاحب التصاویر تصاویره ولصاحب النار ناره، فیتبعون ما کانوا یعبدون، ویبقی المسلمون فیطلع علیهم رب العالمین فیقول: ألا تتبعون الناس؟ فیقولون: نعوذ بالله منک نعوذ بالله منک، الله ربنا وهذا مکاننا حتی نری ربنا، وهو یأمرهم ویثبتهم! قالوا: وهل نراه یا رسول الله قال: وهل تضارون فی رؤیة القمر لیلة البدر قالوا: لا یا رسول الله قال: فإنکم لا تضارون فی رؤیته تلک الساعة ثم یتواری، ثم یطلع فیعرفهم نفسه ثم یقول: أنا ربکم فاتبعونی، فیقوم المسلمون ویوضع الصراط فیمر علیه مثل جیاد الخیل والرکاب وقولهم علیه سلم سلم، ویبقی أهل النار فیطرح منهم فیها فوج فیقال هل امتلات، فتقول هل من مزید، ثم یطرح فیها فوج فیقال هل امتلات، فتقول هل من مزید، حتی إذا أوعبوا فیها وضع الرحمن قدمه فیها وأزوی بعضها إلی بعض، ثم قال: قط. قالت: قط قط... هذا حدیث حسن صحیح.

الطبری فی تفسیره:۲۶/۱۰۵:

إن الله الملک قد سبقت منه کلمة لأملأن جهنم، لا یلقی فیها شیٔ إلا ذهب فیها لا یملؤها شیٔ حتی إذا لم یبق من أهلها أحد إلا دخلها، وهی لا یملؤها شیٔ، أتاها الرب فوضع قدمه علیها ثم قال لها: هل امتلات یا جهنم؟ فتقول قط قط قد امتلات، ملاتنی من الجن والإنس، فلیس فیَّ مزید! قال ابن عباس ولم یکن یملؤها شیٔ حتی وجدت مس قدم الله تعالی ذکره. فتضایقت فما فیها موضع إبرة!!. انتهی. وروی نحوه الدارمی فی سننه:۲/۳۴۱ والبیهقی فی سننه:ص ۴۲ وروی نحوه أحمد فی:۲/۲۷۶ بأربع قطات وفی/۳۱۴ وص ۳۶۹ بثلاث قطات.

وفی/۵۰۷ وفی:۳/۱۳۴ وص ۱۴۱ وص ۲۳۰ وص ۲۳۴ وص ۲۷۹ بقطین، ورواه الصنعانی فی المصنف:۱۱/۴۲۲ بثلاث قطات، والدیلمی فی فردوس الأخبار:۵ ص۲۳۷ بقطین، والبغوی فی معالم التنزیل:۴/۲۲۴ بقطین، وفی مصابیح السنة:۴/۱۴ و/۱۵ بدون قط، والبیهقی فی البعث والنشور/۱۳۶ بقطین، وأبو الشیخ فی طبقات المحدثین بإصبهان:۱/۲۳۸ بقطین، وابن القیم فی زاد المعاد:۱/۳۳۷، ورواه الهندی فی کنز العمال:۱/۲۳۴ وج ۱۴/۴۲۸ وص ۵۲۱ وص ۴۳۶ وص ۵۴۴ وج ۱۶/۲۰۸ بروایات کثیرة عن مصادر متعددة.

وادعوا أن رؤیته بالعین من أکبر اللذات

قال القسطلانی فی إرشاد الساری:۱۰/۴۱۰:

الأشعری فی کتابه الابانهٔ فقال أفضل لـذات الجنهٔ رؤیـهٔ الله تعالی ثم رؤیهٔ نبیه (ص) فلذلک لم یحرم الله أنبیاءه المرسلین وملائکته المقربین وجماعهٔ المؤمنین (...) النظر إلی وجهه الکریم ووافقه البیهقی وابن القیم والجلال البلقینی.

فتاوی الألبانی/۱۴۲:

... المعتزلهٔ وغیرهم ینکرون هذه النعمهٔ ویضللون من یؤمن بها وینسبونهم إلی التشبیه والتجسیم... ونحن أهل السنهٔ نؤمن بأن من نعم الله علی عباده أن یتجلی لهم یوم القیامهٔ ویرونه کما نری القمر لیلهٔ البدر. انتهی.

وستأتی بقیهٔ الروایات المشابهٔ لعقائد الیهود فی تفسیر الآیات المتشابهٔ.

لکن اختلفوا هل تراه النساء فی الجنهٔ

إرشاد الساری:۱۰/۴۰۹:

(قوله (ص) قـال جنتـان من فضـهٔ... وما بین القوم وبین أن ینظروا إلی ربهم رداء الکبر) والحاصل أن رؤیـهٔ الله تعالی واقعه یوم القیامهٔ فی الموقف لکل أحـد من الرجال والنساء وقال قوم من أهل السـنهٔ تقع أیضاً للمنافقین... وأما الرؤیـهٔ فی الجنهٔ فأجمع أهل السـنهٔ علی أنها حاصلهٔ للأنبیاء والرسل والصدیقین من کل أمهٔ ورجال المؤمنین من البشر، واختلف فی نساء هذه الأمهٔ.

السیوطی فی الدر المنثور:۶/۲۹۳:

وأخرج الـدار قطنی عن أنس قال قال رسول الله (ص): إذا کان یوم القیامهٔ رأی المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهداً بالنظر إلیه فی کل جمعهٔ، ویراه المؤمنات یوم الفطر ویوم النحر. انتهی. وکأن فی الجنهٔ صوم وحج!

زاد المعاد:۱/۳۱۱:

عن أنس ابن مالـک: قـال: رسـول الله (ص): إذا کـان یـوم القیامـهٔ رأی المؤمنون ربهم فأحـدثهم عهـداً بـالنظر إلیه... من بکر فی کل جمعهٔ، وتراه المؤمنات یوم الفطر ویوم النحر...

إرشاد الساری:۱۰/۴۱۰:

.. الأشعری فی کتابه الإبانهٔ فقال: أفضل لذات الجنهٔ رؤیهٔ الله تعالی ثم رؤیهٔ نبیه (ص) فلذلک لم یحرم الله أنبیاءه المرسلین وملائکته المقربین وجماعهٔ المؤمنین (...) النظر إلی وجهه الکریم، ووافقه البیهقی وابن القیم والجلال البلقینی.

بازار أحادیث النزولات

قالوا: إن الله تعالی جسم ینزل إلی الأرض کل لیلهٔ

روی البخاری فی صحیحه:۱ جزء ۲/۴۷:

... عن أبی هریرهٔ (رض) أن رسول الله(ص)قال: ینزل ربنا تبارک وتعالی کل لیلـهٔ إلی سـماء الدنیا حین یبقی ثلث اللیل الآخر، یقول: من یدعونی فأستجیب له، من یسألنی فأعطیه، من یستغفرنی فأغفر له. انتهی. ونحوه فی ج۴ جزء ۷/۱۴۹-۱۵۰ وج ۴ جزء ۸/۱۹۷ ورواه فی الادب المفرد/۲۰۷ ورواه مسلم فی صحیحه:۲/۱۷۵ وأبو داود فی سننه:۲ جزء ۳/۳۴ وج ۴/۲۳۴ وابن ماجهٔ فی سننه:۱/۴۳۵ ومالک فی کلیات الموطأ:۱/۱۴۲ وأحمد فی مسنده:۱/۱۲۰ و ۴۰۳ و ۴۴۶ والصنعانی فی تفسیره:۱/۲۵۹ وفی مصنفه:۲/۱۶۰ وج ۱۰ ص۴۴۴ ورواه فی عارضهٔ الأحوذی ج۱ جزء۱ ص۲ وص۲۳۲ والبغوی فی معالم التنزیل ج۳:۱/۴۳۱ ص۲۲ ومصابیح السنهٔ:۱/۴۳۱ وابن الاثیر فی أسـد الغابـهٔ ج۲ ص۲۳۱ وج ۶/۹۱ والـدیلمی فی فردوس الأخبـار:۱/۳۲۱ وج ۵/۳۵۸-۳۶۵ والابشـیهی فی المسـتطرف:۲/۲۵۰

والمنذرى فى الترغيب والترهيب:۲/۴۸۹ والشوكانى فى نيل الاوطار ج۳/۵۷ والنويرى فى نهاية الارب:۳ جزء ۵/۲۹۰ وابو الشيخ فى طبقات المحدثين:۲/۵۴۰ وجامع الأحاديث القدسية من الصحاح:۱/۷۲ و ۷۵ والثعالبى فى الجواهر الحسان:۱/۲۸۶ والنويرى فى نهاية الارب:۳ جزء ۵ ص ۲۹۰ والخطيب فى تاريخ بغداد ۱۷/۲۴۲ والمزى فى تهذيب الكمال:۹/۲۰۷ والهيثمى فى مجمع الزوائد:۸/۱۲۵ وج ۱۰/۲۳۶ وص ۶۲۱ وص ۷۶۰ وص ۹.. ورو ته مصادر كثيرة أخرى.

وروى الطبرى فى تفسيره:۱۳/۱۱۴:

عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله (ص) إن الله ينزل فى ثلاث ساعات يبقين من الليل.. وروى فى:۱۵/۹۴:

عن أبى الدرداء قال قال رسول الله (ص): إن الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات يبقين من الليل، فى الساعة الأولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن وهو داره التى لم ترها عين.. وهى مسكنه ولا ـ يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء.. ثم ينزل فى الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته..

وقال ابن خزيمة فى كتاب التوحيد/۱۲۵:

باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبى(ص)فى نزول الرب جل وعلا إلى سماء الدنيا كل ليلة. نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما فى هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا ـ لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما فى هذه الأخبار من ذاك النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبى(ص)لم يصف لنا كيفية النزول، وفى هذه الأخبار مابان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذى أخبرنا نبينا(ص)أنه ينزل إليه، إذ محال فى لغة العرب أن يقول ينزل من أسفل إلى أعلا ومفهوم فى الخطاب أن النزول من أعلا إلى أسفل...

وقال الذهبى فى سيره:۱۷/۶۵۶:

قال أبونصر السجزى فى كتاب الإبانة: وأئمتنا كسفيان ومالك والحمادين وابن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق، متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش، وعلمه بكل مكان، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء.

وقال الديلمى فى فردوس الأخبار:۵/۳۶۱:

ينزل ربنا عز وجل فى ظلل من الغمام والملائكة ويضع عرشه حيث يشاء من الأرض.!

نقل ابن بطوطة فى رحلته/۹۰ تمثيل ابن تيمية لنزول الله تعالى، فقال:

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابله تقى الدين بن تيميه كبير الشام يتكلم فى الفنون إلا أن فى عقله شيئاً.. وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا ونزل ربعة من ربع المنبر، فعارضه فقيه مالكى يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالايدى والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته!

و قالوا لو دلى رجل حبلا لهبط على الله

تفسير الصنعانى:۲/۱۳۹:

عن قتادة قال: بينما النبى (ص) جالس مع أصحابه إذ مر سحاب فقال النبى (ص) أتدرون ما هذه العنان؟ هذه روايا أهل الأرض، يسوقها الله إلى قوم لا يعبدونه. ثم قال: أتدرون ما هذه السماء؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فوق ذلك سماء أخرى... ثم قال: والذى

نفسی بیده لو دلی رجل بحبل حتی یبلغ أسفل الأرض السابعة لهبط علی الله، ثم قال: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بکل شئ علیم.

تفسیرابن کثیر:۴/۳۲۵:

عن أبی هریرة عن رسول الله (ص) بین کل سماء وسماء مسیرة خمسمائة عام وعد سبع سماوات، ثم العرش، وبین أرضکم والأرض الأخری سبعمائة عام فعد سبع أرضین، فإذا أدلیتم حبلًا هبط علی الله.

و قالوا إنه تعالی ینزل لیلة النصف من شعبان

روی ابن ماجه فی سننه:۱/۴۴۴:

عن عائشة قالت: فقدت النبی(ص)ذات لیلة فخرجت أطلبه فإذا هو بالبقیع رافع رأسه إلی السماء، فقال یا عائشة أکنت تخافین أن یحیف الله علیک ورسوله؟ قالت قد قلت: وما بی ذلک، ولکنی ظننت أنک أتیت بعض نسائک، فقال: إن الله تعالی ینزل لیلة النصف من شعبان إلی السماء الدنیا فیغفر لاکثر من عدد شعر غنم کلب. انتهی. وروی هذه الأحادیث أحمد فی مسنده:۱/۱۲۰ و ص۴۰۳ و۴۴۶ وفی:۶/۲۳۸ والبیهقی فی شعب الإیمان:۳/۳۸۰ وفی:۵ ص۲۷۲ والبخاری فی الادب المفرد/۲۰۷ وأبو داود فی سننه:۱ جزء ۱/۴۴۷ وابن أبی شیبة فی مصنفه:۷/۱۳۹ والدیلمی فی فردوس الأخبار:۱/۱۸۸ وص ۳۲۱ وج ۵/۳۵۹ والبغوی فی مصابیحه:۱/۴۳۱ وص ۴۴۹ ومعالم التنزیل:۴/۱۴۸ والمنذری فی الترغیب والترهیب:۳/۴۶۰ والعسقلانی فی تهذیب التهذیب:۳/۳۱۵ وعارضة الأحوذی شرح الترمذی:۲ جزء ۳/۲۷۵ وجامع الأحادیث القدسیة من الصحاح:۱/۷۷ وأبو الشیخ فی طبقات المحدثین بإصبهان:۱/۲۱۸ والهندی فی کنز العمال:۳/۴۶۶ وج ۱۲/۳۱۳ وابن حجر تهذیب التهذیب:۳/۲۷۲ وفی لسان المیزان:۴/۶۷ وص ۲۵۲ والمزی فی تهذیب الکمال:۹/۳۰۸.

وقال ابن باز فی فتاویه: ۱/۱۹۵:

وقد اغتر بهذا الحدیث (فی صلاة لیلة نصف شعبان) جماعة من الفقهاء کصاحب الاحیاء وغیره، وکذا من المفسرین وقد رویت صلاة هذه اللیلة أعنی لیلة النصف من شعبان علی أنحاء مختلفة کلها باطلة موضوعة، ولا ینافی هذا روایة الترمذی من حدیث عائشة لذهابه(ص)إلی البقیع ونزول الرب لیلة النصف إلی سماء الدنیا وأنه یغفر لأکثر من عدة شعر غنم کلب، فإن الکلام إنما هو فی هذه الصلاة الموضوعة فی هذه اللیلة، علی أن حدیث عائشة هذا فیه ضعف وانقطاع، کما أن حدیث علی الذی تقدم ذکره فی قیام لیلها لا ینافی کون هذه الصلاة موضوعة، علی ما فیه من الضعف حسبما ذکرناه.

و قالوا إنه تعالی ینزل یوم عرفة

مصابیح السنة للبغوی:۲/۲۵۴:

عن جابر (رض) أنه قال: قال رسول الله (ص): إذا کان یوم عرفة فإن الله ینزل إلی السماء الدنیا فیباهی بهم الملائکة..

ورواه المنذری فی الترغیب والترهیب:۲/۱۸۷ وص ۲۰۰ وص ۲۰۴

والدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/۱۶

الامام الرضا یلعن الذین حرفوا حدیث النزول

قال الصدوق فی کتابه التوحید/۱۷۶:

حدثنا علی بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (رض) قال: حدثنا محمد بن هارون الصوفی قال: حدثنا عبید الله بن موسی أبو تراب

الرویانی، عن عبدالعظیم بن عبدالله الحسنی، عن إبراهیم بن أبی محمود قال: قلت للرضا علیه السلام: یـا ابن رسول الله ما تقول فی الحـدیث الـذی یرویه الناس عن رسول الله (صـلی الله علیه وآله) أنه قال: إن الله تبارک وتعالی ینزل کل لیلـة إلی السـماء الدنیا؟ فقال علیه السـلام: لعن الله المحرفین الکلم عن مواضـعه، والله ما قال رسول الله (صـلی الله علیه وآله) کذلک، إنما قال صـلی الله علیه وآله: إن الله تبارک وتعالی یُنْزِلُ مَلَکاً إلی السـماء الـدنیا کل لیلـة فی الثلث الأخیر ولیلة الجمعة فی أول اللیل، فیأمره فینادی: هل من سائل فأعطیه، هل من تائب فأتوب علیه، هل من مسـتغفر فأغفر له، یا طالب الخیر أقبل، یا طالب الشـر أقصر، فلا یزال ینادی بهذا حتی یطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلی محله من ملکوت السماء. حدثنی بذلک أبی عن جدی عن رسول الله صلی الله علیه وآله.

و احادیث إخواننا تؤید ما قاله الإمام الرضا

قال السقاف فی شرح العقیدة الطحاویة/۳۴۳ ـ ۳۴۴:

وإنما المعنی الصـحیح للحدیث والتوجیه السدید أن النازل هو ملک من الملائکة یأمره الله تعالی بأن ینادی فی السـماء الدنیا فی وقت السحر فیما یوازی کل جزء من الکرة الأرضیة طوال الأربع والعشرین ساعة، ویصح فی اللغة العربیة أن ینسب الفعل إلی الأمر به فتقول العرب مثلاً: غزا الملک البلدة الفلانیة أی أمر وأرسل قائد جیشه بذلک، مع أنه لم یفارق قصره، ولله المثل الأعلی.

والـذی یثبت هذا المعنی وینفی ما تتوهمه المجسـمة وتدعو إلیه أنه ورد الحدیث أیضاً بروایتین صـحیحتین فی الدلالة علی ذلک. أما الروایة الأولی: فقد روی الإمام النسائی فی السنن الکبری ۶ ـ ۱۲۴ بإسناد صحیح وهو فی عمل الیوم واللیلة له المطبوع/۳۴۰ برقم ۴۸۲ عن سـیدنا أبی سـعید الخدری وسـیدنا أبی هریرة رضـی الله عنهما أنهما قالا: قال رسول الله (ص): إن الله عز وجل یمهل حتی یمضی شطر اللیل الأول ثم یأمر منادیاً ینادی یقول: هل من داع فیستجاب له، هل من مستغفر یغفر له، هل من سائل یعطی.

وأما الروایة الثانیة: فعن سـیدنا عثمان بن أبی العاص الثقفی قال رسول الله (ص): تفتح أبواب السـماء نصف اللیل فینادی مناد: هل من داع فیسـتجاب له، هل من سائل فیعطی، هل من مکروب فیفرج عنه، فلا یبقی مسـلم یدعو بدعوة إلا استجاب الله عز وجل له إلا زانیة تسـعی بفرجها، أو عشاراً. رواه أحمد ۴ ـ ۲۲ و ۲۱۷ والبزار ۴ ـ ۴۴ کشف الاستار والطبرانی ۹ ـ ۵۱ وغیرهم بأسانید صحیحة والعشار: صاحب المکس.

فهذه الأحادیث الواضـحة تقرر بلا شک ولا ریب بأن النازل إلی السماء الدنیا هو ملک من الملائکة یأمره الله تعالی أن ینادی بذلک، علی أن الحافظ ابن حجر حکی فی الفتح ۳ ـ ۳۰ فی شرح الحدیث الأول الذی فی الصحیحین أن بعض المشایخ ضبط الحدیث بضم الیاء فی (ینزل) فیکون اللفظ هکذا: ینزل الله تعالی کل لیلة إلی السماء الدنیا، أی: ینزل ملکاً کما تقدم.

و تؤیده أحادیث فیها اطلع الله بدل ینزل

سنن ابن ماجة:۱/۴۴۴:

... عن أبی موسی الأشعری عن رسول الله(ص)قال: إن الله لیطلع فی لیلة النصف من شعبان، فیغفر لجمیع خلقه إلا لمشرک أو مشاحن.

مسند أحمد:۲/۱۷۶:

عن عبـدالله بن عروة أن رسول الله(ص)قال: یطلع الله عز وجل إلی خلقه لیلة النصف من شـعبان، فیغفر لعباده إلا لإثنین: مشاحن وقاتل نفس.

کنز العمال:۳/۴۶۴:

إن الله تعالی یطلع علی عباده فی لیلة النصف من شـعبان فیغفر للمستغفرین ویرحم المسترحمین، ویؤخر أهل الحقد کما هم علیه. هب

عن عائشة. إذا كان ليلة النصف من شعبان إطلع الله إلى خلقه فيغفر للمؤمنين ويملى للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه. هب عن أبى ثعلبة الخشنى)... تعرض أعمال الناس فى كل جمعة مرتين يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر لله لكل عبد مؤمن، إلا عبد بينه وبين أخيه شحناء فيقال أتركوا هذين حتى يفيئا. حم عن أبى هريرة.

كنز العمال:۳/۴۶۷:

يطلع الله تعالى إلى خلقه فى ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن. حب، طب، وابن شاهين فى الترغيب، هب، وابن عساكر عن معاذ... يطلع الله تعالى على خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين: مشاحناً أو قاتل نفس. حم ت عن ابن عمرو.

كنز العمال:۱۲/۳۱۳:

إن الله ليطلع فى ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه، إلا لمشرك أو مشاحن. هعن أبى موسى.

و احاديث خالية من ينزل و يصعد

كنز العمال:۱۲/۳۱۴:

إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد: هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطيه، فلا يسأل أحد شيئاً إلا أعطاه، إلا زانية بفرجها أو مشرك. هب عن عثمان بن أبى العاص... إذا كان ليلة النصف من شعبان يغفر الله من الذنوب أكثر من عدد شعر غنم كلب. هب عن عائشة... إن الله تعالى يغفر ليلة النصف من شعبان للمسلمين ويملى للكافرين ويدع أهل الحقد بحقدهم. ابن قانع عن أبى ثعلبة الخشنى.

وادعوا أن رؤية الله تعالى فى المنام تدل على الإيمان

شرح مسلم للنووى:۸ جزء ۱۵/۲۵:

قال القاضى: واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى فى المنام وصحتها وإن رآه الإنسان على صفة لا تليق بحاله من صفات الأجسام، لأن ذلك المرئى غير ذات الله تعالى، إذ لا يجوز عليه سبحانه وتعالى التجسم، ولا اختلاف الأحوال، بخلاف رؤية النبى (ص). قال ابن الباقلانى: رؤية الله تعالى فى المنام خواطر فى القلب، وهى دلالات للرائى على أمور مما كان أو يكون كسائر المرئيات.

تهذيب التهذيب لابن حجر:۱۱/۳۸۰:

يوسف الحمانى عن أبيه عن يوسف بن ميمون عن ابن سيرين قال: من رأى ربه فى المنام دخل الجنة!!

تهذيب التهذيب لابن حجر:۳/۳۹۷:

عن عبد الله بن أحمد: سمعت سريح بن يونس يقول: رأيت رب العزة فى المنام فقال لى: يا سريح سل حاجتك، فقلت: رحمان سر بسر. انتهى. يعنى رأساً برأس! قال البخارى: مات فى ربيع الآخر منه (۲۳۵).

صفة الصفوة لابن الجوزى جزء ۱ و ۲/۶۱۸:

عن إسحاق بن إبراهيم الجيلى قال: سمعت سريج بن يونس يقول: رأيت فيما يرى النائم كأن الناس وقوف بين يدى الله وأنا فى أول صفه فى آخره ونحن ننظر إلى رب العزة تعالى.. إذ قال: أى شئ تريدون؟ فسكت الناس..وجزت الصف الأول... فقال: أى شئ تريد؟ فقلت رحمان سر بسر... قال تعالى قد خلقتكم ولا أعذبكم! ثم غاب فى السماء فذهب.

تاريخ الإسلام للذهبى:۱۷/۱۶۹:

سريج بن يونس بن إبراهيم... وقال عبدالله بن أحمد: سمعت سريج بن يونس يقول رأيت رب العزة من المنام فقال سل حاجتك... له

حكايات شبه الكرامات رحمه الله. وكان إماماً فى السنة.

حياة الحيوان للدميرى:۱/۵۱:

وروى الإمام أحمد بن حنبل (رض): أنه رأى رب العزة فى المنام تسعاً وتسعين مرة فقال: إن رأيته تمام المائة لاسألنه، فرآه تمام المائة فسأله وقال: يا رب بماذا ينجو العباد يوم القيامة؟

وقال فى سيره:۱۹/۱۱۴:

أبوالمظفر السمعانى الإمام العلامة مفتى خراسان شيخ الشافعية أبو المظفر منصور ابن محمد بن عبدالجبار بن أحمد التميمى السمعانى المروزى الحنفى ثم الشافعى... ولد سنة ست وعشرين وأربع مئة... وسمعت شهردار بن شيرويه سمعت منصور بن أحمد وسأله أبى فقال: سمعت أبا المظفر السمعانى يقول: كنت حنفياً فبدا لى وحججت، فلما بلغت سميراء رأيت رب العزة فى المنام فقال لى: عد إلينا يا أبا المظفر فانتبهت وعلمت أنه يريد مذهب الشافعى فرجعت إليه!. انتهى. ورواه فى تاريخ الإسلام: ۳۳/۳۲۱ لكن فيه (عد يا أبا المظفر إلى الشافعية).

شعب الإيمان للبيهقى:۳/۱۶۴:

عن رقبة قال: رأيت رب العزة فى المنام فقال: وعزتى لأكرمن مثوى سليمان التيمى.

تاريخ الإسلام للذهبى:۹/۱۵۸:

عن ابن مصقلة: رأيت رب العزة فى المنام فقال: وعزتى وجلالى لأكرمن مثوى سليمان التيمى.

تاريخ الإسلام للذهبى:۲۰/۴۱۲:

الفتح بن شخرف أبو نصر الكشئ الزاهد نزيل بغداد ومن كبار مشايخ الصوفية قال ابن البربهارى: سمعت الفتح يقول: رأيت رب العزة فى المنام فقال لى: يا فتح احذر لا آخذك على غرة، توفى سنة ۲۷۳ هـ وكذا فى صفوة الصفوة لابن الجوزى: ص ۶۴۳

تاريخ الإسلام للذهبى:۲۱/۱۹۲:

صالح بن يونس... ورد عنه أنه رأى الحق فى المنام، وحج على قدميه سبعين حجة... والدعاء عند قبره مستجاب.

تاريخ الإسلام للذهبى: ۲۵/۳۵۰:

عبد الله بن إبراهيم بن واضح.. يقال أنه رأى الحق فى النوم مرتين.

تاريخ الإسلام للذهبى: ۲۶/۳۱۶:

يعلى بن موسى البربرى الصوفى.. رأى رب العزة فى المنام...

تاريخ الإسلام للذهبى:۲۶/۶۵۰:

محمد بن عبدالله بن أحمد بن ربيعة... أبو سليمان بن القاضى بن محمد الربعى... روى عنه أبو نصر بن الجبان أنه رأى رب العزة فى المنام...

تاريخ الإسلام للذهبى:۲۷/۱۳۴:

عن جعفر الابهرى قال سمعت أبا على القومسانى يقول: رأيت رب العزة فى المنام... فناولنى كوزين شبه القوارير، فشربت منهما وأنا أتلو هذه الآية: (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا). ورأيت رب العزة فى أيام القحط فقال: يا أبا على لا تشغل خاطرك فإنك من عيالى وعيالك عيالى وأضيافك عيالى.

تاريخ الإسلام للذهبى:۲۹/۱۸۵:

أحمد بن محمد بن إبراهيم.. الثعلبى صاحب التفسير... وقد جاء عن أبى القاسم القشيرى قال: رأيت رب العزة فى المنام وهو يخاطبنى وأخاطبه فكان فى أثناء ذلك أن قال الرب جل اسمه: أقبل الرجل الصالح، فالتفت فإذا أحمد الثعلبى مقبل. انتهى. ورواه فى هامش

معجم الادباء للحموی:۳ جزء ۵/۳۶، وفیه (الثعالبی).

تاریخ الإسلام للذهبی:۲۹/۳۸۱:

عبد الله بن عبدان بن محمد بن عبدان... شیخ همدان... قال شیرویه رأیت بخط بن عبدان: رأیت رب العزة فی المنام فقلت له: أنت خلقت الأرض وخلقت الخلق ثم أهلكتهم، ثم خلقت خلقاً بعدهم؟ وكأنی أری أنه ارتضی كلامی ومدحی له، فقال لی كلاماً یدل علی أنه یخاف علیَّ الافتخار..وقبره یزار ویتبرك به..

المستطرف للابشیهی:۱/۱۴۷:

وحكی أن بعضهم كان ملاحاً ببحر النیل... فبینما أنا ذات یوم فی الزورق إذا بشیخ مشرق الوجه علیه مهابة فقال..إنی أرید أن أحملك أمانة قلت ما هی قال: إذا كان غداً وقت الظهر تجدنی عند تلك الشجرة میتاً وستنسی، فإذا ألهمت فأتنی وغسلنی وكفنی فی الكفن الذی تجده تحت رأسی... ثم نمت فرأیت رب العزة جل جلاله فی النوم فقال: یا عبدی أثقل علیك أن مننت علی عبد عاص بالرجوع.

معجم الادباء للحموی:۳ جزء ۵/۷۰:

أبا الحسن بن سالم البصری یقول... قال: سمعت أبا بكر محمد بن مجاهد المقرئ یقول: رأیت رب العزة فی المنام فختمت علیه ختمتین فلحنت فی موضعین فاغتممت، فقال: یابن مجاهد الكمال لی الكمال لی!

مختصر تاریخ دمشق:۳ جزء ۵/۲۰۴:

قال أبو عبدالرحمن... رفیق بشر بن الحارث: رأی صاحب لنا رب العزة فی النوم قبل موت بشر بقلیل فقال: قل لبشر بن الحارث: لو سجدت لی علی الجمر ما كنت تكافئنی بما نوهت اسمك فی الناس...

مختصر تاریخ دمشق:۳ جزء ۶/۳۴۸:

قال إسحاق الحربی: بلغنی أن أبا حسان الزیادی رأی رب العزة تبارك وتعالی فی النوم...

صفوة الصفوة لابن الجوزی جزء ۳ و ۴/۲۱۴:

عن رقبة قال سلیمان بن طرخان: رأیت رب العزة تبارك وتعالی فی النوم.

صفوة الصفوة لابن الجوزی جزء ۳ و ۴/۳۵۵:

قال علی بن المثنی سمعت عمی یقول: سمعت أبی یقول سمعت أبا یزید البسطامی یقول: رأیت رب العزة تبارك وتعالی فی المنام..

الاعتصام للشاطبی:۱/۲۶۰:

عن أبی یزید السبطایی قال: رأیت ربی فی المنام فقلت: كیف الطریق إلیك؟ قال أترك نفسك وتعال. وشأن هذا الكلام من الشرع موجود...

صفوة الصفوة لابن الجوزی جزء ۳ و ۴/۳۵۶:

عن جعفر بن علی الترمذی: أن أحمد بن خضرویه قال: رأیت رب العزة فی منامی فقال لی: یا أحمد كل الناس یطلبون منی إلا أبا یزید البسطامی فإنه یطلبنی.

صفوة الصفوة لابن الجوزی جزء ۳ و ۴/۳۸۸:

قال إبراهیم بن عبدالله: فرأیت الله تعالی فی النوم فوقفنی بین یدیه.

صفوة الصفوة لابن الجوزی جزء ۳ و ۴/۴۶۸:

یوسف بن موسی القطان یحدث أن أبا عمرو الأوزاعی قال: رأیت رب العزة فی المنام.

المواعظ للمقریزی:۲/۲۵۵:

عن رجل من صلحاء المصريين يقال له أبو هادون الخرقى قال: رأيت الله عز وجل فى منامى فقلت: يا ربى أنت ترانى وتسمع كلامى قال: نعم... انتهى.

ومما يلاحظ أن أكثر الذين رأوا ربهم فى المنام، من الفرس المشبهة والمجسمة!

اما درجة ابن عربى و أمثاله فهى أكبر من الرؤية فى المنام

مذاهب التفسير الإسلامى لجولد تسيهر/۲۳۹:

وقد عرض ابن عربى تعاليمه.. بأنه استمد علمه لا من فم الرسول الذى ظهر له، ولا من الملائكة فحسب، بل من كلام الله المباشر الذى حظى به تكراراً. فهو يتحدث كثيراً عن لقائه مع الله سبحانه.. إنى رأيت الحق فى النوم مرتين وهو يقول لى: إنصح عبادى!! انتهى.وقد ادعى ابن عربى لنفسه مقامات الأنبياء وأوصيائهم، ودون ذلك فى كتبه!!

كرامات الأولياء للنبهانى:۱/۵۸۸:

اسماعيل الأنبابى: كان يطلع على اللوح المحفوظ فيقول: يقع كذا، فلا يخطى!

مقالات الإسلاميين للأشعرى:۱/۲۸۹:

وفيهم (يعنى النساك) من يزعم أن العبادة تبلغ بهم أن يروا الله سبحانه، ويأكلوا من ثمار الجنة، ويعانقوا الحور العين فى الدنيا، مُنَاوَلَةً.

ونختم بما جاء فى هامش تاريخ الإسلام للذهبى: ۳۸/۱۳۵:

قال أبو محمد العكبرى رأيت رسول الله (ص) فى المنام فقلت يا رسول الله إمسح بيدك عينى فإنها تؤلمنى فقال: إذهب إلى نصر بن العطار يمسح عينك... هذا نصر قد صافحته يد الحق. انتهى.

لكن الإمام الصادق تشاءم من صاحب هذه الرؤية

بحار الأنوار:۴/۳۲:

عن إبراهيم الكرخى قال: قلت للصادق جعفر بن محمد (عليهم السلام): إن رجلاً رأى ربه عز وجل فى منامه فما يكون ذلك؟ فقال: ذلك رجل لا دين له، إن الله تبارك وتعالى لا يرى فى اليقظة ولا فى المنام، ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

بيان: لعل المراد أنه كذب فى تلك الرؤيا، أو أنه لما كان مجسماً تخيل له ذلك، أو أن هذه الرؤيا من الشيطان، وذكرها يدل على كونه معتقداً للتجسيم.

وقال النيشابورى فى روضة الواعظين/۳۳:

وقيل له عليه السلام: إن رجلاً رأى ربه فى منامه فما يكون ذلك فقال: ذلك رجل لا دين له، إن الله تعالى لا يرى فى اليقظة ولا فى المنام، ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

خلاصة اعتقادنا فى التنزيه و نفى التشبيه

العقل والآيات والأحاديث تنفى إمكان رؤية الله تعالى بالعين

نعتقد نحن الشيعة بأن الله تعالى لا يمكن أن يرى بالعين لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، لأنه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ، وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا.. إلى آخر الآيات الصريحة بأنه تعالى لا يمكن أن يرى بالعين، بل يرى بالعقل والقلب وهى أعمق وأصح من رؤية العين.

وقد استدل أئمتنا عليهم السلام وعلماؤنا رضى الله عنهم، على نفى التجسيم والرؤية بالكتاب والسنة والعقل.. واعتبروا أن ذلك من أصول مذهبنا، بل هو كالبديهيات حتى عند عوامنا.

وستعرف أن القول برؤية الله تعالى جاءت من تأثر المسلمين باليهود والنصارى والمجوس، وأن أهل البيت عليهم السلام وجمهور الصحابة وقفوا فى وجه ذلك، وكذبوا نسبة الرؤية بالعين إلى الإسلام، وكل ما تستلزمه من التشبيه والتجسيم، ولكن موجة التشبيه والتجسيم غلبت.. لأن دولة الخلافة تبنتها!

والدليل البسيط على نفى إمكان رؤية الله تعالى بالعين أن ما تراه العين لابد أن يكون موجوداً داخل المكان والزمان، والله تعالى وجود متعال على الزمان والمكان، لأنه خلقهما وبدأ شريطهما من الصفر والعدم، فكيف نفترضه محدوداً بهما خاضعاً لقوانينهما!

لقد تعودت أذهاننا أن تعمل داخل الزمان والمكان، حتى ليصعب عليها أن تتصور موجوداً خارج قوانين الزمان والمكان، وحتى أننا نتصور خارج الفضاء والكون بأنه فضاء! وهذه هى طبيعة الإنسان قبل أن يكبر ويطلع، وقد ورد أن النملة تتصور أن لربها قرنين كقرنيها!

لكن مع ذلك فإن عقل الإنسان يدرك أن الوجود لا يجب أن يكون محصوراً بالمكان والزمان، وأن بإمكان الإنسان أن يرتقى فى إدراكه الذهنى فيدرك ما هو أعلى من الزمان والمكان ويؤمن به، وإن عرف أنه غير قابل للرؤية بالعين.

وهذا الإرتقاء الذهنى هو المطلوب منا نحن المسلمين بالنسبة إلى وجود الله تعالى، لا أن نجره إلى محيط وجودنا ومألوف أذهاننا، كما فعل اليهود عندما شبهوه بخلقه وادعوا تجسده فى عزير عليه السلام وغيره، وكما فعل النصارى فشبهوه بخلقه وادعوا تجسده بالمسيح عليه السلام وغيره!!

الرسول يعلم الأمة التوحيد

قال الصدوق فى كتابه التوحيد/۱۰۷:

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا على بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، عن النوفلى، عن السكونى، عن أبى عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال: مرالنبى صلى الله عليه وآله على رجل وهو رافع بصره إلى السماء يدعو، فقال له رسول: غض بصرك، فإنك لن تراه.

وقال: ومر النبى صلى الله عليه وآله على رجل رافع يديه إلى السماء وهو يدعو، فقال رسول الله: أقصر من يديك، فإنك لن تناله.

الكافى:۱/۹۴:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن على، عن اليعقوبى، عن بعض أصحابنا، عن عبدالأعلى مولى آل سام، عن أبى عبدالله عليه السلام: قال إن يهودياً يقال له سبحت، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله جئت أسألك عن ربك، فإن أنت أجبتنى عما أسألك عنه، وإلا رجعت؟

قال: سل عما شئت.

قال: أين ربك؟

قال: هو فى كل مكان، وليس فى شئ من المكان المحدود.

قال: وكيف هو؟

قال: وكيف أصف ربى بالكيف والكيف مخلوق، والله لا يوصف بخلقه.

قال: فمن أين يعلم أنك نبى الله؟

قال: فما بقى حوله حجر ولا غير ذلك إلا تكلم بلسان عربى مبين: يا سبحت إنه رسول الله!

فقال سبحت: ما رأیت کالیوم أمراً أبین من هذا!

ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنک رسول الله.

و یعلمنا أن أقصی ما یمکن أن یراه الإنسان نور عظمهٔ الله

بحار الأنوار:۴/۳۸:

ید: أبی، عن محمد العطار، عن ابن عیسی، عن البزنطی، عن الرضا علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: لما أسری بی إلی السماء بلغ بی جبرئیل علیه السلام مکاناً لم یطأه جبرئیل قط، فکُشِفَ لی فأرانی الله عز وجل من نور عظمته ما أحب.

علی یثبت مشاهدهٔ القلوب و ینفی مشاهدهٔ العیان

نهج البلاغهٔ:۲/۹۹:

۱۷۹ ومن کلام له علیه السلام وقد سأله ذعلب الیمانی فقال: هل رأیت ربک یا أمیر المؤمنین؟

فقال علیه السلام: أفأعبد ما لا أری!

فقال: وکیف تراه!

فقال: لا تراه العیون بمشاهدهٔ العیان، ولکن تدرکه القلوب بحقائق الإیمان، قریب من الأشیاء غیر ملامس، بعید منها غیر مباین، متکلم لاـ برویهٔ، مرید لاـ بهمهٔ، صانع لاـ بجارحهٔ، لطیف لا یوصف بالخفاء، کبیر لا یوصف بالجفاء، بصیر لا یوصف بالحاسهٔ، رحیم لا یوصف بالرقهٔ، تعنو الوجوه لعظمته، وتجب القلوب من مخافته.

ورواه فی بحار الأنوار:۴/۲۷ عن:

ید، لی: القطان والدقاق والسنانی، عن ابن زکریا القطان، عن محمد بن العباس، عن محمد بن أبی السری، عن أحمد بن عبدالله بن یونس، عن ابن طریف، عن الأصبغ فی حدیث قال: قام إلیه رجل یقال له ذعلب فقال: یا أمیر المؤمنین هل رأیت ربک؟ فقال: ویلک یا ذعلب لم أکن بالذی أعبد رباً لم أره. قال: فکیف رأیته صفه لنا. قال: ویلک لم تره العیون بمشاهدهٔ الأبصار، ولکن رأته القلوب بحقائق الإیمان. ویلک یا ذعلب إن ربی لا یوصف بالبعد ولا بالحرکهٔ ولا بالسکون، ولا بالقیام قیام انتصاب ولا بجیئهٔ ولا بذهاب، لطیف اللطافهٔ لاـ یوصف باللطف، عظیم العظمهٔ لا یوصف بالعِظَم، کبیر الکبریاء لا یوصف بالکبر، جلیل الجلالهٔ لا یوصف بالغلظ، رؤوف الرحمهٔ لا یوصف بالرقهٔ، مؤمن لا بعبادهٔ، مدرک لا بمجسهٔ، قائل لا بلفظ، هو فی الأشیاء علی غیر ممازجهٔ، خارج منها علی غیر مباینهٔ، فوق کل شئ ولا یقال شئ فوقه، أمام کل شئ ولا یقال له أمام، داخل فی الأشیاء لا کشئ فی شئ داخل، وخارج منها لا کشئ من شئ خارج.. فخر ذعلب مغشیاً علیه... الخبر.

لم یحلل فی الأشیاء... ولم ینأ عنه

نهج البلاغهٔ:۱/۱۱۲:

۶۵ ومن خطبهٔ له علیه السلام: الحمد لله الذی لم یسبق له حال حالاًـ فیکون أولاً قبل أن یکون آخراً. ویکون ظاهراً قبل أن یکون باطناً. کل مسمی بالوحدهٔ غیره قلیل، وکل عزیز غیره ذلیل، وکل قوی غیره ضعیف، وکل مالک غیره مملوک، وکل عالم غیره متعلم، وکل قادر غیره یقدر ویعجز، وکل سمیع غیره یصمُّ عن لطیف الأصوات ویصمه کبیرها ویذهب عنه ما بعد منها، وکل بصیر غیره یعمی عن خفی الألوان ولطیف الأجسام، وکل ظاهر غیره باطن، وکل باطن غیره ظاهر.

لم یخلق ما خلقه لتشدید سلطان، ولا تخوف من عواقب زمان، ولا إستعانهٔ علی ند مثاور، ولا شریک مکاثر، ولا ضد منافر، ولکن

خلائق مربوبون، وعباد داخرون.

لم یحلل فی الأشیاء فیقال هو فیها کائن، ولم ینأ عنها فیقال هو منها بائن.

لم یؤده خلق ما ابتدأ، ولا تدبیر ما ذرأ، ولا وقف به عجز عما خلق، ولا ولجت علیه شبهةٔ فیما قدر، بل قضاء متقن وعلم محکم، وأمر مبرم. المأمول مع النقم، والمرهوب مع النعم....

لا تقدر عظمهٔ الله سبحانه علی قدر عقلک

نهج البلاغهٔ: ۱/۱۶۰:

۹۱ ومن خطبهٔ له علیه السلام تعرف بخطبهٔ الاشباح وهی من جلائل خطبه علیه السلام وکان سأله سائل أن یصف الله حتی کأنه یراه عیاناً، فغضب علیه السلام لذلک:

الحمد لله الذی لا یَفِرْهُ المنع والجمود، ولا یکدیه الإعطاء والجود، إذ کل معط منتقص سواه، وکل مانع مذموم ما خلاه، وهو المنان بفوائد النعم، وعوائد المزید والقسم. عیاله الخلق، ضمن أرزاقهم وقدر أقواتهم، ونهج سبیل الراغبین إلیه، والطالبین ما لدیه، ولیس بما سئل بأجود منه بما لم یسأل.

الأول الذی لم یکن له قبل فیکون شئ قبله، والاخر الذی لیس له بعد فیکون شئ بعده، والرادع أناسیَّ الابصار عن أن تناله أو تدرکه. ما اختلف علیه دهر فیختلف منه الحال، ولا کان فی مکان فیجوز علیه الإنتقال، ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحکت عنه أصداف البحار، من فلز اللجین والعقیان، ونثارهٔ الدر وحصید المرجان، ما أثر ذلک فی جوده، ولا أنفد سعهٔ ما عنده، ولکان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الانام، لأنه الجواد الذی لا یغیضه سؤال السائلین، ولا یبخله إلحاح الملحین.

فانظر أیها السائل فما دلک القرآن علیه من صفته فائتم به، واستضی بنور هدایته، وما کلفک الشیطان علمه مما لیس فی الکتاب علیک فرضه، ولا فی سنهٔ النبی صلی الله علیه وآله وأئمهٔ الهدی أثره، فکل علمه إلی الله سبحانه، فإن ذلک منتهی حق الله علیک.

واعلم أن الراسخین فی العلم هم الذین أغناهم عن اقتحام السدد المضروبهٔ دون الغیوب، الإقرار بجملهٔ ما جهلوا تفسیره من الغیب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم یحیطوا به علماً، وسمی ترکهم التعمق فیما لم یکلفهم البحث عن کنهه رسوخاً. فاقتصر علی ذلک، ولا تقدر عظمهٔ الله سبحانه علی قدر عقلک فتکون من الهالکین.

هو القادر الذی إذا ارتمت الاوهام لتدرک منقطع قدرته، وحاول الفکر المبرأ من خطرات الوساوس أن یقع علیه فی عمیقات غیوب ملکوته، وتولهت القلوب إلیه لتجری فی کیفیهٔ صفاته، وغمضت مداخل العقول فی حیث لا ـ تبلغه الصفات لتناول علم ذاته، دعاها وهی تجوب مهاوی سدف الغیوب متخلصهٔ إلیه سبحانه، فرجعت إذ جبهت معترفهٔ بأنه لا ینال بجور الاعتساف کنه معرفته، ولا تخطر ببال أولی الرویات خاطرهٔ من تقدیر جلال عزته.

الذی ابتدع الخلق علی غیر مثال امتثله، ولا مقدار احتذی علیه، من خالق معهود کان قبله. وأرانا من ملکوت قدرته، وعجائب ما نطقت به آثار حکمته، واعتراف لحاجهٔ من الخلق إلی أن یقیمها بمساک قدرته، ما دلنا باضطرار قیام الحجهٔ له علی معرفته، وظهرت فی البدائع التی أحدثها آثار صنعته، وأعلام حکمته، فصار کل ما خلق حجهٔ له ودلیلاً علیه، وإن کان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبیر ناطقهٔ، ودلالته علی المبدع قائمهٔ.

فأشهد أن من شبهک بتباین أعضاء خلقک، وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبهٔ لتدبیر حکمتک، لم یعقد غیب ضمیره علی معرفتک، ولم یباشر قلبه الیقین بأنه لا ندلک، وکأنه لم یسمع تبرأ التابعین من المتبوعین إذ یقولون: تالله إن کنا لفی ضلال مبین، إذ نسویکم برب العالمین.

کذب العادلون بک إذ شبهوک بأصنامهم، ونحلوک حلیهٔ المخلوقین بأوهامهم، وجزأوک تجزئهٔ المجسمات بخواطرهم، وقدروک

على الخلقـة المختلفـة القوى بقرائح عقولهم. وأشـهد أن من ساواك بشـئ من خلقك فقد عدل بك، والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك، ونطقت عنه شواهـد حجـج بيناتك. وأنك أنت الله الذى لم تتناه فى العقول فتكون فى مهب فكرها مكيفاً، ولا فى رويات خواطرها فتكون محدوداً مصرفاً.

وروى هذه الخطبة الصدوق فى التوحيد/۴۸ فقال:

۱۳ حـدثنا على بن أحمـد بن محمـد بن عمران الـدقاق رحمه الله قـال: حـدثنا محمـد بن أبى عبـدالله الكـوفى قـال: حـدثنا محمـد بن إسـماعيل البرمكى، قال: حدثنى على بن العباس، قال: حدثنى إسماعيل بن مهران الكوفى، عن إسماعيل بن إسحاق الجهنى، عن فرج بن فروة، عن مسعدة بن صدقة، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: بينما أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قـام إليه رجـل فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربك تبارك وتعالى لنزداد له حباً وبه معرفـة، فغضب أمير المؤمنين عليه السـلام ونادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، ثم قام متغير اللون فقال... كما فى نهج البلاغة بتفاوت فى بعض الكلمات.

لا تدركه الشواهد و لا تحويه المشاهد

نهج البلاغة:۲/۱۱۵:

۱۸۵ ومن خطبـة له عليه السـلام: الحمـد الله الـذى لا تـدركه الشواهـد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه، وبحدوث خلقه على وجوده، وباشتباههم على أن لا شبه له.

الذى صدق فى ميعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وقام بالقسط فى خلقه، وعدل عليهم فى حكمه. مستشـهد بحدوث الأشياء على أزليته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه.

واحـد لا بعـدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد. تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة، وتشـهد له المرائى لا بمحاضـرة. لم تحط به الاوهام بل تجلى لها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها.

ليس بذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً، ولا بذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً. بل كبر شأناً، وعظم سلطاناً.

وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله الصـفى، وأمينه الرضـى صـلى الله عليه وآله. أرسـله بوجوب الحجج، وظهور الفلج، وإيضاح المنهج، فبلغ الرسالة صادعاً بها، وحمل على المحجة دالاً عليها، وأقام أعلام الإهتداء ومنار الضـياء، وجعل أمراس الإسلام متينة، وعرى الإيمان وثيقة.

نهج البلاغة:۲/۱۱۶:

۱۸۶ ومن خطبة له عليه السلام فى التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة:

ما وحده من كيفه، ولا حقيقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شـبهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه. فاعل لا باضطراب آلة، مقدر لا بجول فكرة، غنى لا بإستفادة، لا تصحبه الاوقات، ولا ترفده الادوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والإبتداء أزله.

بتشـعيره المشاعر عرف أن لا مشـعر له، وبمضادته بين الأمور عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له. ضاد النور بالظلمة، والوضوح بالبهمة، والجمود بالبلل، والحرور بالصـرد، مؤلف بين متعادياتها، مقارن بين متبايناتها، مقرب بين متباعداتها، مفرق بين متدانياتها.

لا يشـمل بحد، ولا يحسب بعد، وإنما تحد الادوات أنفسـها، وتشـير الآلة إلى نظائرها، منعتها منذ القدمية، وحمتها قد الأزلية، وجنبتها لولا التكملة. بها تجلى صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون.

لا يجرى عليه السكون والحركة، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه، إذن لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذ وجد له أمام، ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان. وإذا لقامت آية المصنوع فيه،

ولتحول دلیلًا بعد أن کان مدلولاً علیه، وخرج بسلطان الامتناع من أن یؤثر فیه ما یؤثر فی غیره.
الـذی لا ـ یحول ولا ـ یزول، ولا یجوز علیه الافول، ولم یلـد فیکون مولوداً، ولـم یولـد فیصـیر محـدوداً. جل عن اتخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسهٔ النساء. لا تناله الاوهام فتقدره، ولا تتوهمه الفطن فتصوره، ولا تدرکه الحواس فتحسه، ولا تلمسه الایدی فتمسه.
لا ـ یتغیر بحـال، ولا ـ یتبـدل بالا ـحوال، ولا ـ تبلیه اللیالی والأیام، ولا یغیره الضـیاء والظلام. ولا یوصف بشـئ من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض، ولا بالغیریهٔ والأبعاض، ولا یقال له حد ولا نهایهٔ، ولا انقطاع ولا غایهٔ، ولا أن الأشیاء تحویه، فتقله أو تهویه، أو أن شیئاً یحمله فیمیله أو یعدله.
لیس فی الأشـیاء بوالـج، ولا ـ عنهـا بخـارج، یخبر لا ـ بلسـان ولهوات، ویسـمع لا بخروق وأدوات. یقول ولا یلفظ، ویحفظ ولا یتحفظ، ویرید ولا یضمر.
یحب ویرضـی من غیر رقهٔ، ویبغض ویغضب من غیر مشـقهٔ. یقول لمن أراد کونه کن فیکون. لا بصوت یقرع، ولا بنداء یسـمع، وإنما کلامه سبحانه فعل منه أنشأه، ومثله لم یکن من قبل ذلک کائناً، ولو کان قدیماً لکان إلهاً ثانیاً.
لا ـ یقـال کـان بعـد أن لم یکن، فتجری علیه الصـفات المحـدثات، ولا ـ یکون ینهـا وبینه فصـل، ولا ـ له علیهـا فضـل، فیسـتوی الصـانع والمصنوع، ویتکافأ لمبتدی والبدیع.
خلق الخلائق علی غیر مثال خلا من غیره، ولم یستعن علی خلقها بأحد من خلقه، وأنشأ الأرض فأمسکها من غیر اشتغال، وأرساها علی غیر قرار، وأقامها بغیر قوائم، ورفعها بغیر دعائم، وحصـنها من الأود والإعوجاج، ومنعها من التهافت والإنفراج. أرسـی أوتادها، وضرب أسدادها، واستفاض عیونها، وخد أودیتها، فلم یهن ما بناه، ولا ضعف ما قواه.
هو الظاهر علیها بسـلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالی علی کل شئ منها بجلاله وعزته، لا یعجزه شئ منها طلبه، ولا یمتنع علیه فیغلبه، ولا یفوته السریع منها فیسبقه، ولا یحتاج إلی ذی مال فیرزقه.
خضـعت الأشیاء له، وذلت مستکینهٔ لعظمته، لا تستطیع الهرب من سلطانه إلی غیره فتمتنع من نفعه وضره، ولا کفؤ له فیکافئه، ولا نظیر له فیساویه.
هو المفنی لها بعد وجودها، حتی یصیر موجودها کمفقودها، ولیس فناء الدنیا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها.

اول الدین معرفته... و کمال الاخلاص له نفی الصفات عنه

نهج البلاغهٔ:۱/۱۴:
ومن خطبهٔ له علیه السلام یذکر فیها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم:
الحمـد لله الـذی لا یبلغ مـدحته القائلون، ولا یحصـی نعماءه العادون، ولا یؤدی حقه المجتهدون. الذی لا یدرکه بعد الهمم، ولا یناله غوص الفطن، الـذی لیس لصـفته حـد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود فطر الخلائق بقدرته، ونشـر الریاح برحمته، ووتـد بالصـخور مَیَدَان أرضه.. أول الـدین معرفته، وکمال معرفته التصـدیق به، وکمال التصـدیق به توحیده، وکمال توحیده الإخلاص له، وکمال الإخلاص له نفی الصـفات عنه، لشهادهٔ کل صفهٔ أنها غیر الموصوف، وشهادهٔ کل موصوف أنه غیر الصفهٔ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إلیه، ومن أشار إلیه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فیم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلی منه.
کائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع کل شـئ لا بمقارنهٔ، وغیر کل شـئ لا بمزایلهٔ، فاعل لا بمعنی الحرکات والآلهٔ، بصیر إذ لا منظور إلیه من خلقه، متوحد إذ لا سکن یستأنس به، ولا یستوحش لفقده.
أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا رَوِیَّهٍٔ أجالها، ولا تجربهٔ اسـتفادها، ولا حرکهٔ أحدثها، ولا همامهٔ نفس اضطرب فیها، أحال الأشیاء

لأوقاتها، ولاءم بین مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محیطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها.

ثم أنشأ سبحانه فتق الاجواء، وشق الأرجاء، وسکائک الهواء، فأجری فیها ماء متلاطماً تیاره، متراکماً زخاره، حمله علی متن الریح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها برده، وسلطها علی شده، وقرنها إلی حده، الهواء من تحتها فتیق، والماء من فوقها دفیق.

ثم أنشأ سبحانه ریحاً اعتقم مهبها، وأدام مربها، وأعصف مجراها، وأبعد منشاها، فأمرها بتصفیق الماء الزخار، وإثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، ترد أوله إلی آخره، وساجیه إلی مائره، حتی عب عُبَابُه، ورمی بالزبد رکامه، فرفعه فی هواء منفتق، وجو منفهق، فسوی منه سبع سموات، جعل سفلاهن موجاً مکفوفاً، وعلیاهن سقفاً محفوظاً، وسمکاً مرفوعاً، بغیر عمد یدعمها، ولا دسار ینظمها.

ثم زینها بزینة الکواکب، وضیاء الثواقب، وأجری فیها سراجاً مستطیراً، وقمراً منیراً، فی فلک دائر، وسقف سائر، ورقیم مائر، ثم فتق ما بین السموات العلاـ فملاهن أطواراً من ملائکته، منهم سجود لاـ یرکعون، ورکوع لاـ ینتصبون، وصافون لا یتزایلون، ومسبحون لا یسأمون، لاـ یغشاهم نوم العین، ولاـ سهو العقول، ولاـ فترة الابدان، ولاـ غفلة النسیان. ومنهم أمناء علی وحیه، وألسنة إلی رسله، ومختلفون بقضائه وأمره. ومنهم الحفظة لعباده، والسدنة لابواب جنانه. ومنهم الثابتة فی الارضین السفلی أقدامهم، والمارقة من السماء العلیا أعناقهم، والخارجة من الاقطار أرکانهم والمناسبة لقوائم العرش أکتافهم، ناکسة دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بینهم وبین من دونهم حجب العزة وأستار القدرة، لاـ یتوهمون ربهم بالتصویر، ولاـ یجرون علیه صفات المصنوعین، ولا یحدونه بالاماکن، ولا یشیرون إلیه بالنظائر.

ثم جمع سبحانه من حَزْن الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها، تربة سنَّها بالماء حتی خلصت، ولاطها بالبلة حتی لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول، أجمدها حتی استمسکت، وأصلدها حتی صلصلت، لوقت معدود، وأمد معلوم، ثم نفخ فیها من روحه، فمثلت إنساناً ذا أذهان یجیلها، وفکر یتصرف بها، وجوارح یختدمها، وأدوات یقلبها، ومعرفة یفرق بها بین الحق والباطل، والاذواق والمشام، والالوان والاجناس. معجوناً بطینة الالوان المختلفة، والاشباه المؤتلفة، والاضداد المتعادیة، والاخلاط المتباینة، من الحر والبرد، والبلة والجمود، واستأدی الله سبحانه الملائکة ودیعته لدیهم، وعهد وصیته إلیهم، فی الاذعان بالسجود له، والخشوع لتکرمته....

کان المسلمون یعرفون قیمة الجواهر فیکتبونه

التوحید للشیخ الصدوق/۳۱:

حدثنا أبی (رض) قال: حدثنا سعد بن عبدالله قال: حدثنا أحمد بن أبی عبدالله، عن أبیه محمد بن خالد البرقی، عن أحمد بن النضر وغیره، عن عمرو بن ثابت، عن رجل سماه، عن أبی إسحاق السبیعی، عن الحارث الاعور قال: خطب أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام یوماً خطبة بعد العصر، فعجب الناس من حسن صفته وما ذکر من تعظیم الله جل جلاله، قال أبو إسحاق فقلت للحارث: أو ما حفظتها قال: قد کتبتها، فأملاها علینا من کتابه:

الحمد لله الذی لا یموت، ولا تنقضی عجائبه، لأنه کل یوم فی شأن، من إحداث بدیع لم یکن. الذی لم یولد فیکون فی العز مشارکاً، ولم یلد فیکون موروثاً هالکاً، ولم تقع علیه الاوهام فتقدره شبحاً ماثلاً، ولم تدرکه الابصار فیکون بعد انتقالها حائلاً، الذی لیست له فی أولیته نهایة، ولا فی آخریته حد ولا غایة، الذی لم یسبقه وقت، ولم یتقدمه زمان، ولم یتعاوره زیادة ولا نقصان، ولم یوصف بأین ولا بمکان، الذی بطن من خفیات الأمور، وظهر فی العقول بما یری فی خلقه من علامات التدبیر. الذی سئلت الأنبیاء عنه فلم تصفه بحد ولا بنقص، بل وصفته بأفعاله، ودلت علیه بآیاته، ولا تستطیع عقول المتفکرین جحده، لأن من کانت السماوات والأرض فطرته

وما فيهن وما بينهن هو الصانع لهن، فلا مدفع لقدرته.

الذى بان من الخلق فلا شئ كمثله. الذى خلق الخلق لعبادته وأقدرهم على طاعته بما جعل فيهم، وقطع عذرهم بالحجج، فعن بينة هلك من هلك وعن بينة نجا من نجا. ولله الفضل مبدئاً ومعيدا...

الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسد، والمرتدى بالجلال بلا تمثل، والمستوى على العرش بلا زوال، والمتعالى عن الخلق بلا تباعد منهم، القريب منهم بلا ملامسة منه لهم، ليس له حد ينتهى إلى حده، ولا له مثل فيعرف بمثله، ذل من تجبر غيره، وصغر من تكبر دونه، وتواضعت الأشياء لعظمته، وانقادت لسلطانه وعزته، وكلت عن إدراكه طروف العيون، وقصرت دون بلوغ صفته أوهام الخلائق، الأول قبل كل شئ والآخر بعد كل شئ، ولا يعدله شئ، الظاهر على كل شئ بالقهر له، والمشاهد لجميع الاماكن بلا انتقال إليها، ولا تلمسه لا مسة ولا تحسه حاسة، وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله وهو الحكيم العليم. أتقن ما أراد خلقه من الأشياء كلها بلا مثال سبق إليه، ولا لغوب دخل عليه، فى خلق ما خلق... إلى آخر الخطبة.

اميرالمؤمنين يرد على تجسيم اليهود

قال الصدوق فى كتابه التوحيد/۷۷:

حدثنا أبوسعيد محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المذكر المعروف بأبى سعيد المعلم بنيسابور، قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، قال حدثنا على بن سلمة الليفى، قال حدثنا إسماعيل بن يحيى بن عبدالله، عن عبدالله بن طلحة بن هجيم، قال حدثنا أبو سنان الشيبانى سعيد بن سنان، عن الضحاك، عن النزال بن سبرة قال: جاء يهودى إلى على بن أبى طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين متى كان ربنا؟ قال فقال له على عليه السلام: إنما يقال: متى كان لشئ لم يكن فكان، وربنا تبارك وتعالى هو كائن بلاكينونة كائن، كان بلا كيف يكون، كائن لم يزل بلا لم يزل، وبلا كيف يكون، كان لم يزل ليس له قبل، هو قبل القبل بلا قبل وبلا غاية ولا منتهى، غاية ولا غاية إليها، غاية انقطعت الغايات عنه، فهو غايه كل غاية.

أخبرنى أبوالعباس الفضل بن الفضل بن العباس الكندى فيما أجازه لى بهمدان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة قال: حدثنا محمد بن سهل يعنى العطار البغدادى لفظاً من كتابه سنة خمس وثلاثمائة قال: حدثنا عبدالله بن محمد البلوى قال: حدثنى عمارة بن زيد، قال: حدثنى عبد الله بن العلاء قال: حدثنى صالح بن سبيع، عن عمرو بن محمد بن صعصعة بن صوحان قال: حدثنى أبى، عن أبى المعتمر مسلم بن أوس قال: حضرت مجلس على عليه السلام فى جامع الكوفة فقام إليه رجل مصفر اللون كأنه من متهودة اليمن فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا خالقك وانعته لنا كأنا نراه وننظر إليه، فسبح على عليه السلام ربه وعظمه عز وجل وقال:

الحمد لله الذى هو أول بلا بدء مما، ولا باطن فيما، ولا يزال مهما، ولا ممازج مع ما، ولا خيال وهما، ليس بشبح فيرى، ولا بجسم فيتجزى، ولا بذى غاية فيتناهى، ولا بمحدث فيبصر، ولا بمستتر فيكشف، ولا بذى حجب فيحوى.

كان ولا أماكن تحمله أكنافها، ولا حملة ترفعه بقوتها، ولا كان بعد أن لم يكن، بل حارت الأوهام أن تكيف المكيف للاشياء ومن لم يزل بلا مكان، ولا يزول باختلاف الازمان، ولا ينقلب شاناً بعد شان.

البعيد من حدس القلوب، المتعالى عن الأشياء والضروب، والوتر علام الغيوب، فمعانى الخلق عنه منفية، وسرائرهم عليه غير خفية، المعروف بغير كيفية، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، ولا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأفكار، ولا تقدره العقول، ولا تقع عليه الاوهام، فكل ما قدره عقل أو عرف له مثل فهو محدود، وكيف يوصف بالأشباح، وينعت بالألسن الفصاح، من لم يحلل فى الأشياء فيقال هو فيها كائن، ولم ينأ عنها فيقال هو عنها بائن، ولم يخل منها فيقال أين، ولم يقرب منها بالإلتزاق، ولم يبعد عنها بالإفتراق، بل هو فى الأشياء بلا كيفية، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وأبعد من الشبه من كل بعيد.

لم يخلق الأشياء من أصول أزلية، ولا من أوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق، وأتقن خلقه، وصور ما صور، فأحسن صورته،

فسبحان من توحد فی علوه، فلیس لشئ منه امتناع، ولا له بطاعهٔ أحد من خلقه انتفاع، إجابته للداعین سریعهٔ، والملائکهٔ له فی السماوات والأرض مطیعهٔ، کلم موسی تکلیماً بلا جوارح وأدوات، ولا شفهٔ ولا لهوات، سبحانه وتعالی عن الصفات، فمن زعم أن إله الخلق محدود، فقد جهل الخالق المعبود... والخطبهٔ طویلهٔ أخذنا منها موضع الحاجهٔ.. انتهی.وقد تقدم فی الفصل الأول رده علی کعب الأحبار فی مجلس الخلیفهٔ عمر.

و یوجه المسلمین إلی التفکر فی عظمهٔ المخلوقات فیصف الطاووس

نهج البلاغهٔ: ۲/۷۰:

۱۶۵ ومن خطبهٔ له علیه السلام یذکر فیها عجیب خلقهٔ الطاووس:

ابتدعهم خلقاً عجیباً من حیوان وموات، وساکن وذی حرکات، فأقام من شواهد البینات علی لطیف صنعته وعظیم قدرته، ما انقادت له العقول معترفهٔ به ومسلمهٔ له، ونعقت فی أسماعنا دلائله علی وحدانیته.

وما ذرأ من مختلف صور الاطیار، التی أسکنها أخادید الأرض وخروق فجاجها، ورواسی أعلامها، من ذات أجنحهٔ مختلفهٔ، وهیئات متباینهٔ، مصرفهٔ فی زمان التسخیر، ومرفرفهٔ بأجنحتها فی مخارق الجو المنفسح، والفضاء المنفرج.

کَوَّنها بعد أن لم تکن، فی عجائب صور ظاهرهٔ، ورکبها فی حقاق مفاصل محتجبهٔ، ومنع بعضها بعبالهٔ خلقهٔ، أن یسمو فی السماء خفوفاً، وجعله یدف دفیفاً، ونسقها علی اختلافها فی الأصابیغ بلطیف قدرته، ودقیق صنعته فمنها مغموس فی قالب لون لا یشوبه غیر لون ما غمس فیه، ومنها مغموس فی لون صبغ قد طوق بخلاف ما صبغ به، ومن أعجبها خلقاً الطاووس الذی أقامه فی أحکم تعدیل، ونضد ألوانه فی أحسن تنضید، بجناح أشرج قصبه، وذنب أطال مسحبه.

إذا درج إلی الأنثی نشره من طیه، وسما به مطلاً علی رأسه، کأنه قلع داری عَنَجَهُ نُوتِیُّهُ، یختال بألوانه، ویمیس بزیفانه، یفضی کإفضاء الدیکهٔ، وَیُؤرُّ بملاقحهٔ أرَّ الفحول المغتلمهٔ للضراب الضراب.

أحیلک من ذلک علی معاینهٔ، لا کمن یحیل علی ضعیف إسناده، ولو کان کزعم من یزعم أنه یلقح بدمعهٔ تسفحها مدامعه، فتقف فی ضفتی جفونه، وأن أنثاه تطعم ذلک، ثم تبیض لا من لقاح فحل، سوی الدمع المنبجس، لما کان ذلک بأعجب من مطاعمهٔ الغراب.

تخال قصبه مداری من فضهٔ، وما أنبت علیها من عجیب داراته، وشموسه خالص العقیان، وفلذ الزبرجد، فإن شبهته بما أنبتت الأرض قلت: جنی جنی من زهرهٔ کل ربیع، وإن ضاهیته بالملابس فهو کموشی الحلل، أو مونق عصب الیمن، وإن شاکلته بالحلی فهو کفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجین المکلل.

یمشئ مشئ المرح المختال، ویتصفح ذنبه وجناحیه فیقهقه ضاحکاً لجمال سرباله، وأصابیغ وشاحه، فإذا رمی ببصره إلی قوائمه، زقا معولاً بصوت یکاد یبین عن استغاثته، ویشهد بصادق توجعه، لأن قوائمه حمش کقوائم الدیکهٔ الخلاسیهٔ، وقد نجمت من ظنبوب ساقه صیصیهٔ خفیهٔ.

وله فی موضع العرف قنزعهٔ خضراء موشاهٔ، ومخرج عنقه کالإبریق، ومغرزها إلی حیث بطنه کصبغ الوسمهٔ الیمانیهٔ، أو کحریرهٔ ملبسهٔ مرآهٔ ذات صقال، وکأنه متلفع بمعجر أسحم، إلا أنه یخیل لکثرهٔ مائه وشدهٔ بریقه أن الخضرهٔ الناضرهٔ ممتزجهٔ به، ومع فتق سمعه خط کمستدق القلم فی لون الاقحوان، أبیض یقق، فهو ببیاضه فی سواد ما هنالک یأتلق، وقل صبغ إلا وقد أخذ منه بقسط، وعلاه بکثرهٔ صقاله وبریقه، وبصیص دیباجه ورونقه، فهو کالازاهیر المبثوثهٔ لم تربها أمطار ربیع، ولا شموس قیظ، وقد یتحسر من ریشه، ویعری من لباسه، فیسقط تتری، وینبت تباعاً، فینحت من قصبه انحتات أوراق الأغصان، ثم یتلاحق نامیاً حتی یعود کهیئته قبل سقوطه، لا یخالف سالف ألوانه، ولا یقع لون فی غیر مکانه.

وإذا تصفحت شعرهٔ من شعرات قصبه أرتک حمرهٔ وردیهٔ، وتارهٔ خضرهٔ زبرجدیهٔ، وأحیاناً صفرهٔ عسجدیهٔ.

فکیف تصل إلی صفة هذا عمائق الفطن، أو تبلغه قرائح العقول، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفین! وأقل أجزائه قد أعجز الاوهام أن تدرکه، والالسنة أن تصفه، فسبحان الذی بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعیون، فأدرکته محدوداً مکوناً، ومؤلفاً ملوناً، وأعجز الألسن عن تلخیص صفته، وقعد بها عن تأدیة نعته.

وسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة، إلی ما فوقهما من خلق الحیتان والأفیلة، ووأی علی نفسه أن لا یضطرب شبح مما أولج فیه الروح، إلا وجعل الحمام موعده، والفناء غایته...

و یصف النملة والجرادة

نهج البلاغة:۲/۱۱۵:

۱۸۵ ومن خطبة له علیه السلام:... ولو فکروا فی عظیم القدرة وجسیم النعمة، لرجعوا إلی الطریق، وخافوا عذاب الحریق، ولکن القلوب علیلة، والبصائر مدخولة.

ألا تنظرون إلی صغیر ما خلق کیف أحکم خلقه، وأتقن ترکیبه، وفلق له السمع والبصر، وسوی له العظم والبشر. أنظروا إلی النملة فی صغر جثتها، ولطافة هیئتها، لا تکاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرک الفکر، کیف دبت علی أرضها، وصبت علی رزقها، تنقل الحبة إلی جحرها، وتعدها فی مستقرها، تجمع فی حرها لبردها، وفی وردها لصدرها، مکفولة برزقها مرزوقة بوفقها، لا یغفلها المنان، ولا یحرمها الدیان، ولو فی الصفا الیابس، والحجر الجامس.

ولو فکرت فی مجاری أکلها، فی علوها وسفلها، وما فی الجوف من شراسیف بطنها، وما فی الرأس من عینها وأذنها، لقضیت من خلقها عجباً، ولقیت من وصفها تعبا. فتعالی الذی أقامها علی قوائمها، وبناها علی دعائمها، لم یشرکه فی فطرتها فاطر، ولم یعنه فی خلقها قادر.

ولو ضربت فی مذاهب فکرک لتبلغ غایاته، ما دلتک الدلالة إلا علی أن فاطر النملة هو فاطر النخلة، لدقیق تفصیل کل شئ، وغامض اختلاف کل حی، وما الجلیل واللطیف، والثقیل والخفیف، والقوی والضعیف، فی خلقه إلا سواء، وکذلک السماء والهواء، والریاح والماء. فانظر إلی الشمس والقمر، والنبات والشجر، والماء والحجر، واختلاف هذا اللیل والنهار، وتفجر هذه البحار، وکثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرق هذه اللغات، والألسن المختلفات.

فالویل لمن جحد المقدر وأنکر المدبر. زعموا أنهم کالنبات ما لهم زارع، ولا لاختلاف صورهم صانع، ولم یلجؤوا إلی حجة فیما ادعوا، ولا تحقیق لما أوعوا. وهل یکون بناء من غیر بان، أو جنایة من غیر جان.

وإن شئت قلت فی الجرادة، إذ خلق لها عینین حمراوین، وأسرج لها حدقتین قمراوین، وجعل لها السمع الخفی، وفتح لها الفم السوی، وجعل لها الحس القوی، ونابین بهما تقرض، ومنجلین بهما تقبض، یرهبها الزراع فی زرعهم، ولا یستطیعون ذبها ولو أجلبوا بجمعهم، حتی ترد الحرث فی نزواتها، وتقضی منه شهواتها، وخلقها کله لا یکون إصبعاً مستدقة.

فتبارک الله الذی یسجد له من فی السموات والأرض طوعاً وکرهاً، ویعفرِّ له خداً ووجهاً، ویلقی إلیه بالطاعة سلماً وضعفاً، ویعطی له القیاد رهبة وخوفاً، فالطیر مسخرة لامره، أحصی عدد الریش منها والنفس، وأرسی قوائمها علی الندی والیبس، وقدر أقواتها، وأحصی أجناسها، فهذا غراب، وهذا عقاب، وهذا حمام، وهذا نعام. دعا کل طائر باسمه، وکفل له برزقه، وأنشأ السحاب الثقال فأهطل دیمها، وعدد قسمها، فبلَّ الأرض بعد جفوفها، وأخرج نبتها بعد جدوبها.

علی مؤسس علم التوحید

أمالی المرتضی:۱/۱۴۸:

إعلم أن أصول التوحید والعدل مأخوذة من كلام أمیر المؤمنین على علیه السلام وخطبه، وأنها تتضمن من ذلك ما لا مزید علیه ولا غایة وراءه، ومن تأمل المأثور فی ذلك من كلامه، علم أن جمیع ما أسهب المتكلمون من بعد فی تصنیفه وجمعه، إنما هو تفصیل لتلك الجمل، وشرح لتلك الأصول.

وروی عن الأئمة من أبنائه علیهم السلام من ذلك ما لا یكاد یحاط به كثرة، ومن أحب الوقوف علیه وطلبه من مظانه أصاب منه الكثیر الغزیر، الذی فی بعضه شفاء للصدور السقیمة، ونتاج للعقول العقیمة، ونحن نقدم على ما نرید ذكره شیئاً مما روی عنهم فی هذا الباب. فمن ذلك ما روی عن أمیر المؤمنین على علیه السلام وهو یصف الله تعالى:

بمضادته بین الأشیاء علم أن لا ضد له، وبمقارنته بین الأمور علم أن لا قرین له، ضاد النور بالظلمة، والخشونة باللیل، والیبوسة بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلف بین متباعداتها، مفرق بین متدانیاتها.

وروی عنه علیه السلام أنه سئل: بم عرفت ربك؟ فقال: بما عرفنی به. قیل: وكیف عرفك؟ قال: لا تشبهه صورة، ولا یحس بالحواس، ولا یقاس بقیاس الناس.

وقیل له علیه السلام: كیف یحاسب الله الخلق؟ قال: كما یرزقهم. فقیل كیف یحاسبهم ولا یرونه؟ فقال: كما یرزقهم ولا یرونه.

وسأله رجل فقال: أین كان ربك قبل أن یخلق السماء والأرض؟ فقال: أین سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان.

الامام زین العابدین ینظم زبور آل محمد

قال علیه السلام فی أدعیته المعروفة بالصحیفة السجادیة، الدعاء الأول:

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر یكون بعده، الذی قصرت عن رؤیته أبصار الناظرین، وعجزت عن نعته أوهام الواصفین، ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشیته اختراعاً، ثم سلك بهم طریق إرادته، وبعثهم فی سبیل محبته، لا یملكون تأخیراً عما قدمهم إلیه، ولا یستطیعون تقدماً إلى ما أخرهم عنه، وجعل لكل روح منهم قوتاً معلوماً مقسوماً من رزقه، لا ینقص من زاده ناقص، ولا یزید من نقص منهم زائد، ثم ضرب له فی الحیاة أجلاً موقوتاً، ونصب له أمداً محدوداً، یتخطى إلیه بأیام عمره، ویرهقه بأعوام دهره، حتى إذا بلغ أقصى أثره، واستوعب حساب عمره، قبضه إلى ما ندبه إلیه من موفور ثوابه، أو محذور عقابه، لیجزی الذین أساؤا بما عملوا ویجزی الذین أحسنوا بالحسنى، عدلاً منه تقدست أسماؤه، وتظاهرت آلاؤه، لا یسأل عما یفعل وهم یسألون...

الصحیفة السجادیة الدعاء الثانی والثلاثون:

وكان من دعائه علیه السلام بعد الفراغ من صلاة اللیل: اللهم یاذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان، الممتنع بغیر جنود ولا أعوان، والعز الباقی على مر الدهور وخوالی الأعوام، ومواضی الأزمان والأیام، عز سلطانك عزاً لا حد له بأولیة، ولا منتهى له بآخریة، واستعلى ملكك علواً سقطت الأشیاء دون بلوغ أمده، ولا یبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتین، ضلت فیك الصفات، وتفسخت دونك النعوت، وحارت فی كبریائك لطائف الأوهام.

كذلك أنت الله الأول فی أولیتك، وعلى ذلك أنت دائم لا تزول.

وأنا العبد الضعیف عملاً، الجسیم أملاً، خرجت من یدی أسباب الوصلات إلا ما وصله رحمتك، وتقطعت عنی عصم الامال إلا ما أنا معتصم به من عفوك، قلَّ عندی ما أعتد به من طاعتك، وكثر على ما أبوء به من معصیتك، ولن یضیق علیك عفو عن عبدك وإن أساء فاعف عنی...

الصحیفة السجادیة:۲/۲۱:

دعاؤه علیه السلام فی التحمید لله عز وجل: الحمد لله الذی تجلى للقلوب بالعظمة، واحتجب عن الابصار بالعزة، واقتدر على الأشیاء

بالقدرة، فلا الأبصار تثبت لرؤيته، ولا الأوهام تبلغ كنه عظمته، تجبر بالعظمة والكبرياء، وتعطف بالعز والبر والجلال، وتقدس بالحسن والجمال، وتجمل بالفخر والبهاء، وتهلل بالمجد والآلاء، واستخلص بالنور والضياء. خالق لا نظير له، وواحد لاند له، وماجد لا ضد له، وصمد لا كفو له، وإله لا ثانى معه، وفاطر لا شريك له، ورازق لا معين له، الأول بلا زوال، والدائم بلا فناء، والقائم بلا عناء، والباقى بلا نهاية، والمبدئ بلا أمد، والصانع بلا ظهير، والرب بلا شريك، والفاطر بلا كلفة، والفاعل بلا عجز.

ليس له حد فى مكان، ولا غاية فى زمان، لم يزل ولا يزول ولن يزال، كذلك أبداً هو الاله الحى القيوم، الدائم القديم، القادر الحكيم...

الامام محمد الباقر يجيب على سؤال متى وجد الله

الكافى: ۸/۱۲۰:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن أبى حمزة ثابت بن دينار الثمالى وأبى منصور، عن أبى الربيع قال: حججنا مع أبى جعفر عليه السلام فى السنة التى كان حج فيها هشام بن عبد الملك، وكان معه نافع مولى عمر بن الخطاب، فنظر نافع إلى أبى جعفر عليه السلام فى ركن البيت وقد اجتمع عليه الناس فقال نافع: يا أمير المؤمنين من هذا الذى قد تداك عليه الناس؟ فقال: هذا نبى أهل الكوفة، هذا محمد بن على!

فقال: أشهد لاتينه فلأسألنه عن مسائل لا يجيبنى فيها إلا نبى أو ابن نبى أو وصى نبى، قال: فاذهب إليه وسله لعلك تخجله.

فجاء نافع حتى اتكأ على الناس ثم أشرف على أبى جعفر عليه السلام فقال: يا محمد بن على إنى قرأت التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وقد عرفت حلالها وحرامها، وقد جئت أسألك عن مسائل لا يجيب فيها إلا نبى أو وصى نبى أو ابن نبى، قال فرفع أبو جعفر عليه السلام رأسه فقال: سل عما بدا لك.

فقال: أخبرنى كم بين عيسى وبين محمد من سنة.

قال: أخبرك بقولى أو بقولك؟

قال: أخبرنى بالقولين جميعاً.

قال: أما فى قولى فخمسمائة سنة، وأما فى قولك فستمائة سنة.

قال: فأخبرنى عن قول الله عز وجل لنبيه: وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ. من الذى سأل محمد، وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة.

فقال: فتلا أبو جعفر عليه السلام هذه الآية: سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا. فكان من الآيات التى أراها الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وآله حيث أسرى به إلى بيت المقدس أن حشر الله عز ذكره الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل عليه السلام فأذن شفعاً وأقام شفعاً وقال فى أذانه حى على خير العمل، ثم تقدم محمد صلى الله عليه وآله فصلى بالقوم فلما انصرف قال لهم: على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، أخذ على ذلك عهودنا ومواثيقنا.

فقال نافع: صدقت يا أبا جعفر، فأخبرنى عن قول الله عز وجل: أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا.

قال: إن الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم إلى الأرض وكانت السماوات رتقاً لا تمطر شيئاً، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت شيئاً، فلما أن تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام أمر السماء فتقطرت بالغمام ثم أمرها فأرخت عزاليها، ثم أمر الأرض فأنبتت الأشجار وأثمرت الثمار وتفهقت بالأنهار، فكان ذلك رتقها، وهذا فتقها.

قال نافع: صدقت يابن رسول الله، فأخبرنى عن قول الله عز وجل: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ، أى أرض تبدل يومئذ.

فقال أبو جعفر علیه السلام: أرض تبقی خبزة یأکلون منها حتی یفرغ الله عز وجل من الحساب.

فقال نافع: إنهم عن الأکل لمشغولون.

فقال أبو جعفر: أهم یومئذ أشغل أم إذ هم فی النار؟

فقال نافع: بل إذ هم فی النار.

قال: فوالله ما شغلهم إذ دعوا بالطعام فأطعموا الزقوم، ودعوا بالشراب فسقوا الحمیم. قال: صدقت یابن رسول الله، ولقد بقیت مسألة واحدة.

قال: وما هی.

قال: أخبرنی عن الله تبارک وتعالی متی کان؟

قال: ویلک متی لم یکن حتی أخبرک متی کان! سبحان من لم یزل ولا یزال، فرداً صمداً لم یتخذ صاحبة ولا ولداً، ثم قال: یا نافع أخبرنی عما أسألک عنه.

قال: وما هو.

قال: ما تقول فی أصحاب النهروان، فإن قلت إن أمیر المؤمنین قتلهم بحق فقد ارتددت، وإن قلت إنه قتلهم باطلاً فقد کفرت.

قال: فولی من عنده وهو یقول: أنت والله أعلم الناس حقاً حقا، فأتی هشاماً فقال له: ما صنعت؟ قال: دعنی من کلامک، هذا والله أعلم الناس حقاً حقا، وهو ابن رسول الله حقاً، ویحق لاصحابه أن یتخذوه نبیاً!! انتهی.

والظاهر أن الإمام الباقر علیه السلام سأل نافعاً عن رأیه فی الخوارج، لأن نافعاً کان ناصبیاً مؤیداً لرأی الخوارج فی تکفیر علی علیه السلام.

و یرکز فی المسلمین قاعدة: لا تشبیه و لا تعطیل

التوحید للصدوق/۱۰۴:

أبی رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبدالله الأشعری قال: حدثنا أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن عیسی عمن ذکره قال: سئل أبو جعفر علیه السلام أیجوز أن یقال: إن الله عز وجل شئ قال: نعم، یخرجه عن الحدین حد التعطیل وحد التشبیه.

الامام الصادق: لا نفی و لا تشبیه و لا جبر و لا تفویض

قال الصدوق فی کتابه التوحید/۱۰۲:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الولید رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار قال: حدثنا العباس بن معروف قال: حدثنا ابن أبی نجران عن حماد بن عثمان، عن عبدالرحیم القصیر قال: کتبت علی یدی عبد الملک بن أعین إلی أبی عبدالله علیه السلام بمسائل، فیها: أخبرنی عن الله عز وجل هل یوصف بالصورة وبالتخطیط فإن رأیت جعلنی الله فداک أن تکتب إلی بالمذهب الصحیح من التوحید، فکتب علیه السلام بید عبد الملک بن أعین:

سألت رحمک الله عن التوحید وما ذهب إلیه من قبلک، فتعالی الله الذی لیس کمثله شئ وهو السمیع البصیر، تعالی الله عما یصفه الواصفون المشبهون الله تبارک وتعالی بخلقه، المفترون علی الله. واعلم رحمک الله أن المذهب الصحیح فی التوحید ما نزل به القرآن من صفات الله عز وجل، فانف عن الله البطلان والتشبیه، فلا نفی ولا تشبیه، هو الله الثابت الموجود، تعالی الله عما یصفه الواصفون، ولا تَعْدُ القرآن فتضل بعد البیان.

توحید الصدوق/۱۰۳:

حدثنی محمد بن موسی بن المتوکل رحمه الله قال: حدثنا عبدالله بن جعفر الحمیری، عن أحمد بن محمد بن عیسی، عن الحسن بن محبوب، عن یعقوب السراج قال: قلت لابی عبدالله علیه السلام: إن بعض أصحابنا یزعم أن لله صورة مثل صورة الإنسان، وقال آخر إنه فی صورة أمرد جعد قطط، فخر أبو عبدالله ساجداً، ثم رفع رأسه، فقال: سبحان الله الذی لیس کمثله شیء، ولا تدرکه الابصار، ولا یحیط به علم، لم یلد لأن الولد یشبه أباه، ولم یولد فیشبه من کان قبله، ولم یکن له من خلقه کفواً أحد، تعالی عن صفة من سواه علواً کبیرا.

المؤمنون یرون الله بعقولهم و قلوبهم فی الدنیا والآخرة

بحار الأنوار:۴/۳۱:

لی: الطالقانی، عن ابن عقدة، عن المنذر بن محمد، عن علی بن إسماعیل المیثمی، عن إسماعیل بن الفضل قال: سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق (علیهما السلام) عن الله تبارک وتعالی هل یری فی المعاد فقال: سبحان الله وتعالی عن ذلک علواً کبیرا. یا ابن الفضل، إن الابصار لا تدرک إلا ماله لون وکیفیة، والله خالق الالوان والکیفیة.

بحار الأنوار:۴/۴۴:

ید: الدقاق، عن الأسدی، عن النخعی، عن النوفلی، عن البطائنی، عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السلام قال قلت له: أخبرنی عن الله عز وجل هل یراه المؤمنون یوم القیامة.

قال: نعم وقد رأوه قبل یوم القیامة.

فقلت: متی؟

قال: حین قال لهم: أَلَسْتُ بِرَبِّکُمْ قَالُوا بَلَی. ثم سکت ساعة ثم قال: وإن المؤمنین لیرونه فی الدنیا قبل یوم القیامة، ألست تراه فی وقتک هذا؟ قال أبو بصیر فقلت له: جعلت فداک فأحدث بهذا عنک؟ فقال لا، فإنک إذا حدثت به فأنکره منکر جاهل بمعنی ما تقوله، ثم قدر أن ذلک تشبیه کَفَر، ولیست الرؤیة بالقلب کالرؤیة بالعین، تعالی الله عما یصفه المشبهون والملحدون.

ضه: سأل محمد الحلبی الصادق علیه السلام فقال: رأی رسول الله صلی الله علیه وآله ربه قال: نعم رآه بقلبه، فأما ربنا جل جلاله فلاتدرکه أبصار حدق الناظرین، ولا تحیط به أسماع السامعین.

بحار الأنوار:۴/۳۳:

ج: عن عبدالله بن سنان، عن أبی عبد الله علیه السلام فی قوله: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، قال: إحاطة الوهم، ألا تری إلی قوله: قَدْ جَاءَکُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّکُمْ، لیس یعنی بصر العیون. فمن أبصر فلنفسه، لیس یعنی من أبصر بعینه، ومن عمی فعلیها، لیس یعنی عمی العیون، إنما عنی إحاطة الوهم، کما یقال فلان بصیر بالشعر، وفلان بصیر بالفقه، وفلان بصیر بالدراهم، وفلان بصیر بالثیاب. الله أعظم من أن یری بالعین.

الامام الصادق یرد علی الحلول والثنائیة بین الذات والصفات

الکافی:۱/۸۲:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد البرقی، عن أبیه، عن النضر بن سوید، عن یحیی الحلبی، عن ابن مسکان، عن زرارة بن أعین قال: سمعت أبا عبدالله علیه السلام یقول: إن الله خلو من خلقه وخلقه خلو منه، وکل ما وقع علیه شئ ما خلا الله فهو مخلوق، والله خالق کل شئ، تبارک الذی لیس کمثله شئ وهو السمیع البصیر.

الکافی:۱/۸۳:

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن العباس بن عمرو الفقیمی، عن هشام بن الحکم عن أبی عبدالله علیه السلام أنه قال للزندیق حین سأله: ما هو قال: هو شئ بخلاف الأشیاء، أرجع بقولی إلی إثبات معنی وأنه شئ بحقیقهٔ الشیئیهٔ، غیر أنه لا جسم ولا صورهٔ ولا یحس ولا یجس ولا یدرک بالحواس الخمس، لا تدرکه الاوهام ولا تنقصه الدهور، ولا تغیره الازمان، فقال له السائل: فتقول إنه سمیع بصیر قال: هو سمیع بصیر: سمیع بغیر جارحهٔ وبصیر بغیر آلهٔ، بل یسمع بنفسه ویبصر بنفسه، لیس قولی إنه سمیع یسمع بنفسه وبصیر یبصر بنفسه أنه شئ والنفس شئ آخر، ولکن أردت عبارهٔ عن نفسی إذ کنت مسؤولاً وإفهاماً لک إذ کنت سائلاً، فأقول: إنه سمیع بکله لا أن الکل منه له بعض، ولکنی أردت إفهامک والتعبیر عن نفسی، ولیس مرجعی فی ذلک إلا إلی أنه السمیع.

الکافی:۱/۸۷:

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن النضر بن سوید، عن هشام بن الحکم أنه سأل أبا عبدالله علیه السلام عن أسماء الله واشتقاقها: الله مما هو مشتق؟ قال: فقال لی: یا هشام الله مشتق من أله، والاله یقتضی مألوهاً والاسم غیر المسمی، فمن عبد الإسم دون المعنی فقد کفر ولم یعبد شیئاً، ومن عبد الإسم والمعنی فقد کفر وعبد اثنین، ومن عبد المعنی دون الإسم فذاک التوحید، أفهمت یا هشام؟ قال فقلت: زدنی قال: إن لله تسعهٔ وتسعین إسماً فلو کان الإسم هو المسمی لکان کل إسم منها إلهاً، ولکن الله معنی یدل علیه بهذه الأسماء وکلها غیره، یا هشام الخبز إسم للمأکول والماء إسم للمشروب والثوب إسم للملبوس والنار إسم للمحرق، أفهمت یا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذین مع الله عز وجل غیره؟ قلت: نعم.قال فقال: نفعک الله به وثبتک یا هشام، قال هشام فوالله ما قهرنی أحد فی التوحید حتی قمت مقامی هذا.

علی بن إبراهیم، عن العباس بن معروف، عن عبدالرحمن بن أبی نجران قال: کتبت إلی أبی جعفر علیه السلام أو قلت له: جعلنی الله فداک نعبد الرحمن الرحیم الواحد الاحد الصمد؟ قال: فقال: إن من عبد الإسم دون المسمی بالأسماء أشرک وکفر وجحد ولم یعبد شیئاً بل أعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمی بهذه الأسماء دون الأسماء أن الأسماء صفات وصف بها نفسه.

الکافی:۱/۱۰۳:

علی بن محمد، عن سهل بن زیاد، وعن غیره، عن محمد بن سلیمان، عن علی بن إبراهیم، عن عبدالله بن سنان، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: إن الله عظیم رفیع لا ـ یقدر العباد علی صفته، ولا یبلغون کنه عظمته، لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ، ولا یوصف بکیف ولا أین وحیث، وکیف أصفه بالکیف وهو الذی کیف الکیف حتی صار کیفاً فعرفت الکیف بما کیف لنا من الکیف، أم کیف أصفه بأین وهو الذی أین الاین حتی صار أیناً فعرفت الاین بما أین لنا من الأین، أم کیف أصفه بحیث وهو الذی حیث الحیث حتی صار حیثاً فعرفت الحیث بما حیث لنا من الحیث، فالله تبارک وتعالی داخل فی کل مکان وخارج من کل شئ، لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ. لا إله إلا هو العلی العظیم، وهو اللطیف الخبیر.

الامام الکاظم یرد علی تجسید النصاری

وقال الصدوق فی کتابه التوحید/۷۵:

حدثنا أحمد بن زیاد بن جعفر الهمدانی (رض) قال: حدثنا علی بن إبراهیم بن هاشم، عن أبیه، عن القاسم بن یحیی، عن جده الحسن بن راشد، عن یعقوب بن جعفر قال: سمعت أبا إبراهیم موسی بن جعفر (علیهما السلام) وهو یکلم راهباً من النصاری، فقال له فی بعض ما ناظره: إن الله تبارک وتعالی أجل وأعظم من أن یحد بید أو رجل أو حرکهٔ أو سکون، أو یوصف بطول أو قصر، أو تبلغه الأوهام، أو تحیط به صفهٔ العقول. أنزل مواعظه ووعده ووعیده، أمر بلا شفهٔ ولا لسان، ولکن کما شاء أن یقول له کن، فکان خبراً کما أراد فی اللوح.

و یبین أن الله تعالی غنی عن النزول والحرکهٔ

قال الصدوق فى كتابه التوحيد/۱۸۳:

حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بأبى عبد الله الكوفى قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكى، عن على بن العباس، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر الجعفرى، عن أبى إبراهيم موسى بن جعفر (عليهما السلام) قال: ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا، فقال: إن الله تبارك وتعالى لا ينزل، ولا يحتاج إلى أن ينزل، إنما منظره فى القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج بل يحتاج إليه، وهو ذو الطَّول، لا إله إلا هو العزيز الحكيم. أما قول الواصفين: إنه تبارك وتعالى ينزل، فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة، وكل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فظن بالله الظنون فهلك، فاحذروا فى صفاته من أن تقفوا له على حد، فتحدوه بنقص أو زيادة أو تحرك أو زوال أو نهوض أو قعود، فإن الله جل عن صفة الواصفين ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين.

الامام الرضا يعلم تلاميذه الدفاع عن التوحيد

توحيد الصدوق/۱۰۷:

حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور رحمه الله قال: حدثنا محمد بن جعفر بن بطة قال: حدثنى عدة من أصحابنا، عن محمد بن عيسى بن عبيد قال قال لى أبو الحسن عليه السلام: ما تقول إذا قيل لك أخبرنى عن الله عز وجل شئ هو أم لا؟ قال فقلت له: قد أثبت الله عز وجل نفسه شيئاً حيث يقول: قل أى شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم، فأقول: إنه شئ لا كالأشياء، إذ فى نفى الشيئية عنه إبطاله ونفيه. قال لى: صدقت وأصبت.

ثم قال لى الرضا عليه السلام: للناس فى التوحيد ثلاثة مذاهب: نفى، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه، فمذهب النفى لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز، لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شئ، والسبيل فى الطريقة الثالثة: إثبات بلا تشبيه.

توحيد الصدوق/۹۸:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (رض) قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن سهل بن زياد، عن محمد بن إسماعيل بن بزيغ، عن محمد ابن زيد قال: جئت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن التوحيد فأملى على: الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء، ومبتدعها ابتداء بقدرته وحكمته، لا من شئ فيبطل الإختراع، ولا لعلة فلا يصح الإبتداع. خلق ما شاء كيف شاء، متوحداً بذلك لاظهار حكمته وحقيقة ربوبيته، لا تضبطه العقول، ولا تبلغه الاوهام، ولا تدركه الابصار، ولا يحيط به مقدار، عجزت دونه العبارة، وكلت دونه الأبصار، وضل فيه تصاريف الصفات، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور، عرف بغير رؤية، ووصف بغير صورة، ونعت بغير جسم، لا إله إلا الله الكبير المتعال.

ورواه فى علل الشرائع:۱/۱۰

و يكشف حقيقة جديدة فى الإسراء والمعراج

التوحيد للصدوق/۱۱۳:

حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق (رض) قال: حدثنا محمد بن أبى عبد الله الكوفى، عن محمد بن إسماعيل البرمكى، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالح، عن الحسين بن سعيد، عن إبراهيم بن محمد الخزاز، ومحمد بن الحسين، قالا: دخلنا على أبى الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له ما روى أن محمداً صلى الله عليه وآله رأى ربه فى هيئة الشاب الموفق فى سن أبناء ثلاثين سنة، رجلاه فى خضرة، وقلت: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمى يقولون: إنه أجوف إلى السرة والباقى صمد، فخر ساجداً

ثم قـال: سبحانک مـا عرفوک ولاـ وحـدوک، فمن أجل ذلک وصـفوک، سبحانک لو عرفوک لوصـفوک بما وصـفت به نفسک، سبحانک کیف طاوعتهم أنفسهم أن شبهوک بغیرک. إلهی لا أصـفک إلا بما وصـفت به نفسک، ولا أشبهک بخلقک، أنت أهل لکل خیر، فلا تجعلنی من القوم الظالمین.

ثم التفت إلینا فقال: ما توهمتم من شئ فتوهموا الله غیره، ثم قال: نحن آل محمـد النمط الأوسط، الـذی لا یـدرکنا الغالی ولا یسـبقنا التالی. یا محمد إن رسول الله صلی الله علیه وآله حین نظر إلی عظمة ربه کان فی هیئة الشاب الموفق وسن أبناء ثلاثین سنة..

یا محمد عظم ربی وجل أن یکون فی صفة المخلوقین.

قال قلت: جعلت فداک من کانت رجلاه فی خضرة؟ قال: ذاک محمد صلی الله علیه وآله کان إذا نظر إلی ربه بقلبه جعله فی نور مثل نور الحجب حتی یستبین له ما فی الحجب! إن نور الله منه اخضرَّ ما اخضر، ومنه احمرَّ ما احمر، ومنه أبیضَّ ما أبیض، ومنه غیر ذلک.

یا محمد ما شهد به الکتاب والسنة فنحن القائلون به.

ورواه المجلسی فی بحار الأنوار:۴/۴۱ وقال:

بیـان: قوله علیه السلام: النمـط الوسطی وفی الکـافی الأوسـط قـال الجزری: فی حـدیث علی: خیر هـذه الأمـة النمط الأوسط، النمط: الطریقة من الطرائق والضروب، یقال: لیس هذا من ذلک النمط أی من ذلک الضرب، والنمط: الجماعة من الناس أمرهم واحد. انتهی.

قوله علیه السلام: لا یـدرکنا الغالی فی أکثر النسخ بالغین المعجمة، وفی بعضـها بالعین المهملة، وعلی التقدیرین المراد به من یتجاوز الحد فی الأمور، أی لا یدرکنا ولا یلحقنا فی سلوک طریق النجاة من یغلو فینا أوفی کل شئ، والتالی أی التابع لنا لا یصل إلی النجاة إلا بالأخذ عنا، فلا یسبقنا بأن یصل إلی المطلوب لا بالتوصل بنا.

وفی الکـافی: إن نور الله منه أخضـر، ومنه أحمر، ومنه أبیض، ومنه غیر ذلک. وسیأتی فی باب العرش فی خبر أبی الطفیل إن الله خلق العرش من أنوار مختلفة، فمن ذلک النور نور أخضـر اخضـرت منه الخضـرة، ونور أصـفر اصفرت منه الصفرة، ونور أحمر احمرت منه الحمرة، ونور أبیض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار.

ثم اعلم أنه یمکن إبقاء الحجب والأنوار علی ظواهرها بأن یکون المراد بالحجب أجساماً لطیفة مثل العرش والکرسی یسکنها الملائکة الروحـانیون، کما یظهر من بعض الـدعوات والأخبار، أی أفاض علیه شبیه نور الحجب لیمکن له رؤیـة الحجب کنور الشـمس بالنسـبة إلی عالمنا.

ویحتمل التأویل أیضاً بأن یکون المراد بها الوجوه التی یمکن الوصول إلیها فی معرفـة ذاته تعالی وصـفاته إذ لا سبیل لاحد إلی الکنه، وهی تختلف باختلاف درجات العارفین قرباً وبعداً، فالمراد بنور الحجب قابلیة تلک المعارف وتسمیتها بالحجب، إما لأنها وسائط بین العـارف والرب تعـالی کالحجـاب، أو لأنهـا موانع عن أن یسـند إلیه تعالی ما لا یلیق به، أو لأنها لما لم تکن موصـلة إلی الکنه فکأنها حجب، إذ الناظر خلف الحجاب لا تتبین له حقیقة الشئ کما هی.

وقیل: إن المراد بها العقول فإنها حجب نور الأنوار، ووسائط النفوس الکاملة، والنفس إذا استکملت ناسبت نوریتها نوریة تلک الأنوار، فاسـتحقت الإتصـال بهـا والاسـتفادة منهـا، فـالمراد بجعله فی نور الحجب جعله فی نور العلم والکمـال مثل نور الحجب، حتی ینـاسـب جوهر ذاته جوهر ذاتهم فیستبین له ما فی ذواتهم، ولا یخفی فساده علی أصولنا بوجوه شتی.

وأما تأویل ألوان الأنوار فقد قیل فیه وجوه:

الأول: أنها کنایـة عن تفاوت مراتب تلک الأنوار بحسب القرب والبعد من نور الأنوار، فالابیض هو الاقرب، والاخضـر هو الابعد، کأنه ممزوج بضـرب من الظلمة، والأحمر هو المتوسط بینهما، ثم ما بین کل اثنین ألوان أخری کألوان الصـبح والشـفق المختلفة فی الالوان لقربها وبعدها من نور الشمس.

الثانی: أنها کنایـة عن صـفاته المقدسـة، فالاخضـر قدرته علی إیجاد الممکنات وإفاضة الأرواح التی هی عیون الحیاة ومنابع الخضـرة،

والأحمر غضبه وقهره على الجميع بالإعدام والتعذيب، والأبيض رحمته ولطفه على عباده كما قال تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ.

الثالث: ما استفدته من الوالد العلامة قدس الله روحه وذكر أنه مما أفيض عليه من أنوار الكشف واليقين، وبيانه يتوقف على تمهيد مقدمة وهی: أن لكل شئ مثالاً ـ فی عالم الرؤيا والمكاشفة، وتظهر تلك الصور والأمثال على النفوس مختلفة باختلاف مراتبها فی النقص والكمال، فبعضها أقرب إلى ذی الصورة، وبعضها أبعد، وشأن المعبر أن ينتقل منها إلى ذواتها، فإذا عرفت هذا فالنور الأصفر عبارة عن العبادة ونورها كما هو المجرب فی الرؤيا، فإنه كثيراً ما يرى الرائی الصفرة فی المنام فيتيسر له بعد ذلك عبادة يفرح بها، وكما هو المعاين فی جباه المتهجدين، وقد ورد فی الخبر فی شأنهم أنه ألبسهم الله من نوره لما خلوا به. والنور الابيض العلم لأنه منشأ للظهور، وقد جرب فی المنام أيضاً. والنور الاحمر المحبة كما هو المشاهد فی وجوه المحبين عند طغيان المحبة، وقد جرب فی الاحلام أيضاً. والنور الأخضر المعرفة، كما تشهد به الرؤيا ويناسبه هذا الخبر، لأنه عليه السلام فی مقام غاية العرفان كانت رجلاه فی خضرة.

ولعلهم عليهم السلام إنما عبروا عن تلك المعانی على تقدير كونها مرادة بهذه التعبيرات، لقصور أفهامنا عن محض الحقيقة كما تعرض على النفوس الناقصة فی الرؤيا هذه الصور، ولانا فی منام طويل من الغفلة عن الحقائق، كما قال عليه السلام: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا.

وهذه التأويلات غاية ما تصل إليه أفهامنا القاصرة، والله أعلم بمراد حججه وأوليائه عليهم السلام. انتهی.

ملاحظة:

إذا شرح لنا عالم الفيزياء مثلًا بعض قوانين الضوء وتحدث عن تغير تركيب الاجسام وطاقاتها إذا تحركت بسرعة الضوء أو بأسرع منه، فإننا نتعجب لذلك ونحترم آراءه..

أما النبی والإمام المعصوم فإن حديثهما أولى بالإحترام والثقة من عالم الفيزياء، ومن كل علماء الأرض، لأنهما يتحدثان عن الفيزياء كما أخبرهما عنها خالقها تبارك وتعالى. فحديث الإمام الرضا عليه السلام عن المعراج وعن أصل الأنوار والألوان إنما هو عن جده المصطفى سيد البشر صلى الله عليه وآله الذی أوحى إليه الله تعالى وعرج به مرات متعددة كما فی الأحاديث الشريفة، فأراه ملكوت السماوات والأرض.وأحاديث المعراج فيها أحاديث صحيحة ومهمة، وهی تحتاج إلى دراسة من علماء الطبيعة، لعلهم يكتشفون منها حقائق جديدة عن الكون والطبيعة.

ولا نعنی بذلك رفض التفسيرات العقلية والاشراقية كالتی أوردها المجلسی رحمه الله، ولكنها تبقى تفسيراً لجانب، أو احتمالات.. ونعم ما ختم به المحدث المجلسی رحمه الله كلامه فقال (وهذه التأويلات غاية ما تصل إليه أفهامنا القاصرة، والله أعلم بمراد حججه وأوليائه عليهم السلام.

الامام الرضا يعلم بنی العباس التوحيد

توحيد الصدوق/۳۴:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (رض) قال: حدثنا محمد بن عمر والكاتب، عن محمد بن زياد القلزمی، عن محمد بن أبی زياد الجدی صاحب الصلاة بجدة قال: حدثنی محمد بن يحيی بن عمر بن علی بن أبی طالب عليه السلام قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلم بهذا الكلام عند المأمون فی التوحيد، قال ابن أبی زياد: ورواه لی أيضاً أحمد بن عبدالله العلوی مولى لهم وخالاً لبعضهم، عن القاسم بن أيوب العلوی، أن المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام على هذا الأمر جمع بنی هاشم فقال: إنی أريد أن أستعمل الرضا على هذا الأمر من بعدی، فحسده بنو هاشم وقالوا: أتولی رجلًا جاهلًا ليس له بصر بتدبير الخلافة، فابعث

إليه رجلاً يأتنا فترى من جهله ما يستدل به عليه، فبعث إليه فأتاه فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن إصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه، فصعد عليه السلام المنبر، فقعد ملياً لا يتكلم مطرقاً، ثم انتفض انتفاضة واستوى قائماً، وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه وأهل بيته. ثم قال:

أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيد الله نفى الصفات عنه، لشهادة العقول أن كل موصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالإمتناع من الأزل الممتنع من الحدث، فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته، ولا إياه وحد من اكتنهه، ولا حقيقة أصاب من مثله، ولا به صدق من نهاه، ولا صمد صمده من أشار إليه، ولا إياه عنى من شبهه، ولا له تذلل من بعضه، ولا إياه أراد من توهمه.

كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم فى سواه معلول، بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول تعتقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجته. خلق الله حجاباً بينه وبينهم، ومباينته إياهم مفارقته إنيتهم، وابتداؤه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له، لعجز كل مبتدأ عن ابتداء غيره، وأَدْوه إياهم دليل على أن لا أداة فيه، لشهادة الادوات بفاقة المتأدين، وأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغبوره تحديد لما سواه.

فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعداه من اشتمله، وقد أخطأه من اكتنهه، ومن قال كيف فقد شبهه، ومن قال لم فقد علله، ومن قال متى فقد وقته، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال إلى م فقد نهاه، ومن قال حتى م فقد غياه، ومن غياه فقد غاياه، ومن غاياه فقد جزأه، ومن جزأه فقد وصفه، ومن وصفه فقد ألحد فيه، لا يتغير الله بانغيار المخلوق، كما لا يتحدد بتحديد المحدود، أحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مبائن لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسم، موجود لا بعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدر لا بجول فكرة، مدبر لا بحركة، مريد لا بهمامة، شاء لا بهمة، مدرك لا بمجسة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة.

لا تصحبه الأوقات، ولا تضمنه الأماكن، ولا تأخذه السنات، ولا تحده الصفات، ولا تقيده الأدوات.

سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله.

بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والجلاية بالبهم، والجسو بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقها، وبتأليفها على مؤلفها، ذلك قوله عز وجل: ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون، ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، دالة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبرة بتوقيتها أن لا ـ وقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا ـ حجاب بينه وبينها غيرها، له معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولا معلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع.

ليس منذ خلق استحق معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية، كيف ولا تغيبه مذ، ولا تدنيه قد، ولا تحجبه لعل، ولا توقته متى، ولا تشمله حين، ولا تقارنه مع، إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الالة إلى نظائرها، وفى الأشياء يوجد فعالها، منعتها منذ القدمة، وحمتها قد الأزلية، وجبتها لولا التكملة، افترقت فدلت على مفرقها، وتباينت فأعربت من مباينها، لما تجلى صانعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الاوهام، وفيها أثبت غيره، ومنها أنيط الدليل، وبها عرفها الإقرار.

وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به، ولا ديانة إلا بعد المعرفة، ولا معرفة إلا بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا ـ نفى مع إثبات الصفات للتشبيه، فكل ما فى الخلق لا يوجد فى خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع من صانعه، لا تجرى عليه الحركة والسكون، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه، أو يعود إليه ما هو ابتداه، إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولما كان للبارئ معنى غير المبروء.

ولو حد له وراء إذاً حد له أمام، ولو التمس له التمام إذاً لزمه النقصان، كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث، وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الانشاء، إذاً لقامت فيه آية المصنوع، ولتحول دليلاً بعدما كان مدلولاً عليه.

ليس في محال القول حجة، ولا ـ في المسألة عنه جواب، ولا ـ في معناه له تعظيم، ولا في إبانته عن الخلق ضيم، إلا بامتناع الأزلي أن يثنى، وما لا بدأ له أن يبدى، لا إله إلا الله العلي العظيم، كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً، وخسروا خسراناً مبينا. وصلى الله على محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين.

نماذج من كلمات علماء مذهب أهل البيت

الإعتقادات/۳ ۹ للصدوق المتوفى سنة ۳۸۱:

إعلم أن اعتقادنا في التوحيد: أن الله تعالى واحد أحد ليس كمثله شئ، قديم لم يزل ولا يزال، سميعاً بصيراً عليماً حكمياً حياً قيوماً عزيزاً قدوساً عالماً قادراً غنياً، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض ولا خط ولا سطح ولا ثقل ولا خفة ولا سكون ولا حركة ولا مكان ولا زمان، وأنه تعالى متعال من جميع صفات خلقه، خارج عن الحدين حد الإبطال وحد التشبيه. وأنه تعالى شئ لا كالأشياء، صمد، لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك ولم يكن له كفواً أحد، ولا نِدَّ له ولا ضد ولا شبه، ولا صاحبة ولا مثل ولا نظير ولا شريك له، لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار ولا الأوهام وهو يدركها، لا تأخذه سنة ولا نوم وهو اللطيف الخبير، خالق كل شئ، لا إله إلا هو، له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين.

ومن قال بالتشبيه فهو مشرك، ومن نسب إلى الإمامية غير ما وصف في التوحيد فهو كاذب، وكل خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد فهو موضوع مخترع، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو باطل، وإن وجد في كتب علمائنا فهو مدلس.

والأخبار التي يتوهمها الجهال تشبيهاً لله تعالى بخلقه فمعانيها محمولة على ما في القرآن من نظائرها، لأن ما في القرآن: كل شئ هالك إلا وجهه، ومعنى الوجه الدين، والوجه الذي يؤتى الله منه ويتوجه به إليه.

وفي القرآن: يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود وهم سالمون، والساق وجه الأمر وشدته.

وفي القرآن: أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله، والجنب الطاعة.

وفي القرآن: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي، وهو روح مخلوقة جعل الله منها في آدم وعيسى، وإنما قال روحي كما قال: نبيي وعبدي وجنتي أي: مخلوقي، وناري وسمائي وأرضي. وفي القرآن: بل يداه مبسوطتان، يعني نعمة الدنيا ونعمة الآخرة.

وفي القرآن: والسماء بنيناها بأيد، والأيد القوة، ومنه قوله تعالى: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ، يعني ذا القوة.

وفي القرآن: يا إبليس ما منعك أن تسجد لماخلقت بيدي، يعني بقدرتي وقوتي.

وفي القرآن: وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يعني ملكه ولايملكها معه أحد.

وفي القرآن: والسماوات مطويات بيمينه، يعني بقدرته.

وفي القرآن: وَجَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، يعني وجاء أمر ربك.

وفي القرآن: كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، يعني عن ثواب ربهم.

وفي القرآن: هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَنْ يَاتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلائِكَةُ، أي عذاب الله.

وفي القرآن: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، يعني مشرقة تنظر ثواب ربها.

وفي القرآن: وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى، وغضب الله عقابه، ورضاه ثوابه.

وفي القرآن: تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ، أي تعلم غيبي ولا أعلم غيبك.

وفي القرآن، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، يعني إنتقامه.

وفی القرآن: إِنَّ اللهَ وَ مَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ.

وفيه: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ، والصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار وتذكية ومن الناس دعاء.

وفی القرآن: وَمَكَرُوا وَ مَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ.

وفی القرآن: يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ.

وفيه: اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ.

وفی القرآن: سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ.

وفيه: نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ.

ومعنى ذلک کله أنه عز وجل يجازيهم جزاء المكر وجزاء المخادعة وجزاء الإستهزاء وجزاء النسيان وهو أن ينسيهم أنفسهم كما قال عز وجل: وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ، لأنه عز وجل فی الحقيقة لا يمكر ولا يخادع ولا يستهزی ولا يسخر ولا ينسى، تعالى الله عن ذلک علواً کبیراً.

ولیس يرد فی الأخبار التی يشنع بها أهل الخلاف والإلحاد إلا بمثل هذه الألفاظ ومعانيها معانی ألفاظ القرآن.

الکافی/۳۸، لأبی الصلاح الحلبی المتوفی سنة ۴۴۷:

... وثبوت كونه تعالى قديماً مقتض لكونه سبحانه غنياً تستحيل عليه الحاجة،(لأن) الحاجة لا تكون إلا لاجتلاب نفع أو دفع ضرر، من حيث علمنا استحالة الحاجة على من يستحيل عليه الضرر والنفع كالموات والجماد. والنفع والضرر لا يجوزان إلا على من يلذ ويألم، لأن الحی إنما ينتفع بما يلذ به أو يسر له، ويستضر بما يألم به أو يغتم لأجله، واللذة والألم لا يجوزان إلا على ذی شهوة ونفور، إذ معنى ملتذ أنه أدرک ما يشتهيه، ومعنى متألم أنه أدرک ما ينفر عنه، ومعنى مسرور أنه اعتقد أو ظن وصول نفع إليه أو إلى من يجری مجراه واندفاع ضرر، ومعنى مغتم أنه اعتقد أو ظن وصول ضرر اليه أو إلى من يجری مجراه أو فوت نفع، فعاد معنى السرور والغم إلى النفع والضرر.

إذا تقرر هذا وكانت الشهوة والنفار معانی تفتقر إلى محل استحال تخصيصها. وكونه تعالى لا يشبه شيئاً يحيل إدراكه سبحانه بشئ من الحواس، لاختصاص الإدراک المعقول بالجواهر وأجناس من الأعراض، وليس هو من الجنسين، فاستحال إدراكه تعالى.

ولأنه لو كان مما يصح أن يدرک بشئ من الحواس لوجب أن ندركه الآن، لأنا على الصفة التی معها يجب أن يدرک كلما يصح إدراكه بشرط ارتفاع الموانع، وهو سبحانه موجود والموانع مستحيلة عليه، لأنها اللطافة والرقة وتفاوت البعد والقرب والحجاب والكون فی غير جهة المقابلة، وذلک أجمع من صفات المتحيزات، وقد دللنا على كونه سبحانه بخلافها، فلو كان مما يصح أن يدرک لأدركناه الان، ولو أدركناه لعلمناه ضرورة، من حيث كان العلم بالمدرک من كمال العقل، وفی عدم العلم به سبحانه ضرورة دليل على عدم إدراكه...

وثبوت كونه تعالى لا يشبه شيئاً يحيل عليه التنقل والإختصاص بالحياة والمجاورة، لأن ذلک من أحكام المتحيزات وليس بمتحيز. ويحيل عليه سبحانه الحلول وإيجاب الاحوال والأحكام، لأن ذلک من خواص الاعراض، فتسقط لذلک مذاهب الثنوية والمجوس والصابئين وعباد الأصنام والمنجمين والنصارى والغلاة، لاثبات هؤلاء أجمع إلهية الاجسام، أو كونها مؤثرة ما يستحيل من الجسم تأثيره، على ما سلف بيانه.

کشف المراد للعلامة الحلی ص ۳۲۰: المتوفی سنة ۷۲۶:

المسألة العشرون: فی أنه تعالى ليس بمرئی.

أقول: وجوب الوجود يقتضی نفی الرؤية أيضاً. واعلم أن أكثر العقلاء ذهبوا إلى امتناع رؤيته تعالى، والمجسمة جوزوا رؤيته لاعتقادهم أنه تعالى جسم ولو اعتقدوا تجرده لم يجوزوا رؤيته عندهم. والأشاعرة خالفوا العقلاء كافة هنا وزعموا أنه تعالى مع تجرده

يصح رؤيته.

والدليل على امتناع الرؤية أن وجوب الوجود يقتضي تجرده ونفى الجهة والحيز عنه، فتنتفى الرؤية عنه بالضرورة، لأن كل مرئى فهو فى جهة يشار إليه بأنه هناك أو هنا، ويكون مقابلاً أو فى حكم المقابل، ولما انتفى هذا المعنى عنه تعالى انتفت الرؤية... أقول: لما استدل على نفى الرؤية شرع فى الجواب عن الاحتجاج، والأشاعرة قد احتجوا بوجوه أجاب المصنف رحمه الله عنها.

الأول، إن موسى عليه السلام سئل الرؤية ولو كانت ممتنعة لم يصح عنه السؤال.

والجواب: أن السؤال كان من موسى عليه السلام لقومه ليبين لهم امتناع الرؤية لقوله تعالى: لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ، وقوله: أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا....

الوجه الثانى لهم، أنه تعالى حكى عن أهل الجنة النظر اليه فقال: إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، والنظر المقرون بحرف إلى يفيد الرؤية، لأنه حقيقة فى تقليب الحدقة نحو المطلوب التماساً للرؤية، وهذا متعذر فى حقه تعالى لإنتفاء الجهة، عنه فيتعين أن يكون المراد منه المجاز، وهى الرؤية التى هى معلولة النظر الحقيقى، واستعمال لفظ السبب فى المسبب من أحسن وجوه المجاز.

والجواب: المنع من إرادة هذا المجاز، فإن النظر وإن اقترن به حرف إلى لا يفيد الرؤية، ولهذا يقال نظرت إلى الهلال فلم أره، وإذا لم يتعين هذا المعنى للإرادة أمكن حمل الآية على غيره، وهو أن يقال إن إلى واحد إلاء ويكون معنى ناظرة أى منتظرة، أو نقول إن المضاف هنا محذوف وتقديره إلى ثواب ربها ناظرة.

لا يقال: الإنتظار سبب الغم والآية سيقت لبيان النعم.

لانا نقول: سياق الآية يدل على تقدم حال أهل الثواب والعقاب على استقرارهم فى الجنة والنار بقوله: وجوه يومئذ ناظرة، بدليل قوله تعالى: وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ، فإن فى حال استقرار أهل النار فى النار قد فعل بها فاقرة فلا يبقى للظن معنى. وإذا كان كذلك فانتظار النعمة بعد البشارة بها لا يكون سبباً للغم بل سبباً للفرح والسرور ونضارة الوجه كمن يعلم وصول نفع إليه يقيناً فى وقت، فإنه يسر بذلك وإن لم يحضر الوقت، كما أن انتظار العقاب بعد الانذار بوروده يوجب الغم ويقتضى بسارة الوجه.

قال: وتعليق الرؤية باستقرار المتحرك لا يدل على الإمكان.

أقول: هذا جواب عن الوجه الثالث للاشعرية وتقرير احتجاجهم أن الله سبحانه وتعالى علق الرؤية فى سؤال موسى عليه السلام على استقرار الجبل، والإستقرار ممكن لأن كل جسم فسكونه ممكن، والمعلق على الممكن ممكن.

والجواب: أنه تعالى علق الرؤية على الإستقرار لا مطلقاً بل على استقرار الجبل حال حركته، واستقرار الجبل حال الحركة محال، فلا يدل على إمكان المعلق.

قال: واشتراك المعلولات لا يدل على اشتراك العلل مع منع التعليل والحصر.

أقول: هذا جواب عن شبهة الأشاعرة من طريق العقل استدلوا بها على جواز رؤيته تعالى، وتقريرها أن الجسم والعرض قد اشتركا فى صحة الرؤية، وهذا حكم مشترك يستدعى علة مشتركة، ولا مشترك بينهما إلا الحدوث أو الوجود، والحدوث لا يصلح للعلية لأنه مركب من قيد عدمى فيكون عدمياً، فلم يبق إلا الوجود فكل موجود يصح رؤيته وأنه تعالى موجود.

وهذا الدليل ضعيف جداً لوجوه:

الأول: المنع من رؤية الجسم، بل المرئى هو اللون أو الضوء لا غير.

الثانى، لا نسلم اشتراكهما فى صحة الرؤية، فإن رؤية الجوهر مخالفة لرؤية العرض.

الثالث، لا نسلم أن الصحة ثبوتية بل هى أمر عدمى، لأن جنس صحة الرؤية وهو الامكان عدمى، فلا يفتقر إلى العلة.

الرابع، لا نسلم أن المعلول المشترك يستدعى علة مشتركة، فإنه يجوز اشتراك العلل المختلفة فى المعلولات المتساوية.

الخامس، لا نسلم الحصر فى الحدوث والوجود، وعدم العلم لا يدل على العدم، مع أنا نتبرع قسماً آخر وهو الامكان، وجاز التعليل به

وإن كان عدمياً، لأن صحة الرؤية عدمية.

السادس، لا نسلم أن الحدوث لا يصلح للعلية، وقد بينا أن صحة الرؤية عدمية، على أنا نمنع من كون الحدوث عدمياً، لأنه عبارة عن الوجود المسبوق بالغير لا المسبوق بالعدم.

السابع، لم لا يجوز أن تكون العلة هي الوجود بشرط الامكان أو بشرط الحدوث، والشروط يجوز أن تكون عدمية.

الثامن، المنع من كون الوجود مشتركاً، لأن وجود كل شئ نفس حقيقته، ولو سلم كون الوجود الممكن مشتركاً، لكن وجود الله تعالى مخالف لغيره من الوجودات، لأنه نفس حقيقته، ولا يلزم من كون وجود بعض الماهيات علة لشئ كون ما يخالفه علة لذلك الشئ.

التاسع، المنع من وجود الحكم عند وجود المقتضى، فإنه جاز وجود مانع في حقه تعالى، أما ذاته أو صفة من صفاته، أو نقول الحكم يتوقف على شرط كالمقابلة هنا وهي تمتنع في حقه تعالى، فلا يلزم وجود الحكم فيه.

الرسالة السعدية للعلامة الحلي/٣٩:

والدليل على المذهب الأول: العقل، والنقل.

أما العقل، فإن الضرورة قاضية: بأن كل مرئي، فإنه لابد وأن يكون مقابلاً للرائي، أو في حكم المقابل كالمرئي في المرايا. وكل مقابل أو في حكمه فهو في جهة، والله تعالى ليس في جهة فلا يكون مرئياً.

ولانه لو كان مرئياً لرأيناه الان، لوجود العلة المقتضية للرؤية وهي حصول الشرايط وانتفاء الموانع وسلامة الحاسة.

وأما النقل، فقوله تعالى: لَنْ تَرَانِي، ولو كانت صحيحة ويراه بعض المؤمنين، لكان موسى عليه السلام أولى بالرؤية.

وقوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ، تمدح بنفي الرؤية فيكون ثبوتها نقصاً، والنقص على الله تعالى محال.

ولأن الخصم يسلم أن معرفة الله تعالى ليست حاصلة إلا بصفاته وآثاره دون حقيقته، فكيف تصح رؤيته والاحاطة بكنه حقيقته، تعالى الله عن ذلك.

من أين نشأت المشكلة عند إخواننا السنة

ميل العوام إلى التشبيه والتجسيم

للذهن البشري حالة ابتدائية طفولية يتصور فيها كثيراً من الأمور تصوراً خاطئاً، حتى إذا تعمق في الفكر والتجربة.. تصححت نظرته! ولعل أكثر الناس يتصورون الله تعالى في طفولتهم بصور من محيطهم، فيتخيله أحدهم كأبيه مثلاً، أو كإنسان صاحب صفات حسنة... وهذا أمر طبيعي، بل قد يكون فطرياً، فقد ورد أن النملة تتصور أن لربها قرنين كقرنيها (نحوه في بحار الأنوار:٦٩/٢٩٣)ولكن هذه الحالة الطفولية إذا استمرت مع الإنسان ولم تتطور، فإنها تتحول إلى حالة عامية مستعصية، ولذا ترى أصحابها يميلون إلى الإعتقاد بأن الله تعالى جسم، ويروون عنه القصص والخيالات!

وقد كانت هذه (العامية) سائدة في مجتمع اليهود الذي انحرف عن رسالات أنبيائه، وكذا في مجتمع العرب الوثني، وصارت أرضية لتقبل نظريات الرؤية والتشبيه والتجسيم من اليهود، وترويجها بعد النبي صلى الله عليه وآله والتنظير لها! حتى أن بعض الحنابلة والأشعريين كابن عقيل والذهبي ادعيا أن الإسلام دين عوامي يتبنى منهج العوامية!

قال الذهبي في سيره:١٩/٤٤٨: قال ابن عقيل في الفنون: الأصلح لإعتقاد العوام ظواهر الاى، لأنهم يأنسون بالإثبات، فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت الحشمة. قال: فتهافتهم في التشبيه أحب إلينا من إغراقهم في التنزيه، لأن التشبيه يغمسهم في الاثبات فيخافون ويرجون، والتنزيه يرمي بهم إلى النفي، فلا طمع ولا مخافة في النفي. ومن تدبر الشريعة رآها غامسة للمكلفين في التشبيه بالالفاظ الظاهرة التي لا يعطي ظاهرها سواه كقول الاعرابي: أو يضحك ربنا؟ قال النبي (ص): نعم، فلم يكفهر لقوله وتركه وما وقع له! انتهى.

وقد تبنى الذهبى هذا الإتجاه الخطير وأشاد بأهله! وبلغ به الأمر أنه نقل كلام أبى حاتم بن خاموش الذى كفر فيه كل المسلمين ما عدا الحنابلة ولم يعلق عليه، قال فى سيره:۱۸/۵۰۷:

قال ابن طاهر: وسمعت أبا إسماعيل يقول: قصدت أبا الحسن الخرقانى الصوفى، ثم عزمت على الرجوع، فوقع فى نفسى أن أقصد أبا حاتم بن خاموش الحافظ بالرى وألتقيه، وكان مقدم أهل السنة بالرى، وذلك أن السلطان محمود بن سبكتكين لما دخل الرى، وقتل بها الباطنية منع الكل من الوعظ غير أبى حاتم، وكان من دخل الرى يعرض عليه اعتقاده فإن رضيه أذن له فى الكلام على الناس وإلا فمنعه، قال: فلما قربت من الرى كان معى رجل فى الطريق من أهلها فسألنى عن مذهبى فقلت: حنبلى، فقال: مذهب ما سمعت به وهذه بدعة وأخذ بثوبى، وقال: لا أفارقك إلى الشيخ أبى حاتم، فقلت خيرة، فذهب بى إلى داره، وكان له ذلك اليوم مجلس عظيم، فقال: هذا سألته عن مذهبه، فذكر مذهباً لم أسمع به قط. قال: وما قال؟ فقال قال: أنا حنبلى. فقال: دعه، فكل من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم. فقلت فى نفسى: الرجل كما وصف لى، ولزمته أياماً وانصرفت. انتهى.

وقال الناشر عما وجده فى المخطوطة: (فى حاشية الأصل بخط مغاير ما نصه: أخطأ هذا القائل قطعاً والمقول له فى تصويبه ذلك وكذلك المادح له، بل لو قيل: إن قائل هذه المقالة يكفر بها لم يبعد، لأنه نفى الإسلام عن عالم عظيم من هذه الأمة ليسوا بحنابلة، بل هم الجمهور الاعظم، ولقد بالغ المصنف فى هذا الكتاب فى تعظيم رؤوس التجسيم، وسياق مناقبهم، والتغافل عن بدعهم، بل يعدها سنة. ويهضم جانب أهل التنزيه، ويعرض بهم أو يصرح، ويتغافل عن محاسنهم العظيمة وآثارهم فى الدين، كما فعل فى ترجمة إمام الحرمين والغزالى، والله حسيبه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم). انتهى.

وقد كان العوام الرعاع فى كل جيل يتعصبون للقول بالتشبيه ولمن يقول به، ويؤيدونه ضد خصومه بأساليب خشنة عدوانية! فقد روى ابن بطوطة فى رحلته:۱/۹۰ إحدى مشاهداته فقال: (وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقى الدين بن تيمية كبير الشام، يتكلم فى الفنون إلا أن فى عقله شيئاً.. وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا، ونزل ربعة من ربع المنبر، فعارضه فقيه مالكى يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالايدى والنعال ضرباً كثيراً، حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير) انتهى.

وبقى هذا السلوك العوامى لاصحاب الرؤية والتجسيم، إرثاً موروثاً من قرون الإسلام الأولى! بل زاد عليه الأشعريون والمجسمة والدولة فى ابتكار أساليب القمع والإرهاب للذين يخالفونهم، كما عرفت فى موقفهم من التأويل والمتأولة، وكما فعلوا مع الطبرى المؤرخ لأنه لم يوافقهم على أن الله تعالى يجلس على عرشه، فيفضل منه أربع أصابع ليجلس عليها الأنبياء إلى جنبه! قال الحموى فى معجم الأدباء:۹ جزء ۱۸/۵۷ فى ترجمة الطبرى: (فلما قدم إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله الجصاص وجعفر بن عرفة والبياضى. وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل فى الجامع يوم الجمعة وعن حديث الجلوس على العرش. فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافه. فقالوا له: فقد ذكره العلماء فى الإختلاف، فقال: ما رأيته روى عنه، ولا رأيت له أصحاباً يعول عليهم. وأما حديث الجلوس على العرش فمحال ثم أنشد:

سبحان من ليس له أنيس ولا له فى عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم، وقيل كانت ألوفاً فقام أبوجعفر بنفسه ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم... إلى آخر القصة التى سنذكرها فى مكانة المجسمين فى مصادر إخواننا....

وقال ابن قيم الجوزية فى بدائع الفوائد:۴/۳۹:

قال القاضى: صنف المروزى كتاباً فى فضيلة النبى(ص)وذكر فيه إقعاده على العرش وهو قول أبى داود وأحمد بن أصرم.... وعبد الله بن الإمام أحمد... إلخ. ثم قال ابن القيم: قلت: وهو قول ابن جرير الطبرى وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير. انتهى.

ولم يذكر ابن القيم عمن أخذه مجاهد، ولا ذكر إهانة الحنابلة للطبرى وإجبارهم إياه على القول بذلك!

وقال ابن خلدون فی تاریخه:۴/۴۷۷:

کانت مدینة بغداد قد احتفلت فی کثرة العمران بما لم تنته إلیه مدینة فی العالم منذ مبدأ الخلیقة فیما علمناه، واضطربت آخر الدولة العباسیة بالفتن وکثر فیها المفسدون والدعار والعیارون من الرها، وأعیا علی الحکام أمرهم، وربما أرکبوا العساکر لقتالهم ویثخنون فیهم، فلم یحسم ذلک من عللهم شیئاً، وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب ومن أهل السنة والشیعة من الخلاف فی الإمامة ومذاهبها، وبین الحنابلة والشافعیة وغیرهم من تصریح الحنابلة بالتشبیه فی الذات والصفات ونسبتهم ذلک إلی الإمام أحمد وحاشاه منه، فیقع الجدال والنکیر ثم یفضی إلی الفتنة بین العوام، وتکرر ذلک منذ حُجِرَ الخلفاء، ولم یقدر بنو بویه ولا السلجوقیة علی حسم ذلک منها، لسکنی أولئک بفارس وهؤلاء بأصبهان وبُعْدِهِم عن بغداد، والشوکة التی تکون بها حسم العلل لاتفاقهم، وإنما تکون ببغداد شحنة (حامیة عسکریة) تحسم ما خف من العلل ما لم ینته إلی عموم الفتنة.

... لم یحصل من ملوکهم اهتمام لحسم ذلک لإشتغالهم بما هو أعظم منه فی الدولة والنواحی، وعامة بغداد أهون علیهم من أن یصرفوا همتهم عن العظائم إلیهم، فاستمرت هذه العلة ببغداد ولم تقلع عنها، إلی أن اختلفت جدتها وتلاشی عمرانها، وبقی طراز فی ردائها لم تذهبه الأیام!!

وقال ابن کثیر فی البدایة والنهایة:۱۲/۱۴۳:

ثم دخلت سنة سبعین وأربعمائة قال ابن الجوزی... وفی شوال منها وقعت فتنة بین الحنابلة وبین فقهاء النظامیة، وحمی لکل من الفریقین طائفة من العوام، وقتل بینهم نحو من عشرین قتیلاً، وجرح آخرون ثم سکنت الفتنة.

وقال الصدیق المغربی فی فتح الملک العلی/۹۵:

وقال ابن قتیبة فی اختلاف الحدیث: الحدیث یدخله الفساد من وجوه ثلاثة: الزنادقة واحتیالهم للإسلام بدس الأحادیث المستبشعة والمستحیلة. والقصاص فإنهم یمیلون وجوه العوام إلیهم ویستدرون ما عندهم بالمناکیر وغرائب الأحادیث، ومن شأن العوام ملازمة القصاص ما دام یأتی بالعجائب الخارجة عن نظر العقول.

وقال ابن الجوزی فی الموضوعات: معظم البلاء فی وضع الحدیث إنما یجری من القصاص لأنهم یریدون أحادیث ترقق وتنفق، والصحیح فیها یقل. ویحکی عن أبی عبدالله النهاوندی أنه قال: قلت لغلام خلیل: هذه الأحادیث التی تحدث بها فی الرقاق قال: وضعناها لنقوی بها قلوب العامة، قال: وکان یتزهد ویهجر شهوات الدنیا ویتقوت الباقلاء صرفاً، وغلقت الأسواق ببغداد یوم موته!... وقد نص السلف علی أن القصص بدعة، وأن التزهد والتقشف الخارج عن السنة بدعة أیضاً. انتهی.

لکن ذکرت مصادر إخواننا أن أول من فتح الباب للقصاصین وأعطاهم الشرعیة هو الخلیفة عمر.. قال أحمد فی مسنده:۳/۴۴۹: عن السائب بن یزید: أنه لم یکن یقص علی عهد رسول الله(ص)ولا أبی بکر، وکان أول من قص تمیماً الداری، استأذن عمر بن الخطاب أن یقص علی الناس قائماً فأذن له عمر!

وقال فی کنز العمال:۱۰/۲۸۰: عن ثابت البنانی قال: أول من قص عبید بن عمیر علی عهد عمر بن الخطاب ابن سعد والعسکری فی المواعظ.

الخوف من أن یؤدی التنزیه إلی التعطیل

أفرط بعضهم فی التأکید علی الصفات السلبیة وتنزیه الله تعالی، فسبب ذلک عند الآخرین الخوف من سلب فاعلیته تعالی وتأثیره فی الوجود.

ولکن هؤلاء المتخوفین وقعوا فی الإفراط من الجهة الأخری فی الصفات الثبوتیة، فتصوروا أن فاعلیة الله تعالی وتدبیره للکون یتوقف علی أن یکون وجوداً محدوداً، یتجول فی سماواته وینزل إلی أرضه ویتجسد فی صورة إنسان.. إلخ. ونلاحظ أن هذین الخطین من

الإفراط والتفريط موجودان عند المتكلمين والفلاسفة من الأمم السابقة كما هما فى هذه الأمة!

وقد أخذ الأشاعرة موقع الدفاع عن التحميد ومقاومة التعطيل، وأخذ المعتزلة موقع الدفاع عن التنزيه ومقاومة التشبيه.

ونفس الكلام يرد أيضاً فى أفعال الإنسان، أوالجبر والإختيار، أو القضاء والقدر، فقال الأشاعرة بالجبر للدفاع عن فاعلية الله تعالى فى الوجود.. بينما قال المعتزلة بحرية الإنسان ومسؤوليته عن أعماله للدفاع عن عدل الله تعالى وتنزيهه عن الظلم.

أما أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فكان لهم موقف ثالث يمثل أصالة الدين الإلهى من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله فى تنزيه الله تعالى وتحميده فى آن واحد، فنفوا عنه التشبيه والتجسيم والرؤية، كما نفوا عنه الظلم والإجبار، وأثبتوا فاعليته تعالى وهيمنته الشاملة على الوجود، ومسؤولية الإنسان عن عمله، كما سترى إن شاء الله تعالى.

وقد اشتبه الأمر على بعض الباحثين فتخيلوا أن موقف أهل البيت عليهم السلام حل وسط بين الإتجاهين، بينما هو مذهب ثالث أقدم من مذهبى الأشاعرة والمعتزلة، وهو يختلف عنهما فى أساسه وعدد من تفاصيله، وإن أخذ منه الطرفان بعض الأسس والتفاصيل.

مضاهاة بعض المسلمين لليهود

كان الجدل بين المسلمين واليهود كثيراً فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وفى صدر الإسلام، ومن أبرز مسائله المفاضلة بين نبينا صلى الله عليه وآله وبين النبى موسى عليه السلام.

وقد حاول بعض المسلمين مضاهاة اليهود بمعارضة كل فضيلة يذكرونها لموسى عليه السلام بإثبات فضيلة مقابلها لنبينا صلى الله عليه وآله، وكأن المسألة مغالبة بين نبيين، وكأن أذهان البشر هى التى تزن فضائل الأنبياءوتعطى أحدهم درجة الأفضلية أو المساواة!

وقد عارض هؤلاء فضيلة تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام التى نص عليها القرآن، باختراع حديث رؤية النبى صلى الله عليه وآله لربه، لكى يتم بذلك تقسيم الفضائل بين الأنبياء عليهم السلام، ويكون الترجيح لفضائل نبينا صلى الله عليه وآله، ولكن ادعاء هذه الفضيلة المستحيلة بنص القرآن جاء على حساب تنزيه الله تعالى! وفيما يلى عدد من الأحاديث التى رووها فى ذلك:

روى النسائى فى تفسيره:۲/۳۴۸:

عن ابن عباس: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد (ص).

وقال النووى فى شرح مسلم:۲ جزء ۳/۵:

... والحجج فى هذه المسألة... حديث ابن عباس (رض) أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد (ص)..

وروى الحاكم فى المستدرك:۱/۶۵:

... عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وآله. هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه. وله شاهد صحيح عن ابن عباس فى الرؤية... قال رأى محمد صلى الله عليه وآله ربه. وله شاهد ثالث صحيح الإسناد... عن ابن عباس قال قد رأى محمد صلى الله عليه وآله ربه... وهذه الأخبار التى ذكرتها صحيحة كلها، والله اعلم. انتهى. ورواه الحاكم أيضاً فى:۲/۲۸۲، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه. وروى نحوه فى:۲/۳۱۶ وص ۴۶۹.

وروى الديلمى فى فردوس الأخبار:۱/۲۱۷:

جابر: إن الله أعطى موسى الكلام فأعطانى الرؤية.. وفضلنى بالمقام المحمود والحوض المورود. انتهى. وروى نحوه الدميرى فى حياة الحيوان: ۲/۷۲.

وروى الهيثمى فى مجمع الزوائد:۱/۷۸:

وعن ابن عباس قال: نظر محمد(ص)إلى ربه تبارك وتعالى، قال عكرمة: فقلت لابن عباس نظر محمد إلى ربه! قال نعم، جعل الكلام

لموسى والخلة لإبراهيم والنظر لمحمد(ص). رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حفص بن عمر العدني روى ابن أبي حاتم توثيقه عن أبي عبد الله الطهراني، وقد ضعفه النسائي وغيره.

وروى الذهبي في سيره:۱۴/۴۵ عن عكرمة حديث ابن عباس، وقال الناشر في هامشه: أخرجه ابن خزيمة في التوحيد/۱۹۹ من طريق عبد الوهاب بن الحكم الوراق، حدثنا هاشم بن القاسم، عن قيس بن الربيع، عن عاصم الأحول، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: إن الله.. الخ. وأخرجه أيضاً / ۱۹۷ من طريق محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى قالا: حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس... وهذا رأي لا دليل عليه، وهو مخالف للأدلة الكثيرة الوفيرة في أنه(ص)لم ير ربه في تلك الليلة. وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك. أنظر التفصيل في زاد المعاد:۳/۳۶-۳۷. انتهى.

هذا، ولكن المعروف عن ابن عباس أنه كان ينفي التشبيه والرؤية كما تقدم، فلا يبعد أن يكون الحديث مكذوباً عليه من عكرمة غلامه، فقد كان عكرمة معروفاً بالكذب على ابن عباس في حياته وبعد وفاته، حتى ضربه ابن عباس وولده وحبسوه لهذا السبب في المرحاض، كما هو معروف في كتب الجرح والتعديل.

وكان عكرمة يروي الإسرائيليات عن وهب وكعب وغيرهما من اليهود.

ويؤيد ذلك أن السهيلي روى هذا الحديث في الروض الأنف: ۲/۱۵۶ عن كعب وليس عن ابن عباس. وغرض كعب من هذه الرواية أن يثبت تجسم الله تعالى ورؤيته بالعين، فقد كان ذلك مطلباً مهماً يسعى إليه، وكثرت عنه وعن جماعته نسبة ذلك إلى ابن عباس وبني هاشم! كالذي رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد/۲۲۵ ـ ۲۳۰... عن الشعبي عن عبدالله بن الحرث قال: اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس: إنا بنو هاشم نزعم أو نقول: إن محمداً رأى ربه مرتين، قال فكبر كعب حتى جاوبته الجبال! فقال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى صلى الله عليهما وسلم! انتهى. والمطلع على أحاديث ابن عباس وبني هاشم يعرف ان رأيهم يخالف كعباً وجماعته، ومن أجل هذا رووا تكبير كعب المزعوم!!

العامل الرابع: تأثير ثقافة اليهود

اعتقاد اليهود والنصارى بتشبيه الله تعالى و رؤيته بالعين

بلغ من تحريف اليهود لدينهم أنهم قالوا بتشبيه الله تعالى بخلقه وأنه محدود بشكل مادي، ثم جعلوا له ولداً فقالوا عزير ابن الله، بل قالوا إن كل اليهود أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار.. إلى آخر ما حكى الله تعالى عنهم في القرآن.

وفيما يلي نصوص ننقلها من توراتهم الموجودة المطبوعة باسم العهد القديم والجديد، طبعة مجمع الكنائس الشرقية في بيروت:

جاء في/۴: ۲۷ فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم.

وجاء في/۶: ۸ وسمعا صوت الرب الاله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. ۹ فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. ۱۰ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. ۱۱ فقال من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. ۱۲ فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت.

وجاء في/۲۴: ۱ ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً. ۲ فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً. ۳ فسقط أبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً. ۴ أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا الجمهور من الأمم.

وجاء في/۱۶۹: ۳ وكلم بني إسرائيل قائلاً خذوا تيساً من المعز لذبيحة خطية وعجلاً وخروفاً حوليين صحيحين لمحرقة ۴ وثوراً وكبشاً لذبيحة سلامة للذبح أمام الرب وتقدمة ملتوتة بزيت. لأن الرب اليوم يتراءى لكم. ۵ فأخذوا ما أمر به موسى إلى قدام خيمة الاجتماع

وتقدم کل الجماعة ووقفوا أمام الرب.

وجاء فی/۱۸۳: ۲ وقال الرب لموسی کلم هرون أخاک أن لا ـ یدخل کل وقت إلی القدس داخل الحجاب أمام الغطاء الذی علی التابوت لئلا یموت لأنی فی السحاب أتراءی علی الغطاء.

وجاء فی/۳۳۰: فانطلق موسی ویشوع ووقفا فی خیمة الإجتماع ۱۵ فتراءی الرب فی الخیمة فی عمود سحاب ووقف عمود السحاب علی باب الخیمة. ۱۶ وقال الرب لموسی ها أنت ترقد مع آبائک فیقوم هذا الشعب ویفجر وراء آلهة الأنبیین فی الأرض التی هو داخل إلیها فی ما بینهم، ویترکنی وینکث عهدی الذی قطعته معه.

وجاء فی/۴۰۴: ۲۲ فقال منوح لامرأته نموت موتاً لاننا قد رأینا الله. ۲۳ فقالت له امرأته لو أراد الرب أن یمیتنا لما أخذ من یدنا محرقة وتقدمة، ولما أرانا کل هذه ولما کان فی مثل هذا الوقت أسمعنا مثل هذه.

وجاء فی/۵۴۹: ۲ إن الرب تراءی لسلیمان ثانیة کما تراءی له فی جبعون. ۳ وقال له الرب قد سمعت صلاتک وتضرعک الذی تضرعت به أمامی.

وجاء فی/۴۳۱: ۲۱ وعاد الرب یتراءی فی شیلوه، لأن الرب استعلن لصموئیل فی شیلوه بکلمة الرب. ۴ فأرسل الشعب إلی شیلوه وحملوا من هناک تابوت عهد رب الجنود الجالس علی الکروبیم...

وجاء فی/۴۹۱: ۲ وقام داود وذهب هو وجمیع الشعب الذی معه من بعلة یهوذا لیصعدوا من هناک تابوت الله الذی یدعی علیه بالإسم إسم رب الجنود الجالس علی الکروبیم.

وجاء فی/۵۳۴: ۵ فی جبعون تراءی الرب لسلیمان فی حلم لیلاً، وقال الله إسأل ماذا أعطیک.

وجاء فی/۵۵۴: ۹ فغضب الرب علی سلیمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائیل الذی تراءی له مرتین ۱۰ وأوصاه فی هذا الأمر أن لا یتبع آلهة أخری فلم یحفظ ما أوصی به الرب. ۱۱ فقال الرب لسلیمان من أجل أن ذلک عندک ولم تحفظ عهدی وفرائضی التی أوصیتک بها فإنی أمزق المملکة عنک تمزیقاً وأعطیها لعبدک.

وجاء فی/۵۶۹: ۱۵ فقال إیلیا حی هو رب الجنود الذی أنا واقف أمامه، إنی الیوم أتراءی له.

وجاء فی/۵۷۹: ۱۷ فقال رأیت کل إسرائیل مشتتین علی الجبال کخراف لا راعی لها. فقال الرب لیس لهؤلاء أصحاب فلیرجعوا کل واحد إلی بیته بسلام. ۱۸ فقال ملک إسرائیل لیهوشافاط أما قلت لک إنه لا یتنبأ علی خیراً بل شراً. ۱۹ وقال فاسمع إذاً کلام الرب. قد رأیت الرب جالساً علی کرسیه وکل جند السماء وقوف لدیه عن یمینه وعن یساره. ۲۰ فقال الرب من یغوی أخآب فیصعد ویسقط فی راموت جلعاد. فقال هذا هکذا وقال ذاک هکذا.

وجاء فی/۵۸۶: ۱۴ فقال ألیشع حی هو رب الجنود الذی أنا واقف أمامه إنه لولا أنی رافع وجه یهوشافاط ملک یهوذا لما کنت أنظر إلیک ولا أراک. ۱۵ والآن فأتونی بعواد. ولما ضرب العواد بالعود کانت علیه ید الرب ۱۶ فقال هکذا قال الرب إجعلوا هذا الوادی جباباً جباباً.

وجاء فی/۶۸۳: ۱ وشرع سلیمان فی بناء بیت الرب فی أورشلیم فی جبل المریا حیث تراءی لداود أبیه حیث هیأ داود مکاناً فی بیدر أرنان الیبوسی.

وجاء فی/۶۹۰: ۱۲ وتراءی الرب لسلیمان لیلاً وقال له. قد سمعت صلاتک واخترت هذا المکان لی بیت ذبیحة.

وجاء فی/۸۴۸: ۸ من هو هذا ملک المجد. الرب القدیر الجبار الرب الجبار فی القتال. ۹ إرفعن أیتها الارتاج رؤوسکن وارفعنها أیتها الابواب الدهریات فیدخل ملک المجد. ۱۰ من هو هذا ملک المجد رب الجنود هو ملک المجد.

وجاء فی/۷۹۹: ۱ یا راعی إسرائیل إصغ، یا قائد یوسف کالضأن، یا جالساً علی الکروبیم أشرق. ۲ قدام أفرایم وبنیامین ومنسی أیقظ جبروتک وهلم لخلاصنا.

وجاء فی/۸۴۰: ۴ الرب فی هیکل قدسه، الرب فی السماء کرسیه، عیناه تنظران، أجفانه تمتحن بنی آدم. ۵ الرب یمتحن الصدیق، أما الشریر ومحب الظلم فتبغضه نفسه. ۶ یمطر علی الأشرار فخاخاً ناراً وکبریتا، وریح السموم نصیب کأسهم.

وجاء فی/۹۹۸: ۱ فی سنهٔ وفاهٔ عزیا الملک رأیت السید جالساً علی کرسی عال ومرتفع وأذیاله تملا الهیکل. ۲ السرافیم واقفون فوقه لکل واحد ستهٔ أجنحهٔ. باثنین یغطی وجهه وباثنین یغطی رجلیه وباثنین یطیر. ۳ وهذا نادی ذاک وقال قدوس قدوس رب الجنود مجده ملأ کل الأرض. ۴ فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلاـ البیت دخاناً ۵ فقلت ویل لی إنی هلکت لأنی إنسان نجس الشفتین، وأنا ساکن بین شعب نجس الشفتین، لأن عینی قد رأتا الملک رب الجنود.

وجاء فی/۱۱۸۶: ۸ وکان بینما هم یقتلون وأبقیت أنا أنی خررت علی وجهی وصرخت وقلت: آه یا سید الرب. هل أنت مهلک بقیهٔ إسرائیل کلها بصب رجزک علی أورشلیم ۹ فقال لی: إن إثم بیت إسرائیل ویهوذا عظیم جداً جداً، وقد امتلات الأرض دماء وامتلات المدینهٔ جنفاً. لأنهم یقولون الرب قد ترک الأرض والرب لا یری.

وجاء فی الانجیل/۴۲: ۲۰ فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبکل ما علیه. ۲۱ ومن حلف بالهیکل فقد حلف به وبالساکن فیه. ۲۲ ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس علیه.

وجاء فی/۲۸۰: ۷ فإن الرجل لا ینبغی أن یغطی رأسه لکونه صورهٔ الله ومجده. وأما المرأهٔ فهی مجد الرجل. ۸ لأن الرجل لیس من المرأهٔ بل المرأهٔ من الرجل. ۹ ولان الرجل لم یخلق من أجل المرأهٔ، بل المرأهٔ من أجل الرجل.

وجاء فی/۳۲۱: ۵ فلیکن فیکم هذا الفکر الذی فی المسیح یسوع أیضاً ۶ الذی إذ کان فی صورهٔ الله لم یحسب خلسهٔ أن یکون معادلاً لله ۷ لکنه أخلی نفسه آخذاً صورهٔ عبد صائراً فی شبه الناس.

وجاء فی/۳۲۵: ۱۴ الذی لنا فیه الفداء بدمه غفران الخطایا. ۱۵ الذی هو صورهٔ الله غیر المنظور بکر کل خلیقهٔ.

وجاء فی/۳۶۶: ۲ ناظرین إلی رئیس الإیمان ومکمله یسوع الذی من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصلیب مستهیناً، بالخزی، فجلس فی یمین عرش الله.

وجاء فی/۳۹۹: ۲۱ من یغلب فسأعطیه أن یجلس معی فی عرشی کما غلبت أنا أیضاً وجلست مع أبی فی عرشه. ۲۲ من له أذن فلیسمع ما یقوله الروح للکنائس.

وجاء فی/۳۹۹ ـ ۴۰۰: ۱ بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح فی السماء والصوت الأول الذی سمعته کبوق یتکلم معی قائلاً إصعد إلی هنا فأریک ما لابد أن یصیر بعد هذا. ۲ وللوقت صرت فی الروح وإذا عرش موضوع فی السماء وعلی العرش جالس. ۳ وکان الجالس فی المنظر شبه حجر الیشب والعقیق وقوس قزح حول العرش فی المنظر شبه الزمرد. ۴ وحول العرش أربعهٔ وعشرون عرشاً. ورأیت علی العروش أربعهٔ وعشرین شیخاً جالسین متسربلین بثیاب بیض وعلی رؤوسهم أکالیل من ذهب. ۵ ومن العرش یخرج بروق ورعود وأصوات. وأمام العرش سبعهٔ مصابیح نار متقدهٔ هی سبعهٔ أرواح الله.

وجاء فی/۴۰۰: وشکراً للجالس علی العرش الحی إلی أبد الابدین.

وجاء فی/۴۰۱: ۱۱ ونظرت وسمعت صوت ملائکهٔ کثیرین حول العرش والحیوانات والشیوخ وکان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف... ۱۳ وکل خلیقهٔ مما فی السماء وعلی الأرض وتحت الأرض وما علی البحر کل ما فیها سمعتها قائلهٔ: للجالس علی العرش وللخروف البرکهٔ والکرامهٔ والمجد والسلطان إلی أبد الابدین.

وجاء فی/۴۰۳: ۱۵ من أجل ذلک هم أمام عرش الله ویخدمونه نهاراً ولیلاً فی هیکله، والجالس علی العرش یحل فوقهم.

وجاء فی/۴۱۷: ۴ وخرالأربعهٔ والعشرون شیخاً والأربعهٔ الحیوانات وسجدوا لله الجالس علی العرش.

وجاء فی/۴۱۹: ۵ وقال الجالس علی العرش: ها أنا أصنع کل شئ جدیداً. وقال لی: أکتب فإن هذه الأقوال صادقهٔ وأمینهٔ.

وقال الدکتور أحمد شلبی فی کتابه مقارنهٔ الأدیان:۲/۲۴۳ طبعهٔ مکتبهٔ النهضهٔ المصریهٔ ۱۹۷۳ تحت عنوان (الله عند الیهود):

لم یستطع بنو إسرائیل فی أی فترة من فترات تاریخهم أن یستقروا علی عبادة الله الواحد الذی دعا له الأنبیاء، وکان اتجاههم إلی التجسیم والتعدد والنقیصة واضحاً فی جمیع مراحل تاریخهم، وعلی الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهیم إلا أن البدائیة الدینیة کانت طابعهم، وکثرة أنبیائهم دلیل علی تجدد الشرک فیهم، وبالتالی تجدد الحاجة إلی أنبیاء یجددون الدعوة إلی التوحید، وکانت هذه الدعوات قلیلة الجدوی علی أی حال، فظهروا للتاریخ بدائیین یعبدون الأرواح والاحجار، وأحیاناً مقلدین یعبدون معبودات الأمم المجاورة التی کانت لها حضارة وفکر قلدهما الیهود... ویقول: إن الیهود کانوا فی مطلع ظهورهم علی مسرح التاریخ بدواً رحلاً تسیطر علیهم الأفکار البدائیة کالخوف من الشیاطین، والإعتقاد فی الأرواح وکانوا یعبدون الحجارة والأغنام والأشجار، ویقول: إن الیهود اتخذوا فی بیوتهم أصناماً صغیرة کانوا یعبدونها ویتنقلون بها من مکان إلی مکان [۱] وقد ظل بنو إسرائیل علی هذا الإعتقاد حتی جاء موسی وخرج بهم من مصر.

ولکن بنی إسرائیل کما یقول ول دیورانت [۲] لم یتخلوا قط عن عبادة العجل والکبش والحمل، ولم یستطع موسی أن یمنع قطیعه من عبادة العجل الذهبی. عبادة العجول کانت لا تزال حیة فی ذاکرتهم منذ کانوا فی مصر، وظلوا زمناً طویلاً یتخذون هذا الحیوان القوی آکل العشب رمزاً لإلههم. وتقرر التوراة قصة العجل الذی عمله لهم هارون فعبدوه بعد أن تأخر موسی فی العودة إلیهم، وکیف خلعوا ملابسهم وأخذوا یرقصون عراة أمام هذا الرب، وقد أعدم موسی ثلاثة آلاف منهم عقاباً لهم علی عبادة هذا الوثن [۳] وقد بقیت عبادة العجل تتجدد فی حیاة بنی إسرائیل من حین إلی حین، فقد عمل یربعام بن سلیمان عجلی ذهب لیعبدهما أتباعه حتی لا یحتاجوا إلی الذهاب إلی الهیکل [۴] وقد عبد أهاب ملک إسرائیل الأبقار بعد سلیمان بقرن واحد [۵].

وقال الدکتور شلبی فی:۱/۱۷۴:

وبعد موسی وفی عهد القضاة، تأثر بنو إسرائیل بمعبودات الکنعانیین تأثراً کبیراً، ویوضح أن إله الکنعانیین (بعل) أصبح معبوداً لبنی اسرائیل فی کثیر من قراهم، وفی أحوال کثیرة أصبح للطائفتین معبد واحد به تمثال یهوه وتمثال بعل، بل أصبح یهوه ینادی بعل، وقد ظل ذلک إلی عهد یوشع. [۶].

وقال الدکتور شلبی فی:۱/۱۸۷:

ویوضح الکتاب المقدس أن بنی اسرائیل عبدوا أنواعاً من هذه الإلهة، وقد ندد بها أرمیا فی سفره، ومنه نقتبس بعض النصوص:

اسمعوا کلمة الرب یا بنات یعقوب وکل عشائر بیت إسرائیل، هکذا قال الرب: ماذا وجد فی آباؤکم من جور حتی ابتعدوا عنی وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً [۷].

وحین تقولون لماذا صنع الرب إلهنا کل هذه أقول لکم: کما أنکم ترکتمونی وعبدتم آلهة غریبة فی أرضکم. [۸].

یقول الرب أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون کذباً، وتبخرون للبعل وتسیرون وراء آلهة أخری [۹].

یقول الرب: إن آباءکم قد ترکونی وذهبوا وراء آلهة أخری، وعبدوها وسجدوا لها، وإیای ترکوا وشریعتی لم یحفظوها، وأنتم أسأتم فی عملکم أکثر من آبائکم، وها أنتم ذاهبون کل واحد وراء عناد قلبه الشریر حتی لا تسمعوا لی [۱۰].

وعلی هذا فمع وجود الهیکل فی عهد سلیمان کانت عبادة آلهة الأجانب منتشرة، وینسب العهد القدیم لسلیمان نفسه أنه أقام مذابح للإلهة الخارجیة التی کانت تعبدها زوجاته الأجنبیات، فبنی مذبحاً لعشتروت رجاسة الصیدونیین، ولکموش رجاسة المؤابیین، ولملکوم إلهة بنی عمون [۱۱] وعقب موت سلیمان انقسم ملکه بین ابنیه یربعام ورحبعام، وهذا التغییر فی تاریخ العبرانیین صحبه تغیر فی عقیدتهم، فإسرائیل فی الشمال کانت دولة غنیة حظی سکانها بالاستقرار، وقبلوا عادات الکنعانیین وعبدوا آلهتهم (بعل) أما دولة یهوذا فی الجنوب فکانت دولة فقیرة یشتغل سکانها بالزراعة والرعی وظلوا علی تبعیتهم لإلهم یهوه، إله الفقراء، وإلی هذه الفترة ینسب الأنبیاء وقد صنع یربعام عجلین من ذهب ووضع أحدهما فی بیت إبل وثانیهما فی دان، وبنی عندهما مذابح وقال لشعبه: هذه آلهتکم التی أصعدتکم من مصر، فاذبحوا وعیدوا عندها ولا تصعدوا إلی أورشلیم، فاستجاب له الشعب.

.BERRY: RELIRINS OF THE WERLED PP ٣٢ - ٣٣

إقرأ الصحاح الثالث والعشرين من سفر الملوك الثانى.

وقال الدكتور شلبى فى:١/٢٦٧:

يروى التلمود أن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله: تب لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى. وليست العصمة من صفات الله فى رأى التلمود، لأنه غضب مرة على بنى إسرائيل فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه، لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة.

ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسن له شريعة لم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر فى نفسه، وبين الشريعة المرسومة إليه، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بامرأته، لأن الله هو السبب فى كل ذلك (التلمود شريعة إسرائيل / ١٧ ـ ١٩).

وقال فى/١٩٢ تحت عنوان: اليهود والألوهية عموماً:

على أن مسألة الألوهية كلها، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد، لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى اسرائيل، فقد كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعى فى الحياة من أكثر ما يشغلهم، وإذا تخطينا عدة قرون فإننا نجد الفكر اليهودى الحديث يجعل لليهود رباً جديداً نفعياً كذلك، ذلك هو تربة فلسطين وزهر برتقالها، والذى يقرأ رواية (طوبى للخائفين) للكاتبة اليهودية يائيل ديان ابنة القائد الصهيونى العسكرى موشى ديان، يجد أحد أبطالها (إيفرى) ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة، وأن يحول اهتمامه لالهه الجديد: تراب فلسطين. ونقتبس فيما يلى سطوراً من هذه الرواية:

... الصبى يحب أن يذهب إلى الكنيس مع أمه، ولكنه عندما عاد مرة من المعبد الذى لا يذهب إليه إلا القليلون، ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق قال له: أيام زمان حين كنا يهوداً فى روسيا وغيرها كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا، فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لنتعاون ونتعاطف ونذود عنا الردى، أما الان فقد أصبح لدينا شئ أهم هو الأرض، أنت الان إسرائيلى ولست مجرد يهودى، إنى قد تركت فى روسيا كل شئ، ملابسى ومتاعى وأقاربى وإلهى، وعثرت هنا على رب جديد، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال، ألا تحس بذلك؟... وأخذ إيفرى حفنة من تراب الأرض وسكبها فى كف ابنه، وقال له: إمسك هذا التراب، إقبض عليه، تحسسه، تذوقه، هذا هو ربك الوحيد، إذا أردت أن تصلى للسماء فلا تصل لها لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا، هذا هو المهم، إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد.

وقال ابن حزم فى الفصل فى الملل:١ جزء ١/١٦٠:

قال فى التوراة: إن الله عز وجل قال لبنى إسرائيل: لقد رأيتمونى كلكم من السماء فلا تتخذوا معى آلهة الفضة، ثم قال بعد ذلك ثم صعد موسى وهارون.. ونظروا إلى إله إسرائيل.

وقال فى/١٤١:

ذكر فى هذا المكان (من التوراة) أن يعقوب صارع الله عز وجل.. حتى قالوا إن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب.. وفيه أن يعقوب قال: رأيت الله مواجهة وسلمت عليه.

وقال فى/٢١٨:

وفى بعض كتبهم: إن الله تعالى قال لبنى إسرائيل: من تعرض لكم فقد تعرض حدقة عينى.

وقال فى/٢٢٢:

ونقل فى توراتهم وكتب الأنبياء بأن رجلاً اسمه إسماعيل كان إثر خراب البيت المقدس سمع الله يئن كما تئن الحمامة ويبكى وهو يقول: الويل الويل لمن أخرب بيته... ويلى على ما أخربت من بيتى ويلى على ما فرقت من بنى، وبناتى.

وقال فی/۲۲۱:

وفی کتاب لهم یسمی شعر توما من کتاب التلمود.. ففی الکتاب المذکور أن تکسیر جبهة خالقهم من أعلاها إلی أنفه خمسة آلاف ذراع.

[۱] ۱۷۶.

[۲] قصة الحضارة:۲/۳۳۸.

[۳] خروج ۳۲: ۱۸ ۲۶ والقرآن الکریم یقرر أن السامری هو الذی عمل العجل.

[۴] الملوک الأول ۱۲: ۲۶ ۲۸.

[۵] ول دیورانت:۲/۳۳۹.

[۶] CHARLES FOSTER: HISTERY OF THE HEPREW POPEL P.۹۴.

[۷] أرمیا: ۲: ۴ ۵.

[۸] أرمیا ۵: ۱۹ ۲۰.

[۹] أرمیا ۷: ۹ ۱۰.

[۱۰] أرمیا: ۱۶: ۱۱ ۱۳.

[۱۱] الملوک الثانی۳۳: ۱۲.

محاولة بعض الیهود أن یتبرؤوا من التشبیه والتجسیم

جاء فی هامش المطالب العالیة:جزء ۲/۲۵:

فی التوراة أن الله إله واحد. وفی التوراة أن الله لیس کمثله شئ. ففی الإصحاح السادس من سفر التثنیة: إسمع یا إسرائیل. إن الرب إلهنا رب واحد. فأحبب الرب إلهک بکل قلبک وکل نفسک وکل قدرتک. ولتکن هذه الکلمات التی أنا آمرک بها الیوم فی قلبک، وکررها علی بنیک وکلمهم بها إذا جلست فی بیتک وإذا مشیت فی الطریق وإذا نمت وإذا قمت، واعقدها علامة علی یدک، ولتکن عصائب بین عینیک واکتبها علی عضائد أبواب بیتک وعلی أبوابک. تثنیة ۶:۴. ۹ ترجمة الیسوعیین. وفی الإصحاح الثالث والثلاثین من سفر التثنیة: لا کفء لله. وفی ترجمة البروتستانت: لیس مثل الله. تثنیة ۳۳: ۲۶.

وقال موسی بن میمون فی دلالة الحائرین: إن ما ورد فی التوراة مما یوحی بأن الله شبه إنسان بأعضائه وبصفاته، فذلک مؤول علی معنی: أن الله یقرب ذاته إلی عقول الخلق، حدیثه عن نفسه کأنه واحد منهم. أما هو فلیس مثل إنسان ولیس کمثله شئ، وذلک لیفهم الخلق ذات الله علی نحو قریب من تصوراتهم. وما جاء عن مشبهة الیهود أن الله یبکی علی خراب هیکل سلیمان ویلعب مع الحیتان، فهو قول قال به سفهاء من الیهود لا وزن لهم عند الله ولا عند الناس. انتهی.

والمتأمل فی التوراة یقبل مقولة هذا الباحث الیهودی القدیم بأنها تشتمل علی عبارات فی التوحید شبیهة بالتوحید الخالص الذی یقدمه القرآن، ولکن نصوص التشبیه والتجسیم فیها أکثر من نصوص التوحید. وهذا من الأدلة علی وقوع التحریف فیها، وأن أیدی سفهاء الیهود الذین ذکرهم وصلت إلی نصوص التوراة وملؤوها من تجسیمهم وتشبیههم. وقد وجدنا فی نسخة التوراة المذکورة النصوص التالیة فی التوحید: جاء فی العهد القدیم/۹۸: ۹ فقال موسی لفرعون عین لی متی أصلی لأجلک ولاجل عبیدک وشعبک لقطع الضفادع عنک وعن بیوتک، ولکنها تبقی فی النهر. ۱۰ فقال غداً فقال کقولک لکی تعرف أن لیس مثل الرب إلهنا. ۱۱ فترتفع الضفادع عنک وعن بیوتک وعبیدک وشعبک.

وجاء فی/۱۰۰: ۱۴ لأنی هذه المرة أرسل جمیع ضرباتی إلی قلبک وعلی عبیدک وشعبک، لکی تعرف أن لیس مثلی فی کل

الأرض.

وجاء فی/۴۹۳: ۲۲ لذلک قد عظمت أیها الرب الإله، لأنه لیس مثلک ولیس إله غیرک حسب کل ما سمعناه بآذاننا....

وجاء فی/۵۳۰: ۲۰ یا رب لیس مثلک، ولا إله غیرک، حسب کل ما سمعناه بآذاننا.

وجاء فی:۲/۴۳: ۹ أذکروا الأولیات منذ القدیم، لأنی أنا الله ولیس آخر. الإله ولیس مثلی.

وجاء فی:۲/۸۴: ۶ لا مثل لک یا رب، عظیم أنت، وعظیم اسمک فی الجبروت. ۷ من لا یخافک یاملک الشعوب، لأنه بک یلیق، لأنه فی جمیع حکماء الشعوب وفی کل ممالکهم لیس مثلک.

العهد القدیم والجدید:۱/۲۵۳:

الإصحاح الثانی ۱ یا ابنی إن قبلت کلامی وخبأت وصایای عندک ۲ حتی تمیل أذنک إلی الحکمة وتعطف قلبک علی الفهم ۳ إن دعوت المعرفة ورفعت صوتک إلی الفهم ۴ إن طلبتها کالفضة وبحثت عنها کالکنوز ۵ فحینئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الله. ۶ لأن الرب یعطی حکمة من فمه المعرفة والفهم. ۷ یذخر معونة للمستقیمین. هو مجن السالکین بالکمال. ۸ لنصر مسالک الحق وحفظ طریق أتقیائه. ۹ حینئذ تفهم العدل والحق والإستقامة. کل سبیل صالح ۱۰ إذا دخلت الحکمة قلبک ولذت المعرفة لنفسک.

لکن البابا فی عصرنا یصر علی التجسیم و ینتقد التوحید عند المسلمین

کتاب العبور إلی الرجاء للبابا یوحنا بولس الثانی:

والعبور إلی الرجاء هو التسجیل الکامل لأول وأشمل حوار مع البابا للصحافی الإیطالی الکبیر فیتوری میسوری، لمناسبة ذکری مرور خمس عشرة سنة علی اعتلائه السدة البابویة... کان الأول بین (خلفاء القدیس بطرس) یظهر أمام آلات التصویر والتسجیل لیجیب علی أسئلة ترک اختیارها لمبادرة حرة من قبل صحافی. وبعد ما حصر البث بالمحطة الأولی لیلة الذکری، عرضت تلک المقابلة فی کبریات المحطات العالمیة.

ویروی فیتوری میسوری قصة المقابلة التی تمت بعد ما قدم عشرین سؤالاً خطیاً تشمل مختلف الموضوعات والقضایا الکبری، وتلقی مخطوطة الأجوبة علیها من مکتب البابا فی نهایة شهر نیسان ۱۹۹۴. کما أن البابا وضع عنوان هذا الکتاب بنفسه... من هذا الحوار الوثیقة نقتطف هنا جواب الحبر الأعظم علی سؤالین، یتصل أولهما بالعلاقة مع الدین الإسلامی، فی حین یتصل الثانی بعلاقة المسیحیةبالدین الیهودی، وقد رأینا فیهما أکمل رأی للبابا فی هذا المجال خصوصاً وأنه بقلمه مباشرة:

السؤال الأول: ما الفرق بین إله المسلمین وإله المسیحیین؟

الجواب: لاشک فی أن القاریة مختلفة عندما یتعلق الأمر بالکنیس والمسجد حیث مجتمع الذین یعبدون الإله الواحد. نعم، صحیح ما تقوله، فالأمر یختلف فی ما یتعلق بهاتین الدیانتین التوحیدیتین، بدءً بإسلام. ففی الاعلان المجمعی (فی عصرنا) الانف الذکر، یمکننا أن نقرأ ما یأتی (وتنظر الکنیسة أیضاً بتقدیر إلی المسلمین الذین یعبدون الله الواحد، الحی القیوم، الرحمن القدیر، الذی خلق السماء والأرض) إن المؤمنین بالتوحید هم بنوع خاص الأقرب إلینا. أتذکر حدثاً من أحداث شبابی یوم کنا نزور دیر القدیس مرقس فی فلورنسا، فقد وقفنا مندهشین معجبین أمام جدرانیات فردا انجلیکو.. فی تلک الاثناء انضم إلینا رجل راح یشاطرنا إعجابنا بأعمال ذلک الراهب والفنان العظیم، غیر أنه ما لبث أن أضاف: ولکن ما من شئ هنا یبلغ مدی جمال توحیدنا الإسلامی! لم یمنعنا ذلک التصریح من أن نکمل زیارتنا برفقة ذلک الرجل، وأن نتابع معه نقاشاً ودیاً. لقد تذوقت سلفاً فی تلک المناسبة ما یمکن أن یکون علیه الحوار بین المسیحیة والإسلام. والذی حاولنا أن نطوره منهجیاً منذ المجمع.

من یطالع القرآن، وکان ملماً بالعهدین القدیم والجدید یتبین له جلیاً ما وقع فیه للوحی الإلهی من اختزال. ومن المستجبل ألا یلحظ عدم مقاربة ما قاله الله عن ذاته بلسان الأنبیاء أولاً فی العهد القدیم، ثم وبشکل نهائی بواسطة ابنه فی العهد الجدید. إن الغنی الذی

یتجلی فی کشف الله لذاته والذی یشکل تراث العهدین القدیم والجدید، کل ذلک قد تغاضی عنه الإسلام بالفعل. (!)

إن القرآن یصف الله بأجمل ما عرفه اللسان البشری من الأسماء الحسنی، ولکنه فی النهایة، إله متعال عن العالم، ذو جلال، لا (إلهنا معنا) عمانوئیل.

لیس الإسلام دین فداء فلا مجال فیه للصلب! یذکر عیسی، ولکن لیس إلا بوصفه نبیاً، یمهد لخاتمة جمیع الأنبیاء محمد. کذلک ورد ذکر السیدة مریم البتول، ولکن لا ذکر لمأساة الفداء.

لذلک تختلف نظرة الإسلام عن المسحیة، لا علی الصعید اللاهوتی فحسب، بل أیضاً علی الصعید الانتروبولوجی.

بید أن التدین الإسلامی یستحق کل تقدیر، فلا یمکننا مثلاً إلا نعجب بالأمانة علی الصلاة. إذ أن الذی یسمی الرب (الله) یجثو علی رکبته غیر آبه بالزمان أو بالمکان، مستغرقاً فی الصلاة مرات عدیدة فی النهار. هذه الصورة تبقی نموذجاً لمن یعترفون بالله الحق، وبخاصة لاولئک المسیحیین الذین یهجرون کاتدرائیاتهم الرائعة ویصلون قلیلًا أو لا یصلون مطلقاً...) انتهی.

أقول: السبب فی تهمة البابا للدین الإسلامی بأنه اختزل التصور الذی قدمته کتب الیهود والنصاری عن الله تعالی، وبیت القصید عنده وإشکاله الأساسی علی الإسلام: أن القرآن یقرر أن الله تعالی لیس کمثله شئ، وأنه غیر متجسد فی وجود مادی فی السماء أو الأرض، وبتعبیره (لکنه فی النهایة إله متعال عن العالم، ذو جلال، لا (إلهنا معنا عمانوئیل).

ولکن الظاهر أن البابا لم یقرأ الصحاح الستة لیری أن ما یریده من نزول الله تعالی وصعوده وتجسده موجود فیها، وأن هذا البلاء الذی ابتلی به الیهود والنصاری قد سری إلی إخواننا السنة وصحاحهم!!

کما أنه لو تأمل فی تاریخ المسیحیة لتوصل إلی أن دعوة المسیح علیه السلام کانت دعوة إلی التوحید ولم یکن فیها تجسیم، وأن تجسم الله تعالی فی المسیح إنما هو فکرة(بولسیة) ولیست مسیحیة..

قال الدکتور أحمد شلبی فی کتابه مقارنة بین الأدیان:۲/۲۴۵ تحت عنوان: الله فی التفکیر المسیحی:

عندما نصل إلی الحدیث عن الله فی التفکیر المسیحی نحتاج إلی مزید من الصبر لنری التحول الخطیر الذی أصاب الفکر المسیحی فی هذه القضیة الهامة: تقرر الأناجیل المسیحیة وأعمال الرسل ثلاث قضایا مهمة:

أولاها: أن الله واحد لا شریک له.

والثانیة: أن عیسی رسول الله ولیس أکثر من رسول.

والثالثة: أن عیسی رسول لبنی إسرائیل فقط.

وعن القضیة الأولی نورد النصوص التالیة من هذه الأناجیل:

یروی متی عن عیسی قوله: إن أباکم واحد الذی فی السموات (إصحاح ۲۳ الفقرة ۸)

ویروی مرقص قول عیسی: الرب إلهنا إله واحد ولیس آخر سواء(۱۲: ۳۰ ۳۱).

ویروی یوحنا عن عیسی قوله: إنی أصمد إلی أبی وأبیکم وإلهی وإلهکم (۱۸:۲۰)

وعن القضیة الثانیة من الاناجیل النصوص التالیة: (جاء فی إنجیل متی قوله: هذا یسوع النبی الذی من ناصرة الجلیل (۲۱: ۱۱).

وجاء فی لوقا: قد خرج نبی عظیم (۷: ۱۶).

ویروی یوحنا: إن هذا هو بالحقیقة النبی الآتی إلی العالم (۴: ۱۴ و ۷: ۴۰).

ویروی یوحنا کذلک عن عیسی قوله: وأنا إنسان قد کلمکم بالحق الذی سمعه من الله (۸: ۴۰).

ویروی لوقا عن عیسی قوله عندما أحس بقرب نهایته بسبب مؤامرات الیهود علیه: ینبغی أن أسیر الیوم وغداً وما یلیه، لأنه لا یمکن أن یهلک نبی خارج أورشلیم، یا أورشلیم، یا أورشلیم یا قاتلة الأنبیاء وراجمة المرسلین.

وعن القضیة الثالثة نورد النصوص التالیة:

جاء فى متى ما نصه: ثم خرج يسوع من هناك، وانصرف إلى نواحى صور وصيدا، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت قائلة: إرحمنى يا سيد يا ابن داود، ابنتى مجنونة جداً، فلم يجبها بكلمة، فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: إصرفها لأنها تصيح وراءنا، فأجاب وقال: لم أرسل إلا إلى خراف بنى إسرائيل الضالة (متى ۱۵: ۲۱ ۲۴).

وفى متى كذلك أن عيسى عند ما حدد الحواريين الإثنى عشر أوصاهم قائلًا: إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بنى اسرائيل الضالة (۱۰: ۵ ۶).

وقد خاصم اليهود بطرس لأنه دخل على غير اليهود وتكلم معهم (أعمال الرسل ۱۱ الفقرة الأولى).

وورد فى عبارات بطرس قوله لغير اليهود: أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبى أو يأتى إليه (أعمال الرسل ۱۰: ۲۸).

والقرآن الكريم يقرر هذه الاتجاهات الثلاث فى المسيحية، قال تعالى:

وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَ رَبَّكُمْ. المائدة: ۷۲.

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ. المائدة: ۷۳.

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ. المائدة: ۷۵.

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّى وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ المائدة: ۱۷.

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَاةَ وَ الإِنْجِيلَ وَرَسُولاً إِلى بَنِى إِسْرَائِيلَ. المائدة: ۴۸ ـ ۴۹.

ومن أجل هذا كان نقل المسيحية من الوحدانية إلى التثليث، ونقل عيسى من رسول إلى إله، والقول بأن المسيحية رسالة عامة، والقول بأن عيسى ابن الله نزل ليضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر، وأنه عاد مرة أخرى إلى السماء ليجلس على يمين أبيه، كان هذا كله عملًا جديداً على المسيحية التى جاء بها عيسى.

كيف انتقلت المسيحية من حال إلى حال، ومن الذى قام بذلك ومتى؟ هذا ما سنحاول إبرازه فيما يلى:

ترتبط هذه الأمور بشخصية مهمة فى المسيحية، هى شخصية شاؤول (بولس) ولذلك يرى الباحثون الغربيون أن المسيحية الحالية بهذه العناصر الجديدة من صنع هذا الرجل، ويقول إن بولس هو فى الحقيقة مؤسس المسيحية، ويقول إن كثيراً من الثقات العصريين يعدونه المؤسس الحقيقى للمسيحية.

وبولس كما يقول عن نفسه (يهودى فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الاموات ـ أعمال الرسل ۲۳: ۶) وكان عدواً للمسيحيين، وهو فى ذلك يقول (سمعتم بسيرتى قبلاً فى الديانة اليهودية، إنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى، إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى (غلاطية ۱: ۱۳ ۱۴).

ويبدو أنه كان من وسائل بولس لتدمير المسيحية أن يحطم معتقداتها واتجاهاتها المقدسة، ووضع لذلك طريقة تكفل له الوقوف فى وجه معارضيه عندما يظهر بأفكاره الجديدة، فادعى شاؤول أن السيد المسيح بعد نهايته على الأرض ظهر له وصاح فيه وهو فى طريقه إلى دمشق: لماذا تضطهدنى فخاف شاؤول وصرخ: من أنت يا سيد؟ قال: أنا يسوع الذى تضطهده. قال شاؤول: ماذا تريد أن أفعل؟ قال يسوع: قم وكرز بالمسيحية. ويقول لوقا فى ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ هى: وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أنه ابن الله (أعمال ۹: ۳–۳۰) انتهى.

وقال أبو رية فى أضواء على السنة المحمدية الهامش ۱/۱۸۹:

يعتقد المسيحيون أن المسيح عليه السلام قد ارتفع بجسمه بعد صلبه وأنه يجلس هناك مع أبيه. وعند الكاثوليكية الرومانية عقيدة جوهرية تقضى بأن أمه مريم العذراء قد ارتفعت هى الأخرى بجسدها إلى السماء وأنها لم تمت. ومنذ سبع عشرة سنة انعقد مجمع

دينى مقدس برياسة البابا بيوس الثانى عشر بميدان القديس بطرس اشترك فيه ۳۵ كردينالاً ونحو ۵۰۰ بطريركا من جميع أنحاء العالم واحتشد له مليون مسيحى وقرر هذا المجمع هذه العقيدة الدينية، وقال إنها لا تقبل الجدل أو المناقشة ومن يناقشها أو يشك فيها يعتبر من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية ملحداً أو كافراً (يراجع جريدة الوفد المصرى فى ۳۱/۱۰، و۱ و۲ و۳ /۱۱/۱۹۵۰)

والإقباط المصريون جميعاً يؤمنون بهذه العقيدة وتحتفل كل طوائفهم فى يوم ۱۶ مسرى من كل سنة، بعيد انتقال السيدة مريم بجسدها إلى السماء، ويطلقون على هذا الإحتفال اسم: عيد العذراء الكبير، وليس لأحد أن يعترض على هذه العقيدة أو يمارى فيها، إذ مادام المسيح عليه السلام قد ارتفع إلى السماء وجلس بجوار أبيه، فإنه لا مانع من أن تصعد إليه أمه من بعده لتقيم وإياه مع الله فى السماء، ويحيون جميعاً حياة طيبة فى هناء وصفاء!

وإليك هذه الكلمة الصغيرة ننقلها من كتاب العقيدة والشريعة للمستشرق الكبير جولد تسيهر/۴۲ و۴۳:

وهناك جمل أخذت من العهد القديم والعهد الجديد، وأقوال للربانيين، أو مأخوذة من الأناجيل الموضوعة وتعاليم من الفلسفة اليونانية وأقوال من حكم الفرس والهنود، كل ذلك أخذ فى الإسلام عن طريق (الحديث) حتى لفظ (أبونا) لم يعدم مكانه فى الحديث المعترف به، وبهذا أصبحت ملكاً خالصاً للاسلام بطريق مباشر أو غير مباشر! وقد تسرب إلى الإسلام كنز (...) كبير من القصص الدينية حتى إذا ما نظرنا إلى المواد المعدودة فى الحديث ونظرنا إلى الأدب الدينى اليهودى، فإننا نستطيع أن نعثر على قسم كبير دخل الأدب الدينى الإسلامى من هذه المصادر اليهودية. ولا نستقصى كل ما دخل الإسلام من المسيحيات. انتهى.

اول قنوات التشبيه والتجسيم والرؤية من اليهودية إلى الإسلام

ينبغى أن نعرف أن نظرة العرب فى الجاهلية والإسلام إلى ثقافة اليهود كانت نظرة إيجابية، وأن الخليفة عمر قد تبنى سياسة الإنفتاح على هذه الثقافة، فسبب ذلك تأثيراً واسعاً على ثقافة الإسلام وعقائده.. لذلك نمهد للموضوع ببعض ما كتبناه فى (تدوين القرآن)/ ۴۰۹ تحت عنوان (احترام عرب الجاهلية للثقافة اليهودية):

(كان اعتداد العرب بقوميتهم ووثنيتهم فى الجاهلية اعتداداً قوياً إلى حد التعصب، ولم يكونوا يحترمون اليهود كأمة ولكنهم كانو يحترمون علماءهم وثقافتهم، ويرجعون إليهم فى العديد من مسائل التاريخ والتنبؤ بالمستقبل والأمور الروحية. بل كان الكثير من عرب الجاهلية يعيشون حالة الإنهزام أمام الثقافة اليهودية لأن اليهود أصحاب كتاب سماوى وعلماء وأنبياء، والعرب أميون وثنيون، وإن بقيت عندهم بقايا من دين إبراهيم...

والشواهد على ذلك من مصادر التاريخ والتفسير والحديث والفقه كثيرة، نكتفى منها بالنص التالى الذى يدل على أن تأثيرات الثقافة اليهودية بقيت حتى بعد بعثة النبى صلى الله عليه وآله وحتى على ذهن زوجته عائشة وأبيها الخليفة أبى بكر! روى مالك فى الموطأ:۲/۵۰۲ (عن يحيى بن سعيد، عن عمرة بنت عبد الرحمن، أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهى تشتكى، ويهودية ترقيها! فقال أبو بكر: إرقيها بكتاب الله).

وقال فى كتاب الأم للشافعى:۷/۲۴۱ (باب ما جاء فى الرقية. سألت الشافعى عن الرقية؟

فقال: لا بأس أن يرقى الرجل بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله.

قلت: أيرقى أهل الكتاب المسلمين؟

فقال: نعم، إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله أو ذكر الله.

فقلت: وما الحجة فى ذلك؟

قال: غير حجة، فأما رواية صاحبنا وصاحبك فإن مالكاً أخبرنا عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبدالرحمن أن أبا بكر دخل على عائشة وهى تشتكى ويهودية ترقيها فقال أبو بكر إرقيها بكتاب الله.

فقلت للشافعى: فإنا نكره رقية أهل الكتاب.

فقال: ولم وأنتم تروون هذا عن أبى بكر، ولا أعلمكم تروون عن غيره من أصحاب النبى(ص)خلافه. وقد أحل الله جل ذكره طعام أهل الكتاب ونساءهم، وأحسب الرقية إذا رقوا بكتاب الله مثل هذا، أو أخف). انتهى.

ورواه البيهقى فى سننه:۹/۳۴۷، كما روى أن امرأة عبدالله بن مسعود كانت تذهب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله إلى يهودى لرقية عينها.

وقال النووى فى المجموع:۹/۶۴ (فرع فى جواز الرقية بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله... وروى البيهقى بإسناده الصحيح عن يحيى بن سعيد عنعمرة عن عائشة قالت: دخل أبو بكر (رض) عليها وعندها يهودية ترقيها فقال: إرقيها بكتاب الله عز وجل. وبإسناده الصحيح عن الربيع بن سليمان قال سألت الشافعى عن الرقية...). انتهى.

يلاحظ على هذه الفتوى المجمع عليها عند إخواننا السنيين، أن الخليفة أبا بكر لم ينه عائشة عن هذا العمل، وإنما طلب من المرأة اليهودية باحترام أن ترقيها ببعض آيات القرآن، باعتبار أن ذلك أفضل من الأدعية التى تقرؤها من عندها، أو أراد منها أن تضم إلى أدعيتها آيات من القرآن ليكون ذلك أرجى لشفائها ابنته.. هذا إذا كان مقصوده بكتاب الله: القرآن، وإلا فيكون قصده: إرقيها بنص من التوراة، لا بدعاء من عندك!

وبذلك يتضح أن الشرط الذى شرطه الشافعى وغيره لما يجب أن يقرأه اليهودى أو النصرانى فى رقية المسلم لا أساس له فى الرواية. وغاية ما يمكن استفادته منها أن الاحسن للمسلم أن يطلب من الكتابى أن يقرأ على مريضه شيئاً من القرآن.. خاصة أن الذى يكلف أحداً أن يرقى مريضه لا يملى عليه ماذا يقرأ عليه، لانهلا يكلفه بالرقية إلا وهو يعتقد بأنه عبد صالح قريب إلى الله تعالى، فهو أعرف بما يقرأ عليه!

كما يلاحظ استغراب السائل لهذه الرواية والفتوى! فأجابه الشافعى بأن الرواية صحيحة ولم يصل إلينا إنكار أحد من الصحابة لعمل عائشة وإقرار أبى بكر. والقاعدة عند إخواننا أنه إذا فعل الصحابى شيئاً فهو جائز وحجة على غيره، إلا إذا عارضه صحابى آخر، ويشترط أن يكون الصحابى المعارض من الصحابة الذين تؤثر معارضتهم عند الاخوة السنيين.. فبعض الصحابة عندهم لا تضر معارضتهم مثل على المظلوم، وبعضهم تضر!

... إن معرفة هذا الجو فى الجزيرة من التأثر العام بثقافة اليهود، تمكننا من تفسير مواقف الخليفة عمر تجاه الثقافة اليهودية.. فقد كان من نشأته فى مكة يحترم هذه الثقافة كثيراً قبل بعثة النبى صلى الله عليه وآله وتدل عدة نصوص على أنه استمر على احترامها حتى وهو إلى جانب النبى صلى الله عليه وآله ثم عندما صار خليفة.

وبهذا نفهم سبب احترامه لكعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام.. وأمثالهم من اليهود الذين أعلنوا دخولهم فى الإسلام.. وتميم الدارى وأمثاله من النصارى الذين دخلوا فى الإسلام.. وكذا ثقته بما عند علماء اليهود والنصارى من كتب وتاريخ وتنبؤات واستنتاجات عن المستقبل!

وينبغى للباحث فى هذا الموضوع أن يعرف المقومات الأساسية لشخصية الخليفة عمر.. فهو أولاً، عربى معتز بقوميته إلى حد أنه يرى أن المخاطب بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا..) هم العرب خاصة! قال السيوطى فى الدر المنثور:۶/۹۸ (وأخرج ابن مردويه عن عمر بن الخطاب إن هذه الآية فى الحجرات. إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، هى مكية وهى للعرب خاصة. الموالى أى قبيلة لهم وأى شعاب؟ وقوله: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، قال: أتقاكم للشرك).

وعلى تفسير الخليفة فإن الآية لا تساوى بين العرب وغيرهم كما فهم منها المسلمون. ولعله لذلك أفتى بأنه لا ملك على عربى وبأن العرب لهم أن يتزوجوا من الأمم الأخرى ولكن ليس لهم أن يزوجوهم، لأن العربية لا كفؤ لها إلا العربى.. إلى آخر فتاواه وقراراته فى هذا المجال.

وهو ثانیاً: قرشیئ یحب قریش ویعتز بها اعتزازاً شدیداً.. حتی بالطلقاء وقادة الأحزاب بعد انهزامهم وإسلامهم.. فیقول عن معاویة: کسری العرب، وعن أبی سفیان: سید العرب! بل یثقل علیه یوم فتح مکة أن یدخل أنصاری برایة النبی صلی الله علیه وآله وهو یتحدی قادة الاحزاب من قریش.. فقد روی البیهقی فی سننه:۱۰/۲۲۸... عن أنس قال دخل رسول الله(ص)مکة فقام أهلها سماطین ینظرون إلی رسول الله وإلی أصحابه، قال وابن رواحة یمشئ بین یدی رسول الله، فقال ابن رواحة:

خلوا بنی الکفار عن سبیله فالیوم نضربکم علی تنزیله

ضرباً یزیل الهام عن مقیله ویذهل الخلیل عن خلیله

یا رب إنی مؤمن بقیله

فقال عمر (رض): یابن رواحة أفی حرم الله وبین یدی رسول الله تقول الشعر!! فقال رسول الله (ص): مه یا عمر فوالذی نفسی بیده لکلامه هذا أشد علیهم من وقع النبل! وروی نحوه الترمذی فی سننه:۴/۲۱۷، وسیر أعلام النبلاء:۱/۲۳۵.

وعلی هذا الأساس یجب أن نعرف أن إعجاب الخلیفة عمر بالثقافة الیهودیة لا یتنافی فی نظره مع عروبته وقرشیته بل یخدمهما.. وقد کان تقریبه لکعب الأحبار وتمیم الداری وغیرهما، مشروطاً بأن یحترموا العرب وخاصة قریش.. فإن شعر منهم انتقاصاً للعرب أو قریش لم یتردد فی اتخاذ الموقف الحاسم منهم.. وقد عنف کعب الأحبار وتمیماً الداری أکثر من مرة. إنها نظرة مرکبة إلی الیهود من عناصر متعددة فی ذهنیة الخلیفة، وقد نتجت عنها هذه السیاسة المرکبة مع الیهود، ومع أن فیها مواقف مضادة لهم، لکنها علی العموم کانت ترضیهم.

وقد روت المصادر ـ المحبة للخلیفة ـ مواقفه الدالة علی هذه السیاسة، وروت أن بعض مواقفه جاء علی شکل اندفاع خطیر منه لادخال الثقافة الیهودیة فی الإسلام، فنهاه النبی صلی الله علیه وآله مرات متعددة عن ذلک.. ثم ذات یوم غضب غضباً شدیداً ودعا المسلمین إلی اجتماع طارئ لیحذرهم من خطورة ما یریده عمر وأصحابه... إلی آخر ما ذکرناه هناک.

من أفکار کعب الأحبار فی الرؤیة والتشبیه والتجسیم

وروی الطبری فی تفسیره:۲۵/۶:

فقال کعب:... سألت أین ربنا، وهو علی العرش العظیم متکئ واضع إحدی رجلیه علی الأخری، ومسافة هذه الأرض التی أنت علیها خمسمائة سنة، ومن الأرض إلی الأرض مسیرة خمسمائة سنة وکثافتها... ثم قال: إقرؤوا إن شئتم: تَکَادُ السَّمَوَاتُ یَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ!

وروی البغوی فی معالم التنزیل:۴/۴۶۰: قال کعب الأحبار: علیین هو قائمة العرش الیمین.

وقال الصنعانی فی تفسیره:۲/۳۷: عن قتادة فی قوله: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، قال قال کعب: إن الله لم یخلق بیده إلا ثلاثة: خلق آدم بیده والتوراة بیده وغرس الجنة بیده... الخ.

وقال الطبری فی تفسیره:۷/۱۰۰: قال محمد لکعب: ما أول شئ ابتدأه الله من خلقه فقال: کتاباً لم یکتبه بقلم ولا مداد..

فتح القدیر للشوکانی:۴/۵۶۰: عن ابن عمر قال: خلق الله أربعاً بیده: العرش وجنة عدن والقلم وآدم...

وقال الطبری فی تفسیره:۱۸/۲: عن میسرة قال: لم یخلق الله شیئاً غیر أربعة أشیاء: خلق آدم بیده، وکتب الألواح بیده، والتوراة بیده، وغرس عدناً بیده.

وقال البغوی فی معالم التنزیل ۴/۲۳۶:... وکتاب مسطور، قال الکلبی: هو ما کتب الله بیده لموسی من التوراة، وموسی یسمع صریر القلم.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۳/۶: وأخرج ابن جریر عن أبی المخارق زهیر بن سالم، قال قال عمر لکعب: ما أول شئ ابتدأه الله من خلقه فقال کعب: کتب الله کتاباً لم یکتبه بقلم ولا ـ مداد، ولکن کتب بإصبعه یتلوها الزبرجد واللؤلؤ والیاقوت: أنا الله لا إله إلا أنا

سبقت رحمتى غضبى.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:٣/١٢١:

وأخرج الطبرانى فى السنة عن ابن عمر قال: خلق الله آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، ثم قال لسائر الأشياء كن فكان.

وأخرج أبو الشيخ عن عطاء قال: كتب الله التوراة لموسى بيده، وهو مسند ظهره إلى الصخرة يسمع صريف القلم فى ألواح من زمرد، ليس بينه وبينه إلا الحجاب.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: إن الله لم يمس شيئاً إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وغرس الجنة بيده، وكتب التوراة بيده.

وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن عكرمة قال: كتبت التوراة بأقلام من ذهب.

وأخرج ابن أبى شيبة وعبد ابن حميد وابن المنذر عن حكيم بن جابر: قال أخبرت أن الله تبارك وتعالى لم يمس من خلقه بيده شيئاً إلا ثلاثة أشياء: غرس الجنة بيده، وجعل ترابها الورس والزعفران وجبالها المسك، وخلق آدم بيده، وكتب التوراة لموسى بيده.

وأخرج عبد بن حميد عن وردان بن خالد قال: خلق الله آدم بيده، وخلق جبريل بيده، وخلق القلم بيده، وخلق عرشه بيده، وكتب الكتاب الذى عنده لا يطلع عليه غيره بيده، وكتب التوراة بيده.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن جريج قال: أخبرت أن الألواح من زبرجد ومن زمرد الجنة، أمر الرب تعالى جبريل فجاء بها من عدن وكتبها بيده، بالقلم الذى كتب به الذكر، واستمد الرب من نهر النور، وكتب به الألواح.

وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير قال: كانوا يقولون كانت الألواح من ياقوتة، وأنا أقول إنما كانت من زبرجد وكتابها الذهب، كتبها الله بيده فسمع أهل السموات صريف القلم.

وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: كانت الألواح من زمرد أخضر، أمر الرب تعالى جبريل فجاء بها من عدن فكتب الرب بيده بالقلم الذى كتب به الذكر، واستمد الرب من نهر النور وكتب به الألواح.

وأخرج عبد بن حميد عن مغيث الشامى قال بلغنى أن الله تعالى لم يخلق بيده إلا ثلاثة أشياء: الجنة غرسها بيده، وآدم خلقه بيده، والتوراة كتبها بيده.

كعب يدعى أن جنة عدن مسكن الله والأنبياء والخلفاء

روى السيوطى فى الدر المنثور:۴/۵۷:

عن الحسن البصرى أن عمر قال لكعب: ما عدن؟ قال: هو قصر فى الجنة لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل.

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد (رض) قال: قرأ عمر (رض) على المنبر: جنات عدن، فقال: أيها الناس هل تدرون ما جنات عدن؟ قصر فى الجنة له عشرة آلاف باب، على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد.

وروى فى كنز العمال: ١٢/٥۶٠ و٥٧٣:

عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: حدثنى يا كعب عن جنات عدن. قال: نعم يا أمير المؤمنين، قصور فى الجنة لا يسكنها إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل. فقال عمر: أما النبوة فقد مضت لأهلها، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله: وأما الحكم العدل فإنى أرجو الله أن لا أحكم بشئ إلا لم آل فيه عدلاً، وأما الشهادة فأنى لعمر بالشهادة؟ ابن المبارك وأبو ذر الهروى فى الجامع.

... عن كعب أن عمر بن الخطاب قال: أنشدك بالله يا كعب، أتجدنى خليفة أم ملكاً؟ قال: بل خليفة. فاستحلفه، فقال كعب: خليفة والله، من خير الخلفاء، وزمانك خير زمان.

وروى فى الدر المنثور:۵/۳۴۷:

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة (رض)... فى قوله تعالى: وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ، قال: إن عمر بن الخطاب(رض) قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب فى الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل.

وروى فى الدر المنثور:۶/۲۵۷:

... فقال عمر بن الخطاب عند ذلك: ألا تسمع يا كعب ما يحدثنا به ابن أم عبد عن أدنى أهل الجنة، ماله فكيف بأعلاهم؟! قال: يا أمير المؤمنين مالا ـ عين رأت ولا ـ أذن سمعت، إن الله كان فوق العرش والماء فخلق لنفسه داراً بيده فزينها بما شاء، وجعل فيها ما شاء من الثمرات والشراب، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه منذ خلقها، جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ.. الآية، وخلق دون ذلك جنتين فزينهما بما شاء وجعل فيهما ماذكر من الحرير والسندس والإستبرق، وأراهما من شاء من خلقه من الملائكة، فمن كان كتابه فى عليين نزل تلك الدار، فإذا ركب الرجل من أهل عليين فى ملكه لم يبق خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه حتى أنهم ليستنشقون ريحه ويقولون واهاً هذه الريح الطيبة، ويقولون لقد أشرف علينا اليوم رجل من أهل عليين. فقال عمر: ويحك يا كعب إن هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها! فقال كعب: ياأمير المؤمنين إن لجهنم زفرة ما من ملك ولا نبى إلا يخر لركبتيه، حتى يقول إبراهيم خليل الله: رب نفسى نفسى، وحتى لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أن لن تنجو منها!

قال فى معجم ما استعجم:۲/۷۴:

(الحثمة) بفتح أوله وإسكان ثانيه: صخرات بأسفل مكة، بها ربع عمر بن الخطاب، روى عنه مجاهد (أى عن عمر) أنه قرأ على المنبر (جنات عدن) فقال: أيها الناس، أتدرون ما جنات عدن؟ قصر فى الجنة له خمسة آلاف باب، على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلا نبى، وهنيئاً لصاحب القبر، وأشار إلى النبى(ص)، أو صديق وهنيئاً لابى بكر وأشار إلى قبره، أو شهيد، وأنى لعمر بالشهادة؟ وإن الذى أخرجنى من منزلى بالحثمة قادر أن يسوقها إلى. انتهى.

هذا، وقد ضعف الذهبى فى ميزان الاعتدال:۲/۹۸ زياد بن محمد الأنصارى أحد رواة هذا الحديث ولكن تضعيف هذا السند لايعنى تضعيفهم للحديث لأنه روى عندهم بطرق أخرى ومضمونه عندهم صحيح. وقد تقدم توثيق الهيثمى لرواية السيوطى الثانية، وفى مشابهاتها صحيح عندهم. وسوف نذكر بقيتها فى تفسير قوله تعالى (عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) إن شاء الله. وقد تقدمت أحاديثهم فى أن الفردوس هو مسكن الله تعالى وبعض الخلفاء...

وروى الطبرى فى تفسيره:۱۵/۹۴:

عن أبى الدرداء، قال قال رسول الله (ص): إن الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات بقين من الليل فى الساعة الأولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن وهى داره التى لم ترها عين.. وهى مسكنه، ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء.. ثم ينزل فى الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته. الخ.

وروى السيوطى فى الدر المنثور:۴/۲۵۴:

أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والحكم وصححه عن أبى أمامة، قال قال رسول الله (ص): سلوا الله الفردوس فإنها سرة الجنة، وإن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش.

وأخرج البخارى ومسلم وابن أبى حاتم عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص): إذا سألتم الله فاسألوه الفرودس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن.

وقال عبد الرزاق فى تفسيره:۲/۳۷:

عن قتادة فى قوله: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، قال قال كعب: إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثة: خلق آدم بيده والتوراة بيده وغرس الجنة بيده، ثم

قال للجنة تكلمی فقالت: قد أفلح المؤمنون، لما علمت فيها من كرامة الله لاهلها. انتهی. ورواه الطبری فی تفسيره:۱۸/۶.

وفی مصادر اخواننا روايات كثيرة عن صحابة وتابعين مثل أبی هريرة وأبی الدرداء وقتادة وغيرهم،وأصلها كلها عن كعب ووهب وأمثالهما من اليهود.

نموذج من علم كعب بالله تعالى

الدر المنثور:۴/۲۹۳:

سأل عمر كعباً عن آيات أول سورة الحديد فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن. انتهی.

وهذا يدل على أن فكر كعب الأحبار سطحی وحشوی، لأن الآيات المسؤول عنها هی قوله تعالى (سَبَّحَ لِلهِ مَا فِی السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِی وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَیْئٍ قَدِيرٌ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَیْئٍ عَلِيمٌ) الحديد: ۱ ـ ۳، وقد فسر كعب قوله تعالى (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ...) بأنه يعلم الأول والآخر!

و قال كعب وعمر: يفضل من ربه أو من عرشه أربع أصابع

مجمع الزوائد:۱/۸۳:

عن عمر (رض) أن امرأة أتت النبی(ص)فقالت: أدع الله أن يدخلنی الجنة، فعظم الرب تبارك وتعالى وقال: إن كرسيه وسع السموات والأرض، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله. رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وقال فی مجمع الزوائد:۱۰/۱۵۹: رواه أبو يعلى فی الكبير ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن خليفة الهمذانی وهو ثقة.

ورواه فی كنز العمال:۱۰/۳۷۳، وقال: (ع، وابن أبی عاصم، وابن خزيمة قط فی الصفات، طب فی السنة، وابن مردويه،/).

ونحوه فی كنز العمال:۲/۴۶۶، وقال: ابن مردويه خط / ونحوه فی:۶ ص۱۵۲ وقال الخطيب من طريق أبی إسرائيل عن أبی إسحاق عن عبد الله بن خليفة الهمدانی.

وقال السيوطی فی الدر المنثور:۱/۳۲۸:

وأخرج عبد بن حميد وابن أبی عاصم فی السنة والبزار وأبويعلى وابن جرير وأبوالشيخ والطبرانی وابن مردويه والضياء المقدسی فی المختارة عن عمر أن امرأة أتت النبی(ص)فقالت أدع الله أن يدخلنی الجنة، فعظم الرب تبارك وتعالى وقال: إن كرسيه وسع السموات والأرض، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله، ما يفضل منه أربع أصابع.

وقال الديلمی فی فردوس الأخبار:۳/۸۶:

عمر بن الخطاب: عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، حتى يسمع له أطيط كأطيط الرحل.

تاريخ بغداد:۱/۲۹۵:

عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب عن النبی(ص)فی قوله تعالى: عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، قال: حتى يسمع أطيط كأطيط الرحل.

وقال ابن الاثير فی النهاية:۱/۵۴:

الأطيط: صوت الأقتاب. وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها... أی أنه ليعجز عن حمله وعظمته، إذ كان معلوماً أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله.

وقال الديلمی فی فردوس الأخبار: ۱/۲۱۹:

ابن عمر: إن الله عز وجل ملا عرشه يفضل منه كما يدور العرش أربعة أصابع بأصابع الرحمن عز وجل. انتهی.

ويلاحظ أنه جعل العرش أكبر من حجم الله تعالى بأربع أصابع مرة، وجعل الله تعالى أكبر من كرسيه بأربع أصابع بأصابع الرحمن مرة

أخری، وبما أن آدم فی روایاتهم مخلوق علی صورهٔ الله تعالی وطوله ستون ذراعاً وفی بعضها سبعون ذراعاً، فتکون إصبع الرحمن أکثر من متر! سبحانه وتعالی عما یصفون، ونبرأ إلیه وإلی رسوله من هذه المقولات، وقد تقدم أکثر منها فی فصل بازار الأحادیث...

و قالوا: نبی الله داود یمسک بقدم الله تعالی و هو أعبد من جمیع الأنبیاء

کنز العمال:۲/۴۸۸:

من مسند عمر (رض). عن عمر قال: ذکر النبی(ص): یوم القیامهٔ فعظم شأنه وشدته، قال ویقول الرحمن لداود علیه السلام: مر بین یدی، فیقول داود: یا رب أخاف أن تدحضنی خطیئتی، فیقول: مر خلفی، فیقول: یا رب أخاف أن تدحضنی خطیئتی، فیقول خذ بقدمی، فیأخذ بقدمه عز وجل فیمر، قال: فتلک الزلفی التی قال الله تعالی: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَی وَحُسْنَ مَآبٍ! انتهی. ورواه فی کنز العمال:۲/۴۸۸ ورواه الشوکانی فی فتح القدیر:۴/۵۸۳ والسیوطی فی الدر المنثور:۵/۳۰۵ عن ابن مردویه.

الدر المنثور:۵/۲۹۷:

وأخرج الدیلمی عن عمر (رض) قال قال رسول الله (ص): لا ینبغی لأحد أن یقول إنی أعبد من داود.

الدر المنثور:۵/۳۰۵:

وأخرج عبد بن حمید عن السدی بن یحیی قال حدثنی أبو حفص رجل قد أدرک عمر بن الخطاب أن الناس یصیبهم یوم القیامهٔ عطش وحر شدید، فینادی المنادی داود فیسقی علی رؤوس العالمین، فهو الذی ذکر الله: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَی وَحُسْنَ مَآبٍ!

و قالوا: عمر أفضل من داود لأنه یصافح الله و یعانقه

روی ابن ماجهٔ فی:۱/۳۸:

... عن سعید بن المسیب، عن (أبی بن) کعب قال: قال رسول الله (ص): أول من یصافحه الحق عمر، وأول من یسلم علیه، وأول من یأخذ بیده فیدخله الجنهٔ! انتهی. ورواه الحاکم فی المستدرک:۳/۸۳.

عبدالله بن عمر یؤکد أحادیث أبیه

سنن ابن ماجه:۱/۶۵:قال ابن عمر: سمعت رسول الله (ص) یقول: یدنی المؤمن من ربه یوم القیامهٔ حتی یضع علیه کتفه.

تفسیر الطبری:۱۲/۱۴: عبد الله بن عمر: قال سمعت نبی الله (ص) یقول یدنو المؤمن من ربه حتی یضع علیه کتفه..

تفسیر الطبری:۲۳/۱۱۹: عن ابن عمر قال: خلق الله أربعهٔ بیده: العرش وعدن والقلم وآدم..

مصابیح البغوی:۳/۴۹۷: عن ابن عمر أنه قال: قام رسول الله (ص)... ثم ذکر الدجال... تعلمون أنه أعور وأن الله لیس بأعور.

البعث والنشور للبیهقی/۲۵۱:... سمعت ابن عمر یحدث رفع الحدیث إلی النبی (ص)... وأکرمهم علی الله عز وجل من ینظر إلی وجه غدوهً وعشیهٔ.

کنز العمال:۱۴/۴۹۳: إن أدنی أهل الجنهٔ منزلهٔ لمن ینظر إلی جنانه وأزواجه ونعیمه وخدمه وسرره مسیرهٔ ألف سنهٔ، وأکرمهم علی الله من ینظر إلی وجهه غدوهٔ وعشیهٔ، ثم قرأ: وجوه یومئذ ناضرهٔ ت، طب عن ابن عمر.

العقد الفرید:۶/۲۰۸: ومن حدیث عبد الله بن عمر قال: العرش مطوق بحیهٔ والوحی ینزل فی السلاسل.

فردوس الأخبار للدیلمی:۱/۲۱۴: ابن عمر: إن الله عز وجل کلم موسی بمائهٔ ألف وعشرین ألفاً وثلاثمائهٔ وثلاث عشر کلمهٔ، فکان الکلام من الله والإستماع من موسی فقال: أی رب أنت الذی تکلمنی أم غیرک؟ قال الله عز وجل: یا موسی أنا أکلمک لا رسول بینی وبینک.

فردوس الأخبار للدیلمی:۳/۸۵: ابن عمر: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، یجلسنی معه علی السریر.

فردوس الأخبار للدیلمی:۵/۱۶۵: ابن عمر: لا تقبحوا الوجه فإن الله عز وجل خلق آدم علی صورته.

فردوس الأخبار للدیلمی:۵/۱۲۸: ابن عمر: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَهٌ إِلَی رَبِّهَا نَاظِرَهٌ، من البهاء والحسن ناظرهٔ فی وجه الله تعالی.

وقال المنذری فی الترغیب والترهیب:۴/۵۰۷: روی عن ابن عمر: أکرم أهل الجنهٔ علی الله من ینظر إلی وجهه غدوهٔ وعشیاً. وروی نحوه فی:۴/۵۳۹ وص ۵۵۱ وص ۵۵۲ وص ۵۵۳ وص ۵۵۶ ورواه الدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/۸۶ وص ۱۲۵ وص ۱۲۸.

وقال الدیلمی فی:۳/۴۷۳:ابن عمر: لما کان فی اللیلهٔ التی ولد فیها أبو بکر الصدیق أقبل ربکم عز وجل علی جنات عدن فقال: وعزتی وجلالی لا أدخلک إلا من أحب هذا المولود.

من روایات أبی موسی الأشعری وابنه

قال السیوطی فی الدر المنثور:۴/۲۵۴:

وأخرج ابن أبی حاتم عن أبی موسی الأشعری قال قال رسول الله (ص): الفردوس مقصورهٔ الرحمن، فیها خیار الأنهار والأثمار.

وقال فی الدر المنثور:۱/۳۲۷:

وأخرج ابن جریر وابن المنذر وأبوالشیخ والبیهقی فی الأسماء والصفات عن أبی موسی الأشعری قال: الکرسی موضع القدمین وله أطیط کأطیط الرحل.

تفسیر الطبری:۳/۷:

وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ... عن أبی موسی: قال الکرسی موضع القدمین. وعن السدی: والکرسی بین یدی العرش وهو موضع قدمیه.

صحیح البخاری:۴ جزء ۸/۱۸۵

عن أبی بکر بن عبدالله بن قیس عن أبیه (أبی موسی الأشعری) عن النبی (ص) قال: جنتان من فضهٔ آنیتهما وما فیهما، وجنتان من ذهب آنیتهما وما فیهما، وما بین القوم وبین أن ینظروا إلی ربهم إلا رداء الکبر علی وجهه فی جنهٔ عدن. انتهی. ورواه البخاری فی:۳ جزء ۶/۵۶، وفی:۴/۸۶، وفی:۸/۱۸۵ ومسلم:۱/۱۱۲ والدارمی:۲/۳۳۳ ورواه أحمد:۴/۴۱۱ کما فی مسلم وکذا ابن ماجهٔ:۱/۶۶ والحاکم:۲/۳۹۲ والذهبی فی سیره:۸/۳۷۰.

ورواه أحمد فی:۴/۴۱۶۲ وفیه (فی جنهٔ عدن وهذه الأنهار تشخب من جنهٔ عدن ثم تصدع بعد ذلک أنهاراً).

وروی فی:۴/۴۰۰ وص ۴۱۱:

عن أبی بکر بن عبد الله بن قیس الأشعری عن أبیه أن النبی(ص)قال: الخیمهٔ درهٔ مجوفهٔ طولها فی السماء ستون میلًا، فی کل زاویهٔ منها للمؤمن أهل لا یراهم الآخرون، وربماً قال عفان لکل زاویهٔ. انتهی. یعنی بالرب المسؤول عن أهله فی کل زاویهٔ من زوایا الخیمهٔ!

وروی أحمد روایهٔ تدل علی أن المقصود کثرهٔ النساء فی تلک الدرهٔ الکرویهٔ الهائلهٔ! قال فی:۴/۴۱۱: عن أبی بکر بن عبد الله بن قیس عن أبیه عن رسول الله(ص)أنه قال: فی الجنهٔ خیمهٔ من لؤلؤهٔ مجوفهٔ، عرضها ستون میلًا، فی کل زاویهٔ منها أهل ما یرون الاخرین یطوف علیهم (علیهن) المؤمن.

وروی أحمد روایات أخری غیر معقولهٔ عن أبی موسی الأشعری فی تجسیم الله تعالی والتکفیر عن المسلمین المستحقین لدخول النار بغیرهم! قال فی:۴/۴۰۸: عن أبی بردهٔ عن أبی موسی الأشعری قال قال رسول الله (ص): یجمع الله عز وجل الأمم فی صعید یوم القیامهٔ، فإذا بدا لله عز وجل أن یصدع بین خلقه، مثل لکل قوم ما کانوا یعبدون، فیتبعونهم حتی یقحمونهم النار، ثم یأتینا ربنا عز وجل ونحن علی مکان رفیع فیقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون. فیقول: ما تنتظرون؟ فیقولون: ننتظر ربنا عز وجل. قال فیقول: وهل

تعرفونه إن رأیتموه؟

فیقولون: نعم. فیقول: کیف تعرفونه ولم تروه؟! فیقولون: نعم إنه لا عدل له.

فیتجلی لنا ضاحکاً فیقول: أبشروا أیها المسلمون فإنه لیس منکم أحد إلا جعلت مکانه فی النار یهودیاً أو نصرانیاً!

وقال فی:۴/۴۱۰ وص ۴۱۱ وص ۴۱۸:

عن أبی موسی قال قال رسول الله (ص): إذا کان یوم القیامة دفع إلی کل مؤمن رجل من أهل الملل، فقال له هذا فداؤک من النار!

عن سعید بن أبی بردة عن أبیه عن جده أبی موسی قال قال رسول الله (ص): إن أمتی أمة مرحومة لیس علیها فی الآخرة عذاب! إنما عذابها فی الدنیا القتل والبلابل والزلازل! قال أبو النضر بالزلازل والقتل والفتن!

وروی أحمد عن أبی موسی فی:۴/۴۱۴:

عن أسید بن أبی أسید عن موسی بن أبی موسی الأشعری عن أبیه أن النبی (ص) قال: المیت یعذب ببکاء الحی علیه، إذا قالت النائحة واعضداه واناصراه واکاسباه، جبذ المیت وقیل له: أنت عضدها أنت ناصرها أنت کاسبها؟ فقلت: سبحان الله یقول الله عز وجل: وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَی! فقال: ویحک، أحدثک عن أبی موسی عن رسول الله(ص)وتقول هذا فینا کذب؟! فوالله ما کذبت علی أبی موسی، ولا کذب أبو موسی علی رسول الله(ص)!

وقال الدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/۳۶۸:

أبو موسی: یتجلی ربنا ضاحکاً یوم القیامة حتی ینظروا إلی وجهه فیخرون له سجداً فیقول: إرفعوا رؤوسکم فلیس هذا یوم عبادة.

البعث والنشور للبیهقی/۲۶۲:

سمعت أبا موسی الأشعری یخطب علی منبر البصره یقول: إن الله عز وجل یبعث یوم القیامه ملکاً إلی أهل الجنة فیقول... قد بقی شئ إن الله یقول: لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَی وَ زِیَادَةٌ، قال ألا إن الحسنی الجنة، وزیاده: النظر إلی وجه الله.

و قال الجرجانی وغیره: أطیط العرش فکرة یهودیة

شرح المواقف للجرجانی:۸/۱۹:

المقصد الأول، أنه تعالی لیس فی جهة من الجهات ولا فی مکان من الأمکنة، وخالف فیه المشبهة وخصصوه بجهة الفوق اتفاقاً، ثم اختلفوا فیما بینهم فذهب أبو عبد الله محمد بن کرام إلی أن کونه فی الجهة ککون الأجسام فیها، وهو أن یکون بحیث یشار إلیه أنه هاهنا أو هناک، قال: وهو مماس للصفحة العلیا من العرش ویجوز علیه الحرکة والإنتقال وتبدل الجهات، وعلیه الیهود حتی قالوا العرش یئط من تحته أطیط الرحل الجدید تحت الرکب الثقیل، وقالوا إنه یفضل علی العرش من کل جهة أربعة أصابع، وزاد بعض المشبهة کمضر وکهمس وأحمد الهجیمی أن المخلصین من المؤمنین یعانقونه فی الدنیا والآخرة! ومنهم من قال هو محاذ للعرش غیر مماس له، فقیل بعده عنه بمسافة متناهیة، وقیل بمسافة غیر متناهیة!!...

التجسیم فی مصادر إخواننا من روایات الحاخامات

من أقدم النصوص وأوسعها انتشاراً فی مصادر إخواننا قصة الحاخام الیهودی التی رواها أهل الصحاح بروایات عدیدة عن عبد الله بن عمر، ومفادها أن هذا الحاخام جاء إلی النبی صلی الله علیه وآله وعرض علیه عقیدة التجسیم، فصدق النبی قوله وضحک له حتی بدت نواجذه صلی الله علیه وآله فقد روی البخاری فی صحیحه:۶/۳۳:

... عن عبدالله (رض) قال جاء حبر من الأحبار إلی رسول الله(ص)فقال: یا محمد، إنا نجد أن الله یجعل السماوات علی إصبع والأرضین علی إصبع والشجر علی إصبع والماء والثری علی إصبع وسائر الخلائق علی إصبع، فیقول أنا الملک، فضحک

النبی(ص)حتی بدت نواجذه تصدیقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله (ص): وما قدروا الله حق قدره.

وروی فی:۸/۱۷۳:

عن عبدالله أن یهودیاً جاء إلی النبی(ص)فقال یا محمد إن الله یمسک السماوات علی إصبع والأرضین علی إصبع والجبال علی إصبع والشجر علی إصبع والخلائق علی إصبع، ثم یقول أنا الملک، فضحک رسول الله (ص)حتی بدت نواجذه، ثم قرأ: وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ. قال یحیی بن سعید وزاد فیه فضیل بن عیاض عن منصور عن إبراهیم عن عبیدة عن عبدالله فضحک رسول الله(ص)تعجباً وتصدیقاً له.

... قال عبدالله جاء رجل إلی النبی(ص)من أهل الکتاب فقال: یا أبا القاسم إن الله یمسک السماوات علی إصبع والأرضین علی إصبع والشجر والثری علی إصبع والخلائق علی إصبع، ثم یقول أنا الملک، أنا الملک فرأیت النبی(ص)ضحک حتی بدت نواجذه، ثم قرأ: وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ.

صحیح البخاری:۸/۱۸۷:

... عن عبد الله قال جاء حبر إلی رسول الله(ص)فقال: یا محمد إن الله یضع السماء علی إصبع والأرض علی إصبع والجبال علی إصبع والشجر والأنهار علی إصبع وسائر الخلق علی إصبع ثم یقول بیده أنا الملک، فضحک رسول الله(ص)وقال: وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ.

صحیح البخاری:۸/۲۰۲:

... عن عبدالله (رض) قال جاء حبر من الیهود فقال: إنه إذا کان یوم القیامة جعل الله السماوات علی إصبع والارضین علی إصبع والماء والثری علی إصبع والخلائق علی إصبع ثم یهزهن، ثم یقول أنا الملک أنا الملک، فلقد رأیت النبی صلی الله علیه وسلم یضحک حتی بدت نواجذه تعجباً وتصدیقاً لقوله، ثم قال النبی (ص): وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، إلی قوله یشرکون.

ورواه مسلم فی:۸/۱۲۵ بعدة روایات منها بلفظ البخاری وفیها عبارة (وقال فلقد رأیت رسول الله(ص)ضحک حتی بدت نواجذه تعجباً لما قال تصدیقاً له).

ورواه أحمد فی مسنده:۱/۳۷۸ وص ۴۲۹ وص ۴۵۷ وذکر فی جمیع روایاته أن النبی صلی الله علیه وآله ضحک حتی بدت نواجذه تصدیقاً للیهودی! انتهی. ورواه البغوی فی معالم التنزیل:۴/۸۷ وفی مصابیحه:۳/۵۲۳ والمراغی فی تفسیره جزء ۲۱/۳۱ والصنعانی فی تفسیره:۲/۲۵۰ والأحادیث القدسیة:۲/۳۹ وأبو الشیخ فی طبقات المحدثین:۱/۲۸۷.. وغیرهم.

ورواه الطبری فی تفسیره:۲۴/۱۸، بصیغة کأنها ابتداء من النبی صلی الله علیه وآله بدون ذکر للیهودی! قال: عن ابن عمر قال سمعت رسول الله (ص) یقول: یأخذ الجبار سمواته وأرضیه بیمینه وقبض یده فجعل یقبضها ویبسطها ثم یقول أنا الجبار أنا الملک، أین الجبارون أین المتکبرون! قال ویمیل رسول الله (ص) عن یمینه وعن شماله حتی نظرت إلی المنبر یتحرک من أسفل شئ منه، حتی أنی لأقول أساقط هو برسول الله (ص)!

نکتفی بهذا القدر من النصوص عن الخلیفة عمر وابنه وأبی موسی الأشعری وابنه، وهی أقدم من جمیع نصوص الرؤیة والتشبیه والتجسیم!

ومنها یتضح أن الخلیفة عمر أول رائد فی هذا المجال، وأن کعب الأحبار هو أول مصدر یهودی بعد یهود المدینة تلقی منه الخلیفة ومن أطاع الخلیفة من المسلمین بشکل رسمی! وکان من أبرز المتأثرین بالخلیفة ولده عبد الله وأبا موسی الأشعری وولده أبا بکر. ثم جاء الذین من بعدهم فوجدوا طریقاً ممهداً فسلکوه، لأن فتح الخلیفة عمر لهذا الباب لم یکن حدثاً عادیاً، بل کان وضع أساس من صدر الإسلام لکل من جاء بعده، وفتح (قناة شرعیة) بین نهر ثقافة أحبار الیهود ومکتوباتهم لتصب فی نهر الإسلام الصافی!

وقد نشطت قناة الخلیفة عمر، وصارت مصدراً أساسیاً لثقافة المسلمین فی عهد معاویة، وشرب الرواة وعلماء السلطة من أفکار کعب وجماعته، وشیدوا أبنیتهم بأحجارها! وهذه آثارها شاخصة فی مصادر المسلمین وصحاحهم!

ومن جهة سیاسیة فقد سببت هذه الافکار اختلافات فی الأمة وانقسامات وصراعات مریرة.. وحاول المؤرخون کعادتهم أن یبرئوا منها السلطة والخلیفة ویتهموا بها المعارضة من أهل البیت وشیعتهم، لمجرد أنهم معارضة مکروهون!

ویطول البحث لو أردنا تعداد الذین رووا عن الیهود من رواة القرن الأول والثانی... ومن باب المثال نذکر ما قاله السبکی فی طبقات الشافعیة:۹/۷۳ فی رده علی ابن تیمیة: (... ثم أفاد المدعی (ابن تیمیة) وأسند أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة الیهود والمشرکین وضلال الصابئین. قال: فإن أول من حفظ عنه هذه المقالة: الجعد بن درهم، وأخذها عنه جهم بن صفوان، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمیة إلیه، قال والجعد أخذها عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان من طالوت بن أخت لبید بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبید الیهودی الذی سحر النبی(ص). قال: وکان الجعد هذا فیما یقال من أهل حران.

فیقال له: أیها المدعی إن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة الیهود، قد خالفت الضرورة فی ذلک، فإنه ما یخفی علی جمیع الخواص وکثیر من العوام أن الیهود مجسمة مشبهات، فکیف یکون ضد التجسیم والتشبیه مأخوذاً عنهم!) انتهی.

ویسهل علی الباحث أن یلاحظ أن بعض الأحادیث التی استدل بها ابن تیمیة وغیره من القائلین بالرؤیة بالعین والتشبیه، هی نصوص یهودیة أو نصرانیة موجودة فی مصادرهم، وبعضها الآخر یشم منها رائحة یهودیة قویة!

ومن ذلک الحدیثان اللذان أوردهما السبکی فی مناقشته لابن تیمیة، قال فی طبقات الشافعیة:۹/۵۳: (حدیث الرقیة: ربنا الله الذی فی السماء تقدس اسمک... حدیث الأوعال: والعرش فوق ذلک کله والله فوق ذلک کله. فقد فهمه هذا المدعی (یقصد ابن تیمیة) أن الله فوق العرش حقیقة. انتهی.

وحدیث الأوعال هو الحدیث الذی یدعی أن الله تعالی یجلس علی عرشه وأن الحیوانات تحمل عرشه، تعالی الله عما یصفون، وستأتی روایاته فی تفسیر قوله تعالی: الرَّحْمَنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوَی.

هذا وقد حاول بعض شراح البخاری ومسلم الدفاع عن النبی صلی الله علیه وآله وإثبات أنه لم یصدق الحاخام بل رد عقیدة الیهود فی الله تعالی، ولکنهم ثاروا فی وجههم!

قال فی الأحادیث القدسیة من الصحاح:۲/۴۲:

قال القسطلانی: هذا من شدید الإشتباه وقد حمله بعضهم علی أن الیهود مشبهة، وروی الحدیث من غیر واحد فلم یذکروا قوله (ص) إنه تعجب من قول الحبر تصدیقاً لقوله بل ذکروا أنه (ص) تعجب من کذب الیهودی. انتهی. وذکر نحوه فی إرشاد الساری:۱۰/۳۸۸ وقال:... وهذه الأوصاف فی حق الله تعالی محال. انتهی.

وقال النووی فی شرح مسلم ۹ جزء ۱۷/۱۳۰:

قوله (فضحک رسول الله (ص) تعجباً مما قال الحبر تصدیقاً له، ثم قرأ: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ..) ظاهر الحدیث أن النبی (ص) صدق الحبر فی قوله إن الله تعالی یقبض السماوات والأرضین والمخلوقات بالاصابع. قال القاضی: وقال بعض المتکلمین لیس ضحکه (ص) وتعجبه تصدیقاً للحبر، بل هو رد لقوله وإنکار تعجب من سوء اعتقاده، فإن مذهب الیهود التجسیم... انتهی. ونحوه فی:۹ جزء ۱۷/۱۳۱ وفی:۲/۴۶.

ولکن جمهور علماء إخواننا السنة لم یقبلوا هذه النقود العلمیة لأنها رد لما صرح به البخاری ومسلم، فعصمة هذین الکتابین واجبة عندهم حتی من اشتباهات الرواة والنساخ، وحتی لو استلزم ذلک تهمة النبی بتصدیق الیهود فی التجسیم! قال فی الأحادیث القدسیة من الصحاح:۲/۴۳: قال الشیخ أبو عمرو بن الصلاح: ما اتفق علیه الشیخان بمنزلة التواتر، وإن ضحک الرسول لیس إنکاراً... إن ما اتفق علیه الشیخان بمنزلة المتواتر فلا ینبغی التجاسر علی الطعن فی ثقاة الرواة، ورد الأخبار الثابتة! انتهی.

وأمام ذلک التشدد تراجع القسطلانی فی کتاب التوحید:۱۰/۳۸۸ ونقل قول أبی عمر الصلاح وأیده! وقال جامع الأحادیث القدسیة من الصحاح: ۲/۴۵: قال ابن فورک:... وقد اشتد إنکار ابن خزیمة علی من ادعی أن الضحک المذکور علی سبیل الإنکار منه(ص)!

وهكذا أخذ أكثر علماء إخواننا السنة بحديث البخارى عن الحاخام، وشهدوا أن النبى أيده وصدقه، وضحك له ضحكاً كثيراً شديداً من فرحه بهذا العلم العظيم على حد تعبير إمام الوهابية. ولكن عدداً منهم بقى يراوده الشك والتحير كيف يمكن أن يؤيد النبى صلى الله عليه وآله قول يهودى فى التجسيم، مع أن الآية التى قرأها النبى تدل على رده قول اليهودى.

الكوثرى يصعد درجات و لا يصل إلى لب الحقيقة

اقترب الشيخ محمد زاهد الكوثرى من الحقيقة، فاعترف بأن التشبيه والتجسيم انتقل إلى المسلمين من اليهود عن طريق رواة إخواننا السنة من التابعين ومن بعدهم، ولكنه لم ينفذ إلى لب الحقيقة، ولم يجرأ على نسبة ذلك إلى الصحابة الذين أخذوا هذه العقائد من اليهود وأدخلوها فى عقائد المسلمين.

قال فى مقدمته لكتاب الأسماء والصفات للبيهقى:

للمحدثين ورواة الأخبار منزلة عليا عند جمهرة أهل العلم، لكن بينهم من تعدى طوره وألف فيما لايحسنه، فأصبح مجلبة العار لطائفته بالغ الضرر لمن يسايره ويتقلد رأيه! من هؤلاء غالب من ألف منهم فى صفات الله سبحانه، فدونك مرويات حماد بن سلمة فى الصفات تجدها تحتوى على كثير من الأخبار التالفة يتناقلها الرواة طبقة عن طبقة، مع أنه قد تزوج نحو مائة امرأة من غير أن يولد له ولد منهن، وقد فعل هذا التزواج والتنكاح فى الرجل فعله بحيث أصبح فى غير حديث ثابت البنانى لايميز بين مروياته الأصلية وبين مادسه فى كتبه أمثال ربيبه ابن أبى العوجاء وربيبه الآخر زيد المدعو بابن حماد، بعد أن كان جليل القدر بين الرواة قوياً فى اللغة، فضلّ بمروياته الباطلة كثير من بسطاء الرواة.

ويجد المطالع الكريم نماذج شتى من أخباره الواهية فى باب التوحيد من كتب الموضوعات المبسوطة، وفى كتب الرجال، وإن حاول أناس الدفاع عنه بدون جدوى، وشرع الله أحق بالدفاع من الدفاع عن شخص، ولاسيما عند تراكب التهم القاطعة لكل عذر.

فعلت مرويات نعيم بن حماد أيضاً مثل ذلك بل تحمسه البالغ أدى به إلى التجسيم كما وقع مثل ذلك لشيخ شيخه مقاتل بن سليمان تجد آثار الضرر الوبيل فى مروياتهما فى كتب الرواة الذين كانوا يتقلدونها من غير معرفة منهم لما هنالك، فدونك كتاب الإستقامة لخشيش بن أصرم، والكتب التى تسمى السنة لعبد الله وللخلال، ولأبى الشيخ، وللعسال، ولأبى بكر بن عاصم، وللطبرانى، والجامع، والسنة والجماعة لحرب بن إسماعيل السيرجانى، والتوحيد لابن خزيمة، ولابن مندة، والصفات للحكم بن معبد الخزاعى، والنقض لعثمان بن سعيد الدارمى، والشريعة للأجرى، والإبانة لابى نصر السجزى، ولابن بطة، ونقض التأويلات لأبى يعلى القاضى، وذم الكلام، والفاروق لصاحب منازل السائرين.. تجد فيها ما ينبذه الشرع والعقل فى آن واحد ولا سيما النقض لعثمان بن سعيد الدارمى السجزى المجسم فإنه أول من اجترأ من المجسمة بالقول إن الله لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته، فكيف على عرش عظيم!! وتابعه الشيخ الحرانى (ابن تيمية) فى ذلك كما تجد نص كلامه فى غوث العباد المطبوع سنة ١٣٥١ بمطبعة الحلبى. وكم لهذاالسجزى من طامات مثل إثبات الحركة له تعالى وغير ذلك! كم من كتب من هذا القبيل فيها من الأخبار الباطلة والآراء السافلة ما الله به عليم، فاتسع الخرق بذلك على الراقع وعظم الخطب إلى أن قام علماء أمناء برأب الصدع نظراً ورواية وكان من هؤلاء العلماء الخطابى، وأبو الحسن الطبرى، وابن فورك، والحليمى، وأبو إسحاق الأسفراينى، والأستاذ عبد القاهر البغدادى، وغيرهم من السادة القادة الذين لايحصون عدداً... انتهى.

نقول: مع شكرنا لمن تصدى لهذه التحريفات فى عقائد الإسلام.. فإن المشكلة مازالت قائمة فى مصادر إخواننا لكثرة أحاديث الرؤية والتشبيه والتجسيم فيها، وجلها إن لم يكن كلها يرجع مصدره إلى كعب الأحبار وزملائه وتلاميذهم ومن تأثر بهم مثل أبى هريرة وعكرمة ووهب ومقاتل والسفيانين والحمادين ونعيم بن حماد.. الخ.! فلا بد من فتح باب الاجتهاد فى الجرح والتعديل وقيام الدراسات النقدية الجادة لرواة أخبار الصفات.

وفيما يلى نقدم خلاصة أقوال علماء الجرح والتعديل فى اثنين من قدماء الرواة ذكرهما الكوثرى فى كلامه، وهما: حماد بن سلمة، ونعيم بن حماد.

السفيانان والحمادان

السفيانان والحمادان من كبار أئمة الحديث عند إخواننا السنيين، بل هم شيوخ أئمة المذاهب سوى مالك، وكلهم من الفرس ماعدا سفيان الثورى الذى نسب إلى تميم طابخة! وقد ولد الثورى سنة ۹۷ ومات سنة ۱۶۱ ثم سفيان بن عيينة الرازى، أى الطهرانى ولد سنة ۱۰۷ وتوفى سنة ۱۷۸، ثم حماد بن سلمة الفارسى أيضاً الذى توفى سنة ۱۶۷ ثم حماد بن زيد الفارسى أيضاً الذى توفى سنة ۱۷۹ كما فى سير أعلام النبلاء للذهبى.

فالحمادان متعاصران ومتقاربان فى السن، بل ذكر الكوثرى أن حماد بن زيد هو ربيب حماد بن سلمة.. وقد حكم أهل الجرح بأن عقل ابن زيد أكبر من دينه، وأن دين ابن سلمة أكبر من عقله.

حماد بن سلمة

حماد بن سلمة الربعى فارسى مولى ربيعة الجوع، أو ربيعة كلب، قال فى إكمال الكمال:۴/۱۴۷:

وفى اللباب (ربيعة الجوع وهو ربيعة بن مالك بن زيد مناة، منهم حماد بن سلمة الربعى مولاهم إمام مشهور) وذكر أيضاً ربيعة كلب (ربيعة بن حصن بن ضمضم بن عدى بن جناب بن هبل....)

قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء:۷/۴۵۶:

حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، قال إبراهيم بن سعيد الجوهرى: سمعت أبا أسامة يقول: كنت إذا رأيت حماد بن زيد قلت: أدبه كسرى، وفقهه عمر (رض).

قال الخليلى: سمعت عبد الله بن محمد الحافظ، سمعت أبا عبيد محمد بن محمد بن أخى هلال الرأى، سمعت هشام بن على يقول: كانوا يقولون كان علم حماد بن سلمة أربعة دوانيق، وعقلة دانقين، وعلم حماد بن زيد دانقين، وعقله أربعة دوانيق.

وقال المزى فى تهذيب الكمال:۷/۲۵۱ عن حماد بن زيد:

وقال أبو حاتم بن حبان: كان ضريراً يحفظ حديثه كله، وكان درهم جده من سبى سجستان، وما كان يحدث إلا من حفظه، وقد وهم من زعم أن بينهما كما بين الدينار والدرهم، إلا أن يكون القائل أراد فضل ما بينهما مثل الدينار والدرهم فى الفضل والدين، لأن حماد بن سلمة كان أفضل وأدين وأورع من حماد بن زيد، ولسنا ممن يطلق الكلام على أحد بالجزاف بل نعطى كل شيخ قسطه، وكل راو حظه، والله الموفق.

تهذيب التهذيب:۳/۱۰:

وقال أحمد بن حنبل: حماد بن زيد أحب إلينا من عبد الوارث. حماد من أئمة المسلمين من أهل الدين والإسلام، وهو أحب إلى من حماد بن سلمة.

ميزان الاعتدال:۳/۱۳۶:

وقال الذهلى: قلت لأحمد فى على بن عاصم فقال: كان حماد بن سلمة يخطئ، وأومأ أحمد بيده كثيراً، ولم نر بالرواية عنه بأساً.

ونحوه فى سير أعلام النبلاء:۹/۲۵۳ وفى تهذيب الكمال:۲۰/۵۱۰

سير أعلام النبلاء:۵/۲۳۶:

قال أبوداود: سمعت أبا عبدالله أحمد يقول: حماد (بن أبى سليمان) مقارب الحديث، ما روى عنه سفيان وشعبة، ولكن حماد بن سلمة

عنده عنه تخليط.

الانساب:۱/۱۲۱:

الإمام أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الازدى البصرى المعروف بالأزرق...

وروى الذهبى فى سير أعلام النبلاء:۹/۱۱۴ أن حماد بن سلمة كان لا يحترم علم حماد بن زيد.. قال الذهبى: وروى عفان قال: كنا عند حماد بن سلمة، فأخطأ فى حديث، وكان لا يرجع إلى قول أحد، فقيل له: قد خولفت فيه فقال: من؟ قالوا: حماد بن زيد فلم يلتفت، فقيل إن إسماعيل ابن علية يخالفك، فقام ودخل ثم خرج، فقال: القول ما قال إسماعيل.

بعض روايات ابن سلمة فى التشبيه والتجسيم

لسان الميزان:۱/۴۸۵:

أيوب بن عبدالسلام، أبو عبد السلام، قال ابن حبان: كانه كان زنديقاً! يروى عن أبى بكرة عن ابن مسعود رضى الله عنهما: إن الله إذا غضب انتفخ على العرش حتى يثقل على حملته. رواه حماد بن سلمة وكان كذاباً.

قلت، بئس ما فعل حماد بن سلمة برواية مثل هذا الضلال، فقد قال النبى (ص): كفى بالمرء إثما إن يحدث بكل ما سمع، بل ولا أعرف له إسنادا عن حماد فيتأمل هذا، فإن ابن حبان صاحب تشنيع وتشغب. انتهى.

وكذا فى ميزان الإعتدال:۱/۲۹۰ وفيه:/۵۹۰:

حماد بن سلمة، عن ثابت، عن ابن أبى ليلى، عن صهيب–مرفوعاً: للذين أحسنوا الحسنى وزيادة، قال: هى النظر إلى وجه الله.

حماد، عن ثابت، عن أنس أن النبى(ص)قرأ: فلما تجلى ربه للجبل، قال: أخرج طرف خنصره، وضرب على إبهامه، فساخ الجبل! فقال حميد الطويل لثابت: تحدث بمثل هذا! قال فضرب فى صدر حميد وقال: يقوله أنس، ويقوله رسول الله(ص)وأكتمه أنا! رواه جماعة عن حماد (وصححه الترمذى).

إبراهيم بن أبى سويد، وأسود بن عامر، حدثنا حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس ـ مرفوعاً: رأيت ربى جَعْداً أمرد عليه حلة خضراء.

وقال ابن عدى: حدثنا عبد الله بن عبد الحميد الواسطى، حدثنا النضر بن سلمة شاذان، حدثنا الأسود بن عامر، عن حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس أن محمداً رأى ربه فى صورة شاب أمرد دونه ستر من لؤلؤ قدميه أو رجليه فى خضرة. وحدثنا ابن أبى سفيان الموصلى وابن شهريار قالا: حدثنا محمد بن رزق الله بن موسى، حدثنا الأسود بنحوه. وقال عفان: حدثنا عبدالصمد بن كيسان، حدثنا حماد، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبى(ص)، قال: رأيت ربى. (ومثله فى تذكرة الحفاظ: ۲/۵۹۶).

وقال أبوبكر بن أبى داود: حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير، حدثنا أبى، حدثنا حماد بنحوه. فهذا من أنكر ما أتى به حماد بن سلمة، وهذه الرؤية رؤية منام إن صحت... قال المرودى: قلت لأحمد: يقولون لم يسمع قتادة عن عكرمة فغضب وأخرج كتابه بسماع قتادة، عن عكرمة، فى ستة أحاديث. ورواه الحكم بن أبان عن زيرك عن عكرمة. وهو غريب جداً....

وقال... فى الموضوعات: ۱/۱۲۲ عن حديث (أخرج خنصره أو طرف خنصره): وهذا حديث لا يثبت. قال ابن عدى الحافظ: كان ابن أبى العوجاء ربيب حماد بن سلمة فكان يدس فى كتبه هذه الأحاديث. ومثله فى/۱۰۰.

سير أعلام النبلاء:۷/۴۵۱:

وروى عبد العزيز بن المغيرة، عن حماد بن سلمة: أنه حدثهم بحديث نزول الرب عز وجل فقال: من رأيتموه ينكر هذا، فاتهموه....

وقال فى ميزان الاعتدال:۱/۵۹۰:

الدولابى، حدثنا محمد بن شجاع الثلجى، حدثنى إبراهيم بن عبدالرحمن بن مهدى، قال: كان حماد بن سلمة لاـ يعرف بهذه

الأحاديث يعنى التى فى الصفات حتى خرج مرة إلى عبادان فجاء وهو يرويها، فلا أحسب إلا شيطاناً خرج إليه من البحر، فألقاها إليه!
قال ابن الثلجى: فسمعت عباد بن صهيب يقول: إن حماداً كان لا يحفظ، وكانوا يقولون إنها دُسَّت فى كتبه.
وقد قيل: إن ابن أبى العوجاء كان ربيبه فكان يدس فى كتبه. قلت: ابن الثلجى ليس بمصدق على حماد وأمثاله، وقد اتهم. نسأل الله السلامة.

وفى تهذيب التهذيب:۳/۱۱:
وقال الدولابى ثنا محمد بن شجاع البلخى حدثنى إبراهيم بن عبدالرحمن بن مهدى قال كان حماد بن سلمة لا يعرف بهذه الأحاديث التى فى الصفات حتى خرج مرة إلى عبادان فجاء وهو يرويها! فسمعت عباد ابن صهيب يقول: إن حماداً كان لا يحفظ وكانوا يقولون إنها دست فى كتبه. وقد قيل إن ابن أبى العوجاء كان ربيبه فكان يدس فى كتبه...
وحكى أبو الوليد الباجى فى رجال البخارى أن النسائى سئل عنه فقال ثقة. قال الحكم بن مسعدة فكلمته فيه فقال: ومن يجترئ يتكلم فيه لم يكن عند القطان هناك. ثم جعل النسائى يذكر الأحاديث التى انفرد بها فى الصفات كأنه خاف أن يقول الناس تكلم فى حماد من طريقها انتهى.
وهو يدل على ما ذكرناه من أن العوام يحبون التجسيم لأن المعبود المادى أسهل على أذهانهم، وقد كان ذلك عاملاً فى رواج سوق روايات التجسيم اليهودية، حتى أن أئمة المحدثين مثل النسائى يخاف أن يقولوا عنه إنه ضعف حماداً الروايات التجسيم!!
سير أعلام النبلاء:۵/۳۱:
وروى جعفر بن أبى عثمان الطيالسى، عن يحيى بن معين قال: إذا رأيت إنساناً يقع فى عكرمة، وفى حماد بن سلمة، فاتهمه على الإسلام!.
قلت: هذا محمول على الوقوع فيهما بهوى وحيف فى وزنهما، أما من نقل ما قيل فى جرحهما وتعديلهما على الإنصاف فقد أصاب، نعم إنما قال يحيى هذا فى معرض رواية حديث خاص فى رؤية الله تعالى فى المنام، وهو حديث يستنكر. وقد جمع ابن مندة فيه جزءاً سماه: صحة حديث عكرمة.

حماد يروى أن النبى لا يحفظ القرآن

تهذيب الكمال:۲/۲۶۷:
وقال حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الجارود بن أبى سبرة، عن أبى بن كعب: أن رسول الله(ص)صلى بالناس فترك آية! فقال: أيكم أخذ على شيئاً من قراءتى؟ فقال أبى: أنا يا رسول الله، تركت آية كذا وكذا، فقال النبى (ص): قد علمت إن كان أحد أخذها على فإنك أنت هو!
وقال فى تهذيب الكمال:۲/۲۶۸: رواه البخارى فى كتاب القراءة خلف الإمام عن أبى سلمة موسى بن إسماعيل، عن حماد. فوقع لنا بدلاً عالياً!

اخذ حماد القول بالجبر من شيخ شيخه وهب

ميزان الاعتدال:۴/۳۵۳:
وروى حماد بن سلمة عن أبى سنان: سمعت وهب بن منبه يقول: كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء فى كلها: من جعل لنفسه شيئاً على المشيئة فقد كفر، فتركت قولى انتهى. ومثله فى تهذيب الكمال:۳۱/۱۴۷.
ويقصد وهب بكتب الأنبياء: كتب بنى إسرائيل المنسوبة إلى الأنبياء.

ویقصد بعبارته التی نقلها من کتب الیهود: أن من یجعل للإنسان شیئاً من الإرادة فی أفعاله فقد کفر! بل أفعاله کلها بما فیها المعاصی والجرائم من الله تعالی!! وبذلک رفع الیهود مسؤولیة مخالفتهم لأنبیائهم وقتلهم إیاهم عن عواتقهم، ونسبوها إلی الله تعالی..!! وتبعهم فی ذلک بعض المسلمین حذو القذة بالقذة!!

ربیبه عبدالکریم بن أبی العوجاء

نذکر فیما یلی شیئا عن ابن العوجاء ابن زوجة حماد الذی اتهموه بالدس فی أحادیثه، لکی تعرف خطورته.. قال فی لسان المیزان:۴/۵۱:

عبد الکریم بن أبی العوجاء خال معن بن زائدة زندیق مغتر، قال أحمد بن عدی: لما أخذ لیضرب عنقه قال: لقد وضعت فیکم أربعة آلاف حدیث أحرم فیه الحلال وأحلل الحرام!! قتله محمد بن سلیمان العباسی الأمیر بالبصرة. انتهی.

وذکر أبو الفرج الأصبهانی فی کتاب الأغانی عن جریر بن حازم: کان بالبصرة ستة من أصحاب الکلام: واصل بن عطاء وعمرو بن عبید وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وعبد الکریم بن أبی العوجاء ورجل من الأزد، فکانوا یجتمعون فی منزل الأزد...

وفی تهذیب المقال:۳/۱۰۱ ابن أبی العوجاء: هو عبد الکریم بن أبی العوجاء، أحد زنادقة عصر الإمام الصادق علیه السلام. کان من تلامذة الحسن البصری فانحرف عن التوحید، فقیل له ترکت مذهب صاحبک ودخلت فیما لا أصل له ولا حقیقة! قال: إن صاحبی کان مخلطاً یقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهباً دام علیه.

قتله أبو جعفر محمد بن سلیمان عامل البصرة من جهة المنصور. وکان خال معن بن زائدة. وقد جری بینه وبین مولاناالصادق علیه السلام احتجاجات کثیرة... انتهی.

وتجد مناظرات الإمام الصادق علیه السلام وتلامیذه مع ابن أبی العوجاء وصاحبیه أبی شاکر الدیصانی وعبد الله بن المقفع، وبقیة أخباره ونشاطه فی نشر الالحاد، فی: الکنی والألقاب للقمی: ۱/۲۰۱، وفی إختیار معرفة الرجال للطوسی: ۲/۴۳۰، جامع الرواة للاردبیلی:۲/۱۶۰ و۲۹۶ و۴۳۸، والإحتجاج للطبرسی.. وغیرها.

عشرات الألوف من الأحادیث و مئات التلامیذ

تهذیب الکمال:۱۹/۱۴۷:

وقال أبوحاتم: صدوق ثقة، روی عنه أحمد بن حنبل وکان عنده عن حماد بن سلمة تسعة آلاف حدیث...!!

تهذیب الکمال:۲۲/۸۹:

قال إسحاق بن سیار النصیبی: سمعت عمرو بن عاصم یقول: کتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفًا! وکذا: ۷/۲۶۳ وفی سیر أعلام النبلاء:۱۰/۲۵۷ وتهذیب التهذیب:۸/۵۲.

وفی سیر أعلام النبلاء:۷/۴۴۶:

قال عمرو بن عاصم: کتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفاً.

جعفر الطیالسی: سمعت عفان یقول: کتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفاً.

وفی تهذیب الکمال:۲۰/۱۷۲:

وقال جعفر بن أبی عثمان الطیالسی: سمعت عفان یقول: یکون عند أحدهم حدیث فیخرجه بالمقرعة، کتبت عن حماد بن سلمة عشرة آلاف حدیث ما حدثت منها بألفی حدیث.

وقال علی بن سهل بن المغیرة: سمعت یحیی بن معین یقول: لی حانوت بباب الطاق وددت أن عفان قرأ علیَّ کتب حماد بن سلمة

فأبيعه وأدفع ثمنه إليه.

سير أعلام النبلاء:۹/۵۰۰:

قال على بن المدينى: كان عند يحيى بن ضريس عن حماد بن سلمة عشرة آلاف حديث!

تذكرة الحفاظ:۱/۲۰۲:

قال ابن المدينى: كان عنديحيى بن ضريس عن حماد عشرة آلاف حديث.

وقال فى الجرح والتعديل:۳/۱۴۰:

قال يحيى بن معين... وكان عند يحيى بن ضريس عن حماد بن سلمة عشرة آلاف حديث، وعن الثورى عشرة آلاف أو نحوه....

الجرح والتعديل:۱/۳۳۵:

حدثنا عبد الرحمن قال سمعت أبا زرعة يقول: كتبت عن أبى سملة التبوذكى عشرة آلاف حديث، أما حديث حماد بن سلمة فعشرة آلاف حديث، وكنا نظن أنه يقرأ كما يقرأ قديماً فاستكتبنا الكثير، ومات فبقى علينا شئ نحو قوصرة فوهبت لقوم بالبصرة. انتهى. أى بقى من أحاديث التبوذكى تلميذ ابن حماد كيس كبير (خيشة)، وسيأتى أن أحمد بن حنبل روى عنه تسعة آلاف حديث!

تهذيب التهذيب:۳/۱۱:

البخارى فى التعاليق ومسلم والاربعة: حماد بن سلمة بن دينار البصرى أبو سلمة مولى تميم. ويقال مولى قريش وقيل غير ذلك. روى عن: ثابت البنانى وقتادة وخاله حميد الطويل وإسحاق بن عبدالله بن أبى طلحة وانس بن سيرين وثمامة بن عبدالله بن أنس ومحمد بن زياد القرشى وأبى الزبير المكى وعبد الملك بن عمير وعبد العزيز بن صهيب وأبى عمران الجونى وعمرو بن دينار وهشام بن زيد بن انس وهشام بن عروة ويحيى ابن سعيد الأنصارى وأيوب السختيانى وخالد الحذاء وداود بن أبى هند وسليمان التيمى وسماك بن حرب وخلق كثير من التابعين فمن بعدهم.

وعنه: ابن جريج والثورى وشعبة وهم أكبر منه وابن المبارك وابن مهدى والقطان وأبوداود و أبوالوليد الطيالسيان وأبوسلمة التبوذكى وآدم بن أبى اياس والأشيب وأسود بن عامر شاذان وبشر بن السرى وبهز بن أسد وسليمان بن حرب وأبونصر الثمار وهدبة بن خالد وشيبان بن فروخ وعبيد الله العيشى وآخرون... انتهى. وقد أورد الذهبى فى سير أعلام النبلاء: ۷/۴۴۴ عدداً أكبر من شيوخه وتلاميذه.

تهذيب التهذيب:۱۰/۲۹۴:

دعس (أبى داود والنسائى فى مسند على) مهنأ بن عبد الحميد أبوشبل ويقال أبو سهل البصرى. روى عن حماد بن سلمة، وعنه أحمد بن حنبل.

كان مفتى البصرة و له مسجد و يلزم تلاميذه بالكتابة عنه

تهذيب التهذيب:۳/۱۴:

وحماد من أجلة المسلمين وهو مفتى البصرة، وقد حدث عنه من هو أكبر منه سناً. ونحوه فى ميزان الإعتدال:۱/۵۹۰.

ميزان الاعتدال:۱/۶۰۸:

حمزة بن واصل البصرى... قلت: هو صاحب حديث المرأة البيضاء بطوله، رواه الدارقطنى فى كتاب الرؤية من طريق محمد بن سعيد القرشئ، حدثنا حمزة بن واصل المنقرى، وكان يلزم مسجد حماد بن سلمة، وحماد أمرنا أن نكتب عنه..

تذكرة الحفاظ:۱/۲۰۲:

قال أبو داود لم يكن لحماد بن سلمة كتاب إلا كتاب قيس بن سعد...! ومثله فى سير أعلام النبلاء:۷/۴۴۴.

الانساب:۲/۳۵۶:

قلت: وعباد أيضاً ليس بشئ وقد قال أبو داود لم يكن لحماد بن سلمة كتاب غير كتاب قيس بن سعد يعنى كان يحفظ علمه.

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ضاع كتاب حماد عن قيس بن سعد وكان يحدثهم من حفظه.

سير أعلام النبلاء:۱۱/۹۹:

وقال ابن عدى: سمعت أبا يعلى وسئل عن هدبة وشيبان أيهما أفضل فقال: هدبة أفضلهما وأوثقهما وأكثرهما حديثاً، كان حديث حماد بن سلمة عنده نسختين: واحدة على الشيوخ، وأخرى على التصنيف.

و مع هذا وثقه إخواننا وغالوا فيه

إكمال الكمال:۲/۱۸۵:

وفى المشتبه: فقيه العصر أبو حنيفة الخزاز، وإمام المحدثين حماد بن سلمة...

ميزان الاعتدال:۱/۵۹۰:

حماد بن سلمة بن دينار الإمام العلم، أبوسلمة البصرى... وقال ابن المدينى: من سمعتموه يتكلم فى حماد فاتهموه.

وقال رجل لعفان: أحدثك عن حماد قال: من حماد ويلك! قال: ابن سلمة. قال: ألا تقول أمير المؤمنين....

تهذيب الكمال:۱۹/۱۴۷:

قال أبوطالب، عن أحمد بن حنبل: صدوق فى الحديث... روى عنه أحمد بن حنبل وكان عنده عن حماد بن سلمة تسعة آلاف حديث...!

تهذيب الكمال:۷/۲۶۱:

وقال شهاب بن المعمر البلخى: كان حماد بن سلمة يعد من الأبدال، وعلامة الأبدال أن لا يولد لهم! تزوج سبعين امرأة فلم يولد له. انتهى. وكذا فى أنساب السمعانى:۲/۳۵۶.

ولم أجد فيما راجعت من كتب الجرح والتعديل أنه تزوج نحو مئة امرأة كما ذكر العلامة الكوثرى، وإن كانت السبعين أكثر من ثلثى المئة!

تذكرة الحفاظ:۱/۲۰۲:

شهاب بن معمر كان حماد بن سلمة يعد من الأبدال.

وقال فى الجرح والتعديل:۳/۱۴۰:

نا سعيد بن أبى سعيد الاراطى الرازى قال سئل أحمد بن حنبل عن حماد بن سلمة فقال: صالح... المدينى: لم يكن فى أصحاب ثابت أثبت من حماد بن سلمة... عن يحيى بن معين قال: حماد بن سلمة ثقة.

سير أعلام النبلاء:۷/۴۴۴:

حماد بن سلمة بن دينار، الإمام القدوة، شيخ الإسلام، أبوسلمة البصرى، النحوى، البزاز، الخرقى، البطائنى، مولى آل ربيعة بن مالك....

وقال حجاج بن منهال: حدثنا حماد بن سلمة، وكان من أئمة الدين.

قال أبو عبد الله الحاكم: قد قيل فى سوء حفظ حماد بن سلمة، وجمعه بين جماعة فى الإسناد بلفظ واحد، ولم يخرج له مسلم فى الأصول إلا من حديثه عن ثابت، وله فى كتابه أحاديث فى الشواهد عن غير ثابت....

قال أحمد بن حنبل: إذا رأيت من يغمزه، فاتهمه فإنه كان شديداً على أهل البدع، إلا أنه لما طعن فى السن ساء حفظه، فلذلك لم يحتج به البخارى، وأما مسلم فاجتهد فيه وأخرج من حديثه عن ثابت، مما سمع منه قبل تغيره، وما عن غير ثابت فأخرج نحو اثنى عشر

حدیثاً فی الشواهد دون الإحتجاج، فالإحتیاط أن لا یحتج به فیما یخالف الثقات....

قال أبو القاسم البغوی: حدثنی محمد بن مطهر قال: سألت أحمد بن حنبل فقال: حماد بن سلمة عندنا من الثقات، ما نزداد فیه کل یوم إلا بصیرة.

قال أبوسلمة التبوذکی: مات حماد بن سلمة وقد أتی علیه ست وسبعون سنة.

وقال ابن سعد: أخبرنی أ بوعبد الله التمیمی قال: أخبرنی أبوخالد الرازی، عن حماد بن سلمة قال: أخذ إیاس بن معاویة بیدی وأنا غلام فقال: لا ـ تموت حتی تقص، أما إنی قد قلت هذا لخالک یعنی حمید الطویل، فما مات حماد حتی قص. قال أبو خالد قلت لحماد: أنت قصصت قال: نعم.

قلت: القاص هو الواعظ.

قال علی بن عبدالله: قلت لیحیی: حملت عن حماد بن سلمة إملاء. قال: نعم، إملاء کلها، إلا شیئا کنت أسأله عنه فی السوق، فأتحفظ. قلت لیحیی: کان یقول: حدثنی وحدثنا قال: نعم، کان یجیء بها عفواً، حدثنی وحدثنا... انتهی.

أقول: ینبغی للباحث أن یتوقف عند فراسة إیاس بن معاویة بأن حماداً قصاص، وأن فراسته قد تحققت فی حماد! فالقصاص فی القرون الأولی له مواصفات محددة، ومن أولها أن یعرف الإسرائیلیات ویقصها علی الناس.. ولابد أن حمادا کان صاحب بضاعة کبیرة من الإسرائیلیات، وأین هی... إلا فی مرویاته!

تذکرة الحفاظ:۱/۲۰۲:

حماد بن سلمة بن دینار الإمام الحافظ شیخ الإسلام أبو سلمة الربعی مولاهم البصری... وقال وهیب: حماد بن سلمة سیدنا وأعلمنا. وقال أحمد بن حنبل: حماد بن سلمة أعلم الناس بثابت البنانی وأثبتهم فی حمید... قلت: هو أول من صنف التصانیف... وقیل إن حماد بن سلمة تزوج سبعین امرأة ولم یولد له ولد. وعن حمد بن حنبل قال: إذا رأیت الرجل ینال من حماد بن سلمة فاتهمه علی الإسلام. مناقب حماد یطول شرحها...

و احترمه البخاری و روی عنه و لم یکتفوا بذلک

مع أن البخاری ترجم لحماد فی تاریخه الکبیر: ۳/۲۲ بکل احترام، وروی عنه فی صحیحه، ولکن المتعصبین لحماد هاجموا البخاری لماذا لم یحتج بحماد فیما خالف فیه الثقات! وقد دافع بعضهم عن البخاری!

قال فی الموضوعات:۱/۳۴: وإنما اشترط البخاری ومسلم الثقة والإشتهار وقد ترکا أشیاء کثیرة ترکها قریب وأشیاء لا وجه لترکها، فمما ترک البخاری الروایة عن حماد بن سلمة مع علمه بثقته لأنه قیل له إنه کان له ربیب یدخل فی حدیثه ما لیس منه.

تهذیب الکمال:۷/۲۶۶:

یعرض ابن حبان هنا بمحمد بن اسماعیل البخاری صاحب الصحیح، وقد رد ابن حبان علی البخاری رداً قویاً فی مقدمة صحیحه ۱۱۴ ـ ۱۱۷ بسبب عدم تخریجه له.

الأنساب للسمعانی:۲/۳۵۶:

ولم ینصف من جانب حدیثه واحتج بأبی بکر بن عیاش فی کتابه وبابن أخی الزهری وبعبد الرحمن بن عبدالله بن دینار، فإن کان ترکه إیاه لما کان یخطئ فغیره من أقرانه مثل الثوری وشعبة ودونهما کانوا یخطئون، فإن زعم أن خطأه قد کثر من تغیر حفظه فقد کان ذلک فی أبی بکر بن عیاش موجوداً، وأنی یبلغ أبوبکر حماد بن سلمة، ولم یکن من أقران حماد بالبصرة مثله فی الفضل والدین والعلم والنسک والجمع والکتبة والصلابة فی السنة والقمع لأهل البدعة، ولم یکن مثله فی أیامه معتزلی قدری جهمی لما کان یظهر من السنن الصحیحة التی ینکرها المعتزلة، وأنی یبلغ أبوبکر بن عیاش حماد بن سلمة فی إتقانه أم فی جمعه أم فی ضبطه. هذا کله

كلام أبى حاتم بن حبان البستى.

... واعتذر أبوالفضل بن طاهر عن ذلك لما ذكر أن مسلماً أخرج أحاديث أقوام ترك البخارى حديثهم، قال: وكذلك حماد بن سلمة إمام كبير لمدحه الأئمة وأطنبوا لما تكلم بعض منتحلى المعرفة أن بعض الكذبة أدخل فى حديثه ما ليس منه. لم يخرج عنه البخارى معتمداً عليه، بل استشهد به فى مواضع ليبين أنه ثقة، وأخرج أحاديثه التى يرويها من حديث أقرانه كشعبة وحماد بن زيد وأبى عوانة وغيرهم.

ومسلم اعتمد عليه لأنه رأى جماعة من أصحابه القدماء والمتأخرين لم يختلفوا وشاهد مسلم منهم جماعة وأخذ عنهم. ثم عدالة الرجل فى نفسه وإجماع أئمة أهل النقل على ثقته وأمانته!!

نعيم بن حماد

التاريخ الكبير:۸/۱۰۰:

نعيم بن حماد المروزى سكن مصر كنيته أبو عبد الله سمع ابن المبارك وابن عيينة والفضل بن موسى، هو الفارض....

الجرح والتعديل:۸/۴۶۳:

نعيم بن حماد وكنيته أبو عبد الله المروزى الخزاعى الأعور المعروف بالفارض سكن مصر روى عن عبد المؤمن بن خالد... مات سنة ثمان وعشرين ومئتين...

بعض مناكيره و رواياته فى التجسيم

ميزان الإعتدال:۲/۱۰۲:

نعيم بن حماد، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمى، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن عمر ـ مرفوعاً: سألت ربى فيما اختلف فيه أصحابى من بعدى، فأوحى الله إلى: يا محمد إن أصحابك عندى بمنزلة النجوم بعضهم أضوأ من بعض، فمن أخذ بشئ مما هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى. فهذا باطل، وعبد الرحيم تركوه، ونعيم صاحب مناكير.

ميزان الإعتدال: ۴/۲۶۸:

قال أبو داود: كان عند نعيم بن حماد نحو عشرين حديثاً عن النبى(ص)، ليس لها أصل. وقال النسائى: هو ضعيف.

وقال أبو زرعة الدمشقى: عرضت على دحيم حديثاً حدثناه نعيم بن حماد، عن الوليد بن مسلم، عن ابن جابر، عن ابن أبى زكريا، عن رجاء بن حياة، عن النواس بن سمعان: إذا تكلم الله بالوحى.... فقال دحيم: لا أصل له.

نعيم بن حماد، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبى هلال، عن مروان بن عثمان، عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل أنها سمعت النبى(ص)يقول: رأيت ربى فى أحسن صورة شاباً موقراً رجلاه فى خضرة عليه نعلان من ذهب. قال أبو عبد الرحمن النسائى: ومن مروان حتى يصدق على الله تعالى! وقد سرد ابن عدى فى الكامل جملة أحاديث انفرد بها نعيم...

سير أعلام النبلاء:۱۳/۲۹۹:

عن ابن قتيبة: وما أحسن قول نعيم بن حماد، الذى سمعناه بأصح إسناد عن محمد بن إسماعيل الترمذى، أنه سمعه يقول: من شبه الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه، فقد كفر، وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهاً.

قلت: أراد أن الصفات تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف تعالى: صفاته لا مثل لها، إذ لا فرق بين القول فى الذات والقول فى الصفات، وهذا هو مذهب السلف. انتهى.

وهكذا يدافع الذهبى عن تشبيه ابن حماد وتجسيمه، وقد صحح خبر أم الطفيل كما سترى!

تهذيب التهذيب:١٠/۴٠٩:

وقال صالح بن محمد الأسدى فى حديث شعيب عن الزهرى كان محمد بن جبير يحدث عن معاوية فى: الأمراء من قريش، والزهرى إذا قال كان فلان يحدث فليس هو سماع. قال: وقد روى هذا الحديث نعيم بن حماد عن ابن المبارك عن معمر عن الزهرى عن محمد بن جبير عن معاوية نحوه وليس لهذا الحديث أصل من ابن المبارك! ولا أدرى من أين جاء به نعيم! وكان نعيم يحدث من حفظه وعنده مناكير كثيرة لا يتابع عليها. قال: وسمعت يحيى بن معين سئل عنه فقال ليس فى الحديث بشئ ولكنه صاحب سنة.

وقال الآجرى عن أبى داود عند نعيم نحو عشرين حديثاً عن النبى(ص)ليس لها أصل. وقال النسائى نعيم ضعيف، وقال فى موضع آخر ليس بثقة... وقال غيره: كان يضع الحديث فى تقوية السنة!! وحكايات فى ثلب أبى حنيفة كلها كذب....

وقال أبو الفتح الأزدى: قالوا كان يضع الحديث فى تقوية السنة!! وحكايات مزورة فى ثلب أبى حنيفة كلها كذب... قال النسائى ضعيف...

سير أعلام النبلاء:١٠/۵٩۵:

قال عبد الخالق بن منصور: رأيت يحيى بن معين كأنه يهجن نعيم بن حماد فى خبر أم الطفيل فى الرؤية ويقول: ما كان ينبغى له أن يحدث بمثل هذا...

فأما خبر أم الطفيل، فرواه محمد بن إسماعيل الترمذى وغيره، حدثنا نعيم، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبى هلال أن مروان بن عثمان حدثه عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل امرأة أبى بن كعب: سمعت رسول الله(ص)يذكر أنه رأى ربه فى صورة كذا. فهذا خبر منكر جدا، أحسن النسائى حيث يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يصدق على الله!

وهذا لم ينفرد به نعيم، فقد رواه أحمد بن صالح المصرى الحافظ، وأحمد بن عيسى التسترى، وأحمد بن عبدالرحمن بن وهب، عن ابن وهب. قال أبو زرعة النصرى: رجاله معروفون.

قلت: بلا ريب قد حدث به ابن وهب وشيخه وابن أبى هلال وهم معروفون عدول، فأما مروان، وما أدراك ما مروان، فهو حفيد أبى سعيد بن المعلى الأنصارى، وشيخه هو عمارة بن عامر بن عمرو بن حزم الأنصارى. ولئن جوزنا أن النبى(ص)قاله، فهو أدرى بما قال!! ولرؤياه فى المنام تعبير لم يذكره عليه السلام، ولا نحن نحسن أن نعبره، فأما أن نحمله على ظاهره الحسى، فمعاذ الله أن نعتقد الخوض (!) فى ذلك بحيث إن بعض الفضلاء قال: تصحف الحديث، وإنما هو: رأى رئية، بياء مشددة. وقد قال على (رض): حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون. وقد صح أن أبا هريرة كتم حديثا كثيرا مما لا يحتاجه المسلم فى دينه، وكان يقول: لو بثثته فيكم لقطع هذا البلعوم، وليس هذا من باب كتمان العلم فى شئ، فإن العلم الواجب يجب بثه ونشره ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذى فى فضائل الأعمال مما يصح إسناده يتعين نقله ويتأكد نشره، وينبغى للامة نقله، والعلم المباح لا يجب بثه ولا ينبغى أن يدخل فيه إلا خواص العلماء.!! انتهى.

فقد صحح الذهبى حديث أم الطفيل وفسره بالظاهر الحسى المادى، ثم حبذ عدم الخوض فيه! وهذا هو مذهبه ومذهب ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، كما بينا فى كتاب الوهابية والتوحيد.

وقال ابن كثير فى تفسيره، فى قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الأعراف: ۵۴: بل الأمر كما قال الأئمة، منهم نعيم بن حمادالخزاعى شيخ البخارى: من شبه الله بخلقه فقد كفر. ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر. وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه!

قال السبكى الكبير فى السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل ـ ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم للكوثرى ـ مكتبة زهران بمصر. وابن زفيل هو ابن القيم وزفيل اسم أبيه الذى كان قيما للمدرسة الجوزية وهى مدرسة للحنابلة بدمشق فعرف باسم ابن قيم الجوزية.

قال فى/٢٠۵:

ومما يزيدك بصيرة فى هذا الباب اجتراء الذهبى على حذف لفظ (إن صحت الحكاية عنه) من كلام البيهقى فى الأسماء والصفات

(۳۰۳/) عندما نقل كلامه فى كتاب العلو (۱۲۶/) فى صدد نسبة القول بأن الله فى السماء إلى أبى حنيفة ليخيل إلى السامع أن سند هذه الرواية لا مغمز فيه!

مع أن نوحاً الجامع ربيب مقاتل بن سليمان المجسم فى السند هالك مثل زوج أمه، وكذلك نعيم بن حماد ربيب نوح وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدين فى عداد المجسمة! فأين التعويل على رواية مجسم فيما يحتج به لمذهبه؟! وليس بقليل ما ذكره الذهبى فى حقهما فى ميزان الإعتدال..

و مع ذلک وثقوا نعيما لأنه صلب فی السنة

سير أعلام النبلاء:۱۰/۵۹۵:

نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام العلامة الحافظ، أبو عبد الله الخزاعى المروزى الفرضى الأعور... روى عنه: البخارى مقرونا بآخر، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجة بواسطة، ويحيى بن معين، والحسن بن على الحلوانى، وأحمد بن يوسف السلمى، ومحمد بن يحيى الذهلى،ومحمد بن عوف، والرمادى، وأبومحمد الدارمى، وسمويه، وأبو الدرداء عبدالعزيز بن منيب، وعبيد بن شريك البزار، وأبو حاتم، ومحمد بن إسماعيل الترمذى، ويعقوب الفسوى، وأبو الأحوص العكبرى، وبكر بن سهل الدمياطى، وخلقٌ...

تهذيب التهذيب:۱۰/۴۰۹:

روى عنه البخارى مقروناً وروى له الباقون سوى النسائى بواسطة... وقال الميمونى عن أحمد: أول من عرفناه يكتب المسند نعيم. وقال الخطيب يقال إنه أول من جمع المسند.

وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه: كان نعيم كاتباً لأبى عصمة وهو شديد الرد على الجهمية وأهل الاهواء ومنه تعلم نعيم بن حماد...

وقال أيضاً: ثنا الحسن بن سفيان ثنا عبدالعزيز بن سلام حدثنى أحمد بن ثابت أبويحيى سمعت أحمد ويحيى بن معين يقولان: نعيم معروف بالطلب ثم ذمه بأنه يروى عن غير الثقات....

قال ابن عدى وابن حماد متهم فيما يقوله عن نعيم لصلابته فى أهل الرأى وأورد له ابن عدى أحاديث مناكير وقال: وليعلم غير ما ذكرت. وقد أثنى عليه قوم وضعفه قوم وكان أحد من يتصلب فى السنة.

تهذيب التهذيب:۱۰/۴۱۱:

قال عبد الغنى بن سعيد المصرى: كل من حدث به عن عيسى بن يونس غير نعيم بن حماد فإنما أخذه من نعيم. وبهذا الحديث سقط نعيم عند كثير من أهل العلم بالحديث إلا أن يحيى ابن معين لم يكن ينسبه إلى الكذب بل كان ينسبه إلى الوهم... وذكره ابن حبان فى الثقات وقال ربما أخطأ ووهم... أما نعيم فقد ثبتت عدالته وصدقه ولكن فى حديثه أوهام معروفة... قال فيه الدارقطنى إمام فى السنة كثير الوهم. وقال أبو أحمد الحاكم ربما يخالف فى بعض حديثه وقد مضى أن ابن عدى يتتبع ما وهم فيه، فهذا فصل القول فيه.

هامش سير أعلام النبلاء:۱۹/۵۰۵:

هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعى المروزى نزيل مصر، مشهور من الحفاظ، لقيه البخارى ولكنه لم يخرج عنه فى الصحيح سوى موضع أو موضعين، وعلق له أشياء أخر، وروى له مسلم فى المقدمة موضعاً واحداً، وأصحاب السنن إلا النسائى، وكان أحمد يوثقه، وكذا فى رواية عن ابن معين، وسئل عنه ابن معين فقال: ليس فى الحديث بشئ ولكنه صاحب سنة، وقال الاجرى عن أبى داود: عند نعيم نحو عشرين حديثا عن النبى(ص)ليس لها أصل، وقال النسائى: نعيم ضعيف، وقال فى موضع آخر: ليس بثقة، وقال الحافظ أبوعلى النيسابورى: سمعت النسائى يذكر فضل نعيم بن حماد وتقدمه فى العلم والمعرفة بالسنن، فقيل له فى قبول حديثه، فقال: قد كثر تفرده عن الأئمة فصار فى حد من لا يحتج به. وقال ابن قاسم: كان صدوقاً وهو كثير الخطأ، وله أحاديث منكرة

(فی الملاحم) انفرد بها. وقال الدارقطنی: إمام فی السنهٔ کثیر الوهم.

مکانهٔ المشبهین والمجسمین فی مصادر السنیین

المشبهون سادهٔ فی التاریخ و مصادر السنهٔ

لا نحتاج إلی إثبات احترام مصادر إخواننا السنهٔ لأهل التشبیه والتجسیم، بعد أن کشفنا أن التشبیه والتجسیم دخل إلی المسلمین من کعب الأحبار وجماعته، عن طریق أکبر شخصیات الدولهٔ الإسلامیهٔ، وبذلک شقت أحادیثه طریقها إلی مصادرهم، فصارت جزء من عقائد الأمهٔ وتاریخها، وتأثر بها علماء وجماهیر! وتحقق قول النبی صلی الله علیه وآله عن تقلید المسلمین للیهود والنصاری: حذو القذهٔ بالقذهٔ والنعل بالنعل!

إنه بحث مفید أن یتتبع الباحث مجری هذه الأحادیث وتأثیرها علی حیاهٔ الأمهٔ الفکریهٔ والإجتماعیهٔ والسیاسیهٔ، ویؤرخ لقصهٔ التجسیم والمجسمین ابتداء من کعب الأحبار.. إلی.. عصرنا، وما سببته من انقسامات فی الأمهٔ وصراعات، وحروب وخسارات..

ونکتفی هنا بلقطات من عصور مختلفهٔ یظهر منها احترام أکثر المصادر وأکثر الحکام للتجسیم والمجسمین.

وهب بن منبه: فارسی، یهودی، مجسم محترم و شیخ للمحدثین

روی عنه الصنعانی فی تفسیره کثیراً من أفکار التوراهٔ والتلمود فی التجسیم، منها فی:۱/۲۱۶: عن وهب بن منبه... لما أکل آدم وحواء من الشجرهٔ بدت لهما سوآتهما دخل آدم فی جوف الشجرهٔ فناداه ربه أین أنت یا آدم؟

قال: ها هنا یا رب.

قال: ألا تخرج؟

قال: أستحی منک یا رب!

فقال: ملعونهٔ الأرض التی خلقت منها!

ورواه الطبری مفصلًا فی تاریخه:۱/۷۲، وروی عنه أنواعاً من الإسرائیلیات تکفی للتدلیل علی أن ثقافهٔ وهب یهودیهٔ تلمودیهٔ، فمما رواه فی تاریخه: ۱/۳۳۷: عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه قال: لما سلمت بنو إسرائیل الملک لطالوت أوحی الله إلی نبی بنی إسرائیل أن قل لطالوت فلیغز أهل مدین فلا یترک فیها حیاً إلا قتله، فإنی سأظهره علیهم، فخرج بالناس حتی أتی مدین فقتل من کان فیها إلا ملکهم فإنه أسره وساق مواشیهم.

فأوحی الله إلی أشمویل: ألا تعجب من طالوت إذ أمرته بأمری فأختل فیه فجاء بملکهم أسیراً وساق مواشیهم، فالقه فقل له لأنزعن الملک من بیته ثم لا یعود فیه إلی یوم القیامهٔ، فإنی إنما أکرم من أطاعنی وأهین من هان علیه أمری.

فلقیه فقال له: ما صنعت لم جئت بملکهم أسیراً، ولم سقت مواشیهم!

قال: إنما سقت المواشئ لأقربها.

قال له أشمویل: إن الله قد نزع من بیتک الملک ثم لا یعود فیه إلی یوم القیامهٔ!

فأوحی الله إلی أشمویل إنطلق إلی إیشئ فیعرض علیک بنیه فادهن الذی آمرک بدهن القدس یکن ملکاً علی بنی إسرائیل! فانطلق حتی أتی إیشی فقال: إعرض علیَّ بنیک.

فدعا إیشی یأکبر ولده فأقبل رجل جسیم حسن المنظر، فلما نظر إلیه أشمویل أعجبه، فقال الحمد لله إن الله بصیر بالعباد، فأوحی الله إلیه: إن عینیک تبصران ما ظهر، وإنی أطلع علی ما فی القلوب لیس بهذا.

فقال لیس بهذا، إعرض علی غیره فعرض علیه ستة، فی کل ذلک یقول لیس بهذا إعرض علیَّ غیره، فقال هل لک من ولد غیرهم؟ فقال بلی لی غلام أمغر وهو راع فی الغنم.

قال أرسل إلیه، فلما أن جاء داود جاء غلام أمغر فدهنه بدهن القدس، وقال لأبیه: أکتم هذا فإن طالوت لو یطلع علیه قتله!

فسار جالوت فی قومه إلی بنی إسرائیل فعسکر، وسار طالوت ببنی إسرائیل وعسکر وتهیؤوا للقتال فأرسل جالوت إلی طالوت: لم یقتل قومی وقومک؟ أبرز لی أو أبرز لی من شئت، فإن قتلتک کان الملک لی وإن قتلتنی کان لک، فأرسل طالوت فی عسکره صائحاً من یبرز لجالوت.. ثم ذکر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إیاه وما کان من طالوت إلی داود. انتهی.

وقد قبل الطبری هذه الروایة فقال: قال أبو جعفر: وفی هذا الخبر بیان أن داود قد کان الله حول الملک له قبل قتله جالوت وقبل أن یکون من طالوت إلیه ما کان من محاولته قتله، وأما سائر من روینا عنه قولاً فی ذلک فإنهم قالوا إنما ملک داود بعد ما قتل طالوت وولده.

وروی الطبری فی تاریخه عن وهب أیضاً:۱/۳۴۳:

ابن معقل أنه سمع وهب بن منبه یقول: إن داود أراد أن یعلم عدد بنی إسرائیل کم هم، فبعث لذلک عرفاء ونقباء وأمرهم أن یرفعوا إلیه ما بلغ عددهم، فعتب الله علیه ذلک وقال:

قد علمت أنی وعدت إبراهیم أن أبارک فیه وفی ذریته حتی أجعلهم کعدد نجوم السماء وأجعلهم لا یحصی عددهم، فأردت أن تعلم عدد ما قلت إنه لا یحصی عددهم، فاختاروا بین أن أبتلیکم بالجوع ثلاث سنین أو أسلط علیکم العدو ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أیام!

فاستشار داود فی ذلک بنی إسرائیل فقالوا ما لنا بالجوع ثلاث سنین صبر، ولا بالعدو ثلاثة أشهر، فلیس لهم بقیة، فإن کان لابد فالموت بیده لا بید غیره.

فذکر وهب بن منبه أنه مات منهم فی ساعة من نهار ألوف کبیرة لا یدری ما عددهم!

فلما رأی ذلک داود شق علیه ما بلغه من کثرة الموت فتبتل إلی الله ودعاه فقال:

یا رب أنا آکل الحماض وبنو إسرائیل یضرسون! أنا طلبت ذلک فأمرت به بنی إسرائیل فما کان من شئ فبی واعف عن بنی إسرائیل.

فاستجاب الله له ورفع عنهم الموت، فرأی داود الملائکة سالین سیوفهم یغمدونها یرتقون فی سلم من ذهب من الصخرة إلی السماء، فقال داود: هذا مکان ینبغی أن یبنی فیه مسجد.

فأراد داود أن یأخذ فی بنائه فأوحی الله إلیه أن هذا بیت مقدس وأنک قد صبغت یدک فی الدماء فلست ببانیه، ولکن ابن لک أملکه بعدک أسمیه سلیمان أسلمه من الدماء، فلما ملک سلیمان بناه وشرفه!

وروی عنه المزی فی تهذیب الکمال:۲۰/۳۳:

وقال حنظلة بن أبی سفیان، عن عروة بن محمد: لما استعملت علی الیمن قال لی أبی: أولیت الیمن قلت: نعم. قال: إذا غضبت فانظر إلی السماء فوقک وإلی الأرض أسفل منک ثم أعظم خالقهما. وقال سماک بن الفضل: کنت عند عروة بن محمد جالساً وعنده وهب بن منبه فأتی بعامل لعروة فشکی، فأکثروا علیه فقالوا: فعل وفعل وثبتت علیه البینة. قال: فلم یملک وهب نفسه فضربه علی قرنه بعصا فإذا دماؤه تشخب وقال: أفی زمن عمر بن عبد العزیز تصنع مثل هذا! قال: فاشتهاها عروة وکان حلیماً واستلقی علی قفاه وضحک وقال: یعیب علینا أبو عبد الله الغضب فی حکمته وهو یغضب! فقال وهب: وما لی لا أغضب وقد غضب خالق الاحلام! إن الله تعالی یقول: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، یقول: أغضبونا. انتهی.

أقول: حاول وهب أن یستدل علی نسبة الغضب إلی الله تعالی بالآیة ففسر

(آسفونا) بأن الله تعالی یغضب کغضب البشر، ولکن أصل الغضب الإلهی فی رأس وهب هو الغضب التلمودی الذی قال عنه الدکتور

أحمد شلبی فی مقارنة الأدیان:۱/۲۶۷:

یروی التلمود أن الله ندم لما أنزله بالیهود وبالهیکل، ومما یرویه التلمود علی لسان الله قوله: تب لی لانی صرحت بخراب بیتی وإحراق الهیکل ونهب أولادی. ولیست العصمة من صفات الله فی رأی التلمود، لأنه غضب مرة علی بنی إسرائیل فاستولی علیه الطیش، فحلف بحرمانهم من الحیاة الأبدیة، ولکنه ندم علی ذلک بعد أن هدأ غضبه، ولم ینفذ قسمه لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة.

وترجم السمعانی لوهب فی الانساب بکل احترام فقال فی:۳/۱۱:

وأبو عبد الله وهب بن منبه بن کامل بن سیج بن سبسجان الذماری من أبناء فارس، کان ینزل ذمار، یروی عن جابر بن عبدالله وابن عباس رضی الله عنهم وأخیه همام بن منبه، وکان عابداً فاضلاً، قرأ الکتب ومکث أربعین سنة یصلی الصبح بوضوء العشاء الآخرة، وهم أخوة خمسة: وهب وهمام وغیلان وعقیل ومعقل والد عقیل بن معقل، روی عنه عمرو بن دینار والمغیرة بن حکیم وعوف الأعرابی وسماک بن الفضل والمنذر بن النعمان وبکار وعبدالصمد بن معقل، وسئل أبو زرعة عن وهب بن منبه فقال: یمانی ثقة... الخ.

وترجم له الذهبی فی میزان الاعتدال کما یترجم لثقاة الرواة فقال فی: ۴/۳۵۲:

وهب بن منبه أبو عبد الله الیمانی، صاحب القصص، من أحبار علماء التابعین، ولد فی آخر خلافة عثمان، حدیثه عن أخیه همام فی الصحیحین. وروی عن ابن عباس، وعبدالله بن عمرو، وروی عنه عمرو بن دینار وعوف الاعرابی وأقاربه. وکان ثقة صادقاً، کثیر النقل من کتب الإسرائیلیات. قال العجلی: ثقة تابعی، کان علی قضاء صنعاء. انتهی. وماذا یقول الباحث أمام حقیقة: حدیثه فی الصحیحین... کثیر النقل من کتب الإسرائیلیات!

وترجم له کذلک فی سیره:۴/۱ فقال:

وهب بن منبه بن کامل بن سیج بن ذی کبار، وهو الأسوار، الإمام العلامة الأخباری القصصی، أبوعبد الله الأبناوی الیمانی الذماری الصنعانی، أخو همام بن منبه، ومعقل بن منبه، وغیلان بن منبه. مولده فی زمن عثمان سنة أربع وثلاثین، ورحل وحج، وأخذ عن ابن عباس، وأبی هریرة إن صح وأبی سعید، والنعمان بن بشیر، وجابر، وابن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص علی خلاف فیه وطاووس. حتی إنه ینزل ویروی عن عمرو بن دینار، وأخیه همام، وعمرو بن شعیب وفنج الیمانی ولا یدری من فنج.

حدث عنه ولداه: عبدالله وعبد الرحمن، وعمرو بن دینار، وسماک بن الفضل، وعوف الأعرابی، وعاصم بن رجاء بن حیوة، ویزید بن یزید بن جابر، وعبد الله بن عثمان بن خثیم، وإسرائیل أبو موسی، وهمام بن نافع أبو عبد الرزاق، والمغیرة بن حکیم، والمنذر بن النعمان، وابن أخیه عقیل بن معقل، وابن أخیه عبدالصمد بن معقل، وسبطه إدریس بن سنان، وصالح بن عبید، وعبد الکریم بن حوران، وعبدالملک بن خلج، وداود بن قیس، وعمران بن هربذ أبو الهذیل، وعمران بن خالد الصنعانیون، وخلق سواهم.

وروایته للمسند قلیلة، وإنما غزارة علمه فی الإسرائیلیات، ومن صحائف أهل الکتاب.

قال أحمد: کان من أبناء فارس له شرف، قال: وکل من کان من أهل الیمن له ذی هو شریف، یقال: فلان له ذی، وفلان لا ذی له. قال العجلی: تابعی ثقة، کان علی قضاء صنعاء.. وقال أبو زرعة والنسائی: ثقة.

قال أحمد بن محمد بن الأزهر: سمعت سلمة بن همام بن مسلمة بن همام یذکر عن آبائه: أن هماماً ووهبا وعبد الله ومعقلاً ومسلمة بنو منبه أصلهم من خراسان، من هراة، فمنبه من أهل هراة، خرج أیام کسری، وکسری أخرجه من هراة، ثم إنه أسلم علی عهد النبی(ص)فحسن إسلامه. ومسکنهم بالیمن، وکان وهب بن منبه یختلف إلی هراة، ویتفقد أمر هراة.

حسان بن إبراهیم: حدثنا یحیی بن زبان، أنبأنا عبدالله بن راشد، عن مولی لسعید بن عبدالملک: سمعت خالد بن معدان یحدث عن عبادة بن الصامت، سمع النبی(ص)یقول: سیکون فی أمتی رجلان: أحدهما یقال له وهب، یؤتیه الله الحکم، والآخر یقال له غیلان، هو أشد علی أمتی من إبلیس. سئل ابن معین عن ابن زبان وشیخه فقال: لا أعرفهما....

وعن عبدالرزاق، عن أبیه، عن وهب قال: یقولون عبدالله بن سلام کان أعلم أهل زمانه، وإن کعباً أعلم أهل زمانه، أفرأیت من جمع علمهما، أهو أعلم أم هما، إسنادها مظلم.

وعن کثیر، أنه سار مع وهب، فباتوا بصعدهٔ عند رجل، فخرجت بنت الرجل فرأت مصباحاً، فاطلع صاحب المنزل فنظر إلیه صافا قدمیه...

وقال ابن کثیر کلاماً ناعماً حول إسرائیلیات کعب ووهب کما فی سیر أعلام النبلاء فی ترجمهٔ وهب:

قال الحافظ ابن کثیر فی تفسیره، فیه (کعب الأحبار) وفی وهب بن منبه: سامحهما الله تعالی فیما نقلاه إلی هذه الأمهٔ من أخبار بنی إسرائیل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما کان ومما لم یکن، ومما حرف وبدل ونسخ. انتهی. والدعاء لهما بالمسامحهٔ والمغفرهٔ شئ، ومعالجهٔ آثار عدوانهما من مصادر المسلمین شئ آخر.

مقاتل بن سلیمان البلخی، مجسم و شیخ ابن حماد و أستاذ للمفسرین

قال ابن حبان فی المجروحین:۳/۱۴:

مقاتل بن سلیمان الخراسانی مولی الأزد، أصله من بلخ وانتقل إلی البصرهٔ وبها مات بعد خروج الهاشمیهٔ، کنیته أبو الحسن، کان یأخذ عن الیهود والنصاری علم القرآن الذی یوافق کتبهم، وکان شَبَهیاً یشبه الرب بالمخلوقین، وکان یکذب مع ذلک فی الحدیث.

أخبرنا عمرو بن محمد قال: حدثنا محمد بن حبال قال: حدثنا عمر بن عبدالغفار: سمعت سفیان بن عیینهٔ وذکر عنده مقاتل بن سلیمان فقال: کنت أتیته سراً فقلت له: إن الناس یزعمون أنک لم تسمع من الضحاک، فقال: لقد کان یغلق علی وعلیه باب واحد.

سمعت إبراهیم بن محمد بن یوسف قال: سمعت الخضر بن حیان سمعت یحیی بن نصر بن حاجب: سمعت أبا حنیفهٔ یقول: یا أبا یوسف إحذر صنفین من خراسان: الجهمیهٔ والمقاتلیهٔ.

سمعت ابن خزیمهٔ یقول سمعت علی بن خشرم یقول سمعت وکیعاً یقول: لقینا مقاتل بن سلیمان کان کذاباً....

أخبرنا عمرو بن محمد قال: حدثنا محمد بن عبد بن حمید قال: حدثنا ابن أبی شیبهٔ وهو عثمان قال: حدثنا جریر عن مغیرهٔ بن عبدالرحمن قال: العجب لقوم یکون ذلک فیهم رأساً یعنی مقاتل بن سلیمان. أخبرناه الحسین بن صالح بن حمویه بهمدان قال: حدثنا عبدالعزیز بن منیب قال: حدثنا أبو معاویهٔ النحوی قال: حدثنا خارجهٔ قال: سمعت الکلبی یقول: ما قتلت مسلماً ولا معاهداً ولو رأیت مقاتل بن سلیمان حیث لا یکون بینی وبینه أحد لتقربت بدمه إلی الله عز وجل.

وقال الرازی فی الجرح والتعدیل:۸/۳۵۴:

ثنا عبد الرحمن قال ذکره أبی نا محمود بن غیلان قال سئل وکیع عن مقاتل بن سلیمان فقال: سمعنا منه والله المستعان.

نا عبد الرحمن نا العباس بن الولید بن مزید البیروتی سمعت بعض مشیختنا یقول: جلس مقاتل بن سلیمان فی مسجد بیروت فقال: لا تسألونی عن شئ ما دون العرش إلا أنبأتکم عنه، فقال الأوزاعی لرجل: قم إلیه فسله ما میراثه من جدتیه، فحار ولم یکن عنده جواب، فما بات فیها إلا لیلهٔ ثم خرج بالغداهٔ.

نا عبدالرحمن نا صالح بن أحمد بن حنبل قال قال أبی: مقاتل بن سلیمان صاحب التفسیر ما یعجبنی أن أروی عنه شیئاً.

نا عبد الرحمن نا محمد بن سعید المقرئ قال: سئل عبد الرحمن یعنی ابن الحکم بن بشیر عن مقاتل بن سلیمان فقال: کان قاصاً، ترک الناس حدیثه.

وقال ابن حجر فی تهذیب التهذیب:۱۰/۲۴۹:

وروی عن الشافعی أن وجوه الناس عیال علی مقاتل فی التفسیر!

وقال نعیم بن حماد: رأیت عند ابن عیینهٔ کتاباً لمقاتل فقلت: یا أبا محمد تروی لمقاتل فی التفسیر! قال لا، ولکن أستدل به

وأستعين....

وقال مكى بن إبراهيم عن يحيى بن شبل قال لى عباد بن كثير: ما يمنعك من مقاتل؟ قلت: إن أهل بلادنا كرهوه، فقال: لا تكرهه فما بقى أحد أعلم بكتاب الله تعالى منه.

وقال القاسم بن أحمد الصفار: قلت لإبراهيم الحربى ما بال الناس يطعنون على مقاتل؟ قال: حسداً منهم له....

وكان يقص فى الجامع فوقعت العصبية بينه وبين جهم فوضع كل واحد منهما كتاباً على الآخر ينقض عليه....

وقال محمد بن سماعة عن أبى يوسف عن أبى حنيفة: أفرط جهم فى النفى حتى قال إنه ليس بشىء، وأفرط مقاتل فى الإثبات حتى جعل الله تعالى مثل خلقه... وقال عبد الله ابن أبى القاضى الخوارزمى سمعت إسحاق بن إبراهيم الحنظلى يقول: أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم فى الدنيا نظير يعنى فى البدعة والكذب، جهم ومقاتل وعمر بن صبح.

وقال ابن حجر فى تهذيب التهذيب:۱۰/۲۵۱:

وقال أبو إسماعيل الترمذى عن عبد العزيز بن عبد الله الأوسى قال: حدثنا مالك بن أنس أنه بلغه أن مقاتل بن سليمان جاءه إنسان فقال له: إن إنساناً جاءنى فسألنى عن لون كلب أصحاب الكهف فلم أدر ما أقول له، فقال له: ألا قلت أبقع، فلو قلته لم تجد أحداً يرد عليك!!....

وقال أحمد بن سيار المروزى: كان من أهل بلخ وتحول إلى مرو وخرج إلى العراق فمات بها، وهو متهم متروك الحديث مهجور القول، وكان يتكلم فى الصفات بما لا يحل ذكره....

وقال العباس بن الوليد بن مزيد عن أبيه: سألت مقاتل بن سليمان عن أشياء فكان يحدثنى بأحاديث كل واحد ينقض الآخر! فقلت: بأيها؟ قال: بأيها شئت!

الذهبى فى ميزان الاعتدال:۴/۱۷۳:

مقاتل بن سليمان البلخى المفسر أبو الحسن. روى عن مجاهد، والضحاك، وابن بريدة. وعنه حرمى بن عمارة، وعلى بن الجعد، وخلق.

قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة....

وترجم له الذهبى فى سيره باحترام أكثر فقال فى:۷/۲۰۱:

مقاتل كبير المفسرين أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخى. يروى عن مجاهد والضحاك وابن بريدة وعطاء وابن سيرين وعمرو بن شعيب وشرحبيل بن سعد والمقبرى والزهرى، وعدة. وعنه: سعد بن الصلت، وبقية، وعبدالرزاق، وحرمى بن عمارة، وشبابة، والوليد بن مزيد، وخلق آخرهم على بن الجعد.

قال ابن المبارك وأحسن: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة...! انتهى.

ويبدو للباحث من مراجعة كتب إخواننا فى الجرح والتعديل أن كفة تكذيب مقاتل هى الراجحة عندهم، ولكن جرح الجارحين ليس هو المقياس العملى، بل المقياس هو مصادرهم التفسيرية وغيرها المليئة بآراء مقاتل، والمؤلم أنهم ينقلونها كأنها مسلمات السلف الصالح، بل كأنها أحاديث نبوية شريفة!

يزيد بن هارون من شيوخ الإمام أحمد

سير أعلام النبلاء: ۹/۳۵۸ ـ ۳۶۲:

يزيد بن هارون بن زاذى، الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو خالد السلمى مولاهم الواسطى الحافظ. مولده فى سنة ثمان عشرة ومئة....

وكان رأساً فى العلم والعمل، ثقة حجة، كبير الشأن.

حدث عنه: بقیة بن الولید مع تقدمه، وعلی بن المدینی، وأحمد بن حنبل....

یقال: إن أصله من بخاری.

قال علی بن المدینی: ما رأیت أحفظ من یزید بن هارون.

وقال زیاد بن أیوب: ما رأیت لیزید کتاباً قط، ولا حدثنا إلا حفظاً.

قال أبو حاتم الرازی: یزید ثقة إمام، لا یسأل عن مثله.

وقال مؤمل بن یهاب: سمعت یزید بن هارون یقول: ما دلست حدیثاً قط إلا حدیثاً واحداً عن عوف الأعرابی، فما بورک لی فیه.

عن عاصم بن علی قال: کنت أنا ویزید بن هارون عند قیس بن الربیع، فأما یزید، فکان إذا صلی العتمة، لا یزال قائماً حتی یصلی الغداة بذلک الوضوء نیفاً وأربعین سنة....

قلت: احتفل محدثو بغداد وأهلها لقدوم یزید، وازدحموا علیه لجلالته وعلو إسناده... العباس بن عبد العظیم، وأحمد بن سنان، عن شاذ بن یحیی، سمع یزید بن هارون یقول: من قال القرآن مخلوق، فهو زندیق... وقد کان یزید رأساً فی السنة معادیاً للجهمیة، منکراً تأویلهم فی مسألة الإستواء. انتهی.

ومعناه أنه کان یرفض تفسیر الآیة بالاستواء المعنوی، ویفسرها بالقعود الحسی لله تعالی علی العرش!!

السمنانی المجسم رئیس الأشعریة

قال الذهبی فی سیره:۱۷/۶۵۱:

السمنانی العلامة قاضی الموصل، أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد السمنانی الحنفی. حدث عن نصر المرجی وعلی بن عمر الحربی وأبی الحسن الدارقطنی، وجماعة. ولازم ابن الباقلانی حتی برع فی علم الکلام.

قال الخطیب: کتبت عنه، وکان صدوقاً فاضلاً حنفیاً، یعتقد مذهب الأشعری، وله تصانیف.

قلت: کان من أذکیاء العالم وقد ذکره ابن حزم فقال: هو أبو جعفر السمنانی المکفوف، هو أکبر أصحاب أبی بکر الباقلانی ومقدم الأشعریة فی وقتنا، ومن مقالته قال: من سمی الله جسماً من أجل أنه حامل لصفاته فی ذاته فقد أصاب المعنی وأخطأ فی التسمیة فقط....

توفی أبو جعفر بالموصل سنة أربع وأربعین وأربع مئة وله ثلاث وثمانون سنة. تخرج به فی العقلیات القاضی أبو الولید الباجی، وغیره. انتهی.

ومن العجیب أن الأشاعرة والمجسمة یتهمون الشیعة بالتجسیم لمجرد أن هشاماً بن الحکم قال للمعتزلة تقولون إنه شیء لا کالأشیاء فلماذا لاتقولون إنه جسم لا کالأجسام!

الامام الدارمی المجسم

سیر أعلام النبلاء:۱۰/۱۹۹:

المریسی المتکلم المناظر البارع أبو عبدالرحمن بشر بن غیاث بن أبی کریمة العدوی مولاهم البغدادی المریسی، من موالی آل زید بن الخطاب (رض) کان بشر من کبار الفقهاء، أخذ عن القاضی أبی یوسف، وروی عن حماد بن سلمة وسفیان بن عیینة. ونظر فی الکلام فغلب علیه وانسلخ من الورع والتقوی، وجرد القول بخلق القرآن ودعا إلیه حتی کان عین الجهمیة فی عصره وعالمهم فمقته أهل العلم، وکفره عدة... ذکره الندیم وأطنب فی تعظیمه وقال: کان دینا ورعاً متکلما. ثم حکی أن البلخی قال: بلغ من ورعه أنه کان لا یطأ أهله لیلاً مخافة الشبهة، ولا یتزوج إلا من هی أصغر منه بعشر سنین مخافة أن تکون رضیعته.

وكان جهمياً له قدر عند الدولة، وكان يشرب النبيذ... وصنف كتاباً فى التوحيد... وكتاب الرد على الرافضة فى الإمامة....

قلت: وقع كلامه إلى عثمان بن سعيد الدارمى الحافظ، فصنف مجلداً فى الرد عليه... فيه بحوث عجيبة مع المريسى، يبالغ فيها فى الإثبات والسكوت عنها، أشبه بمنهج السلف فى القديم والحديث.

وقال الشيخ محمد حامد الفقى: إنه أتى فيه ببعض ألفاظ دعاه إليها عنف الرد وشدة الحرص على إثبات صفات الله وأسمائه التى كان يبالغ بشر المريسى وشيعته فى نفيها، وكان الأولى والأحسن أن لا يأتى بها، وأن يقتصر على الثابت من الكتاب والسنة الصحيحة كمثل الجسم والمكان والحيز، فإننى لا أوافقه عليها ولا أستجيز إطلاقها، لأنها لم تأت فى كتاب الله ولا فى سنة صحيحة.

ابوالعباس السراج و إسحاق الحنظلى إمامان مجسمان

قال الذهبى فى سيره:۱۱/۳۷۶:

قال أبو العباس السراج: سمعت إسحاق الحنظلى يقول: دخلت على طاهر بن عبد الله بن طاهر وعنده منصور بن طلحة، فقال لى منصور: يا أبا يعقوب تقول: إن الله ينزل كل ليلة قلت: نؤمن به، إذا أنت لا تؤمن أن لك فى السماء رباً لا تحتاج أن تسألنى عن هذا. فقال له طاهر الأمير: ألم أنهك عن هذا الشيخ: قال أبو داود السجستانى: سمعت ابن راهويه يقول: من قال لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، فهو جهمى.

وورد عن إسحاق أن بعض المتكلمين قال له: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء. فقال: آمنت برب يفعل ما يشاء....

وقال فى سيره:۱۴/۳۹۶:

أخبرنا إسماعيل بن إسماعيل فى كتابه، أخبرنا أحمد بن تميم اللبلى ببعلبك أخبرنا أبو روح بهراة، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحى، أخبرنا أحمد بن محمد الخفاف، حدثنا أبو العباس السراج إملاء قال: من لم يقر بأن الله تعالى يعجب ويضحك وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول من يسألنى فأعطيه، فهو زنديق كافر، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ولا يصلى عليه، ولا يدفن فى مقابر المسلمين....

و صار ابن عقيل شيخ الحنابلة

سير أعلام النبلاء:۱۹/۴۴۳:

ابن عقيل. الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة، أبوالوفاء على بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادى الظفرى الحنبلى المتكلم، صاحب التصانيف، كان يسكن الظفرية، ومسجده بها مشهور.

ولد سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة وسمع أبا بكر بن بشران، وأبا الفتح بن شيطا، وأبا محمد الجوهرى، والحسن بن غالب المقرى، والقاضى أبا يعلى بن الفراء، وتفقه عليه، وتلا بالعشر على أبى الفتح بن شيطا، وأخذ العربية عن أبى القاسم بن برهان، وأخذ علم العقليات عن شيخى الإعتزال أبى على بن الوليد، وأبى القاسم بن التبان صاحبى أبوالحسين البصرى، فانحرف عن السنة.

وكان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف وكنز فضائل، لم يكن له فى زمانه نظير على بدعته، وعلق كتاب الفنون، وهو أزيد من أربع مئة مجلد، حشد فيه كل ما كان يجرى له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه من العجائب والحوادث....

قال المبارك بن كامل: صلى على شيخنا بجامع القصر فأمهم ابن شافع، وكان الجمع ما لا يحصى، وحمل إلى جامع المنصور فصلى عليه، وجرت فتنة وتجارحوا، ونال الشيخ تقطيع كفن، ودفن قريباً من الإمام أحمد....

وفى تاريخ ابن الأثير قال: كان قد اشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته على بن الوليد، فأراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة

سنین، ثم أظهر التوبة.

وقال ابن عقیل فی الفنون: الأصلح لإعتقاد العوام ظواهر الای لأنهم یأنسون بالإثبات، فمتی محونا ذلک من قلوبهم زالت الحشمة. قال: فتهافتهم فی التشبیه أحب إلینا من إغراقهم فی التنزیه، لأن التشبیه یغمسهم فی الإثبات فیخافون ویرجون، والتنزیه یرمی بهم إلی النفی فلا طمع ولا مخافة فی النفی. ومن تدبر الشریعة رآها غامسة للمکلفین فی التشبیه بالألفاظ الظاهرة التی لا یعطی ظاهرها سواه، کقول الأعرابی: أو یضحک ربنا قال النبی (ص): نعم. فلم یکفهر لقوله، وترکه وما وقع له....

من عقائد الدولة: إطاعة الحاکم الجائر والتجسیم والرؤیة

سیر أعلام النبلاء:۱۲/۶۷:

وعن یحیی بن عون: قال: دخلت مع سحنون علی ابن القصار وهو مریض فقال: ما هذا القلق؟ قال له: الموت والقدوم علی الله. قال له سحنون: ألست مصدقاً بالرسل والبعث والحساب، والجنة والنار، وأن أفضل هذه الأمة أبوبکر، ثم عمر، والقرآن کلام الله غیر مخلوق، وأن الله یری یوم القیامة، وأنه علی العرش استوی، ولا تخرج علی الأئمة بالسیف وإن جاروا؟ قال: إی والله، فقال: مت إذا شئت، مت إذا شئت!!

تاریخ الإسلام للذهبی:۲۹/۷۳:

محمود السلطان کان صادق النیة فی إعلاء کلمة الله.. وقبره بغزنة یدعی عنده.. دخل ابن فورک علی السلطان محمود فقال: لا یجوز أن یوصف الله بالفوقیه لأنه یلزمک أن تصفه بالتحتیه.. فقال السلطان: هو وصف نفسه!

هجمة الحنابلة علی الطبری

قال الحموی فی معجم الادباء:۹ جزء ۱۸/۵۷ فی ترجمة الطبری:

فلما قدم إلی بغداد من طبرستان بعد رجوعه إلیها تعصب علیه أبو عبد الله الجصاص وجعفر بن عرفة والبیاضی. وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل فی الجامع یوم الجمعة، وعن حدیث الجلوس علی العرش، فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا یعد خلافه. فقالوا له: فقد ذکره العلماء فی الإختلاف، فقال: ما رأیته روی عنه ولا رأیت له أصحاباً یعول علیهم. وأما حدیث الجلوس علی العرش فمحال ثم أنشد:

سبحان من لیس له أنیس ولا له فی عرشه جلیس

فلما سمع ذلک الحنابلة منه وأصحاب الحدیث وثبوا ورموه بمحابرهم وقیل کانت ألوفاً، فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتی صار علی بابه کالتل العظیم! ورکب نازوک صاحب الشرطة فی ألوف من الجند یمنع عنه العامة، ووقف علی بابه یوماً إلی اللیل وأمر برفع الحجارة عنه. وکان قد کتب علی بابه: سبحان من لیس له أنیس ولا له فی عرشه جلیس، فأمر نازوک بمحو ذلک، وکتب مکانه بعض أصحاب الحدیث:

لاحمد منزل لا شک عال إذا وافی إلی الرحمن وافد

فیدنیه ویقعده کریماً علی رغم لهم فی أنف حاسد

علی عرش یغلفه بطیب علی الاکباد من باغ وعاند

له هذا المقام الفرد حقاً کذاک رواه لیث عن مجاهد

فخلا فی داره وعمل کتابه المشهور فی الإعتذار إلیهم، وذکر مذهبه واعتقاده وجرح من ظن فیه غیر ذلک، وقرأ الکتاب علیهم وفضل أحمد بن حنبل، وذکر مذهبه وتصویب اعتقاده ولم یزل فی ذکره إلی أن مات، ولم یخرج کتابه فی الإختلاف حتی مات فوجدوه

مدفوناً فى التراب، فأخرجوه ونسخوه أعنى اختلاف الفقهاء، هكذا سمعت من جماعة منهم أبى رحمه الله!

وقال ابن قيم الجوزية فى بدائع الفوائد:۴/۳۹:

قال القاضى: صنف المروزى كتاباً فى فضيلة النبى(ص)وذكر فيه إقعاده على العرش، وهو قول أبى داود وأحمد بن أصرم... وعبد الله بن الإمام أحمد... إلخ. ثم قال ابن قيم: قلت وهو قول ابن جرير الطبرى، وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير. انتهى.

ولم يذكر ابن القيم عمن أخذه مجاهد، ولم يذكر تهديد الحنابلة للطبرى وإجبارهم إياه على القول بذلك حتى صار ليناً هينا مع التجسيم وأهله.

ولكن جولد تسيهر اليهودى قال فى مذاهب التفسير الإسلامى/۱۱۸:

وهو (الطبرى) يعارض أشد صرامة وعنفاً فهم التجسيد فى عبارات التشبيه المضافة إلى الله والذهاب إلى أن مثل هذه العبارات دالة على صفات الله الحقيقية.. فقد اختلف أهل الجدل.. فى تأويل قوله (بل يداه مبسوطتان) فقال بعضهم.. عنى باليد النعمة أو القدرة أو الملك. وقال آخرون: بل يد الله صفة من صفاته، هى يد غير أنها ليست بجارحة.. والطبرى يجزم بالرأى الثانى..

هجمة الحنابلة على ابن حبان

المجروحين لابن حبان:۱ مقدمة:

قال أبواسماعيل عبدالله بن محمد... قال سألت يحيى بن عمار عن ابن حبان، قلت رأيته؟ قال: وكيف لم أره ونحن أخرجناه من سجستان، لأنه أنكر الحد لله!

وقال السبكى تعليقاً على ذلك: من أحق بالاخراج من يجعل ربه محدوداً، أو من ينزهه عن الجسمية....

وقال ابن حجر فى لسان الميزان:۵/۱۱۳:

وقد بدت من ابن حبان هفوة فطعنوا فيه بها. قال أبو إسمعيل الأنصارى شيخ الإسلام: سألت يحيى بن عمار عن أبى حاتم بن حبان فقال: رأيته ونحن أخرجناه من سجستان، كان له علم كثير ولم يكن له كبير دين، قدم علينا فأنكر الحد لله فأخرجناه.

قلت: إنكاره الحد وإثباتكم للحد نوع من فضول الكلام، والسكوت من الطرفين أولى إذ لم يأت نص بنفى ذلك ولا إثباته، والله تعالى ليس كمثله شئ، فمن أثبته قال له خصمه جعلت لله حداً برأيك ولا نص معك بالحد، والمحدود مخلوق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وقال هو للنافى ساويت ربك بالشئ المعدوم، إذ المعدوم لا حد له. فمن نزه الله وسكت سلم وتابع السلف.

وقال الذهبى فى سيره:۱۶/۹۴:

وقال أبو بكر الخطيب: كان ابن حبان ثقة نبيلاً فهماً. وقال أبو عمرو بن الصلاح فى طبقات الشافعية: غلط ابن حبان الغلط الفاحش فى تصرفاته. قال ابن حبان فى أثناء كتاب الأنواع: لعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفى شيخ.

قلت: كذا فلتكن الهمم، هذا مع ما كان عليه من الفقه والعربية والفضائل الباهرة وكثرة التصانيف....

وقال أبو إسماعيل الأنصارى: سمعت يحيى بن عمار الواعظ، وقد سألته عن ابن حبان، فقال: نحن أخرجناه من سجستان، كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين، قدم علينا، فأنكر الحد لله، فأخرجناه!

قلت: إنكاركم عليه بدعة أيضاً، والخوض فى ذلك مما لم يأذن به الله، ولا أتى نص بإثبات ذلك ولا بنفيه. ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه. وتعالى الله أن يحد أو يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو علمه رسله بالمعنى الذى أراد بلا مثل ولا كيف: ليس كمثله شئ وهو السميع البصير. انتهى.

وهكذا مدح الذهبى ابن حبان وأظهر إعجابه بعلو همته، ولكنه خطّأه فى إنكاره الحد لله تعالى وحكم بأنه صاحب بدعة، فهو يستحق الطرد من سجستان، بل قد يستحق الاعدام إن لم يتب!

ومن عجب الزمان أن يكون الجو الحاكم فى بعض مناطق المسلمين فى أواخر القرن الثالث أن الذى يقول إن الله تعالى غير محدود بمكان ولا زمان يعتبر مبدعاً فى الإسلام، وكأن النبى صلى الله عليه وآله قد بلغ الأمة بأن ربكم محدود بالمكان والزمان، ومن أنكر ذلک فقد أبدع!

ولا ـ تغتر بتخطئة الذهبى للذين طردوا ابن حبان من سجستان، فإنه لم يخطئهم لطرده على بدعته، بل خطّأهم لمجادلته حتى أظهر بدعته، ولأنه كان الواجب عليهم أن يسكتوا عن لوازم التجسيم فى نزول الله تعالى وجلوسه على العرش، كما هو مذهبه!!

من تكفيرات المجسمين لمن خالفهم

سير أعلام النبلاء:۱۱/۷۰:

قال عبدالله بن أحمد: سمعت أبا معمر الهذلى يقول: من زعم أن الله لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ولا يرضى ولا يغضب، فهو كافر، إن رأيتموه واقفاً على بئر فألقوه فيها، بهذا أدين الله عز وجل!

سير أعلام النبلاء:۱۱/۳۰۲:

حدثنا أحمد بن جعفر الإصطخرى قال: قال أبو عبدالله أحمد بن حنبل: هذا مذهب أهل العلم والأثر، فمن خالف شيئاً من ذلک أو عاب قائلها، فهو مبتدع.

وكان قولهم: إن الإيمان قول وعمل ونية وتمسک بالسنة، والإيمان يزيد وينقص، ومن زعم أن الإيمان قول والأعمال شرائع فهو جهمى، ومن لم ير الإستثناء فى الإيمان فهو مرجى، والزنى والسرقة وقتل النفس والشرک كلها بقضاء وقدر من غير أن يكون لاحد على الله حجة. إلى أن قال: والجنة والنار خلقتا ثم خلق الخلق لهما لا ـ تفنيان، ولا يفنى ما فيهما أبداً. إلى أن قال: والله تعالى على العرش، والكرسى موضع قدميه. إلى أن قال: وللعرش حملة. ومن زعم أن ألفاظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله، فهو جهمى. ومن لم يكفره فهو مثله. وكلم الله موسى تكليماً من فيه! إلى أن ذكر أشياء من هذا الأنموذج المنكر، والأشياء التى والله ما قالها الإمام. فقاتل الله واضعها. ومن أسمج مافيها قوله: ومن زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلد دينه أحداً فهذا قول فاسق عدو لله. فانظر إلى جهل المحدثين كيف يروون هذه الخرافة ويسكتون عنها. انتهى.

ومع أن الذهبى وصف الانموذج بأنه منكر وخرافة، فهو يتبنى أكثر عقائده!

التحفة اللطيفة للسخاوى:۲/۲۸۵:

على بن عبد الله.. قال قبل أن يموت بشهرين.. من زعم أن الله لا يرى فهو كافر، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى على الحقيقة فهو كافر. انتهى.

وقصدهم أن الله تعالى كلم موسى من فمه، ولم يخلق الصوت فى شئ مخلوق، وقد نصت على ذلک أحاديث أهل البيت عليهم السلام وقال به أكثر المسلمين.

تاريخ الإسلام للذهبى:۱۷/۳۸۶:

هارون بن معروف... وقال هارون الجبال: سمعت هارون بن معروف يقول: من زعم أن القرآن مخلوق فكأنما عبد اللات والعزى! وروى عبدالله بن أحمد بن حنبل عن هارون بن معروف قال: من زعم أن الله لا يتكلم فهو يعبد الأصنام! انتهى. وقصده أن الله تعالى يتكلم من فمه! وأن الذى يعتقد بأن الله لافم له فقد جعله صنماً! والذى يقول له فم، فقد نزهه عن الصنمية!!

سير أعلام النبلاء:۱۷/۲۵۵:

قال الإمام تقى الدين ابن الصلاح فى فتاويه: وجدت عن الإمام أبى الحسن الواحدى المفسر رحمه الله أنه قال: صنف أبو عبدالرحمن السلمى حقائق التفسير، فإن كان اعتقد أن ذلک تفسير فقد كفر. قلت: واغوثاه! واغربتاه!.

سیر أعلام النبلاء:۸/۴۰۳:

حدثنا أحمد بن یونس، سمعت ابن المبارک قرأ شیئاً من القرآن، ثم قال: من زعم أن هذا مخلوق، فقد کفر بالله العظیم.

سیر أعلام النبلاء:۱۰/۱۸:

الحاکم: سمعت أبا سعید بن أبی عثمان، سمعت الحسن ابن صاحب الشاشی، سمعت الربیع، سمعت الشافعی وسئل عن القرآن فقال: أف أف، القرآن کلام الله، من قال: مخلوق، فقد کفر. هذا إسناد صحیح.

سیر أعلام النبلاء:۱۱/۵۸:

ابن مخلد العطار: حدثنا محمد بن عثمان، سمعت علی بن المدینی، یقول قبل أن یموت بشهرین: القرآن کلام الله غیر مخلوق. ومن قال مخلوق، فهو کافر. وقال عثمان بن سعید الدارمی، سمعت علی بن المدینی یقول: هو کفر، یعنی من قال: القرآن مخلوق.

ملحد (سنی) یحبه المجسمهٔ لأنه یلعن من خالفهم

مروج الذهب للمسعودی:۳/۴۳:

کان رجل فی أیام هارون الرشید ببغداد، وإنه کان دهریاً من أهل السنهٔ والجماعهٔ! ویلعن أهل البدع... ویعرف بالسنی، تنقاد له العامهٔ فکان یجتمع إلیه خلق من الناس، وإذا اجتمعوا وثب قائماً علی قدمه فقال: یا معشر المسلمین قلتم لا ضار ولا نافع إلا الله، فلای شئ مصیرکم إلیَّ تسألونی عن مضارکم ومنافعکم؟ إلجؤوا إلی ربکم وتوکلوا علی بارئکم..

من الفتن التی حدثت بسبب التجسیم

فی القرن الثانی انتق ثقل التشبیه والتجسیم من الشام إلی بغداد، وأرخ المؤرخون لفتن متعددهٔ حدثت فی بغداد ذکرنا بعضها فی الفصل الخامس، ونشیر منها هنا إلی الفتنهٔ التی ذکرها الذهبی فی تاریخ الإسلام:۲۳/۳۸۴ بسبب تفسیر آیهٔ: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قالت الحنابلهٔ معناه أن یقعده علی عرشه کما فسره مجاهد. وقال غیرهم: بل هی الشفاعهٔ العظمی. وقد تقدم أن ابن خلدون یری أن الفتن بین الحنابلهٔ ومخالفیهم کانت أحد الأسباب فی خراب بغداد.

سیر أعلام النبلاء:۱۸/۸۹:

القاضی أبو یعلی الإمام العلامهٔ، شیخ الحنابلهٔ، القاضی أبویعلی، محمد بن الحسین بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادی، الحنبلی، ابن الفراء، صاحب التعلیقهٔ الکبری، والتصانیف المفیدهٔ فی المذهب. ولد فی أول سنهٔ ثمانین وثلاث مئهٔ... أفتی ودرس، وتخرج به الأصحاب، وانتهت إلیه الإمامهٔ فی الفقه، وکان عالم العراق فی زمانه، مع معرفهٔ بعلوم القرآن وتفسیره، والنظر والأصول، وکان أبوه من أعیان الحنفیهٔ، ومن شهود الحضرهٔ، فمات ولابی یعلی عشرهٔ أعوام، فلقنه مقرئه العبادات من مختصر الخرقی، فلذ له الفقه، وتحول إلی حلقهٔ أبی عبدالله بن حامد، شیخ الحنابلهٔ، فصحبه أعواماً، وبرع فی الفقه عنده، وتصدر بأمره للإفادهٔ سنهٔ اثنتین وأربع مئهٔ، وأول سماعه من علی بن معروف فی سنهٔ ۳۸۵.

وقد سمع بمکهٔ ودمشق من عبد الرحمن بن أبی نصر، وبحلب، وجمع کتاب «إبطال تأویل الصفات»، فقاموا علیه لما فیه من الواهی والموضوع، فخرج إلی العلماء من القادر بالله المُعتقَدُ الذی جمعه، وحمل إلی القادر کتاب «إبطال التأویل» فأعجبه، وجرت أمور وفتن ـ نسأل الله العافیهٔ ـ ثم أصلح بین الفریقین الوزیر علی بن المسلمهٔ، وقال فی الملا: القرآن کلام الله، وأخبار الصفات تمر کما جاءت. ثم ولی أبو یعلی القضاء بدار الخلافهٔ والحریم، مع قضاء حران وحلوان..

و واجه بعض الخلفاء تطرف المجسمین

نشوار المحاضرة للتنوخی:۳/۱۴۴:

وكانت العامة قد هاجت فی أيام وزارته (أی أبو محمد المهلبی) وعظمت الفتنة... وكثر كلام القصاص فی المساجد ورؤساء الصوفية... فاتفق أن بدئ برجل من رؤساء الصوفية يعرف بإسحاق بن ثابت أحد الربانيين عند أصحابه، فقال له: بلغنی أنك تقول فی دعائك: يا واحدی بالتحقيق يا جاری اللصيق، فمن لا يعلم بأن الله لا يجوز أن يوصف أنه لصيق على الحقيقة فهو كافر، لأن الملاصقة من صفات الاجسام. إنكم تهذون وتوهمون الناس على أنكم ربانيين... وكتب إليه أن لا يتكلم على الناس.

تاريخ الإسلام للذهبی:۳۲/۱۷۱:

أبو بكر الواعظ البكری... قدم إلی بغداد وجلس للوعظ وذكر ما يلطخ به الحنابلة من التجسيم... وضربه جماعة من الهاشميين (يقصد العباسيين) بالحصی وهم من أصحاب أحمد، فأخذهم النقيب وعاقبهم.

و قتل خلفاء شرعيون إماما مجسما طمع بالحكم

تهذيب الكمال:۱/۵۰۷:

... حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمی قال: وقُتِل أحمد بن نصر بن مالك الخزاعی سنة إحدی وثلاثين ومئتين. قال الحافظ أبوبكر: وكان قتله فی خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن. وبه حدثنی القاضی أبو عبدالله الصيمری، حدثنا محمد بن عمران المرزبانی، أخبرنی محمد بن يحيی الصولی قال: كان أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعی من أهل الحديث، وكان جده من رؤساء نقباء بنی العباس، وكان أحمد وسهل بن سلامة، حين كان المأمون بخراسان، بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهی عن المنكر، إلی أن دخل المأمون بغداد، فرفق بسهل حتی لبس السواد، وأخذ الأرزاق ولزم أحمد بيته، ثم إن أمره تحرك ببغداد فی آخر أيام الواثق، واجتمع إليه خلق من الناس، يأمرون بالمعروف، إلی أن ملكوا بغداد، وتعدی رجلان من أصحابه يقال لأحدهما: طالب فی الجانب الغربی ويقال للآخر أبو هارون فی الجانب الشرقی، وكانا موسرين فبذلا مالاً، وعزما على الوثوب ببغداد فی شعبان سنة إحدی وثلاثين ومئتين، فنم عليهم قوم إلی إسحاق بن إبراهيم فأخذ جماعة فيهم أحمد بن نصر، وأخذ صاحبيه طالباً وأبا هارون فقيدهما، ووجد فی منزل أحدهما أعلاماً، وضرب خادماً لاحمد بن نصر فأقر أن هؤلاء كانوا يصيرون إليه ليلًا فيعرفونه ما عملوا، فحملهم إسحاق مقيدين إلی سر من رأی، فجلس لهم الواثق وقال لأحمد بن نصر: دع ما أخذت له، ما تقول فی القرآن قال: كلام الله. قال: أفمخلوق هو قال: كلام الله. قال: أفتری ربك فی القيامة قال: كذا جاءت الرواية، قال: ويحك، يری كما يری المحدود المتجسم ويحويه مكان ويحصره الناظر، أنا أكفر برب هذه صفته، ما تقولون فيه؟ فقال عبدالرحمان بن إسحاق، وكان قاضياً على الجانب الغربی ببغداد فعزل: هو حلال الدم، وقال جماعة من الفقهاء كما قال، فأظهر ابن أبی دؤاد أنه كاره لقتله، فقال للواثق: يا أميرالمؤمنين شيخ مختل لعل به عاهة أو تغير عقله يؤخر أمره ويستتاب. فقال الواثق: ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائماً بما يعتقده منه. ودعا الواثق بالصمصامة وقال: إذا قمت إليه فلا يقومن أحد معی، فإنی أحتسب خطای إلی هذا الكافر الذی يعبد رباً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التی وصفه بها، ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد وأمر بشد رأسه بحبل، وأمرهم أن يمدوه، ومشی إليه حتی ضرب عنقه، وأمر بحمل رأسه إلی بغداد فنصب بالجانب الشرقی أياماً، وفی الجانب الغربی أياماً، وتتبع رؤساء أصحابه فوضعوا فی الحبوس!. انتهی.

ورواه الذهبی أيضاً فی:۱۷/۵۶.

سير أعلام النبلاء:۱۱/۱۶۵:

قال الحسن بن محمد الحربی: سمعت جعفر بن محمد الصائغ، يقول: رأيت أحمد بن نصر حين قتل قال رأسه: لا إله إلا الله. قال المروذی: سمعت أحمد ذكر أحمد بن نصر فقال رحمه الله: لقد جاد بنفسه. وعلق فی أذن أحمد بن نصر ورقة فيها: هذا رأس أحمد بن نصر، دعاه الإمام هارون إلی القول بخلق القرآن ونفی التشبيه، فأبی إلا المعاندة فعجله الله إلی ناره. وكتب محمد بن عبد الملك.

تاريخ الإسلام للذهبى:۱۷/۵۸:

قال: رأى بعضى أصحابنا أحمد بن نصر فى النوم فقال: ما فعل ربك؟ قال: ما كانت إلا غفوه حتى لقيت الله فضحك لى... وقال غضبت له فأباحنى النظر إلى وجهه!

و كان التجسيم منتشرا فى عصر ابن الجوزى والسبكى

كشف الظنون:۱/۲۱۸:

للشيخ أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى الحنبلى المتوفى سنة ۵۹۷ سبع وتسعين وخمسمائة، مختصر صنف فى تأييد مذهبه والرد على الحنابلة المجسمة. انتهى.

وله أيضاً كتاب دفع شبهة التشبيه بأكف التنزيه، حققه فى عصرنا ونشره الباحث السيد حسن السقاف، وتجد فى ترجمة ابن الجوزى وكتبه قصة محنته مع الحنابلة المجسمين فى عصره!

كشف الظنون:۱/۸۷۹:

رسالة الغفران من المكث بحران، مختصر لبعض العلماء، أولها الحمد لله على كل حال... الخ. ألفها سنة ۶۲۷ سبع وعشرين وستمائة رد فيها على حنبلى مجسم منكر، على قواعد علم الكلام.

وقد ذكر السبكى فى طبقات الشافعية وغيره نماذج عديدة للمجسمة العلنيين والسريين، قال فى:۲/۱۹: وقد وصل حال بعض المجسمة فى زماننا إلى أن كتب شرح صحيح مسلم للشيخ محى الدين النووى وحذف من كلام النووى ما تكلم به على أحاديث الصفات، فإن النووى أشعرى العقيدة، فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذى صنفه مصنفه! انتهى.

ووصل الحال فى عصرنا إلى أن بعض الوهابيين ينشرون كتب النووى وغيره ويحذفون منها كل مايخالف مذهبهم حتى أنهم حذفوا فضل زيارة النبى صلى الله عليه وآله من أحد كتبه. وهذا غيض من فيض فإن دور نشرهم فى عدة بلدان تعمل مناشيرها وسكاكينها فى كتب التراث الإسلامى، ومستأجريهم ينفذون تعليماتهم بحذف كل ما لا يليق لهم!

هذا مضافاً إلى نشرهم كتب المشبهة والمجسمة وتكبير شخصياتهم وإشاعة تعظيمهم وتقديسهم، وتكفير مخالفيهم من سلف الأمة ومعاصريها!

وانتقل التجسيم من بغداد إلى مصر

سير أعلام النبلاء:۱۵/۴۲۹:

أبو إسحاق المروزى الإمام الكبير، شيخ الشافعية وفقيه بغداد، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزى، صاحب أبى العباس بن سريج وأكبر تلامذته، اشتغل ببغداد دهراً وصنف التصانيف وتخرج به أئمة كأبى زيد المروزى، والقاضى أبى حامد أحمد بن بشر المروروذى مفتى البصرة، وعدة.

شرح المذهب ولخصه، وانتهت إليه رئاسة المذهب. ثم إنه فى أواخر عمره تحول إلى مصر فتوفى بها فى رجب فى تاسعه، وقيل فى حادى عشرة سنة أربعين وثلاث مئة، ودفن عند ضريح الإمام الشافعى ولعله قارب سبعين سنة... صنف المروزى كتاباً فى السنة، وقرأه بجامع مصر، وحضره آلاف فجرت فتنة، فطلبه كافور فاختفى، ثم أدخل إلى كافور، فقال: أما أرسلت إليك أن لا تشهر هذا الكتاب فلا تظهره. وكان فيه ذكر الإستواء، فأنكرته المعتزلة. انتهى. يقصد أنه كان فى الكتاب ذكر القعود الحسى لله تعالى على عرشه، فأنكره علماء مصر. ولكن الحاكم كافوراً الأخشيدى كان يميل إلى التجسيم فطلب منه أن لا ينشر كتابه فقط!

الامام العبدری المغربی المجسم

تذکرة الحفاظ:۴/۱۲۷۲:

العبدری: الإمام الحافظ العلامة أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجی القرشی العبدری المیورقی الأندلسی نزیل بغداذ، وکان من أعیان الحفاظ ومن فقهاء الظاهریة، سمع أبا عبدالله مالک بن أحمد البانیاسی ورزق الله التمیمی وأبا الفضل ابن خیرون وطراد بن محمد الزینبی ویحیی بن أحمد السیبی وأبا عبدالله الحمیدی وطبقتهم، قال القاضی أبوبکر بن العربی فی معجمه: أبوعامر العبدری هو أنبل من لقیته. وقال ابن ناصر: کان فهماً عالماً متعففاً وکان یذهب إلی أن المناولة کالسماع. وقال السلفی فی معجمه: کان من أعیان علماء الإسلام بمدینة السلام، متصرفاً فی فنون من العلوم أدباً ونحواً ومعرفة بالأنساب، وکان داودی المذهب قرشی النسب، کتب عنی وکتبت عنه، مولده بقرطبة. وقال أحمد بن أبی بکر البندنیجی: لما دفنوا أبا عامر العبدری قال ابن ناصر: خلا لک الجو فبیضی واصفری. مات أبوعامر حافظ حدیث رسول الله صلی الله علیه وآله من شاء فلیقل ما شاء.

قال الحافظ ابن عساکر: کان أبو عامر داودیاً وکان أحفظ شیخ لقیته... ذکر أنه دخل دمشق، سمعته یقول جری ذکر الإمام مالک فقال: جلف جاف ضرب هشام بالدرة... بلغنی أنه قال فی: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، وضرب علی ساقه فقال: ساق کساقی هذه. قلت: هذه حکایة منقطعة، وهذا قول الضلال المجسمة، وما أعتقد أن بلغ بالعبدری هذا. ثم قال: وبلغنی أنه قال إن أهل البدع یحتجون بقوله تعالی: لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ، أی فی الإلهیة أما فی الصورة فهو مثلی ومثلک... قال ثم تلا قوله تعالی: یَا نِسَاءَ النَّبِیِّ لَسْتُنَّ کَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَیْتُنَّ، أی فی الحرمة!!

وترجم له ترجمة مفصلة فی تاریخ الإسلام:۳۶/۱۰۳.

التجسیم ینتشر فی المغرب فیقاومه المهدی بن تومرت

تاریخ ابن خلدون:۷/۲۲۵:

الخبر عن مبدأ أمر المهدی ودعوته وما کان للموحدین القائمین بها علی یدی بنی عبد المؤمن من السلطان والدولة بالعدوتین وإفریقیة... وکانت وفاة المهدی لأربعة أشهر بعدها، وکان یسمی أصحابه بالموحدین، تعریضاً بلمتونة فی أخذهم بالعدول عن التأویل ومیلهم إلی التجسیم. وکان حصوراً لا یأتی النساء، وکان یلبس العباءة المرقعة، وله قدم فی التقشف والعبادة، ولم تحفظ عنه فلتة فی البدعة، إلا ما کان من وفاقه الإمامیة من الشیعة فی القول بالإمام المعصوم، والله تعالی أعلم. انتهی. یستکثر علینا إخواننا السنة أن نقول بعصمة أهل البیت وهم الأئمة الاثنی عشر والصدیقة الزهراء علیهم السلام الذین نص علیهم النبی صلی الله علیه وآله فقال إنی تارک فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی ونص الله تعالی علی طهارتهم، وأوجب محبتهم وجعل بغضهم نفاقاً، وجعل الصلوة علیهم فی صلاة المسلمین الیومیة.. ثم نراهم یقولون بعصمة الخلیفة عمر وأبی بکر وعثمان، بل وعصمة کل الصحابة وعدالتهم. فهل یریدون بذلک استثناء أهل البیت فقط من عشرة آلاف صحابی. واذا أجابوا بأنا لا نقول بعصمة الصحابة طالبناهم بأن یذکروا أخطاء الذین یقدسونهم منهم.

تاریخ ابن خلدون:۷/۲۶۶:

هذا العهد لما دعا المهدی إلی أمره فی قومه من المصامدة بجبال درن، وکان أصل دعوته نفی التجسیم الذی آل إلیه مذهب أهل المغرب باعتمادهم ترک التأویل فی المتشابه من الشریعة، وصرح بتکفیر من أبی ذلک، أخذاً بمذهب التکفیر بالمآل، فسمی لذلک دعوته بدعوة التوحید وأتباعه بالموحدین، نعیاً علی الملثمین فإن مذاهبهم إلی اعتقاد الجسمیة.

وقال الدکتور حسن إبراهیم فی تاریخ الإسلام:۴/۳۶۸:

صرف ابن تومرت الناس عن اتباع مذهب السلف الذی قد یجر معتنقیه إلی التشبیه والتجسیم. وابن تومرت فی هذا المیدان العلمی

يعتبر من الشخصيات العلمية البارزة فى التاريخ الإسلامى.

و كثر الحشوية والمخلطون فى العالم الإسلامى

قال العلامة الأرموى فى منهاج الكرامة / ۶: وقالت جماعة الحشوية والمشبهة: إن الله تعالى جسم له طول وعرض وعمق، وإنه يجوز عليه المصافحة، وإن الصالحين من المسلمين يعانقونه فى الدنيا، وحكى الكعبى عن بعضهم أنه كان يجوز رؤيته فى الدنيا وأنه يزورهم ويزورونه، وحكى عن داود الظاهرى أنه قال: أعفونى عن الفرج واللحية واسألونى عما وراء ذلك، وقال: إن معبودهم له جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء كيد ورجل ولسان وعينين وأذنين، وحكى أنه قال: هو أجوف من أعلاه إلى صدره مصمت ما سوى ذلك، وله شعر قطط. حتى قالوا: اشتكت عيناه فعادته الملائكة، وبكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه، وأنه يفضل من العرش من كل جانب أربع أصابع. وذهب بعضهم إلى أنه تعالى ينزل فى كل ليلة جمعة على شكل أمرد حسن الوجه راكباً على حمار، حتى أن بعضهم ببغداد وضع على سطح داره معلفاً يضع كل ليلة جمعة فيه شعيراً وتبناً لتجويز أن ينزل الله على حماره على ذلك السطح فيشتغل الحمار بالأكل ويشتغل الرب بالنداء، ويقول: هل من تائب هل من مستغفر، تعالى الله عن مثل ذلك.

... وحكى عن بعض المنقطعين التاركين من شيوخ الحشوية أنه اجتاز عليه فى بعض الأيام نفاط ومعه أمرد حسن الوجه قطط الشعر على الصفات التى يصفون ربهم بها، فألح الشيخ بالنظر إليه وكرره وأكثر تصويبه إليه، فتوهم فيه النفاط فجاء إليه ليلاً فقال: أيها الشيخ رأيتك تلح بالنظر إلى هذا الغلام وقد أتيتك به فإن كان لك فيه نية فأنت الحاكم، فحرد الشيخ عليه وقال: إنما كررت النظر إليه لأن مذهبى أن الله تعالى ينزل على صورة هذا الغلام، فتوهمت أنه الله تعالى! فقال له النفاط: ما أنا عليه من النفاطة أجود مما أنت عليه من الزهد مع هذه المقالة....

وأضاف الأرموى: أقول: لا يسع المقام أكثر من ذلك وإلا لنقلنا أضعاف ما ذكرنا... وقال الطبرانى: حدثنا على بن سعيد الرازى حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقى حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن الضحاك عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه عز وجل فى صورة شاب أمرد وبه قال ابن جريج.. عن صفوان بن سليم عن عائشة قالت: رأى النبى ربه على صورة شاب جالس على كرسى رجله فى خضرة من لؤلؤ يتلالا!

كل الناس مبرؤون... والشيعة متهمون

منطق السلطة و أتباعه

المنطق الحاكم فى كتب العقائد عند إخواننا، هو منطق الدولة الذى يصدر الأحكام ولا يقبل الإعتراض، وأحكامه هنا تقول:

أولاً: السنة هم المسلمون الموحدون، حتى لو كانت مصادرهم تنادى بالتشبيه والتجسيم بأحاديث صحيحة عندهم!

والشيعة هم المجسمون والمعطلون، وإن كانت مصادرهم تنادى بالتنزيه ونفى التشبيه بأحاديث صحيحة عندهم!

ثانياً: يحرم قراءة أى كلام والخوض فى أى بحث يوجب اتهام السنة بالتجسيم! كما يحرم قراءة كتب الشيعة وأحاديثهم فى العقائد، لأنهم يجسمون الله تعالى ويؤلهون الأئمة من ذرية النبى صلى الله عليه وآله.

هذا هو حكم أكثر الكتاب والمؤلفين فى العقائد، ودليلهم أن التاريخ عامل الشيعة بهذه الأحكام، فصارت هى الجو العام الذى نشأوا فيه، فكتبوا كما قرؤوا وكما سمعوا.

لقد استطاع كثير من المظلومين فى التاريخ، أن يرفعوا أيديهم أو أصواتهم ويسجلوا (آخهم) من ظالميهم. أما نحن الشيعة فلم نستطع إلى الآن أن نسجل (آخنا) من التاريخ.

يكفيك أن تلقى نظرة على مصادر التاريخ والعقائد وما كتبوه عن الفرق والملل والنحل، وما يكتبه خصوم الشيعة وأهل البيت فى عصرنا.. لتراها تكرر ادعاء أن الشيعة أخذوا عقائدهم من اليهود والفرس والهندوس، فهم المجسمون الذين يعبدون إلهاً مادياً له طول وعرض وأعضاء، ولذا فهم يعبدون صنماً ولا يعبدون الله تعالى!

أما السنة فهم المسلمون الأصيلون الذين أخذوا عقائدهم من منبع الإسلام الصافى، من الكتاب والسنة، عن طريق الصحابة الأبرار بدون أى تأثر باليهود ولا بغيرهم، فهم الموحدون المنزهون لله تعالى عما افتراه عليه اليهود والنصارى والمجوس والشيعة!

إن مشكلتنا نحن شيعة أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله أن الكتب التى اتهمتنا قد كتبت بحبر حكام الجور وأقلام موظفيهم! وأن الذين أنصفونا ومدحونا، كتبوا ذلك وهم على وجل من غضب السلاطين!

ولكن ذلك من مفاخرنا أيضاً!

محاولات الدولة والمشبهين إلصاق التشبيه بالنبى وآله

يدل النص التالى على أن تهمة التشبيه والتجسيم للشيعة كانت موجودة فى القرن الثانى، أى منذ أن راج التشبيه والتجسيم وطفح كيله فمجه الناس، فاتهمت به السلطة معارضيها من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وفى نفس الوقت عمد المشبهون والمجسمون إلى نسبة مذهبهم إلى النبى وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم، ليثبتوا شرعية فريتهم! وهو اسلوب مزدوج فى ترويج التهمة فى الناس، بسبتها إلى أهل البيت عليهم السلام، ثم رمى أهل البيت وشيعتهم بها!!

روى النيسابورى فى روضة الواعظين/٣٣:

قال الحسن بن خالد: قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله إن الناس ينسبونا إلى القول بالتشبيه والجبر لما روى فى الأخبار فى ذلك عن آبائك عليهم السلام!

فقال: يابن خالد أخبرنى عن الأخبار التى رويت عن آبائى عليهم السلام فى التشبيه أكثر، أم الأخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى ذلك؟

فقلت: بل ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله أكثر.

فقال: فليقولوا إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول بالتشبيه إذن!!

فقلت له: إنهم يقولون إن رسول الله لم يقل من ذلك شيئاً، وإنما روى عليه.

قال: قولوا فى آبائى عليهم السلام إنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً وإنما روى عليهم.

ثم قال عليه السلام: من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك، ونحن منه براء فى الدنيا والآخرة. يابن خالد: إنما وضع الأخبار عنا فى التشبيه الغلاة الذين صغروا عظمة الله جل جلاله، فمن أحبهم فقد أبغضنا.. إلى آخر الخبر.

وقال الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ فى مقدمة كتابه التوحيد/١٧:

إن الذى دعانى إلى تأليف كتابى هذا أنى وجدت قوماً من المخالفين لنا ينسبون عصابتنا إلى القول بالتشبيه والجبر، لما وجدوا فى كتبهم من الأخبار التى جهلوا تفسيرها ولم يعرفوا معانيها ووضعوها فى غير موضعها، ولم يقابلوا بألفاظها ألفاظ القرآن، فقبحوا بذلك عند الجهال صورة مذهبنا، ولبسوا عليهم طريقتنا، وصدوا الناس عن دين الله، وحملوهم على جحود حجج الله، فتقربت إلى الله تعالى ذكره بتصنيف هذا الكتاب فى التوحيد ونفى التشبيه والجبر، مستعيناً به ومتوكلاً عليه.

بغض أهل البيت و شيعتهم إرث غير شرعى

إن التهم لأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وشيعتهم موروثة إرثاً (غير شرعى) وقد كانت بدايتها يوم فارق النبى صلى الله عليه وآله

الحياة وتركوا جنازته لأهل بيته، وأعلنوا ولادة حكومة السقيفة، فعارضها أهل البيت وجماعة من الأنصار والمهاجرين، واعتصموا فى بيت فاطمة الزهراء عليها السلام فكان الهجوم على بيت فاطمة بالحطب والنار!

ولم يهدأ الهجوم علينا بالحطب والنار إلى يومنا هذا!

نحن لا ننتظر من تاريخنا الإسلامى الذى لم يتحمل كلمة معارضة من بنت النبى صلى الله عليه وآله فهاجم بيتها وبدأ بإحراقه بمن فيه، أن يتحمل معارضتنا فى بحوث وكتب!

ولا ننتظر من دول اضطهدتنا وطاردتنا وشردتنا وقتلتنا، أن تمدحنا وتمدح عقائدنا، أو تترك تهمة أو سبة تخطر بالبال أو لا تخطر، دون أن ترمينا بها!

لكن يحق لنا أن ننتظر من علماء إخواننا المنصفين بعد قرون وقرون، أن لا يرثوا بغض أهل بيت نبيهم وشيعتهم، وأن يقرؤوا عقائدهم وفقههم من مصادر مذهبهم لا من مصادر الذين اضطهدوهم وأبغضوهم.

قال السيد شرف الدين فى الفصول المهمة/۱۸۰:

فهنا مقصدان: المقصد الأول، فى الأمور التى ينفر منها الشيعى ولا يكاد يمتزج بسببها مع السنى، وأهمها شيئان: الأول، ما سمعته فى الفصول السابقة من التكفير والتحقير والشتم والتزوير.

الثانى، إعراض إخواننا أهل السنة عن مذهب الأئمة من أهل البيت، وعدم الإعتناء بأقوالهم فى أصول الدين وفروعه بالمرة، وعدم الرجوع إليهم فى تفسير القرآن العزيز (وهو شقيقهم) إلا دون ما يرجعون فيه إلى مقاتل بن سليمان المجسم المرجى الدجال، وعدم الإحتجاج بحديثهم إلا دون ما يحتجون بدعاة الخوارج والمشبهة والمرجئة والقدرية! ولو أحصيت جميع ما فى كتبهم من حديث ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله ما كان إلا دون ما أخرجه البخارى وحده عن عكرمة البربرى الخارجى المكذب. انتهى.

وإنى لأعجب من علماء إخواننا السنة القدماء والجدد، الذين بحثوا فى توحيد الله تعالى وصفاته، ورووا حتى عن أقل الصحابة والتابعين، برهم وفاجرهم، وعن اليهود والنصارى، معتدلهم ومتطرفهم.. كيف لم يطلعوا على الخطب الغنية لعلى أمير المؤمنين عليه السلام وكلمات أهل البيت البليغة فى حقائق التوحيد، التى تشهد بأنهم باب مدينة علم النبى صلى الله عليه وآله وقد كانت هذه الخطب والأحاديث وما تزال فى متناولهم، مودعة فى المصادر المختلفة، ومجموعة فى نهج البلاغة وأمثاله..! فلو أنهم اطلعوا عليها لفتحت لهم أبواباً جديدة، وحلت لهم مشكلات مستعصية ولظهر شئ من آثارها وأنوارها فى مؤلفاتهم!

إن مقتضى قاعدة (إحمل أخاك المسلم على الأحسن) أن نقول إنهم لم يقرؤوا شيئاً من أحاديث الشيعة ومؤلفاتهم وبحوثهم فى التوحيد والصفات، لأنا إذا اتهمناهم بأنهم قرؤوها وتجاهلوها، فذلك يعنى وجود كارثة فى بحوث العقائد عندهم.

وتعجبى الأكبر من جرأة بعض إخواننا على تبرئة مصادرهم من التشبيه والتجسيم، وإتهام الشيعة ومذهبهم بذلك!

و تواصلت علينا الإفتراءات عبر العصور

قال السمعانى المتوفى ۵۶۲ فى كتابه الأنساب:۵/۶۴۳:

والهشامية جماعة من غلاة الشيعة، وهم الهشامية الأولى والأخرى. أما الأولى فهم أصحاب هشام بن الحكم الرافضى المفرط فى التشبيه والتجسيم وكان يقول إن معبوده جسم ذو حد ونهاية وإنه طويل عريض عميق وطوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه، وله مقالات فى هذا الفن حكيت عنه.

وأما الهشامية الأخرى فهم أصحاب هشام بن سالم الجواليقى، وكان يزعم أن معبوده جسم، وأنه على صورة الإنسان ولكنه ليس بلحم ولا دم، بل هو نور ساطع يتلالا بياضاً، وله حواس خمس كحواس الإنسان ويد ورجل وسائر الاعضاء، وأن نصفه الاعلى مجوف، إلا الفرج واللحية. وزعم هشام بن الحكم أنه كسبيكة الفضة، وأنه بشبر نفسه سبعة أشبار. وكل واحد منهما يكفر صاحبه، ويكفرهما

غيرهما. انتهى.

وقد وصل الأمر بالسمعانى وأمثاله أن ادعوا أن تجسيم الكرامية جاءهم من تأثرهم بالشيعة وغيرهم، وإلا فشيخهم الكرام عالم متقشف زاهد وإن كان فى مذهبه شئ من التشبيه والتجسيم! قال السمعانى فى الأنساب:۵/۴۳: الكرامى: بفتح الكاف وتشديد الراء المهملة. هذه النسبة إلى أبى عبد الله محمد بن كرام النيسابورى... من أهل نيسابور، ثم أزعج عنها وانتقل إلى بيت المقدس وسكنها ومات بها. يروى عن مالك بن سليمان الهروى. روى عنه محمد بن إسماعيل بن إسحاق وحكى عنه من الزهد والتقشف أشياء، وفى المذهب أشياء من التشبيه والتجسيم، وذكر فى كتاب له سماه (عذاب القبر) فى وصف الرب عز وجل، أنه أحدى الذات أحدى الجوهر، فشارك النصارى فى وصفه إياه بالجوهر، وشارك اليهود والهشامية والجوالقية من مشبهة الروافض فى وصفه إياه بأنه جسم. وناقض أصحابه فى امتناعهم عن وصفهم إياه أنه جوهر، مع إطلاقهم وصفه بأنه جسم، إطلاق الجسم أفحش من إطلاق الجوهر. وذكر فى هذا الكتاب أنه معبود فى مكان مخصوص، وأنه مماس لعرشه من فوقه، وهكذا حكى عنه. انتهى. ولكن من حكى عنه، ومن أين أخذ ما نقله عنه.. هذا ليس مهماً عند من يريد الإتهام.

وقال المسعودى فى مروج الذهب: ۴/۱۰۳:

وكان أبو الهذيل محمد بن الهذيل اجتمع مع هشام بن الحكم الكوفى، وكان هشام شيخ المجسمه والرافضة فى وقته ممن وافقه على مذهبه، وكان أبو الهذيل يذهب إلى نفى التجسيم ورفض التشبيه.

وقال الأمينى فى الغدير:۳/۱۴۲:

الملل والنحل، هذا الكتاب وإن لم يكن يضاهى (الفصل) فى بذاءة المنطق غير أن فى غضونه نسباً مفتعلة وآراء مختلقة وأكاذيب جمة، لا يجد القارى ملتحداً عن تفنيدها، فإليك نماذج منها:

۱ـ قال: قال هشام بن الحكم متكلم الشيعة: إن الله جسم ذو أبعاض فى سبعة أشبار بشبر نفسه، فى مكان مخصوص وجهة مخصوصة.

۲ـ قال فى حق على: إنه إله واجب الطاعة..

۳ـ وقال هشام بن سالم: إن الله على صورة إنسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت، وهو نور ساطع يتلألأ، وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم، وله وفرة سوداء، وهو نور أسود لكنه ليس بلحم ولاـ دم، وإن هشام هذا أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمة.

۴ـ وقال زرارة بن أعين: لم يكن الله قبل خلق الصفات عالماً ولا قادراً ولا حياً ولا بصيراً ولا مريداً ولا متكلماً.

۵ـ قال أبوجعفر محمد بن النعمان: إن الله نور على صورة إنسان، ويأبى أن يكون جسماً.

۶ـ وزعم يونس بن عبدالرحمن القمى أن الملائكة تحمل العرش والعرش تحمل الرب، وهو من مشبهة الشيعة، وصنف لهم فى ذلك كتباً.

وقال الأمينى فى الغدير:۳/۸۹:

وذكر ابن تيمية فى منهاج السنة هذه النسب والإضافات المفتعلة، وراقه أن يرى المجتمع أنه أقدر فى تنسيق الأكاذيب من سلفه، وأنه أبعد منه عن أدب الصدق والأمانة فزاد عليها:

اليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون السام عليكم (السام: الموت) وكذلك الرافضة.

اليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.

اليهود يستحلون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة.

اليهود تسجد على قرونها فى الصلاة، وكذلك الرافضة.

اليهود لا تسجد حتى تخفق برؤسها مراراً تشبيهاً بالركوع، وكذلك الرافضة.

اليهود يرون غش الناس، وكذلك الرافضة.

وأمثال هـذه من الخرافات والسفاسف، وحسبك فى تكذيب هـذه التقولات المعزوة إلى الشيعة شعورك الحر، وحيطتك بفقههم وكتبهم وعقائدهم وأعمالهم، وما عرف منهم قديماً وحديثاً. فإلى الله المشتكى.

وقال الأمينى فى الغدير:۳ هامش/۹۰ واصفاً كتاب الإنتصار لعبد الرحيم الخياط:

إنك غير مائن لو سميته بمصدر الأكاذيب، ولو عزى إليه على عدد صفحاته ۱۷۳ الصفحة لما كذب القائل، ولو جست خلال صحايفه لأوقفك الفحص على العجب العجاب، من كذب شائن وتحكم بارد وتهكم ممض ونسب مفتعلة، وإنا نرجئ إيقافك عليها إلى ظفرك بالكتاب نفسه، فإنه مطبوع بمصر منشور، ولا ـ نسود جبهات صحائف كتابنا بنقل هاتيلك الاساطير كلها، وإنما نذكر لك نماذج منها لتعرف مقدار توغله فى القذائف وتهالكه دون الطامات، وتغلغل الحقد فى ضميره الدافع له إلى تشويه سمعة أمة كبيرة كريمة نزيهة عن كل ما تقوله عليها قال:

۱ ـ الرافضة تعتقد أن ربها ذو هيئة وصورة يتحرك ويسكن ويزول وينتقل، وأنه كان غير عالم فعلم... إلى أن قال: هذا توحيد الرافضة بأسرها إلا نفراً منهم يسيراً صحبوا المعتزلة واعتقدوا التوحيد، فنفتهم الرافضة عنهم وتبرأت منهم، فأما جملتهم ومشايخهم مثل هشام بن سالم، وشيطان الطاق، وعلى بن ميثم، وهشام بن الحكم بن منور، والسكاك، فقولهم ما حكيت عنهم.

۲ ـ الرافضة تقول وهى معتقدة: إن ربها جسم ذو هيئة وصورة يتحرك ويسكن ويزول وينتقل وأنه كان غير عالم ثم علم.

۳ ـ فهل على وجه الأرض رافضى إلا وهو يقول: إن الله صورة ويروى فى ذلك الروايات، ويحتج فيه بالأحاديث عن أئمتهم! إلا من صحب المعتزلة منهم قديماً فقال بالتوحيد فنفته الرافضة عنها ولم تقر به!!

و تضاعفت التهم فى عصرنا عصر العلم و حرية الفكر

قال الدكتور حسن إبراهيم فى تاريخ الإسلام:۱/۴۲۴:

الرافضة قالوا: إن الله له قد وصورة وإنه جسم ذو أعضاء. هشام بن الحكم وهشام بن سالم وشيطان الطاق من معتقدى الرافضة.

وقال فى تاريخ الإسلام:۲/۱۵۸:

الشيعة انقسمت حسب اعتقادها إلى ثلاثة أقسام: غالية ورافضة وزيدية، والشيعة الغالية هم الذين غلوا فى على وقالوا فيه قولاً عظيماً.. والشيعة الرافضة هم الذين قالوا إن الله قد وصورة وإنه جسم ذو أعضاء!

فتاوى الالبانى/۴۴۱:

إن الإسلام كفكر لا يمكن أن يصور أنه مصفى.. كيف وهناك فرق كثيرة جداً كالمعتزلة... والشيعة والرافضة، كل هؤلاء يدعون الإسلام فلا بد أن يقوم العلماء بواجب تصفية هذا الإسلام وتقديمه للناس.

وقال الدكتور القفارى فى كتابه أصول مذهب الشيعة، الذى منحته السعودية درجة دكتوراه برتبة الشرف الأولى، وأوصت بجعله مصدراً (أكاديمياً) فى جامعات المملكة، علماً أن نسبة كبيرة من سكان المملكة من الشيعة! قال القفارى فى ج۱/۸۷:

المذهب الشيعى مباءة للعقائد الأسيوية القديمة. ويضيف البعض أن مذهب الشيعة كان مباءة ومستقراً للعقائد الأسيوية القديمة كالبوذية وغيرها. يقول الأستاذ أحمد أمين: وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول، ونحو ذلك من الاقوال التى كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس قبل الإسلام. ويشير بعض المستشرقين إلى تسرب الكثير من العقائد غير الإسلامية إلى الشيعة ويقول: إن تلك العقائد انتقلت إليها من المجوسية والمانوية والبوذية، وغيرها من الديانات التى كانت سائدة فى آسيا قبل ظهور الإسلام. انتهى.

وكأن هذا (الباحث) لا يعرف أن الفرس المجوس صاروا سنيين أولاً، وألفوا أهم مصادر إخواننا السنة وصحاحهم، ونظَّروا لعقائدهم

ومذاهبهم بل أسسوا مذاهبهم، وبعد قرون طويلة صار أبناؤهم شيعة! فإن كانوا متأثرين بعقائدهم المجوسية والاسيوية فقد نقلوها معهم إلى التسنن الذى صاروا أئمة مذاهبه ثم أئمة مصادره قروناً طويلة، وما زالوا، فالعلامة المجلسى الشيعى مثلاً صاحب موسوعة (بحار الأنوار) المتوفى سنة ۱۱۱۱ هجرية هو من أولاد الحافظ أبى نعيم الأصفهانى السنى المتوفى سنة ۴۳۵ هجرية! وهكذا العشرات بل المئات غيره من الفرس الذين صاروا أئمة المذاهب السنية أولاً، ثم صار أبناؤهم شيعة بعد قرون قد تطول أو تقصر، حتى أنك تجد الكثير من أبنائهم اليوم ما زالوا يحملون أسماء أجدادهم من أئمة السنة!

فمن أولى بتهتة التأثر بالعقائد المجوسية والأسيوية، الاجداد السنيون أم الأبناء الشيعيون!

على أن الباحث علمياً لا يمكنه أن يرسل أحكامه هكذا جزافاً، ولابد له أن يفحص الأفكار والعقائد واحدة واحدة، ويرى من أين جاءت ومن تبناها، ومن وقف ضدها.. الخ.

وقد رأيت أن أفكار الرؤية والتشبيه والتجسيم وأحاديثها ولدت فى بيوت الدولة، ودرجت فى قصورها ومساجدها، وتربت على يد كبار شخصياتها، وأن أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وقفوا ضدها، وأفتوا بأنها دخيلة، وأن آباءها يهوداً!!

تفسير مقارن للآيات المتعلقة بالموضوع

الآيات المحكمة النافية لإمكان الرؤية

ذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. الأنعام: ۱۰۲ ـ ۱۰۳.

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. الشورى: ۱۱.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا. طه: ۱۱۰.

الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنـدَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ. البقرة: ۲۲.

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. الأعراف: ۱۴۳.

وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى الله جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. البقرة: ۵۵.

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَ آتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا. النساء: ۱۵۳.

وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِى أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا. الفرقان: ۲۱ ـ ۲۲.

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ. أَللهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ. وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. الإخلاص: ۱ ـ ۴.

الآيات المتشابهة التى استدلوا بها على الرؤية

كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الأخِرَةَ. وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ. تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ. القيامة: ۲۰ ـ ۲۵.

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى. النجم: ۱ ـ ۱۸.

أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ. سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ. أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ. يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سَالِمُونَ. القلم: ۳۹ ـ ۴۳.

آيات: استوى على العرش

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. الأعراف: ۵۴.

إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ. يونس: ۳.

اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الأيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ الرعد: ۲.

طَه. مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. إِلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى. تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى. الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى. طه: ۱ ـ ۶.

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا. الفرقان: ۵۹.

اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ. السجدة: ۴.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ. الحديد: ۴ ـ ۵.

وقد أوردنا عدداً من الأحاديث الشريفة ومن كلمات العلماء في تفسير هذه الآيات، ونورد هنا ما بقى من تفسيرها، وفيها أحاديث وآراء مشتركة بين أكثر من آية، لأنها وردت في موضوع الرؤية ككل.

تفسير آية: لا تدركه الابصار

ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. الأنعام: ۱۰۲ ـ ۱۰۳.

النبي و آله يقولون: لا تدركه الابصار و لا.. الاوهام

روى الصدوق في التوحيد الهامش ۱/۳۹۷:

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل (رض) قال حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال حدثني محمد بن أبي بشير، قال حدثني الحسين بن أبي الهيثم، قال حدثنا سليمان بن داود، عن حفص بن غياث، قال حدثني خير الجعافر جعفر بن محمد، قال حدثني باقر

علوم الأولین والآخرین محمـد بن علی، قال حدثنی سـید العابدین علی بن الحسـین، قال حدثنی سـید الشـهداء الحسـین بن علی، قال حدثنی سـید الأوصـیاء علی بن أبی طالب علیهم السـلام قال: کان رسول الله صـلی الله علیه وآله ذات یوم جالساً فی مسـجده إذ دخل علیه رجل من الیهود فقال: یا محمد إلی ما تدعو؟

قال: إلی شهادهٔ أن لا إله إلا الله، وأنی رسول الله.

قال: یا محمد أخبرنی عن هذا الرب الذی تدعو إلی وحدانیته وتزعم أنک رسوله، کیف هو؟

قال: یا یهودی إن ربی لا یوصف بالکیف، لأن الکیف مخلوق وهو مکیفه.

قال: فأین هو؟

قال: إن ربی لا یوصف بالاین، لأن الاین مخلوق وهو أینه.

قال: فهل رأیته یا محمد؟

قال: إنه لا یری بالأبصار ولا یدرک بالأوهام.

قال: فبأی شئ نعلم أنه موجود؟

قال: بآیاته وأعلامه.

قال: فهل یحمل العرش أم العرش یحمله؟

فقال: یا یهودی إن ربی لیس بحال ولا محل.

قال: فکیف خروج الأمر منه؟

قال: بإحداث الخطاب فی المحال.

قال: یا محمد ألیس الخلق کله له؟

قال: بلی.

قال: فبأی شئ اصطفی منهم قوماً لرسالته؟

قال: بسبقهم إلی الإقرار بربوبیته.

قال: فلم زعمت أنک أفضلهم؟

قال: لانی أسبقهم إلی الإقرار بربی عز وجل؟

قال: فأخبرنی عن ربک هل یفعل الظلم؟

قال: لا.

قال: ولم؟

قال: لعلمه بقبحه واستغنائه عنه.

قال: فهل أنزل علیک فی ذلک قرآناً یتلی؟

قـال: نعم إنه یقول عز وجل: وَمَا رَبُّکَ بِظَلامٍ لِلْعَبِیـدِ، ویقول: إِنَّ اللهَ لا یَظْلِمُ النَّاسَ شَـیْئًا وَلَکِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَـهُمْ یَظْلِمُونَ، ویقول: وَمَا اللهُ یُرِیدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِینَ، ویقول: وَمَا اللهُ یُرِیدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ.

قال الیهودی: یا محمد فإن زعمت أن ربک لا یظلم فکیف أغرق قوم نوح علیه السلام وفیهم الأطفال؟

فقـال: یـا یهودی إن الله عز وجـل أعقم أرحـام نسـاء قوم نوح أربعین عاماً فـأغرقهم حین أغرقهم ولاـ طفل فیهم، وما کان الله لیهلک الذریهٔ بذنوب آبائهم، تعالی عن الظلم والجور علواً کبیراً.

قال الیهودی: فإن کان ربک لا یظلم فکیف یخلد فی النار أبد الآبدین من لم یعصه إلا أیاماً معدودهٔ؟

قال: يخلده على نيته، فمن علم الله نيته أنه لو بقى فى الدنيا إلى انقضائها كان يعصى الله عز وجل خلده فى ناره على نيته، ونيته فى ذلك شر من عمله، وكذلك يخلد من يخلد فى الجنة بأنه ينوى أنه لو بقى فى الدنيا أيامها لاطاع الله أبداً، ونيته خير من عمله، فبالنيات يخلد أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار، والله عز وجل يقول: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيل

قال اليهودى: يا محمد إنى أجد فى التوراة أنه لم يكن لله عز وجل نبى إلا كان له وصى من أمته فمن وصيك؟

قال: يا يهودى وصيى على بن أبى طالب، واسمه فى التوراة إليا وفى الإنجيل حيدار، وهو أفضل أمتى وأعلمهم بربى، وهو منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى، وإنه لسيد الأوصياء كما أنى سيد الأنبياء.

فقال اليهودى: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وأن على بن أبى طالب وصيك حقاً، والله إنى لاجد فى التوراة كل ما ذكرت فى جواب مسائلى، وإنى لأجد فيها صفتك وصفة وصيك، وإنه المظلوم ومحتوم له بالشهادة، وإنه أبو سبطيك وولديك شبراً وشبيراً سيدى شباب أهل الجنة.

وروى الكلينى فى الكافى:۱/۹۸:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن أبى نجران، عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ، قال: إحاطة الوهم، ألا ترى إلى قوله: قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ، ليس يعنى بصر العيون. فمن أبصر فلنفسه، ليس يعنى من البصر بعينه. ومن عمى فعليها، ليس يعنى عمى العيون إنما عنى إحاطة الوهم، كما يقال فلان بصير بالشعر، وفلان بصير بالفقه، وفلان بصير بالدراهم، وفلان بصير بالثياب. الله أعظم من أن يرى بالعين....

محمد بن أبى عبدالله، عمن ذكره، عن محمد بن عيسى، عن داود بن القاسم أبى هاشم الجعفرى قال: قلت لابى جعفر عليه السلام: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ فقال: يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التى لم تدخلها، ولا تدركها ببصرك وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون!

يد: ابن الوليد، عن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن أبى هاشم الجعفرى، عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الله عز وجل هل يوصف؟ فقال: أما تقرأ القرآن قلت بلى، قال أما تقرأ قوله عز وجل: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ قلت بلى، قال: فتعرفون الابصار قلت: بلى، قال: وما هى قلت: أبصار العيون فقال: إن أوهام القلوب أكثر من أبصار العيون فهو لا تدركه الأوهام، وهو يدرك الأوهام.

وروى النيسابورى فى روضة الواعظين/۳۳:

عن الإمام الرضا عليه السلام فى قول الله عز وجل: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ قال: لا تدركه أوهام القلوب، فكيف تدركه أبصار العيون.

وسئل الصادق عليه السلام هل يرى الله فى المعاد؟ فقال: سبحان الله تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيرا، إن الأبصار لا تدرك إلا ماله لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية.

وقال محمد بن أبى عمير: دخلت على سيدى موسى بن جعفر (عليهما السلام) فقلت له: يابن رسول الله علمنى التوحيد فقال: يا أبا أحمد لا تتجاوز فى التوحيد ما ذكره الله تبارك وتعالى فى كتابه فتهلك، واعلم أن الله تعالى واحد أحد صمد لم يلد فيورث ولم يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبة ولا ـ ولداً ولا شريكاً، وأنه الحى الذى لا يموت، والقادر الذى لا يعجز، والقاهر الذى لا يغلب، والحليم الذى لا يعجل، والدائم الذى لا يبيد، والباقى الذى لا يفنى، والثابت الذى لا يزول، والغنى الذى لا يفتقر، والعزيز الذى لا يذل، والعالم الذى لا يجهل، والعدل الذى لا يجور، والجواد الذى لا يبخل. وأنه لا تقدره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شئ وهو السميع البصير، ما يكون

من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا وهو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، وهو الأول الذى لا شئ قبله، والآخر الذى لا شئ بعده، وهو القديم وما سواه محدث، تعالى عن صفات المخلوقين علواً كبيرا.

وسئل الصادق عليه السلام هل لله تعالى رضى وسخط؟ فقال: نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، ولكن غضب الله عقابه ورضاه ثوابه.

وقال أيضاً عليه السلام: إن الله تعالى لا ـ يوصف بزمان ولا ـ مكان ولا ـ حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان، والحركة والسكون والانتقال، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيرا.

وروى المجلسى فى بحار الأنوار:۴/۴۶:

نص: الحسين بن على، عن هارون بن موسى، عن محمد بن الحسن، عن الصفار، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبى عمير، عن هشام قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب و عبدالملك بن أعين، فقال له معاوية بن وهب: يابن رسول الله ما تقول فى الخبر الذى روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربه، على أى صورة رآه، وعن الحديث الذى رووه أن المؤمنين يرون ربهم فى الجنة، على أى صورة يرونه؟ فتبسم عليه السلام ثم قال: يا معاوية ما أقبح بالرجل يأتى عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش فى ملك الله ويأكل من نعمه، ثم لا يعرف الله حق معرفته.

ثم قال عليه السلام: يا معاوية إن محمداً صلى الله عليه وآله لم ير الرب تبارك وتعالى بمشاهدة العيان، وإن الرؤية على وجهين: رؤية القلب، ورؤية البصر، فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب ومن عنى برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: من شبه الله بخلقه فقد كفر. ولقد حدثنى أبى، عن أبيه، عن الحسين بن على قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام فقيل: يا أخا رسول الله هل رأيت ربك فقال: وكيف أعبد من لم أره لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

فإذا كان المؤمن يرى ربه بمشاهدة البصر فإن كل من جاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق، ولابد للمخلوق من الخالق، فقد جعلته إذا محدثاً مخلوقاً، ومن شبهه بخلقه فقد اتخذ مع الله شريكاً، ويلهم أولم يسمعوا يقول الله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

وقوله: لَنْ تَرَانِي ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً، وإنما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سم الخياط فدكدكت الأرض وصعقت الجبال فخر موسى صعقاً، أى ميتاً، فلما أفاق ورد عليه روحه، قال سبحانك تبت إليك من قول من زعم أنك ترى، ورجعت إلى معرفتى بك أن الأبصار لا تدركك، وأنا أول المؤمنين، وأول المقرين بأنك ترى ولا ترى، وأنت بالمنظر الاعلى.

ثم قال عليه السلام: إن أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الرب والإقرار له بالعبودية، وحد المعرفة أن يعرف أنه لا إله غيره، ولا ـ شبيه له ولا ـ نظير، وأن يعرف أنه قديم مثبت موجود غير فقيد، موصوف من غير شبيه ولا ـ مبطل، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير.

وبعده معرفة الرسول والشهادة بالنبوة.

وأدنى معرفة الرسول الإقرار بنبوته، وأن ما أتى به من كتاب أو أمر أو نهى فذلك من الله عز وجل، وبعده معرفة الإمام الذى به تأتم بنعته وصفته واسمه فى حال العسر واليسر....

ثم قال: يا معاوية جعلت لك أصلاً فى هذا فاعمل عليه، فلو كنت تموت على ما كنت عليه لكان حالك أسوأ الاحوال، فلا يغرنك قول من زعم أن الله تعالى يرى بالبصر.

قال: وقد قالوا أعجب من هذا، أو لم ينسبوا آدم عليه السلام إلى المكروه!

أو لم ينسبوا إبراهيم عليه السلام إلى ما نسبوه!

أو لم ینسبوا داود علیه السلام إلى ما نسبوه من حدیث الطیر!

أو لم ینسبوا یوسف الصدیق إلى ما نسبوه من حدیث زلیخا!

أو لم ینسبوا موسى علیه السلام إلى ما نسبوه من القتل!

أو لم ینسبوا رسول الله صلى الله علیه وآله إلى ما نسبوه من حدیث زید!

أو لم ینسبوا على بن أبى طالب علیه السلام إلى ما نسبوه من حدیث القطیفة!

إنهم أرادوا بذلک توبیخ الإسلام لیرجعوا على أعقابهم، أعمى الله أبصارهم کما أعمى قلوبهم، تعالى الله عن ذلک علواً کبیرا.

وروى نحوه فى بحار الأنوار:۴/۳۳ وص ۳۹ وفیه (إن أوهام القلوب أکثر من أبصار العیون فهى لا تدرکه، وهو یدرک الأوهام).

وروى نحوه فى بحار الأنوار:۴/۲۹ وفیه (لا تدرکه أوهام القلوب فکیف تدرکه أبصار العیون! وقال المجلسى رحمه الله:

بیان: هذه الآیة إحدى الدلالات التى استدل بها النافون للرؤیة وقرروها بوجهین:

أحدهما: أن إدراک البصر عبارة شائعة فى الإدراک بالبصر إسناداً للفعل إلى الآلة، والإدراک بالبصر هو الرؤیة بمعنى اتحاد المفهومین أو تلازمهما، والجمع المعرف باللام عند عدم قرینة العهدیة والبعضیة للعموم والإستغراق بإجماع أهل العربیة والأصول وأئمة التفسیر، وبشهادة استعمال الفصحاء، وصحة الإستثناء، فالله سبحانه قد أخبر بأنه لا یراه أحد فى المستقبل، فلو رآه المؤمنون فى الجنة لزم کذبه تعالى وهو محال.

واعترض علیه: بأن اللام فى الجمع لو کان للعموم والاستغراق کما ذکرتم کان قوله تدرکه الأبصار موجبة کلیة، وقد دخل علیها النفى، فرفعها وهو رفع الإیجاب الکلى، ورفع الإیجاب الکلى سلب جزئى. ولو لم یکن للعموم کان قوله لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ سالبة مهملة فى قوة الجزئیة، فکان المعنى لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، ونحن نقول بموجبة حیث لا یراه الکافرون، ولو سلم فلا نسلم عمومه فى الأحوال والأوقات فیحمل على نفى الرؤیة فى الدنیا جمعاً بین الأدلة.

والجواب: أنه قد تقرر فى موضعه أن الجمع المحلى باللام عام نفیاً وإثباتاً فى المنفى والمثبت کقوله تعالى: وَمَا اللهُ یُرِیدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِینَ مِنْ سَبِیلٍ، حتى أنه لم یرد فى سیاق النفى فى شئ من الکتاب الکریم إلا بمعنى عموم النفى، ولم یرد لنفى العموم أصلاً، نعم قد اختلف فى النفى الداخل على لفظة کل لکنه فى القرآن المجید أیضاً بالمعنى الذى ذکرنا کقوله تعالى: وَاللهُ لا یُحِبُّ کُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ، إلى غیر ذلک، وقد اعترف بما ذکرنا فى شرح المقاصد وبالغ فیه.

وأما منع عموم الأحوال والأوقات فلا یخفى فساده، فإن النفى المطلق الغیر المقید لا وجه لتخصیصه ببعض الأوقات إذ لا ترجیح لبعضها على بعض، وهو أحد الأدلة على العموم عند علماء الأصول.

وأیضاً صحة الإستثناء دلیل علیه، وهل یمنع أحد صحة قولنا: ما کلمت زیداً إلا یوم الجمعة، ولا أکلمه إلا یوم العید، وقال تعالى: وَلا تَعْضُلُوهُنَّ، إلى قوله: إِلا أَنْ یَأْتِینَ. وقال: لا تُخْرِجُوهُنَّ، إلى قوله إِلا أَنْ یَاتِینَ.

وأیضاً کل نفى ورد فى القرآن بالنسبة إلى ذاته تعالى فهو للتأبید وعموم الأوقات لا سیما فیما قبل هذه الآیة.

وأیضاً عدم إدراک الأبصار جمیعاً لشئ لا یختص بشئ من الموجودات، خصوصاً مع اعتبار شمول الأحوال والأوقات، فلا یختص به تعالى، فتعین أن یکون التمدح بعدم إدراک شئ من الأبصار له فى شئ من الأوقات.

وثانیهما: أنه تعالى تمدح بکونه لا یرى فإنه ذکره فى أثناء المدائح، وما کان من الصفات عدمه مدحاً کان وجوده نقصاً یجب تنزیه الله تعالى عنه، وإنما قلنا من الصفات احترازاً عن الأفعال کالعفو والإنتقام فإن الأول تفضل، والثانى عدل، وکلاهما کمال.

الإقتصاد للشیخ الطوسى/۳۹:

ولا یجوز علیه تعالى الرؤیة بالبصر، لأن من شرط صحة الرؤیة أن یکون المرئى نفسه أو محله مقابلاً للرائى بحاسة، أو فى حکم المقابل، والمقابلة یستحیل علیه لأنه لیس بجسم، ومقابلة محله أیضاً یستحیل علیه لأنه لیس بعرض على ما بیناه.

ولأنه لو كان مرئياً لرأيناه مع صحة حواسنا وارتفاع الموانع المعقولة ووجوده، لأن المرئى إذا وجد وارتفعت الموانع المعقولة وجب أن نراه، وإنما لا نراه إما لبعد مفرط أو قرب مفرط أو لحائل بيننا وبينه أو للطافة أو صغر، وكل ذلك لا يجوز عليه تعالى لأنه من صفات الأجسام والجواهر.

وبمثل ذلك بعينه يعلم أنه لا يدرك بشئ من الحواس الباقية، فلا وجه للتطويل بذكره، والحاسة السادسة غير معقولة، ولو كانت معقولة لكان حكمها حكم هذه الحواس مع اختلافها واتفاقها فى هذا الحكم.

وأيضاً قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ، دليل على استحالة رؤيته، لأنه تمدح بنفى الإدراك عن نفسه، وكل تمدح تعلق بنفى فإثباته لا يكون إلا نقصاً، كقوله: لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ، وقوله تعالى: مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ، وقوله تعالى: وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ، وقوله تعالى: لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا، وغير ذلك مما تعلق المدح بالنفى، فكان إثباته نقصاً. والآية فيها مدح بلا خلاف وإن اختلفوا فى جهة المدح، والادراك فى الآية بمعنى الرؤية، لأنه نفى عن نفسه ما أثبته لنفسه بقوله: وهو يدرك الابصار.

وقوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، لا يعارض هذه الآية، لأن النظر المذكور فى الآية معناه الإنتظار، فكأنه قال: لثواب ربها منتظرة.

ومثله قوله: وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة، أى منتظرة. وليس النظر بمعنى الرؤية فى شئ من كلام العرب، ألا ـ ترى أنهم يقولون: نظرت إلى الهلال فلم أره، فيثبتون النظر وينفون الرؤية، ولو كان معناه الرؤية لكان ذلك مناقضة، ويقولون: ما زالت أنظر إليه حتى رأيته، ولا يقولون: ما زلت أراه حتى رأيته. ولو سلم أن النظر بمعنى الرؤية لجاز أن يكون معناه: إلى ثواب ربها رائية، وثواب الله يصح رؤيته.

ويحتمل أن تكون إلى فى الآية واحد الالاء، لأنه يقال إلى وإلى وألى، وإنما لم تنون لمكان الاضافة، فتكون إلى فى الآية إسماً لا حرفاً، فتسقط بذلك شبهة المخالف.

وقول موسى عليه السلام: رب أرنى أنظر اليك، يحتمل أن يكون سأل الرؤية لقومه على ما حكاه الله عز وجل فى قوله: فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة، فسأل الله تعالى ذلك ليرد الجواب من جهته فيكون أبلغ.

ويحتمل أن يكون سأل العلم الضرورى الذى تزول معه الخواطر والشبهات، أو إظهار آية من آيات الساعة التى يحصل عندها العلم الذى لا شك فيه، وللأنبياء أن يسألوا تخفيف البلوى فى التكليف، كما سأل ابراهيم عليه السلام فقال: رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي وكل ذلك لا ينافى الآية التى ذكرناها. انتهى. ويؤيد الوجه الأخير الذى ذكره الشيخ الطوسى رحمه الله تركيب الآية: أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ، ولم يقل أنظرك، فهو يريد أن يريه شيئاً يجعله كأنه يشاهد الله تعالى.

تفسير التبيان:۴/۲۲۳:

قوله تعالى: لاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرِ الأنعام: ۱۰۳.

فى هذه الآية دلالة واضحة على أنه تعالى لا يرى بالابصار، لأنه تمدح بنفى الإدراك عن نفسه، وكلما كان نفيه مدحاً غير متفضل به فإثباته لا يكون إلا نقصاً، والنقص لا يليق به تعالى. فإذا ثبت أنه لا يجوز إدراكه ولا رؤيته.

وهذه الجملة تحتاج إلى بيان أشياء: أحدها، أنه تعالى تمدح بالآية. والثانى أن الادراك هو الرؤية. والثالث أن كلما كان نفيه مدحاً لا يكون إثباته إلا نقصاً.

والذى يدل على تمدحه شيئان:

أحدهما، إجماع الأمة فإنه لا خلاف بينهم فى أنه تعالى تمدح بهذه الآية، فقولنا تمدح بنفى الادراك عن نفسه لإستحالته عليه، وقال المخالف تمدح لأنه قادر على منع الأبصار من رؤيته. فالإجماع حاصل على أن فيها مدحة.

والثانى، أن جميع الأوصاف التى وصف بها نفسه قبل هذه الآية وبعدها مدحة، فلا يجوز أن يتخلل ذلك ما ليس بمدحة. والذى يدل

على أن الإدراك يفيد الرؤية أن أهل اللغة لا يفرقون بين قولهم: أدركت ببصرى شخصاً، وآنست، وأحسست ببصرى. وأنه يراد بذلك أجمع الرؤية. فلو جاز الخلاف فى الادراك لجاز الخلاف فيما عداه من الاقسام.

فأما الإدراك فى اللغة، فقد يكون بمعنى اللحوق كقولهم: أدرك قتادة الحسن. ويكون بمعنى النضج، كقولهم أدركت الثمرة، وأدركت القدر، وإدرك الغلام إذا بلغ حال الرجال.

وأيضاً فإن الإدراك إذا أضيف إلى واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسة آلة فيه. ألا ترى أنهم يقولون: أدركته بأذنى يريدون سمعته، وأدركته بأنفى يريدون شممته، وأدركته بفمى يريدون ذقته. وكذلك إذا قالوا: أدركته ببصرى يريدون رأيته. وأما قولهم أدركت حرارة الميل ببصرى فغير معروف ولا مسموع، ومع هذا ليس بمطلق بل هو مقيد، لأن قولهم حرارة الميل تقييد لأن الحرارة تدرك بكل محل فيه حياة، ولو قال أدركت الميل ببصرى لما استفيد به إلا الرؤية.

وقولهم إن الإدراك هو الاحاطة باطل، لأنه لو كان كذلك لقالوا: أدرك الجراب بالدقيق وأدرك الحب بالماء وأدرك السور بالمدينة لإحاطة جميع ذلك بما فيه، والأمر بخلاف ذلك. وقوله: حتى إذا أدركه الغرق، فليس المراد به الإحاطة بل المعنى حتى إذا لحقه الغرق، كما يقولون أدركت فلاناً إذا لحقته، ومثله: فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون، أى لملحوقون.

والذى يدل على أن المدح إذا كان متعلقاً بنفى فإثباته لا يكون إلا نقصاً، قوله: لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ، وقوله: مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ، لما كان مدحاً متعلقاً بنفى فلو ثبت فى حال لكان نقصاً.

فإن قيل: كيف يتمدح بنفى الرؤية ومع هذا يشاركه فيها ما ليس بممدوح من المعدومات والضمائر.

قلنا: إنما كان ذلك مدحاً بشرط كونه مدركاً للأصار، وبذلك تميز من جميع الموجودات، لأنه ليس فى الموجودات ما يدرك ولا يدرك.

فإن قيل: ولم إذا كان يدرك ولا يدرك يجب أن يكون ممدوحاً.

قلنا: قد ثبت أن الآية مدحة بما دللنا عليه، ولابد فيها من وجه مدحة فلا يخلو من أحد وجهين: إما أن يكون وجه المدحة أنه يستحيل رؤيته مع كونه رائياً، أو ما قالوه من أنه يقدر على منع الابصار من رؤيته بأن لا يفعل فيها الإدراك، وما قالوه باطل لقيام الدلالة على أن الإدراك ليس بمعنى الإحاطة، فإذا بطل ذلك لم يبق إلا ما قلناه، وإلا خرجت الآية من كونها مدحة. وقد قيل: إن وجه المدحة فى ذلك أن من حق المرئى أن يكون مقابلاًـ أو فى حكم المقابل، وذلك يدل على مدحته، وهذا دليل من أصل المسألة لا يمكن أن يكون جواباً فى الآية.

فإن قيل: إنه تعالى نفى أن تكون الابصار تدركه فمن أين أن المبصرين لا يدركونه؟

قلنا: الأبصار لاـ تدرك شيئاً البتة فلاـ اختصاص لها به دون غيره، وأيضاً فإن العادة أن يضاف الإدراك إلى الأبصار ويراد به ذووا الأبصار، كما يقولون: بطشت يدى وسمعت أذنى وتكلم لسانى، ويراد به أجمع ذووا الجارحة.

فإن قيل: إنه تعالى نفى أن جميع المبصرين لا يدركونه، فمن أين أن البعض لا يدركونه وهم المؤمنون؟

قلنا: إذا كان تمدحه فى استحالة الرؤية عليه لما قدمناه، فلا اختصاص لذلك براء دون رائى، ولك أن تستدل بأن تقول: هو تعالى نفى الإدراك عن نفسه نفياً عاماً كما أنه أثبت لنفسه ذلك عاماً، فلو جاز أن يخص ذلك بوقت دون وقت لجاز مثله فى كونه مدركاً. وإذا ثبت نفى إدراكه على كل حال، فكل من قال بذلك قال الرؤية مستحيلة عليه. ومن أجاز الرؤية لم ينفها نفياً عاماً فالقول بنفيها عموماً، مع جواز الرؤية عليه قول خارج عن الإجماع.

فإن عورضت هذه الآية بقوله: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، فإنا نبين أنه لا تعارض بينهما وأنه ليس فى هذه الآية مايدل على جواز الرؤية إذا انتهينا إليها إنشاء الله.

تفسير التبيان:۱/۲۲۸:

وقال قوم: إن النظر إذا كان معه إلى لا يحتمل إلا الرؤيـة. وحملوا قوله: إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ على ذلك وقالوا لا يحتمل التأمل. وذلك غلط لانهم يقولون: إنما أنظر إلى الله ثم إليك بمعنى أتوقع فضل الله ثم فضلك. وقال الطريح بن إسماعيل:

وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك جرتنى نعماء

وقال جميل بن معمر:

إنى إليك لما وعدت لناظر نظر الفقير إلى الغنى الموسر

وقال آخر:

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمان تأتى بالفلاح

وأتوا ب(إلى) على معنى نظر الإنتظار.

والصحيح أن النظر لا يفيد الرؤية وإنما حقيقته تحديق الجارحة الصحيحة نحو المرئى طلباً لرؤيته، ولو أفاد الرؤية لما جعل غاية لنفسه، ألا تراهم يقولون: مازلت أنظر إليه (حتى رأيته) ولا يقولون ما زلت أراه حتى رأيته، ولانهم يثبتون النظر وينفون الرؤية فيقولون: نظرت إليه فلم أره، ولا يقولون رأيته فلم أره.

تفسير التبيان:۱۹۷/۱۰:

ثم قسم تعالى أهل الآخرة فقال (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) أى مشرقة مضيئة، فالنضرة الصورة الحسنة التى تملأ القلب سروراً عند الرؤية، نضر وجهه ينضر نضرة ونضارة فهو ناضر. والنضرة مثل البهجة والطلاقة، وضده العبوس والبسور، فوجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة بما جعل الله عليها من النور علامة للخلق، والملائكة على أنهم مؤمنون مستحقون الثواب.

وقوله: إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، معناه منتظرة نعمة ربها وثوابه أن يصل إليهم.

وقيل (نَاضِرَةٌ) أى مشرفة (إلى) ثواب ربها (نَاظِرَةٌ) وليس فى ذلك تنغيص، لأن الإنتظار إنما يكون فيه تنغيص إذا كان لا يوثق بوصوله إلى المنتظر أو هو محتاج إليه فى الحال، والمؤمنون بخلاف ذلك، لأنهم فى الحال مستغنون منعمون، وهم أيضاً واثقون أنهم يصلون إلى الثواب المنتظر.

والنظر هو تقليب الحدقة الصحية نحو المرئى طلباً للرؤية، ويكون النظر بمعنى الإنتظار، كما قال تعالى (وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ، أى منتظرة، وقال الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن تأتى بالفلاح

أى منتظرة للرحمة التى تنزل عليهم.

وقد يقول القائل: إنما عينى ممدودة إلى الله وإلى فلان، وأنظر إليه أى أنتظر خيره ونفعه وأؤمل ذلك من جهته، وقوله: وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، معناه لا ينيلهم رحمته.

ويكون النظر بمعنى المقابلة، ومنه المناظرة فى الجدل، ومنه نظر الرحمة أى قابله بالرحمة، ويقال: دور بنى فلان تتناظر أى تتقابل، وهو ينظر إلى فلان أى يؤمله وينتظر خيره، وليس النظر بمعنى الرؤية أصلاً، بدلالة أنهم يقولون: نظرت إلى الهلال فلم أره، فلو كان بمعنى الرؤية لكان متناقضاً، ولأنهم يجعلون الرؤية غاية للنظر يقولون: ما زلت أنظر إليه حتى رأيته، ولا يجعل الشئ غاية لنفسه لا يقال: بما زلت أراه حتى رأيته، ويعلم الناظر ناظراً ضرورة، ولا يعلم كونه رائياً بل يسأل بعد ذلك هل رأيت أم لا.

ودخول (إلى) فى الآية لا يدل على أن المراد بالنظر الرؤية، ولا تعليقه بالوجوه يدل على ذلك، لانا أنشدنا البيت وفيه تعليق النظر بالوجه وتعديه بحرف (إلى) والمراد به الإنتظار، وقال جميل بن معمر:

وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك جدتنى نعم

والمراد به الإنتظار والتأميل.

وأيضاً، فإنه في مقابلة قوله في صفة أهل النار: تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ، فالمؤمنون يؤمنون بتجديد الكرامة وينتظرون الثواب، والكفار يظنون الفاقرة، وكله راجع إلى فعل القلب.

ولو سلمنا أن النظر بعد الرؤية لجاز أن يكون المراد أنها رؤية ثواب ربها، لأن الثواب الذى هو أنواع اللذات من المأكول والمشروب والمنكوح تصح رؤيته.

ويجوز أيضاً أن يكون إلى واحد إلاء وفى واحدها لغات (ألا) مثل قفا و (ألى) مثل معى و (ألى) مثل حدى و (أل) مثل حسا، فإذا أضيف إلى غيره سقط التنوين، ولا يكون (إلى) حرفاً فى الآية. وكل ذلك يبطل قول من أجاز الرؤية على الله تعالى.

وليس لأحد أن يقول: إن الوجه الأخير يخالف الإجماع، أعنى إجماع المفسرين، وذلك لأنا لا نسلم لهم ذلك، بل قد قال مجاهد وأبو صالح والحسن وسعيد بن جبير والضحاك: إن المراد نظر الثواب. وروى مثله عن على عليه السلام.

وقد فرق أهل اللغة بين نظر الغضبان ونظر الراضى، يقولون: نظر غضبان، ونظر راض، ونظر عداوة ونظر مودة، قال الشاعر:

تخبرنى العينان ما الصدر كاتم ولا حن بالبغضاء والنظر الشزر

والرؤية ليست كذلك فإنهم لا يضيفونها، فدل على أن النظر غير الرؤية، والمرئى هو المدرك، والرؤية هى الإدراك بالبصر، والرائى هو المدرك، ولا تصح الرؤية وهى الإدراك إلا على الأجسام أو الجوهر أو الألوان. ومن شرط المرئى أن يكون هو أو محله مقابلاً أو فى حكم المقابل، وذلك يستحيل عليه تعالى، فكيف تجيز الرؤية عليه تعالى!

اميرالمؤمنين يدفع الشبهات

كتاب التوحيد للصدوق/۲۵۴-۲۶۹:

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا أحمد بن يحيى، عن بكر بن عبدالله بن حبيب قال: حدثنى أحمد بن يعقوب بن مطر قال: حدثنا محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الأحدب الجند بنيسابور قال: وجدت فى كتاب أبى بخطه: حدثنا طلحة بن يزيد، عن عبيد الله بن عبيد عن أبى معمر السعدانى أن رجلاً أتى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنى قد شككت فى كتاب الله المنزل، قال له عليه السلام: ثكلتك أمك وكيف شككت فى كتاب الله المنزل؟

قال: لانى وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه.

فقال على بن أبى طالب عليه السلام: إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً، ولكنك لم ترزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عز وجل.

قال له الرجل: إنى وجدت الله يقول: فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا، وقال أيضاً: نسوا الله فنسيهم، وقال: وما كان ربك نسياً، فمرة يخبر أنه ينسى، ومرة يخبر أنه لا ينسى، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين!

قال: هات ما شككت فيه أيضاً.

قال: وأجد الله يقول: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إلا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَابًا، وقال واستنطقوا فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين، وقال: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وقال: إنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ، وقال: لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وقال: نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فمرة يخبر أنهم يتكلمون ومرة يخبر أنهم لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً، ومرة يخبر أن الخلق لا ينطقون ويقول عن مقالتهم: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ: ومرة يخبر أنهم يختصمون، فأنى ذلك يا أمير المؤمنين، وكيف لا أشك فيما تسمع...

قال: هات ويحك ما شككت فيه.

قال: وأجد الله عز وجل يقول: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. ويقول: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

ویقول: وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أَخْرَی، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَی، ویقول: یَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِیَ لَهُ قَوْلاً، یَعْلَمُ مَا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَلا یُحِیطُونَ بِهِ عِلْمًا، ومن أدرکته الأبصار فقد أحاط به العلم، فأنی ذلک یا أمیر المؤمنین وکیف لا أشک فیما تسمع؟....

فقال علیه السلام: وأما قوله عز وجل: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وقوله: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ، وقوله: وَلَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرَی عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَی، وقوله: یَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِیَ لَهُ قَوْلا یَعْلَمُ مَا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا یُحِیطُونَ بِهِ عِلْمًا، فأما قوله: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، فإن ذلک فی موضع ینتهی فیه أولیاء الله عز وجل بعدما یفرغ من الحساب إلی نهر یسمی الحیوان فیغتسلون فیه ویشربون منه فتنضر وجوههم إشراقاً فیذهب عنهم کل قذی ووعث، ثم یؤمرون بدخول الجنة، فمن هذا المقام ینظرون إلی ربهم کیف یثیبهم، ومنه یدخلون الجنة، فذلک قوله عز وجل من تسلیم الملائکة علیهم: سَلامٌ عَلَیْکُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِینَ، فعند ذلک أیقنوا بدخول الجنة والنظر إلی ما وعدهم ربهم فذلک قوله: إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وإنما (عنی) بالنظر إلیه النظر إلی ثوابه یعنی لا تحیط به الأوهام. وهو یدرک الأبصار، یعنی یحیط بها وهو اللطیف الخبیر، وذلک مدح امتدح به ربنا نفسه تبارک وتعالی وتقدس علواً کبیرا، وقد سأل موسی علیه السلام وجری علی لسانه من حمد الله عزوجل: رب أرنی أنظر إلیک، فکانت مسألته تلک أمراً عظیماً، فقال الله تبارک وتعالی: لَنْ تَرَانِی.. انْظُرْ إلی الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَکَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِی، فأبدی الله سبحان بعض آیاته وتجلی ربنا للجبل فتقطع الجبل فصار رمیماً وخر موسی صعقاً، یعنی میتاً، ثم أحیاه الله وبعثه وتاب علیه، فقال: سبحانک تبت إلیک وأنا أول المؤمنین، یعنی أول مؤمن آمن بک منهم أنه لن یراک.

وأما قوله: ولقد رآه نزلة أخری عند سدرة المنتهی، یعنی محمداً صلی الله علیه وآله کان عند سدرة المنتهی حیث لا یتجاوزها خلق من خلق الله، وقوله فی آخر الآیة: مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَی. لَقَدْ رَأَی مِنْ آیَاتِ رَبِّهِ الْکُبْرَی. رأی جبرئیل علیه السلام فی صورته مرتین هذه المرة ومرة أخری، وذلک أن خلق جبرئیل عظیم فهو من الروحانیین الذین لا یدرک خلقهم وصفتهم إلا الله رب العالمین. ورواه الطبرسی فی الاحتجاج: ۱/۳۵۸ ـ ۳۶۲ ورواه المجلسی فی بحار الأنوار:۴/۳۲.

شرح الأسماء الحسنی:۱/۱۸۵:

(یا من یَری ولا یُری)

طال التشاجر بین الأشاعرة والمعتزلة فی مسألة الرؤیة فذهب الأشاعره إلی أن الله تعالی یری فی الآخرة وینکشف انکشاف البدر المرئی ولکن بلا مقابلة وجهة ومکان، خلافاً للمعتزلة حیث نفوها، وللمشبهه والکرامیة فإنهم وإن جوزوا رؤیته تعالی ولکن فی الجهة والمکان وعلی سبیل المقابلة، لإعتقادهم جسمیته تعالی عما یقول الظالمون علواً کبیرا.

وحرر بعض متأخری الأشاعرة حل النزاع بأنه لا نزاع للنافین فی جواز الإنکشاف التام العلمی، ولا للمثبتین فی امتناع ارتسام صورة المرئی فی العین، أو اتصال الشعاع الخارج من العین بالمرئی.

وإنما محل النزاع أنا إذا عرفنا الشمس مثلًا بحد أو رسم کان نوعاً من المعرفة، ثم إذا أبصرناها وغمضنا العین کان نوعاً آخر من المعرفة فوق الأول، ثم إذا فتحنا العین حصل نوع آخر من الإدراک فوق الأولین، نسمیها الرؤیة ولا یتعلق فی الدنیا إلا بما هو فی جهة ومکان، فمثل هذه الحالة الإدراکیة هل یصح أن تقع بدون المقابلة والجهة، وأن تتعلق بذات الله تعالی منزها عن الجهة والمکان أم لا. واحتج الأشاعرة بحجة عقلیة کلامیة لا نطیل الکلام بذکرها، وأدلة نقلیة منها قوله تعالی حکایة عن موسی علیه السلام: رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إلَیْکَ....

ومنها، قوله تعالی لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ.

ومنها، هذا الإسم الشریف الذی هو نظیر هذه الآیة.

وبالجملة کل الآیات والسنن التنزیهیة تدل علیه نصاً وظاهراً ومنطوقاً ومفهوماً، والحق أن مراد محققی الأشاعرة من الرؤیة هو الشهود

بنوره لنوره والإنكشاف البالغ حد العيان، أيدته الأذواق وصدقه قاطع البرهان، بدليل قولهم بلا مقابلة وجهة ومكان، وكذا قولهم فى تحرير محل النزاع، فمثل تلك الحالة الإدراكية أعدل شاهد على ذلك، إذ ليس مرادهم ما هو ظاهره حتى يقال حصول مثل تلك الحالة وعدم حصول مقابله ولا جهة، ومع هذا تكون رؤية لا تعقلاً، بل مرادهم أنه كما أن تلك الحالة ممتازة عن التعقل والتخيل والإحساس بالحس المشترك ومشاهدة وشهود للبصر، كذلك سيحصل لنا حالة عيانية ممتازة عنها وعلم حضورى بالنسبة إليه تعالى، هو شهود لا على المشاعر الجامع لجميعها بنحو أعلى، خذ الغايات ودع المبادى أى المبادى الطبيعية المحدودة، كما ذكرنا فى كونه سميعاً بصيراً أن المشاهدة التى يترتب على قوانا يترتب على ذاته النورية بنحو أنور فإنه سميع بصير بذاته لا بالسمع والبصر، فهذا مرادهم، وإلا فكما لا يليق بالعلماء التكلم فى مسموعيته أو مشموميته مثلاً إذ ليس من سنخ المسموعات أو المشمومات، كذلك لا يليق بهم التكلم فى مبصريته إذ ليس من سنخ المبصرات لأن المبصر بالذات هو الضوء واللون عند التحقيق وإن كانت الجواهر الفردة عند المتكلم مبصرة بالذات.

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن أرباب القشور منهم حرفوا الكلم عن مواضعه فلم يتفوهوا بما هو مخ القول، وعموا وصموا عما هو لب الحق، إذ كان المراد هو الشهود، والمعتزلة أيضاً لا ينكرونه، وإنما أنكروا الرؤية الظاهرية التى بالجارحة كما مر فى محل النزاع أنه لانزاع للنافين فى جواز الإنكشاف التام العلمى بأن يكون المراد بالعلمى العلم الحضورى، ولكن لا على سبيل الاكتناه، كما قيل إن العارفين المتألهين يشاهدونه ولكن لا بالكنه بل على سبيل الفناء الذى هو قرة عين العرفاء والعلماء، بأن يرى كل فعل وصفة ووجود مستهلكة فى فعله وصفته ووجوده تعالى.

ولا يجوز للمؤمن إنكار ذلك الشهود لأن إنكاره إنكار الكتب السماوية والسنن النبوية والآثار الولوية، بل هو غاية إرسال المرسلين وإرشاد الأئمة الهادين وسير السايرين وسلوك السالكين، ولولاه لم يكن سماء ولا أرض ولا بسيط ولا مركب، كما قال تعالى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ، أى ليعرفون، وفى الحديث القدسى: فخلقت الخلق لأعرف، فالكتاب المجيد الذى هو تنزيل من حكيم حميد مشحون منه قال تعالى مَنْ كَانَ يَرْجُواْ لِقَاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لاتٍ. يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِى إلى رَبِّكِ. شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ. والشهادة بالوحدانية فرع الشهادة بالوجود وشهوده، وهكذا كل آية مشتملة على ما دل على الشهود حتى لفظ الإيمان باعتبار بعض درجاته العالية....

قال سيد الأولياء عليه السلام: لم أعبد رباً لم أره. ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو قبله أو معه.

وقال ابنه سيد الشهداء عليه السلام: عميت عين لا تراك.

وقال أيضاً: تعرفت بكل شئ فما جهلك شى. تعرفت إلى فى كل شئ فرأيتك ظاهراً فى كل شئ، فأنت الظاهر لكل شئ.

وليكف هذا اليسير من الكثير لأن كل أشراك مقالاتهم وحبايل تحريراتهم لإصطياد هذا الصيد العديم المثال، فتمام سهام قصودهم واقعة على هذا الغرض الرفيع المنال، وحيث حملنا الرؤية على الشهود فلا تخصيص له بالآخرة، فإن أبناء اليقين لموتهم الإرادى قبل موتهم الطبيعى وفنائهم عن ذواتهم قامت قيامتهم ورأوا ما رأوا، ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى.

روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن أبى بصير قال قلت لابى عبدالله عليه السلام: أخبرنى عن الله تعالى هل يراه المؤمنون يوم القيمة قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقلت متى؟ قال: حين قال ألست بربكم قالوا بلى. ثم سكت ساعة ثم قال: وإن المؤمنين يرونه فى الدنيا قبل يوم القيامة. ألست تراه فى وقتك هذا قال أبو بصير فقلت: جعلت فداك فأحدث بهذا عنك؟ فقال: لا فإنك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ماتقول ثم قدر أن هذا تشبيه كفر، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى عما يصفه المشبهون والملحدون.

وقال سيد الموقنين ومولى المكاشفين: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً....

وقوله عليه السلام ما ازددت يقيناً، لعل المراد منه نفى الزيادة الكمية لا الكيفية، ومن ثم قال صلى الله عليه وآله: إن العيش عيش

الآخرة. ونعم ما قال العارف عبدالرحمن الجامی قدس سره السامی:

تا بود باقی بقایای وجود کی شود صاف از کدر جام شهود

تا بود پیوند جان وتن بجای کی شود مقصود کل برقع گشای

تا بود قالب غبار چشم جان کی توان دیدن رخ جانان عیان

ثم إن الشهود الحاصل لأهل الله فی الدنیا لیس لهم بما هم بأبدانهم فرشیون دنیویون، بل بما هم بقلوبهم عرشیون أخرویون، فیصدق أن الرؤیة والشهود مطلقاً مخصوصة بالآخرة.

ویمکن أیضاً التوفیق بین المذهبین بأن الرؤیة وإن کانت بمعنی الشهود لا یمکن فی الدنیا والآخرة بالنسبة إلی کنه ذاته، احتجب عن العقول کما احتجب عن الأبصار، ویمکن بالنسبة إلی وجهه: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ.

بل هاهنا نظر آخر فیه حصر النظر علی وجهه الکریم کما قال المعصوم علیه السلام بنقل القاضی سعید القمی: لا أری إلا وجهک ولا أسمع إلا صوتک، یا من یخلق ولا یخلق، یا من یهدی ولا یهدی، یا من یحیی ولا یحیی، یا من یسأل ولا یسأل. هذا الإسم الشریف مأخوذ من الآیة الشریفة وهی: لا یسأل عما یفعل وهم یسألون.

وقد تمسک الأشاعرة بها فی کثیر من المواضع، منها أنهم قالوا بنفی اللمیة الغائیة والداعی وجواز الترجیح من غیر مرجح، فإذا سئل عنهم ما المخصص لأحداث العالم فی وقت مخصوص دون سایر الأوقات مع تشابهها، وما المرجح للإمساک فی أوقات غیر متناهیة، کما هو مذهبهم من التعطیل والإفاضة فی وقت؟ مع کونه تعالی علة تامة غیر محتاج إلی شرط أو آلة أو معاون أو حالة منتظرة، وبالجملة ما به یتم فاعلیته؟ قالوا: لا یسئل عما یفعل، والتزموا القدرة الخرافیة.

ومنها، أنهم حیث قالوا بالتحسین والتقبیح الشرعیین دون العقلیین قالوا بنفی العلاقة اللزومیة بین الأعمال الحسنة ودخول الجنة وبین الأعمال القبیحة ودخول النار، بحیث جوزوا أن یدخل الله السعید فی النار خالداً والشقی فی الجنة أبداً، فإذا قیل علیهم إن هذا ظلم صریح، قالوا: لا یسأل عما یفعل... إلخ.

واحتج المعتزلة أیضاً بحجج عقلیة ونقلیة کثیرة، نذکر بعضها ونترک أکثرها لأن من أنس بالقواعد العقلیة وحافظ علی تنزیه الله من سمات المحدثات وصفات الأجسام قدر علی إقامة حجج کثیرة وإبطال ما هو ظاهر الأشاعرة من الرؤیة.

فمنها، أنه فیما عندنا من المبصرات یجب الرؤیة عند تحقق شروط ثمانیة ککون الحاسة سلیمة وکون الشئ جایز الرؤیة وکون الشئ مقابلًا أو فی حکم المقابل وعدم کون المرئی فی غایة القرب وغایة البعد وغایة اللطافة وغایة الصغر وأن لا یکون بین الرائی والمرئی حجاب، إذ لو لم تجب الرؤیة عند حصول الشرائط جاز أن یکون بحضرتنا جبال وأشخاص لا نراها، والستة الاخیرة لا یمکن اعتبارها فی رؤیته تعالی لتنزهه عن الجهة والحیز، بقی سلامة الحاسة وجواز الرؤیة، وسلامة الحاسة حاصلة فلو جاز الرؤیة وجب أن تراه فی الدنیا والجنة دائماً، والأول منتف بالضرورة والثانی بالإجماع والنصوص القاطعة الدالة علی اشتغالهم بغیر ذلک من اللذات.

تفسیرهم الموافق لمذهبنا

روی السیوطی فی الدر المنثور:۳/۳۷ عدداً من الروایات التی توافق مذهبنا ومذهب عائشة، قال:

وأخرج عبد ابن حمید وأبوالشیخ عن قتادة: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، قال هو أجلُّ من ذلک وأعظم من أن تدرکه الأبصار.

وأخرج ابن أبی حاتم عن السدی فی قوله: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ، یقول لا یراه شئ وهو یری الخلائق.

تفسیر الطبری:۹/۳۸:

معاویة عن علی (بن طلحة) عن ابن عباس قوله تعالی: سُبْحَانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِینَ، یقول أنا أول من یؤمن أنه لا یراک شئ من خلقک. انتهی.

وقد تقدم استدلال عائشة بالآية على عدم إمكان الرؤية، قال الرازى فى المطالب العالية:۱ جزء ۱/۸۷: إن عائشة (رض) قالت: من حدثكم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية، ثم قرأت: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ.

محاولاتهم تأويل الآية و إبطال معناه

رد النووى على عائشة فى شرح مسلم-هامش السارى:۲/۹۳ فقال: فأما إحتجاج عائشة بقول الله تعالى لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ. فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لايحاط به! وإذا ورد النص بنفى الإحاطة فلما يلزم منه نفى الرؤية بغير إحاطة. انتهى. ولكن المنفى هنا هو إدراك البصر، وهو أعم من الرؤية الجزئية والإحاطة!

وقال الجوينى فى لمع الأدلة/۱۰۱-۱۰۵:

مذهب أهل الحق أن البارى تعالى مرئى، ويجوز أن يراه الراؤون بالأبصار...

والدليل على جواز الرؤية عقلًا: أن الرب سبحانه وتعالى موجود، وكل موجود مرئى. وبيان ذلك: أنا نرى الجواهر والألوان، فإن رئى الجوهر لكونه جوهراً لزم ألا- يرى الجوهر، وإن رئيا لوجودهما لزم أن يرى كل موجود، والبارى سبحانه وتعالى: موجود فصح أن يرى.

فإن قالوا: إنما يرى ما يرى لحدوثه والرب تعالى أزلى قديم الذات فلا يرى، فالجواب من وجهين: أحدهما أن نقول كلامكم هذا نقض عليكم لجواز رؤية الطعوم والروائح والعلوم ونحوها فإنها حوادث، وعندكم يستحيل أن ترى.

ثم الجواب الحقيقى أن نقول: الحدوث ينبى عن موجود مسبوق بعدم والعدم السابق لا يصحح الرؤية، فانحصر التصحيح فى الوجود، فدل على أن كل موجود صح أن يرى.

ويستدل على جواز الرؤية وأنها ستكون فى الجنان وعداً من الله صدقاً وقولاً منه حقاً بقوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. والنظر إذا عدى بإلى اقتضى رؤية البصر. وإن عارضونا بقوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ. قلنا: فمن أصحابنا من قال الرب تعالى يرى ولا يدرك فإن الإدراك ينبئ عن الإحاطة ودرك الغاية، والرب مقدس عن الغاية والنهاية. فإن عارضونا بقوله تعالى فى جواب موسى عليه السلام: لَنْ تَرَانِى، فزعموا أن لن تقتضى النفى على التأبيد...

قلنا: هذه الآية من أوضح الأدلة على جواز الرؤية! فإنها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جوازها ضالاً أو كافراً، وكيف يعتقد ما لا يجوز على الله تعالى من اصطفاه الله تعالى لرسالته واجتباه لنبوته وخصصه بتكريمه وشرفه بتكليمه وجعله أفضل أهل زمانه وأيده ببرهانه، ويجوز على الأنبياء الريب فى أمر يتعلق بعلم الغيب، أما ما يتعلق بوصف البارى عز وعلا- فلا- يجوز الريب عليهم، فيجب حمل الآية على أن ما اعتقد موسى عليه السلام جوازه جائز، لكن ظن أن ما اعتقد جوازه ناجزاً فيرجع النفى فى الجواب إلى السؤال. وما سأل موسى عليه السلام ربه رؤية فى الدنيا لينصرف النفى إليها، والجواب نزل على قضية الخطاب. انتهى. وقد تقدم أن موسى عليه السلام لم يطلب رؤية ذات الله تعالى، بل طلب أن يريه شيئاً من آياته كأنه ينظر إليه.

وروى السيوطى فى الدر المنثور:۳/۳۷:

وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن إسماعيل بن علية، فى قوله: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ، قال: هذا فى الدنيا!

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن عكرمة عن ابن عباس قال: إن النبى(ص)رأى ربه، فقال له رجل عند ذلك أليس قال الله: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ! فقال له عكرمة: ألست ترى السماء؟ قال: بلى، قال فكلها ترى! (يقصد بما أن الله تعالى كبير فإنا نرى جزءً منه فقط!)

وأخرج الترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه واللالكائى فى السنة عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قال عكرمة فقلت له: أليس الله يقول لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ قال: لا أم لك، ذاك نوره الذى هو

نوره إذا تجلی بنوره لا یدرکه شیء، وفی لفظ: إنما ذلک إذا تجلی بکیفیته لم یقم له بصر. انتهی. وهو یقصد أن ذات اللّه تعالی تری ولکن نوره لا تدرکه الابصار!!

ثم أکد السیوطی رأی عکرمة فنقل فی:۳/۳۷ قول ابن جریح فی تفسیر الآیة أن الابصار لا تدرک الله تعالی کله لکبر حجمه! قال:

وأخرج ابن المنذر عن ابن جریح فی قوله: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، قال: قالت امرأة استشفع لی یا رسول الله علی ربک. قال: هل تدرین علی من تستشفعین، إنه ملا کرسیه السموات والأرض ثم جلس علیه فما یفضل منه من کل أربع أصابع، ثم قال: إن له أطیطاً کأطیط الرحل الجدید فذلک قوله: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، ینقطع به بصره قبل أن یبلغ أرجاء السماء. زعموا أن أول من یعلم بقیام الساعة الجن تذهب فإذا أرجاؤها قد سقطت لا تجد منفذاً تذهب فی المشرق والمغرب والیمن والشام. انتهی.

وأعجب منه روایتهم التی تفسر الأبصار التی لا ـ تدرکه بأنها أبصار العقول، ومع ذلک تدرکه أبصار العیون!! قال: وأخرج ابن أبی حاتم وأبو الشیخ واللالکائی من طریق عبدالرحمن بن مهدی قال سمعت أبا الحصین یحیی بن الحصین قاری أهل مکة یقول: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ قال أبصار العقول. انتهی.

وقد تقدم فی أول الباب عن (إمام الأئمة) ابن خزیمة حملته الشدیدة علی عائشة وتفسیره للآیة بأن جمیع الأبصار لا تدرکه ولکن البصر الواحد یدرکه! قال فی کتاب التوحید/۲۲۶:

لأن قوله: لا ـ تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، قد یحتمل معنیین علی مذهب من یثبت رؤیة النبی (ص) خالقه عز وجل، قد یحتمل بأن یکون معنی قوله: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، علی ما قال ترجمان القرآن لمولاه عکرمة ذاک نوره الذی هو نوره إذا تجلی بنوره لا یدرکه شیء. والمعنی الثانی أی لا ـ تدرکه الابصار أبصار الناس لأن الأعم والأظهر من لغة العرب أن الأبصار إنما تقع علی أبصار جماعة، لا أحسب غریباً یجی من طریق اللغة أن یقال لبصر امری واحد أبصار وإنما یقال لبصر امری واحد بصر، لا ولا سمعنا غریباً یقال لعین امری واحد بصران فکیف أبصار، ولو قلنا: إن الأبصار تری ربنا فی الدنیا لکنا قد قلنا الباطل والبهتان، فأما من قال إن النبی(ص)قد رأی ربه دون سائر الخلق فلم یقل إن الابصار قد رأت ربها فی الدنیا فکیف یکون ـ یا ذوی الحجا ـ من ینفی أن النبی(ص)محمداً قد رأی ربه دون سائر الخلق مثبتاً أن الأبصار قد رأت ربها، فتفهموا یا ذوی الحجا هذه النکتة تعلموا أن ابن عباس رضی الله عنهما وأباذر وأنس بن مالک ومن وافقهم لم یعظموا الفریة علی الله، لا ولا خالفوا حرفاً من کتاب الله فی هذه المسألة! انتهی.

وقد علق علی ذلک محقق کتابه وهو الشیخ محمد الهراس من علماء الأزهر، فقال:

عجباً لإمام الأئمة کیف خانه علمه فتوهم أن المنفی هو إدراک الأبصار له إذا اجتمعت فإذا انفرد واحد منها أمکن أن یراه! فهل إذا قال قائل لا آکل الرمان، یکون معنی هذا أنه لا یأکل الحبات منه ولکن یأکل الحبة! یرحم الله ابن خزیمة فلقد کبا ولکل جواد کبوة.

وقد کان الطبری من أعقلهم فی تفسیر الآیة حیث اعترف بأنه لا ـ مجال للهروب منها ولابد من الإعتراف بأنها تنفی إمکان الرؤیة مطلقاً، وأن الأخبار المرویة فی رؤیته تعالی تنافیها، ولکن لابد لنا من قبول الأخبار وطرح الآیة! قال فی تفسیره:۷/۲۰۰-۲۰۳:

قالوا فإن قال لنا قائل: وما أنکرتم أن یکون معنی قوله: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، لا تراه الأبصار؟ قلنا له: أنکرنا ذلک لأن الله جل ثناؤه أخبر فی کتابه أن وجوهاً فی القیامة إلیه ناظرة، وأن رسول الله (ص) أخبر أمته أنهم سیرون ربهم یوم القیامة کما یری القمر لیلة البدر....

وقال آخرون.. لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الأَبْصَارَ، إلا أنه جائز أن یکون معنی الآیة لا تدرکه أبصار الظالمین فی الدنیا والآخرة، وتدرکه أبصار المؤمنین وأولیاء الله. قالوا وجائز أن یکون معناها لا تدرکه الأبصار بالنهایة والإحاطة وأما الرؤیة فبلی. وقال آخرون: الآیة علی العموم ولن یدرک الله بصر أحد فی الدنیا والآخرة، ولکن الله یحدث لاولیائه یوم القیامة حاسة سادسة سوی حواسهم الخمس فیرونه بها... والصواب من القول فی ذلک: عذرنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله (ص) أنه قال إنکم سترون ربکم یوم القیامة کما ترون القمر لیلة البدر. انتهی.

ولم یبین الطبری ولا غیره کیف صار هذا هو الصواب، وهل کلما عارض صریح القرآن خبر أخذنا به وخصصنا به القرآن وقلنا: عذرنا

الأخبار المناقضة للقرآن!

قال القسطلانى فى إرشاد السارى:۱۰/۳۶۴:

قوله تعالى فى سورة الانعام: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ، وأجاب المثبتون بأن معنى الآية لا تحيط به الأبصار أو لا تدركه الأبصار، وإنما يدركه المبصرون! أو لا ـ تدركه فى الدنيا لضعف تركيبها فى الدنيا، فإذا كان فى الآخرة خلق الله تعالى فيهم قوة يقدرون بها على الرؤية. انتهى.

ولكنهم بهذه المواصفات الجديدة للعين ونظام الرؤية، خرجوا عن موضوع البحث، بل هربوا منه، وفى نفس الوقت ردوا أحاديثهم فى الرؤية التى ظاهرها رؤيته تعالى فى الدنيا والآخرة بالعين المتعارفة المجردة، فى أحسن صورة، وكما يرى القمر ليلة البدر على حد زعمهم!

وقال الشوكانى فى فتح القدير:۲/۱۸۵:

فى قوله: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ... التقدير لا تدركه كل الابصار بل بعضها، وهى أبصار المؤمنين!....

وقال التلمسانى فى نفح الطيب:۷/۲۹۶:

سئل النصيبى عن الرؤية بمجلس عضد الدولة فأنكرها محتجاً بأن كل شئ يرى بالعين فهو فى مقابلتها، فقال له القاضى ابن الطيب: لا يرى بالعين، قال له الملك: فبماذا يرى؟ قال: بالإدراك الذى يحدثه الله فى العين.. وهذا الأجهر عينه قائمة ولا يرى بها شيئاً! انتهى.

وقال فى نفح الطيب:۸/ص ۳۴:

حكاية أبى بكر بن الطيب مع رؤساء بعض المعتزلة، وذلك أنه اجتمع معه فى مجلس الخليفة، فناظره فى مسألة رؤية البارى فقال رئيسهم: ما الدليل أيها القاضى على جواز رؤية الله تعالى؟ قال: قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ! فنظر بعض المعتزلة إلى بعض وقالوا: جنَّ القاضى، وذلك أن هذه الآية هى معظم ما احتجوا على مذهبهم، وهو ساكت، ثم قال لهم: أتقولون إن من لسان العرب قولك: الحائط لا يبصر قالوا: لا.. قال: فلا يصح إذن نفى الصفة عما من شأنه صحة إثباتها له؟ قالوا نعم، قال: فكذلك قوله تعالى (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) لولا جواز إدراك الابصار له لم يصح نفيه عنه. انتهى. ولابدّ أنهم أجابوه إن الذى يصحح النفى هو توهم جواز الرؤية لا جوازها وإمكانها!

وهكذا يحرِّم إخواننا التأويل، ولكنهم إذا وصلوا إلى آيات نفى الرؤية وأحاديثها هجموا عليها بمعاول التأويل والمغالطات بلا رحمة ولا ضابطة، حتى يجعلوا من النفى إثباتاً، وقد يجعلون من الكفر إيماناً!

تفسير آية: ما كذب الفؤاد ما رأى

قال الله تعالى: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى. ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى. وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى. النجم: ۱ ـ ۱۸.

قال أهل البيت: رأى ربه بفؤاده و رأى آياته بعينيه

تقدم فى الفصول السابقة عدد من الأحاديث عن النبى وآله صلى الله عليه وآله فى تفسير هذه الآية، ونضيف إليها هنا مايلى:

روى الصدوق فى كتاب التوحيد/۱۰۸:

أبى رحمه الله قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، قال: حدثنا ابن أبى نصر، عن أبى الحسن الرضا عليه

السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسرى بى إلى السماء بلغ بى جبرئيل مكاناً لم يطأه جبرئيل قط، فكشف لى فأرانى الله عز وجل من نور عظمته ما أحب.

و فى/۱۱۶:

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد (رض) قال: حدثنا إبراهيم بن هاشم، عن ابن أبى عمير، عن مرازم، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه عز وجل يعنى بقلبه، وتصديق ذلك: ما حدثنا به محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن الحسين بن أبى الخطاب، عن محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن عليه السلام هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه عز وجل؟ فقال: نعم بقلبه رآه، أما سمعت الله عز وجل يقول: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأى، أى لم يره بالبصر، لكن رآه بالفؤاد.

وقد عقد الصدوق فى التوحيد باباً بعنوان (ما جاء فى الرؤية)/۱۰۷، نورد بعض روايته قال:

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل، قال: حدثنا على بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن النوفلى، عن السكونى، عن أبى عبدالله، عن آبائه عليهم السلام قال: مر النبى صلى الله عليه وآله على رجل وهو رافع بصره إلى السماء يدعو، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: غض بصرك فإنك لن تراه.

وقال: ومر النبى صلى الله عليه وآله على رجل رافع يديه إلى السماء وهو يدعو، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أقصر من يديك فإنك لن تناله.

حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن أبى عبدالله الكوفى، عن على بن أبى القاسم، عن يعقوب بن إسحاق قال: كتبت إلى أبى محمد عليه السلام أسأله كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه؟ فوقع عليه السلام يا أبا يوسف جل سيدى وم ولأى والمنعم على وعلى آبائى أن يرى.

قال: وسألته هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه؟ فوقع عليه السلام إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب.

حدثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، عن أبيه، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، قال: ذاكرت أبا عبدالله عليه السلام فيما يروون من الرؤية، فقال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسى، والكرسى جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب.

وفى علل الشرائع:۱/۱۳۱:

حدثنا محمد بن أحمد بن السنانى وعلى بن أحمد بن محمد الدقاق والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المؤدب وعلى بن عبدالله الوراق رضى الله عنهم، قالوا حدثنا محمد بن أبى عبدالله الكوفى الأسدى، عن موسى بن عمران النخعى، عن عمه الحسين بن يزيد النوفلى، عن على بن سالم، عن أبيه، عن ثابت بن دينار، قال سألت زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام عن الله جل جلاله هل يوصف بمكان؟ فقال: تعالى عن ذلك. قلت: فلم أسرى بنبيه محمد صلى الله عليه وآله إلى السماء؟ قال: ليريه ملكوت السموات وما فيها من عجائب صنعه وبدايع خلقه. قلت فقول الله عز وجل: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى؟ قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله دنا من حجب النور فرأى ملكوت السموات، ثم تدلى صلى الله عليه وآله فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض حتى ظن أنه فى القرب من الأرض كقاب قوسين أو أدنى.

ورواى النيسابورى فى روضة الواعظين/۳۳:

قال عكرمة: بينما ابن عباس يحدث الناس إذ قام نافع بن الأزرق فقال: يابن عباس، تفتى فى النملة والقملة، صف لنا إلهك الذى

تعبده. فأطرق ابن عباس إعظاماً لله عز وجل، وكان الحسين بن على قاعداً فى موضع فقال: إلىَّ يابن الأزرق، فقال: لست إياك أسأل، فقال ابن عباس: يابن الأزرق إنه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم، فأقبل نافع بن الازرق نحو الحسين فقال الحسين عليه السلام: يا نافع، إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر فى التباس، مائلاً ـ على المنهاج ظاعناً فى الاعوجاج، ضالاً ـ عن السبيل قائلًا غير الجميل، يابن الأزرق أصف إلهى بما وصف به نفسه وأعرفه بما عرف به نفسه: لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، فهو قريب غير ملتصق، وبعيد غير منفصل، يوحد ولا يبعض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وقال الطوسى فى تفسير التبيان:۹/۴۲۴:

وقوله: ما كذب الفؤاد ما رأى، قال ابن عباس: رأى ربه بقلبه، وهو معنى قوله علمه، وإنما علم ذلك بالآيات التى رآها.

وقال ابن مسعود وعائشة وقتادة: رأى محمد جبرائيل على صورته.

وقال الحسن: يعنى ما رأى من مقدورات الله تعالى وملكوته.

وقال الحسن: عرج بروح محمد صلى الله عليه وآله إلى السماء وجسده فى الأرض.

وقال أكثر المفسرين وهو الظاهر من مذهب أصحابنا والمشهور فى أخبارهم: أن الله تعالى صعد بجسمه حياً سليماً حتى رأى ملكوت السموات وما ذكره الله بعينى رأسه، ولم يكن ذلك فى المنام بل كان فى اليقظة... ومعنى: ما كذب الفؤاد، أى ما توهم أنه يرى شيئاً وهو لا ـ يراه من جهة تخيله لمعناه، كالرائى للسراب بتوهمه ماء ويرى الماء من بعيد فيتوهمه سراباً. ومن شدد أراد لم يكذب فؤاد محمد ما رأت عيناه من الآيات الباهرات فعداه.

وفى تفسير نور الثقلين:۵/۱۵۵:

فى تفسير على بن ابراهيم: حدثنى أبى، عن أحمد بن محمد بن أبى نصر، عن على بن موسى الرضا عليه السلام قال قال لى: يا أحمد ما الخلاف بينكم وبين أصحاب هشام بن الحكم فى التوحيد؟ فقلت: جعلت فداك قلنا نحن بالصورة، للحديث الذى روى أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربه فى صورة شاب، وقال هشام بن الحكم بالنفى للجسم، فقال: يا أحمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسرى به إلى السماء وبلغ عند سدرة المنتهى، خرق له فى الحجب مثل سم الإبرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله أن يرى وأردتم أنتم التشبيه، دع هذا يا أحمد لا ينفتح عليك منه أمر عظيم.

ورواه فى بحار الأنوار:۳/۳۰۷، وقال: المراد بالحجب إما الحجب المعنوية، وبالرؤية الرؤية القلبية، أو الحجب الصورية، فالمراد بنور العظمة آثار عظمته برؤية عجائب خلقه.

وفى بحار الأنوار:۴/۳۷:

بيان: إعلم أن المفسرين اختلفوا فى تفسير تلك الآيات قوله تعالى: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، يحتمل كون ضمير الفاعل فى رأى راجعاً إلى النبى صلى الله عليه وآله، وإلى الفؤاد. قال البيضاوى: ما كذب الفؤاد ما رأى ببصره من صورة جبرئيل، أو الله، أى ما كذب الفؤاد بصره بما حكاه له، فإن الأمور القدسية تدرك أولاً بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر، أو ما قال فؤاده لما رآه: لم أعرفك، ولو قال ذلك كان كاذباً، لأنه عرفه بقلبه كما رآه بصره، أو ما رآه بقلبه، والمعنى لم يكن تخيلًا كاذباً. ويدل عليه أنه سئل عليه السلام هل رأيت ربك فقال: رأيته بفؤادى، وقرئ(ما كذَّب) أى صدقه ولم يشك فيه....

قوله تعالى: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، قال الرازى: يحتمل الكلام وجوهاً ثلاثة: الأول الرب تعالى، والثانى جبرئيل عليه السلام، والثالث الآيات العجيبة الإلهية. انتهى. أى ولقد رآه نازلاً نزلة أخرى فيحتمل نزوله صلى الله عليه وآله ونزول مرئية.

فإذا عرفت محتملات تلك الآيات عرفت سخافة استدلالهم بها على جواز الرؤية ووقوعها بوجوه:

الأول: أنه يحتمل أن يكون المرئى جبرئيل، إذا المرئى غير مذكور فى اللفظ، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الوجه فى الخبر السابق.

وروى مسلم فى صحيحه بإسناده عن زرعة عن عبدالله: ما كذب الفؤاد ما رأى، قال: رأى جبرئيل عليه السلام له ستمائة جناح. وروى أيضاً بإسناده عن أبى هريرة، ولقد رآه نزلة أخرى قال: رأى جبرئيل عليه السلام بصورته التى له فى الخلقة الأصلية.

الثانى: ما ذكره عليه السلام فى هذا الخبر وهو قريب من الأول لكنه أعم منه.

الثالث: أن يكون ضمير الرؤية راجعاً إلى الفؤاد، فعلى تقدير إرجاع الضمير إلى الله تعالى أيضاً لافساد فيه.

الرابع: أن يكون على تقدير إرجاع الضمير إليه صلى الله عليه وآله وكون المرئى هو الله تعالى، المراد بالرؤية غاية مرتبة المعرفة ونهاية الانكشاف.

وأما استدلاله عليه السلام بقوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ، فهو إما لأن الرؤية تستلزم الجهة والمكان وكونه جسماً أو جسمانياً، أو لأن الصورة التى تحصل منه فى المدركة تشبهه.

رأى الشيعة الزيدية فى نفى الرؤية

مختصر فى العقيدة لللدكتور المرتضى بن زيد المحطورى/١١:

٨ ـ الله سبحانه وتعالى لا يرى بالأبصار. لأنه ليس جسماً ولا عرضاً لا يُرى، والدليل على ذلك ـ عقلًا ونقلًا:

دليل العقل: إن حاسة الرؤية إذا كانت سليمة ولم يمنع مانع من الرؤية من ظلام أو إضاءة زائدة أو بعد أو قرب ملاصق للعين، فعندما توجد شروط الرؤية المذكورة تستطيع العين رؤية الموجودات. والله سبحانه وتعالى موجود ولم نره، ولا يصح لنا أن نراه، لأن المرئى يجب أن يكون جسماً يرى، وله لون، وفى جهة من الجهات، والله سبحانه وتعالى ليس كذلك، فعظمته سبحانه فى خفائه بدليل أن أعظم سر نبحث عنه هو الحياة والروح والعقل والتفكير والتمييز والفرح والحزن ونحو ذلك مما لا نقدر على وضع اليد عليه مع علمنا بوجوده، فالكائنات الحية معجزة فى تكوينها.ولكن الروح التى لا ندركها معجزة أكبر (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) فكيف يرى الله والروح بعض أسراره؟

وكيف يخفى والشمس بعض آياته؟!

نراه سبحانه بعيون التصديق والإيمان فى آياته الباهرة وآثاره الظاهرة، نراه بالبصائر لا بالأبصار.

ومن زعم أنه يرى فى الآخرة فقد استدل بقوله سبحانه (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) وهى مؤولة بحذف مضاف والتقدير إلى رحمة ربها ناظرة لأنها مقابلة للآية التى بعدها (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) والمقابلة تقتضى ذلك فوجوه منتظرة لرحمة الله، ووجوه تتوقع غضبه ونقمته.

ومن جهة ثانية: فقد ورد ناظر بمعنى منتظر كما فى قوله سبحانه (مَا يَنْظُرُونَ إِلا صَيْحَةً) والصيحة لا تنظر بالعين وإنما تنتظر. وكذلك قوله تعالى ـ حكاية عن بلقيس ـ (فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ). والدليل إذا طرقه الاحتمال بطل الإستدلال به.

كما أن أهل البيت عليهم السلام مجمعون على عدم تجويز رؤية الله، وإجماعهم حجة، كما قال ابن تيمية وغيره، والأحاديث الواردة فى هذا الشأن تعرض على القرآن، والقرآن ينفى عن الله الرؤية لأنها تقتضى التشبيه.

فالحديث الذى يقول (إنكم ترون ربكم كالقمر) يؤدى إلى تشبيه الله بخلقه كالقمر، وإن كان الحديث لا يفيد ذلك، فهو الذى نريد ويكون معناه ترون وعده ووعيده وصدق ما أخبركم به كالقمر عياناً، وإلا توقفنا عن العمل بحديث ظنى يؤدى إلى التشبيه والتجسيم تعالى الله عن ذلك، والأخذ بالآية المحكمة أولى من الأخذ بالمتشابه.

تفسيرهم الموافق لمذهبنا

صحيح مسلم:١/١٠٩:

عن أبى ذر قال سألت رسول الله (ص): هل رأيت ربك قال: نور، أنى أراه!

عن عبـدالله بن شـقيق قـال قلت لأبـى ذر: لو رأيت رسول الله(ص)لسـألته، فقـال عن أى شـئ كنت تسـأله؟ قـال كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبوذر: قد سألته فقال: رأيت نوراً.

حدثنا عباد وهو ابن العوام حدثنا الشيبانى قال سألت زر بن حبيش عن قول الله عز وجل: فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، قال أخبرنى ابن مسعود أن النبى (ص)رأى جبريل له ستمائة جناح.

عن زر، عن عبدالله قال: ما كذب الفؤاد ما رأى، قال: رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح.

زر بن حبيش، عن عبدالله قال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى، قال: رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح.

عن عطاء، عن أبى هريرة: ولقد رآه نزلة أخرى، قال: رأى جبريل.

عن عبد الملك عن عطاء، عن ابن عباس قال: رآه بقلبه.

عن أبى العالية، عن ابن عباس قال: ما كذب الفؤاد ما رأى، ولقد رآه نزلة أخرى، قال: رآه بفؤاده مرتين. انتهى.

وروى الترمذى فى:۵/۷۰، عـدة روايـات فى رؤيـة النبى لربه فى الإسـراء بقلبه، وروايتين فى رؤيته له بعينه، قـال: عن عكرمـة، عن ابن عباس قال: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال رآه بقلبه. هذا حديث حسن....

عن قتـادة، عن عبـدالله ابن شـقيق، قـال قلت لابـى ذر لو أدركت النبى (ص)لسألته، فقال عما كنت تسأله؟ قلت: أسأله هل رأى محمد ربه؟ فقال: قد سألته فقال: نوراً، أنى أراه! هذا حديث حسن.

عن عبـد الرحمن بن يزيـد عن عبـدالله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: رأى رسول الله(ص)جبرائيل فى حلـة من رفرف قـد ملا ما بين السماء والأرض. هذا حديث حسن صحيح.

عن عكرمـة عن ابن عبـاس قال: رأى محمـد ربه، قلت أليس الله يقول: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ، قال ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى محمد ربه مرتين. هذا حديث حسن غريب.

عن ابن عباس فى قول الله: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. قال ابن عباس: قد رآه النبى (ص). هذا حديث حسن. انتهى.

وروى أحمد فى مسنده:۱/۲۲۳:

عن ابن عباس فى قوله عز وجل: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: رأى محمد ربه عز وجل بقلبه مرتين.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۶/۱۲۳:

وأخرج الفريـابى وعبـد بن حميـد والترمـذى وصـححه وابن جرير وابن المنـذر والطبرانى وأبوالشـيخ والحـاكم وصـححه وابن مردويه وأبونعيم والبيهقى معاً فى الدلائل عن ابن مسـعود (رض) قوله مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: رأى (ص) جبريل عليه حلتا رفرف أخضر قد ملا ما بين السماء والأرض.

وأخرج مسلم وأحمد والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس فى قوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، قال: رأى محمد ربه بقلبه مرتين.

وأخرج عبـد بن حميـد والترمـذى وحسـنه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى عن ابن عباس فى قوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: رآه بقلبه.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن محمد بن كعب القرظى عن بعض أصحاب النبى(ص)قال قالوا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال لم أره بعينى، ورأيته بفؤادى مرتين.

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى العالية قال سئل رسول الله (ص)هل رأيت ربك؟ قال: رأيت نهراً ورأيت وراء النهر حجاباً، ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أره غير ذلك.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن أبى العالية فى قوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: محمد، رآه بفؤاد ولم يره بعينيه.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن أبى صالح فى قوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، قال: رآه مرتين بفؤاده.

وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن جبير قال: ما أزعم أنه رآه، وما أزعم أنه لم يره.

وأخرج مسلم والترمذى وابن مردويه عن أبى ذر قال: سألت رسول الله(ص)هل رأيت ربك؟ فقال نور، أنى أراه؟! وأخرج مسلم وابن مردويه عن أبى ذر أنه سأل رسول الله(ص)هل رأيت ربك؟ فقال رأيت نوراً!

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى ذر قال: رآه بقلبه ولم يره بعينيه.

وأخرج النسائى عن أبى ذر قال: رأى رسول الله(ص)ربه بقلبه ولم يره ببصره.

وأخرج مسلم والبيهقى فى الدلائل عن أبى هريرة فى قوله: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، قال: رأى جبريل عليه السلام.

وأخرج عبد بن حميد عن إبراهيم قال: رأى جبريل فى صورته.

وأخرج عبد بن حميد عن مرة الهمدانى قال: لم يأته جبريل فى صورته إلا مرتين، فرآه فى خضر يتعلق به الدر.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة فى قوله وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، قال: رأى نوراً عظيماً عند سدرة المنتهى.

وأخرج أبوالشيخ وابن مردويه عن ابن مسعود ولقد رآه نزلة أخرى، قال: رأى جبريل معلقاً رجله بسدرة عليه الدر كأنه قطر المطر على البقل.

وأخرج أبوالشيخ عن ابن مسعود: ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، قال: رأى رسول الله(ص)جبريل فى صورته عند السدرة له ستمائة جناح، جناح منها سد الأفق يتناثر من أجنحته التهاويل الدر والياقوت ما لايعلمه إلا الله.

وأخرج آدم بن أبى إياس والبيهقى فى الأسماء والصفات عن مجاهد، إذ يغشى السدرة ما يغشى، قال: كان أغصان السدرة من لؤلؤ وياقوت، وقد رآها محمد بقلبه ورأى ربه.

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقى فى الدلائل عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان أول شأن رسول الله(ص)أنه رأى فى منامه جبريل بأجياد ثم خرج لبعض حاجته فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد، فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً ثلاثاً، ثم رفع بصره فإذا هو ثان إحدى رجليه على الأخرى على أفق السماء، فقال يا محمد جبريل جبريل يسكنه، فهرب النبى(ص)حتى دخل فى الناس، فنظر فلم ير شيئاً، ثم خرج من الناس فنظر فرآه، فذلك قول الله: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوَى إلى قوله: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى، يعنى جبريل إلى محمد، فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، يقول القاب نصف الأصبع، فأوحى إلى عبده ما أوحى، جبريل إلى عبد ربه.

وروى حديث (فى حلة من رفرف) أحمد فى:۱/۳۹۴ و۴۱۸/۱ والحاكم:۲ ص ۴۶۸، وكلها عن عبدالله بن عمر، وقال الحاكم (صحيح على شوط الشيخين ولم يخرجاه)

الجواهر الحسان للثعالبى:۳ الهامش ۱/۲۵۲:

أنكر جمهور العلماء الأشاعرة من أهل السنة حديث مشرك بن أبى خمر الذى يثبت فيه الدنو والتدلى لرب العزة، سبحانه وتعالى عما يصفون... ذهب البيهقى إلى ترجيح ما روى عن عائشة وابن مسعود وأبى هريرة ومن حملهم هذه الآيات (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى..) عن رؤية جبرئيل، ورواية شريك تنقضها رواية أبى ذر الصحيحة، قال يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: نور، أنى أراه!

مصابيح السنة للبغوى:۴/۳۰:

عن زرارة بن أوفى: أن رسول الله (ص) قال لجبرئيل: هل رأيت ربك؟ فانتفض جبرئيل وقال: يا محمد إن بينى وبينه سبعين حجاباً من نور، لو دنوت من بعضها لاحترقت.

و نفى قدماء المتصوفة الرؤية بالعين فى الدنى

التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذی المتوفی سنة ۳۸۰ قال فی/۴۳:

وأجمعوا أنه لا یری فی الـدنیا بالأبصار ولا بالقلوب إلا من جهة الإیقان، لأنه غایة الكرامة وأفضل النعم، ولا یجوز أن یكون ذلك إلا فی أفضل المكان، ولو أعطوا فی الدنیا أفضل النعم لم یكن بین الدنیا الفانیة والجنة الباقیة فرق، ولما منع الله سبحانه كلیمه موسی علیه السـلام ذلك فی الـدنیا، وكان من هو دونه أحری. وأخری أن الـدنیا دار فناء، ولا یجوز أن یری الباقی فی الـدار الفانیـة، ولو رأوه فی الدنیا لكان الإیمان به ضرورة.

والجملة أن الله تعالی أخبر أنها تكون فی الآخرة، ولم یخبر أنها تكون فی الدنیا فوجب الانتهاء إلی ما أخبر الله تعالی به.

واختلفوا فی النبی (ص): هل رأی ربه لیلـة المسـری، فقال الجمهور منهم والكبار إنه لم یره محمـد(ص) ببصـره، ولا أحد من الخلائق فی الدنیا، علی ما روی عن عائشة أنها قالت: من زعم أن محمداً رأی ربه فقد كذب....

وقال بعضهم: رآه النبی(ص)لیلة المسری، وإنه خص من بین الخلائق بالرؤیة كما خص موسی علیه السلام بالكلام، واحتجوا بخبر ابن عباس وأسماء وأنس، منهم أبو عبدالله القرشئ والشبلی وبعض المتأخرین.

وقال بعضهم: رآه بقلبه ولم یره ببصره، واستدل بقوله: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَی.

ولا نعلم أحداً من مشایخ هذه العصبة المعروفین منهم والمتحققین به، ولم نر فی كتبهم ولا مصنفاتهم ولا رسائلهم، ولا فی الحكایات الصحیحة عنهم، ولا سمعنا ممن أدركنا منهم من زعم أن الله تعالی یری فی الدنیا أو رآه أحد من الخلق، إلا طائفة لم یعرفوا بأعیانهم. بل زعم بعض الناس أن قوماً من الصوفیـة ادعوها لأنفسـهم، وقـد أطبق المشایـخ كلهم علی تضـلیل من قال ذلك وتكذیب من ادعاه، وصـنفوا فی ذلك كتباً، منهم أبو سعید الخراز، وللجنید فی تكذیب من ادعاه وتضلیله رسائل وكلام كثیر. وزعموا أن من ادعی ذلك فلم یعرف الله عز وجل، وهذه كتبهم تشهد علی ذلك.

تفسیرهم الذی فیه تجسیم

یلاحـظ أن روایـات إخواننا التی ادعت أن النبی صـلی الله علیه وآله رأی ربه تعالی بعینه، ورد قلیل منها فی حادثـة الإسـراء والمعراج، وأكثرها ورد فی حادثة غیر مفهومة ادعی راویها أنها وقعت للنبی صلی الله علیه وآله فی المدینة، وبعض روایاتها نصت علی أنها منام، أو شك راویها فی أن تكون فی المنام.. الخ.

شرح مسلم للنووی ـ الساری:۲/۹۴:

قوله عن عبدالله بن مسعود (رض) فی قوله تعالی: مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَی، قال رأی جبریل له ستمائة جناح، وهو مذهبه فی هذه الآیة.. وذهب الجمهور من المفسرین إلی أن المراد أنه رأی ربه سبحانه وتعالی. انتهی.

ویلاحظ أنه نسب القول بالرؤیـة بالعین إلی جمهور المفسـرین، وهم نوعاً مفسـروا العهد الأموی من تلامذة كعب الأحبار وجماعته أو من الرواة عنهم! ولكنه عاد ونسبها إلی أكثر العلماء، فقال فی هامش الساری:۲/۹۲:

الراجـح عنـد أكثر العلماء أن رسول الله (ص) رأی ربه یعنی بعینی رأسه لیلـة الاسـراء. انتهی. وهذا إن صحّ فهو یعنی أن أكثریة علماء إخواننا قلدوا المفسرین من تلامیذ كعب وأعرضوا عن الأحادیث الصحیحة المعارضة لها.

روای أحمد فی مسنده:۴/۶۶ وج ۵/۳۷۸ وفی:۱/۳۶۸:

عن أبی قلابـة عن ابن عبـاس أن النبی(ص)قـال: أتانی ربی عز وجل اللیلـة فی أحسن صورة أحسـبه یعنی فی النوم فقال یا محمـد هل تـدری فیم یختصم الملأ الأعلی؟ قال قلت لا، قال النبی(ص)فوضع یده بین كتفی حتی وجدت بردها بین ثدیی أو قال نحری، فعلمت مـا فی السـموات ومـا فی الأـرض، ثم قـال یـا محمـد هـل تـدری فیم یختصم الملأـ الأـعلی؟ قـال قلت نعم یختصـمون فی الكفـارات والـدرجات، قال وما الكفارات والـدرجات؟ قال المكث فی المساجد والمشئ علی الأقدام إلی الجمعات وابلاغ الوضوء فی المكاره،

ومن فعل ذلک عاش بخیر ومات بخیر وکان من خطیئته کیوم ولدته أمه! وقل: یا محمد إذا أصلیت اللهم إنی أسألک الخیرات وترک المنکرات وحب المساکین وإذا أردت بعبادک فتنهٔ أن تقبضنی إلیک غیر مفتون، قال والدرجات: قل إذا بذل الطعام وإفشاء السلام والصلاهٔ باللیل والناس نیام.

ورواه الهیثمی فی مجمع الزوائد:۷/۱۷۶ ـ ۱۷۸ بعدهٔ روایات، وقال عن روایهٔ ابن عایش: رواه أحمد ورجاله ثقات. وقال: عن ربیع بن أنس أن النبی (ص) قال رأیت ربی... قال أحمد بن حنبل: أنا أقول بحدیث ابن عباس بعینه، رآه رآه حتی انقطع نفس أحمد.

وروی الترمذی فی سننه:۵/۴۴ وقال:

وقد ذکروا بین أبی قلابهٔ وبین ابن عباس فی هذا الحدیث رجلًا وقد رواه قتادهٔ عن أبی قلابهٔ، عن خالد بن اللجلاج، عن ابن عباس.

ورواه فی ۲/۴۵ وص ۴۶ بروایتین أیضاً وقال: هذا حدیث حسن غریب من هذا الوجه، قال: وفی الباب عن معاذ بن جبل وعبدالرحمن بن عائش، عن النبی(ص).

وقال النویری فی نهایهٔ الارب:۸ جزء ۱۶/۲۹۵:

عن ربیع بن أنس أن النبی (ص) قال رأیت ربی... ثم ذکر قول أحمد: أنا أقول بحدیث بن عباس بعینه رآه رآه، حتی انقطع نفس أحمد.

وقال السهیلی فی الروض الانف:۲/۱۵۶ وقال: سئل ابن حنبل عن الرؤیهٔ قال: رآه رآه حتی انقطع صوته.

ورواه أیضاً عن أبی هریرهٔ وابن عباس... وروی: رأی ربه فی أحسن صورهٔ ووضع یدیه بین کتفیه حتی وجد بردها بین ثدییه.

وقال الذهبی فی تاریخ الإسلام:۱/۲۵۷:

وأما الروایات عن ابن مسعود فإنما فیها تفسیر ما فی النجم، ولیس فی قوله ما یدل علی نفی الرؤیهٔ لله.

تاریخ الإسلام للذهبی:۱۶/۴۲۹:

عن نعیم عن... أم الطفیل أنها سمعت النبی (ص) یقول رأیت ربی فی أحسن صورهٔ، شاباً، موقراً، رجلاه فی مخصر، علیه نعلان من ذهب.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۳/۲۴:

وأخرج أحمد وابن جریر وابن مردویه والبیهقی فی الأسماء والصفات عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمی عن بعض أصحاب النبی(ص)قال سمعت رسول الله(ص)یقول: رأیت ربی فی أحسن صورهٔ....

وقال الذهبی فی میزان الاعتدال:۱/۵۹۳:

إبراهیم بن أبی سوید، وأسود بن عامر، حدثنا حماد، عن قتادهٔ، عن عکرمهٔ، عن ابن عباس مرفوعاً: رأیت ربی جعداً أمرد، علیه حلهٔ خضراء.

وقال ابن عدی: حدثنا عبدالله بن عبدالحمید الواسطی، حدثنا النضر بن سلمهٔ شاذان، حدثنا الاسود بن عامر، عن حماد، عن قتادهٔ، عن عکرمهٔ، عن ابن عباس أن محمداً رأی ربه فی صورهٔ شاب أمرد، دونه ستر من لؤلؤ، قدمیه أو رجلیه فی خضرهٔ.

وحدثنا ابن أبی سفیان الموصلی وابن شهریار قالا: حدثنا محمد بن رزق الله بن موسی، حدثنا الأسود بنحوه. وقال عفان: حدثنا عبدالصمد بن کیسان، حدثنا حماد، عن قتادهٔ، عن عکرمهٔ، عن ابن عباس، عن النبی(ص)قال: رأیت ربی.

وقال أبوبکر بن أبی داود: حدثنا الحسن بن یحیی بن کثیر، حدثنا أبی، حدثنا حماد بنحوه، فهذا من أنکر ما أتی به حماد بن سلمهٔ، وهذه الرؤیهٔ رؤیهٔ منام إن صحت. قال المرودی قلت لأحمد: یقولون لم یسمع قتادهٔ عن عکرمهٔ! فغضب وأخرج کتابه بسماع قتادهٔ عن عکرمهٔ فی ستهٔ أحادیث. ورواه الحکم بن أبان، عن زیرک، عن عکرمهٔ. وهو غریب جداً. انتهی. وروی نحوه الدارمی فی سننه:۲/۱۲۶ والبغوی فی مصابیحه:۱/۲۹۰ والسهیلی فی الروض الأنف:۱/۲۶۸ وابن الاثیر فی أسد الغابهٔ:۳/۴۶۵ وج ۷/۳۵۶ ورواه الهندی فی کنز

العمال:۱۵/۸۹۷ ـ ۵۹۸ وفی:۱۶/۲۴۵ ـ ۲۴۷ بروایات متعددة وقال فی مصادره (عب، حم وعبد بن حمید، ت عن ابن عباس) (ت، ک عن معاذ) (کر) (ابن مندة، والبغوی، ق، کر). والنویری فی نهایة الإرب: ۸ جزء ۱۶/۲۹۵ والمنذری فی الترغیب والترهیب:۱/۲۶۲.

وقال ابن حجر فی تهذیب التهذیب:۶/۱۸۵

عبدالرحمن بن عائش الحضرمی، روی عنه حدیث: رأیت ربی فی أحسن صورة.

الأحادیث القدسیة من الصحاح:۱/۱۵۸:

حدیث: أتانی ربی فی أحسن صورة، أخرجه الترمذی عن ابن عباس: إن الله وضع یده علی کتف رسول الله (ص) حتی وجد رسول الله بردها بین ثدییه أو قال فی خدی. وروی نحوه أیضاً فی:۲/۴۴ والقسطلانی فی إرشاد الساری:۷/۳۲۰ وص ۳۵۹

وقال أبو الشیخ فی طبقات المحدثین:۲/۴۳۲:

عن عبدالله بن عباس أن رسول الله (ص) خرج یوماً علی أصحابه مستبشراً.. فقال لهم: إن ربی أتانی اللیلة فی أحسن صورة... فوضع یده علی کتفی فوجدت بردها بین ثدیی.. الخ.

وقال فی:۱/۱۲۹:

عن عبدالرحمن بن المبارک بن فضالة عن أبیه: کان الحسن یحلف بالله أن محمداً (ص) قد رأی ربه تبارک وتعالی.

وقال الطبری فی تفسیره:۷/۱۶۲:

خالد الحلاج، قال سمعت عبدالرحمن بن عیاش، یقول صلی بنا رسول الله (ص) ذات غداة فقال له قائل: ما رأیت أسعد منک الغداة، قال: ومالی وقد أتانی ربی فی أحسن صورة فقال: فیم یختصم الملأ الأعلی یا محمد؟ قلت أنت أعلم، فوضع یده علی کتفی فعلمت ما فی السموات والأرض... الخ.

وقال الدمیری فی حیاة الحیوان:۲/۳۵۹:

من حدیث معاذ بن جبل (رض) قال: احتبس عنا رسول الله(ص)ذات غداة عن صلاة الصبح حتی کدنا نتراءی عین الشمس، فخرج سریعاً فَثَوَّبَ بالصلاة فصلی وتجوز فی صلاته... ثم انفتل إلینا فقال: أما إنی سأحدثکم ما حبسنی عنکم الغداة: إنی قمت من اللیل فتوضأت وصلیت ما قدر لی فنعست فی صلاتی حتی استثقلت، فإذا أنا بربی تعالی فی أحسن صورة! فقال یا محمد... فیم یختصم الملأ الأعلی... الخ.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۳۱۹:

أخرج عبدالرزاق وأحمد وعبد ابن حمید والترمذی وحسنه ومحمد بن نصر... الخ.

وأخرج الترمذی وصححه ومحمد بن نصر والطبرانی والحاکم وابن مردویه عن معاذ بن جبل (رض)... الخ.

وأخرج الطبرانی فی السنة وابن مردویه عن جابر بن سمرة (رض).... عن أبی هریرة (رض)...

وأخرج الطبرانی فی السنة والشیرازی فی الألقاب....

وابن مردویه عن أنس (رض)....

وأخرج ابن نصر والطبرانی وابن مردویه عن أبی أمامة....

وأخرج الطبرانی فی السنة والخطیب عن أبی عبیدة بن الجراح (رض)....

وأخرج محمد بن نصر فی کتاب الصلاة والطبرانی فی السنة عن عبدالرحمن بن عابس الحضرمی (رض)....

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۶/۱۲۴:

وأخرج ابن جریر عن ابن عباس قال قال(ص)رأیت ربی فی أحسن صورة فقال لی: یا محمد هل تدری فیم یختصم الملأ الأعلی؟ فقلت لا یا رب، فوضع یده بین کتفی فوجدت بردها بین ثدیی فعلمت ما فی السماء والأرض، فقلت یا رب فی الدرجات والکفارات

ونقل الأقدام إلی الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فقلت یا رب إنک اتخذت ابراهیم خلیلاً وکلمت موسی تکلیماً وفعلت وفعلت فقال: ألم أشرح لک صدرک ألم أضع عنک وزرک ألم أفعل بک ألم أفعل، فأفضی إلیَّ بأشیاء لم یؤذن لی أن أحدثکموها فذلک قوله: ثم دنا فتدلی فکان قاب قوسین أو أدنی فأوحی إلی عبده ما أوحی ما کذب الفؤاد ما رأی. فجعل نور بصری فی فؤادی فنظرت إلیه بفؤادی. انتهی.

قال الذهبی فی سیره:۲/۱۶۶:

ولم یأتنا نص جلی بأن النبی(ص)رأی الله تعالی بعینیه. وهذه المسألة مما یسع المرء المسلم فی دینه السکوت عنها، فأما رؤیة المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفیضة، وأما رؤیة الله عیاناً فی الآخرة فأمر متیقن تواترت به النصوص. جمع أحادیثها الدارقطنی والبیهقی وغیرهما.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۶/۱۲۳:

وأخرج عبد بن حمید والترمذی وابن جریر وابن المنذر والحاکم وابن مردویه عن الشعبی قال: لقی ابن عباس کعباً بعرفة، فسأله عن شئ فکبر حتی جاوبته الجبال فقال ابن عباس إنا بنو هاشم نزعم أو نقول إن محمداً قد رأی ربه مرتین، فقال کعب: إن الله قسم رؤیته وکلامه بین موسی ومحمد (علیهما السلام) فرأی محمد ربه مرتین وکلم موسی مرتین.

قال مسروق فدخلت علی عائشة فقلت هل رأی محمد ربه؟ فقالت لقد تکلمت بشئ قَفَّ له شعری، قلت رویداً، ثم قرأت لقد رأی من آیات ربه الکبری، قالت أین یذهب بک! إنما هو جبریل. من أخبرک أن محمداً رأی ربه أو کتم شیئاً مما أمر به أو یعلم الخمس التی قال الله إن الله عنده علم الساعة الآیة، فقد أعظم الفریة، ولکنه رأی جبریل لم یره فی صورته إلا مرتین، مرة عند سدرة المنتهی، ومرة عند جیاد له ستمائة جناح قد سد الأفق.

وروی الطبری فی تفسیره:۹/۳۴: ما یوهم قرب النبی المادی من الله تعالی فی الإسراء، قال: عن عبد الله بن أبی جعفر، عن أبیه، عن الربیع فی قوله: وقربناه نجیا، قال: حدثنی من لقی أصحاب النبی أنه قرب للرب حتی سمع صریف القلم من الشوق إلیه. انتهی.

وروی النویری فی نهایة الارب:۸ جزء ۱۶/۲۹۹:

قال جعفر بن محمد... والدنو من الله لا حد له، ومن العباد بالحدود. انتهی. ویقصد بجعفر الإمام جعفر الصادق علیه السلام.

والملاحظات علی هذه الروایات کثیرة: منها تعارض نصوصها، واضطرابها، وأن سؤال الله تعالی لنبیه عن اختصام الملأ الأعلی غیر مفهوم، بل غیر منطقی! وکذا تأخر النبی عن صلاة الصبح، وطریقة تحدیثه المسلمین بالقصة، ثم شباهة متونها بأحادیث الیهود مثل قوله (فوضع یده بین کتفی فوجدت بردها بین ثدیی فعلمت ما فی السماء والأرض). هذا مضافاً إلی أن بعضها خلط بین القصة المزعومة وبین روایات المعراج وآیاته، والمعراج کان فی مکة، وهذه القصة المزعومة فی المدینة.

کل ذلک، وغیره، یوجب الشک فی هذه الروایة والتریث فی الحکم بصحتها، خاصة أن بعضها اشتمل علی التناقض کروایة الطبری التی یذکر فی أولها أنه رآه فی أحسن صورة، وفی آخرها أنه رآه بفؤاده!

وبعضها روی عن صاحبها ما یناقضها کروایة ابن عباس، وقد شهد ابن قیم أن روایتی الرؤیة بالعین وضدها کلتاهما صحتا عن ابن عباس، فلابد أن تکون إحداهما مکذوبة! قال فی زاد المعاد:۳/۲۹ ـ ۳۰: واختلف الصحابة رضی الله عنهم، هل رأی ربه تلک اللیلة أم لا؟ فصح عن ابن عباس أنه رأی ربه وصح عنه أنه قال: رآه بفؤاده. انتهی.

وقد علق علی ذلک ناشر الکتاب الشیخ عبد القادر عرفان فقال فی هامشه: لم أقف علی هذه الروایة فی الصحیح، بل الذی صح عن ابن عباس (رض) ما جاء عند مسلم فی الإیمان ۱۷۶ ـ ۲۸۵ فی قوله تعالی: مَا کَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَی، وقوله تعالی: وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَی، قال رآه بفؤاده مرتین. وأخرجه الترمذی فی التفسیر ۳۲۸۰.

ثم قال ابن قیم: وصح عن عائشة وابن مسعود إنکار ذلک وقالا إن قوله: ولقد رآه نزلة أخری عند سدرة المنتهی، إنما هو جبریل.

وصح عن أبى ذر أنه سأله هل رأيت ربك فقال (ص): نور، أنى أراه! أى: حال بينى وبين رؤيته النور، كما قال فى لفظ آخر: رأيت نوراً. وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمى اتفاق الصحابة على أنه لم يره.

ثم قال ابن قيم: قال شيخ الإسلام ابن تيمية... وقد صح عنه أنه قال: رأيت ربى تبارك وتعالى ولكن لم يكن هذا فى الإسراء، ولكن كان فى المدينة لما احتبس عنهم فى صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة فى منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمه الله وقال: نعم رآه حقاً، فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد، ولكن لم يقل أحمد رحمه الله: إنه رآه بعينى رأسه يقظة، ومن حكى عنه ذلك فقد وهم عليه، ولكن قال مرة رآه، ومرة قال رآه بفؤاده، فحكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه: أنه رآه بعينى رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة، ليس فيها ذلك. انتهى.

راجع ما تقدم فى أول الباب من أن جمهور الصحابة كانوا يوافقون عائشة على نفى الرؤية بالعين.

و جهل بعضهم فنسب الدنو والتدلى إلى الله تعالى

تاريخ الإسلام للذهبى:۱/۲۶۷:

وقال سليمان بن بلال.. وذكر حديث الاسراء وفيه ثم عرج به محمد (ص) إلى السماء السابعة ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء إلى سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى....

تفسير الطبرى:۱۲/۱۴:

عبد الله بن عمر، قال سمعت نبى الله (ص) يقول يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كتفه!

الدر المنثور:۶/۱۲۳:

وأخرج ابن جرير عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله(ص)لما عرج بى مضى جبريل حتى جاء الجنة فدخلت فأعطيت الكوثر، ثم مضى حتى جاء لسدرة المنتهى فدنا ربك فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى!

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله ثم دنا قال دنا ربه فتدلى.

وأخرج أبوالشيخ وأبونعيم فى الدلائل عن سريح بن عبيد قال لما صعد النبى(ص)إلى السماء فأوحى الله إلى عبده ما أوحى، قال فلما أحس جبريل بدنو الرب خر ساجداً، فلم يزل يسبحه تسبيحات ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة حتى قضى الله إلى عبده ما قضى، ثم رفع رأسه فرأيته فى خلقه الذى خلق عليه منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت فخيل إلىَّ أن ما بين عينيه قد سد الافقين وكنت لا ـ أراه قبل ذلك إلا ـ على صور مختلفة، وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبى، وكنت أحياناً لا ـ أراه قبل ذلك إلا كمايرى الرجل صاحبه من وراء الغربالى.

وقال السهيلى فى الروض الانف:۲/۱۵۶:

وروى: لما أحس جبريل دنو الرب خر ساجداً. انتهى.

وقدتقدم ذكر روايات أخرى تنسب التدلى إلى الله تعالى، وتقدم عن أهل البيت عليهم السلام أن النبى صلى الله عليه وآله (دنا من حجب النور فرأى ملكوت السماوات، ثم تدلى فنظر من تحته إلى ملكوت الأرض، حتى ظن أنه فى القرب من الأرض كتاب قوسين أو أدنى).

و وصفوا عرشه بأنه تحمله حيوانات كما وصفه اليهود

الدر المنثور:۶/۱۲۳:

وأخرج ابن إسحاق والبيهقى فى الأسماء والصفات وضعفه عن عبدالله بن أبى سلمة أن عبدالله بن عمر بن الخطاب بعث إلى عبدالله

بن عباس یسأله هل رأی محمد ربه؟ فأرسل إلیه عبد الله بن عباس: أن نعم، فرد علیه عبدالله بن عمر رسوله أن کیف رآه؟ فأرسل أنه رآه فی روضة خضراء دونه فراش من ذهب علی کرسی من ذهب یحمله أربعة من الملائکة، ملک فی صورة رجل وملک فی صورة ثور وملک فی صورة نسر وملک فی صورة أسد! انتهی.

وسیأتی ذکر بقیة الحیوانات التی ادعوا أنها تحمل عرش الله تعالی فی بازار الأحادیث، ویأتی بعضها فی تفسیر: الرحمن علی العرش استوی.

و قالوا رأی ربه واقفا علی أرض خضرة خلف ستر شفاف

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۶/۱۲۴:

وأخرج البیهقی فی الأسماء والصفات وضعفه من طریق عکرمة عن ابن عباس أنه سئل هل رأی محمد ربه؟ قال نعم رآه کأن قدمیه علی خضرة دونه ستر من لؤلؤ، فقلت یا أبا عباس ألیس یقول الله لا تدرکه الأبصار! قال لا أم لک ذاک نوره الذی هو نوره، إذا تجلی بنوره لا یدرکه شئ! انتهی.

ومضافاً إلی تضعیف البیهقی لهذه الروایة، فإنها تحاول تفسیر قوله تعالی: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، أی لا تدرک نوره، أما ذاته تعالی فتدرکها الأبصار. وهو مخالف لظهور الآیة، ولم یفسرها به أحد.

و حاول بعضهم أن یخفف القصة و یجعلها رؤیا فی المنام

تقدم فی روایة الترمذی نقل قول الراوی وهو ابن عباس بزعمهم (أحسبه قال فی المنام).

وروی عبد الرزاق فی تفسیره:۲/۱۳۷:

عن ابن عباس: أن النبی (ص) قال: أتانی ربی اللیلة فی أحسن صورة أحسبه قال: یعنی فی المنام، فقال: یا محمد هل تدری فیم یختصم الملأ الأعلی؟ قال النبی (ص) قلت: لا ـ قال النبی (ص): فوضع یده بین کتفی فوجدت بردها بین ثدیی.. فعلمت ما فی السموات والأرض...!!

وروی ابن حبان فی المجروحین:۳-۱۳۵:

عن أنس أن الرسول (ص) قال: أتاه ربه فی المنام فی أحسن صورة، حتی وضع یده بین کتفه فوجد بردها بین ثدییه.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۳۱۹:

وأخرج ابن نصر والطبرانی فی السنة عن ثوبان (رض)... وفی بعض روایات السیوطی أنه رآه بقلبه، وفی بعضها (فعلمت فی منامی ذلک ما سألنی عنه من أمر الدنیا والآخرة، فقال: فیم یختصم الملأ الأعلی).

تفسیر آیة: وجوه یومئذ ناضرة، إلی ربها ناظرة

کَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الأخِرَةَ. وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وَوُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ. تَظُنُّ أَنْ یُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ. القیامة:۲۰ ـ ۲۵.

تفسیر أهل البیت و فقهاء مذهبهم

تفسیر القمی:۲/۳۹۷:

وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ: أی مشرقة. إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ: قال ینظرون إلی وجه الله أی إلی رحمة الله ونعمته. وَوُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ: أی ذلیلة.

انتهی. ورواه فی الاحتجاج:۲/۱۹۱ وفی تفسیر نور الثقلین:۵/۴۶۴ وقال: وفی مجمع البیان، وقال: وروی ذلک عن مجاهد والحسن وسعید بن جبیر والضحاک، وهو المروی عن علی علیه السلام.

أمالی المرتضی:۱/۲۲:

مسألة: إعلم أن أصحابنا قد اعتمدوا فی إبطال ما ظنه أصحاب الرؤیة فی قوله تعالی: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، علی وجوه معروفة، لأنهم بینوا أن النظر لیس یفید الرؤیة ولا الرؤیة من أحد محتملاته، ودلوا علی أن النظر ینقسم إلی أقسام کثیرة، منها تقلیب الحدقة الصحیحة فی جهة المرئی طلباً لرؤیته، ومنها النظر الذی هو الإنتظار، ومنها النظر الذی هو التعطف والمرحمة، ومنها النظر الذی هو الفکر والتأمل، وقالوا إذا لم یکن قی أقسام النظر الرؤیة لم یکن للقوم بظاهرها تعلق واحتجنا جمیعاً إلی طلب تأویل الآیة من غیر جهة الرؤیة.

وتأولها بعضهم علی الإنتظار للثواب وإن کان المنتظر فی الحقیقة محذوفاً والمنتظر منه مذکوراً، علی عادة للعرب معروفة.

وسلم بعضهم أن النظر یکون الرؤیة بالبصر وحمل الآیة علی رؤیة أهل الجنة لنعم الله تعالی علیهم، علی سبیل حذف المرئی فی الحقیقة وهذا کلام مشروح فی مواضعه، وقد بینا ما یرد علیه وما یجاب به عن الشبهة المعترضة فی مواضع کثیرة. وهاهنا وجه غریب فی الآیة حکی عن بعض المتأخرین لا یفتقر معتمده إلی العدول عن الظاهر أو إلی تقدیر محذوف ولا یحتاج إلی منازعتهم فی أن النظر یحتمل الرؤیة أو لا یحتملها، بل یصح الاعتماد علیه سواء کان النظر المذکور فی الآیة هو الإنتظار بالقلب أم الرؤیة بالعین، وهو أن یحمل قوله تعالی إلی ربها إلی أنه أراد نعمة ربها لأن الآلاء النعم وفی واحدها أربع لغات: ألا مثل قفا، وألی مثل رمی، وألی مثل معی، وألّی مثل حتّی، قال أعشی بکر بن وائل:

أبیض لا یرهب الهزال ولا یقطع رحماً ولا یخون إلی أراد أنه لا یخون نعمة، وأراد تعالی إلی ربها فأسقط التنوین للإضافة.

فإن قیل: فأی فرق بین هذا الوجه وبین تأویل من حمل الآیة علی أنه أراد به إلی ثواب ربها ناظرة بمعنی رائیة لنعمه وثوابه.

قلنا: ذلک الوجه یفتقر إلی محذوف لأنه إذا جعل إلی حرفاً ولم یعلقها بالرب تعالی فلابد من تقدیر محذوف، وفی الجواب الذی ذکرناه لا یفتقر إلی تقدیر محذوف، لأن إلی فیه اسم یتعلق به الرؤیة ولا یحتاج إلی تقدیر غیره، والله أعلم بالصواب.

بحار الأنوار:۴/۲۸:

لی: علی بن أحمد بن موسی، عن الصوفی، عن الرویانی، عن عبدالعظیم الحسنی، عن إبراهیم بن أبی محمود قال قال علی بن موسی الرضا علیه السلام فی قول الله عز وجل: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ: یعنی مشرفة تنتظر ثواب ربها.

بیان: إعلم أن للفرقة المحقة فی الجواب عن الإستدلال بتلک الآیة علی جواز الرؤیة وجوها:

الأول: ما ذکره علیه السلام فی هذا الخبر من أن المراد بالناظرة المنتظرة کقوله تعالی: فَنَاظِرَةٌ بِمَ یَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ. روی ذلک عن مجاهد والحسن وسعید بن جبیر والضحاک، وهو المروی عن علی علیه السلام، واعترض علیه بأن النظر بمعنی الإنتظار لا یتعدی بإلی، وأجیب بأن تعدیته بهذا المعنی بإلی کثیرة، کما قال الشاعر:

إنی إلیک لما وعدت لناظر نظر الفقیر إلی الغنی الموسر

وقال آخر:

ویوم بذی قار رأیت وجوههم إلی الموت من وقع السیوف نواظر

والشواهد علیه کثیرة مذکورة فی مظانه، ویحکی عن الخلیل أنه قال: یقال: نظرت إلی فلان بمعنی انتظرته، وعن ابن عباس أنه قال: العرب تقول إنما أنظر إلی الله ثم إلی فلان، وهذا یعم الاعمی والبصیر، فیقولون: عینی شاخصة إلی فلان وطامحة إلیک، ونظری إلی الله وإلیک....

الثانی: أن یکون فیه حذف مضاف أی إلی ثواب ربها، أی هی ناظرة إلی نعیم الجنة حالاً بعد حال، فیزداد بذلک سرورها، وذکر

الوجوه والمراد به أصحاب الوجوه، روى ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم.

الثالث: أن تكون إلى بمعنى عند، وهو معنى معروف عند النحاة وله شواهد، كقول الشاعر:

فهل لكم فيما إلى فإننى طبيب بما أعيى النطاسى حذيم

أى فيما عندى، وعلى هذا يحتمل تعلق الظرف بناضرة وبناظرة. والأول أظهر.

الرابع: أن يكون النظر إلى الرب كناية عن حصول غاية المعرفة بكشف العلائق الجسمانية، فكأنها ناظرة إليه تعالى كقوله صلى الله عليه وآله: أعبد الله كأنك تراه.

وقال السيد شرف الدين فى كتاب أبو هريرة:۱/۶۱:

أما رؤية الله عز وجل بالعين الباصرة فقد أجمع الجمهور على إمكانها فى الدنيا والآخرة، وأجمعوا أيضاً على وقوعها فى الآخرة وأن المؤمنين والمؤمنات سيرونه يوم القيامة بأبصارهم، وأن الكافرين والكافرات لاـ يرونه أبداً. وأكثر هؤلاء على أن الرؤية لا تقع فى الدنيا، وربما قال بعضهم بوقوعها أيضاً.

ثم أن المجسمة يرونه ماثلاًـ أمامهم فينظرون إليه كما ينظر بعضهم إلى بعض، لا يمارون فيه كما لا يمارون فى الشمس والقمر ليس دونهما سحاب، على ما يقتضيه حديث أبى هريرة. وقد خالف هؤلاء حكم العقل والنقل، وخرقوا إجماع الأمة بأسرها، وخرجوا عليها ومرقوا من الدين، وخالفوا ما علم منه بحكم الضرورة الإسلامية، فلا كلام لنا معهم.

وأما غيرهم من الجمهور وهم المنزهون من الأشعرية فقد قالوا بأن الرؤية قوة سيجعلها الله تعالى يوم القيامة بأبصار المؤمنين والمؤمنات خاصة، لا تكون بإتصال الأشعة، ولا بمقابلة المرئى ولا بتحيزه ولا بتكيفه، ولا، ولا، فهى على غير الرؤية المعهودة للناس، بل هى رؤية خاصة تقع من أبصار المؤمنين والمؤمنات على الله عز وجل لا كيف فيها ولا جهة من الجهات الست.

وهذا محال لا يعقل، ولا يمكن أن يتصوره متصور إلا إذا اختص الله المؤمنين فى الدار الآخرة ببصر آخر لا تكون فيه خواص الأبصار المعهودة فى الحياة الدنيا على وجه تكون فيه الرؤية البصرية كالرؤية القلبية، وهذا خروج عن محل النزاع فى ظاهر الحال. ولعل النزاع بيننا وبينهم فى الواقع ونفس الأمر لفظى. انتهى.

وقد بينا فى تفسير لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ، أن محاولة جعل الرؤية بحاسة أخرى كالعين خروج عن الموضوع، وأن روايات إخواننا تأبى ذلك لأنها ظاهرة فى الرؤية بالعين المتعارفة.

رؤية العارفين بقلوبهم أرقى من الرؤية البصرية

روى الصدوق فى التوحيد/۱۱۷:

حدثنا على بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبى عبدالله الكوفى قال: حدثنا موسى بن عمران النخعى، عن الحسين بن يزيد النوفلى، عن على بن أبى حمزة، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام، قال قلت له: أخبرنى عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم، وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقلت متى؟ قال: حين قال لهم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى، ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه فى الدنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه فى وقتك هذا؟ قال أبو بصير فقلت له: جعلت فداك فأحدث بهذا عنك؟ فقال لاـ فإنك إذا حدثت به فأنكر منكر جاهل بمعنى ما تقوله، ثم قدَّر أن ذلك تشبيه كفر. وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون. ورواه المجلسى فى بحار الأنوار:۴/۴۴.

التحفة السنية/۸۴:

ومن ثمت كان العلم الحاصل من الرؤية ألذ من العلم الحاصل من غيرها لازدياد الكشف فيها بسبب حضور نفس المعلوم عند الحس وصورته عند الذهن، فاللذة الزايدة إنما هى باعتبار هذا الإنكشاف الزايد من تصور معشوقه فى خياله، فإنه يلتذ بتصوره لا محالة.

لكن لا نسبة لهذه اللذة إلى اللذة الحاصلة من مشاهدته رأى العين، وحيث أنها أقوى طرق الإنكشاف ربما يعبر عن مطلق الإنكشاف التام بأى طريق حصل بالرؤية والنظر كما فى قوله سبحانه: إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وما ورد من بعض الطرق: أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ربه ليلة المعراج ونحو ذلك، لتطابق العقل والنقل على امتناع الرؤية الحسية فى حقه تعالى، لاشتراطها بالوضع والجهة وكثافة المرئى وغير ذلك. فالمراد بها أينما أطلقت فى كلمات من يعتنى بتصحيح كلامهم: غاية الإنكشاف التام الذى لا يكون ما فوقه مجازاً مقبولاً ـ لوجود العلاقة البينة، إن ثبت كون اللفظ حقيقة فى خصوص البصرية، وإلا ـ فمن استعمال المشترك فى معناه الآخر حقيقة اعتماداً على وضوح القرينة وهى اشتراط الحسية بما يمتنع فى حقه سبحانه.

وأحسن ما ينكشف به هذا المطلب ما سبقت روايته عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: لم أعبد رباً لم أره، لا ـ تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقايق الإيمان، حيث أثبت عليه السلام الرؤية أولاً، ثم استدرك ذلك بصرفها من العينية لأنها المتبادر، إلى القلبية.

شرح الأسماء الحسنى:۱/۱۸۵-۱۹۱:

... ومنها قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وجه الإحتجاج: أن النظر فى اللغة جاء بمعنى الإنتظار ويتعدى بنفسه، وبمعنى التفكر ويستعمل بفى، وبمعنى الرأفة ويستعمل باللام، وبمعنى الرؤية ويستعمل بإلى كما فى الآية، فوجب حمله على الرؤية كما قيل.

ويظهر من صاحب القاموس أن النظر المتعدى بنفسه يجى بمعنى الرؤية أيضاً، وجعله من باب الحذف والإيصال خلاف الأصل، وأنه جاء بمعنى الحكم ويستعمل بكلمة بين فقال: نظره كضربه وسمعه، وإليه نظراً ومنظراً ونظراناً ومنظرة وتنظاراً: تأمله بعينه كتنظره، والأرض أرت العين نباتها، ولهم: أعانهم، وبينهم: حكم.انتهى.

واعترض على هذا الدليل أيضاً بأن النظر لا يدل على الرؤية، فإن النظر تقليب الحدقة نحو المرئى. بل ادعى بعضهم أن النظر المستعمل بإلى موضوع لذلك ولتحققه بدونها، يقال نظرت إلى الهلال فما رأيته، ولو كان بمعنى الرؤية لكان تناقضاً، ولم أزل أنظر إلى الهلال حتى رأيته، ولو حمل على الرؤية لكان الشى غاية لنفسه.

أقول: يمكن جعله من باب الإكتفاء بالمراد عن الإرادة، كقوله تعالى: إِذَا قُمْتُمْ إلى الصَّلَوةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ، وهذا باب واسع كما فى المغنى وغيره، فمعنى قولهم نظرت إلى الهلال فما رأيته أردت رؤية الهلال فما رأيته، وهكذا فى الآخر، بل فى كل موضع يقال إنه لتقليب الحدقة، فالنظر محمول على معناه الحقيقى وهو الرؤية المرادة بتلك الإرادة، بل إذا نظرت المعانى المستعمل فيها النظر وجدت روح جلها لو لم يكن كلها، الرؤية. وأجيب أيضاً: بأن معنى قولهم نظرت إلى الهلال فما رأيته ونحوه، نظرت إلى مطلع الهلال.

واعترض أيضاً على هذا الدليل بأنا لا نسلم أن لفظة إلى صلة للنظر، بل واحدة الآلاء ومفعول به للنظر بمعنى الإنتظار، أى نعمة ربها منتظرة، ولو سلم فالنظر الموصول بإلى قد جاء للانتظار قال الشاعر:

وشعث ينظرون إلى هلال كما نظر الظما حب الغمام

والجواب: أما عن الثانى فبمثل ما ذكر عن حديث التقليب وكون النظر المستعمل بإلى بمعنى الإنتظار مما لم يثبت عند البلغاء، وأما عن الأول فبأن انتظار النعمة غم، بل قيل الإنتظار موت أحمر، والآية مسوقة لبيان النعم.

وهذا الجواب زيف، لأن الآية دالة على أن الحالة التى عبر عنها بقوله سبحانه: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، سابقة على حالة استقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار، بقرينة المقابلة لقوله تعالى: وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ، أى تظن أن يفعل بها فعل هو فى شدته وفظاعته داهية فاقرة تقصم فقار الظهر، ولم يفعل بها بعد، وحينئذ كان انتظار النعمة بعد البشارة بها سروراً يستتبع نضارة الوجه، كما أن انتظار إكرام الملك لا يكون موجباً للغم إذا تيقن وصوله إليه.

بل الحق فى الجواب أن كون إلى فى الآية بمعنى النعمة لا يخفى بعده وغرابته وإخلاله بالفهم عند تعلق النظر به، ولهذا لم يحمل الآية عليه أحد من أئمة التفسير.

تفسيرهم الموافق لمذهبنا

أورد السيوطى فى الدر المنثور:۶/۲۹۰ ـ أكثر من ثلاثين رواية وقولاً فى تفسير قوله تعالى: إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، منها روايتان توافقان مذهبنا وهما:

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير عن أبى صالح (رض) فى قوله وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، قال: حسنة، إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ: قال: تنتظر الثواب من ربها... وأخرج ابن جرير عن مجاهد (رض) فى قوله: إلى ربها ناظرة، قال: تنتظر منه الثواب. انتهى.

وستأتى بقية رواياته التى فيها تجسيم. وقد تقدم عدد من رواياتهم النافية لامكان الرؤية بالعين فى تفسير لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ، كرواية أبى سعيد الخدرى فى الدر المنثور:۳/۳۷ وغيرها.

قال السقاف فى شرح العقيدة الطحاوية/۵۸۳:

وأما فى الآخرة فذهب جمهور أهل السنة إلى إثبات رؤية الله تعالى للمؤمنين فى الجنة، واحتجوا بقوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وبقوله تعالى عن الكافرين: كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، وبحديث: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا البدر، وفى رواية: كما ترون الشمس فى رابعة النهار ليس دونها سحاب، وهو فى البخارى ومسلم.

وخالفهم فى ذلك جماعة من أهل السنة والجماعة وغيرهم كالسيدة عائشة رضى الله عنها ومجاهد وأبى صالح السمان وعكرمة وغيرهم، وكذا المعتزلة والأباضية والزيدية، واحتجوا بقول الله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ، وأوَّلوا الآيات التى احتج بها جمهور أهل السنة بأن المراد بالآية هو: وجوه ناضرة مسرورة لأنها تنظر ثواب ربها وعطاءه وجنته وإنعامه، كما أنه هناك بالمقابل وجوه يومئذ باسرة عابسة تظن أن يفعل بها فاقرة أى مصابة بداهية كبيرة، وهذا الكلام هو بيان ما يكون فى أرض المحشر، وحال المؤمنين والكافرين يومئذ، والرؤيا إنما تكون فى الجنة.

قالوا: فالمقام هنا مقام مقابلة بين وجوه تنتظر الثواب ووجوه تنتظر العقاب، ورؤية الله تعالى غير مرادة هنا وخصوصاً أن الكلام يتعلق بالموقف قبل الدخول للجنة والنار، وأنتم ـ يا جمهور أهل السنة والجماعة – تقولون بأن الرؤية إنما تتم فى الجنة لا فى أرض المحشر، وهذا الكلام يتعلق فى أرض المحشر.

ورد هؤلاء على من قال من أهل السنة بأن لفظ (ناظرة) لا تأتى عربية بمعنى منتظرة، فقالوا: إن ذلك ليس صحيحاً، بل قد ورد القرآن الكريم بإثبات أن معنى ناظرة منتظرة! من ذلك قوله تعالى عن بلقيس: وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بهم يرجع المرسلون. النمل: ۳۵، أى منتظرة بم يرجع المرسلون، وهو واضح ظاهر.

كذلك قالوا بأن المراد بقله تعالى: كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، أى عن ثواب ربهم وإكرامه وإنعامه، والحجاب أيضاً هو عن كلامه لا عن رؤيته، لأن الله تعالى يقول وهو أصدق القائلين: وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ. البقرة: ۱۷۴

ثم قال فى آخر بحثه/۵۹۰ فتبين من هذا كله أن هذه الآيات لا يصح الإستدلال بها فى مسألة إثبات الرؤية، والله تعالى الموفق. انتهى.

ونؤكد هنا على ضرورة ملاحظة قوله تعالى (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) الذى يدل على أن هذا المشهد أحد مشاهد المحشر قبل دخول الجنة والنار كما روى عن على عليه السلام. وهذا قرينة على أن (ناظرة) بمعنى منتظرة. ودليل على أن الذين فسروها بالنظر إلى الله تعالى فى الجنة لم يلتفتوا إلى بقية الآيات!

تفسيرهم الذى فيه تجسيم

صحيح البخارى:۸/۱۷۹:

باب قول الله تعالى وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ... عن جرير قال كنا جلوساً عند النبى(ص)إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال: إنكم

سترون ربکم کمـا ترون هـذا القمر لا تضامون فی رؤیته، فإن اسـتطعتم أن لا تغلبوا علی صـلاة قبل طلوع الشـمس وصـلاة قبل غروب الشمس فافعلوا.

سنن الترمذی:۴/۹۳:

عن إسرائیل، عن ثویر، قال سمعت ابن عمر یقول: قال رسول الله (ص): إن أدنی أهل الجنة منزلة لمن ینظر إلی جنانه وزوجاته ونعیمه وخدمه وسـرره مسـیر ألف سـنة، وأکرمهم علی الله من ینظر إلی وجهه غدوة وعشیة، ثم قرأ رسول الله (ص): وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وقـد روی هـذا الحـدیث من غیر وجه عن إسـرائیل عن ثویر عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه عبدالملک بن أبجر عن ثویر، عن ابن عمر موقوفاً. ورواه عبید الله الأشجعی عن سفیان عن ثویر عن مجاهد عن ابن عمر قوله ولم یرفعه.

سنن الترمذی:۵/۱۰۳:

عن إسـرائیل عن ثویر قال سـمعت ابن عمر یقول... الـخ. هذا حدیث غریب، وقد روی غیر واحد عن إسـرائیل مثل هذا مرفوعاً، وروی عبـد الملـک بن الجبر عن ثویر، عن ابن عمر قوله ولم یرفعه. وروی الأشـجعی عن سـفیان عن ثویر عن مجاهـد عن ابن عمر قوله ولم یرفعه، ولا نعلم أحـداً ذکر فیه عن مجاهـد غیر الثوری. انتهی. ورواه أحمد فی:۲/۶۴ ورواه الحاکم فی المستدرک:۲/۵۰۹، ولکن فیه (ألفی سـنة) بدل ألف سـنة، قال: عن ثویر بن أبی فاختة عن ابن عمر رضـی الله عنهما قال قال رسول الله صـلی الله علیه وآله: إن أدنی أهل الجنة منزلة لرجل ینظر فی ملکه ألفی سنة یری أقصاه کما یری أدناه، ینظر فی أزواجه وخدمه وسرره.

وقال السیوطی فی الدرالمنثور:۳/۳۷:

وأخرج أبوالشـیخ والبیهقی فی کتاب الرؤیـة عن الحسن فی قوله: لا تُـدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، قال: فی الـدنیا، وقال الحسن: یراه أهل الجنة فی الجنة، یقول الله وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ.، قال ینظر إلی وجه الله.

وقد اسـتعرض السیوطی فی الدر المنثور:۶/۲۹۰، أکثر روایاتهم وأقوالهم فی تفسـیر الآیـة، وقـد تقـدم منها ما یوافق مذهب أهل البیت علیهم السـلام، ونورد فیمـا یلی بقیتهـا، ونلاحـظ أن أکثرها غیر مسـند إلی النبی صـلی الله علیه وآله، بل هو أقوال مفسـرین، وأکثرهم علماء سلطة أو معادون لأهل البیت (علیهم السلام). قال السیوطی فی:۶/۲۹۰:

وأخرج ابن المنذر والآجری فی الشریعة واللالکائی فی السنة والبیهقی فی الرؤیة عن ابن عباس فی قوله: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، قال یعنی حسنها، إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، قال: نظرت إلی الخالق.

وأخرج ابن المنذر والآجری عن محمد بن کعب القرظی فی قوله: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، قال نضر الله تلک الوجوه وحسنها للنظر إلیه.

وأخرج ابن المنـذر والآجری واللالکائی والبیهقی عن عکرمـة: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، قال: ناضـرة من النعیم، إلی ربها ناظرة، قال: تنظر إلی الله نظراً.

وأخرج الدار قطنی والآجری واللالکائی والبیهقی عن الحسن فی الآیة قال: النضرة الحسن، نظرت إلی ربها فنضرت بنوره.

وأخرج ابن جریر عن الحسن، وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ: یقول حسنة، إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، قال: تنظر إلی الخالق.

وأخرج عبـد بن حمیـد عن عکرمة فی قوله: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، قال مسـرورة. إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، قال أنظر ماذا أعطی الله عبده من النور فی عینیه أن لو جعل نور أعین جمیع خلق الله من الإنس والجن والدواب وکل شـئ خلق الله فجعل نور أعینهم فی عینی عبد من عباده ثم کشف عن الشـمس سـتراً واحـداً ودونهـا سـبعون ستراً مـا قـدر علی أن ینظر إلی الشـمس، والشـمس جزء من سـبعین جزء من نور الکرسی، والکرسی جزء من سبعین جزء من نور العرش، والعرش جزء من سبعین جزء من نور الستر. قال عکرمة: أنظروا ماذا أعطی الله عبده من النور فی عینیه أن نظر إلی وجه الرب الکریم عیاناً.

وأخرج ابن مردویه عن ابن عباس فی قوله: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، قال: تنظر إلی وجه ربها.

وأخرج ابن مردویه عن أنس بن مالـک قال قال رسول الله(ص)فی قول الله وجوه یومئـذ ناضـرة إلی ربها ناظرة قال: ینظرون إلی ربهم

بلا کیفیهٔ ولا حد محدود ولا صفهٔ معلومهٔ. (وهل لهذا معنی مفهوم غیر النظر بالقلب؟!)

وأخرج الدارقطنی والخطیب عن أنس أن النبی(ص)أقرأه هذه الآیهٔ: وجوه یومئذ ناضرهٔ إلی ربها ناظرهٔ، قال: والله ما نسخها منذ أنزلها، یزورون ربهم تبارک وتعالی فیطعمون ویسقون ویتطیبون ویحلون، ویرفع الحجاب بینه وبینهم فینظرون إلیه وینظر إلیهم عز وجل، وذلک قوله عز وجل: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِیهَا بُکْرَهً وَ عَشِیًّا.

وأخرج أبوالشیخ عن الحسن (رض) قال: أول من ینظر إلی الله تبارک وتعالی الأعمی.

وأخرج ابن أبی حاتم وأبوالشیخ عن موسی بن صالح بن الصباح قال: إذا کان یوم القیامهٔ یؤتی بأهل ولایهٔ الله فیقومون بین یدیه ثلاثهٔ أصناف، فیؤتی برجل من الصنف الأول فیقول عبدی لماذا عملت؟ فیقول: یا رب خلقت الجنهٔ وأشجارها وثمارها وأنهارها وحورها ونعیمها وما أعددت لأهل طاعتک فیها فأسهرت لیلی وأظمأت نهاری شوقاً إلیها... ثم یؤتی برجل من الصنف الثالث فیقول عبدی لماذا عملت؟ فیقول ربی حباً لک وشوقاً إلیک وعزتک لقد أسهرت لیلی وأظمأت نهاری شوقاً إلیک وحباً لک، فیقول الله عبدی إنما عملت شوقاً إلی وحباً لی، فیتجلی له الرب فیقول ها أنا ذا أنظر إلیَّ! ثم یقول فضلی علیک أن أعتقک من النار وأبیحک جنتی وأزیرک ملائکتی وأسلم علیک بنفسی، فیدخل هو ومن معه الجنهٔ.

الجواهر الحسان للثعالبی:۳/۴۱۶:

قوله تعالی: إلی رَبِّهَا نَاظِرَهٌ، حمل جمیع أهل السنهٔ هذه الآیهٔ علی أنها متضمنهٔ رؤیهٔ المؤمنین لله عز وجل بلا تکییف ولا تحدید. انتهی. ولکن هل ذلک نظراً بالعین!

تفسیر الطبری:۲۹/۱۱۹:

عن مجاهد فی: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَهٌ، قال مسرورهٔ. إلی رَبِّهَا نَاظِرَهٌ، قال: إلی ربها نظراً.

وقال ابن حزم فی المحلی:۱/۳۴:

مسألهٔ: وأن الله تعالی یراه المسلمون یوم القیامهٔ بقوهٔ غیر هذه القوهٔ. قال عز وجل: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَهٌ إلی رَبِّهَا نَاظِرَهٌ... ولو کانت هذه القوهٔ لکانت لا ـ تقع إلا ـ علی الالوان، تعالی الله عن ذلک. وأما الکفار فإن الله عز وجل قال: إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ یَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. انتهی. وقد اضطر ابن حزم أن یجعل الرؤیهٔ غیر بصریهٔ وأن یوافق أهل البیت (علیهم السلام).

وقال القسطلانی فی إرشاد الساری:۱۰/۳۹۸:

قوله تعالی (إلی رَبِّهَا نَاظِرَهٌ) بلا کیفیهٔ ولا جههٔ ولا ثبوت مسافهٔ. وقال القاضی: تراه مستغرقهٔ فی مطالعهٔ جماله بحیث تغفل عما سواه. انتهی. وهی رؤیهٔ غیر بصریهٔ کما تری.

وقال الألبانی فی فتاویه/۱۴۳:

إن عقیدهٔ رؤیهٔ الله لم ترد فی السنهٔ فقط حتی تشککوا فیها، إن هذه العقیدهٔ أیضاً قد جاءت فی القرآن الکریم المتواتر روایته عن رسول الله... إن قوله تعالی: وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ نَاضِرَهٌ إلی رَبِّهَا نَاظِرَهٌ، هی وجوه المؤمنین قطعاً إلی رَبِّهَا نَاظِرَهٌ... المعتزلهٔ والشیعهٔ جاءوا بفلسفهٔ ففسروا: وجوه إلی ربها ناظرهٔ، أی إلی نعیم ربها ناظرهٔ، أعطوا دلالهٔ الآیهٔ ورفضوا التفسیر الثانی للذین أحسنوا، وهذه الفلسفهٔ معول هدام للسنهٔ الصحیحهٔ. انتهی.

وبذلک کشف الشیخ الالبانی حقیقهٔ موقف القائلین بالرؤیهٔ، فقد اعترف بأن تفسیر (ناظرهٔ) بالنظر المعنوی یحقق الانسجام والتوافق بین الآیات المحکمات مثل: لا تُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ، وبین هذه الآیهٔ. ولکن الخطر کل الخطر منه علی (السنهٔ الشریفهٔ) أن یهدمها معول تأویل هذه الآیهٔ!

فلماذا یا تری یهتمون بالمحافظهٔ علی روایات الرؤیهٔ ویخافون أن تهدم، ولا یهتمون بالآیات المحکمات النافیهٔ للرؤیهٔ ولایخافون أن تهدم!

ثم إن أحادیث السنة عند إخواننا منها ما ینفی الرؤیة بالعین مطلقاً ومنها ما یثبتها صراحة، وجمیعها فی البخاری، الکتاب المعصوم بزعمهم من الجلد إلی الجلد، فکیف صار بعض البخاری سنة یجب أن یحفظ من خطر الهدم وبعضه سنة لا مانع أن یهدم، وتهدم معه آیات محکمات!

لعل جوابهم: أن الذین رووا أحادیث نفی الرؤیة عن النبی هم عائشة وعدد من الصحابة وأهل بیت النبی صلی الله علیه وآله، بینما الذین رووا أحادیث الرؤیة الخلیفة عمر والمقربون منه، وعند التعارض یجب أن نحافظ علی روایات عمر ولا نسمح لاحد أن یهدمها أو یمسها، ویجب أن نعمل معول التأویل أو الهدم فی آیات نفی الرؤیة وأحادیثها لکی تخضع لما قاله کعب الأحبار والخلیفة عمر ومن وافقهما!

بل الظاهر أنه لا ـ مانع عند إخواننا من أن ترد أقوال کل الصحابة وأن تهدم عصمة البخاری برد بعض أحادیثه، لأنهم إنما یریدون عصمة البخاری من أجل عصمة المولی عمر! إنهم یقولون: الخلیفة قال برؤیة الله بالعین، والقول ما قاله عمر، وانتهی الکلام.

وإذا وصل الأمر إلی هذا، فعلی المسلم أن یسکت کما سکت نبیه صلی الله علیه وآله وهو علی فراش الموت عندما صاحوا فی وجهه (القول ما قاله عمر) عندما کرروا شعارهم فی وجهه قال لهم: قوموا عنی! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظیم!

تفسیر آیات التجلی لموسی

قال اللّه تعالی: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَی لِمِیقَاتِنَا وَ کَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ قَالَ لَنْ تَرَانِی وَ لَکِنِ انْظُرْ إلی الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَکَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِی فَلَمَّا تَجَلَّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا وَ خَرَّ مُوسَی صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِینَ. الأعراف: ۱۴۳.

قال أهل البیت: تجلی بنوره الذی خلقه، لا بذاته

الامام الرضا یدفع التهم عن الأنبیاء

روی الصدوق فی کتابه التوحید/۱۱۸-۱۲۲:

حدثنا محمد بن موسی بن المتوکل رحمه الله قال: حدثنا علی بن الحسین السعد آبادی، عن أحمد بن أبی عبد الله البرقی، عن أبیه محمد بن خالد، عن أحمد بن النضر، عن محمد بن مروان، عن محمد بن السائب، عن أبی الصالح، عن عبدالله بن عباس فی قوله عز وجل: «فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِینَ» قال یقول: سبحانک تبت إلیک من أن أسألک الرؤیة، وأنا أول المؤمنین بأنک لا تری.

قال محمد بن علی بن الحسین مصنف هذا الکتاب (رض): إن موسی علیه السلام علم أن الله عز وجل لا یجوز علیه الرؤیة، وإنما سأل الله عز وجل أن یریه ینظر إلیه عن قومه حین ألحوا علیه فی ذلک، فسأل موسی ربه ذلک من غیر أن یستأذنه فقال: قَالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ قَالَ لَنْ تَرَانِی وَ لَکِنِ انْظُرْ إلی الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَکَانَهُ، فی حال تدکدکه فسوف ترانی. ومعناه أنک لا ترانی أبداً، لأن الجبل لا یکون ساکناً متحرکاً فی حال أبداً، وهذا مثل قوله عز وجل: وَلا ـ یَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّی یَلِجَ الْجَمَلُ فِی سَمِّ الْخِیَاطِ، ومعناه أنهم لا یدخلون الجنة أبداً کما لا یلج الجمل فی سم الخیاط أبداً.

فلما تجلی ربه للجبل: أی ظهر بآیة من آیاته، وتلک الآیة نور من الأنوار التی خلقها ألقی منها علی ذلک الجبل، فجعله دکا وخر موسی صعقا، من هول تدکدک ذلک الجبل علی عظمه وکبره، فلما أفاق قال سبحانک تبت إلیک، أی رجعت إلی معرفتی بک عادلاً عما حملنی علیه قومی من سؤالک الرؤیة، ولم تکن هذه التوبة من ذنبه لأن الأنبیاء لا یذنبون ذنباً صغیراً ولا کبیراً، ولم یکن

الإستيذان قبل السؤال بواجب عليه، لكنه كان أدباً أن يستعمله ويأخذ به نفسه متى أراد أن يسأله.

على أنه قد روى قوم أنه قد استأذن فى ذلك فأذن له ليعلم قومه بذلك أن الرؤية لا تجوز على الله عز وجل.

وقوله: وأنا أول المؤمنين، يقول أنا أول المؤمنين من القوم الذين كانوا معه وسألوه أن يسأل ربه أن يريه ينظر إليه، بأنك لا ترى.

والأخبار التى رويت فى هذا المعنى وأخرجها مشايخنا رضى الله عنهم فى مصنفاتهم عندى صحيحة، وإنما تركت إيرادها فى هذا الباب خشية أن يقرأها جاهل بمعانيها فيكذب بها فيكفر بالله عز وجل وهو لا يعلم....

ومعنى الرؤية الواردة فى الأخبار العلم، وذلك أن الدنيا دار شكوك وارتياب وخطرات، فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله وأموره فى ثوابه وعقابه ما تزول به الشكوك، وتعلم به حقيقة قدرة الله عز وجل.

وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل: لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ، فمعنى ما روى فى الحديث أنه عز وجل يرى أى يعلم علماً يقينياً، كقوله عز وجل: أَلَمْ تَرَ إلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ. وقوله: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ، وقوله: أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ: وقوله: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، وأشباه ذلك من رؤية القلب وليست من رؤية العين.

وأما قول الله عز وجل: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، فمعناه: لما ظهر عز وجل للجبل بآية من آيات الآخرة التى تكون بها الجبال سراباً، والذى ينسف بها الجبال نسفاً، تدكدك الجبل فصار تراباً، لأنه لم يطق حمل تلك الآية، وقد قيل إنه بدا له نور العرش....

وتصديق ما ذكرته ما حدثنا به تميم القرشى، عن أبيه، عن حمدان بن سليمان، عن على بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا على بن موسى (عليهم السلام) فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: إن الأنبياء معصومون قال: بلى، فسأله عن آيات من القرآن فكان فيما سأل أن قال له: فما معنى قول الله عز وجل: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى، الآية كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله عن هذا السؤال.

فقال الرضا عليه السلام: إن كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى عن أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه، فقالوا: لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمائة ألف رجل فاختار منهم سبعين ألفاً، ثم اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار منهم سبعين رجلًا لميقات ربه، فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم فى سفح الجبل، وصعد موسى عليه السلام إلى الطور، وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه، فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأن الله عز وجل أحدثه فى الشجرة ثم جعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن لك بأن هذا الذى سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا رب ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم لانك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله، إياك فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: إنك لوسألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته! فقال موسى عليه السلام: يا قوم إن الله لا ـ يرى بالأبصار ولا كيفية له، وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه. فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله فقال موسى عليه السلام: يا رب إنك قد سمعت مقالة بنى إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله جل جلاله إليه: يا موسى اسألنى ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، وهو يهوى، فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك، يقول: رجعت إلى معرفتى بك عن جهل قومى، وأنا أول المؤمنين، منهم بأنك لا ترى.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن... الخبر...

ولو أوردت الأخبار التى رويت فى معنى الرؤية لطال الكتاب بذكرها وشرحها وإثبات صحتها، ومن وفقه الله تعالى ذكره للرشاد آمن بجميع ما يرد عن الأئمة (عليهم السلام)بالاسانيد الصحيحة وسلم لهم، ورد الأمر فيما اشتبه عليه إليهم، إذ كان قولهم قول الله وأمرهم أمره، وهم أقرب الخلق إلى الله عز وجل وأعلمهم به، صلوات الله عليهم أجمعين.

وقال فى علل الشرائع:۲/۴۹۷:

حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى العلوى الحسينى رحمه الله قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن أسباط قال حدثنا أحمد بن محمد بن زياد القطان قال: حدثنى أبوالطيب أحمد بن محمد بن عبدالله قال حدثنى عيسى بن جعفر العلوى العمرى عن آبائه عن عمر بن على عن أبيه على بن أبى طالب عليه السلام أنه سئل مم خلق الله الذر الذى يدخل فى كوة البيت؟ فقال: إن موسى عليه السلام: لما قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قال الله تعالى: إن استقر الجبل لنورى فإنك ستقوى على أن تنظر إلى، وإن لم يستقر فلا تطيق إبصارى لضعفك، فلما تجلى الله تبارك وتعالى للجبل تقطع ثلاث قطع، فقطعة ارتفعت فى السماء، وقطعة غاصت تحت الأرض، وقطعة تفتت فهذا الذر من ذلك الغبار، غبار الجبل.

تفسير العياشي:۲/۲۶:

عن أبى بصير عن أبى جعفر وأبى عبدالله عليه السلام قال: لما سأل موسى ربه تبارك وتعالى: قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلَكِنِ انْظُرْ إِلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى، قال: فلما صعد موسى على الجبل فتحت أبواب السماء وأقبلت الملائكة أفواجاً فى أيديهم العمد وفى رأسها النور، يمرون به فوجاً بعد فوج يقولون: يابن عمران أثبت فقد سألت عظيماً، قال: فلم يزل موسى واقفاً حتى تجلى ربنا جل جلاله، فجعل الجبل دكاً وخر موسى صعقاً، فلما أن رد الله إليه روحه أفاق قال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين.

قال ابن أبى عمير: وحدثنى عدة من أصحابنا أن النار أحاطت به، حتى لا يهرب من هول ما رأى.

وقال الشريف المرتضى فى أماليه:۴/۱۲۵:

فإن قيل: كيف يجوز منه عليه الصلاة والسلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى أن يسأل فيها لقومه، ولئن جاز ذلك ليجوزن أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه تعالى من كونه جسماً وما أشبهه متى شكوا فيه.

قلنا: إنما صح ما ذكرناه فى الرؤية ولم يصح فيما سألت عنه لأنه مع الشك فى جواز الرؤية التى لا يقتضى كونه جسماً يمكن معرفة السمع وأنه تعالى حكيم صادق فى إخباره، فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا فى صحته وجوازه، ومع الشك فى كونه جسماً لا يصح معرفة السمع فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم..

وقد قال بعض من تكلم فى هذه الآية قد كان جائزاً أن يسأل موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحالته وإن كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان المعلوم أن فى ذلك صلاحاً للمكلفين فى الدين، وإن ورود الجواب يكون لطفاً لهم فى النظر فى الأدلة وإصابة الحق منها، غير أن من أجاب بذلك شرط أن يتبين فى مسألة علمه باستحالة ما سأل عنه وأن غرضه فى السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً..

والجواب الثانى فى الآية أن يكون موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يعلمه نفسه ضرورةً بإظهار بعض أعلام الآخرة التى تضطره إلى المعرفة فتزول عنه الدواعى والشكوك والشبهات ويستغنى عن الإستدلال فتخف المحنة عليه بذلك، كما سأل إبراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف يحيى الموتى طلباً للتخفيف عليه بذلك، وإن كان قد عرف ذلك قبل أن يراه، والسؤال إن وقع بلفظ الرؤية فإن الرؤية تفيد العلم كما تفيد الإدراك بالبصر، وذلك أظهر من أن يستدل عليه أو يستشهد به، فقال له جل وعز: لن ترانى، أى لن تعلمنى على هذا الوجه الذى التمسته منى، ثم أكد تعالى ذلك بأن أظهر فى الجبل من آياته وعجائبه ما دل به على أن إظهار ما تقوم به المعرفة الضرورية فى الدنيا مع التكليف وبيانه لا يجوز، وأن الحكمة تمنع منه.

والوجه الأول أولى لما ذكرناه من الوجوه ولانه لا يخلو موسى عليه السلام من أن يكون شاكاً فى أن المعرفة ضرورية لا يصح حصولها فى الدنيا أو عالماً بذلك، فإن كان شاكاً فهذا مما لا يجوز على النبى صلى الله عليه وآله، لأن الشك فيما يرجع إلى أصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم سلام الله عليهم، لا سيما وقد يجوز أن يعلم ذلك على الحقيقة بعض أمتهم فيزيد عليهم فى المعرفة، وهذا أبلغ فى التنفير عنهم من كل شئ يمنع منه فيهم. وإن كان عالماً فلا وجه لسؤاله إلا أن يقال إنه سأل لقومه، فيعود إلى معنى الجواب الأول.

والجواب الثالث فى الآية، ما حكى عن بعض من تكلم فى هذه الآية من أهل التوحيد وهو أن قال: يجوز أن يكون موسى عليه السلام فى وقت مسألته ذلك كان شاكاً فى جواز الرؤية على الله تعالى فسأل ذلك ليعلم هل يجوز عليه أم لا، قال وليس شكه فى ذلك بمانع من أن يعرف الله تعالى بصفاته بل يجرى مجرى شكه فى جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الاعراض فى أنه غير مخل بما يحتاج إليه فى معرفته تعالى.

قال: ولا يمتنع أن يكون غلطه فى ذلك ذنباً صغيراً وتكون التوبة الواقعة منه لاجل ذلك.

وهذا الجواب يبعد من قبل أن الشك فى جواز الرؤية التى لاتقتضى تشبيهاً، وإن كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فإن الشك فى ذلك لا يجوز على الأنبياء (عليهم السلام)من حيث يجوز من بعض من بعثوا إليه أن يعرف ذلك على الحقيقة فيكون النبى صلى الله عليه شاكاً فيه وغيره عارفاً به مع رجوعه إلى المعرفة بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه، وهذا أقوى فى التنفير وأزيد على كل ما وجب أن يجنبه الأنبياء (عليهم السلام).

فإن قيل: فعن أى شئ كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين؟

قلنا: أما من ذهب إلى أن المسألة كانت لقومه، فإنه يقول إنما تاب لأنه أقدم على أن سأل على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه، وليس للأنبياء ذلك لأنه لا يؤمن أن يكون الصلاح فى المنع منه فيكون ترك إجابتهم إليه منفراً عنهم. ومن ذهب إلى أنه سأل المعرفة الضرورية يقول إنه تاب من حيث سأل معرفة لا يقتضيها التكليف. وعلى جميع الأحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب ولا الذم.

والأولى أن يقال فى توبته عليه الصلاة والسلام: إنه ليس فى الآية ما يقتضى أن تكون التوبة وقعت من المسألة أو من أمر يرجع إليها، وقد يجوز أن يكون ذلك منه إما لذنب صغير تقدم تلك الحال أو تقدم النبوة، فلا يرجع إلى سؤال الله تعالى الرؤيا أو ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى وإظهار الإنقطاع إليه والتقرب منه وإن لم يكن هناك ذنب صغير، وقد يجوز أيضاً أن يكون الغرض فى ذلك مضافاً إلى ما قلناه تعليماً وتوقيفاً على ما نستعمله وندعوه به عند الشدائد ونزول الأهوال وتنبيه القوم المخطئين خاصة على التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى، فإن الأنبياء(عليهم السلام) وإن لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج من رفع ذلك عنه إلى التوبة من الإستقالة..

فأما قوله تعالى: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، فإن التجلى هاهنا هو التعريف والإعلام والإظهار لما يقتضى المعرفة، كقولهم هذا كلام جلى أى واضح ظاهر، وكقول الشاعر:

تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الاسنة نائى

أراد أن تدبيره دل عليه حتى علم أنه المدبر له وإن كان نائياً فأقام ما أظهره من دلالة فعله على مقام مشاهدته وعبر عنه بأنه تجلى منه.

وفى قوله تعالى (للجبل) وجهان، أحدهما، أن يكون المراد لأهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال تعالى: واسأل القرية، وما بكت عليهم السماء والأرض، وقد علمنا أنه بما أظهره من الآيات إنما دل من كان عند الجبل على أن رؤيته تعالى غير جائزة.

والوجه الآخر، أن يكون المعنى للجبل أى بالجبل، فأقام اللام مقام الباء كما قال تعالى: آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ، أى به، وكما تقول: أخذتك لجرمك أى بجرمك، ولما كانت الآية الدالة على منع ما سأل إنما حلت الجبل وظهرت فيه جاز أن يضاف التجلى إليه.

وقد استدل بهذه الآية كثير من العلماء الموحدين على أنه تعالى لا يرى بالأبصار من حيث نفى الرؤية نفياً عاماً بقوله تعالى: لَنْ تَرَانِي، ثم أكـد ذلك بأن علق الرؤية باستقرار الجبل الذى علمنا أنه لم يستقر، وهذه طريقة للعرب معروفة فى تبعيد الشئ لأنهم يعلقونه بما يعلم أنه لا يكون كقولهم: لا كلمتك ما أضاء الفجر وطلعت الشمس، وكقول الشاعر:

إذا شاب الغراب رجوت أهلى وصار القير كاللبن الحليب

بحار الأنوار:۳/۴۵: أورد رواية الصدوق الأولى عن الأمالى والتوحيد وقال:

بيان: إعلم أن المنكرين للرؤية والمثبتين لها كليهما استدلوا بما ورد فى تلك القصة على مطلوبهم، فأما المثبتون فاحتجوا بها بوجهين: الأول: أن موسى عليه السلام سأل الرؤية ولو امتنع كونه تعالى مرئياً لما سأل، لأنه حينئذ إما أن يعلم امتناعه أو يجهله فإن علمه فالعاقل لا يطلب المحال لأنه عبث، وإن جهله فالجاهل بما لا يجوز على الله تعالى ويمتنع لا يكون نبياً كليماً.

وأجيب عنه بوجوه: الأول: ما ورد فى هـذا الخبر من أن السؤال إنما كان بسبب قومه لا لنفسه، لأنه كان عالماً بامتناعها، وهـذا أظهر الوجوه واختاره السيد الأجل المرتضى فى كتابى تنزيه الأنبياء وغرر الفوائد، وأيده بوجوه:

منهـا، حكايـة طلب الرؤيـة من بنى إسـرائيل فى مواضع كقوله تعـالى: فقـد سألوا موسـى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخـذتهم الصاعقـة بظلمهم. وقوله تعالى: فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ؟؟ وأنتم تنظرون؟؟. ومنها، أن موسى عليه السلام أضاف ذلك إلى السفهاء، قال الله تعالى: فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا. وإضافة ذلك إلى السفهاء تدل على أنه كان بسببهم ومن أجلهم حيث سألوا ما لا يجوز عليه تعالى.

فإن قيل: فلم أضاف السؤال إلى نفسه ووقع الجواب مختصاً به.

قلنا: لا يمتنع وقوع الإضافة على هـذا الوجه، مع أن السؤال كان لأجل الغير إذا كانت هناك دلالـة تؤمن من اللبس، فلهذا يقول أحدنا إذا شفع فى حاجـة غيره للمشفوع إليه: أسألـك أن تفعل بى كـذا وتجيبنى إلى ذلـك، ويحسن أن يقول المشفوع إليه: قد أجبتك وشفعتك، وما جرى مجرى ذلك، على أنه قد ذكر فى الخبر ما يغنى عن هذا الجواب.

وأما ما يورد فى هذا المقام من أن السؤال إذا كان للغير، فأى جرم كان لموسى حتى تاب منه؟

فأجاب رحمه الله بحمل التوبـة على معناها اللغوى أى الرجوع، أى كنت قطعت النظر عما كنت أعرفه من عـدم جواز رؤيتك، وسألت ذلك للقوم فلما انقضت المصلحة فى ذلك تركت هذا السؤال ورجعت إلى معرفتى بعدم جواز رؤيتك وما تقتضيه من عدم السؤال.

وأجاب السيد قدس الله روحه عنه بأنه يجوز أن يكون التوبة لأمر آخر غير هذا الطلب، أو يكون ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى، وإظهار الانقطاع إليه والتقرب منه وإن لم يكن هناك ذنب.

والحاصل أن الغرض من ذلك إنشاء التـذلل والخضوع، ويجوز أن يضاف إلى ذلك تنبيه القوم المخطئين على التوبـة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه. بل أقول يحتمل أن تكون التوبة من قبلهم كما كان السؤال كذلك.

الثـانى: أنه عليه السـلام لم يسأل الرؤيـة بـل تجوز بهـا عن العلم الضـرورى لأـنه لازمهـا، وإطلاق اسم الملزوم على اللازم شائع سيما استعمال رأى بمعنى علم وأرى بمعنى أعلم، والحاصـل أنه سأله أن يعلمه نفسه ضـرورة بإظهار بعض أعلام الآخرة التى تضـطره إلى المعرفة، فتزول عنه الدواعى والشكوك، ويستغنى عن الإستدلال كما سأل إبراهيم عليه السلام: رب أرنى كيف تحيى الموتى.

الثالث: أن فى الكلام مضافاً محذوفاً أى أرنى آية من آياتك أنظر إلى آيتك، وحاصله يرجع إلى الثانى.

الرابع: أنه عليه السـلام سأل الرؤيـة مع علمه بامتناعها لزيادة الطمأنينـة بتعاضد دليل العقل والسـمع، كما فى طلب إبراهيم عليه السـلام، وحاصـله يرجع إلى منع أن العاقـل لا يطلب المحال الـذى علم اسـتحالته إذ يمكن أن يكون الطلب لغرض آخر غير حصول المطلوب، فلا يلزم العبث لجواز ترتب غرض آخر عليه، والعبث ما لا فائـدة فيه أصـلًا، ولعل فى هـذا السؤال فوائـد عظيمة سوى ما ذكر أيضاً ولا يلزمنا تعيين الفائدة بل على المستدل أن يدل على انتفائها مطلقاً، ونحن من وراء المنع، ومما يستغرب من الأشاعرة أنهم أجمعوا على

أن الطلب غیر الإرادة، واحتجوا علیه بأن الأمر ربما أمر عبده بأمر وهو لا یریده، بل یرید نقیضه، ثم یقولون هاهنا: بأن طلب ما علم استحالته لا یتأتی من العاقل.

الثانی من وجهی احتجاجهم: هو أنه تعالی علق الرؤیة علی استقرار الجبل وهو أمر ممکن فی نفسه، والمعلق علی الممکن ممکن، لأن معنی التعلیق أن المعلق یقع علی تقدیر وقوع المعلق علیه، والمحال لا یقع علی شئ من التقادیر.

ویمکن الجواب عنه بوجوه، أوجهها أن یقال: التعلیق إما أن یکون الغرض منه بیان وقت المعلق وتحدید وقوعه بزمان وشرط، ومن البیِّن أن ما نحن فیه لیس من هذا القبیل. وإما أن یکون المطلوب فیه مجرد بیان تحقق الملازمة وعلاقة الاستلزام بأن یکون لافادة النسبة التی بین الشرط والجزاء مع قطع النظر عن وقوع شئ من الطرفین وعدم وقوعه، ولا یخفی علی ذی لب أن لا علاقة بین استقرار الجبل ورؤیته تعالی فی نفس الأمر ولا ملازمة. علی أن إفادة مثل هذا الحکم وهو تحقق علاقة اللزوم بین هاتین القضیتین لا یلیق بسیاق مقاصد القرآن الحکیم مع ما فیه من بعده عن مقام سؤال الکلیم، فإن المناسب لما طلب من الرؤیة بیان وقوعه ولا وقوعه، لا مجرد إفادة العلاقة بین الأمرین فالصواب حینئذ أن یقال: المقصود من هذا التعلیق بیان أن الجزاء لا یقع أصلًا بتعلیقه علی ما لا یقع، ثم هذا التعلیق إن کان مستلزماً للعلاقة بین الشرط والجزاء فواجب أن یکون إمکان الجزاء مستتبعاً لامکان الشرط، لأن ماله هذه العلاقة مع المحال لا یکون ممکناً علی ما هو المشهور من أن مستلزم المحال محال، وإلا فلا وجه لوجوب إمکان الجزاء. والأول وإن کان شائع الإرادة من اللفظ إلا أن الثانی أیضاً مذهب معروف للعرب کثیر الدوران بینهم، وهو عمدة البلاغة ودعامتها، ومن ذلک قول الشاعر:

إذا شاب الغراب أتیت أهلی وصار القار کاللبن الحلیب

ومعلوم أن مشیب الغراب وصیرورة القار کالحلیب لا ملازمة بینهما وبین إتیان الشاعر أهله. ونظیره فی الکتاب الکریم کثیر کتعلیق خروج أهل النار منها علی ولوج الجمل فی سم الخیاط، وبعید من العاقل أن یدعی علاقة بینهما، وإذا کان ذلک التعلیق أمراً شائعاً کثیر الوقوع فی کلامهم فلا ترجیح للإحتمال الأول بل الترجیح معنا، فإن البلاغة فی ذلک، وأما إذا تحققت العلاقة فی الواقع بینهما وعلق علیه لمکان تلک العلاقة فلیس له ذلک الموقع من حسن القبول، ألا ـ تری أن المتمنی لوصال حبیبه المیت لو قال: إذا رجع الموتی إلی الدنیا أمکن لی زیارة الحبیب، لم یکن کقول الصب المتحسر علی مفارقة الاحباء: متی أقبل الامس الدابر وحیی المیت الغابر طمعت فی اللقاء.

وأیضاً لا ـ یخفی علی ذی فطرة أن التزام تحقق علاقة لزوم بین استقرار الجبل فی تلک الحال وبین رؤیته تعالی بحیث لو فرض وقوع ذلک الاستقرار امتنع أن لا تقع رؤیته تعالی، مستبعد جداً یکاد یجزم العقل ببطلانه، فإذن المقصود من ذلک الکلام مجرد بیان انتفائه بتعلیقه علی أمر غیر واقع، ویکفی فی ذلک عدم وقوع المعلق علیه، ولا یستدعی امتناع المعلق امتناعه. ولو سلم فنقول: إن المعلق علیه هو الإستقرار لا ـ مطلقاً بل فی المستقبل وعقیب النظر، بدلالة الفاء وإن، وذلک لأنه إذا دخلت الفاء علی إن تفید اشتراط التعقیب لا تعقیب الإشتراط، فالشرط هاهنا وقوع الإستقرار عقیب النظر، والنظر ملزوم لوقوع حرکة الجبل عقیبه، فوقوع السکون عقیبه محال لإستحالة وقوع الشئ عقیب ما یستعقب منافی ذلک الشئ ویستلزم وقوعه عقیبه.

وأما أن النظر لا یستلزم اندکاک الجبل وتزلزله ولا علاقة بینه وبینه وإنما هو مصاحبة اتفاقیة فممنوع، ولعل النظر ملزوم للحرکة کما أن استقرار الجبل ملزوم لرؤیته تعالی، وتحقق العلاقة بین النظر والحرکة لیس بأبعد من تحقق العلاقة بین الإستقرار والرؤیة.

ولنقتصر علی ذلک فإن إطناب الکلام فی کل من الدلائل والأجوبة یوجب الخروج عما هو المقصود من الکتاب.

وأما المنکرون فاحتجوا بقوله تعالی: لَنْ تَرَانی، إن کلمة لن تفید إما تأبید النفی فی المستقبل، کما صرح به الزمخشری فی أنموذجه، فیکون نصاً فی أن موسی علیه السلام لا یراه أبداً، أو تأکیده علی ما صرح به فی الکشاف، فیکون ظاهراً فی ذلک لأن المتبادر فی مثله عموم الاوقات، وإذا لم یره موسی لم یره غیره إجماعاً.

وإن نوقش فی کونها للتأکید أو للتأبید فکفاک شاهداً استدلال أئمتنا (علیهم السلام) بها علی نفی الرؤیة مطلقاً، لانهم أفصح الفصحاء طراً باتفاق الفریقین، مع أنا لکثرة براهیننا لا نحتاج إلی الأکثار فی دلالة هذه الآیة علی المطلوب.

وقال فی هامشه: قال الرضی فی تلخیصه: هذه استعارة علی أحد وجهی التأویل وهو أن یکون المعنی: فلما حقق تعالی بمعرفته لحاضری الجبل الآیات التی أحدثها فی العلم بحقیقته عوارض الشبه وخوالج الریب، وکأن معرفته سبحانه تجلت لهم من غطاء أو برزت لهم من حجاب.

شرح الأسماء الحسنی:۱/۱۸۵ ـ ۱۹۱:

واحتج الأشاعرة بحجة عقلیة کلامیة لا نطیل الکلام بذکرها، وأدلة نقلیة منها قوله تعالی حکایة عن موسی علیه السلام: رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ قَالَ لَنْ تَرَانِی وَلَکِنِ انْظُرْ إلی الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَکَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِی.

والإحتجاج به من وجهین، أحدهما، أن موسی سأل الرؤیة فلو استحالت کان سؤاله علیه السلام إما عبثاً إن علم المحالیة وإما جهلاً إن لم یعلم، وکلاهما محالان علی النبی ولاسیما أنه کلیم الله، کیف والنبی یدعو إلی العقاید الحقة والأعمال الصالحة. وثانیهما، أنه تعالی علق الرؤیة علی استقرار الجبل، وهو أمر ممکن فی نفسه فکذا ما علق علیه.

واعترض علی الأول، بأن سؤال موسی علیه السلام عن لسان قومه بدلیل قوله تعالی: لَن نُّؤْمِنَ لَکَ حَتَّی نَرَی اللَّهَ جَهْرَةً، وقوله تعالی: أَتُهْلِکُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ.

وأجیب بأنه مع مخالفته للظاهر حیث لم یقل أرهم ینظروا إلیک، وهو فاسد، أما أولاً ـ فلانهم لما قالوا أرنا الله جهرة زجرهم بأخذ الصاعقة فلم یحتج إلی سؤال الرؤیة ولیس أخذ الصاعقة دلیلًا لهم لجواز أن یکون ذلک لقصدهم إعجاز موسی علیه السلام عن إتیان ما طلبوه عناداً، أو لعدم قابلیتهم بما هم منهمکون فی الدنیا، ولذا قال الأشاعرة: المؤمنون یرونه تعالی فی الآخرة.

وأما ثانیاً، فلان تجویز الرؤیة باطل عند المعتزلة فلا یجوز لموسی علیه السلام تأخیر رد الرؤیة وتقریر الباطل، ألا تری أنهم لما قالوا إجعل لنا إلهاً کما لهم آلهة، رد علیهم من ساعة بقوله: إنکم قوم تجهلون.

وعلی الوجه الثانی بأنها علقت علی الاستقرار عقیب النظر بدلیل الفاء وکلمة إن، وهو حالة الاندکاک، ولا نسلم إمکان الاستقرار حینئذ. والجواب: أن الاستقرار حال الحرکة ممکن لا بشرط الحرکة کما أن قیام زید ممکن حال قعوده لا بشرط قعوده.

انواع التجلی الإلهی

شرح الأسماء الحسنی:۲/۵:

بیان ذلک: أن لله تعالی تجلیات: تجل ذاتی هو تجلی ذاته بذاته علی ذاته، إذ لم یکن إسم ولا رسم.

وتجل صفاتی، هو تجلی ذاته فی أسمائه الحسنی وصفاته العلیا علی وجه یستتبع تجلیه فی صور أسمائه وصفاته، أعنی الأعیان الثابتة اللازمة للأسماء والصفات لزوماً غیر متأخر فی الوجود، بل هی هناک موجودة بوجود الأسماء الموجودة بوجود المسمی جل شأنه.

وهذا التجلی یسمی بالمرتبة الواحدیة، کما أن الأول یسمی بالمرتبة الأحدیة.

وتجل أفعالی، هو تجلی ذاته بفعله، وهو الوجود الإنبساطی علی کل ماهیة ماهیة من الدراة البیضاء إلی ذرة الهباء، فی کل من الجبروت والملکوت والناسوت بحسبه. وهذا مسمی بالرحمة الفعلیة، کما أن الثانی مسمی بالرحمة الصفتیة، وهذا بالفیض المقدس وذاک بالفیض الأقدس.

وصبح الأزل یمکن أن یراد به الثانی، کما یمکن أن یراد به الثالث.

وبیان النطق الحقیقی للصباح سواء کان صباح عالم الصورة أو صباح عالم المعنی: أن النطق الظاهری اللفظی إنما یکون نطقاً لکونه وجوداً کاشفاً عن وجود ذهنی وهو عن وجود عینی، لا لکون خصوصیة الصوت معتبرة فیه حتی لو لم یکن صوتاً لم یکن نطقاً، وإنما

هذه بالمواضعة للتسهيل. كما أن كاشفيته عن وجود آخر ذهنى بالمواضعة ودلالته بالوضع لا بالطبع، ولو كان بالطبع لأكد نطقيته كما فى الوجودات الذهنية بالنسبة إلى الوجودات العينية، ولذا تسمى العقول المدركة للكليات نواطق والنفس ناطقة وقيل شعراً:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليل

والأشاعرة ذهبوا إلى الكلمات النفسية، ولكن لاوجه للتخصيص، فإذن إن كان بدل الكيفيات المسموعة الموضوعة أشياء أخرى موضوعة، بحيث يكون حضور الأشياء الدالة منشأ لحضور الأشياء المدلولة فى الذهن، كان حالها حينئذ حالها.

تفسير عرفانى لعدم إمكان رؤية الله تعالى

شرح الأسماء الحسنى:۱/۲۱۰:

(يا من لا تدرك الأفهام جلاله، يا من لا تنال الأوهام كنهه)

كما قال النبى صلى الله عليه وآله: إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم. ولذلك يطلق على الذات باعتبار الحضرة الأحدية غيب الغيوب والغيب المطلق والغيب المكنون والغيب المصون والمنقطع الوحدانى ومنقطع الإشارات والتجلى الذاتى والكنز المخفى والعماء، وغير ذلك.

وإنما لا يدرك كنه الذات لما تقرر أنه إذا جاوز الشئ حده انعكس ضده فإذا كان ظهوره فى قصيا مراتب الظهور أنتج غاية الخفاء وانعكس عكس الجلاء.

وأيضاً لما كان قهاراً للكل فلم يبق أحد فى سطوع نوره حتى يراه، بل يتلاشى ويضمحل بتأجج نار محياه.

وأيضاً هو تعالى بكل شئ محيط، والمحيط لا يصير محاطاً....

الله تعالى يتجلى بخلقه

شرح الأسماء الحسنى:۱/۱۵۰:

(يا من فى الآفاق آياته)

أى فى النواحى من عوالم الوجود علاماته، والاسم مأخوذ من الآية أعنى قوله تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ، وفى التعبير بالآيات إشارة إلى أن عالم الافاق كتاب تكوينى له كالكتاب التدوينى، كما قال الإمام الغزالى: العالم كله تصنيف الله، وقيل بالفارسية:

به نزد آنكه جانش در تجلى است همه عالم كتاب حق تعالى است

عرض اعراب وجوهر چون حروفست مراتب همچو آيات وقوفست

از هر عالمى چون سوره خاص يكى زان فاتحه وآن ديگر اخلاص

وفى الإكتفاء بالآفاق فى الإسم إشارة إلى تطابق الكتاب الآفاقى والكتاب الأنفسى وأن كلًا منهما تام فيه جميع ما فى الآخر.

قال ابن جمهور: الكتب ثلاثة: الآفاقى والقرآنى والانفسى، فمن قرأ الكتاب القرآنى الجمعى على الوجه الذى ينبغى فكمن قرأ الكتاب الآفاقى بأسره إجمالاً وتفصيلاً، ومن قرأ الكتاب الآفاقى على الوجه المذكور فكمن قرأ الكتاب الأنفسى إجمالاً وتفصيلاً، ولهذا اكتفى النبى صلى الله عليه وآله بواحد منهما فى معرفته تعالى بقوله: من عرف نفسه فقد عرف ربه، لأنه كان عارفاً بأن من يعرف نفسه على ما ينبغى ويطالع كتابه على ما هو عليه فى نفسه يعرف ربه على ما ينبغى، وإليه الإشارة بقوله تعالى: إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا.

وكذلك من طالع الكتاب القرآنى على وجه التطبيق تجلى له الحق تعالى فى صور ألفاظه وتركيبه وآياته وكلماته تجلياً معنوياً، كما

أشار إلیه أمیر المؤمنین علیه السلام بقوله: لقد تجلی لعباده فی کلامه ولکن لا یبصرون.

ومن طالع الکتاب الافاقی علی ما هو علیه تجلی له الحق تعالی فی صور مظاهره الأسمائیة وملابسه الفعلیة الکونیة المسماة بالحروف والکلمات والآیات، المعبر عنها بالموجودات العلویة والسفلیة والمخلوقات الروحانیة والجسمانیة علی الإطلاق والتعیین تجلیاً شهودیاً عیانیاً، لأنه لیس فی الوجود سوی الله وصفاته وأسمائه وأفعاله، فالکل هو وبه ومنه وإلیه.

ومن طالع الکتاب الأنفسی الصغیر الإنسانی وطبقه بالکتاب الآفاقی تجلی له الحق تعالی فی الصورة الإنسانیة الکاملة والنشأة الحقیقیة الجامعة، تجلیاً ذاتیاً شهودیاً عیانیاً بحسب ما یشاهده فی کل عین من حروفه وکلماته وآیاته، المعبر عنها بالقوی والأعضاء والجوارح.

فکل من طالع کتابه الخاص به وشاهد نفسه المجردة وبساطتها وجوهریتها ووحدتها وبقاءها ودوامها وإحاطتها بعالمها، عرف الحق وشاهده وعرف أنه محیط بالأشیاء وصورها ومعانیها عالیها وسافلها شریفها وخسیسها، مع تجرده ووحدته وتنزهه وبقائه ودوامه من غیر تغیر فی ذاته وحقیقته.

قالوا: وکذلک الحق إذا أراد أن یشاهد نفسه فی المرآة الکاملة الذاتیة الجامعة یشاهدها فی الإنسان الکامل بالفعل، وفی غیر الکامل بالقوة لأنه مظهر الذات الجامعة لا غیر... ومن هذا قیل: أراد الله أن یظهر ذاته الجامعة فی صورة جامعة فأظهرها فی صورة الإنسان، وأراد أن یظهر الأسماء والصفات والأفعال فی صورة کاملة مفصلة فأظهرها فی صورة العالم.

أقول: فی هذا التقسیم لکتب الکون تأملات فکریة وروحیة مفیدة، ولا شک فی صحة القول بأن الله تعالی قد تجلی بخلقه بمعنی من معانی التجلی، ولکن قولهم بأنه تعالی خلق الإنسان لیکون مظهراً تتجلی به ذاته، وخلق الکون لیکون مظهراً لاسمائه، کلام جمیل لو وجد علیه دلیل. وإلا ـ فمن أین للعرفانی والفیلسوف أن یعرف لماذا خلق الله هذا المخلوق أو ذاک؟ إن الدلیل علی ذلک منحصر بإخباره تعالی عن أهدافه عن طریق أنبیائه وأوصیائهم، وما ربما یجزم به العقل.. وما سوی ذلک فهو ظنون من عقولنا واحتمالات، لا یمکننا أن ننسبها إلی الله تعالی!

کما نلاحظ أن بعض الفلاسفة والمتصوفین والعرفانیین یمیلون إلی قبول أحادیث التشبیه بلا تحقیق فی سندها، ویحاولون الإستشهاد بها علی أفکارهم، بل قد یبنون علیها نظریاتهم، مع أن الحدیث لا وجود له! أو له وجود فی المصادر لکن ورد عن الأئمة (علیهم السلام) أو عن علماء الجرح والتعدیل تکذیبه، کما رأیت فی حدیث (خلق الله آدم علی صورته)! وهذا البلاء عام فی مصادر الفلسفة والعرفان والتصوف عند السنة والشیعة!

تفسیرهم الموافق لمذهبنا

قال النویری فی نهایة الإرب:۷ جزء ۱۳/۲۱۱:

واختلف العلماء فی معنی التجلی، قال ابن عباس: ظهر نوره للجبل... فقام موسی یسبح الله تعالی ویقول: آمنت أنک ربی وصدقت أنه لا یراک أحد.

وأورد السیوطی فی الدر المنثور:۳/۱۱۸ ـ ۱۲۳ بضع عشرة روایة فی بعضها تصریح بعدم إمکان الرؤیة فی الدنیا، ولیس فیها ذکر خنصر الله تعالی ولا أصابعه، وفی بعضها أن الله تعالی تجلی بأن أظهر خنصر یده! وفی بعضها اتهامات لموسی علیه السلام بما اتهمه الیهود، وتأثر واضح بأساطیر الإسرائیلیات.. ونذکر منها هنا الروایات الموافقة لمذهبنا، وشبه الموافقة.. قال السیوطی:

وأخرج ابن أبی حاتم وأبوالشیخ عن ابن عباس، وخر موسی صعقا، قال: غشی علیه إلا أن روحه فی جسده، فلما أفاق قال لعظم ما رأی: سبحانک تنزیهاً لله من أن یراه. تبت إلیک، رجعت عن الأمر الذی کنت علیه. وأنا أول المؤمنین، یقول: أول المصدقین الآن أنه لا یراک أحد.

وأخرج ابن جریر وابن المنذر عن ابن عباس: وأنا أول المؤمنین، یقول: أنا أول من یؤمن أنه لا یراک شئ من خلقک.

وأخرج ابن أبی حاتم وأبو الشیخ عن مجاهد فی قوله: فلما تجلی ربه للجبل، قال: کشف بعض الحجب.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبوالشيخ عن قتادة فى قوله: وخر موسى صعقاً، أى ميتاً. فلما أفاق، قال: فلما رد الله عليه روحه ونفسه قال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين، أنه لن تراك نفس فتحيا.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبوالشيخ عن مجاهد فى قوله: تبت إليك، قال من سؤالى إياك الرؤية، وأنا أول المؤمنين، قال: أول قومى إيماناً.

وأخرج عبدبن حميد وأبوالشيخ عن أبى العالية فى قوله: وأنا أول المؤمنين، قال: قد كان إذن قبله مؤمنون، ولكن يقول أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة.

وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس قال: تلا رسول الله(ص)هذه الآية، رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ، قال قال الله عز وجل: يا موسى إنه لا يرانى حى إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولا رطب إلا تفرق، وإنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم.

عبد بن حميد عن مجاهد قال: لَنْ تَرَانِي وَ لَكِنِ انْظُرْ إلى الْجَبَلِ، فإنه أكبر منك وأشد خلقاً قال، فلما تجلى ربه للجبل فنظر إلى الجبل لا يتمالك، وأقبل الجبل يندك على أوله، فلما رأى موسى ما يصنع الجبل، خر موسى صعقا.

وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة قال قال رسول الله(ص)لما أوحى الله إلى موسى بن عمران أنى مكلمك على جبل طور سينا، صار من مقام موسى إلى الجبل طور سينا أربع فراسخ فى أربع فراسخ رعد وبرق وصواعق فكانت ليلة قر، فجاء موسى حتى وقف بين يدى صخرة جبل طور سينا فإذا هو بشجرة خضراء الماء يقطر منها وتكاد النار تلفح من جوفها، فوقف موسى متعجباً فنودى من جوف الشجرةياميشا فوقف موسى مستمعاً للصوت، فقال موسى من هذا الصوت العبرانى يكلمنى؟ فقال الله له: يا موسى إنى لست بعبرانى إنى أنا الله رب العالمين، فكلم الله موسى فى ذلك المقام بسبعين لغة ليس منها لغة إلا وهى مخالفة للغة الأخرى، وكتب له التوراة فى ذلك المقام، فقال موسى: إلهى أرنى أنظر اليك، قال: يا موسى إنه لا يرانى أحد إلا مات، فقال موسى: إلهى أرنى أنظر إليك وأموت، فأجاب موسى جبل طور سينا: يا موسى بن عمران لقد سألت أمراً عظيماً لقد ارتعدت السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن، وزالت الجبال واضطربت البحار لعظم ما سألت يا ابن عمران، فقال موسى وأعاد الكلام: رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ، فقال: يا موسى انْظُرْ إلى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا، مقدار جمعة فلما أفاق موسى مسح التراب عن وجهه وهو يقول: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين، فكان موسى بعد مقامه لا يراه أحد إلا مات، واتخذ موسى على وجهه البرقع فجعل يكلم الناس بقفاه، فبينا موسى ذات يوم فى الصحراء فإذا هو بثلاثة نفر يحفرون قبراً حتى انتهوا إلى الضريح، فجاء موسى حتى أشرف عليهم فقال لهم لمن تحفرون هذا القبر، قالوا له لرجل كأنه أنت أو مثلك وفى طولك أو نحوك، فلو نزلت فقدرنا عليك هذا الضريح فنزل موسى فتمدد فى الضريح فأمر الله الأرض فانطبقت عليه! انتهى.

وهذه واحدة من تهم اليهود لنبيهم موسى على نبينا وآله و عليه السلام، وهو يدل على أن وجوده كان ثقيلاً عليهم، حتى زعموا أن الله تعالى أراحهم منه بهذه الطريقة!!

تفسيرهم الذى فيه تجسيم

مسند أحمد:۳/۱۲۵:

عن ثابت عن أنس بن مالك عن النبى(ص)فى قوله تعالى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، قال قال: هكذا، يعنى أنه أخرج طرف الخنصر! قال أبى أرانا معاذ، قال فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد! قال فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد وما أنت يا حميد! يحدثنى به أنس بن مالك عن النبى(ص)فتقول أنت: ما تريد إليه!

مسند أحمد:۳/۲۰۹:

عن ثابت عن أنس بن مالك عن النبى(ص)فى قوله عز وجل: فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، قال: فأومأ بخنصره، قال فساخ.

میزان الاعتدال:۱/۵۹۳:

عن ثابت عن أنس أن النبی(ص)قرأ: فلما تجلی ربه للجبل. قال: أخرج طرف خنصره وضرب علی إبهامه، فساخ الجبل. فقال حمید الطویل لثابت: تحدث بمثل هذا قال: فضرب فی صدر حمید وقال: یقوله أنس، ویقوله رسول الله(ص)وأکتمه أنا! رواه جماعة عن حماد، وصححه الترمذی.

مستدرک الحاکم:۱/۲۵:

... عن ثابت عن أنس (رض) أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال فی هذه الآیة فلما تجلی ربه للجبل جعله: بدا منه قدر هذا... عن ثابت عن أنس (رض)قال قرأ رسول الله صلی الله علیه وآله: قَالَ رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ، قال فأخرج من النور مثل هذا وأشار بیده إلی نصف أنملة الخنصر فضرب بها صدر حماد، قال فساخ الجبل. هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم ولم یخرجاه.

مستدرک الحاکم:۲/۳۲۰:

عن ثابت عنه (أنس) عن النبی صلی الله علیه وآله فی قوله عز وجل: فَلَمَّا تَجَلَّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا، قال حماد: هکذا ووضع الأبهام علی مفصل الخنصر الأیمن، قال فقال حمید لثابت: تحدث بمثل هذا! قال فضرب ثابت صدر حمید ضربة بیده وقال: رسول الله صلی الله علیه وآله یحدث به وأنا لا أحدث به، هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم.

مستدرک الحاکم:۲/۵۷۶:

عن عکرمة عن ابن عباس رضی الله عنهما أن موسی بن عمران لما کلمه ربه أحب أن ینظر إلیه فقال: رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ، قَالَ لَنْ تَرَانِی وَ لَکِنِ انْظُرْ إلی الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَکَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِی، فحف حول الجبل الملائکة وحف حول الملائکة بنار، وحف حول النار بملائکة وحف حول الملائکة بنار، ثم تجلی ربک للجبل، ثم تجلی منه مثل الخنصر فجعل الجبل دکاً وخر موسی صعقاً ما شاء الله، ثم إنه أفاق فقال: سبحانک تبت إلیک وأنا أول المؤمنین، یعنی أول من آمن من بنی إسرائیل. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه.

عن أنس (رض) أن رسول الله صلی الله علیه وآله تلا هذه الآیة: فَلَمَّا تَجَلَّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا، أشار حماد ووضع إبهامه علی مفصل الخنصر، قال فساخ الجبل. هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم ولم یخرجاه.

بقیة روایات السیوطی فی الدر المنثور:۳/۱۱۸-۱۲۳:

وأخرج أحمد وعبد بن حمید والترمذی وصححه، وابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم وابن عدی فی الکامل وأبو الشیخ والحاکم وصححه، وابن مردویه والبیهقی فی کتاب الرؤیة من طرق عن أنس بن مالک أن النبی (ص)قرأ هذه الآیة: فَلَمَّا تَجَلَّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا، قال هکذا وأشار بإصبعیه ووضع طرف إبهامه علی أنملة الخنصر، وفی لفظ علی المفصل الأعلی من الخنصر، فساخ الجبل وخر موسی صعقا. وفی لفظ فساخ الجبل فی الأرض فهو یهوی فیها إلی یوم القیامة.

وأخرج ابن جریر وابن أبی حاتم وأبو الشیخ والبیهقی فی الرؤیة عن ابن عباس: فَلَمَّا تَجَلَّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، قال: ما تجلی منه إلا قدر الخنصر، جعله دکاً، قال تراباً وخر موسی صعقاً، قال مغشیاً علیه.

وأخرج الطبرانی فی الأوسط عن ابن عباس أن رسول الله(ص)قال: لما تجلی الله لموسی تطایر سبعة أجبال، ففی الحجاز منها خمسة وفی الیمن اثنان، فی الحجاز أحد وثبیر وحراء وثور وورقان، وفی الیمن حصور وصیر.

وأخرج ابن مردویه عن ابن عمر قال قال رسول الله(ص)فی قوله: فَلَمَّا تَجَلَّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَکًّا، قال: أخرج خنصره!

من هو قیس بن ثابت راوی حدیث خنصر الله تعالی

الظاهر أن عمدة السند عند إخواننا فی الحدیث المرفوع إلی النبی صلی الله علیه وآله، هو ثابت بن قیس غلام بنی أمیة، ولذلک

نعرض شيئاً من ترجمته من مصادر الجرح والتعديل، ونلاحظ أن حميداً الطويل الذى هو غلام كابلى من منطقة ثابت قد استنكر على ثابت أن يروى هذا الحديث الذى فيه تجسيم، وأن الذهبى على عادته فى مدح المجسمين وصف ثابتاً بالصادق، مع أن عدداً من العلماء جرحوه أو وصفوه بالوهم والخلط، قال ابن حبان فى كتاب المجروحين:١/٢٠٦:

ثابت بن قيس أبو الغصن من أهل المدينة مولى عثمان بن عفان، روى عنه ابن مهدى وابن أبى أويس، وكان قليل الحديث كثير الوهم فيما يرويه، لا يحتج بخبره إذا لم يتابعه غيره عليه، سمعت الحنبلى يقول: سمعت أحمد بن زهير يقول: سئل يحيى بن معين عن ثابت بن قيس أبى الغصن فقال: ضعيف.

وقال ابن حجر فى تهذيب التهذيب:٢/١٣:

٢٠ ـ ى د س. البخارى فى جزء رفع اليدين وأبى داود والنسائى. ثابت بن قيس الغفارى مولاهم أبوالغصن المدنى. رأى أبا سعيد الخدرى وروى عن أنس ونافع بن جبير بن مطعم وسعيد المقبرى وأبيه أبى سعيد وخارجة بن زيد بن ثابت وجماعة.

وعنه، ابن مهدى، وزيد بن الحباب، وإسماعيل ابن أبى أويس، والقعنبى، وخالد بن مخلد، وغيرهم....

قال أبوطالب عن أحمد: ثقة، وقال عباس عن ابن معين: ليس به بأس، وقال فى موضع آخر حديثه ليس بذاك وهو صالح، وقال النسائى: ليس به بأس.

وقال ابن سعد مات سنة (١٦٨) وهو يومئذ ابن مائة سنة وكان قديماً قد رأى الناس وروى عنهم، وهو شيخ قليل الحديث.

وقال ابن أبى عدى هو ممن يكتب حديثه.

قلت: وقال الآجرى عن أبى داود: ليس حديثه بذاك، وقال مسعود الشحرى عن الحاكم: ليس بحافظ ولا ضابط. وقال ابن حبان فى الضعفاء: كان قليل الحديث كثير الوهم فيما يرويه لا يحتج بخبره إذا لم يتابعه عليه غيره. وأعاده فى الثقات.

وترجم له الذهبى فى ميزان الإعتدال ج١ ص٣٦٦ وقال فى سير أعلام النبلاء: ٧/٢٥

أبوالغصن، هو الشيخ العالم الصادق المعمر بقية المشيخة أبوالغصن ثابت بن قيس الغفارى، مولاهم المدنى: عداده فى صغار التابعين. يروى عن: أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، ونافع بن جبير....

قال يحيى بن معين والنسائى: ليس به بأس. وقال ابن معين أيضاً فى رواية عباس: هو صالح، ليس حديثه بذاك، وروى أحمد بن أبى خيثمة عن يحيى: ضعيف. قال ابن حبان: هو من موالى عثمان بن عفان. وكان قليل الحديث، كثير الوهم فيما يروى، لا يحتج بخبره إذا لم يتابعه غيره عليه. وقال ابن عدى: يكتب حديثه. انتهى.

ومن الملاحظ فى كتب الجرح والتعديل وعموم مصادر اخواننا أن أسهم رواة أحاديث التشبيه والتجسيم ارتفعت مع العصور، حتى بلغت أوجها على يد المجسمين من أمثال الذهبى، وأن الوهابيين أهتموا بتعظيمهم ونشر كتبهم فى أنحاء العالم الإسلامى!!

تفسير قوله تعالى: يوم يكشف عن ساق

قال تعالى: أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إنْ كَانُوا صَادِقِينَ. يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ. فَذَرْنِى وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِى لَهُمْ إنَّ كَيْدِى مَتِينٌ. القلم: ٣٩ ـ ٤٥.

وقد تقدم قسم من تفسير إخوانالهذه الآية تحت عنوان (بازار الأحاديث والآراء فى الرؤية)

فسرها أهل البيت بكشف حجاب الآخرة و أهواله

تفسير نور الثقلين:٥/٣٩٥:

فی عیون الأخبار فی باب ما جاء عن الرضا علیه السلام من الأخبار فی التوحید بإسناده إلی الحسن بن سعید عن أبی الحسن علیه السلام فی قوله: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَیُدْعَوْنَ إلی السُّجُودِ، قال: حجاب من نور یکشف، فیقع المؤمنون سجداً، وتدمج أصلاب المنافقین فلا یستطیعون السجود.

فی مجمع البیان: وروی عن أبی جعفر وأبی عبد الله (علیهما السلام) أنهما قالا فی هذه الآیة: أفحم القوم ودخلتهم الهیبة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من الندامة والخزی والذلة، وقد کانوا یدعون إلی السجود وهم سالمون، أی لا یستطیعون الأخذ بما أمروا والترک لما نهوا عنه، ولذلک ابتلوا.

فی کتاب التوحید بإسناده إلی حمزة بن محمد الطیار قال: سألت أبا عبدالله علیه السلام عن قول الله عز وجل: وَقَدْ کَانُوا یُدْعَوْنَ إلی السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ.، قال: مستطیعون یستطیعون الأخذ بما أمروا به والترک لما نهوا عنه، وبذلک ابتلوا. ثم قال: لیس شئ مما أمروا به ونهوا إلا ومن الله عز وجل فیه ابتلاء وقضاء.

تفسیر التبیان:۱۰/۸۶:

وقوله یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قال الزجاج: هو متعلق بقوله: فلیأتوا بشرکائهم... وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وسعید بن جبیر وقتادة والضحاک معناه: یوم یبدو عن الأمر الشدید کالقطیع من هول یوم القیامة. والساق ساق الإنسان وساق الشجرة لما یقوم علیه بدنها، وکل نبت له ساق فهو شجر، قال الشاعر:

للفتی عقل یعیش به حیث یهدی سَاقَهُ قَدَمُهْ

فالمعنی یوم یشتد الأمر کما یشتد ما یحتاج فیه إلی أن یقوم علی ساق، وقد کثر فی کلام العرب حتی صار کالمثل فیقولون: قامت الحرب علی ساق وکشفت عن ساق، قال زهیر بن جذیمة:

فإذا شَمَّرَتْ لک عن ساقها فَوَیْهاً ربیعُ ولا تسأمِ

وقال جد أبی طرفة:

کشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح

وقال آخر:

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدَّت الحرب بکم فجدو

والقوس فیها وترٌ غِرَدُّ

وقوله: ویدعون إلی السجود، قیل: معناه إنه یقال لهم علی وجه التوبیخ: اسجدوا فلا یستطیعون، وقیل: معناه إن شدة الأمر وصعوبة الحال تدعوهم إلی السجود، وإن کانوا لا ینتفعون به.

تفسیر إخواننا الموافق لمذهبنا

مستدرک الحاکم:۲/۴۹۹:

عن عکرمة عن ابن عباس رضی الله عنهم أنه سئل عن قوله عز وجل: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قال: إذا خفی علیکم شئ من القرآن فابتغوه فی الشعر فإنه دیوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر. إصبر عناق إنه شر باق....

وقد روی الحاکم وغیره عدة أحادیث فیها (یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ) بدون نسبة الساق إلی الله تعالی، کما فی: ۲/۳۷۶ وج ۴/۵۵۱ وقال عنه: حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه. ورواه فی: ۴/۵۸۲ ونحوه فی مسلم فی:۱/۱۱۵ وج ۸/۲۰۲.

مجمع الزوائد:۷/۱۲۸:

قوله تعالی: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، عن أبی موسی عن النبی (ص): یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قال عن نور عظیم یخرون له سجداً. رواه أبو یعلی وفیه روح بن جناح وثقه دحیم وقال فیه لیس بالقوی، وبقیة رجاله ثقات.

وقال فی مجمع الزوائد:۶/۳۰۳، ونحوه فی:۹/۲۷۷:

وعن الضحاک بن مزاحم الهلالی قال: خرج نافع بن الأزرق ونجدة بن عویمر فی نفر من رؤوس الخوارج ینقرون عن العلم ویطلبونه، حتی قدموا مکة فإذا هم بعبدالله بن عباس قاعداً قریباً من زمزم وعلیه رداء له أحمر وقمیص، فإذا أناس قیام یسألونه عن التفسیر یقولون یا أبا عباس ما تقول فی کذا وکذا، فیقول هو کذا وکذا، فقال له نافع به الازرق: ما أجراک یا ابن عباس علی ما تخبر به منذ الیوم!

فقال له ابن عباس: ثکلتک أمک یا نافع وعدمتک! ألا أخبرک من هو أجرأ منی؟

قال: من هو یا ابن عباس؟

قال: رجل تکلم بما لیس له به علم، أو کتم علماً عنده.

قال صدقت یا ابن عباس، أتیتک لاسألک.

قال: هات یا ابن الأزرق فسل.

قال: فأخبرنی عن قول الله عز وجل (یُرْسَلُ عَلَیْکُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ) ما الشواظ؟

قال: اللهب الذی لا دخان فیه.

قال: وهل کانت العرب تعرف ذلک قبل أن ینزل الکتاب علی محمد(ص)؟

قال: نعم، أما سمعت قول أمیة بن أبی الصلت:

ألا من مبلغ حسان عنی مغلغلةً تـدبُّ إلی عُکـاظِ

ألیس أبوک قیناً کان فینا إلی الفتیات فَسْلًا فی الحفاظ

یمانیاً یظل یشب کیراً وینفخ دائباً لهب الشواظ

قال: صدقت فأخبرنی عن قوله: ونحاس فلا تنتصران، ما النحاس؟

قال: الدخان الذی لا لهب فیه.

قال: وهل کانت العرب تعرف ذلک قبل أن ینزل الکتاب علی محمد(ص).

قال: نعم، قال أما سمعت نابغة بنی ذبیان یقول:

یضی کضوء سراج السلیط لم یجعل الله فیه نحاس

یعنی دخانا.

قال: صدقت فأخبرنی عن قول الله: أمشاج نبتلیه؟

قال: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا فی الرحم کانا مشجاً.

قال: وهل کانت العرب تعرف ذلک قبل أن ینزل الکتاب علی محمد(ص)؟

قال: نعم أما سمعت قول أبی ذؤیب الهذلی وهو یقول:

کأن النصل والفوقین فیه خلاف الریش سیط به مشیج

قال: صدقت، فأخبرنی عن قول الله عز وجل: وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ.، ما الساق بالساق؟

قال: الحرب.

قال: هل کانت العرب تعرف ذلک قبل أن ینزل الکتاب علی محمد(ص)؟

قال: نعم أما سمعت قول أبی ذؤیب:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضه

وإن شمرت عن ساقها الحرب شمر

الدر المنثور:۶/۲۵۴:

وأخرج الفریابی وسعید بن منصور وابن منده والبیهقی فی الأسماء والصفات من طریق إبراهیم النخعی فی قوله: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قال قال ابن عباس: یکشف عن أمر عظیم، ثم قال: قد قامت الحرب علی ساق.

وأخرج عبد بن حمید وابن المنذر وابن أبی حاتم والحاکم وصححه والبیهقی فی الأسماء والصفات من طریق عکرمة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قال: إذا خفی علیکم شئ من القرآن فابتغوه فی الشعر فإنه دیوان العرب... وقامت الحرب بنا علی ساق، قال ابن عباس: هذا یوم کرب وشدة.

وأخرج الطستی فی مسائله عن ابن عباس أن نافع بن الازرق سأله عن قوله: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ....

وأخرج ابن أبی حاتم والبیهقی فی الأسماء والصفات عن ابن عباس....

وأخرج ابن منده عن ابن عباس....

وأخرج الفریابی وعبد بن حمید وابن المنذر وابن مندة عن مجاهد فی قوله: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ....

وأخرج البیهقی فی الأسماء والصفات عن ابن عباس أنه قرأ: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قال: یرید القیامة والساعة لشدتها.

وأخرج البیهقی عن ابن عباس فی قوله: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، قال: حین یکشف الأمر وتبدو الأعمال، وکشفه دخول الآخرة وکشف الأمر عنه.

وأخرج سعید بن منصور وعبد بن حمید وابن منده من طریق عمرو ابن دینار قال کان ابن عباس یقرأ یوم تکشف عن ساق بفتح التاء، قال أبو حاتم السجستانی: أی تکشف الآخرة عن ساقها یستبین منها ما کان غائباً.

وأخرج عبد بن حمید عن عاصم أنه قرأ: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، بالیاء ورفع الیاء.

وأخرج عبد بن حمید وابن المنذر والبیهقی فی الأسماء والصفات عن عکرمة أنه سئل عن قوله: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ....

وأخرج عبد بن حمید وابن المنذر عن سعید بن جبیر أنه سئل عن قوله: یَوْمَ یُکْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فغضب غضباً شدیداً وقال: إن أقواماً یزعمون أن الله یکشف عن ساقه، وإنما یکشف عن الأمر الشدید. انتهی. ورواه أیضاً عن مجاهد والنخعی. ورواه فی:۶/۲۹۲ عن قتادة.

الأحادیث القدسیة للمجلس الاعلی المصری:۱/۹۸:

قوله: فیکشف عن ساق، فسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة الساق هنا بالشدة، أی یکشف عن الشدة. انتهی.

وقد تقدمت روایاتهم التی فیها تجسیم، فی الفصل الثالث فی بازار الأحادیث، وهی کثیرة. وقد تبنی علماء الوهابیة تفسیرها بساق الله تعالی عما یصفون!

تفسیر آیات الإستواء علی العرش

قال الله تعالی: إِنَّ رَبَّکُمُ اللهُ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهَارَ یَطْلُبُهُ حَثِیثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَکَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِینَ. الأعراف: ۵۴.

إِنَّ رَبَّکُمُ اللهُ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ یُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِیعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِکُمُ اللهُ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَکَّرُونَ. یونس ـ ۳.

اللهُ الَّذِی رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لأَجَلٍ مُسَمًّی یُدَبِّرُ الأَمْرَ یُفَصِّلُ الأیَاتِ لَعَلَّکُمْ بِلِقَاءِ رَبِّکُمْ تُوقِنُونَ. الرعد: ۲.

طَه مَا أَنْزَلْنَا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَی. إِلا تَذْکِرَةً لِمَنْ یَخْشَی. تَنْزِیلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَی. الرَّحْمَنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوَی. لَهُ مَا فِی السَّمَوَاتِ وَ مَا فِی الأَرْضِ وَمَا بَیْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَی. طه: ۱ ـ ۶.

الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَیْنَهُمَا فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِیرًا. الفرقان: ۵۹.
اللهُ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَیْنَهُمَا فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ مَا لَکُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِیٍّ وَ لا شَفِیعٍ أَفَلا تَتَذَکَّرُونَ. السجدهٔ: ۴.
هُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ یَعْلَمُ مَا یَلِجُ فِی الأَرْضِ وَمَا یَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا یَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا یَعْرُجُ فِیهَا وَهُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ مَا کُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ. لَهُ مُلْکُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَی اللهِ تُرْجَعُ الأمور. الحدید: ۴ ـ ۵.
وقد تقدم قسم من تفسیر إخواننا للإستواء علی العرش تحت عنوان (بازار الأحادیث والآراء فی الرؤیهٔ).

تفسیر أهل البیت

الاستواء علی العرش: استواء نسبهٔ الله إلی العالم

روی الکلینی فی الکافی:۱/۱۲۷:

علی بن محمد، ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زیاد، عن الحسن بن موسی الخشاب عن بعض رجاله، عن أبی عبدالله علیه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: الرَّحْمَنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوَی، فقال استوی علی کل شئ، فلیس شئ أقرب إلیه من شئ.

وعنه، عن محمد بن یحیی، عن محمد بن الحسین، عن صفوان بن یحیی، عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبدالله علیه السلام عن قول الله تعالی: الرَّحْمَنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوَی.، فقال: استوی فی کل شئ فلیس شئ أقرب إلیه من شئ، لم یبعد منه بعید، ولم یقرب منه قریب، استوی فی کل شئ.

وعنه، عن محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد بن عیسی، عن الحسین بن سعید عن النضر بن سوید، عن عاصم بن حمید، عن أبی بصیر، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: من زعم أن الله من شئ، أو فی شئ، أو علی شئ، فقد کفر، قلت: فسر لی، قال: أعنی بالحوایهٔ من الشئ له أو بإمساک له أو من شئ سبقه.

وفی روایهٔ أخری: من زعم أن الله من شئ فقد جعله محدثاً، ومن زعم أنه فی شئ فقد جعله محصوراً، ومن زعم أنه علی شئ فقد جعله محمولاً.

وروی فی الکافی:۱/۱۲۸:

عدهٔ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد البرقی رفعه، قال: سأل الجاثلیق أمیر المؤمنین علیه السلام فقال: أخبرنی عن الله عز وجل یحمل العرش أو العرش یحمله فقال أمیر المؤمنین علیه السلام: الله عز وجل حامل العرش والسماوات والأرض وما فیهما وما بینهما، وذلک قول الله إِنَّ اللهَ یُمْسِکُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَکَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ کَانَ حَلِیمًا غَفُورًا.

قال: فأخبرنی عن قوله: ویحمل عرش ربک فوقهم یومئذ ثمانیهٔ، فکیف قال ذلک وقلت إنه یحمل العرش والسماوات والأرض؟

فقال أمیر المؤمنین علیه السلام: إن العرش خلقه الله تعالی من أنوار أربعهٔ: نور أحمر، منه احمرت الحمرهٔ، ونور أخضر منه اخضرت الخضرهٔ، ونور أصفر منه اصفرت الصفرهٔ، ونور أبیض منه ابیض البیاض، وهو العلم الذی حمله الله الحملهٔ وذلک نور من عظمته، فبعظمته ونوره أبصرت قلوب المؤمنین، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغی من فی السماوات والأرض من جمیع خلائقه إلیه الوسیلهٔ، بالأعمال المختلفهٔ والأدیان المشتبههٔ، فکل محمول یحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا یستطیع لنفسه ضراً ولا نفعاً ولاـ موتاً ولا حیاهٔ ولا نشورا، فکل شئ محمول، والله تبارک وتعالی الممسک لهما أن تزولا، والمحیط بهما من شئ وحیاهٔ کل شئ ونور کل شئ، سبحانه وتعالی عما یقولون علواً کبیراً.

قال له: فأخبرنی عن الله عز وجل أین هو؟

فقال أمیر المؤمنین علیه السلام: هو هاهنا وهاهنا وفوق وتحت ومحیط بنا ومعنا وهو قوله: ما یکون من نجوی ثلاثهٔ إلا هو رابعهم ولا

خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، فالكرسى محيط بالسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى، وذلك قوله تعالى: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه، وليس يخرج عن هذه الأربعة شئ خلق الله فى ملكوته الذى أراه الله أصفياءه وأراه خليله عليه السلام فقال: وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ، وكيف يحمل حملة العرش الله، وبحياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلى معرفته!

التوحيد للصدوق ـ الهامش ص ۲۴۷ من حديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

قال السائل: فله كيفية؟

قال: لا، لأن الكيفية جهة الصفة والإحاطة، ولكن لابد من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه، لأن من نفاه أنكره ورفع ربوبيته وأبطله، ومن شبهه بغيره فقد أثبته بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون الربوبية، ولكن لابد من إثبات ذات بلا كيفية لا يستحقها غيره، ولا يشارك فيها، ولا يحاط بها، ولا يعلمها غيره.

قال السائل: فيعانى الأشياء بنفسه؟

قال أبو عبد الله عليه السلام: هو أجل من أن يعانى الأشياء بمباشرة ومعالجة، لأن ذلك صفة المخلوق الذى لا تجى الأشياء له إلا بالمباشرة والمعالجة، وهو تعالى نافذ الإرادة والمشية، فعال لما يشاء.

قال السائل: فله رضى وسخط؟

قال أبو عبدالله عليه السلام: نعم، وليس ذلك على ما يوجد فى المخلوقين، وذلك أن الرضا والسخط دَخَالٌ يدخل عليه فينقله من حال إلى حال، وذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين، وهو تبارك وتعالى العزيز الرحيم لا حاجة به إلى شئ مما خلق، وخلقه جميعاً محتاجون إليه، وإنما خلق الأشياء من غير حاجة ولا سبب، اختراعاً وابتداعاً.

قال السائل فقوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى؟

قال أبو عبد الله عليه السلام: بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملاً له ولا أن يكون العرش حاوياً له، ولا ـ أن العرش محتاز له، ولكنا نقول: هو حامل العرش وممسك العرش، ونقول من ذلك ما قال: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فثبتنا من العرش والكرسى ما ثبته، ونفينا أن يكون العرش والكرسى حاوياً له، أو يكون عز وجل محتاجاً إلى مكان، أو إلى شئ مما خلق، بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟

قال أبو عبد الله عليه السلام: ذلك فى علمه وإحاطته وقدرته سواء، ولكنه عز وجل أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش، لأنه جعله معدن الرزق، فثبتنا ما ثبته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله حين قال: إرفعوا أيديكم إلى الله عز وجل، وهذا يجمع عليه فرق الأمة كلها.

التوحيد للصدوق – الهامش – ص ۳۱۵:

روى الحديثين المتقدمين فى الكافى ثم قال:

استعمل الإستواء فى معان: استقرار شئ على شئ، وهذا ممتنع عليه تعالى كما نفاه الإمام عليه السلام فى أخبار من هذا الباب، لأنه من خواص الجسم. والعناية إلى الشئ ليعمل فيه، وعليه فسر فى بعض الأقوال قوله تعالى: ثم استوى إلى السماء. والإستيلاء على الشئ، كقول الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لِنِسْرٍ وكاسرِ

والآية التى نحن فيها فسرت به فى بعض الأقوال، وفى الحديث الأول من الباب الخمسين.

والإستقامة، وفسر بها قوله تعالى: فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ، وهذا قريب من المعنى الأول. والإعتدال فى شئ وبه، فسر قوله تعالى: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى. والمساواة فى النسبة، وهى نفيت فى الآيات عن أشياء كثيرة كقوله تعالى: وَمَا يَسْتَوِى الأَحْيَاءُ وَلا الأَمْوَاتُ. وفسر الإمام عليه السلام الآية بها فى هذا الباب، وظاهره مساواة النسبة من حيث المكان، لأنه تعالى فى كل مكان وليس فى شئ من المكان بمحدود، ولكنه تعالى تساوت نسبته إلى الجميع من جميع الحيثيات، وإنما الإختلاف من قبل حدود الممكنات، ولا تبعد الروايات من حيث الظهور عن هذا المعنى.

حدثنا أبوالحسين محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسى قال: حدثنا أحمد بن محمد أبو سعيد النسوى قال: حدثنا أبو نصر أحمد بن محمد بن عبد الله الصغدى بمرو قال: حدثنا محمد بن يعقوب بن الحكم العسكرى وأخوه معاذ بن يعقوب قالا: حدثنا محمد بن سنان الحنظلى قال: حدثنا عبدالله بن عاصم قال: حدثنا عبدالرحمن بن قيس، عن أبى هاشم الرمانى، عن زاذان، عن سلمان الفارسى فى حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها، ثم أرشد إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فسأله عنها فأجابه، وكان فيما سأله أن قال له: أخبرنى عن الرب أين هو وأين كان؟

فقال على عليه السلام: لا ـ يوصف الرب جل جلاله بمكان، هو كما كان، وكان كما هو، لم يكن فى مكان، ولم يزل من مكان إلى مكان، ولا أحاط به مكان، بل كان لم يزل بلا حد ولا كيف.

قال: صدقت، فأخبرنى عن الرب أفى الدنيا هو أو فى الآخرة؟

قال على عليه السلام: لم يزل ربنا قبل الدنيا، ولا يزال أبداً، هو مدبر الدنيا، وعالم بالآخرة، فأما أن تحيط به الدنيا والآخرة فلا، ولكن يعلم ما فى الدنيا والآخرة.

قال: صدقت يرحمك الله، ثم قال: أخبرنى عن ربك أيحمل أو يحمل؟

فقال على عليه السلام: إن ربنا جل جلاله يحمل ولا يحمل.

قال النصرانى: فكيف ذاك ونحن نجد فى الإنجيل (كذا): ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية؟

فقال على عليه السلام: إن الملائكة تحمل العرش، وليس العرش كما تظن كهيئة السرير، ولكنه شئ محدود مخلوق مدبر، وربك عز وجل مالكه، لا أنه عليه ككون الشئ على الشى. وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه.

قال النصرانى: صدقت رحمك الله.. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، وقد أخرجته بتمامه فى آخر كتاب النبوة....

حدثنا محمد بن على ماجيلويه رحمه الله، عن عمه محمد بن أبى القاسم، عن أحمد ابن أبى عبدالله، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: من زعم أن الله عز وجل من شئ أو فى شئ أو على شئ فقد أشرك، ثم قال: من زعم أن الله من شئ فقد جعله محدثاً، ومن زعم أنه فى شئ فقد زعم أنه محصور، ومن زعم أنه على شئ فقد جعله محمولاً.

قال مصنف هذا الكتاب: إن المشبهة تتعلق بقوله عز وجل: إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا. ولا حجة لها فى ذلك لأنه عز وجل عنى بقوله: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، أى ثم نقل إلى فوق السماوات وهو مستول عليه ومالك له، وقوله عز وجل (ثم) إنما لرفع العرش إلى مكانه الذى هو فيه ونقله للإستواء، فلا يجوز أن يكون معنى قوله استوى استولى لأن استيلاء الله تبارك وتعالى على الملك وعلى الأشياء ليس هو بأمر حادث، بل لم يزل مالكاً لكل شئ ومستولياً على كل شئ، وإنما ذكر عز وجل الإستواء بعد قوله ثم وهو يعنى الرفع مجازاً، وهو كقوله: ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين، فذكر (نعلم) مع قوله (حتى) وهو عز وجل يعنى حتى يجاهد المجاهدون ونحن نعلم ذلك، لأن حتى لا يقع إلا على فعل حادث، وعلم الله عز وجل بالأشياء لا يكون حادثاً. وكذلك ذكر قوله عز وجل: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، بعد قوله (ثم)

وهو یعنی بـذلک ثم رفع العرش لإستیلائه علیه، ولم یعن بذلک الجلوس واعتدال البدن لأن الله لا یجوز أن یکون جسـماً ولا ذا بدن، تعالی الله عن ذلک علواً کبیرا.

الإقتصاد للشیخ الطوسی/۳۷:

وقوله: الرَّحْمَنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوَی، معناه استولی علیه لما خلقه، کما قال الشاعر:

قد استوی بشرٌ علی العراق من غیر سیف ودم مُهْرَاق

وقوله: لمـا خلقت بیـدی، معنـاه أنه تولی خلقه بنفسه، کمـا یقول القائـل هـذا مـا عملت یـداک، أی أنت فعلته. وقیل: معناه لما خلقت لنعمتی الدینیة والدنیویة وقوله: فی جنب الله معناه فی ذات الله وفی طاعته.

وقوله: والسماوات مطویات بیمینه، أی بقدرته، کما قال الشاعر:

إذا ما رایةٌ رفعت لمجد تلقاها عَرَابةُ بالیمین

وقوله: تجری بأعیننا، أی ونحن عالمون.

ولا یجوز أن یکون تعـالی بصـفة شـئ من الاعـراض، لأنه قـد ثبت حـدوث الأعراض أجمع، فلو کان بصـفة شـئ من الأعراض لکان محدثاً، وقد بینا قدمه. ولأنه لو کان بصـفة شئ من الاعراض لم یخل من أن یکون بصفة ما یحتاج إلی محل أو بصفة ما لا یحتاج إلی المحـل کـالغنی وإرادة القـدیم تعالی وکراهته، فإن کان بصـفة القسم الأول أدی إلی قـدم المحال وقـد بینا حـدوثها، ولو کان بصـفة القسم الثانی لاستحال وجوده وقتین کاستحالة ذلک علی هذه الأشیاء. وأیضاً لو کان بصفة الغنی لاستحال وجود الأجسام معه، وذلک باطل....

ولا یجوز أن یکون تعالی فی جهة من غیر أن یکون شاغلاً لها، لأنه لیس فی الفعل ما یدل علی أنه فی جهة لا بنفسه ولا بواسطة، وقد بینا أنه لا یجوز وصفه بما یدل علیه الفعل لا بنفسه ولا بواسطة.

ولا یجوز علیه تعـالی الحاجـة، لأن الحاجـة لا تجوز إلا علی من یجوز علیه المنافع والمضار، والمنافع والمضار لا یجوزان إلا علی من تجوز علیه الشهوة والنفار، وهما یستحیلان علیه تعالی. والذی یدل علی أنه یستحیل علیه الشهوة والنفار أنه لیس فی الفعل لا بنفسه ولا بواسطة ما یدل علی کونه مشتهیاً ونافراً، وقد بینا أنه لا یجوز إثباته علی صفة لا یقتضیها الفعل لا بنفسه ولا بواسطة.

وأیضاً فالشـهوة والنفار لا یجوزان إلا علی الأجسام، لأن الشـهوة تجوز علی من إذا أدرک المشـتهی صـلح علیه جسمه وإذا أدرک ما ینفر عنه فسد علیه جسـمه، وهما یقتضـیان کون من وجدا فیه جسـماً، وقد بینا أنه لیس بجسم، فیجب إذا نفی الشـهوة والنفار عنه. وإذا انتفیا عنه انتفت عنه المنافع والمضار، وإذا انتفیا عنه انتفت عنه الحاجة ووجب کونه غنیاً، لأن الغنی هو الحی الذی لیس بمحتاج.

تفسیر التبیان:۴/۳۴:

والإسـتواء علی أربعـة اقسـام: اسـتواء فی المقـدار، واسـتواء فی المکـان، واسـتواء فی الـذهاب، وإسـتواء فی الإنفاق. والإسـتواء بمعنی الإستیلاء راجع إلی الإستواء فی المکان، لأنه تمکن واقتدار.

تفسیر التبیان:۷/۱۵۹:

الرَّحْمَنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْـتَوَی، قیل فی معناه قولان: أحدهما، أنه اسـتولی علیه، وقد ذکرنا فیما مضـی شواهد ذلک. الثانی، قال الحسن: اسـتوی لطفه وتـدبیره وقد ذکرنا ذلک أیضاً فیما مضـی وأوردنا شواهده فی سورة البقرة، فأما الإسـتواء بمعنی الجلوس علی الشـئ فلا یجوز علیه تعالی، لأنه من صـفة الأجسام والأجسام کلها محدثة. ویقال: استوی فلان علی مال فلان وعلی جمیع ملکه أی احتوی علیه، قال الفراء: یقال کان الأمر فی بنی فلان ثم استوی فی بنی فلان، أی قصد إلیهم وأنشد:

أقول وقد قَطَعْنَ بنا شروری انی واستوِیْنَ من النُّجوعِ

أی خرجن وأقبلن.

کتاب العین:۷/۳۲۶:

والمساوة والاستواء واحد، فأما یسوی فإنها نادرة... ویقال: هما علی سویة من الأمر أی: علی سواء وتسویة واستواء.

مفردات الراغب/۲۵۱:

واستوی یقال علی وجهین، أحدهما: یسند إلیه فاعلان فصاعداً نحو استوی زید وعمرو فی کذا أی تساویا، وقال: لا یستوون عند الله. والثانی أن یقال لإعتدال الشئ فی ذاته نحو: ذو مرة فاستوی، وقال: فإذا استویت أنت. لتستووا علی ظهوره. فاستوی علی سوقه. واستوی فلان علی عمالته واستوی أمر فلان.

ومتی عدی بعلی اقتضی معنی الاستیلاء کقوله: الرَّحْمَنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوَی، وقیل معناه استوی له ما فی السموات وما فی الأرض، أی استقام الکل علی مراده بتسویة الله تعالی إیاه، کقوله: ثم استوی إلی السماء فسواهن. وقیل معناه استوی کل شئ فی النسبة إلیه فلا شئ أقرب إلیه من شئ، إذ کان تعالی لیس کالأجسام الحالة فی مکان دون مکان.

وإذا عدی بإلی اقتضی معنی الإنتهاء إلیه إما بالذات أو بالتدبیر، وعلی الثانی قوله: ثم استوی إلی السماء وهی دخان.

معنی العرش والکرسی عند أهل البیت

الکافی للکلینی: ۱/۱۳۰:

أحمد بن إدریس، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان بن یحیی قال: سألنی أبو قرة المحدث أن أدخله علی أبی الحسن الرضا علیه السلام فأستأذنته فأذن لی، فدخل فسأله عن الحلال والحرام ثم قال له: أفتقرُّ أن الله محمول؟ فقال أبو الحسن علیه السلام: کل محمول للمفعول مضاف، إلی غیره محتاج، والمحمول اسم نقص فی اللفظ والحامل فاعل وهو فی اللفظ مدحة، وکذلک قول القائل: فوق وتحت وأعلا وأسفل، وقد قال الله: وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَی فَادْعُوهُ بِهَا، ولم یقل فی کتبه إنه المحمول، بل قال: إنه الحامل فی البر والبحر والممسک السماوات والأرض أن تزولا، والمحمول ما سوی الله، ولم یسمع أحد آمن بالله وعظمته قط قال فی دعائه: یا محمول!

قال أبوقرة: فإنه قال: وَیَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّکَ فَوْقَهُمْ یَوْمَئِذٍ ثَمَانِیَةٌ، وقال: الَّذِینَ یَحْمِلُونَ الْعَرْشَ.

فقال أبو الحسن علیه السلام: العرش لیس هو الله والعرش اسم علم وقدرة، وعرش فیه کل شئ، ثم أضاف الحمل إلی غیره خلق من خلقه، لأنه استعبد خلقه بحمل عرشه، وهم حملة علمه، وخلقاً یسبحون حول عرشه وهم یعملون بعلمه، وملائکة یکتبون أعمال عباده، واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بیته، والله علی العرش استوی کما قال، والعرش ومن یحمله ومن حول العرش، الله الحامل لهم الحافظ لهم الممسک القائم علی کل نفس وفوق کل شئ وعلی کل شئ، ولا یقال محمول ولا أسفل، قولاً مفرداً لا یوصل بشئ فیفسد اللفظ والمعنی.

قال أبوقرة: فتکذب بالروایة التی جاءت أن الله إذا غضب إنما یعرف غضبه أن الملائکة الذین یحملون العرش یجدون ثقله علی کواهلهم فیخرون سجداً، فإذا ذهب الغضب خف ورجعوا إلی مواقفهم؟

فقال أبوالحسن علیه السلام: أخبرنی عن الله تبارک وتعالی منذ لعن إبلیس إلی یومک هذا هو غضبان علیه فمتی رضی، وهو فی صفتک لم یزل غضبان علیه وعلی أولیائه وعلی أتباعه! کیف تجتری أن تصف ربک بالتغیر من حال إلی حال وأنه یجری علیه ما یجری علی المخلوقین! سبحانه وتعالی لم یزل مع الزائلین ولم یتغیر مع المتغیرین ولم یتبدل مع المتبدلین، وَمَنْ دونَه یدُه وتدبیره، وکلهم إلیه محتاج وهو غنی عمن سواه!

محمد بن إسماعیل، عن الفضل بن شاذان، عن حماد بن عیسی، عن ربعی بن عبدالله، عن الفضیل بن یسار قال: سألت أبا عبدالله علیه السلام عن قول الله عز وجل: وَسِعَ کُرْسِیُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فقال: یا فضیل کل شئ فی الکرسی، السماوات والأرض وکل شئ فی

الكرسی.

محمد بن يحيی، عن أحمد بن عيسی، عن الحجال، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة بن أعين قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السماوات والأرض وسعن الكرسی أم الكرسی وسع السماوات والأرض؟ فقال: بل الكرسی وسع السماوات والأرض والعرش، وكل شئ وسع الكرسی.

محمد بن يحيی، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن عبدالله بن بكير، عن زرارة بن أعين قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السماوات والأرض وسعن الكرسی أو الكرسی وسع السماوات والأرض؟ فقال: إن كل شئ فی الكرسی.

التوحيد للصدوق/۱۰۸:

حدثنا الحسين بن أحمد بن إدريس رحمه الله، عن أبيه، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان بن يحيی، عن عاصم بن حميد، قال: ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية، فقال: الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسی، والكرسی جزء من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب.

التوحيد للصدوق/۳۱۹:

باب معنی قوله عز وجل: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ.

حدثنا علی بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن أبی عبد الله الكوفی، عن محمد بن إسماعيل البرمكی قال: حدثنا جذعان بن نصر أبونصر الكندی قال: حدثنی سهل بن زياد الادمی، عن الحسن بن محبوب، عن عبدالرحمن بن كثير عن داود الرقی قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله عز وجل: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، فقال لی: ما يقولون فی ذلك. قلت: يقولون إن العرش كان علی الماء والرب فوقه. فقال: كذبوا، من زعم هذا فقد صير الله محمولاً ووصفه بصفة المخلوقين، ولزمه أن الشئ الذی يحمله أقوی منه! قلت: بين لی جعلت فداك.فقال: إن الله عز وجل حمل علمه ودينه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر، فلما أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم: من ربكم فكان أول من نطق رسول الله صلی الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم، فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين، ثم قال للملائكة: هؤلاء حملة علمی ودينی وأمنائی فی خلقی وهم المسؤولون، ثم قيل لبنی آدم: أقروا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة، فقالوا: نعم ربنا أقررنا، فقال للملائكة: إشهدوا، فقالت الملائكة شهدنا علی أن لا يقولوا إنا كنا عن هذا غافلين، أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون. يا داود ولايتنا مؤكدة عليهم فی الميثاق.

حدثنا تميم بن عبدالله بن تميم القرشئ قال: حدثنا أبی، عن أحمد بن علی الأنصاری، عن أبی الصلت عبدالسلام بن صالح الهروی قال: سأل المأمون أبا الحسن علی بن موسی الرضا (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل: وَهُوَ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، فقال: إن الله تبارك وتعالی خلق العرش والماء والملائكةقبل خلق السموات والأرض، وكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش والماء علی الله عز وجل، ثم جعل عرشه علی الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فيعلموا أنه علی كل شئ قدير، ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السموات السبع، وخلق السموات والأرض فی ستة أيام، وهو مستول علی عرشه، وكان قادراً علی أن يخلقها فی طرفة عين، ولكنه عز وجل خلقها فی ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شئ، وتستدل بحدوث ما يحدث علی الله تعالی ذكره مرة بعد مرة، ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه، لأنه غنی عن العرش وعن جميع ما خلق، لا يوصف بالكون علی العرش لأنه ليس بجسم، تعالی الله عن صفة خلقه علواً كبيرا.

وأما قوله عز وجل: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً فإنه عز وجل خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته لا علی سبيل الإمتحان

والتجربة، لأنه لم یزل علیماً بکل شئ.

فقال المأمون: فرجت عنی یا أبا الحسن فرج الله عنک.

التوحید للصدوق/۳۲۱:

باب العرش وصفاته.

حدثنا علی بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبی عبدالله الکوفی، قال: حدثنا محمد بن إسماعیل البرمکی، قال: حدثنا الحسین بن الحسن قال: حدثنی أبی، عن حنان بن سدیر قال: سألت أبا عبدالله علیه السلام عن العرش والکرسی فقال: إن للعرش صفات کثیرة مختلفة، له فی کل سبب وضع فی القرآن صفة علی حدة. فقوله: رب العرش العظیم، یقول: الملک العظیم، وقوله: الرحمن علی العرش استوی، یقول: علی الملک احتوی، وهذا ملک لکیفوفیة الأشیاء.

ثم العرش فی الوصل متفرد من الکرسی، لأنهما بابان من أکبر أبواب الغیوب، وهما جمیعاً غیبان، وهما فی الغیب مقرونان، لأن الکرسی هو الباب الظاهر من الغیب الذی منه مطلع البدع ومنه الأشیاء کلها، والعرش هو الباب الباطن الذی یوجد فیه علم الکیف والکون والقدر والحد والاین والمشیة وصفة الإرادة، وعلم الألفاظ والحرکات والترک، وعلم العود والبدء، فهما فی العلم بابان مقرونان، لأن ملک العرش سوی ملک الکرسی وعلمه أغیب من علم الکرسی، فمن ذلک قال: رب العرش العظیم، أی صفته أعظم من صفة الکرسی، وهما فی ذلک مقرونان.

قلت: جعلت فداک فلم صار فی الفضل جار الکرسی؟

قال: إنه صار جاره لأن علم الکیفوفیة فیه، وفیه الظاهر من أبواب البداء وأینیتها وحد رتقها وفتقها، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه فی الصرف وبمثل صرف العلماء (کذا) ولیستدلوا علی صدق دعواهما لأنه یختص برحمته من یشاء وهو القوی العزیز.

فمن اختلاف صفات العرش أنه قال تبارک وتعالی: رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا یَصِفُونَ، وهو وصف عرش الوحدانیة لأن قوماً أشرکوا کما قلت لک، قال تبارک وتعالی: رَبِّ الْعَرْشِ، رب الواحدانیة عما یصفون. وقوماً وصفوه بیدین فقالوا: یَدُ الله مَغْلُولَةٌ. وقوماً وصفوه بالرجلین فقالوا: وضع رجله علی صخرة بیت المقدس فمنها ارتقی إلی السماء. وقوماً وصفوه بالانامل فقالوا: إن محمداً صلی الله علیه وآله قال: إنی وجدت برد أنامله علی قلبی!

فلمثل هذه الصفات قال: رب العرش عما یصفون، یقول رب المثل الأعلی عما به مثلوه، ولله المثل الأعلی الذی لا یشبهه شئ ولا یوصف ولا ـ یتوهم، فذلک المثل الأعلی، ووصف الذین لم یؤتوا من الله فوائد العلم فوصفوا ربهم بأدنی الأمثال وشبهوه بالمتشابه منهم فیما جهلوا به، فلذلک قال: وما أوتیتم من العلم إلا قلیلاً، فلیس له شبه ولا مثل ولا عدل، وله الأسماء الحسنی التی لا یسمی بها غیره، وهی التی وصفها فی الکتاب فقال: فادعوه بها وذروا الذین یلحدون فی أسمائه، جهلاً بغیر علم، فالذی یلحد فی أسمائه بغیر علم یشرک وهو لا یعلم، ویکفر به وهو یظن أنه یحسن، فلذلک قال: وما یومن أکثرهم بالله إلا وهم مشرکون، فهم الذین یلحدون فی أسمائه بغیر علم فیضعونها غیر مواضعها.

یا حنان إن الله تبارک وتعالی أمر أن یتخذ قوم أولیاء، فهم الذین أعطاهم الله الفضل وخصهم بما لم یخص به غیرهم، فأرسل محمداً صلی الله علیه وآله فکان الدلیل علی الله بإذن الله عز وجل، حتی مضی دلیلاً هادیاً، فقام من بعده وصیه علیه السلام دلیلاً هادیاً علی ما کان هو دل علیه من أمر ربه من ظاهر علمه، ثم الأئمة الراشدون (علیهم السلام).

التوحید للصدوق/۳۲۴:

باب أن العرش خلق أرباعاً.

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الولید رحمه الله قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن علی بن إسماعیل، عن حماد بن عیسی، عن إبراهیم بن عمر الیمانی، عن أبی الطفیل، عن أبی جعفر، عن علی بن الحسین (علیهم السلام) قال: إن الله عز وجل خلق

العرش أرباعاً، لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء: الهواء والقلم والنور، ثم خلقه من أنوار مختلفة: فمن ذلك النور نور أخضر اخضرت منه الخضرة، ونور أصفر اصفرت منه الصفرة، ونور أحمر احمرت منه الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار، ثم جعله سبعين ألف طبق، غلظ كل طبق كأول العرش إلى أسفل السافلين، ليس من ذلك طبق إلا يسبح بحمد ربه ويقدسه بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة، ولو أذن للسان منها فأسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون، ولخسف البحار ولأهلك ما دونه.

له ثمانية أركان على كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصى عددهم إلا الله عز وجل، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ولو أحس شئ مما فوقه ما قام لذلك طرفة عين. بينه وبين الإحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة ثم العلم، وليس وراء هذا مقال.

حدثنا أبى (رض) قال: حدثنا على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله عز وجل: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فقال: السماوات والأرض وما بينهما فى الكرسى، والعرش هو العلم الذى لا يقدر أحد قدره.

أخبار مكة للازرقى:۱/۵۰:

عن أبى الطفيل قال: شهدت علياً (رض) وهو يخطب وهو يقول: سلونى فوالله لا تسألونى عن شئ يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به. وسلونى عن كتاب الله فوالله ما منه آية إلا وأنا أعلم أنها بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم بجبل. فقام ابن الكواء وأنا بينه وبين على (رض)وهو خلفى قال: أفرأيت البيت المعمور ما هو قال: ذاك الضراح فوق سبع سموات، تحت العرش، يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة.

تفسير إخواننا الموافق لمذهبنا

تفسير البيضاوى:۳/۱۲:

ثم استوى على العرش: استوى أمره أو استولى، وعن أصحابنا أن الإستواء على العرش صفة لله بلا كيف، والمعنى: أن له تعالى استواء على العرض على الوجه الذى عناه، منزهاً عن الإستقرار والتمكن.

والعرش الجسم المحيط بسائر الأجسام، سمى به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك، فإن الأمور والتدابير تنزل منه، وقيل الملك.

سير أعلام النبلاء:۲۰/۸۷:

قال أبو موسى المدينى: سألت إسماعيل يوماً (إسماعيل بن محمد الحافظ): أليس قد روى عن ابن عباس فى قوله استوى، قعد قال: نعم. قلت له: إسحاق بن راهويه يقول: إنما يوصف بالقعود من يمل القيام. قال: لا أدرى أيش يقول إسحاق.

وسمعته يقول: أخطأ ابن خزيمة فى حديث الصورة، ولا يطعن عليه بذلك، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب.

قال أبوموسى: أشار بهذا إلى أنه قل إمام إلا وله زلة، فإذا ترك لاجل زلته، ترك كثير من الأئمة، وهذا لا ينبغى أن يفعل.

إرشاد السارى:۳/۲۴:

إضافة الظل إليه سبحانه وتعالى إضافة تشريف... والله تعالى منزه عن الظل لأنه من خواص الأجسام، فالمراد ظل عرشه، كما فى حديث سلمان.

إرشاد السارى:۱۰/۴۲۰:

قوله تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وتفسير العرش بالسرير والإستواء بالإستقرار كما يقول المشبه باطل، لأنه تعالى كان قبل العرش ولا مكان، وهو الآن كما كان، والتغير من صفات الأكوان.

الجواهر الحسان للثعالبى:۲/۱۷۹:

قوله سبحانه: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، إنه سبحانه مستوى على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده، استواء منزهاً عن

المماسة والإستقرار والتمكن والحلول والإنتقال.

نهاية الارب للنويرى:۱/۳۲:

روى أن أبا ذر قال يا رسول الله (ص) أى آية أنزلت عليك أعظم؟ قال: آية الكرسى، ثم قال: يا أبا ذر أتدرى ما الكرسى قلت لا، فقال ما السماوات والأرض فى الكرسى إلا كحلقة ألقاها ملق فى فلاة. ونحوه فى الجواهر الحسان للثعالبى:۱/۱۹۶ ونحوه فى فتح القدير للشوكانى:۱/۳۴۷.

لسان الميزان:۱/۷۸:

إبراهيم بن عبدالصمد، عن عبدالوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان، وعنه عبدالله بن داود الواسطى بهذا. أورده ابن عبد البر فى التمهيد وقال لا يصح، وعبد الله وعبدالوهاب ضعيفان، وإبراهيم مجهول لا يعرف.

حياة الحيوان للدميرى:۱/۳۸۲:

سئل إمام الحرمين: هل البارى تعالى فى جهة؟ فقال: هو متعال عن ذلك.

الفرق بين الفرق للنوبختى/۲۹۲:

وقد قال أمير المؤمنين على (رض): إن الله خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته. وقال أيضاً: قد كان ولا مكان، وهو الان على ما كان.

معالم السنن للخطابى:۴/۳۰۲:

قال الشيخ: هذا الكلام (أتدرى ما الله إن عرشه على سماواته وقال بأصابعه مثل القبة..) إذا جرى على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية، والكيفية عن الله وصفاته منفية.

تفسير المنار لرشيد رضا:۱۲/۱۶:

أما عرش الرحمن عز وجل فهو من عالم الغيب الذى لا ندركه بحواسنا، ولا نستطيع تصويره بأفكارنا، فأجدر بنا أن لا نعلم كنه استوائه عليه... إن بعض المتكلمين تكلفوا تفسير السموات السبع والكرسى والعرش العظيم، أو تأويلهن بالأفلاك التسعة عند فلاسفة اليونان المخالف للقرآن...

خزانة الادب للحموى:۱/۲۴۰:

قال الزمخشرى:... قوله تعالى: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى. الإستواء على معنيين، أحدهما الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود، لأن الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك.

وقد طعن المستشرق اليهودى جولد تسيهر فى تفسير الإستواء على العرش بغير القعود المادى، تأييداً لمذهبه فى التجسيم، فقال فى مذاهب التفسير الإسلامى/۱۶۹: وجاء ذكر كرسى الله سبحانه فى آية الكرسى... ويقول الزمخشرى فى ذلك: وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط. ولا كرسى ثمة ولا قعود ولا قاعد. انتهى. وقد كذب هذا اليهودى على الزمخشرى ليشنع عليه، لأنه خالف مذهبه فى التجسيم.

تفسيرهم الذى فيه تجسيم

قالوا إن الله جالس على كرسيه كما قال اليهود

تاريخ بغداد:۱/۲۹۵:

محمد بن أحمد بن خالد بن شيرزاذ.. أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب قال قرئ على أبى الحسين بن مظفر وأنا أسمع، حدثكم

أبوبكر محمد بن أحمد بن خالد القاضی، قال نا سعید بن محمد، قال نا سلم بن قتیبة، قال نا شعبة، عن أبی إسحاق، عن عبد الله بن خلیفة عن عمر بن الخطاب عن النبی(ص)فی قوله تعالی: عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوَی.، قال: حتی یسمع أطیط كأطیط الرحل. انتهی. ونحوه فی فردوس الأخبار:۱ ص ۲۲۰ وفتح القدیر:۱/۳۴۷.

مسند احمد:۱/۲۹۵:

عن أبی نضرة قال خطبنا ابن عباس علی هذا المنبر منبر البصرة قال: قال رسول الله (ص): إنه لم یكن نبی إلا له دعوة تنجزها فی الدنیا، وإنی اختبأت دعوتی شفاعة لأمتی، وأنا سید ولد آدم یوم القیامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وبیدی لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائی. قال: ویطول یوم القیامة علی الناس... قال ثم آتی باب الجنة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقرع الباب فیقال من أنت فأقول محمد فیفتح لی فأری ربی عز وجل وهو علی كرسیه أو سریره، فأخر له ساجداً وأحمده بمحامد لم یحمده بها أحد كان قبلی ولا یحمده بها أحد بعدی، فیقال: إرفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع.

قال فأرفع رأسی فأقول: أی رب أمتی أمتی، فیقال لی: أخرج من النار من كان فی قلبه مثقال كذا وكذا فأخرجهم، ثم أعود فأخر ساجداً وأحمده بمحامد لم یحمده بها أحد كان قبلی ولا یحمده بها أحد بعدی، فیقال لی: إرفع رأسك وقل یسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسی فأقول: أی رب أمتی أمتی، فیقال: أخرج من النار من كان فی قلبه مثقال كذا وكذا فأخرجهم، قال وقال فی الثالثة مثل هذا أیضاً! انتهی.

وهذه الروایة مضافاً إلی ما فیها من تجسیم فهی واحدة من روایات توسیع الشفاعة لتشمل جمیع الأمة بر وفاجرها وظالمها ومظلومها، وقاتلها ومقتولها بل لتشمل كل الكفار تقریباً كما ستری فی باب الشفاعة إن شاء الله تعالی. ولم یستثن إخواننا من هذه الشفاعة الموسعة المجانیة إلا أهل بیت النبی وشیعتهم!!

مجمع الزوائد:۱/۱۲۶:

وعن ثعلبة بن الحكم قال قال رسول الله (ص): یقول الله عز وجل للعلماء یوم القیامة إذا قعد علی كرسیه لفصل عباده: إنی لم أجعل علمی وحلمی فیكم، إلا وأنا أرید أن أغفر لكم علی ما كان فیكم ولا أبالی. رواه الطبرانی فی الكبیر ورجاله موثقون.

سیر أعلام النبلاء:۱۷/۶۵۶:

قال أبونصر السجزی فی كتاب الابانة: وأئمتنا كسفیان، ومالك، والحمادین وابن عیینة، والفضیل، وابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وإسحاق، متفقون علی أن الله سبحانه فوق العرش، وعلمه بكل مكان، وأنه ینزل إلی السماء الدنیا، وأنه یغضب ویرضی، ویتكلم بما شاء!

دلائل النبوة للبیهقی:۵/۴۸۱:

یأتی رسول الله(ص)یوم القیامة إلی الله وهو جالس علی كرسیه. انتهی.

وقد أوردنا فی الفصلین الثالث والخامس عدداً آخر من روایاتهم فی جلوس الله تعالی علی عرشه وأطیط العرش من ثقله بزعمهم، وأثبتنا أن أول من فتح القول بالتجسیم فی الإسلام هو كعب الأحبار والخلیفة عمر.

و تناقضت روایاتهم فی العرش والكرسی

فردوس الأخبار للدیلمی:۱/۲۱۹:

ابن عمر: إن الله عز وجل ملا عرشه، یفضل منه كما یدور العرش أربعة أصابع بأصابع الرحمن عز وجل.

تفسیر الطبری:۳/۸:

عن عبدالله بن خلیفة أتت امرأة النبی فقال أدع الله أن یدخلنی الجنة.. ثم قال (ص) إن كرسیه وسع السموات والأرض وإنه لیقعد علیه

فما يفضل منه مقدار أربع أصابع.

تفسير الطبرى:۳/۷:

عن الربيع: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، قال لما نزلت.. قال أصحاب النبى: يا رسول الله هذا الكرسى وسع السموات والأرض فكيف العرش؟ فأنزل الله تعالى وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ... عن أبى موسى: قال الكرسى موضع القدمين. وعن السدى: والكرسى بين يدى العرش وهو موضع قدميه.

فردوس الأخبار للديلمى:۵/۱۲۸:

ابن عباس: وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، كرسيه موضع قدمه، والعرش لا يقدر قدره. ونحوه فى تاريخ بغداد: ۹/۲۵۱ وفى تفسير الصنعانى:۲/۲۰۳ وفى فردوس الأخبار:۵/۱۲۸.

مجمع الزوائد:۱۰/۳۴۳:

وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله(ص)قال: إن الله يجمع الأمم يوم القيامة ثم ينزل من عرشه إلى كرسيه، وكرسيه وسع السموات والأرض.

سنن أبى داود:۲/۴۱۹:

قال ابن بشار فى حديثه: إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته. وساق الحديث.

إرشاد السارى للقسطلانى:۵/۲۴۹:

عن بعض السلف أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهه.

إرشاد السارى للقسطلانى:۷/۴۲:

قال قوم هو (أى الكرسى) جسم بين يدى العرش... وزعم بعض أهل الهيئة من الإسلاميين أن الكرسى هو الفلك الثامن... وهو الأطلس.

إرشاد السارى للقسطلانى:۷/۳۱۲:

قال ابن كثير: والعرش فوق العالم مما يلى رؤس الناس.

و قالوا عرش الله كرسى متحرك

مجمع الزوائد:۱۰/۱۵۴:

وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله (ص): ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول... فيكون كذلك حتى يصبح الصبح ثم يعلو عز وجل على كرسيه. رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط بنحوه... ويحيى بن إسحاق لم يسمع من عبادة ولم يرو عنه غير موسى بن عقبة، وبقية رجال الكبير رجال الصحيح.

فردوس الأخبار للديلمى:۵/۳۶۰:

عبادة بن الصامت: ينزل الله عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا فلا يزال كذلك حتى يصلى الصبح، ثم يعلو ربنا عز وجل على كرسيه.

فردوس الأخبار للديلمى:۵/۳۶۱:

ينزل ربنا عز وجل فى ظلل من الغمام والملائكة، ويضع عرشه حيث يشاء من الأرض.

و قالوا العرش غير الكرسى، و قالوا العرش هو الكرسى

فردوس الأخبار للديلمى:۵/۳۶۵:

ينزل الله عز وجل فى ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسى.

معالم التنزيل للبغوى:۱/۲۳۹:

أبو هريرة: الكرسى هو العرش.

وروى السيوطى فى:۱/۳۲۴:

وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال كان الحسن يقول الكرسى هو العرش... فقال رسول الله(ص)... وسع كرسيه السموات والأرض، فهى تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد. ورواه فى كنز العمال:۱۴/۶۳۶.

تفسير قوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا

أَقِمِ الصَّلَوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا. وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ۷۸-۷۹

و قالوا يجلس الله على عرشه و يجلس النبى إلى جانبه

روى الدارمى فى سننه:۲/۳۲۵:

عن ابن مسعود عن النبى(ص)قال قيل له ما المقام المحمود؟ قال: ذاك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه يئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به، وهو كسعة ما بين السماء والأرض، ويجاء بكم حفاة عراة غرلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم، يقول الله تعالى أكسوا خليلى، فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة، ثم أكسى على أثره ثم أقوم عن يمين الله مقاماً يغبطنى الأولون والاخرون. ورواه الحاكم فى المستدرك:۲/۳۶۴ والبغوى فى مصابيحه:۳/۵۵۲ والهندى فى كنز العمال:۱۴/۴۱۲ والسيوطى فى الدر المنثور:۳/۸۴.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۱/۳۴ وص ۳۲۸ وص ۳۲۴:

وأخرج ابن المنذر وأبوالشيخ عن ابن مسعود قال قال رجل يا رسول الله ما المقام المحمود؟ قال: ذلك يوم ينزل الله على كرسيه يئط منه كما يئط الرحل الجديد من تضايقه، وهو كسعة ما بين السماء والأرض. ورواه فى كنز العمال:۱۴/۶۳۶.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۴/۱۹۸:

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا، قال: يجلسه بينه وبين جبريل عليه السلام ويشفع لامته، فذلك المقام المحمود.

وروى البيهقى فى دلائل النبوة:۵/۴۸۱:

يأتى رسول الله (ص) يوم القيامة إلى الله وهو جالس على كرسيه.

دلائل النبوة للبيهقى:۵/۴۸۶:

عن عبد الله بن سلام:.. وينجو النبى (ص) والصالحون معه وتتلقاهم الملائكة يرونهم منازلهم.. حتى ينتهى إلى الله عز وجل فيلقى له كرسى.

وروى الديلمى فى فردوس الأخبار:۳/۸۵:

ابن عمر: عسى الله أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، يجلسنى معه على السرير.

وفى فردوس الأخبار:۴/۲۹۸:

أنس بن مالك: من كرامتى على ربى عز وجل قعودى على العرش.

وقال الشوكانى فى فتح القدير:۳/۳۱۶:

إن المقام المحمود هو أن الله سبحانه يجلس محمداً (ص) معه على كرسيه، حكاه ابن جرير... وقد ورد فى ذلک حديث.

تاريخ بغداد:۳/۲۲:

أخبرنا القاضى أبو العلاء محمد بن على، أخبرنا يحيى بن وصيف الخواص، حدثنا أحمد بن على الخراز، حدثنا المعيطى وغير واحد قالوا: حدثنا محمد بن فضيل عن ليث بن مجاهد فى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال: يقعده معه على العرش..

تاريخ بغداد:۸/۵۲:

عن أبى إسحاق عن عبد الله بن خليفة قال قال رسول الله (ص): الكرسى الذى يجلس عليه الرب عز وجل وما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد!

قال أبوبكر المروذى قال لى أبو على الحسين بن شبيب قال لى أبو بكر بن سلم العابد حين قدمنا إلى بغداد: أخرج ذلک الحديث الذى كتبناه عن أبى حمزة فكتبه أبو بكر بن سلم بخطه وسمعناه جميعاً، وقال أبو بكر بن سلم: إن الموضع الذى يفضل لمحمد(ص)ليجلسه عليه. قال أبو بكر الصيدلانى: من رد هذا فإنما أراد الطعن على أبى بكر المروذى، وعلى أبى بكر بن سلم العابد....

و نفى الفكرة بعض علماء السنة

صحيح شرح العقيدة الطحاوية:۱/۵۷۰:

قال الإمام الطحاوى رحمه الله: والشفاعة التى ادخرها لهم حق كما روى فى الأخبار، ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم ونخاف عليهم، ولا نقنطهم.

الشرح: لقد ثبتت الشفاعة منطوقاً ومفهوماً فى القرآن الكريم وخاصة للنبى صلى الله عليه وآله، ومن تلک الآيات قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضَى، الضحى: ۳، وقال تعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ۷۹، وتفسير المقام المحمود بالشفاعة ثابت فى الصحيحين وغيرهما [۱] وقال الله تعالى: يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا. طه: ۹-۱۰. وقال تعالى: مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ يونس: ۳. وفى شفاعة الملائكة قوله تعالى: بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. الأنبياء: ۷۸.

[۱] أنظر البخارى ۳-۳۳۸ و ۸-۳۹۹ و ۱۳-۴۲۲ ومسلم ۱-۱۷۹. ومن الغريب العجيب أن يعرض المجسمة والمشبهة عن هذا الوارد الثابت فى الصحيحين، ويفسروا المقام المحمود بجلوس سيدنا محمد على العرش بجنب الله!! تعالى الله عن إفكهم وكذبهم علواً كبيراً، وهم يعتمدون على ذلک على ما يروى عن مجاهد بسند ضعيف من أنه قال ما ذكرناه من التفسير المنكر المستشنع، وتكفل الخلال فى كتابه السنة ۱-۲۰۹ بنصرة التفسير المخطئ المستبشع، وقد نطق بما هو مستنشع عند جميع العقلاء!.

و قال المستشرقون إنها فكرة مسيحية

مذاهب التفسير الإسلامى لجولد تسيهر/۱۲۲:

... سجلت فتنة ببغداد، أثارها نزاع على مسألة من التفسير ذلک هو تفسير الآية ۷۹ من سورة الاسراء: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَکَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا. ما المراد من المقام المحمود؟ ذهب الحنابلة... إلى أن الذى يفهم من ذلک هو أن الله سبحانه يقعد النبى معه على العرش... ربما كان هذا متأثراً بما جاء فى إنجيل مرقص ۱۶، ۱۹، وآخرون ذهبوا إلى أن المقام المحمود.. هو مرتبة الشفاعة التى يرفع اليها النبى.

و اعترفوا بأن بعض هذه الأحادیث موضوع

میزان الاعتدال:۴/۱۷۴:

أنبأنی جماعهٔ عن عین الشمس الثقفیهٔ، أخبرنا محمد بن أبی ذر سنهٔ ست وعشرین وخمسمائهٔ، أخبرنا أبوطاهر عبدالرحیم، أخبرنا عبدالله بن محمد القباب، أخبرنا أحمد بن الحسن بن هارون الأشعری، حدثنا علی بن محمد القادسی بعکبرا سنهٔ ست وخمسین ومائتین، حدثنا محمد بن حماد، عن مقاتل بن سلیمان، عن الضحاک، عن ابن عباس، قال: إذا کان یوم القیامهٔ ینادی مناد: أین حبیب الله فیتخطی صفوف الملائکهٔ حتی یصیر إلی العرش حتی یجلسه معه علی العرش، حتی یمس رکبته. فهذا لعله وضعه أحد هؤلاء أصحاب مقاتل أو القادسی.

و قالوا یجلس صاحب أحمد بن حنبل علی سجاد العرش

تاریخ بغداد:۱۲/۱۱۲:

حدثنا أحمد بن عبد الله الحفار، قال رأیت أحمد بن حنبل فی النوم فقلت: یا أبا عبد الله ما صنع الله بک؟ قال: حبانی وأعطانی وقربنی وأدنانی. قال قلت: الشیخ الزمن علی بن الموفق ما صنع الله به؟ قال: الساعهٔ ترکته علی زلالی، یرید العرش. انتهی. وقال فی هامشه: الزلیهٔ: بکسر الزای واللام البساط، والجمع زلالی. عن القاموس.

و قالوا یجلس أبابکر علی کرسی عند العرش

تاریخ بغداد:۴/۳۸۶:

عن ابن أبی ذئب، عن معن بن الولید، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل قال قال النبی (ص): إذا کان یوم القیامهٔ نصب لإبراهیم منبر أمام العرش ونصب لی منبر أمام العرش، ونصب لابی بکر کرسی، فنجلس علیها وینادی مناد یالک من صدیق بین خلیل وحبیب.!!

تفسیر قوله تعالی: فلما آسفونا انتقمنا منهم

قال تعالی عن فرعون: فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوه إِنَّهُمْ کَانُوا قَوْمًا فَاسِقِینَ. فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِینَ. الزخرف: ۵۴–۵۵.

قال أهل البیت: إن الله لا یأسف کأسفن

الکافی:۱/۱۴۴:

محمد بن یحیی، عن محمد بن الحسین، عن محمد بن إسماعیل بن بزیع، عن عمه حمزهٔ بن بزیع، عن أبی عبد الله علیه السلام فی قول الله عز وجل: فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ، فقال: إن الله عز وجل لا یأسف کأسفنا ولکنه خلق أولیاء لنفسه یأسفون ویرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه، لأنه جعلهم الدعاهٔ إلیه والادلاء علیه، فلذلک صاروا کذلک، ولیس أن ذلک یصل إلی خلقه، لکن هذا معنی ما قال من ذلک، وقد قال: من أهان لی ولیاً فقد بارزنی بالمحاربهٔ ودعانی إلیها، وقال: ومن یطع الرسول فقد أطاع الله. وقال: إن الذین یبایعونک إنما یبایعون الله ید الله فوق أیدیهم. فکل هذا وشبهه علی ما ذکرت لک، وهکذا الرضا والغضب وغیرهما من الأشیاء مما یشاکل ذلک.

ولو کان یصل إلی الله الأسف والضجر وهو الذی خلقهما وأنشأهما، لجاز لقائل هذا أن یقول: إن الخالق یبید یوماً ما، لأنه إذا دخله

الغضب والضجر دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الابادة، ثم لم يعرف المكون من المكون ولا ـ القادر من المقدور عليه، ولا ـ الخالق من المخلوق، تعالى الله عن هذا القول علواً كبيرا، بل هو الخالق للاشياء لا ـ لحاجة، فإذا كان لا لحاجة استحال الحد والكيف فيه، فافهم إن شاء الله تعالى. انتهى.

أقول: ومما يؤيد تفسير آسفونا فى الآية بأنهم آسفوا الأنبياء والاوصياء (عليهم السلام)، أنه تعالى قال (آسفونا) بجمع المتكلم ولم يقل آسفونى بالمفرد، وقد فسرها الإمام عليه السلام بأن الله تعالى نسب الفعل إلى نفسه لانهم آسفوا عباده الخاصين، لأن إغضابهم إغضاب له تعالى.

وهذا يفتح لنا باباً لفهم نسبة الفعل الإلهى وقانونها فى القرآن، ومتى يسند الفعل إلى الله تعالى بصيغة المفرد المتكلم، ومتى يسند بصيغة الجمع، أو بصيغة الغائب. فإن دراسة الأفعال المسندة إلى الله تعالى فى القرآن، عن طريق إحصائها وتقسيمها وتحليلها، سيعطينا فوائد متعددة فى معرفة أنواع الفعل الالهى ووسائله. ففى كل نوع من صيغ نسبته إلى الله تعالى هدف، ووراءه قاعدة..

فبعض الأفعال أسندها عز وجل إلى نفسه بصيغة المفرد المتكلم وجمع المتكلم والمفرد الغائب، مثل: أوحيت، أوحينا، نوحى، أوحى... وبعضها أسندها بصيغة جمع المتكلم والغائب فقط ولم يسندها بصيغة المفرد مثل: بشرنا، أرسلنا، صورنا، رزقنا، بينا.. الخ. ولم يقل بشرت أو رزقت.... الخ.

إن كلمات القرآن وحروفه موضوعة فى مواضعها بموجب علوم إلهية عميقة وحسابات ربانية دقيقة، كما وضعت النجوم فى مواضعها ومداراتها فى الكون (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ). وإن كشف أصل وجود القاعدة فى نسبة الفعل الإلهى فى القرآن بحد ذاته أمر مهم. ولكن معادلتها وتطبيقاتها ستبقى على الأرجح ظناً وتخميناً، لأننا محرومون من الذى عنده علم الكتاب روحى فداه!

روى فى الاحتجاج أن شخصاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: لولا ـ ما فى القرآن من الإختلاف والتناقض لدخلت فى دينكم! فقال له عليه السلام: وما هو فقال:... أجد الله يقول: قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم، وفى موضع آخر يقول: الله يتوفى الأنفس حين موتها، والذين تتوفاهم الملائكة طيبين، وما أشبه ذلك، فمرة يجعل الفعل لنفسه ومرة لملك الموت، ومرة للملائكة... فقال أمير المؤمنين: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، تبارك وتعالى، هو الحى الدائم، القائم على كل نفس بماكسبت، هات أيضاً ما شككت فيه:

قال: حسبى ما ذكرت... قال عليه السلام: فأما قوله: الله يتوفى الأنفس حين موتها، وقوله: يتوفاكم ملك الموت، وتوفته رسلنا، والذين تتوفاهم الملائكة طيبين والذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم... فهو تبارك وتعالى أعظم وأجل من أن يتولى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنهم بأمره يعملون، فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه وهم الذين قال فيهم: الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس.. فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكل ما يأتون به منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت وفعل ملك الموت فعل الله لأنه يتوفى الانفس على يد من يشاء، ويعطى ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أمنائه فعله. انتهى.

التوحيد للصدوق/۱۶۸:

باب معنى رضاه عز وجل وسخطه.

حدثنا أبى رحمه الله قال: حدثنى أحمد بن إدريس، عن أحمد بن أبى عبد الله، عن محمد عيسى اليقطينى، عن المشرقى، عن حمزة بن الربيع، عمن ذكره قال: كنت فى مجلس أبى جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له: جعلت فداك قول الله تبارك وتعالى: وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَى، ما ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: هو العقاب يا عمرو، إنه من زعم أن الله عز

وجل زال من شئ إلى شئ فقد وصفه صفة مخلوق، إن الله عز وجل لا يستفزه شئ ولا يغيره.

وبهذا الإسناد، عن أحمد بن أبى عبد الله:... كما فى رواية الكافى المتقدمة.

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل (رض) قال: حدثنا على بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن العباس بن عمرو الفقيمى، عن هشام بن الحكم أن رجلاً ـ سأل أبا عبدالله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى له رضا وسخط؟ فقال: نعم، وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين، وذلك أن الرضا والغضب دَخَال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال (لأن المخلوق أجوف) معتمل مركب، للأشياء فيه مدخل، وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه، واحد أحدى الذات واحدى المعنى، فرضاه ثوابه، وسخطه عقابه، من غير شئ يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال، فإن ذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين، وهو تبارك وتعالى القوى العزيز الذى لا حاجة به إلى شئ مما خلق، وخلقه جميعاً محتاجون إليه، إنما خلق الأشياء من غير حاجة ولا سبب، اختراعاً وابتداعاً.

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن على السكرى قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهرى، عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه قال: سألت الصادق جعفر بن محمد (عليهم السلام) فقلت له: يابن رسول الله أخبرنى عن الله عز وجل هل له رضا وسخط؟ فقال: نعم وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين ولكن غضب الله عقابه، ورضاه ثوابه.

بحار الأنوار:۴/۶۳:

روى حديث توحيد الصدوق الثالث، وقال:

بيان: فى الكافى هكذا: فينقله من حال إلى حال لأن المخلوق أجوف معتمل. وهو الظاهر. والحاصل أن عروض تلك الاحوال والتغيرات إنما يكون لمخلوق أجوف له قابلية ما يحصل فيه ويدخله، معتمل يعمل بأعمال صفاته وآلاته، مركب من أمور مختلفة وجهات مختلفة للأشياء من الصفات والجهات والآلات فيه مدخل، وخالقنا تبارك اسمه لا مدخل للاشياء فيه لإستحالة التركيب فى ذاته، فإنه أحدى الذات واحدى المعنى، فإذن لا كثرة فيه لا فى ذاته ولا فى صفاته الحقيقية، وإنما الإختلاف فى الفعل فيثيب عند الرضا ويعاقب عند السخط. قال السيد الداماد رحمه الله: المخلوق أجوف لما قد برهن واستبان فى حكمة ما فوق الطبيعة أن كل ممكن زوج تركيبى، وكل مركب مروج الحقيقة فإنه أجوف الذات لا محالة، فما لا جوف لذاته على الحقيقة هو الاحد الحق سبحانه لا غير، فإذن الصمد الحق ليس هو إلا الذات الأحدية الحقة من كل جهة، فقد تصحح من هذا الحديث الشريف تأويل الصمد بما لا جوف له وما لا مدخل لمفهوم من المفهومات وشئ من الأشياء فى ذاته أصلاً.

الإحتجاج: عن هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام. فقال: فلم يزل صانع العالم عالماً بالأحداث التى أحدثها قبل أن يحدثها؟ قال: لم يزل يعلم فخلق. قال: أمختلف هو أم مؤتلف؟ قال: لا ـ يليق به الإختلاف ولا ـ الايتلاف، إنما يختلف المتجزى ويأتلف المتبعض، فلا يقال له: مؤتلف ولا مختلف.

قال: فكيف هو الله الواحد؟

قال: واحد فى ذاته فلا واحد كواحد، لأن ما سواه من الواحد متجزئ، وهو تبارك وتعالى واحد لا متجزئ، ولا يقع عليه العد.

تفسير إخواننا الموافق لمذهبنا

إرشاد السارى:۴/۲۳۵:

الغضب من المخلوقين شئ يداخل قلوبهم، ولا يليق أن يوصف البارى تعالى بذلك، فيؤول ذلك على ما يليق به تعالى، فيحمل على آثاره ولوازمه. وفى:۵ ص ۲۲۹ والمراد من الغضب لازمه وهو إرادة إيصال الشر إلى المغضوب عليه.وفى ج ۶/۱۵۶ نسبة الضحك والتعجب إلى البارى جل وعلا مجازية، والمراد بهما الرضا بصنيعهما.

شرح مسلم للنووى:۲ جزء ۳/۶۸:

المراد بغضب الله تعالى ما يظهر من انتقامه فيمن عصاه.. لأن الله تعالى يستحيل فى حقه التغير فى الغضب.

تفسیرهم الذی فیه تجسیم

تفسیر الصنعانی:۲/۱۶۶:

حدثنا عبد الرزاق قال: سمعت ابن جریج یقول: وغضب فی شئ فقیل له: أتغضب یا أبا خالد! فقال: قد غضب خالق الأحلام، إن الله تعالی یقول لما آسفونا، أغضبونا.

عن سماک بن الفضل قال: کنت عند عروة بن محمد جالساً وعنده وهب بن منبه فأتی بعامل لعروة.. فقالوا فعل وفعل، وثبت علیه البینة، قال فلم یملک وهب بن منبه نفسه فضربه علی قرنه بعصا وقال: أفی زمن عمر بن عبدالعزیز یصنع مثل هذا قال: فاشتهاها عروة... وقال: یعیب علینا أبو عبد الله الغضب وهو یغضب! قال وهب: قد غضب خالق الأحلام، إن الله یقول: فلما أسفونا انتقمنا منهم، یقول أغضبونا. انتهی. وقد ذکرنا فی فصل مکانة المشبهین والمجسمین فی مصادر إخواننا: أن وهباً استند فی الظاهر إلی الآیة لیثبت أن الغضب الإلهی کغضب البشر، ولکن أصل الغضب الإلهی فی ثقافته هو الغضب التلمودی الذی قال عنه الدکتور أحمد شلبی فی مقارنة الأدیان: ۱/۲۶۷: یروی التلمود أن الله ندم لما أنزله بالیهود وبالهیکل، ومما یرویه التلمود علی لسان الله قوله: تب لی لأنی صرحت بخراب بیتی وإحراق الهیکل ونهب أولادی. ولیست العصمة من صفات الله فی رأی التلمود، لأنه غضب مرة علی بنی إسرائیل فاستولی علیه الطیش فحلف بحرمانهم من الحیاة الأبدیة، ولکنه ندم علی ذلک بعد أن هدأ غضبه، ولم ینفذ قسمه لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة. انتهی. والمصیبة أن اخواننا أخذوا نسبة الغضب البشری إلی الله تعالی من وهب وأمثاله من الیهود وجعلوها من عقائد الإسلام، ثم قعدوا یبکون من خطر الاسرائیلیات علی الإسلام والمسلمین!

الدر المنثور:۶/۱۹:

وأخرج عبد بن حمید عن عکرمة: فَلَمَّا آسَفُونَا، قال أغضبونا.

وأخرج ابن جریر وابن أبی حاتم عن ابن عباس فی قوله: فَلَمَّا آسَفُونَا، قال أغضبونا. وأخرج الفریابی وعبد بن حمید وابن جریر وابن المنذر عن مجاهد فی قوله: فَلَمَّا آسَفُونَا، قال أغضبونا.

دلائل النبوة للبیهقی:۵/۴۷۷:

عن أبی هریرة قال:... فیأتون موسی فیقولون: یا موسی أنت رسول الله.. إشفع لنا عند ربک.. فیقول لهم موسی: إن ربی غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله، وإنی قتلت نفساً لم أومر بقتلها.. نفسی نفسی، إذهبوا إلی عیسی... قال: فیأتون عیسی فیقولون: یا عیسی أنت رسول الله إشفع لنا عند ربک... فیقول لهم عیسی: إن ربی غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله، ولم یذکر ذنباً، نفسی نفسی، إذهبوا إلی غیری، إذهبوا إلی محمد (ص).

مقالات الإسلامیین للأشعری:۱/۲۱۱:

واختلف الناس فی حملة العرش ما الذی یحمله؟ فقال قائلون الحملة تحمل الباری وأنه إذا غضب ثقل علی کواهلهم، وإذا رضی خف!.. وقال بعضهم الحملة ثمانیة أملاک. وقال بعضهم ثمانیة أصناف. وقال قائلون: إنه علی العرش.

الإیمان لابن تیمیة/۴۲۴:

وفی الصحیحین فی حدیث الشفاعة: یقول کل من الرسل إن ربی قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله... عن النبی: لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دویة مهلکة.. وکذلک ضحکه إلی رجلین یقتل أحدهما الآخر کلاهما یدخل الجنه، وضحکه إلی الذی یدخل الجنه آخر الناس ویقول أتسخر بی وأنت رب العالمین... وکل هذا فی الصحیح..

فتاوی ابن باز:۲/۹۶:

وهکذا القول فی باقی الصفات، من السمع، والبصر، والرضی، والغضب، والید، والقدم، والاصابع، والکلام، والإرادة، وغیر ذلک، کلها یقال إنها معلومة من حیث اللغة العربیة! فالإیمان بها واجب والکیف مجهول لنا لا یعلمه إلا الله... انتهی.

وإذا كـان الكيـف مجهولاً ـ كما يقول المفتى ابن بـاز فلماذا يصر على تفسيره بالظاهر الحسى ولماذا لا يكون مفوضاً مثل مفوضة السلف، اللذين أوكلوا هذه الصفات إلى الله تعالى؟!

تفسير آيات أخرى تتعلق بالموضوع

قال الصدوق فى التوحيد/۱۵۹:

باب تفسير قول الله عز وجل: نسوا الله فنسيهم

حدثنا محمد بن محمد بن عصام الكلينى رحمه الله قال: حدثنا محمد بن يعقوب الكلينى قال: حدثنا على بن محمد المعروف بعلان قال: حدثنا أبوحامد عمران بن موسى بن إبراهيم، عن الحسن بن القاسم الرقام، عن القاسم بن مسلم، عن أخيه عبدالعزيز بن مسلم قال: سألت الرضا على بن موسى (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل: نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ، فقال: إن الله تبارك وتعالى لا ينسى ولا يسهو، وإنما ينسى ويسهو المخلوق المحدث، ألا تسمعه عز وجل يقول: وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا، وإنما يجازى من نسيه ونسى لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم، كما قال عز وجل: وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وقوله عز وجل: فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا. أى نتركهم كما تركوا الإستعداد للقاء يومهم هذا.

قال مصنف هذا الكتاب (رض): قوله: نتركهم أى لا نجعل لهم ثواب من كان يرجو لقاء يومه، لأن الترك لا يجوز على الله عز وجل.

وأما قول الله عز وجل: وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ، أى لم يعاجلهم بالعقوبة وأمهلهم ليتوبوا.

باب تفسير قوله عز وجل: والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه.

حدثنا محمد بن محمد بن عصام الكلينى (رض) قال: حدثنا محمد بن يعقوب الكلينى قال: حدثنا على بن محمد المعروف بعلان الكلينى قال: حدثنا محمد بن عيسى بن عبيد قال: سألت أبا الحسن على بن محمد العسكرى (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل: وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، فقال: ذلك تعبير الله تبارك وتعالى لمن شبهه بخلقه، ألا ترى أنه قال: وما قدروا الله حق قدره، ومعناه إذ قالوا: إن الأرض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه، كما قال عز وجل: وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ، إذ قالوا: ما أنزل الله على بشر من شئ، ثم نزه عز وجل نفسه عن القبضة واليمين فقال: سبحانه وتعالى عما يشركون.

حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلى رحمه الله قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال: حدثنا بكر بن عبدالله بن حبيب قال: حدثنا تميم بن بهلول، عن أبيه، عن أبى الحسن العبدى، عن سليمان بن مهران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فقال: يعنى ملكه لا يملكها معه أحد، والقبض من الله تبارك وتعالى فى موضع آخر المنع، والبسط منه الإعطاء والتوسيع، كما قال عز وجل: وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، يعنى يعطى ويوسع ويمنع ويضيق، والقبض منه عز وجل فى وجه آخر الأخذ فى وجه القبول منه كما قال: ويأخذ الصدقات، أى يقبلها من أهلها ويثيب عليها.

قلت: فقوله عز وجل: وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ قال: اليمين اليد، واليد القدرة والقوة، يقول عز وجل: السماوات مطويات بقدرته وقوته، سبحانه وتعالى عما يشركون.

باب تفسير قول الله عز وجل: كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون

حدثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد بن يونس المعاذى قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الكوفى الهمدانى قال: حدثنا على بن الحسن بن على بن فضال، عن أبيه قال: سألت الرضا على بن موسى (عليهما السلام) عن قول الله عز وجل: كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ، فقال: إن الله تبارك وتعالى لا ـ يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباده، ولكنه يعنى أنهم عن ثواب ربهم لمحجوبون.

باب تفسير قوله عز وجل: وجاء ربك والملك صفاً صف

حـدثنا محمـد بن إبراهيم بن أحمـد بن يونس المعاذی قال: حـدثنا أحمـد بن محمـد بن سـعيد الكوفی الهمـدانی قال: حدثنا علی بن الحسن بن علی بن فضال، عن أبيه قال: سألت الرضا علی بن موسـی (عليهما السـلام) عن قول الله عز وجل: وَجَاءَ رَبُّکَ وَالْمَلَکُ صَفًّا صَفًّا، فقال: إن الله عز وجل لا يوصف بالمجی والذهاب، تعالی عن الانتقال، إنما يعنی بذلک: وجاء أمر ربک والملک صفاً صفاً.

باب تفسير قوله عزوجل: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فی ظلل من الغمام والملائكة

حـدثنا محمـد بن إبراهيم بن أحمـد بن يونس المعاذی قال: حـدثنا أحمـد بن محمـد بن سـعيد الكوفی الهمـدانی قال: حدثنا علی بن الحسن بن علی بن فضـال، عن أبيه، عن الرضـا علی بن موسـی (عليهمـا السـلام) قـال: سـألته عن قول الله عز وجل: هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَنْ يَاتِيَهُمُ اللهُ فِی ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ، قال: يقول هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكـة فی ظلل من الغمام، وهكـذا نزلت. انتهی. أی هكذا نزل تفسيرها معها.

باب تفسير قوله عز وجل: سخر الله منهم

وقوله عز وجل: اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، وقوله عز وجل: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، وقوله عز وجل: يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ.

حـدثنا محمـد بن إبراهيم بن أحمـد بن يونس المعاذی قال حـدثنا أحمـد بن محمـد بن سـعيد الكوفی الهمـدانی قال: حـدثنا علی بن الحسن بن علی بن فضـال، عن أبيه، عن الرضا علی بن موسـی (عليهما السـلام) قال: سألته عن قول الله عز وجل: سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ، وعن قول الله عز وجل: اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، وعن قوله: وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ، وعن قوله: يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ، فقال: إن الله تبارک وتعالی لا يسخر ولا يستهزی ولا يمكر ولا يخادع، ولكنه عز وجل يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الإستهزاء وجزاء المكر والخديعة، تعالی الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا.

باب معنی الحجزة

حـدثنا محمـد بن علی ماجيلويه رحمه الله، عن عمه محمـد بن أبی القاسم، عن أحمـد بن أبی عبـدالله البرقی، عن أبيه، عن محمـد بن سنان، عن أبی الجارود، عن محمد بن بشر الهمدانی قال: سمعت محمد بن الحنفية يقول: حدثنی أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صـلی الله عليه وآله يوم القيامـة آخـذ بحجزة الله، ونحن آخـذون بحجزة نبينا، وشـيعتنا آخذون بحجزتنا، قلت: يا أمير المؤمنين وما الحجزة قـال: الله أعظم من أن يوصـف بـالحجزة أو غير ذلـک، ولكن رسـول الله صـلی الله عليه وآله آخـذ بـأمر الله، ونحن آل محمد آخذون بأمر نبينا، وشيعتنا آخذون بأمرنا.

أبی رحمه الله، قال: حـدثنا سـعد بن عبـدالله، قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسـی عن الحسن بن علی الخزاز، عن أبی الحسن الرضـا عليه السـلام قال: إن رسول الله صـلی الله عليه وآله يوم القيامة آخذ بحجزة الله، ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشـيعتنا آخذون بحجزتنا، ثم قال: والحجزة النور.

حـدثنا علی بن أحمـد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبی عبدالله الكوفی قال: حدثنا محمد بن إسـماعيل البرمكی قال: حـدثنی علی بن العباس قال: حـدثنا الحسن بن يوسف، عن عبدالسـلام، عن عمار بن أبی اليقظان عن أبی عبـد الله عليه السـلام قال: يجی رسول الله صـلی الله عليه وآله يوم القيامـة آخـذاً بحجزة ربه، ونحن آخذون بحجزة نبينا، وشـيعتنا آخذون بحجزتنا، فنحن وشـيعتنا حزب الله، وحزب الله هم الغالبون، والله ما نزعم أنها حجزة الإزار ولكنها أعظم من ذلک، يجی رسول الله صلی الله عليه وآله آخـذاً بدين الله، ونجی نحن آخذين بدين نبينا، وتجی شـيعتنا آخذين بديننا. وقد روی عن الصادق عليه السـلام أنه قال: الصـلاة حجزة الله، وذلک أنها تحجز المصلی عن المعاصی مادام فی صلاته، قال الله عز وجل: إِنَّ الصَّلَوةَ تَنْهَی عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

باب معنی العين والاذن واللسان

أبی رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبدالله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عیسی، عن الحسین بن سعید، عن فضالهٔ بن أیوب، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول: إن لله عز وجل خلقاً من رحمته خلقهم من نوره ورحمته، من رحمته لرحمته فهم عین الله الناظرهٔ، وأذنه السامعهٔ، ولسانه الناطق فی خلقه بإذنه، وأمناؤه علی ما أنزل من عذر أو نذر أو حجهٔ، فبهم یمحو السیئات، وبهم یدفع الضیم، وبهم ینزل الرحمهٔ، وبهم یحیی میتاً، وبهم یمیت حیاً، وبهم یبتلی خلقه، وبهم یقضی فی خلقه قضیته. قلت: جعلت فداک من هؤلاء؟ قال: الأوصیاء.

باب معنی قوله عز وجل: وقالت الیهود ید الله مغلولهٔ

غلت أیدیهم ولعنوا بما قالوا بل یداه مبسوطتان.

أبی رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبدالله، قال: حدثنا أحمد بن أبی عبد الله البرقی عن أبیه، عن علی بن نعمان، عن إسحاق بن عمار، عمن سمعه، عن أبی عبدالله علیه السلام أنه قال فی قوله الله عز وجل: وَقَالَتِ الْیَهُودُ یَدُ اللهِ مَغْلُولَهٌ، لم یعنوا أنه هکذا، ولکنهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا ـ یزید ولا ـ ینقص، فقال الله جل جلاله تکذیباً لقولهم: غلت أیدیهم ولعنوا بما قالوا، بل یداه مبسوطتان ینفق کیف یشاء. ألم تسمع الله عز وجل یقول: یَمْحُواْ اللهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْکِتَابِ.

حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الولید رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن عیسی، عن المشرقی، عن عبد الله بن قیس، عن أبی الحسن الرضا علیه السلام قال سمعته یقول: بل یداه مبسوطتان، فقلت: له یدان هکذا، وأشرت بیدی إلی یده، فقال: لا، لو کان هکذا لکان مخلوقاً.

باب معنی قوله عز وجل: ونفخت فیه من روحی

حدثنا حمزهٔ بن محمد العلوی رحمه الله، قال: أخبرنا علی بن إبراهیم بن هاشم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن عمر بن أذینهٔ، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر علیه السلام عن قوله الله عز وجل: وَنَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی، قال: روح اختاره الله واصطفاه وخلقه إلی نفسه (کذا) وفضله علی جمیع الأرواح، فأمر فنفخ منه فی آدم.

أبی رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبدالله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عیسی، عن ابن فضال، عن الحلبی وزرارهٔ، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إن الله تبارک وتعالی أحد، صمد، لیس له جوف، وإنما الروح خلق من خلقه، نصر وتأیید وقوهٔ، یجعله الله فی قلوب الرسل والمؤمنین.

حدثنا علی بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبی عبدالله الکوفی، عن محمد بن إسماعیل البرمکی قال: حدثنا الحسین بن الحسن، قال: حدثنا بکر بن صالح، عن القاسم بن عروهٔ، عن عبد الحمید الطائی، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا جعفر علیه السلام عن قول الله عز وجل: وَنَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی، کیف هذا النفخ؟ فقال: إن الروح متحرک کالریح، وإنما سمی روحاً لأنه اشتق اسمه من الریح، وإنما أخرجه علی لفظ الروح لأن الروح مجانس للریح، وإنما أضافه إلی نفسه لأنه اصطفاه علی سائر الأرواح، کما اصطفی بیتاً من البیوت فقال بیتی، وقال لرسول من الرسل خلیلی، وأشباه ذلک، وکل ذلک مخلوق مصنوع محدث، مربوب مدبر.

حدثنا محمد بن موسی بن المتوکل رحمه الله قال: حدثنا علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن عمر بن أذینهٔ، عن أبی جعفر الاصم قال: سألت أبا جعفر علیه السلام عن الروح التی فی آدم علیه السلام والتی فی عیسی علیه السلام ماهما؟ قال: روحان مخلوقان اختارهما واصطفاهما، روح آدم علیه السلام وروح عیسی علیه السلام.

حدثنا علی بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبی عبدالله الکوفی، عن محمد بن إسماعیل البرمکی قال: حدثنا علی بن العباس، قال: حدثنا علی بن أسباط، عن سیف بن عمیرهٔ، عن أبی بصیر، عن أبی جعفر علیه السلام فی قوله عز وجل: وَنَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی، قال: من قدرتی.

حدثنا محمد بن أحمد السنانی، والحسین بن إبراهیم بن أحمد بن هشام المکتب، وعلی بن أحمد بن محمد بن عمران رضی الله عنهم قالوا: حدثنا محمد بن أبی عبد الله الکوفی قال: حدثنا محمد بن أسماعیل البرمکی قال: حدثنا علی بن العباس قال: حدثنا عبیس بن هشام، عن عبد الکریم بن عمرو، عن أبی عبد الله علیه السلام فی قوله عز وجل: فَإِذَا سَوَّیْتُهُ وَنَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی، قال: إن الله عز وجل خلق خلقاً وخلق روحاً، ثم أمر ملکاً فنفخ فیه، فلیست بالتی نقصت من قدرة الله شیئاً من قدرته.

تم المجلد الثانی من کتاب العقائد الإسلامیة

ویلیه المجلد الثالث إن شاء الله تعالی، وأوله بحث الشفاعة

المجلد۳

فهرست مطالب کتاب: العقائد الإسلامیة (المجلد ۳)

العقائد الإسلامیة (المجلد ۳)
مقدمة
تعریف الشفاعة و تاریخها
موقع الشفاعة من الرحمة الإلهیة
شبهة حول أصل الشفاعة
مثال لتقریب فهم عقیدة الشفاعة
محاولات المستشرقین التشکیک فی الشفاعة
تهافت منطق الوهابیین فی الشفاعة والاستشفاع
تعریف الشفاعة فی اللغة
تعریف الشفاعة عند المتکلمین
تحریف الیهود والنصاری للشفاعة
مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرهم
عراقة عقیدة الشفاعة
شفاعة ابراهیم للمؤمنین و لاسماعیل و لوط
شفاعة زکریا لبنی إسرائیل
البشارة بالشفیع الذی سیأتی (البراقلیطس)
توسیع بولس للشفاعة و حصرها بالمسیح
مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرن
الشفاعة عند عرب الجاهلیة
عبد العرب الأصنام أملا بشفاعتهن
مکانة اللات والعزی عند مشرکی العرب
الیمین الرسمی المقدس عند قریش باللات والعزی
بعض الصحابة کانوا یقسمون باللات والعزی

اعتقاد قريش بنفع اللات والعزى و ضرهم
مصادرنا تروى بغض النبى لأصنام قريش
و تمسك سدنة اللات والعزى بهما إلى آخر نفس
و حطم النبى كل الأصنام
و اخترعت قريش قصة الغرانيق انتصارا للات والعزى
البخارى و مسلم رويا فرية الغرانيق
نماذج من ردود علماء مذهب أهل البيت على فرية الغرانيق
تنبؤ عميق للنبى حول اللات والعزى
كليات الشفاعة فى القرآن
آيات الشفاعة و عناوينها
الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة فى الدنى
الشفعاء يوم القيامة يشفعون بعهد من الله تعالى
الاولياء المكرمون ينفعون مواليهم بفاعتهم
الشهداء بالحق شفعاء
الملائكة يشفعون للناس بإذن الله تعالى
الشفيع الأكبر
لا شفاعة من دون الله تعالى
لا شفاعة إلا بإذنه و من بعد إذنه
الشفعاء المزعومون لا شفاعة لهم
لا شفاعة فى يوم القيامة كشفاعة الدنى
الكفار يبحثون بحثا حثيثا عن الشفعاء
لا شفاعة للظالمين
شفاعة نبينا
تفسير (المقام المحمود) لنبينا
تفسير إخواننا السنيين القريب من تفسيرنا
تفسيرهم الذى فيه تجسيم
القعود على العرش فكرة يهودية مسيحية
انتقاد بعض علماء السنة التفسير بالقعود على العرش
تفسير قوله تعالى (و لسوف يعطيك ربك فترضى)
تفسير الآية بالعطاء الالهى الاعم من الشفاعة
تفسيرها بالشفاعة لامته أو بالشفاعة مطلقا
تفسيرها بشفاعة النبى لأهل بيته خاصة
تفسيرها بشفاعة النبى لجميع أمته

ملاحظتان
حدود الشفاعة
المذاهب فی حدود الشفاعة (من ارتضی)
حدود الشفاعة عند أهل البيت
ما دل علی استثناء المشرک والظالم من الشفاعة
اصناف من الناس موعودون بالشفاعة
من قضی لأخيه المؤمن حاجة
من سعی فی حوائج ذرية النبی
من زار قبر النبی
من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالی
من يدعو للمؤمنين
شفاعة الملائكة لأهل مجلس الدعاء
من شيع جنازة مسلم
من حفظ علی أمتی أربعين حديثا
من عاهد أخاه المؤمن علی الشفاعة
مجموعة أعمال و صفات توجب الشفاعة
اصناف لا تنالهم الشفاعة
السلطان الظالم الغشوم
المنان والبخيل والنمام
الذين يخرجون من النار بالشفاعة يكونون أدنی درجة
رأی السنيين القريب من رأی أهل البيت
شرط الشفاعة فی المظالم الشخصية
نتيجة
توسيعات الشفاعة عند الخليفة عمر و أتباعه
ان الشفاعة تشمل كل من شهد الشهادتين حتی الطلقاء والمنافقين
ان الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالی
ملاحظات علی روايات هذا الرأی
احاديث أن الله تعالی يشفع عند نفسه
ان الشفاعة تشمل جميع الخلق
ان العقاب فی الآخرة ينتهی كليا و أن جهنم تفنی و ينقل أهلها إلی الجنة
آراء المسلمين فی آيات الخلود و أحاديثه
اجمع المسلمون علی خلود الكفار فی جهنم
الروايات التی توافق هذا الرأی عند إخواننا السنيين

سبب خلود أهل النار فيه
آيات الخلود فى الجنة والنار
عدم خلود الموحدين فى النار فى مصادرن
عدم خلود الموحدين فى النار فى مصادر السنيين
روايات فى الصحاح تقول بخلود الموحدين فى النار
ما دل من مصادرنا على أن الدار الآخرة لا موت فيه
ما دل من مصادر السنيين على أن الدار الآخرة لا موت فيه
عودة إلى رأى عمر بفناء النار
الجهمية أخذت من الخليفة عمر
والمرجئة أخذوا من عمر
و ابن العاص أخذ من عمر
و رووا عن ابن مسعود أنه وافق عمر
و الشعبى أخذ من عمر
و المعتزلة أخذت من عمر
و الجاحظ أخذ من عمر
و ابن عربى والجيلى أخذا من عمر
اما عمر فقد أخذ من كعب الأحبار واليهود
عمر ينظر إلى كعب كأنه نبى و يتلقى منه
شفاعات و حرمانات غير معقولة روتها مصادر السنيين
شفاعة اثنين لصاحب الجنازة
رأى أهل البيت فى الشهادة للجنازة
شفاعة النبى للظالمين من الامة
قال كعب الأحبار هم جميع المسلمين و هم فى الجنة
و قال الخولانى إنه قرأ ذلك فى كتب اليهود
عائشة و عثمان يوافقان كعبا على تفسيره
الحسن البصرى يرد تفسير كعب الأحبار
الخليفة عمر يميل إلى تفسير كعب
قال أهل البيت لا يمكن أن تشمل الآية كل الأمة
نظرية فداء المسلمين باليهود والنصارى
اسقاط المحرمات عن أهل بدر
حرمان من سب الصحابة من الشفاعة
الدخول إلى جهنم
حرمان من الشفاعة بسبب صبغ الشعر

ماذا یصنع رواة الخلافة القرشیة بهذه الأحادیث
رأی أهل البیت
خلاصة المسألة
مرسوم بحرمان الزوجة التی تطلب الطلاق
محاولة القرشیین حرمان بنی هاشم من شفاعة النبی
حساسیة قریش من أسرة النبی
حادثة خطیرة، عتمتها الصحاح
براعة البخاری فی تضییع القضیة
ماذا قال کبار الشراح؟
الحادثة فی بعض روایات أهل البیت
وسعوا شفاعة النبی للیهود والنصاری و لم یسمحوا أن تشمل أسرته
روایات أخری غیر منطقیة أیضا
اغرب شفاعة اخترعها القرشیون لرئیس بنی هاشم
بماذا یفسرون قول النبی سأبلها ببلاله
ضحضاح النور لا ضحضاح النار
محاولتهم التخلص من الوعد النبوی لبنی هاشم
عمل المعروف ینجی الکفار من النار إلا أبا طالب
احادیث نجت من الرقابة القرشیة
بخلهم علی أبی طالب و خدیجة و سخاؤهم علی غیرهم
اهم الأدلة علی إیمان أبی طالب
ولادة المذاهب المنحرفة من أفکار توسیع الشفاعة
عمل الیهود علی إسقاط المحرمات من الأدیان
اخبار النبی بظهور المرجئة والقدریة و تحذیره منهم
تعریف المرجئة و مذهبهم
المرجئة ولدوا من عهد الخلیفة عمر
اول من تصدی لمذهب المرجئة علی
کان المرجئة خداما لبنی أمیة و مبررین لجرائمهم
تورط أصحاب المذاهب الأربعة فی الإرجاء
تورط أصحاب الصحاح الستة فی الارجاء
حب المستشرقین للمرجئة و حزنهم علیهم
المرجئة والجبریة شقیقان لاب و أم
القدریة المفوضة (الذین ینفون القدر)
القدریة الجبریة (الذین یثبتون القدر)

القدر عند أهل البیت: لا جبر و لا تفویض
ردة فعل الخوارج علی توسیع الدولة للشفاعة
تبادل المواقع بین الخوارج والمرجئة
المعتزلة مثقفون متوسطون بین الدولة والخوارج
الصغائر تغفر والکبائر لا تغفر إلا بالتوبة
و صاحب الکبیرة فی النار و لا تشمله الشفاعة
المزید من تأثیر الإسرائیلیات علی أحادیث الشفاعة
اتفق الجمیع نظریا علی أن الشفاعة من مختصات نبینا
نبینا أول شافع یوم القیامة
الاحادیث الموافقة لمذهبنا فی مصادر السنیین
الاحادیث المتأثرة بالاسرائیلیات فی مصادر السنیین
البخاری یفضل أنبیاء بنی إسرائیل علی نبینا
احسن تصور فی مصادر السنیین عن شفاعة نبینا
مسألتا: الذبیح و أول من یکسی کسوة الجنة یوم القیامة
رأی أهل البیت
بحث فی إیمان عبدالمطلب و روایة أنا ابن الذبیحین
عبدالمطلب علیه سیماء الأنبیاء و بهاء الملوک
آراء شیعیة مخالفة للمشهور فی الذبیحین
رأی الشیخ الصدوق بأن إسحاق ذبیح أیضا
محاولة أحد المعاصرین تفسیر الذبیحین بإسماعیل و إسحاق
اول من یکسی کسوة الجنة
شفاعة الملائکة والأنبیاء والعلماء والشهداء
من مصادرنا
من مصادر السنیین
ما یوجب أمل المسلم بشفاعة إخوانه المؤمنین له
من مصادر السنیین
شفاعة القرآن، والکعبة، والحجاج، والزوار
و اصناف أخری من الناس...
شفاعة القرآن
شفاعة سور القرآن و آیاته
شفاعة القرآن لمن یتعلمه و یعلمه
شفاعة الکعبة لمن زاره
شفاعة حجاج بیت الله الحرام

شفاعة النبى الخاصة لزوار قبره

مقدمة

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين

وبعد، فهذا هو المجلد الثالث من كتاب العقائد الإسلامية، وقد اشتمل على أكثر مسائل الشفاعة، وعدد من البحوث النافعة فيها.

ونظراً لاهمية مسائل الشفاعة، فقد حاولنا استقصاء الآراء فيها، وتعرضنا أحياناً لاراء غير المسلمين.

وتلاحظ ما تعرضت له من تحريفات كبيرة بعد الأنبياء عليهم السلام خدمةً لاغراض سياسية وثقافية، بعيدة عن الدين الإلهى!!

وقد ساعد على ذلك أنها من عقائد الغيب والآخرة غير المنظورة، التى يسهل على المحرفين التحريف فيها، ويصعب كشف عملهم.

نسأله تعالى أن يجعلنا من المشمولين بشفاعة سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين، وأن يصلى عليهم أجمعين.

مركز المصطفى للدراسات الإسلامية

على الكورانى العاملى

تعريف الشفاعة و تاريخها

موقع الشفاعة من الرحمة الإلهية

الرحمة الإلهية وسعت كل شئ، ولا يمكن للبشر أن يحصوا أعدادها.. ولا أنواعها.. لكن نشير إلى ستة أنواع كبرى منها، ليتضح موقع الشفاعة من بينها.

النوع الأول: التوبة، التى تمحو السيئات.

النوع الثانى: أن السيئة بواحدة والحسنة بعشرة.

النوع الثالث: أن نية الحسنة تكتب، ونية السيئة لا تكتب.

النوع الرابع: أن الحسنات يذهبن السيئات.

النوع الخامس: أنواع الرحمة الإلهية الخاصة بالآخرة.

النوع السادس: الشفاعة، وهى نوع من الوساطة إلى الله تعالى من ولىٍّ مقرب عنده ليغفر لمذنب ويسامحه.

شبهة حول أصل الشفاعة

يدور فى ذهن البعض سؤال عن أصل الشفاعة مفاده: أن رحمة الله تعالى ومغفرته وسعت وتسع كل شئ، وهى تتم بشكل مباشر، فلماذا يجعلها الله تعالى تحتاج إلى واسطة عباده مثل الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)؟

والجواب: أن الرحمة الإلهية المباشرة فى الدنيا والآخرة أنواع كثيرة لا تحصى، ولا يمنع أن يكون منها رحمة غير مباشرة جعلها الله تعالى مرتبطة بالدعاء والشفاعة لمصالح يعلمها سبحانه، كأن يريد رحمة عدد كبير من عباده بالشفاعة، ويُظهر كرامة أنبيائه وأوليائه عنده..

فالشفاعة من ناحية عقلية لا مانع منها ولا إشكال فيها، نعم، لا تثبت إلا بدليل، وفى الحدود والدائرة التى يدل عليها الدليل.

مثال لتقريب فهم عقيدة الشفاعة

يمكن تقريب الشفاعة إلى الذهن بأنها (قاعدة الإستفادة من الدرجات الإضافية) كأن يقال للطالب الذى حصل على معدل عال: يمكنك أن تستفيد من النمرات الإضافية على معدل النجاح فتعطيها إلى أصدقائك، الاقرب فالأقرب من النجاح..

ولنفرض أن الإنسان يحتاج للنجاة من النار ودخول الجنة إلى ۵۱ درجة (من رجحت حسناته على سيئاته) فالذى بلغ عمله ۴۰۰ درجة مثلاً ـ يسمح له أن يوزع ۳۴۹ درجة على أعزائه، ولكن ضمن شروط، مثل أن يكونوا من أقربائه القريبين، وأن يكون عند أحدهم ثلاثين درجة فما فوق، وذلك لتحقيق أفضل استفادة وأوسعها من هذه الدرجات الاضافية.

وقد نصت بعض الأحاديث عن الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) على أن شفاعة المؤمن تكون على قدر عمله، ففى مناقب آل أبى طالب:۲/۱۵ عن الإمام الباقر عليه السلام فى قوله تعالى: وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً.. الآية، قال: ذلك النبى صلى الله عليه وآله وعلى عليه السلام يقوم على كوم قد علا الخلايق فيشفع ثم يقول: يا على إشفع، فيشفع الرجل فى القبيلة، ويشفع الرجل لأهل البيت ويشفع الرجل للرجلين على قدر عمله. فذلك المقام المحمود. انتهى. وورد شبيه به فى مصادر السنة أيضاً.

وعلى هذا، فالشفاعة مقننة بقوانين دقيقة حكيمة مثل كل الأعمال الإلهية الدقيقة والحكيمة، وليست كما يتصوره البعض من نوع الوساطات والمحسوبيات والمنسوبيات الدنيوية.

وبما أن درجات الملائكة والأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم ودرجات المؤمنين متفاوتة، وأعظمهم عملًا وأعلاهم درجةً نبينا صلى الله عليه وآله فليس غريباً أن يكون أعظمهم شفاعة عند الله تعالى.

وبما أن سيئات الناس تتفاوت دركاتها ويصل بعضها إلى تحت الصفر بألوف الدرجات مثلًا..فإن الذين تشملهم الشفاعة هم الأقرب إلى النجاح والافضل من مجموع المسيئين، وقد وردت فى شروطهم عدة أحاديث، منها عن النبى صلى الله عليه وآله (إن أدناكم منى وأوجبكم علىَّ شفاعةً: أصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانةً، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس). مستدرك الوسائل:۱۱/۱۷۱.

قال أبو الصلاح الحلبى فى الكافى/۴۹۷:

إن قيل: فإذا كانت الإثابة والمعاقبة مختصتين به تعالى، فكيف يصح لكم ما تذهبون إليه من الحوض واللواء والوقوف على الاعراف، وقسمة النار وإدخال بعض إليها وإخراج بعض منها، مع كون ذلك ثواباً وعقاباً؟

قيل: لا ـ شبهة فى اختصاص أمور الآخرة أجمع به تعالى، غير أنه تعالى ردَّها أو ردَّ منها إلى المصطفين من خلقه: رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة من آلهما صلوات الله عليهم، فأوردوها عن أمره وأصدروها. كما يضاف تعذيب أهل النار وتنزيل أهل الجنة حاصلاً بالملائكة المأذون لهم فيه... وليس لأحد أن يقول: فأى ميزة لهم بتولى هذه الأمور على غيرهم فى الفضل وهى موقوفة على إذنه تعالى، لأن الآخرة لما كانت أفضل الدارين بكونها دار الجزاء وغاية المستحقين، وجعل الله سبحانه إلى هؤلاء المصطفين أفضل منازله وأسنى درجاته من اللواء والحوض والشفاعة وقسمة النار، دل على تخصصهم من الفضل بما لا مشارك لهم فيه.

محاولات المستشرقين التشكيك فى الشفاعة

وقد حاول بعضهم الإشكال على قانون الشفاعة فى الإسلام فتصوره أو صوره بأنه من نوع الوساطات الدنيوية المخالفة للعدالة، التى يفعلها الناس عند الحكام الظلمة لمن يحبونه من المجرمين..وقد مدح جولد تسيهر فى كتابه مذاهب التفسير الإسلامى/۱۹۲ المعتزلة وزعم أنهم لم يقبلوا الشفاعة لأنها تنافى العدالة، قال: والمعتزلة.. لا يريدون التسليم بقبول الشفاعة على وجه أساسى حتى لمحمد ذلك بأنه يتعارض مع اقتناعهم بالعدل الإلهى المطلق. انتهى.

ولكن لايمكن لعاقل أن يدعى بأن زيادة الرحمة الإلهية والمغفرة للمذنبين بأسباب متعددة، أمرٌ يتنافى مع العدالة الإلهية!!

ثم إن الذى نفاه المعتزلة هو شمول الشفاعة لأهل الكبائر، ولم ينفوا الشفاعة لمرتكبى المعاصى الصغائر، كما سيأتى فى محله.

على أن تسيهر اليهودى نفسه يعتقد بالشفاعة التى يزعمها اليهود لكل بنى إسرائيل دون سواهم من البشر، ولايراها منافية للعدالة

الإلهية، فلا معنى لمدحه المعتزلة بأنهم يرفضون الشفاعة لأنهم طلاب مساواة!

تهافت منطق الوهابيين فى الشفاعة والاستشفاع

والأعجب من المستشرقين الوهابيون.. حيث يتوسعون فى الشفاعة فيجعلونها تشمل اليهود والنصارى وجميع الخلق، على حد تعبير ابن تيمية، قال فى مجموعة رسائله:۱/۱۰: أجمع المسلمون على أن النبى (ص) يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك وبعد أن يأذن الله فى الشفاعة. ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة... أنه يشفع لأهل الكبائر، ويشفع أيضاً لعموم الخلق. انتهى.

ولكنهم فى نفس الوقت يحرّمون الاستشفاع والتوسل بالنبى صلى الله عليه وآله ويعتبرونه شركاً، مع أن الاستشفاع هو طلب شفاعة النبى صلى الله عليه وآله إلى الله تعالى فى الآخرة، أو فى أمر من أمور الدنيا!

إن التناسب بين الإعتقاد بسعة الشفاعة فى الآخرة يقتضى تجويز الإستشفاع بأهلها فى الدنيا!

وبتعبير آخر: إن تحريم الإستشفاع والتوسل فى الدنيا، يناسبه إنكار الشفاعة فى الآخرة، لا القول بسعتها لجميع الخلق!

وقد التفت إلى ضرورة هذا التناسب بعض المتأثرين بالفكر الوهابى فى تحريم التوسل والاستشفاع، فأنكر شفاعة نبينا صلى الله عليه وآله بمعناها المعروف، وفسرها بتفسير شاذٍّ جعل منها أمراً شكلياً بعيداً عن أفعال الله تعالى.

قال فيما قال: إن الشفاعة هى كرامة من الله لبعض عباده فيما يريد أن يظهره من فضلهم فى الآخرة فيشفعهم فى من يريد المغفرة له ورفع درجته عنده، لتكون المسألة فى الشكل واسطة فى النتائج التى يتمثل فيها العفو الإلهى الربانى، تماماً كما لو كان النبى السبب أو الولى هو الواسطة.

إلى أن قال: وفى ضوء ذلك لا معنى للتقرب للأنبياء والأولياء ليحصل الناس على شفاعتهم، لأنهم لا يملكون من أمرها شيئاً بالمعنى الذاتى المستقل. بل الله هو المالك لذلك كله على جميع المستويات، فهو الذى يأذن لهم بذلك فى مواقع محددة ليس لهم أن يتجاوزوها. الأمر الذى يفرض التقرب إلى الله فى أن يجعلنا ممن يأذن لهم بالشفاعة له. انتهى.

ولم يصرح صاحب هذا القول بحرمة طلب الشفاعة من الأنبياء والأولياء (عليهم السلام)، ولكن محمد ابن عبد الوهاب صرح بذلك، واعتبر طلب الشفاعة منهم (عليهم السلام)شركاً! قال (فالشفاعة كلها لله فاطلبها منه، وقل: اللهم لا تحرمنى شفاعته اللهم شفعه فىَّ. وأمثال هذا.

فإن قال: النبى (ص) أعطى الشفاعة، وأنا أطلب مما أعطاه الله.

فالجواب: أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا، وقال: فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا... الخ.).

وقد قسم ابن عبد الوهاب الشفاعة إلى شفاعة منفية، وهى التى (تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله) وشفاعة مثبتة، وهى (التى تطلب من الله الشافع المكرم بالشفاعة... الخ.) انتهى.

والجواب الكلى على هذه المقولة أنها دعوى بدون دليل، نشأت من سوء الفهم لمعنى الشفاعة، ومعنى طلبها من الشافع، ومعنى الاستشفاع والتوسل إلى الله تعالى بالنبى وآله صلى الله عليه وآله وأوليائه المقربين! فافترضت فيها معان لا توجد فيها!!

والجواب عنها بشىء من التفصيل، أنها تتضمن شبهتين ينبغى التفكيك بينهما:

فالشبهة الأولى حول الشفاعة، ومفادها أن آيات الشفاعة وأحاديثها، يجب أن تحمل على المجاز، لأن الشفاعة فيها أمرٌ شكلى لا حقيقى!

ولم يذكر صاحب هذه الشبهة دليلاًـ على لزوم ترك المعنى الحقيقى وحمل نصوص الشفاعة على المجاز، بل لم نجد أحداً من الوهابيين ذكر ذلك.. نعم ذكر محمد رشيد رضا إشكال بعضهم على ذلك وأجاب عنه بما قد يفهم منه أن الشفاعة أمرٌ شكلى!

قال فی تفسیر المنار:۸/۱۳:

فإن قیل: ألیس الشفعاء یؤثرون فی إرادته تعالی، فیحملونه علی العفو عن المشفوع لهم والمغفرة لهم؟

قلنا: کلا إن المخلوق لا یقدر علی التأثیر فی صفات الخالق الأزلیة الکاملة... فیکون ذلک إظهار کرامة وجاه لهم عنده، لا إحداث تأثیر الحادث فی صفات القدیم وسلطان له علیها، تعالی الله عن ذلک. انتهی.

ومفاد هذه الشبهة أن القول بالشفاعة الحقیقیة یستلزم أن تکون إرادة الخالق متأثرة بإرادة المخلوق، وهو محال، فلا بد من القول بأن الشفاعة شکلیة!!

وکذلک القول بتعلیق بعض أفعاله تعالی علی طلب أنبیائه وأولیائه منه، مثل الرزق، والشفاء، والمغفرة، والنجاة من النار وإدخال الجنة.. لابد أن یکون شکلیاً، لأن الحقیقی منه محال.

والجواب عنها: أن أصحاب هذه الشبهة أخطأوا فی تخیلهم أن تعلیق الله تعالی لمغفرته أو عطائه علی طلب مخلوق، معناه تأثیر المخلوق فی إرادته سبحانه وتعالی! فإن تعلیق الإرادة علی شیء ممکنٌ بالوجدان، ولا محذور فیه، لأنه بذاته فعلٌ إرادی وتأکیدٌ للارادة لا سلبها، أو جعلها متأثرة بفعل آخر، أو شیء آخر.. لقد تصور هؤلاء أن الشفاعة من الله، إذا أعطیت لاحد تصیر شفاعةً من دون الله تعالی، فوقعوا فی هذه الشبهة!

أما إذا قالوا إن ذلک ممکنٌ ولکن الله تعالی لا یفعله لأنه لا یجوز له، فلا دلیل لهم علیه من عقل، ولا قول الله تعالی ولا قول رسوله صلی الله علیه وآله.

وإن کانوا یمنعونه من عند أنفسهم، فهو تعدٍّ علی الله تعالی، وتحدیدٌ لصلاحیات من لایسأل عما یفعل، وهم یسألون!

ثم إن اللغة تأبی علیهم ما قالوه، فآیات الشفاعة وأحادیثها ظاهرة فی الشفاعة الحقیقیة لا الشکلیة، ولا یمکنهم صرفها عن ظاهرها!

والشبهة الثانیة حول الاستشفاع بالنبی وآله صلی الله علیه وآله، وهی الشبهة التی یکررها ابن تیمیة والوهابیون، وهی غیر شبهة الشفاعة وإن کانت مرتبطة بها.

ومفادها أن طلب الشفاعة حتی ممن ثبت أن الله تعالی أعطاهم إیاها حرامٌ، لأنه شرکٌ بالله، وادعاءٌ لهؤلاء المخلوقین بأنهم یملکون الشفاعة من دون الله تعالی!!

وقد استدل ابن عبد الوهاب علی ذلک بآیات النهی عن اتخاذ شریک مع الله کقوله تعالی (فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا).

والجواب عنها: أنه ثبت من القرآن والسنة أن کثیراً من الأفعال الإلهیة تتم بواسطة الملائکة، ولیس فی ذلک أی شرک لهم مع الله تعالی، لا فی ملکه، ولا فی أمره، بل هم عبادٌ مکرمون مطیعون. ولا مانع من العقل أو النقل أن یجعل الله تعالی أنواعاً من أفعاله وعطائه بواسطة الأنبیاء والاوصیاء (علیهم السلام) أو یجعلها معلقةً علی طلبهم منه!

ولا یصح التفریق بین الأمرین والقول بأن ذلک إن کان بواسطة الملائکة فهو إیمان لانهم لایصیرون شرکاء، أما إن کان بواسطة غیرهم فیصیرون شرکاء لله تعالی!

أو القول بأن تعلیق العطاء الالهی علی طلب الأنبیاء والاوصیاء (علیهم السلام) شراکةٌ لله تعالی وشرکٌ به، لکن شراکة الملائکة لله تعالی والشرک بهم لا بأس به!!

نقول لأصحاب هذه الشبهة: إقرؤوا قول الله تعالی: وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَکَانَ اللهُ عَلِیمًا حَکِیمًا. الفتح: ۴.

وقوله تعالی: وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَکَانَ اللهُ عَلِیمًا حَکِیمًا. الفتح: ۷.

وقوله تعالی: وَمَا یَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّکَ إِلا هُوَ وَمَا هِیَ إِلا ذِکْرَی لِلْبَشَرِ. المدثر: ۳۱.

ثم نقول لهم: نحن وأنتم لایحق لنا أن نقسم رحمة الله تعالی أو نحصرها، أو نحصر طرقها، أو نضع له لائحة فتاوی لما یجوز له أن یفعله وما لایجوز!

ومعرفتنا ومعرفتکم بما یمکن له تعالی أن یفعله وما لا یمکن، إنما جاءت مما دلنا علیه العقل دلالةً قطعیة، أو دلنا علیه کتاب الله وسنة رسوله صلی الله علیه وآله.

والعقل لا ـ یری مانعاً فی أن یربط الله تعالی أفعاله بطلب ملائکته أو أولیائه، فیجعلهم أدوات رحمته، ووسائط فیضه، ووسائل عطائه.. وذلک لا یعنی تشریکهم فی ألوهیته، بل هم عباده المکرمون المطیعون، ووسائله وأدواته التی یرحم بها عباده.

هذا من ناحیة نظریة.. وأما من ناحیة الوقوع والثبوت، فقد دل الدلیل علی أن أنظمة الفعل الالهی وقوانینه واسعةٌ ومعقدةٌ، ودل علی أنه تعالی جعل کثیراً من عطائه – إن لم یکن کله – عن طریق خِیَرةِ عباده من الملائکة والأنبیاء والاوصیاء (علیهم السلام) ودل الدلیل علی جواز الاستشفاع والتوسل بنبینا وآله صلی الله علیه وآله والطلب من الله تعالی بحقهم وحرمتهم وواسطتهم، سواءً فی ذلک أمور الدنیا والآخرة..

ودل الدلیل علی أن موتهم (علیهم السلام) لیس کموت غیرهم، وأن حرمتهم أمواتاً کحرمتهم أحیاء صلوات الله علیهم.

وقد قال تعالی فی آخر سورة أنزلها من کتابه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. المائدة: ۳۵، ولا فرق فی أصحاب الوسیلة إلی الله تعالی بین الملائکة وغیرهم، بل التوسل بنبینا صلی الله علیه وآله أفضل وأرجی من التوسل بالملائکة، لأنه أفضل مقاماً عند الله منهم.

وسیأتی ذلک فی بحث التوسل والإستشفاع، إن شاء الله تعالی. ویأتی أنه یجوز لنا أن نطلب العطاء الإلهی المعلق علی شفاعة الأنبیاء والأولیاء، أو غیر المعلق، منهم أنفسهم (علیهم السلام) ولا یعتبر ذلک شرکاً، بل هو طلبٌ من الله تعالی.

وأن حکم التوسل بالأنبیاء والأولیاء والإستشفاع بهم إلی الله تعالی، لا یختلف بین الاموات منهم والاحیاء (علیهم السلام).. إلی آخر المسائل التی خالف فیها الوهابیون عامة المسلمین.

وقد أجاب السید جعفر مرتضی فی کتابه خلفیات مأساة الزهراء علیها السلام / ۲۲۱ – ۲۲۵ علی الشبهتین المذکورتین، ومما قاله:

۱ – إن الکل یعلم: أن لا أحد یدعو محمداً صلی الله علیه وآله أو علیاً علیه السلام أو أی نبی أو ولی کوجودات منفصلة عن الله تعالی ومستقلة عنه بالتأثیر، ولم تحدث فی کل هذا التاریخ الطویل أن تکونت ذهنیة شرک عند الشیعة نتیجة لذلک فضلاً عن غیرهم.

۲ – إننا نوضح معنی الشفاعة فی ضمن النقاط التالیة:

أ – إن الإنسان المذنب قد لا یجد فی نفسه الاهلیة أو الشجاعة لمخاطبة ذلک الذی أحسن إلیه وأجرم هو فی حقه، أو هکذا ینبغی أن یکون شعوره فی مواقع کهذه، فیوسط له من یحل مشکلته معه ممن لا یرد هذا المحسن طلبهم ولا یخیب مسألتهم..

ب – إن الله إنما یرید المغفرة للعبد المذنب بعد شفاعة الشفیع له.. ولم تکن تلک الإرادة لتتعلق بالمغفرة لولا تحقق الشفاعة..فلو أن الشفیع لم یبادر إلی الشفاعة لکان العذاب قد نال ذلک العبد المذنب.

وهذا کما لو صدر من أحد أولادک ذنب فتبادر إلی عقوبته، فإذا وقف فی وجهک من یعز علیک وتشفع به فإنک تعفو عنه إکراماً له، وإن لم یفعل ذلک کما لو لم یکن حاضراً مثلاً فإنک ستمضی عقوبتک فی ذلک الولد المذنب لا محالة..فالشفاعة علی هذا سبب فی العفو أو جزء سببه له.

إذن فلیس صحیحاً ما یقوله البعض من أن الله تعالی له قد تعلقت إرادته بالمغفرة للعبد قبل الشفاعة بحیث تکون المغفرة له حاصلة علی کل حال، ثم یکرم الله نبیه ویقول له: هذا العبد أرید أن أغفر له فتعال وتشفع إلی فیه..

ج – إذا کان الشخص المذنب قد أقام علاقة طیبة مع ذلک الشافع وتودد إلیه ورأی منه سلوکاً حسناً واستقامة وانقیاداً، فإن الشافع یری أن من اللائق المبادرة إلی مساعدته فی حل مشکلته أما إذا کان قد أغضبه وأساء إلیه أو تعامل معه بصورة لا توحی بالثقة ولا تشیر إلی الإستقامة، فإنه لا یبادر إلی مساعدته ولا یلتفت إلیه.. فسلوک المشفوع له أثر کبیر فی مبادرة الشافع إلی الشفاعة.

د – وحین یکون الشفیع لا ـ یرید شیئاً لنفسه من ذلک الشخص ولا من غیره ویکون ما یرضیه هو ما یرضی الله سبحانه فإن تقدیم

الصـدقات والقربات للفقراء والإهتمام بما يرضـى الشافع، هو فى الواقع إثباتات عملية على أن ذلك المذنب راغبٌ فى تصـحيح خطئه وتـدارك مافاته، وهو براهين وإثباتات على أنه قـد التزم جادة الإسـتقامة ونـدم على ما فرط منه، فإذا قدم مالاً للفقراء أو أطعم أو ذبح شـاة وفرقهـا على المحتـاجين، فإن ذلك لا يكون رشوةً للنبى أو الولى.. وهو يعلم أن النبى والولى لا يأخـذ ذلك لنفسه بل يعود نفعه إلى الفقراء والمحتـاجين أو يسـتثمر فى سبيـل الله وفى نشـر الـدين والباذل إنما يبـذل ذلك رغبـة فى الحصول على رضا الشافع الـذى رضاه رضا الله.

ه- أمـا إذا أدار ذلـك المـذنب ظهره للنـبى والوصـى ولـم يلمس الشـافع منه أنه يتحرق لتحصـيل العفـو والرضـا عنه، ويقرع كـل بـاب ويتوسل بكل ما من شأنه أن يحل هذا الإشكال، ويبادر إلى العمل بكل مايعلم أنه يرضى سيده عنه، فإنه لا يشفع له ولا كرامة..

و – ومن الواضـح: أن من يكون جرمه هائلاًـ وعظيمـاً فإن إمكانيـة وفرص الاقـدام على الشـفاعة له تتضاءل وتضـعف.. فلا يضع النبى والوصـى نفسه فى مواضع كهـذه ولاـ يرضـى الله سـبحانه له ذلـك. كمـا أن من يـدير ظهره لأوليـاء الله ولاـ يهتم لرضـاهم ولا يزعجه سخطهم فإنه لا يستحق شفاعتهم قطعاً، لأن الإهتمام بهم وبرضاهم جزء من عبادته تعالى ومن المقربات إليه وموجبات رضاه.. فالتوسل إليهم والفوز بمحبتهم وبرضاهم سبيل نجاة وطريق هدى وسلامة وسعادة.

ز – إن من الواضح أن المجرم لا يمكن أن يتشـفع فى مجرم مثله، وأن المقصـر لا يتشـفع بنظيره، لأن الشفاعة مقامٌ عظيمٌ وكرامةٌ إلهية فلا يقبل الله سبحانه شفاعة كل أحد، بل الذين يشفعون هم أناسٌ مخصصون بكرامة الله سبحانه لانهم يستحقونها..

ح – قد ظهر مما تقدم: أن إرادة الله لم تكن قد تعلقت بالمغفرة للمذنب قبل الشفاعة لتكون شفاعة النبى أو الوصى بعدها – بالشكل – ومن دون أن يكون لهـا تسـبيب حقيقى.. بـل هنـاك تسبيب حقيقى للشـفاعة، فإنهـا هى سـبب المغفرة وهى سـبب إرادة الله بـأن يغفر لذلك المذنب ولو لم يقم الشافع بها لم يغفر الله لذلك المذنب.

ولولا ذلك فإنه لا يبقى معنى للشفاعة..ولا يكون العفو إكراماً للشافع واستجابة له. انتهى.

تعريف الشفاعة فى اللغة

قال الخليل فى كتاب العين: ۱/۲۶۰:

الشافع: الطالب لغيره، وتقول استشفعت بفلان فتشفع لى إليه فشفعه فىَّ. والاسم: الشفاعة. واسم الطالب: الشفيع. قال:

زعمت معاشر أننى مستشفع لما خرجت أزوره أقلامه

أى: زعموا أنى أستشـفع (بأقلامهم) أى بكتبهم إلى الممدوح، لا بل إنى أسـتغنى عن كتب المعاشـر بنفسـى عند الملك. والشـفعة فى الـدار ونحوها معروفـة يقضـى لصاحبها. والشافع: المعين، يقال فلان يشـفع لى بالعداوة، أى يعين على ويضادنى قال النابغة:أتاك امرؤ مستعلن شنآنهله من عدوٍّ مثل ذلك شافع أى: معين. وقال الاحوص:بأنَّ من لامَنِى لاصْرمهاكانوا علينا بلومهم شفعواأى: أعانوا.

وقال الراغب فى المفردات/۲۶۳:

الشـفع: ضم الشـئ إلى مثله ويقال للمشـفوع شفع. وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ: قيل الشفع المخلوقات من حيث إنها مركبات كما قال: ومن كل شئ خلقنا زوجين. والوتر هو الله من حيث إن له الوحدة من كل وجه.

وقيل: الشفع يوم النحر من حيث إن له نظيراً يليه، والوتر يوم عرفة. وقيل الشفع ولد آدم والوتر آدم لأنه لا عن والد.

والشـفاعة: الإنضـمام إلى آخر ناصـراً له وسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل فى انضـمام من هو أعلى حرمـة ومرتبـة إلى من هو أدنى. ومنه الشـفاعة فى القيامة قال (لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحمَنِ عَهْدًا. لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ. لا تُغْنِى شَـفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، أى لا يشفع لهم. وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ. مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَـفِيعٍ مَنْ يَشْـفَعْ شَـفَاعَةً حَسَـنَةً. وَمَنْ يَشْـفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً، أى من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعاً له أو شفعياً فى فعل الخير والشر

فعاونه وقواه وشاركه في نفعه وضره.

وقيل الشفاعة هاهنا أن يشرع الإنسان للآخر طريق خير أو طريق شر فيقتدى به، فصار كأنه شفع له وذلك كما قال عليه السلام: من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها، أي إثمها وإثم من عمل بها وقوله: ما من شفيع إلا ـ من بعد إذنه، أي يدبر الأمر وحده لا ـ ثاني له في فصل الأمر إلا أن يأذن للمدبرات والمقسمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلونه بعد إذنه. واستشفعت بفلان على فلان فتشفع لي، وشفعه أجاب شفاعته، ومنه قوله عليه السلام: القرآن شافع مشفع.

والشفعة: هو طلب مبيع في شركته بما بيع به ليضمه إلى ملكه، وهو من الشفع وقال عليه السلام: إذا وقعت الحدود فلا شفعة.

وقال في المفردات/۴۳۶:

وأما قوله: مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً إلى قوله: يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا، فإن الكفل ههنا ليس بمعنى الأول بل هو مستعار من الكفل وهو الشئ الردى.

وقال الزبيدي في تاج العروس:۵/۴۰۱:

وشفعته فيه تشفيعاً حين شفع كمنع شفاعة، أي قبلت شفاعته، كما في العباب قال حاتم يخاطب النعمان:

فَكَكْتَ عديّاً كلها من إسارها فأفضلْ وشفعني بقيسِ بن جُحْدرِ

وفي حديث الحدود: إذا بلغ الحد السلطان فلعن الله الشافع والمشفع.

وفي حديث أبي مسعود (رض): القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، أي من اتبعه وعمل بما فيه فهو شافع له مقبول الشفاعة من العفو عن فرطاته، ومن ترك العمل به ندم على إساءته وصدق عليه فيما يرفع من مساويه، فالمشفع الذي يقبل الشفاعة.

والمشفع الذي تقبل شفاعته، ومنه حديث الشفاعة: إشفع تشفع، واستشفعه إلينا، وعبارة الصحاح واستشفعه إلى فلان أي سأله أن يشفع له إليه، وأنشد الصاغاني للاعشى:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً يا رب جنِّب أبي الاوصاب والوجع

واستشفعت من سراة الحي ذا شرف فقد عصاها أبوها والذي شفع

يريد والذي أعان وطلب الشفاعة فيها. وأنشد أبو ليلى:

زعمت معاشر أنني مستشفعٌ لما خرجت أزوره أقلامه

قال زعموا أني أستشفع بأقلامهم في الممدوح أي بكتبهم.

ومما يستدرك عليه الشفيع من الأعداد ما كان زوجاً، والشفع ما شفع به سمى بالمصدر، وجمعه شفاع، قال كثير:

وأخو الاباءة إذ رأى خلانه تلى شفاعاً حوله كالاذخر

شبههم بالأذخر لأنه لا يكاد ينبت إلا زوجاً زوجاً. وشاة شفوع كشافع ويقال هذه شاة الشافع كقولهم صلاة الأولى ومسجد الجامع.

وهكذا روى في الحديث الذي تقدم عن سعر بن ديسم (رض)، وشاة مشفع كمكرم ترضع كل بهيمة، عن ابن الأعرابي. وتشفع إليه في فلان: طلب الشفاعة، نقله الجوهري. وتشفعه أيضاً مطاوع استشفع به كما في المفردات. وتشفع صار شافعي المذهب وهذه مولدة. والشفاعة ذكرها المصنف ولم يفسرها وهي كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره. وشفع اليه في معنى طلب إليه. وقال الراغب: الشفع ضم الشئ إلى مثله، والشفاعة الإنضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما تستعمل في إنضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيامة. وقال غيره: الشفاعة التجاوز عن الذنوب والجرائم. وقال ابن القطاع: الشفاعة المطالبة بوسيلة أو ذمام.

تعريف الشفاعة عند المتكلمين

قال الشريف المرتضى في رسائله:۱/۱۵۰:

وحقیقة الشفاعة وفائدتها: طلب إسقاط العقاب عن مستحقه، وإنما تستعمل فی طلب إیصال المنافع مجازاً وتوسعاً، ولا خلاف فی أن طلب إسقاط الضرر والعقاب یکون شفاعة علی الحقیقة.

وقال فی:۳/۱۷:

وشفاعة النبی صلی الله علیه وآله إنما هی فی إسقاط عقاب العاصی لا فی زیادة المنافع، لأن حقیقة الشفاعة تختص بذلک، من جهة أنها لو اشترکت لکنا شافعین فی النبی صلی الله علیه وآله إذا سألنا فی زیادة درجاته ومنازله. انتهی.

وقال فی:۲/۲۷۳:

الشفاعة: طلب رفع المضار عن الغیر ممن هو أعلی رتبة منه، لاجل طلبه.

وقال أبو الصلاح الحلبی فی الکافی/۴۶۹:

وقلنا: إن الشفاعة وجهٌ عندنا لإجماع الأمة علی ثبوتها له صلی الله علیه وآله ومضی إلی زمان حدوث المعتزلة علی الفتوی بتخصیصها بإسقاط العقاب، فیجب الحکم بکونها حقیقة فی ذلک، لانعقاد الإجماع فی الازمان السابقة لحدوث هذه الفرقة.

تفسیر التبیان:۵/۳۳۴:

قوله تعالی: إِنَّ رَبَّکُمُ اللهُ الَّذِی خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَی عَلَی الْعَرْشِ یُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِیعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِکُمُ اللَّهُ رَبُّکُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَکَّرُونَ...

وقوله: مَا مِنْ شَفِیعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ، فالشفیع هو السائل فی غیره لاسقاط الضرر عنه. وعند قوم أنه متی سأله فی زیادة منفعة توصل إلیه کان شفیعاً. والذی اقتضی ذکره هاهنا صفات التعظیم مع الیأس من الإتکال فی دفع الحق علی الشفیع.

والمعنی هاهنا أن تدبیره للاشیاء وصنعته لها، لیس یکون منه بشفاعة شفیع، ولا تدبیر مدبر لها سواه، وأنه لا یجسر أحدٌ أن یشفع الیه إلا بعد أن یأذن له فیه، من حیث کان تعالی أعلم بموضع الحکمة والصواب من خلقه بمصالحهم...

وإنما ذکر الشفیع فی الآیة ولم یجر له ذکر، لأن المخاطبین بذلک کانوا یقولون الأصنام شفعاؤهم عند الله، وذکر بعدها: ویعبدون من دون الله ما لا یضرهم ولا ینفعهم ویقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وإذا کانت الأصنام لا تعقل فکیف تکون شافعة! مع أنه لا یشفع عنده إلا من ارتضاه الله.

کنز الدقائق:۱/۲۳۸:

واتقوا یوماً لا تجزی نفس عن نفس شیئاً ولا یقبل منها شفاعة ولا یؤخذ منها عدل ولا هم ینصرون. واستدلت المعتزلة بهذه الآیة علی نفی الشفاعة لأهل الکبائر.

قال البیضاوی: وأجیب بأنها مخصوصة بالکفار للآیات والأحادیث الواردة فی الشفاعة، قال: ویؤیده أن الخطاب معهم، والآیة نزلت رداً لما کانت الیهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم.

أقول: الآیة یحتمل أن تکون مخصصة للآیات والأحادیث الواردة فی الشفاعة الدالة علی عمومها، کما أن کون الخطاب معهم یحتمل أن یکون مؤیداً للتخصیص بالکفار، فلا یتم الإستدلال من الجانبین، فتأمل.

مجمع البحرین:۲/۵۲۲:

قال تعالی: مَنْ یَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً یَکُنْ لَهُ نَصِیبٌ مِنْهَا، قیل معناه من یصلح بین اثنین یکن له جزء منها. ومن یشفع شفاعة سیئة، أی یمشئ بالنمیمة مثلاً، یکن له کفل منها أی إثم منها.

وقیل المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنین، وبالشفاعة السیئة الدعاء علیهم.

قوله: وَلا یَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَی، دینه، وهو مروی عن الرضا علیه السلام وعن بعض المفسرین ولایشفعون إلا لمن ارتضی دینه من أهل الکبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغیر محتاجین إلی الشفاعة. قال الصدوق: المؤمن من تسره حسنته وتسوءه سیئته لقول

النبی صلی الله علیه وآله: من سرته حسنته وساءته سیئته فهو مؤمن، ومتی ساءته سیئته ندم علیها والندم توبة، والتائب مستحق الشفاعة والغفران. ومن لم تسوؤه سیئته فلیس بمؤمن ومن لم یکن مؤمناً لم یستحق الشفاعة، لأن الله تعالی غیر مرتض دینه.

قوله: فما تنفعهم شفاعة الشافعین قیل فی معناه لا ـ شافع ولا شفاعة، فالنفی راجع إلی الموصوف والصفة، کقوله لا یسألون الناس إلحافاً.

وفی الحدیث تکرر ذکر الشفاعة فیما یتعلق بأمور الدنیا والآخرة، وهی السؤال فی التجاوز عن الذنوب والجرائم، ومنه قوله صلی الله علیه وآله: أعطیت الشفاعة.

قال الشیخ أبو علی: واختلفت الأمة فی کیفیة شفاعة النبی صلی الله علیه وآله یوم القیامة فقالت المعتزلة ومن تابعهم: یشفع لأهل الجنة لیزید فی درجاتهم. وقال غیرهم من فرق الأمة: بل یشفع لمذنبی أمته ممن ارتضی الله دینهم، لیسقط عقابهم بشفاعته.

وفی حدیث الصلاة علی المیت: وإن کان المستضعف بسبیل منک فاستغفر له علی وجه الولایة. وفی الخبر: إشفع تشفع، أی تقبل شفاعتک، وفیه: أنت أول شافع وأول مشفع، هو بفتح الفاء، أی أنت أول من یشفع وأول من تقبل شفاعته. وفی الحدیث: لا تشفع فی حق امرئ مسلم إلا بإذنه. وفیه: یشفعون الملائکة لإجابة دعاء من یسعی فی المسعی کأنهم یقولون: اللهم استجب دعاء هذا العبد.

تفسیر الرازی:۲ جزء ۳/۵۵:

أجمعت الأمة علی أن لمحمد (ص) شفاعة فی الآخرة، وحمل علی ذلک قوله تعالی: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، وقوله تعالی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی... ثم اختلفوا بعد هذا فی أن شفاعته علیه السلام لمن تکون؟ أتکون للمؤمنین المستحقین للثواب، أم تکون لأهل الکبائر المستحقین للعقاب؟ فذهب المعتزلة إلی أنها للمستحقین للثواب... وقال أصحابنا تأثیرها فی إسقاط العذاب عن المستحقین للعقاب.

تحریف الیهود والنصاری للشفاعة

مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرهم

عراقة عقیدة الشفاعة

قاموس الکتاب المقدس/۵۱۳:

شفع – شفیع – شفاعة: وهی التوسط بین شخص وآخر. وهی دلیل محبة الإنسان لأخیه الإنسان. کما أنها مؤسسة علی أن معاملة الله للبشر معاملة لیست فردیة فحسب بل جماعیة أیضاً.

والصلاة الشفاعیة قدیمة قدم نوح (تک ۸: ۲۰ و ۲۲) وإبراهیم (تک ۱۷: ۱۸ و۲۳–۳۳) وموسی (خر ۱۵: ۲۵).

وخلیفة موسی الذی رفع صلواته کقاضی وکاهن ونبی هو صموئیل (۱ صم ۷:۵ و ۸) وحیاة المسیح کانت ملیئة بالصلوات الشفاعیة. بل إن الصلاة الربانیة تحمل روح الشفاعة فی طلب الملکوت ومغفرة ذنوب الآخرین.

والصلاة الشفاعیة یرفعها الإنسان لاجل صدیق أو لاجل عدو (مت ۵: ۴۴) أما الروح القدس فهو یشفع فینا (رو ۸: ۲۶) أما المسیح فی حیاته الشخصیة وموته علی الصلیب فهو شفیعنا الذی ساقته شفاعته للموت علی الصلیب کفارة لخطایا البشریة. أنظر (وسیط).

قاموس الکتاب المقدس/۹۳۳:

وکان موسی وسیطاً بین الله وشعب بنی إسرائیل وهکذا المسیح هو وسیط بین الله والناس.

العهد القدیم والجدید:۳/۳۰۷:

۱۸ – لأنه إن کانت الوراثة من الناموس فلم تکن أیضاً من موعد. ولکن الله وهبها لإبراهیم بموعد.

۱۹ – لماذا الناموس. قد زيد بسبب التعديات إلى أن يأتى النسل الذى قد وعد له مرتباً بملائكة فى يد وسيط.

۲۰ – وأما الوسيط فلا يكون لواحد ولكن الله واحد.

شفاعة ابراهيم للمؤمنين و لاسماعيل و لوط

قاموس الكتاب المقدس/۱۱:

ثم أعلن الرب لإبراهيم خراب سدوم وعمورة بسبب شرهما فتشفع إبراهيم لاجل الابرار هناك فأنقذ الرب لوطاً بيد ملاكين (تك/۱۸ و ۱۹)... وحيثما سكن إبراهيم كان يقيم مذبحاً للرب ويدعو باسمه (تك ۱۲: ۷ و ۸) وقد قدم صلوات تشفعية لأجل الآخرين ففى تك ۲۰:۱۷ صلى لأجل إسماعيل وفى تك ۱۸: ۲۳ – ۳۲ تشفع لاجل لوط.

شفاعة زكريا لبنى إسرائيل

قاموس الكتاب المقدس/۴۴۱:

كما ظهر لزكريا بروح النبوة واقفاً على هذا الجبل شافعاً فى شعبه (زك ۱۴: ۴).

البشارة بالشفيع الذى سيأتى (البراقليطس)

قاموس الكتاب المقدس/۶۲۷:

معز: (يو ۱۴: ۱۶ و ۱۵: ۲۶ و ۱۶: ۷) وهو الروح القدس. ولم ترد إلا فى إنجيل يوحنا. والكلمة الأصلية اليونانية (برا كليتيس) وتعنى (معز ومعين وشفيع ومحام) وتشير إلى عمل الروح القدس لأجلنا.

توسيع بولس للشفاعة و حصرها بالمسيح

قاموس الكتاب المقدس/۱۲۴:

ومع أن بنى الإنسان قد فقدوا الصورة الإلهية التى خلقوا عليها، ومع أنهم وقعوا تحت طائلة العقاب الإلهى الرهيب، إلا أنهم بسبب عمل الفداء أهل لأن ينالوا غفران خطاياهم غفراناً تاماً كاملًا إذا آمنوا بالرب يسوع المسيح (الشفيع الوحيد بين الله والناس) وندموا على خطاياهم ندامة صحيحة حقيقية، وأصبحوا أهلًا للتحرر من عبودية الخطيئة ورقها والانتقال إلى حرية أبناء الله بالنعمة المجانية.

قاموس الكتاب المقدس/۷۹۵:

وقد وصف يسوع بأنه رئيس كهنة المؤمنين العظيم الذى نضح قدس الاقداس السماوى بدمه، والذى جلس عن يمين الاب هناك حيث هو الان يشفع فيهم (عب ۴: ۱۴ و۷: ۲۵ و ۹: ۱۲) الخ.

قاموس الكتاب المقدس/۸۶۹:

وأعلن لهم أن يهوذا الذى كان واحداً منهم سيسلمه (مر ۱۴: ۱۸–۲۱ ويو ۱۳ ۲۱ – ۳۰) ورسم لهم فريضة العشاء الربانى (مت ۲۶: ۲۶–۲۹ وما يليه) ثم قدم صلاته الشفاعية العظمى من أجل أتباعه (يو ۱۷: ۱–۲۶. من ثم قدم نفسه نهائياً للاب وسلم إرادته تسليماً كلياً له فى بستان جشيمانى (مت ۲۶: ۳۹–۴۶ غيره).

قاموس الكتاب المقدس/۸۸۹:

وسيط ۱ تى ۲: ۵ وسيط العهد الجديد عب ۱۲: ۲۴.

قاموس الكتاب المقدس/۹۰۴:

وكذلك يذكر فيلو (ملكى صادق) كرمز ومجاز للعقل الصائب الخير، بينما يذكره كاتب الرسالة إلى العبرانيين رمزاً للمسيح الفادى والوسيط الأعظم.

العهد القديم والجديد:۲/۵۷:

لأن معاصينا كثرت أمامك وخطايانا تشهد علينا لأن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها.

۱۳ – تعدينا وكذبنا على الرب وحدنا من وراء إلهنا. تكلمنا بالظلم والمعصية، حبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب.

۱۴ – وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيداً. لأن الصدق سقط فى الشارع والإستقامة لا تستطيع الدخول.

۱۵ – وصار الصدق معدوماً والحائد عن الشر يسلب، فرأى الرب وساء.

۱۶ – فرأى أنه ليس إنسان وتحير من أنه ليس شفيع...

۳۴ – من هو الذى يدين. المسيح هو الذى مات بل بالحرى قام أيضاً الذى هو أيضاً عن يمين الله الذى أيضاً يشفع فينا.

العهد القديم والجديد:۳/۳۳۹:

۵ – لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح.

۶ – الذى بذل نفسه فدية لاجل الجميع، الشهادة فى أوقاتها الخاصة.

۷ ـ التى جعلت أنا لها كارزاً ورسولاً. الحق أقول فى المسيح ولا أكذب. معلماً للأمم فى الإيمان والحق.

۸–فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال

العهد القديم والجديد:۳/۲۵۶:

۲۶ ـ وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاءنا، لاننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها.

۲۷ ـ ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح، لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين.

العهد القديم والجديد:۳/۳۵۸:

۲۵ ـ فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم.

۲۶– – لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات.

۲۷ – الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه.

العهد القديم والجديد:۳/۳۶۱:

۱۱ – وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أى الذين ليس من هذه الخليقة.

۱۲ – وليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداء أبدياً.

العهد القديم والجديد:۳/۳۶۲:

ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد، لكى يكون المدعوون إذ صار موت لفداء التعديات التى فى العهد الأول، ينالون وعد الميراث الأبدى.

العهد القديم والجديد:۳/۳۶۷:

۲۲ – بل قد أتيتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة.

۲۳ – وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات، وإلى الله ديان الجميع، وإلى أرواح أبرار مكملين.

۲۴ – وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل.

۲۵ – انظروا أن لا تستعفوا من المتكلم. لأنه إن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأرض، فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذى من السماء.

العهد القديم والجديد:۳/۳۸۶:

۱ – يا أولادى أكتب إليكم هـذا لكى لا تخطئوا، وإن أخطأ أحـد فلنا شـفيع عند الأب، يسوع المسيح البار. ۲ – وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً.

۳ – وبهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه.

نفهم من هذه النصوص ملامح حقائق عديدة أهمها:

أولاـً: أن أصل شفاعة الأنبياء والاوصياء وخيار المؤمنين للخاطئين، هى عنـدهم كما عنـدنا، أمرٌ ثابتٌ فى الرسالات الإلهيـة من عهد إبراهيم، بل من عهد نوح (عليهما السلام).

ثانيـاً: أنهـا أخـذت فى اليهود شـكل شـفاعة رؤساء الكهنـة ومسؤولى القرابين فى المعابـد، ثم وصـلت إلى ادعاء اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار، وأنهم لا تمسهم النار إلا أياماً معدودة.. فلا يحتاجون إلى شفاعة!

ثالثاً: أن (عقيدة الفداء المسيحية) التى تدعى أن المسيح عليه السلام قد شفع فى خطايا كل البشر بتحمله الصلب والقتل.. هى توسيع لعقيدة الشفاعة اليهودية، وقد اخترعها بولس الذى نصَّرَ النصارى، وعممها لغير القومية اليهودية.

قال الدكتور أحمد شلبى فى كتابه مقارنة بين الأديان: ۲/۲۴۵ تحت عنوان: الله فى التفكير المسيحى:

ومن أجل هذا كان نقل المسيحية من الوحدانية إلى التثليث ونقل عيسى من رسول إلى إله، والقول بأن المسيحية رسالة عامة، والقول بأن عيسى ابن الله نزل ليضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر، وأنه عاد مرة أخرى إلى السماء ليجلس على يمين أبيه، كان هذا كله عملاً جديداً على المسيحية التى جاء بها عيسى.

كيف انتقلت المسيحية من حال إلى حال ومن الذى قام بذلك ومتى؟

هذا ما سنحاول إبرازه فيما يلى:

ترتبط هذه الأمور بشخصية مهمة فى المسيحية هى شخصية شاؤول (بولس) ولذلك يرى الباحثون الغربيون أن المسيحية الحالية بهذه العناصر الجديدة من صنع هذا الرجل...!

وبولس كما يقول عن نفسه (يهودى فريسى ابن فريسى على رجاء قيامة الأموات – أعمال الرسل ۲۳: ۶) وكان عدواً للمسيحيين وهو فى ذلك يقول (سمعتم بسيرتى قبلاًـ فى الديانة اليهودية، إنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها، وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى، إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى (غلاطية ۱: ۱۳–۱۴).

ويبدو أنه كان من وسائل بولس لتدمير المسيحية أن يحطم معتقداتها واتجاهاتها المقدسة، ووضع لذلك طريقة تكفل له الوقوف فى وجه معارضيه عندما يظهر بأفكاره الجديدة،

فادعى شاؤول أن السيد المسيح – بعد نهايته على الأرض – ظهر له وصاح فيه وهو فى طريقه إلى دمشق: لماذا تضطهدنى، فخاف شاؤول وصرخ: من أنت يا سيد؟ قال: أنا يسوع الذى تضطهده! قال شاؤول: ماذا تريد أن أفعل؟ قال يسوع: قم وكرز بالمسيحية!!

ويقول لوقا فى ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ هى:

وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أنه ابن الله(أعمال ۹: ۳–۳۰) انتهى.

رابعاً: أن الإتجاه العام عند محرفى الأديان بعد أنبيائهم هو تسهيل أمر المغفرة الإلهية ودخول الجنة لاتباعهم، والافراط فى ذلك إلى حد إلغاء قانون العقوبة الإلهية، وفى المقابل التشدد مع خصومهم ومخالفيهم من التابعين لنفس الدين، والحكم عليهم بأنهم من أهل النار!

خامساً: بما أنه ثبت عن النبی صلی الله علیه وآله بأحادیث صحیحة عند الجمیع، أن الأمة الإسلامیة سوف تتبع سنن الیهود والنصاری فی انحرافها عن الإسلام وتحریفها له، وفی صراعاتها الداخلیة.. فإن علی الباحث أن یکون حذراً متثبتاً فی أحادیث الصحابة فی الشفاعة، لکی یمیز بین الثابت منها بنصوص متفق علیها عند جمیع المسلمین، وبین الذی یتبناه صحابی نافذ، أو فئة حاکمة، وفی نفس الوقت یوجد فی الصحابة من ینفیه أو یکذبه!

مقولاتهم فی الشفاعة من مصادرن

قال الله تعالی: وَقَالَتِ الْیَهُودُ وَالنَّصَارَی نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ یُعَذِّبُکُمْ بِذُنُوبِکُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ یَغْفِرُ لِمَنْ یَشَاءُ وَیُعَذِّبُ مَنْ یَشَاءُ وَللهِ مُلْکُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَیْنَهُمَا وَإِلَیْهِ الْمَصِیرُ. یَا أَهْلَ الْکِتَابِ قَدْ جَاءَکُمْ رَسُولُنَا یُبَیِّنُ لَکُمْ عَلَی فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِیرٍ وَلا نَذِیرٍ فَقَدْ جَاءَکُمْ بَشِیرٌ وَنَذِیرٌ وَاللهُ عَلَی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ. المائدة ۱۸-۱۹.

تفسیر التبیان:۳/۴۷۷:

وَقَالَتِ الْیَهُودُ وَالنَّصَارَی نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ... روی عن ابن عباس أن جماعة من الیهود قالوا للنبی صلی الله علیه وآله حین حذرهم بنقمات الله وعقوباته فقالوا: لا تخوفنا فإنا أبناء الله وأحباؤه.

وقال السدی: إن الیهود تزعم أن الله عز وجل أوحی إلی بنی اسرائیل أن ولدک بکر من الولد. وقال الحسن: إنما قالوا ذلک علی معنی قرب الولد من الوالد.

وأما قول النصاری فقیل فیه: إنهم تأولوا ما فی الإنجیل من قول عیسی أذهب إلی أبی وأبیکم. وقال قوم: لما قالوا المسیح ابن الله أجری ذلک علی جمیعهم کما یقولون: هذیل شعراء، أی منهم شعراء...

وقوله: وأحباؤه، جمع حبیب فقال الله لنبیه محمد صلی الله علیه وآله: قل لهؤلاء المفترین علی ربهم: فلم یعذبکم بذنوبکم؟ فلای شئ یعذبکم بذنوبکم إن کان الأمر علی ما زعمتم، فإن الاب یشفق علی ولده والحبیب علی حبیبه.

والیهود تقرُّ أنهم یعذبون أربعین یوماً، وهی عدد الأیام التی عبدوا فیها العجل!

وقوله: بل أنتم بشر، معناه قل لهم لیس الأمر علی ما زعمتم أنکم أبناء الله وأحباؤه، بل أنتم بشر ممن خلق من بنی آدم، إن أحسنتم جوزیتم علی إحسانکم مثلهم، وإن أسأتم جوزیتم علی إساءتکم، کما یجازی غیرکم، ولیس لکم عند الله إلا ما لغیرکم من خلقه.

تفسیر التبیان:۱/۴۸۶:

أَتُحَاجُّونَنَا فِی اللهِ... وکانت محاجتهم له صلی الله علیه وآله أنهم زعموا أنهم أولی بالحق لانهم راسخون فی العلم وفی الدین، لتقدم النبوة فیهم والکتاب، فهم أولی بأن یکون الرسول منهم.

وقال قوم: بل قالوا نحن أحق بالإیمان، لأنا لسنا من العرب الذین عبدوا الأوثان. وقال الحسن: کانت محاجتهم أن قالوا نحن أولی بالله منکم، وقالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ، وقالوا لن یدخل الجنة إلا من کان هوداً أو نصاری، وقالوا کونوا هوداً أو نصاری تهتدوا. وغرضهم بذلک الإحتجاج بأن الدین ینبغی أن یلتمس من جهتهم، وأن النبوة أولی أن تکون فیهم. ولیس الأمر علی ما ظنوا، لأن الله أعلم حیث یجعل رسالته، ومن الذی یقوم بأعبائها ویتحملها علی وجه یکون أصلح للخلق وأولی بتدبیرهم. وقوله: لنا أعمالنا، معناه الإنکار لإحتجاجهم بأعمالهم، لأنهم مشرکون ونحن له مخلصون. وقیل معناه الإنکار للإحتجاج بعبادة العرب للاوثان، فقیل: لا حجة فی ذلک، إذ لکل أحد عمله لا یؤخذ بجرم غیره.

سیرة ابن هشام:۲/۴۰۳:

وأتی رسول الله(ص)نعمان بن أضاء، وبحری بن عمرو، وشاس بن عدی، فکلموه وکلمهم رسول الله(ص)ودعاهم إلی الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا یا محمد؟! نحن والله أبناء الله وأحباؤه، کقول النصاری فأنزل الله تعالی فیهم: وَقَالَتِ الْیَهُودُ وَالنَّصَارَی نَحْنُ أَبْنَاءُ

اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ... الخ. ورواه فی الدر المنثور:۲/۲۶۹ عن ابن اسحق وابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم والبیهقی فی الدلائل، عن ابن عباس.

الدر المنثور:۲/۱۴:

عن قتادة: وغرهم فی دینهم ما کانوا یفترون، حین قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ.

وأخرج عبد بن حمید وابن جریر عن مجاهد: وغرهم فی دینهم ما کانوا یفترون، قال: غرهم قولهم لن تمسنا النار إلا أیاماً معدودة.

الدر المنثور:۲/۱۷۰:

وأخرج عبد الرزاق وابن جریر وابن أبی حاتم عن الحسن فی قوله: أَلَمْ تَرَ إلی الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، قال: هم الیهود والنصاری، قالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وقالوا لن یدخل الجنة إلا من کان هوداً أو نصاری.

وأخرج ابن جریر عن السدی فی قوله: أَلَمْ تَرَ إلی الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ، قال: نزلت فی الیهود قالوا: إنا نعلم أبناءنا التوراة صغاراً فلا یکون لهم ذنوب، وذنوبنا مثل ذنوب أبنائنا، ما عملنا بالنهار کُفِّرَ عنا باللیل.

الدر المنثور:۳/۳۷:

وأخرج عبد بن حمید وابن أبی حاتم عن قتادة فی قوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ، قال کذبوا له، أما الیهود والنصاری فقالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وأما مشرکوا العرب فکانوا یعبدون اللات والعزی، فیقولون: العزی بنات الله، سبحانه وتعالی عما یصفون، أی عما یکذبون..

وأخرج الطستی عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرنی عن قوله: وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ، قال: وصفوا لله بنین وبنات افتراء علیه، قال: وهل تعرف العرب ذلک؟ قال نعم، أما سمعت حسان بن ثابت یقول:

اخترق القول بها لاهیاً مستقبلاً أشعث عذب الکلام

الدر المنثور:۱/۸۹:

أخرج ابن جریر عن أبی العالیة قال: قالوا لن یدخل الجنة إلا من کان هوداً أو نصاری، وقالوا نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، فأنزل الله: قل إن کانت لکم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن کنتم صادقین، فلم یفعلوا.

وأخرج البیهقی فی الدلائل عن ابن عباس فی هذه الآیة قال: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ، یعنی الجنة کما زعمتم خالصة من دون الناس، یعنی المؤمنین فتمنوا الموت إن کنتم صادقین أنها لکم خالصة من دون المؤمنین. فقال لهم رسول الله (ص): إن کنتم فی مقالتکم صادقین قولوا: اللهم أمتنا، فوالذی نفسی بیده لا یقولها رجل منکم إلا غص بریقه فمات مکانه، فأبوا أن یفعلوا وکرهوا ما قال لهم، فنزل: وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ، یعنی عملته أیدیهم وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ.

وأخرج ابن اسحق وابن جریر وابن أبی حاتم عن ابن عباس فی قوله: فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ، أی ادعوا بالموت علی أی الفریقین أکذب، فأبوا ذلک، ولو تمنوه یوم قال ذلک ما بقی علی وجه الأرض یهودی إلا مات.

وأخرج ابن اسحق وابن جریر وابن أبی حاتم عن ابن عباس فی قوله: وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ، یعنی الیهود، ومن الذین أشرکوا، وذلک أن المشرک لا یرجو بعثاً بعد الموت فهو یحب طول الحیاة، وأن الیهودی قد عرف ماله فی الآخرة من الخزی بما ضیع ما عنده من العلم.

وقال الله تعالی: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ. بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۸۰ – ۸۲.

تفسیر التبیان:۱/۳۲۳:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وإنما لم یبین عددها فی التنزیل لأنه تعالی أخبر عنهم بذلک وهم عارفون بعدد الأیام التی یوقتونها فی النار، فلذلک نزل تسمیة عدد الأیام وسماها معدودة لما وصفنا. وقال أبو العالیة وعکرمة والسدی وقتادة: هی أربعون یوماً.

ورواه الضحاک عن ابن عباس. ومنهم قال: إنها عدد الأیام التی عبدوا فیها العجل.

وقال ابن عباس: إن الیهود تزعم أنهم وجدوا فی التوراة مکتوباً إن ما بین طرفی جهنم مسیرة أربعین سنة، وهم یقطعون مسیرة کل سنة فی یوم واحد، فإذا انقطع المسیر انقطع العذاب، وهلکت النار.

وقال مجاهد وسعید بن جبیر عن ابن عباس: إنها سبعة أیام، لأن عمر الدنیا سبعة آلاف سنة، وإنهم یعذبون بعدد کل ألف سنة یوماً واحداً من أیام الآخرة، وهو کألف سنة من أیام الدنیا.

ولما قالت الیهود ما قالت من قولها: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلاأَیَّامًا مَعْدُودَةً علی ما بیناه، قال الله تعالی لنبیه: قل أتخذتم عند الله عهداً بما تقولون من ذلک أو میثاقاً، فالله لا ینقض عهده، أم تقولون علی الله ما لا تعلمون من الباطل جهلاً وجرأة علیه...

قوله تعالی: بَلَی مَنْ کَسَبَ سَیِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ فَأُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ... قوله بلی جواب لقوله لن تمسنا النار إلا أیاماً معدودة، فرد الله علیهم بأن قال: بلی من أحاطت به خطیئته...

کنز الدقائق:۲/۴۷:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً: بسبب تسهیلهم أمر العذاب. وغرهم فی دینهم ما کانوا یفترون، من قولهم السابق، أو أن آبائهم الأنبیاء یشفعون لهم، أو أنه تعالی وعد یعقوب أن لا یعذب أولاده إلا تحلة القسم، وتکریر الکذب والإفتراء یصیره فی صورة الصدق عند قائله ومفتریه.

تفسیر نور الثقلین:۱/۹۳:

فی تفسیر علی بن ابراهیم قوله: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً، قال: قال بنو اسرائیل: لن تمسنا النار ولن نعذب إلا الایام المعدودات التی عبدنا فیها العجل، فرد الله علیهم: قُلْ - یا محمد لهم - أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ یُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَی اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ.

سیرة ابن هشام:۲/۳۸۰:

وقالوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ یُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَی اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ.

قال ابن إسحاق: وحدثنی مولی لزید بن ثابت عن عکرمة أو عن سعید بن جبیر عن ابن عباس قال: قدم رسول الله(ص)المدینة والیهود تقول: إنما مدة الدنیا سبعة آلاف سنة، وإنما یعذب الله الناس فی النار بکل ألف سنة من أیام الدنیا یوماً واحداً فی النار من أیام الآخرة، وإنما هی سبعة أیام ثم ینقطع العذاب، فأنزل الله فی ذلک من قولهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَیَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ یُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَی اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ. بَلَی مَنْ کَسَبَ سَیِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ، أی من عمل بمثل أعمالکم وکفر بمثل ما کفرتم به حتی یحیط کفره بماله عند الله من حسنة، فَأُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ، أی خلداً أبداً. وَالَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِکَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. أی من آمن بما کفرتم به وعمل بما ترکتم من دینه فلهم الجنة خالدین فیها، یخبرهم أن الثواب بالخیر والشر مقیم علی أهله أبداً ولا انقطاع له.

قال ابن إسحاق: ثم قال الله عز وجل یؤنبهم: وَإِذْ أَخَذْنَا مِیثَاقَ بَنِی إِسْرَائِیلَ، أی میثاقکم، لا تَعْبُدُونَ إلا اللهَ وَبِالْوَالِدَیْنِ إِحْسَانًا وَذِی الْقُرْبَی وَالْیَتَامَی وَالْمَسَاکِینِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِیمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّکَاةَ ثُمَّ تَوَلَّیْتُمْ إلا قَلِیلاً مِنْکُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ. أی ترکتم ذلک کله...

الدر المنثور:۱/۸۴:

قوله تعالی: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ الآیة. أخرج ابن إسحق وابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم والطبرانی والواحدی عن ابن عباس أن الیهود کانوا یقولون مدة الدنیا سبعة آلاف سنة... الخ.

وأخرج عبد بن حمید وابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم عن عکرمة قال: اجتمعت یهود یوماً فخاصموا النبی(ص)فقالوا: لَنْ تَمَسَّنَا

النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، وسموا أربعين يوماً ثم يخلفنا فيها ناس وأشاروا إلى النبى(ص) وأصحابه! فقال رسول الله(ص)ورد يده على رؤسهم: كذبتم بل أنتم خالدون مخلدون فيها لا نخلفكم فيها إن شاء الله تعالى أبداً، ففيهم أنزلت هذه الآية: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، يعنون أربعين ليلة.

وأخرج ابن جرير عن زيد بن أسلم أن رسول الله(ص)قال لليهود: أنشدكم بالله وبالتوراة التى أنزل الله على موسى يوم طور سيناء: من أهل النار الذين أنزلهم الله فى التوراة قالوا: إن ربهم غضب عليهم غضبة فنمكث فى النار أربعين ليلة ثم نخرج فتخلفوننا فيها! فقال رسول الله (ص): كذبتم والله لا نخلفكم فيها أبداً، فنزل القرآن تصديقاً لقول النبى(ص)وتكذيباً لهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلى قوله هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

مجمع الزوائد:۶/۳۱۴:

قوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً عن ابن عباس أن يهوداً كانوا يقولون هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب لكل سنة يوماً فى النار وإنما سبعة أيام معدودات، فأ نزل الله عز وجل: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، إلى قوله: فِيهَا خَالِدُونَ.

وقال الله تعالى: وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. البقرة: ۱۱۱ - ۱۱۲.

يَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ. البقرة: ۴۷ - ۴۸.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. آل عمران: ۳۱.

إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا. أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً. انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا. أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. النساء: ۴۸ - ۵۱.

تفسير التبيان:۳/۲۲۱:

وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، تلك أمانيهم. قال الزجاج: اليهود جاؤوا إلى النبى صلى الله عليه وآله بأولادهم الأطفال فقالوا: يامحمد أعلى هؤلاء ذنوب؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا، فقالوا: كذلك نحن مانعمل بالليل يغفر بالنهار، وما نعمل بالنهار يغفر بالليل، فقال الله تعالى: بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ.

وقال: مجاهد وأبو مالك: كانوا يقدمونهم فى الصلاة ويقولون: هؤلاء لا ذنب لهم. وقال ابن عباس: كانوا يقولون: أطفالنا يشفعون لنا عند الله.

كنز الدقائق:۲/۵۸:

قال الله تعالى: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ...

قال البيضاوى: روى أنها نزلت لما قالت اليهود: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وقيل: نزلت فى وفد نجران لما قالوا: إنا نعبد المسيح حباً لله..انتهى.

حقائق التأويل/۱۲۶:

وقال بعضهم إنهم قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، فالخلائق غيرنا عبيد لنا ومنخفضون عن علونا، فليس علينا جناح فى أكل أموال عبيدنا ومن هم فى الرتبة دوننا. قال صاحب هذا القول: واليهود يتدينون باستحلال أموال كل من خالفهم باستعمال الغش فى معاملاتهم، ويدعون أن ذلك فرض عليهم فى دينهم، وليس تأولهم لذلك على حد ما يتأوله المسلمون فى أهل الحرب.

وذهب أبو على إلى أن قولهم: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ، إنما يعنون به ليس علينا لهم سلطان ولا قدرة، فلا يجب علينا اتباعهم ولا

النزول تحت حكمهم، يريدون بذلك النبى صلى الله عليه وآله وأصحابه، فلذلك استحلوا أموالهم. انتهى.

تفسير التبيان:۱/۲۱۳:

وقوله: وَلاـ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ، مخصوص عندنا بالكفار، لأن حقيقة الشفاعة عندنا أن يكون فى إسقاط المضار دون زيادة المنافع. والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبى صلى الله عليه وآله فيشفعه الله تعالى ويسقط بها العقاب عن المستحقين من أهل الصلاة، لما روى من قوله صلى الله عليه وآله: ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى...

والشفاعة ثبتت عندنا للنبى صلى الله عليه وآله وكثير من أصحابه، ولجميع الأئمة المعصومين، وكثير من المؤمنين الصالحين.

وقيل إن نفى الشفاعة فى هذه الآية يختص باليهود من بنى إسرائيل، لأنهم ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه، وأن آباءهم يشفعون إليه، فآيسهم الله من ذلك فأخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص.

تفسير التبيان:۳/۲۲۱:

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا... قال الحسن والضحاك وقتادة وابن زيد وهو المروى عن أبى جعفر عليه السلام: إنهم اليهود والنصارى فى قولهم: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ.

قال الزجاج: اليهود جاؤوا إلى النبى صلى الله عليه وآله بأولادهم الاطفال فقالوا: يا محمد أعلى هؤلاء ذنوب؟ فقال صلى الله عليه وآله: لا، فقالوا: كذلك نحن ما نعمل بالليل يغفر بالنهار وما نعمل بالنهار يغفر بالليل، فقال الله تعالى: بَلِ اللهُ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ. وقال: مجاهد وأبو مالك: كانوا يقدمونهم فى الصلاة ويقولون: هؤلاء لا ذنب لهم. وقال ابن عباس: كانوا يقولون: أطفالنا يشفعون لنا عند الله.

تفسير التبيان:۳/۲۲۲:

وافتراؤهم الكذب على الله هاهنا المراد به تزكيتهم لانفسهم بأنا أبناء الله وأحباؤه، وأنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى، ذكره ابن جريج. وقوله: وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا، معناه تعظيم إثمه، وإنما يقال كفى به فى العظم على جهة المدح أو الذم كقولك كفى بحال المؤمن نبلًا، وكفى بحال الكافر إثماً.

تفسير التبيان:۳/۷۶:

وقوله: وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا... قال البلخى: إنهم قالوا: نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ وأهل الصوم والصلاة. وليسوا بأولياء الله ولا أحباؤه ولا أهل الصلاة والصيام، ولكنهم أهل شرك ونفاق. وهو المروى عن أبى جعفر عليه السلام...

تفسير نور الثقلين:۱/۴۸۹:

فى نهج البلاغة من كلام له عليه السلام يصف فيه المتقين: لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير، فهم لانفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زُكِّيَ أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بى من نفسى، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون، واغفر لى ما لا يعلمون. انتهى.

هذا، والآيات والأحاديث فى تحريفات اليهود للشفاعة ومقولاتهم فيها كثيرة، وسوف نرى أن بعض الصحابة قد أخذوا أفكار اليهود وتحريفاتهم للشفاعة حرفاً بحرف، حَذْوَ الْقُذَّةِ بالقذة، والنعل بالنعل..كما أخبر به الصادق الامين صلى الله عليه وآله!

الشفاعة عند عرب الجاهلية

عبد العرب الأصنام أملا بشفاعتهن

تدل آيات القرآن الكريم على أن عبادة العرب للأصنام كانت على أساس أنها رموز لمخلوقات مقربة عند الله تعالى تشفع لهم عنده.

قال الله عز وجل:

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ. الروم: ۱۲ ـ ۱۳.

أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونَ. إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ. يس: ۲۳ ـ ۲۴.

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ. قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. الزمر: ۴۳-۴۵.

أَلا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. الزمر: ۳ ـ ۴.

رسائل الشريف المرتضى:۳/۲۲۳:

حكى أبو عيسى الوراق فى كتابه كتاب المقالات أن العرب صنوف شتى: صنف أقر بالخالق وبالإبتداء والإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام، زعموا لتقربهم إلى الله زلفى ومعبراً إليها، ونحروا لها الهدايا ونسكوا لها النسائك، وأحلوا لها وحرموا.

ومنهم صنف أقروا بالخالق وبابتداء الخلق وأنكروا الإعادة والبعث والنشور.

ومنهم صنف أنكروا الخالق والبعث والاعادة، ومالوا إلى التعطيل والقول بالدهر، وهم الذين أخبر القرآن عن قولهم: ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر. ومنهم صنف مالوا إلى اليهودية، وآخر إلى النصرانية.

رسائل الشريف المرتضى:۳/۲۲۸:

وقد عبد الأصنام قوم من الأمم الماضية من أهل الهند والسند وغيرها، وقد أخبر الله تعالى عن قوم نوح أنهم عبدوها أيضاً فقال: لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا... وكان (سواع) لهذيل وكان (برهاط) وكان بدومة الجندل، وكان (يغوث) لمذحج ولقبائل اليمن، وكان (نسر) لذى الكلاع بأرض حمير، وكان (يعوق) لهمدان، وكانت (اللات) لثقيف وكانت بالطائف، وكانت (العزى) لقريش وجميع بنى كنانة وسدنتها من بنى سليم، وكانت (مناة) للاوس والخزرج وغسان وكانت بالمسلك، وكان (الهبل) أعظم أصنامهم عند أنفسهم وكان على الكعبة. وكان (أساف ونائلة) على الصفا والمروة، ووضعهما عمرو بن يحيى فكان يذبح عليهما تجاه الكعبة.

مجمع الزوائد:۷/۱۱۵:

عن ابن عباس أن العزى كانت ببطن نخلة، وأن اللات كانت بالطائف، وأن مناة كانت بقديد، قال على بن الجعد: بطن نخلة هو بستان بنى عامر.

تفسير القمى:۲/۲۵۰:

قوله: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ، يعنى الأصنام ليشفعوا لهم يوم القيامة، وقالوا إن فلاناً وفلاناً يشفعون لنا عند الله يوم القيامة. وقوله: قل لله الشفاعة جميعاً، قال: لا يشفع أحد إلا بإذن الله تعالى.

تفسير القمى:۲/۲۸۹:

وقال على بن ابراهيم: ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة، قال: هم الذين قد عبدوا فى الدنيا، لا يملكون الشفاعة لمن عبدهم.

تفسير التبيان:۴/۲۰۷:

وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ... يقول تعالى لهؤلاء الكفار: مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ، الذين كنتم تزعمون فى الدنيا أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة. وقال عكرمة: إن الآية نزلت فى النضر بن الحارث بن كلدة حيث قال: سوف يشفع فيَّ اللات والعزى، فنزلت الآية.

وقوله: لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ، أى وصلكم. وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ، أى جار عن طريقكم ما كنتم تزعمون من آلهتكم أنه شريك لله

تعالی، وأنه یشفع لکم عند ربکم، فلا شفیع لکم الیوم.

تفسیر التبیان:۹/۳۳:

ثم أخبر عن هؤلاء الکفار فقال (أم اتخذوا) معناه بل اتخذ هؤلاء الکفار (من دون الله شفعاء) بزعمهم من الأصنام والأوثان فقال (قل) لهم یا محمد: أَوَلَوْ کَانُوا لا ـ یَمْلِکُونَ شَیْئًا وَ لا ـ یَعْقِلُونَ، تنبیهاً لهم علی أنهم یتخذونهم شفعاء وإن کانوا لا یقدرون علی شئ من الشفاعة، ولا غیرهما ولا یعقلون شیئاً. والألف فی (أ ولو) ألف الإستفهام یراد به التنبیه.

ثم قال (قل) لهم یا محمد (لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِیعًا لَهُ مُلْکُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) أی الشفاعة لمن له التدبیر والتصرف فی السموات والأرض، لیس لأحد الإعتراض علیه فی ذلک.

ثم إلیه ترجعون، معاشر الخلق أی إلی حیث لا ـ یملک أحد التصرف والأمر والنهی سواه، وهو یوم القیامة فیجازی کل إنسان علی عمله علی الطاعات بالثواب وعلی المعاصی بالعقاب.

الدر المنثور:۳/۳۰۲:

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَی عَلَی اللهِ کَذِبًا... أخرج ابن أبی حاتم عن عکرمة قال قال النضر: إذا کان یوم القیامة شفعت لی اللات والعزی، فأنزل الله تعالی: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَی عَلَی اللهِ کَذِبًا أَوْ کَذَّبَ بِآیَاتِهِ إِنَّهُ لا یُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ. وَیَعْبُدُونَ مِنْ دون اللهِ مَا لا یَضُرُّهُمْ وَلا یَنْفَعُهُمْ وَ یَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ. ومثله فی:۳/۸

الدر المنثور:۵/۳۲۹:

قوله تعالی: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ.. أخرج عبد بن حمید وابن جریر عن قتادة (رض) فی قوله: أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قال: الإلهة.

الدر المنثور:۳/۱۴۹:

وأخرج ابن أبی حاتم عن ابن عباس فی قوله: ذَرُوا الَّذِینَ یُلْحِدُونَ فِی أَسْمَائِهِ قال: اشتقوا العزی من العزیز، واشتقوا اللات من الله.

مکانة اللات والعزی عند مشرکی العرب

کان لصنمی اللات والعزی مکانة عظیمة عند قریش خاصة، وعند بعض قبائل العرب، ویلیهما صنم مناة، أما هبل فهو وإن کان الإله الأکبر عندهم ولکن ارتباطهم المباشر وقَسَمُهُم الرسمی ومراسم عبادتهم الاساسیة إنما کانت للات والعزی، ولیس لهبل..

قال المحدث البحرانی فی حلیة الابرار:۱/۱۲۷:

الشیخ فی أمالیه بإسناده عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلی الله علیه وآله علی قتلی بدر فقال: جزاکم الله من عصابة شراً! لقد کذَّبتمونی صادقاً، وخوَّنتمونی أمیناً. ثم التفت إلی أبی جهل بن هشام فقال: إن هذا أعتی علی الله من فرعون! إن فرعون لما أیقن بالهلاک وَحَّدَ الله، وهذا لما أیقن بالهلاک دعا باللات والعزی!! راجع أمالی الطوسی:۱ ـ ۳۱۶ والبحار: ۱۹ ـ ۲۷۲ ح ۱۱ ومثله فی مجمع الزوائد:۶/۹۱).

وقال فی مجمع الزوائد:۶/۲۱:

وعن رجل من بنی مالک بن کنانة قال: رأیت رسول الله(ص)بسوق ذی المجاز یتخللها یقول: یا أیها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، قال وأبو جهل یحثی علیه التراب ویقول: لا یغوینکم هذا عن دینکم فإنما یرید لتترکوا آلهتکم وتترکوا اللات والعزی، وما یلتفت إلیه رسول الله(ص)! قلت: إنعت لنا رسول الله(ص). قال: بین بردین أحمرین، مربوع، کثیر اللحم، حسن الوجه، شدید سواد الشعر، أبیض شدید البیاض، سابغ الشعر. رواه أحمد ورجاله رجال الصحیح.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۶/۴۰۸:

وأخرج أبونعيم في الـدلائل عن ابن عباس قال: ما كان أبولهب إلا من كفار قريش، ما هو حتى خرج من الشعب حين تمالات قريش حتى حصرونا في الشعب وظاهرهم، فلما خرج أبو لهب من الشعب لقى هنداً بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه فقال: يا ابنة عتبة هل نصرتُ اللات والعزى؟ قالت: نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة! قال: إن محمداً يعدنا أشياء لا نراها كائنة، يزعم أنها كائنة بعد الموت فما ذاك! وصنع في يدى ثم نفخ في يديه، ثم قال: تباً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد! فنزلت: تبت يدا أبى لهب. قال ابن عباس: فحصرونا في الشعب ثلاث سنين وقطعوا عنا الميرة، حتى أن الرجل ليخرج منا بالنفقة فما يبايع حتى يرجع، حتى هلك فينا من هلك!!

اليمين الرسمى المقدس عند قريش باللات والعزى

روى الحاكم في المستدرك:۱/۱۶۳:

عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي تبكى فقال: يابنية ما يبكيك قالت: يا أبت مالى لا أبكى وهؤلاء الملأ من قريش في الحجر يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم رجل إلا وقد عرف نصيبه من دمك! فقال يا بنية إئتنى بوضوء فتوضأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا: ها هوذا، فطأطأوا رؤوسهم وسقطت أذقانهم بين يديهم، فلم يرفعوا أبصارهم! فتناول رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبضة من تراب فحصبهم بها وقال: شاهت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصاته إلا قتل يوم بدر كافراً. هذا حديث صحيح، قد احتجا جميعاً بيحيى بن سليم. واحتج مسلم بعبد الله بن عثمان بن خثيم ولم يخرجاه. انتهى. ورواه الهيثمى في مجمع الزوائد: ۸/۲۲۸ وقال: رواه أحمد بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح.

وروى العياشئ في تفسيره:۲/۲۵۹:

عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام في قوله: وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت، قال: ما يقولون فيها؟ قلت: يزعمون أن المشركين كانوا يحلفون لرسول الله أن الله لا يبعث الموتى. قال: تباً لمن قال هذا، ويلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزى؟ قلت: جعلت فداك فأوجدنيه أعرفه. قال: لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا قَبَايعُ سيوفهم على عواتقهم، فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بعث فلان وفلان من قبورهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من أعدائنا فيقولون: يا معشر الشيعة ما أكذبكم! هذه دولتكم وأنتم تكذبون فيها، لا والله ما عاشوا ولا تعيشوا إلى يوم القيامة، فحكى الله قولهم فقال: وأقسموا بالله جهد أيمانهم. انتهى.

المسألة...

بعض الصحابة كانوا يقسمون باللات والعزى

تدل مصادر الفقه السنى على أن عادة القسم باللات والعزى بقيت في أذهان القرشيين وعلى ألسنتهم حتى بعد إسلامهم! فقد روى البخارى في صحيحه: ۶/۵۱: عن أبى هريرة قال قال رسول الله (ص): من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق.انتهى. (ورواه أيضاً في: ۷/۹۷ وص۱۴۴ وص۲۲۲ و۲۲۳.

ورواه مسلم في: ۵/۸۱ وص۸۲ ورواه ابن ماجة في: ۱/۶۷۸، وروى بعده عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبى وقاص قال: حلفت باللات والعزى فقال رسول الله (ص) قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ثم انفث عن يسارك ثلاثاً، وتعوَّذ ولا تعد). (ورواه أبو داود في:۲/۹۰، والترمذى في: ۳/ ۴۶ وص۵۱، والنسائى في: ۷/۷، وأحمد: ۱/ ۱۸۳ و۱۸۶ و:۲/ ۳۰۹، والبيهقى:۱/ ۱۴۹ و:۱۰/۳۰، ومالك في المدونة: ۲/۱۰۸).

الأسئلة

۱ ـ هذا يدلنا على أن الصحابة كانوا حديثى عهد بالإسلام، وأن رواسب الجاهلية حتى عبادة الأصنام كانت ما تزال فى مشاعرهم وعلى ألسنة بعض كبارهم كسعد بن وقاص، ومن يخلف النبى صلى الله عليه وآله لابد أن يكون كرم الله وجهه عن السجود للأصنام، حتى يكون نقياً من هذه الرواسب الجاهلية.. فهل تعرفون هذه الصفة فى غير على عليه السلام؟

۲ ـ نحن نفتى بأن اليمين الشرعى لاينعقد إلا بالله تعالى، ومن حلف بغيره فلا يمين له ولا شئ عليه. وقد أفتى ابن حزم فى المحلى: ۸/۵۱، وابن قدامة فى المغنى:۱/۱۶۹ و:۱۱/۱۶۲،بأن من حلف باللات والعزى فلا شئ عليه إلا الإستغفار، وعلله ابن حزم فى:۱۱/ ۱۶۳ بقوله: (لأن الحلف بغير الله سيئة والحسنة تمحو السيئة، وقد قال الله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وقال النبى (ص): إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها. ولأن من حلف بغير الله فقد عظم غير الله تعظيماً يشبه تعظيم الرب تبارك وتعالى، ولهذا سمى شركاً لكونه أشرك غير الله مع الله تعالى فى تعظيمه بالقسم به، فيقول لا إله إلا الله توحيداً لله تعالى وبراءة من الشرك).

فهل تفتون بأن من حلف بصنم لا يخرج عن الملة، ومن حلف بالنبى صلى الله عليه وآله أو بأحد من عترته عليهم السلام فهو مشرك يخرج من الملة؟!

اعتقاد قريش بنفع اللات والعزى و ضرهم

مناقب آل أبى طالب:۱/۱۰۲ عن امرأة يقال لها زهرة قال:

أسلمت فأصيب بصرها، فقالوا لها أصابك اللات والعزى، فرد صلى الله عليه وآله عليها بصرها فقالت قريش: لو كان ما جاء محمد خيراً ما سبقتنا إليه زهرة! فنزل: وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه.

مسند أحمد:۱/۲۶۴:

عن عبدالله بن عباس قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله(ص)فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله، ثم دخل المسجد ورسول الله(ص)جالس فى أصحابه، وكان ضمام رجلًا جلداً أشعر ذا غريرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله(ص)فى أصحابه فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله (ص): أنا ابن عبد المطلب. قال محمد؟ قال نعم فقال: يا ابن عبد المطلب إنى سائلك ومغلظ فى المسألة فلا تجدن فى نفسك. قال: لا أجد فى نفسى فسل عما بدا لك. قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك، آلله بعثك إلينا رسولاً؟ فقال: اللهم نعم. قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لانشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التى كانت آباؤنا يعبدونها معه؟ قال: اللهم نعم. قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس؟ قال: اللهم نعم. قال ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده فى التى قبلها، حتى إذا فرغ قال: فإنى أشهد أن لا ـ إله إلا ـ الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله، وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتنى عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص.

قال ثم انصرف راجعاً إلى بعيره فقال رسول الله(ص)حين ولى: إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة. قال فأتى إلى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى! قالوا مه يا ضمام، إتق البرص والجذام، إتق الجنون. قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله عز وجل قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، إنى قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه. قال فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً!

قال يقول ابن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

مصادرنا تروی بغض النبی لأصنام قریش

کمال الدین وتمام النعمة:۱/۱۸۴:

قال بحیری: یاغلام أسألک عن ثلاث خصال بحق اللات والعزی إلا ما أخبرتنیها. فغضب رسول الله صلی الله علیه وآله عند ذکر اللات والعزی وقال: لا تسألنی بهما فوالله ما أبغضت شیئاً کبغضهما، وإنما هما صنمان من حجارة لقومی! فقال بحیری: هذه واحدة، ثم قال: فبالله إلا ما أخبرتنی، فقال: سل عما بدا لک فإنک قد سألتنی بإلهی وإلهک الذی لیس کمثله شیء، فقال: أسألک عن نومک ویقظتک، فأخبره عن نومه ویقظته وأموره وجمیع شأنه، فوافق ذلک ما عند بحیری من صفته التی عنده، فانکب علیه بحیری فقبل رجلیه وقال: یا بنی ما أطیبک وأطیب ریحک، یا أکثر النبیین أتباعاً...

الخرائج والجرائح:۱/۷۱:

فی خبر الراهب بحیری مع النبی صلی الله علیه وآله: قال: یا غلام أتخبرنی عن أشیاء أسألک عنها قال: سل. قال: أنشدک باللات والعزی إلا أخبرتنی عما أسألک عنه، وإنما أراد أن یعرف لأنه سمعهم یحلفون بهما فذکروا أن النبی صلی الله علیه وآله قال له: لا تسألنی باللات والعزی فإنی والله لم أبغض بغضهما شیئاً قط. قال: فبالله إلا أخبرتنی عما أسألک عنه قال: فجعل یسأله عن حاله فی نومه وهیئته وأموره فجعل رسول الله صلی الله علیه وآله یخبره فکان یجدها موافقة لما عنده... فأخذه الافکل وهو الرعدة واهتز الدیرانی فقال: من أبو هذا الغلام؟ قال أبو طالب: هو ابنی. قال: لا والله لا یکون أبوه حیاً. قال أبو طالب: إنه ابن أخی. قال: فما فعل أبوه قال: مات وهو ابن شهرین. قال صدقت!-وروی فی:۳/۱۰۸۹ تتمة قول الراهب: کأنی بک قد قدت الاجناب والخیل وقد تبعک العرب والعجم طوعاً وکرها، وکأنی باللات والعزی قد کسرتهما وقد صار البیت العتیق تضع مفاتیحه حیث ترید... معک الذبح الأکبر وهلاک الأصنام. أنت الذی لا تقوم الساعة حتی تدخل الملوک کلها فی دینک صاغِرَةً قَمِئَة.

و تمسک سدنة اللات والعزی بهما إلی آخر نفس

شرح الأخبار:۲/۱۶۳:

ولما فتح رسول الله صلی الله علیه وآله الطائف سأله أهلها أن یدع لهم اللات ـ وکانوا یعبدونها ـ لمدة ذکروها وقالوا: إنا نخشی فی هدمها سفهاءنا، فأبی علیهم.

مناقب آل أبی طالب:۱/۵۲:

ابن عباس فی قوله: وَإِنْ کَادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَیْنَا، قال وفد ثقیف: نبایعک علی ثلاث: لا ننحنی، ولا نکسر إلهاً بأیدینا، وتمتعنا باللات سنة. فقال صلی الله علیه وآله: لا خیر فی دین لیس فیه رکوع وسجود، فأما کسر أصنامکم بأیدیکم فذاک لکم، وأما الطاغیة اللات فإنی غیر ممتعکم بها.

و حطم النبی کل الأصنام

مناقب آل أبی طالب:۱/۳۹۹:

وحدثنی أبو الحسن علی بن أحمد العاصمی، عن اسماعیل بن أحمد الواعظ، عن أبی بکر البیهقی بإسناده عن أبی مریم عن أمیر المؤمنین علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: إحملنی لنطرح الأصنام عن الکعبة، فلم أطق حمله! فحملنی فلو شئت أتناول السماء فعلت! وفی خبر والله لو شئت أن أنال السماء بیدی لنلتها.

وروی القاضی أبو عمرو عثمان بن أحمد، عن شیوخ بإسناده عن ابن عباس قال قال النبی صلی الله علیه وآله لعلی علیه السلام: قم بنا

إلى الصنم فى أعلى الكعبة لنكسره، فقاما جميعاً فلما أتياه قال له النبى: قم على عاتقى حتى أرفعك عليه، فأعطاه على ثوبه فوضعه رسول الله على عاتقه ثم رفعه حتى وضعه على البيت، فأخذ على الصنم وهو من نحاس فرمى به من فوق الكعبة...

حلية الابرار:۲/۱۲۵:

عن على عليه السلام: أنا الذى قال فىّ الامين جبرئيل عليه السلام: لا سيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا على، أنا صاحب فتح مكة، أنا كاسر اللات والعزى، أنا هادم الهبل الاعلى، ومناة الثالثة الأخرى، أنا علوت على كتف النبى صلى الله عليه وآله وكسرت الأصنام، أنا الذى كسرت يغوث ويعوق ونسراً.

و اخترعت قريش قصة الغرانيق انتصارا للات والعزى

قال الله عز وجل: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحى. مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأى. أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى. إذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى. أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى. تِلْكَ إذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. إنْ هِيَ إلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى. أَمْ لِلإنْسَانِ مَا تَمَنَّى. فَلِلَّهِ الآخرة وَالأُولَى. وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إلا مِنْ بَعْدِ أنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. إنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى. وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَإنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إلا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى. وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. النجم: ۸ ـ ۳۱.

نزلت هذه الآيات فى مكة بعد مرحلة (أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وبعد مرحلة (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) وإعلان النبى صلى الله عليه وآله دعوته لجميع الناس ودخول عدد من المستضعفين فى الإسلام وتضييق قريش عليهم وتعذيبهم، وهجرة بعضهم إلى الحبشة.. ومن الواضح أن الصراع فى تلك المرحلة كان يتفاقم بين الإسلام والمشركين، وكان أهم ما يتسلح به المشركون ويطرحونه سبباً لمقاومتهم الإسلام هو (أن محمداً قد سبَّ آلهتنا وسفَّه أحلامنا).

وقد كان موقف النبى صلى الله عليه وآله من آلهتهم موقفاً صريحاً قوياً لامساومة فيه ولامهادنة.. وقد اتضح ذلك من السور الأولى للقرآن، وآياتها القاطعة فى مسألة الأصنام.. ولم تكن سورة النجم إلا استمراراً لذلك الخط الربانى الصريح القوى، بل هى الحسم الالهى النهائى فى المسألة، ووضع النقاط على الحروف بتسمية أصنام قريش المفضلة (اللات والعزى ومناة) بأسمائها، وإسقاطها إلى الابد!

ومن الطبيعى أن تكون هذه الآيات شديدة جداً على قريش، وأن تثير كبرياءها وعواطفها لأصنامها، وأن تقوم بردة فعل بإشكال متعددة. وقصة الغرانيق ما هى إلا واحدة من ردات الفعل القرشية..!

لكن متى اختُرِعَتْ ومن اخترعها؟!

يغلب على الظن ماذكره الشريف المرتضى من أن المشركين عبدة هذه الأصنام الثلاثة لما سمعوا ذمها فى آيات السورة حرَّفَ بعضهم الآيات، ووضع بعد أسماء الأصنام الثلاثة عبارة (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فأعجب ذلك القرشيين، وتمنوا لو يضاف هذا المديح لآلهتهم فى السورة!

ولكن كيف يمكن ذلك؟ وكيف ينسجم مع السياق، والسياق كله حملة شديدة على فكر الأصنام وأهلها؟!!

هكذا ولدت قصة الغرانيق على ألسنة القرشيين، ولكنها كانت هذياناً ولغواً فى القرآن من قريش المشركة لا أكثر!

ولكن الجريمة الكبرى عندما حولت قريش المنافقة هذا اللغو فى القرآن إلى آيات الغرانيق واتهمت بها النبى بعد وفاته صلى الله عليه

وآله لإثبات أنه لم یکن معصوماً عصمة مطلقة لتکون کل تصرفاته وأقواله حجة، بل کان یخطئ حتی فی تبلیغ الوحی! وفی ذلک فوائد عدیدة لقریش للالتفاف علی أوامر النبی صلی الله علیه وآله وتبریر أخطاء حکامها ومخالفاتهم لسنته!!

وهکذا سجلت مصادر السنیین قصة الغرانیق التی تزعم أن النبی صلی الله علیه وآله قد ارتکب خیانة والعیاذ بالله فی نص القرآن، وشهد بالشفاعة لأصنام اللات والعزی ومناة، وسجد لها لکی ترضی عنه قریش!

وقد طار منافقو قریش بهذه القصة فرحاً، ثم طار بها فرحاً ورثتهم الغربیون!!

وقد روی الهیثمی فی مجمع الزوائد:۶/۳۲ بعض روایات الغرانیق، وروی السیوطی عدداً وافراً منها فی الدر المنثور: ۴/۱۹۴ وص ۳۶۶ وبعضها صحیح السند، خلافاً لمن برّأ منها الرواة المعتمدین عند حکام قریش! قال السیوطی فی/۳۶۶:

وأخرج البزار والطبرانی وابن مردویه والضیاء فی المختارة بسند رجاله ثقات من طریق سعید بن جبیر عن ابن عباس قال: إن رسول الله(ص)قرأ أفرأیتم اللات والعزی ومنات الثالثة الأخری تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی! ففرح المشرکون بذلک وقالوا قد ذکر آلهتنا! فجاء جبریل فقال: إقرأ علیَّ ما جئتک به، فقرأ: أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَی. تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی! فقال ما أتیتک بهذا، هذا من الشیطان!! فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِیٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّی.. إلی آخر الآیة. وأخرج ابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم وابن مردویه بسند صحیح عن سعید بن جبیر... الخ!! انتهی.

وقد ورد فی بعض روایاتهم الافتراء علی النبی صلی الله علیه وآله بأنه سجد للاصنام! (فقال: وإنهن لهن الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لهی التی ترتجی، فکان ذلک من سجع الشیطان وفتنته، فوقعت هاتان الکلمتان فی قلب کل مشرک بمکة، وذلقت بها ألسنتهم وتباشروا بها، وقالوا إن محمداً قد رجع إلی دینه الأول ودین قومه. فلما بلغ رسول الله(ص)آخر النجم سجد وسجد کل من حضر من مسلم ومشرک، ففشت تلک الکلمة فی الناس وأظهرها الشیطان حتی بلغت أرض الحبشة فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ...).

وفی بعضها (ألقی الشیطان علی لسانه: وهی الغرانیق العلی شفاعتهن ترتجی فلما فرغ من السورة سجد وسجد المسلمون والمشرکون إلا ـ أبا أحیحة سعید بن العاص فإنه أخذ کفاً من تراب فسجد علیه وقال: قد آن لابن أبی کبشة أن یذکر آلهتنا بخیر، فبلغ ذلک المسلمین الذین کانوا بالحبشة أن قریشاً قد أسلمت، فأرادوا أن یُقْبِلوا واشتد علی رسول الله(ص)وعلی أصحابه ما ألقی الشیطان علی لسانه فأنزل الله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِیٍّ.. الآیة) انتهی.

وقد تجرأ بعض العلماء السنیین وردُّوا روایات الغرانیق ولکنهم ضعفوا سندها رغم صحته عندهم، من أجل أن لا یطعنوا فی مؤلفی صحاحهم والموثقین من رواتهم!

قال المجلسی فی بحار الأنوار:۱۷/۵۶:

قوله تعالی: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ... قال الرازی: ذکر المفسرون فی سبب نزول هذه الآیة أن الرسول لما رأی إعراض قومه عنه شق علیه ما رأی من مباعدتهم عما جاءهم به تمنی فی نفسه أن یأتیهم من الله ما یقارب بینه وبین قومه، وذلک لحرصه علی إیمانهم فجلس ذات یوم فی ناد من أندیة قریش کثیر أهله وأحب یومئذ أن لا ـ یأتیه من الله شئ ینفروا عنه وتمنی ذلک! فأنزل تعالی سورة والنجم إذا هوی، فقرأها رسول الله(ص)حتی بلغ: أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَی ألقی الشیطان علی لسانه: تلک الغرانیق العلی منها الشفاعة ترتجی! فلما سمعت قریش فرحوا ومضی رسول الله(ص)فی قراءته وقرأ السورة کلها، فسجد المسلمون لسجوده وسجد جمیع من فی المسجد من المشرکین، فلم یبق فی المسجد مؤمن ولا کافر إلا سجد، سوی الولید بن المغیرة وسعید بن العاص، فإنهما أخذا حفنةً من البطحاء ورفعاها إلی جبهتیهما وسجدا علیها، لأنهما کانا شیخین کبیرین لم یستطیعا السجود، وتفرقت قریش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذکر محمد آلهتنا بأحسن الذکر، فلما أمسی رسول الله أتاه جبرئیل فقال: ماذا صنعت! تلوت علی الناس ما لم آتک به عن الله، وقلت ما لم أقل لک! فحزن رسول الله(ص)حزناً شدیداً وخاف من الله خوفاً عظیماً حتی نزل قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِیٍّ.. الآیة.

هذا روایهٔ عامهٔ المفسـرین الظاهریین، وأما أهل التحقیق فقد قالوا: هذه الروایهٔ باطلهٌ موضوعهٌ واحتجوا بالقرآن، والسنهٔ، والمعقول، أما القرآن فوجوه:

أحدها: قوله تعالی: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنَا بَعْضَ الأَقَاوِیلِ لاخَذْنَا مِنْهُ بِالْیَمِینِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِینَ.

وثانیها: قل ما یکون لی أن أبدله من تلقاء نفسی إن أتبع إلا ما یوحی إلی.

وثالثها: قوله: وما ینطق عن الهوی، إن هو إلا وحیٌ یوحی.

فلو أنه قرأ عقیب هذه الآیهٔ تلک الغرانیق العلی لکان قد أظهر کذب الله تعالی فی الحال، وذلک لا یقول به مسلم.

ورابعها: قوله تعالی: وَإِنْ کَادُوا لَیَفْتِنُونَک، وکاد معناه قرب أن یکون لأمر کذلک مع أنه لم یحصل.

وخامسها: قوله: ولولا أن ثبتناک، وکلمهٔ (لولا) تفید انتفاء الشئ لإنتفاء غیره، فدل علی أن الرکون القلیل لم یحصل.

وسادسها: قوله: کذلک لنثبت به فؤادک.

وسابعها: قوله: سنقرئک فلا تنسی.

وأما السنهٔ فهی أنه روی عن محمد بن إسحاق بن خزیمهٔ أنه سئل عن هذه القصهٔ فقال: هذا من وضع الزنادقهٔ، وصنف فیه کتاباً.

وقال الإمام أبوبکر البیهقی: هـذه القصـهٔ غیر ثابتـهٔ من جهـهٔ النقل، ثم أخـذ یتکلم فی أن رواهٔ هـذه القصهٔ مطعونون، وأیضاً فقد روی البخاری فی صـحیحه أنه صـلی الله علیه وآله قرأ سورهٔ (والنجم) وسـجد فیها المسـلمون والمشرکون والانس والجن ولیس فیه حدیث الغرانیق، وروی هذا الحدیث من طرق کثیرهٔ ولیس فیها البتهٔ حدیث الغرانیق.

وأمـا المعقـول فمـن وجـوه: أحـدها: أن مـن جـوز علی الرسـول(ص)تعظیـم الأوثـان فقـد کفر، لأـن من المعلـوم بالضـرورهٔ أن أعظم سعیه(ص)کان فی نفی الأوثان.

وثانیها: أنه(ص)ما کان یمکنه فی أول الأمر أن یصـلی ویقرأ القرآن عند الکعبهٔ آمناً لأذی المشرکین له، حتی کانوا ربما مدوا أیدیهم إلیه، وإنما کان یصلی إذا لم یحضروها لیلاً أو فی أوقات خلوهٔ، وذلک یبطل قولهم.

وثالثهـا: أن معـاداتهم للرسول صـلی الله علیه وآله کـانت أعظم من أن یقروا بهـذا القـدر من القراءهٔ دون أن یقفوا علی حقیقـهٔ الأـمر، فکیف أجمعوا علی أنه عظم آلهتهم حتی خروا سجداً، مع أنه لم یظهر عندهم موافقته لهم.

ورابعهـا: قوله: فینسـخ الله مـا یلقی الشـیطان ثم یحکم الله آیاته، وذلک أن أحکام الآیات بإزالـهٔ تلقیـهٔ الشـیطان عن الرسول أقوی من نسـخه بهـذه الآیات التی تنتفی الشـبههٔ معها، فإذا أراد الله تعالی إحکام الآیات لئلا یلتبس ما لیس بقرآن قرآناً، فبأن یمنع الشـیطان من ذلک أصلاً، أولی.

وخامسـها: وهو أقوی الوجوه: أنـا لو جوزنـا ذلـک ارتفع الأمـان عن شـرعه، وجوزنـا فی کـل واحـد من الأحکـام والشـرائع أن یکون کـذلک، ویبطـل قوله تعـالی: بَلِّغْ مَـا أُنْزِلَ إِلَیْـکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَـلْ فَمَـا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ، فإنه لا فرق بین النقصان من الوحی وبین الزیادهٔ فیه!

فبهـذه الوجوه عرفنا علی سبیل الإجمال أن هذه القصهٔ موضوعهٔ، أکثر ما فی الباب أن جمعاً من المفسـرین ذکروها لکنهم ما بلغوا حد التواتر. وخبر الواحد لا یعارض الدلائل العقلیهٔ والنقلیهٔ المتواترهٔ... انتهی.

ولم یلتفت هـذا المفسـر الکبیر إلی أن الآیـهٔ التی ادعوا أنها نزلت علی أثر القصـهٔ مدنیـهٔ، نزلت بعد النجم بنحو عشـر سـنوات! کما لم یلتفت إلی أن روایهٔ البخاری وغیره التی ذکرها هی قصهٔ الغرانیق بعینها!

البخاری و مسلم رویا فریهٔ الغرانیق

وینبغی أن نحسـن الظـن بـالرازی وأمثـاله الـذین دافعـوا عن البخـاری والصـحاح فقـالوا إنهم لم یرووا قصـهٔ الغرانیـق، حیث لم یقرؤوا

الصحاح جيداً، وإلا لوجدوا فيها قصة الغرانيق بأكثر من رواية! غاية الأمر أن أصحابها حذفوا منها أن النبى صلى الله عليه وآله زاد فى السورة مدح أصنام المشركين، ولكنهم ذكروا دليلاً عليه وهو سجود المسلمين والمشركين وحتى سجود أبى أحيحة أو أمية بن خلف أو غيرهما على كف من تراب أو حصى!! فإن سجود المشركين بعد سماع القرآن لم ينقله أى مصدر على الإطلاق فى أى رواية على الإطلاق، إلا فى رواية الغرانيق! ومضافاً إلى رواية البخارى الفظيعة التى ذكرها الرازى فقد روى البخارى أيضاً فى:۵/۷: عن عبدالله (رض) عن النبى(ص)أنه قرأ والنجم فسجد بها وسجد من معه، غير أن شيخاً أخذ كفاً من تراب فرفعه إلى جبهته فقال يكفينى هذا! قال عبد الله: فلقد رأيته بعد قتل كافراً. انتهى. ورواه مسلم فى ۸۸/.

وروى البخارى أيضاً فى:۶/۵۲:

عن الأسود بن يزيد عن عبد الله (رض) قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم، قال فسجد رسول الله(ص)وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف.

وقال الحاكم فى المستدرك:۱/۲۲۱:

عن أبى إسحاق عن الاسود عن عبد الله قال: أول سورة قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس الحج، حتى إذا قرأها سجد فسجد الناس إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه فرأيته قتل كافراً. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالإسنادين جميعاً ولم يخرجاه، إنما اتفقا على حديث شعبة عن أبى اسحاق عن الأسود عن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وآله قرأ والنجم فذكره بنحوه، وليس يعلل أحد الحديثين الآخرين فإنى لا أعلم أحداً تابع شعبة على ذكره النجم غير قيس بن الربيع. والذى يؤدى إليه الإجتهاد صحة الحديثين، والله أعلم.

ومعنى كلام الحاكم: أنه كان الأولى بالبخارى ومسلم أن يرويا رواية السجود فى سورة الحج لأنها أصح، ولكنهما تركاها ورويا رواية سورة النجم!!

وقال البيهقى فى سننه:۲/۳۱۴:

عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى(ص)سجد فيها، يعنى والنجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس. رواه البخارى فى الصحيح عن أبى معمر وغيره، عن عبد الوارث.

ورواها فى مجمع الزوائد:۷/۱۱۵ أيضاً وصححها، قال:

قوله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى) عن ابن عباس فيما يحسب سعيد بن جبير أن النبى(ص)كان بمكة فقرأ سورة والنجم حتى انتهى إلى (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) فجرى على لسانه: تلك الغرانيق العلى الشفاعة منهم ترتجى، قال فسمع بذلك مشركو أهل مكة فسروا بذلك، فاشتد على رسول الله(ص)فأنزل الله تبارك وتعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ) رواه البزار والطبرانى وزاد إلى قوله (عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) يوم بدر. ورجالهما رجال الصحيح إلا أن الطبرانى قال لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبى(ص)، وقد تقدم حديث مرسل فى سورة الحج أطول من هذا، ولكنه ضعيف الإسناد. انتهى.

ويقصد بالرواية الطويلة الضعيفة ما رواه فى مجمع الزوائد:۷/۷۰ وقد ورد فيها:

حين أنزل الله السورة التى يذكر فيها (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) فقال المشركون لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، فإنه لا يذكر أحداً ممن خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذى يذكر به آلهتنا من الشتم والشر، فلما أنزل الله السورة التى يذكر فيها والنجم وقرأ (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت فقال: وإنهم من الغرانيق العلى، وإن شفاعتهم لترتجى، وذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك وذلقت بها ألسنتهم واستبشروا بها وقالوا إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فلما بلغ رسول الله(ص)آخر السورة التى فيها النجم سجد وسجد معه كل من

حضره من مسلم ومشرك غير أن الوليد بن المغيرة كان كبيراً فرفع ملء كفه تراب فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود لسجود رسول الله(ص)، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون سمعوا الذى ألقى الشيطان على ألسنة المشركين، وأما المشركون فاطمأنت أنفسهم إلى النبى(ص)، وحدثهم الشيطان أن النبى(ص)قد قرأها فى السجدة، فسجدوا لتعظيم آلهتهم، ففشت تلك الكلمة فى الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة! فلما سمع عثمان بن مظعون وعبدالله بن مسعود ومن كان معهم من أهل مكة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله(ص)، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه، أقبلوا سراعاً! فكبر ذلك على رسول الله(ص)، فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فشكا إليه فأمره فقرأ له، فلما بلغها تبرأ منها جبريل وقال: معاذ الله من هاتين ما أنزلهما ربى ولا أمرنى بهما ربك!! فلما رأى ذلك رسول الله(ص)شق عليه وقال: أطعت الشيطان وتكلمت بكلامه وشركنى فى أمر الله!! فنسخ الله ما يلقى الشيطان وأنزل عليه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) فلما برأه الله عز وجل من سجع الشيطان وفتنته، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم، فذكر الحديث، وقد تقدم فى الهجرة إلى الحبشة. رواه الطبرانى مرسلاً وفيه ابن لهيعة، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة. انتهى.

فتبين من مجموع ذلك أن سند القصة فى مصادر السنيين صحيح، ولا يصح القول بأن الواقدى تفرد بها، أو أن الصحاح لم تروها!!

نماذج من ردود علماء مذهب أهل البيت على فرية الغرانيق

قال الشريف المرتضى فى تنزيه الأنبياء/١٠٦:

مسألة: فإن قال فما معنى قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

أو ليس قد روى فى ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى تولى قومه عنه شق عليه ما هم عليه من المباعدة والمنافرة وتمنى فى نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب بينه وبينهم وتمكن حب ذلك فى قلبه، فلما أنزل الله تعالى عليه: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، وتلاها عليهم، ألقى الشيطان على لسانه لما كان تمكن فى نفسه من محبة مقاربتهم: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما سمعت قريش ذلك سرت به وأعجبهم ما زكى به آلهتهم، حتى انتهى إلى السجدة فسجد المؤمنون وسجد أيضاً المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما أعجبهم، فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا ـ مشرك إلا ـ سجد، إلا ـ الوليد بن المغيرة فإنه كان شيخاً كبيراً لا يستطيع السجود فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها، ثم تفرق الناس من المسجد وقريش مسرورة بما سمعت. وأتى جبرائيل عليه السلام إلى النبى صلى الله عليه وآله معاتباً على ذلك فحزن له حزناً شديداً. فأنزل الله تعالى عليه معزياً له ومسلياً: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ.. الآية.

قلنا: أما الآية فلا دلالة فى ظاهرها على هذه الخرافة التى قَصُّوها، وليس يقتضى الظاهر إلا أحد أمرين: إما أن يريد بالتمنى التلاوة كما قال حسان بن ثابت:

تمنى كتاب الله أول ليله وآخره لاقى حمام المقادر

أو أريد بالتمنى تمنى القلب.

فإن أراد التلاوة، كان المراد من أرسلنا قبلك من الرسل، كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا، كما فعلت اليهود فى الكذب على نبيهم فأضاف ذلك إلى الشيطان، لأنه يقع بوسوسته وغروره. ثم بين أن الله تعالى يزيل ذلك ويدحضه بظهور حجته وينسخه، ويحسم مادة الشبهة به.

وإنما خرجت الآية على هذا الوجه مخرج التسلية له صلى الله عليه وآله لما كذب المشركون عليه وأضافوا إلى تلاوته مدح آلهتهم ما

لم يكن فيها.

وإن كان المراد تمنى القلب، فالوجه فى الآيـة أن الشـيطان متى تمنى النبى صـلى الله عليه وآله بقلبه بعض مايتمناه من الأمور يوسوس إليه بالباطل ويحدثه بالمعاصى ويغريه بها ويدعوه اليها، وأن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله بما يرشده إليه من مخالفة الشيطان وعصيانه وترك استماع غروره.

وأما الأحاديث المرويـة فى هـذا الباب، فلا يلتفت إليها من حيث تضـمنت ما قـد نزهت العقول الرسل (عليهم السـلام) عنه. هـذا لو لم يكن فى أنفسها مطعونة ضعيفة عند أصحاب الحديث بما يستغنى عن ذكره.

وكيف يجيز ذلـك على النبى صـلى الله عليه وآله من يسـمع الله تعالى يقول: كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ يعنى القرآن، وقوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لاخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، وقوله تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى!

على أن من يجيز السـهو على الأنبياء (عليهم السـلام) يجب أن لا يجيز ما تضمنته هذه الرواية المنكرة لما فيها من غاية التنفير عن النبى صلى الله عليه وآله لأن الله تعالى قـد جنب نبيه من الأمور الخارجـة عن باب المعاصـى كالغلظة والفظاظة وقول الشـعر، وغير ذلك مما هو دون مدح الأصنام المعبودة دون الله تعالى.

على أنه لا يخلو صلى الله عليه وآله ـ وحوشى مما قذف به ـ من أن يكون تعمد ما حكوه وفعله قاصداً أو فعله ساهياً. ولا حاجة بنا إلى إبطال القصـد فى هـذا الباب والعمد لظهوره، وإن كان فعله ساهياً فالساهى لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة وطريقها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام، لأنا نعلم ضـرورةً أن من كان ساهياً لو أنشد قصيدة لما جاز أن يسهو حتى يتفق منه بيت شعر فى وزنها وفى معنى البيت الذى تقدمه، وعلى الوجه الذى يقتضيه فائدته، وهو مع ذلك يظن أنه من القصيدة التى ينشدها. وهذا ظاهر فى بطلان هـذه الدعوى على النبى صـلى الله عليه وآله على أن الموحى إليه من الله النازل بالوحى وتلاوة القرآن جبرائيل عليه السـلام وكيف يجوز السهو عليه؟!

على أن بعض أهل العلم قد قال: يمكن أن يكون وجه التباس الأمر أن رسول الله صـلى الله عليه وآله لما تلا هذه السورة فى ناد غاصٍّ بـأهله وكـان أكثر الحاضـرين من قريش المشـركين فانتهى إلى قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى، وعلم فى قرب مكانه منه من قريش أنه سيورد بعدها ما يسوؤهم به فيهن قال كالمعارض له والراد عليه:

تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فظن كثير ممن حضر أن ذلك من قوله صلى الله عليه وآله واشتبه علهيم الأمر، لانهم كانوا يلغطون عند قراءته صلى الله عليه وآله ويكثر كلامهم وضجاجهم طلباً لتغليطه وإخفاء قراءته.

ويمكن أن يكون هذا أيضاً فى الصلاة لانهم كانوا يقربون منه فى حال صلاته عند الكعبة ويسمعون قراءته ويلغون فيها.

وقيـل أيضـاً إنه صـلى الله عليه وآله كـان إذا تلا القرآن على قريش توقف فى فصول الآيات وأتى بكلام على سبيل الحجاج لهم، فلما تلاـ أَفَرَأَيْتُمُ اللاـتَ وَ الْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى قال: تلك الغرانيق العلى منها الشـفاعة ترتجى؟! على سبيل الإنكار عليهـم وأن الأمر بخلاف ما ظنوه من ذلك. وليس يمتنع أن يكون هذا فى الصلاة لأن الكلام فى الصلاة حينئذ كان مباحاً وإنما نسخ من بعد.

وقيل إن المراد بالغرانيق الملائكة، وقد جاء مثل ذلك فى بعض الحديث فتوهم المشركون أنه يريد آلهتهم.

وقيل إن ذلك كان قرآناً منزلاً فى وصف الملائكة فتلاه الرسول صـلى الله عليه وآله فلما ظن المشـركون أن المراد به آلهتهم نسـخت تلاوته.

وكل هذا يطابق ما ذكرناه من تأويل قوله: إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته، لأن بغرور الشيطان ووسوسته أضيف إلى تلاوته صلى الله عليه وآله مالم يرده بها. وكل هذا واضح بحمد الله تعالى.

نهج الحق للعلامة الحلى/۱۳۹:

ذهبت الإماميـة كافـة إلى أن الأنبياء (عليهم السـلام) معصومون عن الصـغائر والكبائر ومنزهون عن المعاصـى قبل النبوة وبعـدها، على

سبیل العمد والنسیان، وعن کل رذیلة ومنقصة، وما یدل علی الخسة والضعة.

وخالفت الأشاعرة فی ذلک وجوزوا علیهم المعاصی. وبعضهم جوزوا الکفر علیهم قبل النبوة وبعدها، وجوزوا علیهم السهو والغلط، ونسبوا رسول الله صلی الله علیه وآله إلی السهو فی القرآن بما یوجب الکفر فقالوا: إنه صلی یوماً وقرأ فی سورة النجم عند قوله تعالی: أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَی. تلک الغرانیق العلی منها الشفاعة ترتجی. وهذا اعتراف منه بأن تلک الأصنام ترتجی الشفاعة منها!

نعوذ بالله من هذه المقالة التی نسب النبی إلیها، وهی توجب الشرک، فما عذرهم عند رسول الله صلی الله علیه وآله؟!

مجمع البحرین للطریحی:۴/۲۳۹:

رووا أن رسول الله صلی الله علیه وآله کان فی الصلاة فقرأ سورة النجم فی المسجد الحرام وقریش یستمعون لقراءته، فلما انتهی إلی هذه الآیة: أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَی، أجری إبلیس علی لسانه: فإنها الغرانیق العلی وشفاعتهن لترتجی! ففرحت قریش وسجدوا وکان فی ذلک القوم الولید بن المغیرة المخزومی وهو شیخ کبیر فأخذ کفاً من حصی فسجد علیه وهو قاعد، وقالت قریش: قد أقر محمد بشفاعة اللات والعزی. قال فنزل جبرئیل فقال له: قرأت ما لم أنزل به علیک! انتهی.

وقد طار أعداء الإسلام بهذه القصة کما أشرنا وشنعوا بها علی الإسلام ورسوله، محتجین بأنها وردت فی مصادر المسلمین! وکان آخر من استغلها المرتد سلمان رشدی والدول التی وراءه! وقد أخذها من المستشرقین بروکلمان ومونتغمری وأمثالهما، وأخذها هؤلاء من مصادر السنیین!!

وقد نقد الباحث السودانی الدکتور عبدالله النعیم فی کتابه (الاستشراق فی السیرة النبویة) ـ المعهد العالمی للفکر الإسلامی ۱۴۱۷، استغلال المستشرقین لحدیث الغرانیق ونقل فی/۵۱، افتراء بروکلمان حیث قال عن النبی صلی الله علیه وآله (ولکنه علی ما یظهر اعترف فی السنوات الأولی من بعثته بآلهة الکعبة الثلاث اللواتی کان مواطنوه یعتبرونهن بنات الله، وقد أشار الیهن فی إحدی الآیات الموحاة الیه بقوله: تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترجی... ثم مالبث أن أنکر ذلک وتبرأ منه فی الیوم التالی)!!

ونقل الدکتور النعیم فی/۹۶ زعم مونتغمری وات (تلاـ محمد الآیات الشیطانیة باعتبارها جزءاً من القرآن إذ لیس من المتصور أن تکون القصة من تألیف المسلمین أو غیر المسلمین، وأن انزعاج محمد حینما علم بأن الآیات الشیطانیة لیست جزء من القرآن یدل علی أنه تلاها، وأن عبادة محمد بمکة لاتختلف عن عبادة العرب فی نخلة والطائف..ولقد کان توحید محمد غامضاً (!) ولا شک أنه یعد اللات والعزی ومناة کائنات سماویة أقل من الله) انتهی.

أما نحن فإننا تبعاً لأهل البیت (علیهم السلام) نرفض روایة الغرانیق من أصلها، ونعتقد أنها واحدة من افتراءات قریش الکثیرة علی النبی صلی الله علیه وآله فی حیاته وبعد وفاته.. ونستدل بوجودها علی أن مطلب قریش کان الإعتراف بآلهتها وشفاعتهن، وأن منافقی قریش وضعوا هذه الروایات طعناً فی عصمة النبی صلی الله علیه وآله فخدموا بذلک هدف قریش المشرکة، وهدف أعداء الإسلام فی کل العصور!

ومع أن المستشرقین لاـ یحتاجون إلی الروایات الموضوعة لیتمسکوا بها، فهم یکذبون علی نبینا صلی الله علیه وآله وعلی مصادرنا جهاراً نهاراً، ولکنا نأسف لأن مصادر إخواننا السنیین روت عدة افتراءات علی النبی صلی الله علیه وآله علی أنها حقائق، منها قصة الغرانیق، ومنها قصة ورقة بن نوفل فی بدء الوحی، وغیرها من الروایات المخالفة للعقل والتهذیب والاحترام الذی ینبغی لمقام النبی صلی الله علیه وآله..ثم لم یرووا ما ورد فی مصادرنا من بغض النبی لاصنام قریش منذ طفولته، ولم یرووا تکذیب أهل البیت (علیهم السلام)لروایة ورقة بن نوفل، وتأکیدهم علی الأفق المبین الذی نص علیه القرآن وبدأ فیه الوحی.

وقد ذکر الدکتور النعیم فی هامش کتابه المذکور المصادر التی روت حدیث الغرانیق وهی طبقات ابن سعد:۱/۲۰۵ وتاریخ الطبری:۲/۲۲۶ وتاریخ ابن الاثیر:۲/۷۷ وسیرة ابن سید الناس:۱/۱۵۷.. وقال فی/۹۷ (یعتبر الواقدی أول من روج لهذه الفریة ثم أخذها

عنه ابن سعد والطبری وغیرهم) وقال فی/۹۸ (ولم یرو ابن إسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقاً، ومهما یکن من أمر فالواقدی هو أصلها. إن ما یدعو للتساؤل هو کیف أمکن تمریر هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل!) انتهی.

ولکن عرفت أن أصحاب الصحاح رووها، فعلی الذی یرد سندها أن یرد جمیع أسانیدها، لا سند الواقدی وحده!

ثم نقل الدکتور النعیم نقد القاضی عیاض فی کتابه (الشفا) لحدیث الغرانیق سنداً ومتناً، وکذلک نقد القرضاوی فی کتابه (کیف نتعامل مع السنة النبویة) ونقل عنه قوله فی/۹۳ (ومعنی هذا أن تفهم السنة فی ضوء القرآن ولهذا کان حدیث الغرانیق مردوداً بلا ریب، لأنه مناف للقرآن) انتهی.

ولیت بقیة الباحثین من إخواننا السنیین یتمسکون بدلیل مخالفة القرآن ویردون به المکذوبات التی وضعها المنافقون، وروجتها الخلافة القرشیة ورواتها، وما زالت إلی عصرنا صحیحة أو موثقة!!

تنبؤ عمیق للنبی حول اللات والعزی

روت مصادر السنیین بأسانید صحیحة عندهم أن النبی صلی الله علیه وآله أخبر أن العرب سوف یعبدون اللات والعزی مرة أخری!

فقد روی مسلم فی صحیحه:۸/۱۸۲:

عن أبی سلمة عن عائشة قالت: سمعت رسول الله(ص)یقول: لا یذهب اللیل والنهار حتی تعبد اللات والعزی! فقلت یا رسول الله إن کنت لأظن حین أنزل الله: هُوَ الَّذِی أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَی وَ دِینِ الْحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ وَ لَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُونَ، أن ذلک تاماً. قال: إنه سیکون من ذلک ما شاء الله انتهی.

ورواه الحاکم فی مستدرکه:۴/۴۴۶ وص ۵۴۹ وقال فی الموردین (هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم ولم یخرجاه) ورواه البیهقی فی سنه:۹/۱۸۱ ورواه الهندی فی کنز العمال:۱۴/۲۱۱ وقال عنه السیوطی فی الدر المنثور:۶/۶۱: وأخرج مسلم والحاکم وصححه.. وقال عن الحدیث الأول فی:۳/۲۳۱ أخرج أحمد ومسلم والحاکم وابن مردویه عن عائشة. انتهی.

وإذا صحت هذه الأحادیث فتفسیرها أن بعض العرب سوف یکفرون فی المستقبل، ویرجعون إلی عبادة اللات والعزی!

ولکن الاقرب أن یکون مقصوده صلی الله علیه وآله أن الأمة سوف تنحرف من بعده وتطیع شخصین من دون الله تعالی، ویکون لهما تأثیر اللات والعزی.. لأن من أطاع شخصاً فی معصیة الله تعالی أو من دون أمره، فقد عبده من دون الله تعالی!!

والنتیجة التی نخلص بها من هذا البحث، أن الشفاعة کانت معروفة عند مشرکی العرب، وکان یهمهم أن یثبتوا هذه المنزلة لاصنامهم..وهی نقطة تنفعنا فی فهم السبب لوضع بعض الأحادیث التی تدعی توسیع شفاعة نبینا صلی الله علیه وآله لتشمل کل قریش وکل المنافقین وغیرهم، وتحل محل شفاعة اللات والعزی، وتضاهی شفاعة الیهود المزعومة لقومیتهم!!

کلیات الشفاعة فی القرآن

آیات الشفاعة و عناوینها

الشفاعة الحسنة والشفاعة السیئة فی الدنی

مَنْ یَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً یَکُنْ لَهُ نَصِیبٌ مِنْهَا وَ مَنْ یَشْفَعْ شَفَاعَةً سَیِّئَةً یَکُنْ لَهُ کِفْلٌ مِنْهَا وَ کَانَ اللَّهُ عَلَی کُلِّ شَیْءٍ مُقِیتًا. النساء: ۸۵.

الشفعاء یوم القیامة یشفعون بعهد من الله تعالی

لا یَمْلِکُونَ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا. مریم: ۸۷.

يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا. طه: ۱۰۹.

الاولياء المكرمون ينفعون مواليهم بفاعتهم

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ. يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ. إِلا مَنْ رَحِمَ اللهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. الدخان: ۴۰ ـ ۴۲.

عباد الله المكرمون كلهم شفعاء

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. الأنبياء: ۲۶ ـ ۲۸.

الشهداء بالحق شفعاء

وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. الزخرف: ۸۶.

الملائكة يشفعون للناس بإذن الله تعالى

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. النجم: ۲۶

الشفيع الأكبر

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ۷۹
وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. الضحى: ۵

لا شفاعة من دون الله تعالى

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. الانعام: ۵۱
اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ. السجدة: ۴

لا شفاعة إلا بإذنه و من بعد إذنه

اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. البقرة: ۲۵۵
إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ. يونس: ۳
وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. سبأ: ۲۳
وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. النجم: ۲۶

الشفعاء المزعومون لا شفاعة لهم

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. يونس: ۱۸

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. الأنعام: ۹۴

وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ. الروم: ۱۳

أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونَ. يس: ۲۳

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ. قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. الزمر: ۴۳ ـ ۴۴

لا شفاعة فی یوم القیامة کشفاعة الدنی

وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ. البقرة: ۴۸

وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ. البقرة: ۱۲۳

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَاتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ. البقرة: ۲۵۴

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. الأنعام: ۷۰

فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ، وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ. الشعراء: ۱۰۰ ـ ۱۰۱

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ. المدثر: ۴۸

الکفار یبحثون بحثا حثیثا عن الشفعاء

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَاوِيلَهُ يَوْمَ يَاتِي تَاوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. الأعراف: ۵۳

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا. النبأ: ۳۸

لا شفاعة للظالمین

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الأَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ. غافر: ۱۸

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ. المدثر: ۴۶–۴۸

شفاعة نبینا

تفسیر (المقام المحمود) لنبینا

قال الله تعالی: أَقِمِ الصَّلَوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غَسَقِ اللَّيلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا.وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ۷۹

مصادرنا تصف المقام المحمود لنبینا صلی الله علیه وآله فی المحشر

لعل أقوی نص فی متنه یبین أهمیهٔ المقام المحمود الذی وعد الله رسوله صلی الله علیه وآله بأن یکرمه به یوم القیامهٔ، ما رواه الصدوق عن علی علیه السلام، فقد بین فیه أن لیوم القیامهٔ مراحل ومراسم قبل الحساب، وأن المقام المحمود لنبینا صلی الله علیه وآله یبدأ فی أوائل مراحل ذلک الیوم العظیم بتلک الخطبهٔ (الفریدهٔ) التی یفتتح بها نبینا المحشر ویلهمه الله تعالی فیها أنواع المحامد لربه تعالی نیابهٔ عن الخلائق، ویعطی علی أثرها لواء الحمد الذی هو رئاسهٔ المحشر، وذلک قبل الحساب والشفاعهٔ وحوض الکوثر..

قال الصدوق فی التوحید فی حدیث طویل/۲۵۵ – ۲۶۲:

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا أحمد بن یحیی عن بکر بن عبدالله بن حبیب قال: حدثنی أحمد بن یعقوب بن مطر قال: حدثنا محمد بن الحسن بن عبدالعزیز الأحدب الجند بنیسابور قال: وجدت فی کتاب أبی بخطه: حدثنا طلحهٔ بن یزید عن عبید الله بن عبید عن أبی معمر السعدانی أن رجلًا أتی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام فقال:

یا أمیر المؤمنین إنی قد شککت فی کتاب الله المنزل.

قال له علیه السلام: ثکلتک أمک وکیف شککت فی کتاب الله المنزل!

قال: لأنی وجدت الکتاب یکذب بعضه بعضاً فکیف لا أشک فیه.

فقال علی بن أبی طالب علیه السلام: إن کتاب الله لیصدق بعضه بعضاً ولا یکذب بعضه بعضاً ولکنک لم ترزق عقلًا تنتفع به، فهات ما شککت فیه من کتاب الله عز وجل.

قال له الرجل: إنی وجدت الله یقول: فَالْیَوْمَ نَنْسَاهُمْ کَمَا نَسُوا لِقَاءَ یَوْمِهِمْ هَذَا، وقال أیضاً: نَسُوا اللَهَ فَنَسِیَهُمْ، وقال: وَمَا کَانَ رَبُّکَ نَسِیًّا. فمرهٔ یخبر أنه ینسی ومرهٔ یخبر أنه لا ینسی، فأنی ذلک یا أمیر المؤمنین!

قال: هات ما شککت فیه أیضاً....

فقال علی علیه السلام: قُدُّوسٌ ربنا قدوس، تبارک وتعالی علواً کبیراً، نشهد أنه هو الدائم الذی لا یزول، ولا نشک فیه، ولیس کمثله شئ وهو السمیع البصیر، وأن الکتاب حق، والرسل حق، وأن الثواب والعقاب حق، فإن رزقت زیادهٔ إیمان أو حرمته فإن ذلک بید الله إن شاء رزقک وإن شاء حرمک ذلک، ولکن سأعلمک ما شککت فیه ولا قوهٔ إلا بالله، فإن أراد الله بک خیراً أعلمک بعلمه وثبتک، وإن یکن شراً ضللت وهلکت.

أما قوله: نَسُوا اللَهَ فَنَسِیَهُمْ إنما یعنی نسوا الله فی دار الدنیا لم یعملوا بطاعته فنسیهم فی الآخرهٔ أی لم یجعل لهم فی ثوابه شیئاً، فصاروا منسیین من الخیر

وکذلک تفسیر قوله عز وجل: فَالْیَوْمَ نَنْسَاهُمْ کَمَا نَسُوا لِقَاءَ یَوْمِهِمْ هَذَا، یعنی بالنسیان أنه لم یثبهم کما یثیب أولیاءه الذین کانوا فی دار الدنیا مطیعین ذاکرین حین آمنوا به وبرسله وخافوه بالغیب. وأما قوله: وَمَا کَانَ رَبُّکَ نَسِیًّا، فإن ربنا تبارک وتعالی علواً کبیراً لیس بالذی ینسی ولا یغفل، بل هو الحفیظ العلیم، وقد یقول العرب فی باب النسیان: قد نَسِیَنَا فلان فلا یذکرنا أی أنه لا یأمر لنا بخیر ولا یذکرنا به، فهل فهمت ما ذکر الله عز وجل؟ قال: نعم، فرجت عنی فرج الله عنک، وحللت عنی عقدهٔ فعظم الله أجرک.

فقال علیه السلام: وأما قوله: یَوْمَ یَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِکَهُ صَفًّا لا یَتَکَلَّمُونَ إلا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَابًا، وقوله: وَاللهِ رَبِّنَا مَا کُنَّا مُشْرِکِینَ، وقوله: یَوْمَ الْقِیَامَهِ یَکْفُرُ بَعْضُکُمْ بِبَعْضٍ وَیَلْعَنُ بَعْضُکُمْ بَعْضًا، وقوله: إنَّ ذَلِکَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ، وقوله: لا تَخْتَصِمُوا لَدَیَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَیْکُمْ بِالْوَعِیدِ، وقوله: الْیَوْمَ نَخْتِمُ عَلَی أَفْوَاهِهِمْ وَتُکَلِّمُنَا أَیْدِیهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا کَانُوا یَکْسِبُونَ، فإن ذلک فی موطن غیر واحد من مواطن ذلک الیوم الذی کان مقداره خمسین ألف سنهٔ! یجمع الله عز وجل الخلائق یومئذ فی مواطن یتفرقون ویکلم بعضهم بعضاً، ویستغفر بعضهم لبعض، أولئک الذین کان منهم الطاعهٔ فی دار الدنیا. ویلعن أهل المعاصی الذین بدت منهم البغضاء وتعاونوا علی الظلم والعدوان فی دار الدنیا، الرؤساء والأتباع من المستکبرین والمستضعفین یکفر بعضهم بعضاً ویلعن بعضهم

بعضاً. والكفر فى هـذه الآيـة: البراءة يقول يبرأ بعضـهم من بعض، ونظيرها فى سورة إبراهيم قول الشـيطان: إنى كفرت بما أشـركتمون من قبل، وقول إبراهيم خليل الرحمن: كفرنا بكم، يعنى تبرأنا منكم.

ثم يجتمعون فى موطن آخر يبكون فيه، فلو أن تلك الاصوات بدت لأهل الدنيا لأذهلت جميع الخلق عن معائشهم، ولتصدعت قلوبهم إلا ما شاء الله، فلا يزالون يبكون الدم.

ثم يجتمعون فى موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون: والله ربنا ما كنا مشركين، فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم ويستنطق الأيدى والأرجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: لم شهدتم علينا، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ.

ثم يجتمعون فى موطن آخر فيستنطقون، فيفر بعضهم من بعض، فذلك قوله عز وجل: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ، فيستنطقون فلا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فيقوم الرسل صلى الله عليهم فيشهدون فى هذا الموطن، فذلك قوله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا.

ثم يجتمعون فى موطن آخر يكون فيه مقـام محمـد صـلى الله عليه وآله وهو المقـام المحمود فيثنى على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه أحـد قبله، ثم يثنى على الملائكـة كلهم فلا يبقى ملك إلا أثنى عليه محمـد صـلى الله عليه وآله، ثم يثنى على الرسل: بما لم يثن عليهم أحـد قبله، ثم يثنى على كل مؤمن ومؤمنة، يبدأ بالصديقين والشـهداء ثم بالصالحين، فيحمده أهل السـماوات والأرض، فذلك قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، فطوبى لمن كان له فى ذلك المقام حظ، وويل لمن لم يكن له فى ذلك المقام حظ ولا نصيب.

ثم يجتمعون فى موطن آخر ويـدال بعضـهم من بعض، وهذا كله قبل الحساب، فإذا أخذ فى الحساب شـغل كل إنسان بما لديه. نسأل الله بركة ذلك اليوم.

قال: فرجت عنى فرج الله عنك يا أمير المؤمنين، وحللت عنى عقدةً، فعظم الله أجرك. انتهى. ورواه فى بحار الأنوار:۷/۱۱۹

الصحيفة السجادية:۱/۳۷:

اللهم واجعله خطيب وفد المؤمنين إليك، والمكسو حلل الأمان إذا وقف بين يديك، والناطق إذا خرست الألسن فى الثناء عليك.

اللهم وابسـط لسـانه فى الشـفاعة لامته، وأرِ أهل الموقف من النبيين وأتباعهم تمكن منزلته، وأوهل أبصار أهل المعروف العلى بشـعاع نور درجته، وقفه فى المقام المحمود الـذى وعدته، واغفر ما أحدث المحدثون بعده فى أمته، مما كان اجتهادهم فيه تحرياً لمرضاتك ومرضاته، وما لم يكن تأليباً على دينك ونقضاً لشريعته، واحفظ من قبل بالتسليم والرضا دعوته، واجعلنا ممن تكثر به وارديه، ولا يذاد عن حوضه إذا ورده، واسقنا منه كأساً روياً لا نظمأ بعده.

وروى فى بحار الأنوار:۷/۳۳۵ عن تفسير فرات الكوفى:

عن الإمـام جعفر الصـادق عليه السـلام عن أبيه عن آبائه (عليهم السـلام) قال: قال النبى صـلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامـة وعـدنى المقام المحمود، وهو واف لى به. إذا كان يوم القيامة نصب لى منبر له ألف درجة فأصـعد حتى أعلو فوقه فيأتينى جبرئيل عليه السـلام بلواء الحمـد فيضـعه فى يـدى ويقول: يا محمـد هـذا المقام المحمود الـذى وعدك الله تعالى، فأقول لعلى: إصـعد فيكون أسفل منى بدرجة، فأضع لواء الحمد فى يده، ثم يأتى رضوان بمفاتيح الجنة فيقول: يا محمد هذا المقام المحمود الذى وعدك الله تعالى، فيضـعها فى يدى فأضـعها فى حجر على بن أبى طالب، ثم يأتى مالك خازن النار فيقول: يا محمد هذا المقام المحمود الـذى وعـدك الله تعالى هـذه مفاتيـح النار أدخل عدوك وعدو أمتك النار، فآخذها وأضـعها فى حجر على بن أبى طالب، فالنار والجنة يومئذ أسمع لى ولعلى من العروس لزوجها، فهى قول الله تعالى: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. انتهى.

ويؤيد هذا الحديث أنك لا تجد تفسيراً مقنعاً لتثنية الخطاب فى هذه الآية، إلا هذا الحديث!

تفسیر القمی:۲/۲۵:

وأما قوله: عَسَی أنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، فإنه حدثنی أبی عن الحسن بن محبوب، عن زرعة، عن سماعة، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: سألته عن شفاعة النبی صلی الله علیه وآله یوم القیامة؟ فقال: یلجم الناس یوم القیامة العرق فیقولون: إنطلقوا بنا إلی آدم یشفع لنا عند ربنا فیأتون آدم فیقولون: یا آدم إشفع لنا عند ربک، فیقول: إن لی ذنباً وخطیئة فعلیکم بنوح، فیأتون نوحاً فیردهم إلی من یلیه، ویردهم کل نبی إلی من یلیه، حتی ینتهوا إلی عیسی فیقول: علیکم بمحمد رسول الله، فیعرضون أنفسهم علیه ویسألونه فیقول: إنطلقوا، فینطلق بهم إلی باب الجنة ویستقبل باب الرحمة ویخر ساجداً فیمکث ما شاء الله، فیقول الله: إرفع رأسک واشفع تشفع، واسأل تعط، وذلک هو قوله: عَسَی أنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا. انتهی. ورواه فی تفسیر نور الثقلین: ۳/۲۰۶.

تفسیر العیاشی:۲/۳۱۴:

عن عبید بن زرارة قال: سئل أبو عبدالله علیه السلام عن المؤمن هل له شفاعة؟ قال: نعم فقال له رجل من القوم: هل یحتاج المؤمن إلی شفاعة محمد یومئذ؟ قال: نعم إن للمؤمنین خطایا وذنوباً، وما من أحد إلا ویحتاج إلی شفاعة محمد یومئذ. قال وسأله رجل عن قول رسول الله صلی الله علیه وآله: أنا سید ولد آدم ولا فخر؟ قال: نعم یأخذ حلقة باب الجنة فیفتحها فیخر ساجداً فیقول الله: إرفع رأسک إشفع تشفع، أطلب تعط، فیرفع رأسه ثم یخر ساجداً فیقول الله: إرفع رأسک، إشفع تشفع واطلب تعط، ثم یرفع رأسه فیشفع، فیشفع ویطلب فیعطی.

روضة الواعظین/۵۰۰:

وقال رسول الله صلی الله علیه وآله: المقام الذی أشفع فیه لامتی.

وفی/۲۷۳: وقال رسول الله صلی الله علیه وآله: إذا قمت المقام المحمود تشفعت فی أصحاب الکبائر من أمتی فیشفعنی الله فیهم، والله لا تشفعت فیمن آذی ذریتی

تفسیر التبیان:۶/۵۱۲:

وقوله: عسی أن یبعثک ربک مقاماً محموداً، معناه متی فعلت ما ندبناک إلیه من التهجد یبعثک الله مقاماً محموداً، وهی الشفاعة فی قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة، وقال قوم: المقام المحمود: إعطاؤه لواء الحمد. وعسی من الله واجبة.

وقال أبو الصلاح الحلبی فی الکافی/۴۹۱:

ولرسول الله صلی الله علیه وآله محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، صلوات الله علیه وآله فی ذلک الیوم المقام الأشرف والمحل الأعظم، له اللواء المعقود لواء الحمد، والحوض المورود، والمقام المحمود، والشفاعة المقبولة والمنزلة العلیة، والدرجة المنیعة علی جمیع النبیین وأتباعهم. وکل شئ خص به من التفضیل ورشح له من التأهیل فأخوه وصنوه ووارث علمه ووصیه فی أمته وخلیفته علی رعیته أمیرالمؤمنین وسید المسلمین علی بن أبی طالب بن عبد المطلب علیه السلام شریک فیه، وهو صاحب الاعراف، وقسیم الجنة والنار، بنصه الصریح وقوله الفصیح.

وأعلام الأزمنة وتراجمة الملة بعدهما صلوات الله علیهم أعوانٌ علیه ومساهمون فیه، حسب ما أخبر به وأشار بذکره.

ولشیعتهم من ذلک الحظ الأوفر والقسط الأکبر، لتحققهم بالإسلام ممن عداهم وتخصصهم بالإیمان دون من سواهم.

ونختم ما اخترناه من مصادرنا بحدیث طریف ورد عن أهل البیت (علیهم السلام) فی مواعظ الله تعالی لنبیه عیسی علیه السلام وشاهدنا منه الفقرة الأخیرة المتعلقة ببشارته بنبینا صلی الله علیه وآله وشفاعته، لکن نورده کاملاً لکثرة فوائده.

فقد روی الکلینی فی الکافی:۸/۱۳۱:

عن علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن علی بن أسباط، عنهم (علیهم السلام) فیما وعظ الله عز وجل به عیسی علیه السلام:

یا عیسی، أنا ربک ورب آبائک إسمی واحد، وأنا الاحد المتفرد بخلق کل شی، وکل شئ من صنعی، وکل إلیَّ راجع.

یا عیسی، أنت المسیح بأمری، وأنت تخلق من الطین کهیئة الطیر بإذنی، وأنت تحیی الموتی بکلامی، فکن إلیَّ راغباً ومنی راهباً، ولن تجد منی ملجأً إلا إلیَّ.

یا عیسی، أوصیک وصیة المتحنن علیک بالرحمة حتی حقت لک منی الولایة بتحرِّیک منی المسرة، فبورکت کبیراً وبورکت صغیراً حیث ما کنت، إشهد أنک عبدی ابن أمتی، أنزلنی من نفسک کهمک واجعل ذکری لمعادک، وتقرب إلی بالنوافل، وتوکل علیَّ أکفک، ولا توکل علی غیری فآخذ لک.

یا عیسی، إصبر علی البلاء وارض بالقضاء، وکن کمسرتی فیک، فإن مسرتی أن أطاع فلا أعصی.

یا عیسی، أحی ذکری بلسانک، ولیکن ودی فی قلبک.

یا عیسی، تیقظ فی ساعات الغفلة، واحکم لی لطیف الحکمة.

یا عیسی، کن راغباً راهباً، وأمت قلبک بالخشیة.

یا عیسی، راع اللیل لتحری مسرتی، واظمأ نهارک لیوم حاجتک عندی.

یا عیسی، نافس فی الخیر جهدک، تعرف بالخیر حیثما توجهت.

یا عیسی، أحکم فی عبادی بنصحی، وقم فیهم بعدلی، فقد أنزلت علیک شفاء لما فی الصدور من مرض الشیطان.

یا عیسی، لا تکن جلیساً لکل مفتون.

یا عیسی، حقاً أقول: ما آمنت بی خلیقة إلا خشعت لی، ولا خشعت لی إلا رجوت ثوابی، فاشهد أنها آمنة من عقابی ما لم تبدل أو تغیر سنتی.

یا عیسی ابن البکر البتول، إبک علی نفسک بکاء من ودع الاهل وقلی الدنیا وترکها لاهلها، وصارت رغبته فیما عند إلهه.

یا عیسی، کن مع ذلک لین الکلام وتفشیء السلام، یقظان إذا نامت عیون الابرار، حذراً للمعاد والزلازل الشداد، وأهوال یوم القیامة، حیث لا ینفع أهل ولا ولد ولا مال.

یا عیسی، أکحل عینک بمیل الحزن إذا ضحک البطالون.

یا عیسی، کن خاشعاً صابراً، فطوبی لک إن نالک ما وعد الصابرون.

یا عیسی، رح من الدنیا یوماً فیوماً، وذق لما قد ذهب طعمه، فحقاً أقول: ما أنت إلا بساعتک ویومک، فرح من الدنیا ببلغة، ولیکفک الخشن الجشب، فقد رأیت إلی ما تصیر، ومکتوب ما أخذت وکیف أتلفت.

یا عیسی، إنک مسؤول فارحم الضعیف کرحمتی إیاک، ولا تقهر الیتیم.

یا عیسی، إبک علی نفسک فی الخلوات، وانقل قدمیک إلی مواقیت الصلوات واسمعنی لذاذة نطقک بذکری، فإن صنیعی إلیک حسن.

یا عیسی، کم من أمة قد أهلکتها بسالف ذنوب قد عصمتک منها.

یا عیسی، إرفق بالضعیف، وارفع طرفک الکلیل إلی السماء وادعنی، فإنی منک قریب، ولا تدعنی إلا متضرعاً إلیَّ، وهمک هماً واحداً، فإنک متی تدعنی کذلک أجبک.

یا عیسی، إنی لم أرض بالدنیا ثواباً لمن کان قبلک، ولا عقاباً لمن انتقمت منه.

یا عیسی، إنک تفنی وأنا أبقی، ومنی رزقک، وعندی میقات أجلک، وإلیَّ إیابک، وعلیَّ حسابک، فسلنی ولا تسأل غیری فیحسن منک الدعاء ومنی الإجابة.

یا عیسی، ما أکثر البشر وأقل عدد من صبر، الأشجار کثیرة وطیبها قلیل، فلا یغرنک حسن شجرة حتی تذوق ثمرها.

یا عیسی، لا یغرنک المتمرد علیَّ بالعصیان، یأکل رزقی ویعبد غیری، ثم یدعونی عند الکرب فأجیبه، ثم یرجع إلی ما کان علیه، فعلیَّ

يتمرد؟ أم بسخطى يتعرض! فبى حلفت لاخذنه أخذةً ليس له منها منجاً ولا دونى ملجأ، أين يهرب من سمائى وأرضى؟!

يا عيسى، قل لظلمة بنى إسرائيل: لا تدعونى والسحت تحت أحضانكم، والأصنام فى بيوتكم، فإنى آليت أن أجيب من دعانى، وأن أجعل إجابتى إياهم لعناً عليهم حتى يتفرقوا.

يا عيسى، كم أطيل النظر، وأحسن الطلب والقوم فى غفلة لا يرجعون، تخرج الكلمة من أفواههم لا تعيها قلوبهم، يتعرضون لمقتى ويتحببون بقربى إلى المؤمنين يا عيسى، لتكن فى السر والعلانية واحداً، وكذلك فليكن قلبك وبصرك، واطو قلبك ولسانك عن المحارم، وكف بصرك عما لا خير فيه، فكم من ناظر نظرة قد زرعت فى قلبه شهوة، ووردت به موارد حياض الهلكة.

يا عيسى، كن رحيماً مترحماً، وكن كما تشاء أن يكون العباد لك، وأكثر ذكر الموت ومفارقة الأهلين، ولا تَلْهُ فإن اللهو يفسد صاحبه، ولا تغفل فإن الغافل منى بعيد، واذكرنى بالصالحات حتى أذكرك.

يا عيسى، تب إلىَّ بعد الذنب، وذكر بى الأوابين، وآمن بى وتقرب بى إلى المؤمنين، ومرهم يدعونى معك، وإياك ودعوة المظلوم، فإنى آليت على نفسى أن أفتح لها باباً من السماء بالقبول، وأن أجيبه ولو بعد حين.

يا عيسى، إعلم أن صاحب السوء يُعدى، وقرين السوء يردى، واعلم من تقارن واختر لنفسك إخواناً من المؤمنين.

يا عيسى، تب إلى، فإنى لا يتعاظمنى ذنب أن أغفره، وأنا أرحم الراحمين. إعمل لنفسك فى مهلة من أجلك قبل أن لا يعمل لها غيرك، واعبدنى ليوم كألف سنة مما تعدون، فيه أجزى بالحسنة أضعافها، وإن السيئة توبق صاحبها، فامهد لنفسك فى مهلة، ونافس فى العمل الصالح، فكم من مجلس قد نهض أهله وهم مجارون من النار.

يا عيسى، إزهد فى الفانى المنقطع، وطأ رسوم منازل من كان قبلك، فادعهم وناجهم، هل تحس منهم من أحد، وخذ موعظتك منهم، واعلم أنك ستلحقهم فى اللاحقين.

يا عيسى، قل لمن تمرد على بالعصيان وعمل بالأدهان: ليتوقع عقوبتى وينتظر إهلاكى إياه، سيصطلم مع الهالكين.

طوبى لك يا ابن مريم ثم طوبى لك إن أخذت بأدب إلهك الذى يتحنن عليك ترحماً، وبدأ النعم منه تكرماً، وكان لك فى الشدائد. لا تعصه يا عيسى فإنه لا يحلك عصيانه. قد عهدت إليك ما عهدت إلى من كان قبلك وأنا على ذلك من الشاهدين.

يا عيسى، ما أكرمت خليقة بمثل دينى، ولا أنعمت عليها بمثل رحمتى.

يا عيسى، إغسل بالماء منك ما ظهر وداو بالحسنات منك ما بطن، فإنك إلىَّ راجع.

يا عيسى، أعطيتك ما أنعمت به عليك فيضاً من غير تكدير، وطلبت منك قرضاً لنفسك فبخلت به عليها، لتكون من الهالكين.

يا عيسى، تزين بالدين وحب المساكين، وامش على الأرض هوناً، وصل على البقاع، فكلها طاهر.

يا عيسى، شمر فكل ما هو آت قريب، واقرأ كتابى وأنت طاهر، وأسمعنى منك صوتاً حزيناً.

يا عيسى، لا خير فى لذاذة لا تدوم، وعيش من صاحبه يزول.

يا ابن مريم، لو رأت عينك ما أعددت لاوليائى الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك شوقاً إليه، فليس كدار الآخرة دار، تجاور فيها الطيبون، ويدخل عليهم فيها الملائكة المقربون، وهم مما يأتى يوم القيامة من أهوالهما آمنون، دارٌ لا يتغير فيها النعيم، ولا يزول عن أهلها.

يا ابن مريم، نافس فيها مع المتنافسين، فإنها أمنية المتمنين، حسنة المنظر، طوبى لك يا ابن مريم إن كنت لها من العاملين، مع آبائك آدم وإبراهيم فى جنات ونعيم، لا تبغى لها بدلاً ولا تحويلاً، كذلك أفعل بالمتقين.

يا عيسى، أهرب إلى مع من يهرب من نار ذات لهب، ونار ذات أغلال وأنكال، لا يدخلها روح، ولا يخرج منها غم أبداً، قطع كقطع الليل المظلم، من ينج منها يفز، ولن ينجو منها من كان من الهالكين، هى دار الجبارين والعتاة الظالمين، وكل فظ غليظ، وكل مختار فخور.

یا عیسی، بئست الدار لمن رکن إلیها، وبئس القرار دار الظالمین، إنی أحذرک نفسک فکن بی خبیراً.

یا عیسی، کن حیث ما کنت مراقباً لی، واشهد علی أنی خلقتک وأنت عبدی.

یا عیسی لا یصلح لسانان فی فم واحد، ولا قلبان فی صدر واحد، وکذلک الأذهان.

یا عیسی، لا تستیقظن عاصیاً، ولا تستنبهن لاهیاً، وافطم نفسک عن الشهوات الموبقات، وکل شهوة تباعدک منی فاهجرها، واعلم أنک منی بمکان الرسول الأمین، فکن منی علی حذو العم. إن دنیاک مؤدیتک إلیَّ وإنی آخذک بعلمی، فکن ذلیل النفس عند ذکری، خاشع القلب حین تذکرنی، یقظاناً عند نوم الغافلین.

یا عیسی، هذه نصیحتی إیاک وموعظتی لک، فخذها منی، وإنی رب العالمین.

یا عیسی، إذا صبر عبدی فی جنبی کان ثواب عمله علیَّ، وکنت عنده حین یدعونی، وکفی بی منتقماً ممن عصانی، أین یهرب منی الظالمون؟

یا عیسی، أطب الکلام، وکن حیثما کنت عالماً متعلماً.

یا عیسی، أفض بالحسنات إلیَّ، حتی یکون لک ذکرها عندی، وتمسک بوصیتی فإن فیها شفاء للقلوب.

یا عیسی، لا تأمن إذا مکرت مکری، ولا تنس عند خلوات الدنیا ذکری.

یا عیسی، حاسب نفسک بالرجوع إلی، حتی تتنجز ثواب ما عمله العاملون، أولئک یؤتون أجرهم وأنا خیر المؤتین.

یا عیسی، کنت خلقاً بکلامی، ولدتک مریم بأمری المرسل إلیها روحی جبرئیل، الامین من ملائکتی، حتی قمت علی الأرض حیاً تمشیٔ کل ذلک فی سابق علمی.

یا عیسی، زکریا بمنزلة أبیک وکفیل أمک، إذ یدخل علیها المحراب فیجد عندها رزقاً، ونظیرک یحیی من خلقی، وهبته لامه بعد الکبر من غیر قوة بها، أردت بذلک أن یظهر لها سلطانی وتظهر قدرتی. أحبکم إلی أطوعکم لی، وأشدکم خوفاً منی.

یا عیسی، تیقظ ولا تیأس من روحی، وسبحنی مع من یسبحنی، وبطیب الکلام فقدّسنی.

یا عیسی، کیف یکفر العباد بی ونواصیهم فی قبضتی، وتقلبهم فی أرضی، یجهلون نعمتی ویتولون عدوی، وکذلک یهلک الکافرون.

یا عیسی، إن الدنیا سجن منتن الریح، وحسن فیها ما قد تری مما قد تذابح علیه الجبارون، وإیاک والدنیا فکل نعیمها یزول، وما نعیمها إلا قلیل.

یا عیسی، إبغنی عند وسادک تجدنی، وادعنی وأنت لی محب، فإنی أسمع السامعین، أستجیب للداعین إذا دعونی.

یا عیسی، خفنی وخوف بی عبادی، لعل المذنبین أن یمسکوا عما هم عاملون به، فلا یهلکوا إلا وهم یعلمون.

یا عیسی، إرهبنی رهبتک من السبع والموت الذی أنت لاقیه، فکل هذا أنا خلقته، فإیای فارهبون.

یا عیسی، إن الملک لی وبیدی، وأنا الملک فإن تطعنی أدخلتک جنتی فی جوار الصالحین.

یا عیسی، إنی إذا غضبت علیک لم ینفعک رضی من رضی عنک، وإن رضیت عنک لم یضرک غضب المغضبین.

یا عیسی، أذکرنی فی نفسک أذکرک فی نفسی، واذکرنی فی ملاک أذکرک فی ملا خیر من ملا الآدمیین.

یا عیسی، أدعنی دعاء الغریق الحزین، الذی لیس له مغیث.

یا عیسی، لا تحلف بی کاذباً فیهتز عرشیٔ غضباً. الدنیا قصیرة العمر طویلة الامل وعندی دار خیر مما تجمعون.

یا عیسی، کیف أنتم صانعون إذا أخرجت لکم کتاباً ینطق بالحق وأنتم تشهدون بسرائر قد کتمتموها وأعمال کنتم بها عاملین.

یا عیسی، قل لظلمة بنی إسرائیل: غسلتم وجوهکم ودنستم قلوبکم، أبی تغترون أم علی تجترئون؟! تطیبون بالطیب لأهل الدنیا وأجوافکم عندی بمنزلة الجیف المنتنة، کأنکم أقوام میتون!

یا عیسی، قل لهم: قلموا أظفارکم من کسب الحرام، وأصموا أسماعکم عن ذکر الخنا، وأقبلوا علی بقلوبکم، فإنی لست أرید

صورکم.

یا عیسی، إفرح بالحسنهٔ فإنها لی رضی، وابک علی السیئهٔ فإنها شین، وما لا تحب أن یصنع بک فلا تصنعه بغیرک، وإن لطم خدک الأیمن فأعطه الایسر، وتقرب إلیَّ بالمودهٔ جهدک، وأعرض عن الجاهلین.

یا عیسی، ذُلَّ لأهل الحسنهٔ وشارکهم فیها، وکن علیهم شهیداً. وقل لظلمهٔ بنی إسرائیل: یا أخدان السوء والجلساء علیه، إن لم تنتهوا أمسخکم قردهٔ وخنازیر.

یا عیسی، قل لظلمهٔ بنی إسرائیل: الحکمهٔ تبکی فرقاً منی، وأنتم بالضحک تهجرون، أتتکم براءتی، أم لدیکم أمان من عذابی، أم تعرضون لعقوبتی؟! فبی حلفت لاترکنکم مثلاً للغابرین.

ثم أوصیک یابن مریم البکر البتول، بسید المرسلین وحبیبی، فهو أحمد صاحب الجمل الأحمر، والوجه الأقمر، المشرق بالنور، الطاهر القلب، الشدید البأس، الحیی المتکرم، فإنه رحمهٔ للعالمین، وسید ولد آدم یوم یلقانی، أکرم السابقین علیَّ وأقرب المرسلین منی، العربی الامین، الدیان بدینی، الصابر فی ذاتی، المجاهد المشرکین بیده عن دینی، أن تخبر به بنی إسرائیل، وتأمرهم أن یصدقوا به وأن یؤمنوا به وأن یتبعوه، وأن ینصروه.

قال عیسی: إلهی من هو حتی أرضیه، فلک الرضا؟ قال: هو محمد رسول الله إلی الناس کافهٔ، أقربهم منی منزلهٔ، وأحضرهم شفاعهٔ، طوبی له من نبی، وطوبی لامته إن هم لقونی علی سبیله، یحمده أهل الأرض ویستغفر له أهل السماء، أمین میمون، طیب مطیب، خیر الباقین عندی، یکون فی آخر الزمان، إذا خرج أرخت السماء عزالیها، وأخرجت الأرض زهرتها، حتی یروا البرکهٔ، وأبارک لهم فیما وضع یده علیه، کثیر الازواج، قلیل الأولاد، یسکن بکهٔ، موضع أساس إبراهیم.

یا عیسی، دینه الحنیفیهٔ، وقبلته یمانیهٔ، وهو من حزبی وأنا معه، فطوبی له ثم طوبی له، له الکوثر والمقام الأکبر فی جنات عدن، یعیش أکرم من عاش ویقبض شهیداً، له حوض أکبر من بکهٔ إلی مطلع الشمس، من رحیق مختوم، فیه آنیهٔ مثل نجوم السماء، وأکواب مثل مدر الأرض، عذب فیه من کل شراب، وطعم کل ثمار فی الجنهٔ، من شرب منه شربهٔ لم یظمأ أبداً، وذلک من قسمی له وتفضیلی إیاه. علی فترهٔ بینک وبینه، یوافق سره علانیته، وقوله فعله، لایأمر الناس إلاـ بما یبدأهم به، دینه الجهاد فی عسر ویسر، تنقاد له البلاد ویخضع له صاحب الروم. علی دین إبراهیم، یسمی عند الطعام، ویفشئ السلام، ویصلی والناس نیام، له کل یوم خمس صلوات متوالیات، ینادی إلی الصلاهٔ کنداء الجیش بالشعار، ویفتتح بالتکبیر ویختتم بالتسلیم، ویصف قدمیه فی الصلاهٔ کما تصف الملائکهٔ أقدامها، ویخشع لی قلبه ورأسه، النور فی صدره والحق علی لسانه، وهو علی الحق حیثما کان أصله. یتیمٌ ضال برههٔ من زمانه عما یراد به، تنام عیناه ولاینام قلبه، له الشفاعهٔ، وعلی أمته تقوم الساعهٔ، ویدی فوق أیدیهم فمن نکث فإنما ینکث علی نفسه ومن أوفی بما عاهد علیه أوفیت له بالجنهٔ، فمر ظلمهٔ بنی إسرائیل ألا یدرسوا کتبه، ولا یحرفوا سنته، وأن یقرؤوه السلام، فإن له فی المقام شأناً من الشأن. انتهی.

وقد یکون حدث فی هذا النص تغییر ما من الرواهٔ، ولکن فیه أفکاراً وأموراً مهمهٔ یحسن مقارنتها وأمثالها مما ورد فی مصادرنا عن عیسی علیه السلام بالنصوص التی تشابهها من الانجیل والتوراهٔ، لمعرفهٔ التفاوت والتغییر فیها.

تفسیر إخواننا السنیین القریب من تفسیرنا

مسند أحمد:۲/۴۴۱:

عن أبی هریرهٔ عن النبی(ص)فی قوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال: هو المقام الذی أشفع لامتی فیه.

الدر المنثور:۴/۱۹۷:

أخرج سعید بن منصور والبخاری وابن جریر وابن مردویه عن ابن عمر رضی الله عنهما قال: إن الناس یصیرون یوم القیامهٔ جثاء، کل

أمة تتبع نبیها یقولون یا فلان إشفع لنا، حتی تنتهی الشفاعة إلی النبی(ص)، فذلک یوم یبعثه الله المقام المحمود.

وأخرج أحمد والترمذی وحسنه وابن جریر وابن أبی حاتم وابن مردویه والبیهقی فی الدلائل عن أبی هریرة (رض) عن النبی(ص)فی قوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، وسئل عنه قال: هو المقام الذی أشفع فیه لأمتی.

وأخرج ابن جریر والبیهقی فی شعب الإیمان عن أبی هریرة (رض) أن رسول الله(ص)قال: المقام المحمود الشفاعة.

وأخرج ابن جریر والطبرانی وابن مردویه من طرق عن ابن عباس رضی الله عنهما فی قوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال مقام الشفاعة.

وأخرج ابن مردویه عن سعد بن أبی وقاص (رض) قال: سئل رسول الله(ص)عن المقام المحمود فقال: هو الشفاعة.

الدر المنثور:۴/۱۹۸:

وأخرج ابن أبی شیبة عن سلمان (رض) قال: یقال له: سل تعطه، یعنی النبی(ص)، واشفع تشفع، وادع تجب، فیرفع رأسه فیقول: أمتی مرتین أو ثلاثاً فقال سلمان (رض): یشفع فی کل من فی قلبه مثقال حبة حنطة من إیمان، أو مثقال شعیرة من إیمان، أو مثقال حبة خردل من إیمان. قال سلمان (رض): فذلکم المقام المحمود.

الدر المنثور:۵/۹۸:

وأخرج ابن مردویه عن ابن عباس قال: سألت رسول الله(ص)فقلت: بأبی أنت وأمی أین کنت وآدم فی الجنة؟ فتبسم حتی بدت نواجذه ثم قال: إنی کنت فی صلبه، وهبط إلی الأرض وأنا فی صلبه، ورکبت السفینة فی صلب أبی نوح، وقذفت فی النار فی صلب أبی ابراهیم، لم یلتق أبوای قط علی سفاح، لم یزل الله ینقلنی من الأصلاب الطیبة إلی الارحام الطاهرة، مصفی مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا کنت فی خیرهما، قد أخذ الله بالنبوة میثاقی وبالإسلام هدانی وبین فی التوراة والإنجیل ذکری، وبین کل شئ من صفتی فی شرق الأرض وغربها، وعلمنی کتابه، ورقی بی فی سمائه، وشق لی من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد، ووعدنی أن یحبونی بالحوض وأعطانی الکوثر، وأنا أول شافع وأول مشفع، ثم أخرجنی فی خیر قرون أمتی، وأمتی الحمادون یأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر. انتهی.

ورواه فی کنز العمال:۱۲/۴۲۷ وأضاف فیه: قال ابن عباس: فقال حسان بن ثابت فی النبی (ص):

من قبلها طبت فی الظلال وفی مستودع حیث یخصف الورقُ
ثم سکنت البلاد لا بشرٌ أنت ولا نطفة ولا علق
مطهر ترکب السفین وقد ألجم أهل الضلالة الغرق
تنقل من صلب إلی رحم إذا مضی عالم بدا طبق

تفسیر الطبری:۱۵/۹۷:

وقوله: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، عن ابن عباس قال: المقام المحمود مقام الشفاعة..

ومثله فی طبقات المحدثین بأصبهان:۱/۲۰۱ عن جابر وأبی سعید مرفوعاً وفی مختصر تاریخ دمشق لابن منظور:۱ جزء ۲/۱۶۵ عن ابن عباس.

الشفا للقاضی عیاض:۱/۱۸۸:

فصل فی تفضیله(ص)بالشفاعة والمقام المحمود، قال الله تعالی: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا... عن آدم بن علی قال سمعت ابن عمر یقول: إن الناس یصیرون یوم القیامة جثی، کل أمة تتبع نبیها یقولون یا فلان إشفع لنا یا فلان إشفع لنا، حتی تنتهی الشفاعة إلی النبی(ص)، فذلک یوم یبعثه الله المقام المحمود.

تفسیر الرازی:۱۱ جزء ۲۱/۳۱:

قال الواحدى: أجمع المفسرون على أنه (المقام المحمود) مقام الشفاعة... إن احتياج الإنسان إلى دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه إلى تحصيل المنافع الزائدة التى لا حاجة به إلى تحصيلها. وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، هو الشفاعة فى إسقاط العقاب. انتهى. وراجع التفسير الوسيط للنيسابورى:۳/۱۲۲.
وقال فى: ۱۶ جزء ۳۲/۱۲۷: قوله تعالى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، الكوثر هو المقام المحمود الذى هو الشفاعة... شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى.

تفسيرهم الذى فيه تجسيم

صحيح البخارى:۸/۱۸۳:
فأستأذن على ربى فى داره! فيؤذن لى عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى فيقول: إرفع يا محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط. قال فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعته أيضاً يقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فاستأذن على ربى فى داره! فيؤذن لى عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقول: إرفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمنيه، قال ثم أشفع، فيحد لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن إلى ربى فى داره! فيؤذن لى عليه فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى، ثم يقول إرفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمنيه، قال ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وقد سمعته يقول: فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، حتى ما يبقى فى النار إلا من حبسه القرآن، أى وجب عليه الخلود.قال: ثم تلا الآية: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال وهذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم(ص). ونحوه فى صحيح مسلم:۱/۱۲۳ ومسند أحمد: ۳/۲۴۴ وشبيهه فى مسند أحمد:۱/۳۹۸ وسنن الترمذى:۴/۳۷۰ ومستدرك الحاكم:۴/۴۹۶ والدر المنثور:۳/۸۷ عن الطبرى.
وفى الدر المنثور:۶/۲۵۷ فى قصة الدجال:
عن ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذكر عنده الدجال فقال... إلى آخر الرواية. وستأتى بتمامها فى بحث الخلود فى الجنة والنار وفى بعض نصوصها تجسيم صريح وفى بعضها رائحة التجسيم.
وكذلك ما رواه البخارى فى تسعة مواضع من صحيحه:۲ جزء ۴/۱۰۵ وج ۳ جزء ۵/۱۴۶ وص ۲۲۵ وص ۲۲۸ وج ۷/۲۰۳ وج ۸/۱۷۲ وص ۱۸۳ وص ۲۰۰ وص ۲۰۳ من حديث الشدة التى تكون على الناس فى المحشر حتى يلجؤون (كذا) إلى آدم وغيره من الأنبياء فيحولونهم على نبينا صلى الله عليه وآله فيشفع إلى الله تعالى فيشفعه. وروى ذلك فى كنز العمال:۲/۲۶ وغيره.
سنن الدارمى:۲/۳۲۵:
عن ابن مسعود عن النبى(ص)قال قيل له: ما المقام المحمود؟ قال: ذاك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه يئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به، وهو كسعة ما بين السماء والأرض، ويجاء بكم حفاة عراة غرلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم، يقول الله تعالى إكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة، ثم أكسى على أثره، ثم أقوم عن يمين الله مقاماً يغبطنى الأولون والآخرون. انتهى.
ورواه الحاكم فى:۲/۳۶۴ والبغوى فى مصابيحه:۳/۵۵۲ والهندى فى كنز العمال:۱۴/۴۱۲ والسيوطى فى الدر المنثور:۳/۸۴ وروى نحوه فى الدر المنثور:۱/۳۴ وص ۳۲۸ وص ۳۲۴ قال: وأخرج ابن المنذر وأبوالشيخ عن ابن مسعود قال قال رجل: يا رسول الله ما المقام المحمود؟ قال...

وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال كان الحسن يقول: الكرسى هو العرش..فقال رسول الله(ص)... وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فهى تئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد! انتهى. ورواه فى كنز العمال: ۱۴/۶۳۶.

وفى فردوس الأخبار:۳/۸۵:

عن ابن عمر: عسى الله أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، يجلسنى معه على السرير.

وفى:۴/۲۹۸ عن أنس بن مالك: من كرامتى على ربى عز وجل قعودى على العرش.

مجمع الزوائد:۷/۵۱:

وعن ابن عباس أنه قال فى قول الله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، يجلسه بينه وبين جبريل ويشفع لأمته، فذلك المقام المحمود. ورواه السيوطى فى الدر المنثور:۴/۱۹۸.

وروى البيهقى فى دلائل النبوة:۵/۴۸۱:

يأتى رسول الله (ص) يوم القيامة إلى الله وهو جالس على كرسيه.

وقال الشوكانى فى فتح القدير:۳/۳۱۶:

إن المقام المحمود هو أن الله سبحانه يجلس محمداً معه على كرسيه حكاه ابن جرير... وقد ورد فى ذلك حديث.

وفى تاريخ بغداد:۳/۲۲ عن ليث بن مجاهد فى قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا قال: يقعده معه على العرش..

وفى تاريخ بغداد:۸/۵۲:

عن عبدالله بن خليفة قال قال رسول الله (ص): الكرسى الذى يجلس عليه الرب عز وجل وما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع، وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد!

قال أبوبكر المروذى قال لى أبو على الحسين بن شبيب قال لى أبوبكر بن سلم العابد حين قدمنا إلى بغداد: أخرج ذلك الحديث الذى كتبناه عن أبى حمزة، فكتبه أبوبكر بن سلم بخطه وسمعناه جميعاً، وقال أبوبكر بن سلم: إن الموضع الذى يفضل لمحمد(ص)ليجلسه عليه! قال أبوبكر الصيدلانى: من رد هذا فإنما أراد الطعن على أبى بكر المروزى، وعلى أبى بكر بن سلم العابد!!

القعود على العرش فكرة يهودية مسيحية

قال جولد تسيهر فى مذاهب التفسير الإسلامى/۱۲۲:

سجلت فتنة ببغداد أثارها نزاع على مسألة من التفسير ذلك هو تفسير الآية ۷۹ من سورة الاسراء: وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، ما المراد من المقام المحمود؟ ذهب الحنابلة... إلى أن الذى يفهم من ذلك هو أن الله يقعد النبى معه على العرش... ربما كان هذا متأثراً بما جاء فى انجيل مرقص ۱۶ - ۱۹، وآخرون ذهبوا إلى أن المقام المحمود... هو مرتبة الشفاعة التى يرفع إليها النبى. انتهى.

وقد أوردنا فى المجلد الثانى من العقائد الإسلامية أن أفكار التجسيم والصفات المادية لله تعالى وعرشه قد أخذها بعض المسلمين من اليهود وأدخلوها فى الثقافة الإسلامية، وأضاف اليها هؤلاء المقلدة إجلاس نبيهم إلى جنب الله تعالى! بينما روى اليهود إجلاس موسى وداود إلى جنبه! وروى المسيحيون جلوس عيسى على السرير إلى جنب أبيه!! وقد تقدم ذلك فى الشفاعة عند اليهود والنصارى.

ونلاحظ أن ابن سلام اليهودى الذى أسلم يقول عن نبينا صلى الله عليه وآله إنه لا يجلس إلى جنب الله تعالى بل (يلقى) له كرسيٌّ فى جنب المجلس مثلاً فيجلس عليه!

قال البيهقى فى دلائل النبوة:۵/۴۸۶: عن عبد الله بن سلام: وينجو النبى (ص) والصالحون معه، وتتلقاهم الملائكة يرونهم منازلهم.. حتى ينتهى إلى الله عز وجل فيلقى له كرسى. انتهى.

وسوف تعرف فى بحث الشفيع الأول أن مصادر السنيين تأثرت بالاسرائيليات وصححت رواياتها وجعلت شفاعة أنبياء بنى إسرائيل قبل نبينا صلى الله عليه وآله وجعلته الشفيع الرابع.

قال السيوطى فى الدر المنثور:۴/۱۹۸: وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عن ابن مسعود (رض) قال: يأذن الله تعالى فى الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه السلام ثم يقوم إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام ثم يقوم عيسى وموسى (عليهم السلام) ثم يقوم نبيكم(ص)رابعاً ليشفع... ورواه الحاكم فى المستدرك: ۴/۴۹۶ بسند صحيح على شرط الشيخين!!

أما الفتنة التى ذكرها تسيهر فقد ذكرها ابن الأثير فى تاريخه:۵/۱۲۱ فقال: (فى سنة ۳۱۷ هـ) وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أصحاب أبى بكر المروزى الحنبلى وبين غيرهم من العامة، ودخل كثير من الجند فيها، وسبب ذلك أصحاب المروزى قالوا فى تفسير قوله تعالى: عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، هو أن الله سبحانه يقعد النبى (ص) معه على العرش! وقالت طائفة إنما هو الشفاعة، فوقعت الفتنة فقتل بينهم قتلى كثيرة. انتهى.

وذكرها الذهبى فى تاريخ الإسلام: ۲۳/۳۸۴ وأنها بسبب تفسير آية المقام المحمود، حيث قالت الحنابلة إنها تعنى أن الله يقعده على عرشه كما قال مجاهد. وقال غيرهم: بل هى الشفاعة العظمى.

انتقاد بعض علماء السنة التفسير بالقعود على العرش

قال السقاف فى صحيح شرح العقيدة الطحاوية: ۱/۵۷۰:

قال الإمام الطحاوى رحمه الله: والشفاعة التى ادخرها لهم حق كما روى فى الأخبار ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم ولا نقنّطهم.

الشرح: لقد ثبتت الشفاعة منطوقاً ومفهوماً فى القرآن الكريم وخاصة للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم)ومن تلك الآيات قوله تعالى: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. الضحى: ۳ وقال تعالى: عَسَى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. الإسراء: ۷۹ وتفسير المقام المحمود بالشفاعة ثابت فى الصحيحين وغيرهما [۱].

وقال الله تعالى: يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلا.طه: ۱۰۹. وقال تعالى: مَا مِنْ شَفِيعٍ إلا مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ. يونس: ۳.

وفى شفاعة الملائكة قوله تعالى: بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. الأنبياء: ۷۸.

وقال السقاف فى شرح العقيدة الطحاوية/۱۷۰:

وهذا الخلال يقول فى سنته/۲۳۲ ناقلاً: لا أعلم أحداً من أهل العلم ممن تقدم ولا فى عصرنا هذا إلا وهو منكر لما أحدث الترمذى [۲] من رد حديث محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، قال يقعده على العرش [۳] فهو عندنا جهمى يهجر ونحذر عنه.

أقول: ومن العجيب الغريب أن الآلبانى ينكر هذا، ويقول بعدم صحته وأنه لم يثبت كما سيأتى، وكذلك محقق الكتاب وهو متمسلف معاصر ينكر ذلك أيضاً ويحكم على هذا الأثر بالضعف حيث يقول فى هامش تلك الصحيفة تعليق رقم ۱۹: إسناده ضعيف! فهل هؤلاء جهمية! وما هذا الخلاف الواقع بين هؤلاء فى أصول اعتقادهم!

ومن الغريب العجيب أيضاً أنهم اعتبروا أن نفى قعود سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) بجنب الله نافياً ودافعاً لفضيلة من فضائل النبى (صلى الله عليه وآله) والدليل على ما قلناه قول الخلال هناك/۲۳۷: (وقال أبو على إسماعيل بن إبراهيم الهاشمى (وهو مجهول بنظر المحقق): إن هذا المعروف بالترمذى عندنا مبتدع جهمى، ومن رد حديث مجاهد فقد دفع فضل رسول الله(ص)، ومن رد فضيلة

الرسول(ص)فهو عندنا کافر مرتد عن الإسلام!!) وقال/۲۳۴ ناقلًا (وأنا أشهد علی هذا الترمذی أنه جهمی خبیث)! انتهی.

[۱] أنظر البخاری ۳ – ۳۳۸ و ۸ – ۳۹۹ و ۱۳ – ۴۲۲ ومسلم ۱ – ۱۷۹. ومن الغریب العجیب أن یعرض المجسمهٔ والمشبههٔ عن هذا الوارد الثابت فی الصحیحین، ویفسروا المقام المحمود بجلوس سیدنا محمد علی العرش بجنب الله! تعالی الله عن إفکهم وکذبهم علواً کبیراً، وهم یعتمدون علی ذلک علی ما یروی عن مجاهد بسند ضعیف من أنه قال ما ذکرناه من التفسیر المنکر المستشنع، وتکفل الخلال فی کتابه السنهٔ ۱ – ۲۰۹ بنصرهٔ التفسیر المخطئ المستبشع، وقد نطق بما هو مستنشع عند جمیع العقلاء!.

[۲] مع أن التأویل والتفویض لم یحدثه ولم یخترعه الترمذی. ; ومن الغریب العجیب أیضاً أن محقق سنهٔ الخلال عطیهٔ الزهرانی حاول أن ینفی أن کون الترمذی المراد هنا هو الإمام المعروف صاحب السنن فقال/۲۲۴ فی الهامش تعلیق رقم ۴ هو جهم بن صفوان ثم تراجع عن ذلک/۲۳۲ فقال فی الهامش التعلیق رقم ۸ (کنت أظنه جهم، ولکن اتضح من الروایات أنه یقصد رجلًا آخر لم أتوصل إلی معرفته) فیا للعجب!!.

[۳] وهذا القعود الذی یتحدثون عنه هو قعود سیدنا محمد (صلی الله علیه وآله) بجنب الله تعالی علی العرش! تعالی الله عن ذلک علواً کبیراً! والدلیل علیه قول الخلال هناک/۲۴۴: حدثنا أبو معمر ثنا أبو الهذیل عن محمد بن فضیل عن لیث عن مجاهد قال: عَسَی أَنْ یَبْعَثَکَ رَبُّکَ مَقَامًا مَحْمُودًا، قال: یجلسه معه علی العرش قال عبد الله: سمعت هذا الحدیث من جماعهٔ وما رأیت أحداً من المحدثین ینکره، وکان عندنا فی وقت ما سمعناه من المشائخ أن هذا الحدیث إنما تنکره الجهمیهٔ.

تفسیر قوله تعالی (و لسوف یعطیک ربک فترضی)

قال الله تعالی: وَالضُّحَی وَاللَّیْلِ إِذَا سَجَی مَا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَمَا قَلَی وَلَلآخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الأُولَی وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی. الضحی: ۱ – ۵.

والعطاء فی الآیهٔ مطلق شامل لانواع ما یعطیه الله تعالی لرسوله صلی الله علیه وآله ومن الطبیعی أن یکون عطاء عظیماً متناسباً مع کرم الله تعالی علی حبیبه أشرف الخلق وسید المرسلین صلی الله علیه وآله.. ولم تنص الآیهٔ علی أنه الشفاعهٔ ولکن بعض الأحادیث نصت علی ذلک، وبعضها نص علی أنها الشفاعهٔ فی أهل بیته وبنی هاشم وعبد المطلب، وبعضها نص علی أنه العطاء فی الجنهٔ، وبعضها أطلق..وبعضها قال إنها الشفاعهٔ فی أهل بیته وأمته..وجعلها بعضهم الشفاعهٔ فی جمیع أمته صلی الله علیه وآله بحیث لا یدخل أحد منها النار أبداً! ولکن ذلک لا یصح لأنه مخالف لما ثبت عنه صلی الله علیه وآله من دخول بعض أمته النار ومخالف لقانون الجزاء الإلهی، کما ستعرف.

تفسیر الآیهٔ بالعطاء الالهی الاعم من الشفاعهٔ

تفسیر القمی:۲/۴۲۷:

حدثنا جعفر بن أحمد قال: حدثنا عبد الله بن موسی بن الحسن بن علی بن أبی حمزهٔ، عن أبیه، عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السلام فی قوله: وللآخرهٔ خیر لک من الأولی، قال: یعنی الکرهٔ هی الآخرهٔ للنبی صلی الله علیه وآله. قلت قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: یعطیک من الجنهٔ فترضی. ورواه فی مختصر بصائر الدرجات/۴۷ وفی بحار الأنوار:۵۳/۵۹ وفی تفسیر نور الثقلین:۵/۵۹۴.

تفسیر التبیان:۱۰/۳۶۹:

قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، وعد من الله له أن یعطیه من النعیم والثواب وفنون النعم ما یرضی النبی صلی الله علیه وآله به ویؤثره.

تأویل الآیات:۲/۸۱۰:

قوله تعالى: وَلَلأخِرَةُ خَيْرٌ لَکَ مِنَ الأولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضَى. تأويله ما رواه محمد بن العباس رحمه الله عن أبى داود، عن بكار، عن عبد الرحمان، عن إسماعيل بن عبدالله، عن على بن عبد الله بن العباس قال: عرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو مفتوح على أمته من بعده كفراً كفراً فسرَّ بذلك فأنزل الله عز وجل: وَلَلأخِرَةُ خَيْرٌ لَکَ مِنَ الأُولَى، وَلَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضَى، قال: فأعطاه الله عز وجل ألف قصر فى الجنة ترابه المسك، وفى كل قصر ما ينبغى له من الأزواج والخدم. وقوله: كفراً كفراً أى قرية، والقرية تسمى كفراً. انتهى.

ورواه فى الدر المنثور:۶/۳۶۱:

عن ابن أبى حاتم وعبد بن حميد وابن جرير والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى وابن مردويه وأبو نعيم كلاهما فى الدلائل عن ابن عباس قال... الخ.

وقال: أخرج الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله (ص): عرض علىَّ ما هو مفتوح لأمتى بعدى فسرنى، فأنزل الله: وَلَلأخِرَةُ خَيْرٌ لَکَ مِنَ الأُولَى.

بحار الأنوار:۱۶/۱۳۶:

وَلَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضَى، أى من الحوض والشفاعة وسائر ما أعد له من الكرامة، أو فى الدنيا أيضاً من إعلاء الدين وقمع الكافرين.

سيرة ابن هشام:۱/۲۷۸:

قال ابن إسحاق: ثم فتر الوحى عن رسول الله(ص)فترةً من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذى أكرمه بما أكرمه به: ما ودَّعه وماقلاه، فقال تعالى: وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَمَا قَلَى، يقول: ما صرمك فتركك، وما أبغضك منذ أحبك. وللآخرة خير لك من الأولى، أى لَمَا عندى من مرجعك إلىَّ خيرٌ لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا. ولسوف يعطيك ربك فترضى، من الفلج فى الدنيا والثواب فى الآخرة.

تفسيرها بالشفاعة لامته أو بالشفاعة مطلقا

تفسير فرات الكوفى/۵۷۰:

فرات قال: حدثنى محمد بن القاسم بن عبيد معنعناً: عن حرب بن شريح البصرى قال: قلت لمحمد بن على (عليهما السلام): أى آية فى كتاب الله أرجى؟ قال: مايقول فيها قومك قال قلت يقولون: يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، قال: لكنا أهل البيت لا ـ نقول ذلك. قال قلت: فأيش تقولون فيها؟ قال نقول: وَلَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضَى، الشفاعة والله، الشفاعة والله الشفاعة. ورواه فى بحار الأنوار:۸/۵۷.

وقال فى هامش تفسير فرات:

وأخرج الحسكانى فى شواهد التنزيل عن الحسين بن محمد الثقفى عن الحسين بن محمد بن حبيش المقرى، عن محمد بن عمران بن أسد الموصلى، عن محمد بن أحمد المرادى، عن حرب بن شريح البزاز، عن محمد بن على الباقر، عن ابن الحنفية، عن على بن أبى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشفع لامتى حتى ينادى ربى: رضيت يا محمد؟ فأقول: رب رضيت. ثم قال الباقر: إنكم معشر أهل العراق تقولون إن أرجى آية فى القرآن: يا عبادى الذين أسرفوا.. قلت: إنا لنقول ذلك. قال: ولكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية فى كتاب الله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيکَ رَبُّکَ فَتَرْضَى، وهى الشفاعة.

وفى الدر المنثور:۶/۳۶۱:

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية من طريق حرب بن شريح (رض) قال قلت: لابى جعفر محمد بن على بن

الحسین: أرأیت هذه الشفاعة التی یتحدث بها أهل العراق أحق هی؟ قال: إی والله، حدثنی عمی محمد بن الحنفیة، عن علی أن رسول.. (بما یشبه روایة الحسکانی). انتهی.

وقال أیضاً:

وأخرج ابن أبی حاتم عن الحسن (رض) أنه سئل عن قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی؟ قال: هی الشفاعة. انتهی. وروی الأول منهما فی کنز العمال:۱۴/۶۳۶ عن مسند علی، ورواه الواحدی النیسابوری فی تفسیره:۴/۵۱۰ والکاندهلوی فی حیاة الصحابة:۳/۴۶ والشوکانی فی فتح القدیر:۵/۵۶۸.

مناقب آل أبی طالب:۱/۱۹۰، قال حسان:

لئن کلم الله موسی علی شریف من الطور یوم الند

فإن النبی أبا قاسم حبی بالرسالة فوق السم

وقد صار بالقرب من ربه علی قاب قوسین لما دن

وإن فجَّر الماء موسی لهم عیوناً من الصخر ضرب العص

فمن کفِّ أحمد قد فجرت عیونٌ من الماء یوم الظم

وإن کان هارون من بعده حبی بالوزارة یوم المل

فإن الوزارة قد نالها علی بلا شک یوم الفد

وقال کعب بن مالک الأنصاری:

فإن یک موسی کلم الله جهرةً علی جبل الطور المنیف المعظم

فقد کلم الله النبی محمداً علی الموضع الاعلی الرفیع المسوم

داود علیه السلام کان له سلسلة الحکومة لیمیز الحق من الباطل، ولمحمد القرآن: ما فرطنا فی الکتاب من شئ، ولیست السلسلة کالکتاب، والسلسلة قد فنیت والقرآن بقی إلی آخر الدهر. وکان له النغمة، ولمحمد الحلاوة: وإذا سمعوا ماأنزل إلی الرسول... قال حسان:

وإن کان داود قد أوبت جبال لدیه وطیر الهو

ففی کف أحمد قد سبحت بتقدیس ربی صغار الحصی

... وسلیمان کان یصفدهم لعصیانهم، ونبینا أتوه طائعین راغبین. وسأل سلیمان ملک دنیا: رب هب لی ملکاً... وعرض مفاتیح خزائن الدنیا علی محمد فردها، فشتان بین من یسأل وبین من یعطی فلا یقبل، فأعطاه الله الکوثر والشفاعة والمقام المحمود: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.

وقال لسلیمان: أمنن أو امسک بغیر حساب، وقال لنبینا: ما آتاکم الرسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا. قال حسان بن ثابت:

وإن کانت الجن قد ساسها سلیمان والریح تجری رخ

فشهر غدوٌّ به رابیاً وشهر رواحٌ به إن یش

فإن النبی سری لیلةً من المسجدین إلی المرتقی

وقال کعب بن مالک:

وإن تک نمل البر بالوهم کلمت سلیمان ذا الملک الذی لیس بالعمی

فهذا نبی الله أحمدُ سبحت صغار الحصی فی کفه بالترنم

ورواه فی بحار الأنوار:۱۶/۴۱۵.

مناقب آل ابی طالب:۳/۱۰۳:

وکان رسول الله صلی الله علیه وآله یهتم لعشرة أشیاء فآمنه الله منها وبشره بها:

لفراقه وطنه فأنزل الله: إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرَادُّکَ إلی مَعَادٍ.

ولتبدیل القرآن بعده کما فعل بسائر الکتب، فنزل: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.

ولامته من العذاب، فنزل: وَمَا کَانَ اللهُ لِیُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِیهِمْ.

ولظهور الدین، فنزل: لِیُظْهِرَهُ عَلَی الدِّینِ کُلِّهِ.

وللمؤمنین بعده، فنزل: یُثَبِّتُ اللهُ الَّذِینَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِی الْحَیَاةِ الدُّنْیَا وَفِی الآخرة.

ولخصمائهم، فنزل: یَوْمَ لا یُخْزِی اللهُ النَّبِیَّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا.

وللشفاعة، فنزل: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.

وللفتنة بعده علی وصیه، فنزل: فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِکَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ.یعنی بعلی.

ولثبات الخلافة فی أولاده، فنزل: لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الأَرْضِ.

ولابنته حال الهجرة، فنزل: الَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللَّهَ قِیَامًا وَقُعُودًا... الآیات. انتهی.

وقال الفخر الرازی فی تفسیره:۱۶ جزء ۳۱/۲۱۳:

قوله تعالی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، فالمروی عن علی بن أبی طالب وابن عباس أن هذا هو الشفاعة فی الأمة... واعلم أن الحمل علی الشفاعة متعین ویدل علیه وجوه (أحدها) أنه تعالی أمره (ص) فی الدنیا بالاستغفار... عن جعفر الصادق أنه قال: رضا جدی أن لا یدخل النار موحد، وعن الباقر: أهل العراق یقولون: أرجی آیة قوله (یَا عِبَادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلَی أَنْفُسِهِمْ)... الخ.

تفسیرها بشفاعة النبی لأهل بیته خاصة

تفسیر فرات الکوفی/۵۷۰:

قال حدثنی جعفر بن محمد الفزاری قال: حدثنا عباد، عن نصر، عن محمد بن مروان، عن الکلبی، عن أبی صالح، عن ابن عباس(رض) فی قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: یدخل الله ذریته الجنة.

تأویل الآیات:۲/۸۱۰:

وروی أیضاً عن محمد بن أحمد بن الحکم، عن محمد بن یونس، عن حماد بن عیسی، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبیه صلی الله علیهما، عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله صلی الله علیه وآله علی فاطمة علیها السلام وهی تطحن بالرحی وعلیها کساء من جلَّة الإبل فلما نظر إلیها بکی وقال لها: یا فاطمة تعجلی مرارة الدنیا لنعیم الآخرة غداً، فأنزل الله علیه: وَلَلأخِرَةُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الأُولَی، وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.

وروی أیضاً عن أحمد بن محمد النوفلی، عن أحمد بن محمد الکاتب، عن عیسی بن مهران بإسناده إلی زید بن علی علیه السلام فی قول الله عز وجل: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: إن رضی رسول الله صلی الله علیه وآله إدخال الله أهل بیته وشیعتهم الجنة، وکیف لا وإنما خلقت الجنة لهم والنار لأعدائهم. فعلی أعدائهم لعنة الله والملائکة والناس أجمعین.

مناقب آل أبی طالب:۳/۱۲۰:

تفسیر الثعلبی عن جعفر بن محمد علیه السلام وتفسیر القشیری عن جابر الأنصاری أنه رأی النبی صلی الله علیه وآله فاطمة وعلیها کساء من جلة الإبل... الخ.

ورواه فی تفسیر نور الثقلین:۵/۵۹۴ عن المناقب لابن شهر آشوب عن تفسیر الثعلبی، وفی بحار الأنوار: ۳۹/۸۵ عن تفسیر الثعلبی وعن

تفسیر القشیری عن جابر الأنصاری.

ورواه فی الدر المنثور:۶/۳۶۱ قال: وأخرج العسکری فی المواعظ وابن مردویه وابن هلال وابن النجار عن جابر بن عبد الله قال: دخل رسول الله (ص)علی فاطمة وهی تطحن بالرحی... الخ.

مناقب أمیر المؤمنین:۱/۱۵۳:

محمد بن سلیمان قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: وحدثنی محمد بن الصباح الدولابی قال: حدثنا الحکم بن ظهیر، عن السدی فی قوله تعالی: ومن یقترف حسنة نزد له فیها حسناً، قال: المودة فی آل الرسول. وفی قوله تعالی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: یدخل أهل بیته الجنة.

أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب إجازة أن أبا أحمد عمر بن عبد الله بن شوذب أخبرهم قال: حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبی العوام، حدثنا محمد بن الصباح الدولابی، حدثنا الحکم بن ظهیر، عن السدی فی قوله عز وجل: وَمَنْ یَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِیهَا حُسْنًا، قال: المودة فی آل الرسول صلی الله علیه وآله. وفی قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، فقال: رضی محمد صلی الله علیه وآله أن یدخل أهل بیته الجنة. انتهی.

وقال فی هامشه: أقول: وقریباً منه رواه الحافظ الحسکانی فی تفسیر الآیة ۲۳ من سورة الشوری والآیة ۵ من سورة الضحی فی کتاب شواهد التنزیل: ۲/۱۴۷ و ۳۴۴.

مناقب آل أبی طالب:۲/۱۵:

تفسیر وکیع، قال ابن عباس فی قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، یعنی ولسوف یشفعک یا محمد یوم القیامة فی جمیع أهل بیتک فتدخلهم کلهم الجنة ترضی بذلک عن ربک. انتهی. ورواه فی بحار الأنوار: ۸/۴۳.

بحار الأنوار:۲۴/۴۸:

وروی عن ابن المغازلی أیضاً بإسناده عن السدی مثله، وزاد فی آخره: وقال فی قوله تعالی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: رضی محمد صلی الله علیه وآله أن یدخل أهل بیته الجنة.

الدر المنثور:۶/۳۶۱:

وأخرج ابن جریر من طریق السدی عن ابن عباس رضی الله عنهما فی قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: من رضا محمد أن لا یدخل أحد من أهل بیته النار.

وأخرج ابن أبی شیبة عن ابن مسعود (رض) قال قال رسول الله (ص): إنا أهل بیت اختار الله لنا الآخرة علی الدنیا، وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی..

تفسیرها بشفاعة النبی لجمیع أمته

شعب الإیمان للبیهقی:۲/۱۶۴:

عن ابن عباس من قوله عز وجل: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی. قال: رضاه أن یدخل أمته کلهم الجنة.

الدر المنثور:۶/۳۶۱:

وأخرج البیهقی فی شعب الإیمان من طریق سعید بن جبیر عن ابن عباس رضی الله عنهما فی قوله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.، قال: رضاه أن تدخل أمته الجنة کلهم.

وأخرج الخطیب فی تلخیص المتشابه من وجه آخر عن ابن عباس رضی الله عنهما فی قوله وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال: لا یرضی محمد واحد من أمته فی النار.

وأخرج مسلم عن ابن عمرو (رض) أن النبی(ص) تلا قول الله فی إبراهیم: فمن تبعنی فإنه منی، وقول عیسی: إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُکَ.. الآیة، فرفع یدیه وقال: اللهم أمتی أمتی وبکی، فقال الله: یا جبریل إذهب إلی محمد فقل له إنا سنرضیک فی أمتک، ولا نسوؤک.

تفسیر نور الثقلین:۵/۵۹۵:

فی مجمع البیان عن الصادق علیه السلام قال: دخل رسول الله صلی الله علیه وآله علی فاطمة علیها السلام وعلیها کساء من جلة الابل وهی تطحن بیدها وترضع ولدها فدمعت عینا رسول الله صلی الله علیه وآله لما أبصرها فقال: یا بنتاه تعجلی مرارة الدنیا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله علی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.

وقال الصادق علیه السلام: رضا جدی أن لا یبقی فی النار موحد.

وروی حریث بن شریح، عن محمد بن علی بن الحنفیة أنه قال: یا أهل العراق تزعمون أن أرجی آیة فی کتاب الله عز وجل: یَا عِبَادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلَی أَنْفُسِهِمْ.. الآیة، وإنا أهل البیت نقول: أرجی آیة فی کتاب الله: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، وهی والله الشفاعة لیعطاها فی أهل لا إله إلا الله حتی یقول: رب رضیت.

مجمع البحرین:۱/۱۱۵:

وفی حدیث النبی صلی الله علیه وآله: کساه الله من حلل الأمان. قال بعض الشارحین: المراد أمان أمته من النار، فإن الله تعالی قال له: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی.، وهو صلی الله علیه وآله لا یرضی بدخول أحد من أمته إلی النار، کما ورد فی الحدیث.

مجمع البحرین:۲/۱۸۶:

قوله تعالی: وَلَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضَی، قال المفسرون: اللام فی (ولسوف) لام الإبتداء المؤکدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف، والتقدیر: ولانت سوف یعطیک، ولیست بلام قسم لأنها لا تدخل علی المضارع إلا مع نون التأکید. وفی الروایة: إن أرجی آیة فی کتاب الله هذه الآیة، لأنه لا یرضی بدخول أحد من أمته النار.

بحار الأنوار:۷۹/۹۱:

(المکسو حلل الأمان) قال الشیخ البهائی رحمه الله: المراد أمان أمته من النار، فإن الله تعالی قال له: ولسوف یعطیک ربک فترضی، وهو صلی الله علیه وآله لا یرضی بدخول أحد من أمته فی النار، کما ورد فی الحدیث، وحلل الأمان استعارة.

ملاحظتان

الأولی: قد یشکل علی بعض هذه الأحادیث بأن سورة الضحی مکیة فکیف نزلت فی المدینة بعد ما قاله النبی للزهراء صلی الله علیه وعلیها؟ أو بعد أن سب بعض القرشیین بنی هاشم وقال (إنما مثل محمد فیهم کمثل شجرة فی کبا) کما ذکرت بعض الروایات؟.

والجواب: أنه لا مانع من القول بنزول بعض الآیات مرتین أو مرات، کما قرر ذلک علماء التفسیر فی أسباب النزول، فیکون النزول الثانی مؤکداً، أو مبیناً لمصادیق الآیة، أو تأویلًا لها.. ومن الواضح أن هذه الآیة من النوع الذی یصح نزوله فی أکثر من مناسبة لتطمین النبی صلی الله علیه وآله وتذکیره بنعم الله تعالی الآتیة، لیتحمل أحقاد المشرکین ومؤامراتهم، ومتاعب الأمة وأذایاها، ومصاعب الدنیا ومراراتها.

ویؤید نزولها مرة ثانیة ما رواه السیوطی فی الدر المنثور:۶/۳۶۱: وأخرج ابن مردویه عن عکرمة (رض) قال: لما نزلت وللاخرة خیر لک من الأولی، قال العباس بن عبد المطلب: لا یدع الله نبیه فیکم إلا قلیلًا لما هو خیر له. انتهی.

ویؤیده أیضاً ما رواه المجلسی فی بحار الأنوار:۲۲/۵۳۳: عن أبی جعفر علیه السلام قال: لما حضرت النبی الوفاة استأذن علیه رجل فخرج إلیه علی علیه السلام فقال: حاجتک؟ قال: أردت الدخول إلی رسول الله صلی الله علیه وآله فقال علی علیه السلام: لست تصل

إليه فما حاجتك؟ فقال الرجل: إنه لابد من الدخول عليه، فدخل على فاستأذن النبى (عليهما السلام) فأذن له فدخل وجلس عند رأس رسول الله ثم قال: يا نبى الله إنى رسول الله إليك، قال: وأى رسل الله أنت قال: أنا ملك الموت، أرسلنى إليك يخيِّرك بين لقائه والرجوع إلى الدنيا، فقال له النبى صلى الله عليه وآله: فأمهلنى حتى ينزل جبرئيل فأستشيره، ونزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله الآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى، لقاء الله خير لك، فقال صلى الله عليه وآله: لقاء ربى خير لى، فامض لما أمرت به، فقال جبرئيل لملك الموت: لا تعجل حتى أعرج إلى ربى وأهبط... الخ. انتهى.

على أنا نلاحظ فى بعض رواياتها أن النبى صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام (يا بنتاه تعجلى مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله على: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى.) وهو يدل على أن النبى ذكَّر فاطمة بنزول الآية، لا أنها نزلت فى ذلك الوقت.

الثانية: نلاحظ فى تفسير هذه الآية ملامح الاتجاه إلى توسيع الشفاعة لكل المسلمين، مؤمنهم ومنافقهم ظالمهم ومظلومهم محسنهم ومسيئهم! وأنها وأمثالها لم تستثن الظالمين والجبارين والطغاة ومحرفى الدين والمفسدين فى أمور البلاد والعباد! ولا اشترطت شروطاً لنيل الشفاعة والنجاة فقالت مثلاً: من مات على الشهادتين وكان من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولم يكن فى رقبته ظلم للعباد.. ولو أنها اشتملت على ذلك لكان لعمومها وجه يمكن الدفاع عنه.. ولكنها وأمثالها من الروايات تريد أن تقول إن المسلمين كلهم يدخلون الجنة مهما ارتكبوا من معاص ومظالم، ومهما انحرفوا عن فى سلوكهم الخاص والعام عن الإسلام وخالفوا الله تعالى ورسوله! بل مهما حرَّفوا الإسلام وأعملوا معاولهم فى هدم أصوله وتغيير فروعه..! فما داموا مسلمين بالاسم منتمين إلى أمة النبى فإن النبى صلى الله عليه وآله لا يرضى يوم القيامة حتى يدخلهم الجنة إلى آخر نفر!!

وهذه نفس مقولة اليهود (نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ) ولا يمكن التوفيق بينها وبين آيات القرآن والأحاديث التى اتفق الجميع على صدورها عن النبى صلى الله عليه وآله.. مثل إخباره بأن بعض أصحابه يمنعون من ورود الحوض، ويؤمر بهم إلى النار.. كما سيأتى فى محاولات توسيع الشفاعة، إن شاء الله تعالى، وستعرف أن عدداً من الآيات والأحاديث الثابتة عند الجميع تنص على أن شفاعة النبى صلى الله عليه وآله لا يمكن أن تشمل أنواعاً من المجرمين والظالمين، حتى لو كانوا من أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحابته، وحتى لو كان عندهم بعض الأعمال الحسنة، لأن إجراء قوانين الجزاء والعقاب من مقتضيات العدل الالهى.

ولذلك فإن مقولة (أن النبى لا يرضى مادام أحد من أمته محكوماً عليه بدخول النار) مقولةٌ باطلة لا تصح نسبتها إلى النبى وآله صلى الله عليه وعليهم، لأن الآيات والأحاديث القطعية تعارضها، ويعارضها حكم العقل أيضاً، لأنها تساوى بين المحسنين والفجار، بل تبطل القانون الالهى فى العقاب!

وبسبب ذلك نستظهر أن أصل الحديث شفاعته صلى الله عليه وآله لأهل بيته فجعلوه لأمته، كما حرفوا غيره من الأحاديث والمناقب الخاصة ببنى هاشم أو بالعترة وجعلوه لكل قريش أو لكل الأمة، ومن ذلك حديث (الأئمة من بعدى اثنا عشر من أهل بيتى) فجعلوه من قريش! ولا يتسع المجال للتفصيل.

نعم يمكن القول بشمول شفاعته صلى الله عليه وآله لكل أمته إذا حددنا مفهوم أمته صلى الله عليه وآله بمن يقبلهم ويرتضيهم بسبب صحة عقيدتهم وصحة خطهم العام، فتشمل شفاعته خيار الموحدين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهؤلاء قد يصح القول فيهم ان النبى صلى الله عليه وآله لا يرضى أن يدخلوا النار.

وقد ورد معنى قريب مما ذكرنا فى دعاء فى بحار الأنوار: ۹۴/۱۱۹ يقول: اللهم إنك قلت لنبيك صلى الله عليه وآله: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى. اللهم إن نبيك ورسولك وحبيبك وخيرتك من خلقك لا يرضى بأن تعذب أحداً من أمته دانك بموالاته وموالاة الأئمة من أهل بيته وإن كان مذنباً خاطئاً فى نار جهنم، فأجرنى يا رب من جهنم وعذابها، وهبنى لمحمد وآل محمد، يا أرحم الراحمين. انتهى.

حدود الشفاعة

من الطبیعی للباحث فی مسائل الآخرة والحساب والشفاعة والجنة والنار، أن یتذکر دائماً أن مصدر معلوماته عن ذلک العالم وکل عوالم الغیب إنما هو النصوص الشریفة من القرآن والسنة، وأن بحثه فی مسائله یعنی الاهتداء بالعقل والفکر فی إطار هذه النصوص لا خارجها.. ولذلک یحتاج فی کثیر من التفاصیل وأحیاناً فی أمر أساسی، إلی التوقف عند القدر المتیقن من النصوص، حتی لا یقول فی دین الله تعالی بغیر علم.

ومن الملاحظ فی آیات الجنة والنار والشفاعة أن أحادیثها التی تصنف الناس بأنهم من أهل النار أو من أهل الجنة، لا تستوعب کل أصناف الناس، بل تبقی أصناف کثیرة خارجة عن القدر المتیقن من الطرفین.. وکذلک الأمر فی الشفاعة حیث نجد فی القرآن الکریم شروطاً للشفعاء وللمشفوع لهم، ونجد فی السنة تفصیلات لها وذکراً لأصناف من الناس تشملهم الشفاعة، أو لا تشملهم.. وتبقی أصناف أخری من الناس لا تذکرها النصوص ولا تشملها.

والحل فی مثل هذه الحالة التوقف وعدم التورط فی تصنیف عباد الله فی الجنة أو النار، أو داخل الشفاعة أو خارجها، بالظنون والاحتمالات، کما یفعل البعض!

المذاهب فی حدود الشفاعة (من ارتضی)

هذا البحث من أهم بحوث الشفاعة من ناحیة نظریة، کما أنه بحث حساس من ناحیة تطبیقیة، لأنه یصنِّف المسلمین إلی مرضیین عند الله ورسوله وغیر مرضیین..ولذلک اختلفت فیه آراء المذاهب والفئات، وکثر فی تاریخ المسلمین وکتبهم البحث فی الذین تشملهم شفاعة النبی صلی الله علیه وآله والذین لا تشملهم..

وأهم الأقوال أو المذاهب فی المسألة أربعة:

القول الأول: قول أهل البیت (علیهم السلام) الذی یشترط للشفاعة: الإسلام، وعدم الشرک، وعدم الظلم، وإطاعة النبی صلی الله علیه وآله فی مودة أهل بیته (علیهم السلام).

القول الثانی: القول بتوسیع الشفاعة، وهو قول أکثر المذاهب السنیة التی توسعها إلی جمیع المسلمین، بل إلی غیرهم من الیهود والنصاری.. وستعرف أن فیه عدة آراء بل مذاهب.

القول الثالث: إنکار شفاعة النبی صلی الله علیه وآله أصلاً، وهو قول قدماء الخوارج، وقد رد علیهم أهل البیت (علیهم السلام) وبقیة المذاهب. وقد ولد هذا الرأی ردةَ فعل علی مذهب توسعة الشفاعة الذی تبنته الدولة وأفرطت فیه.

القول الرابع: قول المعتزلة بأن الشفاعة لا تشمل المسلم الذی یرتکب المعاصی الکبائر لأنه یستحق النار، بل تختص بالمسلم الذی یرتکب المحرمات الصغائر المعفو عنها، وفائدتها رفع درجته فی الجنة.

وسوف نستعرض هذه المذاهب فی الفقرات التالیة إن شاء الله تعالی.

حدود الشفاعة عند أهل البیت

ما دل علی استثناء المشرک والظالم من الشفاعة

التوحید للصدوق/۴۰۷:

حدثنا أحمد بن زیاد بن جعفر الهمدانی (رض) قال: حدثنا علی بن إبراهیم بن هاشم، عن أبیه، عن محمد بن أبی عمیر قال: سمعت موسی بن جعفر (علیهما السلام) یقول: لا یخلد الله فی النار إلا أهل الکفر والجحود، وأهل الضلال والشرک. ومن اجتنب الکبائر من المؤمنین لم یسأل عن الصغائر، قال الله تبارک وتعالی: إِنْ تَجْتَنِبُوا کَبائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُکَفِّرْ عَنْکُمْ سَیِّئَاتِکُمْ وَنُدْخِلْکُمْ مُدْخَلًا کَرِیمًا.

قال فقلت له: يابن رسول الله فالشفاعة لمن تجب من المذنبين؟

قال: حدثنى أبى عن آبائه عن على (عليهم السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل.

قال ابن أبى عمير فقلت له: يابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى ذكره يقول: وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ؟ ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى!

فقال: يا أبا أحمد مامن مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله: كفى بالندم توبة.

وقال صلى الله عليه وآله: من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة، وكان ظالماً والله تعالى ذكره يقول: ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع.

فقلت له: يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصى وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكب، ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة، ومتى لم يندم عليها كان مصراً، والمصر لا يغفر له، لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكب، ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم. وقد قال النبى صلى الله عليه وآله: لا كبيرة مع الإستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار. وأما قول الله عز وجل: وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى، فإنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه، والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات، فمن ارتضى الله دينه ندم على ما ارتكبه من الذنوب، لمعرفته بعاقبته فى القيامة. انتهى.

ورواه فى وسائل الشيعة:۱۱/۲۶۶، وفى تفسير نور الثقلين:۴/۵۱۷.

الإعتقادات للصدوق/۴۴:

إعتقادنا فى الشفاعة: أنها لمن ارتضى دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة.

قال النبى صلى الله عليه وآله: من لم يؤمن بشفاعتى فلا أناله الله شفاعتى.

وقال صلى الله عليه وآله: لا شفيع أنجح من التوبة.

والشفاعة للأنبياء والاوصياء (عليهم السلام)، وفى المؤمنين من يشفع مثل ربيعة ومضر، وأقل المؤمنين من يشفع ثلاثين ألفاً.

والشفاعة لا تكون لأهل الشك والشرك، ولا لأهل الكفر والجحود، بل تكون للمذنبين من أهل التوحيد.

من لا يحضره الفقيه:۳/۵۷۴:

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى.

وقال الصادق عليه السلام: شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا، وأما التائبون فإن الله عز وجل يقول: مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ. ورواهما فى وسائل الشيعة:۱۱/۲۶۴.

روضة الواعظين/۵۰۱:

قيل للرضا عليه السلام: يابن رسول الله فما معنى قول الله تعالى: وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى؟ قال: لا يشفعون إلا لمن ارتضى دينه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ما خلا الشرك والظلم.

الاختصاص للمفيد/۳۳: باب فيه مسائل اليهودى التى ألقاها على النبى صلى الله عليه وآله

حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم قال: حدثنا الحسين بن مهران قال: حدثنى الحسين بن عبدالله، عن أبيه، عن جده، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام قال: جاء رجل من اليهود إلى النبى صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد أنت الذى تزعم أنك رسول الله وأنه يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران؟ قال: نعم، أنا سيد ولد آدم ولا فخر، أنا خاتم النبيين وإمام المتقين ورسول رب العالمين.

فقال: يا محمد إلى العرب أرسلت أم إلى العجم أم إلينا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى رسول الله إلى الناس كافة.

فقال: إنی أسألک عن عشر کلمات أعطاها موسی فی البقعة المبارکة حیث ناجاه لا یعلمها إلا نبیٌّ مرسل أو ملکٌ مقرب.

فقال النبی صلی الله علیه وآله: سل عما بدا لک.

فقال: یا محمد أخبرنی عن الکلمات التی اختارها الله لابراهیم علیه السلام حین بنی هذا البیت؟

فقال النبی صلی الله علیه وآله: نعم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أکبر.

فقال: یا محمد لأی شئ بنی إبراهیم علیه السلام الکعبة مربعاً؟

قال: لأن الکلمات أربعة.

قال: فلای شئ سمیت الکعبة کعبة؟

قال: لأنها وسط الدنیا.

قال: فأخبرنی عن تفسیر سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أکبر؟ فقال النبی صلی الله علیه وآله: علم الله أن ابن آدم والجن یکذبون علی الله تعالی فقال: سبحان الله، یعنی بری مما یقولون.

وأما قوله: الحمد لله، علم الله أن العباد لا یؤدون شکر نعمته، فحمد نفسه عز وجل قبل أن یحمده الخلائق، وهی أول الکلام، لولا ذلک لما أنعم الله علی أحد بنعمة.

وأما قوله: لا إله إلا الله، وهی وحدانیته لا یقبل الله الأعمال إلا به، ولا یدخل الجنة أحد إلا به، وهی کلمة التقوی سمیت التقوی لما تثقل بالمیزان یوم القیامة.

وأما قوله: الله أکبر، فهی کلمة لیس أعلاها کلام وأحبها إلی الله، یعنی لیس أکبر منه، لأنه یستفتح الصلوات به لکرامته علی الله، وهو اسم من أسماء الله الأکبر.

فقال: صدقت یا محمد ما جزاء قائلها؟

قال: إذا قال العبد: سبحان الله سبح کل شئ معه مادون العرش، فیعطی قائلها عشر أمثالها. وإذا قال: الحمد لله أنعم الله علیه بنعیم الدنیا حتی یلقاه بنعیم الآخرة، وهی الکلمة التی یقولها أهل الجنة إذا دخلوها، والکلام ینقطع فی الدنیا ما خلا الحمد، وذلک قولهم: تحیتهم فیها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمین.

وأما ثواب: لا إله إلا الله فالجنة، وذلک قوله: هل جزاء الاحسان إلا الاحسان. وأما قوله: الله أکبر، فهی أکبر درجات فی الجنة وأعلاها منزلة عند الله. فقال الیهودی: صدقت یا محمد، أدیت واحدة، تأذن لی أن أسألک الثانیة؟ فقال: النبی صلی الله علیه وآله: سلنی ما شئت ـ وجبرئیل عن یمین النبی صلی الله علیه وآله ومیکائیل عن یساره یلقنانه ـ فقال الیهودی: لأی شئ سمیت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشیراً ونذیراً وداعیا؟

فقال النبی صلی الله علیه وآله: أما محمد فإنی محمود فی السماء، وأما أحمد فإنی محمود فی الأرض، وأما أبو القاسم فإن الله تبارک وتعالی یقسم یوم القیامة قسمة النار بمن کفر بی أو یکذبنی من الأولین والآخرین، وأما الداعی فإنی أدعو الناس إلی دین ربی إلی الإسلام، وأما النذیر فإنی أنذر بالنار من عصانی، وأما البشیر فإنی أبشر بالجنة من أطاعنی.

قال: صدقت یا محمد، فأخبرنی عن الثالثة لأی شئ وقت الله هذه الصلوات الخمس فی خمس مواقیت علی أمتک، فی ساعات اللیل والنهار....

قال: صدقت یا محمد، فأخبرنی عن العاشرة: تسعة خصال أعطاک الله من بین النبیین، وأعطی أمتک من بین الأمم؟

فقال النبی صلی الله علیه وآله: فاتحة الکتاب، والأذان، والإقامة، والجماعة فی مساجد المسلمین، ویوم الجمعة، والأجهار فی ثلاث صلوات، والرخصة لأمتی عند الأمراض والسفر، والصلاة علی الجنائز، والشفاعة فی أصحاب الکبائر من أمتی... وأما شفاعتی فی أصحاب الکبائر من أمتی ما خلا الشرک والمظالم. قال: صدقت یا محمد، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، وأن محمداً

عبده ورسوله، وأنک خاتم النبیین، وإمام المتقین، ورسول رب العالمین.

ثم أخرج ورقاً أبیض من کمه مکتوب علیه جمیع ما قال النبی صلی الله علیه وآله حقاً، فقال... یا محمد فقد کنت أمحی إسمک فی التوراة أربعین سنة، فکلما محوت وجدت إسمک مکتوباً فیها! وقد قرأت فی التوراة هذه المسائل لا یخرجها غیرک، وإن ساعة ترد جواب هذه المسائل یکون جبرئیل عن یمینک ومیکائیل عن یسارک. فقال النبی صلی الله علیه وآله: جبرئیل عن یمینی ومیکائیل عن یساری!

الخصال للصدوق/۳۵۵:

حدثنا محمد بن علی ماجیلویه، عن عمه محمد بن أبی القاسم، عن أحمد بن أبی عبد الله البرقی، عن أبی الحسن علی بن الحسین البرقی، عن عبد الله بن جبلة، عن الحسن بن عبدالله، عن آبائه، عن جده الحسن بن علی بن أبی طالب علیهم السلام فی حدیث طویل قال: جاء نفر من الیهود إلی رسول الله صلی الله علیه وآله فسأله أعلمهم عن أشیاء فکان فیما سأله: أخبرنا عن سبع خصال أعطاک الله من بین النبیین وأعطی أمتک من بین الأمم... الخ. وهو شبیه بما تقدم عن الاختصاص، ولعل السبع تصحیف للتسع ورواه فی تفسیر نور الثقلین:۱/۷۷ وبعضه فی مستدرک الوسائل:۱۱/۳۶۴.

بشارة المصطفی/۲۰:

قال الصادق جعفر بن محمد علیه السلام: أغفل الناس قول رسول الله صلی الله علیه وآله فی علی بن أبی طالب یوم مشربة أم إبراهیم، کما أغفلوا قوله فیه یوم غدیر خم! إن رسول الله صلی الله علیه وآله کان فی مشربة أم إبراهیم وعنده أصحابه إذ جاءه علی علیه السلام فلم یفرجوا له، فلما رآهم لم یفرجوا له قال لهم: یا معاشر الناس هذا علی من أهل بیتی، وتستَخِفُّونَ بهم وأنا حیٌّ بین ظهرانیکم! أما والله لئن غبت عنکم فإن الله لا یغیب عنکم، إن الرَّوْحَ والراحة والبشر والبشارة لمن ائتم بعلی وتولاه، وسلم له وللأوصیاء من ولده. إن حقاً علیَّ أن أدخلهم فی شفاعتی لأنهم أتباعی فمن تبعنی فإنه منی، سنة جرت فیَّ من إبراهیم لانی من إبراهیم وإبراهیم منی، وفضلی فضله وفضله فضلی، وأنا أفضل منه، تصدیق قول ربی: ذریة بعضها من بعض والله سمیع علیم.

التبیان فی تفسیر القرآن:۱۰/۱۸۷:

فقال الله تعالی لهم: فما تنفعهم شفاعة الشافعین، الذین یشفعون لهم، لأن عذاب الکفر لا یسقطه الله بالشفاعة بالإجماع.

اصناف من الناس موعودون بالشفاعة

وردت فی مصادر الفریقین أحادیث متعددة وَعَدت أصنافاً من الناس بالشفاعة جزاء لأعمالهم، أو جعلتهم من أهل الشفاعة لغیرهم، أو حذرتهم من الحرمان منها عقاباً علی أعمالهم، ونذکر منها نماذج من مصادرنا، ومن مصادر السنیین فی محلها:

من قضی لأخیه المؤمن حاجة

وسائل الشیعة:۱۱/۵۸۸:

فی ثواب الأعمال، عن أبیه، عن سعد، عن أحمد بن محمد، عن علی بن الحکم، عن سیف بن عمیرة، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن شرحبیل بن سعد الأنصاری، عن أشید بن حضیرة قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من أغاث أخاه المسلم حتی یخرجه من هم وکربة وورطة، کتب الله له عشر حسنات ورفع له عشر درجات، وأعطاه ثواب عتق عشر نسمات، ودفع عنه عشر نقمات، وأعد له یوم القیامة عشر شفاعات.

مستدرک الوسائل:۱۲/۴۰۵:

عوالی اللآلی: عن النبی صلی الله علیه وآله قال: من قضی حاجة لأخیه کنت واقفاً عند میزانه، فإن رجح وإلا شفعت له.

مستدرک الوسائل:۱۲/۴۰۷:

وعن إبراهيم التيمى قال: كنت فى الطواف إذ أخذ أبو عبد الله عليه السلام بعضدى فسلم علىَّ ثم قال: ألا أخبرک بفضل الطواف حول هذا البيت؟ قلت: بلى قال: أيما مسلم طاف حول هذاالبيت أسبوعاً ثم أتى المقام فصلى خلفه ركعتين كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وأثبت له ألف شفاعة، ثم قال: ألا أخبرک بأفضل من ذلک؟ قلت: بلى قال: قضاء حاجة امرئ مسلم أفضل من طواف أسبوع وأسبوع، حتى بلغ عشرة.

مستدرک الوسائل:۱۲/۴۰۹:

وعن أبى عبد الله عليه السلام: من مشى فى حاجة أخيه كتب الله له بها عشر حسنات، وأعطاه الله عشر شفاعات.

من سعى فى حوائج ذرية النبى

الكافى: ۴/۶۰:

وعنه، عن أبيه، عن بعض أصحابنا، عن أبى عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريتى، ورجل بذل ماله لذريتى عند المضيق، ورجل أحب ذريتى باللسان وبالقلب، ورجل يسعى فى حوائج ذريتى إذا طردوا أو شردوا. ورواه فى من لا يحضره الفقيه:۲/۶۵ وفى تهذيب الأحكام: ۴/۱۱۱ وفى تأويل الآيات:۲/۱۰۹ وفى وسائل الشيعة:۱۱/۵۵۶ وفى مستدرک الوسائل:۱۲/۳۸۲.

من زار قبر النبى

الكافى:۴/۵۴۸:

على بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمد بن سليمان الديلمى، عن أبى حجر الاسلمى، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكة حاجاً ولم يزرنى إلى المدينة جفوته يوم القيامة، ومن أتانى زائراً وجبت له شفاعتى، ومن وجبت له شفاعتى وجبت له الجنة، ومن مات فى أحد الحرمين مكة والمدينة لم يعرض ولم يحاسب، ومن مات مهاجراً إلى الله عز وجل، حشر يوم القيامة مع أصحاب بدر.

من زار أخاه المؤمن لوجه الله تعالى

الكافى:۲/۱۷۸:

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن عبدالله بن محمد الجعفى، عن أبى جعفر عليه السلام قال: إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره فيوكل الله عز وجل به ملكاً فيضع جناحاً فى الأرض وجناحاً فى السماء يظلّه، فإذا دخل إلى منزله نادى الجبار تبارک وتعالى: أيهاالعبد المعظم لحقى المتبع لآثار نبيى، حقَّ على إعظامک، سلنى أعطک، أدعنى أجبک، أسکت أبتدئک، فإذا انصرف شيعه الملک يظله بجناحه حتى يدخل إلى منزله، ثم يناديه تبارک و تعالى: أيها العبد المعظم لحقى حق على إكرامک، قد أوجبت لک جنتى، وشفعتک فى عبادى.

الكافى:۲/۱۷۶:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليمانى، عن جابر، عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حدثنى جبرئيل عليه السلام أن الله عزوجل أهبط إلى الأرض ملكاً فأقبل ذلک الملک يمشئ حتى وقع إلى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار، فقال له الملک ما حاجتک إلى رب هذه الدار؟ قال: أخ لى مسلم زرته فى الله تبارک وتعالى، قال

له الملک: ما جاء بک إلا ذاک؟ فقال: ما جاء بی إلا ذاک، فقال: إنی رسول الله إلیک وهو یقرؤک السلام ویقول: وجبت لک الجنهٔ. وقال الملک: إن الله عز وجل یقول: أیما مسلم زار مسلماً، فلیس إیاه زار، إیای زار وثوابه علیَّ الجنهٔ.

من یدعو للمؤمنین

الکافی:۲/۵۰۷:

علی بن محمد، عن محمد بن سلیمان، عن إسماعیل بن إبراهیم، عن جعفر بن محمد التمیمی، عن حسین بن علوان، عن أبی عبد الله علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ما من مؤمن دعا للمؤمنین والمؤمنات إلا رد الله عز وجل علیه مثل الذی دعا لهم به من کل مؤمن ومؤمنهٔ مضی من أول الدهر أو هو آت إلی یوم القیامهٔ. إن العبد لیؤمر به إلی النار یوم القیامهٔ فیسحب فیقول المؤمنون والمؤمنات: یا رب هذا الذی کان یدعو لنا فشفعنا فیه، فیشفعهم الله عز وجل فیه، فینجو من النار برحمهٔ الله عزوجل. ورواه فی وسائل الشیعهٔ:۴/۵۴۱ وفی مستدرک الوسائل:۵/۲۴۲ عن أمالی الشیخ الطوسی.

شفاعهٔ الملائکهٔ لأهل مجلس الدعاء

الکافی:۲/۱۸۷:

الحسین بن محمد ومحمد بن یحیی جمیعاً، عن علی بن محمد بن سعد، عن محمد بن مسلم، عن أحمد بن زکریا، عن محمد بن خالد بن میمون، عن عبد الله بن سنان، عن غیاث بن إبراهیم، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: ما اجتمع ثلاثهٔ من المؤمنین فصاعداً إلا حضر من الملائکهٔ مثلهم فإن دعوا بخیر أمَّنوا وإن استعاذوا من شر دعوا الله لیصرفه عنهم، وإن سألوا حاجهٔ تشفعوا إلی الله وسألوه قضاها. وما اجتمع ثلاثهٔ من الجاحدین إلا حضرهم عشرهٔ أضعافهم من الشیاطین. ورواه فی وسائل الشیعهٔ:۱۱/۵۶۸.

من شیع جنازهٔ مسلم

الکافی:۳/۱۷۳:

أبو علی الأشعری، عن محمد بن عبدالجبار، عن ابن فضال، عن علی بن عقبهٔ، عن میسر قال: سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: من تبع جنازهٔ مسلم أعطی یوم القیامهٔ أربع شفاعات ولم یقل شیئاً إلا وقال الملک: ولک مثل ذلک. ورواه فی من لا یحضره الفقیه:۱/۱۶۱ وفی تهذیب الأحکام:۱/۴۵۵.

من حفظ علی أمتی أربعین حدیثا

وسائل الشیعهٔ:۱۸/۶۷:

وعن طاهر بن محمد، عن حیاهٔ الفقیه، عن محمد بن عثمان الهروی، عن جعفر بن محمد بن سوار، عن علی بن حجر السعدی، عن سعید بن نجیح، عن ابن جریح، عن عطاء عن ابن عباس عن النبی صلی الله علیه وآله قال: من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً من السنهٔ کنت له شفیعاً یوم القیامهٔ.

وسائل الشیعهٔ:۱۸/۷۰:

محمد بن علی الفارسی فی روضهٔ الواعظین قال قال النبی صلی الله علیه وآله: من حفظ من أمتی أربعین حدیثاً من السنهٔ کنت له شفیعاً یوم القیامهٔ. ورواه فی العمدهٔ/۱۷ بلفظ (من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً من سنتی أدخلته یوم القیامهٔ فی شفاعتی).

من عاهد أخاه المؤمن على الشفاعة

مستدرك الوسائل:۶/۲۷۸:

قال في ضمن أعمال هذا اليوم المبارك (يوم الغدير): وينبغي عقد الأخوة في هذا اليوم مع الأخوان بأن يضع يده اليمنى على يمنى أخيه المؤمن ويقول: واخيتك في الله وصافيتك في الله وصافحتك في الله، وعاهدت الله وملائكته وكتبه ورسله وأنبياءه والأئمة المعصومين (عليهم السلام) على أني إن كنت من أهل الجنة والشفاعة وأذن لي بأن أدخل الجنة، لا أدخلها إلا وأنت معي. فيقول الأخ المؤمن: قبلت، فيقول: أسقطت عنك جميع حقوق الأخوة ما خلا الشفاعة، والدعاء، والزيارة.

مجموعة أعمال و صفات توجب الشفاعة

من لا يحضره الفقيه:۴/۱۷:

ألا ومن مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكل خطوة سبعون ألف حسنة، ويرفع له من الدرجات مثل ذلك، فإن مات وهو على ذلك وكل الله عز وجل به سبعين ألف ملك يعودونه في قبره ويبشرونه ويؤنسونه في وحدته ويستغفرون له حتى يبعث.

ألا ـ ومن أذن محتسباً يريد بذلك وجه الله عز وجل أعطاه الله ثواب أربعين ألف شهيد وأربعين ألف صديق، ويدخل في شفاعته أربعون ألف مسى من أمتي إلى الجنة.

ألا ـ وإن المؤذن إذا قال (أشهد أن لا إله إلا الله) صلى عليه سبعون ألف ملك ويستغفرون له وكان يوم القيامة في ظل العرش حتى يفرغ الله من حساب الخلائق ويكتب له ثواب قوله (أشهد أن محمداً رسول الله) أربعون ألف ملك.

هذا، وتوجد أحاديث كثيرة ضمنت الجنة لبعض أصناف الناس على أعمالهم الحسنة، وهي تصلح بنحو للإستدلال على شمول الشفاعة لهم، لأن الوعد من النبي صلى الله عليه وآله قد يكون بسبب شمولهم لشفاعته، ونذكر منهم:

۱ ـ من شفع لاخيه المؤمن في حاجة

وسائل الشيعة:۱۱/۵۶۲:

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ومن شفع لاخيه شفاعة طلبها، نظر الله إليه فكان حقاً على الله أن لا يعذبه أبداً، فإن هو شفع لاخيه شفاعة من غير أن يطلبها، كان له أجر سبعين شهيداً.

۲ ـ من قام بخدمة لمجتمع المسلمين

الكافي:۲/۱۶۴:

عنه عن علي بن الحكم، عن مثنى بن الوليد الحناط، عن فطر بن خليفة، عن عمر بن علي بن الحسين، عن أبيه صلوات الله عليهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء أو نار، وجبت له الجنة.

۳ ـ من ربَّى بنتاً أو أكثر

الكافي:۶/۶:

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، وجبت له الجنة فقيل: يا رسول الله واثنتين؟ فقال: واثنتين، فقيل: يا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة.

۴ ـ من احترم نعمة الله تعالى

من لا يحضره الفقيه:۱/۲۷:

ودخل أبو جعفر الباقر عليه السلام الخلاء فوجد لقمة خبز في القذر فأخذها وغسلها ودفعها إلى مملوك كان معه فقال: تكون معك

لاكلها إذا خرجت، فلما خرج عليه السلام قال للمملوك: أين اللقمة؟ قال أكلتها يا ابن رسول الله، فقال: إنها ما استقرت في جوف أحد إلا وجبت له الجنة فاذهب فأنت حر، فإني أكره أن استخدم رجلاً من أهل الجنة.

۵ ـ أصناف أخرى موعودون بالجنة

من لا يحضره الفقيه: ۱/۱۴۰:

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ضمنت لستة الجنة: رجل خرج بصدقة فمات فله الجنة، ورجل خرج يعود مريضاً فمات فله الجنة، ورجل خرج مجاهداً في سبيل الله فمات فله الجنة، ورجل خرج حاجاً فمات فله الجنة، ورجل خرج إلى الجمعة فمات فله الجنة، ورجل خرج في جنازة رجل مسلم فمات فله الجنة.

من لا يحضره الفقيه:۴/۱۷:

ألا ومن تصدق بصدقة، فله بوزن كل درهم مثل جبل أحد من نعيم الجنة، ومن مشى بصدقه إلى محتاج، كان له كأجر صاحبها من غير أن ينقص من أجره شيء، ومن صلى على ميت صلى عليه سبعون ألف ملك وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فإن أقام حتى يدفن ويحثى عليه التراب، كان له بكل قدم نقلها قيراط من الأجر، والقيراط مثل جبل أحد.

ألا ـ ومن ذرفت عيناه من خشية الله عز وجل كان له بكل قطرة قطرت من دموعه قصر في الجنة مكللاً بالدر والجوهر، فيه ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

اصناف لا تنالهم الشفاعة

السلطان الظالم الغشوم

قرب الاسناد/۶۴:

وعنه، عن مسعدة بن صدقة قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صنفان لا تنالهما شفاعتي: سلطان غشوم عسوف، وغال في الدين مارق منه، غير تائب ولا نازع.

الخصال/۶۳:

حدثنا محمد بن الحسن (رض) قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عبد الجبار بإسناده يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: رجلان لا ـ تنالهما شفاعتي: صاحب سلطان عسوف غشوم، وغال في الدين مارق. ورواه في مناقب أميرالمؤمنين: ۲/۳۳۰ ونحوه في مستدرك الوسائل:۱۲/۹۹.

تاريخ اليعقوبي:۲/۹۶:

أربع من فعلهن فقد خرج من الإسلام: من رفع لواء ضلالة، ومن أعان ظالماً أو سار معه أو مشى معه وهو يعلم أنه ظالم، ومن اخترم بذمة.

ورجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة: أمير ظلوم، ورجل غال في الدين مارق منه. والأمير العادل لا ترد دعوته.

المنان والبخيل والنمام

من لا يحضره الفقيه:۴/۱۷:

ثم قال عليه السلام: يقول الله عزوجل: حرَّمت الجنة على المنان والبخيل والقتات، وهو النمام. انتهى.

ولا نطيل في تعداد هذه الأصناف، وهي في مصادرنا مشابهة لما يأتي في مصادر إخواننا السنيين، مع تأكيدها على عدم شمول الشفاعة

لمن عصى النبى صلى الله عليه وآله فى مودة أهل بيته وولايتهم وإطاعتهم.

الذين يخرجون من النار بالشفاعة يكونون أدنى درجة

تفردت مصادر أهل البيت (عليهم السلام) ببيان أن الموحدين الذين يخرجون من النار دخلون جنة أخرى أدنى درجةً، وهى غير الجنة التى يسكنها أولياء الله تعالى.

ففى بحار الأنوار:۸/۳۶۱:

ين: فضالة، عن عمر بن أبان، عن آدم أخى أيوب، عن حمران قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إنهم يقولون ألا تعجبون من قوم يزعمون أن الله يخرج قوماً من النار فيجعلهم من أصحاب الجنة مع أوليائه؟ فقال: أما يقرؤون قول الله تبارك وتعالى: وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ، إنها جنة دون جنة، ونار دون نار، إنهم لا يساكنون أولياء الله! وقال: بينهما والله منزلة، ولكن لا أستطيع أن أتكلم، إن أمرهم لاضيق من الحلقة، إن القائم لو قام لبدأ بهؤلاء.

رأى السنيين القريب من رأى أهل البيت

وهو الرأى القائل بأن الشفاعة تشمل بعض العاصين من المسلمين وليس كلهم.

ويدل عليه من مصادرهم:

أولاً: أحاديث كثيرة صحيحة السند عندهم، لكن دلالتها ضاعت، لأنها مخلوطة بأحاديث توسيع الشفاعة وشمولها لكل العاصين والمنافقين!

ونكتفى منها بالأحاديث التى نصت على أن عدداً من صحابة النبى صلى الله عليه وآله سيغيرون ويبدلون بعده، فلايشفع لهم يوم القيامة، فيؤمر بهم إلى النار. فقد روى البخارى فى صحيحه:۷/۲۰۸ عن أبى هريرة عن النبى(ص)قال: بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم، فقلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت وما شأنهم قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى! ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم، قلت أين؟ قال إلى النار والله! قلت ماشأنهم؟! قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى!! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم. انتهى.

وروى شبيهاً به فى:۷/۱۹۵ وص ۲۰۷-۲۱۰ وفى نفس المجلد أيضاً /۸۴ و۸۷ وج ۸/۸۶ و۸۷، وروى نحوه مسلم فى:۱/۱۵۰ وج ۷/۶۶ وابن ماجة:۲/۱۴۴۰ وأحمد فى:۲/۲۵ وص ۴۰۸ وج ۳/۲۸ وج ۵/۲۱ وص ۲۴ وص ۵۰ وج ۶/۱۶، ورواه البيهقى فى سننه:۴/۱۴، ونقل رواياته المتعددة فى كنز العمال فى:۱۳/۱۵۷ وج ۱۴/۴۸ و:۱۵/۶۴۷ وقال رواه (مالك والشافعى حم م ن ـ عن أبى هريرة) انتهى.

فلو كانت الشفاعة تشمل كل الخلق أو كل الموحدين أو كل المسلمين، لشملت هؤلاء الصحابة المعروفين! فلابد من القول بأن شفاعته صلى الله عليه وآله مشروطة بشروط من أولها الإسلام وعدم الانحراف الكبير الذى ارتكبه هؤلاء الصحابة المطرودون!

ثانياً: أحاديث اشترطت شروطاً أخرى فوق الشهادتين للشفاعة، كالذى رواه البخارى: ۸/۱۳۹: عن أبى هريرة أن رسول الله(ص)قال: كل أمتى يدخلون الجنة إلاـ من أبى! قالوا يا رسول الله ومن يأبى؟ قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى. انتهى. وفيه تصريح أن المستثنى هم الذين عصوا الرسول صلى الله عليه وآله من أمته وأنهم لا يدخلون الجنة! ورواه الحاكم أيضاً بلفظ قريب منه فى:۱/۵۵ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

والذى رواه النسائى فى سننه: ۷ من/۸۸ عن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله(ص)قال: من جاء يعبد الله ولا يشرك به شيئاً ويقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويجتنب الكبائر، كان له الجنة. فسألوه عن الكبائر فقال: الإشراك بالله وقتل النفس المسلمة، والفرار يوم الزحف.

والذى رواه أحمد فى:۲/۱۷۶ عن عبد الله بن عمرو أن رجلاً جاء إلى النبى(ص)فقال: يا رسول الله ما عمل الجنة؟ قال: الصدق، وإذا

صدق العبد برَّ، وإذا بر آمن، وإذا آمن دخل الجنة.

قال يا رسول الله ما عمل النار؟

قال: الكذب، إذا كذب فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل.. يعنى النار. انتهى.

فهذه الأحاديث تشترط لدخول الجنة شروطاً أخرى غير التوحيد، فلو كان التوحيد وحده كافياً لما كان لهذه الشروط معنى.

ثالثاً: أحاديث نصت على أن الشفاعة تشمل أصنافاً معينين من الناس، نذكر منها:

۱ - من قضى لاخيه حاجة

الدر المنثور:۳/۷۱:

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من قضى لأخيه حاجة كنت واقفاً عند ميزانه، فإن رجح، وإلا شفعت له.

الدر المنثور:۳/۲۵۶:

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم أمر منادياً ينادى: ألا ليقم أهل المعروف فى الدنيا فيقومون حتى يقفوا بين يدى الله فيقول الله أنتم أهل المعروف فى الدنيا، فيقولون نعم فيقول: وأنتم أهل المعروف فى الآخرة فقوموا مع الأنبياء والرسل فاشفعوا لمن أحببتم فأدخلوه الجنة، حتى تدخلوا عليهم المعروف فى الآخرة كما أدخلتم عليهم المعروف فى الدنيا.

۲ - من صلى على النبى

فى مسند أحمد:۴/۱۰۸:

من صلى على محمد وقال: اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة، وجبت له شفاعتى. ورواه فى فردوس الأخبار:۴/۲۱ ح ۵۵۵۵

وفى فردوس الأخبار فى:۴/۶۱ ح ۵۶۸۰:

أبو الدرداء: من صلى (علىَّ) حين يصبح عشراً وحين يمسى عشراً، أدركته شفاعتى يوم القيامة. ورواه فى مجمع الزوائد:۱۰/۱۲۰ و۱۶۳.

۳ - من زار قبر النبى

وفى الدر المنثور:۱/۲۳۷:

وأخرج الحكيم الترمذى والبزار وابن خزيمة وابن عدى والدارقطنى والبيهقى عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من زار قبرى وجبت له شفاعتى. (ورواه فى سنن الدار قطنى:۲/۲۷۸ ح ۱۹۴ والذهبى فى تاريخ الإسلام:۱۱/۲۱۲ ورواه بنص آخر: من زارنى بعد موتى وجبت شفاعتى).

وأخرج الطبرانى عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): من جاءنى زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتى كان حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة.

وأخرج الطيالسى والبيهقى فى الشعب عن عمر سمعت رسول الله(ص) يقول: من زار قبرى كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله فى الآمنين يوم القيامة.

مختصر تاريخ دمشق:۱ جزء ۲/۴۰۶:

وعن على بن أبى طالب قال: من سأل لرسول الله(ص)الدرجة الوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة ومن زار قبر رسول الله(ص)كان فى جوار رسول الله (ص).

هامش طبقات المحدثين بإصبهان:۲/۴۲۰، ۱۶۷:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من جاءنی زائراً لم تنزعه حاجة إلا زیارتی کان حقاً علی الله أن أکون له شفیعاً یوم القیامة. وشبیهه فی:۱/۵۵.

وراجع أیضاً مجمع الزوائد:۴/۲ وکنز العمال:۱۵/۳۸۳ وص ۶۵۱.

وقد اقتصرنا من أحادیث زیارة قبره صلی الله علیه وآله علی ماورد فیه ذکرالشفاعة وسنورد بقیة أحادیثها فی محلها إن شاء الله تعالی مع جواب شبهة الوهابیین فی تحریمهم زیارة القبور وخیرها وأشرفها قبر سید المرسلین صلی الله علیه وآله!

۴ ـ من دعا للنبی صلی الله علیه وآله بالوسیلة

روی البخاری:۵/۲۲۸:

من قال حین یسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسیلة والفضیلة، وابعثه مقاماً محموداً الذی وعدته، حلَّت له شفاعتی یوم القیامة.

ورواه أیضاً فی:۱ جزء ۱/۱۵۲ ورواه البیهقی فی سننه:۱/۴۰۹ ومجمع الزوائد: ۱/۳۳۳ والنویری فی نهایة الارب:۳ جزء ۵/۳۰۸.

۵ ـ من حفظ من أحادیث النبی صلی الله علیه وآله أربعین حدیثاً

روی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۴/۹۱ ح ۵۷۷۸:

عن ابن عباس: من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً من أمر دینها، فهو من العلماء وکنت له شفیعاً یوم القیامة. ونحوه فی کنز العمال:۱۰/۱۵۸.

وفی کتاب المجروحین لابن حبان:۲/۱۳۳:

عن أبی الدرداء قال: سألت رسول الله(ص)فقلت: یا رسول الله ما حد العلم الذی إذا بلغه الرجل کان فقیهاً؟ فقال: من حفظ علی أمتی أربعین حدیثاً فی أمر دینها بعثه الله فقیهاً، وکنت له شافعاً وشهیداً.

۶ ـ من حفظ أسماء الله الحسنی

صحیح البخاری:۸/۱۶۹:

عن أبی هریرة أن رسول الله(ص)قال: إن لله تسعة وتسعین إسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة.

ونحوه فی:۷/۱۶۹ ونحوه فی مستدرک الحاکم:۱/۱۶.

۷ ـ من قرأ بعض سور القرآن

روی فی فردوس الأخبار:۴/۳۰ ح ۵۵۸۷:

أبو الدرداء: من قرأ مائتی آیة فی کل یوم شفع فی سبع قبور حول قبره وخفف الله عز وجل عن والدیه وإن کانا مشرکین. وفی/۳۴ ح ۵۵۹۸: ابن عباس: من قرأ سورة الأعراف جعل الله بینه وبین إبلیس ستراً وکان آدم شفیعاً له یوم القیامة. انتهی.

فهذه المجموعة من الأحادیث تدل علی أن بعض المسلمین من أصحاب الأعمال الحسنة یستحقون الدخول فی شفاعة النبی صلی الله علیه وآله. ولو کانت الشفاعة تشمل کل المسلمین لما صح جعلها میزة لاصناف معینة من أصحاب الأعمال الحسنة، کما نصت هذه المجموعة.

ولا یضر بالإستدلال بها أن یکون بعضها ضعیفاً أو مکذوباً، لأن الإستدلال بمجموعها، بل حتی لو کانت کلها موضوعة فهی تدل علی أن المرتکز فی أذهان المسلمین أن الشفاعة مخصوصة بأصناف من المسلمین ولیست عامة.

رابعاً: أحادیث نصت علی أن الشفاعة لا تشمل أصنافاً من الناس، أو دلت علی أنهم لا یدخلون الجنة، بسبب سوء أعمالهم، نذکر منها:

۱ ـ السلطان الظلوم الغشوم

روی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۲/۵۵۸ ح ۳۵۹۸:

أبو أمامة: صنفان من أمتی لن تنالهما شفاعتی ولن أشفع لهما ولن یدخلا شفاعتی: سلطان ظلوم غشوم عسوف، وغال مارق من الدین. انتهی. ورواه السیوطی فی الدر المنثور:۱ ص۳۵۲ عن الطبرانی وفی کنز العمال: ۶/۲۱ وص ۳۰ وفی مجمع الزوائد: ۵/۲۳۵ وص ۲۳۶.

وعن ابن مسعود قال قال رسول الله (ص): إن أشد أهل النار عذاباً یوم القیامة من قتل نبیاً، أو قتله نبی، أو إمام جائر. قلت: فی الصحیح بعضه، رواه الطبرانی وفیه لیث بن أبی سلیم وهو مدلس وبقیة رجاله ثقات. ورواه البزار إلاـ أنه قال: وإمام ضلالة، ورجاله ثقات، وکذلک رواه أحمد.

۲ ـ الذی یکذب علی النبی صلی الله علیه وآله

روی البخاری فی:۱/۳۵:

عن سلمة بن الأکوع قال سمعت النبی(ص)یقول: من یقل علیَّ ما لم أقل فلیتبوأ مقعده من النار.

وروی نحوه أیضاً فی:۱ من/۳۶ وج ۲/۸۱ وج ۴/۱۴۵ وص ۱۵۶ و: ۶/۸۴ وص ۱۱۸ ورواه مسلم فی:۱/۷ و۸ وص ۵۷ وج ۷ ورواه غیرهما من مصادر السنة والشیعة.

۳ ـ الذی یبغض ذریة النبی صلی الله علیه وآله أو یظلمهم

لسان المیزان:۳/۲۷۶:

عن أنس (رض) مرفوعاً: من أحبنی فلیحب علیاً، ومن أبغض أحداً من أهل بیتی حرم شفاعتی.. الحدیث.

کنز العمال:۱۲/۱۰۳:

عن الطبرانی والرافعی عن ابن عباس: من سره أن یحیا حیاتی ویموت مماتی ویسکن جنة عدن التی غرسها ربی فلیوال علیاً من بعدی، ولیوال ولیه ولیقتد بأهل بیتی من بعدی، فإنهم عترتی خلقوا من طینتی ورزقوا فهمی وعلمی، فویل للمکذبین بفضلهم من أمتی، القاطعین فیهم صلتی، لا أنالهم الله شفاعتی. انتهی.

والأحادیث فی ذلک کثیرة، سنوردها فی مسائل الإمامة إن شاء الله.

۴ ـ أصحاب البدع المخالفین للسنة

قال الشاطبی فی الاعتصام:۱/۱۲۰:

(البدعة) مانعة من شفاعة محمد، لما روی أنه(ص)قال: (حلت شفاعتی لأمتی إلا صاحب بدعة).

قال السبکی فی طبقات الشافعیة:۶/۲۹۱:

حدیث: إن لله ملکاً ینادی کل یوم: من خالف السنة لم تنله الشفاعة (ورد فی إحیاء الغزالی).

۵ ـ من طلب العلم للدنیا أو طلب الدنیا بعمل الآخرة

فی مجمع الزوائد:۱/۱۸۴:

عن معاذ بن جبل عن رسول الله(ص)قال: من طلب العلم لیباهی به العلماء أو یماری به السفهاء فی المجالس، لم یرح رائحة الجنة.

ورواه فی کنز العمال:۱۰/۲۰۱-۲۰۳.

وفی کنز العمال:۳/۴۷۴ عن الدیلمی عن ابن عباس: ریح الجنة توجد من مسیرة خمسمائة عام، ولا یجدها من طلب الدنیا بعمل الآخرة.

۶ ـ من یؤذی جیرانه

صحیح مسلم:۱/۴۹:

عن أبی هریرة أن رسول الله(ص)قال: لا یدخل الجنة من لا یأمن جاره بوائقه.

وفی مستدرک الحاکم:۱/۱۱:

عن أنس بن مالک قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ویده، والمهاجر من هجر السوء، والذی نفسی بیده لا یدخل الجنة عبد لا یأمن جاره بوائقه.

وفی مسند أحمد:۲/۴۴۰:

عن أبی هریرة قال قال رجل: یا رسول الله إن فلانة یذکر من کثرة صلاتها وصیامها وصدقتها، غیر أنها تؤذی جیرانها بلسانها! قال: هی فی النار. قال یا رسول الله فإن فلانة یذکر من قلة صیامها وصدقتها وصلاتها، وأنها تصدق بالأتوار من الاقط، ولا تؤذی جیرانها بلسانها، قال: هی فی الجنة.

۷ـ الذی یسی إدارة من تحت یده

روی البخاری فی:۸/۱۰۷ بروایتین: عن معقل: سمعت النبی(ص)یقول: ما من عبد استرعاه الله رعیة فلم یحطها بنصیحة إلا لم یجد رائحة الجنة. ونحوه فی کنز العمال:۴/۵۶۷ عن ابن سعد وابن عساکر، وفی: ۶/۲۰ وص ۳۵ (عق ش م حم طب وابن عساکر عن معقل بن یسار).

وفی سنن الترمذی:۳/۲۲۵:

عن أبی بکر الصدیق عن النبی(ص)قال: لا یدخل الجنة سی الملکة. انتهی. ورواه أحمد فی مسنده:۱/۷ وص ۱۲ وج ۵/۲۲ والهیثمی فی مجمع الزوائد:۵/۲۱۱.

وفی کنز العمال:۶/۳۹:

من ولی ذا قرابة محاباةً وهو یجد خیراً منه، لم یجد رائحة الجنة.

۸ـ المتکبر ولو مثقال حبة خردل

روی مسلم فی صحیحه:۱/۶۵:

عن عبد الله عن النبی(ص)قال: لا یدخل الجنة من کان فی قلبه مثقال ذرة من کبر. انتهی. ورواه ابن ماجة فی:۲/۱۳۹۷ وأحمد:۱/۴۱۲ وص ۴۱۶ وص ۴۵۱ و ج۲/۱۶۴ وص ۲۴۸ والحاکم فی:۳/۴۱۶.

وفی مجمع الزوائد:۶/۲۵۵:

وعن نافع مولی رسول الله(ص)أن رسول الله(ص)قال: لا یدخل الجنة مسکین مستکبر، ولا شیخ زان، ولا منان علی الله تعالی بعمله. رواه الطبرانی وتابعه الصباح بن خالد بن أبی أمیة لم أعرفه، وبقیة رجاله ثقات.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۴/۱۱۶:

وأخرج البیهقی عن جابر قال کنا مع النبی(ص)فأقبل رجل، فلما رآه القوم أثنوا علیه، فقال النبی(ص)قال: إنی لأری علی وجهه سفعة من النار، فلما جاء وجلس قال: أنشدک بالله أجئت وأنت تری أنک أفضل القوم؟ قال نعم. انتهی.

وقد ورد عن أهل البیت (علیهم السلام) أن التکبر المانع من دخول الجنة هو التکبر عن قبول الحق ولیس التکبر العادی وإن کان معصیة کبیرة.

ویؤیده ما رواه الحاکم فی المستدرک:۱/۲۶: عن عبد الله بن مسعود (رض)عن النبی صلی الله علیه وآله أنه قال: لا یدخل الجنة من کان فی قلبه حبة من کبر، فقال رجل: یا رسول الله إنه لیعجبنی أن یکون ثوبی جدیداً ورأسی دهیناً وشراک نعلی جدیداً، قال وذکر أشیاء حتی ذکر علاقة سوطه، فقال: ذاک جمال، والله جمیل یحب الجمال، ولکن الکبر من بطر الحق وازدری الناس. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه وقد احتجا جمیعاً برواته.

۹ ـ من قتل نفسه

مسند أحمد:۲/۴۳۵:

عن أبی هریرة عن النبی(ص): الـذی یطعن نفسه إنمـا یطعنهـا فی النـار، والـذی یتقحم فیهـا یتقحم فیهـا فی النـار، والـذی یخنق نفسـه یخنقها فی النار.

۱۰ ـ من نبت لحمه من سحت

روی أحمد فی:۳/۳۲۱:

قول النبی صلی الله علیه وآله لکعب بن عجرة: یا کعب بن عجرة، الصوم جنة، والصدقة تطفی الخطیئة، والصلاة قربان أو قال برهان. یا کعب بن عجرة إنه لا یدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولی به.

ورواه فی:۳/۳۹۹ وفی مجمع الزوائد:۱۰/۲۳۰ وص ۲۹۳.

۱۱ ـ من زنی بذات محرم

فی مجمع الزوائد:۶/۲۶۹:

وعن ابن عبـاس قـال قـال رسول الله (ص): لاـ یـدخل الجنـة من أتی ذات محرم. رواه الطبرانی ورجاله رجال الصـحیح، غیر یحیی بن حسان الکوفی وهو ثقة.

۱۲ ـ من نسب نفسه إلی غیر أبیه

روی ابن ماجة فی:۲/۸۷۰:

عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله (ص): من ادعی إلی غیر أبیه لم یرح رائحة الجنة، وإن ریحها لیوجد من مسیرة خمسمائة عام. انتهی. ورواه أحمد فی:۲/۷۱ وفیه (وإن ریحها لیوجد من قدر سبعین عاماً) ورواه فی:۲/۱۷۱ وص ۱۹۴ وفی مجمع الزوائد:۱/۹۸ وص ۱۴۸ وکنز العمال:۶/۱۹۵ وج ۱۶/۳۲.

۱۳ ـ مدمن الخمر وقاطع الرحم والنمام وقاسی القلب... الخ.

مسند أحمد:۴/۳۹۹:

من حدیث أبی موسی أن النبی(ص)قال: ثلاثة لا یدخلون الجنة: مدمن خمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر.

وفی:۲/۶۹: ثلاثة قد حرم الله علیهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والدیوث الذی یقر فی أهله الخبث.

ونحوه فی:۲/۱۶۴ وص ۲۰۱ و۲۰۳ وفی سنن البیهقی:۸/۲۸۸.

وفی:۸/۱۶۶: عن إبراهیم عن همام قال: کنت جالساً عنـد حذیفـة فمر رجل فقالوا: هـذا یرفع الحـدیث إلی السـلطان، فقال حذیفـة قال رسول الله(ص): لا یدخل الجنة قتات. قال الاعمش: والقتات النمام.أخرجه مسلم فی الصحیح.

مسند أحمد:۲/۱۳۴:

قال عبـد الله (رض) قال رسول الله (ص): ثلاثة لا یدخلون الجنة ولا ینظر الله إلیهم یوم القیامة: العاق والدیه والمرأة المترجلة المتشـبهة بالرجال والـدیوث. وثلاثـة لا ینظر الله الیهم یوم القیامة: العاق بوالدیه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطی. وروی نحوه فی:۲/۶۹ وص ۱۳۴ والحاکم: ۱/۷۲.

وفی مسند أحمد:۱/۱۹۰:

عن سـعید بن زیـد عن النبی(ص)أنه قال: من أربی الربا الإسـتطالة فی عرض مسـلم بغیر حق، وإن هذه الرحم شـجنة من الرحمن فمن قطعها حرم الله علیه الجنة.

وفی مسند أحمد:۳/۱۴:

عن أبی سـعید الخـدری قال قال رسول الله (ص): لا یـدخل الجنـة صاحب خمس: مـدمن خمر، ولا مؤمن بسـحر، ولا قاطع رحم، ولا کاهن، ولا منان. ونحوه مسند أحمد:۳/۲۸.

وفی مجمع الزوائد:۸/۱۴۹ ونحوه فی:۵/۱۲۵:

فإن ریح الجنة یوجد من مسیرة ألف عام، والله لا یجده عاق، ولا قاطع رحم، والباغی فإنه لیس من عقوبة أسرع من عقوبة بغی، ولا قاطع رحم، ولا شیخ زان، ولا جارٌّ إزاره خیلاء.

وفی مجمع الزوائد:۶/۲۵۷ ونحوه فی:۸/۱۴۸:

وعن عبدالله بن عمرو عن النبی(ص)قال: لا یدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا منان، ولا ولد زنیة. قلت: رواه النسائی غیر قوله ولا ولد زنیة. رواه أحمد والطبرانی وفیه جابان وثقه ابن حبان وبقیةرجاله رجال الصحیح.

سنن الترمذی:۳/۲۳۲:

عن أبی بکر الصدیق، عن النبی (ص): لا ـ یدخل الجنة خب، ولا ـ بخیل، ولا ـ منان. هذا حدیث حسن غریب.ونحوه فی کنز العمال:۳/۵۴۶.

وفی مجمع الزوائد:۱۰/۲۴۳:

وعن نافع قال سمع ابن عمر رجلاً یقول: الشحیح أعذر من الظالم، فقال ابن عمر: کذبت، سمعت رسول الله(ص)یقول: الشحیح لا یدخل الجنة.

وفی مجمع الزوائد:۸/۱۵۵:

عن ابن عمر عن النبی(ص)قال: إن لکل شجرة ثمرة وثمرة القلب الولد، إن الله لا یرحم من لا یرحم ولده. والذی نفسی بیده لا یدخل الجنة إلا رحیم. قلنا یا رسول الله: کلنا یرحم، قال: لیس رحمته أن یرحم أحدکم صاحبه، إنما الرحمة أن یرحم الناس.

وفی کنز العمال:۱۶/۵۳:

لا یدخل الجنة ولد زنی، ولا مدمن خمر، ولا عاق، ولا منان (ابن جریر ع ـ عن أبی سعید).

۱۴ ـ الذی یقتل أحداً من أهل الذمة

فی صحیح البخاری:۴/۶۵:

عن عبد الله بن عمرو رضی الله عنهما عن النبی(ص)قال: من قتل معاهداً لم یرح رائحة الجنة، وإن ریحها یوجد من مسیرة أربعین عاماً. ونحوه فی:۸ /۴۷ وابن ماجة: ۲/۸۹۶ والترمذی: ۲/۴۲۹ والحاکم فی: ۲/۱۲۶ والبیهقی فی سننه:۸/۱۳۳ وج ۹/۲۰۵ والنسائی:۸/۲۴ وفیه (وإن ریحها لیوجد من مسیرة سبعین عاماً) ورواه فی مسند أحمد:۲/۱۸۶ وج ۴/۶۱ وص ۲۳۷ وج ۵/۴۶ و۵۰ و۵۱ و۳۶۹ و۳۷۴ والهیثمی فی مجمع الزوائد:۶/۲۹۳.

ونعم ما علق به الفخر الرازی علی هذا الموضوع حیث قال فی تفسیره ج۲ جزء۳ ص۱۵۱: عن الحسن، عن أبی بکرة، قال علیه السلام: من قتل نفساً معاهداً لم یرح رائحة الجنة. وإذا کان فی قتل الکفار هکذا، فما ظنک بقتل أولاد رسول الله(ص)؟!

۱۵–الذی یغش العرب

فی مسند أحمد:۱/۷۲:

عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله (ص): من غش العرب لم یدخل فی شفاعتی ولم تنله مودتی. انتهی. ورواه البغوی فی مصابیح السنة:۴/۱۴۲ والدیلمی فی فردوس الأخبار:۴/۱۸۰ ح ۶۰۷۵ وأبو الشیخ فی طبقات المحدثین بأصبهان:۲/۶۴۰.

۱۶ ـ اللعان الفحاش

صحیح مسلم:۸/۲۴:

حدثنی سوید بن سعید، حدثنی حفص بن میسرة، عن زید بن أسلم أن عبد الملک بن مروان بعث إلی أم الدرداء بأنجاد من عنده، فلما أن کان ذات لیلة قام عبد الملک من اللیل فدعا خادمه فکأنه أبطأ علیه فلعنه، فلما صبح قالت له أم الدرداء: سمعتک اللیلة لعنت

خادمک حین دعوته! فقالت سمعت أبا الدرداء یقول قال رسول الله (ص): لا یکون اللعّانون شفعاء ولا شهداء یوم القیامة. انتهی.
ورواه أبو داود فی:۲/۴۵۸ والحاکم:۱/۴۸ والدیلمی فی فردوس الأخبار:۵/۳۱۱ ح ۸۰۰۹ وفی کنز العمال: ۳/۶۱۵ والسیوطی فی الدر المنثور:۱/۱۴۶ وقال: وأخرج مسلم وأبو داود والحکیم الترمذی عن أبی الدرداء..

وقال البخاری فی تاریخه:۶/۲۲:

عن عبد الرحمن بن الحارث أن أم الدرداء رضی الله عنها قالت لعبد الملک بن مروان: سمعت أبا الدرداء (رض) یقول سمعت النبی(ص)یقول: لا یکون الحلیم لعّاناً، ولا یؤذن فی الشفاعة للعّان.

وفی کنز العمال:۳/۳۵۳:

عن الدیلمی عن عائشة: رحم الله امرأ کف لسانه عن أعراض المسلمین، لا تحل شفاعتی لطعان ولا لعان. انتهی.

ولا بد أن یکون المراد باللعان فی هذه الأحادیث بذی اللسان الفحاش الذی یسب المسلمین ویلعنهم، وإلا فإن لعن الذین لعنهم الله تعالی ورسوله صلی الله علیه وآله عملٌ جائز أو واجب شرعاً وفیه ثوابٌ، لأنه براءة ممن تبرأ منهم الله ورسوله ودعاءٌ علیهم باستمرار طردهم من رحمة الله تعالی.

۱۷ ـ ورووا أن أکثر النساء فی النار

صحیح البخاری:۷/۲۰۰:

عن عمران بن الحصین عن النبی(ص)قال: اطلعت فی الجنة فرأیت أکثر أهلها الفقراء، واطلعت فی النار فرأیت أکثر أهلها النساء...

عن أسامة عن النبی(ص)قال: قمت علی باب الجنة فکان عامة من دخلها المساکین وأصحاب الجد محبوسون، غیر أن أصحاب النار قد أمر بهم إلی النار. وقمت علی باب النار فإذا عامة من دخلها النساء!. انتهی.

ورواه أحمد فی مسنده:۲/۲۹۷.

وفی مجمع الزوائد:۴/۲۷۴:

قال کنا مع عمرو بن العاص فی حج أو عمرة فلما کنا بمر الظهران إذ امرأة فی هودجها واضعةً یدها علی هودجها، فلما نزل دخل الشعب ودخلنا معه، قال کنا مع رسول الله(ص)فی هذا المکان فإذا نحن بغربان کثیر وإذا بغراب أعصم المنقار والرجل فقال: لا یدخل الجنة من النساء إلا کقدر الغراب فی هذه الغربان، قال أبو عمر: الأعصم الأحمر. رواه الطبرانی واللفظ له، وأحمد ورجال أحمد ثقات. انتهی.

۱۸ ـ ورووا فی من أطال إزاره أو ثوبه

سنن النسائی:۸/۲۰۷:

عن أبی هریرة قال رسول الله (ص): ما تحت الکعبین من الإزار ففی النار. وفی روایة: ما أسفل من الکعبین من الإزار ففی النار. انتهی.

فهذه الأحادیث تدل علی أن بعض المسلمین لا یدخلون الجنة.. ولو کانت الشفاعة تشمل کل المسلمین لم یکن لهذه الإستثناءات معنی، بل للزم من إحدی المجموعتین کذب المجموعة الأخری!

ولا ـ یضر بالإستدلال بمجموع أحادیث الاستثناء من الجنة، أو الحکم باستحقاقها أن بعضها ضعیف أو مکذوب کما ذکرنا، لأن المکذوب أیضاً یدل علی أن المرتکز فی أذهان المسلمین اختصاص الشفاعة بأصناف من المسلمین، لا بجمیعهم.

شرط الشفاعة فی المظالم الشخصیة

روت مصادر الفریقین أحادیث تدل علی إمکانیة أن تشمل الشفاعة أهل المظالم الشخصیة، بشرط أن یعفو صاحب المظلمة عن ظالمه.

ففی تفسیر الإمام العسکری علیه السلام /۲۰۴:

وقال علی بن أبی طالب علیه السلام: یا معشر شیعتنا اتقوا الله واحذروا أن تکونوا لتلک النار حطباً، وإن لم تکونوا بالله کافرین، فتوقوها بتوقی ظلم إخوانکم المؤمنین، فإنه لیس من مؤمن ظلم أخاه المؤمن المشارک له فی موالاتنا، إلا ثقَّل الله فی تلک النار سلاسله وأغلاله ولم یفکه منها إلا شفاعتنا، ولن نشفع إلی الله تعالی إلا بعد أن نشفع له إلی أخیه المؤمن، فإن عفا عنه شفعنا له، وإلا طال فی النار مکثه.انتهی.

ورواه فی مستدرک الوسائل:۱۲/۱۰۱.

وفی الإعتقادات للصدوق/۲۹:

قیل لامیر المؤمنین علیه السلام: صف لنا الموت فقال: علی الخبیر سقطتم، هو أحد أمور ثلاثة یرد علیه: إما بشارةٌ بنعیم الأبد، وإما بشارةٌ بعذاب الأبد، وإما تخویفٌ وتهویلٌ وأمرٌ مبهمٌ لا یدری من أی الفرق هو؟ فأما ولینا والمطیع لأمرنا فهو المبشر بنعیم الابد، وأما عدونا والمخالف لأمرنا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المبهم أمره الذی لا یدری ما حاله فهو المؤمن المسرف علی نفسه لا یدری ما یؤول إلیه حاله یأتیه الخبر مبهماً مخوفاً، ثم لن یسویه الله تعالی بأعدائنا، ولکن یخرجه من النار بشفاعتنا فاعملوا وأطیعوا ولا تتکلوا ولا تستصغروا عقوبة الله، فإن من المسرفین من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب الله بثلاث مائة ألف سنة.

وفی مسند أحمد:۳/۱۳:

عن أبی سعید الخدری قال قال رسول الله (ص): یخلص المؤمنون یوم القیامة من النار فیحبسون علی قنطرة بین الجنة والنار فیقتص لبعضهم من بعض مظالم کانت بینهم فی الدنیا، حتی إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فی دخول الجنة. فوالذی نفسی بیده لأحدهم أهدی لمنزله فی الجنة منه بمنزله کان فی الدنیا. ورواه فی:۳/۶۳ وص ۷۴.

نتیجة

النتیجة الواضحة من هذا الفصل أن قانون الشفاعة متفقٌ علیه بین السنة والشیعة، علی أصوله وخطوطه العامة أیضاً، وهی أنه یشمل من مات علی الشهادتین، ولم یکن ظالماً، ولم یکن عاصیاً للنبی فی أهل بیته صلی الله علیه وآله.

ومنه نعرف أن کل ما خالف هذه الأصول فهو نشاز عن ثقافة الإسلام، جاء إلی أصحابه من خلل الرأی، أو من التلقی والتأثر بثقافة الیهود، والنصاری، والمجوس وغیرهم!

توسیعات الشفاعة عند الخلیفة عمر و أتباعه

فی مصادر السنیین اتجاه یقول بتوسیع الشفاعة أکثر من القدر المتفق علیه بین الجمیع، وهو اتجاه خطیر، لأنه یلغی قانون العقوبة الإلهیة جزئیاً أو کلیاً! وهو أربعة آراء أو مذاهب نذکرها حسب توسیعها لدائرة الشفاعة:

الرأی الأول: أن الشفاعة تشمل کل من شهد الشهادتین حتی الطلقاء والمنافقین!

الرأی الثانی: أن الشفاعة تشمل کل من شهد بتوحید الله تعالی، حتی لو کفر برسول الله صلی الله علیه وآله!

الرأی الثالث: أن الشفاعة تشمل کل الخلق!

الرأی الرابع: أن العقاب فی الآخرة ینتهی کلیاً، وأن جهنم تفنی أوتبقی، ولکن ینقل أهلها کلهم إلی الجنة!

ونذکر هنا ملاحظات کلیة علی هذه المذاهب أو الاقوال:

الملاحظة الأولی: أن هذه التوسیعات فی الشفاعة أو فی دخول الجنة زادت علی توسیع الیهود لها، لأن الیهود حصروا الشفاعة والجنة بقومیتهم الیهودیة، وهذه التوسعات عممتها إلی العقائد المختلفة والقومیات المختلفة، وإن کانت احتفظت بمیزة لکل قبائل قریش.

کما زادت علی عقیدة الفداء النصرانیة، لأن بولس اشترط لشمول فداء المسیح وشفاعته الدخول فی النصرانیة.. بینما أکثر هذه التوسیعات لا تشترط الدخول فی الإسلام!

الثانیة: أن لکعب الأحبار وتلامیذه دوراً أساسیاً فی توسیع الشفاعة، بل کان کعب مرجعاً فی الشفاعة بحیث أن الخلیفة عمر یستفتیه فیها ویؤید آراءه، ویعمل علی نشرها، کما ستری.

الثالثة: أن هذه التوسیعات لا تشمل أحداً ممن اعترض علی الخلفاء أو خالفهم فی الرأی، أو امتنع عن بیعتهم، کما لا تشمل بنی هاشم وبنی عبد المطلب أسرة النبی وآباءه صلی الله علیه وآله وخاصة أبا طالب والد علی علیه السلام! وستری هذه الغرائب وغیرها فی نصوص الشفاعة فی مصادر إخواننا السنیین!

الرابعة: أن هذه الأفکار صارت أصلاً ومنبعاً لمذاهب فاسدة، جرَّت علی الأمة مصائب ثقافیة وسیاسیة، مثل مذهب المرجئة والقدریة وغیرهما.

ان الشفاعة تشمل کل من شهد الشهادتین حتی الطلقاء والمنافقین

روی البخاری فی صحیحه:۱/۴۱:

قال حدثنا أنس بن مالک أن رسول الله(ص)ومعاذ ردیفه علی الرحل قال: یا معاذ بن جبل، قال لبیک یا رسول الله وسعدیک. قال یا معاذ، قال لبیک یا رسول الله وسعدیک ثلاثاً! قال ما من أحد یشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه، إلا حرمه الله علی النار. قال: یا رسول الله أفلا أخبر به الناس فیستبشروا؟ قال: إذاً یتکلوا، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً! انتهی.

وروی البخاری فی تاریخه:۸/۴۱:

عن عوف بن مالک قال: کنا مع النبی(ص)فی بعض مغازیه فقال: إن ربی خیرنی بین أن یدخل نصف أمتی الجنة والشفاعة، فاخترت الشفاعة. ورواه الدیلمی فی فردوس الأخبار:۲/۳۰۴ ح ۲۷۷۴.

وروی البخاری فی تاریخه:۱/۱۸۴:

عن عوف بن مالک سمع النبی(ص)یقول: الشفاعة لمن مات من أمتی لا یشرک بالله شیئاً.

وروی مسلم فی:۱/۱۲۲:

أخبرنی أبو الزبیر أنه سمع جابر بن عبد الله یسأل عن الورود، فقال:... فتدعی الأمم بأوثانها وما کانت تعبد الأول فالأول، ثم یأتینا ربنا بعد ذلک فیقول: من تنظرون؟ فیقولون ننظر ربنا! فیقول أنا ربکم، فیقولون حتی ننظر إلیک، فیتجلی لهم یضحک! قال فینطلق بهم ویتبعونه! ویعطی کل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ثم یتبعونه، وعلی جسر جهنم کلالیب وحسک، تأخذ من شاء الله، ثم یطفأ نور المنافقین ثم ینجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم کالقمر لیلة البدر سبعون ألفاً لا یحاسبون، ثم الذین یلونهم کأضوأ نجم فی السماء، ثم کذلک.

ثم تحل الشفاعة ویشفعون حتی یخرج من النار من قال لا ـ إله إلا ـ الله وکان فی قلبه من الخیر ما یزن شعیرة، فیجعلون بفناء الجنة، ویجعل أهل الجنة یرشون علیهم الماء حتی ینبتوا نبات الشیئ فی السیل ویذهب حراقه. ثم یسأل حتی تجعل له الدنیا وعشرة أمثالها معها!!

وروی أبو داود فی:۱/۶۳۲:

عن عامر بن سعد عن أبیه قال: خرجنا مع رسول الله(ص)من مکة نرید المدینة، فلما کنا قریباً من عزوراء نزل ثم رفع یدیه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمکث طویلاً، ثم قام فرفع یدیه فدعا الله ساعة ثم خر ساجداً فمکث طویلاً، ثم قام فرفع یدیه ساعة ثم خر ساجداً ذکره أحمد ثلاثاً، قال: إنی سألت ربی وشفعت لأمتی فأعطانی ثلث أمتی، فخررت ساجداً لربی شکراً ثم رفعت رأسی فسألت ربی

لامتی فأعطانی ثلث أمتی، فخررت ساجداً لربی شکراً ثم رفعت رأسی فسألت ربی لأمتی فأعطانی الثلث الآخر، فخررت ساجداً لربی.
ورواه البیهقی فی سننه: ۲/۳۷۰.
وروی أحمد فی مسنده:۵/۱۴۹:
عن أبی ذر قال صلی رسول الله(ص)لیلةً، فقرأ بآیة حتی أصبح یرکع بها ویسجد بها: إن تعذبهم فإنهم عبادک وإن تغفر لهم فإنک أنت العزیز الحکیم، فلما أصبح قلت: یا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآیة حتی أصبحت ترکع بها وتسجد بها؟ قال: إنی سألت ربی عز وجل الشفاعة لأمتی فأعطانیها وهی نائلة إن شاء الله لمن لا یشرک بالله عز وجل شیئاً. ورواه ابن أبی شیبة فی مصنفه:۷/۴۳۲ ح ۱۰۴ عن أبی جعفر الباقر علیه السلام. وفی الدر المنثور:۳/۲۰۴ عن أحمد.
وروی أحمد فی:۵/۳۲۵:
عن عبادة بن الصامت قال: فقد النبی(ص)لیلة أصحابه، وکانوا إذا نزلوا أنزلوه أوسطهم، ففزعوا وظنوا أن الله تبارک وتعالی اختار له أصحاباً غیرهم! فإذا هم بخیال النبی(ص)فکبروا حین رأوه وقالوا: یا رسول أشفقنا أن یکون الله تبارک وتعالی اختار لک أصحاباً غیرنا! فقال رسول الله (ص): لا بل أنتم أصحابی فی الدنیا والآخرة، إن الله تعالی أیقظنی فقال یا محمد إنی لم أبعث نبیاً ولا رسولاً إلا وقد سألنی مسألة أعطیتها إیاه فاسأل یا محمد تعط، فقلت: مسألتی الشفاعة لأمتی یوم القیامة، فقال أبو بکر: یا رسول الله وما الشفاعة؟ قال أقول: یا رب شفاعتی التی اختبأت عندک، فیقول الرب تبارک وتعالی: نعم، فیخرج ربی تبارک وتعالی بقیة أمتی من النار، فینبذهم فی الجنة.
وقال فی مجمع الزوائد:۱۰/۳۶۹:
عن عوف بن مالک الأشجعی قال: سافرنا مع رسول الله(ص)سفراً حتی إذا کان اللیل أرقت عینای فلم یأتنی النوم، فقمت فإذا لیس فی العسکر دابة إلا واضعة خدها إلی الأرض، وأری وقع کل شئ فی نفسی، فقلت لاتین رسول الله(ص)فلاکلا به اللیلة حتی أصبح، فخرجت أتخلل الرحال حتی دفعت إلی رحل رسول الله(ص)فإذا هو لیس فی رحله، فخرجت أتخلل الرحال حتی خرجت من العسکر فإذا أنا بسواد، فتیممت ذلک السواد فإذا هو أبو عبیدة بن الجراح ومعاذ بن جبل فقالا لی: ما الذی أخرجک؟ فقلت: الذی أخرجکما، فإذا نحن بغیطة منا غیر بعید فمشینا إلی الغیطة فإذا نحن نسمع فیها کدوی النحل وتخفیق الریاح، فقال رسول الله (ص): هاهنا أبو عبیدة بن الجراح؟ قلنا نعم، قال ومعاذ بن جبل؟ قلنا نعم، قال وعوف بن مالک؟ قلنا نعم، فخرج إلینا رسول الله(ص)لا نسأله عن شئ ولا یسألنا عن شئ حتی رجع إلی رحله فقال: ألا أخبرکم بما خیرنی ربی آنفاً؟ قلنا بلی یا رسول الله، قال: خیرنی بین أن یدخل ثلثی أمتی الجنة بغیر حساب ولا عذاب، وبین الشفاعة. قلنا: یا رسول الله ما الذی اخترت؟ قال: اخترت الشفاعة. قلنا جمیعاً: یا رسول الله إجعلنا من أهل شفاعتک قال: إن شفاعتی لکل مسلم.
وفی روایة عن عوف أیضاً قال: نزلنا مع رسول الله(ص)منزلاً فاستیقظت من اللیل فإذا أنا لا أری فی العسکر شیئاً أطول من مؤخرة رحل! قد لصق کل إنسان وبعیره بالأرض، فقمت أتخلل حتی جفلت إلی مضجع رسول الله (ص)فإذا هو لیس فیه! فوضعت یدی علی الفراش فإذا هو بارد، فقمت أتخلل الناس وأقول: إنا لله وإنا إلیه راجعون، فذکر نحوه إلا أنه قال: خیرنی بین أن یدخل نصف أمتی الجنة. وفی روایة جعل مکان أبی عبیدة أبا موسی. قلت: روی الترمذی وابن ماجة طرفاً منه، رواه الطبرانی بأسانید ورجال بعضها ثقات.
وعن أبی کعب صاحب الحریر قال سألت النضر بن أنس فقلت: حدثنی بحدیث ینفعنی الله عز وجل به، فقال نعم أحدثک بحدیث کتب إلینا به من المدینة فقال أنس: إحفظوا هذا فإنه من کنز الحدیث، قال: غزا رسول الله (ص)فسار ذلک الیوم إلی اللیل، فلما کان اللیل نزل وعسکر الناس حوله ونام هو وأبو طلحة زوج أم سلیم وفلان وفلان أربعة، فتوسد النبی(ص)ید راحلته ثم نام ونام الأربعة إلی جنبه، فلما ذهب عتمة من اللیل رفعوا رؤوسهم فلم یجدوا النبی(ص)عند راحلته، فذهبوا یلتمسون رسول الله (ص)فلقوه مقبلاً

فقالوا: جعلنا الله فداك أين كنت فإنا قد فزعنا لك إذ لم نرك؟ قال النبي (ص): كنت نائماً حيث رأيتم فسمعت في نومي دوياً كدوى الرحا أو هزيز الرحى ففزعت في منامي فوثبت فمضيت! فاستقبلني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله بعثني إليك الساعة لاخيرك إما أن يدخل نصف أمتك الجنة وإما الشفاعة يوم القيامة، فاخترت الشفاعة لامتي. فقال النفر الأربعة: يا رسول الله إجعلنا ممن تشفع لهم، فقال: وجبت لكم. ثم أقبل النبي(ص)والنفر الأربعة حتى استقبله عشرة فقالوا: أين نبينا نبي الرحمة؟ قال نحدثهم بالذي حدث القوم فقالوا: جعلنا الله فداءك إجعلنا ممن تشفع لهم يوم القيامة، فقال: وجبت لكم. فجاؤا جميعاً إلى عظم الناس فنادوا في الناس: هذا نبينا نبي الرحمة، فحدثهم بالذي حدث القوم، فنادوا بأجمعهم جعلنا الله فداءك جعلنا الله ممن تشفع لهم، فنادي ثلاثاً: إني أشهد الله وأشهد من سمع أن شفاعتي لمن يموت لا يشرك بالله عز وجل شيئاً. رواه الطبراني في الأوسط وفيه على بن قرة بن حبيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انتهى. ورواه في المعجم الكبير أيضاً:۱۸/۱۰۷.

وفي مجمع الزوائد:۱۰/۳۷۷:

وعن أبي أمامة عن النبي(ص)قال: نعم الرجل أنا لشرار أمتي، فقال له رجل من جلساه: كيف أنت يا رسول الله لخيارهم؟ قال: أما شرار أمتي فيدخلهم الله الجنة بشفاعتي، وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم. ورواه الديلمي في فردوس الأخبار:۵/۹ ح ۷۰۰۴.

وقال في الدر المنثور:۲/۱۱۵:

وأخرج البيهقي عن ابن عابد قال خرج رسول الله(ص)في جنازة رجل فلما وضع قال عمر بن الخطاب: لا تصل عليه يا رسول الله فإنه رجل فاجر، فالتفت رسول الله(ص)إلى الناس وقال: هل آراه أحد منكم على الإسلام؟ فقال رجل: نعم يا رسول الله حرس ليلة في سبيل الله، فصلى عليه رسول الله(ص)وحثى عليه التراب وقال: أصحابك يظنون أنك من أهل النار، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة! وقال: يا عمر إنك لا تسأل عن أعمال الناس ولكن تسأل عن الفطرة!!

وفي أسد الغابة:۱/۱۵۶:

عن أنيس الأنصاري أن النبي(ص)قال: إني لاشفع يوم القيامة لأكثر مما على ظهر الأرض من حجر ومدر.

وفي تفسير الرازي:۱۰ جزء ۱۹/۱۹۲:

فثبت أن (إن المتقين في جنات وعيون) يتناول جميع القائلين بلا إله إلا الله محمد رسول الله قولاً واعتقاداً، سواء كانوا من أهل الطاعة أو من أهل المعصية! انتهى.

وهذا غريب من الرازي الذي هو حريص على العقلانية، ولكن كثرة أحاديث أصحابه غلبته وجعلته من المرجئة الذين ينتقدهم! فقد حكم بأن المسلم يدخل الجنة بالعقيدة فقط بدون عمل، بل حتى لو كانت حياته سلسلة من المعاصي والطغيان والاجرام!

ولم يزد عليه في ذلك إلا الديلمي حيث روى أن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله إنما جعلت من أجل جبابرة هذه الأمة وفراعنتها! قال في فردوس الأخبار: ۲/۴۹۸ ح ۳۳۹۷: أنس بن مالك: شفاعتي للجبابرة من أمتي!!

وقد نقل السيوطي مجموعة كبيرة من الروايات مفادها أن الله تعالى يحاسب المسلمين على أعمالهم ويدخل قسماً منهم إلى الجنة وقسماً آخر إلى النار، ولكن الكفار يعيرون المسلمين في جهنم بأنهم لم ينفعهم إسلامهم، فيأنف الله تعالى ويغضب وتأخذه الغيرة للمسلمين لتوحيدهم، فينقلهم جميعاً حتى جبابرتهم ومجرميهم وشياطينهم إلى الجنة، فعندئذ يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين، واستدل هو وغيره بذلك على أن جميع المسلمين يدخلون الجنة!

وقد ورد شبيه هذا المعنى في أحاديثنا من طريق أهل البيت (عليهم السلام) ولكنه بالنسبة إلى بعض أصناف الموحدين وليس لكل المسلمين كما تذكر هذه الروايات!

قال السيوطي في الدر المنثور:۴/۹۲ ـ ۹۴ في تفسير قوله تعالى: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ:

وأخرج ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث عن ابن عباس وأنس (رض) أنهما تذاكرا

هـذه الآيـة: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، فقالا: هـذا حيث يجمع الله بين أهل الخطايا من المسلمين والمشركين فى النار فيقول المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيخرجهم بفضل رحمته.

وأخرج سعيد بن منصور وهناد والبيهقى عن مجاهـد (رض) فى قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال: إذا خرج من النار من قال لا إله إلا الله.

وأخرج الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه بسند صحيح عن جابر بن عبد الله (رض)قال قال رسول الله (ص): إن ناساً من أمتى يعذبون بذنوبهم فيكونون فى النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله تعالى من النار. ثم قرأ رسول الله (ص): رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وأخرج ابن أبى عاصم فى السنة وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى البعث والنشور عن أبى موسى الأشعرى (رض) قال قال رسول الله (ص): إذا اجتمع أهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا بلى، قالوا: فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم معنا فى النار! قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ماقالوا فأمر بكل من كان فى النار من أهل القبلة فأخرجوا، فلما رأى ذلك من بقى من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا، ثم قرأ رسول الله (ص): أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: الرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وأخرج إسحق بن راهويه وابن حبان والطبرانى وابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى أنه سئل هل عندك من رسول الله(ص)فى هذه الآية شى: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ؟ قال نعم سمعته يقول: يخرج الله أناساً من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم، لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون: ألستم كنتم تزعمون أنكم أولياء الله فى الدنيا فما بالكم معنا فى النار! فإذا سمع الله ذلك منهم أذن فى الشفاعة لهم فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم، فذلك قول الله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال فيسمون فى الجنة الجهنميين من أجل سواد فى وجوههم، فيقولون: يا ربنا أذهب عنا هذا الاسم، فيأمرهم فيغتسلون فى نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم.

وأخرج هناد بن السرى والطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم عن أنس (رض) قال قال رسول الله(ص): إن ناساً من أهل لا ـ إله إلا ـ الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله وأنتم معنا فى النار! فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم فى نهر الحياة فيبرؤون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين.

وأخرج الحاكم فى الكنى عن حماد (رض) قال سألت إبراهيم عن هذه الآية: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال: حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون، فيغضب الله لهم فيقول للملائكة والنبيين: إشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون، حتى أن إبليس ليتطاول رجاء أن يدخل معهم، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود (رض) فى قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، قال: هذا فى الجهنميين، إذا رأوهم يخرجون من النار. انتهى.

وفى نفس الوقت روى السيوطى روايات تدل على أن تمنى الكفار هذا ليس بعد دخول النار بل فى يوم القيامة قبل دخول الجنة والنار.. قال: وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى البعث عن ابن عباس (رض) فى قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قال: ذلك يوم القيامة يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال: موحدين.

وأخرج سعيد بن منصور وهناد بن السرى فى الزهد ابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث والنشور عن ابن عباس (رض) قال: ما زال الله يشفع ويدخل الجنة ويشفع ويرحم، حتى يقول من كان مسلماً فليدخل الجنة فذلك قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ

كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ. انتهى.

والإشكالات على هذا الرأى كثيرة يكفى منها ما تقدم من أدلة الرأى الأول ويكفى منها أن القول بإسقاط اشتراط العمل هو مذهب المرجئة الذين أسقطوا قوانين العقوبة الإلهية، كما فعل اليهود من قبلهم!

وينبغى التذكير هنا بأن القرآن الكريم والأحاديث الثابتة المتفق عليها هى الميزان فى قبول الأحاديث الأخرى أو ردها.. وبهذا الميزان نجد أنفسنا ملزمين برد الأحاديث التى تكتفى بشرط إعلان الشهادتين فقط لدخول الجنة، وتسقط كل الشروط العملية! لأنها تناقض عشرات الآيات والأحاديث القطعية المتفق عليها عند الجميع!

على أنه يمكن لمن ثبتت عنده هذه الأحاديث أن يؤولها بأنها تقصد التأكيد على أهمية الشهادتين، ولا تقصد إسقاط بقية الشروط التى نصت عليها الآيات والأحاديث الأخرى، لأنها شرط ضمنى فيها، فتكون النتيجة إخضاع هذه الأحاديث لمفاد أحاديث القول الأول، وهو المطلوب.

ان الشفاعة تشمل كل من شهد بتوحيد الله تعالى

حتى لو كفر بنبوة النبى صلى الله عليه وآله!

والمستفيد الأول من هذه التوسعة هم المنافقون من قريش والأنصار، الذين كانت تظهر منهم ظواهر النفاق وعدم الإيمان بالنبى فى حياته صلى الله عليه وآله، وقد جعل الله تعالى لهم علامات يعرفهم المسلمون بها، ومن أوضحها بغض على بن أبى طالب عليه السلام باعتباره يمثل تحدى الإسلام للكفر والنفاق، وباعتباره أول عترة النبى ووصيه صلى الله عليه وآله.. فكان حب على وبغضه فى حياة رسول الله وبنصه صلى الله عليه وآله ميزاناً للايمان والنفاق! وقد روى الجميع أحاديثه وصححوها، منها ما رواه أحمد فى مسنده:۱/۹۵ وص ۱۲۸ وص ۲۹۲ عن زر بن حبيش عن على (رض) قال عهد إلىَّ النبى(ص)أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. ورواه الترمذى فى سننه:۵/۳۰۶.

وقال الترمذى فى سننه:۵/۲۹۸:

عن أبى سعيد الخدرى قال: إن كنا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم على بن أبى طالب. هذا حديث غريب. وقد تكلم شعبة فى أبى هارون العبدى، وقد روى هذا عن الاعمش عن أبى صالح، عن أبى سعيد.

وروى الحاكم فى المستدرك:۳/۱۲۸:

عن ابن عباس (رض) قال نظر النبى صلى الله عليه وآله إلى على فقال: يا على أنت سيد فى الدنيا سيد فى الآخرة، حبيبك حبيبى وحبيبى حبيب الله، وعدوك عدوى وعدوى عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدى!! صحيح على شرط الشيخين، وأبو الأزهر بإجماعهم ثقة، وإذا تفرد الثقة بحديث فهو على أصلهم صحيح.

وروى الحاكم فى:۳/۱۳۵ سمعت عمار بن ياسر (رض) يقول سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لعلى: يا على طوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب فيك. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وروى الحاكم فى:۳/۱۴۲ أن النبى صلى الله عليه وآله أخبر علياً بأن الأمة ستغدر به من بعده، قال: عن حيان الأسدى سمعت علياً يقول قال لى رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الأمة ستغدر بك بعدى، وأنت تعيش على ملتى وتقتل على سنتى، من أحبك أحبنى ومن أبغضك أبغضنى، وإن هذه ستخضب من هذا، يعنى لحيته من رأسه. صحيح. انتهى.

أما بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله فصار بغض على عليه السلام جهاراً نهاراً، ولم يعد علامةً على النفاق بل صار علامةً على (الإيمان) والتقوى والإخلاص للإسلام وتأييد السلطة الجديدة التى يعارضها على وشيعته! وجهر المنافقون بنفاقهم مطمئنين! فقد روى البخارى:۸/۱۰۰ عن حذيفة بن اليمان قوله (إن المنافقين اليوم شرٌّ منهم على عهد النبى(ص)! كانوا يومئذ يسرون، واليوم يجهرون)!

هذه الحقيقة الثابتة تنفعنا فى فهم أحاديث هذا الرأى التى تريد شمول المنافقين بالشفاعة والجنة! وهى كثيرة نورد عدداً منها ثم نذكر الملاحظات عليها:

روى مسلم فى صحيحه:۱/۴۴:

عن أبى هريرة قال: كنا قعوداً حول رسول الله(ص)معنا أبو بكر وعمر فى نفر، فقام رسول الله(ص)من بين أظهرنا، فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا، فقمنا فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغى رسول الله(ص)حتى أتيت حائطاً للأنصار لبنى النجار، فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد، فإذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بئر خارجة ـ والربيع الجدول ـ فاحتفرت فدخلت على رسول الله(ص)، فقال: أبو هريرة؟ فقلت نعم يا رسول الله، قال: ما شأنك؟ قلت كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع، فأتيت هذا الحائط فاحتفرت كما يحتفر الثعلب، وهؤلاء الناس ورائى!

فقال: يا أبا هريرة وأعطانى نعليه قال: إذهب بنعلىَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة! فكان أول من لقيت عمر فقال: ماهاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت هاتان نعلا رسول الله(ص)بعثنى بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلاـ الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديىَّ فخررت لاستى! فقال: إرجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله(ص)فأجهشت بكاءً، وركبنى عمر فإذا هو على أثرى، فقال رسول الله (ص): مالك يا أبا هريرة؟! قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذى بعثتنى به فضرب بين ثديى ضربةً خررت لاستى قال إرجع!

قال رسول الله (ص): يا عمر ما حملك على ما فعلت؟ قال: يا رسول الله بأبى أنت وأمى أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقى يشهد أن إله إلاـ الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم. قال فلا تفعل! فإنى أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون! قال رسول الله (ص): فخلهم!!

وروى البخارى فى:۱/۴۱:

عن أنس: قال ذكر لى أن النبى(ص)قال لمعاذ: من لقى الله لاـ يشرك به شيئاً دخل الجنة. قال ألا أبشر الناس؟ قال: لا، أخاف أن يتكلوا.

وروى البخارى فى:۱/۱۰۹:

قال أخبرنى محمود بن الربيع الأنصارى أن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله(ص)ممن شهد بدراً من الأنصار، أنه أتى رسول الله (ص)فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصرى وأنا أصلى لقومى، فإذا كانت الأمطار سال الوادى الذى بينى وبينهم لم أستطع أن آتى مسجدهم فأصلى بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتينى فتصلى فى بيتى فأتخذه مصلى.

قال فقال له رسول الله (ص): سأفعل إن شاء الله، قال عتبان: فغدا رسول الله(ص)وأبو بكر حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله(ص)فأذنت له فلم يجلس حين دخل البيت، ثم قال: أين تحب أن أصلى من بيتك؟ قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت فقام رسول الله(ص)فكبر فقمنا فصففنا فصلى ركعتين ثم سلم، قال وحبسناه على خزيرة صنعناها له قال فثاب فى البيت رجال من أهل الدار ذووا عدد، فاجتمعوا فقال قائل منهم: أين مالك بن الدخيشن أو ابن الدخشن؟ فقال بعضهم: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال رسول الله (ص): لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنا نرى وجهه ونصيحته إلى المنافقين! قال رسول الله (ص): فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله!! ورواه فى كنز العمال:۱/۳۰۲.

وروى البخارى:۲/۵۵ وج ۶/۲۰۲:

فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله.

وروى شيبهه فى:۱/۳۳، ورواه أحمد فى مسنده:۴/۴۴.

وروى البخارى فى:۷/۱۷۲:

عن أحـد بنى سالم قال غـدا على رسول الله(ص)فقال: لن يوافى عبـد يوم القيامـة يقول لا إله إلا الله يبتغى به وجه الله إلا حرم الله عليه النار.

وروى البخارى فى:۲/۶۹:

عن أبى ذر (رض) قال قال رسول الله (ص): أتانى آت من ربى فأخبرنى أو قال بشرنى أنه من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنـة! قلت: وإن زنى وإن سـرق؟! قال وإن زنى وإن سـرق... عن عبـدالله (رض) قال قال رسول الله (ص): من مات يشـرك بالله شـيئاً دخل النار. وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة!!

وروى البخارى فى:۷/۴۳:

أن أبا ذر حـدثه قال: أتيت النبى(ص)وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة! قلت: وإن زنى وإن سـرق؟! قال وإن زنى وإن سـرق. قلت: وإن زنى وإن سـرق؟! قال وإن زنى وإن سـرق! قلت وإن زنى وإن سـرق؟! قال وإن زنى وإن سـرق، على رغـم أنف أبى ذر!! وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبى ذر!! قال أبو عبد الله: هذا عند الموت أو قبله. انتهى.

وأبو عبـدالله هو البخارى نفسه، وهو يريـد بقوله هـذا تخفيف إطلاق الحديث ووضع شـرط للتوحيد المذكور فيه، بأنه المسـلم المجرم يدخل الجنة بشرط أن يقول (لا إله إلا الله) قبل موته أو عند موته. ولكن الحديث مطلق وليس فيه هذا الشرط!

وروى النسائى فى:۸/۱۱۲:

عن أبى سـعيد الخـدرى قال قال رسول الله (ص): ما مجادلـة أحدكم فى الحق يكون له فى الدنيا بأشد من مجادلة المؤمنين لربهم فى إخوانهم الذين أدخلوا النار، قال يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار! قال فيقول: إذهبوا فـأخرجوا من عرفتم منهم، قـال فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم، فمنهم من أخـذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخـذته إلى كعبيه، فيخرجونهم فيقولون: ربنـا قـد أخرجنـا من أمرتنـا، قال: ويقول أخرجوا من كان فى قلبه وزن نصف دينار، حتى يقول من كان فى قلبه وزن ذرة! قال أبو سعيد: فمن لم يصدق فليقرأ هذه الآية: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ إلى عَظِيمًا.

وروى أحمد فى مسنده:۴/۴۳:

ذكروا المنـافقين ومـا يلقون من أذاهم وشـرهم حتى صـيروا أمرهـم إلى رجـل منهـم يقال له مالك بن الـدخشم، وقالوا: من حاله، ومن حـاله، ورسول الله (ص)سـاكت، فلمـا أكثروا قال رسول الله (ص): أليس يشـهد أن لا إله إلا الله؟! فلما كان فى الثالثـة قالوا: إنه ليقوله. قال: والذى بعثنى بالحق لئن قالها صادقاً من قلبه لا تأكله النار أبداً! قالوا فما فرحوا بشئ قط كفرحهم بما قال!! انتهى.

وابن الـدخشن هـذا، أو الـدخشم، أو الـدخيشن، هو الـذى ذكره البخارى وهو رئيس المنافقين الرسـمى بعد ابن سـلول! ويمكنك أن تفكر فيمـا يزعمه هـذا الحـديث من أن أكـبر فرحـة للمسـلمين كـانت فى ذلـك اليـوم، أى يوم سـاوى النـبى صـلى الله عليه وآله بين المسلمين والمنافقين الذين قال الله تعالى فيهم ما قال!!

ولعمرى إنها فرحة السلطة وأتباعها الذين أرادوا حل مشكلة المنافقين لتأييدهم لهم، فألصقوا ذلك بالنبى صلى الله عليه وآله!!

وروى أحمد فى مسنده:۴/۴۱۱:

عن أبى بكر بن أبى موسـى (الأشـعرى) عن أبيه أن رسول الله(ص)قـال: أبشـروا وبشّـروا النـاس من قـال لاـ إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنـة، فخرجوا يبشـرون النـاس، فلقيهم عمر (رض) فبشـروه فردهـم، فقـال رسول الله (ص): من ردكـم؟ قـالوا عمر، قـال: لم رددتهم يا عمر؟ قال إذاً يتكل الناس يا رسول الله! انتهى. وقال عنه فى مجمع الزوائد:۱/۱۶ رجاله ثقات.

وروى أحمد:۱/۴۶۴:

عن عبـد الله قال قال رسول الله(ص)كلمة وأنا أقول أخرى! من مات وهو يجعل لله ندا أدخله الله النار. قال وقال عبد الله: وأنا أقول: من

مات وهو لا یجعل لله ندا أدخله الله الجنة!!. انتهی.

ولکن أحمـد روی فی:۲/۱۷۰ أن عبـد الله بـن عمرو بـن العـاص نسب الکلمـتین إلی النبـی صـلی الله علیه وآله! قـال: سـمعت رسـول الله(ص)یقول: من لقی الله وهو لایشـرک به شـیئاً دخل الجنـة ولم تضـره معه خطیئة، کما لو لقیه وهو مشـرک به دخل النار ولم ینفعه معه حسنة.انتهی.

ولکن أحمـد روی هـذا الحدیث أیضاً عن عبد الله بن مسـعود ولیس عبد الله بن عمرو! قال فی:۱/۳۷۴: قال ابن مسعود: خصلتان یعنی إحداهما سمعتها من رسول الله(ص)، والأخری من نفسی: من مات وهو یجعل لله ندا دخل النار. وأنا أقول من مات... الخ.

وروی الهیثمی فی مجمع الزوائد:۱/۲۳:

عن عقبـة بن عـامر (رض) قال جئت فی اثنی عشـر راکباً حتی حللنا برسول الله(ص)فقال أصـحابی: من یرعی إبلنا وننطلق فنقتبس من رسول الله(ص)، فإذا راح اقتبسـناه ما سمعنا من رسول الله(ص)؟ فقلت: أنا، ثم قلت فی نفسی: لعلی مغبون، یسمع أصحابی ما لا أسمع من نبی الله(ص)، فحضـرت یومـاً فسـمعت رجلاًـ قـال قـال رسول الله (ص): من توضأ وضوء کاملاً ثم قام إلی صـلاة کان من خطیئته کیوم ولـدته أمه، فتعجبت من ذلک، فقال عمر بن الخطاب: فکیف لو سـمعت الکلام الآخر کنت أشد عجباً! فقلت: أردد علیَّ جعلنی الله فـداءک، فقال عمر بن الخطاب: إن نبی الله(ص)قال: من مات لا یشـرک بالله شـیئاً فتحت له أبواب الجنة یدخل من أیها شاء، ولها ثمانیـة أبواب! فخرج علینـا رسول الله(ص)فجلست مستقبله فصـرف وجهه عنی، فقمت فاسـتقبلته ففعـل ذلک ثلاث مرات فلما کانت الرابعة، قلت یا نبی الله بأبی أنت وأمی لم تصرف وجهک عنی؟! فأقبل علی فقال: أواحد أحب الیک أم اثنا عشر؟ مرتین أو ثلاثاً! فلما رأیت ذلک رجعت إلی أصحابی!

وفی مجمع الزوائد:۱/۳۲:

عن عمر بن الخطـاب (رض) أنه سـمع النبی(ص)یقول: من مـات یؤمن بـالله والیوم الآـخر، قیـل له أدخل من أی أبواب الجنـة الثمانیة شئت. رواه أحمد وفی إسناده شهر بن حوشب وقد وثق. وأورده أیضاً فی/۴۹.

وفی مجمع الزوائد:۱/۲۲:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رض) قال: جئت ورسول الله(ص)قاعد فی أناس من أصحابه فیهم عمر بن الخطاب (رض) وأدرکت آخر الحـدیث ورسول الله(ص)یقول: من صـلی أربع رکعات قبل العصـر لم تمسه النار! فقلت بیدی هکذا یحرک بیده إن هذا حدیث جیـد، فقـال عمر بن الخطـاب: لمـا فاتک من صـدر الحـدیث أجود وأجود! قلت یا ابن الخطاب فهات، فقال عمر بن الخطاب: حـدثنا رسول الله(ص)أنه من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة!!

وفی مجمع الزوائد:۱/۱۶:

عن أبی الدرداء (رض) قال قال رسول الله (ص): من قال لا إله إلا الله وحده لا شـریک له دخل الجنة. قال قلت: وإن زنی وإن سـرق؟ قال: وإن زنی وإن سـرق! قلت: وإن زنی وإن سـرق؟! قال: وإن زنی وإن سـرق! قلت: وإن زنی وإن سـرق؟! قال: وإن زنی وإن سـرق علی رغم أنف أبی الـدرداء! قـال فخرجت لانـادی بهـا فی النـاس فلقینی عمر فقال إرجع فإن الناس إن علموا بهـذه اتکلوا علیها! قال: فرجعت فأخبرته(ص)فقال: صدق عمر.

رواه أحمـد والـبزار والطـبرانی فی الکـبیر والأوسـط وإسـناد أحمـد أصـح، وفیـه ابـن لهیعـة وقـد احتـج به غیر واحـد. ورواه فی الـدر المنثور:۲/۱۷۰.

وروی أحمد:۵/۱۷۰:

حدثتنی جسـرة بنت دجاجة أنها انطلقت معتمرة فانتهت إلی الربذة فسـمعت أباذر یقول: قام النبی(ص)لیلة من اللیالی فی صلاة العشاء فصـلی بالقوم ثم تخلف أصـحاب له یصلون، فلما رأی قیامهم وتخلفهم انصرف إلی رحله، فلما رأی القوم قد أخلوا المکان رجع إلی

مكـانه فصـلى، فجئت فقمت خلفه فأومأ إلىَّ بيمينه فقمت عن يمينه، ثم جاء ابن مسـعود فقام خلفى وخلفه، فأومأ إليه بشـماله فقام عن شماله فقمنا ثلاثتنا، يصلى كل رجل منا بنفسه ويتلو من القرآن ما شاء الله أن يتلو، فقام بآية من القرآن يرددها حتى صلى الغداة، فبعد أن أصـبحنا أومأت إلى عبد الله بن مسـعود أن سله ما أراد إلى ما صـنع البارحة؟ فقال ابن مسـعود بيده لا أسأله عن شـئ حتى يحدث إلى، فقلت: بـأبى أنت وأمى قمت بآيـة من القرآن ومعـك القرآن؟! لو فعـل هـذا بعضـنا وجـدنا عليه، قـال: دعوت لأـمتى، قال: فماذا أجبت أو مـاذا عليك؟ قال: أجبت بالـذى لو اطلع عليه كثير منهم طلعـةً تركوا الصـلاة! قال: أفلا أبشـر الناس؟ قال بلى، فانطلقت معنقاً قريباً من قذفة بحجر، فقال عمر: يا رسول الله إنك إن تبعث إلى الناس بهذا نكلوا عن العبادة، فنادى أن ارجع، فرجع.

وروى أحمد فى مسنده:۲/۳۰۷ وفى/۵۱۸:

عن أبى هريرة أنه سـمعه يقول: سألت رسول الله (ص): ماذا رد إليك ربك فى الشـفاعة؟ فقال: والـذى نفس محمـد بيـده لقـد ظننت أنـك أول من يسألنى عن ذلـك من أمتى لمـا رأيت من حرصك على العلم! والـذى نفس محمـد بيـده ما يهمنى من انقصافهم على أبواب الجنة أهم عندى من تمام شفاعتى، وشفاعتى لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه. ورواه الديلمى فى فردوس الأخبار:۲/۱۹۷ ح ۳۳۹۵.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۳۲۴:

وأخرج ابن مردويه عن أبى سـعيد قـال: لمـا نزلت: فبشـر عبـادى الـذين يسـتمعون القول فيتبعون أحسـنه، أرسـل رسول الله(ص)منادياً فنـادى: من مات لا يشـرك بالله شـيئاً دخل الجنـة، فاسـتقبل عمر الرسول فرده، فقال: يا رسول الله خشـيت أن يتكل الناس فلا يعملون، فقال رسول الله (ص): لو يعلم الناس قدر رحمة الله لا تكلوا ولو يعلمون قدر سخط الله وعقابه لاستصغروا أعمالهم!

الدر المنثور:۴/۹۳:

وأخرج ابن أبى حاتم وابن شاهين فى السـنة عن على بن أبى طالب (رض) قال قال رسول الله (ص): إن أصـحاب الكبائر من موحدى الأـمم كلهـا الـذين مـاتوا على كبـائرهم غير نـادمين ولاـ تـائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشـياطين ولا يغلون بالسـلاسل، ولا يجرعون الحميم ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد، وصورهم على النار من أجل السـجود، فمنهم من تأخـذه النار إلى قـدميه، ومنهم من تأخـذه النار إلى عقبيه، ومنهم من تأخـذه النار إلى فخـذيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، على قدر ذنوبهم وأعمالهم. ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج منها، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثاً بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى.

فإذا أراد الله ان يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن فى النار من أهل الأديان والأوثان لمن فى النار من أهل التوحيـد: آمنتم بالله وكتبه ورسـله فنحن وأنتم اليوم فى النار سواء، فغضب الله غضبا لم يغضبه لشـئ فيما مضـى، فيخرجهم إلى عين بين الجنـة والصـراط فينبتون فيهـا نبـات الطراثيث فى حميـل السـيل، ثم يـدخلون الجنـة مكتوب فى جبـاههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن، فيمكثون فى الجنـة مـا شـاء الله أن يمكثوا، ثم يسألون الله تعـالى أن يمحو ذلـك الاـسم عنهم، فيبعث الله ملكـاً فيمحوه ثم يبعث الله ملائكـة معهم مسامير من نار فيطبقونها على من بقى فيها يسمرونها بتلك المسامير فينساهم الله على عرشه، ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم وذلك قوله: رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وقال ابن باز فى فتاويه:۱/۱۷۹:

روى البخارى عن أبى هريرة أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك قال: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه. انتهى.

ملاحظات على روايات هذا الرأى

أولاً: نلاحظ فى أحاديث هذا الرأى بل هذا المذهب، اضـطرابها وتعارضـها إلى حد التناقض! ولعل أصلها رواية مسلم التى ضرب فيها

عمر أبا هريرة حتى خر لاسته! والمقصود منها ومن أمثالها إثبات أن النبی صلى الله عليه وآله قد (اعترف وشهد) بأن توحيد الله تعالى فقط كاف لدخول الجنة، وأنه لا يحتاج الأمر إلى الإيمان بنبوته ولا شفاعته صلى الله عليه وآله!

ويلاحظ أنها تؤكد على أن الذی قال ذلك هو النبی نفسه صلى الله عليه وآله وليس عمر! بل إن عمر كان مخالفاً لذلك، وقد ردَّ أبا هريرة من الطريق وضربه، واعترض على النبی مرات ومرات، وقد أطاعه النبی صلى الله عليه وآله فی بعض المرات، ثم أصرَّ النبی على هذا القول فهو الذی يتحمل مسؤوليته، وليس عمر، ولا أبو موسى، ولا أبو هريرة، ولا كعب الأحبار!!

ثانياً: أن هذا المذهب يلغی حاجة المسلمين إلى الشفاعة أصلًا!! فأحاديثه تبشر بالجنة كل من قال (لا إله إلا الله) وتشمل رواياته اليهود والنصارى وغيرهم، فلا يبقى معنى للشفاعة!!

ثالثاً: أنه يلغی الحاجة إلى أصل الإسلام ونبوة نبينا صلى الله عليه وآله! لأن رواياته تقول إن الله تعالى يقبل إيمان الموحد ويدخله الجنة لتوحيده، حتى لو كفر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله! فلا- يبقى مبرر لجهاد النبی صلى الله عليه وآله وحروبه وشدته على الكافرين بنبوته! ولا يبقى معنىً لقوله تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِی الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ) وكيف يجرأ مسلم على قبول رأی من رواة أو خليفة، يستلزم إبطال دينه من أصله؟!!

رابعاً: تزعم روايات هذا المذهب عدم عصمة النبی صلى الله عليه وآله وأنه أخطأ فی تبليغ الرسالة وصحح له عمر وأقنعه بخطئه! على أنه توجد رواية أخرى فی تهذيب الكمال:۴ ص۳۱ وفی مجمع الزوائد:۱ ص۱۶ تقول إن النبی لم يقتنع وأصرَّ على رأيه، وقال لعمر: دعهم يتكلوا! وتوجد رواية أخرى فی مجمع الزوائد وفی مسند أحمد:۴/۴۰۲ تقول إن النبی سكت!.. الخ.

ومن جهة أخرى تدل هذه الروايات على عدم إيمان عمر بعصمة النبی صلى الله عليه وآله وتعطی لعمر دور الناظر على أعمال النبی صلى الله عليه وآله والولاية عليه لتصحيح أخطائه! بينما يؤكد الله تعالى عصمة رسوله صلى الله عليه وآله فی كل كلمة يتفوه بها، فيقول (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْیٌ يُوحَى)!

خامساً: تقدمت رواية أن عمر هو الذی بشر الناس، ولعله اقترح على النبی أن يبشر الناس بذلك فنهاه النبی صلى الله عليه وآله!! وقد روى الهيثمی رواية فيها تصريح بأن الذی أراد تبشير الناس هو عمر وإن كانت متناقضة، قال (وعن جابر (رض) قال: قال رسول الله (ص): ناد يا عمر فی الناس إنه من مات يعبد الله مخلصاً من قلبه أدخله الله الجنة وحرم على النار! قال فقال عمر: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا، لا، يتكلوا. انتهى.

فأول الرواية يقول: إن النبی أمر عمر بالنداء، وآخرها يقول إن عمر اقترح النداء فلم يقبل به النبی صلى الله عليه وآله ونهاه عنه!

وهذا يؤيد أن يكون أصل القضية كلها محاولة من عمر لتبشير الناس بعدم اشتراط العمل للجنة، فنهاه النبی صلى الله عليه وآله.

سادساً: إن روايات (ضياع النبی!) فی غزوة من غزواته أو فی المدينة، قد حملت من التناقض واللامعقول ما يوجب على الباحث بل على القارئ الشك فيها من أصلها!

فحديث مسلم يقول: إنهم (أضاعوا) النبی صلى الله عليه وآله فی المدينة حتى وجده أبوهريرة فی بستان فی المدينة لبنی النجار! وروايتا الطبرانی المتقدمتان عن عوف بن مالك والنضر بن أنس تقولان إنهم أضاعوا النبی فی إحدى الغزوات! أو خرج مبهوتاً فی وسط الليل! وبعض رواياتها تقول إن النبی صلى الله عليه وآله لم يضع بل كان فی بيته أو فی مسجده وأمر أبا موسى ونفراً من قومه أن يبشروا الناس فلما خرجوا من عنده لقيهم عمر... الخ. وقد رواها أحمد:۴ ص۴۰۲ وص۴۱۱ و قال عنها مجمع الزوائد ج۱ص ۱۶ (رواه أحمد والطبرانی فی الكبير ورجاله ثقات).

ثم إن رواية مسلم تقول: إن بطل القصة المأمور بالنداء هو أبو هريرة وأن عمر ضربه! بينما تقول روايات أخرى إن المأمور بالنداء أبو موسى الأشعری ونفر من الأشعريين وأن عمر رده ولم يضربه! وأخرى تقول: إن المأمور هو أبو الدرداء، وأخرى تقول: إنه أبوذر، وأخرى تقول: إنه عمر.. إلخ. ورواية أبی سعيد تذكر مأموراً بدون تسمية!

أما روايات الطبرانى فتذكر بطلين آخرين للحادثة هما عوف والنضر، وفى رواية أخرى فى مجمع الزوائد ج۱ ص۲۳ إنه عقبة بن عامر! وتوجد رواية فى مجمع الزوائد تقول إن البطل الوحيد هو عمر، ولا يوجد غيره قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ج۱ ص۱۶ وعن عمر (رض) أن رسول الله(ص)أمره أن يؤذن فى الناس أنه: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصاً دخل الجنة، فقال عمر: يا رسول الله إذا يتكلوا فقال: دعهم. رواه أبو يعلى والبزار إلا أن عمر قال يا رسول الله إذا يتكلوا! قال دعهم يتكلوا. انتهى.

أما رواية البخارى فتذكر أن بطل الرواية معاذ فقط، وأنه اقترح تبشير الناس بذلك فنهاه النبى صلى الله عليه وآله، ورواية أحمد تذكر أن بطلها عبادة بن الصامت.. وقد تقدمت الروايتان فى الرأى الثانى لأنهما اشترطتا الشهادة بالنبوة!!

ولو أردنا مواصلة بحث ملف ضياع النبى المزعوم، والنداء المزعوم، لوجدنا فيها تناقضات أخرى توجب سقوط أصل القصة عن الصلاحية لإثبات حكم شرعى عادى، فكيف تصلح لاثبات عقيدة خطيرة، أخطر من مذهب المرجئة؟! لأن المرجئة يشترطون لدخول الجنة الشهادتين، وهذه القصة تلغى الشهادة الثانية!!

سابعاً: توجد روايات تناقض هذا الرأى عن الخليفة عمر نفسه وتقول إن الذى يسرق عباءة من الغنائم يحرم من دخول الجنة، حتى لو كان السارق مسلماً واستشهد فى سبيل الله تعالى! وتقول إن النبى صلى الله عليه وآله قد أمر عمر أن ينادى بنداء مضاد لما ذكرته قصة ضياع النبى صلى الله عليه وآله ونداء النعلين!!

فقد روى أحمد فى مسنده: ۱/۳۰ وص ۴۷ عن عمر بن الخطاب (رض) قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبى(ص)فقالوا: فلان شهيد فلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد، فقال رسول الله (ص): كلا إنى رأيته فى النار فى بردة غلها أو عباءة! ثم قال رسول الله (ص): يابن الخطاب إذهب فناد فى الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون قال: فخرجت فناديت: ألا إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون. انتهى.

فإذا كانت سرقة عباءة تمنع صاحبها (الشهيد) من دخول الجنة، فكيف تكون شهادة (لا إله إلا الله) وحدها بدون عمل كافية لدخول الجنة؟!

وإذا كان النبى صلى الله عليه وآله قد أمر عمر بهذا النداء، فكيف أمر عمر نفسه أو غيره بنداء مناقض له؟! وكيف لم يعترض عليه عمر وهو المعروف بكثرة اعتراضاته؟!

ثم إن قصة سارق العباءة والنداء بشرط الإيمان والعمل الصالح، كانتا فى خيبر، وهذه ظاهرة تحديد فى الرواية توجب نوعاً من الثقة، ولكنك لا تجد فى قصة ضياع النبى صلى الله عليه وآله والنداء المضاد المزعومين شيئاً من التحديد، لا اسم الغزوة، ولا اسم البستان، بل لا تجد إلا مجملاً فى مجمل، وتناقضاً بعد تناقض!

وبما أن أغلب روايات هذه القصة تشترك فى ذكر دور عمر ومناقشته للنبى صلى الله عليه وآله ونصحه إياه بضرر إعلان ذلك للناس، يترجح فى الذهن احتمال أن يكون أصل القصة أن الخليفة عمر هو الذى بشر الناس كما نصت الروايات المتقدمة، وقد يكون اقترح على النبى صلى الله عليه وآله أن يأمره بذلك فلم يقبل، وأن النبى صلى الله عليه وآله ما ضاع لا فى غزوتين ولا فى غزوة،ولا خرج مذعوراً فى الليل من كلام جبرئيل، ولا ضاع فى المدينة، ولا اختبأ فى بستان، ولا أعطى نعليه لابى هريرة علامةً للناس بأنه مبعوث من النبى صلى الله عليه وآله، ولا ضرب عمر أبا هريرة حتى خر لاسته! فعندما تتناقض الروايات ولا يمكن الجمع بينها، أو تكون مخالفة للقرآن وللسنة القطعية المتفق عليها.. فلا مجال أمام الباحث إلا ترجيح هذا الإحتمال الأخير.

ثامناً ثبت عند الجميع أن النبى صلى الله عليه وآله قد أرسل علياً عليه السلام الى مكة بأمر من الله تعالى لإبلاغ سورة براءة، وأمره أن ينادى فى الناس بعدة أمور، منها (لا ـ يدخل الجنة إلا ـ نفس مؤمنة)! وقد روى ذلك أحمد: ۱/۴۷ وص ۷۹ والنسائى: ۵/۲۳۴ والدارمى:۲/۲۳۰ وغيرهم، وفى أحمد: ۵/۴۳۸: نفس مسلمة).

وروايات هذا النداء ثابتة عند الطرفين، وليست مهزوزة مثل نداء النعلين المزعوم!

ثم إن هـذا النـداء كان بعـد فتح مكة، فلا بد للقائل بصـحة روايات نداء النعلين أن يقول إنه ناسخ لهذا النداء، وأن يثبت صـحة قصـته وأنها كانت بعد نداء مكة.. ولكن دون إثبات ذلك خرط القتاد!

أما الأحاديث الأخرى التى اسـتدلوا بها على هـذا المـذهب، فليست أحسن حالاً من حـديث (ضـياع النبى صـلى الله عليه وآله واختفائه واختبائه ونداء النعلين) فى تضاربها وتعارضها مع غيرها..ويكفى لردها الروايات التى تقدمت فى الرأى الأول.

وأخيراً، فقد آن لاخواننا فقهاء السـنة أن ينظروا بجدية إلى تناقضات روايات الصحاح ومخالفاتها الصريحة للقرآن وضرورات الإسلام، ويعيدوا النظر فى مفهومهم للصحيح والحجة الشرعية!

ذلك أن صـريح العقل هو الأصل الذى وصـلنا به إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله صـلى الله عليه وآله ثم وصـلنا به إلى قطعيات الشـرع الشريف. وحبُّنا للصـحاح وأصـحابها وأسانيدها لا يجوز أن يوصـلنا إلى التنازل عن قطعيات الشـرع والعقل، لأن إبطال الأصل يسـتلزم إبطال الفرع الذى نحبه، وبالنتيجة خسارة كل شئ!!

احاديث أن الله تعالى يشفع عند نفسه

بمقتضى أحاديثهم فى استحقاق الموحد لدخول الجنة، فلا يحتاج الأمر إلى شفاعة، بل تصير الشفاعة من نصيب المشركين!

ولكن أصـحاب هذا الرأى احتاطوا فى أمر أصـحابهم فشـملوهم بالشفاعة! واختلفت رواياتهم فى من يشفع فيهم! فقال بعضها إن النبى صلى الله عليه وآله هو الذى يشـفع فى الموحدين، وقال بعضـها إن إسـحاق هو شفيع الموحدين، وقد صحح الحاكم روايته على شرط الشـيخين، كما سيأتى فى مسألة الذبيح! وقال بعضها إن النبى صلى الله عليه وآله يطلب من الله تعالى أن يعطيه الشفاعة فيهم فلا يعطيه إياها بل يستأثر بها لنفسه، فكأنه تعالى يريد أن يجازيهم هو شخصياً، لانهم شهدوا بتوحيده!!

قال فى كنز العمال:۱/۵۶:

ما زلت أشـفع إلى ربى فيشـفعنى حتى أقول: شـفعنى فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: ليست هذه لك يا محمد! إنما هى لى! أنا وعزتى وحلمى ورحمتى لاـ أدع فى النـار أحـداً قـال لاـ إله إلا الله–ع عن أنس. انتهى. وأورده الرازى فى تفسـيره: ۱۱ جزء ۲۲/۱۰. وفى كنز العمال:۱/۶۴ فيقال: ليست هذه لك ولا لاحد، هذا إلىَّ، فلا يبقى أحد قال لا إله إلا الله إلا أخرج منها ـ الديلمى عن أنس.

طبقات الحنابلة لأبى يعلى:۱/۳۱۲:

قال أحمد بن حنبل: إذا لم يبق لاحد شفاعة قال الله تعالى: أنا أرحم الراحمين، فيدخل كفه فى جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره.

وروى البيهقى فى سننه:۱۰/۴۲:

عن معبـد بن هلال العنزى قال: أتيت أنس بن مالك (رض) فى رهط من أهل البصـرة وسـماهم لنا، نسأله عن حديث الشـفاعة، فذكر الحديث بطوله فى سؤاله وجوابه وخروجهم من عنده ودخولهم عن الحسن بن أبى الحسن البصـرى، قال الحسن حدثنى كما حدثكم، قال ثم قال يعنى النبى (ص): فأجئ فى الرابعة فأحمد بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال لى يا محمد إرفع رأسك قل يسـمع لك وسـل تعطه واشـفع تشـفع، فـأقول يـا رب إئـذن لى فيمن قـال لا إله إلا الله فيقول ليس ذلك إليك ولكنى وعزتى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله. رواه البخارى فى الصـحيح عن سـليمان بن حرب عن حماد بن زيد زاد فيه (وجلالى) ورواه مسـلم عن سعيد بن منصور وغيره.

ولكن الديلمى روى فى فردوس الأخبار:۳/۲۷۶ ح ۴۶۹۵:

أن الله تعالى يتنازل ويعطى الشـفاعة فيهم لرسوله صلى الله عليه وآله! قال عمرو بن العاص: قلت يا ربى شفعنى فيمن قال لا إله إلا الله، قال: لك ذلك! انتهى.

وقال الثعالبى فى الجواهر الحسان:۱/۳۵۱ فى تفسير الآية ۴۰ من سورة النساء:

فیقول الله عز وجل: شفعت الملائکة وشفع النبیون وشفع المؤمنون ولم یبق إلا أرحم الراحمین فیقبض قبضة من النار فیخرج منها قوماً لم یعملوا خیراً قط!

وقال فی: ۲/۳۶۰:

وأحادیث الشفاعة قد استفاضت وبلغت حد التواتر من أعظمها شفاعة أرحم الراحمین ففی صحیح مسلم من حدیث أبی سعید الخدری قال: فیقول الله عز وجل: شفعت الملائکة وشفع النبیون وشفع المؤمنون... الخ.

ورواه البغوی فی مصابیح السنة:۳/۵۴۲.

وقد أوردنا روایات هذه (الشفاعة) من مصادر السنیین فی المجلد الثانی فی ادعائهم رؤیة الله تعالی بالعین فی الآخرة! ومعناها أن الله تعالی یتوسط عند نفسه، وهو معنی عامی للشفاعة! والظاهر أن أصلها الحدیث المروی فی مصادرنا عن الإمام محمد الباقر علیه السلام الذی رواه فی بحار الأنوار:۸/۳۶۱ عن حمران قال سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: إن الکفار والمشرکین یرون أهل التوحید فی النار فیقولون مانری توحیدکم أغنی عنکم شیئاً، وما أنتم ونحن إلا سواء! قال: فیأنف لهم الرب عز وجل فیقول للملائکة: إشفعوا فیشفعون لمن شاء الله، ویقول للمؤمنین مثل ذلک، حتی إذا لم یبق أحدٌ تبلغه الشفاعة، قال تبارک وتعالی: أنا أرحم الراحمین، أخرجوا برحمتی، فیخرجون کما یخرج الفراش، قال: ثم قال أبو جعفر علیه السلام: ثم مدت العُمُد وأعمدت علیهم، وکان والله الخلود. انتهی.

ورواه فی تفسیر نور الثقلین:۵/۵۲۳ عن مجمع البیان عن العیاشیء.

والمقصود بأهل التوحید الذین تشملهم الشفاعة فی هذه الروایة، المسلمون الذین ارتضی الله دینهم وأماتهم علی التوحید.. فقد ورد عن أهل البیت (علیهم السلام) أن بعض أصحاب المعاصی والانحرافات الکبیرة، یسلب منهم التوحید قبل موتهم، والعیاذ بالله!!

ان الشفاعة تشمل جمیع الخلق

مجموعة الرسائل لابن تیمیة:۱/۱۰:

أجمع المسلمون علی أن النبی(ص) یشفع للخلق یوم القیامة بعد أن یسأله الناس ذلک، وبعد أن یأذن الله فی الشفاعة. ثم أهل السنة والجماعة متفقون علی ما اتفقت علیه الصحابة... أنه یشفع لأهل الکبائر ویشفع أیضاً لعموم الخلق... أما الوعیدیة من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن شفاعته إنما هی للؤمنین خاصة... ومنهم من أنکر الشفاعة مطلقاً... ومذهب أهل السنة والجماعة أنه یشفع فی أهل الکبائر ولا یخلد أحد فی النار.

ولکن ابن باز لم یأخذ بفتوی إمامه ابن تیمیة فقال فی فتاویه:۴/۳۶۸:

إن المشرک إذا مات علی شرکه فهو مخلد فی النار أبد الآباد بإجماع أهل العلم، وذلک مثل الذی یعبد الأصنام أو الأحجار أو الأشجار أو الکواکب... أو یعبد الأموات ومن یسمونهم بالأولیاء، أو یستغیث بهم ویطلب منهم المدد أو العون عند قبورهم، مثل قول بعضهم: یا سیدی فلان المدد المدد، یا سیدی البدوی المدد المدد... أو یا سیدی رسول الله المدد المدد الغوث الغوث، أو یا سیدی الحسین أو یا فاطمة أو یا ست زینب، أو غیر ذلک ممن یدعوه المشرکون... وهذا کله من الشرک الأکبر، فإذا مات علیه صاحبه صار من أهل النار. انتهی.

فإن عجبت فاعجب لإبن تیمیة إمام الوهابیین حیث یحکم بدخول إبلیس وقابیل وفرعون ونمرود الجنة لأنهم من عموم الخلق! ولإمامهم المعاصر ابن باز حیث یحکم بأن ملایین المسلمین الذین یدعون الله تعالی ویطلبون من أولیائه مدداً مما أعطاهم الله تعالی کلهم (مشرکون) مخلدون فی النار أبد الآباد!!

مجمع الزوائد:۱۰/۳۷۹:

وعن أنيس الأنصارى قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: إنى لاشفع يوم القيامة فى كل شئ مما على وجه الأرض من حجر ومدر. رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه أحمد بن عمرو صاحب على بن المدينى ويعرف بالقلورى ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا على ضعف فى بعضهم. انتهى. ورواه ابن عبد البر فى الاستيعاب:۱/۱۱۴ والديلمى فى فردوس الأخبار:۱/۹۳ ح ۱۷۴ عن بريدة الاسلمى وفيه (لاكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر).

الدر المنثور:۶/۲۸۵:

وأخرج ابن مردويه عن عبدالرحمن بن ميمون أن كعباً دخل يوماً على عمر بن الخطاب فقال له عمر: حدثنى إلى ما تنتهى شفاعة محمد يوم القيامة؟! فقال كعب: قد أخبرك الله فى القرآن أن الله يقول (ما سلككم فى سقر إلى قوله اليقين) قال كعب: فيشفع يومئذ حتى يبلغ من لم يصل صلاة قط ويطعم مسكيناً قط ومن لم يؤمن ببعث قط، فإذا بلغت هؤلاء لم يبق أحد فيه خير!) انتهى.
وإذا أراد كعب بقوله (حتى يبلغ، فإذا بلغت هؤلاء) أن النبى يشفع حتى يبلغ هؤلاء فيشفع لهم أيضاً، فلم يبق أحد فى النار! وإن أراد أنه يبلغهم ويقف عندهم، فمعناه أن كعباً لا يشترط لشمول الشفاعة إلا الإيمان بيوم الدين، وعملاً واحداً من الأعمال المذكورة!

كنز العمال:۱۴/۵۱۱ عن ابن عساكر:

عن أنس أن رسول الله(ص)قال: والذى نفسى بيده! إنى لسيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وإن بيدى لواء الحمد وإن تحته آدم ومن دونه ولا ـ فخر، ينادى الله يومئذ آدم فيقول: يا آدم، فيقول لبيك رب وسعديك، فيقول: أخرج من ذريتك بعث النار، فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فيخرج ما لا يعلم عدده إلا الله، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أكرمك الله وخلقك بيده، ونفخ فيك وروحه وأسكنك جنته، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لذريتك أن لا تحرق اليوم بالنار، فيقول آدم: ليس ذلك إلىِّ اليوم، ولكن سأرشدكم، عليكم بنوح فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح إشفع لذرية آدم فيقول: ليس ذلك إلىَّ اليوم ولكن عليكم بعبد اصطفاه الله بكلامه ورسالته وصنع على عينه وألقى عليه محبة منه موسى وأنا معكم، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت عبد اصطفاك الله برسالته وبكلامه وصنعت على عينه وألقى عليك محبة منه إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار، فيقول: ليس ذلك إلىَّ اليوم عليكم بروح الله وكلمته عيسى فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت روح الله وكلمته إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار، فيقول: ليس ذلك إلىَّ اليوم ولكن سأرشدكم عليكم بعبد جعله الله رحمة للعالمين أحمد وأنا معكم، فيأتون أحمد فيقولون: يا أحمد جعلك الله رحمة للعالمين إشفع لذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار، فأقول: نعم أنا صاحبها فآتى حتى آخذ بحلقة باب الجنة فيقال: من هذا أحمد؟ فيفتح لى فإذا نظرت إلى الجبار لا إله إلا هو خررت ساجداً، ثم يفتح لى من التحميد والثناء على الرب شيئاً لا يفتح لاحد من الخلق ثم يقال: إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار فيقول الرب جل جلاله: إذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال قدر قيراط من إيمان فأخرجوه!

ثم يعودون إلىَّ فيقولون: ذرية آدم لا يحرقون اليوم بالنار فآتى حتى آخذ بحلقة الجنة فيقال: من هذا؟ فأقول أحمد، فيفتح لى فإذا نظرت الجبار لا إله إلا هو خررت ساجداً مثل سجودى أول مرة ومثله معه فيفتح لى من الثناء على الرب والتحميد مثل ما فتح لى أول مرة، فيقال: إرفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار! فيقول الرب: إذهبوا من وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه!

ثم آتى حتى أصنع مثل ما صنعت أول مرة فإذا نظرت إلى الجبار عز جلاله خررت ساجداً فأسجد كسجودى أول مرة ومثله معه فيفتح لى من الثناء والتحميد مثل ذلك ثم يقال: إرفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب ذرية آدم لا تحرق اليوم بالنار! فيقول الرب: إذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون ما لا ـ يعلم عدده إلا الله ويبقى أكثر. ثم يؤذن لادم فى الشفاعة فيشفع لعشرة آلاف ألف ثم يؤذن للملائكة والنبيين فيشفعون ثم يؤذن للمؤمنين فيشفعون وإن المؤمن يشفع يومئذ لاكثر من ربيعة ومضر. انتهى.

ومن الواضح أن هذه الرواية تطرح ذرية آدم كلهم موضوعاً للشفاعة، ولكنها (تحتاط) من التصريح بشمول الشفاعة لهم، على عكس الروايات والآراء المتقدمة التي صرحت بشمول الشفاعة لجميع الخلق!

وإذا كان هذا الرأي يحتاج إلى رد، فإن ما تقدم في أدلة الرأي الموافق لمذهبنا، وما تقدم في نقد الآراء التوسيعية السابقة كاف لرده.

ان العقاب في الآخرة ينتهي كليا و أن جهنم تفنى و ينقل أهلها إلى الجنة

وهذه المسألة من مسائل المعاد لا الشفاعة، ولكن بحثناها هنا لذكر الشفاعة في كثير من رواياتها.

وأول من قال من المسلمين بفناء النار هو الخليفة عمر بن الخطاب، وقد تأثر به عدد من المذاهب الكلامية. ولكن أكثر المتعصبين لعمر لم يأخذوا بقوله هذا، ماعدا ابن تيمية وبعض تلاميذه، كما سترى!

قال السيوطي في الدر المنثور: ۳/۳۵۰:

وأخرج ابن المنذر عن الحسن عن عمر (رض) قال: لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه. انتهى. ورواه الشوكاني في فتح القدير:۲/۶۵۸ وغيره، وعالج: منطقة رملية في بين صحراء نجد والبحرين.

آراء المسلمين في آيات الخلود و أحاديثه

من عادة الكلاميين والمفسرين عندما يجدون قولاً لصحابي يحبونه مخالفاً لآيات محكمة وأحاديث صريحة، كمسألتنا هذه أنهم يحشدون للقارئ أقوالاً وآراء عديدة متضاربة متناقضة، ويؤيدونها بروايات كثيرة متضاربة أيضاً، وكأن واحدهم متحيرٌ يكتب للناس تحيره ويستغيث بهم! أو كأن هدفه بدل التفسير والتوضيح ترويض ذهن القارئ وتدويخه لكي يقبل التناقض الذي يريد إقناعه به!

وموضوعنا هذاواحدٌ من هذه الموضوعات التي اتبع فيها المفسرون السنيون هذه السياسة.

وتفادياً لذلك نقدم رأي أهل البيت (عليهم السلام) وعلماء مذهبهم في المسألة وما وافقهم وما خالفهم من الآراء الأخرى، ليعرف الباحث من أين جاء الخلل إلى الرواة السنيين ومصادرهم في تفسير آيات الله تعالى، وتفسير أقوال النبي صلى الله عليه وآله، فإن الميزان الشرعي لكل الاراء والأحاديث عند الجميع هو القرآن والمتفق عليه من السنة..ويضاف اليه عندنا ماثبت عن المفسرين الشرعيين للقرآن بعد النبي صلى الله عليه وآله الذين هم عترته بصريح قوله صلى الله عليه وآله (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) وحديث الثقلين صحيح عند الجميع.

اجمع المسلمون على خلود الكفار في جهنم

الإعتقادات للصدوق/۵۳:

باب الإعتقاد في الجنة والنار: قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: اعتقادنا في الجنة: أنها دار البقاء ودار السلامة، لا موتٌ فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زوال ولا زمانة ولا هم ولا غم ولا حاجة ولا فقر. وأنها دار الغنى ودار السعادة، ودار المقامة ودار الكرامة، لا يمس أهلها نصب ولا يمسهم فيها لغوب، لهم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون. وأنها دارٌ أهلها جيران الله تعالى وأولياؤه وأحباؤه وأهل كرامته.

وهم أنواع على مراتب: منهم المتنعمون بتقديس الله وتسبيحه وتكبيره في جملة ملائكته، ومنهم المتنعمون بأنواع المآكل والمشارب والفواكه والأرائك وحور العين واستخدام الولدان المخلدين والجلوس على النمارق والزرابي ولباس السندس، كلٌّ منهم إنما يتلذذ بما يشتهي ويريد، على حسب ما تعلقت همته، ويعطى ما عبد الله من أجله.

وقال الصادق عليه السلام: إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أصناف: فصنف منهم يعبدون شوقاً إلى جنته ورجاء ثوابه، فتلك عبادة

الخدام، وصنف منهم يعبدونه خوفاً من ناره، فتلك عبادة العبيد، وصنف منهم يعبدونه حباً له، فتلك عبادة الكرام، وهم الامناء، وذلك قوله عز وجل: وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ.

واعتقادنا فی النار: أنها دار الهوان ودار الإنتقام من أهل الكفر والعصيان، ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك.

الإعتقادات/۸۱:

واعتقادنا فی قتلة الأنبياء (عليهم السلام) وقتلة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) أنهم كفار مشركون مخلدون فی أسفل درك من النار. ومن اعتقد بهم غير ما ذكرناه، فليس عندنا من دين الله فی شئ.

تفسير الإمام العسكری عليه السلام /۵۷۸:

قال الله تعالی: وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ، كان عذابهم سرمداً دائماً، وكانت ذنوبهم كفراً، لا تلحقهم شفاعة نبی ولا وصی، ولا خيِّر من خيار شيعتهم.

التبيان فی تفسير القرآن:۲/۵۲۴:

الخلود فی اللغة هو طول المكث، ولذلك يقال: خلده فی السجن وخلد الكتاب فی الديوان. وقيل للأثافی: خوالد مادامت فی موضعها، فإذا زالت لا تسمی خوالد.

والفرق بين الخلود والدوام: أن الخلود يقتضی (فی) كقولك خلد فی الحبس ولا يقتضی ذلك الدوام، ولذلك جاز وصفه تعالی بالدوام دون الخلود.

إلا أن خلود الكفار المراد به التأبيد بلا خلاف بين الأمة... ومعنی خلودهم فيها استحقاقهم لها دائماً مع ما توجبه من أليم العقاب، فأما من ليس بكافر من فساق أهل الصلاة فلا يتوجه إليه الوعيد بالخلود، لأنه لا يستحق إلا عقاباً منقطعاً به، مع ثبوت استحقاقه للثواب الدائم، لأنه لو كان كذلك لأدی إلی اجتماع استحقاق الثواب الدائم والعقاب الدائم لشخص واحد. والإجماع بخلافه.

الطهارة للشيخ الأنصاری/۳۸۸:

ومن ذلك يعلم الجواب عما دل من الأخبار علی عدم قبول توبته، مثل قوله عليه السلام: من رغب عن الإسلام وكفر بما أنزل علی محمد صلی الله عليه وآله فلا توبة له وقد وجبت عليه وبانت منه امرأته، ويقسم ما ترك علی ولده. هذا مع أن عدم قبول التوبة لا ينافی الإسلام، ودعوی المنافاة من جهة أن عدم القبول مستلزم للخلود فی النار وهو ينافی الإسلام، مدفوع بأنه لا إجماع علی خلود الكافر فی النار مطلقاً حتی مثل هذا بعد التوبة.

هذا مضافاً إلی معارضتها مع عمومات قبول التوبة، حيث أن ظاهرها القبول فيما يتعلق بأمر الآخرة من العقاب، فتدل بظاهرها علی أن المرتد تقبل توبته ولا يخلد فی النار بعد التوبة، بل يدخل الجنة فيكون مسلماً، للإجماع علی خلود الكافر فی النار.

فكما يمكن تقييد هذه بغير المرتد الفطری كذلك يمكن تقييد مثل الرواية والأخبار المستفيضة بعدم قبول التوبة فی دفع ما يحكم عليه بحدث الكفر من مفارقة المال والزوجةوالحياة. وبعد التعارض يجب الرجوع إلی الأصل.

هذا مضافاً إلی قول الباقر عليه السلام المروی فی باب إعادة الحج: من كان مؤمناً فحج وعمل فی إيمانه خيراً ثم أصابته فتنة فكفر ثم تاب وآمن؟ قال: يحسب له كل عمل صالح عمله فی إيمانه ولا يبطل منه شئ.

هذا كله مع أن لنا أن نكتفی بالأصل، ونستدل علی طهارته بما دل علی طهارة المسلمين.

الروايات التی توافق هذا الرأی عند إخواننا السنيين

صحيح البخاری:۷/۲۰۳:

عن أنس (رض) قال قال رسول الله (ص): يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا علی ربنا حتی يريحنا من مكاننا؟ فيأتون

آدم فیقولون أنت الذی خلقک الله بیده ونفخ فیک من روحه وأمر الملائکة فسجدوا لک فاشفع لنا عند ربنا، فیقول: لست هناکم ویذکر خطیئته ویقول: إئتوا نوحاً أول رسول بعثه الله فیأتونه فیقول: لست هناکم، ویذکر خطیئته، إئتوا إبراهیم الذی اتخذه الله خلیلاً، فیأتونه فیقول:لست هناکم، ویذکر خطیئته، ائتوا موسی الذی کلمه الله فیأتونه فیقول: لست هناکم، فیذکر خطیئته، إئتوا عیسی فیأتونه فیقول: لست هناکم، إئتوا محمداً فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فیأتونی فأستأذن علی ربی فإذا رأیته وقعت ساجداً فیدعنی ما شاء الله ثم یقال: إرفع رأسک، سل تعطه، قل یسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسی فأحمد ربی بتحمید یعلمنی ثم أشفع فیحد لی حداً، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً مثله فی الثالثة أو الرابعة حتی ما بقی فی النار إلا من حبسه القرآن. وکان قتادة یقول عند هذا: أی وجب علیه الخلود. انتهی.

وقد روت مصادر السنیین عبارة (إلا من حبسه القرآن) وفسرتها روایاتهم ومفسروهم بالتأبید..

وممن رواها البخاری فی:۸/۱۸۳ کما تقدم

ورواها أیضاً فی:۵/۱۴۷ وفیه (إلا من حبسه القرآن ووجب علیه الخلود. ثم قال البخاری: إلا من حبسه القرآن یعنی قول الله تعالی: خَالِدِینَ فِیهَا).

وقال فی:۷/۲۰۳ (إلا من حبسه القرآن، وکان قتادة یقول عند هذا: أی وجب علیه الخلود).ورواها فی:۸ من/۱۷۳ (إلا من حبسه القرآن ووجب علیه الخلود).

وفی:۸/۱۸۴: إلا من حبسه القرآن، أی وجب علیه الخلود. انتهی.

ورواها مسلم فی:۱/۱۲۴ وص ۱۲۵ وأحمد:۳/۱۱۶ وص ۲۴۴ مثل روایة البخاری الاخیرة.ورواها ابن ماجة:۲/۱۴۴۳، وکنز العمال:۱۴ /۳۹۷ عن أحمد والبیهقی والترمذی وغیرهم.

سنن الترمذی:۴/۹۵:

باب ما جاء فی خلود أهل الجنة وأهل النار: عن أبی هریرة أن رسول الله (ص)قال: یجمع الله الناس یوم القیامة فی صعید واحد ثم یطلع علیهم رب العالمین فیقول ألا یتبع کل إنسان ما کانوا یعبدون...

فإذا أدخل الله تعالی أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتی بالموت ملبباً فیوقف علی السور الذی بین أهل الجنة وأهل النار، ثم یقال: یا أهل الجنة فیطلعون خائفین ثم یقال: یا أهل النار فیطلعون مستبشرین یرجون الشفاعة، فیقال لأهل الجنة ولاهل النار: هل تعرفون هذا؟ فیقولون هؤلاء وهؤلاء: قد عرفناه هو الموت الذی وکل بنا، فیضجع فیذبح ذبحاً علی السور، ثم یقال: یا أهل الجنة خلود لا موت، ویا أهل النار خلود لا موت. هذا حدیث حسن صحیح. ورواه أحمد فی:۲/۳۶۸.

مستدرک الحاکم:۴/۴۹۶:

فإذا أراد الله عز وجل أن لا یخرج منها أحد غیر وجوههم وألوانهم، قال فیجی الرجل فینظر ولا یعرف أحداً فینادیه الرجل فیقول: یا فلان أنا فلان، فیقول: ما أعرفک، فعند ذلک یقول: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فیقول عند ذلک: إخسؤوا فیها ولا تکلمون، فإذا قال ذلک أطبقت علیهم فلا یخرج منهم بشر. هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.

الدر المنثور:۱/۱۶۶:

وأخرج ابن أبی حاتم عن عکرمة فی قوله: وما هم بخارجین من النار قال: أولئک أهلها الذین هم أهلها.

وأخرج ابن أبی حاتم من طریق الأوزاعی قال سمعت ثابت بن معبد قال: ما زال أهل النار یأملون الخروج منها حتی نزلت: وما هم بخارجین من النار.

الدر المنثور:۲/۱۶۳:

وأخرج ابن أبی حاتم عن سعید بن جبیر فی قوله: وإن تک حسنة، وزن ذرة زادت علی سیآته یضاعفها، فأما المشرک فیخفف به عنه

العذاب ولا يخرج من النار أبداً.

الدر المنثور:٦/٢٥٧:

وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى البعث والنشور عن ابن مسعود أنه ذكر عنده الدجال فقال: يفترق ثلاث فرق فرقة تتبعه، وفرقة تلحق بأرض آبائها منابت الشيح، وفرقة تأخذ شط الفرات فيقاتلهم ويقاتلونه حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام... وما يترك فيها أحداً فيه خير، فإذا أراد الله أن لا يخرج منها أحداً غير وجوههم وألوانهم، فيجى الرجل من المؤمنين فيشفع فيقال له من عرف أحداً فيخرجه فيجى الرجل فينظر فلا يعرف أحداً فيقول الرجل للرجل يا فلان أنا فلان فيقول ما أعرفك فيقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فيقول إخسؤوا فيها ولا تكلمون، فإذا قال ذلك أطبقت عليهم فلم يخرج منهم بشر.

مجمع الزوائد:١٠/٣٩٥:

باب الخلود لأهل النار فى النار وأهل الإيمان فى الجنة. عن أنس قال قال رسول الله (ص): يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا، قال فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم ربنا هذا الموت، فيذبح كما يذبح الكبش، فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء. رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط بنحوه والبزار ورجالهم رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحى وهو ثقة.

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله(ص)بعثه إلى اليمن فلما قدم عليه قال: يا أيها الناس إنى رسول رسول الله(ص)إليكم يخبركم أن المرد إلى الله، وإلى جنة أو نار، خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن.

الدر المنثور:٣/٣٥٠:

وأخرج البيهقى فى البعث والنشور عن ابن عباس فى قوله: إلا ما شاء ربك، قال فقد شاء ربك أن يخلد هؤلاء فى النار، وأن يخلد هؤلاء فى الجنة.

وأخرج أبو الشيخ عن السدى فى قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا... الآية، قال: فجاء بعد ذلك من مشيئة الله فنسخها فأنزل الله بالمدينة: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا.. إلى آخر الآية، فذهب الرجاء لأهل النار أن يخرجوا منها وأوجب لهم خلود الابد. وقوله وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا.. الآية قال: فجاء بعد ذلك من مشيئة الله ما نسخها فأنزل بالمدينة: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ..إلى قوله ظلاً ظليلاً، فأوجب لهم خلود الأبد.

الأحكام فى الحلال والحرام:١/٣٥:

وأن من دخل الجنة أو النار من الأبرار والفجار فإنه غير خارج من أيهما، صار إليها وحل بفعله فيها أبد الأبد، لا ما يقول الجاهلون من خروج المعذبين من العذاب المهين إلى دار المتقين ومحل المؤمنين، وفى ذلك ما يقول رب العالمين: خالدين فيها أبداً، ويقول عز وجل: يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ. ففى كل ذلك يخبر أن كل من دخل النار فهو مقيم فيها، غير خارج منها من بعد مصيره إليها، فنعوذ بالله من الجهل والعمى.

سبب خلود أهل النار فيه

الكافى:٢/٨٥:

على بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقرى، عن أحمد بن يونس، عن أبى هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنما خلد أهل النار فى النار، لأن نياتهم كانت فى الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة فى الجنة لأن نياتهم كانت فى الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ، قال على

نیته. ورواه الصدوق فی الهدایة/۱۲ وفی علل الشرائع:۲/۵۲۳ والعیاشیّ فی تفسیره:۲/۳۱۶ والبرقی فی المحاسن:۲/۳۶.

آیات الخلود فی الجنة والنار

وَالَّذِینَ کَفَرُوا وَ کَذَّبُوا بِآیَاتِنَا أُوْلَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۳۹.

بَلَی مَنْ کَسَبَ سَیِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِیئَتُهُ فَأُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. وَالَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِکَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۸۱-۸۲.

خَالِدِینَ فِیهَا لا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ یُنْظَرُونَ. البقرة-۱۶۲.

وَمَنْ یَرْتَدِدْ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَیَمُتْ وَهُوَ کَافِرٌ فَأُولَئِکَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِی الدُّنْیَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۲۱۷.

وَالَّذِینَ کَفَرُوا أَوْلِیَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ یُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلی الظُّلُمَاتِ أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ البقرة: ۲۵۷.

الَّذِینَ یَأْکُلُونَ الرِّبَا لا یَقُومُونَ إلا کَمَا یَقُومُ الَّذِی یَتَخَبَّطُهُ الشَّیْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِکَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَیْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَیْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَی فَلَهُ مَا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إلی اللَّهِ وَ مَنْ عَادَ فَأُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. البقرة: ۲۷۵.

أُولَئِکَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَیْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ الْمَلائِکَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِینَ خَالِدِینَ فِیهَا لا یُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَ لا هُمْ یُنْظَرُونَ إلا الَّذِینَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِکَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ. آل عمران: ۸۷ ـ ۸۹.

إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا لَنْ تُغْنِیَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَیْئًا وَ أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. آل عمران-۱۱۶.

وَمَنْ یَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ یَتَعَدَّ حُدُودَهُ یُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِیهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِینٌ. النساء: ۱۴.

وَمَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِیهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَیْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِیمًا. النساء: ۹۳.

قَالَ النَّارُ مَثْوَاکُمْ خَالِدِینَ فِیهَا إلا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّکَ حَکِیمٌ عَلِیمٌ. الأنعام: ۱۲۸.

وَالَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیَاتِنَا وَاسْتَکْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. الأعراف: ۳۶.

أُولَئِکَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَ فِی النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ. التوبة: ۱۷.

أَلَمْ یَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ یُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِیهَا ذَلِکَ الْخِزْیُ الْعَظِیمُ. التوبة: ۶۳.

وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِینَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْکُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا هِیَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِیمٌ. التوبة: ۶۸.

وَالَّذِینَ کَسَبُوا السَّیِّئَاتِ جَزَاءُ سَیِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ کَأَنَّمَا أُغْشِیَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّیْلِ مُظْلِمًا أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. یونس: ۲۷.

ثُمَّ قِیلَ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إلا بِمَا کُنْتُمْ تَکْسِبُونَ. وَیَسْتَنْبِئُونَکَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِی وَ رَبِّی إِنَّهُ لَحَقٌّ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ. یونس: ۵۲ ـ ۵۳.

فَأَمَّا الَّذِینَ شَقُوا فَفِی النَّارِ لَهُمْ فِیهَا زَفِیرٌ وَ شَهِیقٌ. خَالِدِینَ فِیهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ إلا مَا شَاءَ رَبُّکَ إِنَّ رَبَّکَ فَعَّالٌ لِمَا یُرِیدُ. وَأَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّةِ خَالِدِینَ فِیهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَ الْأَرْضُ إلا مَا شَاءَ رَبُّکَ عَطَاءً غَیْرَ مَجْذُوذٍ. هود: ۱۰۶ ـ ۱۰۸

أُولَئِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِکَ الْأَغْلالُ فِی أَعْنَاقِهِمْ وَ أُولَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ. الرعد: ۵.

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ. النحل-۲۹.

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ یَحْمِلُ یَوْمَ الْقِیَامَةِ وِزْرًا. خَالِدِینَ فِیهِ وَ سَاءَ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیَامَةِ حِمْلا. طه: ۱۰۰ ـ ۱۰۱.

إِنَّکُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ، لَوْ کَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَ کُلٌّ فِیهَا خَالِدُونَ. الأنبیاء: ۹۸ ـ ۹۹.

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِینُهُ فَأُولَئِکَ الَّذِینَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِی جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَ هُمْ فِیهَا کَالِحُونَ. أَلَمْ تَکُنْ آیَاتِی تُتْلَی

عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ. المؤمنون: ۱۰۳ ـ ۱۰۵.

وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. السجدة: ۱۴.

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا. الأحزاب: ۶۵.

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. الزمر: ۷۲.

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. غافر: ۷۶

ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. فصلت: ۲۸

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ. لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ. وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ. الزخرف: ۷۴ ـ ۷۷

وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ. محمد: ۱۵

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. المجادلة: ۱۷

فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. الحشر: ۱۷

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ. التغابن ـ ۱۰

وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. الجن: ۲۳

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ. البينة: ۶

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الأخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ. وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ. يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ. وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ. هود: ۱۰۳ ـ ۱۰۸

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا وَ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ. إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ.البقرة: ۱۶۵–۱۶۷.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ. المائدة: ۳۶ ـ ۳۷

عدم خلود الموحدين فى النار فى مصادرن

تقدم رأى أهل البيت (عليهم السلام) فى شمول الشفاعة للمسلمين بشروط، وأوردنا فيه حديث ابن أبى عمير عن الإمام الكاظم عليه السلام من توحيد الصدوق/۴۰۷ وفيه (لا يخلد الله فى النار إلا أهل الكفر والجحود والضلال والشرك...) انتهى. ورواه المجلسى فى بحار الأنوار:۸/۳۵۱ ووصف الشيخ الأنصارى فى مكاسبه/۳۳۵ روايته بأنها حسنة.

بحار الأنوار:۸/۳۶۱:

عيون أخبار الرضا: فيما كتب الرضا عليه السلام للمأمون من محض الإسلام: إن الله لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة، ولا يخرج من النار كافراً وقد أوعده النار والخلود فيها، ومذنبو أهل التوحيد يدخلون النار ويخرجون منها، والشفاعة جائزة لهم.

بحار الأنوار:۸/۳۶۶:

قال العلامة رحمه الله فى شرحه على التجريد: أجمع المسلمون كافة على أن عذاب الكافر مؤبد لا ينقطع، واختلفوا فى أصحاب

الكبائر من المسلمين، فالوعيدية على أنه كذلك، وذهبت الإمامية وطائفة كثيرة من المعتزلة والأشاعرة إلى أن عذابه منقطع، والحق أن عقابهم منقطع لوجهين:

الأول: أنه يستحق الثواب بإيمانه لقوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، والإيمان أعظم أفعال الخير، فإذا استحق العقاب بالمعصية فإما يقـدم الثواب على العقاب وهو باطل بالإجماع، لأن الثواب المسـتحق بالإيمان دائم على ما تقدم، أو بالعكس وهو المراد، والجمع محال.

الثاني: يلزم أن يكون من عبَد الله تعالى مدة عمره بأنواع القربات إليه، ثم عصى فى آخر عمره معصية واحدة مع بقاء إيمانه، مخلداً فى النار، كمن أشرك بالله مدة عمره! وذلك محال لقبحه عند العقلاء.

الكافى للحلبى/۴۸۱:

إن قيل: فإذا كان الوعيـد ثابتاً بكل معصـية ومن جملته صـريح الخلود والتأبيـد، كيف يتم لكم ما تـذهبون اليه من انقطاع عقاب بعض العصاة؟.

قيـل: ثبوت الوعيـد على كـل معصـية لاـ ينـافى قولنا فى عصاة أهل القبلـة، لأنا نقول بموجبه، وإنما نمنع من دوامه لغير الكفار، وثبوته منقطعـاً يجوز سـقوطه بأحـد مـا ذكرنـاه، ولاـ يمنع منه إجماع ولا ظاهر قرآن، من حيث كان الإجماع حاصـلاً باسـتحقاق العقاب دون دوامه... وإنما يعلم به دوام عقاب الكفر.

الكافى للحلبى/۴۹۲:

وأهل النار من الأولين والآخرين ضـربان: كفار مخلـدون وإن زاد عقاب بعض على بعض بحسب كفره، وفساق مقطوع على خروجهم من النار بعفو مبتـدأ، أو عنـد شـفاعة، أو انتهاء عقابهم إلى غاية مسـتحقه، وحالهم فى مراتب التعذيب بحسب عصـيانهم. ولا يجوز أن يبلغ عقابهم فى العظم عقاب الكفار، لإقتران ما اسـتحقوا به العقاب من المعصية بالمعرفة بالمعصى تعالى والخوف منه والرجاء لفضله، وتسويف التوبة، وانتفاء ذلك أجمع عن عصيان الكفار. ولا سبيل إلى العلم بمقدار إقامتهم فيها.

عدم خلود الموحدين فى النار فى مصادر السنيين

صحيح البخارى:۱/۱۹۵:

عن أبى هريرة: أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامـة؟ قال: هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سـحاب؟ قالوا لا، يا رسول الله. قال: فهل تمارون فى الشـمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا، قال: فإنكم ترونه كذلك. يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبـد شـيئاً فليتبع، فمنهم من يتبع الشـمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت. وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله عز وجـل فيقول أنـا ربكم! فيقولون: هـذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا! فيـدعوهم فيضـرب الصـراط بين ظهرانى جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسـل يومئذ: اللهم سـلم سـلم، وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا نعم، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لاـ يعلم قـدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو، حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السـجود، فيخرجون من النـار، فكـل ابن آدم تـأكله النـار إلا أثر السـجود، فيخرجون من النار قـد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل... ورواه البخارى أيضاً فى:۷/۲۰۵.

صحيح البخارى:۱/۱۶:

عن أنس عن النبى(ص)قـال: يخرج من النـار من قال: لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شـعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله الا الله

وفی قلبه وزن برة من خیر، ویخرج من النـار من قـال: لا إله إلا الله وفی قلبه وزن ذرة من خیر، قال أبو عبـد الله قال أبان، حـدثنا قتادة، حدثنا أنس عن النبی (ص): من إیمان، مكان خیر.

صحیح البخاری:۷/۲۰۲:

عن جابر (رض) أن النبی(ص)قال: یخرج من النار بالشفاعة كأنهم الثعاریر! قلت: ما الثعاریر؟ قال الضغابیس! وكان قد سقط فمه فقلت لعمرو بن دینار: أبا محمد سمعت جابر بن عبد الله یقول: سمعت النبی(ص)یقول: یخرج بالشفاعة من النار؟ قال: نعم.

حـدثنا هدبـة بن خالـد، حدثنا همام، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك عن النبی (ص) قال: یخرج قوم من النار بعدما مسـهم منها سـفع فیدخلون الجنة فیسمیهم أهل الجنة الجهنمیین...

عن أبی سـعید الخـدری (رض) أن النبی(ص)قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار یقول الله: من كان فی قلبه مثقال حبة من خردل من إیمان فأخرجوه، فیخرجون قد امتحشوا وعادوا حمماً، فیلقون فی نهر الحیاة فینبتون كما تنبت الحبة فی حمیل السیل، أو قال حمیة السیل، وقال النبی (ص): ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتویة.

وفی/۲۰۳:

عمران بن حصین (رض) عن النبی(ص)قال: یخرج قوم من النار بشفاعة محمد(ص)فیدخلون الجنة، یسمون الجهنمیین.

سنن النسائی:۲/۲۲۹:

عن الزهری، عن عطاء بن یزید قال: كنت جالساً إلی أبی هریرة وأبی سعید فحدث أحدهما حدیث الشفاعة والآخر منصت، قال: فتأتی الملائكـة فتشـفع وتشـفع الرسـل، وذكر الصـراط، قال قال رسول الله (ص): فأكون أول من یجیز، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بین خلقه، وأخرج من النار من یریـد أن یخرج أمر الله الملائكـة والرسل أن تشـفع، فیعرفون بعلاماتهم أن النار تأكل كل شـئ من ابن آدم إلا موضع السجود، فیصب علیهم من ماء الجنة فینبتون كما تنبت الحبة فی حمیل السیل.

الدر المنثور:۳/۳۴۹:

أما قوله فمنهم شـقی وسـعید، فهم قوم من أهل الكبائر من أهل هذه القبلة یعذبهم الله بالنار ما شاء بذنوبهم، ثم یأذن فی الشفاعة لهم، فیشـفع لهم المؤمنون فیخرجهم من النار فیدخلهم الجنة، فسـماهم أشقیاء حین عذبهم فی النار. فأما الذین شقوا ففی النار لهم فیها زفیر وشـهیق خالدین فیها مادامت السـموات والأرض إلا ما شاء ربك، حین أذن فی الشـفاعة لهم وأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، وهم هم. وأما الـذین سـعدوا یعنی بعـد الشـقاء الـذی كانوا فیه، ففی الجنة خالدین فیها ما دامت السـموات والأرض إلا ما شاء ربك، یعنی الذین كانوا فی النار.

الدر المنثور:۲/۲۸۰:

قوله تعالی (إِنَّ الَّذِینَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ) الایتین: أخرج مسـلم وابن المنـذر وابن أبی حاتم وابن مردویه عن جابر بن عبـد الله أن رسول الله(ص)قال: یخرج من النار قوم فیدخلون الجنة، قال یزید بن الفقیر: فقلت لجابر بن عبد الله: یقول الله یریدون أن یخرجوا من النار وما هم بخارجین منها؟ قال: أتل أول الآیة: إِنَّ الَّذِینَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِی الْأَرْضِ جَمِیعًا وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لِیَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ یَوْمِ الْقِیَامَةِ، ألا إنهم الذین كفروا.

وأخرج البخـاری فی الأدب المفرد وابن مردویه والبیهقی فی الشـعب عن طلق بن حبیب قال: كنت من أشـد الناس تكـذیباً للشـفاعة، حتی لقیت جـابر بن عبـدالله فقرأت علیه كل آیـة أقـدر علیها یـذكر الله فیها خلود أهل النار، قال: یا طلق أتراك أقرأ لكتاب الله وأعلم لسـنة رسول الله(ص)منی؟! إن الذین قرأت هم أهلها هم المشركون، ولكن هؤلاء قوم أصابوا ذنوباً ثم خرجوا منها، ثم أهوی بیده إلی أذنیه فقال: صمَّتا إن لم أكن سمعت رسول الله(ص)یقول: یخرجون من النار بعد ما دخلوا، ونحن نقرأ كما قرأت.

وأخرج ابن جریر عن عكرمـة أن نـافع بن الازرق قال لابن عباس: وَمَا هُمْ بِخَارِجِینَ مِنْهَا؟ فقال ابن عباس: ویحك إقرأ ما فوقها، هـذه

للکفار.

وأخرج عبد بن حمید عن عکرمة قال: إن الله إذا فرغ من القضاء بین خلقه أخرج کتاباً من تحت عرشه فیه: رحمتی سبقت غضبی وأنا أرحم الراحمین قال فیخرج من النار مثل أهل الجنة، أو قال مثلی أهل الجنة، مکتوب هاهنا منهم، وأشار إلی نحره عتقاء الله تعالی.

فقال رجل لعکرمة: یا أبا عبدالله فإن الله یقول: یُرِیدُونَ أَنْ یَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِینَ مِنْهَا؟ قال: ویلک أولئک هم أهلها الذین هم أهلها.

الدر المنثور:۲/۱۱۱:

ابن جریر والحاکم عن عمرو بن دینار قال: قدم علینا جابر بن عبد الله فی عمرة فانتهیت إلیه أنا وعطاء فقلت: وما هم بخارجین من النار؟ قال: أخبرنی رسول الله(ص)أنهم الکفار، قلت لجابر فقوله: إنک من تدخل النار فقد أخزیته؟ قال وما أخزاه حین أحرقه بالنار؟! وإن دون ذلک خزیاً.

الدر المنثور:۴/۹۳:

وأخرج ابن أبی حاتم وابن شاهین فی السنة عن علی بن أبی طالب (رض) قال قال رسول الله (ص): إن أصحاب الکبائر من موحدی الأمم کلها الذین ماتوا علی کبائرهم غیر نادمین ولا ـ تائبین، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعینهم ولا تسود وجوههم، ولا یقرنون بالشیاطین ولا یغلون بالسلاسل، ولا یجرعون الحمیم ولا یلبسون القطران، حرم الله أجسادهم علی الخلود من أجل التوحید... الخ. وقد تقدم ذلک فی روایات الرأی الثانی القائل بأن التوحید وحده کاف لدخول الجنة، وأن الموحدین کلهم یخرجون من جهنم ویدخلون الجنة، ویسمون الجهنمیین، ویلاحظ کثرة روایات الجهنمیین فی مصادر السنیین.

الإمام الصادق للشیخ محمد أبی زهرة/۲۲۷:

اتفقت الإمامیة علی أن من عذب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة لم یخلد فی العذاب... وإن هذا الرأی... یتفق مع رأی الجمهور... وقد نسبه إلیه (الإمام جعفر الصادق علیه السلام) أبو جعفر القمی...

شرح مسلم للنووی:۱/۶۹:

لا یخلد فی النار أحد مات علی التوحید، وهذه قاعدة متفق علیها عند أهل السنة.

روایات فی الصحاح تقول بخلود الموحدین فی النار

ولکن توجد فی مصادر السنیین أحادیث تعارض الإجماع المذکور والأحادیث المتقدمة، وتنص علی خلود بعض الأصناف من أهل القبلة فی جهنم!

کالذی رواه النسائی فی:۴/۶۶:

عن أبی هریرة، عن النبی(ص)قال: من تردی من جبل فقتل نفسه فهو فی نار جهنم یتردی خالداً مخلداً فیها أبداً. ومن تحسَّی سماً فقتل نفسه فسمه فی یده یتحساه فی نار جهنم خالداً مخلداً فیها أبداً. ومن قتل نفسه بحدیدة... کانت حدیدته فی یده یجأ بها فی بطنه فی نار جهنم خالداً مخلداً فیها أبداً. ورواه أحمد فی:۲/۲۵۴ وبعضه أبو داود فی:۲/۲۲۲.

وکالذی رواه الدارمی فی:۲/۲۶۶:

عن أبی أمامة أن رسول الله(ص)قال: من اقتطع حق امرئ مسلم بیمینه فقد أوجب الله له النار، وحرم علیه الجنة. فقال له رجل: وإن کان شیئاً یسیراً یا رسول الله! قال: وإن قضیبا من أراک!!

والذی رواه ابن ماجة فی:۲/۸۷۶ ح ۲۶۲۳:

عن أبی شریح الخزاعی قال: قال رسول الله (ص): من أصیب بدم أو خبل (والخبل الجرح) فهو بالخیار بین إحدی ثلاث، فإن أراد

الرابعة فخذوا علی یدیه: أن یقتل، أو یعفو، أو یأخذ الدیة. فمن فعل شیئاً من ذلک فعاد، فإن له نار جهنم خالداً مخلداً فیها أبداً. انتهی.

والذی رواه الطبرانی فی المعجم الکبیر:۱۲/۸:

عن ابن عباس: ومن یقتل مؤمناً متعمداً قال: لیس لقاتل توبة ما نسختها آیة!

وقال النیسابوری فی الوسیط:۲/۹۶: وقوله: فجزاؤه جهنم خالداً فیها..إلی آخر الآیة، وعیدٌ شدیدٌ لمن قتل مؤمناً متعمداً حرم الله قتله وحظر سفک دمه، وقد وردت فی قتل المؤمن أخبار شداد، فإن ابن عباس سأله رجل فقال: رجل قتل مؤمناً متعمداً؟ فقال ابن عباس: جزاؤه جهنم خالداً فیها، قال: فإن تاب وآمن وعمل صالحاً؟ فقال ابن عباس: وأَنَّی له التوبة، وقد سمعت نبیکم یقول: ویحٌ له قاتل المؤمن...

عن القاسم بن أبی بزة أنه سأل سعیداً: هل لمن قتل مؤمناً توبة؟ فقال لا... وعن حمید عن أنس عن النبی قال: إن الله أبی أن یجعل لقاتل المؤمن توبة... وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله: والذی نفسی بیده لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنیا...

ومذهب أهل السنة: أن قاتل المؤمن عمداً له توبة، عن عطاء عن ابن عباس أن رجلاً سأله: ألقاتل المؤمن توبة؟ فقلت لک توبة، لکی لا یلقی بیده إلی التهلکة. انتهی.

ولکن هذه الروایة التی استندوا علیها عن ابن عباس تؤکد عدم قبول توبته، ولا تدل علیها! فلا بد لهم من طرح روایات خلود قاتل المسلم فی النار وأمثالها، والقول بأن روایاته تشدیدٌ من الرواة لتخویف القاتل فی مجتمع کان یستسهل القتل!

وقد حاول النووی تأویلها فقال فی شرح مسلم:۹ جزء ۱۷/۸۳:

وأما قوله تعالی: وَمَنْ یَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِیهَا، فالصواب فی معناها أن جزاؤه جهنم، وقد یجازی به وقد یجازی بغیره، وقد لا یجازی بل یعفی عنه، فإن قتل عمداً مستحلاً له بغیر حق ولا تأویل فهو کافر مرتد، یخلد به فی جهنم بالإجماع... ثم أخبر أنه لا یخلد من مات موحداً فیها، فلا یخلد هذا ولکن قد یعفی عنه فلا یدخل النار أصلاً... انتهی.

وقد تضمنت محاولة النووی عدة وجوه ضعیفة، أقواها: القول بأن القاتل عمداً یخرج بقتله عن التوحید فیجری علیه حکم المشرک فی الآخرة.

ونحن نعتقد بصحة الأحادیث التی تقول إن بعض الأعمال توجب سلب التوحید من صاحبها قبل الموت، فلا یموت علی التوحید کما سیأتی، ولکن ذلک یحتاج فی موردنا إلی دلیل.

ما دل من مصادرنا لی أن الدار الآخرة لا موت فیه

بحار الأنوار:۸/۳۴۹:

الکافی: علی، عن أبیه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: قال النبی صلی الله علیه وآله وساق الحدیث فی مراتب خلق الأشیاء یغلب کل واحد منها الآخر حیث بغی وفخر، إلی أن قال: ثم إن الإنسان طغی وقال: من أشد منی قوة؟ فخلق الله له الموت وقهره وذل الإنسان، ثم إن الموت فخر فی نفسه، فقال الله عز وجل لا- تفخر فإنی ذابحک بین الفریقین أهل الجنة وأهل النار، ثم لا أحییک أبداً فترجی أو تخاف.. الحدیث.

تذنیب: إعلم أن خلود أهل الجنة فی الجنة مما أجمع علیه المسلمون، وکذا خلود الکفار فی النار ودوام تعذیبهم، قال شارح المقاصد: أجمع المسلمون علی خلود أهل الجنة فی الجنة وخلود الکفار فی النار.

فإن قیل: القوی الجسمانیة متناهیة، فلا یعقل خلود الحیاة، وأیضاً الرطوبة التی هی مادة الحیاة تفنی بالحرارة سیما حرارة نار جهنم، فیفضی إلی الفناء ضرورة، وأیضاً دوام الإحراق مع بقاء الحیاة خروج عن قضیة العقل!

قلنا: هذه قواعد فلسفة غير مسلمة عند المليين، ولا صحيحة عند القائلين بإسناد الحوادث إلى القادر المختار، على تقدير تناهى القوى وزوال الحياة، لجواز أن يخلق الله البدل فيدوم الثواب والعقاب، قال الله تعالى: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ.

تفسير القمى:۲/۵۰:

وقال على بن إبراهيم فى قوله: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ.، فإنه حدثنى أبى، عن الحسن بن محبوب، عن أبى ولاد الحناط، عن أبى عبد الله عليه السلام قال سئل عن قوله: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ؟ قال: ينادى مناد من عند الله، وذلك بعد ما صار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار: يا أهل الجنة ويا أهل النار هل تعرفون الموت فى صورة من الصور؟ فيقولون لا، فيؤتى بالموت فى صورة كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادون جميعاً: أشرفوا وانظروا إلى الموت فيشرفون، ثم يأمر الله به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت أبداً، ويا أهل النار خلود فلا موت أبداً. وهو قوله: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ. أى قضى على أهل الجنة بالخلود، وعلى أهل النار بالخلود فيها.

ما دل من مصادر السنيين على أن الدار الآخرة لا موت فيه

صحيح البخارى:۷/۲۰۰:

عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة لا ـ موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم. ورواه أحمد فى: ۲/۱۱۸ وص ۱۲۰ وص ۱۲۱.

وفى مسند أحمد:۲/۱۳۰:

عن عبد الله بن عمر قال: إن رسول الله(ص)قال: يدخل أهل الجنة الجنة، قال أبى وحدثناه سعد قال: يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار، لا موت، كل خالد فيما هو فيه. ورواه الترمذى فى:۴/۹۵.

وفى الدر المنثور:۴/۲۷۲:

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود (رض) فى قوله: وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يأتى الموت فى صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنة والنار، ثم ينادى منادى أهل الجنة: هذا الموت الذى كان يميت الناس فى الدنيا، ولا يبقى أحد فى عليين ولا فى أسفل درجة من الجنة إلا نظر إليه، ثم ينادى يا أهل النار هذا الموت الذى كان يميت الذى فى الدنيا، فلا يبقى أحد فى ضحضاح من النار ولا فى أسفل درك من جهنم إلا نظر إليه، ثم يذبح بين الجنة والنار، ثم ينادى يا أهل الجنة هو الخلود أبد الآبدين، ويا أهل النار هو الخلود أبد الآبدين، فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتاً من فرحة ماتوا، ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً من شهقة ماتوا، فذلك قوله: وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر، يقول إذا ذبح الموت.

وقال الرازى فى تفسيره:۱۳ جزء ۲۶/۱۳۹:

إن أهل الجنة لا ـ يعلمون فى أول دخولهم فى الجنة أنهم لا ـ يموتون، فإذا جى بالموت على صورة كبش أملح وذبح، فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون.

وقال فى الأحاديث القدسية:۱/۱۶۰:

شرح حديث ذبح الموت وأنه يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط.. الخ. وإنه لا مانع عقلاً من أن يخلق الله تعالى الموت على صوررة حيوان ويوقف ويذبح... ونحن نؤمن بما ثبت عن رسول الله، ولا نبحث عن كيفية تحقيقه.انتهى.

عودة إلى رأى عمر بفناء النار

فى هـذا الجو من آيات الخلود فى النار وإجماع المسلمين على خلود الجنة والنار.. نرى الخليفة عمر من دون الصحابة يخالف المتفق عليه بين الجميع ويقول بفناء النار وانتهائها، ونقل أهلها إلى الجنة!!

وقد أخذ الخليفة ذلك من بعض أحبار اليهود الذين كان يثق بعلمهم، لأن من مقولاتهم أن الله تعالى وعد يعقوب بأن لا يدخل أبناءه إلى النار إلا تحلة القسم، وأن النار أساساً عمرها قصير ثم تنتهى وتهلك!!

وقد تقدم عنهم ذلك فى تفسير قوله تعالى (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) فى فصل الشفاعة عند اليهود!!

ونظراً لغرابة هذا الرأى حاول البعض التشكيك فى نسبته إلى الخليفة عمر، ولكنه ثابت عنه عند المحدثين والمؤرخين والمتكلمين كما تقدم ويأتى! وأكثر أتباع الخليفة لا يعرفون رأيه هذا، فبعضهم ينكره.. وبعضهم (يستحى) به.. ولكن بعضهم تجرأ وكتب رداً عليه!

قال فى مقدمة فتح القدير:۱/۹:

للشوكانى مؤلفات، منها كتاب نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار... وكشف الأستار فى إبطال القول بفناء النار. انتهى.

وأكثر المتحمسين لتأييد رأى عمر ابن قيم الجوزية فى رسالته حادى الأرواح تبعاً لأستاذه ابن تيمية. ومن المتأخرين الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار:۸/۶۸

حيث أورد فى كتابه رسالة ابن قيم كاملة، وهى تبلغ نحو خمسين صفحة، ولم يأت صاحب المنار بجديد سوى المدح والغلو فى ابن قيم.. لأنه مفكر إسلامى نابغة استطاع أن يحل المشكلة ويثبت رأى الخليفة بخمس وعشرين دليلاً!

وتدور رسالة ابن قيم على محور واحد هو أن النار تفنى كما يخرب السجن فلا يبقى محل لأهلها إلا أن ينقلوا إلى الجنة، وهو كلامٌ لم يقله عمر!!

قال ابن قيم وهو يعدد الأقوال فى الخلود فى جهنم:

السابع: قول من يقول بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى، فإنه جعل لها أمداً تنتهى إليه، ثم تفنى ويزول عذابها.

قال شيخ الإسلام (ابن تيمية): وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبى هريرة وأبى سعيد وغيرهم، وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث فى تفسيره المشهور: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن، قال قال عمر: لو لبث أهل النار فى النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه.

وقال: حدثنا حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: لو لبث أهل النار فى النار عدد رمل عالج، لكان لهم يوم يخرجون فيه. ذكر ذلك فى تفسير ثابت عند قوله تعالى (لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا) فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ، وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال، وكلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به، وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الإسناد جلالة، والحسن وإن لم يسمع من عمر فإنما رواه عن بعض التابعين، ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال قال عمر بن الخطاب، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداولُ هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد، مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا، فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة، لكانوا أول منكر له.

قال: ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها، فأما قوم أصيبوابذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها، وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه، ولفظ أهل النار لا يختص (يقصد لا يطلق) بالموحدين بل يختص بمن عداهم، كما قال النبى (ص) (أما أهل النار الذين هم أهلها فهم لا يموتون فيها ولا يحيون) ولا يناقض هذا قوله تعالى (خَالِدِينَ فِيهَا) وقوله (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذى لا يقع خلافه. لكن إذا انقضى

أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا، لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب). انتهى.

وقد استدل ابن قيم على رأى الخليفة عمر بخمس وعشرين وجهاً! لا نطيل الكلام بسردها وردها، لأنها ماعدا واحد منها وجوه خطابية استحسانية، وليست علمية، ويكفى فى جوابها جميعاً أنها لا ـ تنهض بمعارضة الآيات والأحاديث المتقدمة الدالة على خلود بعض الفجار فى النار، ولا على معارضة الإجماع الذى تقدم من الفريقين!

أما الوجه الذى يحسن التعرض له فهو قول ابن القيم:

فصل. والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق:

أحدها: اعتقاد الإجماع، فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين، لا ـ يختلفون فيه، وأن الإختلاف فيه حادث، وهو من أقوال أهل البدع.

الطريق الثانى: أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية، فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم، وأنه لا يفتر عنهم، وأنه لن يزيدهم إلا عذاباً، وأنهم خالدون فيها أبداً، وما هم بخارجين من النار، وما هم منها بمخرجين، وأن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا، ولا يخفف عنهم من عذابها، وأن عذابها كان غراماً أى مقيماً لازماً.. قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره.

الطريق الثالث: أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار، وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة فى خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان.

الطريق الرابع: أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين، كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها.

الطريق الخامس: أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تفنيان بل هما دائمتان، وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع.

الطريق السادس: أن العقل يقضى بخلود الكفار فى النار. وهذا مبنى على قاعدة وهى أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أو لا يعلم إلا بالسمع فيه طريقتان لنظار المسلمين، وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن فى غير موضع كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوى بين الأبرار والفجار فى المحيا والممات، وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثا وأنهم إليه لا يرجعون وأنه يتركهم سدى أى لا يثيبهم ولا يعاقبهم، وذلك يقدح فى حكمته وكماله وأنه نسبة إلى ما لا يليق به. وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها، بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولاً قال تعالى (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا ـ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فهؤلاء ـ قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا، وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضى به العقل كما جاء به السمع.انتهى.

ثم قال ابن قيم:

قال أصحاب الفناء على هذه الطرق يبين الصواب فى هذه المسألة:

فأما الطريق الأول فالإجماع الذى ادعيتموه غير معلوم وإنما يظن الإجماع فى هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع بها قديماً وحديثاً، بل لو كلف مدعى الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال إن النار لا تفنى أبداً لم يجد إلى ذلك سبيلًا، ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك، فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك، بل التابعون حكوا عنهم هذا

وهذا، قالوا والإجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه، ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة:

النوع الأول ما يكون معلوماً من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة.

الثاني ما ينقل عن أهل الإجتهاد التصريح بحكمه.

الثالث أن يقول بعضهم القول وينشر في الأمة ولا ينكره أحد. فأين معكم واحد من هذه الانواع، ولو أن قائلًا ادعى الإجماع من هذه الطريق واحتج بأن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه، لكان أسعد بالإجماع منكم!

قالوا: وأما الطريق الثاني وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها، فأين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك، نعم الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدون في النار أبداً، وأنهم غير خارجين منها، وأنه لا يفتر عنهم من عذابها، وأنهم لا يموتون فيها، وأن عذابهم فيها مقيم، وأنه غرام أي لازم لهم. وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، وليس هذا مورد النزاع، وإنما النزاع في أمر آخر (!!) وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها، ولا- يقضى عليهم فيموتوا، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة. وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود (!!) والاتحادية وبعض أهل البدع، وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها، فالفرق كالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

قالوا: وأما الطريق الثالث وهو مجي السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك، فهي حق لا شك فيه، وهي إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهي دار عذاب لم تفن، ويبقى المشركون فيها ما دامت باقية. والنصوص دلت على هذا وعلى هذا.

قالوا: وأما الطريق الرابع وهو أن رسول الله(ص)وقفنا على ذلك ضرورة، فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية، هذا معلوم من دينه بالضرورة، وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك!! انتهى.

وقد ذكر في ٧٩: قول أهل السنة (إن الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية) وأجاب عليه بقوله (فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بني آدم وآرائهم واختلافهم...) انتهى.

ونلاحظ أن ابن قيم اعترف بأن الذين نفوا خلود النار هم اليهود والإتحادية من الوثنيين والماديين، ثم قام بتغيير موضوع النزاع في المسألة، لكي يوفق بين إجماع المسلمين على الخلود في النار وبين قول عمر بفنائها، وعمدة ماقاله: إنه لا مانع أن نقول خالدين فيها إذا لم تخرب، كما نقول مؤبدٌ في السجن مادام السجن موجوداً ولم يخرب. يريد بذلك أن أهل النار إنما ينقلون إلى الجنة بسبب خرابها!

ولو سلمنا هذا المنطق في المسألة، فأين دليله على خراب السجن أو جهنم؟!

يكفي لرد ذلك أنه لو كان له أصلٌ في الإسلام لكثرت فيه الآيات والأحاديث!

ولو كان له أصلٌ لاحتج به الخليفة، وذكر ولو كلمةً عن فناء النار، وما اقتصر على رمل عالج!!

إن فذلكات ابن قيم وأمثاله لا يمكنها أن تقاوم ما تقدم من الآيات والأحاديث والإجماع، ولا أن تقلب معاني ألفاظ اللغة فتلغي معنى الدوام والتأبيد والخلود وتجعلها كلها لزمن محدود ينتهي.

وقد اغتر بهذه الفذلكة بعضهم وقال: ليس في اللغة العربية كلمة للوقت الممتد بلا انقطاع! وخير جواب لهؤلاء أن نسألهم: إذا أردتم التعبير بالعربية عن هذا المعنى فبماذا تعبرون؟ فلابد أنهم سيستعملون ألفاظاً من مادة الدوام والتأبيد والخلود..وهي المواد التي استعملها القرآن والحديث!!

الجهمیة أخذت من الخلیفة عمر

قال الأشعری فی مقالات الإسلامیین/۱۴۸:

واختلفت المرجئة فی تخلید الله الکفار... فقالت الفرقة الأولی منهم وهم أصحاب جهم بن صفوان: الجنة والنار تفنیان وتبیدان ویفنی أهلهما... وأنه لا یجوز أن یخلد الله أهل الجنة فی الجنة، وأهل النار فی النار!!

وفی/۲۷۹:

والذی تفرد به جهم القول بأن الجنة والنار تبیدان وتفنیان!

تأویلات أهل السنة/۷۵-۷۶:

الرد علی الجهمیة فی قولهم بفناء الجنة وما فیها، وقوله وَهُمْ فِیهَا خَالِدُونَ أی مقیمون أبداً، فالآیة ترد علی الجهمیة قولهم لأنهم یقولون بفناء الجنة... لکن ذلک وهمٌ عندنا، لأن الله تعالی هو الأول بذاته.. والباقی بذاته، والجنة وما فیها باقیة بغیرها. إن الله تعالی جعل الجنة داراً مطهرة عن المعایب کلها.. ولو کان آخرها للفناء لکان فیها أعظم المعایب إذ المرء لا یهنأ بعیش إذا نقص علیه بزواله. فلو کان آخره للزوال کانت نعمته منغصه علی أهلها...

تأویلات أهل السنة/۱۲۱:

الرد علی الجهمیة فی قولهم بفناء الجنة والنار وانقطاع ما فیهما: وَالَّذِینَ کَفَرُوا وَکَذَّبُوا بِآیَاتِنَآ أُوْلَئِکَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ، تنقض علی الجهمیة قولهم... فلو کانت الجنة تفنی وینقطع ما فیها لکان فیها خوف وحزنٌ لأن من خاف فی الدنیا زوال النعمة عنه وفوتها یحزن علیه.. فأخبر عز وجل أن لا خوف علیهم فیها، خوف التبعة ولا حزن فوات النعمة، ولا هم یحزنون، دل علی أنها باقیة وأن نعیمها دائم لا یزول، وکذلک أخبر عز وجل أن الکفار فی النار خالدون.

والمرجئة أخذوا من عمر

تاریخ الإسلام للذهبی:۱۳/۱۶۰:

وکان أبو المطیع فیما نقل الخطیب من رؤوس المرجئة.. وذکروا عنه أنه کان یقول: الجنة والنار خلقتا وستفنیان، وهذا کلام جهم.

و ابن العاص أخذ من عمر

فتح القدیر للشوکانی:۲/۶۵۸:

عن ابن عمرو قال: لیأتین علی جهنم یوم تصفق فیه أبوابها لیس فیها أحد. ثم قال صاحب الکشاف: ما کان لابن عمرو فی سیفیه ومقاتلته بهما علیاً ما یشغله عن تسییر هذا الحدیث! انتهی.

ویقصد الزمخشری أن عبد الله بن عمرو بن العاص راوی هذا الحدیث لا یوثق به، لأنه کان مبغضاً لعلی علیه السلام وقد قاتله فی صفین بسیفین، وکان الأولی به أن یکتفی بفعلته تلک ولا ینقل مثل هذه الأحادیث الخارجة عن إجماع المسلمین!

قال فی هامش اختیار معرفة الرجال:۱/۱۵۷: وقال فی الکشاف: وماظنک بقوم نبذوا کتاب الله لما روی لهم بعض النوابت عبد الله بن عمرو بن العاص: لیأتین علی جهنم یوم تصفق فیه أبوابها لیس فیها أحد وذلک بعدما یلبثون أحقابا. وبلغنی أن من الضلال من اغتر بهذا الحدیث فاعتقد أن الکفار لا یخلدون فی النار، وهذا ونحوه والعیاذ بالله من الخذلان المبین زادنا الله هدایة إلی الحق ومعرفة بکتابه وتنبهاً علی أن نغفل عنه. ولئن صح هذا عن ابن ابن العاص فمعناه أنهم یخرجون من حر النار إلی برد الزمهریر، فذلک خلق جهنم وصفق أبوابها، وأقول: أما کان لابن عمرو فی سیفیه ومقاتلته بهما علی بن أبی طالب (رض) ما یشغله عن تسییر هذا الحدیث.

انتهى قول الكشاف.

و رووا عن ابن مسعود أنه وافق عمر

الدر المنثور:۳/۳۵۰:

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن إبراهيم قال: ما فى القرآن آية أرجى لأهل النار من هذه الآية: خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ قال وقال ابن مسعود: ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها.

وفى تفسير التبيان:۶/۶۸ وروى عن ابن مسعود أنه قال: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد أن يلبثوا فيها أحقاباً.

و الشعبى أخذ من عمر

تفسير التبيان:۶/۶۸:

وقال الشعبى: جهنم أسرع الدارين عمراناً، وأسرعهما خراباً.

ويلاحظ على رواياتهم عن ابن العاص وابن مسعود والشعبى أن جهنم تبقى ولكن تفرغ وينقل أهلها إلى الجنة! وهذا هو موضوع كلام عمر، لا ماادعاه ابن قيم!

و المعتزلة أخذت من عمر

الملل والنحل للشهرستانى ـ هامش الفصل:۱/۶۴:

الخامسة: قوله (أبو الهذيل) إن حركات أهل الخلدين تنقطع، وإنهم يصيرون إلى سكون دائم خموداً، وتجتمع اللذات فى ذلك السكون لأهل الجنة، وتجتمع الآلام فى ذلك السكون لأهل النار.

و الجاحظ أخذ من عمر

الملل والنحل ـ هامش الفصل:۱ جزء ۱/۹۵:

أقوال الجاحظ التى انفرد بها عن أصحابه..منها: قوله فى أهل النار إنهم لا يخلدون فيها عذاباً، بل يصيرون إلى طبيعة النار.

و ابن عربى والجيلى أخذا من عمر

قال فى تفسير المنار:۸/۷۰:

ويدخل فيه أنها تفنى كما تقول الجهمية، أو تتحول إلى نعيم كما قال الشيخ محيى الدين بن العربى وعبد الكريم الجيلى من الصوفية.

اما عمر فقد أخذ من كعب الأحبار واليهود

سيرة ابن هشام:۲/۳۸۰:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ

قال ابن إسحاق: وحدثنى مولى لزيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: قدم رسول الله(ص)المدينة واليهود تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس فى النار بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً فى النار من

أيام الآخرة، وإنما هى سبعة أيام ثم ينقطع العذاب!!

فأنزل الله فى ذلك من قولهم: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاـ تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ، أى من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به حتى يحيط كفره بماله عند الله من حسنة، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. أى خلداً أبداً. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أى من آمن بما كفرتم به وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها، يخبرهم أن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً، ولا انقطاع له.

الدر المنثور:١/٨۴:

قوله تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ الآية. أخرج ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى والواحدى عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة... الخ. ورواه فى مجمع الزوائد: ۶/٣١۴.

تفسير التبيان:١/٣٢٣:

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، وإنما لم يبين عددها فى التنزيل، لأنه تعالى أخبر عنهم بذلك وهم عارفون بعدد الايام التى يوقتونها فى النار، فلذلك نزل تسمية عدد الايام وسماها معدودة لما وصفنا.

وقال أبو العالية وعكرمة والسدى وقتادة: هى أربعون يوماً. ورواه الضحاك عن ابن عباس. ومنهم قال: إنها عدد الايام التى عبدوا فيها العجل.

وقال ابن عباس: إن اليهود تزعم أنهم وجدوا فى التوراة مكتوباً إن ما بين طرفى جهنم مسيرة أربعين سنة، وهم يقطعون مسيرة كل سنة فى يوم واحد، فإذا انقطع المسير انقطع العذاب، وهلكت النار!!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۶/٢٨۵:

وأخرج ابن مردويه عن عبد الرحمن بن ميمون أن كعباً دخل يوماً على عمر بن الخطاب فقال له عمر: حدثنى إلى ما تنتهى شفاعة محمد يوم القيامة؟ فقال كعب قد أخبرك الله فى القرآن إن الله يقول: ما سلككم فى سقر... إلى قوله اليقين قال كعب: فيشفع يومئذ حتى يبلغ من لم يصل صلاة قط، ويطعم مسكيناً قط، ومن لم يؤمن ببعث قط، فإذا بلغت هؤلاء لم يبق أحد فيه خيرا! انتهى.

وقد ذكرنا أن كلام كعب هذا يحتل وجهين لأن قوله: حتى يبلغ، وقوله فإذا بلغت، قد يقصد بهما أن الشفاعة تبلغ هؤلاء المكذبين بيوم الدين الذين لم يفعلوا خيراً قط! فلا يبقى أحد فى النار وتنتهى. وقد يقصد بهما أن الشفاعة تقف عند هؤلاء فيكون كلامه توسيعاً لها لكل المؤمنين بالبعث من غير المسلمين!

ولايبعد أن يكون هدف كعب القول بدخول الجميع الجنة وفناء النار، لأن ذلك من مقولات اليهود كما رأيت! ويكون قصده أن سؤال أهل اليمين للمجرمين: ماسلككم فى سقر؟ إنما هو مقدمةٌ لاخراجهم من النار.. وبشفاعة نبينا صلى الله عليه وآله!!

وقد يتصور البعض أن من المبالغة أو التهمة للخليفة عمر بأنه أخذ هذه العقيدة من كعب الأحبار، ولكن الذى يقرأ احترام عمر لاحبار اليهود والنصارى ولكعب الأحبار خاصة حتى قبل إسلام كعب.. لا يستبعد ذلك بل يطمئن اليه، ويحسن مراجعة ما كتبناه فى ذلك موثقاً فى كتاب تدوين القرآن، وأن الخليفة عمر كان يدرس عند اليهود فى المدينة فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وأن النبى نهاه عن عن ذلك ولم يمتثل! ونذكر هنا بعض النصوص التى تكشف ثقته العالية بكعب، والمقام العظيم الذى يحتله كعب فى ذهنه وعواطفه!

عمر ينظر إلى كعب كأنه نبى و يتلقى منه

يلاحظ الباحث تعاملاًـ فريداً للخليفة عمر مع كعب الأحبار، وأنه كان يحترمه أكثر من كل صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله

ويفضله عليهم علمياً وسياسياً، ويسأله عن عوالم الغيب والشهادة والأنبياء والجنة والنار وتفسير القرآن، وعن مستقبل الأمة ومستقبله الشخصى ويثق به ثقةً مطلقة ويقبل منه.. شبيهاً بتعامل الصحابى المؤمن مع نبيه الذى ينزل عليه الوحى!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۳/۶:

وأخرج ابن جرير عن أبى المخارق زهير بن سالم قال قال عمر لكعب: ما أول شئ ابتدأه الله من خلقه؟ فقال كعب: كتب الله كتاباً لم يكتبه قلم ولا مداد،ولكن كتب بإصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت: أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتى غضبى!!

وقال أحمد فى مسنده:۱/۴۲:

قال عمر يعنى لكعب: إنى أسألك عن أمر فلا تكتمنى، قال: والله لا أكتمك شيئاً أعلمه قال: ما أخوف شئ تخوفه على أمة محمد؟ قال أئمة مضلين. قال عمر: صدقت قد أسرَّ ذلك الىَّ وأعلمنيه رسول الله(ص). ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد:۵/۲۳۹ وقال: رجاله ثقات.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۴/۵۷:

عن الحسن البصرى أن عمر قال لكعب: ما عدن؟ قال: هو قصر فى الجنة لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل.

وقال فى:۵/۳۴۷:

عن قتادة قال: إن عمر بن الخطاب (رض) قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب فى الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل.

وقال فى كنز العمال:۱۲/۵۶۰:

عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: حدثنى يا كعب عن جنات عدن. قال: نعم يا أمير المؤمنين قصور فى الجنة لا يسكنها إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حكم عدل، فقال عمر: أما النبوة فقد مضت لاهلها، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله، وأما الحكم العدل فإنى أرجو الله أن لا أحكم بشئ إلا لم آل فيه عدلاً، وأما الشهادة فأ نَّى لعمر بالشهادة؟!-ابن المبارك وأبو ذر الهروى فى الجامع.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۴/۵۷:

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن (رض) أن عمر قال لكعب: ما عدن؟ قال: هو قصر فى الجنة لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل.

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد (رض) قال: قرأ عمر (رض) على المنبر جنات عدن، فقال: أيها الناس هل تدرون ما جنات عدن؟ قصر فى الجنة له عشرة آلاف باب، على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد!

وقال فى الدر المنثور:۵/۳۴۷:

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة (رض)... فى قوله: وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ قال إن عمر بن الخطاب (رض) قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب فى الجنة يسكنها النبيون والصديقون وأئمة العدل.

معجم ما استعجم:۲/۷۴:

الحثمة: بفتح أوله وإسكان ثانية: صخرات بأسفل مكة بها ربع عمر بن الخطاب. روى عنه مجاهد أنه قرأ على المنبر: جنات عدن فقال: أيها الناس أتدرون ما جنات عدن؟ قصر فى الجنة له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة وعشرون ألفاً من الحور العين لا يدخله إلا نبى، وهنيئاً لصاحب القبر وأشار إلى النبى(ص)، أو صديق وهنيئاً لأبى بكر وأشار إلى قبره، أو شهيد وأنى لعمر بالشهادة وإن الذى أخرجنى من منزلى بالحثمة قادر أن يسوقها إلى!! انتهى.

وفى هذه الرواية دلالة على أن كعباً استطاع أن يقنع عمر أن مقصوده بالنبى والصديق والشهيد الذين يسكنون عدن: رسول الله صلى

الله عليه وآله وأبا بكر وعمر، وأن كعباً كان من المخططين لقتله!

وقال في الدر المنثور:۵/۳۰۶:

قوله تعالى: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ الآيـة. أخرج الثعلبى من طريق العوام بن حوشب قال حدثنى رجل من قومى شهد عمر (رض) أنه سأل طلحة والزبير وكعباً وسلمان: ماالخليفة من الملك؟ قال طلحة والزبير: ما ندرى، فقال سلمان (رض): الخليفة الذى يعدل فى الرعية، ويقسم بينهم بالسوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله ويقضى بكتاب الله تعالى. فقال كعب: ما كنت أحسب أحداً يعرف الخليفة من الملك غيرى!

وفى كنز العمال:۱۲/۵۶۷:

عن طبقات ابن سعد: عن سفيان بن أبى العوجاء قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدرى أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم، قال قائل يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقاً، قال ما هو؟ قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه إلا فى حق، فأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطى هذا، فسكت عمر (ابن سعد).

وقال فى كنز العمال:۱۲/۵۷۳:

عن كعب أن عمر بن الخطاب قال: أنشدك بالله يا كعب أتجدنى خليفة أم ملكاً؟ قال بل خليفة، فاستحلفه فقال كعب: خليفة والله من خير الخلفاء، وزمانك خير زمان-نعيم بن حماد فى الفتن.

الدر المنثور:۴/۲۹۳:

سأل عمر كعباً عن آيات أول سورة الحديد فقال: معناها إن علمه بالأول كعلمه بالاخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن! انتهى.

كنز العمال:۲/۴۸۸:

عن عمر قال: ذكر النبى(ص)يوم القيامة فعظم شأنه وشدته، قال: ويقول الرحمن لداود عليه السلام: مرَّ بين يدى، فيقول داود: يا رب أخاف أن تدحضنى خطيئتى، فيقول: مرِّ خلفى، فيقول: يا رب أخاف أن تدحضنى خطيئتى فيقول: خذ بقدمى! فيأخذ بقدمه عز وجل فيمر!! قال فتلك الزلفى التى قال الله تعالى: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ! ورواه السيوطى فى الدر المنثور: ۵/۳۰۵ عن ابن مردويه.

الدر المنثور:۵/۲۹۷:

وأخرج الديلمى عن عمر (رض) قال: قال رسول الله (ص): لا ينبغى لأحد أن يقول إنى أعبد من داود!

الدر المنثور:۵/۳۰۵:

وأخرج عبد بن حميد، عن السدى بن يحيى، قال حدثنى أبو حفص رجل قد أدرك عمر بن الخطاب: إن الناس يصيبهم يوم القيامة عطش وحر شديد فينادى المنادى داود فيسقى على رؤس العالمين، فهو الذى ذكر الله: وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنَ مَآبٍ! انتهى.

ومن الواضح أن هذه الروايات عن داود عليه السلام من مقولات اليهود وكعب الأحبار ولكن الخليفة عمر يقبلها منه، والرواة ينسبونها إلى نبينا صلى الله عليه وآله!!

كنز العمال:۱۴/۱۴۶:

عن سعيد بن المسيب قال: استأذن رجل عمر بن الخطاب فى إتيان بيت المقدس فقال له: إذهب فتجهز فإذا تجهزت فأعلمنى فلما تجهز جاءه فقال له عمر: إجعلها عمرة!

مجمع الزوائد:۹/۶۵:

عن عمر بن ربيعة أن عمر بن الخطاب أرسل إلى كعب الأحبار فقال: يا كعب كيف تجد نعتى؟ قال: أجد نعتك قرن من حديد. قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه فى الله لومة لائم. قال: ثم مه؟ قال: ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة.

تاريخ الطبرى:۱/۴۵۹:

عن أشعث عن سالم النصری قال: بینما عمر بن الخطاب یصلی ویهودیان خلفه، وکان عمر إذا أراد أن یرکع خوی، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال فلما انفتل عمر قال: أرأیت قول أحدکما لصاحبه أهو هو؟ فقالا: إنا نجد فی کتابنا قرناً من حدید یعطی ما أعطی حزقیل الذی أحیا الموتی بإذن الله!!

فقال عمر: مانجد فی کتابنا حزقیل، ولا أحیا الموتی بإذن الله إلا عیسی بن مریم! فقالا: أما تجد فی کتاب الله: ورسلاً لم نقصصهم علیک؟ فقال عمر: بلی، قالا: وأما إحیاء الموتی فسنحدثک إن بنی اسرائیل وقع فیهم الوباء، فخرج منهم قوم حتی إذا کانوا علی رأس میل أماتهم الله فبنوا علیهم حائطاً حتی إذا بلیت عظامهم بعث الله حزقیل فقام علیهم فقال: ما شاء الله، فبعثهم الله له فأنزل الله فی ذلک: ألم تر إلی الذین خرجوا من دیارهم وهم ألوف حذر الموت. انتهی.

والأخوی: الذی لا ـ یستطیع أن یرکع أو یسجد بشکل طبیعی إلا بفتح قدمیه ونحوه.. والروایة تدل علی اهتمام الیهود بإیمان عمر بثقافتهم، ومحاولتهم التزلف إلیه بادعاء أن شخصیته مذکورة فی کتبهم، وأنه نبی یحیی الموتی مثل حزقیل!

تاریخ المدینة لابن شبة:۳/۱۱۰:

لما قدم عمر (رض) من مکة فی آخر حجة حجها أتاه کعب فقال: یا أمیر المؤمنین إعهد فإنک میت فی عامک! قال عمر (رض)وما یدریک یا کعب؟ قال: وجدته فی کتاب الله! فقال: أنشدک الله یا کعب هل وجدتنی باسمی ونسبی عمر بن الخطاب؟ قال: اللهم لا، ولکنی وجدت صفتک وسیرتک وعملک وزمانک!

ورواه فی:۳/۸۸ وزاد فیه: فلما أصبح الغد غدا علیه کعب فقال عمر (رض): یا کعب، فقال کعب: بقیت لیلتان، فلما أصبح الغد غدا علیه کعب–قال عبدالعزیز: فأخبرنی عاصم بن عمر بن عبید الله بن عمر قال: قال عمر (رض):

یواعدنی کعب ثلاثاً یعدُّها ولا شک أن القول ما قاله کعبُ

وما بی لقاء الموت إنی لمیتٌ ولکنما فی الذنب یتبعه الذنبُ

فلما طعن عمر (رض) دخل علیه کعب فقال: ألم أنهک؟!

قال: بلی، ولکن کان أمر الله قدراً مقدورا!! انتهی.

ولا یتسع المجال للرد علی أفکار کعب التی تضمنتها روایاته، وقد أوردنا عدداً منها فی سبب نشأة التجسیم فی المجلد الثانی.

والواقع أن کعب الأحبار من أکبر المصائب فی مصادر إخواننا السنیین، حیث تجده مقیماً فیها، کامناً فی المواقع الحساسة من أصول العقیدة والشریعة! وهذا أمر یحتاج إلی معالجات جریئة من علمائهم!

ولکن لابد من الإلفات هنا إلی أن النصوص المتقدمة تدل بما لایقبل الریب علی أن کعباً کان شریکاً فی مؤامرة قتل عمر!

ولکن إخواننا السنیین ما زالوا یبرئون کعباً ویثقون به، کما برَّأَ المسیحیون الیهود من دم المسیح!

کما نشیر إلی أن کعباً أخطأ فی تفسیر أول سورة الحدید، لأنه فسر (هو) بعلمه!! ولکن الخلیفة عمر یقبل منه کل مایقوله، بل یحدث به المسلمین علی المنبر!

شفاعات و حرمانات غیر معقولة روتها مصادر السنیین

شفاعة اثنین لصاحب الجنازة

لیس من السهل أن نعترض علی الأحادیث التی تحکم علی نوع من الناس باستحقاق الجنة أو النار.. لأن الخیر والشر فی داخل الإنسان عالمٌ معقد، وما یظهر للعیان لا یجب أن یکون دائماً هو الحقیقة! فرب عمل صغیر نقوم به یکون فی حساب الثواب والعقاب الإلهی کبیراً، وبالعکس.. ورب ظرف یجعل العمل السی حسناً وبالعکس!

وبسبب هذه السعة والتعقيد في أعمال الناس وظروفها، لابد أن تكون أنظمة الجزاء عميقة واسعة حتى تستوعبها.

ولكنا مع ذلك نملك يقينيات من العقل والشرع تسمح لنا أحياناً بالحكم بإمكان هذا الجزاء الإلهي أو عدم إمكانه..ومن هذه اليقينيات: لو أن شخصاً قاتلاً ظالماً جامعاً للصفات الشريرة، توفي وحملوا جنازته، فمر بها شخصان مسلمان فقالا:

كان مؤمناً تقياً، لأنهما جاهلان بحاله أو متعمدان، فإن شهادتهما لا تغير شيئاً من قوانين المجازاة الإلهية!

لكن توجد (أحاديث) في مصادر السنيين تقول: إن مجرد شهادة إثنين بالخير لصاحب الجنازة تجعله من أهل الجنة! كما أن شهادتهما له بالسوء تجعله من أهل النار!!

فكأن الشهادة على الجنازة في منطق هذه الأحاديث وثيقة شرعية نهائية لا يقرأ الملائكة غيرها، أو ختم نهائي لا يقبل الله تعالى غيره!!

لقد جاءنا هذا المنطق من الثقافة اليهودية، ولكنه مهما كان مصدره، ليس منطقاً إسلامياً! لأن معناه السماح للمجرمين بأن يفعلوا ما شاؤوا ويهلكوا الحرث والنسل، ثم يوصي أحدهم بأن يشهد على جنازته عشرة شهود كذباً وزوراً فيدخل الجنة!

والأخطر من ذلك أن الإنسان المؤمن الطيب الأمين المستقيم مهما عمل من خير في حياته فإن عمله يتبخر بمجرد أن يرسل خصومه اثنين يشهدان على جنازته بأنه كان سيئاً، فيدخلانه النار!

ولو كانت هذه المقولة توجد في مصادرهم من الدرجة الثانية لكان الأمر أسهل، ولكنها توجد في مصادر الدرجة الأولى مع الأسف، وعن لسان أقدس الشخصيات عندهم بعد النبي صلى الله عليه وآله الأمر الذي يتطلب من فقهائهم جرأةً في معالجتها:

روى البخاري في صحيحه:۲/۱۰۰:

عن أنس بن مالك قال: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي (ص): وجبت، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت، فقال عمر بن الخطاب (رض): ما وجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض.

ورواه في:۳/۱۴۸ وفيه (قال شهادة القوم المؤمنين شهداء الله في الأرض). ورواه مسلم في صحيحه:۳/۵۳ وقد كرر فيه كلمة: وجبت وأنتم شهداء الله ثلاث مرات. ورواه النسائي:۴/۵۰ ورواه الترمذي:۲/۲۶۱ وقال (وفي الباب عن عمر وكعب بن عجرة وأبي هريرة. قال أبو عيسى: حديث أنس حديث حسن صحيح).

ورواه ابن ماجة في:۱/۴۷۸ وفيه (فقال: شهادة القوم والمؤمنون شهود الله في الأرض). وفي هامشه (ويوافقه حديث عمر رواه الترمذي والنسائي وإسناد ابن ماجة صحيح ورجاله رجال الصحيحين).

ورواه أبو داود في:۲/۸۶ وفيه (إن بعضكم على بعض شهداء).

ورواه أحمد في ج۳ ص۱۷۹ وج۲ ص۲۶۱ وص۴۹۸ وص۵۲۸ وج۲ ص۴۶۶ وص۴۷۰ وفيه (بعضكم شهداء على بعض) وج۳ ص۱۸۶ وكرر فيه وجبت ثلاث مرات مثل مسلم. وفي رواية أخرى (قال شهادة القوم والمؤمنون شهداء الله في الأرض) وفي ج۳/۱۹۷ وص ۲۱۱ وص ۲۴۵ وص ۲۸۱.

ورواه البيهقي في سننه ج۴ ص۷۵ وج ۱۰/۱۲۳ وص ۲۰۹.

وقال البخاري في صحيحه:۲/۱۰۰:

عن أبي الأسود قال: قدمت المدينة وقد وقع بها مرض فجلست إلى عمر بن الخطاب (رض) فمرت بهم جنازة فأثنى على صاحبها خيراً فقال عمر (رض): وجبت. ثم مر بأخرى فأثنى على صاحبها خيراً، فقال عمر (رض): وجبت. ثم مر بالثالثة فأثنى على صاحبها شراً، فقال: وجبت. فقال أبو الأسود فقلت: وما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال النبي (ص): أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة، فقلنا وثلاثة قال: وثلاثة. فقلنا واثنان قال: واثنان. ثم لم نسأله عن الواحد!

ورواه البخاري أيضاً في:۳/۱۴۹ والنسائي في:۴/۵۱ وفيه:

(فقلت وما وجبت یا أمیر المؤمنین؟ قال: قلت کما قال رسول الله (ص): أیما مسلم شهد له أربعة قالوا خیراً أدخله الله الجنة. قلنا: أو ثلاثة؟ قال: أو ثلاثة. قلنا: أو اثنان؟ قال: أو اثنان.

ورواه الترمذی فی:۲/۲۶۱ وقال (قال أبو عیسی: هذا حدیث حسن صحیح وأبو الاسود الدؤلی اسمه ظالم بن عمر بن سفیان).

ورواه أحمد فی:۱/۲۱ وص ۲۲ وص۲۷ وص ۳۰ وص ۴۵ وص ۴۶، والبیهقی فی سننه: ۱۰/۱۲۴.

إلی هنا تجد أن هذه المقولة بمقاییس إخواننا السنیین تامة السند والدلالة.. ولکن توجد مؤشرات تفتح باب البحث حولها:

المؤشر الأول: أن الإمام أحمد روی أن بعض الذین سمعوا الحدیث من الخلیفة عمر شککوا فیه لغرابته عن منطق النبی صلی الله علیه وآله وظنوا أنه رأیٌ من عمر لا من قول النبی صلی الله علیه وآله فأکد له عمر أن النبی هو الذی قال ذلک!

قال أحمد فی:۱/۵۴:

حدثنا عبد الله حدثنی أبی ثنا وکیع ثنا عمر بن الولید الشنی عن عبد الله بن بریدة قال: جلس عمر (رض) مجلساً کان رسول الله(ص)یجلسه، فمر علیه الجنائز، قال فمروا بجنازة فأثنوا خیراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنازة فأثنوا خیراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنازة فقالوا خیراً فقال: وجبت. ثم مروا بجنازة فقالوا هذا کان أکذب الناس، فقال: إن أکذب الناس أکذبهم علی الله، ثم الذین یلونهم من کذب علی روحه فی جسده، قال قالوا: أرأیت إذا شهد أربعة؟ قال: وجبت. قالوا: أو ثلاثة؟ قال: وثلاثة، قال وجبت. قالوا: واثنین؟ قال: وجبت، ولان أکون قلت واحد أحب إلی من حمر النعم. قال فقیل لعمر: هذا شئ تقوله برأیک أم شئ سمعته من رسول الله(ص)؟ قال: لا، بل سمعته من رسول الله(ص). انتهی.

والروایةتدل علی أن الخلیفة تفرد بهذه الروایة من دون الصحابة الحاضرین فی ذلک المجلس الرسمی الذی کان یجلسه رسول الله صلی الله علیه وآله وأنهم تعجبوا لأنهم لم یسمعوا ذلک، وتجرؤوا أن یسألوا عمر رغم سطوته، فأکد لهم أنه سمع ذلک!

المؤشر الثانی: یشیر إلی أن الحادثة قضیة شخصیة فی جنازة أشخاص معینین فی زمن النبی صلی الله علیه وآله ولیست قاعدة کلیة لکل جنازة..

فقد روی الحاکم فی:۱/۳۷۷: عن أنس قال کنت قاعداً مع النبی (صلی الله علیه وآله) فمر بجنازة فقال: ما هذه الجنازة؟ قالوا جنازة فلان الفلانی کان یحب الله ورسوله ویعمل بطاعة الله ویسعی فیها، فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: وجبت وجبت وجبت. ومر بجنازة أخری قالوا جنازة فلان الفلانی کان یبغض الله ورسوله ویعمل بمعصیة الله ویسعی فیها، فقال: وجبت وجبت وجبت. فقالوا یا رسول الله قولک فی الجنازة والثناء علیها؟ أثنی علی الأول خیر وعلی الآخر شر فقلت فیها وجبت وجبت وجبت؟ فقال: نعم یا أبا بکر إن لله ملائکة تنطق علی ألسنة بنی آدم بما فی المرء من الخیر والشر. هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم ولم یخرجاه بهذا اللفظ. انتهی.

فلو صح الحدیث لکان معناه أن النبی صلی الله علیه وآله شهد، بما عرفه الله تعالی، بأن الملائکة نطقت علی ألسنة أولئک المادحین والذامین.. ولیس معناه أن الملائکة تنطق دائماً علی ألسنة المسلمین.

المؤشر الثالث: یدل علی أن الخصوصیة للشاهد أو الشافع فی الجنازة.. ففی مستدرک الحاکم:۲/۲۶۸: عن جابر بن عبد الله رضی الله عنهما قال: کنت مع رسول الله صلی الله علیه وآله فی جنازة فینا فی بنی سلمة وأنا أمشئ إلی جنب رسول الله صلی الله علیه وآله فقال رجل: نعم المرء ما علمنا إن کان لعفیفاً مسلماً إن کان.. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: أنت الذی تقول؟ قال یا رسول الله ذاک بدا لنا والله أعلم بالسرائر. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: وجبت. قال وکنا معه فی جنازة رجل من بنی حارثة أو من بنی عبد الأشهل، فقال رجل: بئس المرء ما علمنا إن کان لفظاً غلیظاً إن کان.. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: أنت الذی تقول؟ قال یا رسول الله الله أعلم بالسرائر فأما الذی بدا لنا منه فذاک. فقال رسول الله صلی الله علیه وآله: وجبت. ثم تلا رسول الله صلی الله علیه وآله: وَکَذَلِکَ جَعَلْنَاکُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَکُونُوا شُهَدَاءَ عَلَی النَّاسِ وَیَکُونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیدًا. هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه،

إنما اتفقا على وجبت فقط. انتهى.

فقد أكد النبى صلى الله عليه وآله على شخص القائل الذى لم تسمه الرواية فقال له: أنت الذى تقول ذلك وتشهد بهذه الشهادة لهذا الميت؟ فقال نعم إنى أشهد حسب ظاهر حاله. فقال النبى إن الجنة قد وجبت له بشهادة ذلك الرجل، أو إن شهادته طابقت الواقع كما أوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وآله، فيحتمل أن تكون القضية شخصية كما فى الرواية السابقة، وإذا وجد الإحتمال بطل الإستدلال، ولم يبق يقين بأنها قاعدة عامة.

المؤشر الرابع: أنه توجد أحاديث معارضة تجعل دعاء مئة مسلم موحد أو أربعين بالشفاعة للميت موجباً للامل بأن الله تعالى يشفعهم فيه ويدخله الجنة..وقد روت الصحاح رواية المئة، ورواية الأربعين، وفى بعض رواياتها ثلاثة صفوف، وأمة من الناس، ونحوها.. الأمر الذى يدل على أن وجود كثرة من المسلمين المؤمنين يصلون على جنازة الميت أو يدعون له، أمر مفيد له، وأن الله تعالى قد يستجيب دعاءهم.. ولكن ليس فى هذه الأحاديث تلك الحتمية و(الأتوماتيكية) التى فى أحاديث (وجبت وجبت) المتقدمة!

ففى صحيح مسلم:۳/۵۲ عن عائشة عن النبى(ص)قال: ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه. انتهى وفى رواية أخرى: أربعون. ورواه فى سنن البيهقى:۳/۱۸۰-۱۸۱.

وفى سنن ابن ماجة:۱/۴۷۷:

عن أبى هريرة عن النبى(ص)قال: من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له. فى الزوائد: قد جاء عن عائشة فى الترمذى والنسائى مثله. وإسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين. انتهى. وما ذكره موجود فى سنن الترمذى:۲/۲۴۷ وفى سنن النسائى:۴/۷۵ بصيغة مائة وأمة من الناس).

وفى فردوس الأخبار:۴/۳۲۹ ح ۶۴۹۶:

أنس وعائشة: ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغوا أن يكونوا مائة يشفعون له إلا شفعوا فيه.

وفى/۳۷۱ ح ۶۶۰۹: أبو هريرة: ماصف قوم صفوفاً ثلاث على ميت فيستغفرون له إلا شفعوا.

وروى ابن ماجة فى سننه:۱/۴۷۷:

عن كريب مولى عبدالله بن عباس قال: هلك ابن لعبد الله بن عباس فقال لى: يا كريب قم فانظر هل اجتمع لابنى أحد؟ فقلت نعم. فقال ويحك كم تراهم أربعين؟ قلت: لا،بل هم أكثر. قال: فاخرجوا بابنى فأشهد لسمعت رسول الله(ص)يقول: ما من أربعين من مؤمن يشفعون لمؤمن، إلا شفعهم الله.

وروى ذلك أحمد بشروط أشد قال فى:۱/۲۷۷:

عن كريب مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس أنه مات ابن له بقديد أو بعسفان فقال: يا كريب أنظر ما اجتمع له من الناس؟ قال فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته، قال يقول هم أربعون؟ قال نعم، قال أخرجوه فإنى سمعت رسول الله(ص)يقول: ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفعهم الله فيه. ورواها الديلمى فى فردوس الأخبار:۴/۳۱۸ ح ۶۴۶۹.

المؤشر الخامس: يشير إلى احتمال اختلاط الحديث بغيره..

ففى مسند أحمد:۳/۳۰۳ عن جابر قال: قال قال رسول الله (ص): من كن له ثلاث بنات يؤويهن ويرحمهن ويكفلهن، وجبت له الجنة البتة. قال قيل يا رسول الله فإن كانت اثنتين؟ قال: وإن كانت اثنتين. قال فرأى بعض القوم أن لو قالوا له واحدة لقال واحدة. انتهى.

وفى مسند أحمد:۴/۲۱۲:

عن الحرث بن أقيش قال: كنا عند أبى برزة ليلة فحدث ليلتئذ عن النبى (ص)أنه قال: ما من مسلمين يموت لهما أربعة أفراط، إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته. قالوا يا رسول الله وثلاثة؟ قال: وثلاثة. قالوا: واثنان؟ قال: واثنان. انتهى.

فيحتمل أن يكون الأمر اشتبه على الخليفة فجعل أجر (وجبت الجنة) لمن ربى ثلاث بنات أو اثنتين - جعله لمن شهد ثلاثة أو اثنان

علی جنازته، لتشابه العدد فیهما ووحدة التعبیر ب(وجبت).

ولا یرد الإشکال علی روایة تربیة البنات تربیة إسلامیة کیف جعلت سبباً قطعیاً لدخول الجنة، لأنها تجعل الجزاء للاب أو الام علی عمل یقومان به، بینما روایة الشهادة للجنازة تجعل لصاحبها الجنة مجاناً مهما کان فاجراً بمجرد قول غیره!

کما تجعل له النار مجاناً بمجرد قول غیره، مهما کان صالحاً!!

علی أنه یمکن القول إن الله تعالی جعل ثواب تربیة ثلاث بنات أو اثنتین الجنة لیعالج مشکلة فی مجتمع کانوا یئدون بناتهم، وإذا بشر أحدهم بالأنثی ظل وجهه مسوداً وهو کظیم..وأن هذا الثواب قد یشمل فی عصرنا الازواج الذین یئدون أطفالهم بطرق أخری، خوفاً من الفقر أو طلباً للراحة من الأطفال.

وفی أحادیث أهل البیت عن الإمام الصادق علیه السلام أن المسلمین قد سألوا النبی صلی الله علیه وآله عن تربیة البنت الواحدة کما تقدم، فقد روی فی الکافی:۶/۶ عن علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن هشام بن الحکم، عن عمر بن یزید، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من عالَ ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة. فقیل: یا رسول الله واثنتین؟ فقال: واثنتین. فقیل: یا رسول الله وواحدة؟ فقال: وواحدة. انتهی.

وفی مسند أحمد:۱/۲۲۳:

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): من ولدت له ابنة فلم یئدها ولم یهنها ولم یؤثر ولده علیها یعنی الذکر، أدخله الله بها الجنة. انتهی.

والنتیجة: أن هذه المؤشرات تفتح باب البحث للشک فی أحادیث (وجبت وجبت) للجنازة، وتضغط علیها لتکون منسجمةً مع الیقینیات العقلیة والشرعیة غیر ناقضة لها.

ومادام الباب مفتوحاً للتخلص من منطقها الیهودی، فلا معنی للتشبث بها بحجة الدفاع عن البخاری وعن الخلیفة عمر!!

رأی أهل البیت فی الشهادة للجنازة

لا أثر فی أحادیث أهل البیت (علیهم السلام) لروایات (وجبت) ولا لمنطقها! بل نجد الترغیب فی الدعاء للمیت والشفاعة به إلی الله تعالی، والأمل بأن یستجیب الله تعالی ویشمل هذا المیت برحمته..کل ذلک علی حسب قوانین الجزاء والشفاعة التی یعلمها عز وجل بأصولها وتفاصیلها وتطبیقاتها، ولا نعرف نحن منها إلا القلیل.

روی الکلینی فی الکافی:۳/۱۸۸:

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زیاد، عن الحسن بن محبوب، عن عبد الله بن غالب، عن ثابت أبی المقدام قال: کنت مع أبی جعفر (الباقر) علیه السلام فإذا بجنازة لقوم من جیرته فحضرها وکنت قریباً منه، فسمعته یقول: اللهم إنک أنت خلقت هذه النفوس وأنت تمیتها وأنت تحییها، وأنت أعلم بسرائرها وعلانیتها منا ومستقرها ومستودعها. اللهم وهذا عبدک ولا أعلم منه شراً وأنت أعلم به، وقد جئناک شافعین لبعد موته فإن کان مستوجباً فشفعنا فیه واحشره مع من کان یتولاه. انتهی.

ونحوه فی الکافی:۳/۱۸۵، ورواه الشیخ فی تهذیب الأحکام:۳/۱۹۶ ورواه الحر العاملی فی وسائل الشیعة: ۲/۲۳۷

وینبغی الإلتفات إلی عبارة (فإن کان مستوجباً فشفعنا فیه) فهی تدل علی وجود قانون استحقاق الشفاعة وعدم استحقاقها. وعبارة (واحشره مع من کان یتولاه) التی تدل علی قانون (یوم ندعو کل أناس بإمامهم) وهما قانونان مترابطان.

أما منطق (وجبت) فیقول لو کان المیت فاجراً مثل فرعون ومدح جنازته شخصان، لوجب أن یصیر من أهل الجنة ویحشر یوم القیامة إلی جنب الأنبیاء (علیهم السلام)!

هذا، وقد روی فی الکافی روایة صحیحة طریفة تتضمن أضواء مهمة علی قانون الشفاعة قال فی:۳/۱۸۷

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن حماد بن عثمان، عن الحلبی، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إن کان مستضعفاً فقل: اللهم اغفر للذین تابوا واتبعوا سبیلک وقهم عذاب الجحیم، وإذا کنت لا تدری ما حاله فقل: اللهم إن کان یحب الخیر وأهله فاغفر له وارحمه وتجاوز عنه، وإن کان المستضعف منک بسبیل فاستغفر له علی وجه الشفاعة لا علی وجه الولایة. انتهی.

وروی فی نفس الصفحة عن الإمام الصادق علیه السلام أیضاً قال: الترحم علی جهتین: جهة الولایة وجهة الشفاعة. ورواه فی وسائل الشیعة:۲/۲۳۷.

ففی هذا الروایة منطق دقیق فی التعامل مع المیت والشهادة له.. إن کنت لا تدری ما حاله، أو کان مستضعفاً فکریاً لا یعرف الحق من الباطل، أو کان معانداً یعرف الحق وینکره.. أو کان ممن یبغض أهل البیت (علیهم السلام) وینصب العداوة لهم.. وادع له علی نحو الولایة ووحدة الإمام الذی ستدعی أنت وإیاه به یوم القیامة، أو علی جهة الشفاعة لارحامک إن لم یکن عارفاً بحق أهل بیت نبیه.. إلی آخر النقاط المنسجمة مع الیقینیات العقلیة والشرعیة.

قد یقال: یوجد فی روایات أهل البیت (علیهم السلام) شبیه لروایة (وجبت)

فقد روی الکلینی فی الکافی:۳/۱۷۳ عن أبی علی الأشعری، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن علی بن عقبة، عن میسر قال: سمعت أبا جعفر علیه السلام یقول: من تبع جنازة مسلم أعطی یوم القیامة أربع شفاعات ولم یقل شیئاً إلا وقال الملک: ولک مثل ذلک. انتهی.

ورواه الصدوق فی من لا یحضره الفقیه:۱/۱۶۱ والشیخ فی تهذیب الأحکام: ۱/۴۵۵ والحر فی وسائل الشیعة:۲/۲۸۸ وقال: ورواه فی المجالس عن محمد بن الحسن عن الصفار عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علی بن فضال. ورواه الشیخ بإسناده عن أبی علی الأشعری مثله. انتهی.

ولکن الفرق کبیر بین روایة تعطی حق الشفاعة لشخص علی عمل یقوم به، وبین روایة تعطی الجنة أو النار مجاناً بکلمة یقولها شخص أو اثنان بعد موته!!

وقد وجدنا فی مصادر إخواننا السنیین روایة شبیهة بما مصادرنا فی الدعاء للمیت فی الصلاة علی جنازته رواها أحمد فی مسنده: ۲/۲۵۶ قال: سمعت أبا هریرة ومر علیه مروان فقال: بعض حدیثک عن رسول الله(ص)أو حدیثک عن رسول الله(ص)؟ ثم رجع، فقلنا الآن یقع به قال: کیف سمعت رسول الله(ص)یصلی علی الجنائز؟ قال سمعته یقول: أنت خلقتها وأنت رزقتها وأنت هدیتها للإسلام، وأنت قبضت روحها تعلم سرها وعلانیتها، جئنا شفعاء فاغفر لها. انتهی.

شفاعة النبی للظالمین من الامة

قال الله تعالی: وَالَّذِی أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ مِنَ الْکِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَیْنَ یَدَیْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِیرٌ بَصِیرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَیْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ. جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَهَا یُحَلَّوْنَ فِیهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَ لِبَاسُهُمْ فِیهَا حَرِیرٌ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَکُورٌ. الَّذِی أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا یَمَسُّنَا فِیهَا نَصَبٌ وَلا یَمَسُّنَا فِیهَا لُغُوبٌ. فاطر: ۳۱ – ۳۵

اتفق الجمیع علی أن موضوع الآیة: الذین اصطفاهم الله تعالی وأورثهم الکتاب بعد النبی صلی الله علیه وآله بقرینة أن السیاق قبلها عن الکتاب الموحی إلی نبینا صلی الله علیه وآله.

واتفقوا علی أن الأقسام الثلاثة للذین اصطفاهم هم من أهل الجنة بدلیل السیاق حیث انتقل الکلام بعد المصطفین إلی الکافرین.

والذی یتصل بموضوعنا من ذلک تعیین هؤلاء المصطفین ورثة الکتاب الإلهی.. فقد ذهب السنیون إلی أنهم جمیع المسلمین، وأنهم جمیعاً فی الجنة إما بالإستحقاق أو بالشفاعة.

ومذهبنا أن هؤلاء المصطفین ورثهٔ الکتاب هم ذریهٔ النبی صلی الله علیه وآله من ابنته فاطمهٔ علیها السلام وأن السابقین بالخیرات منهم هم الأئمهٔ المعصومون (علیهم السلام) والمقتصدین أتباعهم، والظالمین لانفسهم مخالفوهم.. وفیما یلی تفصیل هذه الآراء:

قال کعب الأحبار هم جمیع المسلمین و هم فی الجنهٔ

الظاهر أن أقدم القائلین بهذا الرأی کعب الأحبار وأنه اعتمد علی استنتاجه الشخصی ولیس علی روایهٔ عن النبی صلی الله علیه وآله فقد

قال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۲۵۲: وأخرج عبد بن حمید عن صالح أبی الخلیل قال قال کعب: یلومنی أحبار بنی اسرائیل أنی دخلت فی أمهٔ فرقهم الله ثم جمعهم ثم أدخلهم الجنهٔ! ثم تلا هذه الآیهٔ: ثم أورثنا الکتاب الذین اصطفینا من عبادنا، حتی بلغ جنات عدن یدخلونها قال قال: فأدخلهم الله الجنهٔ جمیعاً.

وأخرج ابن أبی شیبهٔ وعبد بن حمید وابن جریر وابن المنذر عن عبد الله بن الحارث أن ابن عباس سأل کعباً عن قوله: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآیهٔ، قال: نجوا کلهم. ثم قال: تحاکت مناکبهم ورب الکعبهٔ ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

وفی تفسیر الطبری:۲۲/۸۸، عن کعب:

إن الظالم لنفسه من هذه الأمهٔ والمقتصد والسابق بالخیرات کلهم فی الجنهٔ، ألم تر أن الله قال: ثم أورثنا الکتاب الذی اصطفینا...الخ.

وروی أیضاً بعض ما تقدم فی الدر المنثور.

و قال الخولانی إنه قرأ ذلک فی کتب الیهود

قال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۲۵۲:

وأخرج عبد بن حمید عن أبی مسلم الخولانی قال: قرأت فی کتاب الله أن هذه الأمهٔ تصنف یوم القیامهٔ علی ثلاثهٔ أصناف: صنف منهم یدخلون الجنهٔ بغیر حساب، وصنف یحاسبهم الله حساباً یسیراً ویدخلون الجنهٔ، وصنف یوقفون ویؤخذ منهم ما شاء الله، ثم یدرکهم عفو الله وتجاوزه.

عائشهٔ و عثمان یوافقان کعبا علی تفسیره

روی الحاکم أن عائشهٔ وافقت کعباً علی تفسیره قال فی المستدرک:۲/۴۲۶:

عقبهٔ بن صهبان الحرانی قال: قلت لعائشهٔ رضی الله عنها: یا أم المؤمنین أرأیت قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَیْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ؟ فقالت عائشهٔ رضی الله عنها: أما السبَّاق فمن مضی فی حیاهٔ رسول الله صلی الله علیه وآله فشهد له بالحیاهٔ والرزق. وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بأعمالهم حتی یلحق بهم. وأما الظالم لنفسه فمثلی ومثلک ومن اتبعنا، وکل فی الجنهٔ!! صحیح الإسناد ولم یخرجاه. انتهی. ورواه فی مجمع الزوائد:۷/۹۶. وقال عنه السیوطی فی الدر المنثور:۵ص ۲۵۱: وأخرج الطیالسی وعبد بن حمید وابن أبی حاتم والطبرانی فی الأوسط والحاکم وابن مردویه عن عقبهٔ بن صهبان قلت لعائشهٔ... الخ.

وروی السیوطی فی الدر المنثور أن الخلیفهٔ عثمان أیضاً وافق کعباً علی تفسیره قال فی:۵/۲۵۲:وأخرج سعید بن منصور وابن أبی شیبهٔ وابن المنذر وابن أبی حاتم وابن مردویه عن عثمان بن عفان أنه نزع بهذه الآیهٔ قال: إن سابقنا أهل جهاد، ألا وإن مقتصدنا ناج أهل حضرنا، ألا وإن ظالمنا أهل بدونا. انتهی. ورواه فی کنز العمال:۲/۴۸۵

وواضح من الروایتین أن عائشهٔ وعثمان اعتمدا علی کعب الأحبار، أو علی فهمهما للآیات، ولم یذکرا روایهٔ عن النبی صلی الله علیه

و آله.

الحسن البصري يرد تفسير كعب الأحبار

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۲:

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقى عن كعب الأحبار أنه تلا هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، إلى قوله لغوب، قال: دخلوها ورب الكعبة. وفى لفظ قال: كلهم فى الجنة، ألا ترى على أثره والذين كفروا لهم نار جهنم، فهؤلاء أهل النار. فذكر ذلك للحسن فقال: أبت ذلك عليهم الواقعة! وأخرج عبد بن حميد عن كعب فى قوله: جنات عدن يدخلونها قال: دخلوها ورب الكعبة، فأخبر الحسن بذلك فقال: أبت والله ذلك عليهم الواقعة. انتهى.

ويقصد الحسن البصرى بذلك أن التقسيم الثلاثى للناس الذى ورد فى سورة الواقعة يردُّ تفسير كعب وهو قوله تعالى: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. الواقعة: ۷-۱۱ وكلام البصرى قوى لأن الخطاب عنده فى الآية للمسلمين، ولو كان المقصود بالمصطفين الذين أورثهم الله الكتاب كل المسلمين لكانوا جميعاً من أهل الجنة، ولما بقى معنى لتقسيمات القرآن لهم فى سورة الواقعة إلى أصحاب يمين وشمال وسابقين. فهذا التقسيم يدل على أن من المسلمين من يدخل النار.

وإن ناقشنا فى إستدلال الحسن البصرى، فتدل على رأيه الأحاديث والأدلة المتقدمة فى الرد على مذاهب توسيع الشفاعة!

الخليفة عمر يميل إلى تفسير كعب

روى السيوطى فى الدر المنثور عن الخليفة عمر أنه خالف تفسير كعب الأحبار، وأن رأيه كان كما قال الحسن البصرى.. قال فى: ۵/۲۵۲:

وأخرج ابن مردويه عن عمر عن النبى(ص)فى قوله فمنهم ظالم لنفسه قال: الكافر. انتهى. ويحتمل أن تكون هذه الرواية تفسيراً للآية ۳۲ من سورة لقمان وهى قوله تعالى: وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إلى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ. ولكنها على أى حال تنطبق على موضوعنا لأنها تفسر معنى (الظالم لنفسه).

ولكن من البعيد أن تصح هذه الرواية، لأنه ورد عن عمر أنه كان يردد تفسير كعب، إلا أن نقول إنه كان يفسرها بذلك قبل أن يسمع تفسيرها من كعب!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۵۲:

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن المنذر والبيهقى فى البعث عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا نزع بهذه الآية قال: ألا إن سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له. انتهى. (والشوكانى فى فتح القدير: ۴/۳۴۱، ورواه فى كنز العمال:۲/۴۸۵.

وقال فى هامشه: نزع بهذه الآية... ومنه الحديث: لقد نزعت بمثل ما فى التوراة، أى: جئت بما يشبهها اهـ قلت: فكأن أمير المؤمنين عمر (رض) يأتى برأيه بما يشبه ظاهر الآية، ولا عجب فقد نزلت آيات توافق رأيه. انتهى.

غير أن معنى نزع بالآية: شرع فيها فقرأها أو فسرها، لا أنه أتى بشبيهها، كما زعم مهمش كنز العمال، وأين الشبيه الذى أتى به عمر!

وغرضنا هنا تفسير عمر للاية بأن الظالم مغفور له، وهو مؤشرٌ على أنه قبل تفسير كعب بأن المقصود بالآية كل المسلمين.

وتوجد رواية نقلها السيوطى قد يفهم منها أن عمر روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وآله.

قال فى الدر المنثور:۵/۲۵۲:

وأخرج العقيلى وابن هلال وابن مردويه والبيهقى من وجه آخر عن عمر بن الخطاب سمعت رسول الله (ص)يقول: سابقنا سابق،

ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، وقرأ عمر: فمنهم ظالم لنفسه الآية. انتهى.

وروى السيوطى نحوها عن أنس، ورواها فى كنز العمال:٢/١٠ وفى /٤٨٥ عن عمر وأضاف إلى رواتها: الديلمى فى الفردوس والبيهقى فى البعث والنشور. انتهى.

ولكن عمر لم يصرح فيها بأن النبى صلى الله عليه وآله كان يقصد كل الأمة، فقد يكون صلى الله عليه وآله قصد بقوله: سابقنا ومقتصدنا وظالمنا، ذريته وأهل بيته الذين أورثهم الله الكتاب كما أورثه آل ابراهيم وآل عمران، من نوع قوله صلى الله عليه وآله: المهدى منا، بنا فتح الله وبنا يختم، وشهيدنا خير الشهداء..الخ. وهو فى كلامه كثير صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا الإحتمال يبطل الإستدلال بأن المقصود بورثة الكتاب كل الأمة، لأنه يحتمل أن يكونوا بعضها.. خاصة بعد أن نصت أن بعض الأحاديث على أنهم بعض الأمة وليس كلها:

قال السيوطى فى الدر المنثور:٥/٢٥١:

وأخرج الطبرانى والبيهقى فى البعث عن أسامة بن زيد (رض): فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات، قال قال رسول الله (ص): كلهم من هذه الأمة، وكلهم فى الجنة. انتهى. ونقله فى كنز العمال: ٢/٤٨٦.

ويؤيد ذلك ما رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد:٧/٩٦ عن أسامة بن زيد قال: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، الآية، قال النبى (ص): كلهم من هذه الأمة. رواه الطبرانى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وهو سى الحفظ. انتهى.

وتعبير كلهم من الأمة يدل على أنهم ليسوا كل الأمة، ويكون هذا الحديث من ابن أبى ليلى السى الحفظ على حد تعبير الهيثمى معقولاً أكثر من كلام غيره!

إلى هنا يبدو أنه لا مشكلة فى تفسير ورثة الكتاب ببعض الأمة وهم ذرية النبى صلى الله عليه وآله.. وأن هؤلاء الذرية كلهم مقبولون بشرط أن لا يدعوا الناس إلى أنفسهم كما سيأتى، وأن الذين يمثلون خط جدهم هم السابقون منهم صلى الله عليه وعليهم.

لكن تبقى مجموعة روايات فى مصادر السنيين تؤكد على تفسير كعب وتنسبه إلى النبى صلى الله عليه وآله! لكنها تصطدم بسورة الواقعة على حد قول الحسن البصرى، كما تصطدم بحكم العقل والأدلة المتقدمة التى لا تسمح بالقول إن كل مسلم فى الجنة!!

وأول سؤال عن هذه الروايات: أين كانت عندما فسر كعب وعائشة وعثمان وعمر آيات ورثة الكتاب الإلهى، وكانت موضوعاً مهما يطرحه كعب الأحبار مع اليهود، ويطرحه الخليفة عمر فى مجلسه أو على منبر الجمعة؟!

إن عدم احتجاج أحد بها، يوجب الشك فى سندها، أو القول بأن النبى صلى الله عليه وآله كان يتحدث عن اصطفاء الله تعالى لذريته من أولاد فاطمة وورثة خطه فى الأمة (عليهم السلام)وقال كلهم من هذه الأمة، فرواها الراوى (كل هذه الأمة) ويوجد لذلك نظائر! فكم من ميزة للعترة الطاهرة جعلت بسبب بساطة الرواة، لكل الأمة!

ومما يؤيد ذلك وجود روايات مترددة فى جعل هؤلاء المصطفين مجموع الأمة..

كالذى رواه أحمد:٣/٧٨: عن أبى سعيد الخدرى عن النبى(ص)أنه قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ، قال: هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم فى الجنة!ورواه الترمذى فى:٥/٤١ وقال (هذا حديث غريب حسن) ورواه فى الدر المنثور:٥/٢٥١ عن الطيالسى وأحمد وعبدبن حميد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى... انتهى.

وقريب منه ما رواه الهيثمى فى مجمع الزوائد:١٠/٣٧٨ والطبرانى كما فى الدر المنثور:٥/٢٥٢ عن ابن عباس، وكذا شهادة البراء بن عازب التى نقلها الهيثمى عن سعيد بن منصور، والبيهقى فى البعث وجاء فيها (أشهد على الله أنه يدخلهم الجنة جميعاً).

فكل هذه الروايات تنص على أنهم من أهل الجنة، وأنهم من هذه الأمة لا كلها.. الأمر الذى يوجب الشك فى تعبير أنهم: كل الأمة!

هذا، وقد ارتكب الحاكم خطأً فى ميله إلى تصحيح حديث نسبوه إلى أبى الدرداء فى تفسيرالآية يقول إن الظالمين من المسلمين

يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة بالشفاعة!

قال في المستدرك:٢/٤٢٦:

عن أبي الدرداء (رض) قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في قوله عز وجل: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ، قال: السابق والمقتصد يدخلان الجنة بغير حساب، والظالم لنفسه يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة. ثم قال الحاكم: وقد اختلفت الروايات عن الأعمش في إسناد هذا الحديث فروى عن الثورى، عن الأعمش، عن أبي ثابت، عن أبي الدرداء (رض)، وقيل عن شعبة، عن الأعمش، عن رجل من ثقيف، عن أبي الدرداء. وقيل، عن الثورى أيضاً، عن الأعمش قال: ذكر أبو ثابت، عن أبي الدرداء. وإذا كثرت الروايات في الحديث ظهر أن للحديث أصلًا. انتهى.

وحسب ماذكره السيوطي فقد ارتكب البيهقي نفس الخطأ أيضاً قال في الدر المنثور:٥/٢٥١: وأخرج الفريابي وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي عن أبي الدرداء... ثم قال السيوطي: قال البيهقي: إن كثرت الروايات في حديث ظهر أن للحديث أصلًا.

والخطأ هو تطبيق قاعدة أن (كثرة الروايات في إسناد حديث تدل على أن له أصلًا) على هذا الحديث الذي نسب بثلاث نسب إلى أبي الدرداء كلها بلفظ قيل، وإحداها عن رجل من ثقيف عن أبي الدرداء، أو رجل لم يسم! فهذا ليست كثرة إسناد، بل كثرة تردد في الاسناد وعدم قطع به، وكثرة الإحتمالات من هذا النوع ككثرة أسماء السنور لا تزيد في قيمته!

وقد كان الهيثمي أدق من الحاكم عندما علق صحة الحديث على احتمال أن يكون الرجل المجهول ابن عمير فقال في مجمع الزوائد:٧/٩٦: رواه الطبراني عن الأعمش عن رجل سماه، فإن كان هو ثابت بن عمير الأنصاري كما تقدم عند أحمد فرجال الطبراني رجال الصحيح. انتهى.

وقصده بما تقدم ماذكره في نفس المجلد/٩٥ حيث قال (رواه أحمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح، وهي هذه إن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي) انتهى.

فأين كثرة الاسانيد إلى أبي الدرداء! بل أين السند الواحد القطعي!

وأخيراً، نلاحظ في بعض روايات تفسير الآية بكل الأمة ضعفاً لا يتفق مع بلاغة الحديث النبوي وقوة منطقه، كحديث عوف بن مالك الذي سيأتي في نظرية الفداء المزعومة من النار.

قال أهل البيت لا يمكن أن تشمل الآية كل الأمة

الإعتقادات للصدوق/٨٧:

وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ، قال: الظالم لنفسه هنا من لم يعرف حق الإمام، والمقتصد من عرف حقه، والسابق بالخيرات بإذن الله هو الإمام.

وسأل إسماعيل أباه الصادق عليه السلام قال: ما حال المذنبين منا؟ فقال عليه السلام: ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوء يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا.

الاحتجاج:٢/٣٠١:

وعن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا؟ قال: أي شئ تقول؟ قلت: إني أقول إنها خاصة لولد فاطمة. فقال عليه السلام: أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم فليس بداخل في الآية، قلت: من يدخل فيها؟ قال: الظالم لنفسه الذي لا يدعو الناس إلى ضلال ولا هدى، والمقتصد منا أهل البيت هو

العارف حق الإمام، والسابق بالخیرات هو الإمام.

بصائر الدرجات/۴۴:

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسین بن سعید، عن النضر بن سوید، عن یحیی الحلبی، عن ابن مسکان، عن میسر، عن سورة بن کلیب، عن أبی جعفر علیه السلام أنه قال فی هذه الآیة: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآیة، قال: السابق بالخیرات الإمام فهی فی ولد علی وفاطمة (علیهم السلام).

شرح الأخبار:۲/۵۰۵:

حماد بن عیسی بإسناده، عن أبی عبد الله جعفر بن محمد علیه السلام أنه سئل عن قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَیْرَاتِ. قال: فینا أنزلت أورث الله عز وجل الکتاب الأئمة منا، وقوله: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ یعنی منهم من لا یعرف إمام زمانه ولا یأتم به فهو ظالم لنفسه بذلک، وقوله: وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ، یعنی من هو منهم فی النسب ممن عرف إمام زمانه وائتم به واتبعه فاقتصد سبیل ربه بذلک، والسابق بالخیرات هو الإمام منا.

شرح الأخبار:۳/۴۷۲:

الرازی قال: قال أبو جعفر محمد بن علی علیه السلام: ما یقول من قبلکم فی هذه الآیة: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَیْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ. جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَهَا...؟ قال قلت یقولون: نزلت فی أهل القبلة. قال: کلهم؟! قلت کلهم. قال فینبغی أن یکونوا قد غفر لهم کلهم؟! قلت: یابن رسول الله فیمن نزلت؟ قال: فینا. قلت: فما لشیعتکم؟ قال: لمن اتقی وأصلح منهم الجنة، بنا یغفر الله ذنوبهم، وبنا یقضی دیونهم، ونحن باب حطتهم کحطة بنی إسرائیل.

الثاقب فی المناقب/۵۶۶:

وعنه قال: کنت عند أبی محمد علیه السلام فسألته عن قول الله تعالی: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَیْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ؟ فقال علیه السلام: کلهم من آل محمد (علیهم السلام) الظالم لنفسه الذی لا یقر بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام والسابق بالخیرات بإذن الله: الإمام.

البحار:۲۳/۲۱۸:

روی السید ابن طاووس فی کتاب سعد السعود من تفسیر محمد بن العباس بن مروان قال: حدثنا علی بن عبدالله بن أسد، عن إبراهیم بن محمد، عن عثمان بن سعید، عن إسحاق بن یزید الفراء، عن غالب الهمدانی، عن أبی إسحاق السبیعی قال: خرجت حاجاً فلقیت محمد بن علی فسألته عن هذه الآیة: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ.. الآیة؟ فقال: ما یقول فیها قومک یا أبا إسحاق؟ یعنی أهل الکوفة، قال: قلت یقولون إنها لهم، قال: فما یخوفهم إذا کانوا من أهل الجنة؟! قلت: فما تقول أنت جعلت فداک؟ فقال: هی لنا خاصة یا أبا إسحاق، أما السابق بالخیرات فعلی بن أبی طالب والحسن والحسین والشهید منا أهل البیت، وأما المقتصد فصائم بالنهار وقائم باللیل، وأما الظالم لنفسه ففیه ما جاء فی التائبین وهو مغفور له.

یا أبا إسحاق بنا یفک الله عیوبکم، وبنا یحل الله رباق الذل من أعناقکم، وبنا یغفر الله ذنوبکم، وبنا یفتح الله وبنا یختم لا بکم، ونحن کهفکم کأصحاب الکهف، ونحن سفینتکم کسفینة نوح، ونحن باب حطتکم کباب حطة بنی إسرائیل.

وقال ابن شعبة الحرانی فی تحف العقول/۴۲۵:

لما حضر علی بن موسی (علیهما السلام)مجلس المأمون وقد اجتمع فیه جماعة علماء أهل العراق وخراسان. فقال المأمون: أخبرونی عن معنی هذه الآیة: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا.. الآیة؟

فقالت العلماء: أراد الله الأمة کلها.

فقال المأمون: ما تقول یا أبا الحسن؟

فقال الرضا علیه السلام: لا أقول کما قالوا ولکن أقول: أراد الله تبارک وتعالى بذلک العترة الطاهرة (علیهم السلام).

فقال المأمون: وکیف عنى العترة دون الأمة؟

فقال الرضا لنفسه: وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. ثم جعلهم کلهم فی الجنة فقال عز وجل: جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغیرهم. ثم قال الرضا علیه السلام: هم الذین وصفهم الله فی کتابه فقال: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً، وهم الذین قال رسول الله صلى الله علیه وآله: إنی مخلف فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی أهل بیتی لن یفترقا حتى یردا على الحوض، فانظروا کیف تخلفونی فیهما، یا أیها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منکم.

قالت العلماء: أخبرنا یا أبا الحسن عن العترة هم الال أو غیر الال؟

فقال الرضا علیه السلام: هم الآل.

فقالت العلماء: فهذا رسول الله یؤثر عنه أنه قال: أمتی آلی، وهؤلاء أصحابه یقولون بالخبر المستفیض (!!) الذی لا یمکن دفعه: آل محمد أمته!

فقال الرضا علیه السلام: أخبرونی هل تحرم الصدقة على آل محمد؟

قالوا: نعم.

قال علیه السلام: فتحرم على الأمة؟

قالوا: لا.

قال علیه السلام: هذا فرق بین الآل وبین الأمة، ویحکم أین یذهب بکم أصرفتم عن الذکر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون، أما علمتم أنما وقعت الروایة فی الظاهر على المصطفین المهتدین دون سائرهم!

قالوا: من أین قلت یا أبا الحسن؟

قال علیه السلام: من قول الله: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثة النبوة والکتاب فی المهتدین دون الفاسقین. أما علمتم أن نوحاً سأل ربه فقال: رب إن ابنی من أهلی وإن وعدک الحق، وذلک أن الله وعده أن ینجیه وأهله، فقال له ربه تبارک وتعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

فقال المأمون: فهل فضل الله العترة على سائر الناس؟

فقال الرضا علیه السلام: إن الله العزیز الجبار فضل العترة على سائر الناس فی محکم کتابهُ.

قال المأمون: أین ذلک من کتاب الله؟

قال الرضا علیه السلام: فی قوله تعالى إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وقال الله فی موضع آخر: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، ثم رد المخاطبة فی أثر هذا إلى سائر المؤمنین فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ یعنی الذین أورثهم الکتاب والحکمة وحسدوا علیهما بقوله: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا، یعنی الطاعة للمصطفین الطاهرین، والملک هاهنا الطاعة لهم.

قالت العلماء: هل فسر الله تعالى الاصطفاء فی الکتاب؟

فقال الرضا علیه السلام: فسر الاصطفاء فی الظاهر سوى الباطن فی اثنی عشر موضعاً. فأول ذلک قول الله: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ،

وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الآل فهذه واحدة.

والآية الثانية فى الإصطفاء قول الله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً، وهذا الفضل الذى لا يجحده معاند، لأنه فضل بين.

والآية الثالثة، حين ميز الله الطاهرين من خلقه أمر نبيه فى آية الإبتهال فقال: قل يا محمد تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين، فأبرز النبى صلى الله عليه وآله علياً والحسن والحسين وفاطمة (عليهم السلام)فقرن أنفسهم بنفسه. فهل تدرون ما معنى قوله: وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ؟

قالت العلماء: عنى به نفسه.

قال أبو الحسن عليه السلام: غلطتم، إنما عنى به علياً عليه السلام، ومما يدل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وآله حين قال: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلًا كنفسى، يعنى علياً عليه السلام. فهذه خصوصية لا يتقدمها أحد، وفضل لا يختلف فيه بشر، وشرف لا يسبقه إليه خلق، إذ جعل نفس على عليه السلام كنفسه، فهذه الثالثة.

وأما الرابعة: فإخراجه الناس من مسجده ما خلا العترة، حين تكلم الناس فى ذلك وتكلم العباس فقال: يارسول الله تركت علياً وأخرجتنا! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله تركه وأخرجكم. وفى هذا بيان قوله لعلى عليه السلام: أنت منى بمنزلة هارون من موسى.

قالت العلماء: فأين هذا من القرآن؟

قال أبوالحسن عليه السلام: أوجدكم فى ذلك قرآناً أقرؤه عليكم.

قالوا: هات.

قال عليه السلام: قول الله عز وجل: وَأَوْحَيْنَا إِلى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً، ففى هذه الآية منزلة هارون من موسى، وفيها أيضاً منزلة على عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ومع هذا دليل ظاهر فى قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال: إن هذا المسجد لا يحل لجنب ولا لحائض إلا لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله

فقالت العلماء: هذا الشرح وهذا البيان لا يوجد إلا عندكم معشر أهل بيت رسول الله!

قال أبو الحسن عليه السلام: ومن ينكر لنا ذلك؟! ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد مدينة العلم فليأتها من بابها، ففيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمة والإصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند، ولله عز وجل الحمد على ذلك. فهذه الرابعة.

وأما الخامسة، فقول الله عزوجل: وآت ذا القربى حقه، خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها، واصطفاهم على الأمة، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أدعوا لى فاطمة فدعوها له فقال: يا فاطمة، قالت: لبيك يا رسول الله، فقال: إن فدكاً لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، وهى لى خاصة دون المسلمين. وقد جعلتها لك لما أمرنى الله به فخذيها لك ولولدك فهذه الخامسة.

وأما السادسة: فقول الله عز وجل: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى فهذه خصوصية للنبى صلى الله عليه وآله دون الأنبياء، وخصوصية للآل دون غيرهم. وذلك أن الله حكى عن الأنبياء فى ذكر نوح عليه السلام: وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالا إنْ أَجْرِىَ إلا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ، وحكى عن هود عليه السلام قال: لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إنْ أَجْرِىَ إلا عَلَى الَّذِى فَطَرَنِى أَفَلا تَعْقِلُونَ، وقال لنبيه صلى الله عليه وآله: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى.

ولم يفرض الله مودتهم إلا وقد علم أنهم لا يرتدون عن الدين أبداً ولا يرجعون إلى ضلالة أبداً... إلى آخر الحديث.

ورواه فى بشارة المصطفى/۲۲۸ وفى بحار الأنوار:۲۵/۲۲۰

نظرية فداء المسلمين باليهود والنصارى

روی مسلم فی:۸/۱۰۴:

عن أبی موسی الأشعری قال: قال رسول الله (ص): إذا کان یوم القیامة دفع الله عز وجل إلی کل مسلم یهودیاً أو نصرانیاً فیقول هذا فکاکک من النار!! ورواه ابن ماجة:۲/۱۴۳۴ عن أنس وزاد فی أوله (إن هذه الأمة مرحومة عذابها بأیدیها) وقال فی هامشه: فی الزوائد: له شاهد فی صحیح مسلم من حدیث أبی بردة بن أبی موسی عن أبیه. وقد أعلَّه البخاری.

وقال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۲۵۱:

وأخرج ابن أبی حاتم والطبرانی عن عوف بن مالک عن رسول الله (ص): أمتی ثلاثة أثلاث، فثلث یدخلون الجنة بغیر حساب، وثلث یحاسبون حساباً یسیراً ثم یدخلون الجنة، وثلث یمحصون ویکسفون، ثم تأتی الملائکة فیقولون وجدناهم یقولون لا إله إلا الله وحده فیقول الله: أدخلوهم الجنة بقولهم لا إله إلا الله وحده واحملوا خطایاهم علی أهل التکذیب، وهی التی قال الله: ولیحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وتصدیقاً فی التی ذکر الملائکة قال الله تعالی: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، فهذا الذی یکسف ویمحص، ومنهم مقتصد وهو الذی یحاسب حساباً یسیراً، ومنهم سابق بالخیرات فهو الذی یلج الجنة بغیر حساب ولا عذاب بإذن الله، یدخلونها جمیعاً لم یفرق بینهم، یحلون فیها من أساور من ذهب إلی قوله لغوب. انتهی. ورواه الهیثمی فی مجمع الزوائد:۷/۹۵ وقال: رواه الطبرانی وفیه سلامة بن رونج وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقیة رجاله ثقات.

وقال النبهانی فی جامع الثناء علی الله/۴۱:

روی الإمام أحمد، عن أبی موسی، عن النبی(ص)قال: یجمع الله الأمم فی صعید واحد یوم القیامة، فإذا بدأ الله یصدع بین خلقه مثَّل لکل قوم ما کانوا یعبدون فیتبعونه حتی یقحموهم النار، ثم یأتینا ربنا عز وجل ونحن علی مکان رفیع فیقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فیقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربنا! فیقول: وهل تعرفونه إن رأیتموه؟ فنقول: نعم، فیقول کیف تعرفونه ولم تعرفوه؟ فنقول: نعم، إنه لا عدل له فیتجلی لنا ضاحکاً!! فیقول: أبشروا یا معشر الإسلام فإنه لیس منکم أحد إلا جعلت فی النار یهودیاً أو نصرانیاً مکانه!! انتهی

وما ذکره النبهانی رواه أحمد فی:۴/۴۰۷ و ۴۰۸ ورواه أیضاً فی: ۴/۳۹۱ وص ۳۹۸ وص ۴۰۲ وص ۴۱۰ بروایات متعددة، وفی کنز العمال:۱/۷۳ وص ۸۶ وج ۱۲/۱۵۹ وص ۱۷۰-۱۷۲ وج ۴/۱۴۹ عن مصادر متعددة.

وما تدعیه هذه الروایات من رفع جرائم أحد ووضعها علی ظهر أحد لا علاقة له بجرمه.. أمرٌ لا یقبله دینٌ ولا عقل، ویرده قوله تعالی (لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَی).

أما الذین قال الله تعالی إنهم یحملون أثقالاً مع أثقالهم، فإنهم الُمضِلُّون الذین یحملون من أثقال الذین أضلوهم، لأنهم شرکاء فی کفرهم ومعاصیهم، ثم لا ینقص من أثقال الضالین شی، لا أن جرائمهم تسقط کما تدعی هذه الروایة!!

والظاهر أن هذه المقولات ردةُ فعل من بعض المسلمین علی زعم الیهود بأنهم لا تمسهم النار إلا أیاماً معدودة ثم یخلفهم فیها المسلمون، کما تقدم فی فصل الشفاعة عند الیهود! فاخترع لهم أبو موسی الأشعری أو غیره نظریة فداء المسلم من النار بیهودی أو نصرانی! کما یفعل المجرم الشاطر فیفدی نفسه من مشکلة تحصل له فی الدنیا بأن یجعلها فی رقبة غیره زوراً وبهتاناً!!

اسقاط المحرمات عن أهل بدر

قال البخاری فی صحیحه:۵/۱۰:

عن علی (رض) قال: بعثنی رسول الله(ص)وأبا مرثد والزبیر وکلنا فارس قال: إنطلقوا حتی تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشرکین معها کتاب من حاطب بن أبی بلتعة إلی المشرکین، فأدرکناها تسیر علی بعیر لها حیث قال رسول الله(ص)، فقلنا: الکتاب!

فقالت: ما معنا كتاب! فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتاباً، فقلنا: ما كـذب رسول الله(ص)، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهى محتجزة بكساء فأخرجته، فانطلقنا بها إلى رسول الله(ص)فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلاـ ضرب عنقه، فقال النبى (ص): ماحملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله مابى أن لاـ أكون مؤمناً بالله ورسوله(ص)أردت أن تكون لى عند القوم يدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال: صدق، ولا تقولوا له إلا خيراً، فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلاضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم. فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. انتهى.

ورواه مسلم فى صحيحه:۷/۱۶۸ وقال (وليس فى حديث أبى بكر وزهير ذكر الآية وجعلها إسحاق فى روايته من تلاوة سفيان).

ورواه أبو داود فى سننه:۱/۵۹۷ وج ۲/۴۰۳ والترمذى:۵/۸۳ والحاكم:۳/۱۳۴ وص ۳۰۱ وج ۴/۷۷ والبيهقى فى سننه:۹/۱۴۶ والدارمى فى:۲/۳۱۳ ورواه أحمد فى:۱/۸۰ وص ۱۰۵وص ۳۳۱ وج ۲/۱۰۹ وص ۲۹۵... الخ.

ورواه البخارى أيضاً فى مواضع عديدة أخرى وجدنا منها سبعة: فى:۴/۱۹ وقال بعده (قال سفيان وأى إسناد هذا!) وفى:۴/۳۹ وفى:۵/۸۹ وفى:۶/۶۰ وفيه (قال عمرو ونزلت فيه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى عدوكم. قال لا أدرى الآية فى الحديث أو قول عمرو) وفى:۷/۱۳۴ وفى:۸/۵۵.

والموضعان الاخران روى البخارى فيهما طعناً على على عليه السلام قال فى:۴/۳۸:

عن أبى عبد الرحمن وكان عثمانياً فقال لابن عطية وكان علوياً: إنى لأعلم ما الذى جرأ صاحبك على الدماء! سمعته يقول: بعثنى النبى(ص)والزبير فقال إئتوا روضة كذا وتجدون بها امرأة أعطاها حاطب كتاباً... فقال: وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم! فهذا الذى جرأه. انتهى. وروى نحوه فى:۸/۵۴.

ومن الواضح أن البخارى أعجبه قول أبى عبد الرحمان العثمانى حتى رواه مرتين بدون تعليق!

وجوابه: أن علياً عليه السلام لم يكن يعتقد بهذه المقولة التى نسبوها إلى النبى صلى الله عليه وآله عن أهل بدر.. وأن حروبه الداخلية الثلاثة على تأويل القرآن كانت بعهد معهود اليه من رسول الله صلى الله عليه وآله كما رواه البخارى نفسه وغيره!

بل ثبت عندنا أن كل مواقفه وأعماله كانت بعهد ووصية من النبى صلى الله عليه وآله.

وعلى فرض تسليمنا ما يراه البخارى، فالسؤال موجهٌ اليه: مادام الذى جرَّأ علياً عليه السلام على سفك دماء المسلمين بزعمك، أنه رفع القلم عن أهل بدر، وأن علياً عليه السلام معذورٌ لذلك!

فما هو عذر عدوه معاوية فى خروجه على الخليفة الشرعى وقتاله إياه وسفكه لدماء المسلمين؟

وما عذرك فى الدفاع عن معاوية وتوثيقه والرواية عنه؟

إلا أن يكون البخارى قد عدَّ معاوية بدرياً لأنه شهدها مع أبيه أبى سفيان فى صف المشركين!!

ومن أشرف المواقف السنية فى هذا الموضوع موقف الحافظ ابن الجوزى، حيث رد مقولة المغفرة المطلقة لأهل بدر، وفسرها بأنها مغفرة لمامضى من ذنوبهم لا ما سيأتى، ثم رد على رواية البخارى بقوله:

ثم دعنا من معنى الحديث، كيف يحل لمسلم أن يظن فى أمير المؤمنين على رضى الله عنه فعل ما لا يجوز اعتماداً منه على أنه سيغفر له؟! حوشئ من هذا، وإنما قاتل بالدليل المضطر له إلى القتال، فكان على الحق، ولا يختلف العلماء أن علياً لم يقاتل أحداً إلا والحق مع على، كيف وقد قال رسول الله (ص): اللهم أدر الحق معه كيفما دار! فقد غلط أبو عبد الرحمن غلطاً قبيحاً، حمله عليه أنه كان عثمانياً! انتهى. (الصحيح فى السيرة:۵/۱۴۱ عن صيد الخاطر/۳۸۵)

وينبغى أن نشير أولاًـ إلى أن ما رووه من قول النبى صلى الله عليه وآله (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت

لكم الجنة أو فقد غفرت لكم) معناه القطع بذلك وليس الإحتمال والرجاء.. فعلى هذا تعامل العلماء السنيون مع الحديث، وقد صرح بالقطع واليقين حديث آخر رواه الحاكم وصححه قال فى المستدرك: ۴ ص ۷۷: عن أبى هريرة (رض) عن النبى صلى الله عليه وآله قال: إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذا اللفظ على اليقين (إن الله اطلع عليهم فغفر لهم) إنما أخرجاه على الظن وما يدريك لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر. انتهى.

وروى مفاده فى دلائل النبوة للبيهقى:۳/۱۵۳ قال: عن جابر بن عبد الله: أن عبداً لحاطب بن بلتعة جاء إلى رسول الله يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ليدخلن حاطب النار! فقال رسول الله (ص): جُذِبْت، لا يدخلها فإنه شهد بدراً والحديبية!. انتهى.

ولكن هذه الأحاديث الصحيحة عندهم بمقاييس الجرح والتعديل وأحكامه يواجهها حكم العقل وآيات القرآن وأحاديث النبى صلى الله عليه وآله القطعية المتفق عليها عند الجميع! إذ لا يمكن لعاقل أن يقبل أن الصحابة من أهل بدر أو كل الصحابة كما تقول روايات أخرى..مبشرون بالجنة، وأعمالهم مغفورة مهما كانت، وولايتهم فريضة من الله تعالى على المسلمين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله صلى الله عليه وآله! وأن من لايتولاهم أو ينتقصهم فهو فى النار محروم من الشفاعة والجنة ورائحة الجنة، وخارج عن ربقة الإسلام... إلى آخر الأحكام التى ذكروها للصحابة، وجعلوها جزء من شريعة الإسلام المقدسة، بل جزء من عقائده الاساسية!!

تقول لهم: يا إخواننا إن الصحابة أنفسهم قد سبَّ بعضهم بعضاً، وتبرأ بعضهم من بعضهم، وكفَّر بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضا وقتل بعضهم بعضاً! فمن المحق ومن المبطل؟ ومن المظلوم ومن الظالم؟ ومن يستحق الشفاعة منهم ومن يستحق الحرمان؟

فيقولون: لا تخوضوا فى موضوع الصحابة، فكلهم عدول وكلهم فى الجنة!

تقول لهم: لقد علَّمنا النبى صلى الله عليه وآله أن نخوض فى أمرهم، فقد ثبت فى الصحاح أنه صلى الله عليه وآله أخبر بأن بعضهم يدخل النار وأنهم لا يرونه ولا يراهم فى الآخرة، وأن بعضهم يردون عليه الحوض، فيذودهم عنه ويطردهم كما تطرد الأباعر الغريبة!!

فيقولون: لاتخوضوا فى موضوع الصحابة، فكلهم عدول وكلهم فى الجنة!

وترجمة كلامهم: أنك يجب عليك فى موضوع الصحابة أن تعطل عقلك، وتعطل آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله حتى تحافظ على إيمانك بالصحابة وتتمسك بهم!

ولكن التناقض لا فرق فيه بين صغير وكبير، فإذا قبلنا به لحل مشكلة الصحابة، فلنقبل به لحل مشكلة الأديان، ولنقل بصحة التثليث والتوحيد، والإيمان والكفر، والوثنية والإسلام..ولنحلَّ به مشكلة إبليس ونقول إنه عدو الله وولى الله معاً!!

العقل يقول: إذا تناقض أمران أو شخصان فى القول ولم يمكن الجمع بين قوليهما، فلا يمكن أن يكون كلا القولين حقاً، لأنه تناقض مستحيل.

وإذا تناقضا فى الفعل واقتتلا فلا يمكن أن يكون كل منهما على الحق، لأنه تناقض مستحيل.. ولا معنى للقبول بالتناقض إلا تعطيل العقل والتنازل عن قوانين العلية والبدهيات! وإذا عطلنا العقل، فلا يبقى إيمان بالله ورسله وكتبه، ولا صحابة ولا مصحوبون!

إن مانتعاه على اليهود والنصارى بأن عندهم عقائد لا يقبلها العقل، وأنهم يقبلون ما يناقض عقولهم من أجلها..يجب أن ننعاه على أنفسنا، لاننا نزعم أن الله تعالى أمرنا بإطاعة صحابة نبينا المتناقضين فى أقوالهم وأفعالهم، إلى حد كسر العظم وقطع الرقاب!

ولاننا نقرأ قول الله تعالى (ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ..) ثم ندعى أن الله تعالى قد سلَّم أمة نبيه صلى الله عليه وآله من بعده إلى صحابة متشاكسين فى الفقه والعقائد والسياسة إلى حد التناقض والتكفير والحرب!!

قال المفيد فى الإفصاح/۴۹:

فإن قال: أليس قد روى أصحاب الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: خير القرون القرن الذى أنا فيه، ثم الذين يلونه [۱] .

وقال عليه السلام: إن الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم [۲] وقال عليه السلام: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم [۳] .

فكيف يصح مع هذه الأحاديث أن يقترف أصحابه السيئات أو يقيموا على الذنوب والكبائر الموبقات؟!

قيل له: هذه أحاديث آحاد، وهى مضطربة الطرق والإسناد، والخلل ظاهر فى معانيها والفساد، وما كان بهذه الصورة لم يعارض الإجماع، ولا يقابل حجج الله تعالى وبيناته الواضحات، مع أنه قد عارضها من الأخبار التى جاءت بالصحيح من الإسناد، ورواها الثقات عند أصحاب الآثار، وأطبق على نقلها الفريقان من الشيعة والناصبة على الإتفاق، ما ضمن خلاف ما انطوت عليه فأبطلها على البيان:

فمنها: ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا فى جحر ضب لاتبعتموهم. فقالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن؟! [۴].

وقال صلى الله عليه وآله فى مرضه الذى توفى فيه: أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى [۵].

وقال صلى الله عليه وآله فى حجة الوداع لاصحابه: ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب، ألا لأعرفنكم ترتدون بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إنى قد شهدت وغبتم [۶].

وقال عليه السلام لأصحابه أيضاً: إنكم محشورون إلى الله تعالى يوم القيامة حفاة عراة، وإنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابى؟ فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم [۷].

وقال عليه السلام: أيها الناس بينا أنا على الحوض إذ مُرَّ بكم زمراً، فتفرق بكم الطرق فأناديكم: ألا هلموا إلى الطريق، فينادينى مناد من ورائى: إنهم بدلوا بعدك، فأقول:ألا سحقاً ألا سحقاً [۸].

وقال عليه السلام: ما بال أقوام يقولون: إن رحم رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنفع يوم القيامة؟! بلى والله إن رحمى لموصولة فى الدنيا والآخرة، وإنى أيها الناس فرطكم على الحوض، فإذا جئتم قال الرجل منكم: يا رسول الله أنا فلان بن فلان، وقال الآخر: أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، ولكنكم أحدثتم بعدى فارتددتم القهقرى [۹].

وقال عليه السلام وقد ذكر عنده الدجال: أنا لفتنة بعضكم أخوف منى لفتنة الدجال [۱۰].

وقال عليه السلام: إن من أصحابى من لا يرانى بعد أن يفارقنى [۱۱].

فى أحاديث من هذا الجنس يطول شرحها، وأمرها فى الكتب عند أصحاب الحديث أشهر من أن يحتاج فيه إلى برهان، على أن كتاب الله عز وجل شاهدٌ بما ذكرناه، ولو لم يأت حديث فيه لكفى فى بيان ما وصفناه: قال الله سبحانه وتعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ، فأخبر تعالى عن ردتهم بعد نبيه صلى الله عليه وآله على القطع والثبات، وقال جل اسمه: وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. فأنذرهم الله سبحانه من الفتنة فى الدين، وأعلمهم أنها تشملهم على العموم إلا من خرج بعصمة الله من الذنوب.

وقال سبحانه وتعالى: الَم. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ. أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. وهذا صريح فى الخبر عن فتنتهم بعد النبى صلى الله عليه وآله بالإختبار، وتمييزهم بالأعمال.

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَاتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ.. إلى آخر الآية، دليل على ما ذكرناه.

وقوله تعالى: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ. يزيد ما شرحناه.

ولو ذهبنا إلى استقصاء ما فى هذا الباب من آيات القرآن والأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله لانتشر القول فيه، وطال به الكتاب.

وفى قول أنس بن مالك: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فأضاء منها كل شئ، فلما مات عليه السلام أظلم منها كل شئ،

وما نفضنا عن النبی صلی الله علیه وآله الأیدی ونحن فی دفنه حتی أنکرنا قلوبنا. [۱۲] شاهد عدل علی القوم بما بیناه.

مع أنا نقول لهذا السائل المتعلق بالأخبار الشواذ المتناقضة ما قدمنا حکایته وأثبتنا أن أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله الذین توهمت أنهم لا یقارفون الذنوب ولا یکتسبون السیئات، هم الذین حصروا عثمان بن عفان وشهدوا علیه بالردة عن الإسلام وخلعوه عن إمامة الأنام... إلی آخر کلامه المفید رحمه الله.

[۱] مسند أحمد ۲: ۲۲۸ سنن أبی داود ۴: ۲۱۴/۴۶۵۷ صحیح مسلم ۴: ۱۹۶۲/۲۱۰ وفیها: خیر أمتی القرن.

[۲] مسند أحمد ۱: ۸۰ و ۲: ۲۹۵ صحیح مسلم ۴: ۱۹۴۱/۱۶۱ صحیح البخاری ۶: ۳۶۳/۳۸۳ سنن الدرامی ۲: ۳۱۳.

[۳] لسان المیزان ۲: ۱۳۷ تفسیر البحر المحیط ۵: ۵۲۸ أعلام الموقعین ۲: ۲۲۳ کنز العمال ۱:۱۹۹/۱۰۰۲ کشف الخفاء ومزیل الالباس ۱/۱۳۲. وانظر تلخیص الشافی ۲: ۲۴۶.

[۴] مسند أحمد ۲:۵۱۱ سنن ابن ماجة ۲:۱۳۲۲/۳۹۹۴ صحیح البخاری ۴: ۳۲۶/۲۴۹.

[۵] مسند أحمد ۳: ۴۸۹ مجمع الزوائد ۹: ۲۴ سنن ابن ماجة ۲: ۱۳۱۰/۳۹۶۱.

[۶] الجامع الصحیح للترمذی ۴: ۴۶۱/۲۱۵۹ و ۴۸۶/۲۱۹۳ صحیح البخاری ۷: ۱۸۲ و۸:۲۸۵/۱۴ و۹:۹۰/۲۷ صحیح مسلم ۳: ۱۳۰۵/۲۹–۳۱ سنن أبی داود ۴: ۲۲۱/۴۶۸۶ قطعة منه مسند أحمد ۱:۲۳۰ سنن النسائی ۷:۱۲۷ قطعة منه سنن الدارمی ۲:۶۹ قطعة منه.

[۷] صحیح البخاری ۶: ۱۰۸ صحیح مسلم ۴: ۲۱۹۴/۵۸ الجامع الصحیح للترمذی ۴: ۶۱۵/۲۴۲۳ سنن النسائی ۴: ۱۱۷.

[۸] مسند أحمد ۶: ۲۹۷.

[۹] مسند أحمد ۳: ۱۸ و ۶۲ قطعة منه.

[۱۰] کنز العمال ۱۴: ۳۲۲/۲۸۸۱۲.

[۱۱] مسند أحمد ۶: ۳۰۷.

[۱۲] الجامع الصحیح للترمذی ۵: ۵۸۸/۳۶۱۸ مسند أحمد بن حنبل ۳: ۲۲۱/۲۶۸ سنن ابن ماجة ۱: ۵۲۲/۱۶۳۱. انتهی.

حرمان من سب الصحابة من الشفاعة

روی الدیلمی فی فردوس الأخبار:۲/۴۹۸ ح ۳۳۹۸:

عن عبد الرحمن بن عوف عن النبی صلی الله علیه وآله أنه قال: شفاعتی مباحة إلا لمن سب أصحابی.

وفی:۱/۹۸ ح ۱۹۶:

عن عبدالرحمن بن عوف أیضاً وفیه: فشفاعتی محرمة علی من شتم أصحابی. ورواه أبو نعیم فی حلیة الأولیاء کما ذکر فی کنز العمال: ۱۴/۳۹۸.

وروی الشیرازی فی الالقاب وابن النجار کما ذکر کنز العمال: ۱۴/۶۳۵:

عن أم سلمة قالت قال رسول الله (ص): نعم الرجل أنا لشرار أمتی! فقال له رجل من مزینة: یا رسول الله أنت لشرارهم فکیف لخیارهم؟ قال: خیار أمتی یدخلون الجنة بأعمالهم، وشرار أمتی ینتظرون شفاعتی. ألا إنها مباحةٌ یوم القیامة لجمیع أمتی إلا رجل ینتقص أصحابی! ونقله کاندهلوی فی حیاة الصحابةج ۳/۴۵.

ولا نقصد بنقد هذه الروایات الدفاع عن الذین یسبون بعض الصحابة، فالسب والشتم وکل أنواع البذاءة فی المنطق لایمکن لعاقل أن یدافع عنها، بل لا یرتکبها عاقل فی حالة سیطرة عقله علی منطقه، فضلاً عن الأتقیاء الأبرار.

وإنما غرضنا بیان تهافت منطق هذه الأحادیث فی منح الشفاعة والحرمان منها! فهذا المنطق یقول: یجوز للصحابی أن یحکم بفسق الصحابی الآخر أو کفره، وأن یسبه ویهینه ویضربه ویحبسه ویشهر علیه سیفه ویقتله، أو یکید به ویقتله بالسم أو بالاغتیال، ویجوز له

أن يستعمل كل أساليب السياسة والمناورة والمخادعة ضده، وأن يجمع حوله الناس بالرشوة والتهديد.. وأن يخرج على إمام زمانه ويسبب انشقاقاً فى الأمة وحروبا يقتل فيها عشرات ألوف المسلمين، وأن يرتكب كل المحرمات.. ولا بأس بذلك كله، لأنه مغفورٌ له مشمولٌ بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله أو مستحق للجنة بدون شفاعة!!

أما غير الصحابة من المسلمين فلو انتقد صحابياً ولو انتقاداً صغيراً.. فقد شمله مرسوم الحرمان النبوى من الشفاعة وصار مخلداً فى النار!!

إنه منطق يستشكل فى الحبة ويأكل القبة! ولا يمكن أن يكون مما أنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله!

بل إن صيغة الحديث (لا تسبوا أصحابى) وأمثاله يصعب تعقل صدورها عن النبى صلى الله عليه وآله لأن مخاطبيه هم أصحابه، فكيف يقول لهم: لا تسبوا أصحابى أو اقتدوا بأصحابى!

وأخيراً، فإن أحاديث فضل الصحابة ووجوب مودتهم وموالاتهم وحرمة بغضهم وانتقاصهم وانتقادهم..يصعب فهمها بل لا يمكن فهمها إلا بالمقارنة مع الآيات والأحاديث المشابهة الواردة فى حق أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله مثل قوله تعالى: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى، وقوله: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً... وأحاديث: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وأهل بيتى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، ولا يؤمن أحدكم حتيبحبهم لحبى، وعشرات غيرها متفق على صدورها عن النبى صلى الله عليه وآله وقد ركز فيها الإسلام مكانة عترة النبى من بعده حتى أنه حرم عليهم الصرف من المصارف العامة وجعل لهم مالية خاصة هى الخمس!

والباحث المتتبع يجد أن كل حديث قاله النبى صلى الله عليه وآله فى أهل بيته.. نبت مقابله حديث فى أصحابه! حتى أن حديث الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، نبت مقابله: أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة، وحديث إحفظونى فى أهل بيتى نبت مقابله: إحفظونى فى أصحابى..

وقانون الحرمان من الشفاعة لمن ينتقص الصحابة، ما هو إلا نبتةٌ قريشية مقابل قانون حرمان النواصب من الشفاعة الذى ثبت عند الجميع، كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

الدخول إلى جهنم

لتحليل القسم الالهى بأن يملاه

روى البخارى فى صحيحه:۲/۷۲:

عن أبى هريرة (رض) عن النبى(ص)قال: لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار، إلا تحلة القسم. ورواه أيضاً فى:۷/۲۲۴.

ورواه مسلم:۸/۳۹ وفيه (فتمسه النار) ورواه ابن ماجة:۱/۵۱۲ والنسائى:۴/۲۲ و۲۵ بعدة روايات وفى بعضها: فتمسه النار.. والترمذى:۲/۲۶۲ وأحمد:۲/۲۴۰ وص ۲۷۶ وص ۴۷۳ وص ۴۷۹ والبيهقى فى سننه:۴/۶۷ وج ۷/۷۸ والهيثمى فى مجمع الزوائد:۱/۱۶۳ وج ۵/۲۸۷ والهندى فى كنز العمال:۳/۲۸۴ وص ۲۹۳ وج ۴/۳۲۳ وج ۱۰/۲۱۶ والسيوطى فى الدر المنثور:۴/۲۸۰ وفى عدد من رواياته: تمسه النار. وفى عدد آخر: يلج النار وفى أكثرها (تحلة القسم).

ورغم التفاوت فى صيغ هذه الروايات إلا أنها تتفق على أن هذا الوالد الذى تحمل ألم خسارة أولاده الثلاثة يستحق الجنة حتى لو كان مذنباً، لكن يجب على هذا المسكين أن يدفع ضريبة يمين الله تعالى، ويدخل النار مدة قليلة تحلةً لقسم الله تعالى حتى لا يكون الله حانثاً بقسمه، ثم له من الله تعالى وَعْدُ شَرف أن ينقله إلى الجنة!!

فما هى قصة هذا القسم؟ وما ذنب هذا الوالد وغيره من المساكين الذين أدخلتهم صحاح السنيين فى جهنم لا لشئ إلا لتحليل يمين الله تعالى!

حـاولت بعض الروایـات أن تجعـل القسم قوله تعـالی (وَإِنْ مِنْکُمْ إِلا وَارِدُهَا کَانَ عَلَی رَبِّکَ حَتْمًا مَقْضِیًّا. ثُمَّ نُنَجِّی الَّذِینَ اتَّقَوْا وَنَـذَرُ الظَّالِمِینَ فِیهَا جِثِیًّا.) مریم: ۷۰-۷۱ وقالوا إن هذا القضاء الالهی الحتمی هو القسم وهو عام للجمیع.

ولکنه تفسیر من الرواة لأن الصحاح لم ترو حدیثاً یفسر القسم بذلک!

قال البیهقی فی سننه:۱۰/۶۴:

قال أبو عبیـد: نری قوله تحلـة القسم یعنی قول الله تبارک وتعالی: وَإِنْ مِنْکُمْ إِلا وَارِدُهَا کَانَ عَلَی رَبِّکَ حَتْمًا مَقْضِیًّا.، یقول فلا یردها إلا بقدر ما یبر الله قسمه فیه. وفیه: أنه أحل للرجل یحلف لیفعلن کذا وکذا ثم یفعل منه شیئاً دون شئ، یبری فی یمینه. انتهی.

ولکن تفسیرهم هذا لا یصح:

أولاً، لما ذکره البیهقی من أنه یفتـح الباب للناس للتلاعب بأیمانهم، ولا تبقی قیمـة لیمین! فإذا کان الله تعالی یسـتعمل الحیلة الشـرعیة للتحلل من یمینه ویسمیها (تحلة القسم) فلا حرج علی عباده أن یلعبوا بأیمانهم!!

وثانیاً، لا یوجد فی آیة الورود قسم، بینما ورد فی کل روایات الصحاح أن سبب دخول هذا الاب (تحلَّةَ القسم).

وثالثـاً، إن المؤمنین الـذین یردون جهنم ویشـرفون علیهـا فی طریق عبورهم إلی الجنـة لاـ تمسـهم نارها، بینما ورد فی عـدد من صـیغ الحدیث التعبیر بتمسه النار تحلة القسم.

ورابعاً، أن الورود المـذکور فی الآیـة أمرٌ عامٌ شاملٌ، ولیس من البلاغـة اسـتثناء هـذا الوالد من اسـتحقاق الجنة، مع أن حال فی الورود حال غیره!!

وخامساً، ورد فی صـیغة البخاری وغیره تعبیر بالولوج وهو الـدخول المحقق فی النار، بینما الورود أعم من الدخول فی النار والاشـراف علیها عند المرور علی الصراط.

قال فی تفسیر التبیان:۷/۱۴۳:

واختلفوا فی کیفیة ورودهم الیها فقال قوم وهو الصـحیح: إن ورودهم هو وصولهم إلیها وإشـرافهم علیها من غیر دخول منهم فیها، لأن الورود فی اللغة هو الوصول إلی المکان، وأصله ورود الماء وهو خلاف الصدور عنه. ویقال: ورد الخبر بکذا تشبیهاً بذلک.

ویدل علی أن الورود هو الوصول إلی الشئ من غیر دخول فیه قوله تعالی: وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْیَنَ، وأراد وصل الیه. وقال زهیر:

فلما وردنَ الماء زرقاً جمامَه وضعنَ عِصِیَّ الحاضرِ المتخیم

وقال قتادة وعبدالله بن مسعود: ورودهم إلیها هو ممرهم علیها.

وقال عکرمة: یردها الکافر دون المؤمن، فخص الآیة بالکافرین.

وقـال قوم شـذاذ: ورودهم إلیها دخولهم فیها ولو تحلـة القسم. روی ذلک عن ابن عباس وکان من دعائه: اللهم أزحنی من النار سالماً وأدخلنی الجنة غانماً. وهذا الوجه بعید، لأن الله قال: إِنَّ الَّذِینَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَی أُولَئِکَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ.، فبین تعالی أن من سبقت له الحسـنی من الله یکون بعیداً من النار، فیکف یکون مبعداً منها مع أنه یدخلها وذلک متناقض. فإذاً المعنی بورودهم: إشـرافهم علیها ووصولهم إلیها. انتهی.

وعلی هـذا یتعین أن یکون المقصود بتحلة القسم فی هذه الأحادیث المزعومة: قسـمه تعالی بأن یملا جهنم من الجنة والناس، فی قوله تعالی: وَلَوْ شَاءَ رَبُّکَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا یَزَالُونَ مُخْتَلِفِینَ. إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّکَ وَلِذَلِکَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ کَلِمَةُ رَبِّکَ لامْلانَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِینَ. هود: ۱۱۸-۱۱۹

ویکون معنی الحـدیث: أن هذا الوالد یسـتحق الجنة، ولکن بما أن الله تعالی أقسم أن یملأ النار، ولیس عنده ما یکفی لملئها، فإن علی هذا الوالد المسکین أن یدفع الضریبة من جلده!!

إن منطق هـذا الحدیث یصور الله تعالی کأنه حاکم دنیوی بنی سـجناً وأقسم أن یملاه من المجرمین، وعندما وجد أن السـجن کبیرٌ لم

يمتلي بالمجرمين الموجودين، أمر شرطته أن يقبضوا على الناس من الشارع ويضعوهم فى السجن حتى يملاوه ويفى حضرة الحاكم بيمينه، ولاـ يكون كاذباً!وهو تصورٌ نجده عن الله تعالى فى التوراة ولا نجده فى القرآن.. الأمر الذى يجعلنا نطمئن بأن فكرة إدخال الناس إلى النار لتحلة القسم فكرة توراتية أخذها المسلمون من اليهود، ففى تفسير كنز الدقائق:۲/۴۷، جاء فى رد مقولات اليهود التى منها (أنه تعالى وعد يعقوب أن لا يعذب أولاده إلا تحلة القسم)!!

ولكن أين هذا المنطق من قوانين الحق والعدل الالهى التى أقام الله تعالى عليها الكون والحياة، وأنزلها فى كتابه وأوحى بها إلى رسوله صلى الله عليه وآله فخضع لها العلماء والفلاسفة والمفكرون!

حرمان من الشفاعة بسبب صبغ الشعر

يمكن للباحث أن يتفهم أحاديث الحرمان من الشفاعة لمن ينتقد الصحابة، ويفسرها بأنها محاولة لتسكيت المسلمين عن الصحابى الحاكم وجماعته. ولكن بعض الحرمانات الواردة فى الصحاح لا يستطيع أن يفهم لها علة ولا معنى، إلا بعد جهد جهيد، مثل حرمانهم الذى يصبغ شعره ولحيته بالسواد من الشفاعة والجنة!

فقد روت ذلك الصحاح كما فى النسائى:۸/۱۳۸ قال: عن ابن عباس رفعه أنه قال قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة. انتهى.

ورواه أبو داود فى:۲/۲۹۱

وأحمد فى:۱/۲۷۳

والبيهقى فى سننه:۷/۳۱۱

وروى الهيثمى فى مجمع الزوائد:۵/۱۶۳ روايةً شديدةً على المجرم الذى يصبغ شعره ولحيته بالسواد، وقال إنها موثقة عند ابن حنبل وابن معين وابن حبان قال: عن أبى الدرداء قال قال رسول الله(ص): من خضب بالسواد سوَّد الله وجهه يوم القيامة. رواه الطبرانى وفيه الوضين بن عطاء وثقه أحمد وابن معين وابن حبان، وضعفه من هو دونهم فى المنزلة وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وقد تحير فى ذلك بعض أصحاب الصحاح.. ومن حقهم أن يتحيروا.. فمع أنهم عاشوا فى القرن الثالث ولم يشهدوا القرن الأول ولا الثانى، ولكن عهدهم كان قريباً نسبياً، والمسألة واضحةٌ وضوح اللحى! ومع ذلك وصلت اليهم أحاديث متناقضة فيها! فمنها أحاديث تقول إن النبى صلى الله عليه وآله أمر بتغيير الشيب ومخالفة اليهود الذين يحرمون صبغ الشيب، وأحاديث تقول إنه أمر بصبغه بالحناء، أى باللون الاحمر الذى تصبغ به العرب ونهى عن السواد لأنه خضاب الكفار! وأخرى تقول إنه أمر بالسواد، وأخرى تقول بالكتم والوسم الأصفر...!

واختلفت رواياتهم فى أن النبى صلى الله عليه وآله هل صبغ شيبه أم لا، فروايةٌ تقول إنه صبغه بالحناء، ولكنهم رجحوا أخرى تقول لم يدركه الشيب إلا شعرات قليلة ولم يصبغها.

قال مسلم فى صحيحه: ۷/۸۴ و۸۵: قال سئل أنس بن مالك عن خضاب النبى(ص)فقال: لو شئت أن أعد شمطات كن فى رأسه فعلت وقال: لم يختضب وقد اختضب أبو بكر بالحناء والكتم واختضب عمر بالحناء بحتا. انتهى.

وقد روى الجميع خضاب أبى بكر وعمر بالحناء والكتم كما فى مسند أحمد: ۳/۱۰۰ وج ۳/۱۰۸ وص ۱۶۰ وص ۱۷۸.

ولكن تحير أصحاب الصحاح كان على مستوى الرواية فقط، أما الرأى السائدالمتبع عندهم فهو النهى المشدد عن الخضاب بالسواد، لأنه رأى الدولة من زمن أبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية..إلى آحر الخلافة الأموية!

ولذا جعل النسائى عنوان المسألة: النهى عن الخضاب بالسواد وقال فى:۸/۳۸

عن ابن عباس رفعه أنه قال: قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة.

عن أبى الزبير عن جابر قال أتى بأبى قحافة يوم فتح مكة، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله (ص): غيروا هذا بشئ واجتنبوا السواد... ثم قال النسائى: والناس فى ذلك مختلفون، والله تعالى أعلم، لعل المراد الخالص، وفيه أن الخضاب بالسواد حرامٌ أو مكروهٌ، وللعلماء فيه كلام، وقد مال بعض إلى جوازه للغزاة، ليكون أهيب فى عين العدو، والله تعالى أعلم.

أما الفقهاء فقد قننوا المسألة وأعطوها صيغتها الشرعية، وأجمعوا على ذم الخضاب بالسواد، ذمَّ تحريم، وربما وجد فيهم نادرٌ يقول بأنه ذم تنزيه!

قال النووى فى المجموع:۱/۲۹۴:

(فرع) اتفقوا على ذم خضاب الرأس أو اللحية بالسواد، ثم قال الغزالى فى الأحياء والبغوى فى التهذيب وآخرون من الأصحاب هو مكروه، وظاهر عباراتهم أنه كراهة تنزيه، والصحيح بل الصواب أنه حرام. وممن صرح بتحريمه صاحب الحاوى فى باب الصلاة بالنجاسة، قال إلا ـ أن يكون فى الجهاد، وقال فى آخر كتابه الأحكام السلطانية: يمنع المحتسب الناس من خضاب الشيب بالسواد إلا المجاهد.

ودليل تحريمه حديث جابر (رض) قال: أتى بأبى قحافة والد أبى بكر الصديق رضى الله عنهما يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله (ص): غيروا هذا واجتنبوا السواد. رواه مسلم فى صحيحه، والثغامة بفتح الثاء المثلثة وتخفيف الغين المعجمة نبات له ثمر أبيض. وعن ابن عباس (رض) قال: قال رسول الله (ص): يكون قوم يخضبون فى آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة. رواه أبو داود والنسائى وغيرهما، ولا فرق فى المنع من الخضاب بالسواد بين الرجل والمرأة، هذا مذهبنا. انتهى.

وقال ابن قدامة فى المغنى:۱/۷۶:

وعن الحكم بن عمر الغفارى قال: دخلت أنا وأخى رافع على أمير المؤمنين عمر وأنا مخضوب بالحناء وأخى مخضوب بالصفرة، فقال عمر بن الخطاب: هذا خضاب الإسلام، وقال لاخى رافع: هذا خضاب الإيمان. ويكره (وكره) الخضاب بالسواد. قيل لابى عبدالله تكره الخضاب بالسواد قال إى والله...! انتهى.

وروى الحاكم قصة أخرى مشابهة وجعل رأى الخليفة عمر حديثاً مسنداً قال فى المستدرك:۳/۵۲۶ قال:

دخل عبدالله بن عمر على عبدالله بن عمرو وقد سوَّدَ لحيته، فقال عبدالله بن عمر: السلام عليك أيها الشويب! فقال له ابن عمرو: أما تعرفنى يا أبا عبدالرحمن؟ قال بلى أعرفك شيخاً فأنت اليوم شاب! إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الصفرة خضاب المؤمن، والحمرة خضاب المسلم، والسواد خضاب الكافر. انتهى.

وقال عنه فى مجمع الزوائد:۵/۱۶۳: رواه الطبرانى وفيه من لم أعرفه. انتهى.

– وقد سئل الشيخ ابن باز فى كما فى فتاويه:۴/۵۸ طبعة مكتبة المعارف بالرياض:

– مامدى صحة الأحاديث التى وردت فى صبغ اللحية بالسواد، فقد انتشر صبغ اللحية بالسواد عند كثير ممن ينتسبون إلى العلم؟

فقال فى جوابه: فى هذا الباب أحاديث صحيحة كثيرة، وذكر حديث حواصل الحمام، وقال بعده: وهذا وعيدٌ شديد، وفى ذلك أحاديث أخرى، كلها تدل على تحريم الخضاب بالسواد، وعلى شرعية الخضاب بغيره. انتهى.

والمتتبع لنصوص المسألة يصل إلى قناعة بأن مرسوم الحرمان من الجنة مرسومٌ قرشى..وسببه أن العرب ومنهم قريش كانوا يصبغون شيبهم بالحناء الذى يأتيهم من الهند، وبعضهم يصبغونه بالورس والزعفران الذى يأتيهم من اليمن وإيران (لاحظ مغنى ابن قدامة:۱/۷۶).

وأول من خضب بالسواد من العرب عبد المطلب كما نص السهيلى فى الروض الانف:۱/۷ ونقله عنه النووى فى المجموع:۱۸/۲۵۴.

ولا يبعد أنه صار بعد عبد المطلب رمزاً لبنى هاشم. وسيأتى أن الإسلام أقر عدة تشريعات سنَّها عبد المطلب بإلهام من الله تعالى مثل: الطواف سبعاً، والدية، ومنها سنَّة الخضاب بالوسم.

ماذا يصنع رواة الخلافة القرشية بهذه الأحاديث

تدل الأحاديث من مصادر الجميع على أن الإسلام أقر سنَّة عبد المطلب فى صبغ الشيب بالسواد فقد روى ابن ماجة فى سننه:۲/۱۱۹۷ عن صهيب قال: قال رسول الله (ص): إن أحسن ما اختضبتم به لَهَذَا السواد، أرغب لنسائكم فيكم، وأهيب لكم فى صدور عدوكم. انتهى.

وقالوا بعده: هذا الحديث معارض لحديث النهى عن السواد، وهو أقوى إسناداً وأيضاً النهى يقدم عند المعارضة، وفى الزوائد: إسناده حسن. انتهى.

وإذا صح ما ذكره رواة قريش من أن النهى دائماً أقوى من الرخصة، وأن الخضاب بالسواد حرام وصاحبه لا يشم رائحة الجنة! فهل يلتزمون بأن الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة لا يشم رائحتها!

فقد روى البخارى فى صحيحه:۴/۲۱۶:

عن أنس بن مالك (رض): أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن على فجعل فى طست فجعل ينكته وقال فى حسنه شيئاً فقال أنس: كان أشبههم برسول الله(ص)وكان مخضوباً بالوسمة! انتهى. والوسمة هى السواد.

وفى مجمع الزوائد:۵/۱۶۲:

عن محمد بن على أنه رأى الحسن بن على (رض) مخضوباً بالسواد على فرس ذنوب. رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح، خلا محمد بن إسماعيل بن رجاء وهو ثقة. وعن سليم قال: رأيت جرير بن عبدالله يخضب رأسه ولحيته بالسواد. رواه الطبرانى وسليم والراوى عنه لم أعرفهما.

وعن محمد بن على أن الحسين بن على (رض) كان يخضب بالسواد. رواه الطبرانى ورجاله رجال الذى قبله، وقد روى عنهما من طرق وهذه أصحها ورجالها رجال الصحيح.

وعن عبد الرحمن بن بزرج قال: رأيت الحسن والحسين ابنى فاطمة يخضبان بالسواد، وكان الحسين يدع العنفقة. رواه الطبرانى وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

وعن عبدالله بن أبى زهير قال: رأيت الحسين بن على يخضب بالوسمة. رواه الطبرانى وعبد الله بن أبى زهير لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. انتهى.

وجرير بن عبدالله المذكور هو البجلى من كبار أصحاب على عليه السلام ومن قادة جيشه وقد حمل عدداً من رسائله إلى معاوية.

فيتضح من ذلك أن أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم كانوا يخضبون شيبهم بالسواد. وأن النهى عن السواد نهى قرشئ لا نبوى، وغرضه إبعاد الناس عن التشبه ببنى هاشم المعارضين للدولة!

بل ماذا يصنع الشيخ ابن باز بإمامه الزهرى الذى روى عنه البخارى نحو ۱۲۰۰ رواية فى صحيحه، فقد كان-بعد أن خفَّت حدة المسألة فى القرن الثانى-يصبغ شيبه بالسواد، ويقول إن النبى أمر بتغيير الشيب ولم يحدد لون الصبغ!

قال أحمد فى مسنده:۲/۳۰۹:

قال رسول الله (ص): إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم. قال عبد الرزاق فى حديثه: قال الزهرى: والأمر بالاصباغ، فأحلكها أحب الينا. قال معمر: وكان الزهرى يخضب بالسواد. انتهى.

رأى أهل البيت

روى الكلينى فى الكافى:۶/۴۸۱:

عن: أحمد بن محمد، عن سعید بن جناح، عن أبی خالد الزیدی، عن جابر، عن أبی جعفر علیه السلام قال: دخل قوم علی الحسین بن علی صلوات الله علیهما فرأوه مختضباً بالسواد فسألوه عن ذلک، فمد یده إلی لحیته ثم قال: أمر رسول الله صلی الله علیه وآله فی غزاة غزاها أن یختضبوا بالسواد، لیقووا به علی المشرکین.

وفی الکافی:۶/۴۸۳:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبی عبدالله، عن عدة من أصحابه، عن علی بن أسباط، عن عمه یعقوب بن سالم قال: قال أبو عبدالله علیه السلام: قتل الحسین صلوات الله علیه وهو مختضب بالوسمة.

وفی الکافی:۶/۴۸۰:

محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد، عن علی بن الحکم، عن مسکین بن أبی الحکم، عن رجل، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: جاء رجل إلی النبی صلی الله علیه وآله فنظر إلی الشیب فی لحیته فقال النبی صلی الله علیه وآله: نورٌ، ثم قال: من شاب شیبةً فی الإسلام کانت له نوراً یوم القیامة. قال فخضب الرجل بالحناء ثم جاء إلی النبی صلی الله علیه وآله فلما رأی الخضاب قال: نورٌ وإسلامٌ، فخضب الرجل بالسواد، فقال النبی صلی الله علیه وآله: نورٌ وإسلامٌ وإیمانٌ، ومحبةٌ إلی نسائکم، ورهبةٌ فی قلوب عدوکم.

وفی الکافی:۶/۴۸۰:

محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم قال: دخلت علی أبی الحسن (الرضا) علیه السلام وقد اختضب بالسواد فقلت: أراک قد اختضبت بالسواد؟ فقال: إن فی الخضاب أجراً، والخضاب والتهیئة مما یزید الله عز وجل فی عفة النساء، ولقد ترک النساء العفة بترک أزواجهن لهن التهیئة!

وفی من لا یحضره الفقیه:۱/۱۲۲:

قال الصادق علیه السلام: الخضاب بالسواد أنسٌ للنساء، ومهابةٌ للعدو.

وفی وسائل الشیعة:۱/۴۰۳:

محمد بن الحسین الرضی الموسوی فی نهج البلاغة عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه سئل عن قول رسول الله صلی الله علیه وآله: غیروا الشیب، ولا تشبهوا بالیهود فقال: إنما قال ذلک والدین قلٌّ، وأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه فامرؤٌ وما اختار. انتهی.

ویفهم من هذا الحدیث أن الأمر بتغییر الشیب لیس للوجوب، بل هو لإثبات الرخصة فی مورد توهم الحظر والتحریم، کما یعتقد الیهود.

خلاصة المسألة

والخلاصة: أن الخضاب بالسواد سنة لعبد المطلب رضوان الله علیه، خالف فیها الیهود، وخالف فیها الخضاب بالأحمر والأصفر المستعمل عند العرب، وقد أقر الإسلام هذه السنة وجعلها مستحبة، ولم یحرم الخضاب بغیرها. بل لم یوجب فی الأصل تغییر لون الشیب، وإنما جعله مستحباً فی بعض الحالات.

ولکن دخلت قریش علی الخط لتمسکها من جهة بالخضاب الأحمر والاصفر، وحساسیتها من جهة أخری من عبد المطلب وأولاده الذین لم یعترفوا بخلافتها.. فنتج عن ذلک تحریم الخضاب بالسواد، وحرمان صاحبه من الجنة والشفاعة، وتسوید وجهه یوم القیامة!!

ولکن العباسیین أولاد عبد المطلب ثأروا لخضاب جدهم، فجعلوا رایاتهم سوداء حتی سماهم الناس (المُسَوِّدَة) وبعد انتصارهم فرضوا لبس السواد علی جمیع المسلمین، خاصة أتباع الدولة، وجعلوه شعاراً لهم! فکان ذلک إفراطاً فی الانتصار لخضاب عبد المطلب!

لذلک رأینا أن الأئمة من أهل البیت (علیهم السلام) نهوا عن لبس السواد إلا فی الحرب، والحزن، خاصةً لمصاب الإمام الحسین علیه السلام، وفضلوا فی الحالات العادیة اللون الاخضر الذی کان یفضله النبی صلی الله علیه وآله.

وعندما أراد المأمون أن يتقرب إلى الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)ويغيض العباسيين الذين خلعوه، نقل ولاية العهد من العباسيين وأوصى بها للإمام على بن موسى الرضا عليه السلام وأمر بتغيير اللباس الاسود فى الدولة إلى اللباس الأخضر.. وبذلك استقر اللون الاخضر شعاراً لبنى هاشم، ثم شعاراً للعرب، والحمد لله.

وأخيراً لا يفوتنا أن نشير إلى حديث الرايات السود الثابت عن النبى صلى الله عليه وآله فى علامات ولده المهدى الموعود عليه السلام وأن العباسيين حرصوا على مصادرته وتطبيقه على راياتهم وثورتهم، وسموا أحد خلفائهم بالمهدى، وأشهدوا كبار قضاتهم وفقهائهم على أنه المهدى الموعود المبشر به من رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولكن المهدى العباسى لم يملا الأرض قسطاً وعدلاً، ولم يعط المال للناس حثياً بدون عدٍّ كما ورد فى صفات المهدى عليه السلام.

فقد ورد فى سيرة هذا المهدى العباسى أن قصره كان خالياً من التقوى والعدل، وأنه كان يصادر أموال الناس أحياناً حثياً أو حثواً من غير عد!!

مرسوم بحرمان الزوجة التى تطلب الطلاق

ومن مراسيم الصحاح فى الحرمان من الشفاعة مرسومٌ مفيدٌ للرجال فى حق الزوجة التى تطلب الطلاق من زوجها بدون سبب..

ففى سنن ابن ماجة:۱/۶۶۲:

عن ابن عباس أن النبى(ص)قال: لا تسأل المرأة زوجها الطلاق فى غير كنهه فتجد ريح الجنة. وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً.

ورواه الترمذى فى:۲/۲۹ ۳

وأبو داود:۱/۴۹۶

وأحمد:۵/۲۷۷ وص ۲۸۳

والدارمى:۲/۱۶۲

والحاكم فى:۲/۲۰۰

والبيهقى فى سننه:۷/۳۱۶

والهندى فى كنز العمال:۱۶/۳۸۲ وص ۲۸۷ عن أحمد وأبى داود والترمذى وابن حبان وابن عساكر.

وفى بعض روايات الحديث: بدون عذر، والمقصود منه العذر القوى الذى يقبله المجتمع.

ولكنه تشديدٌ مبالغٌ فيه، فلا نعرف أحداً من الفقهاء يفتى بأن قولها لزوجها طلقنى يعتبر جريمة تستحق عليها العقوبة الدنيوية أو الاخروية، فإن أصل الطلاق حلال وإن كان مكروهاً، وطلبها الطلاق فى أصله حلال وقد يطرأ عليه ما يجعله مكروهاً أو منافياً للاخلاق، أو يجعله حراماً، أو واجباً.

وإذا حدث أن صار حراماً شرعاً، فلا يصير من المعاصى الكبائر التى يستحق صاحبها عقاب الدخول فى جهنم، والحرمان من الجنة ومن شفاعة نبيه صلى الله عليه وآله!!

وقد حاول بعض الفقهاء أن يتخلصوا من الحديث بتضعيفه، وساعدهم على ذلك أن الشيخين البخارى ومسلماً لم يروياه، فقد ذكروا بعد روايته فى ابن ماجة أن الهيثمى فى مجمع الزوائد ضَعَّف إسناده.. ولكن ذلك لا يحل المشكلة لأن الحاكم قال عنه فى المستدرك: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وحاولوا محاولةً أخرى أن يجعلوا الحديث فى طلب الزوجة الطلاق الخلعى من زوجها بسبب كرهها له، فقد وضع ابن ماجة الحديث تحت عنوان (باب كراهية الخلع للمرأة) ولكن واجههم قوله تعالى (فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) حيث نصت الآية على جواز افتداء

المرأة نفسها من زوجها ببذل مهرها وطلب الطلاق الخلعى.. فاضطروا أن يحملوا الحديث على طلبها الخلع بدون سبب ويجعلوه مكروهاً لا حراماً!

وهكذا فعل ابن قدامة فى المغنى:۸/۱۷۶:

قال شارحاً قول الماتن (ولو خالعته لغير ما ذكرنا كره لها ذلك ووقع الخلع):

والظاهر أنه أراد إذا خالعته لغير بغض وخشية من أن لا تقيم حدود الله، لأنه لو أراد الأول لقال كره له، فلما قال كره لها دل على أنه أراد مخالعتها له والحال عامرة والأخلاق ملتئمة، فإنه يكره لها ذلك، فإن فعلت صح الخلع فى قول أكثر أهل العلم منهم أبو حنيفة والثورى ومالك والأوزاعى والشافعى، ويحتمل كلام أحمد تحريمه فإنه قال: الخلع مثل حديث سهلة تكره الرجل فتعطيه المهر فهذا الخلع، وهذا يدل على أنه لا يكون الخلع صحيحاً إلا فى هذه الحال، وهذا قول ابن المنذر وداود.

وقال ابن المنذر: وروى معنى ذلك عن ابن عباس وكثير من أهل العلم، وذلك لأن الله تعالى قال (وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَاخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) فدل بمفهومه على أن الجناح لا حق بهما إذا افتدت من غير خوف، ثم غلظ بالوعيد فقال (تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) وروى ثوبان قال: قال رسول الله(ص)(أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة) رواه أبوداود. وعن أبى هريرة عن النبى(ص)قال (المختلعات والمنتزعات هن المنافقات) رواه أبو حفص ورواه أحمد فى المسند وذكره محتجاً، به وهذا يدل على تحريم المخالعة لغير حاجة، ولانه إضرار بها وبزوجها وإزالة لمصالح النكاح من غير حاجة، فحرم لقوله عليه السلام (لا ضرر ولا ضرار). واحتج من أجازه بقول الله سبحانه (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا) انتهى.

ولكن كل ذكاء هؤلاء الفقهاء لا يحل مشكلة الحديث أيضاً:

أولًا، لأن الحديث فى مجرد طلب الطلاق، وليس فى بذل المهر وطلب الخلع، وقد اعترف بذلك ابن حزم قال فى المحلى:۱۰/۲۳۶ حيث قال: قال أبو محمد (يعنى نفسه): واحتج من ذهب إلى هذا (حرمة الخلع) بما حدثناه عبدالله بن ربيع نا محمد ابن اسحاق بن السليم نا ابن الاعرابى نا محمد بن إسماعيل الصائغ نا عفان بن مسلم نا حماد نا أيوب السختيانى عن أبى قلابة عن أبى أسماء الرحبى عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة.

وبما روينا من طريق أحمد بن شعيب نا إسحق بن ابراهيم – هو ابن راهويه – أنا المخزومى هو المغيرة بن سلمة – نا وهيب عن أيوب السختيانى عن الحسن البصرى عن أبى هريرة عن النبى(ص)أنه قال: المنتزعات والمختلعات هن المنافقات. قال الحسن: لم أسمعه من أبى هريرة.

قال أبو محمد: فسقط بقول الحسن أن تحتج بذلك الخبر. وأما الخبر الأول فلا حجة فيه فى المنع من الخلع لأنه إنما فيه الوعيد على السائلة الطلاق من غير بأس وهكذا نقول. انتهى.

وثانياً، لو سلمنا أن الحديث فى طلب الخلع، فلا بد لهم من القول بحرمته على الزوجة مطلقاً بسبب صيغة التشديد المؤكدة فيه، وذلك مخالف لقوله تعالى (فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا).

ولذلك اضطروا إلى التنازل كما رأيت إلى القول بالكراهة فقط!

ومعناه أنهم اضطروا أن يبطلوا مرسوم الحديث بحرمان هذه الزوجة من رائحة الجنة ورائحة الشفاعة! ولكنه إبطالٌ له بصيغة الإستدلال به، والاحترام له!!

ولم يتسع لنا الوقت لبحث فتوى اليهود فى هذه المسألة، ومن المحتمل أن أصل حديثها من الإسرائيليات التى تسربت إلى فقهنا!!

محاولة القرشيين حرمان بنى هاشم من شفاعة النبى

توجد عدة مسائل تتعلق بأسرة النبى صلى الله عليه وآله بنى عبد المطلب وبنى هاشم.

المسألة الأولى، فى إيمان آباء النبى وأمهاته صلى الله عليه وآله: ومذهبنا أن كل آباء النبى وأمهاته مؤمنون طاهرون مطهرون، من آدم وحواء إلى عبد الله وآمنة، صلوات الله عليه وعليهم. وقد روينا فى ذلك أحاديث صحيحة ودلت عليه آيات كريمة، ووافقنا على هذا الرأى عدد من علماء إخواننا السنة مثل الفخر الرازى والسيوطى وغيرهما، وألفوا فى ذلك رسائل مستقلة.

بينما قال أكثر السنة إن آباء النبى وأمهاته صلى الله عليه وآله كفار مشركون، وأنهم فى النار، ورووا فى ذلك روايات هى عندهم صحيحة! منها رواية خشنة رواها مسلم فى:۱/۱۳۳: أن رجلاً ـ قال يا رسول الله أين أبى؟ قال فى النار، فلما قفى دعاه فقال: إن أبى وأباك فى النار!!

المسألة الثانية، فى شفاعة النبى صلى الله عليه وآله لبنى هاشم وبنى عبد المطلب، وهم ثلاثة أصناف: صنف مات قبل البعثة. وصنف أسلموا وهاجروا وجاهدوا مع النبى صلى الله عليه وآله. وصنف لم يذكر التاريخ أنهم أسلموا ولكنهم ناصروا النبى صلى الله عليه وآله فى مواجهة قريش وتحملوا معه حصار الشعب ثلاث سنين، وهم كل من بقى من بنى هاشم وبنى عبد المطلب ماعدا أبى لهب.

ومذهبنا أن شفاعة النبى صلى الله عليه وآله تشمل أول ما تشمل بنى هاشم وبنى عبد المطلب، من ارتضى الله منهم، وكلهم عندنا مرضى إلاـ من ثبت فيه عدم الإرتضاء وأنه من أهل النار مثل أبى لهب. وقد ثبت عندنا إسلام أبى طالب وإيمانه، وأنه كان يكتم إيمانه مثل مؤمن آل فرعون.

ومذهب إخواننا السنة فى هذه المسألة متفاوت، ففى رواياتهم ما يوافقنا تقريباً، وفيها روايات تحاول حرمان كل بنى هاشم من شفاعة النبى صلى الله عليه وآله!

المسألة الثالثة: فى موقع على عليه السلام وعترة النبى صلى الله عليه وآله يوم القيامة من الشفاعة العظمى التى يعطاها صلى الله عليه وآله..ومذهبنا أن عترة النبى صلى الله عليه وآله الذين نصَّ عليهم بأسمائهم هم أوصياؤه وخلفاؤه الشرعيون وأئمة المسلمين وهداتهم بأمر الله تعالى، وأنهم خيرة البشر بعد النبى صلى الله عليه وعليهم، وهم معه يوم القيامة، وبأيديهم ينفذ الشفاعة المعطاة له من الله تعالى، ويفوضهم فى كثير من الأمور.

وقد ثبت عندنا وروى السنيون أن لواء الحمد الذى هو رئاسة المحشر يجعله النبى صلى الله عليه وآله بيد على عليه السلام كما كان صاحب لوائه فى الدنيا.

وأن مقام الصديقة الزهراء عليها السلام فى الشفاعة يوم القيامة مقام مميزٌ حتى من بين العترة.

أما السنيون فليس لهم مذهبٌ واحدٌ فى مقام عترة النبى صلى الله عليه وآله يوم القيامة، بل حتى فى مقام صحابته، لأن رواياتهم فى ذلك متناقضة..فهم يريدون إعطاء الصحابة المرتبة الأولى بعد النبى صلى الله عليه وآله، ولكن النصوص الصحيحة عندهم فى دخول بعض الصحابة النار، وفى المقام المميز للعترة الطاهرة، تأبى عليهم ذلك، فيقعون فى حيص بيص!

حساسية قريش من أسرة النبى

من الواضح للمطلع على السيرة أن الدافع الاساسى لتكذيب قبائل قريش بنبوة النبى صلى الله عليه وآله ورفضهم لها، كان دافعاً سياسياً، لانهم إذا آمنوا بنبوة ابن عبد المطلب بن هاشم، فقد اعترفوا بالقيادة لبنى هاشم وصاروا أتباعاً لهم، وانتهى الأمر!

ولذلك كانوا شديدين فى تكذيبهم، متحدين فى موقفهم، شرسين فى مواجهتهم، صريحين فى إظهار تخوفهم..

وكان بعض قريش وغير قريش يفاوضون النبى صلى الله عليه وآله على الإيمان بنبوته، بشرط أن يكون لهم (الأمر) من بعده..ولكن النبى صلى الله عليه وآله كان نبياً مبلغاً عن ربه تعالى، ولم يكن مساوماً على الأمر من بعده.

لقد ظهرت هذه الحقيقة القرشية العميقة منذ إعلان النبى بعثته الشريفة ثم واجهته طوال نبوته، ولم تنته حتى بعد وفاته!

وهی حقیقةٌ ضخمةٌ لم تعطَ حقها من الدراسة، بسبب أن القرشیین بعد انتصار النبی صلی الله علیه وآله علیهم ودخولهم تحت حکمه کرهاً وطوعاً، جعلوا مواجهتهم معه من نوع الحرب الباردة، ثم ما أن توفی النبی صلی الله علیه وآله حتی أخذوا السلطة وأبعدوا أهل بیته وحاصروهم! وألقوا بثقلهم لصیاغة السنة والسیرة والتاریخ لمصلحة قبائل قریش، وضد العترة الطاهرة!

وغرضنا هنا أن نعرض نماذج من حساسیة قریش من أسرة النبی صلی الله علیه وآله، لکی نفهم تأثیرها علی روایاتهم فی کفر آباء النبی صلی الله علیه وآله وروایاتهم فی عدم انتفاع بنی هاشم بقرابتهم من النبی صلی الله علیه وآله وشفاعته!

وهو باب خطیرٌ والدراسات فیه ممنوعةٌ، ولکن القلیل منه یجعل الباحث یتوقف ملیاً فی قبول أی حدیث سلبی عن أسرة النبی صلی الله علیه وآله جاءت روایته عن طریق القرشیین من غیر أهل بیته!

حادثة خطیرة، عتمتها الصحاح

روی البخاری فی:۱/۳۲: تحت عنوان: باب الغضب فی الموعظة والتعلیم:

عن أبی بردة عن أبی موسی قال: سئل النبی(ص)عن أشیاء کرهها فلما أکثر علیه غضب ثم قال للناس سلونی عما شئتم! قال رجل: من أبی؟ قال أبوک حذافة! فقام آخر فقال: من أبی یا رسول الله؟ فقال أبوک سالم مولی شیبة! فلما رأی عمر ما فی وجهه قال: یا رسول الله إنا نتوب إلی الله عز وجل!

باب من برک علی رکبتیه عند الإمام أو المحدث:

عن الزهری قال أخبرنی أنس بن مالک أن رسول الله(ص)خرج فقام عبدالله بن حذافة فقال من أبی؟ فقال أبوک حذافة، ثم أکثر أن یقول سلونی! فبرک عمر علی رکبتیه فقال: رضینا بالله رباًوبالإسلام دیناً وبمحمد(ص)نبیاً، فسکت! انتهی.

عندما تقرأ هذا النص تحس أنه لیس طبیعیاً! فهو یقول: أکثروا علیه السؤال فغضب.. ثم قال: سلونی عما شئتم.. ثم أکثر أن یقول سلونی.. فسألوه هل هم أولاد شرعیون أو أولاد زنا!! فبرَّأ صحابیاً وفضح آخر علی رؤوس الإشهاد، وشهد بأنه ابن زنا! ثم أصرَّ علیهم: سلونی سلونی سلونی..!! فقام عمر وأعلن التوبة فهدأ الموقف وسکت النبی صلی الله علیه وآله!!

فما هی القصة، وما سبب هذا الغضب والتحدی والفضح النبوی! والتوبة العمریة؟!

الذی یساعد الباحث هنا أن القصة وإن قطَّعتها الصحاح، لکنها روتها هی وغیرها بأکثر من عشرین نصاً..فیمکن للباحث أن یجمع منها خیوطاً کثیرة.

یقول مسلم فی صحیحه لم یکن غضب النبی صلی الله علیه وآله لسؤال کما قال البخاری! بل بلغه عن أصحابه شئ کریه! فصعد المنبر وخطب وطلب منهم أن یسألوه (عن أنسابهم) وتحداهم فخافوا وبکوا، فقام عمر وتاب!!

قال مسلم فی صحیحه:۷/۹۲:

عن أنس بن مالک قال: بلغ رسول الله(ص)عن أصحابه شئ فخطب فقال: عرضت علی الجنة والنار فلم أر کالیوم فی الخیر والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحکتم قلیلًا ولبکیتم کثیراً. قال فما أتی علی أصحاب رسول الله(ص)یوم أشد منه!! قال غطَّوا رؤوسهم ولهم خنین! قال فقام عمر فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد نبیاً! قال فقام ذاک الرجل فقال: من أبی؟ قال أبوک فلان، فنزلت: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْیَاءَ إِنْ تُبْدَ لَکُمْ تَسُؤْکُمْ! انتهی. وروی مسلم جزء منها أیضاً فی:۳/۱۶۷

فالمسألة إذن غضبٌ نبویٌّ لما بلغه عن (أصحابه) وخطبةٌ ناریة.. وتحدٍّ نبوی لهم فی أنسابهم.. وأشد یوم مر علیهم مع نبیهم.. وبکاء الصحابة المعنیین خوفاً من إطاعة الرسول وسؤاله عن نسبهم.. والفضیحة.. وإعلان عمر توبته وتوبتهم..!!

وهکذا تبدأ خیوط الحادثة بالتجمع..ویمکنک بعد ذلک أن تجمع من خیوطها من نفس البخاری!

قال البخاری فی:۱/۱۳۶:

عن الزهری قال أخبرنی أنس بن مالک أن رسول الله(ص)خرج حین زاغت الشمس فصلی الظهر، فقام علی المنبر فذکر الساعة فذکر أن فیها أموراً عظاماً، ثم قال: من أحب أن یسأل عن شئ فلیسأل فلا تسألونی عن شئ إلا أخبرتکم ما دمت فی مقامی هذا!! فأکثر الناس فی البکاء وأکثر أن یقول سلونی! فقام عبدالله بن حذافة السهمی فقال: من أبی؟ قال أبوک حذافة!

ثم أکثر أن یقول سلونی!! فبرک عمر علی رکبتیه فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد نبیاً! فسکت، ثم قال: عرضت علی الجنة والنار آنفاً فی عرض هذا الحائط فلم أر کالخیر والشر!

وقال البخاری فی:۷/۱۵۷:

عن أنس (رض) سألوا رسول الله(ص)حتی أحفوه المسألة فغضب فصعد المنبر فقال: لا تسألونی الیوم عن شئ إلا بینته لکم، فجعلت أنظر یمیناً وشمالاً فإذا کل رجل لافٌّ رأسه فی ثوبه یبکی! فإذا رجل کان إذا لاحی الرجال یدعی لغیر أبیه، فقال: یا رسول الله من أبی؟ قال: حذافة ثم أنشأ عمر فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد(ص)رسولاً نعوذ بالله من الفتن. فقال رسول الله (ص): ما رأیت فی الخیر والشر کالیوم قط! إنه صورت لی الجنة والنار حتی رأیتهما وراء الحائط. وروی نحوه أیضاً فی: ۸/۹۴

وقال البخاری فی:۸/۱۴۳:

عن الزهری أخبرنی أنس بن مالک (رض) عن النبی(ص)خرج حین زاغت الشمس فصلی الظهر فلما سلم قام علی المنبر فذکر الساعة، وذکر أن بین یدیها أموراً عظاماً ثم قال: من أحب أن یسأل عن شئ فلیسأل عنه، فوالله لا تسألونی عن شئ إلا أخبرتکم به ما دمت فی مقامی هذا! قال أنس فأکثر الناس البکاء! وأکثر رسول الله(ص)أن یقول سلونی!! فقال أنس فقام إلیه رجل فقال: أین مدخلی یا رسول الله؟ قال النار!!! فقام عبدالله بن حذافة فقال: من أبی یا رسول الله؟ قال أبوک حذافة. قال ثم أکثر أن یقول سلونی سلونی!! فبرک عمر علی رکبتیه فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد(ص)رسولاً. قال فسکت رسول الله(ص)حین قال عمر ذلک! ثم قال رسول الله: أولی، والذی نفسی بیده لقد عرضت علی الجنة والنار آنفاً فی عرض هذا الحائط وأنا أصلی، فلم أر کالیوم فی الخیر والشر!

وقال البخاری فی:۴/۷۳:

عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر (رض) یقول: قام فینا النبی(ص)مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتی دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم...! حفظ ذلک من حفظه ونسیه من نسیه.

وقال أبو داود:۱/۵۴۲:

عن أبی قتادة أن رجلاً أتی النبی(ص)فقال: یا رسول الله کیف تصوم؟ فغضب رسول الله(ص)من قوله، فما رأی ذلک عمر قال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد نبیاً نعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، فلم یزل عمر یرددها..حتی سکن غضب رسول الله(ص). انتهی.

وقال فی مجمع الزوائد:۱/۱۶۱:

عن أبی فراس رجل من أسلم قال قال رسول الله(ص)ذات یوم: سلونی عما شئتم؟ فقال رجل: یا رسول الله من أبی؟ قال: أبوک فلان الذی تدعی إلیه، وسأله رجل: فی الجنة أنا؟ قال: فی الجنة. وسأله رجل: فی الجنة أنا؟ قال: فی النار!! فقال عمر: رضینا بالله رباً. رواه الطبرانی فی الکبیر ورجاله رجال الصحیح.

وقال فی مجمع الزوائد:۷/۱۸۸ وص ۳۹۰:

وعن أنس قال خرج رسول الله(ص)وهو غضبان! فخطب الناس فقال: لا تسألونی عن شئ الیوم إلا أخبرتکم به، ونحن نری أن جبریل معه! قلت فذکر الحدیث إلی أن قال فقال عمر: یا رسول الله إنا کنا حدیثی عهد بجاهلیة فلا تبد علینا سوآتنا فاعف عفا الله عنک! رواه أبو یعلی ورجاله رجال الصحیح.

وفی مجمع الزوائد: ۹/۱۷۰:

وأتاه العباس فقال: یا رسول الله إنی انتهیت إلی قوم یتحدثون فلما رأونی سکتوا وما ذاک إلا لانهم یبغضونا! فقال رسول الله (ص): أو قد فعلوها؟! والذی نفسی بیده لا یؤمن أحدهم حتی یحبکم، أیرجون أن یدخلوا الجنهٔ بشفاعتی، ولا یرجوها بنو عبد المطلب!

وفی مجمع الزوائد:۹/۲۵۸:

وجلس علی المنبر ساعهٔ وقال: أیها الناس مالی أوذی فی أهلی؟! فوالله إن شفاعتی لتنال حی حا، وحکم، وصدا، وسلهب، یوم القیامهٔ!

وفی مجمع الزوائد:۸/۲۱۴:

عقد الهیثمی باباً فی عدهٔ صفحات بعنوان: باب فی کرامهٔ أصله(ص). وأورد فیه أحادیث عن طهارهٔ آباء النبی وأمهاته صلی الله علیه وعلیهم، ونقل حوادث خطیرهٔ أهان فیها القرشیون أسرهٔ النبی صلی الله علیه وآله فی حیاته، وهم تحت قیادته فی المدینهٔ، وهم مسلمون مهاجرون، أو طلقاء منَّ علیهم بالعفو بالأمس فی فتح مکهٔ! فغضب النبی صلی الله علیه وآله وأجابهم بشدهٔ!

الحادثهٔ الأولی:

عن عبد الله بن عمر قال إنا لقعودٌ بفناء رسول الله(ص)إذ مرت امرأهٔ فقال رجل من القوم: هذه ابنهٔ محمد، فقال رجل من القوم: إن مثل محمد فی بنی هاشم مثل الریحانهٔ فی وسط النتن! فانطلقت المرأهٔ فأخبرت النبی (ص)فجاء النبی(ص)یعرف فی وجهه الغضب، ثم قام علی القوم فقال: ما بال أقوال تبلغنی عن أقوام! إن الله عز وجل خلق السموات سبعاً فاختار العلیا منها فسکنها وأسکن سمواته من شاء من خلقه، وخلق الخلق فاختار من الخلق بنی آدم، واختار من بنی آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قریشاً، واختار من قریش بنی هاشم، واختارنی من بنی هاشم، فأنا من خیار إلی خیار، فمن أحب العرب فبحبی أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضی أبغضهم.

والثانیهٔ:

عن عبد المطلب بن ربیعهٔ بن الحارث بن عبدالمطلب قال: أتی ناس من الأنصار النبی(ص)فقالوا: إنا نسمع من قومک حتی یقول القائل منهم إنما مثل محمد نخلهٔ نبتت فی الکبا (قال حسین الکبا الکناسهٔ) فقال رسول الله (ص): أیها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب - قال فما سمعناه ینتمی قبلها - ألا أن الله عز وجل خلق خلقه ثم فرقهم فرقتین، فجعلنی فی خیر الفریقین، ثم جعلهم قبائل فجعلنی فی خیرهم قبیلهٔ، ثم جعلهم بیوتاً فجعلنی فی خیرهم بیتاً، فأنا خیرهم بیتاً وخیرهم نفساً... رواه أحمد ورجاله رجال الصحیح.

والثالثهٔ:

عن ابن عباس قال توفی ابنٌ لصفیهٔ عمهٔ رسول الله(ص)فبکت علیه وصاحت، فأتاها النبی(ص)فقال لها: یا عمهٔ ما یبکیک؟ قالت توفی ابنی، قال: یا عمهٔ من توفی له ولدٌ فی الإسلام فصبر، بنی الله له بیتاً فی الجنهٔ. فسکتت ثم خرجت من عند رسول الله(ص)فاستقبلها عمر بن الخطاب فقال: یا صفیهٔ قد سمعت صراخک، إن قرابتک من رسول الله(ص)لن تغنی عنک من الله شیئاً! فبکت فسمعها النبی(ص)وکان یکرمها ویحبها، فقال: یا عمهٔ أتبکین وقد قلت لک ماقلت؟! قالت: لیس ذاک أبکانی یا رسول الله، استقبلنی عمر بن الخطاب فقال إن قرابتک من رسول الله(ص)لن تغنی عنک من الله شیئاً! قال فغضب النبی(ص) وقال: یا بلال هجِّر بالصلاهٔ فهجر بلال بالصلاهٔ، فصعد المنبر(ص)فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: ما بال أقوام یزعمون أن قرابتی لا تنفع!! کل سبب ونسب منقطع یوم القیامهٔ إلا سببی ونسبی، فإنها موصولهٔ فی الدنیا والآخرهٔ!

فقال عمر: فتزوجت أم کلثوم بنت علی رضی الله عنهما لما سمعت من رسول الله(ص)یومئذ، أحببت أن یکون لی منه سببٌ ونسب. ثم خرجت من عند رسول الله(ص)فمررت علی نفر من قریش فإذا هم یتفاخرون ویذکرون أمر الجاهلیهٔ فقلت رسول الله(ص)! فقالوا: إن الشجرهٔ لتنبت فی الکبا (المزبلهٔ) قال فمررت إلی النبی(ص)فأخبرته! فقال یا بلال هجر بالصلاهٔ فحمد الله وأثنی علیه، ثم قال: یا

أیها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله، قال أنسبونی، قالوا أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال أجل أنا محمد بن عبد الله، وأنا رسول الله، فما بال أقوام یبتذلون أصلی!! فوالله لانا أفضلهم أصلًا وخیرهم موضعاً!

قال فلما سمعت الأنصار بذلک قالت قوموا فخذوا السلاح، فإن رسول الله(ص)قد أغضب، قال فأخذوا السلاح ثم أتوا النبی(ص)لا تری منهم إلا الحدق، حتی أحاطوا بالناس فجعلوهم فی مثل الحرۀ، حتی تضایقت بهم أبواب المسجد والسکک!! ثم قاموا بین یدی رسول الله(ص)فقالوا: یا رسول الله لا ـ تأمرنا بأحد إلا أبَّرنا عترته. فلما رأی النفر من قریش ذلک قاموا إلی رسول الله(ص)فاعتذروا وتنصلوا!! فقال رسول الله (ص): الناس دثارٌ والأنصار شعار، فأثنی علیهم وقال خیراً. انتهی.

وقال فی الدر المنثور:۲/۳۳۵:

وأخرج الفریابی وابن جریر وابن مردویه عن أبی هریرۀ قال: خرج رسول الله(ص)وهو غضبان محمار وجهه، حتی جلس علی المنبر فقام إلیه رجل فقال: أین آبائی؟ قال فی النار! فقام آخر فقال من أبی؟ فقال أبوک حذافۀ، فقام عمر بن الخطاب فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد نبیاً وبالقرآن إماماً، إنا یا رسول الله حدیثُ عهد بجاهلیۀ وشرک والله أعلم من آباؤنا!! فسکن غضبه، ونزلت هذه الآیۀ: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْیَاءَ إِنْ تُبْدَ لَکُمْ تَسُؤْکُمْ.

وقال فی الدر المنثور:۴/۳۰۹:

وأخرج الزبیر بن بکار فی الموفقیات عن ابن عباس رضی الله عنهما قال سألت عمر بن الخطاب (رض)عن قول الله: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْیَاءَ إِنْ تُبْدَ لَکُمْ تَسُؤْکُمْ؟ قال: کان رجال من المهاجرین فی أنسابهم شئ فقالوا یوماً والله لوددنا أن الله أنزل قرآناً فی نسبنا، فأنزل الله ما قرأت.

ثم قال لی: إن صاحبکم هذا یعنی علی بن أبی طالب إن ولی زهد، ولکنی أخشی عجب نفسه أن یذهب به. قلت: یا أمیر المؤمنین إن صاحبنا من قد علمت، والله ما نقول إنه غیَّر ولا بدل ولا أسخط رسول الله(ص)أیام صحبته! فقال: یابن عباس من ظن أنه یرد بحورکم فیغوص فیها حتی یبلغ قعرها فقد ظن عجزاً! انتهی.

وراجع أیضاً: سنن ابن ماجۀ:۱/۵۴۶، ومسند أحمد:۳/۱۶۲ وص ۱۷۷ وج ۵/۲۹۶ و۳۰۳، وسنن البیهقی:۴/۲۸۶، ومصنف عبد الرزاق:۱۱/۳۷۹، وکنز العمال:۴/۴۴۳ وج ۱۳/۴۵۳

من مجموع هذه النصوص یصل الباحث إلی نتائج قطعیۀ متعددۀ، نذکر منها:

أولًا – أن القرشیین لم یترکوا حساسیتهم من بنی هاشم حتی بعد فتح مکۀ وإعلان إسلامهم! غایۀ الأمر أنهم استثنوا منهم شخص النبی صلی الله علیه وآله!

بل من حق الباحث أن یشک فی هذا أیضاً، فالطلقاء أسلموا مهزومین تحت السیف! ولم یکونوا یستطیعون أن یتفوهوا بحرف علی شخص النبی صلی الله علیه وآله، وإلا کفروا وعرضوا أنفسهم لسیوف الأنصار!

ثانیاً–أن القرشیین کانوا فی حیاۀ النبی صلی الله علیه وآله وفی عاصمته، وتحت لواء نبوته، وتحت سیوف الأنصار.. شرسین علی أسرته وعشیرته صلی الله علیه وآله، وکانت ألسنتهم بذیئۀ علی أصل النبی صلی الله علیه وآله وعشیرته، حتی ضجَّ من ذلک الأنصار، وجاؤوا یشکون إلی النبی صلی الله علیه وآله بذاءۀ قریش بحقه، طالبین منه معالجۀ هذه الألسنۀ المنافقۀ، أو إصدار أمر بتقتیلهم. وقد قال الهیثمی عن حدیث شکوی الأنصار: رجاله رجال الصحیح!!

ثالثاً – أن الحوادث التی تکلم فیها القرشیون علی أسرۀ النبی صلی الله علیه وآله متعددۀ، فقد نقلت کتب الحدیث منها أکثر من عشرۀ حوادث، ولا بد أن ما لم تنقله أکثر وأعظم!!

رابعاً – أن النبی صلی الله علیه وآله کانت حساسیته من هذا الموضوع عالیۀ جداً، وکان رده دائماً شدیداً، فهو یتعامل معه علی أنه موضوع دینی ولیس موضوعاً شخصیاً، لأن عدم الإیمان بأسرته الطاهرۀ، یساوق عدم الإیمان به صلی الله علیه وآله.

خامساً – أن إحدی الحوادث کانت کبیرة بذاتها، أو بالتراکم، فغضب الله تعالی لغضب نبیه صلی الله علیه وآله، وأمره بالرد علی القرشیین (المسلمین الصحابة) وإتمام الحجة علیهم، وأنزل علیه جبرئیل لیکون إلی جانبه یوجهه ویجیبه عن أنساب القرشیین، وعن مستقبلهم فی الجنة أو فی النار!!!.

سادساً – أن النبی صلی الله علیه وآله أحضرهم فی المسجد وأمر الأنصار بمحاصرتهم بالسلاح، وخطب خطبةً نبویةً ناریة بلیغة عاصفة، صبَّ فیها الغضب الإلهی والنبوی علی القرشیین، وتحداهم فی أنسابهم وأعمالهم ونوایاهم! فلفُّوا رؤوسهم! واستغشوا ثیابهم! وعلا خنینهم وبکاؤهم! وکان ذلک أشد یوم علیهم!!!

فتدارک الموقف زعیمهم وتقدم وبرک علی قدمی النبی صلی الله علیه وآله! وقبلها! وبکی له! لیعفو عنهم! ولا یفضح أنسابهم! وعشائرهم! ولا یصدر علیهم حکمه بالقتل، أو بالحرمان من الحقوق المدنیة حتی أداء الشهادة!! فسکت النبی صلی الله علیه وآله ولم یقل لهم کلمة قبول أو عفو! وهدأت عاصفة الانتقام النبوی فی الدنیا!!

سابعاً – إنها قضیةٌ ضخمةٌ فی الحساب العقائدی والفقهی والسیاسی، تستحق الدراسة ووضع النقاط علی الحروف.. ولکن الخلافة القرشیة تعرف کیف تتخلص منها، فتعتم علیها إن استطاعت، أو تحولها إلی مجد لقریش، ولا تسمح لبنی هاشم أن یستفیدوا منها!

ومن أجل هذا کانت براعة الخلیفة عمر فی طریقة روایتها، ثم کانت براعة الرواة ومصنفی الصحاح فی تجزئتها وتقطیع أوصالها وتغییب حقیقتها!

وهذه هی مهمة جیل ما بعد الأنبیاء!!

أما عبد الله بن الزبیر الزهری، فقد کان عنده عقدةٌ من بنی هاشم مع أنهم أخوال أبیه! وقد اشتهر عنه أنه لم یکن یطیق ذکرهم، وأنه ترک حتی ذکر النبی صلی الله علیه وآله والصلاة علیه فی خطبة الجمعة حتی لا تشمخ أنوف بنی هاشم بزعمه!

والظاهر أن القرشیین ربَّوه علی کره بنی هاشم منذ کان غلاماً، وأن له مشارکة فی قصة الغضب النبوی!

فقد روی عنه الهیثمی فی مجمع الزوائد:۸/۲۱۵ افتراء عجیباً علی النبی فی ذم أهل بیته صلی الله علیه وآله حیث حول کلام قریش الذی غضب منه النبی صلی الله علیه وآله وغضب منه الله تعالی من فوق عرشه کما رأیت.. إلی حدیث مسند عن النبی صلی الله علیه وآله!!

قال الهیثمی: وعن عبد الله ابن الزبیر عن النبی(ص)قال: مثلی ومثل أهل بیتی کمثل نخلة نبتت فی مزبلة. رواه الطبرانی وهو منکر، والظاهر أنه من قول الزبیر إن صح عنه، فإن فیه ابن لهیعة ومن لم أعرفه.

وعن ابن الزبیر أن قریشاً قالت: إن مثل محمد مثل نخلة فی کبوة. رواه البزار بإسناد حسن، وهذا الظن به.

براعة البخاری فی تضییع القضیة

المحدث العادی–فضلًا عن البخاری–یعرف أن هذا الحدیث قصةٌ واحدةٌ کما ذکر صاحب فتح الباری، أو اثنتان فی الأکثر.. وهنا تظهر براعة البخاری فی اختراع العناوین لجعل قطعة الحدیث تحتها، أو عقد باب مناسب لتغطیة حقیقة الحدیث!

ففی:۱/۳۱:

عقد له باباً باسم: باب الغضب فی الموعظة والتعلیم إذا رأی ما یکره. فجعله من نوع غضب المدرس والواعظ!

وفی/۳۲:

جعله من نوع تأدب التلمیذ بین یدی معلمه فسمی الباب: باب من برک علی رکبتیه عند الإمام أو المحدث!

وفی/۱۳۶:

وضع جزءً منه تحت عنوان: باب وقت الظهر عند الزوال! بحجة أن خطبة النبی صلی الله علیه وآله الناریة القاصعة کانت عند الزوال!

وفى:۴/۷۳:

جعل جزءً منه تحت عنوان: ما جاء فى قول الله تعالى وَهُوَ الَّذِى يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ.. بحجة أن الراوى قال: قام فينا النبى (ص) مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم!

وفى:۷/۱۵۷:

عقد له باباً باسم: باب التعوذ من الفتن! وكأن الموضوع كان حديثاً هادئاً عاماً لكل الأمة عن الفتن الاتية، وأن عمر قال: رضينا بالله رباً وبمحمد رسولًا... نعوذ بالله من الفتن!

وفى:۸/۱۴۲:

عقد له باباً باسم: باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه وقوله تعالى: لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ..!

وكان ينبغى له أن يسمى الباب: باب وجوب امتثال أمر النبى إذا أمر بالسؤال، وأن لا يربط الآية به، ولا يحشرها فى هذا الموضوع أصلًا كما فعلت قريش، لأن موضوع الآية كراهة السؤال، وموضوع الحديث أمر النبى صلى الله عليه وآله المكرر المشدد لقريش أن يسألوه!

اللهم إلا يقصد البخارى بكراهة السؤال: كراهة إلحاح المعلم على تلاميذه بقوله سلونى! فيكون الخطأ حينئذ من النبى صلى الله عليه وآله لأنه ألَحَّ عليهم بالسؤال! ويكون موقف عمر تصحيحاً لخطأ النبى صلى الله عليه وآله كما هى عادته المشكورة!!

ماذا قال كبار الشراح؟

لا خبر عند شراح الصحاح بالقضية، فلا رأوا شيئاً ولا سمعوا ولا قرؤوا، ولا شموا رائحة شيء يستوجب التساؤل والبحث!!

قال ابن حجر فى فتح البارى:

قوله سئل النبى(ص)عن أشياء..كان منها السؤال عن الساعة وما أشبه ذلك من المسائل، كما سيأتى فى حديث ابن عباس فى تفسير المائدة!

قوله قال رجل: هو عبد الله بن حذافة بضم أوله وبالذال المعجمة والفاء، القرشئ السهمى، كما سماه فى حديث أنس الاتى.

قوله فقام آخر: هو سعد بن سالم مولى شيبة بن ربيعة، سماه ابن عبد البر فى التمهيد فى ترجمة سهيل بن أبى صالح، وأغفله فى الاستيعاب ولم يظفر به أحد من الشارحين، ولا من صنف فى المبهمات ولا فى أسماء الصحابة، وهو صحابى بلا مرية، لقوله فقال من أبى يا رسول الله؟ ووقع فى تفسير مقاتل فى نحو هذه القصة أن رجلًا من بنى عبد الدار قال من أبى؟ قال سعد: نسبه إلى غير أبيه، بخلاف ابن حذافة! وسيأتى مزيد لهذا فى تفسير سورة المائدة.

قوله فلما رأى عمر.. هو بن الخطاب..ما فى وجهه، أى من الغضب، قال: يا رسول الله إنا نتوب إلى الله، أى مما يوجب غضبك، وفى حديث أنس الآتى بعد أن عمر برك على ركبتيه، فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، والجمع بينهما ظاهر، بأنه قال جميع ذلك فنقل كل من الصحابيين ما حفظ، ودل على اتحاد المجلس اشتراكهما فى نقل قصة عبد الله بن حذافة.

تنبيه: قصر المصنف الغضب على الموعظة والتعليم دون الحكم لأن الحاكم مأمورٌ أن لا يقضى وهو غضبان، والفرق أن الواعظ من شأنه أن يكون فى صورة الغضبان، لأن مقامه يقتضى تكلف الإنزعاج لأنه فى صورة المنذر!!

وكذا المعلم إذا أنكر على من يتعلم منه سوء فهم ونحوه، لأنه قد يكون أدعى للقبول منه، وليس ذلك لازماً فى حق كل أحد، بل يختلف باختلاف أحوال المتعلمين. وأما الحاكم فهوبخلاف ذلك كما يأتى فى بابه.

فإن قيل: فقد قضى عليه الصلاة والسلام فى حال غضبه حيث قال: أبوك فلان!

فالجواب: أن يقال أولاً، ليس هذا من باب الحكم!! وعلى تقديره فيقال هذا من خصوصياته لمحل العصمة، فاستوى غضبه ورضاه،

ومجرد غضبه من الشئ دالّ على تحريمه أو كراهته، بخلاف غيره(ص).

قوله باب من بركك: هو بفتح الموحدة والراء المخففة يقال: برك البعير إذا استناخ، واستعمل فى الادمى مجازاً.

قوله خرج، فقام عبد الله بن حذافة: فيه حذف يظهر من الرواية الأخرى، والتقدير خرج فسئل فأكثروا عليه، فغضب!! فقال سلونى، فقام عبد الله.

قوله فقال رضينا بالله رباً..قال ابن بطال: فهم عمر منه أن تلك الاسئلة قد تكون على سبيل التعنت أو الشك، فخشئ أن تنزل العقوبة بسبب ذلك! فقال رضينا بالله رباً الخ. فرضى النبى(ص)بذلك، فسكت!

قوله وقال سلونى: فى حديث أنس المذكور فصعد المنبر فقال: لا تسألونى عن شئ إلا بينته لكم.

وفى رواية سعيد بن بشير عند قتادة عن أبى حاتم: فخرج ذات يوم حتى صعد المنبر، وبين فى رواية الزهرى المذكورة فى هذا الباب وقت وقوع ذلك، وأنه بعد أن صلى الظهر، ولفظه: خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة، ثم قال: من أحب (!) أن يسأل عن شئ فليسأل عنه، فذكر نحوه.

قوله فقام رجل فقال يا رسول الله من أبى؟ بين فى حديث أنس من رواية الزهرى اسمه، وفى رواية قتادة سبب سؤاله، قال فقام رجل كان إذا لاحى أى خاصم دعى إلى غير أبيه، وذكرت اسم السائل الثانى، وأنه سعد، وأنى نقلته من ترجمة سهيل بن أبى صالح من تمهيد بن عبد البر.

وزاد فى رواية الزهرى الاتية بعد حديثين فقام إليه رجل فقال: أين مدخلى يا رسول الله؟ قال: النار! ولم أقف على اسم هذا الرجل فى شئ من الطرق كأنهم أبهموه عمداً للستر عليه!

وللطبرانى من حديث أبى فراس الاسلمى نحوه، وزاد: وسأله رجل فى الجنة أنا؟ قال: فى الجنة، ولم أقف على اسم هذا الآخر.

ونقل بن عبد البر عن رواية مسلم أن النبى(ص)قال فى خطبته: لا يسألنى أحد عن شئ إلا أخبرته، ولو سألنى عن أبيه، فقام عبد الله بن حذافة، وذكر فيه عتاب أمه له وجوابه، وذكر فيه فقام رجل فسأل عن الحج فذكره، وفيه فقام سعد مولى شيبة فقال من: أنا يا رسول الله؟ قال أنت سعد بن سالم مولى شيبة. وفيه فقام رجل من بنى أسد فقال: أين أنا؟ قال: فى النار!! فذكر قصة عمر، قال فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ.. الآية.

ونهى النبى(ص)عن قيل وقال، وكثرة السؤال (؟!) وبهذه الزيادة يتضح أن هذه القصة سبب نزول: لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ، فإن المساءة فى حق هذا جاءت صريحة بخلافها فى حق عبد الله بن حذافة، فإنها بطريق الجواز أى لو قدر أنه فى نفس الأمر لم يكن لابيه، فبين أباه الحقيقى لافتضحت أمه، كما صرحت بذلك أمه حين عاتبته على هذا السؤال، كما تقدم فى كتاب الفتن.

قوله: فلما رأى عمر ما بوجه رسول الله(ص)من الغضب.. بين فى حديث أنس أن الصحابة كلهم فهموا ذلك، ففى رواية هشام فإذا كل رجل لافاً رأسه فى ثوبه يبكى، وزاد فى رواية سعيد بن بشير: وظنوا أن ذلك بين يدى أمر قد حضر! وفى رواية موسى بن أنس عن أنس الماضية فى تفسير المائدة: فغطوا رؤوسهم ولهم حنين..زاد مسلم من هذا الوجه: فما أتى على أصحاب رسول الله(ص)يوم كان أشد منه!

قوله: فقال إنا نتوب إلى الله عز وجل.. زاد فى رواية الزهرى: فبرك عمر على ركبته فقال رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً. وفى رواية قتادة من الزيادة نعوذ بالله من شر الفتن. وفى مرسل السدى عند الطبرى فى نحو هذه القصة: فقام إليه عمر فقبل رجله وقال رضينا بالله رباً فذكر مثله، وزاد: وبالقرآن إماماً فاعف عفى الله عنك فلم يزل به... حتى رضى.

وفى هذا الحديث غير ما يتعلق بالترجمة مراقبة الصحابة أحوال النبى (ص)وشدة إشفاقهم إذا غضب خشية أن يكون لامر يعم فيعمهم، وإدلال عمر عليه وجواز تقبيل رجل الرجل، وجواز الغضب فى الموعظة، وبروك الطالب بين يدى من يستفيد منه، وكذا التابع بين يدى المتبوع إذا سأله فى حاجة، ومشروعية التعوذ من الفتن عند وجود شئ قد يظهر منه قرينة وقوعها، واستعمال المزاوجة فى الدعاء

فی قوله اعف عفی الله عنک، وإلا فالنبی(ص) معفوٌّ عنه قبل ذلک.

قال ابن عبد البر: سئل مالک عن معنی النهی عن کثرة السؤال، فقال: ما أدری أنهی عن الذی أنتم فیه من السؤال عن النوازل، أو عن مسألة الناس المال.

قال بن عبد البر: الظاهر الأول، وأما الثانی فلا معنی للتفرقة بین کثرته وقلته، لا حیث یجوز ولا حیث لا یجوز.

قال: وقیل کانوا یسألون عن الشئ ویلحون فیه إلی أن یحرم. قال: وأکثر العلماء علی أن المراد کثرة السؤال عن النوازل والاغلوطیات والتولیدات، کذا.

وقال النووی فی شرح مسلم:۸/۲۹۱ فی سبب غضب النبی صلی الله علیه وآله کما تصوره أو صوره:

قوله: رجل أتی النبی فقال کیف تصوم فغضب رسول الله(ص).. قال العلماء: سبب غضبه أنه کره مسألته، لأنه یحتاج إلی أن یجیبه ویخشی من جوابه مفسدة، وهی أنه ربما اعتقد السائل وجوبه أو استقله أو اقتصر علیه، وکان یقتضی حاله أکثر منه!!

وقال فی:۱۵-۱۶/۱۱۱:

قوله: غطوا رؤوسهم ولهم خنین، هو بالخاء المعجمة هکذا هو فی معظم النسخ ولمعظم الرواة ولبعضهم بالحاء المهملة. وممن ذکر الوجهین القاضی وصاحب التحریر وآخرون، قالوا: ومعناه بالمعجمة صوت البکاء وهو نوع من البکاء دون الانتحاب. قالوا وأصل الخنین خروج الصوت من الانف کالحنین بالمهملة من الفم. وقال الخلیل: هو صوت فیه غنة، وقال الاصمعی: إذا تردد بکاؤه فصار فی کونه غنة فهو خنین. وقال أبو زید: الخنین مثل الخنین وهو شدید البکاء.

قوله: فلما أکثر رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یقول: سلونی برک عمر فقال: رضینا بالله رباً وبالإسلام دیناً وبمحمد رسولاً. فسکت رسول الله (صلی الله علیه وآله وسلم) حین قال عمر ذلک. قال العلماء: هذا القول منه (صلی الله علیه وآله وسلم) محمولٌ علی أنه أوحی إلیه وإلا فلا یعلم کل ما سئل عنه من المغیبات إلا بإعلام الله تعالی.

قال القاضی: وظاهر الحدیث أن قوله (صلی الله علیه وآله): سلونی إنما کان غضباً کما قال فی الروایة الأخری سئل النبی (صلی الله علیه وآله) عن أشیاء کرهها فلما أکثر علیه غضب، ثم قال للناس: سلونی. وکان اختیاره(ص)ترک تلک المسائل، لکن وافقهم فی جوابها، لأنه لا یمکن رد السؤال، ولما رآه من حرصهم علیها!! والله أعلم.

وأما بروک عمر(رض) وقوله: فإنما فعله أدباً وإکراماً لرسول الله (صلی الله علیه وآله) وشفقةً علی المسلمین لئلا یؤذوا النبی (صلی الله علیه وآله) فیهلکوا!!

ومعنی کلامه: رضینا بما عندنا من کتاب الله تعالی وسنة نبینا محمد (صلی الله علیه وآله)واکتفینا به عن السؤال. ففیه أبلغ کفایة. انتهی.

وأنت تری أن ابن حجر والنووی غائبان عن کلام النبی صلی الله علیه وآله، وأن فی کلامهما تهافتاً ونقاط ضعف کثیرة لا نطیل فیها.. ولیس کلام غیرهما من الشراح أفضل، وإن کان فیه مادة مهمة لمن أراد أن یتتبع ملف القضیة!

الحادثة فی بعض روایات أهل البیت

قال النیشابوری فی الفضائل/۱۳۴:

عن سلیم بن قیس یرفعه إلی أبی ذر والمقداد وسلمان قالوا: قال لنا أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب: إنی مررت بفلان یوماً فقال لی: ما مثل محمد فی أهل بیته إلا کمثل نخلة نبتت فی کناسة! قال: فأتیت رسول الله صلی الله علیه وآله فذکرت ذلک له، فغضب غضباً شدیداً، فقام فخرج مغضباً وصعد المنبر ففزعت الأنصار ولبسوا السلاح، لما رأوا من غضبه، ثم قال: ما بال أقوام یعیرون أهل بیتی؟!! وقد سمعونی أقول فی فضلهم ما أقول، وخصصتهم بما خصهم الله تعالی به، وفضل علیاً علیهم بالکرامة وسبقه إلی الإسلام وبلائه،

وأنه منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى!

ثم إنهم يزعمون أن مثلى فى أهل بيتى كمثل نخلة نبتت فى كناسة! ألا إن الله سبحانه وتعالى خلق خلقه وفرقهم فرقتين، وجلعنى فى خيرها شعباً وخيرها قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرها بيتاً، حتى حصلت فى أهل بيتى وعشيرتى وبنى أبى، أنا وأخى على بن أبى طالب....

أنا خير النبيين والمرسلين، وعلى خير الوصيين، وأهل بيتى خير بيوت أهل النبيين، وفاطمة ابنتى سيدة نساء أهل الجنة أجمعين.

أيها الناس: أترجون شفاعتى لكم، وأعجز عن أهل بيتى؟!

أيها الناس: ما من أحد غداً يلقى الله تعالى مؤمناً لا يشرك به شيئاً إلا أجره الجنة، ولو أن ذنوبه كتراب الأرض.

أيها الناس: لو أخذت بحلقة باب الجنة ثم تجلى لى الله عز وجل، فسجدت بين يديه ثم أذن لى فى الشفاعة، لم أوثر على أهل بيتى أحداً.

أيها الناس: عظموا أهل بيتى فى حياتى وبعد مماتى، وأكرموهم وفضلوهم، لا يحل لاحد أن يقوم لاحد غير أهل بيتى، فانسبونى من أنا؟!

قال فقام الأنصار وقد أخذوا بأيدهم السلاح، وقالوا: نعوذ الله من غضب الله وغضب رسوله، أخبرنا يا رسول الله من آذاك فى أهل بيتك حتى نضرب عنقه؟!!

قال: أنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب، ثم انتهى بالنسب إلى نزار، ثم مضى إلى إسماعيل بن إبراهيم خليل الله، ثم مضى منه إلى نوح، ثم قال: أنا وأهل بيتى كطينة آدم عليه السلام نكاح غير سفاح!

سلونى، والله لا يسألنى رجل إلا أخبرته عن نسبه وعن أبيه!

فقام إليه رجل فقال: من أنا يا رسول الله؟ فقال: أبوك فلان الذى تدعى إليه! قال فارتد الرجل عن الإسلام.

ثم قال صلى الله عليه وآله والغضب ظاهر فى وجهه: مايمنع هذا الرجل الذى يعيب على أهل بيتى وأهلى وأخى ووزيرى وخليفتى من بعدى وولى كل مؤمن ومؤمنة بعدى، أن يقوم ويسألنى عن أبيه، وأين هو فى جنة أم فى نار؟!

قال فعند ذلك خشىء فلان على نفسه أن يذكره رسول الله صلى الله عليه وآله ويفضحه بين الناس فقام وقال: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنا عفى الله عنك، أقلنا أقالك الله، أسترنا سترك الله، إصفح عنا جعلنا الله فداك. فاستحى النبى صلى الله عليه وآله وسكت، فإنه كان من أهل الحلم وأهل الكرم وأهل العفو ثم نزل صلى الله عليه وآله!!

وقال فرات الكوفى فى تفسيره/٣٩٢:

حدثنا عبد السلام بن مالك قال: حدثنا محمد بن موسى بن أحمد قال: حدثنا محمد بن الحارث الهاشمى قال: حدثنا الحكم بن سنان الباهلى، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبى رباح قال: قلت لفاطمة بنت الحسين: أخبرينى جعلت فداك بحديث أحدث واحتج به على الناس. قالت: نعم أخبرنى أبى أن النبى صلى الله عليه وآله كان نازلاً بالمدينة، وأن من أتاه من المهاجرين مرسوا أن يفرضوا لرسول الله صلى الله عليه وآله فريضة يستعين بها على من أتاه، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: قد رأينا ما ينوبك من النوائب، وإنا أتيناك لتفرض فريضة تستعين بها على من أتاك.

قال: فأطرق النبى صلى الله عليه وآله طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: إنى لم أؤمر أن آخذ منكم على ما جئتم به شيئاً، إنطلقوا فإنى لم أؤمر بشئ، وإن أمرت به أعلمتكم.

قال: فنزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك قد سمع مقالة قومك، وما عرضوا عليك، وقد أنزل الله عليهم فريضة: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى.

قال فخرجوا وهم يقولون: ما أراد رسول الله إلا أن تذل الأشياء وتخضع الرقاب ما دامت السماوات والأرض لبنى عبد المطلب!!

قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى على بن أبى طالب أن أصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل: أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار، ومن ادعى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار، ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار!!

قال: فقام رجل وقال: يا أبا الحسن مالهن من تأويل؟ فقال: الله ورسوله أعلم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال رسول الله: ويلٌ لقريش من تأويلهن! ثلاث مرات. ثم قال: يا على إنطلق فأخبرهم أنى أنا الأجير الذى أثبت الله مودته من السماء، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين، وأنا وأنت أبوا المؤمنين.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا معشر قريش والمهاجرين والأنصار. فلما اجتمعوا قال: يا أيها الناس، إن علياً أولكم إيماناً بالله وأقومكم بأمر الله، وأوفاكم بعهد الله، وأعلمكم بالقضية، وأقسمكم بالسوية، وأرحمكم بالرعية، وأفضلكم عند الله مزية. ثم قال: إن الله مثَّل لى أمتى فى الطين، وعلمنى أسماءهم كما علَّم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم فمر بى أصحاب الرايات فاستغفرت لعلى وشيعته، وسألت ربى أن تستقيم أمتى على على من بعدى، فأبى إلا أن يضل من يشاء ويهدى من يشاء. انتهى.

وقال محمد بن سليمان فى المناقب:۲/۱۲۲:

عن عبد المطلب بن أبى ربيعة قال: قال العباس: يا رسول الله إن قريشاً إذا لقى بعضهم بعضاً لقوا ببشر حسن، وإذا لقونا لقونا بوجوه ننكرها! فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) غضباً شديداً، ثم قال: والذى نفسى بيده لا يدخل قلب عبد الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله. هكذا قال خالد قال أبو خليفة، فأما أبى فحدثناه عن يزيد بن هارون، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن عبدالله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب (رض)قال: قلت: يا رسول الله.. فذكر نحوه أو مثله.

وقال فى هامشه:

وروى أبوبكر ابن أبى شيبة فى الحديث الأول والثالث من فضائل العباس من كتاب الفضائل تحت الرقم: ۱۲۲۵۹ والرقم: ۱۲۲۶۱ من كتاب المصنف::۱۲/۱۰۸ - ۱۰۹ قال: حدثنا ابن فضيل، عن يزيد، عن عبد الله بن الحارث قال: حدثنى عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب أن العباس دخل على رسول الله(ص)وهو مغضب، فقال له رسول الله (ص): من أغضبك؟ قال: يا رسول الله مالنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة وإذا لقونا لقونا بغير ذلك؟! قال: فغضب رسول الله(ص) حتى احمر وجهه، وحتى استدر عرْق بين عينيه، وكان إذا غضب استدر العرق - فلما سرى عنه قال: والذى نفس محمد بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله. ثم قال: أيها الناس من آذى العباس فقد آذانى إنما عم الرجل صنو أبيه.

حدثنا ابن نمير عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى مسلم بن صبيح قال: قال العباس: يا رسول الله إنا لنرى الضغائن فى وجوه قوم من وقائع أوقعتها فيهم. فقال النبى (ص): لن يصيبوا خيراً حتى يحبوكم لله ولقرابتى، ترجو سلهب شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب؟!

أقول: والحديث الأول رواه الحاكم فى فضائل العباس من كتاب المستدرك: ۳/۳۳۲ قال: أخبرنا الشيخ أبوبكر بن إسحاق أخبرنا إسماعيل بن قتيبة حدثنا يحيى بن يحيى وإسحاق بن إبراهيم وأبوبكر بن أبى شيبة قالوا:...

وأيضاً الأولان رواهما أحمد بن حنبل فى مسند عبد المطلب بن ربيعة من كتاب المسند، ورواه عنه ابن كثير فى تفسير آية المودة من سورة الشورى من تفسيره.

وقد روى الحافظ ابن عساكر معنى الحديث بوجوه وأسانيد فى ترجمة العباس من تاريخ دمشق، كما أورده أيضاً البدران فى تهذيبه::۷/۲۳۹ فراجعهما.

وروى عمر بن شبه فى عنوان: ذكر فضل بنى هاشم... من تاريخ المدينة المنورة: ۲/۶۳۹ قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا إسماعيل بن أبى خالد عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله إن قريشاً إذا لقى بعضها بعضاً لقوا ببشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها! فغضب النبى غضباً شديداً فقال: والذى نفس محمد بيده لا يدخل

قلب عبد الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله حدثنا خلف بن الوليد قال: حدثنا جرير عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالله بن الحارث عن المطلب بن ربيعه بنحوه.

حدثنا عمرو بن عون قال: أنبأنا بن عبدالله عن يزيد بن أبى زياد عن عبدالله بن الحارث عن المطلب بن ربيعة قال: كنت جالساً عند رسول الله (ص)فدخل عليه العباس وهو مغضب فقال: يا نبى الله ما بال قريش إذا تلاقوا بينها فتلاقوا بوجوه مبشره وإذا لقونا لقونا بغير ذلك! قال: فغضب النبى(ص)حتى احمرَّ وجهه وقال: لا يدخل قلب رجال الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله.

وحدثنا عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن على قال: حدثنى أبى عن أبيه عن جده قال: قال العباس: يا رسول الله إن قريشاً تتلاقى بينهما بوجوه لا تلقانا بها! فقال رسول الله (ص): أما إن الإيمان لا يدخل أجوافهم حتى يحبوكم لى.

حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى: عن ابن عباس قال: جاء العباس إلى رسول الله(ص)فقال: إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذى صنعت! فقال رسول الله (ص): لن يبلغوا الخير - أو قال الإيمان - حتى يحبوكم لله لقرابتى، أيرجو سؤلهم شفاعتى من مراد ولا يرجو بنو عبد المطلب شفاعتى. انتهى.

وسعوا شفاعة النبى لليهود والنصارى و لم يسمحوا أن تشمل أسرته

شفاعة النبى صلى الله عليه وآله تتسع لكل المسلمين.. بل لكل الموحدين.. بل لكل الخلق.. هذا ما تقوله مصادر إخواننا السنيين.. ولكن هذه المصادر عندما تصل إلى آباء النبى صلى الله عليه وآله وأسرته تختلف لهجتها! فالشفاعة لا تشملهم، بل هم فى النار والعذاب.. وأحسنهم حالاً أبو طالب الذى (يشفع) له النبى صلى الله عليه وآله لأنه نصره، فلا تؤثر شفاعته فيه بسبب شرك أبى طالب وكثرة ذنوبه! فيضعه الله تعالى فى ضحضاح ماء نارى يغمر قدميه فيغلى منه دماغه!!

وفيما يلى نستعرض ما رواه السيوطى فى تفسير قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ. ولك أن تلاحظ التأثيرات القرشية على هذه الروايات.

وينبغى أولاًـ أن نشير إلى أن مرحلة (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ) هى المرحلة الأولى من دعوة النبى صلى الله عليه وآله وهى مرحلة الدعوة الخاصة لأقاربه بنى هاشم، وقد استمرت هذه المرحلة عدة سنين، ثم بدأت عدها المرحلة العامة، عندما أمره الله تعالى بأن يصدع بدعوته لعامة الناس..

ولكن المؤرخين أتباع الخلافة القرشية يعتِّمون على هذه المرحلة، أو يسمونها المرحلة السرية، أو مرحلة ما قبل دار الأرقم.. الخ. وقد أعطوا لدار الأرقم دوراً خيالياً لطمس حقيقة أن الدعوة الإلهية اختصت فى مرحلتها الأولى ببنى هاشم، وأنهم وحدهم حموا النبى صلى الله عليه وآله من فراعنة قريش، وقد فعل ذلك مسلمهم إيماناً، وكافرهم حميةً، وتحملوا جميعاً ماعدا أبى لهب قرار المقاطعة والحصار القرشئ ثلاث سنوات بل أربع سنوات..حتى فك الله حصارهم بمعجزة!!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۹۵:

قوله تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ..

أخرج أحمد وعبد بن حميد والبخارى ومسلم والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان وفى الدلائل عن أبى هريرة (رض) قال لما نزلت هذه الآية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ، دعا رسول الله(ص)قريشاً وعم وخص، فقال:

يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

يا معشر بنى قصى أنقذوا أنفسكم من النار، فإنى لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً.

یا معشر بنی عبد مناف أنقذوا أنفسکم من النار، فإنی لا أملک لکم ضراً ولا نفعاً.

یا بنی عبدالمطلب أنقذوا أنفسکم من النار، فإنی لا أملک لکم ضراً ولا نفعاً.

یا فاطمة بنت محمد أنقذی نفسک من النار، فإنی لا أملک لک ضراً ولا نفعاً، إلا أن لکم رحماً وسأبلها ببلالها.

وأخرج عبد بن حمید وابن مردویه عن ابن عباس رضی الله عنهما قال لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ ٱلْأَقْرَبِينَ، جعل یدعوهم قبائل قبائل. انتهی.

ففی هذه الروایة (الصحیحة) فی مصادرهم صار معنی (عَشِيرَتَکَ ٱلْأَقْرَبِينَ) کل قریش! وصار تعبیر (ٱلْأَقْرَبِينَ) غلطاً قرآنیاً یلزم علی قریش أن تصححه! لأنه لم یبق معنی لعشیرته الأبعدین والأوسطین!

وصار أول ما قاله النبی صلی الله علیه وآله لهم: إن قرابتی لا تنفعکم وشفاعتی لا تنالکم! وصار کل القرشیین أرحام النبی الذین وعدهم بصلة الرحم والشفاعة یوم القیامة!

ولکن هذا الکلام یناسب منطق النبی صلی الله علیه وآله بعد انتصاره وفتحه مکة مثلًا، ولا یناسب بدایة نبوته ودعوته عشیرته الأقربین للتوحید والإسلام! وقد ورد شبیهٌ لذلک عند فتح مکة.

غیر أن القرشیین یریدون سلب أی امتیاز أعطاه الله ورسوله لبنی هاشم، فالامتیازات لقریش کلها، لا لبنی هاشم! وفی نفس الوقت یریدون خلط أنفسهم بعشیرة النبی صلی الله علیه وآله والإستفادة من قرابته أمام العالم!

وقد استفادوا منه فعلًا فی مقابل الأنصار فی السقیفة، وقامت خلافة أبی بکر وعمر علی حق (قرابتهما) من النبی صلی الله علیه وآله! بل تجرأ رواة القرشیین ووضعوا علی لسان النبی صلی الله علیه وآله أن عشیرته الأقربین هم کل قریش!

قال فی الدر المنثور:۵/۹۶:

وأخرج ابن مردویه عن عدی بن حاتم أن النبی(ص)ذکر قریشاً فقال: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ ٱلْأَقْرَبِينَ، یعنی قومی!

وفی مسند أحمد:۲/۳۳۳:

عن أبی هریرة قال: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ ٱلْأَقْرَبِينَ، جعل یدعو بطون قریش بطناً بطناً یا بنی فلان أنقذوا أنفسکم من النار.. حتی انتهی إلی فاطمة فقال: یا فاطمة ابنة محمد، أنقذی نفسک من النار، لا أملک لکم من الله شیئاً، غیر أن لکم رحماً سأبلها ببلالها.

ولکن روایات أخری فلتت منهم واعترفت بأن عشیرته الاقربین تعنی بنی هاشم فقط!

قال فی الدر المنثور:۵/۹۸: قوله تعالی: وَاخْفِضْ جَنَاحَکَ.. الآیتین، أخرج ابن جریر وابن المنذر عن ابن جریج قال لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ ٱلْأَقْرَبِينَ، بدأ بأهل بیته وفصیلته، فشق ذلک علی المسلمین فأنزل الله: وَاخْفِضْ جَنَاحَکَ. انتهی.

فالروایة تعترف بأن عشیرته الاقربین هم أهل بیته وفصیلته، لکنها تجعل الآیة التی بعدها لبقیة المسلمین! ولکن من هم المسلمون الذین شق علیهم ذلک! وهل کان یوجد مسلم من غیر بنی هاشم عند نزول الآیة؟!

لقد کان الأولی بالروایة أن تقول: شقَّ ذلک علی قریش قبل إسلامها، وبعد أن اضطرت للدخول فی الإسلام، فجعلت خلافة النبی صلی الله علیه وآله إرثاً لها دون بنی هاشم!

روایات أخری غیر منطقیة أیضا

من عادة المفسرین عندما یصلون إلی آیة فی حق أهل البیت (علیهم السلام) أن یحشدوا الآراء والإحتمالات والروایات المتناقضة فیها، لیضیعوا بذلک مناقب عترة نبیهم صلی الله علیه وآله! ومما حشده المفسرون هنا:

ما رواه السیوطی فی الدر المنثور:۵/۹۶ قال:

وأخرج عبد بن حمید عن قتادة (رض): وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَکَ ٱلْأَقْرَبِينَ، قال ذکر لنا أن نبی الله(ص)نادی علی الصفا بأفخاذ عشیرته فخذاً

فخذاً یدعوهم إلی الله فقال فی ذلک المشرکون: لقد بات هذا الرجل یهوت منذ اللیلة.

قال وقال الحسن (رض): جمع نبی الله(ص)أهل بیته قبل موته فقال: ألا إن لی عملی ولکم عملکم، ألا إنی لا أغنی عنکم من الله شیئاً، ألا ـ إن أولیائی منکم المتقون، ألا لا أعرفنکم یوم القیامة تأتون بالدنیا تحملونها علی رقابکم، ویأتی الناس یحملون الآخرة. یا صفیة بنت عبد المطلب یا فاطمة بنت محمد إعملا فإنی لا أغنی عنکما من الله شیئاً. انتهی.

أما روایة قتادة فإن النداء علی الصفا یناسب المرحلة العامة التی أمر النبی فیها أن یصدع بالدعوة لکل الناس.. أما إنذار عشیرته الخاصین الذین کان عدد رجالهم أربعین نفراً فیناسبه أن یدعوهم إلی طعام ویحدثهم کما ورد فی الروایات المعقولة.

وأما روایة قتادة عن الحسن البصری إن صحت فلا علاقة لها بالموضوع، لأنها عند وفاته صلی الله علیه وآله والآیة نزلت فی أول بعثته! ومع أن الحسن البصری غلامٌ فارسی، فهو مع قبائل قریش وحساسیتها ضد أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله ویرید أن یقول بهذه الروایة إن النبی صلی الله علیه وآله کان یخاف من حرص ابنته فاطمة وعمته صفیة وعترته علی الدنیا، ولذلک جمعهم وحذرهم!

وقال فی الدر المنثور:۵/۹۶:

وأخرج عبد بن حمید عن عکرمة أن رسول الله(ص)قال: یا بنی هاشم ویا صفیة عمة رسول الله، إنی لا أغنی عنکم من الله شیئاً، إیاکم أن یأتی الناس یحملون الآخرة وتأتون أنتم تحملون الدنیا، وإنکم تردون علی الحوض ذات الشمال وذات الیمین، فیقول القائل منکم یا رسول الله أنا فلان ابن فلان، فأعرف الحسب وأنکر الوصف، فإیاکم أن یأتی أحدکم یوم القیامة وهو یحمل علی ظهره فرساً ذات حمحمة، أو بعیراً له رغاء، أو شاة لها ثغاء، أو یحمل قشعاً من أدم، فیختلجون من دونی، ویقال لی إنک لا تدری ما أحدثوا بعدک! فطیبوا نفساً وإیاکم أن ترجعوا القهقری من بعدی!

قال عکرمة (رض): إنما قال لهم رسول الله(ص)هذا القول حیث أنزل الله علیه: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ أَلْأَقْرَبِینَ انتهی.

ومع أن عکرمة غلامٌ لابن عباس الهاشمی، لکنه معروفٌ ببغضه لعترة النبی صلی الله علیه وآله حتی أنه انضم إلی الخوارج. وهو بهذا التفسیر یقول إن علیاً وفاطمة وعترة النبی انحرفوا بعد النبی صلی الله علیه وآله ورجعوا بعده القهقری! لانهم عارضوا خلافة قریش ولم یطیبوا نفساً عن الخلافة لقریش، ولذلک سوف یمنعون من ورود الحوض، ولا تنالهم شفاعة النبی صلی الله علیه وآله

لقد أخذ عکرمة عبارات النبی صلی الله علیه وآله التی روت الصحاح أنه قالها عن صحابته الذین یرتدون من بعده ویمنعون من ورود حوضه یوم القیامة، وجعلها لعشیرة النبی صلی الله علیه وآله الأقربین، ثم ادعی عکرمة أن النبی کان یعرف هذا الإنحراف من أول یوم أمره الله تعالی أن ینذر عشیرته الأقربین!

وقد روی السیوطی نفس مضمون عکرمة عن أبی أمامة أیضاً.

ثم قال فی الدر المنثور:۵/۹۷:

وأخرج ابن مردویه وابن عساکر والدیلمی عن عبد الواحد الدمشقی قال: رأیت أبا الدرداء یحدث الناس ویفتیهم وولده وأهل بیته جلوس فی جانب الدار یتحدثون، فقیل له: یا أبا الدرداء ما بال الناس یرغبون فیما عندک من العلم وأهل بیتک جلوس لاهین؟! فقال: إنی سمعت نبی الله(ص)یقول: إن أزهد الناس فی الأنبیاء وأشدهم علیهم الأقربون! وذلک فیما أنزل الله: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ أَلْأَقْرَبِینَ.. إلی آخر الآیة. انتهی.

فهؤلاء الرواة الشامیون یریدون أن یقولوا علی لسان أبی الدرداء: إن أولاد النبی وعترته صلی الله علیه وآله کانوا لاهین عن علمه کأولاد أبی الدرداء! وإن بنی هاشم کانوا أشد الناس علی النبی صلی الله علیه وآله فقد کذبوه وأرادوا قتله، وحاصروه فی شعب بنی أمیة!! لکن القرشیین حموه من بنی هاشم، وتحملوا معه الحصار أربع سنوات، فحق لهم أن یرثوه ویحکموا من بعده، خاصة آل أبی سفیان الکرام!!

ویطول بنا الکلام إذا أردنا أن ننقد کل ما رووه فی تفسیر هذه الآیة، وکیف جردوا عترة النبی وعشیرته الاقربین صلی الله علیه وآله

من كل فضيلة، وحرموهم من كل امتياز أعطاهم إياه الله تعالى ورسوله!

ولكنا نشير هنا إلى أن الرواة خلطوا عن عمد وبعضهم عن جهل بين أربع حوادث: الأولى: نزول الآية وبداية إنذار النبى صلى الله عليه وآله لبنى عبد المطلب بدعوتهم إلى طعام.

والثانية: مرحلة الإنذار العام عندما صعد النبى صلى الله عليه وآله على الصفا فى المرحلة الثانية من الدعوة، ونادى واصباحاه، وبدأ يدعو قريشاً والعالم.

والثالثة: عندما دخل النبى صلى الله عليه وآله مكة فاتحاً، وخضع له أبو سفيان وبقية أئمة الكفر من قريش، وأحس بعض بنو عبد المطلب بالنصر والفخر، وامتلات قلوب القرشيين حسداً لهم، وتفكيراً فى مرحلة ما بعد النبى صلى الله عليه وآله.

والرابعة: فى مرض وفاته صلى الله عليه وآله عندما شكى له بنو هاشم ما يحسونه من خطر قبائل قريش عليهم من بعده وتحالفهم على إبعادهم.

وإليك أهم ما بقى من روايات السيوطى المخلوطة فى تفسير آية الاقربين:

قال فى الدر المنثور:۵/۹۶:

وأخرج ابن مردويه عن البراء قال لما نزلت على النبى (ص): وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، صعد النبى(ص)ربوةً من جبل فنادى: يا صباحاه، فاجتمعوا فحذرهم وأنذرهم، ثم قال: لا أملك لكم من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار فإنى لا أملك لك من الله شيئاً. انتهى.

وأخرج مسدد ومسلم والنسائى وابن جرير والبغوى فى معجمه والباوردى والطحاوى وأبو عوانة وابن قانع والطبرانى وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن قبيصة بن مخارق وزفير بن عمرو قالا: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، انطلق رسول الله(ص)إلى ربوة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم قال: يا بنى عبد مناف إنى نذير لكم، إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشئ أن يسبقوه إلى أهله، فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه، أُتيتم أُتيتم.

وأخرج عبد بن حميد والترمذى وابن جرير وابن مردويه عن أبى موسى الأشعرى قال: لما نزلت: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، وضع رسول الله (ص) اصبعيه فى أذنيه ورفع صوته وقال: يا بنى عبد مناف يا صباحاه.

وأخرج ابن مردويه عن الزبير بن العوام قال: لمانزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، صاح على أبى قبيس: يا آل عبد مناف إنى نذير فجاءته قريش فحذرهم وأنذرهم.

وأخرج سعيد بن منصور والبخارى وابن مردويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلأَقْرَبِينَ، ورهطك منهم المخلصين خرج النبى(ص)حتى صعد على الصفا فنادى: يا صباحاه فقالوا: من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا إليه فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى؟

قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً.

قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد.

فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: تبت يدا أبى لهب وتب. انتهى.

فهذه الروايات تناسب بداية مرحلة الدعوة العامة كما أشرنا، وقد جعلوها لمرحلة الدعوة الخاصة ببنى هاشم، وذكروا فيها فاطمة الزهراء عليها السلام قبل ولادتها!!

أما الرواية اليتيمة المعقولة التى رواها السيوطى فهى حديث الدار المعروف..

قال فى الدر المنثور:۵/۹۷:

وأخرج ابن إسحاق وابن جریر وابن أبی حاتم وابن مردویه وأبو نعیم والبیهقی فی الدلائل من طرق عن علی (رض) قال: لما نزلت هذه الآیهٔ علی رسول الله (ص): وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ أَلأَقْرَبِینَ، دعانی رسول الله(ص)فقال: یا علی إن الله أمرنی أن أنذر عشیرتی الأقربین فضقت بذلک ذرعاً، وعرفت أنی مهما أبادؤهم بهذا الأمر أری منهم ما أکره، فصمتُّ علیها حتی جاء جبریل فقال: یا محمد إنک إن لم تفعل ما تؤمر به یعذبک ربک، فاصنع لی صاعاً من طعام واجعل علیه رجل شاهٔ واجعل لنا عِسًّا من لبن، ثم اجمع لی بنی عبد المطلب حتی أکلمهم وأبلغ ما أمرت به، ففعلت ما أمرنی به ثم دعوتهم له، وهم یومئذ أربعون رجلاً یزیدون رجلاً أو ینقصونه، فیهم أعمامه أبو طالب وحمزهٔ والعباس وأبو لهب، فلما اجتمعوا إلیه دعانی بالطعام الذی صنعت لهم فجئت به، فلما وضعته تناول النبی(ص)بضعهٔ من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فی نواحی الصحفهٔ، ثم قال: کلوا بسم الله، فأکل القوم حتی نهلوا عنه، ما تری إلا آثار أصابعهم! والله إن کان الرجل الواحد لیأکل ما قدمت لجمیعهم!

ثم قال: إسق القوم یا علی، فجئتهم بذلک العس فشربوا منه حتی رووا جمیعاً، وأیم الله إن کان الرجل منهم لیشرب مثله!

فلما أراد النبی(ص)أن یکلمهم بدره أبولهب إلی الکلام فقال: لقد سحرکم صاحبکم! فتفرق القوم ولم یکلمهم النبی(ص).

فلما کان الغد قال: یاعلی إن هذا الرجل قد سبقنی إلی ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أکلمهم، فعد لنا بمثل الذی صنعت بالامس من الطعام والشراب، ثم اجمعهم لی ففعلت، ثم جمعتهم ثم دعانی بالطعام فقربته ففعل کما فعل بالامس، فأکلوا وشربوا حتی نهلوا، ثم تکلم النبی (ص) فقال:

یا بنی عبد المطلب إنی والله ما أعلم أحداً فی العرب جاء قومه بأفضل مما جئنکم به، إنی قد جئتکم بخیر الدنیا والآخرهٔ، وقد أمرنی الله أن أدعوکم إلیه، فأیکم یوازرنی علی أمری هذا؟ فقلت وأنا أحدثهم سناً: إنه أنا، فقام القوم یضحکون. انتهی.

ورواها السیوطی بسند آخر عن ابن مردویه عن البراء بن عازب، قال: لما نزلت هذه الآیهٔ: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ أَلأَقْرَبِینَ، جمع رسول الله(ص)بنی عبدالمطلب وهم یومئذ أربعون رجلاً، منهم العشرهٔ یأکلون المسنهٔ ویشربون العس... الخ. انتهی.

- وقد روی المحدثون ومؤرخو السیرهٔ هذا الحدیث، لکن السیوطی بتره هنا ولم یذکر بقیهٔ کلام النبی صلی الله علیه وآله.. وهو أسلوب دَأَبَ رواهٔ خلافهٔ قریش علی ارتکابه ضد عترهٔ النبی وأسرته صلی الله علیه وآله، والسبب فی ذلک أن بقیهٔ الحدیث تقول إن الله أمر رسوله من ذلک الیوم أن یختار وزیراً وخلیفهٔ من عشیرته الأقربین!

قال الأمینی فی الغدیر:۱/۲۰۷:

وها نحن نذکر لفظ الطبری بنصه حتی یتبین الرشد من الغی، قال فی تاریخه:۲/۲۱۷ من الطبعهٔ الأولی: إنی قد جئتکم بخیر الدنیا والآخرهٔ، وقد أمرنی الله تعالی أن أدعوکم إلیه، فأیکم یوازرنی علی هذا الأمر علی أن یکون أخی ووصیی وخلیفتی فیکم؟

قال: فأحجم القوم عنها جمیعاً، وقلت وإنی لاحدثهم سناً وأرمصهم عیناً وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا یا نبی الله أکون وزیرک علیه. فأخذ برقبتی ثم قال: إن هذا أخی ووصیی وخلیفتی فیکم فاسمعوا له وأطیعوا.

قال: فقام القوم یضحکون ویقولون لابی طالب: قد أمرک أن تسمع لابنک وتطیع!!

وقال الأمینی فی:۲/۲۷۹:

وبهذا اللفظ أخرجه أبو جعفر الاسکافی المتکلم المعتزلی البغدادی المتوفی ۲۴۰ فی کتابه نقض العثمانیهٔ وقال: إنه روی فی الخبر الصحیح.

ورواه الفقیه برهان الدین فی (أنباء نجباء الأبناء)/ ۴۶ - ۴۸ وابن الاثیر فی الکامل ۲/۲۴ وأبو الفداء عماد الدین الدمشقی فی تاریخه:۱/۱۱۶ وشهاب الدین الخفاجی فی شرح الشفا للقاضی عیاض: ۳/۳۷ (وبتر آخره) وقال: ذکر فی دلایل البیهقی وغیره بسند صحیح. والخازن علاء الدین البغدادی فی تفسیره/۳۹۰ والحافظ السیوطی فی جمع الجوامع کما فی ترتیبه:۶/۳۹۲ نقلاً عن الطبری وفی/۳۹۷ عن الحفاظ الستهٔ: ابن إسحاق وابن جریر وابن أبی حاتم وابن مردویه وأبی نعیم والبیهقی. وابن أبی الحدید فی شرح نهج

البلاغة ۳/۲۵۴. انتهی.

ثم شکا صاحب الغدیر من تحریف الذین حرفوا الحدیث لارضاء قریش، ومنهم الطبری الذی رواه فی تفسیره بنفس سنده المتقدم فی تاریخه، ولکن أبهم کلام النبی صلی الله علیه وآله فی حق علی (رض) فقال: ثم قال: إن هـذا أخی وکذا وکذا. وتبعه علی ذلک ابن کثیر فی البدایة والنهایة ۳/۴۰ وفی تفسیره ۳/۳۵۱

وقال فی مناقب آل أبی طالب:۱/۳۰۵ وما بعدها:

وأما بیعة العشیرة، قال النبی صلی الله علیه وآله: بعثت إلی أهل بیتی خاصة، وإلی الناس عامة

وهذا النص النبوی هو أصح تفسیر لقوله تعالی: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ ٱلْأَقْرَبِینَ.

وقد ذکر فی المناقب أن السید الحمیری نظم هذه المنقبة لبنی هاشم فقال:

وقیل له أنذر عشیرتک الآلی وهم من شباب أربعین وشیبِ

فقال لهم إنی رسول الیکم ولست أرانی عندکم بکذوب

وقد جئتکم من عند رب مهیمن جزیل العطایا للجزیل وهوب

فأیکم یقفوا مقالی فأمسکوا فقال ألا من ناطق فمجیبی

ففاز بها منهم علیٌّ وسادهم وما ذاک من عاداته بغریب

وله أیضاً:

ویوم قال له جبریل قد علموا أنذر عشیرتک الادنین إن بصرو

فقام یدعوهم من دون أمته فما تخلـف عنه منهم بشـر

فمنهم آکلٌ فی مجلس جذعاً وشاربٌ مثل عس وهو مختفر

فصدهم عن نواحی قصعة شبعاً فیها من الحب صاع فوقه الوزر

فقال یا قوم إن الله أرسلنی الیکـم فأجیبـوا الله وادَّکِـرو

فأیکم یجتبی قولی ویؤمن بی إنی نبی رسول فانبری غُـدَرُ

فقـال تبـاً أتدعـونا لتلفتنـا عن دیننا ثم قام القوم فانشمرو

من الذی قال منهم وهو أحدثهم سناً وخیرهم فی الذکر إذ سطرو

آمنت بالله.. قد أعطیتَ نافلةً لم یعطها أحد جنٌّ ولا بشـر

وإن مـا قلتـه حـقٌّ وإنهـم إن لم یجیبوا فقد خانوا وقد خسرو

ففاز قدماً بها والله أکرمـه فکان سباق غایات إذا ابتدرو

وقال دعبل:

سقیـاً لبیعـة أحمـد ووصیـه أعنی الإمام ولینا المحسود

أعنی الذی نصر النبی محمداً قبل البریة ناشیاً وولید

أعنی الذی کشف الکروب ولم یکن فی الحرب عند لقائها رعدید

أعنی الموحد قبل کل موحد لا عابداً وثناً ولا جلمود

وقال فی هامش بحار الأنوار:۳۲/۲۷۲:

وناهیـک من ذلـک مؤاخـاته مـع رسـول الله صـلی الله علیه وآله بـأمر من الله عز وجـل فی بـدء الإسـلام حین نزل قوله تعـالی: وَأَنْـذِرْ عَشِیرَتَکَ ٱلْأَقْرَبِینَ...

راجع تاريخ الطبرى ٢ – ٣٢١ كامل ابن الاثير ٢ – ٢۴ تاريخ أبى الفداء ١ – ١١۶ والنهج الحديدى ٣ – ٢۵۴ مسند الإمام ابن حنبل ١ – ١۵٩ جمع الجوامع ترتيبه ۶ – ۴٠٨ كنز العمال ۶ – ۴٠١.

وهذه المؤاخاة مع أنها كانت بأمر الله عزوجل إنما تحققت بصورة البيعة والمعاهدة (الحلف) ولم يكن للنبى صلى الله عليه وآله أن يأخذ أخاً ووزيراً وصاحباً وخليفة غيره ولا لعلى أن يقصر فى مؤازرته ونصرته والنصح له ولدينه كمؤازرة هارون لموسى على ما حكاه الله عزو جل فى القرآن الكريم. ولذلك ترى رسول الله صلى الله عليه وآله حين يؤاخى بعد ذلك المجلس بين المهاجرين بمكة فيؤاخى بين كل رجل وشقيقه وشكله: يؤاخى بين عمر وأبى بكر، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير وعبد الله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص، وبين أبى عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة، وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة الكلبى (راجع سيرة ابن هشام ١–۵٠۴ المحبر ٧١–٧٠ البلاذرى ١/٢٧٠)

يقول لعلى عليه السلام: والذى بعثنى بالحق نبياً ما أخرتك إلا لنفسى فأنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى، وأنت أخى ووارثى وأنت معى فى قصرى فى الجنة. ثم قال له: وإذا ذاكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، ولا يدعيها بعدى إلا كاذب مفتر (الرياض النضرة ٢–١۶٨ منتخب كنز العمال ۵–۴۵ و ۴۶).

ولذلك نفسه تراه صلى الله عليه وآله حينما عرض نفسه على القبائل فلم يرفعوا إليه رؤسهم ثم عرض نفسه على بنى عامر بن صعصعة قال رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ثم قال لرسول الله: أرأيت إن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء! قال فقال له: أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه (راجع سيرة ابن هشام ١–۴٢۴ الروض الأنف ١–٢۶۴ بهجة المحافل ١–١٢٨ سيرة زينى دحلان ١–٣٠٢ السيرة الحلبية ٢–٣). فلولا أنه صلى الله عليه وآله كان تعاهد مع على عليه السلام بالخلافة والوصاية بأمر من الله عز وجل، قبل ذلك لَمَا ردهم بهذا الكلام المؤيس، وهو بحاجة ماسة من (..) نصرة أمثالهم. انتهى.

وختاماً فإن ما أوردناه يكفى لإثبات أن قبائل قريش كانت قبل الإسلام تحسد قبيلة بنى هاشم حسداً إلى العظم، وأنها بعد إسلامها وخضوعها للنبى صلى الله عليه وآله ابن بنى هاشم! لم تشف من هذا المرض، بل انتقل حسدها وحساسيتها إلى عشيرة النبى وعترته من أهل بيته صلى الله عليه وآله واتفقوا عزلهم سياسياً بعد النبى صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا الأساس يجب على المؤمن والباحث أن يكون حذراً فى تصديق أحاديث المصادر القرشية فى هذا الموضوع، وفى كل ما يتعلق ببنى هاشم.. ومن ذلك الأحاديث التى تنفى وعد الرسول صلى الله عليه وآله لاسرته بالشفاعة الخاصة فى الآخرة..

اغرب شفاعة اخترعها القرشيون لرئيس بنى هاشم

كل مطلع على سيرة النبى صلى الله عليه وآله يعرف أن عمه أبا طالب كان حاميه وناصره، وأنه بحمايته ونصرته استطاع أن يصدع بدعوته، وبحكمة أبى طالب ونفوذه المعنوى وقف الهاشميون فى وجه قريش إلى جانب النبى صلى الله عليه وآله وصمدوا فى حصار الشعب أربع سنوات، وبإخلاصه واستماتته فى الدفاع عن النبى صلى الله عليه وآله أفشل الله أكثر خطط قريش فى إهانة النبى وقتله.

ويعرف أن أبا طالب له ديوان شعر نقلته مصادر السيرة والتاريخ وكله فى تأييد النبى والإيمان به وفى ذم قادة المشركين الذين وقفوا ضده.. وأن رواة الخلافة القرشية لو وجدوا بيتين من الشعر لشخصية قرشية يحبونها من المعاصرين لأبى طالب لطبلوا بأحدهما وزمروا بالاخر واستخرجوا منهما عشرين دليلًا على إيمانه.

ويتفق فقهاء المذاهب أن القاضى إذا شك فى إسلام شخص متوفى، يكفيه لاثبات إسلامه إقراره أو شهادة شاهدين عاديين بأنه كان مسلماً.. ولكن إثبات إسلام أبى طالب لا يكفى له عندهم إقراراته الصريحة، ولا ألوف الشهود!

ثم إن أهل البيت أدرى بما فيه والأبناء أعرف بآبائهم، وإن علياً وأبناءه الصادقين المصدقين الطاهرين المطهرين بنص القرآن، قد شهدوا بأن أبا طالب كان مسلماً مؤمناً يكتم إيمانه، وأن مَثَلَه مَثَلُ مؤمن آل فرعون.. ولكن ذلك لم يكف أيضاً في نظر قريش لإثبات إسلام أبي طالب!

والسبب في كل هذا التشدد والتعنت أن قريشاً لا تريد إعطاء هذا الوسام لابي طالب، وعندها لذلك مبررات عديدة:

أولاً: أبو طالب بن عبد المطلب، هو رئيس بني هاشم وزعيم قريش بعد أبيه عبدالمطلب. وإذا أعطى هذا الوسام فإن أولاده أولى بملك ابن عمهم النبي محمد! صلى الله عليه وآله..ولا إخالك تقول هنا إن هذا منطق قبلي غير إسلامي، فإن نظام الخلافة الإسلامي إنما قام على أساس القبلية، وإنما كانت حجة عمر وأبي بكر في السقيفة قرابتهما القبلية من محمد وأنه من قريش وقريش أولى بسلطانه!

فالمنطق الذي حكم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وقامت عليه خلافة قريش هو المنطق القبلي وقد كان هو المنطق العام الحاكم عند الجميع! لا يستثنى منه إلا منطق النص الذي قال به أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، ولم يصغ لهم أحدٌ إلا الاقلّون عدداً!

ثانياً: إن شعر أبي طالب رضوان الله عليه ما زال يرنُّ في آذان قادة قريش!! وفيه لهم من التوبيخ والتعنيف لهم، ووصفهم بالحسد والبغي والجحود والكفر وقطيعة الرحم، والحقارة..وأسوأ الصفات!! فالإعتراف بإسلامه إعطاء شعره الصفة لشعره الذي نشر به غسيل قريش!

ثالثاً: إن أبا طالب والد علي، وعلي يطالب بخلافة النبي بالنص، وهو المعارض الأول لأن تكون خلافة محمد لكل قريش تدور بين قبائلها بقاعدة من غلب! وهذه المعارضة ذنبٌ يجب أن يدفع ثمنه عليٌّ وأولاده وأبوه أبو طالب!

والظاهر أن أكبر ذنب لابي طالب عندهم أنه والد علي..فلو كان والد معاوية لاحبته قريش وقالت عنه إنه أسلم وحسن إسلامه، وشملته شفاعة النبي صلى الله عليه وآله

فقد غفرت قريش لأبي سفيان ما لم يغفره الله ورسوله، ونسيت أنه إمام الكفر، ومحزب الأحزاب، والعدو اللدود الذي لم يلق سلاحه في وجه الإسلام إلا مكرهاً، ولم يسلم إلا مكرهاً! بل غفرت له قولته عندما وصلت الخلافة إلى بني أمية (تلقفوها يا بني أمية تلقُّفَ الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار)!

لهذه الأسباب وغيرها صدر حكم قريش بحق أبي طالب بأن حمايته للنبي صلى الله عليه وآله ودفاعه عنه وتحمله الشدائد من أجله واتصالاته بالقبائل ورسائله إليهم وإلى النجاشي وعمله الدائب من أجل تمكين النبي من نشر دعوته..كل ذلك كان عصبيةً هاشميةً فقط، وأنه مات كافراً وليس له أي حق في وراثة النبي صلى الله عليه وآله وليس لأولاده أي امتياز بسبب حماية أبيهم للنبي، بل هم من قريش وقريش هي التي ترث سلطان محمد! وقد قال عمر للأنصار في السقيفة: نحن قومه وعشيرته فمن ذا ينازعنا سلطان محمد؟!

إنسجاماً مع هذه الثقافة تجد في مصادر السنيين أعجب الأحاديث عن أبي طالب، ولعل أعجبها على الإطلاق حديث شفاعة النبي صلى الله عليه وآله لهذا العم الذي أحبه ورباه وحماه وفداه بنفسه وأولاده..فشفع له النبي صلى الله عليه وآله ووضعه في مكان من جهنم يغلي منه دماغه!

قال البخاري في:۷/۲۰۳:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله(ص)وذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه أم دماغه!!

ورواه في:۴/۲۰۲وروى نحوه أحمد في:۱/۲۹۰ وص ۲۹۵ وص ۲۰۶ وص ۲۰۷ وج ۳/۹ وص ۵۰ وص ۵۵ والحاكم في:۴/۵۸۲ والبيهقي في البعث والنشور/۵۹ والذهبي في تاريخ الإسلام:۱/۲۳۴ وغيره من مصادرهم. وقال ابن الاثير في النهاية:۳/۱۳: ضحضاح: الضحضاح: في الأصل مارق من الماء على وجه الأرض وما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار.

وقال البخارى فى:۴/۲۴۷:

باب قصة أبى طالب. حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثنا عبد الملك، حدثنا عبد الله بن الحرث، قال حدثنا العباس بن عبد المطلب (رض): قال للنبى (ص): ما أغنيت عن عمك فوالله كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: هو فى ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار!!

ورواه فى: ۷/۱۲۱ وص ۲۰۳ ورواه مسلم:۱/۱۳۵ ورواه أحمد فى: ۱/۲۰۶ و۲۰۷ و۲۱۰ وج ۳/۵۰ و ۵۵ قال: عن عباس بن عبد المطلب قال: يا رسول الله هل نفعت أباطالب بشئ فإنه قد كان يحوطك ويغضب لك! قال: نعم هو فى ضحضاح من النار لولا ذلك لكان فى الدرك الأسفل من النار. انتهى.

فهذه الرواية تريد بيان التأثير الكبير لشفاعة النبى صلى الله عليه وآله لعمه وأن أبا طالب بالأساس يستحق الدرك الأسفل من النار مثل أبى لهب وأبى جهل وفراعنة قريش الذين كذبوا النبى وأرادوا قتله، والذين نص الله تعالى على طغيانهم وعقابهم! فحماة الأنبياء فى منطق هذه الأحاديث مثل أعدائهم، بل أسوأ حالاً منهم!

وقد رووا أن أبا طالب كان فى طمطام من النار فخفف الله عنه! وطمطام النار هو وسطها الملتهب!

قال فى مجمع الزوائد:۱/۱۱۸ عن لسان النبى صلى الله عليه وآله: وقد وجدت عمى أبا طالب فى طمطام من النار فأخرجه الله لمكانه منى وإحسانه الى فجعله فى ضحضاح من النار. انتهى.

لقد تحير علماء ثقافة قريش فى هذا النوع من الشفاعة المخترعة، لأن الشفاعة إما أن يأذن بها الله تعالى لرسوله فيخلص المشفوع له من النار ويدخله الجنة، وإما أن لاـ يأذن بها فيبقى الشخص فى مكانه فى النار..وما ذكرته أحاديث الضحضاح ليس بشفاعة! ولكنهم ابتكروا له اسماً خاصاً وهو شفاعة التخفيف والنقل من الدرك الاسفل من النار إلى مستنقع من النار وضحضاحها!

قال القسطلانى فى إرشاد السارى:۹/۳۲۸:

الشفاعات كما قال عياض خمسة، وقد زاد سادسة هى التخفيف عن أبى طالب. انتهى.

ثم احتاط القسطلانى لئلا يقال كيف تسمون الضحضاح شفاعة؟ فقال هى شفاعة مجازية وليست حقيقية!

قال فى إرشاد السارى:۹/۳۲۴: إن أبا طالب لما بالغ فى إكرام النبى (ص) والذب عنه، جوزى بالتخفيف، وأطلق على ذلك شفاعة! انتهى.

وهكذابالغ النبى بزعم رواة قريش فى إكرام عمه كما بالغ عمه فى إكرامه!!

على أن مقصود القرشيين من رواية الضحضاح قد يكون تشديد العذاب على أبى طالب لاـ تخفيفه، فيكون ما تصوره النووى من المبالغة فى إكرام أبى طالب مبالغةً فى عذابه! فقد روت مصادر الثقافة القرشية أن العذاب فى الضحضاح أشد من بقيتها!

قال السيوطى فى الدر المنثور:۴/۱۲۷:

وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى الآية قال: إن أهل النار إذا جزعوا من حرها استغاثوا بضحضاح فى النار، فإذا أتوه تلقَّاهم عقارب كأنهن البغال الدهم، وأفاع كأنهن البخاتى، فضربنهم، فذلك الزيادة!

بماذا يفسرون قول النبى سأبلها ببلاله

لم يقنع حديث الضحضاح المسلمين بعدم شمول شفاعة النبى صلى الله عليه وآله لعمه الحبيب أبى طالب، خاصةً أن رواة الضحضاح رووا أن أبا طالب له رحم مع النبى صلى الله عليه وآله وأن النبى وعد أنه سيبلها ببلالها، فهل لهذا الوعد تفسيرٌ إلا الشفاعة؟ وهل يسمى وضع أبى طالب فى ضحضاح من نار بلالاً من النبى لرحمه؟!

والطريف أن البخارى نقل حديثاً عن عمرو بن العاص (وزير معاوية) تبرأ فيه النبى من آل أبى طالب وأعلن قطع الولاية والرحم بينه

وبينهم! وفى نفس الحديث وعدٌ من النبى أن يبل رحمهم ببلالها!!

قال البخارى فى:۷/۷۳: الرحم شجنة فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته. باب يبل الرحم ببلالها. عن قيس بن أبى حازم أن عمرو بن العاص قال: سمعت النبى(ص)جهاراً غير سر يقول: إن آل (أبى طالب) قال عمر وفى كتاب محمد بن جعفر بياض، ليسوا بأوليائى إنما وليى الله وصالح المؤمنين. زاد عنبسة بن عبد الواحد عن بيان عن قيس عن عمرو بن العاص قال: سمعت النبى (ص): ولكن لهم رحمٌ أبلها ببلاها، يعنى أصلها بصلتها. قال أبو عبدالله (أى البخارى) ببلاها كذا وقع وببلالها أجود وأصح وببلاها لا أعرف له وجهاً. وروى نحوه مسلم فى:۱/۱۳۳ والترمذى:۵/۱۹ والنسائى:۶/۲۴۸-۲۵۰ وأحمد:۲/۳۶۰ وص ۵۱۹

وفى بعض رواياتهم توجه الوعد النبوى إلى أبى طالب خاصة، كما فى كنز العمال:۱۲/۱۵۲: إن لابى طالب عندى رحماً سأبلها ببلالها (ابن عساكر عن عمرو ابن العاص). وراجع كنز العمال:۱۶/۱۰ وج ۱۲/۴۲

ومعنى بلال الرحم: صلتها حتى ترضى. قال الجوهرى فى الصحاح: ۴/۱۶۳۹: ويقال أيضاً: فى سقائك بلال أى ماء... ومنه قولهم: إنضحوا الرحم ببلالها أى صلوها بصلتها وندوها... ويقال أيضاً: لا تبلك عندى بلال مثال قطام قالت ليلى الاخيلية:

فلا وأبيك يا ابن أبى عقيل تبلك بعدها عندى بلال

وقال فى الصحاح:۵/۱۹۲۹: والرحم أيضاً: القرابة والرحم بالكسر مثله.

قال الأعشى: أما لطالب نعمة يممتهاووصال رحم قد بردت بلاله

وقال فى الدرجات الرفيعة/۵۱۴:

إن المكارم أصبحت لهفانةً حرَّى وأنت بلالها وبليله

وإذا المكارم ذللت أو ضللت يوماً فأنت دلالها ودليله

وقال ابن الاثير فى البداية والنهاية:۵/۵۱: سأبلها ببلائها: وفى البيهقى ببلالها: معناه سأصلها. شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة. ومنه بلوا أرحامكم: أى صلوها. انتهى.

والنبى صلى الله عليه وآله عندما استعمل هذا التعبير ووعد هذا الوعد كان يعرف أن معنى بلال الرحم عند العرب إكرام القريب بسخاء حتى يرضى وفوق الرضا، فهو صلى الله عليه وآله أفصح من نطق بالضاد، وأعرف الناس بمعانيها.

لهذا يبقى السؤال للبخارى وكافة علماء الخلافة القرشية: إذا وعد نبى أسرته وأهل بيته بأنه سيصل رحمهم ويرضيهم، فكيف تتعقلون أنه يجعل عمه العزيز عليه منهم الذى له عليه فضل خاص، فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه؟!

ضحضاح النور لا ضحضاح النار

لعل الراوى الاساسى لحديث ضحضاح النار هو المغيرة بن شعبة الثقفى، ثم أخذه عنه الآخرون، أو نسب إليهم.. وسبب إسلام المغيرة أنه كان فى سفر فى تجارة مع عدد من رفقائه الثقفيين من أهل الطائف، فغدر بهم وقتلهم جميعاً وسرق أموالهم، وفر إلى المدينة و... أسلم! وهو معروف بدهائه وفساد أخلاقه، وبغضه لعلى عليه السلام وبنى هاشم، وتاريخه مدونٌ معروف!

ولا يبعد أن يكون أخذ تعبير (الضحضاح) من حديث ضحضاح النور الذى ورد فى حق أهل البيت (عليهم السلام) فجعله ضحضاح نار لأبى طالب!

فقد روى الشيخ الطوسى فى الغيبة/۱۴۷ قال: وأخبرنا جماعة عن التلعكبرى، عن أبى على أحمد بن على الرازى الأيادى قال: أخبرنى الحسين بن على، عن على بن سنان الموصلى العدل، عن أحمد بن محمد الخليلى، عن محمد بن صالح الهمدانى، عن سليمان بن أحمد، عن زياد بن مسلم، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن سلام قال: سمعت أبا سلمى راعى النبى صلى الله عليه وآله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت ليلة أسرىَ بى إلى السماء قال العزيز جل ثناؤه: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه.

قلت: والمؤمنون. قال: صدقت یا محمد... إنی اطلعت علی الأرض اطلاعة فاخترتک منها فشققت لک إسماً من أسمائی فلا أذکر فی موضع إلا وذکرت معی، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانیة فاخترت منها علیاً وشققت له اسماً من أسمائی فأنا الأعلی وهو علی. یا محمد إنی خلقتک وخلقت علیاً وفاطمة والحسن والحسین والأئمة من ولده أشباح نور من نوری، وعرضت ولایتکم علیالسماوات وأهلها وعلی الأرضین ومن فیهن، فمن قبل ولایتکم کان عندی من المقربین ومن جحدها کان عندی من الکفار الضالین.

یا محمد لو أن عبداً عبدنی حتی ینقطع أو یصیر کالشن البالی، ثم أتانی جاحداً لولایتکم ما غفرت له حتی یقر بولایتکم.

یا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم یا رب قال التفت عن یمین العرش فالتفتُّ فإذا أنا بأشباح علی وفاطمة والحسن والحسین والأئمة کلهم حتی بلغ المهدی، فی ضحضاح من نور قیام یصلون والمهدی فی وسطهم کأنه کوکب دری، فقال لی: یا محمد هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتک، فوعزتی وجلالی إنه حجةٌ واجبة لاولیائی منتقمٌ من أعدائی. انتهی.

ورواه فرات الکوفی فی تفسیره/۷۴ عن الإمام الباقر ۷ وقال فی هامشه: وأخرجه الحموینی فی الفرائد ۲-۵۷۱ ط ۱ والخوارزمی فی مقتله والطوسی فی الغیبة وصاحب المقتضب کما فی البرهان بأسانیدهم إلی أبی سلمی راعی إبل رسول الله صلی الله علیه وآله قال سمعته یقول... (مثله تقریباً). وأخرج صدره القاضی أبو جعفر الکوفی فی المناقب ح ۱۳۰ وأورده بکامله مع تالیه العلامة المجلسی فی البحار ۳۷-۸۲ انتهی. ورواه ابن شاذان فی المنقبة السابعة عشرة من مناقب علی ۷. ورواه المجلسی فی بحار الأنوار:۱۵/۲۴۷ وج ۱۸:۱۸/۲۹۷ وج ۲۶/۳۰۱

محاولتهم التخلص من الوعد النبوی لبنی هاشم

وجد المفسرون للثقافة القرشیة أن أحسن طریقة للتخلص من الوعد النبوی الذی انتشرت روایته فی الناس، أن یبعدوه عن الآخرة کلیاً، ویقولوا إنه لیس وعداً بالشفاعة!

قال ابن الاثیر فی النهایة:۱/۱۵۳: سأبلها ببلالها: أی أصلکم فی الدنیا ولا أغنی عنکم من الله شیئاً، والبلال جمع بلل. انتهی.

ولکن ذلک لا یصح:

أولاً، لأنه ورد فی سیاق حدیث النبی صلی الله علیه وآله عن الآخرة وإنقاذ النفس من النار فالأصل أن یکون هذا استثناء متصلاً من موضوع الحدیث ومصبه، لا من خارجه!

وثانیاً، أن الحدیث فی مقام نفع نسبه وسببه صلی الله علیه وآله فی الآخرة وقد صح عند الجمیع أنه النسب الوحید الذی لا ینقطع یوم القیامة. وتقدمت روایته عن عمر أن النبی: قال: ما بال أقوام یزعمون أن قرابتی لا تنفع؟! کل سبب ونسب منقطع یوم القیامة إلا سببی ونسبی، فإنها موصولة فی الدنیا والآخرة!

وثالثاً، لم یکن النبی یملک دنیاً عند نزول أمره تعالی: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ ٱلْأَقْرَبِینَ، حتی یعد أقاربه بها، بل لا معنی لوعده إیاهم فی ذلک الوقت حتی بالشفاعة فی الآخرة، لأنه فی مرحلة عرض الإسلام علیهم..وهذا مما یضعف الروایة بأن هذا الوعد النبوی صدر عند نزول الآیة.

ورابعاً، أنهم رووا هذا الحدیث بشأن أبی طالب بعد وفاته کما تقدم فی کنز العمال عن ابن عساکر وغیره، فهل وعده النبی بأن یعطیه مالاً بعد وفاته! أم وعد بأن یعطی ذریته ثروة فلم یعطهم وترکهم فقراء!

وخامساً، رووا فی نفس هذا الوعد أن النبی صلی الله علیه وآله خاطب کل قریش ووعدهم ببلال الرحم، فإن قالوا إنه وعدٌ بإعطائهم مالاً فی الدنیا دون الآخرة، لزم أن لا تشمل شفاعة النبی صلی الله علیه وآله أحداً من قریش أبداً!، فهل یلتزمون بذلک!

قال النووی فی المجموع:۱۵/۳۵۶:

وأخرج الشیخان عن أبی هریرة واللفظ لمسلم (لما نزلت هذه الآیة: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ أَلْأَقْرَبِینَ، دعا رسول الله(ص)قریشاً فاجتمعوا، فعم وخص فقال: یا بنی كعب بن لؤی أنقذوا أنفسكم من النار، یا بنی مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، یا بنی هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، یا بنی عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، یا بنی عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، یا فاطمة أنقذی نفسك من النار، فإنی لاـ أملك لكم من الله شیئاً، غیر أن لكم رحماً سأبلها ببلالها) وفی هذا دلیل علی أن كل من ناداهم النبی(ص)یطلق علیهم لفظ الأقربین، لانه(ص)فعل ذلك ممتثلاً لقوله تعالی: وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ أَلْأَقْرَبِینَ، وهو دلیل علی صحة ما ذهب إلیه الشافعی (رض) من دخول النساء لذكره فاطمة، ودخول الكفار.انتهی.

وسادساً، رووا أحادیث عدیدة صرحت بالوعد النبوی بالشفاعة فی الآخرة، كالذی رواه الحاكم فی:۳/۵۶۸ ورواه مجمع الزوائد:۱/۸۸ وكنز العمال: ۱۲/۴۱: والذی نفسی بیده لا یؤمن أحدهم حتی یحبكم لحبی! أیرجون أن یدخلوا الجنة بشفاعتی ولا یرجوها بنو عبد المطلب؟! انتهی.

بل روی فی كنز العمال:۱۲/۱۰۰ أن شفاعة النبی صلی الله علیه وآله مخصوصةٌ بمن أحب أهل بیته، قال: شفاعتی لامتی، من أحب أهل بیتی وهم شیعتی! انتهی.

وبذلك یتضح أن محاولة إبعاد وعد النبی صلی الله علیه وآله لبنی هاشم عن الشفاعة.. محاولة مردودة، بل مشبوهة.

عمل المعروف ینجی الكفار من النار إلا أبا طالب

روی ابن ماجة فی سننه:۲/۴۹۶:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ص): یُصَفُّ الناس یوم القیامة صفوفاً، وقال ابن نمیر أهل الجنة، فیمر الرجل من أهل النار علی الرجل فیقول: یا فلان أما تذكر یوم استسقیت فسقیتك شربة؟ قال فیشفع له. ویمر الرجل فیقول: أما تذكر یوم ناولتك طهوراً؟ فیشفع له. قال ابن نمیر ویقول: یا فلان أما تذكر یوم بعثتنی فی حاجة كذا وكذا فذهبت لك؟ فیشفع له. انتهی.

والرجل من (أهل النار) یعنی الكافر أو یشمل الكافر الذی قدم خدمة ولو صغیرة للمسلم.. فإذا كانت مكانة المسلم العادی كبیرة عندالله تعالی بحیث یشفِّعه فی من قدم له خدمة ولو بسیطة، فكیف بخدمات أبی طالب لأفضل الخلق صلی الله علیه وآله!

ویؤید حدیث ابن ماجة ما رواه السیوطی فی الدر المنثور:۲/۲۴۹: عن ابن مسعود قال قال رسول الله(ص)فی قوله: فیوفیهم أجورهم ویزیدهم من فضله، قال: أجورهم یدخلهم الجنة، ویزیدهم من فضله الشفاعة فیمن وجبت لهم النار ممن صنع الیهم المعروف فی الدنیا.

وما رواه فی الدر المنثور:۳/۲۵۶:

وأخرج ابن مردویه عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص):إذا كان یوم القیامة جمع الله الأولین والآخرین، ثم أمر منادیاً ینادی: ألا لیقم أهل المعروف فی الدنیا، فیقومون حتی یقفوا بین یدی الله، فیقول الله: أنتم أهل المعروف فی الدنیا؟ فیقولون نعم، فیقول وأنتم أهل المعروف فی الآخرة، فقوموا مع الأنبیاء والرسل فاشفعوا لمن أحببتم فأدخلوه الجنة حتی تدخلوا علیهم المعروف فی الآخرة كما أدخلتم علیهم المعروف فی الدنیا!

ویؤیده من مصادرنا مارواه المجلسی فی بحار الأنوار:۸/۲۸۸

عن ثواب الأعمال للصدوق/۱۶۳ قال: أبی، عن سعد، عن النهدی، عن ابن محبوب، عن علی بن یقطین، عن أبی الحسن موسی علیه السلام قال: كان فی بنی إسرائیل رجلٌ مؤمن وكان له جارٌ كافر فكان یرفق بالمؤمن ویولیه المعروف فی الدنیا، فلما أن مات الكافر بنی الله له بیتاً فی النار من طین، فكان یقیه حرها ویأتیه الرزق من غیرها، وقیل له: هذا بما كنت تدخل علی جارك المؤمن فلان بن فلان من الرفق، وتولیه من المعروف فی الدنیا!

وقال المجلسی: هذا الخبر الحسن الذی لا یقصر عن الصحیح، یدل علی أن بعض أهل النار من الکفار یرفع عنهم العذاب لبعض أعمالهم الحسنة، فلا یبعد أن یخصص الآیات الدالة علی کونهم معذبین فیها لا یخفف عنهم العذاب، لتأیده بأخبار أخر.

وفی بحار الأنوار:۸/۴۱ عن ثواب الأعمال أیضاً/۱۶۷:

عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إن المؤمن منکم یوم القیامة لیمر به الرجل له المعرفة به فی الدنیا وقد أمر به إلی النار والملک ینطلق به، قال فیقول له: یا فلان أغثنی فقد کنت أصنع إلیک المعروف فی الدنیا وأسعفک فی الحاجة تطلبها منی فهل عندک الیوم مکافأة؟ فیقول المؤمن للملک المؤکل به: خلِّ سبیله، قال فیسمع الله قول المؤمن فیأمر الملک أن یجیز قول المؤمن، فیخلی سبیله. انتهی.

هذه الشفافیة فی الرحمة الإلهیة وإکرامه تعالی لأنبیائه وعباده المؤمنین.. تتبخر عند قبائل قریش ورواتهم عندما یصلون إلی أسرة النبی صلی الله علیه وآله!

بل تتحول إلی قسوة وخشونة ینسبونها إلی الله ورسوله ضد هذه الأسرة التی جعل الله مودتها أجراً لتبلیغ الإسلام، لأنه الضمانة الوحیدة لسلامة الإسلام!

احادیث نجت من الرقابة القرشیة

مع کل المحاولات المتقدمة بقیت أحادیث عدیدة، منها صحیح عندهم، استطاعت أن تعبر نقاط التفتیش، وتنجو من رقابة الثقافة القرشیة الحاکمة، وفیما یلی نماذج منها:

تقدمت روایة الهیثمی فی مجمع الزوائد:۸/۲۱۶ عن عمر وما قاله لصفیة عمة النبی وما أجابه به النبی صلی الله علیه وآله فقد جاء فیها: قال فغضب النبی(ص)وقال: یا بلال هجر بالصلاة فهجر بلال بالصلاة، فصعد المنبر(ص)فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: ما بال أقوام یزعمون أن قرابتی لا تنفع؟! کل سبب ونسب منقطع یوم القیامة إلا سببی ونسبی! فإنها موصولة فی الدنیا والآخرة! انتهی.

وقد حاولت روایة أن تعتذر عن قول الخلیفة عمر هذا باتهام أم هانی أخت علی علیه السلام بأنها کانت متبرجة، فنهاها عمر عن ذلک، وقال لها ذلک القول! ولکن الظاهر أن حادثة أم هانی حادثة أخری غیر حادثة صفیة، وقد کان جواب النبی صلی الله علیه وآله فیها أیضاً حاسماً:

قال فی مجمع الزوائد:۹/۲۵۷:

عن عبد الرحمن بن أبی رافع أن أم هانی بنت أبی طالب خرجت متبرجة قد بدا قرطاها، فقال لها عمر بن الخطاب: إعملی فإن محمداً لا یغنی عنک شیئاً، فجاءت إلی النبی(ص)فأخبرته به، فقال رسول الله (ص): ما بال أقوام یزعمون أن شفاعتی لا تنال أهل بیتی؟! وإن شفاعتی تنال حا وحکم!! وحا وحکم قبیلتان. انتهی.

وذکرت مصادرنا کما فی بحار الأنوار:۹۳/۲۱۹:

أن عمر قال لها: غطی قرطک فإن قرابتک من رسول الله لاتنفعک شیئاً! فقالت له: هل رأیت لی قرطاً یا ابن اللخناء؟! ثم دخلت علی رسول الله صلی الله علیه وآله فأخبرته بذلک وبکت، فخرج رسول الله صلی الله علیه وآله فنادی الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال: ما بال أقوام یزعمون أن قرابتی لاتنفع! لو قمت المقام المحمود لشفعت فی حاء وحکم! لایسألنی الیوم أحد من أبواه إلا أخبرته! فقام إلیه رجل فقال: من أبی یا رسول الله؟ فقال: أبوک غیر الذی تدعی له، أبوک فلان بن فلان! فقام آخر فقال: من أبی یا رسول الله؟ قال: أبوک الذی تدعی له! ثم قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ما بال الذی یزعم أن قرابتی لاتنفع لا یسألنی عن أبیه؟ فقام إلیه عمر فقال: أعوذ بالله یا رسول الله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنی عفا الله عنک...

ونقل البیهقی فی البعث والنشور/۵۹:

حادثة ثالثة: عن أبی هریرة قال کانت امرأه من بنی هاشم تحت رجل من قریش، فکان بینه وبینها شئ فقال لها ستعلمین والله أنه لا

ینفعک قرابتک من رسول الله (ص) شیئاً! فخرج رسول الله مغضباً فقال: ما بال رجال یزعمون أن قرابتی لا تنفع! وإنی لترجو شفاعتی صدی أو سهلب!

وفی الانساب للسمعانی:۱/۳۰:

عن أبی هریرة وعمار بن یاسر رضی الله عنهما أن النبی(ص)قال: أیها الناس مالی أوذی فی أهلی؟! والله إن شفاعتی لتنال حاء وحکم وسلهب وصداء، تنالها یوم القیامة!

وسلهب فی نسب الیمن من دوس. قال ابن إسحاق: هذا مما یصدق نسابة مضر أن هذه القبائل من معد.

وقال الدیلمی فی فردوس الأخبار:۴/۳۹۹ ح ۶۶۸۳:

أبو سعید: ما بال أقوام یزعمون أن رحمی لا تنفع؟! والله إن رحمی لموصولة فی الدنیا والآخرة.

وقال ابن الاثیر فی أسد الغابة:۱/۱۳۴:

عن شهر بن حوشب قال أقام فلانٌ (یقصد معاویة) خطباء یشتمون علیاً رضی الله عنه وأرضاه ویقعون فیه حتی کان آخرهم رجلٌ من الأنصار أو غیرهم یقال له أنیس، فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: إنکم قد أکثرتم الیوم فی سب هذا الرجل وشتمه، وإنی أقسم بالله أنی سمعت رسول الله (ص) یقول: إنی لاشفع یوم القیامة لأکثر مما علی الأرض من مدر وشجر، وأقسم بالله ما أحدٌ أوصل لرحمه منه، أفترون شفاعته تصل الیکم وتعجز عن أهل بیته؟! ورواه فی مجمع الزوائد:۹/۱۷۰: عن شهر بن حوشب وفیه (أفیرجوها غیره ویقصر عن أهل بیته)

تاریخ المدینة:۲/۲۶۴:

حدثنا أبو حذیفة، قال حدثنا سفیان، عن أبیه، عن أبی الضحی، عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: جاء العباس إلی رسول الله(ص)فقال: إنک ترکت فینا ضغائن منذ صنعت الذی صنعت. فقال رسول الله (ص): لن یبلغوا الخیر - أو قال: الإیمان - حتی یحبوکم لله ولقرابتی! أیرجو سؤلهم شفاعتی من مراد، ولا یرجو بنو عبد المطلب شفاعتی! وروی نحوه فی کنز العمال:۱۳/۵۱۲ وص ۵۱۴

الدر المنثور:۶/۴۰۹:

وأخرج ابن مردویه عن ابن عمر وأبی هریرة وعمار بن یاسر رضی الله عنهم قالوا: قدمت درة بنت أبی لهب مهاجرةً، فقال لها نسوة أنت درة بنت أبی لهب الذی یقول الله تبت یدا أبی لهب، فذکرت ذلک للنبی(ص)، فخطب فقال: یا أیها الناس مالی أوذی فی أهلی، فوالله إن شفاعتی لتنال بقرابتی حتی أن حکماً وحاء وصدا وسلهباً تنالها یوم القیامة بقرابتی! ورواه فی کنز العمال:۱۳/۶۴۴ عن فردوس الدیلمی.

مجمع الزوائد:۱۰/۳۸۰:

باب فی أول من یشفع لهم: عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): أول من أشفع له من أمتی أهل بیتی، ثم الأقرب فالأقرب من قریش والأنصار. انتهی.

ولو تتبعنا المصادر لوجدنا الکثیر من هذه الأحادیث. وهی ملیئة بالحقائق والفوائد، ونکتفی منها بما یلی:

أولاً: أن حدیث (مالی أوذی فی أهل بیتی) أصله هنا، ولکن صار نصه فی الصحاح (مالی أوذی فی أهلی) وصار أهله صلی الله علیه وآله بمعنی زوجته عائشة، فقد ادعوا أن قصة الافک التی اتهم فیها المنافقون المؤمنة الطاهرة الغافلة ماریة القبطیة، کانت المتهمة فیها عائشة ورضوا هنا أن تکون عائشة من (المؤمنات الغافلات) اللواتی ذکرتهم الآیة، لکی تکون البراءة النازلة من السماء لها ولیس لماریة، وادعوا أن قول النبی صلی الله علیه وآله: مالی أوذی فی أهلی، صدر بتلک المناسبة! وصار المؤذی للنبی صلی الله علیه وآله علیاً بن أبی طالب، الذی زعموا أنه أشار علی النبی صلی الله علیه وآله بطلاق عائشة!

ثانیاً: أن أذی القرشیین للنبی فی آله صلی الله علیه وآله کان کثیراً متکرراً وقد نصت مصادر السنیین علی عدد من حوادثه کما تقدم فی حادثة (برکٔ علی قدمیه) وتقدم هنا: قول فلان من قریش (کمثل نخلة نبتت فی کناسة) وقول عمر لصفیة، وقوله لأم هانی وقول (صهر بنی هاشم) الذی لم یصرحوا باسمه، وقصة بنت أبی لهب، وشکوی العباس المتکررة.

کما أن تعدد الایذاء وتعدد جواب النبی صلی الله علیه وآله یفهم من تعدد أسماء القبائل الغریبة البعیدة التی ذکرها النبی صلی الله علیه وآله عمداً، بما آتاه الله من جوامع الکلم لتبقی أسماؤها ترنُّ فی الأذان ویبقی حدیثه فی الأذهان.. الأمر الذی یدل علی أن روح الایذاء للنبی فی آله صلی الله علیه وآله کانت فی القرشیین مرضاً لا عرضاً!

ثالثاً: ینبغی أن یسأل الذین یدافعون عن جمیع الصحابة ویقدسونهم، عن حکم هؤلاء الذین آذوا رسول الله صلی الله علیه وآله وأغضبوه مراراً فی أهل بیته، فقد ثبت علیهم الحکم الذی نزل به القرآن فی حقهم، ولم یثبت أنهم جددوا إسلامهم وخرجوا من تبعات هذا الحکم.

رابعاً: إن هذه الأحادیث وحدها تکفی للمسلم لأن یعرف أن فی الأمر شیئاً کبیراً یتعلق بآل النبی صلی الله علیه وآله وأنه یجب إعادة النظر فی الروایات التی تنفی أن النبی صلی الله علیه وآله لم یوص لهم، ولم یجعل لهم حقاً علی الأمة، ولم یعدهم بشفاعة خاصة.. وتکفیه لأن یحتمل أن تکون روایاتهم فی أبی طالب من هذا النوع. وهذا الإحتمال کاف للتوقف عن تصدیقها.

بخلهم علی أبی طالب و خدیجة و سخاؤهم علی غیرهم

من ظلامة الخلافة القرشیة أنها بخلت علی أبی طالب بکلمة شکر، فی حین تبنت مشرکین فی مقابله لم یؤمنوا بالنبی صلی الله علیه وآله فجعلتهم من أهل الجنة، بل جعلتهم فی مرتبة الأنبیاء! ومن أبرز هؤلاء ورقة بن نوفل وزید بن عمرو بن نفیل.. والنص التالی یبین بعض الرتب التی أعطوها لهؤلاء فی الجنة، بالمقایسة إلی الرتبة النازلة التی أعطوها لخدیجة أم المؤمنین ورتبة الضحضاح لأبی طالب رضوان الله علیهما.

قال الهیثمی فی مجمع الزوائد:۹/۴۱۶:

عن جابر بن عبد الله قال سئل النبی(ص)عن عمه أبی طالب، هل تنفعه نبوتک؟ قال: نعم أخرجته من غمرات جهنم إلی ضحضاح منها.

وسئل عن خدیجة، لأنها ماتت قبل الفرائض وأحکام القرآن، فقال: أبصرتها علی نهر من أنهار الجنة فی بیت من قصب، لا صخب فیه ولا نصب.

وسئل عن زید بن عمرو بن نفیل فقال: یبعث یوم القیامة أمةً وحده، بینی وبین عیسی علیه السلام. رواه أبو یعلی وفیه مجالد، وهذا مما مدح من حدیث مجالد، وبقیة رجاله رجال الصحیح.

وعن جابر قال سألنا رسول الله(ص)عن زید بن عمرو بن نفیل فقلنا: یا رسول الله إنه کان یستقبل القبلة ویقول دینی دین إبراهیم وإلهی إله إبراهیم وکان یصلی ویسجد؟ قال: ذاک أمة وحده، یحشر بینی وبین یدی عیسی بن مریم.

وسئل عن ورقة بن نوفل وقیل: یا رسول الله إنه کان یستقبل القبلة ویقول إل هی إله زید ودینی دین زید، وکان یتوجه ویقول:

رشدت فأنعمت ابن عمرو فإنما عنیت بتنور من النار حامی

بدینک دیناً لیس دین کمثله وترکک حنَّان الجبال کما هی

قال: رأیته یمشئ فی بطنان الجنة، علیه حلة من سندس. انتهی.

وإنما جعلوا بیت القصب لخدیجة، لأنها بزعمهم توفیت قبل فرائض الصلاة والصوم والزکاة والحج، فهی تستحق درجة سفلی فی الجنة وبیتاً عادیاً من قصب أو سعف النخل..أما عائشة المحترمة عند دولة الخلافة فهی فی الفردوس فی قصر من یاقوت ولؤلؤ!

ويتألم المسلم عندما يرى فى المصادر الإسلامية افتراءً على أم المؤمنين خديجة يصل إلى حد اتهامها بأنها كانت تعبد اللات والعزى وتلح على النبى صلى الله عليه وآله أن يعبدهما قبل منامه، فيمتنع عن ذلك!!

فقد روى أحمد فى مسنده:۴/۲۲۲ و:۵/۳۶۲:

عن عروة بن الزبير يعنى ابن أخت عائشة قال: حدثنى جار لخديجة بنت خويلد أنه سمع النبى (ص) وهو يقول لخديجة: أى خديجة والله لا ـ أعبد اللات والعزى، والله لا أعبد أبداً! قال فتقول خديجة:خل اللات خل العزى، قال كانت صنمهم التى كانوا يعبدون ثم يضطجعون)!! انتهى.

فكأن مدح عائشة يستلزم ذم ضرتها، والتى توفيت قبل أن يتزوج النبى بها! لأن النبى صلى الله عليه وآله كان يذكرها دائماً بالخير، ويباهى بها!!

وأما ورقة المعاصر لأبى طالب أيضاً، فهو فى بطنان الجنة أى فى وسطها، يرفل بالسندس، مع أنه مات بعد البعثة ولم يسلم! والسبب فى استحقاقه الجنة أنه كان يقول: أنا على دين زيد بن نفيل! بينما ذكروا أن الدليل على كفر أبى طالب أنه كان يقول: أنا على دين عبد المطلب!!

وأما زيد بن نفيل فقد عاش سنوات بعد البعثة ولم يسلم، ورووا عنه أنه نهى المشركين ذات مرة عن تعذيب بلال، ولكنهم جعلوه فى مرتبة نبى لأنه ابن عم الخليفة عمر..بل هو بزعمهم أتقى من النبى صلى الله عليه وآله، لأن النبى كان قبل البعثة مشركاً يذبح للأصنام ويأكل مما ذبح على النصب، بينما كان زيد على دين إبراهيم لا يذبح للأصنام ولا يأكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وقد نصح النبى صلى الله عليه وآله ذات مرة أن لا يأكل مما ذبح على النصب فاقتدى النبى به!!

إنها الكارثة الفكرية فى الأمة.. عندما تفضل حكامها وأقاربهم على نبيها سيد الأنبياء، وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام!!

قال فى مجمع الزوائد:۹/۴۱۷: باب ما جاء فى زيد بن عمرو بن نفيل...

قال فمر زيد بن عمرو بالنبى(ص)وزيد بن حارثة، وهما يأكلان من سفرة فدعياه فقال: يابن أخى لا آكل ما ذبح على النصب، قال فما رؤى النبى(ص)يأكل ماذبح على النصب من يومه ذلك، حتى بعث.

قال: وجاء سعيد بن زيد إلى النبى(ص)فقال: يا رسول الله إن زيداً كان كما رأيت أو كما بلغك، فأستغفر له؟ قال: نعم، فاستغفروا له فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده. رواه الطبرانى والبزار باختصار عنه، وفيه المسعودى وقد اختلط، وبقية رجاله ثقات.

وعن سعيد بن زيد قال: سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله(ص)عن زيد بن عمرو؟ فقال: يأتى يوم القيامة أمة وحده. رواه ابو يعلى وإسناده حسن.

وعن زيد بن حارثة قال: خرجت مع رسول الله(ص)يوماً حاراً من أيام مكة وهو مردفى إلى نصب من الأنصاب! وقد ذبحنا له (أى للصنم)شاة فأنضجناها، قال فلقيه زيد بن عمرو بن نفيل فحيَّا كل واحد منهما صاحبه بتحية الجاهلية، فقال النبى (ص): يا زيد مالى أرى قومك قد شنفوا لك؟ قال: والله يا محمد ذلك لغير نائلة لى منهم، ولكنى خرجت أبتغى هذا الدين حتى أقدم على أحبار فدك، وجدتهم يعبدون الله ويشركون به، قال قلت ماهذا الدين الذى أبتغى، فخرجت حتى أقدم على أحبار الشام، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به، قلت ما هذا الدين الذى أبتغى، فقال شيخ منهم إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحداً يعبد الله به إلا شيخٌ بالحيرة، قال فخرجت حتى أقدم عليه فلما رآنى قال ممن أنت؟ قلت من أهل بيت الله، من أهل الشوك والقرظ، فقال إن الدين الذى تطلب قد ظهر ببلادك قد بعث نبى قد ظهر نجمه، وجميع من رأيتهم فى ضلال، فلم أحس بشئ بعد يا محمد!!

قال: وقرب إليه السفرة فقال: ما هذا يا محمد؟ فقال شاة ذبحناها لنصب من الانصاب! فقال: ما كنت لأكل مما لم يذكر اسم الله عليه!

قال زيد بن حارثة: فأتى النبى(ص)البيت فطاف به وأنا معه، وبين الصفا والمروة صنمان من نحاس أحدهما يقال له يساف والآخر يقال له نائلة، وكان المشركون إذا طافوا تمسحوا بهما، فقال النبى (ص): لا تمسحهما فإنهما رجس، فقلت فى نفسى لامسنهما حتى

أنظر مـا يقول النبى(ص)؟ فقال النبى(ص) لزيـد: إنه يبعث أمـة وحـده. رواه أبو يعلى والبزار والطبرانى إلا أنه قال فيه: فأخبرته بالـذى خرجت له فقال: كل من رأيت فى ضـلال وإنك لتسأل عن دين الله وملائكته، وقـد خرج فى أرضك نبى أو هو خارج فارجع فصدقه وآمن به. وقـال أيضـاً فقـال زيـد إنى لا آكل شـيئاً ذبـح لغير الله، ورجال أبى يعلى والبزار وأحـد أسانيـد الطبرانى رجال الصـحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث.

وعن أسـماء بنت أبى بكر قالت: كان زيد بن عمرو بن نفيل فى الجاهلية يقف عند الكعبة ويلزق ظهره إلى صـفحتها، ويقول: يا معشر قريش ما على الأرض على دين إبراهيم غيرى، وكان يفدى الموؤودة أن تقتل، وقال عمرو بن نفيل:

عزلت الجن والجنان عنى كذلك يفعل الجلد الصبور

رواه الطبرانى وإسناده حسن. انتهى.

فقد ثبت عندهم بهذه الأحاديث الصحيحة والحسنة، أن النبى صلى الله عليه وآله كان يعبد الأصنام ويذبح لها! وثبت أن زيد بن عمرو كـان موحـداً على دين إبراهيم، وكان ينتظر النبوة، وكان أولى بها من محمـد، ولكن زيـداً إلى تاريـخ لقائه بالنبى صـلى الله عليه وآله وهو فى طريقه إلى الصنم لم يحس بالوحى ولعله أحس به بعد ذلك!!

وقد روت الصـحاح افتراءهم على النبى صـلى الله عليه وآله بأنه ذبح للصنم وقصة اللحم الذى كان يأكل منه بزعمهم ويعافه ابن نفيل!! فقد رواها البخارى: ۴/۲۳۲ وأضاف فيه

(ثم قـال زيـد إنى لست آكل مما تـذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وإن زيـد بن عمر كان يعيب على قريش ذبـائحهم ويقول: الشـاة خلقهـا الله وأنزل لهـا من السـماء المـاء وأنبت لهـا من الأـرض ثم تـذبحونها على غير اسم الله!! إنكاراً لـذلك وإعظاماً له!) انتهى.

وروى نحوها أيضاً فى:۶/۲۲۵ وكذلك أحمد فى:۱/۱۸۹ وج ۲/۶۸ و۸۹ و۱۲۷

وعلى هـذه الروايات الصـحاح والحسان! يكون زيـد بن عمرو بن نفيل أتقى من محمـد صـلى الله عليه وآله وأوعى منه، وأولى بالنبوة منه، ولكن الحظ جعلها لمحمد صلى الله عليه وآله.

ولذلك لم يؤمن به زيد عندما بعث لأنه لا يحتاج إلى ذلك!

كما أن ابن عمه عمر يسـتحق النبوة ولكن الحظ جعلها لمحمد، فقد نسبوا إلى النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: لو لم أبعث لبعث عمر بن الخطاب!! وهذا يعطى الشرعية لكل مناقشات عمر للنبى صلى الله عليه وآله واعتراضاته عليه، بل ومخالفاته له!!

ويلاحظ فى رواياتهم عن زيـد بن عمرو، أن عـدداً منها عن لسان ولده سـعيد وابن عمه عمر، وأنها تريد التأكيد على أن زيداً العدوى وحـده كان على ملة إبراهيم لا عبد المطلب الهاشـمى ولا أبو طالب، ولا حتى النبى صـلى الله عليه وآله، وهو عملٌ يقصد منه المساس بشخصية النبى وأجداده صلى الله عليه وآله من أجل تكبير شخصيات مشركة من أقارب الحكام!!

لكن المتأمل فى رواياتهم يجـد فيها حقيقة مهمة، وهى أنهم شـهدوا على زيد بن عمرو بن نفيل بأنه لم يسـلم ومات كافراً رغم معرفته المزعومـة ببعثـة النبى صـلى الله عليه وآله، ولو أنه أسـلم لمـا سألوا النبى صـلى الله عليه وآله عنه، ولملاوا الكتب بفضائله ومناقبه! كما ملؤوها بذم أبى طالب وضحضاحه!!

اهم الأدلة على إيمان أبى طالب

تكفلت كتب مسـتقلة بإثبـات إيمـان أبى طـالب رضوان الله عليه..ومن أشـهرها كتاب (أبو طالب مؤمن قريش) لمؤلفه الشيخ عبـد الله الخنيزى الذى صادره الوهابيون وحبسوا مؤلفه (السعودى) بسـببه، وحكموا عليه بالإعدام! ولكن الدولة السـعودية خشيت من العواقب فأقنعت مفتيهم بتخفيف الحكم فخففه إلى الحبس والتعزير!!

وقد کتب علماؤنا عن إیمان أبی طالب بحوثاً مستفیضة فی مصادر السیرة والعقائد، من أهمها ما کتبه المجلسی فی البحار:۳۵ والامینی فی الغدیر: ۷ و ۸ والشیخ نجم الدین العسکری فی مقام الإمام علی علیه السلام والسید جعفر مرتضی فی الصحیح من السیرة:۳/۲۲۷.

ونورد فیما یلی خمسة أدلة علی إیمانه مستفادة من المصادر المذکورة وغیرها:

الدلیل الأول: النصوص الصریحة الثابتة عندنا عن النبی والأئمة من آله صلی الله علیه وآله وهم الطاهرون المطهرون الصادقون المصدقون، غیر المتهمین فی شهادتهم لآبائهم وأقربائهم وأنفسهم.

منها: عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه قال: والله ما عبد أبی ولا جدی عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف، صنماً قط. قیل له فما کانوا یعبدون؟ قال: کانوا یصلون إلی البیت علی دین إبراهیم متمسکین به. انتهی.

وقال عنه فی الغدیر:۷/۳۸۴: رواه شیخنا الصدوق بإسناده فی کمال الدین/۱۰۴ والشیخ أبوالفتوح فی تفسیره ۴: ۲۱۰ والسید فی البرهان ۳: ۷۹۵

ومنها: ع أبی عبد الله الصادق علیه السلام قال: نزل جبرئیل علیه السلام علی النبی صلی الله علیه وآله فقال: یا محمد إن ربک یقرؤک السلام ویقول: إنی قد حرمت النار علی صلب أنزلک وبطن حملک وحجر کفلک. فالصلب صلب أبیه عبد الله بن عبد المطلب، والبطن الذی حملک آمنة بنت وهب، وأما حجر کفلک فحجر أبی طالب. وزاد فی روایة: وفاطمة بنت أسد. انتهی.

وقال عنه فی الغدیر: روضة الواعظین/۱۲۱. راجع الکافی لثقة الإسلام الکلینی/۲۴۲، معانی الأخبار للصدوق، کتاب الحجة السید فخار بن معد/۸، ورواه شیخنا للمفسر الکبیر أبو الفتوح الرازی فی تفسیره ۴-۲۱۰، ولفظه: إن الله عز وجل حرم علی النار صلباً حملک وبطناً حملک وثدیاً أرضعک وحجراً کفلک..إلخ.

ومنها: ما رواه فی مقام الإمام علی:۳/۱۴۰: قال السید الحجة فخار بن معد فی کتابه (الحجة علی الذاهب إلی تکفیر أبی طالب)/۱۶ بالإسناد إلی الکراجکی عن رجاله، عن أبان، عن محمد بن یونس، عن أبیه، عن أبی عبدالله أنه قال: یا یونس ما تقول الناس فی أبی طالب؟ قلت جعلت فداک یقولون: هو فی ضحضاح من نار، وفی رجلیه نعلان من نار تغلی منهما أم رأسه! فقال: کذب أعداء الله! إن أبا طالب من رفقاء النبیین والصدیقین والشهداء والصالحین وحسن أولئک رفیقاً.

ومنها: فی المصدر المذکور أیضاً، عن علی بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن کثیر قال: قلت لابی عبد الله علیه السلام: إن الناس یزعمون أن أبا طالب فی ضحضاح من نار؟ فقال: کذبوا ما بهذا نزل جبرئیل علی النبی صلی الله علیه وآله! قلت وبما نزل؟ قال: أتی جبرئیل فی بعض ما کان علیه فقال: یا محمد إن ربک یقرؤک السلام ویقول لک: إن أصحاب الکهف أسروا الإیمان وأظهروا الشرک فآتاهم الله أجرهم مرتین، وإن أبا طالب أسر الإیمان وأظهر الشرک فآتاه الله أجره مرتین، وماخرج من الدنیا حتی أتته البشارة من الله تعالی بالجنة. ثم قال علیه السلام: کیف یصفونه بهذا وقد نزل جبرئیل لیلة مات أبو طالب فقال: یا محمد أخرج من مکة فما لک بها ناصر بعد أبی طالب!

ومنها: فی المصدر المذکور أیضاً عن أبی بصیر لیث المرادی قال: قلت لابی جعفر: سیدی إن الناس یقولون: إن أبا طالب فی ضحضاح من نار یغلی منه دماغه؟ فقال علیه السلام: کذبوا، والله إن إیمان أبی طالب لو وضع فی کفةِ میزان وإیمان هذا الخلق فی کفة لرجح إیمان أبی طالب علی إیمانهم، ثم قال: کان والله أمیر المؤمنین یأمر أن یحج عن أب النبی وأمه صلی الله علیه وآله وعن أبی طالب فی حیاته، ولقد أوصی فی وصیته بالحج عنهم بعد مماته. انتهی.

الدلیل الثانی: تصریحات أبی طالب رضی الله علیه بصدق النبی صلی الله علیه وآله وأنه رسول رب العالمین.

قال السید جعفر مرتضی فی الصحیح من السیرة:۳/۲۳۰:

ویکفی أن نذکر نموذجاً من أشعاره التی عبر عنها ابن أبی الحدید المعتزلی بقوله: إن کل هذه الاشعار قد جاءت مجی التواتر من حیث مجموعها (شرح النهج:۱۴/۷۸) ونحن نذکر هنا اثنی عشر شاهداً من شعره، علی عدد الأئمة المعصومین من ولده علیه وعلیهم

السلام تبركاً وتيمناً، والشواهد هى:

۱ – ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط فى أول الكتب

۲ – نبى أتاه الوحى من عند ربه ومن قال لا، يقرع بها سن نادم

۳ – يا شاهد الوحى من عند ربه إنى على دين النبى أحمد

۴ – أنت الرسول رسول الله نعلمه عليك نزِّل من ذى العزة الكتب

۵ ـ أنت النبى محمدُ قرمٌ أغرُّ مُسَوَّدُ

۶ ـ أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبى كموسى أو كذى النون

۷ ـ وظلم نبى جاء يدعو إلى الهدى وأمر أتى من عند ذى العرش قيم

۸ ـ لقد أكرم الله النبى محمداً فأكرم خلق الله فى الناس أحمد

۹ ـ وخير بنى هاشم أحمدٌ رسول الاله على فترةٍ

۱۰ ـ والله لا أخذل النبى ولا يخذله من بنىَّ ذو حسب

۱۱ ـ وقال رحمه الله يخاطب ملك الحبشة ويدعوه إلى الإسلام:

أتعلم ملك الحسن أن محمداً نبياً كموسى والمسيح ابن مريم

أتى بالهدى مثل الذى أتيا به فكلٌّ بأمر الله يهدى ويعصم

وإنكم تتلوته فى كتابكم بصدقِ حديث لا حديث الترجم

فلا تجعلوا لله نداً فأسلموا فإن طريق الحق ليس بمظلم

۱۲ –ـ وقال مخاطباً ولده حمزة رحمه الله:

فصبراً أبا يعلى على دين أحمد وكن مظهر للدين وفقت صابر

وحط من أتى بالحق من عند ربه بصدق وعزم لاتكن حمز كافر

فقد سرنى أن قلت إنك مؤمنٌ فكن لرسول الله فى الله ناصر

وباد قريشاً فى الذى قد أتيته جهاراً وقل ما كان أحمد ساحر

وأشعار أبى طالب الناطقة بإيمانه كثيرة، وقد اقتصرنا منها على هذا القدر لنفسخ المجال لذكر لمحة عن سائر ما قيل ويقال فى هذا الموضوع. انتهى.

ونضيف إلى ماذكره صاحب الصحيح ما قاله الطبرسى فى الاحتجاج: ۱/۳۴۵: وقد اشتهر عن عبدالله المأمون أنه كان يقول: أسلم أبو طالب والله بقوله:

نصرت الرسول رسول المليك ببيض تلالا كلمع البروقِ

أذب وأحمى رسول الاله حماية حام عليه شفيق

وما إن أدبُّ لأعدائه دبيب البكار حذار الفنيق

ولكن أزير لهم سامياً كما زار ليث بغيل مضيق

وما ذكره أبو الفداء فى تاريخه: ۱/۱۷۰ قال: ومن شعر أبى طالب مما يدل على أنه كان مصدقاً لرسول الله(ص)قوله:

ودعوتنى وعلمت أنك صادقٌ ولقد صدقت وكنت ثم أمين

الدليل الثالث: تحليل مقومات شخصية أبى طالب (رض) وعلاقته بالنبى صلى الله عليه وآله منذ أن أوصاه به أبوه عبد المطلب وكفله إياه، ونصرته له من أول بعثته، وفى أصعب مراحلها..إلى أن توفى فى السنة العاشرة من البعثة..فإن أى باحث ينظر فى ذلك يقتنع بأن

نصرته وحمايته للنبي صلى الله عليه وآله لايمكن أن تصدر إلا عن مؤمن قوى الإيمان.

بل لا يحتاج الأمر إلى دراسة مقومات شخصيته وكل حياته، فيكفى دراسة بعض مواقفه لإثبات ذلك.

منها: الموقف الذى رواه فى الغدير:٧/٣٨٨: عن الأصبغ بن نباته قال: سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بنفر من قريش وقد نحروا جزوراً، وكانوا يسمونها الفهيرة ويذبحونها على النصب، فلم يسلِّم عليهم. فلما انتهى إلى دار الندوة قالوا: يمر بنا يتيم أبى طالب فلا يسلم علينا! فأيكم يأتيه فيفسد عليه مصلاه؟ فقال عبد الله بن الزبعرى السهمى: أنا أفعل، فأخذ الفرث والدم فانتهى به إلى النبى صلى الله عليه وآله وهو ساجدٌ فملا به ثيابه ومظاهره، فانصرف النبى صلى الله عليه وآله حتى أتى عمه أبا طالب فقال: يا عم من أنا؟ فقال: ولم يا ابن أخى؟! فقص عليه القصة فقال: وأين تركتهم؟ فقال: بالابطح. فنادى فى قومه: يا آل عبد المطلب! يا آل هاشم! يا آل عبد مناف! فأقبلوا إليه من كل مكان ملبين، فقال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أربعون، قال: خذوا سلاحكم، فأخذوا سلاحهم وانطلق بهم حتى انتهى إلى أولئك النفر، فلما رأوه أرادوا أن يتفرقوا، فقال لهم: ورب هذه البنية لا يقومن منكم أحد إلا جللته بالسيف! ثم أتى إلى صفاة كانت بالأبطح فضربها ثلاث ضربات حتى قطعها ثلثة أفهار، ثم قال: يا محمد سألتنى من أنت؟ ثم أنشأ يقول ويومى بيده إلى النبى صلى الله عليه وآله:

أنت النبيُّ محمَّدُ قَرْمٌ أعَزُّ مُسَوَّدُ

ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فأشار النبى صلى الله عليه وآله إلى عبد الله بن الزبعرى السهمى الشاعر، فدعاه أبو طالب فوجأ أنفه حتى أدماها! ثم أمر بالفرث والدم فأمرَّ على رؤس الملا كلهم! ثم قال: يا ابن أخ أرضيت؟

ثم قال: سألتنى من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله ثم نسبه إلى آدم عليه السلام ثم قال:

أنت والله أشرفهم حسباً وأرفعهم منصباً!

يا معشر قريش من شاء منكم يتحرك فليفعل أنا الذى تعرفونى!

رواه السيد ابن معد فى الحجة/١٠۶ وذكر لِدَة هذه القضية الصفورى فى نزهة المجالس ٢: ١٢٢ وفى طبع/٩١، وابن حجة الحموى فى ثمرات الأوراق بهامش المستطرف ٢: ٣ نقلاً عن كتاب الأعلام للقرطبى ١٣

ومنها: الموقف الذى رواه الطبرسى فى الإحتجاج:١/٣۴۵ قال:

لما رأى المشركون موقف أبى طالب من نصرة الرسول، وسمعوا أقواله اجتمعوا بينهم، وقالوا ننافى بنى هاشم ونكتب صحيفة ونودعها الكعبة، أن لا ـ نبايعهم، ولا نشاريهم، ولا نحدثهم، ولا نجتمع معهم فى مجمع، ولا نقضى لهم حاجة، ولا نقتضيها منهم، ولا نقتبس منهم ناراً، حتى يسلِّموا الينا محمداً، ويخلوا بيننا وبينه أو ينتهى عن تسفيه آبائنا، وتضليل آلهتنا. وأجمع كفار مكة على ذلك.

فلما بلغ ذلك أبا طالب، قال يخبرهم باستمراره على مناصرة الرسول ومؤازرته له، ويحذرهم الحرب، وينهاهم عن متابعة السفهاء:

ألا أبلغا عنى على ذاتِ بينِها لؤيّاً وخصَّا من لؤىٍّ بنى كعب

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطَّ فى أول الكتْبِ

وأن عليه فى العباد محبةً ولا حيفَ فيمن خصَّهُ الله بالحب

وأن الذى لفقتم فى كتابكم يكون لكم يوماً كراغية السقب

أفيقوا أفيقوا قبل أن تُحْفَر الزُّبَى ويصبح من لم يجنِ ذنباً كذى الذنب

ولا تتبعوا أمر الغواة وتقطعوا أواصرنا بعد المودة والقرب

وتستجلبوا حرباً عواناً وربَّمَا أمَرَّ على من ذاقهُ حَلَبُ الحرب

فلسنا وبيتِ الله نسلم أحمداً لعزَّاءَ من عضِّ الزمان ولا حرب

ولَمَّا تَبِنْ منا ومنكم سوالفٌ وأيد أبيدت بالمهندة الشهب

بمعترك ضَنْك ترى كِسَرَ القنا به نَواً لضباعِ العُرْجِ تعكف كالسرب

كأن مجال الخيل فى حجراته وغمغمة الأبطال معركة الحرب

أليس أبونا هاشمٌ شدَّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالضـرب

ورواها فى البحار: ۳۵/۱۶۰ وزاد فيها:

ولسنا نملُّ الحرب حتى تملَّنا ولا نشتكى مما ينوب من النكب

ولكننا أهل الحفائظ والنهى إذا طار أرواح الكماة من الرعب

ومنها: إيمانه بمعجزات النبى وكراماته صلى الله عليه وآله، ونظمه إياها شعراً.

قال الطبرسى فى الاحتجاج: ۱/۳۴۳:

روى أن أبا جهل بن هشام جاء إلى رسول الله وهو ساجد وبيده حجر يريد أن يرميه به، فلما رفع يده لصق الحجر بكفه فلم يستطع ما أراد، فقال أبو طالب:

أفيقوا بنى غالب وانتهوا عن الغى من بعض ذا المنطق

وإلا فإنى إذن خائفٌ بوائقَ فى داركم تلتقـى

تكون لغيركـمُ عبـرةً وربِّ المغارب والمشـرق

كما نال من كان من قبلكم ثمودٌ وعـادٌ ومـاذا بقـى

غداةَ أتاهم بها صرصـرٌ وناقة ذى العرش قد تستقى

فحلَّ عليهم بها سَخْطَةٌ من الله فى ضربة الأزرق

غـداة يعـضُّ بعرقوبهــا حساماً من الهند ذا رونق

وأعجب من ذاك فى أمركم عجائب فى الحجر الملصق

بكف الذى قام من خبثه إلى الصابر الصادق المتقى

فأثبتـه اللـه فـى كفـه على رغمةِ الجائر الأحمق

أحيمق مخزومكم إذ غوى لغىِّ الغواةِ ولم يَصْـدُقِ

الدليل الرابع: استدل به سبط ابن الجوزى على إيمان أبى طالب، ومفاده: أن خصوم على عليه السلام من الأمويين والزبيريين وغيرهم، كانوا حريصين على انتقاصه بأى عيب ممكن فى نفسه وأبيه وأمه وعشيرته، وقد سجل التاريخ مراسلات على عليه السلام ومعاوية ومناظرات أنصارهم، وقد تضمنت ماذمهم على عليه السلام به وإزراؤه عيهم بكفر آبائهم وأمهاتهم، بل سجل التاريخ أن علياً عليه السلام فاخر معاوية بأبى طالب، فكتب له فى رسالة (ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبى طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق) ومع ذلك لم يتكلم معاوية ولا غيره من أعداء على عليه السلام بكلمة ذم فى أبى طالب!! فلو أنه كان مشركاً ومات على الشرك كما يدعون، لاغتنم أعداء على هذه النقطة وعيروه بها وشنعوا عليه بها. ولو كان حديث ضحضاح أبى طالب صادراً عن النبى صلى الله عليه وآله لسمعت أخباره شعراً ونثراً فى صفين وبعدها..!

وهذا يدل على أن أحاديث شرك أبى طالب وأنه فى النار والضحضاح، قد وضعت فى عهد الأمويين بعد شهادة على عليه السلام!

الدليل الخامس: ترحم النبى صلى الله عليه وآله على أبى طالب واستغفاره له، وتسميته عام وفاته ووفاة خديجة رضوان الله عليهما (عام الحزن).

قال الأمينى فى الغدير: ۷/۳۷۲:

أخرج ابن سعد فى طبقاته ۱: ۱۰۵ عن عبيد الله بن أبى رافع عن على قال: أخبرت رسول الله(ص)بموت أبى طالب فبكى ثم قال:

إذهب فاغسله وکفنه وواره، غفر الله له ورحمه.

وفی لفظ الواقدی: فبکی بکاء شدیداً ثم قال: إذهب فاغسله.. الخ. وأخرجه ابن عساکر کما فی أسنی المطالب/٢١ والبیهقی فی دلائل النبوة. وذکره سبط ابن الجوزی فی التذکره/٦ وابن أبی الحدید فی شرحه ٣-٣١٤ والحلبی فی السیرة ١-٣٧٣ والسید زینی دحلان فی السیرة هامش الحلبیة ١-٩٠ والبرزنجی فی نجاة أبی طالب وصححه کما فی أسنی المطالب/٣٥ وقال: أخرجه أیضاً أبوداود وابن الجاوود وابن خزیمة وقال: إنما ترک النبی(ص)المشیئ فی جنازته اتقاء من شر سفهاء قریش، وعدم صلاته لعدم مشروعیة صلاة الجنازة یومئذ.

عن الأسلمی وغیره: توفی أبوطالب للنصف من شوال فی السنة العاشرة من حین نبئ رسول الله(ص)، وتوفیت خدیجة بعده بشهر وخمسة أیام، فاجتمعت علی رسول الله(ص)علیها وعلی عمه حزناً شدیداً، حتی سمی ذلک العام عام الحزن. انتهی.

وقد روی الخطیب البغدادی فی تاریخه:١٣/١٩٦ عن ابن عباس ترحم النبی صلی الله علیه وآله واستغفاره لابی طالب بعد موته، وکذا الذهبی فی تاریخ الإسلام:١/٢٣٥، وروت مصادرنا أحادیث کثیرة فی ذلک کما فی مناقب آل أبی طالب:١/١٥٠ عن آخرین وبحار الأنوار:١٩/١٥ وص ٢٥ وج ٢٢/٥٣٠

هذا وقد ثبت أن أبا طالب کان علی دین عبد المطلب، وسوف یتضح لک إیمان عبد المطلب ومقامه، رضوان الله علیهما، فی فصل شفاعة الأنبیاء (علیهم السلام).

ولادة المذاهب المنحرفة من أفکار توسیع الشفاعة

عمل الیهود علی إسقاط المحرمات من الأدیان

کان الیهود أسبق الأمم إلی تحریف قانون العقوبة الإلهی، فقد أسقطوا المحرمات عن أنفسهم تجاه الأمم الأخری، وخففوا قانون العقوبة الإلهی وشوشوه بالنسبة إلی الجرائم الأخری التی یرتکبونها!

ومن الطبیعی أن یسری ذلک إلی عقیدتهم بالله تعالی، فصوروه بأنه قاس عصبیُّ المزاج، ولذا فإن عقوباته شدیدة وغیر منطقیة! وذلک واضح لمن قرأ صفحات قلیلة من توراتهم.

وقد أخذ المسیحیون هذه الثقافة من الیهود، وما زالوا.. وقد سمعت أن من المسائل الفکریة المطروحة أخیراً عند الکتاب الغربیین، خاصةً فی فرنسا، موضوع: هل یجب أن یکون فی الدین الإلهی محرمات، أم لا..

ذلک أن الیهود والکتاب المتأثرین بهم یریدون من الکنیسة المسیحیة أن تقدم دیناً بلا محرمات، وتفتی بأن المهم هو الإیمان الذی هو أمرٌ فی القلب، مهما کان عمل الناس!

وهذا بالضبط هو مذهب المرجئة الذی زرعه الیهود فی عقائد المسلمین، عن طریق بعض الصحابة!

أما زارعوه الجدد فلیسوا کعب الأحبار ولا وهب بن منبه، بل هم ذراری النصاری والیهود الصرحاء! والمزروع فیهم لیسوا صحابة، بل هم ذراری المسلمین المتغربین!

اخبار النبی بظهور المرجئة والقدریة و تحذیره منهم

روت مصادر السنة والشیعة تنبؤ النبی صلی الله علیه وآله بظهور المرجئة والقدریة فی أمته وتحذیره من خطرهم، وأنهم لا تنالهم شفاعته، لأنهم یحرفون الإسلام ویشوشون أمر الأمة من بعده.

فقد روی الهیثمی فی مجمع الزوائد:٧/٢٠٧:

عن أنس بن مالک قال قال رسول الله (ص): صنفان من أمتی لا یردا علیَّ الحوض ولا یدخلان الجنة، القدریة والمرجئة. رواه الطبرانی فی الأوسط ورجاله رجال الصحیح غیر هارون بن موسی الفروی وهو ثقة. انتهی. وروی الترمذی شبیهاً به فی:۳/۳۰۸

ورواه فی کنز العمال:۱/۱۱۹ عن حلیة الأولیاء لأبی نعیم عن أنس، وعن مسند الطیالسی، عن واثلة عن جابر. وروی نحوه فی:۱/۳۶۲ عن السلفی فی انتخاب حدیث القراء عن علی. ورواه ابن حبان فی کتاب المجروحین:۲/۱۱۲ عن عکرمة.

وفی مجمع الزوائد:۷/۲۰۳:

عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم: ما بعث الله نبیاً قط إلا وفی أمته قدریة ومرجئة یشوشون علیه أمر أمته. ألا وإن الله قد لعن القدریة والمرجئة علی لسان سبعین نبیاً. رواه الطبرانی وفیه بقیة بن الولید وهو لین ویزید بن حصین لم أعرفه. انتهی. ورواه ابن حبان عن أبی هریرة فی کتاب المجروحین:۱/۳۶۲ وفیه (أمته من بعده..سبعین نبیاً أنا آخرهم)

وفی کتاب الخصال للصدوق/۷۲:

أخبرنی الخلیل بن أحمد قال: أخبرنا ابن منیع قال: حدثنا الحسن بن عرفة قال: حدثنا علی بن ثابت عن إسماعیل بن أبی إسحاق، عن ابن أبی لیلی، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: صنفان من أمتی لیس لهما فی الإسلام نصیب: المرجئة والقدریة. انتهی.

ورواه فی ثواب الأعمال/۲۱۲.وقال فی صحیفة الرضا/۲۷۸: وبإسناده قال قال رسول الله ۹: صنفان من أمتی لیس لهما فی الإسلام نصیب: المرجئة والقدریة. رواه فی ثواب الأعمال: ۲۵۲ ح۳ بالإسناد رقم ۱۰ عنه البحار: ۵-۱۱۸ ح ۵۲. ورواه الشیخ حسن بن سلیمان فی المختصر: ۱۳۵ بالاسناد رقم ۵۷ والکراجکی فی کنزه: ۵۱ بالإسناد رقم ۱۴ عنه البحار: ۵-۷ ح ۸. ورواه الصدوق فی الخصال: ۱-۷۲ ح ۱۱۰ بإسناده عن ابن عمر عن النبی ۹ عنه البحار: ۵-۷ ح ۷.

وفی دعائم الإسلام:۲/۵۱۱:

وعنه صلی الله علیه وآله أنه قال: لا تجوز شهادة أهل الاهواء علی المؤمنین، قال أبو جعفر علیه السلام: لا تجوز شهادة حروری، ولا قدری ومرجئ، ولا أموی، ولاناصب، ولا فاسق، یعنی من باین بذلک وظهرت عداوته ونصبه، فأما من کتم ذلک وأسره فظهر منه الخیر وکان عدلاً فی مذهبه، جازت شهادته وعلی هذا العمل.

تعریف المرجئة و مذهبهم

قال النووی فی شرح مسلم:۱ جزء ۱/۲۱۸:

قال القاضی عیاض: اختلف الناس فیمن عصی الله من أهل الشهادتین فقالت المرجئة: لا تضره المعصیة، وقالت الخوارج: تضره ویکفر بها، وقالت المعتزلة: یخلد فی النار، وقالت الأشعریة: بل هو مؤمن.

شرح المواقف:۴ جزء ۸/۳۱۲:

فی أن الله تعالی یعفو عن الکبائر. الإجماع منعقد علی أنه تعالی عفوٌّ، وأن عفوه لیس فی حق الکافر بل فی حق المؤمنین، فقالت المعتزلة: هو عفوٌّ عن الصغائر قبل التوبة، وعن الکبائر بعدها. وقالت المرجئة: عفو عن الصغائر والکبائر مطلقاً!!

تفسیر الرازی:۱۶ جزء ۳۱/۲۰۳:

قوله تعالی (لا یَصْلاهَا إِلا الأَشْقَی) إن المرجئة یتمسکون بهذه الآیة فی أنه لا وعید إلا علی الکفار! قال القاضی: ولا یمکن إجراء هذه الآیة علی ظاهرها، ویدل علی ذلک ثلاثة أوجه: أحدها أنه یقتضی أن لا یدخل النار إلا الأشقی الذی کذب وتولی... وثانیهما أن هذا إغراء بالمعاصی... وثالثهما... معلوم من حال الفاسق أنه لیس بأتقی... الخ.

وقال فی هامش بحار الأنوار:۸/۳۶۴:

الوعیدیـة: فرقـة من الخوارج یکفِّرون أصحاب الکبائر، والکبیرة عندهم کفرٌ یخرج به عن الملة، ویقابلهم المرجئة وهم یقولون: إنه لا یضر مع الإیمان معصیة، کما لا ینفع مع الکفر طاعة، ولیس العمل علی مذهبهم، وإن کان من الإیمان. فعلیه معنی الارجاء تأخیر العمل عن النیة والعقد.

وروی فی الکافی:۱/۴۰۳:

محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن علی بن الحکم، عن الحکم بن مسکین، عن رجل من قریش من أهل مکة قال: قال سفیان الثوری: إذهب بنا إلی جعفر بن محمد، قال فذهبت معه إلیه فوجدناه قد رکب دابته، فقال له سفیان: یا أبا عبد الله حدثنا بحدیث خطبة رسول الله صلی الله علیه وآله فی مسجد الخیف، قال: دعنی حتی أذهب فی حاجتی فإنی قد رکبت فإذا جئت حدثتک، فقال: أسألک بقرابتک من رسول الله صلی الله علیه وآله لما حدثتنی، قال: فنزل فقال له سفیان: مر لی بدواة وقرطاس حتی أثبته، فدعا به ثم قال: أکتب: بسم الله الرحمن الرحیم. خطبة رسول الله صلی الله علیه وآله فی مسجد الخیف: نضر الله عبداً سمع مقالتی فوعاها، وبلغها من لم تبلغه.

یـا أیها النـاس لیبلغ الشاهد الغـائب، فرب حامل فقه لیس بفقیه، ورب حامل فقه إلی من هو أفقه منه، ثلاث لا یغلُّ علیهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصیحة لأئمة المسلیمن، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محیطةٌ من ورائهم، المؤمنون إخوة تتکافأ دماؤهم، وهم ید علی من سواهم، یسعی بذمتهم أدناهم.

فکتبه سفیان ثم عرضه علیه، ورکب أبو عبد الله علیه السلام. وجئت أنا وسفیان، فلما کنا فی بعض الطریق قال لی: کما أنت حتی أنظر فی هذا الحدیث، قلت له: قد والله ألزم أبو عبد الله رقبتک شیئاً لا یذهب من رقبتک أبداً!

فقال: وأی شئ ذلک؟

فقلت له: ثلاث لا یغل علیهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، قد عرفناه، والنصیحة لأئمة المسلمین، من هؤلاء الأئمة الذین یجب علینا نصیحتهم؟ معاویة بن أبی سفیان ویزید بن معاویة ومروان بن الحکم؟ وکل من لا تجوز الصلاة خلفهم؟! وقوله: واللزوم لجماعتهم، فأی الجماعة؟ مرجئ یقول: من لم یصل ولم یصم ولم یغتسل من جنابة وهدم الکعبة ونکح أمه فهو علی إیمان جبرئیل ومیکائیل؟! أو قدری یقول: لا یکون ما شاء الله عز وجل ویکون ما شاء إبلیس؟! أو حروری یتبرأ من علی بن أبی طالب ویشهد علیه بالکفر؟! أو جهمی یقول إنما هی معرفة الله وحده لیس الإیمان شئ غیرها؟!

قال: ویحک وأی شئ یقولون؟!

فقلت یقولون: إن علی بن أبی طالب والله الإمام الذی وجب علینا نصیحته، ولزوم جماعتهم: أهل بیته. قال: فأخذ الکتاب فخرَّقه، ثم قال. لا تخبر بها أحداً.

المرجئة ولدوا من عهد الخلیفة عمر

رأینا کیف وسعت دولة الخلافة القرشیة شفاعة النبی صلی الله علیه وآله حتی شملت کل من یشهد بالتوحید فقط ولو لم یشهد بالنبوة..

ثم وسعتها إلی جمیع الخلق، کما تقدم من روایاتهم وکلام ابن تیمیة.

ثم استغنت عن شفاعة الأنبیاء جمیعاً، وأوجبت الجنة بأعمال وکلمات بسیطة.

ثم استغنت عن کل ذلک، وقالت بفناء النار ونقل أهلها إلی الجنة!!

ولعل الخلیفة عمر وکعب الأحبار رائدی هذه الافکار ومن تابعهم علیها لم یلتفتوا إلی خطورتها الزائدة، وأنها تمثل مشروعاً خطیراً لإسقاط کل المحرمات وتعویم الإیمان، فی أمة نهضت بالإسلام والإیمان وأخذت تفتح بلاد الإمبراطوریة الفارسیة والرومانیة، بلداً

بعد آخر.. وهی بأمسِّ الحاجة إلی حفظ شخصیة جنودها وجدیتهم، وعدم التساهل فی مفاهیم إیمانهم.

علی أی حال فالذی وقع فی حیاة الأمة، أن هذه الأفکار بمساعدة فکرة الجبر وأن الله تعالی قد فرغ من الأمر وکتب کل شئ وانتهی الأمر ولا بداء.. سرعان ما أثمرت مذهبین عقائدیین موالیین للسلطة هما: المرجئة والقدریة، وقد تبنتهما السلطة وأیدت علماءهما وهیأت لهم الظروف لنشر أفکارهم فی الأمة.

ویتلخص مذهب المرجئة بمقولتهم المشهورة (الإیمان لا تضر معه معصیة) فالإیمان عندهم مجرد القول بالشهادتین، وبذلک یضمن الإنسان دخول الجنة مهما کان عمله!!

ویتلخص مذهب القدریة أو الجبریة: بأن مسؤولیة الإنسان عن أعماله وجرائمه محدودة أو منتفیة، لأن الخیر والشر من الله تعالی، وکل شئ مکتوب ومقدر منه تعالی!!

ومن الواضح أن هذین المذهبین هما نفس الأفکار والأحادیث التی رأیناها فی توسیع الشفاعة وتوسیع دخول الجنة، لکن بصیغة (ممذهبة).

کما أن أحدهما مکمل للآخر فی تخفیف مسؤولیة الإنسان، لأن جوهرهما واحد وهو (تعویم) قانون العقوبة الإلهی، بل تطمین الناس بأنه قد تم شطبه!!

وقد مر معنا فی بحث توسیعات الشفاعة ما رواه السیوطی فی الدر المنثور:۲/۱۱۶ عن البیهقی، وادعاؤهم أن النبی صلی الله علیه وآله قال لعمر: یا عمر إنک لا تسأل عن أعمال الناس، ولکن تسأل عن الفطرة! وهذا نفس ما یقوله المرجئة!

وفی سنن الترمذی:۳/۸۷:

أن النبی صلی الله علیه وآله سمع ذات یوم رجلاً یقول: الله أکبر الله أکبر، فقال: علی الفطرة. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: خرجت من النار! انتهی. ونحوه فی صحیح مسلم ج۲/۴ ومسند أحمد:۳/۲۴۱ وکنز العمال:۸/۳۶۶

بل وجدنا نفس تعبیر (الإیمان لا تضر معه خطیئة) فی عدة روایات فی مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص:۲/۱۷۰ قال: قال رسول الله (ص): من لقی الله لا یشرک به شیئاً لم تضره معه خطیئة! انتهی.

وقال عنه فی مجمع الزوائد:۱/۱۹: رواه أحمد والطبرانی فی الکبیر ورجاله رجال الصحیح ماخلا التابعی فإنه لم یسم، ورواه الطبرانی فجعله من روایة مسروق عن عبد الله بن عمرو. وقال فی کنز العمال:۱/۸۱ إنه صحح! انتهی.

ومصدر ابن عمرو إما أن یکون الخلیفة عمر، وإما أن یکون أخذه من أحادیث (العِدْلَیْن) أی الکیسین الکبیرین اللذین أخذهما بعد معرکة الیرموک من الشام من رایات الیهود وکتبهم، وکان یحدث المسلمین منهما!

اول من تصدی لمذهب المرجئة علی

روی الصدوق فی علل الشرائع:۲/۶۰۲:

حدثنا الحسین بن أحمد رحمه الله عن أبیه عن محمد بن أحمد قال: حدثنا أبو عبد الله الرازی، عن علی بن سلیمان بن راشد، بإسناده رفعه إلی أمیر المؤمنین علیه السلام قال: یحشر المرجئة عمیاناً، إمامهم أعمی، فیقول بعض من یراهم من غیر أمتنا: ماتکون أمة محمد إلا عمیاناً! فأقول لهم: لیسوا من أمة محمد، لانهم بدَّلوا فبدل ما بهم، وغیَّروا فغیر ما بهم.

وروی فی الخصال/۶۱۱:

حدثنا أبی (رض) قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنی محمد بن عیسی بن عبید الیقطینی، عن القاسم بن یحیی، عن جده الحسن بن راشد، عن أبی بصیر ومحمد بن مسلم، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: حدثنی أبی عن جدی عن آبائه (علیهم السلام)أن أمیر المؤمنین علیه السلام علم أصحابه فی مجلس واحد أربع مائة باب مما یصلح للمسلم فی دینه ودنیاه.

قال علیه السلام: إن الحجامة تصحح البدن وتشد العقل، والطیب فی الشارب من أخلاق النبی صلی الله علیه وآله وکرامة الکاتبین، والسواک من مرضات الله عز وجل وسنة النبی صلی الله علیه وآله ومطیبة للفم، والدهن یلین البشرة ویزید فی الدماغ ویسهل مجاری الماء ویذهب بالقشف ویسفر اللون، وغسل الرأس یذهب بالدرن وینفی القذاء، والمضمضة والاستنشاق سنة وطهور للفم والانف، والسعوط مصحة للرأس وتنقیة للبدن وسائر أوجاع الرأس، والنورة نشرة وطهور للجسد، واستجادة الحذاء وقایة للبدن وعون علی الطهور والصلاة. وتقلیم الاظفار یمنع الداء الأعظم... الخ.

وهو حدیث طویل فیه تعلیمات هامة دینیة ودنیویة، وقد جاء فیه عن المرجئة: علموا صبیانکم ما ینفعهم الله به، لا تغلب علیهم المرجئة برأیها... انتهی.

وقال فی هامشه: قال العلامة المجلسی رحمه الله: إعلم أن أصل هذا الخبر فی غایة الوثاقة والإعتبار علی طریقة القدماء، وإن لم یکن صحیحاً بزعم المتأخرین، واعتمد علیه الکلینی رحمه الله وذکر أکثر أجزائه متفرقة فی أبواب الکافی، وکذا غیره من أکابر المحدثین.

أقول: عدم صحة السند عند المتأخرین لمقام القاسم بن یحیی، والظاهر أن أصل الروایة فی کتابه، قال الشیخ فی الفهرست: القاسم بن یحیی الراشدی له کتاب فیه آداب أمیر المؤمنین علیه السلام، والراشدی نسبة إلی جده الحسن بن راشد البغدادی مولی المنصور الدوانیقی الذی کان وزیراً للمهدی وموسی وهارون الرشید. قال ابن الغضائری: ضعیف. وقال البهبهانی فی التعلیقة: لا وثوق بتضعیف ابن الغضائری إیاه، وروایة الاجلة سیما مثل أحمد بن محمد بن عیسی عنه تشیر إلی الاعتماد علیه، بل الوثاقة وکثرة روایاته والافتاء بمضمونها یؤیده. ویؤید فساد کلام ابن الغضائری فی المقام، عدم تضعیف شیخ من المشایخ العظام الماهرین بأحوال الرجال إیاه، وعدم طعن من أحد ممن ذکره فی ترجمته وترجمة جده وغیرها، والعلامة رحمه الله تبع ابن الغضائری بناء علی جواز عثوره علی مالم یعثروا علیه، وفیه ما فیه. انتهی. ورواه ابن شعبة الحرانی مرسلاً فی تحف العقول/۱۰۴

هذا وقد صرح القاضی النعمانی المغربی المتوفی سنة ۳۶۳ بأن اسم المرجئة أول ما أطلق علی المتخلفین عن بیعة علی علیه السلام ونصرته علی الفئة الباغیة، وهو یدل علی أن بعض الصحابة تمسکوا بفکرة کعب وعمر التی تکتفی لدخول الجنة بالتوحید بدون عمل، فیکون مذهب المرجئة قد تمت ولادته بعد وفاة عمر بقلیل وفی حیاة کعب الأحبار!

قال القاضی النعمانی فی شرح الأخبار:۲/۸۲:

فأما المتخلفون عن الجهاد مع علی صلوات الله علیه، وقتال من نکث بیعته ومن حاربه وناصبه، فإنه تخلف عنه فی ذلک من المعروفین من الصحابة: سعد بن أبی وقاص وکان أحد الستة الذین سماهم عمر للشوری، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن سلمة، واقتدی بهم جماعة فقعدوا بقعودهم عنه، ولم یشهدوا شیئاً من حروبه معه ولا مع من حاربه. وهذه الفرقة هم أصل المرجئة وبهم اقتدوا، وذهب إلی ذلک من رأیهم جماعة من الناس وصوبوهم فیه وذهبوا إلی ما ذهبوا إلیه، فقالوا فی الفریقین فی علی علیه السلام ومن قاتل معه وفی الذین حاربوه وناصبوه ومن قتل من الفریقین: إنهم یخافون علیهم العذاب ویرجون لهم الخلاص والثواب، ولم یقطعوا علیهم بغیر ذلک وتخلفوا عنهم. والإرجاء فی اللغة التأخیر فسموا مرجئة لتأخیرهم القول فیهم، وتأخرهم عنهم ولم یقطعوا علیهم بثواب ولا عقاب، لأنهم زعموا أنهم کلهم موحدون ولا عذاب عندهم علی من قال: لا إله إلا الله، فقدموا المقال وأخروا الأعمال فکان هذا أصل الإرجاء ثم تفرق أهله فرقاً إلی الیوم یزیدون علی ذلک من القول وینقصون. انتهی.

وقال فی شرح الأخبار:۱/۳۶۵:

ثم هذه الفرق التی ذکرناها تتشعب ویحدث فی أهلها الإختلاف إلی الیوم وأصلها ست فرق: شیعة وعامة وخوارج ومعتزلة ومرجئة وحشویة.

فالشیعة: هم شیعة علی صلوات الله علیه القائلون بإمامته، وهم أقدم الفرق وأصلها الذی تفرعت عنه، ورسول الله صلوات الله علیه وآله سماها بهذا الاسم. وقال: شیعة علیٍّ هم الفائزون. وقال لعلی علیه السلام: أنت وشیعتک.. فی آثار کثیرة رویت عنه. وسنذکر فی هذا

الكتاب ما يجرى ذكره إن شاء الله تعالى. وغير ذلك من الفرق محدثةٌ أحدثت بعد النبى صلوات الله عليه وآله. انتهى.

ويدل النصان التاليان على وجود المرجئة على شكل مذهب متكامل فى عصر الإمام الباقر عليه السلام المتوفى سنة ۹۴ هجرية، أى فى الجيل الأول من التابعين بعد الصحابة مباشرة.

قال الصدوق فى ثواب الأعمال/۲۱۳:

وحدثنى محمد بن موسى بن المتوكل قال: حدثنى محمد بن جعفر قال: حدثنى أحمد بن محمد العاصمى قال: حدثنى على بن عاصم الهمدانى، عن محمد بن عبد الرحمن المحرى، عن يحيى بن سالم، عن محمد بن سلمة، عن أبى جعفر عليه السلام قال: ما الليل بالليل ولا النهار بالنهار أشبه من المرجئة باليهود، ولا من القدرية بالنصرانية.

وفى علل الشرائع:۲/۵۲۸:

وبهذا الإسناد عن محمد بن أحمد، عن ابن عيسى، عن عثمان بن سعيد قال: حدثنا عبدالكريم الهمدانى، عن أبى ثمامة قال: دخلت على أبى جعفر عليه السلام وقلت له: جعلت فداك إنى رجل أريد أن ألازم مكة وعلىَّ دينٌ للمرجئة فما تقول؟ قال: قال إرجع (وأد) دينك وانظر أن تلقى الله تعالى وليس عليك دين، فإن المؤمن لا يخون. انتهى.

أما فى عصر الإمام الصادق عليه السلام وما بعده فقد كان للمرجئة وجودٌ واسع وصولةٌ، وانتشر مذهبهم حتى شمل أكثر الرواة وعلماء الدولة..كما اتسع تصدى أهل البيت (عليهم السلام) لأفكارهم، ففى دعائم الإسلام للقاضى النعمان: ۱/۳ قال: روينا عن جعفر بن محمد أنه قال: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان، وهذا الذى لا يصح غيره، لا كما زعمت المرجئة أن الإيمان قولٌ بلا عمل، ولا كالذى قالت الجماعة من العامة إن الإيمان قولٌ وعملٌ فقط، وكيف يكون ما قالت المرجئة إنه قول بلا عمل وهم والأمة مجمعون على أن من ترك العمل بفريضة من فرائض الله عز وجل التى افترضها على عباده منكراً لها أنه كافر حلال الدم ما كان مصراً على ذلك، وإن أقر بالله ووحده وصدق رسوله بلسانه، إلا أنه يقول هذه الفريضة ليست مما جاء به، وقد قال الله عز وجل: وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ أَلَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخرة هُمْ كَافِرُونَ، فأخرجهم من الإيمان بمنعهم الزكاة، وبذلك استحل القوم أجمعون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله دماء بنى حنيفة وسبى ذراريهم، وسموهم أهل الردة إذ منعوهم الزكاة. انتهى.

قال الكلينى فى الكافى:۲/۴۰:

محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن الأشعث بن محمد، عن محمد بن حفص بن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وسأله رجل عن قول المرجئة فى الكفر والإيمان، وقال إنهم يحتجون علينا ويقولون كما أن الكافر عندنا هو الكافر عند الله، فكذلك نجد المؤمن إذا أقر بإيمانه أنه عند الله مؤمن! فقال: سبحان الله وكيف يستوى هذان؟! والكفر إقرارٌ من العبد، فلا يكلف بعد إقراره ببينة، والإيمان دعوى لا يجوز إلا ببينة، وبينته عمله ونيته، فإذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن. والكفر موجود بكل جهة من هذه الجهات الثلاث من نية أو قول أو عمل، والأحكام تجرى على القول والعمل، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالإيمان ويجرى عليه أحكام المؤمنين وهو عند الله كافر، وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله.

وقال فى الايضاح/۴۴:

ومنهم المرجئة الذين يروى عنهم أعلامهم مثل إبراهيم النخعى وإبراهيم بن يزيد التيمى، ومن دونهما مثل سفيان الثورى وابن المبارك ووكيع وهشام وعلى بن عاصم، عن رجالهم أن النبى صلى الله عليه وآله قال: صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب: القدرية والمرجئة. فقيل له: ما المرجئة قالوا: الذين يقولون: الإيمان قول بلا عمل. وأصل ما هم عليه أنهم يدينون بأن أحدهم لو ذبح أباه وأمه وابنه وبنته وأخاه وأخته وأحرقهم بالنار أو زنى أو سرق أو قتل النفس التى حرم الله أو أحرق المصاحف أو هدم الكعبة أو نبش القبور أو أتى أى كبيرة نهى الله عنها.. أن ذلك لا يفسد عليه إيمانه ولا يخرجه منه، وأنه إذا أقر بلسانه بالشهادتين أنه مستكمل الإيمان إيمانه كإيمان جبرئيل وميكائيل صلى الله عليهما، فعل ما فعل وارتكب ما ارتكب ما نهى الله عنه!

ويحتجون بـأن النبى صـلى الله عليه وآله قـال: أمرنا أن نقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. وهـذا قبل أن يفرض سائر الفرائض وهو منسوخ. وقـد روى محمـد بن الفضل، عن أبيه، عن المغيرة بن سـعيد، عن أبيه، عن مقسم، عن سـعيد بن جبير قال: المرجئـة يهود هذه الأمـة. وقـد نسـخ احتجـاجهم قول النبى صـلى الله عليه وآله حين قـال: بنى الإسـلام على خمس: شـهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمـداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم شهر رمضان.

كان المرجئة خداما لبنى أمية و مبررين لجرائمهم

الكافى:۲/۴۰۹:

محمـد بن يحيى، عن أحمـد بن محمـد، عن مروك بن عبيـد، عن رجل، عن أبى عبـد الله عليه السـلام قال: لعن الله القدريـة، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة. قال قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة ولعنت هؤلاء مرتين!

قال: إن هؤلاء يقولون: إن قتلتنا مؤمنون! فدماؤنا متلطخة بثيابهم إلى يوم القيامة، إن الله حكى عن قوم فى كتابه: لن نؤمن لرسول حتى يأتينـا بقربـان تـأكله النـار، قـل قـد جـاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالـذى قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين.. قال كان بين القاتلين والقائلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا. انتهى.

ومعنى كلام الإمام الصادق عليه السـلام: أن المرجئة زعموا أن قتلة الإمام الحسـين عليه السلام مؤمنون من أهل الجنة ولا يعاقبون على جريمتهم! وبذلك صار المرجئة شركاءلبنى أمية فى الجريمة، لأن من رضى بعمل قوم فقد شركهم فيه!

ويدل النص التالى على أن المرجئة كانوا يجادلون المعارضين لبنى أمية ليأخذوا عليهم مستمسكاً للخليفة لكى يضطهدهم!

- وقال الكلينى فى الكافى:۸/۲۷۰:

عن عبـد الحميـد بن أبى العلاء قال: دخلت المسـجد الحرام فرأيت مولى لابى عبـد الله عليه السـلام فملت إليه لأسأله عن أبى عبدالله، فإذا أنا بأبى عبـد الله ساجـداً فانتظرته طويلاً فطال سـجوده علىَّ، فقمت وصـليت ركعات وانصـرفت وهو بعد ساجد، فسألت مولاه متى سجد؟ فقال: قبل أن تأتينا، فلما سمع كلامى رفع رأسه ثم قال: أبا محمد أدن منى فدنوت منه فسلمت عليه، فسمع صوتاً خلفه فقال: ما هـذه الاصوات المرتفعـة؟ فقلت: هؤلاء قوم من المرجئـة والقدرية والمعتزلة، فقال: إن القوم يريدونى فقم بنا، فقمت معه فلما أن رأوه نهضوا نحوه فقال لهم: كفوا أنفسـكم عنى ولا تؤذونى وتعرضونى للسـلطان، فإنى لست بمفت لكم، ثم أخـذ بيـدى وتركهم ومضـى، فلما خرج من المسـجد قال لى يا أبا محمد والله لو أن إبليس سـجد لله عز ذكره بعد المعصـية والتكبر عمر الدنيا ما نفعه ذلك ولا قبله الله عز ذكره ما لم يسجد لادم، كما أمره الله عز وجل أن يسجد له.

وكـذلك هـذه الأمـة العاصـية المفتونة بعد نبيها صـلى الله عليه وآله وبعد تركهم الإمام الذى نصـبه نبيهم صـلى الله عليه وآله لهم فلن يقبـل الله تبـارك وتعـالى لهم عملاً ولن يرفع لهم حسـنة حتى يـأتوا الله عز وجل من حيث أمرهـم، ويتولوا الإمام الـذى أمروا بولايته ويدخلوا من الباب الذى فتحه الله عز وجل ورسوله لهم.

يا أبا محمد إن الله افترض على أمة محمد صـلى الله عليه وآله خمس فرائض: الصلاة والزكاة والصيام والحج وولايتنا، فرخص لهم فى أشياء من الفرائض الأربعة، ولم يرخص لاحد من المسلمين فى ترك ولايتنا، لا والله مافيها رخصة.

تورط أصحاب المذاهب الأربعة فى الإرجاء

للمرجئـة فى المـذاهب الأربعـة وفى الصـحاح السـتة مكانـةٌ محترمةٌ حتى أن بعض أئمة المذاهب أنفسـهم اتهموا بأنهم مرجئة..قال فى هـامش كتاب المجروحين: ۳/۶۳: هنـاك تعليقـات كثيرة على المخطوطـة هاجمت ابن حبان لتحامله على أبى حنيفـة، ومما هوجم من أجله والد أبى حنيفه بأنه كان خبازاً واعتبر المعلق ذلك غيبة تخرج عن حد الرأى فى المحدث.

ونشير هنا إلى أن جد أبى حنيفة كان أحد أمراء بلاد الافغان (مرزبان) واختلفت أقوال حفيده فى مسألة أسر جده ثم عتقه، قال أحدهما: والله ما وقع لنا رقٌّ قط.

يراجع الإمام الاعظم: اتهام أبى حنيفة بالإرجاء وأنه داعية إلى البدع، غير مقبول من ابن حبان ومن شاركه هذا القول على إطلاقه، ونلخص القول فى ذلك بما جاء فى كتاب اللكنوى (الرفع والتكميل ۱۵۴):

جملة التفرقة بين اعتقاد أهل السنة وبين اعتقاد المرجئة: أن المرجئة يكتفون فى الإيمان بمعرفة الله ونحوه ويجعلون ما سوى الإيمان من الطاعات وما سوى الكفر من المعاصى غير مضرة ولا نافعة ويتشبثون بظاهر حديث: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة.

وأهل السنة يقولون: لا تكفى فى الإيمان المعرفة، بل لا بد من التصديق الإختيارى مع الإقرار اللسانى، وأن الطاعات مفيدة والمعاصى مضرة مع الإيمان توصل صاحبها إلى دار الخسران.

والذى يجب علمه على العالم المشتغل بكتب التواريخ وأسماء الرجال أن (يعرف أن) الإرجاء يطلق على قسمين: أحدهما الارجاء الذى هو ضلال. وثانيهما الإرجاء الذى ليس بضلال، ولا يكون صاحبه عن أهل السنة والجماعة خارجاً.

ولهذا ذكروا أن المرجئة فرقتان: مرجئة الضلالة، ومرجئة أهل السنة. وأبو حنيفة وتلامذته وشيوخه وغيره من الرواة الإثبات إنما عدوا من مرجئة أهل السنة لا من مرجئة الضلالة.

ثم يقول أيضاً فى ختام مناقشته لهذا الموضوع ۱۶۱: وخلاصة المرام فى هذا المقام أن الإرجاء: قد يطلق على أهل السنة والجماعة من مخالفيهم المعتزلة الزاعمين بالخلود النارى لصاحب الكبيرة، وقد يطلق على الأئمة القائلين بأن الأعمال ليست بداخلة فى الإيمان وبعدم الزيادة فيه والنقصان ـ وهو مذهب أبى حنيفه وأتباعه ـ من جانب المحدثين القائلين بالزيادة والنقصان وبدخول الأعمال فى الإيمان. وهذا النزاع وإن كان لفظياً كما حققه المحققون من الأولين والآخرين لكنه لما طال وآل الأمر إلى بسط كلام الفريقين من المتقدمين والمتأخرين، أدى ذلك إلى أن أطلقوا الإرجاء على مخالفيهم وشنعوا بذلك عليهم، وهو ليس بطعن فى الحقيقه، على ما لا يخفى على مهرة الشريعة.

أقول: إذا عرفت هذا علمت أن قول ابن حبان فى إطلاقه الإرجاء على أبى حنيفة وأصحابه فيه اتهام غير محدد وتعمية تضلل الباحث، وهو يقصد إلى ذلك قصداً ما كان يجدر به أن يقع فى مثل ذلك. انتهى.

ولا كلام لنا فى دفاعهم عن نسب أبى حنيفة وحسبه، فقد كان على أتباعه أن يجعلوه من ملوك الأفاغنة وأبناء المرازبة أو الأكاسرة، حتى يواجهوا به مذهب أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله ونسبهم الشامخ من عَلْيا قريش وذروة بنى هاشم..

ولكنا نسأل: من أين جاؤوا بهذا التقسيم للمرجئة إلى مرجئة من أهل السنة ومرجئة ضلالة، وحكموا بأن أبا حنيفة من النوع الجيد لا الردئ..! فما هو الفرق العلمى والعقائدى بين هذين النوعين حتينقبل الجيد ونترك الردئ؟!

وهل يكفى التخلص اللفظى من مذهب المرجئة بمثل قول اللكنوى المتقدم بأن مذهب أهل السنة (أن الطاعات مفيدة والمعاصى مضرة مع الإيمان توصل صاحبها إلى دار الخسران) مع أن الأحاديث التى تشبث بها المرجئة على حد تعبيره ثابتة وصحيحة عندهم!

تورط أصحاب الصحاح الستة فى الارجاء

أما إذا نظرت إلى الصحاح فيأخذك العجب عندما تجد نسبةً كبيرةً من رواتها المحترمين مرجئة!! وهو موضوع يحتاج إلى دراسة مستقلة ولا يتسع المجال لأكثر من إشارة إلى بعضهم:

فمنهم: الفأفاء، وهو رأس فى المرجئة متعصب لبنى أمية مبغض لعلى عليه السلام بل مبغض للنبى صلى الله عليه وآله! وكان يقرأ لخلفاء بنى أمية القصائد فى هجاء النبى! وقد قتله العباسيون فى ثورتهم.. ومع ذلك فهو معتمدٌ عند ابن المدينى شيخ البخارى ويقول عنه قتل مظلوماً، ومعتمدٌ عند البخارى فقد روى عنه فى الأدب المفرد وكذلك عند مسلم والنسائى وابن ماجة والترمذى وأبى داود!

قال فی تهذیب التهذیب:۳/۸۳: خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغیرة المخزومی أبو سلمة، ویقال أبو المقسم المعروف بالفأفاء الکوفی، أصله حجازی، روی عن عبدالله البهی وعیسی وموسی ابنی طلحة بن عبید الله، وسعید بن المسیب وأبی بردة بن أبی موسی والشعبی وغیرهم. وعنه أولاده عکرمة ومحمد وعبد الرحمن، والسفیانان، وشعبة، ومسعر، وزائدة، وزکریاء بن أبی زائدة وابنه یحیی بن زکریاء، وحماد بن زید، وغیرهم.. وحدث عنه عمرو بن دینار، ویحیی بن سعید الأنصاری، وهما أکبر منه.

قال البخاری عن ابن المدینی له نحو عشرة أحادیث.

وقال أحمد وابن معین وابن المدینی ثقة، وکذا قال ابن عمار ویعقوب بن شیبة والنسائی.

وقال أبو حاتم شیخ یکتب حدیثه.

وقال ابن عدی: هو فی عداد من یجمع حدیثه، ولا أری بروایته بأساً.

وذکره ابن حبان فی الثقات.

وقال ابن سعد: هرب من الکوفة إلی واسط لما ظهرت دعوة بنی العباس، فقتل مع ابن هبیرة.

وقال محمد بن حمید عن جریر: کان الفأفأ رأساً فی المرجئة، وکان یبغض علیاً.

وقال یعقوب بن شیبة: یقال إن بعض الخلفاء قطع لسانه ثم قتله، ذکره علی بنالمدینی یوماً فقال: قتل مظلوماً.

وقال أبو داود عن الحسن بن علی الخلال: سمعت یزید بن هارون یقول دخلت المسودة واسط سنة ۱۳۲ فنادی منادیهم بواسط: الناس آمنون إلاـ ثلاثة: العوام بن حوشب، وعمر بن ذر، وخالد بن سلمة المخزومی. فأما خالد فقتل، وأما العوام فهرب وکان یحرض علی قتالهم، وکان عمر بن ذر یقص بهم ویحرض علی قتالهم عندنا بواسط. له عند مسلم حدیث واحد.

قلت: وقع فی صحیح البخاری ضمناً حیث قال فی الحیض وقالت عائشة کان رسول الله(ص)یذکر الله علی کل أحیانه، فإن مسلماً أخرجه من طریق خالد بن سلمة.

هذا وذکر ابن المدینی فی العلل الکبری أن الفأفاء لم یسمع من عبد الله بن عمر، وذکر ابن عائشة: أنه کان ینشد بنی مروان الأشعار التی هجی بها المصطفی (ص)!!. انتهی.

ومنهم: الحمانی، الذی روی عنه البخاری ومسلم وأبو داود والترمذی وابن ماجة.. قال فی تهذیب التهذیب:۶/۱۰۹: عبد الحمید بن عبد الرحمن الحمانی أبو یحیی الکوفی ولقبه بشمین. أصله خوارزمی. روی عن یزید بن أبی بردة، والأعمش، والسفیانین، وأبی حنیفة وجماعة. وعنه أبو بکر ومحمد بن خلف الحدادی، والحسن بن علی الخلال، وأحمد بن عمر الوکیعی، وأبو کریب، وموسی بن عبد الرحمن المسروقی، وأبو بکر وعثمان ابنا أبی شیبة، وسفیان بن وکیع، والحسین بن یزید الکوفی، ومحمد بن عبد بن ثعلبة، ویحیی بن موسی خت، وعمرو بن علی الفلاس، وأبو سعید الأشج، والحسن بن علی بن عفان العامری، وغیرهم. قال ابن معین: ثقة.

وقال أبو داود: کان داعیة فی الإرجاء!!

وقال النسائی: لیس بقوی، وقال فی موضع آخر: ثقة، وذکره ابن حبان فی الثقات. وقال ابن عدی: هو وابنه ممن یکتب حدیثه. قال هارون الحمال مات سنة اثنتین ومائتین. قلت: وفیها أرخه ابن قانع وزاد فی جمادی الأولی وهو ثقة.

وقال ابن سعد وأحمد: کان ضعیفاً. وقال العجلی: کوفی ضعیف الحدیث مرجئ. وقال البرقی: قال ابن معین: کان ثقة، ولکنه ضعیف العقل!.انتهی.

ومنهم: شعیب بن اسحاق مولی بنی أمیة الذی روی عنه البخاری ومسلم وأبو داود والنسائی وابن ماجة.. قال فی تهذیب التهذیب:۴/۳۰۴: شعیب بن إسحاق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن راشد الدمشقی الأموی، مولی رملة بنت عثمان، أصله من البصرة. روی عن أبیه وأبی حنیفة وتمذهب له، وابن جریج والأوزاعی، وسعید بن أبی عروبة، وعبید الله بن عمرو، وهشام بن عروة، والثوری وغیرهم. وعنه ابن ابنه عبد الرحمن بن عبد الصمد بن شعیب، وداود بن رشید، والحکم بن موسی، وأبو النضر الفرادیسی، وعمرو بن

عون، وإبراهيم بن موسى الرازى، وإسحاق بن راهويه، وسويد بن سعيد، وأبو كريب محمد بن العلاء، وهشام بن عمار، وغيرهم.
وحدث عنه الليث بن سعد، وهو فى عداد شيوخه.
قال أبو طالب عن أحمد: ثقة ما أصح حديثه وأوثقه.
وقال أبو داود: ثقة وهو مرجئ، سمعت أحمد يقول: سمع من سعيد بن أبيعروبة بآخر رمق.
وقال هشام بن عمار عن شعيب: سمعت من سعيد سنة ۱۴۴
وقال ابن معين ودحيم والنسائى: ثقة.
وقال أبو حاتم: صدوق.
وقال الوليد بن مسلم: رأيت الأوزاعى يقربه ويدنيه.
قال دحيم: ولد سنة ۱۸ ومات سنة ۱۸۹ وكذا أرخه ابن مصفى وزاد فى رجبوفيها أرخه غير واحد. ووقع فى الكمال سنة ۹۸ وهو وهم.
قلت: وفى سنة ۸۹ أرخه ابن حبان فى الثقات، ونقل أبو الوليد الباجى عن أبى حاتم قال: شعيب ابن اسحاق ثقة مأمون. انتهى.
ومنهم: الغنوى الذى روى عنه مسلم والأربعة..قال فى تهذيب التهذيب: ۱/۴۱۱: بشير بن المهاجر الغنوى الكوفى، رأى أنس بن مالك، وروى عن عبد الله بن بريدة والحسن البصرى وعكرمة وغيرهم. وعنه ابن المبارك، ووكيع، وابن نمير، والثورى، وجعفر بن عون، وأبو نعيم، وخلاد بن يحيى، وغيرهم... وقال العجلى: كوفى ثقة، وقال العقيلى: مرجئ متهم متكلم فيه. وقال الساجى: منكر الحديث عنده. انتهى.
وقد سجل ابن شاذان هذا التناقض على أصحاب الصحاح فقال فى الإيضاح /۵۰۲: ومن جهة أخرى تروون عن المرجئة ويروون عنكم وتروون عن القدرية ويروون عنكم وتروون عن الجهمية ويروون عنكم فتقبلون منهم بعض أقاويلهم وتردون عليهم بعضها، فلا الحق أنتم منه على ثقة، ولا الباطل أنتم منه على يقين وأنتم عند أنفسكم أهل السنة والجماعة.

حب المستشرقين للمرجئة و حزنهم عليهم

قال الدكتور حسن إبراهيم فى كتابه تاريخ الإسلام:۱/۴۱۶ عن المرجئة:
وهى طائفة المرجئة التى ظهرت فى دمشق حاضرة الأمويين بتأثير بعض العوامل المسيحية خلال النصف الثانى من القرن الأول الهجرى.
وقد سميت هذه الطائفة المرجئة من الإرجاء هو التأخير، لأنهم يرجئون الحكم على العصاة من المسلمين إلى يوم البعث. كما يتحرجون عن إدانة أى مسلم مهما كانت الذنوب التى اقترفها....
وهؤلاء هم فى الحقيقة كتلة المسلمين التى رضيت حكم بنى أمية، مخالفين فى ذلك الشيعة والخوراج. ومع هذا فإنهم يتفقون فى العقيدة إلى حد ما مع طائفة المحافظين وهى أهل السنة، وإن كانوا ـ كما يرى فون كريمر ـ قد ألانوا من شدة عقائد هؤلاء السنيين باعتقادهم (أنه لا يخلد مسلم مؤمن فى النار) وعلى العموم فهم يضعون العقيدة فوق العمل.
وكانت آراؤهم تتفق تماماً مع رجال البلاط الأموى ومن يلوذ به، بحيث لا يستطيع أحد من الشيعيين أو الخوارج أن يعيش بينهم، فى الوقت الذى تمكن فيه المسيحيون وغيرهم من المسلمين أن ينالوا الحظوة لديهم، أو يشغلوا المناصب العالية!. انتهى.
ويمكنك ملاحظة التناقض بين ما ذكره الدكتور والمستشرقون عن تقوى المرجئة وتحرجهم عن إدانة أى مسلم مهما كانت الذنوب التى اقترفها وحكمهم عليه بأنه من أهل الجنة بحكم عقيدتهم، وبين تقواهم فى أنهم كانوا يتعايشون مع الحكام الأمويين والنصارى واليهود ولا يتعايشون مع من خالفهم من المسلمين.
ولعل السبب فى ذلك أن الحكام الأمويون أساتذتهم فى عملية إسقاط المحرمات، بينما اليهود والنصارى أساتذتهم فى نظرية إسقاط

المحرمات!!

ثم قال الدكتور حسن إبراهيم:

وبزوال الدولـة الأموية أفل نجم طائفة المرجئة ولم تصبح بعد حزباً مستقلاً، ومع ذلك فقد ظهر من بينهم أبو حنيفة صاحب المذهب المشهور. انتهى.

ولكن حكمه بزوال المرجئـة مع أسيادهم الأمويين غير دقيق، لانهم سـقطوا سياسـياً لا ثقافياً، فقد بقيت أفكارهم ورواياتهم وعقائدهم فى مصادر المسلمين..ويكفى دليلاً على ذلك اتهام أبى حنيفـة وغيره بأنهم منهم..فإن خط المرجئة عاد إلى النفوذ والحكم بقرار من الدولة العباسية لكى تواجه به أهل البيت (عليهم السلام)

غاية الأمر أن اسمهم صار الأشعرية والحنابلة وأهل الحديث وأهل السنة، فإن أكثرية هؤلاء من المرجئة!

ويكفى دليلاًـ على ذلـك أن كبـار علمائهم لا يستطيعون التفريق بين رأيهم فى الشـفاعة وبين رأى المرجئـة، وأن إطاعتهم للعباسـيين كإطاعة المرجئة للأمويين!

بـل يمكن القول إنه بعـد زوال العباسـيين وكثير من الفرق لم ينته المرجئـة، لأن أساس مـذهبهم ومنبع أفكارهم الأحاديث التى دخلت الصـحاح كمـا رأيت، ومن أراد أن يأخـذ بهـا ويلتزم بلوازمهـا فلاـ بـد له أن يكون مرجئـاً ويقول بسـقوط المحرمـات عمليـاً، ويكتفى بالشهادتين كما مر فى توسيع الشفاعة!!

وأخيراً فقد نقل الدكتور المذكور تأسف المستشرق فون كريمر على ضياع تاريخ المرجئة بعد زوالهم قال فى:۱/۴۱۸:

ويقول فون كريمر: وممـا يؤسف له كثيراً أنه ليس لـدينا غير القيل من الأخبار الصـحيحة عن هـذه الطائفـة، فقـد اسـتمروا طوال ذلك العصـر وذاقوا حلوه ومره، وقد ضاعت جميع المصادر التاريخية العربية عن الأمويين، حتى أن أقدم المصادر التاريخية التى وصلت إلينا إنما ترجع إلى عهد العباسيين، ومن ثَمَّ كان لزوماً علينا أن نستقى معلوماتنا عن المرجئة من تلك الشذرات المبعثرة فى مؤلفات كتاب العرب فى ذلك العصر الثانى. انتهى.

وهو تأسف ظاهره علمى وواقعه البكاء على المرجئة لما اشـتهر عنهم وعن الأمويين من تفضـيلهم التعايش مع المسـيحيين واليهود على التعايش مع من خالفهم من المسـلمين..وهو تأسف يجعلنا نلمس صـدق قول الإمام محمـد الباقر عليه السـلام عن المرجئـة بأنهم أشـبه باليهود من الليل بالليل، وذلك لجرأتهم على إسـقاط قانون العقوبة الالهى، وقولهم إن المسـلم مهما ارتكب من جرائم فلن تمسه النار حتى أياماً معدودة، فليس غريباً أن يحبهم ويتأسف عليهم المستشرقون من اليهود والنصارى!

المرجئة والجبرية شقيقان لاب و أم

مع أن مـذهب المرجئة مـذهبٌ فى الثواب والعقاب ولا علاقـة له بالقضاء والقـدر والجبر والتفويض..ومع أن النسـبة بين المرجئة وبين القدريـة والمفوضة عمومٌ من وجه، لأن المرجئ فى الأعمال قد يكون مفوضاً أو قدرياً، كما أن القدرى والمفوض قد يكون مرجئاً أو غير مرجئ..

ولكن ذلك كله فى مقام الإثبات والنظريـة، أما فى مقام الثبوت والتطبيق فالأعم الأغلب فى المرجئـة أنهم قدريـة جبريـة، والسبب فى ذلـك أن الأحـاديث التى اسـتندوا إليهـا فى القول بالإرجاء أو (تشـبثوا) بها على حـد تعبير اللكنوى رافقتها أحاديث الجبر التى تنسـب أفعال الإنسان إلى الله تعالى وتحمله مسؤوليتها، لكى ترفعها عن الإنسان، كما رأيت فى أحاديث توسيع الشفاعة وفناء النار!

وبما أن مسائل القضاء والقدر متعددة، لذا نكتفى هنا بإعطاء تصور كلى عنها ليتضح ارتباطها بموضوع الشفاعة والإرجاء فنقول:

ورد تعريف القـدر الإلهى فى نص بديع عن الإمام الرضا عليه السـلام بأنه (الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء) كما سـيأتى. وقد وقع الخلاف بين المسلمين فى مسائله العديدة، وتكونت على أساس آرائهم مذاهبهم العقائدية.

قال السيد الطباطبائی فی هامش الكافی:۱/۱۵۷:

واعلم أن البحث عن القضاء والقدر كان فی أول الأمر مسألة واحدة ثم تحول ثلاث مسائل أصلية الأولى: مسألة القضاء وهو تعلق الإرادة الإلهية الحتمية بكل شئ والأخبار تقضی فيها بالإثبات...

الثانية: مسألة القدر وهو ثبوت تأثير ماله تعالى فی الأفعال والأخبار تدل فيها أيضاً على الإثبات.

الثالثة: مسألة الجبر والتفويض والأخبار تشير فيها إلى نفی كلا القولين وتثبت قولاً ثالثاً وهو الأمر بين الأمرين لا ملكاً لله فقط من غير ملك للإنسان ولا بالعكس بل ملكاً فی طول ملك وسلطنة فی ظرف سلطنة.

واعلم أيضاً أن تسمية هؤلاء بالقدرية مأخوذة مما صح عن النبی صلى الله عليه وآله (إن القدرية مجوس هذه الأمة الحديث) فأخذت المجبرة تسمی المفوضة بالقدرية لأنهم ينكرون القدر ويتكلمون عليه والمفوضة تسمی المجبرة بالقدرية لأنهم يثبتون القدر. والذی يتحصل من أخبار أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أنهم يسمون كلتا الفرقتين بالقدرية ويطلقون الحديث النبوی عليهما.

أما المجبرة فلانهم ينسبون الخير والشر والطاعة والمعصية جميعاً إلى غير الإنسان كما أن المجوس قائلون بكون فاعل الخير والشر جميعاً غير الإنسان وقوله عليه السلام فی هذا الخبر مبنی على هذا النظر.

وأما المفوضة فلانهم قائلون بخالقين فی العالم هما الإنسان بالنسبة إلى أفعاله والله سبحانه بالنسبة إلى غيرها كما أن المجوس قائلون بإله الخير وإله الشر وقوله عليه السلام فی الروايات التالية (لا جبر ولا قدر) ناظر إلى هذا الإعتبار. انتهى.

ونضيف إلى ما ذكره السيد الطباطبائی رحمه الله: مسألة البداء، وهی هل أن تقدير الله تعالى فی كل الأمور حتمی عليه، فلا يمكنه تغيير شئ منه، لأنه فرغ من الأمر على حد تعبير بعض المسلمين، أو لأن يده مغلولة على حد تعبير اليهود..أم أن القدر مفتوح له تعالى، وله الحق والقدرة على البداء والتغيير كما يشاء، لأنه فرغ من الأمر ولم يفرغ منه على حد تعبير أهل البيت (عليهم السلام).

القدرية المفوضة (الذين ينفون القدر)

محور الخلاف فی مسألة القدر هو: سلطة الله تعالى على أفعال الإنسان وحركة الطبيعة والكون، وفعله فيها.

فالذين ينفون هذه السلطة يسمون (المفوضة) لانهم يزعمون أن الإنسان مفوضٌ فی أعماله، ولا دخل لله تعالى ولا لسلطته فيها.

وقد يكون المفوضة مؤمنين بوجود الله تعالى، ولكنهم يقولون إنه فوض ذلك إلى الإنسان وقوانين الطبيعة..

وقد يكونون ملحدين دهريين أو مشككين، ويعبر عنهم بالمفوضة أيضاً، لانهم ينفون سلطة الله تعالى وفاعليته فی أفعال الإنسان وحركة الطبيعة.

وهم فی عصرنا فئات الماديين من الملحدين والطبيعيين وأكثر العلمانيين، وبعض المتأثرين بالثقافة الغربية من المسلمين.

والتفويض فی القدر مرفوض كلياً عند أهل البيت (عليهم السلام) ومنه التفويض الذی يذهب إليه أكثر المعتزلة أيضاً. قال فی شرح المواقف: ۸/۱۴۶: وقالت المعتزلة أی أكثرهم: هی (الأفعال الإختيارية) واقعة بقدرة العبد وحدها على سبيل الإستقلال بلا إيجاب بل باختيار.

وقال الكلينی فی الكافی:۱/۱۵۷:

علی بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس بن عبد الرحمن قال: قال لی أبو الحسن الرضا عليه السلام:

يا يونس، لا تقل بقول القدرية فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس!

فإن أهل الجنة قالوا: الحمد لله الذی هدانا لهذا وما كنا لنهتدی لولا أن هدانا الله.

وقال أهل النار: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين.

وقال إبليس: رب بما أغويتنی.

فقلت: والله ما أقول بقولهم ولكنى أقول: لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدروقضى.

فقال: يا يونس ليس هكذا، لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى.

يايونس تعلم ما المشيئة؟

قلت: لا.

قال: هى الذكر الأول.

فتعلم ما الإرادة؟

قلت: لا.

قال: هى العزيمة على ما يشاء.

فتعلم ما القدر؟

قلت: لا.

قال: هو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء.

قال ثم قال: والقضاء هو الإبرام وإقامة العين.

قال: فاستأذنته أن أقبل رأسه وقلت: فتحت لى شيئاً كنت عنه فى غفلة. انتهى.

وفى مجمع الزوائد:۷/۲۰۵:

عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم. رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه زكريا بن منظور وثقه أحمد بن صالح وغيره وضعفه جماعة. انتهى. ورواه البيهقى فى سننه:۱۰/۲۰۲ وقال: أخرجه أبو داود فى كتاب السنن هكذا. انتهى.

فهذان النصان يردّان على القدرية المفوضة.

وينبغى الالتفات إلى أن اسم المرجئة لا يستعمل فى الأحاديث فى ضد معناه، بينما يستعمل اسم القدرية للمؤمن بالقدر ولمنكر القدر.. ويعرف ذلك من سياق الكلام.

القدرية الجبرية (الذين يثبتون القدر)

أما الذين يثبتون فعل الله تعالى فى حركة الكون وأفعال الإنسان فيسمون (القدرية) لانهم يؤمنون بوجود سلطة لله تعالى على أفعال الإنسان وحركة الطبيعة بشكل من الإشكال، وهؤلاء منهم من يفرط فى إثبات الفعل الإلهى فى أفعال الإنسان فينسبون أفعال الإنسان إلى الله تعالى نسبةً كاملة فيسمون (الجبرية) وهم أكثر المرجئة، ولعلهم أكثر إخواننا السنة، وإن لم يصرحوا بذلك.. والسبب فى ذلك وجود أحاديث ثبتت عندهم عن الخليفة عمر ومن تبعه من الصحابة توجب القول بذلك، وهى نقطة التقاء شديدة بينهم وبين المرجئة وقد أشرنا إلى أن السبب فى جبرية المرجئة أن أحاديث الارجاء التى صحت عندهم رافقتها أحاديث الجبر مرافقة الأخت لأختها، بل كانت نفسها فى بعض الأحيان..ومن هنا قلنا إن الارجاء والجبر أخوان شقيقان لأب وأم.

قال فى شرح المواقف:۸/۱۴۶:

المقصد الأول فى أن أفعال العباد الإختيارية واقعة بقدرة الله سبحانه وتعالى وحدها، وليس لقدرتهم تأثير فيها بل الله سبحانه أجرى عادته بأن يوجد فى العبد قدرةً واختياراً، فإذا لم يكن هناك مانعٌ أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما، فيكون فعل العبد مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً، ومكسوباً للعبد، والمراد بكسبه إياه مقارنته لقدرته وإرادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل فى وجوده سوى كونه محلاً له! وهذا مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى.انتهى.

وأقـدم الأحاديث في الجبر مروية عن الخليفة عمر وكعب الأحبار، وقد تقدم عدد منها في توسيع الشفاعة وفناء النار، ونذكر فيما يلي بعضها:

روى أحمد في مسنده:۱/۲۹:

عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما أنه قال للنبي (ص): أرأيت ما نعمل فيه أقد فرغ منه أو في شئ مبتدأ أو أمر مبتدع؟ قال: فيما قد فرغ منه. فقال عمر ألا نتكل؟ فقال: إعمل يا ابن الخطاب فكل ميسر، أما من كان من أهل السعادة فيعمل للسعادة، وأما أهل الشقاء فيعمل للشقاء!

ورواه في:۲/۷۷، ونحوه في الترمذي:۴/۳۵۲ ونحوه الحاكم:۲/۴۶۲ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ورواه في مجمع الزوائد:۷/۱۹۴ عن أبي بكر وعن عمر وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. ورواه في كنز العمال بعدة روايات في:۱/۱۲۸ وص ۳۳۹

ورواه البخاري بصيغة أخرى تذكر أن الله تعالى يتحمل مسؤولية خطيئة آدم عليه السلام، عيناً كما في التوراة!..قال في صحيحه:۴/۱۳۱ عن أبي هريرة: قال قال رسول الله (ص): احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر على قبل أن أخلق؟ فقال رسول الله (ص): فحج آدم موسى مرتين! انتهى.

ورواه بصيغة أخرى أيضاً فيها تعنيفٌ لادم قال في:۷/۲۱۴ فيها (فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة)، وروى نحوه أيضاً في:۸/۲۰۳

فهذه النصوص الصحيحة عندهم تقول بالجبر في أفعال الإنسان، وفي تكوين الكون معاً.

القدر عند أهل البيت: لا جبر و لا تفويض

أما مذهب أهل البيت (عليهم السلام) فهو يثبت القدر ويؤمن بسلطة الله تعالى على أفعال الإنسان وفعله فيها، ولكنه يقول لا تصح نسبة المعصية إليه تعالى وإن كان الأقدار عليها منه تعالى، أما نسبتها التي تستلزم تحمل مسؤوليتها فهي لفاعلها الذي هو الإنسان..

فالإنسان في هذا المذهب ليس مجبوراً في أفعاله الاختيارية ولا مفوضاً إليه، ولا مجرد مجرى لأفعاله كمجرى النهار، بل حاله من نوع آخر يوجد فيه القدر الالهي بشكل كامل لصغير الأمور وكبيرها ويوجد فيه حرية الإنسان ومسؤوليته. وهذا معنى (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين).

وقد أكد أهل البيت (عليهم السلام) على هذا النوع من القدر، وقاوموا المفوضة لإنكارهم سلطان الله تعالى على صغير الأمور وكبيرها. كما قاوموا القائلين بالجبر في أفعال الإنسان لانهم ينسبون المعاصي إلى الله تعالى، وينسبون إليه الظلم بمجازاة الإنسان عليها! وكذلك القائلين بالجبر في الخلق والتكوين والتخطيط، لأنهم يريدون تصوير الكون بأنه آلة وضع الله مخططها وأطلقها ولا يمكنه البداء والتغيير والتبديل فيها وهم اليهود الذين قالوا (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ) والمسلمون الذين قلدوهم فقالوا (فرغ من الأمر).

روى الصدوق في معاني الأخبار/۱۸:

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قول الله عز وجل: وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ، لم يعنوا أنه هكذا ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص، فقال الله جل جلاله تكذيباً لقولهم: غُلَّتْ أيديهم ولُعِنُوا بما قالو بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء. ألم تسمع الله عز وجل يقول: يَمْحُواْ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ.

وقال الحويزي في تفسير نور الثقلين:۲/۵۱۴:

في عيون الأخبار في باب مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي قال الرضا عليه السلام بعد كلام طويل لسليمان: ومن أين

قلت ذلک وما الدلیل على أن إرادته علمه؟ وقد یعلم ما لا یریده أبداً وذلک قوله تعالى: وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ فهو یعلم کیف یذهب به ولا یذهب به أبداً؟

قال سلیمان: لأنه قد فرغ من الأمر فلیس یزید فیه شیئاً.

قال الرضا علیه السلام: هذا قول الیهود، فکیف قال: أدعونی أستجب لکم؟

قال سلیمان: إنما عنى بذلک أنه قادر علیه!

قال: أفیعد بما لا یفی به؟! فکیف قال: یزید فی الخلق ما یشاء؟ وقال عز وجل: یَمْحُواْ اللهُ مَا یَشَاءُ وَیُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْکِتَابِ، وقد فرغ من الأمر؟!

فلم یَحِرْ جواباً.

وفی هذا المجلس أیضاً قال الرضا علیه السلام:

یا سلیمان إن من الأمور أموراً موقوفة عند الله تعالى، یقدم منها ما یشاء ویؤخر ما یشاء.

یا سلیمان إن علیاً علیه السلام کان یقول: العلم علمان، فعلم علمه الله ملائکته ورسلهفإنه یکون ولا یکذب نفسه ولا ملائکته ورسله.

وعلم عنده مخزونٌ لم یطلع علیه أحداً من خلقه، یقدم منه ما یشاء ویؤخر مایشاء، ویمحو ما یشاء ویثبت ما یشاء. انتهى.

وبذلک یتضح أن البداء الذی یؤکد أهل بیت النبی صلى الله علیه وآله على أنه جزءٌ من الإسلام، وأنه ما عبد الله بشئ کما عبد به، إنما هو نفی الجبریة على الله تعالى، ونفی زعم الیهود أن یده مغلولة بحجة أنه فرغ من الأمر!

ویتضح منه أن الذین یشنعون على الشیعة بعقیدة البداء..لم یفهموها!

ردة فعل الخوارج على توسیع الدولة للشفاعة

من الواضح للباحث أن بذور تفکیر الخوارج ولدت فی عهد الخلیفة عمر، وکانت تأخذ شکل اعتراضات على عدم تطبیق الخلیفة للقرآن، کما نلاحظ فی أسئلة الوفد المصری (الدر المنثور:۲/۱۴۵)

ثم نمت فی عهد الخلیفة عثمان..

ثم أخذت شکل اتجاه فکری فی فهم الدین، وشکل حزب سیاسی معارض فی عهد الإمام علی علیه السلام ثم استمرت مذهباً وحزباً مسلحاً فی معارضة الأمویین والعباسیین وتکفیرهم وقتالهم..

ومن أبرز صفات الخوارج الفکریة: جمودهم فی فهم الدین، ومیلهم إلى إصدار الأحکام الکلیة بدون شروط ولا- تفاصیل ولا استثناءات، وتکفیرهم من خالفهم من فرق المسلمین، وفتواهم بهدر دمائهم ووجوب جهادهم.

وهذا المنحى الذهنی یقع فی الجهة المضادة لمذهب المرجئة الذی تتبناه السلطة، المنحى المتساهل فی أداء الواجبات وترک المحرمات، المفرط فی تأمیل الناس بالشفاعة والجنة مهما عصوا.. ماعدا المعارضین للدولة طبعاً.

لقد ساعد مذهب الإرجاء الدولة وأتباعها فی تخفیف المسؤولیة المشددة فی القرآن و السنة على الحکام، ولکنه سبب ردات فعل فی الأمة فظهرت فئات تنکر أصل الشفاعة التی تتذرع بها الدولة، وتکذب کل أحادیثها وتؤول کل آیاتها..ولم یکن ذلک منحصراً بالخوارج، وإن اشتهروا به.

بل تدل روایات السنیین على أن ردود الفعل على توسیع الشفاعة بدأت من زمن الخلیفة عمر، ولکنه لم یستطع أن یؤدب أصحابها بالسوط، إما لأنه لم یعرفهم بالضبط، أو لسبب آخر، فخطب محذراً منهم بشدة!

قال فی مجمع الزوائد:۷/۲۰۷:

عن ابن عباس قال: خطب عمر بن الخطاب فحمد الله وأثنى علیه فقال: ألا إنه سیکون من بعدکم قوم یکذبون بالرجم وبالدجال

وبالشفاعة!

وروى نحوه فى مسند أحمد:۱/۲۳ وفى الدر المنثور:۳/۶۰: عن سعيد بن منصور والبيهقى عن ابن عباس وفى كنز العمال:۱/۳۸۷ وج ۵/۴۲۹ وص ۴۳۱ وفيه (قال أمر عمر بن الخطاب منادياً فنادى أن الصلاة جامعة، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال...).

ويظهر من النص التالى أن بنى أمية أفرطوا فى التأكيد على الشفاعة أيضاً، ففى فردوس الأخبار للديلمى:۱/۱۱۶ ح ۲۵۴: عن معاوية: إشفعوا إلى تؤجروا، فإن الرجل ليسألنى الحاجة فأرده كى تشفعوا له فتؤجروا! انتهى.

أما الخوارج فقد ثبت أنهم كانوا يقولون: إن مرتكب المعصية الكبيرة أو الصغيرة كافر، وإذا مات ولم يتب فهو مخلد فى النار، وأنه لا شفاعة لاحد أبداً ولا خروج من النار!

وأول من تصدى لرد مقولتهم الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ثم تبعهم غيرهم.

قال البرقى فى المحاسن:۱/۱۸۴:

عن على بن أبى حمزة قال: قال رجل لابى عبد الله عليه السلام: إن لنا جاراً من الخوارج يقول: إن محمداً صلى الله عليه وآله يوم القيامة همه نفسه فكيف يشفع؟! فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو يحتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

وقال العياشى فى تفسيره:۲/۳۱۴:

عن عبيد بن زرارة قال: سئل أبو عبدالله عليه السلام عن المؤمن هل له شفاعة؟ قال: نعم، فقال له رجل من القوم: هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد يومئذ؟ قال: نعم إن للمؤمنين خطاياً وذنوباً، وما من أحد إلا ويحتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يومئذ.

قال: وسأله رجل عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم ولا فخر؟ قال: نعم، يأخذ حلقة باب الجنة فيفتحها فيخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع أطلب تعط، فيرفع رأسه ثم يخر ساجداً فيقول الله: إرفع رأسك إشفع تشفع واطلب تعط، ثم يرفع رأسه فيشفع فيشفع، ويطلب فيعطى.

وفى تفسير القمى:۲/۲۰۱:

قال: حدثنى أبى، عن ابن أبى عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبى العباس المكبر قال: دخل مولى لامرأة على بن الحسين عليه السلام على أبى جعفر عليه السلام يقال له أبو أيمن فقال: يا أبا جعفر يغرون الناس ويقولون شفاعة محمد شفاعة محمد؟!

فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربَّدَ وجهه، ثم قال: ويحك يا أبا أيمن! أغرَّك أن عفَّ بطنك وفرجك؟! أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله! ويلك! فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار؟!

ثم قال: ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة فى أمته، ولنا الشفاعة فى شيعتنا، ولشيعتنا الشفاعة فى أهاليهم.

ثم قال: وإن المؤمن ليشفع فى مثل ربيعة ومضر، فإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول: يارب حق خدمتى كان يقينى الحر والبرد.

ورواه فى بحار الأنوار:۸/۳۸ وفى تفسير نور الثقلين:۴/۱۰۲ و۳۳۴

وفى الأدب المفرد للبخارى/۲۲۴:

عن طلق بن حبيب قال: كنت أشد الناس تكذيباً بالشفاعة فسألت جابراً فقال: يا طلق سمعت النبى يقول: يخرجون من النار بعد الدخول.

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۶/۲۸۶:

وأخرج ابن مردويه عن صهيب الفقير قال: كنا بمكة ومعى طلق بن حبيب، وكنا نرى رأى الخوارج، فبلغنا أن جابر بن عبد الله يقول فى الشفاعة فأتيناه فقلنا له: بلغنا عنك فى الشفاعة قول الله مخالف لك فيها فى كتابه! فنظر فى وجوهنا فقال: من أهل العراق أنتم؟!

قلنا نعم، فتبسم وقال: وأين تجدون فى كتاب الله؟ قلت: حيث يقول: ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته، ويريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها، وكلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها، وأشباه هذا من القرآن.

فقال: أنتم أعلم بكتاب الله أم أنا؟ قلنا بل أنت أعلم به منا. قال: فوالله لقد شهدت تنزيل هذا على عهد رسول الله(ص)وشفاعة الشافعين، ولقد سمعت تأويله من رسول الله(ص)وإن الشفاعة لنبيه فى كتاب الله، قال فى السورة التى تذكر فيها المدثر: مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الآية. ألا ترون أنها حلت لمن مات لم يشرك بالله شيئاً؟!

وفى تفسير الطبرى:۴/۱۴۱:

عن الأشعث الحملى قال قلت للحسن: يا أبا سعيد أرأيت ما تذكر من الشفاعه حق هو؟ قال: نعم حق.

وفى فتح القدير للشوكانى:۵/۵۶۷:

وأخرج بن المنذر عن طريق حرب بن شريح قال: قلت لأبى جعفر محمد بن على بن الحسين: أرأيت هذه الشفاعة التى يتحدث بها أهل العراق أحقٌّ هى؟ قال: إى والله.

وفى دلائل النبوة للبيهقى:۱/۲۵:

عن شبيب بن أبى فضالة المالكى: لما بنى مسجد الجامع ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة فقال رجل من القوم: إنكم تحدثونا بأحاديث لم نجد لها أصلاً فى كتاب الله، وعمران يقول أنتم أخذتم هذا الشأن منا، وأخذنا نحن عن نبى الله.

وفى الجواهر الحسان للثعالبى:۱/۳۵۶:

قوله تعالى: إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ... قالت المعتزلة: إذا كان صاحب كبيرة فهو فى النار ولا بد، وقالت الخوارج إذا كان صاحب كبيره أو صغيره فهو فى النار مخلد.

وفى تطهير الجنان لإبن حجر/۳۸:

إن قلت: فى هذا الحديث (كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا رجل يموت كافراً أو يقتل مؤمناً متعمداً) دليل للمعتزلة والخوارج قبحهم الله تعالى على أن الكبيرة لا تغفر؟

قلت: لا دليل لهم فيها أبداً، لقوله تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا، لوجوب حملها على المستحل... بدليل قوله تعالى: إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وهو مخصص أيضاً بقوله تعالى: إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا... قد ضل... فرقٌ من فرق الضلالة القائلون بأن مرتكب الكبيرة إذا مات بلا توبة يخلد، وهؤلاء المعتزلة والخوارج، والفرق بينهما إنما هو من حديث إن الميت فاسقاً هل هو كافر أو لا مؤمن ولا كافر؟ فالخوارج على الأول والمعتزلة على الثانى.

وفى مقالات الإسلاميين للأشعرى:۱/۱۲۴:

وأما الوعيد فقول المعتزلة فيه وقول الخوارج قولٌ واحد، لأنهم يقولون أن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم فى النار خالدون.

وفى مقالات الإسلاميين: ۱/۸۶ ـ ۸۷:

وأجمعوا (الخوارج) على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات، فإنها لاتقول ذلك. وأجمعوا أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجدات.

والأزارقة (من الخوارج) تقول إن كل كبيرة كفر، وإن الدار دار كفر يعنون دار مخالفيهم، وإن كل مرتكب معصية كبيرة ففى النار خالداً مخلداً، ويكفرون علياً (رض)فى التحكيم.

وقال فى شرح المواقف:۴ جزء ۸/۳۳۴:

إن مرتكب الكبيره من أهل الصلاة... مؤمن... ذهب الخوارج إلى أنه كافر، والحسن البصرى إلى أنه منافق، والمعتزلة إلى أنه مؤمن ولا كافر.

وقال الرازی فی تفسیره:١ جزء ٣/٢٣٨:

إن المعصیة عند المعتزلة وعندنا لا توجب الکفر، أما عندنا فلان صاحب الکبیرة مؤمن، وأما عند المعتزلة فلانه وإن خرج عن الإیمان فلم یدخل فی الکفر، وأما عند الخوارج فکل معصیة کفر.

وقال الرازی فی تفسیره:٦ جزء ١٢/٥:

قالت الخوارج: کل من عصی الله فهو کافر... احتجوا بهذه الآیة (وَمَنْ لَمْ یَحْکُمْ...) وقالوا إنها نص فی أن کل من حکم بغیر ما أنزل الله فهو کافر، وکل من أذنب فقد حکم بغیر ما أنزل الله، فوجب أن یکون کافراً.

وقال الرازی فی:١٥ جزء ٣٠/٢٣٩:

إن الخوارج احتجوا بهذه الآیة (إِمَّا شَاکِرًا وَإِمَّا کَفُورًا) علی أنه لا واسطة بین المطیع والکافر قالوا: لأن الشاکر هو المطیع والکفور هو الکافر، والله تعالی نفی الواسطة وذلک یقتضی أن یکون کل ذنب کفراً.

وقال النووی فی شرح مسلم:١ جزء ١/٢١٨:

قال القاضی عیاض: اختلف الناس فیمن عصی الله من أهل الشهادتین، فقالت المرجئة: لا تضره المعصیة، وقالت الخوارج: تضره ویکفر بها، وقالت المعتزلة: یخلد فی النار، وقالت الأشعریة: بل هو مؤمن..

وقال المجلسی فی بحار الأنوار:٨/٦٢:

وقال النووی فی شرح صحیح مسلم: قال القاضی عیاض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها سمعاً بصریح الآیات وبخبر الصادق، وقد جاءت الآثار التی بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة فی الآخرة لمذنبی المؤمنین، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة علیها. ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم فی تخلید المذنبین فی النار، واحتجوا بقوله تعالی: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِینَ وأمثاله وهی فی الکفار.

وأما تأویلهم أحادیث الشفاعة بکونها فی زیادة الدرجات فباطل، وألفاظ الأحادیث فی الکتاب وغیره صریحة فی بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار.

(راجع شرح مسلم للنووی:٢ جزء ٣/٣٥)

وفی شرح مسلم للنووی:٢ جزء ٣/٥٠:

رأی الخوارج.. أنهم یرون أن أصحاب الکبائر یخلدون فی النار.

وفی إرشاد الساری للقسطلانی:١/١١٥:

لا- ینسب إلی الکفر باکتساب المعاصی والإتیان بها إلا- بالشرک أی بارتکابه، خلافاً للخوارج القائلین بتکفیره بالکبیرة، والمعتزلة القائلین بأنه لا مؤمن ولا کافر.

وفی فتاوی ابن باز:٢/٢٧:

وذهب الخوارج إلی أن صاحب المعصیة مخلد فی النار وهو بالمعاصی کافر أیضاً ووافقهم المعتزلة بتخلیده فی النار.

وفی فتاوی ابن باز:٣/٣٦٧:

قول أهل السنة والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة... المعاصی التی دون الشرک لا تحبط الأعمال الصالحة ولا تبطل ثوابها..

وفی بحار الأنوار:٨/٣٦٤:

قال العلامة رحمه الله فی شرحه علی التجرید: أجمع المسلمون کافة علی أن عذاب الکافر مؤبد لا ینقطع، واختلفوا فی أصحاب الکبائر من المسلمین، فالوعیدیة علی أنه کذلک، وذهبت الإمامیة وطائفة کثیرة من المعتزلة والأشاعرة إلی أن عذابه منقطع. والحق أن عقابهم منقطع لوجهین:

الأول، أنه يستحق الثواب بإيمانه لقوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ.

والإيمان أعظم أفعال الخير فإذا استحق العقاب بالمعصية فإما يقدم الثواب على العقاب وهو باطل بالإجماع، لأن الثواب المستحق بالإيمان دائم على ما تقدم، أو بالعكس وهو المراد، والجمع محال.

الثانى، يلزم أن يكون من عبد الله تعالى مدة عمره بأنواع القربات إليه ثم عصى فى آخر عمره معصية واحدة مع بقاء إيمانه مخلداً فى النار كمن أشرك بالله مدة عمره، وذلك محال لقبحه عند العقلاء. انتهى.

وفى بحار الأنوار: ۸/۳۷۰:

وقال شارح المقاصد: اختلف أهل الإسلام فيمن ارتكب الكبيرة من المؤمنين ومات قبل التوبة، فالمذهب عندنا عدم القطع بالعفو ولا بالعقاب بل كلاهما فى مشيئة الله تعالى، لكن على تقدير التعذيب نقطع بأنه لا يخلد فى النار بل يخرج البتة، لا بطريق الوجوب على الله تعالى، بل مقتضى ما سبق من الوعد وثبت بالدليل كتخليد أهل الجنة.

وعند المعتزلة القطع بالعذاب الدائم، من غير عفو ولا إخراج من النار، وما وقع فى كلام البعض من أن صاحب الكبيرة عند المعتزلة ليس فى الجنة ولا فى النار فغلطٌ نشأ من قولهم: إن له المنزلة بين المنزلتين، أى حالة غير الإيمان والكفر.

وأما ما ذهب إليه مقاتل بن سليمان وبعض المرجئة من أن عصاة المؤمنين لا يعذبون أصلًا وإنما النار للكفار تمسكاً بالآيات الدالة على اختصاص العذاب بالكفار مثل: قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى، إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين.

فجوابه: تخصيص ذلك العذاب بما يكون على سبيل الخلود.

وأما تمسكهم بمثل قوله عليه السلام: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق، فضعيف، لأنه إنما ينفى الخلود لا الدخول.

لنا وجوه: الأول، وهو العمدة: الآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة البتة، وليس ذلك قبل دخول النار وفاقاً، فتعين أن يكون بعده وهو مسألة انقطاع العذاب، أو بدونه وهو مسألة العفو التام، قال الله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

تبادل المواقع بين الخوارج والمرجئة

يحسن هنا أن نسجل أمراً طريفاً نلاحظه فى عصرنا، وهو تبادل المواقع بين ورثة الخوارج، وورثة الخلافة الأمويين والمرجئة!

فورثة الخوارج (الأباضيون) تنازلوا عن العنف الفكرى وسجلوا ليونتهم العقائدية والفقهية تجاه فرق المسلمين..بينما ورثة الخلافة الأموية (التكفير والهجرة والوهابيون) تخلوا عن أفكار الليونة والتسامح، وتبنوا مذهب العنف والشدة، وأفتوا بكفر كل فرق المسلمين، ماعدا فرقتهم! ولعلهم يتخلون أيضاً عن شمول الشفاعة لكل المسلمين ويحصرونها بفرقتهم..كما يشم ذلك من فكرهم!

وهكذا تتغير المواقع الفكرية والسياسية مع العصور من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.. وسبحان من لا يتغير.

المعتزلة مثقفون متوسطون بين الدولة والخوارج

قال ابن ناصر الدين فى توضيح المشتبه: ۸/۲۰۴:

ولد واصل سنة ثمانين بالمدينة وكان يجلس إلى الحسن البصرى، فلما ظهر بين أهل السنة القول من الخوارج بتكفير أهل الكبائر، ومن المرجئة بجعلهم إيمان أهل الكبائر كإيمان جبرئيل وميكائيل، أبدع واصل (بن عطاء مولى بنى ضبة) قوله فى المنزلة بين المنزلتين... مات واصل سنة إحدى وثلاثين ومئة.

الصغائر تغفر والكبائر لا تغفر إلا بالتوبة

مقالات الإسلاميين للأشعرى:۱/۲۷۰:

واختلفت المعتزلـة.. فى الصـغائر والكبائر. فقال قائلون منهم: كل ما أتى فيه الوعيـد فهو كبير، وكل ما لم يأت فيه الوعيد فهو صـغير.. وقال جعفر بن ميثر: كل عمد كبير وكل مرتكب لمعصية متعمداً لها فهو مرتكب لكبيرة...

واختلفت المعتزلـة فى غفران الصـغائر... فقـال قـائلون: إن الله سـبحانه يغفر الصـغائر إذا اجتنبت الكبـائر تفضـلًا.. وقـال قائلون: لا يغفر الصغائر إلا بالتوبة.

وقال فى شرح المواقف:۸/۳۰۳:

أوجب جميع المعتزلـة والخوارج عقاب صاحب الكبيرة إذا مات بلا توبة، ولم يجوزوا أن يعفو الله عنه، لوجهين: الأول أنه تعالى أوعد بالعقاب على الكبائر وأخبر به أى بالعقاب عليها، فلو لم يعاقب على الكبيرة وعفا لزم الخلف فى وعيده والكذب فى خبره، وإنه محال.

الجواب: غايته وقوع العقاب فأين وجوبه الذى كلامنا فيه، إذ لا شبهة فى أن عد الوجوب مع الوقوع لا يستلزم خلفاً ولا كذباً.

قالت المعتزلـة والخوارج: صاحب الكبيرة إذا لم يتب عنها مخلد فى النار ولا يخرج منها أبداً. وعمدتهم فى إثبات ما ادعوه دليل عقلى هو أن الفاسق يسـتحق العقاب بفسـقه، واستحقاق العقاب بل العقاب مضرة خالصة لا يشوبها ما يخالفها دائمة لا تنقطع أبداً. واستحقاق الثواب بل الثواب منفعة خالصة عن الشوائب دائمة. والجمع بينهما أى بين استحقاقهما محال، كما أن الجمع بينهما محال.

وقال فى شرح المواقف:۸/۳۳۴:

مرتكب الكـبيرة من أهـل الصـلاة أى من أهـل القبلـة مؤمن، وقـد تقـدم بيـانه فى مسألـة حقيقـة الإيمـان وغرضـنا هاهنـا ذكر مـذهب المخالفين والجواب عن شبهتهم: ذهب الخوارج إلى أنه كافر، والحسن البصرى إلى أنه منافق، والمعتزلة إلى أنه لا مؤمن ولا كافر.

حجـة الخوارج وجوه: الأول قوله تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ، فإن كلمة (من) عامة فى كل من لم يحكم بما أنزل، فيـدخل فيه الفاسق المصـدق. وأيضاً فقـد علل كفرهم بعـدم الحكم، فكل من لم يحكم بما أنزل الله كان كافراً، والفاسق لم يحكم بما أنزل الله.

قلنا: الموصولات لم توضع للعموم، بل هى للجنس تحتمل العموم والخصوص.

وفى ثمرات الأوراق بهامش المستطرف/۱۳:

المعتزلـة طائفـة من المسـلمين يرون أن أفعـال الخير من الله وأفعـال الشـر من الإنسان وأن القرآن مخلوق محـدث ليس بقـديم وان الله تعالى غير مرئى يوم القيامة، وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان فى منزلة بين منزلتين.

تأويلات أهل السنة للحنفى:۱/۶۳۰:

وقوله تعالى: وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، فيه دليل على أن من السيئات ما يكفرها الصدقـة... وهو نقض على المعتزلة لأنهم لا يرون تكفير الكبائر بغير التوبة عنها، ولا التعذيب على الصغائر. فأما إن كانت الآية فى الكبائر فبطل قولهم (لا يكفر بغير التوبة) أو فى الصغائر يبطل قولهم إنها مغفورة، إذ وعدت بالصدقة لأنهم يخلدون صاحب الكبيره فى النار، والله تعالى أطمع له تكفير السيئات بالصدقة.

و صاحب الكبيرة فى النار و لا تشمله الشفاعة

شرح المواقف:۴ جزء ۸/۳۱۲:

أجمعت الأمـة على ثبوت أصل الشـفاعة المقبولة له عليه الصـلاة والسـلام، ولكن هى عندنا لأهل الكبائر من الأمة فى إسـقاط العقاب عنهم... وقـالت المعتزلـة: إنمـا هى لزيادة الثواب لا لـدرأ العقاب، لقوله تعالى: وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ، وهو عام فى شفاعة النبى عليه الصلاة والسلام وغيره.

الجواب: أنه لا عموم له فى الاعيان، لأن الضمير لقوم معينين هم اليهود، فلا يلزم أن لا تنفع الشفاعة غيرهم.

تأويلات أهل السنة: ١/٥٩٠:

قال المعتزلة: لا تكون الشفاعة إلا لأهل الخيرات خاصة، الذين لا ذنب لهم أو كان لهم ذنب فتابوا عنه.

تفسير الرازى ١١ جزء ٢٢/١٦٠:

احتجت المعتزلة بقوله تعالى: وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى، على أن الشفاعة فى الآخرة لا تكون لأهل الكبائر، لأنه لا يقال فى أهل الكبائر إن الله يرتضيهم.

تفسير الرازى ١١ جزء ٢٢/١١٨:

المعتزلة قالوا: الفاسق غير مرضى عند الله تعالى، فوجب أن لا يشفع الرسول (ص) فى حقه لأن هذه الآية (يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ) دلت على أن المشفوع له لابد وأن يكون مرضياً عند الله.

تفسير الرازى:١٢ جزء ٢٣/۶۶:

أما قوله (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) احتجت المعتزلة بهذه الآية فى نفى الشفاعة.

وقال فى:١۴ جزء ٢٧/٣٣:

احتج الكعبى بهذه الآية على أن تأثير الشفاعة فى حصول زيادة الثواب للمؤمنين، لا فى إسقاط العقاب عن المذنبين.

وقال فى:۴ جزء ٧/١٠:

قال القفال: إنه لا يأذن فى الشفاعة لغير المطيعين... وأقول إن هذا القفال عظيم الرغبة فى الإعتزال... ومع ذلك فقد كان قليل الاحاطة بأصولهم. وذلك لأن من مذهب البصريين أن العفو عن صاحب الكبيرة حسن فى العقول.. إلا أن السمع دل... لا يقع، وإذا كان كذلك كان الإستدلال العقلى على المنع من الشفاعة فى حق العصاة خطأ على قولهم.

وفى إرشاد السارى للقسطلانى: ٨/٣۴٠:

قوله تعالى: مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ، استدل بهذه الآية المعتزلة على أنه تعالى لا يعفو عن شئ من السيئات.

وفى إرشاد السارى:٩/۴۴٧:

المعصية لا تخرج المسلم عن الإيمان، خلافاً للمعتزلة المكفرين بالذنب، القائلين بتخليد العاصى بالنار.

وفى معجم الادباء للحموى:٩ جزء ١٧/٨١:

قال عبدالعزيز بن محمد الطبرى: كان أبو جعفر (الطبرى) يذهب فى جل مذاهبه إلى ما عليه الجماعة من السلف... وكان يذهب إلى مخالفة أهل الاعتزال فى جميع ماخالفوا فيه الجماعة، من القول بالقدر وخلق القرآن وإبطال رؤية الله فى القيامة، وفى قولهم بتخليد أهل الكبائر فى النار، وإبطال شفاعة رسول الله(ص)، وفى قولهم إن استطاعة الإنسان قبل فعله.

وفى طبقات الشافعية للسبكى:٣/٣۴٧:

يصف تحول الأشعرى من الاعتزال إلى خط الدولة (أهل السنة والجماعة) قام على بن اسماعيل بن أبى بشر على الاعتزال أربعين سنة حتى صار للمعتزلة إماماً... وهو الذى قال: تكافأت عندى الأدلة ولم يترجح عندى شئ على شئ فاستهديت الله فهدانى إلى اعتقاد ما أودعته فى كتبى هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده.. ودفع الكتب التى ألفها على مذاهب أهل السنة للناس.. وأخذ فى نصرة الأحاديث فى الرؤية والشفاعة. انتهى.

هذا وقد تقدمت نصوص عن رأى المعتزلة فى آراء المرجئة والخوارج فى هذا الفصل وفى تعريف الشفاعة فى الفصل الأول.

المزيد من تأثير الإسرائيليات على أحاديث الشفاعة

اتفق الجميع نظريا على أن الشفاعة من مختصات نبينا

قد یستشکل علی أحادیث اختصاص الشفاعة بنبینا صلی الله علیه وآله الواردة فی مصادر الفریقین، بأنها تنافی الأحادیث الصحیحة التی تثبت الشفاعة لغیر نبینا صلی الله علیه وآله.

والجواب: أن وجه الجمع بین الأحادیث أن باب الشفاعة إنما یفتح یوم القیامة إکراماً لنبینا صلی الله علیه وآله.. وکل من یشفع من الملائکة والأنبیاء والأوصیاء والعلماء والشهداء والمؤمنین، فإنما یشفع بإجازته وبالسهم الذی یعطیه إیاه شفیع المحشر صلی الله علیه وآله!

فلا ـ منافاة بین أحادیث اختصاصه بالشفاعة صلی الله علیه وآله وبین مادل علی ثبوتها لغیره من الأنبیاء (علیهم السلام) إلا ما دل منها علی أن لغیره شفاعة مستقلة أو أنه یشفع قبله کما فی أحادیث الإسرائیلیات الآتیة.

من لا یحضره الفقیه: ۱/۲۴۰:

قال النبی صلی الله علیه وآله: أعطیت خمساً لم یعطها أحدٌ قبلی: جعلت لی الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأحل لی المغنم، وأعطیت جوامع الکلم، وأعطیت الشفاعة. ورواه فی وسائل الشیعة:۲/۴۳۸ وفی سائل الشیعة:۳/۴۲۲ وفی مستدرک الوسائل:۲/۵۲۹

علل الشرائع:۱/۱۲۷:

حدثنا أبوالحسین محمد بن علی بن الشاه قال: حدثنا أبوبکر محمد بن جعفر بن أحمد البغدادی بآمد قال: حدثنا أبی قال: حدثنا أحمد بن السخت قال: حدثنا محمد بن الأسود الوراق عن أیوب بن سلیمان عن حفص بن البختری عن محمد بن حمید عن محمد بن المنکدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله:

أنا أشبه الناس بآدم وإبراهیم أشبه الناس بی خلقه وخلقه.

وسمانی الله من فوق عرشه عشرة أسماء وبین الله وصفی وبشرنی علی لسان کل رسول بعثه الله إلی قومه.

وسمانی ونشر فی التوراة باسمی وبث ذکری فی أهل التوراة والإنجیل وعلمنی کتابه ورفعنی فی سمائه وشق لی إسماً من أسمائه فسمانی محمداً وهو محمود.

وأخرجنی فی خیر قرن من أمتی وجعل اسمی فی التوراة أحید فبالتوحید حرم أجساد أمتی علی النار.

وسمانی فی الانجیل أحمد فأنا محمود فی أهل السماء.

وجعل أمتی الحامدین وجعل اسمی فی الزبور ماحی محی الله عز وجل بی من الأرض عبادة الأوثان.

وجعل اسمی فی القرآن محمداً فأنا محمود فی جمیع القیامة فی فصل القضاء لا یشفع أحد غیری.

وسمانی فی القیامة حاشراً یحشر الناس علی قدمی.

وسمانی الموقف أوقف الناس بین یدی الله عز وجل.

وسمانی العاقب أنا عقب النبیین لیس بعدی رسول.

وجعلنی رسول الرحمة ورسول الملاحم والمقتفی قفیت النبیین جماعة وأنا المقیم الکامل الجامع ومن علی ربی وقال لی یا محمد صلی الله علیک فقد أرسلت کل رسول إلی أمته بلسانها وأرسلتک إلی کل أحمر وأسود من خلقی ونصرتک بالرعب الذی لم أنصر به أحداً وأحللت لک الغنیمة ولم تحل لاحد قبلک وأعطیتک لک ولأمتک الأرض کلها مسجداً وترابها طهوراً وأعطیتک ولأمتک التکبیر وقرنت ذکرک بذکری حتی لا یذکرنی أحد من أمتک إلا ذکرک مع ذکری فطوبی لک یا محمد ولأمتک.

تفسیر القمی:۱/۱۹۴:

ثم قال حکایة عن قریش: وقالوا لولا أنزل علیه ملک، یعنی رسول الله صلی الله علیه وآله، ولو أنزلنا ملکاً لقضی الأمر ثم لا ینظرون، فأخبر عز وجل أن الآیة إذا جاءت والملک إذا نزل ولم یؤمنوا هلکوا، فاستعفی النبی صلی الله علیه وآله من الآیات رأفةً ورحمةً علی

أمته، وأعطاه الله الشفاعة.

صحيح البخاري:۱/۸۶:

جابر بن عبد الله أن النبي(ص)قال: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة.

ورواه أيضاً في ص:۱ جزء ۱/۱۱۳ وج ۲ جرء ۲/۱۰۵ ونحوه في مسلم:۲/۶۳ وفي سنن النسائي:۱/۲۰۹ وفي سيرة ابن هشام:۲/۲۳۴ وفي مسند أحمد: ۵/۱۴۹.

وفي:۴/۴۱۷ منه:

عن أبي موسى قال قال رسول الله (ص): أعطيت خمساً: بعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي، ونصرت بالرعب شهراً، وأعطيت الشفاعة وليس من نبي إلا وقد سأل شفاعة وإني أخبأت شفاعتي ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئاً. ونحوه في:۱/۳۰۱ وفي الدر المنثور:۳ ص۲۰۴ وج ۵/۲۳۷ وسنن الدارمي:۱/۳۲۲ وسنن البيهقي:۹/۴ وتفسير الطبري:۳/۲ وصفة الصفوة لابن الجوزي جزء ۱ و۲/۷۶ وتفسيرالمنار لرشيد رضا: ۹/۳۰۰

ولكن الهيثمي ضعف روايته في مجمع الزوائد:۸/۲۵۹ فقال:

ابن يزيد قال قال رسول الله (ص): فضلت على الأنبياء بخمس: بعثت إلى الناس كافة، ودخرت شفاعتي لأمتي، ونصرت بالرعب شهراً أمامي وشهراً خلفي، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي. رواه الطبراني وفيه إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك.

نبينا أول شافع يوم القيامة

في مصادرنا نصوص واضحة صريحة في أن نبينا صلى الله عليه وآله هو خطيب المحشر والشفيع الأول قبل الأنبياء، بل هو شفيع الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً.. وقد تقدم بعضها آنفاً وفي تفسير قوله تعالى (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا) وفي بعضها أن الله تعالى قد أذن لنبينا صلى الله عليه وآله بالشفاعة وهو في الدنيا فلا يحتاج إلى إذن يوم القيامة.

في تفسير القمي:۲/۲۰۱:

قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي العباس المكبر قال: دخل مولى لامرأة علي بن الحسين عليه السلام على أبي جعفر عليه السلام يقال له أبو أيمن فقال: يا أبا جعفر يغرون الناس ويقولون شفاعة محمد شفاعة محمد فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تربد وجهه ثم قال: ويحك يا أبا أيمن أغرك أن عف بطنك وفرجك! أما لو قد رأيت أفزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله! ويلك فهل يشفع إلا لمن وجبت له النار ثم قال: ما أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله يوم القيامة.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: إن لرسول الله صلى الله عليه وآله الشفاعة في أمته ولنا الشفاعة في شيعتنا ولشيعتنا الشفاعة في أهاليهم.

ثم قال: وإن المؤمن ليشفع في مثل ربيعة ومضر فإن المؤمن ليشفع حتى لخادمه ويقول: يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد.

ورواه في بحار الأنوار:۸/۳۸ وفي تفسير نور الثقلين:۴/۳۳۴، وقد تقدم ذلك في الرد على الخوارج.

الصحيفة السجادية:۲/۲۹۰:

اللهم أنزل محمداً في أشرف منازل الأبرار، اللهم اجعل محمداً أول شافع وأول مشفع، وأول قائل وأنجح سائل... اللهم أحسن عنا جزاءه، وعظم حباءه، وأكرم مثواه، وتقبل شفاعته في أمته، وفي من سواهم من الأمم، واجعلنا ممن تشفعه فيه، واجعلنا برحمتك ممن

يرد حوضه يوم القيامة. ونحوه فى المقنعة/۴۱۱

الصحيفة السجادية:۲/۳۰:

اللهم فارفعه بما كدح فيك إلى الدرجة العليا من جنتك، حتى لا يساوى فى منزلة، ولا يكافأ فى مرتبة، ولا يوازيه لديك ملك مقرب، ولا نبى مرسل، وعرفه فى أهله الطاهرين وأمته المؤمنين من حسن الشفاعة أجل ما وعدته، يا نافذ العدة، يا وافى القول، يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات، إنك ذو الفضل العظيم. ونحوه فى المقنعة/۱۲۵

تهذيب الأحكام:۳/۱۲۱:

اللهم إنى أسألك من فضلك بأفضله. اللهم واجعل محمداً صلى الله عليه وآله أدنى المرسلين منك مجلسا، وأفسحهم فى الجنة عندك منزلاً وأقربهم اليك وسيلة، واجعله أول شافع وأول مشفع، وأول قائل وأنجح سائل، وابعثه المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والاخرون يا أرحم الراحمين.

تأويل الآيات:۲/۳۷:

قال على بن إبراهيم: روى عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: لا يقبل الله الشفاعة يوم القيامة لأحد من الأنبياء والرسل حتى يأذن فى الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله فإن الله قد أذن له فى الشفاعة من قبل يوم القيامة فالشفاعة له ولأمير المؤمنين وللائمة من ولده ثم بعد ذلك للأنبياء (عليهم السلام) أجمعين. (ورواه فى تفسير القمى:۲/۲۰۱ ونحوه فى تفسير نور الثقلين: ۴/۳۳۴).

بحار الأنوار:۱۶/۳۲۶:

الأمالى: أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن مهدى، عن ابن عقدة، عن الحسن بن جعفر بن مدرار، عن عمه طاهر، عن الحسن بن عمار، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحارث، عن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع (أمالى ابن الشيخ ۱۷۰).

بحار الأنوار:۱۶/۳۰۴:

عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا. عسى من الله واجبة، والمقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه، أى يبعثك يوم القيامة بعثاً أنت محمود فيه، ويجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامة أى يقيمك ربك مقاماً يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة يشرف فيه على جميع الخلائق يسأل فيعطى ويشفع فيشفع، وقد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذى يشفع فيه للناس، وهو المقام الذى يعطى فيه لواء الحمد فيوضع فى كفه وتجتمع تحته الأنبياء والملائكة، فيكون صلى الله عليه وآله أول شافع وأول مشفع.

بحار الأنوار:۸/۴۷:

تفسير العياشى: عن عيص بن القاسم عن أبى عبد الله عليه السلام إن أناساً من بنى هاشم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشئ وقالوا: يكون لنا هذا السهم الذى جعله للعاملين عليها فنحن أولى به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يابنى عبدالمطلب إن الصدقة لا تحل لى ولا لكم، ولكنى وعدت الشفاعة ـ ثم قال: والله أشهد أنه قد وعدها ـ فما ظنكم يا بنى عبد المطلب إذا أخذت بحلقة الباب أترونى مؤثرا عليكم غيركم؟ ثم قال: إن الجن والإنس يجلسون يوم القيامة فى صعيد واحد، فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة فيقولون: إلى من؟ فيأتون نوحاً فيسألونه الشفاعة فقال: هيهات قد رفعت حاجتى، فيقولون: إلى من إلى إبراهيم، فيأتون إلى إبراهيم فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قدر رفعت حاجتى، فيقولون: إلى من فيقال: إيتوا موسى فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقول: هيهات قد رفعت حاجتى، فيقولون إلى من؟ فيقال إيتوا محمداً، فيأتونه فيسألونه الشفاعة فيقوم مدلاً حتى يأتى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب ثم يقرعه، فيقال: من هذا؟ فيقول: أحمد فيرحبون ويفتحون الباب، فإذا نظر إلى الجنة خر ساجداً يمجد ربه بالعظمة، فيأتيه ملك فيقول: إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فيرفع رأسه، فيدخل من باب الجنة فيخر ساجداً ويمجد ربه ويعظمه

فیأتیه ملک فیقول: إرفع رأسک وسل تعط واشفع تشفع، فیقوم فما یسأل شیئاً إلا أعطاه إیاه.انتهی.

وقد تقدمت الأحادیث بهذا المضمون، وهی محل اتفاق فی مصادر الطرفین، وفیها دلالهٔ علی أن نبینا صلی الله علیه وآله هوأول من یتقدم للشفاعهٔ یوم القیامهٔ.

الاحادیث الموافقهٔ لمذهبنا فی مصادر السنیین

فی مصادر السنیین نوعان من الأحادیث فی هذا الموضوع: فمنها ما یوافق مصادرنا، وقد روته صحاحهم کالذی رواه ابن ماجهٔ:۲/۷۲۴: عن الطفیل بن أبی بن کعب، عن أبیه أن رسول الله(ص)قال: إذا کان یوم القیامهٔ کنت إمام النبیین وخطیبهم وصاحب شفاعتهم، غیر فخر.

والذی رواه مسلم فی:۱/۱۳۰:

عن أنس بن مالک قال قال رسول الله (ص): أنا أول الناس یشفع فی الجنهٔ، وأنا أکثر الأنبیاء تبعاً...

عن أنس بن مالک قال قال رسول الله (ص): أنا أکثر الأنبیاء تبعاً یوم القیامهٔ، وأنا أول من یقرع باب الجنهٔ...

أنس بن مالک قال النبی (ص): أنا أول شفیع فی الجنهٔ، لم یصدَّق نبی من الأنبیاء ما صدِّقت، وإن من الأنبیاء نبیاً ما یصدقه من أمته إلا رجل واحد.

وروی فی:۷/۵۹:

عن أبی هریرهٔ قال قال رسول الله (ص): أنا سید ولد آدم یوم القیامهٔ، وأول من ینشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع. انتهی.

وفی سنن الترمذی:۵/۲۴۸:

عن ابن عباس قال: جلس ناسٌ من أصحاب رسول الله(ص)ینتظرونه قال فخرج حتی إذا دنا منهم سمعهم یتذاکرون فسمع حدیثهم فقال بعضهم: عجباً إن الله اتخذ من خلقه خلیلًا اتخذ من إبراهیم خلیلًا. وقال آخر: ماذا بأعجب من کلام موسی کلمه تکلیماً. وقال آخر: فعیسی کلمهٔ الله وروحه. وقال آخر: آدم اصطفاه الله. فخرج علیهم فسلم وقال: قد سمعت کلامکم وعجبکم، إن إبراهیم خلیل الله وهو کذلک، وموسی نجی الله وهو کذلک، وعیسی روحه وکلمته وهو کذلک، وآدم اصطفاه الله وهو کذلک، ألا وأنا حبیب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد یوم القیامهٔ ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع یوم القیامهٔ ولا فخر، وأنا أول من یحرک حلق الجنهٔ فیفتح الله لی فیدخلنیها ومعی فقراء المؤمنین ولا فحر، وأنا أکرم الأولین والآخرین ولا فخر. هذا حدیث غریب. انتهی. وروی نحوه ابن ماجه: ۲/۱۴۴۰ وأحمد فی:۳/۲

وفی سنن الدارمی:۱/۲۶:

عن أنس قال قال رسول الله (ص): أنا أولهم خروجاً، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطیبهم إذا أنصتوا، وأنا مشفعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أیسوا. الکرامهٔ والمفاتیح یومئذ بیدی، وأنا أکرم ولد آدم علی ربی.

وفی فردوس الأخبار: ۱/۸۰ ح ۱۲۴:

أنس بن مالک: أنا أول شفیع یوم القیامهٔ، وأنا أکثر الأنبیاء تبعاً یوم القیامهٔ، إن من الأنبیاء لمن یأتی یوم القیامهٔ ما معه مصدق غیر واحد. انتهی.

وفی شعب الإیمان للبیهقی:۲/۱۳۲ وص ۱۷۹:

أبو هریرهٔ قال قال رسول الله (ص): أنا سید ولد آدم، وأول شافع وأول مشفع.

وفی شعب الإیمان/۱۸۱:

عن أنس قال: سمعت النبی (ص) یقول: إنی أول الناس تنشق الأرض عن جمجمتی یوم القیامه، وأنا أول من یدخل الجنهٔ... ونحوه فی

تهذیب الکمال: ۱۵/۴۲۵ وج ۲۲/۵۵۱ وسیر أعلام النبلاء:۸/۲۹۳ وکنز العمال: ۱۱/۴۰۴ فما بعـدها بروایات متعددهٔ، وفی:۱۴/۳۹۳ فما بعدها. وفیه فی:۱۱/۴۳۵: أنا سـید المرسلین إذا بعثوا وسابقهم إذا وردوا، ومبشرهم إذا أیسوا، وإمامهم إذا سجدوا، وأقربهم مجلساً إذا اجتمعوا، أتکلم فیصدقنی، وأشفع فیشفعنی، وأسأل فیعطینی.

وفی الدر المنثور:۴/۹۳:

وأخرج ابن مردویه عن أنس بن مالـک (رض) قال وأول ما یأذن الله عزوجل له یوم القیامـهٔ فی الکلام والشـفاعهٔ محمـد(ص)فیقال له قل تسمع وسل تعطه قال: فیخر ساجداً فیثنی علی الله ثناء لم یثن علیه أحد فیقال إرفع رأسک...

وفی سیرهٔ ابن کثیر:۱/۱۹۵:

فروی الحافظ أبو القـاسم بن عسـاکر من طریق أبی الحسن بن أبی الحدیـد... عن ابن عباس قال: سألت رسول الله(ص)فقلت: فـداک أبی وأمی أین کنت وآدم فی الجنـهٔ؟ قال: فتبسم حتی بـدت نواجذه، ثم قال: کنت فی صـلبه ورکب بی السـفینهٔ فی صـلب أبی نوح، وقذف بی فی صـلب أبی إبراهیم، لم یلتق أبوای علی سـفاح قط، لم یزل الله ینقلنی من الأصـلاب الحسیبهٔ إلی الأرحام الطاهرهٔ، صفیاً مهذباً، لا تتشـعب شـعبتان إلا کنت فی خیرهما، وقد أخذ الله بالنبوهٔ میثاقی وبالإسـلام عهدی، ونشـر فی التوراهٔ والانجیل ذکری، وبین کل نبی صـفتی تشـرق الأرض بنوری والغمام بوجهی، وعلمنی کتابه وزادنی شـرفاً فی سـمائه، وشق لی اسـماً من أسـمائه فذو العرش محمود وأنـا محمـد وأحمـد، ووعـدنی أن یحبونی بـالحوض والکوثر، وأن یجعلنی أول شـافع وأول مشـفع، ثم أخرجنی من خیر قرن لامتی، وهم الحمادون یأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر.

فتاوی ابن باز:۱/۱۸۷:

قال رسول الله: أنا أول من ینشق عنه القبر یوم القیامهٔ، وأنا أول شافع وأول مشفع. انتهی.

الاحادیث المتأثرهٔ بالاسرائیلیات فی مصادر السنیین

والنوع الثانی من أحادیث السـنیین: أحادیث تجعل الشـفاعهٔ أولاً لابراهیم، ثم لموسـی، ثم لعیسـی (علیهم السـلام) وتجعل نبینا الشفیع الرابع علیهما السلام!!

روی الحاکم فی المسـتدرک:۴/۴۹۶ حـدیثاً طویلاً عن الـدجال ویأجوج ومأجوج وأشـراط الساعهٔ والقیامهٔ والشـفاعهٔ، وصـححه علی شرط الشیخین، وفیه أمورٌ وتفصیلاتٌ غیر معقولهٔ، جاء فیه:

عن أبی الزعراء قال کنا عند عبد الله بن مسـعود (رض) فذکر عنده الدجال فقال عبد الله بن مسـعود: تفترقون أیها الناس لخروجه علی ثلاث فرق، فرقـهٔ تتبعه وفرقهٔ تلحق بأرض آبائها بمنابت الشیـح، وفرقهٔ تأخذ شط الفرات یقاتلهم ویقاتلونه حتی یجتمع المؤمنون بقری الشام، فیبعثون الیهم طلیعهٔ فیهم فارس علی فرس أشقر وأبلق قال فیقتتلون فلا یرجع منهم بشر....

قال: ثم تقوم الساعهٔ علی شـرار الناس ثم یقوم ملک بالصور بین السـماء والأرض فینفخ فیه. والصور قَرْنٌ، فلا یبقی خلق فی السماوات والأرض إلا مات إلا من شاء ربک...

قال: ثم یقوم ملک بالصور بین السـماء والأرض فینفخ فیه فینطلق کل نفس إلی جسدها حتی یدخل فیه ثم یقومون فیحیون حیاهٔ رجل واحـد قیامـاً لرب العـالمین. قال: ثم یتمثل الله تعالی إلی الخلق فیلقاهم فلیس أحـد یعبـد من دون الله شـیئاً إلا وهو مرفوع له یتبعه، قال فیلقی الیهود فیقول من تعبـدون؟ قال فیقولون نعبـد عزیراً قال هل یسـرکم الماء؟ فیقولون نعم، إذ یریهم جهنم کهیئهٔ السـراب! قال ثم قرأ عبد الله: وعرضـنا جهنم یومئذ للکافرین عرضاً، قال ثم یلقی النصاری فیقول من تعبدون؟ فیقولون المسـیح، قال فیقول هل یسـرکم الماء؟ قال فیقولون نعم، قال فیریهم جهنم کهیئـهٔ السـراب! ثم کـذلک لمن کان یعبـد من دون الله شـیئاً. قال: ثم قرأ عبـد الله: وقفوهم إنهم مسؤولون.

قال: ثم يتمثل الله تعالى للخلق حتى يمر على المسلمين قال فيقول من تعبدون؟ فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، فينتهرهم مرتين أو ثلاثاً فيقول من تعبدون؟ فيقولون نعبد الله ولا نشرك به شيئاً. قال فيقول هل تعرفون ربكم؟ قال فيقولون سبحانه إذا اعترف لنا عرفناه! قال فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن إلا خر لله ساجداً، ويبقى المنافقون ظهورهم طبقاً واحداً كأنما فيها السفافيد! قال فيقولون: ربنا فيقول قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم سالمون.

قال ثم يأمر بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس كقدر أعمالهم زمراً كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم كأسرع البهائم، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعياً ثم مشياً، ثم يكون آخرهم رجلاً يتلبط على بطنه!

قال فيقول أى رب لماذا أبطأت بى؟ فيقول لم أبطئ بك، إنما أبطأ بك عملك.

قال ثم يأذن الله تعالى فى الشفاعة فيكون أول شافع روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام، ثم إبراهيم خليل الله، ثم موسى، ثم عيسى عليهما الصلاة والسلام قال: ثم يقوم نبيكم رابعاً، لا يشفع أحد بعده فيما يشفع فيه، وهو المقام المحمود الذى ذكره الله تبارك وتعالى: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا.

قال فليس من نفس إلا وهى تنظر إلى بيت فى الجنة أو بيت فى النار...

قال: ثم يشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون فيشفعهم الله.

قال ثم يقول الله: أنا أرحم الراحمين فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق برحمته، قال ثم يقول: أنا أرحم الراحمين، قال ثم قرأ عبدالله: مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، قال فعقد عبد الله بيده أربعاً ثم قال: هل ترون فى هؤلاء من خير؟ ما ينزل فيها أحد فيه. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

ورواه البيهقى فى البعث والنشور/۳۲۶ والديلمى فى فردوس الأخبار: ۱/۵۴ وص ۸۰ والنيسابورى فى الوسيط ج۴/۳۸۷ وابن منظور فى مختصر تاريخ دمشق:۱ جزء ۲/۱۷۰. وغيرهم.

أما الهيثمى فقد روى فى مجمع الزوائد:۹/۳۱ حديث أنه صلى الله عليه وآله أول شافع، ووصفه لأنه موضوع، وقال عن بعض طرقه فى:۸/۲۵۴ (وفيه صالح بن عطاء بن خباب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات)

ولكنه فى نفس الوقت ردَّ الحديث الذى صححه الحاكم على شرط الشيخين فى ج۱۰/۳۳۰ وقال (رواه الطبرانى وهو موقوف، مخالف للحديث الصحيح وقول النبى: أنا أول شافع)! فيبدو أنه اطلع على طريق آخر صحيح للحديث، غير الطريقين اللذين ضعفهما. ولكنا لم نطلع عليه.

البخارى يفضل أنبياء بنى إسرائيل على نبينا

أما البخارى فقد روى فى تاريخه الذى ألفه قبل صحيحه أن نبينا صلى الله عليه وآله هو الشفيع الأول، وتوقف فى رواية أنه الشفيع الرابع، لوجود ما يعارضها.

قال فى تاريخه:۴/۲۸۶:

عن جابر بن عبد الله: قال النبى (ص): أنا قائد المسلمين، ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر.

وقال فى تاريخه:۵/۲۲۱:

عبد الله بن هانى أبو الزعراء الكوفى سمع ابن مسعود (رض) سمع منه سلمة بن كهيل يقال عن أبى نعيم إنه الكندى روى عن ابن مسعود (رض) فى الشفاعة: ثم يقوم نبيكم رابعهم والمعروف عن النبى (ص): أنا أول شافع. ولا يتابع فى حديثه. انتهى.

ولكنه فى صحيحه لم يرو هذه الرواية ولا غيرها مما ينص على أن نبينا صلى الله عليه وآله أول شافع!

نعم، روى أن الشفاعة من مختصات نبينا صلى الله عليه وآله دون الأنبياء (عليهم السلام):

قال فى:۱/۱۱۳:

جابر بن عبد الله قال قال رسول الله (ص): أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة. انتهى.

وروى فى:۵/۲۲۶:

رواية الشفاعة المعروفة فى المصادر وأن الأنبياء (عليهم السلام)يهابون التقدم للشفاعة للخلق، ويطلبون من نبينا صلى الله عليه وآله أن يشفع إلى الله تعالى فيتقدم ويشفع.. وهى تدل على أنه صلى الله عليه وآله الشفيع الأول، قال فيها: إذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، إشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى مانحن فيه! فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى عز وجل ثم يفتح الله علىَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى، ثم يقال يا محمد إرفع رأسك، سل تعطه واشفع تشفع.انتهى.

والى هنا يبدو أنه لامشكلة..

ولكن البخارى روى فى صحيحه ما يعارض ذلك، ويجعل درجة نبى الله موسى عليه السلام فى درجة نبينا صلى الله عليه وآله أو أفضل منه! فقد روى أن النبى صلى الله عليه وآله نهى المسلمين أن يفضلوه على موسى، وقال إنه عندما يبعث من قبره يجد موسى جالساً عند العرش قبله!!

قال البخارى فى صحيحه:۷/۱۹۳:

عن أبى هريرة قال: استبَّ رجلان، رجلٌ من المسلمين ورجلٌ من اليهود، فقال المسلم: والذى اصطفى محمداً على العالمين، فقال اليهودى والذى اصطفى موسى على العالمين، قال فغضب المسلم عند ذلك فلطم وجه اليهودى، فذهب اليهودى إلى رسول الله(ص)فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم، فقال رسول الله (ص): لا تخيرونى على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطشٌ بجانب العرش، فلا أدرى أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلى؟ أو كان ممن استثنى الله؟! انتهى.

ورواه فى صحيحه فى سبعة مواضع أخرى على الأقل! فى:۳/۸۹، وج ۴/۱۲۶، وج ۵/۱۹۶، وج ۶/۳۴، وج ۸/۴۸، وص ۱۷۷، وص ۱۹۲، وهى رواياتٌ متفاوتة فى دلالتها على تفضيل موسى، ولكن مجموعها كاف فى الدلالة عليه، مهما حاول الشراح تأويلها!

فقد نصت الرواية المذكورة كما رأيت على نهى النبى صلى الله عليه وآله عن تفضيله على موسى، ووردت هذه العبارة (لا تخيرونى على موسى) فى رواية البخارى الأخرى:۷/۱۹۳ وفى:۸/۱۹۲ وكذا فى مسلم:۷/۱۰۱، وسنن أبى داود:۲/۴۰۷، وأحمد:۲/۲۶۴. وورد فى رواية:۵/۱۹۶ (قال لا تخيرونى من بين الأنبياء)

كما نصت على أن موسى عليه السلام مستثنى دون نبينا صلى الله عليه وآله من الصعقة التى يقول الله تعالى عنها: وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ. الزمر: ۶۸، وهذا امتيازٌ له على جميع الأنبياء! وروى مثلها فى:۸/۱۹۲.

وجاء فى:۸/۱۷۷:

(فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش) وزاد فى:۵/۱۹۶ وج ۸/۴۸ (فلا أدرى أفاق قبلى، أم جُزِىَ بصعقة الطور)

وفى:۵/۱۹۶:

(قال إنى أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش) وفى رواية أخرى فى غير البخارى أن النبى صلى الله عليه وآله أول ما ينفض رأسه من التراب يرى موسى جالساً عند العرش!!

قد يقال: إن رواية البخارى لا تدل على أن موسى أفضل من نبينا صلى الله عليه وآله لأنها تنص على أن استثناءه من الصعقة إنما هو بسبب صعقته فى الطور ولا علاقة له بالأفضلية.

والجواب: أن الرواية واردةٌ أساساً فى مقام بيان أفضلية موسى، أو بالأقل عدم أفضلية نبينا عليه، فهذا هو موضوع الخلاف بين المسلم واليهودى، وهو موضوع الحديث، وموضوع النهى المزعوم من النبى صلى الله عليه وآله عن تفضيله على موسى!!

وقد يقال: لو سلمنا أن الرواية تدل على مساواة موسى لنبينا صلى الله عليه وآله أو أفضليته عليه، فهى لا تدل على أن موسى هو الشفيع الأول.

والجواب: أن مقام الشفاعة الأول إنما أعطى لنبينا صلى الله عليه وآله بسبب أنه أفضل الأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً، فإذا ثبت أن موسى أفضل منه، فلا يبعد أن يكون هو رئيس المحشر وشفيعه.. الخ.

وقد حاولت بعض الروايات أن تحل المسألة مع الإسرائيليات حلاً سلمياً، فتجعل الافضلية لموسى، وتحتفظ بدرجة الشفيع الأول لنبينا صلى الله عليه وآله كالتى رواها الطبرى فى تفسيره:٢٤/٢٠ قال: عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبى الله قال: أتانى ملكٌ فقال يا محمد إختر نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فأومأ الىَّ أن تواضع، قال نبياً عبداً، قال فأعطيت خصلتين: أن جعلت أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، فأرفع رأسى فأجد موسى آخذاً بالعرش، فالله أعلم أصُعِقَ بعد الصعقة الأولى، أم لا. انتهى.

ولكنها على أى حال محاولاتٌ فى مصلحة تصديق الاسرائيليات التى لا نثق بها!

ومن جهة أخرى.. فإن تأويل الروايات الواردة فى موسى على نبينا وآله وعليه السلام حتى لو أمكن فهو لا يحل المشكلة، لأنه توجد فى صحاح إخواننا ومصادرهم روايات مشابهة عن كبار أنبياء بنى إسرائيل، فهى تفضلهم على نبينا صلى الله عليه وآله أو تجعلهم فى درجته، فلا بد من معالجتها جميعاً!

ويحاول العلماء السنيون حل المشكلة بالتأويلات والإحتمالات البعيدة، حتى لا يقعوا فى محذور رد الأحاديث الصحيحة أو تكذيب رواتها.. والدخول فى هذا البحث يخرجنا عن موضوعنا، وإن كان من بحوث السيرة المهمة، لكن نكتفى بذكر نماذج من هذه الأحاديث:

فمنها حديث الحاكم المتقدم الصحيح على شرط الشيخين، الذى يعطى الشفاعة فى الموحدين ليعقوب عليه السلام قبل نبينا صلى الله عليه وآله بحجة أن يعقوب هو الذبيح!!

ومنها حديث البخارى المتقدم فى:٤/١٣٣ حيث جاء فيه (فإنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذٌ بالعرش، فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلى. ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى!) ومثله فى مسلم:٧/١٠٠

وفى البخارى:٤/١٢٥:

عن ابن عباس عن النبى(ص)قال: لا ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى، ونسبه إلى أبيه.

وفى:٤/١٣٢:

عن ابن عباس أيضاً، عن النبى(ص)قال: لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس، زاد مسدد يونس بن متى. ونحوه فى:٤/١٣٢ و:٤/١٣٣ و:٥/١٨٥ وص ١٩٣ بروايتين، وفى:٨/٢١٣

وقد صرحت رواية مسلم:٧/١٠٢ بأنه حديث قدسى!! وأنه يشمل كل الناس حتى نبينا صلى الله عليه وآله قال:

عن النبى(ص)أنه قال يعنى الله تبارك وتعالى: لا ينبغى لعبد لى ـ وقال ابن المثنى لعبدى ـ أن يقول أنا خير من يونس بن متى عليه السلام)! وروى نحوه فى/١٠٣

أما ابن ماجة فقد شدد على الموضوع فروى فى:٢/١٤٢٨ عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال (ومن قال: أناخير من يونس بن متى فقد

كذب!. في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

وروى نحو ما في البخاري أبو داود في سننه:۲/۴۰۶ والترمذي ج۱/۱۱۸ وج ۵/۵۱

وعلل أفضلية يونس في كنز العمال:۱۲/۴۷۶:

فروى عن عدة مصادر، عن علي، عن النبي(ص)قال: لا ينبغي لأحد ـ وفي لفظ لعبد ـ أن يقول أنا خيرٌ من يونس بن متى، سبح الله في الظلمات!

أما رواياتهم عن نبي الله داود عليه السلام فقد تكون أكثر صراحةً بتفضيله على نبينا صلى الله عليه وآله!!

ففي مجمع الزوائد:۸/۲۰۶:

عن أبي الدرداء قال: وكان رسول الله(ص)إذا ذكر داود(ص)قال: كان أعبد البشر. رواه البزار في حديث طويل وإسناده حسن.

وفي كنز العمال:۱۲/۴۷۶:

عن ابن عساكر، عن أنس أن رجلاً ـ قال للنبي (ص): يا خير الناس، قال: ذاك إبراهيم! قال: يا أعبد الناس، قال: ذاك داود!!.

وفي:۳/۶۷۱ (إن أخي داود كان أعبد البشر)

وفي صحيح البخاري:۶/۳۱ ونحوه في:۴/۱۳۵:

قال سألت مجاهداً عن سجدة(سورة) (ص) فقال سألت ابن عباس: من أين سجدت (يعني لماذا) فقال: أو ما تقرأ: ومن ذريته داود وسليمان أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده، فكان داود ممن أُمِرَ نبيكم(ص)أن يقتدى به، فسجدها رسول الله(ص)!!

ونفس المشكلة تجدها في رواياتهم عن يحيى عليه السلام، فقد روى الهندي في كنز العمال:۱۱/۵۲۱ عن مسند أحمد وطبقات ابن سعد وغيرهما، عن ابن عباس: ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة، إلا يحيى بن زكريا، فإنه لم يهم بها ولم يعملها)

وفي كنز العمال:۱۱/۵۲۲ عن ابن عساكر: لا ـ ينبغي لاحد أن يقول أنا خير من يحيى بن زكريا، ما همَّ بخطيئة ولا جالت في صدره امرأة.

والنتيجة: أنه لابد للباحث من القول بأن روايات بني اسرائيل وجدت طريقها إلى مصادر إخواننا السنيين في عقيدة الشفاعة، وبقيت ضعيفة في بعض الحالات، ولكنها في حالات أخرى صارت إلى صفِّ الروايات الإسلامية وبستواها من الصحة.. وأحياناً صارت أقوى منها وحلت محلها!!

احسن تصور في مصادر السنيين عن شفاعة نبينا

حاول القاضي عياض في كتابه (الشفا) أن يقدم أفضل صورة عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله ولذلك لم يتقيد بروايات الصحاح، وجمع روايات لم يصححوها وجرَّدها من كثير من الإسرائيليات التي تفضل أنبياء بني إسرائيل على نبينا، كما جرَّد بعض رواياتها من تجسيم الإسرائيليات، وبقي في بعضها، ولم يجردها من التهم التي تضمنتها لادم وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) عندما يطلب الناس منهم الشفاعة يوم القيامة فيتكلمون عن خطاياهم وجرائمهم التي لم تغفر! فجاءت صورة عياض قريبة إلى أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، وكانت أحسن تصور قدمها عالمٌ سنيٌّ عن شفاعة النبي صلى الله عليه وآله.

وفيما يلي مقتطفات من كلامه من/۲۱۶ وما بعدها:

وعن أبي هريرة سئل عنها رسول الله(ص)يعني قوله: عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا، فقال: هي الشفاعة.

وروى كعب بن مالك عنه (ص): يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال: فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة، فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده.

وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله (ص): إنی لقائم المقام المحمود، قیل وما هو؟ قال: ذلک یوم ینزل الله تبارک وتعالی علی کرسیه...!

وقال جابر بن عبد الله لیزید الفقیر: سمعت بمقام محمد یعنی الذی یبعثه الله فیه: قال قلت نعم، قال: فإنه مقام محمد المحمود، الذی یخرج الله به من یخرج یعنی من النار، وذکر حدیث الشفاعة فی إخراج الجهنمیین.

وفی روایة أنس وأبی هریرة وغیرهما دخل حدیث بعضهم فی حدیث بعض قال (ص): یجمع الله الأولین والآخرین یوم القیامة فیلهمون فیقولون لو استشفعنا إلی ربنا. ومن طریق آخر عنه ماج الناس بعضهم فی بعض، وعن أبی هریرة: وتدنو الشمس فیبلغ الناس من الغم ما لا یطیقون ولا یحتملون، فیقولون ألا تنظرون من یشفع لکم فیأتون آدم فیقولون.....

وفی روایة: فآتی تحت العرش فأخر ساجداً، وفی روایة فأقوم بین یدیه فأحمده بمحامد لا أقدر علیها، إلا أنه یلهمنیها الله، وفی روایة: فیفتح الله علیَّ من محامده وحسن الثناء علیه شیئاً لم یفتحه علی أحد قبلی...

وفی روایة قتادة عنه قال فلا أدری فی الثالثة أو الرابعة فأقول یا رب ما بقی فی النار إلا من حبسه القرآن أی من وجب علیه الخلود...

ومن طریق زیاد النمیری عن أنس أن رسول الله(ص)قال: أنا أول من تنفلق الأرض عن جمجمته ولا فخر، وأنا سید الناس یوم القیامة ولا فخر، ومعی لواء الحمد یوم القیامة، وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر، فآتی فآخذ بحلقة الجنة، فیقال من هذا؟ فأقول محمد، فیفتح لی فیستقبلنی الجبار تعالی! فأخر ساجداً...

وفی روایة أنس سمعت رسول الله(ص)یقول: لاشفعن یوم القیامة لأکثر مما فی الأرض من حجر وشجر.

فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الاثار أن شفاعته(ص)ومقامه المحمود من أول الشفاعات إلی آخرها، من حین یجتمع الناس للحشر وتضیق بهم الحاجر، ویبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه، وذلک قبل الحساب، فیشفع حینئذ لاراحة الناس من الموقف، ثم یوضع الصراط ویحاسب الناس کما جاء فی الحدیث عن أبی هریرة وحذیفة، وهذا الحدیث أتقن، فیشفع فی تعجیل من لا حساب علیه من أمته إلی الجنة...

ثم یشفع فیمن وجب علیه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضیه الأحادیث الصحیحة ثم فیمن قال لا ـ إله إلا ـ الله. ولیس هذا لسواه(ص)...

وفی/۲۰۷:

أورد القاضی عیاض أحادیث فی أن نبینا صلی الله علیه وآله هو الشفیع الأول قبل غیره من الأنبیاء منها:

أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطیبهم إذا أنصتوا، وأنا شفیعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا، لواء الکرم بیدی وأنا أکرم ولد آدم علی ربی ولا فخر، ویطوف علیَّ ألف خادم کأنهم لؤلؤ مکنون.

وعن أبی هریرة: وأکسی حلةً من حلل الجنة، ثم أقوم عن یمین العرش لیس أحد من الخلائق یقوم ذلک المقام غیری.

وعن أبی سعید الخدری قال قال رسول الله (ص): أنا سید ولد آدم یوم القیامة، وبیدی لواء الحمد ولا فخر، وما نبی یومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائی، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر.

وعن ابن عباس رضی الله عنهما: أنا حامل لواء الحمد یوم القیامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من یحرک حلق الجنة فیفتح لی فأدخلها فیدخل معی فقراء المؤمنین ولا فخر، وأنا أکرم الأولین والاخرین ولا فخر.

وعن أنس (رض) قال النبی (ص): أنا سید الناس یوم القیامة، وتدرون لم ذلک؟ یجمع الله الأولین والآخرین.. وذکر حدیث الشفاعة.

وفی حدیث آخر: أما ترضون أن یکون إبراهیم وعیسی فیکم یوم القیامة، ثم قال إنهما فی أمتی یوم القیامة، أما إبراهیم فیقول أنت دعوتی وذریتی فاجعلنی من أمتک، وأما عیسی فالأنبیاء إخوة بنو علات أمهاتهم شتی، وإن عیسی أخی لیس بینی وبینه نبی، وأنا

أولى الناس به...

قوله أنا سيد الناس يوم القيامة: هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيامة ولكن أشار(ص)لإنفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره، إذ لجأ الناس إليه فى ذلك فلم يجدوا سواه. والسيد هو الذى يلجأ الناس إليه فى حوائجهم، فكان حينئذ سيداً منفرداً من بين البشر لم يزاحمه أحد فى ذلك ولا ادعاه. انتهى.

والنتيجة أن روايات الشفيع الأول فى مصادر السنيين متعارضة بشكل لا يمكن الجمع بينها فلا بد من ترجيح طائفة منها وإسقاط الأخرى، ولا شك فى أن الأرجحية للطائفة الموافقة لأحاديث أهل البيت (عليهم السلام) وللعقل، المخالفة لليهود.

مسألتا: الذبيح و أول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة

يوجد مسألتان على الأقل ترتبطان بمسألة الشفيع الأول، تغلب فيهما الإسرائيليات فى مصادر السنيين يناسب أن نتعرض لهما باختصار، خاصة أن شفاعة إسحاق وإبراهيم (عليهما السلام) وردت فى رواياتهما:

الأولى منهما فى تعيين الذبيح المذكور فى القرآن، وهل هو إسحاق أوإسماعيل؟

والثانية فى أول من يكسى كسوة الجنة يوم القيامة، هل هو إبراهيم أم نبينا صلى الله عليهما وآلهما!

المسألة الأولى

رأى الشيعة أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام كما سيأتى.

وقالت اليهود إن الذبيح هو إسحاق وليس اسماعيل.

قال السيد جعفر مرتضى فى (الصحيح) من السيرة:۲/۴۷:

السؤال الذى يلح فى طلب الإجابة عليه هو: من أين جاء هذا الأمر الغريب: أن الذبيح هو إسحاق؟

والجواب: هو ما قاله ابن كثير وغيره (إنما أخذوه والله أعلم من كعب الأحبار أو من صحف أهل الكتاب، وليس فى ذلك حديث صحيح عن المعصوم حتى نترك من أجله ظاهر الكتاب. [۱] .

فاليهود إذن قد أرادوا ترويج عقيدتهم بين المسلمين، وتخصيص هذه الفضيلة بجدهم إسحاق حسب زعمهم. ولكن اليهود أنفسهم قد فاتهم أن التوراة المتداولة نفسها متناقضة فى هذا الأمر، فإنها فى حين تقول (خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق. وإذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على..الخ. [۲] فقد عبرت هنا بكلمة وحيدك الدالة على أن إسحاق هو أكبر ولد إبراهيم، ولكنها تعود فتكذِّب نفسها وتنص على أن إسحاق لم يكن وحيداً وإنما ولِدَ وعمرُ إسماعيل أربعة عشر سنة. انتهى.

أما السنيون فقد تحيروا تحيراً شديداً فى من هو الذبيح، ووروت مصادرهم روايات (صحيحة) متناقضة! فقد روى الحاكم مثلاً عدة روايات فى أن الذبيح المذكور فى القرآن هو اسماعيل، وصحح بعضها على شرط الشيخين!

قال الحاكم فى:۲/۴۳۰:

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل: وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لابْرَاهِيمَ، قال من شيعة نوح إبراهيم على منهاجه وسنته. بلغ معه السعى: شب حتى بلغ سعيه إبراهيم فى العمل. فلما أسلما: ما أمرا به.

وتله للجبين: وضع وجهه إلى الأرض فقال لا تذبحنى وأنت تنظر عسى أن ترحمنى فلا تجهز على، إربط يدى إلى رقبتى ثم ضع وجهى على الأرض، فلما أدخل يده ليذبحه فلم يحرك المدية حتى نودى: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا فأمسك يده ورفع.

قوله فديناه بذبح عظيم: بكبش عظيم متقبل. وزعم ابن عباس أن الذبيح اسمعيل، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

وقال فى:۲/۵۵۴:

عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: الذبیح اسمعیل. هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه. انتهی.

وروی فی الصفحة التی بعدها:

عن عطاء بن أبی رباح عن عبد الله بن عباس رضی الله عنهما أنه قال: المفدی اسمعیل، وزعمت الیهود أنه إسحاق وکذبت الیهود. انتهی.

ثم روی الحاکم عدة روایات فی أن الذبیح هو إسحاق، وأنه هو الذی یشفع للموحدین! ولم یذکر فیها شیئاً عن شفاعة نبینا صلی الله علیه وآله وصحح بعضها أیضاً علی شرط الشیخین! قال فی:۲/۵۵۷ عن إحدی روایاته: قال الحاکم: سیاقة هذا الحدیث من کلام کعب بن ماتع الأحبار، ولو ظهر فیه سندٌ لحکمتُ بالصحة علی شرط الشیخین، فإن هذاإسنادٌ صحیحٌ لا غبار علیه!

وقال فی/۵۵۹:

حدثنا إسمعیل بن الفضل بن محمد الشعرانی، ثنا جدی، ثنا سنید بن داود، ثنا حجاج بن محمد، عن شعبة، عن أبی إسحاق، عن أبی الاحوص، عن عبد الله قال عبد الله قال: الذبیح إسحاق. هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.

وحدثنا محمد بن عمرو الأویسی، عن أبی الزبیر، عن جابر (رض) قال: لما رأی إبراهیم فی المنام أن یذبح إسحاق أخذ بیده. فذکره بطوله... قال الحاکم: وقد ذکره الواقدی بأسانیده. وهذا القول عن أبی هریرة، وعبد الله بن سلام، وعمیر بن قتادة اللیثی، وعثمان بن عفان، وأبی بن کعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، والله أعلم. وقد کنت أری مشائخ الحدیث قبلنا وفی سائر المدن التی طلبنا الحدیث فیها، وهم لا یختلفون أن الذبیح إسمعیل، وقاعدتهم فیه قول النبی (ص): أنا ابن الذبیحین، إذ لا خلاف أنه من ولد إسمعیل، وأن الذبیح الآخر أبوه الادنی عبد الله بن عبد المطلب. والان فإنی أجد مصنفی هذه الأدلة یختارون قول من قال إنه إسحاق. انتهی.

فقد بین الحاکم أنه یوجد عند السنیین اتجاهان فی تعیین الذبیح: قول بأنه اسماعیل، وهو الاتجاه الشعبی عند الناس وعند مشایخ الحدیث الاکثر تقدیساً للنبی صلی الله علیه وآله واختلاطاً بالناس، ولم یکن عندهم شکٌّ ولا خلافٌ بأن الذبیح اسماعیل.

وقول بأنه إسحاق، وهو اتجاه (مصنفی هذه الأدلة) أی مجموعات الأحادیث التی أمرت دولة الخلافة بتصنیفها، وکانت تکتبها علی دفاتر وتبعث بها إلی الآفاق، ومن راجع قصص دفاتر الزهری والعلماء الذین صنفوا الحدیث برعایة الدولة، یعرف أن مقصود الحاکم هؤلاء المصنفین! ثم أشار الحاکم إلی أن هذه الأحادیث أوجبت علیه أن یتوقف فیما هو مشهور عند مشائخ الحدیث، وأن یمیل إلی اتجاه المصنفین، وأن الذبیح إسحاق ولیس إسماعیل!

ثم أورد روایة عن وهب ابن منبه (الیهودی المقبول فی مصادرهم) تؤکد أن الذبیح إسحاق وأنه هو شفیع الموحدین!! قال الحاکم:

عن وهب بن منبه قال: حدیث إسحاق حین أمر الله إبراهیم أن یذبحه: وهب الله لإبراهیم إسحاق فی اللیلة التی فارقته الملائکة، فلما کان ابن سبع أوحی الله إلی إبراهیم أن یذبحه ویجعله قرباناً، وکان القربان یومئذ یتقبل ویرفع، فکتم إبراهیم ذلک إسحاق وجمیع الناس وأسرَّه إلی خلیل له، فقال العازر الصدیق وهو أول من آمن بابراهیم وقوله، فقال له الصدیق: إن الله لا یبتلی بمثل هذا مثلک ولکنه یرید أن یجربک ویختبرک، فلا تسوأن بالله ظنک فإن الله یجعلک للناس إماماً ولا حول ولا قوة لابراهیم وإسحاق إلا بالله الرحمن الرحیم. فذکر وهب حدیثا طویلاً إلی أن قال وهب: وبلغنی أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: لقد سبق إسحاق الناس إلی دعوة ما سبقها إلیه أحد! ویقومن یوم القیامة فلیشفعن لأهل هذه الدعوة، وأقبل الله علی إبراهیم فی ذلک المقام فقال:

إسمع منی یا إبراهیم أصدق الصادقین. وقال لاسحاق: إسمع منی یا أصبر الصابرین، فإنی قد ابتلیتکما الیوم ببلاء عظیم لم أبتل به أحداً من خلقی، ابتلیتک یا إبراهیم بالحریق فصبر صبراً لم یصبر مثله أحد من العالمین، وابتلیتک بالجهاد فیَّ وأنت وحیدٌ وضعیفٌ فصدقت وصبرت صبراً وصدقاً لم یصدق مثله أحد من العالمین، وابتلیتک یا إسحاق بالذبح فلم تبخل بنفسک ولم تعظم ذلک فی طاعة أبیک، ورأیت ذلک هنیئاً صغیراً فی الله کما یرجو من أحسن ثوابه ویسر به حسن لقائه، وإنی أعاهدکما الیوم عهداً لا أحبسن

به: أما أنت یا إبراهیم فقد وجبت لک الجنة علیَّ فأنت خلیلی من بین أهل الأرض دون رجال العالمین، وهی فضیلة لم ینلها أحد قبلک ولا أحد بعدک، فخرَّ إبراهیم ساجداً تعظیماً لما سمع من قول الله متشکراً لله.

وأما أنت یا إسحاق فتمنَّ علیَّ بما شئت، وسلنی واحتکم، أوتک سؤلک.

قال: أسألک یا إلهی أن تصطفینی لنفسک، وأن تشفعنی فی عبادک الموحدین، فلا یلقاک عبدٌ لا یشرک بک شیئاً إلا أجرته من النار.

قال له ربه: أوجبت لک ما سألت وضمنت لک ولأبیک ما وعدتکما علی نفسی، وعداً لا أخلفه، وعهداً لا أحبسن به، وعطاء هنیئاً لیس بمردود. انتهی.

والنتیجة أن الحاکم یشهد بأن الروایات القائلة بأن الذبیح اسماعیل صحیحة ومشهورة عند مشائخ الحدیث وعامة الناس.

ویشهد أیضاً بأن الروایات القائلة بأن الذبیح إسحاق صحیحة أیضاً عند أهل المصنفات، وهو یرجحها مع أنها مخالفة للمشهور!

لکن یبقی السؤال: من أین جاء هذان الاتجاهان فی المسألة!

أما البخاری فقد تهرب فی صحیحه من تعیین الذبیح ولکنه اختار فی تاریخه أنه إسحاق ولیس إسماعیل رغم وجود عدة روایات صحیحة علی شرطه تقول إنه اسماعیل ومن البعید جداً أنه لم یرها!

قال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۲۸۲:

وأخرج عبد بن حمید والبخاری فی تاریخه وابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم وابن مردویه عن العباس بن عبد المطلب قال: الذبیح إسحاق. انتهی.

بل یمکن القول إن البخاری اختار فی صحیحه أیضاً أن الذبیح إسحاق لأن الروایة الیتیمة التی رواها عن الموضوع اقتطعها وانتقاها من روایة مجاهد المتقدمة فی مستدرک الحاکم، وقد حذف منها أن الذبیح اسماعیل!!

قال البخاری فی صحیحه: ۸/۷۰:

باب رؤیا إبراهیم وقوله تعالی: فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْیَ قَالَ یَا بُنَیَّ إِنِّی أَرَی فِی الْمَنَامِ أَنِّی أَذْبَحُکَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَی... قال مجاهد: أسلما: سلما ما أمرا به، وتله: وضع وجهه بالأرض. انتهی.

ولابد أن البخاری لم یرتض رأی مجاهد فی أصل هذه الروایة وغیرها بأن الذبیح اسماعیل، ولذلک حذفه من تفسیره للایات الذی نقله عنه! ولکنه لم یشیر إلی ما فعل مع الأسف!

ومما یدل علی أن رأی مجاهد القاطع بأن الذبیح اسماعیل: ما رواه السیوطی فی الدر المنثور: ۵/۲۸۰ قال:

وأخرج سعید بن منصور وابن المنذر وابن أبی حاتم من طریق مجاهد ویوسف بن ماهک عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: الذبیح اسمعیل علیه السلام.

وأخرج عبد بن حمید وابن جریر من طریق یوسف بن مهران وأبی الطفیل عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: الذبیح اسمعیل علیه السلام.

وأخرج عبد بن حمید عن سعید بن المسیب وسعید بن جبیر قالا: الذی أراد إبراهیم علیه السلام ذبحه اسمعیل علیه السلام.

وأخرج ابن جریر عن الشعبی ومجاهد والحسن ویوسف بن مهران ومحمد بن کعب القرظی مثله. انتهی.

وأما مسلم، فلم نجد فیه روایة تعین الذبیح! ولو کان یری أنه إسماعیل لذکره، لوجود روایات عدیدة صحیحة علی شرطه فی ذلک، ومن البعید أنه لم یرها! فلا بد أنه کالبخاری والحاکم رجح أن الذبیح إسحاق.

أما لماذا فعل أصحاب المصنفات والصحاح ذلک؟

ولماذا أسقطوا الأحادیث الصحیحة بأن الذبیح اسماعیل!

فالجواب: أنهم فعلوه لحاجة فی نفس یعقوب!!

والحاجة التی فی نفس یعقوب هنا: أن قریشاً تبنت القول بأن الذبیح هو إسحاق حتی لا- تضطر إلی الإعتراف بحدیث (أنا ابن الذبیحین) لأن هذا الحدیث یعطی لعبد المطلب مقاماً شبیهاً بمقام إبراهیم علیه السلام وأنه کان ولیاً ملهماً کالأنبیاء وأن الله تعالی امتحنه فأمره بذبح أحد أبنائه.. وإذا اعترفت بذلک، فإن حق الحکم بعد النبی یجب أن یکون فی ذریة عبد المطلب دون غیرهم من بیوتات قریش وقبائلها!!

فالأفضل للقرشیین فی تصورهم أن یقولوا إن عبد المطلب وأبا طالب وکل أسرة النبی الماضین، کانوا کفاراً وأنهم فی النار، وأن ورثة سلطان النبی صلی الله علیه وآله هم جیل قریش الذین عاصروه من جمیع قبائل قریش الثلاث والعشرین!

ولهذا نجد أن شخص (الخلیفة) یتدخل فی هذا الموضوع ویصیر راویاً، ویقول إن النبی لم یقل إنه ابن الذبیحین، ولکن بدویاً فقیراً تقرب إلیه بهذه العبارة، فتبسم لها النبی صلی الله علیه وآله! وقد کان تبسمه اشتباهاً ورأیاً رآه من عنده ولم ینزل علیه به وحی!!

روی الحاکم فی المستدرک:۲/۵۵۴ عن: عبد الله بن سعید الصنابحی قال: حضرنا مجلس معاویة بن أبی سفیان فتذاکر القوم اسمعیل وإسحاق بن إبراهیم فقال بعضهم: بل إسحاق الذبیح فقال معاویة: سقطتم علی الخبیر کنا عند رسول الله فأتاه الاعرابی فقال: یا رسول الله خلفت البلاد یابسة والماء یابساً هلک المال وضاع العیال فعد علی بما أفاء الله علیک یابن الذبیحین فتبسم رسول الله ولم ینکر علیه!!

فقلنا یا أمیرالمؤمنین وما الذبیحان قال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ینحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بینهم فخرج السهم لعبد الله فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بنی مخزوم وقالوا: أرض ربک وافد ابنک. قال ففداه بمائة ناقة فهو الذبیح واسمعیل الثانی. انتهی.

وفی ظنی أن الراوی تصرف فی القسم الأخیر من کلام معاویة، لأنه فی القسم الأول نفی مسألة الذبیح من أصلها! ولا بد أن تکون بقیة حدیث معاویة فی نفی الذبیحین بلسان معاویة أو عن لسان النبی صلی الله علیه وآله!

لقد التقت مصلحة القرشیین فی هذه المسألة مع مصلحة الیهود! وکعب الأحبار وجماعته حاضرون لاغتنام هذه الفرصة، لیثبتوا أن الذبیح اسحاق، ولیس إسماعیل، وینقضوا علی الشفاعة للموحدین فیأخذوها من النبی صلی الله علیه وآله، ویجعلوها لاسحاق!!

ویتضح عمل کعب فی الموضوع من الروایة التالیة التی رواها عبد الرزاق فی تفسیره:۲/۱۲۳ عن الزهری عن القاسم بن محمد فی قوله: إنی أری فی المنام أنی أذبحک، قال: اجتمع أبو هریرة وکعب فجعل أبو هریرة یحدث کعباً عن النبی (ص) وجعل کعب یحدث أبا هریرة عن الکتب! فقال: أبو هریرة قال النبی (ص): إن لکل نبی دعوة مستجابة وإنی خبأت دعوتی شفاعة لامتی یوم القیامة فقال له کعب: أنت سمعت هذا من رسول الله! قال نعم.

قال کعب: فداه أبی وأمی أفلا أخبرک عن إبراهیم إنه لما رأی ذبح ابنه إسحاق قال الشیطان: إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهما أبدا فخرج إبراهیم بابنه لیذبحه فذهب الشیطان فدخل علی سارة فقال: أین ذهب إبراهیم بابنک قالت: غدا به لبعض حاجته فقال: إنه لم یغد به لحاجة إنما ذهب لیذبحه. قالت: ولم یذبحه! قال: یزعم أن ربه أمره بذلک! قالت: فقد أحسن أن یطیع ربه فی ذلک فخرج الشیطان فی أثرهما فقال للغلام أین یذهب بک أبوک قال لحاجته قال إنما یذهب بک لیذبحک! قال لم یذبحنی قال یزعم أن ربه أمره بذلک! قال والله لئن کان أمره بذلک لیفعلن. قال فترکه ولحق بإبراهیم فقال: أین غدوت بابنک فقال لحاجة قال: فإنک لم تغد به لحاجة إنما غدوت لتذبحه! قال ولم أذبحه قال تزعم أن ربک أمرک بذلک! قال: فوالله لئن کان أمرنی بذلک لافعلن. قال: فترکه ویئس أن یطاع. انتهی.

وروی الطبری فی تاریخه:۱/۱۸۷:

روایة معاویة وعدة روایات عن کعب الأحبار فی أن الذبیح إسحاق، ومنها روایة عبد الرزاق بألفاظ مشابهة وزاد فیها: فلما أخذ

إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق أعفاه الله وفداه بذبح عظيم قال إبراهيم لإسحاق قم أى بنى فإن الله قد أعفاك فأوحى الله إلى إسحاق إنى أعطيك دعوة أستجيب لك فيها قال إسحاق: اللهم فإنى أدعوك أن تستجيب لى أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة. انتهى.

وبذلك يقول لنا كعب: إن الذبيح هو إسحاق جد اليهود وليس جد العرب، ثم إنكم تزعمون أن محمداً يشفع فى الموحدين، وقد سبقه إلى ذلك إسحاق فلم يبق معنى لشفاعة نبيكم!

وقال السيوطى فى الدر المنثور:۵/۲۸۲:

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى فى شعب الإيمان عن كعب (رض) أنه قال لابى هريرة: ألا أخبرك عن اسحاق قال بلى قال: لما رأى إبراهيم أن يذبح إسحاق... وذكر شفاعة اسحاق للموحدين بنحو رواية الطبرى المتقدمة!

وقال ابن خلدون فى تاريخه:۲/۳۸:

واختلف فى ذلك الذبيح من ولديه، فقيل اسمعيل وقيل اسحاق وذهب إلى كلا القولين جماعة من الصحابة والتابعين فالقول باسمعيل لابن عباس وابن عمر والشعبى ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظى وقد يحتجون له بقوله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن الذبيحين ولا تقوى الحجة به لأن عم الرجل قد يجعل أباه بضرب من التجوز لا سيما فى مثل هذا الفخر!!

ويحتجون أيضاً بقوله تعالى: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَآءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ولو كان ذبيحاً فى زمن الصبا لم تصح البشارة بابن يكون له لأن الذبح فى الصبا ينافى وجود الولد ولا تقوم من ذلك حجة لأن البشارة إنما وقعت على وفق العلم بأنه لا يذبح وأنما كان ابتلاء لإبراهيم.

والقول بإسحاق للعباس وعمر وعلى وابن مسعود وكعب الأحبار وزيد بن أسلم ومسروق وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والزهرى ومكحول والسدى وقتادة. انتهى.

وينبغى الإلتفات هنا إلى أن أصل القول بأن الذبيح إسحاق من شخصين حسب رواية ابن خلدون وغيره:

الأول: الخليفة عمر مؤسس الخلافة القرشية وصاحب مشروع عزل بنى هاشم عن الخلافة.

والثانى: كعب الأحبار حامل راية الثقافة الإسرائيلية.

وقد ذكر الرواة المؤيدون للخلافة القرشية اسم على والعباس، ورووا عنهما أن الذبيح إسحاق لأنهما من أولاد عبد المطلب، ومن المناسب الإحتجاج بشهادتهما لسلب هذه المنقبة العظيمة عن عبد المطلب، التى تجعله بنص الرسول صلى الله عليه وآله إبراهيم الثانى!

ويظهر أن قريشاً وكعباً لم يستطيعوا إقناع جمهور المسلمين بمقولتهم المخالفة لظاهر القرآن، ولا إسكات بنى هاشم ومنهم ابن عباس بأن الذبيح هو إسحاق، وإن رووا ذلك عنهم، فقد بقى عوام المسلمين مع ظاهر القرآن وفطرتهم، وبقيت روايات أهل البيت الصريحة، وروايات ابن عباس التى تقدمت فى مستدرك الحاكم: ۲/۵۵۵: قال: المفدى إسمعيل وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود. انتهى. بقى كل ذلك يتحدى رواة الخلافة القرشية واسرائيلياتها!

[۱] البداية والنهاية:۱/۱۶۱ و۱۵۹ وراجع السيرة الحلبية:۱/۳۸ عن ابن تيمية.

[۲] سفر التكوين: الإصحاح ۲۲ الفقرة ۱ ـ ۳۳ ولتراجع سائر فقرات الإصحاح أيضاً.

رأى أهل البيت

تؤكد مصادر أهل البيت(عليهم السلام) أن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وقد قوى العلماء رواياته وضعفوا رواية أن الذبيح إسحاق حتى صار ذلك من مختصات مذهبنا.. ففى تفسير القمى:۲/۲۲۶: قال: وحدثنى أبى عن صفوان بن يحيى وحماد عن عبدالله بن

المغیرة عن ابن سنان عن أبی عبد الله علیه السلام قال سألناه عن صاحب الذبح فقال: اسماعیل. وروی عن رسول الله صلی الله علیه وآله أنه قال: أنا ابن الذبیحین یعنی اسماعیل وعبد الله بن عبد المطلب.

وفی تفسیر التبیان:۸/۵۱۷:

واختلفوا فی الذبیح فقال ابن عباس وعبد الله بن عمر ومحمد بن کعب القرطی وسعید بن المسیب والحسن فی إحدی الروایتین عنه والشعبی: إنه کان إسماعیل وهو الظاهر فی روایات أصحابنا ویقویه قوله بعد هذه القصة وتمامها: وبشرناه بإسحاق نبیاً من الصالحین فدل علی أن الذبیح کان اسماعیل. ومن قال: إنه بشر بنبوة إسحاق دون مولده فقد ترک الظاهر لأن الظاهر یقتضی البشارة بإسحاق دون نبوته.

ویدل أیضاً علیه قوله: فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق یعقوب ولم یذکر اسماعیل. فدل علی أنه کان مولوداً قبله.

وأیضاً فإنه بشره بإسحاق وأنه سیولد له یعقوب فکیف یأمره بذبحه مع ذلک؟ وأجابوا عن ذلک بأن الله لم یقل إن یعقوب یکون من ولد إسحاق.

وقالوا أیضاً یجوز أن یکون أمره بذبحه بعد ولادة یعقوب. والأول هو الاقوی علی ما بیناه. وقد روی عن النبی صلی الله علیه وآله أنه قال: أنا ابن الذبیحین ولا خلاف أنه کان من ولد اسماعیل والذبیح الآخر عبد الله أبوه. انتهی.

وفی تفسیر نور الثقلین:۴/۴۲۱:

فی أمالی شیخ الطائفة قدس سره بإسناده إلی سلیمان بن یزید قال: حدثنا علی بن موسی قال: حدثنی أبی عن أبیه عن أبی جعفر عن أبیه عن آبائه (علیهم السلام) قال: الذبیح اسماعیل علیه السلام.

وفی مهج الدعوات فی دعاء مروی عن أمیر المؤمنین علیه السلام عن النبی صلی الله علیه وآله: یا من فدی اسماعیل من الذبح.

وفی مستدرک الوسائل:۱۶/۹۸:

وفی العیون: عن أحمد بن الحسن القطان عن أحمد بن محمد بن سعید الکوفی عن علی بن حسن بن فضال عن أبیه قال: سألت أبا الحسن الرضا علیه السلام عن معنی قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین قال: یعنی إسماعیل بن إبراهیم الخلیل (علیهما السلام) وعبد الله بن عبدالمطلب... إلی أن قال: وأما الآخر فإن عبدالمطلب کان تعلق بحلقة باب الکعبة ودعا الله عز وجل أن یرزقه عشرة بنین ونذر لله عز وجل أن یذبح واحداً منهم متی أجاب الله دعوته فلما بلغوا عشرة قال: قد وفی الله تعالی لی فلافین لله عز وجل فأدخل ولده الکعبة وأسهم بینهم فخرج سهم عبد الله.. الخبر.

ابن شهر آشوب فی المناقب: تصور لعبد المطلب أن ذبح الولد أفضل قربة لما علم من حال اسماعیل فنذر أنه متی رزق عشرة أولاد ذکوراً أن ینحر أحدهم فی الکعبة شکراً لربه فلما وجدهم عشرة قال لهم: یا بنی ما تقولون فی نذری فقالوا: الأمر إلیک ونحن بین یدیک..الخبر. انتهی.

بحث فی إیمان عبدالمطلب و روایة أنا ابن الذبیحین

نظراً لاهمیة هذه المسألة وارتباطها بشفاعة النبی وشخصیة أبیه وجده صلی الله علیه وآله.. نستعرضها بشکل موجز، ونبین ظلامة عبد المطلب فی مصادر السنیین:

فقد روت مصادرهم بأسانید صحیحة عن لسان أصدق الصادقین الناطق بإلهام رب العالمین صلی الله علیه وآله، نقاطاً ملفتة فی مدح عبد المطلب، توجب الإعتقاد بأن شخصیته شخصیة ربانیة، وتوجب رفض الروایات التی تعارضها وتتهمه بالشرک وعبادة الأصنام!

فمن هذه الأحادیث:

أنه عندما انهزم المسلمون فی حنین وترکوا نبیهم صلی الله علیه وآله بین سهام الکفار ورماحهم وسیوفهم فی أشد ظروف الخطر، ولم

یبق معه إلا الملائکة وعلی وبعض بنی هاشم..ترجل صلی الله علیه وآله للحرب وافتخر علی الکفار بأمرین: نبوته، وأنه ابن عبد المطلب وباهاهم بذلک بین یدی الله تعالی وقاتلهم!

والنبی العادی لا یفتخر بجده وآبائه إذا کانوا کفاراً، فکیف بسید الأنبیاء والمرسلین وأتقی الموحدین صلی الله علیه وآله!

قال البخاری فی صحیحه:۵/۹۸:

عن أبی إسحاق قال سمعت البراء وجاءه رجل فقال: یا أبا عمارة أتولیت یوم حنین! فقال أما أنا فأشهد علی النبی(ص)أنه لم یول ولکن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن وأبو سفیان بن الحرث (بن عبد المطلب) آخذ برأس بغلته البیضاء (وهو) یقول:

أنا النبی لا کذب أنا ابن عبد المطلب

وقال البخاری فی:۳/۲۲۰:

قال: لا والله ما ولی النبی(ص)، ولکن ولی سرعان الناس، فلقیهم هوازن بالنبل، والنبی(ص)علی بغلته البیضاء، وأبو سفیان بن الحر ث آخذ بلجامها، والنبی(ص)یقول:

أنا النبی لا کذب أنا ابن عبد المطلب

وقال فی:۴/۲۸:

فلما غشیه المشرکون نزل فجعل یقول:

أنا النبی لا کذب أنا ابن عبد المطلب

قال: فما رؤی من الناس یومئذ أشد منه! ورواه مسلم فی:۵/۱۶۸ و ۱۶۹

وقال البخاری فی صحیحه:۴/۱۶۱:

باب من انتسب إلی آبائه فی الإسلام والجاهلیة. وقال ابن عمرو وأبو هریرة عن النبی (ص): إن الکریم ابن الکریم ابن الکریم بن الکریم یوسف بن یعقوب بن إسحاق بن إبراهیم خلیل الله. وقال البراء عن النبی (ص): أنا ابن عبد المطلب.

ومن هذه الأحادیث:

ما دل أن الله تعالی جعل فی شریعته الخالدة مالیة خاصة لأبناء عبد المطلب إلی یوم القیامة، فحرم علیهم الصدقات لأنها أوساخ الناس، وجعل لهم بدلها الخمس. وإن شخصاً یکون فی ذریته أبرار وأخیار بهذا المستوی إلی یوم القیامة، یستبعد أن یکون مشرکاً عابداً للأصنام!

قال النسائی فی سننه:۷/۱۳۴:

عن مجاهد قال الخمس الذی لله وللرسول کان للنبی(ص)وقرابته لا یأکلون من الصدقة شیئاً... قال الله جل ثناؤه: واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذی القربی والیتامی والمساکین وابن السبیل.

وقال أبو داود فی سننه:۲/۲۶:

حدثنا حسین بن علی العجلی، ثنا وکیع، عن الحسن بن صالح، عن السدی، فی ذی القربی قال: هم بنو عبد المطلب.

وقال النسائی:۵/۱۰۵:

باب استعمال آل النبی(ص)علی الصدقة... أخبرنا عمرو بن سواد بن الأسود بن عمرو عن ابن وهب قال حدثنا یونس عن ابن شهاب عن عبدالله بن الحرث بن نوفل الهاشمی أن عبد المطلب بن ربیعة بن الحرث بن عبد المطلب أخبره أن أباه ربیعة بن الحرث قال لعبد المطلب بن ربیعة بن الحرث والفضل بن العباس بن عبد المطلب ائتیا رسول الله(ص)فقولا له استعملنا یا رسول الله علی الصدقات، فأتی علی بن أبی طالب ونحن علی تلک الحال فقال لهما: إن رسول الله(ص)لا یستعمل منکم أحداً علی الصدقة، قال عبد المطلب: فانطلقت أنا والفضل حتی أتینا رسول الله(ص)، فقال لنا: إن هذه الصدقة إنما هی أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد!

وفى صحيح مسلم:۳/۱۱۸:

عن النبى صلى الله عليه وآله قال: إن الصدقة لاتنبغى لآل محمد، إنما هى أوساخ الناس... وقال أيضاً: ثم قال رسول الله (ص): أدعوا لى محمية بن جزء، وهو رجل من بنى أسد كان رسول الله(ص)استعمله على الأخماس. انتهى.

ونحوه فى سنن أبى داود:۲/۲۸ ومسند أحمد:۴/۱۶۶ والبيهقى فى سننه:۷/۳۱ ـ وشبهه فى:۶/۳۳۸

وروى إحدى رواياته الحاكم فى المستدرك:۳/۴۸۴وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وروى نحوه فى كنز العمال:۶/۴۵۸ بعدة روايات.

ومعنى قوله ادعوا لى محمية: أدعوا لى المسؤول عن الأخماس التى هى شرعاً لبنى عبد المطلب، حتى أعطى هؤلاء منها. وهو يدل على أن النبى صلى الله عليه وآله نفذ فى حياته الحكم الشرعى فى الخمس، وجعل له مسؤولاً هو محمية بن جزء، ولكن ذلك انتهى بوفاته، ولم يبق له أثرٌ عند خلفاء قريش!

وقد يشكل على هذا التشريع الإسلامى: بأنه قد أسس الطبقية فى المجتمع الإسلامى، وجعل أسرة النبى صلى الله عليه وآله من بنى هاشم وعبد المطلب، أسرة مميزة اجتماعياً ومالياً، بل ومترفعة على غيرها، فهى لا تأكل من أموال بيت المال التى تتجمع من الزكوات والضرائب لأنها أوساخ الناس، بل لها ماليتها الخاصة فى موارد الدولة.

وقد اختلف الفقهاء فى موارد مالية بنى عبد المطلب هذه، فحصرها فقهاء الخلافة القرشية بغنائم الحرب وجعلوا خمسها لذوى قربى النبى من بنى هاشم..وعممها فقهاء الشيعة لكل مايغنم فى الحرب والكسب، مما زاد على مصارف المسلم السنوية.. فقد يقال إن هذه الاموال تشكل ميزانية دولة فكيف يجعلها الله تعالى لاسرة النبى صلى الله عليه وآله؟!

والجواب: أولاً، أن الخمس ليس لأغنياء بنى هاشم، بل هو مختص بفقرائهم المؤمنين.

وثانياً، إن الاهتمام بالفقراء من أسر الأنبياء والنابغين أمر حضارى، فلو أن مجلس العموم البريطانى مثلاً أقرَّ قانوناً بإعطاء أبناء آينشتاين من أموال الدولة ما يكفى لمعيشة فقراءهم، بسبب أنهم من ذرية عالم نابغ، ويؤمل أن ينبغ منهم آخرون..لرأى فيه المعترضون على الخمس الإسلامى عملاً عصرياً صحيحاً، واهتماماً جيداً من دولة متحضرة!

فما هو الإشكال فى أن تهتم الشريعة الخاتمة بذرية سيد الأنبياء وأسرته صلى الله عليه وآله وتجعل لهم ميزانية من أزكى الموارد، لمن كان منهم مؤمناً محتاجاً.

وثالثاً، إن الذى يشكل على تشريع الخمس لال النبى صلى الله عليه وآله عليه أن يرجع إلى القرآن ليرى ما هو أعظم من الخمس، فإن نبينا صلى الله عليه وآله هو الوحيد من بين الأنبياء الذى أوجب الله تعالى على أمته إعطاءه أجراً على تبليغ الرسالة، وجعل هذا الأجر: مودة آله فقال (قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) ولذا أفتى كل فقهاء المذاهب بنفاق الناصبى الذى يكره آل النبى صلى الله عليه وآله، وأفتى بعضهم بكفره!

إن المتأمل فى آيات القرآن وتاريخ الأديان، لا ـ مفر له من القول بأن الله تعالى من الأصل قد اختار الأنبياء وأسرهم لتبليغ الدين الإلهى، وإقامة الحكم به فى المجتمعات البشرية. فالاسرة المختارة أساسٌ فى نظام الدين الإلهى، ولكنها أسرة مصطفاة من الله العليم بشخصيات عباده، الحكيم فى اختيار أنبيائه وأوليائه.. لا ـ كالاسر التى يختارها الناس بأهوائهم، أو بعلمهم المحدود، أو الأسر التى تتسلط بالقوة وتفرض نفسها على الناس!

قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. آل عمران ۳۳ ـ ۳۴

وقال عن جمهرة أسر الأنبياء:

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا

مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ. الأنعام: ٨٣ ـ ٨٩

وقال عن دعاء زكريا بالذرية الطيبة:

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ. آل عمران: ٣٨

وقال عن ذرية نبينا صلى الله عليه وآله وكثرتهم:

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ. الرعد: ٣٧ – ٣٨

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ. الكوثر: ١–٣

وقال عن دعاء الملائكة للذريات المؤمنة:

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ. رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. غافر: ٧ ـ ٩

وقال عن نظام الذرية والاسر فى الآخرة أيضاً:

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ. سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ. الرعد: ٢٢–٢٤

مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ. الطور: ٢٠ ـ ٢١ انتهى.

فنظام الأسرة والذرية نظام طبيعي فى بنى آدم، وقد أقره الله تعالى واستفاد منه فى الدين الإلهى.

وإذا كانت البشرية قد عانت الويلات والمآسى وأنواع الظلم والاضطهاد من نظام الاسر الفاسدة المتجبرة.. فإن ذلك يرجع إلى فساد تلك الأسر ولا يصح أن يكون سبباً لرفض بنية الأسرة وفكرتها.. فهذه البنية تختزن إيجابيات كبرى لحمل الرسالة واستمرارها كما أن فيها خطر سلبيات كبرى أيضاً وأن تتحول إلى ملك عضوض.. وقد تحدث القرآن عن الأجيال التى فسدت من أسر الأنبياء وأتباعهم فقال تعالى:

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا. فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا. إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا. مريم: ٥٨ ـ ٦٠

لكن عندما يختار الله تعالى أسرة كأسرة نبينا صلى الله عليه وآله ويصطفيها فليس معناه أنه يختار كل أفرادها على علاتهم بل معناه أنه يختارها بصورة عامة بسبب علمه بأنه سيوجد منها أفراد معصومون يختارهم لهداية الأمة وقيادتها.

ولو فكرت فيما نقلته الصحاح من قول النبى صلى الله عليه وآله فى حديث الثقلين (ولقد أخبرنى اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض) لما وجدت له معنى إلا أن الله تعالى أخبر نبيه بأنه سيكون من عترته شخص معصوم يواصل خط نبوته فى كل عصر إلى يوم القيامة! فالاختيار لبنى عبد المطلب كليٌّ عام لانهم معدن النبى صلى الله عليه وآله ومعدن الأئمة من عترته (عليهم

السلام) ولأنهم الأفضل بالمقايسة مع غيرهم من الأسر، فهى أقلهم سلبيات وأكثرهم إيجابيات.. وهو اختيار ترافقه تشريعات حازمة شرعها الله تعالى بشأنهم تتلخص بما يلى:

أن المودة والاحترام لجميع بنى هاشم، بشرط الإسلام والإيمان.

أن الخمس لفقرائهم المؤمنين بمقدار كفايتهم وتمشية أمور معيشتهم.

أن وجوب الإطاعة فقط لاولى الأمر المعصومين منهم (عليهم السلام) الذين هم الأئمة الإثنا عشر لاغير.. وقد تقدم فى الفصل الثامن تفسير آية المصطفين الذين أورثهم الله الكتاب بعد نبينا صلى الله عليه وآله، وأنهم محصورون فى ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام، وأن الصالحين منهم ثلاثة أنواع: سابق بالخيرات وهم الأئمة (عليهم السلام) ومقتصد وظالم لنفسه.

ومن الأمور الطريفة أن الذين ينتقدون الشيعة لتمسكهم بمودة أهل البيت وولايتهم (عليهم السلام) ويقولون إن مذهب التشيع مذهب أسرى، ينسون أنهم أسريون أكثر منا! فنحن نعتقد أن الخلافة فى هذه الأمة إلى يوم القيامة مخصوصة فى ذرية النبى عملاً بنصه صلى الله عليه وآله..بينما هم يقولون إن النبى صلى الله عليه وآله لم ينص على أحد، وبعضهم يقول إنه على أن الخلافة فى قريش إلى يوم القيامة، لأنهم قبيلة النبى صلى الله عليه وآله.

فنحن أسريون بالنص، وهم قبليون بغير نص، أو بنص!

ونطاق ولائنا نحن لبنى هاشم وعبد المطلب بصورة عامة، ولإثنى عشر إماماً منهم بصورة خاصة.. بينما نطاق ولائهم لبضع وعشرين قبيلة، هم مجموعة قبائل قريش، ومنهم أئمة الشرك، والكفر، والنفاق!

وقد روينا ورووا أن علياً عليه السلام بعد أن فرغ من مراسم تغسيل النبى والصلاة عليه ودفنه صلى الله عليه وآله بلغه أن بعض زعماء قريش ذهبوا إلى السقيفة حيث كان رئيس الأنصار مريضاً، واحتجوا على الأنصار بأنهم قوم النبى صلى الله عليه وآله وعشيرته وأولى منهم بسلطانه! فقال على عليه السلام فيما قال: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة!!

وغرضنا هنا أن نوضح أن جميع المسلمين ماعدا من شذ قد أجمعوا على أن نظام الحكم فى الإسلام بعد النبى صلى الله عليه وآله إما أن يكون أسرياً مخصوصاً بعترته عليهما السلام، أو قبلياً مخصوصاً بقبائل قريش الثلاث والعشرين أو الخمس والعشرين.

فنحن نقول إنه نظامٌ أسرى بالنص واختيار الله تعالى كما قال (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ)، والسنة يقولون إنه نظامٌ قبلى باختيار الناس لكن من داخل قريش، ولا يجب أن يكون الحاكم عندهم من أسرة النبى عليه السلام، بل لعله يستحبون أن يكون من غيرها!

ومن الأحاديث والنصوص الدالة على إيمان عبد المطلب:

ما ثبت فى الحديث والتاريخ من كرامات بل معجزات لعبد المطلب، فى حملة أبرهة لهدم الكعبة تدل على توحيده وإيمانه ويقينه، وعلى أنه كان يعرف أن الله تعالى سيرسل عليهم طيراً أبابيل، وكان يرسل بعص أولاده إلى الجبل لينظروا هل جاء سرب الطيور من قبل البحر!

ورووا كذلك مخاطبته للفيل وجواب الفيل له بالاشارة بأنه لن يدخل إلى محيط الكعبة... إلى آخر ما اتفق عليه المؤرخون والمحدثون مما لا يمكن أن يصدر إلا عن ولى مقرب!

ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على الكرامة التى أكرمه الله بها بأن أعاد نبع زمزم على يده وما رافق ذلك من آيات فقد كان الله تعالى أكرم بهذا النبع جده اسماعيل وأمه هاجر ثم نضب وعفى على مر الزمن حتى أعاده الله تعالى على يد عبد المطلب عن طريق الرؤيا الصادقة التى لا تكون إلا للأنبياء والاوصياء وكبار الأولياء.

ومن هذه الأحاديث والنصوص:

ما دل على معرفته بنبوة حفيده صلى الله عليه وآله، واهتمامه الخاص به ورعايته المميزة له فى طفولته وصباه، وتوصيته به إلى أرشد

أبنائه أبی طالب، وإخباره إیاه بأمره... إلی آخر ما اتفق علیه المؤرخون والمحدثون، مما لا یمکن أن یصدر إلا عن ولی مقرب!

ومن هذه الأحادیث والنصوص:

ما دل علی المکانهٔ الدینیهٔ التی کانت لعبد المطلب فی قلوب قبائل العرب وجماهیر ها والتی لم یکن لاحد مثلها حتی لرؤساء قبائلهم... کل ذلک مع حسد قریش له وعمل رؤسائها للحط من مکانته خاصهٔ بنو عبد الدار أصحاب لواء قریش الذین قادوا معرکهٔ بدر وبنو المغیرهٔ الذین کان یرأسهم أبو جهل وبنو أمیهٔ الذین کان یرأسهم صخر.

وقد نصت مصادر التاریخ علی هذه المکانهٔ وأن طابعها کان تقدیساً دینیاً غیر وثنی بل مرتبطاً بالکعبهٔ وزمزم وإسماعیل وإبراهیم (علیهم السلام). ویلاحظ ذلک من مواقف عقلاء العرب وأصحاب الاذهان الحرهٔ منهم واحترامهم للنبی صلی الله علیه وآله باعتباره ابن عبدالمطلب لأن عبد المطلب عندهم وارث أمجاد اسماعیل وإبراهیم وبرکتهما!

روی النسائی فی سننه:۴/۱۲۴:

عن أبی هریرهٔ قال بینما النبی(ص)مع أصحابه (إذ) جاء رجل من أهل البادیهٔ قال: أیکم ابن عبد المطلب

قالوا: هذا الامغر المرتفق. قال حمزهٔ: الامغر الأبیض مشرب حمرهٔ.

فقال: إنی سائلک فمشتد علیک فی المسألهٔ.

قال: سل عما بدا لک.

قال: أسألک بربک ورب من قبلک ورب من بعدک آلله أرسلک.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدک به آلله أمرک أن تصلی خمس صلوات فی کل یوم ولیلهٔ.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدک به آلله أمرک أن تأخذ من أموال أغنیائنا فترده علی فقرائنا.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدک به آلله أمرک أن تصوم هذا الشهر من إثنی عشر شهراً.

قال: اللهم نعم.

قال: فأنشدک به آلله أمرک أن یحج هذا البیت من استطاع إلیه سبیلا.

قال: اللهم نعم.

فقال: فإنی آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبهٔ. انتهی.

ورواه البخاری مختصراً فی صحیحه:۱/۲۳وأبوداود فی سننه:۱/۱۱۷ـ ۱۱۸ ویفهم من هذا النص أن لعبدالمطلب وأولاده مکانهٔ خاصهٔ فی قلوب المتفکرین من العرب..بل یشیر النص التالی فی صحیح البخاری إلی أن أولاد بنی عبد المطلب لهم ممیزات نورانیهٔ خاصهٔ. ففی:۵/۱۴۰: أن علی بن أبی طالب (رض)خرج من عند رسول الله(ص)فی وجعه الذی توفی فیه فقال الناس: یا أبا الحسن کیف أصبح رسول الله(ص)فقال أصبح بحمد الله بارئاً فأخذ بیده عباس بن عبد المطلب فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وإنی والله لاری رسول الله(ص)سوف یتوفی من وجعه هذا إنی لاعرف وجوه بنی عبد المطلب عند الموت...!! ورواه البخاری أیضاً فی:۷/۱۳۶

ومن هذه الأحادیث والنصوص:

ما دل علی العاطفهٔ النبویهٔ الجیاشهٔ التی کانت تفیض من قلب نبینا صلی الله علیه وآله علی بنی هاشم وبنی عبد المطلب وذریتهما وأحادیث ذلک کثیرهٔ صحیحهٔ ملیئهٔ بالدلالات لمن تأملها وجرد ذهنه عن ستار التلقین القرشی ضد عبد المطلب.

قال البخاری فی صحیحه:۲/۲۰۴:

عن ابن عباس رضی الله عنهما قال لما قدم النبی(ص)مکة استقبله أغیلمة بنی عبد المطلب فحمل واحداً بین یدیه وآخر خلفه.. ورواه فی:۷/۶۷

فهل کانت هذه العاطفة النبویة والحفاوة المحمدیة بأطفال کافرین! أم بأطفال آباؤهم طلقاء أسلموا لتوهم تحت السیف!

کلا بل کانت عاطفة علی غصون شجرة مبارکة یحملون إرث أجدادهم الأنبیاء والأوصیاء، ولم یظهر منهم إلی الآن انحراف عنها!!

وروی البخاری أن النبی صلی الله علیه وآله تعمد فی حجة الوداع أن یوعی الأمة علی ظلم قریش للنبوة، ولکل بنی هاشم وعبد المطلب!

قال البخاری فی:۲/۱۵۸:

عن أبی هریرة (رض) قال قال النبی(ص)من الغد یوم النحر وهو بمنی: نحن نازلون غدا بخیف بنی کنانة حیث تقاسموا علی الکفر. یعنی بذلک المحصب، وذلک أن قریشاً وکنانة تحالفت علی بنی هاشم وبنی عبد المطلب أو بنی المطلب، أن لا ـ یناکحوهم ولا یبایعوهم حتی یسلموا إلیهم النبی (ص). انتهی.

ثم لاحظ ذلک التعبیر النبوی الملی بالعاطفة والحنان والإیمان بنوعیة أبناء عبدالمطلب الممیزة حیث قال صلی الله علیه وآله کما حدیث الکافی الآتی (فما ظنکم یا بنی عبدالمطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة أترونی مؤثراً علیکم غیرکم!).

ویؤیده ما رواه ابن شبة فی تاریخ المدینة:۲/۲۶۴ قال:

حدثنا أبوحذیفة قال حدثنا سفیان عن أبیه عن أبی الضحی عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: جاء العباس (رض) إلی رسول الله(ص)فقال: إنک ترکت فینا ضغائن منذ صنعت الذی صنعت! فقال رسول الله (ص): لن یبلغوا الخیر أو قال الإیمان حتی یحبوکم لله ولقرابتی أیرجو سؤلهم شفاعتی عن مراد ولا یرجو بنو عبد المطلب شفاعتی انتهی. وروی نحوه غیره.

ومن هذه الأحادیث:

ما دل علی أن أولاده سادة أهل الجنة هم بنو عبد المطلب السبعة من بنی عبدالمطلب! فقد روی ابن ماجة فی سننه:۲/۱۳۶۸: حدثنا هدیة بن عبدالوهاب ثنا سعد بن عبد الحمید بن جعفر عن علی بن زیاد الیمامی عن عکرمة بن عمار عن إسحاق بن عبدالله بن أبی طلحة عن أنس بن مالک قال: سمعت رسول الله(ص)یقول: نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعلی وجعفر والحسن والحسین والمهدی. انتهی. وهو حدیث صحیح عند إخواننا السنة وقد أورنا مصادره وطرقه العدیدة فی معجم أحادیث الإمام المهدی علیه السلام فزادت علی مئة مصدر. وصحح العدید منها علماء الجرح والتعدیل.

إن المجموعة الواحدة من هذه النصوص تکفی الباحث السوی الذهن، لأن یعید النظر فی الأحکام التی أصدرتها الخلافة القرشیة وفقهاؤها علی عبد المطلب..! فکیف بهذه المجموعات الثمانیة مجتمعة، ومثلها معها!

وإذا أنهار البناء القرشیئ ضد عبد المطلب، انهارت الجدران القرشیة الأخری وانکشفت محاصرتهم الجدیدة لبنی هاشم وبنی عبد المطلب..التی أحکموها أکثر من محاصرتهم لهم فی شعب أبی طالب، لانهم فعلوها هذه المرة باسم الإسلام فطالت قروناً، وعمت أجیالاً، إلا من رحم ربک من أصحاب البصائر!

عبدالمطلب علیه سیماء الأنبیاء و بهاء الملوک

اتفقت أحادیث أهل البیت (علیهم السلام) علی أن عبد المطلب رضوان الله علیه مؤمن بالله الواحد الاحد علی ملة جده إبراهیم ولی من أولیاء الله ملهم بواسطة الملائکة والرؤیة الصادقة.. بل یحتمل الناظر فی هذه الأحادیث أن عبد المطلب کان من الأنبیاء وأنه کان مأموراً أن یعبد ربه علی دین إبراهیم ویأمر أولاده بذلک.

وقد روت ذلک مصادرنا وبعض مصادر السنیین قال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۹۸: وأخرج ابن أبی عمر العدنی فی مسنده والبزار

وابن أبی حاتم والطبرانی وابن مردویه والبیهقی فی الدلائل عن مجاهد فی قوله: وتقلبک فی الساجدین قال: من نبی إلی نبی حتی أخرجت نبیاً. انتهی.

قال المجلسی فی بحار الأنوار:۳۱/۱۵۵:

روی عن جعفر بن محمد علیه السلام أنه قال: یبعث الله عبد المطلب یوم القیامة وعلیه سیماء الأنبیاء وبهاء الملوک.

وروی الکلینی فی الکافی:۴/۵۸:

عن أحمد بن إدریس عن محمد بن عبدالجبار ومحمد بن إسماعیل عن الفضل بن شاذان جمیعاً عن صفوان بن یحیی عن عیص بن القاسم عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إن أناساً من بنی هاشم أتوا رسول الله صلی الله علیه وآله فسألوه أن یستعملهم علی صدقات المواشئ وقالوا: یکون لنا هذا السهم الذی جعله الله للعاملین علیها فنحن أولی به فقال رسول صلی الله علیه وآله الله: یا بنی عبد المطلب إن الصدقة لا تحل لی ولا لکم ولکنی قد وعدت الشفاعة ـ ثم قال أبو عبد الله علیه السلام: والله لقد وعدها ـ فما ظنکم یا بنی عبد المطلب إذا أخذت بحلقة باب الجنة أترونی مؤثرا علیکم غیرکم!

ثم قال: إن الجن والإنس یجلسون یوم القیمة فی صعید واحد فإذا طال بهم الموقف طلبوا الشفاعة فیقولون: إلی من فیأتون نوحا فیسألونه الشفاعة فیقول: هیهات قد رفعت حاجتی فیقولون إلی من فیقال: إلی إبراهیم فیأتون إلی إبراهیم فیسألونه الشفاعة فیقول: هیهات قد رفعت حاجتی فیقولون إلی من فیقال: إیتوا موسی فیأتونه فیسألونه الشفاعة فیقول: هیهات قد رفعت حاجتی فیقولون: إلی من فیقال: إیتوا عیسی فیأتونه ویسألونه الشفاعة فیقول: هیهات قد رفعت حاجتی فیقولون: إلی من فیقال إیتوا محمداً فیأتونه فیسألونه الشفاعة فیقوم مدلاً حتی یأتی باب الجنة فیأخذ بحلقة الباب ثم یقرعه فیقال: من هذا؟ فیقول: أحمد فیرحبون ویفتحون الباب فإذا نظر إلی الجنة خر ساجداً یمجد ربه ویعظمه فیأتیه ملک فیقول: إرفع رأسک وسل تعط واشفع تشفع فیرفع رأسه فیدخل من باب الجنة فیخر ساجداً ویمجد ربه ویعظمه فیأتیه ملک فیقول: إرفع رأسک وسل تعط وأشفع تشفع فیقوم فما یسأل شیئاً إلا أعطاه إیاه. ورواه فی تهذیب الأحکام:۴/۵۸ وتفسیر العیاشی:۲/۹۳ وتفسیر نور الثقلین:۲/۲۳۵ ووسائل الشیعة:۶/۱۸۵ ومستدرک الوسائل:۷/۱۱۹ وتفسیر نور الثقلین:۳/۲۱۰

هذا وقد تکفلت مصادر الحدیث والتفسیر عندنا بإثبات إیمان عبد المطلب وجمیع آباء النبی صلی الله علیه وآله، وقد وافقنا علی ذلک عدد من العلماء السنیین منهم السیوطی والفخر الرازی والشعرانی.. وغیرهم.

آراء شیعیة مخالفة للمشهور فی الذبیحین

رأی الشیخ الصدوق بأن إسحاق ذبیح أیضا

من لا یحضره الفقیه:۲/۲۳۰: وسئل الصادق علیه السلام عن الذبیح من کان فقال: إسماعیل علیه السلام لأن الله عز وجل ذکر قصته فی کتابه ثم قال: وبشرناه بإسحاق نبیاً من الصالحین.

وقد اختلفت الروایات فی الذبیح فمنها ما ورد بأنه إسماعیل ومنها ما ورد بأنه إسحاق ولا سبیل إلی رد الأخبار متی صح طرقها وکان الذبیح إسماعیل لکن إسحاق لما ولد بعد ذلک تمنی أن یکون هو الذی أمر أبوه بذبحه وکان یصبر لأمر الله عز وجل ویسلم له کصبر أخیه وتسلیمه فینال بذلک درجته فی الثواب فعلم الله عز وجل ذلک من قبله فسماه بین ملائکته ذبیحاً لتمنیه لذلک وقد ذکرت إسناد ذلک فی کتاب النبوة متصلاً بالصادق علیه السلام. انتهی.

وقال الجزائری فی هامش تفسیر القمی:۱/۳۵۱:

قال جدی السید الجزائری رحمه الله فی قصص الأنبیاء: اختلف علماء الإسلام فی تعیین الذبیح هل هو إسماعیل أو إسحاق فذهبت

الطائفة المحقة من أصحابنا وجماعة من العامة إلى أنه اسماعیل والأخبار الصحیحة دالة علیه مع دلالة غیرها من الآیات ودلائل العقل. وذهبت طائفة من الجمهور إلى أنه إسحاق وبه أخبار واردة من الطرفین وطریق تأویلها إما أن تحمل على التقیة وأما حملها على ما قاله الصدوق صار ذبیحاً بالنیة والتمنی... حمل رحمه الله قول النبی صلى الله علیه وآله (أنا ابن الذبیحین) على ذلک.

أقول: إن بعض الروایات المعتبرة کروایة هذا التفسیر وغیره آب عن الحمل فإنها مصرحة بذبح إسحاق حقیقة لا مجازاً وفداه بکبش فعلیه لا مجال إلى ما ذهب إلیه الصدوق رحمه الله من الحمل فإما أن تحمل هذه الروایات کما قال جدی رحمه الله على التقیة أو على تعدد الواقعة. انتهى.

ملاحظة: إن الشیخ الصدوق رحمه الله صحت عنده روایة أن الذبیح هو إسماعیل وروایة أنه إسحاق بالمجاز وصحت عنده روایة نذر عبد المطلب ذبح ولده عبد الله وقول النبی صلى الله علیه وآله (أنا ابن الذبیحین) ففسره بأنه ابن الذبیحین من وجهین: أی من جهة عبد الله واسماعیل ومن جهة اسماعیل وإسحاق. وقد صرح بذلک فی آخر کلامه فی الخصال. ولکن کلامه جاء متداخلاً فالتبس الأمر على الجزائری وعلى الغفاری وتصوراً أنه یفسره بالوجه الثانی فقط ویرفض الوجه الأول!

وروایته التی استند علیها فی أن إسحاق ذبیح مجازی روایة عامیة من نوع روایات معاصره الحاکم النیسابوری. ولو صحت لتعین ترجیح الموافق لمذهب أهل البیت (علیهم السلام) على الموافق للیهود والنواصب. أو حملها کما ذکر السید الجزائری على التقیة من الحکام خاصة أن المسألة کانت مطروحة فی دار الخلافة فی المدینة وفی قصور الخلافة فی الشام کما رأیت من روایاتها.

محاولة أحد المعاصرین تفسیر الذبیحین بإسماعیل و إسحاق

من لا یحضره الفقیه:۳/۸۹:

روى حماد بن عیسى عمن أخبره عن حریز عن أبی جعفر علیه السلام قال: أول من سوهم علیه مریم بنت عمران وهو قول الله عز وجل: وَمَا کُنْتَ لَدَیْهِمْ إِذْ یُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَیُّهُمْ یَکْفُلُ مَرْیَمَ والسهام ستة ثم استهموا فی یونس علیه السلام لما رکب مع القوم فوقعت السفینة فی اللجة فاستهموا فوقع السهم على یونس ثلاث مرات قال: فمضى یونس علیه السلام إلى صدر السفینة فإذا الحوت فاتح فاه فرمى نفسه.

ثم کان عند عبد المطلب تسعة بنین فنذر فی العاشر إن رزقه الله غلاماً أن یذبحه فلما ولد عبد الله لم یکن یقدر أن یذبحه ورسول الله صلى الله علیه وآله فی صلبه فجاء بعشر من الإبل فساهم علیها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشراً فلم تزل السهام تخرج على عبد الله ویزید عشراً فلما أن خرجت مائة خرجت السهام على الإبل فقال عبد المطلب: ما أنصفت ربی فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل فقال: الان علمت أن ربی قد رضی فنحرها. انتهى.

وقال الأستاذ على أکبر غفاری فی تعلیقه على هذا الحدیث:

جاءت هذه القصة فی کثیر من کتب الحدیث من الطریقین، واشتهرت بین الناس وأرسلها جماعة من المؤلفین إرسال المسلمات، ونقلوها فی مصنفاتهم دون أی نکیر، وهی کما ترى تضمنت أمراً غریباً بل منکراً لا یجوز أن ینسب إلى أحد من أوساط الناس والسذج منهم، فضلاً عن مثل عبدالمطلب الذی کان من الأصفیاء وهو فی العقل والکیاسة والفطنة على حد یکاد أن لا یدانیه أحد من معاصریه، وقد یفتخر النبی صلى الله علیه وآله مع مقامه السامی بکونه من أحفاده وذراریه ویباهی به القوم ویقول:

أنا النبی لا کَذِبْ أنا ابن عبد المطلب

وفی الکافی روایات تدل على عظمته وجلالته وکمال إیمانه وعقله ودرایته ورئاسته فی قومه، ففی المجلد الأول منه/۴۴۶ فی الصحیح عن زرارة عن أبی عبد الله علیه السلام قال: یحشر عبد المطلب یوم القیامة أمة وحده، علیه سیماء الأنبیاء وهیبة الملوک. یعنی إذا حشر الناس فوجاً فوجاً یحشر هو وحده، لأنه کان فی زمانه منفرداً بدین الحق من بین قومه، کما قاله العلامة المجلسی رحمه الله. وفی

حدیث آخر رواه الکلینی أیضاً مسنداً عن الصادق علیه السلام قال: یبعث عبد المطلب أمة وحده علیه بهاء الملوک وسیماء الأنبیاء، وذلک أنه أول من قال بالبداء.

وفی الحسن کالصحیح عن رفاعة عن أبی عبد الله علیها السلام قال: کان عبدالمطلب یفرش له بفناء الکعبة لا یفرش لاحد غیره، وکان له ولد یقومون علی رأسه فیمنعون من دنا منه... إلی أمثالها الکثیر الطیب کلها تدل علی کمال إیمانه وعقله وحصافة رأیه..وإن أردت أن تحیط بذلک خبراً فانظر إلی تاریخ الیعقوبی المتوفی فی أواخر القرن الثالث، وما ذکر من سننه التی سنها وجاء بها الإسلام مثل تحریمه الخمر، والزنا، ووضع الحد علیه، وقطع ید السارق، ونفی ذوات الرایات، ونهیه عن قتل المؤودة، ونکاح المحارم، وإتیان البیوت من ظهورها، وطواف البیت عریاناً وحکمه بوجوب الوفاء بالنذر، وتعظیم الأشهر الحرم، وبالمباهلة بمائة إبل فی الدیة. ثم تأمل کیفیة سلوکه مع أبرهة صاحب الفیل فی تلک الغائلة المهلکة المهدمة، کیف حفظ بحسن تدبیره وسدید رأیه قومه ودماءهم وأموالهم من الدمار والبوار، دون أی مؤونة، وقال: أنا رب الإبل ولهذا البیت رب یمنعه، مع أن الواقعة موحشة بحیث تضطرب فی أمثالها قلوب أکثر السائسین.

فإذا کان الأمر کذلک فکیف یصح أن یقال: إنه نذر أن یذبح سلیله وثمرة مهجته وقرة عینه قربة إلی الله سبحانه، وأن یتقرب بفعل منهی عنه فی جمیع الشرایع، والقتل من أشنع الأمور وأقبحها، والعقل مستقل بقبحه بل یعده من أعظم الجنایات، مضافاً إلی کل ذلک أن النذر بذبح الولد قرباناً للمعبود من سنن الوثنیین والصابئین، وقد ذکره الله تعالی فی جملة ما شنع به علی المشرکین، وقال فی کتابه العزیز بعد نقل جمل من بدعهم ومفتریانهم: وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ. الأنعام: ۱۳۷

وهذا غیر مسألة الوأد المعروف الذی کان بنو تمیم من العرب یعلمون به، فإن المفهوم من ظاهر لفظ الأولاد أعم من المذکور منهم والبنات، والوأد مخصوص بالبنات، وأیضاً غیر قتلهم أولادهم من إملاق أو خشیته، بل هو عنوان آخر یفعلونه علی سبیل التقرب إلی الإلهة.

فإن قیل: لعله کان مأموراً من جانب الله سبحانه کما کان جده إبراهیم علیه السلام مأموراً؟ قلنا: هذا التوجیه مخالف لظاهر الروایات، فإنه صرح فی جمیعها بأنه نذر مضافاً إلی أنه لو کان مأموراً فلا محیص له عنه ویجب علیه أن یفعله کما أمر، فکیف فداه بالابل ولم لم یقل فی جواب من منعه کما فی الروایات: إنی مأمور بذلک.

وبالجملة فی طرق هذه القصة وما شاکلها مثل خبر (أنا ابن الذبیحین) رواه جماعة کانوا ضعفاء أو مجهولین أو مهملین، أو علی غیر مذهبنا مثل أحمد بن سعید الهمدانی المعروف بابن عقدة، وهو زیدی جارودی أو أحمد بن الحسن القطان، وهو شیخ من أصحاب الحدیث عامی ویروی عنه المؤلف فی کتبه بدون أن یردفه بالترضیة،مع أن دأبه أن یتبع مشایخه بها إن کانوا إمامیة، وکذا محمد بن جعفر بن بطة الذی ضعفه ابن الولید وقال: کان مخلطاً فیما یسنده، وهکذا عبد الله بن داهر الأحمری وهو ضعیف کما فی الخلاصة والنجاشی، وأبو قتادة ووکیع بن الجراح وهما من رجال العامة ورواتهم ولا یحتج بحدیثهم إذا کان مخالفاً لاصول المذهب، وإن کانوا یسندون خبرهم إلی أئمة أهل البیت (علیهم السلام).

وإنک إذا تتبعت أسانید هذه القصة وما شابهها ما شککت فی أنها من مفتعلات القصاصین ومخترعاتهم نقلها المحدثون من العامة لجرح عبد المطلب ونسبة الشرک والعیاذ بالله إلیه، رغماً للامامیة حیث أنهم نزهوا آباء النبی صلی الله علیه وآله عن دنس الشرک.

ویؤید ذلک أن کثیراً من قدماء مفسریهم کالزمخشری والفخر الرازی والنیشابوری وأضرابهم، والمتأخرین کالمراغی وسید قطب وزمرة کبیرة منهم، نقلوا هذه القصة أو أشاروا إلیها عند تفسیر قوله تعالی: وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ، وجعلوا عبد المطلب مصداقاً للایة انتصاراً لمذهبهم الباطل فی اعتقاد الشرک فی آباء النبی صلی الله علیه وآله وأجداده.

قال العلامة المجلسی رحمه الله: اتفقت الإمامیة رضوان الله علیهم علی أن والدی الرسول صلی الله علیه وآله وکل أجداده إلی آدم

علیه السلام کانوا مسلمین بل کانوا من الصدیقین إما أنبیاء مرسلین أو أوصیاء معصومین ثم نقل عن الفخر الرازی أنه قال: قالت الشیعهٔ إن أحداً من آباء الرسول صلی الله علیه وآله وأجداده ما کان کافراً. ثم قال: نقلت ذلک عن إمامهم الرازی لیعلم أن اتفاق الشیعهٔ علی ذلک کان معلوماً بحیث اشتهر بین المخالفین.

وإن قیل: لا ملازمهٔ بین هذا النذر وبین الشرک، ویمکن أن یقال إن نذر عبدالمطلب کان لله، وأما المشرکون فنذروا لالهتهم.

قلت: ظاهر الآیهٔ أن النذر بذبح الولد من سنن المشرکین دون الموحدین، فالناذر إما مشرک أو تابع لسنن الشرک وجلَّت ساحهٔ عبد المطلب أن یکون مشرکاً والعیاذ بالله أو تابعاً لسنن المشرکین، والإصرار بتصحیح أمثال هذه القصص مع نکارتها کثیراً ما یکون من الغفلهٔ عما جنته ید الإفتعال.

ثم اعلم أن المصنف رضوان الله تعالی علیه لم یحتج بهذا الخبر فی حکم من الأحکام، إنما أورده فی هذا الکتاب طرداً للباب، ویکون مراده جواز القرعهٔ فقط وهو ظاهر من الخبر. انتهی.

ثم کرر الاستاذ الغفاری رأیه فی:۴/۳۶۸ فقال:

قال المصنف رحمه الله فی الخصال (۲۷/ باب الإثنین) قد اختلفت الروایات فی الذبیح، فمنها ما ورد بأنه اسماعیل لکن اسحاق لما ولد بعد ذلک تمنی أن یکون هو الذی أمر أبوه بذبحه فکان یصبر لأمر الله ویسلم له کصبر أخیه وتسلیمه، فینال بذلک درجته فی الثواب، فعلم الله عز وجل ذلک من قلبه فسماه بین الملائکهٔ ذبیحاً، لتمنیه لذلک. انتهی.

أقول: علی هذا فالمراد بالذبیحین إسماعیل وإسحاق: أحدهما ذبیح بالحقیقهٔ والآخر ذبیح بالمجاز، مع أن کلیهما لم یذبحا بعد. وتقدم فیه کلام: ۳/۸۹ والإشکال بأن إسحاق کان عما له دون أب ممنوع لأن إطلاق الاب علی العم شایع، وفی روایهٔ سلیمان بن مهران عن الصادق علیه السلام فی قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین یرید بذلک العم، لأن قد سماه الله عز وجل أبا فی قوله: أَمْ کُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ یَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِیهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِی قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَکَ وَإِلَهَ آبَائِکَ إِبْرَاهِیمَ وَإِسْمَاعِیلَ وَإِسْحَاقَ. وکان اسماعیل عم یعقوب فسماه الله فی هذه الموضع أباً، وقد قال النبی صلی الله علیه وآله: العم والد. فعلی هذا الأصل أیضاً یطرد قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین أحدهما ذبیح بالحقیقهٔ والآخر ذبیح بالمجاز. انتهی.

والجواب علی ما ذکره الأستاذ الغفاری:

أولاً: أن الروایهٔ التی استدل بها الصدوق علی أن اسحاق ذبیحٌ أیضاً مجازاً، عامیهٔ ضعیفهٔ، وقد ضعف سندها الأستاذ الغفاری نفسه من حیث لایدری کما ستری!

ثم إن إطلاق العم علی الأب فی اللغهٔ وإن کان أمراً شائعاً، ولکن لا ینطبق علی قول القائل (أنا ابن فلان) مفتخراً أو مباهیاً، لأن المتبادر منه الإفتخار بعمود نسبه من آبائه وأن منهم ذبیحین قربانین لله تعالی، لا من أعمامه، وإلا لقال: أنا من قوم فیهم ذبیحان أو من آل إبراهیم آل الذبیحین.

کما أن إطلاق اسم الذبیح المجازی علی إسحاق أیضاً ضعیف لغهً، لأن کلمهٔ (الذبیح) لا تصدق إلا علی من قصدوا ذبحه لله تعالی قصداً عملیاً حقیقیاً ورضی به، ولو کان یکفی لإطلاقها مجازاً أن الشخص قد أحب ذلک ونواه کما فی إسحاق، لصح أن تطلق علی کل آباء النبی أو جلهم، بل علی کثیر من المؤمنین، لأن أکثر الأنبیاء والاوصیاء والمؤمنین یحبون مقام إسماعیل وینوون أن لو کانوا مکانه لقبلوا بما قبل به.

فارتکاب المجاز فی معنی الإبن وجعله العم، ثم ارتکاب المجاز فی الذبیح وجعله من یحب أن یکون ذبیحاً.. خلاف الظاهر جداً، وهو یکاد یفرغ الکلمهٔ من هدفها بل من معناها!

ثانیاً: لعل الغفاری لم یطلع علی تاریخ القربان لله تعالی فی الشرائع الإلهیهٔ السابقهٔ، فقد کان عامهٔ الناس یقدمون قرابین من الانعام، وکان من المشروع أن یقدم کبار المؤمنین أحد أولاده قرباناً لله تعالی، وعلی أساسه کان منام إبراهیم صلی الله علیه وآله.. ولم یثبت

نسخ هذا التشریع قبل الإسلام.

فالمشرکون لم یخترعوا القربان لأوثانهم، وإنما أخذوه من الأدیان وجعلوه لآلهتهم المزعومهٔ بدل الله تعالی. وما عابه الله تعالی علیهم من قتلهم أولادهم وتقدیمهم إیاهم قرابین لآلهتهم، إنما عاب فیه شرکهم وتقربهم للأوثان.

ثالثاً: إن وجود عبد المطلب فی مجتمع وثنی یتقرب إلی الأصنام بالقرابین وقد یذبح أحدهم ولده قرباناً لصنمه.. وإعلان عبد المطلب أنه علی ملهٔ أبیه إبراهیم صلی الله علیه وآله، وإحیائه عدداً من سننها، وما جری فی عهده من حفظ الله تعالی لکعبهٔ إبراهیم فی حادثهٔ الفیل، وإعادهٔ ماء زمزم المفقود علی یده... کل ذلک یساعد علی فهم نذر عبد المطلب أنه إذا رزقه الله عشرهٔ أولاد أن یذبح أحدهم قرباناً لله تعالی علی ملهٔ إبراهیم، ویجعل هذا النذر أمراً طبیعیاً مشروعاً فی ذلک الوقت، بل دعوهً لعَبَدَهٔ الأصنام أن یعبدوا رب البیت رب إبراهیم، ویقدموا له قرابینهم، ولا یقدموها لأصنامهم.

أما لماذا نذر عبد المطلب ذلک، ولماذا عزم علی تنفیذ نذره جدیاً فشاور أولاده فأطاعوه، وأقرع بینهم فرست القرعهٔ علی عبدالله، وقال لأبیه کما قال إسماعیل.. ثم کیف تحلل من عبد المطلب من نذره بطریقهٔ القرعهٔ بین ذبح ولده أو نحر الإبل.. فهی إشکالات واردهٔ. وجوابها: أنها واردهٔ علی شریعتنا لا ـ علی شریعهٔ إبراهیم وعبد المطلب. وهی واردهٔ عندنا لعدم معرفتنا بتفاصیل الحادث وبالمستند الشرعی الذی استند علیه عبد المطلب فی نذره وطریقهٔ وفائه به.

ولکن معرفتنا بشخصیهٔ عبد المطلب وإیمانه العمیق، تکفی للقول بأنه لم یکن یقدم علی نذره ثم علی التحلل منه بالقرعهٔ إلا بحجهٔ بینهٔ من ربه تعالی.

ویکفینا لإثبات هذه الصفهٔ فی شخصیته، حادثتا زمزم والفیل حیث ظهر للناس علی نحو الیقین أنه کان یتلقی أوامره من ربه عز وجل! فما المانع أن تکون قصهٔ نذر ولده من هذه الإلهامات، خاصهٔ أن الولد الذی رست علیه القرعهٔ هو والد النبی صلی الله علیه وآله الذی أعطاه الله تعالی ما أعطی جده إسماعیل من شرف الرضا بأن یذبحه أبوه قرباناً لله تعالی، ثم فداه الله بطریقهٔ ألهمها لأبیه لیعطیه شرف أبوهٔ سید المرسلین صلی الله علیه وآله.

هذا، وقد روی الدکتور شوقی ضیف فی تاریخ الأدب العربی/۴۱ ط دار المعارف المصریهٔ، أن المنذر بن ماء السماء ملک المناذرهٔ المعاصر لعبد المطلب، والذی کان أعظم ملک وثنی فی العرب، قد أسر ابن الحارث بن شمر ملک الغساسنهٔ النصرانی فی حربه معه، فذبحه قرباناً للعزی!!

فلعل نذر عبد المطلب أن یذبح واحداً من أولاده لرب البیت سبحانه، کان تعزیزاً لدین ابراهیم، ورداً علی عمل المنذر، وإبطالاً لتأثیر عمله فی تعزیز مکانهٔ صنم العزی!

وأخیراً، فإن نذر عبد المطلب رضوان الله علیه لم یکن ارتجالاً ـ بل امتد وقته طویلاً ـ فقد ذکرت الروایات أنه کان فی أیام رؤیته الصادقهٔ فی حفر زمزم، وکان له ولدٌ واحدٌ، فنذر إن رزقه الله عشرهٔ أولاد وکبروا أن یذبح واحداً منهم قرباناً لله تعالی.. وقد یکون نذره تحقق بعد عشرین سنهٔ أو ثلاثین!

رابعاً: إن خصوم عبد المطلب أحرص الناس علی أن یجدوا له مذمهٔ أو منقصهٔ، وقد رأیت فی روایهٔ الحاکم المتقدمهٔ أن معاویهٔ ذکر نذر عبد المطلب، وأنه کان نذراً لله تعالی مرتبطاً بأمر الله له بحفر زمزم (قال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ینحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بینهم فخرج السهم لعبد الله، فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بنی مخزوم وقالوا: أرضِ ربک وافدِ ابنک).

فقد کان الأمر بحفر زمزم أمراً من الله تعالی وقد انکشفت صحته.. وهذا یقرب أن یکون النذر لله تعالی بأمره سبحانه، ویشیر إلیه أن عبد المطلب أخذ أولاده العشرهٔ إلی داخل الکعبهٔ وأقرع بینهم فخرجت القرعهٔ علی عبد الله ورضی عبد الله بها واستعد للذبح مختاراً، وقرر عبد المطلب تنفیذ ذلک کما قرر جده إبراهیم..ولکن أسرته ومحبیه من قریش وأخوال عبد الله طلبوا منه أن یرضی ربه بفدائه،

فتریث عبد المطلب یومه حتی أمره الله بطریقته التی کان یتلقی بها أن یقرع بین عبد الله وبین فدائه من الإبل، ویزید فی عدد الفداء حتی تخرج القرعة علیه فیفدیه به.

إنه لو کان فی عمل عبد المطلب منقصة لشنعوا بها علیه، ولکنها کرامة زادت من مکانته فی حیاته، وذکرت له باحترام وإجلال حتی من أعدائه بعد وفاته.

بل زادت من تفکیر الناس الوثنیین بإله إبراهیم وعبد المطلب، وهیأتهم للدعوة إلی عبادته بدل أصنامهم.

خامساً: لقد وقع الغفاری فی اشتباهین کبیرین: أولهما أنه جعل سند روایة الذبیح المجازی لروایة نذر عبد المطلب وضعفها بسببه! فإن ابن داهر وأبا قتادة ووکیع لم یردوا فی سند روایة النذر عن الإمام الرضا علیه السلام، بل وردوا فی روایة أن الذبیح المجازی إسحاق! وقد التبس الأمر علیه لأن الصدوق ذکر مضمونها قبل سندها، فیکون الأستاذ الغفاری قد ضعف دلیله متصوراً أنه ضعف روایة نذر عبد المطلب! ولیس فی روایة النذر ممن ضعفهم الغفاری إلا القطان الذی قال فیه (ویروی عنه المؤلف فی کتبه بدون أن یردفه بالترضیة) فإن کان هذا مستنده فی التضعیف فقد قال فی طرائف المقال/۱۵۵ عن القطان هذا (کثیراً ما یروی عنه الصدوق مترضیاً)!

ولو سلمنا ضعفه، فإن روایته المعتضدة بالشهرة التی سنذکر طرفاً منها والمخالفة للیهود والخط القرشی المعادی لعبد المطلب، والمؤیدة بتصحیح عدد من العلماء منهم الصدوق.. لهی جدیرة بالقبول.

والإشتباه الثانی الذی وقع فیه الاستاذ الغفاری أنه حسب أن روایة الإمام الصادق علیه السلام تتعلق بإطلاق الاب علی العم وترتبط بموضوع الذبیحین، مع أنها لا علاقة لها بالعم والأب، وإنما استشهد الصدوق علی ذلک بالآیة وبقول النبی صلی الله علیه وآله: العم أب. ویتضح الأمر من ملاحظة النص بتمامه وهو فی الخصال للصدوق کما یلی:

قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعید الکوفی قال: حدثنا علی بن الحسن بن علی بن فضال عن أبیه قال: سألت أبا الحسن علی بن موسی الرضا (علیهما السلام) عن معنی قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین قال: یعنی إسماعیل بن إبراهیم الخلیل (علیهما السلام) وعبد الله بن عبد المطلب. أما إسماعیل فهو الغلام الحلیم الذی بشر الله به إبراهیم: فلما بلغ معه السعی قال یا بنی إنی أری فی المنام أنی أذبحک فانظر ماذا تری قال یا أبت افعل ما تؤمر (ولم یقل له یا أبت افعل ما رأیت) ستجدنی إن شاء الله من الصابرین فلما عزم علی ذبحه فداه الله بذبح عظیم بکبش أملح یأکل فی سواد ویشرب فی سواد وینظر فی سواد ویمشی فی سواد ویبول ویبعر فی سواد وکان یرتع قبل ذلک فی ریاض الجنة أربعین عاماً وما خرج من رحم أنثی وإنما قال الله عز وجل له کن فکان لیفدی به إسماعیل فکل ما یذبح بمنی فهو فدیة لإسماعیل إلی یوم القیامة فهذا أحد الذبیحین.

وأما الآخر فإن عبد المطلب کان تعلق بحلقة باب الکعبة ودعا الله عز وجل أن یرزقه عشرة بنین ونذر لله عز وجل أن یذبح واحداً منهم متی أجاب الله دعوته فلما بلغوا عشرة أولاد قال: قد وفی الله لی فلأفین لله عز وجل فأدخل ولده الکعبة وأسهم بینهم فخرج سهم عبد الله أبی رسول الله صلی الله علیه وآله وکان أحب ولده إلیه ثم أجالها ثانیة فخرج سهم عبد الله ثم أجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله فأخذه وحبسه وعزم علی ذبحه فاجتمعت قریش ومنعته من ذلک واجتمع نساء عبدالمطلب یبکین ویصحن فقالت له ابنته عاتکة: یا أبتاه أعذر فیما بینک وبین الله عز وجل فی قتل ابنک: قال: فکیف أعذر یا بنیة فإنک مبارکة قالت: إعمد إلی تلک السوائم التی لک فی الحرم فاضرب بالقداح علی ابنک وعلی الإبل وأعط ربک حتی یرضی. فبعث عبدالمطلب إلی إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب السهام فخرج سهم عبد الله فما زال یزید عشراً عشراً حتی بلغت مائة فضرب فخرج السهم علی الإبل فکبرت قریش تکبیرة ارتجت لها جبال تهامة فقال عبد المطلب لا حتی أضرب بالقداح ثلاث مرات فضرب ثلاثاً کل ذلک یخرج السهم علی الإبل فلما کان فی الثالث اجتذبه الزبیر وأبو طالب وإخوانه من تحت رجلیه فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذی کان علی الأرض وأقبلوا یرفعونه ویقبلونه ویمسحون عنه التراب وأمر عبدالمطلب أن تنحر الابل بالحسرة ولا یمنع أحد منها وکانت مائة.

وکانت لعبد المطلب خمس سنن أجراها الله عز وجل فی الإسلام: حرم نساء الآباء علی الأبناء وسن الدیة فی القتل مائة من الإبل وکان یطوف بالبیت سبعة أشواط ووجد کنزاً فأخرج منه الخمس وسمی زمزم لما حفرها سقایة الحاج ولولا أن عبد المطلب کان حجة وأن عزمه علی ذبح ابنه عبد الله شبیه بعزم إبراهیم علی ذبح ابنه إسماعیل لما افتخر النبی صلی الله علیه وآله بالإنتساب إلیهما لأجل أنهما الذبیحان فی قوله علیه السلام: أنا ابن الذبیحین.

والعلة التی من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعیل هی العلة التی من أجلها رفع الذبح عن عبد الله وهی کون النبی صلی الله علیه وآله والأئمة (علیهم السلام) فی صلبهما فببرکة النبی والأئمة صلی الله علیه وآله رفع الله الذبح عنهما فلم تجر السنة فی الناس بقتل أولادهم ولولا ذلک لوجب علی الناس کل أضحی التقرب إلی الله تعالی ذکره بقتل أولادهم وکل ما یتقرب الناس به إلی الله عز وجل من أضحیة فهو فداء لإسماعیل إلی یوم القیامة.

قال مصنف هذا الکتاب أدام الله عزه: قد اختلف الروایات فی الذبیح فمنها ما ورد بأنه إسماعیل ومنها ما ورد بأنه إسحاق ولا سبیل إلی رد الأخبار متی صح طرقها وکان الذبیح إسماعیل لکن إسحاق لما ولد بعد ذلک تمنی أن یکون هو الذی أمر أبوه بذبحه فکان یصبر لأمر الله ویسلم له کصبر أخیه وتسلیمه فینال بذلک درجته فی الثواب فعلم الله عز وجل ذلک من قلبه فسماه الله عز وجل بین ملائکته ذبیحاً لتمنیه لذلک. وحدثنا بذلک محمد بن علی البشاری القزوینی (رض) قال: حدثنا المظفر بن أحمد القزوینی قال: حدثنا محمد بن جعفر الکوفی الأسدی عن محمد بن إسماعیل البرمکی عن عبدالله بن داهر عن أبی قتادة الحرانی عن وکیع بن الجراح عن سلیمان بن مهران عن أبی عبدالله الصادق جعفر بن محمد (علیهما السلام).

وقول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین یرید بذلک العم لأن العم قد سماه الله عز وجل أبا فی قوله أم کنتم شهداء إذ حضر یعقوب الموت إذ قال لبنیه ما تعبدون من بعدی قالوا نعبد إلهک وآله آبائک إبراهیم وإسماعیل وإسحاق. وکان إسماعیل عم یعقوب فسماه الله فی هذا الموضع أبا وقد قال النبی صلی الله علیه وآله: العم والد.

فعلی هذا الأصل أیضاً یطرد قول النبی صلی الله علیه وآله: أنا ابن الذبیحین أحدهما ذبیح بالحقیقة والاخر ذبیح بالمجاز واستحقاق الثواب علی النیة والتمنی فالنبی صلی الله علیه وآله هو ابن الذبیحین من وجهین علی ما ذکرناه. انتهی.

وأورده فی البحار:۱۲/۲۲ عن العیون والخصال.

وفی هذا النص أمور متعددة تکفی للرد علی رأی الاستاذ الغفاری حفظه الله فی إنکار قصة نذر عبد المطلب.. ومن هذه الأمور أن الصدوق حکم بصحة الروایة من عنوانها الذی وضعه لها.

ومنها قوة حجج الإمام الرضا علیه السلام فیها وسنذکر بعضها.

ومنها أن الصدوق قبل تفسیر الذبیحین بعبد الله واسماعیل من وجه، وبإسماعیل وإسحاق من وجه آخر، کما صرح فی آخر کلامه.

والواقع أن نقطة الضعف الوحیدة فیها هی اعتماد الصدوق رحمه الله علی روایة الذبیح بالمجاز العامیة.. والتی ضعفها الغفاری، والحمد لله!

سادساً: ولو أن المحقق الغفاری تأمل فی قول الإمام الرضا علیه السلام فی روایة الصدوق (ولولا أن عبد المطلب کان حجة وأن عزمه علی ذبح ابنه عبد الله شبیهٌ بعزم إبراهیم علی ذبح ابنه إسماعیل، لما افتخر النبی صلی الله علیه وآله بالإنتساب إلیهما لاجل أنهما الذبیحان فی قوله علیه السلام: أنا ابن الذبیحین.

والعلة التی من أجلها رفع الله عز وجل الذبح عن إسماعیل هی العلة التی من أجلها رفع الذبح عن عبد الله، وهی کون النبی صلی الله علیه وآله والأئمة (علیهم السلام) فی صلبهما.. فببرکة النبی والأئمة صلی الله علیه وآله رفع الله الذبح عنهما، فلم تجر السنة فی الناس بقتل أولادهم) لعرف أن إشکاله علی نذر عبد المطلب یرد بعینه علی إبراهیم صلی الله علیه وآله لأنهما عملان من نوع واحد، غایة الأمر أن إبراهیم أمر بالذبح فی المنام وأمر بالفداء بالوحی. ومادام عبد المطلب لانعرف کیف أمر بنذر الذبح والفداء، ولکن نعرف

أنه حجة وعمله صحیح، ولا بد أنه کان عنده حجة شرعیة علی نذره وفدائه.

وحینئذ فما یجاب به عن عمل إبراهیم، یجاب به عن عمل عبد المطلب بلا فرق، فلا معنی لاستظهار أن ذبح الولد کان من عادات المشرکین، ولا معنی للقول بأنه لو کان عبد المطلب نذر ذلک فلماذا لم یقدم علیه... الخ.

سابعاً: إن ما ذکره حفظه الله من ملاحظات روائیة لیس شاملاً ـ ولا مقنعاً، والظاهر أنه لم یطلع علی مصادر روایة (أنا ابن الذبیحین) وطرقها، واشتهارها عند الشیعة من العصر الأول، بل عند السنة أیضاً حتی أن فقهاءهم أخذوا بها، وإن لم یأخذ بها أهل صحاحهم، وممن صححها من الاحناف أبو بکر الکاشانی فی بدائع الصنائع:۵/۸۵ قال (ودلیل ما قلنا الحدیث وضرب من المعقول. أما الحدیث فقول النبی علیه الصلاة والسلام: أنا ابن الذبیحین أراد أول آبائه من العرب وهو سیدنا اسماعیل علیه الصلاة والسلام وآخر آبائه حقیقة وهو عبدالله بن عبد المطلب سماهما علیه الصلاة والسلام ذبیحین ومعلوم أنهما ما کانا ذبیحین حقیقة فکانا ذبیحین تقدیراً بطریق الخلافة لقیام الخلاف مقام الأصل. انتهی.

وقال ابن کثیر فی السیرة النبویة:۱/۱۸۴:

(وهو ابن عبد الله وکان أصغر ولد أبیه عبد المطلب وهو الذبیح الثانی المفدی بمائة من الإبل کما تقدم). انتهی.

وفی اطمئنانی أن المتتبع یجد لهذا الحدیث طرقاً أخری سواء فی مصادرنا أو فی مصادر السنیین، ویجد المزید ممن صححه من علماء الفریقین.

اول من یکسی کسوة الجنة

ذکرت بعض الروایات أن الناس یخرجون من قبورهم عریاً یوم القیامة ثم یکسون علی حسب عملهم. ولکن الظاهر أن المقصود بحدیث أول من یکسی هنا لیس الکسوة من العری، بل کسوة الجنة کما ورد فی النص.

وقد ادعی الیهود أن إبراهیم أول من یکسی کسوة الجنة یوم القیامة..ولا أظن أن هذه المسألة کانت مطروحة فی ثقافتهم، ولکن لما رأوا المسلمین یروون عن نبیهم صلی الله علیه وآله أنه رئیس المحشر، والشفیع الأول، وخطیب الأنبیاء، وأول من یکسی یوم القیامة..ادعی الیهود أن أول من یکسی إبراهیم، وروی ذلک أحبارهم الذین أسلموا (؟) عن رسول الله صلی الله علیه وآله!! وأخذها عنهم من أخذها من الرواة فدخلت فی مصادر المسلمین وثقافتهم، وساعد علیها أن إبراهیم هو جد النبی صلی الله علیهما وآلهما، وأن من المعقول أن یکون إکرام الله تعالی للجد قبل إکرام الابن.

وقد اختار البخاری أن أول من یکسی إبراهیم ولیس محمداً صلی الله علیهما وآلهما!قال فی صحیحه:۴/۱۱۰:

ابن عباس رضی الله عنهما عن النبی(ص)قال: إنکم تحشرون حفاة عراة غرلاً ثم قرأ: کما بدأنا أول خلق نعیده وعداً علینا إنا کنا فاعلین. وأول من یکسی یوم القیامة إبراهیم وإن أناسا من أصحابی یؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابی أصحابی فیقال إنهم لم یزالوا مرتدین علی أعقابهم منذ فارقتهم! فأقول کما قال العبد الصالح: وکنت علیهم شهیداً ما دمت قال العبد الصالح وکنت علیهم شهیداً ما دمت فیهم إلی قوله الحکیم. انتهی.

ورواه أیضاً فی:۴/۱۴۲ وروته بقیة الصحاح وغیرها بألفاظ متقاربة مثل الترمذی فی:۴/۳۸ والنسائی:۴/۱۱۷ والدارمی:۲/۳۲۵ وفیه (فیکون أول من یکسی إبراهیم یقول الله تعالی: إکسوا خلیلی فیؤتی بریطتین بیضاوین من ریاط الجنة ثم أکسی علی أثره)

وروی نحوه فی أحمد:۱/۳۹۸ ورواه أیضاً موجزاً فی:۱/۲۲۳ وص ۲۲۹ ورواه السیوطی فی الدر المنثور:۱/۱۱۶ عن أبی نعیم فی الحلیة وابن أبی شیبة وأحمد. ورواه فی:۲/۲۳۱ عن البیهقی فی الأسماء والصفات، وفی:۴/۱۹۷ عن أحمد وابن جریر وابن المنذر والحاکم وابن مردویه عن ابن مسعود

ورواه فی:۳/۲۸۴:

وفیه من تجسیمات الیهود لله تعالی (قال ذاک یوم ینزل الله فیه علی کرسیه یئط فیه کما یئط الرحل الجدید من تضایقه وهو کسعهٔ ما بین السماء والأرض ویجاء بکم حفاهٔ عراهٔ غرلا فیکون أول من یکسی إبراهیم یقول الله اکسوا خلیلی).

وقد حاول القسطلانی فی إرشاد الساری:۵/۳۴۳ أن یخفف من وقع الحدیث علی المسلمین فقال (ولا یلزم من تخصیص إبراهیم بأولیهٔ الکسوهٔ هنا أفضلیته علی نبینا (ص) لأن حلهٔ نبینا (ص) أعلی وأکمل وکم لنبینا (ص) من فضائل مختصه به لم یسبق إلیها ولم یشارک فیها ولو لم یکن له سوی خصوصیهٔ الشفاعه العظمی لکفی). انتهی.

ولعل القسطلانی رأی أن الیهود أخذوا الشفاعهٔ فی الموحدین من نبینا صلی الله علیه وآله وأعطوها لإسحاق علیه السلام! وصارت حدیثاً صحیحاً علی شرط الشیخین کما تقدم فی مستدرک الحاکم!

ومن المؤکد أنه رأی الأحادیث التی تنفی أن تکون الشفاعهٔ خصوصیهً لنبینا صلی الله علیه وآله، ورأی الروایات التی تفضل أنبیاء بنی اسرائیل حتی یونس ویحیی علی نبینا صلی الله علیه وآله، لأن البخاری رواها وشرحها القسطلانی وفسرها!

والذی یدخل فی بحثنا هنا أن نعرف لماذا وافقت الحکومهٔ القرشیهٔ الیهود من فی تقدیمهم إبراهیم علی نبینا صلی الله علیه وآله فی الکسوهٔ وفی الشفاعهٔ، وتبناها رواتهم؟!

یتوقف الجواب علی التأمل فی النص الذی روته صحاحهم، فقد تضمن موضوعین: أولهما أن أول من یکسی یوم القیامهٔ إبراهیم. والثانی أن بعض الصحابهٔ یؤمر بهم إلی النار، لانهم انحرفوا وکفروا بمجرد وفاهٔ النبی صلی الله علیه وآله. ولم یبین الحدیث العلاقهٔ بین الموضوعین! وبما أن النبی صلی الله علیه وآله أفصح من نطق بالضاد وقد أوتی جوامع الکلم، وکلامه دائماً مترابط.. فلا بد أن تکون فی الحدیث حلقهٔ مفقودهٔ.. عن عدم کسوهٔ بعض الصحابهٔ مثلاً فما هی!

هذه الحلقهٔ تجدها فی مصادر السنیین مجزأهٔ، ولکنک تجدها فی أحادیث أهل البیت (علیهم السلام) مجتمعهٔ، لأنها تذکر نص النبی صلی الله علیه وآله علی أن علیاً یوم القیامهٔ هو أول ینشق عنه قبره بعد النبی صلی الله علیه وآله وهو أول من یصافحه، وهو أول من یکسی بعده، وهو حامل لوائه لواء الحمد، وهو وزیره فی المحشر، وهو الساقی علی حوض النبی صلی الله علیه وآله

قال القاضی النعمانی فی شرح الأخبار:۲/۴۷۵:

فی حدیث وصیهٔ النبی صلی الله علیه وآله لعلی علیه السلام: یا علی أنا أکرم ولد آدم ولا فخر، ولیس بینی وبین ربی حجاب إلا النور، وأول من یکسی کسوهٔ الجنهٔ ولا فخر، وأول من یؤذن له فی الکلام ولا فخر، وأول من یؤذن له فی السجود ولا فخر، وأول من یؤذن له فی الشفاعهٔ ولا فخر، وأول من یسعی نوره أمامه ولا فخر.

وقال الصدوق فی من لا یحضره الفقیه:۴/۳۷۴:

یا علی: إن الله تبارک وتعالی أعطانی فیک سبع خصال: أنت أول من ینشق عنه القبر معی، وأنت أول من یقف علی الصراط معی، وأنت أول من یکسی إذا کسیت، ویحیی إذا حییت، وأنت أول من یسکن معی فی علیین، وأنت أول من یشرب معی من الرحیق المختوم الذی ختامه مسک. انتهی. ورواه فی الخصال/۳۴۲

وروی محمد بن عباس فی تأویل الآیات:۲/۶۵۷:

یا علی أول من تنشق عنه الأرض محمد ثم أنت، وأول من یحیی محمد ثم أنت، وأول من یکسی محمد ثم أنت. فانکب علی علیه السلام ساجداً وعیناه تذرفان بالدموع. انتهی.

وقال ابن شهر آشوب فی مناقب آل أبی طالب:۳/۲۶: قال الحمیری:

یدعو النبی فیکسوه ویکرمه رب العباد إذا ما أحضر الأمم

ثم الوصی فیکسی مثل حلته خضراء یرغم منها أنف من رغم

وله أیضاً:

عليٌّ غداً يدعى ويكسوه ربه ويدنوه منه فى رفيع مكرم

فإن كنت منه حيث يكسوه راغماً وتبدى الرضى كرهاً من الان فارغم

وقال أعرابى:

إن رسول الله يعطى لوا ء الحمد علياً حين يلقاه

يدعى فيعطى كسوة المصطفى وعن يمين العرش مثواه. انتهى.

فحديث الكسوة يوم القيامة فيه إذن سهم لعلى عليه السلام، فلا عجب إذا قفزت عنه قبائل قريش.

لكن السهم الأكبر لعلى والاخطر على قريش أنه هو الساقى على حوض النبى صلى الله عليه وآله وهو الذى يذود الذين قال عنهم البخارى (وإن أناساً من أصحابى يؤخذ بهم ذات الشمال) وقال عنهم فى:۸/۸۶ (قال أنا على حوضى انتظر من يرد على فيؤخذ بناس من دونى فأقول أمتى فيقول لا تدرى مشوا على القهقرى). انتهى.

وقال عنهم مسلم فى:۷/ ۶۸ ـ ۷۰ (قال رسول الله (ص) أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن عليهم، فأقول يارب أصحابى أصحابى! فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوابعدك!!... قال لاذودن عن حوضى رجالاً كما تذاد الغريبة من الإبل) ونحوه فى:۱/ ۱۵۰

وقد صرحت أحاديث أخرى بأن الذائد عن حوض النبى صلى الله عليه وآله هو على عليه السلام، من ذلك ما رواه الحاكم وصححه قال فى:۳/۱۳۸:

عن على بن أبى طلحة قال: حججنا فمررنا على الحسن بن على بالمدينة ومعنا معاوية بن حديج فقيل للحسن إن هذا معاوية بن حديج الساب لعلى فقال على به فاتى به فقال أنت الساب لعلى فقال: ما فعلت فقال والله إن لقيته وما أحسبك تلقاه يوم القيامة لتجده قائماً على حوض رسول الله صلى الله عليه وآله يذود عنه رايات المنافقين بيده عصا من عوسج! حدثنيه الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وقد خاب من افترى. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. انتهى.

وروى الديلمى فى فردوس الأخبار:۵/ ۴۰۸ ح ۸۳۱۴ عن أبى سعيد:

يا على أنت يوم القيامة بيدك عصاً من الجنة تذود بها المنافقين!!

وروى فى مناقب آل أبى طالب:۲/۱۲-۱۴ عن الفائق للزمخشرى:

أن النبى قال لعلى: أنت الذايد عن حوضى يوم القيامة، تذود عنه الرجال كما يذاد الأصيد. البعير الصادى أى الذى به الصيد والصيد داء يلوى عنقه.

ونقل فى المناقب قول حسان بن ثابت:

له الحوض لا شك يحبى به فمن شاء أسقى برغم العدى

ومن ناصبَ القوم لم يسقه ويدعو إلى الورد للأولى

وقول الحميرى:

أؤمل فى حبه شربةً من الحوض تجمع أمناً ورَيَّ

إذا ما وردنا غداً حوضه فأدنى السعيد وذاد الشقى

متى يدن مولاه منه يقل رِدِ الحوض واشرب هنيئاً مرى

وإن يدن منه عدوٌّ له يذده على مكاناً قصيا. انتهى.

وعلى هذا فذكر كسوة النبى صلى الله عليه وآله أولاً وعلى ثانياً عليه السلام، وأنه يذود الصحابة المنحرفين عن الحوض، حديث ليس فى مصلحة القرشيين، لأن معناه أن موقف على هو الصحيح وموقف من يعارضه خطأ..فالأسلم لهم الأخذ بحديث يكسى إبراهيم أولاً

والنبى ثانياً، لأنه ليس فيه ذكر لعلى!

وهكـذا التقت مصـلحهٔ قريش مع مصـلحهٔ اليهود.. وصـار حـديث كعب الأحبـار أسـلم طريق للتخلص من على بن أبى طـالب حتى لو صححه الحاكم، ولم يروه الشيخان!

وهكذا يدون الخلفاء السنهٔ، كما يكتب الحكام التاريخ!!

شفاعهٔ الملائكهٔ والأنبياء والعلماء والشهداء

من مصادرنا

قال الحميرى فى قرب الاسناد/۶۴:

عن مسـعدهٔ بن صدقـهٔ قال: حـدثنى جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه: أن رسول الله صـلى الله عليه وآله قال: ثلاثهٔ يشـفعون إلى اليوم القيامهٔ فيشفعهم: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء. انتهى.

ورواه فى مستدرك الوسائل:۱۱/۲۰ وتفسير نور الثقلين:۵/۲۶۴

من لا يحضره الفقيه:۴/۳۹۹:

إذا كان يوم القيامـهٔ جمع الله عز وجل الناس فى صـعيد واحـد، ووضـعت الموازين فتوزن دماء الشـهداء مع مداد العلماء، فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء.

علل الشرائع للصدوق:۲/۳۹۴:

عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامهٔ بعث الله عز وجل العالم والعابد، فإذا وقفا بين يدى الله عز وجل قيل للعابد: انطلق إلى الجنهٔ، وقيل للعالم قف تشفَّع للناس بحسن تأديبك لهم.

تفسير الإمام العسكرى ۷/۳۴۴:

وقـال على بن موسـى الرضا (عليهما السـلام): يقال للعابـد يوم القيامـهٔ: نعم الرجل كنت، همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤنتك، فادخـل الجنـهٔ. إلاـ إن الفقيه من أفـاض على النـاس خيره، وأنقـذهم من أعـدائهم، ووفر عليهم نعم جنـان الله، وحصل لهم رضوان الله تعالى. ويقال للفقيه: يا أيها الكافل لأيتام آل محمد الهادى لضعفاء محبيه ومواليه، قف حتى تشفع لكل من أخذ عنك أو تعلم منك، فيقف فيـدخل الجنـهٔ ومعه فئاماً وفئاماً حتى قال عشـراً، وهم الـذين أخذوا عنه علومه، وأخذوا عمن أخذ عنه، إلى يوم القيامهٔ، فانظروا كم فرقٌ ما بين المنزلتين!

وروى المجلسـى فى البحار حديثاً يدل على أن العالم الذى يشـفع يوم القيامهٔ ليس من العلماء السبعهٔ المذمومين.. قال فى بحار الأنوار ۸/۳۰۷: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن من العلماء من يحب أن يخزن علمه ولا يؤخذ عنه، فذاك فى الدرك الاسفل من النار.

ومن العلماء من إذا وعظ أنف، وإذا وعظ عنف، فذاك فى الدرك الثانى من النار.

ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوى الثروهٔ، ولا يرى له فى المساكين، فذاك فى الدرك الثالث من النار.

ومن العلماء من يـذهب فى علمه مـذهب الجبابرهٔ والسـلاطين، فإن رد عليه شـئ من قوله أو قصـر فى شـئ من أمره غضب، فذاك فى الدرك الرابع من النار.

ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ويكثر به حديثه، فذاك فى الدرك الخامس من النار.

ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول: سـلونى ولعله لا يصـيب حرفاً واحـداً والله لا يحب المتكلفين، فذاك فى الدرك السادس من النار.

ومن العلماء من یتخذ علمه مروةً وعقلاً، فذلک فی الدرک السابع من النار (نقلاً عن الخصال:۲/۷).

وفی تفسیر التبیان:۹/۶۵:

وقوله: ماللظالمین من حمیم ولا ـ شفیع یطاع، نفیٌ من الله أن یکون للظالمین شفیع یطاع، ویحتمل أن یکون المراد بالظالمین الکفار فهؤلاء لا یلحقهم شفاعهٔ شافع أصلاً، وإن حملنا علی عموم کل ظالم من کافر وغیره جاز أن یکون إنما أراد نفی شفیع یطاع، ولیس فی ذلک نفی شفیع یجاب، ویکون المعنی: إن الذین یشفعون یوم القیامهٔ من الأنبیاء والملائکهٔ والمؤمنین إنما یشفعون علی وجه المسألهٔ إلیه والاستکانهٔ إلیه، لا أنه یجب علی الله أن یطیعهم فیه.

تفسیر التبیان:۹/۴۲۹:

قوله تعالی: وَکَمْ مِنْ مَلَکٍ فِی السَّمَوَاتِ لا تُغْنِی شَفَاعَتُهُمْ شَیْئًا إلا مِنْ بَعْدِ أنْ یَأْذَنَ الله لِمَنْ یَشَاءُ وَیَرْضَی... یقول الله تعالی مخبراً بأن کثیراً من ملائکهٔ السموات لا تغنی شفاعتهم، أی لا تنفع شفاعتهم فی غیرهم بإسقاط العقاب عنهم شیئاً، إلا من بعد أن یأذن الله لمن یشاء أن یشفعوا فیه ویطلق لهم ذلک ویرضی ذلک.

وقیل: إن الغرض بذلک الإنکار علی عبدهٔ الأوثان وقولهم إنها تشفع لا الملک، إذا لم تغن شفاعته شیئاً فشفاعهٔ من دونه أبعد من ذلک. وفی ذلک التحذیر من الإتکال علی الشفاعهٔ لأنه إذا لم تغن شفاعهٔ الملائکهٔ کانت شفاعهٔ غیرهم أبعد من ذلک.

ولا ینافی ما نذهب إلیه من أن النبی صلی الله علیه وآله والأئمهٔ والمؤمنین یشفعون فی کثیر من أصحاب المعاصی فیسقط عقابهم لمکان شفاعتهم، لأن هؤلاء عندنا لا یشفعون إلا بإذن من الله ورضاه، ومع ذلک یجوز أن لا یشفعوا فیه، فالزجر واقع موقعه.

تفسیر التبیان:۷/۲۰۹:

قوله تعالی: یَوْمَئِذٍ یَتَّبِعُونَ الدَّاعِیَ لا عِوَجَ لَهُ وَ خَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إلا هَمْسًا. یَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَهُٔ إلا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِیَ لَهُ قَوْلا... أخبر الله تعالی أن ذلک الیوم لا تنفع شفاعهٔ أحد فی غیره، إلا شفاعهٔ من أذن الله له أن یشفع ورضی قوله فیها، من الأنبیاء والأولیاء والصدیقین والمؤمنین.

مجمع البحرین:۴/۴۶۷:

وفی الحدیث: الساعی بین الصفا والمروهٔ تشفع له الملائکهٔ بالإیجاب، أی القبول، یعنی أن الله تعالی یثبت لهم الشفاعهٔ.

دعائم الإسلام:۱/۳۴۳:

روینا عن رسول الله (ص) أنه قال: کل مؤمن من أمتی صدیق شهید، ویکرم الله بهذا السیف من شاء من خلقه، ثم تلا قول الله عز وجل: وَالَّذِینَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِکَ هُمُ الصِّدِّیقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

دعائم الإسلام:۱/۲۱۷:

وعن علی علیه السلام أنه قال: المریض فی سجن الله ما لم یشک إلی عواده، تمحی سیئآته. وأی مؤمن مات مریضاً مات شهیداً، وکل مؤمن شهید، وکل مؤمنهٔ حوراء، وأی میتهٔ مات بها المؤمن فهو شهید، وتلا قول الله جل ذکره: والذین آمنوا بالله ورسله أولئک هم الصدیقون والشهداء عند ربهم.

من مصادر السنیین

تاریخ البخاری:۹/۳۷:

عن أبی بکرهٔ عن النبی(ص)قال: یحمل الناس علی الصراط یوم القیامهٔ فیتقاذع بهم جنبتا الصراط تقاذع الفراش فی النار: ثم یؤذن للملائکهٔ والنبیین والشهداء والصالحین فیشفعون، ویخرجون فیشفعون ویرجون فیشفعون فیجابون.

سنن النسائی:۲/۲۲۹:

عن عطاء بن يزيد قال كنت جالساً إلى أبى هريرة وأبى سعيد فحدث أحدهما حديث الشفاعة والآخر منصت، قال: فتأتى الملائكة فتشفع وتشفع الرسل، وذكر الصراط قال قال رسول الله (ص): فأكون أول من يجيز، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه، وأخرج من النار من يريد أن يخرج، أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع فيعرفون بعلاماتهم أن النار تأكل كل شئ من ابن آدم إلا موضع السجود، فيصب عليهم من ماء الجنة، فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل.

سنن ابن ماجة:۲/۷۲۴:

عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله (ص): يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء.

ورواه البيهقى فى شعب الإيمان:۲/۲۶۵ والديلمى فى فردوس الأخبار:۵/۴۲۸ وكنز العمال:۱۰/۱۵۱ وتهذيب الكمال:۲۲/۵۵۱ وتهذيب التهذيب:۸/۱۹۵ ومجمع الزوائد:۱۰/۳۸۱ راجع أيضاً سنن البيهقى:۹/۱۶۴

سنن الترمذى:۴/۴۶:

عن أبى سعيد أن رسول الله(ص)قال: إن من أمتى من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة. هذا حديث حسن.

مسند أحمد:۳/۲۰:

عن أبى سعيد الخدرى عن النبى(ص)قال قد أعطى كل نبى عطية فكل قد تعجلها وإنى أخرت عطيتى شفاعة لأمتى، وإن الرجل من أمتى ليشفع للفئام من الناس فيدخلون الجنة، إن الرجل ليشفع للقبيله وإن الرجل ليسشفع للعصبة، وإن الرجل ليشفع للثلاثة، وللرجلين، وللرجل.

مجمع الزوائد:۱۰/۳۸۰:

باب شفاعة الصالحين. وعن أبى برزة قال سمعت رسول الله(ص)يقول: إن من أمتى لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر وإن من أمتى لمن يعظم للنار حتى يكون ركناً من أركانها. رواه أحمد ورجاله ثقات...

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص): إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة. رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وعن أنس عن رسول الله(ص)قال: سلك رجلان مفازة أحدهما عابد والآخر به رهق، فعطش العابد حتى سقط فجعل صاحبه ينظر إليه وهو صريع فقال والله لئن مات هذا العبد الصالح عطشاً ومعى ماء لا أصيب من الله خيراً وإن سقيته مائى لأموتن فاتكل على الله وعزم ورش عليه من مائه وسقاه من فضله قال فقام حتى قطع المفازة قال فيوقف الذى به رهق يوم القيامة للحساب فيؤمر به إلى النار فتسوقه الملائكة فيرى العابد فيقول يا فلان أما تعرفنى قال فيقوب من أنت قال أنا فلان الذى آثرتك على نفسى يوم المفازة قال فيقول بلى أعرفك قال فيقول للملائكة قفوا ويجى حتى يقف ويدعو ربه فيقول يا رب قد تعرف يده عندى وكيف آثرنى على نفسه يا رب هبه لى قال فيقول: هو لك ويأخذ بيده فيدخله الجنة. رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير أبى ظلال القسملى قد وثقه ابن حبان وغيره وضعفه غير واحد.

فردوس الأخبار للديلمى:۱/۳۹۶:

ابن عباس: إذا اجتمع العالم والعابد على الصراط قيل للعابد: أدخل الجنة وتنعم بعبادتك، وقيل للعالم هاهنا فاشفع لمن أحببت فإنك لا تشفع لأحد إلا شفعت، فقام مقام الأنبياء. ورواه فى كنز العمال:۱۰/۱۳۶ وص ۱۷۳ وص ۲۵۶

مجمع الزوائد:۵/۲۹۳:

قال رسول الله (ص): إن للشهيد عند الله عز وجل ست خصال: أن يغفر له فى أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج ثنتين وسبعين زوجه من الحور العين، ويشفع فى سبعين إنساناً من أقاربه. رواه أحمد هكذا قال مثل ذلك،

والبزار والطبرانی إلا أنه قال سبع خصال وهی کذلک، ورجال أحمد والطبرانی ثقات.

وعن أبی هریرة قال قال رسول الله (ص): الشهید یغفر له فی أول کل دفقة من دمه، ویزوج حوراوین ویشفع فی سبعین من أهل بیته، والمرابط إذا مات فی رباطه کتب له أجر عمله إلی یوم القیامة، وأتی علیه ریح برزقه، ویزوج سبعین حوراء، وقیل له قف فاشفع إلی أن یفرغ من الحساب ـ قلت روی ابن ماجة بعضه ـ رواه الطبرانی فی الأوسط عن شیخه بکر بن سهل الدمیاطی، قال الذهبی مقارب الحدیث وضعفه النسائی. انتهی. وروی عدداً من هذه الروایات فی مجمع الزوائد ۲/۹۸ وص ۱۱۵ وج ۴/۳۹۸ وص ۴۰۱ وص ۴۰۵ وص ۴۱۰

الدر المنثور:۶/۲۴:

وأخرج عبد بن حمید وابن جریر وابن المنذر عن مجاهد فی قوله: ولا یملک الذین یدعون من دونه الشفاعة، قال: عیسی وعزیر والملائکة. إلا من شهد بالحق قال کلمة الإخلاص. وهم یعلمون أن الله حق...

وأخرج عبد بن حمید وعبد الرزاق وابن جریر وابن المنذر عن قتادة فی قوله: إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ یَعْلَمُونَ، قال: الملائکة وعیسی وعزیر فإن لهم عند الله شفاعة.

الدر المنثور:۴/۹۴:

وأخرج الحاکم فی الکنی عن حماد (رض) قال: سألت إبراهیم عن هذه الآیة: ربما یود الذین کفروا کانوا مسلمین، قال: حدثت أن أهل الشرک قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام ما أغنی عنکم ما کنتم تعبدون، فیغضب الله لهم فیقول للملائکة والنبیین: اشفعوا لهم فیشفعون لهم فیخرجون حتی أن إبلیس لیتطاول رجاء أن یدخل معهم، فعند ذلک یود الذین کفروا لو کانوا مسلمین.

تفسیر الطبری:۲۵/۶۲:

اختلف أهل التأویل فی تأویل ذلک فقال بعضهم: معنی ذلک ولا یملک عیسی وعزیز والملائکة الذین یعبدهم هؤلاء المشرکین لشفاعة عند الله لاحد إلا من شهد بالحق فوحد الله وأطاعه... وأولی الأقوال فی ذلک بالصواب أن یقال: إن الله تعالی ذکره أخبره أنه لا یملک الذین یعبدهم المشرکون من الله الشفاعة عنده لأحد، إلا من شهد بالحق.. ویعنی بذلک أنهم یملکون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها، کما قال جل ثناؤه: ولا یشفعون إلا لمن ارتضی، فأثبت جل ثناؤه للملائکة وعیسی وعزیز ملکهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والأوثان، باستثنائه الذی استثناه.

تفسیر الطبری:۲۷/۳۷:

وقوله: وکم من ملک فی السموات لا تغنی شفاعتهم شیئاً یقول تعالی ذکره: وَکَمْ مِنْ مَلَکٍ فِی السَّمَوَاتِ لا تُغْنِی شَفَاعَتُهُمْ شَیْئًا، عند الله لمن شفعوا له شیئاً إلا أن یشفعوا له من بعد أن یأذن الله لهم، بالشفاعه لمن یشاء منهم أن یشفعوا له ویرضی، یقول ومن بعد أن یرضی لملائکته الذین یشفعون له أن یشفعوا له، فتنفعه حینئذ شفاعتهم..

تفسیر الرازی:۴ جزء ۷/۱۱:

هؤلاء المذکورون فی هذه الآیة (عْلَمُ مَا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) یحتمل أن یکونوا هم الملائکة وسائر من یشفع یوم القیامه من النبیین والصدیقیین والشهداء والصالحین.

الجواهر الحسان للثعالبی:۱/۳۵۱:

فیقول الله عز وجل: شفعت الملائکة وشفع النبیون وشفع المؤمنون، ولم یبق إلا أرحم الراحمین، فیقبض قبضة من النار فیخرج منها قوماً لم یعلموا خیراً قط.

الأنساب:۵/۶۲۳:

عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: قال رسول الله (ص): سبعة لهم شفاعة کشفاعة الأنبیاء: المؤذن، والإمام، والشهید وحامل القرآن،

والعالم، والمتعلم، والتائب.

ما يوجب أمل المسلم بشفاعة إخوانه المؤمنين له

الكافى:۲/۲۴۸:

عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن عبد الله عن خالد العمى عن خضر بن عمرو عن أبى عبد الله عليه السلام: المؤمن مؤمنان: مؤمن وفى لله بشروطه التى شرطها عليه فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وذلك من يشفع ولا يشفع له وذلك ممن لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة.

ومؤمن زلت به قدم فذلك كخامة الزرع كيفما كفأته الريح انكفأ وذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا والآخرة ويشفع له وهو على خير.

وروى نحوه فى الكافى:۲/۱۸۸ وفى تفسير نور الثقلين:۱/۵۱۴ وج ۴/۲۶۰

الكافى:۶/۳:

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إن أولاد المسلمين موسومون عند الله شافع ومشفع فإذا بلغوا اثنتى عشرة سنة كانت لهم الحسنات فإذا بلغوا الحلم كتبت عليهم السيئات.

الكافى:۸/۱۰۱:

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن على بن فضال عن على بن عقبة عن عمر بن أبان عن عبدالحميد الوابشى عن أبى جعفر عليه السلام قال... وإن المؤمن ليشفع لجاره وماله حسنة فيقول: يا رب جارى كان يكف عنى الأذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربك وأنا أحق من كافى عنك فيدخله الجنة وماله من حسنة! وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

وسائل الشيعة:۸/۴۰۷:

وعن إبراهيم بن الغفارى عن جعفر بن إبراهيم عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: أكثروا من الأصدقاء فى الدنيا فإنهم ينفعون فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيافحوائج يقومون بها وأما فى الآخرة فإن أهل جهنم قالوا: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ.

وعن أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد عن بعض أصحابه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: استكثروا من الأخوان فإن لكل مؤمن دعوة مستجابة وقال: استكثروا من الأخوان فإن لكل مؤمن شفاعة. وقال: أكثروا من مؤاخاة المؤمنين فإن لهم عند الله يداً يكافئهم بها يوم القيامة.

مستدرك الوسائل:۸/۳۲۳:

وقال على بن أبى طالب عليه السلام: عليكم بالاخوان فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة ألا تسمعون إلى قوله تعالى: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ.

بحار الأنوار:۸/۴۱:

ثواب الأعمال: أبى عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبى ولاد عن ميسر عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن المؤمن منكم يوم القيامة ليمربه الرجل له المعرفة به فى الدنيا وقد أمر به إلى النار والملك ينطلق به قال: فيقول له: يا فلان أغثنى فقد كنت أصنع إليك المعروف فى الدنيا وأسعفك فى الحاجة تطلبها منى فهل عندك اليوم مكافاة فيقول المؤمن للملك المؤكل به: خل سبيل قال: فيسمع الله قول المؤمن فيأمر الملك أن يجيز قول المؤمن فيخلى سبيله. (المصدر/۱۶۷)

من مصادر السنيين

تاريخ البخارى:۶/۵۳۳:

روى وكيع عن محمد بن قيس قال: أدنى أهل الجنة منزلة الذى يشفع فى الرجل من أهل بيته.

مسند أبى يعلى:۲/۲۹۲:

حدثنا أبوبكر حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا بن أبى زائدة حدثنى عطية عن أبى سعيد عن النبى(ص)قال: من أمتى من يشفع للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته.

فردوس الأخبار للديلمى:۱/۱۰۵:

أنس بن مالك: أكثروا من المعارف من المؤمنين، فإن لكل مؤمن شفاعة عند الله يوم القيامة.

الدر المنثور:۶/۸:

وأخرج ابن جرير من طريق قتادة عن أبى إبراهيم اللخمى فى قوله: وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ قال يشفعون فى إخوان إخوانهم.

تفسير الطبرى:۲۵/۱۸:

قوله تعالى: وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ... وقيل إن ذلك الفضل الذى ضمن جل ثناؤه أن يزيدهموه هو أن يشفعهم فى إخوان إخوانهم، إذا هم شفعوا فى إخوانهم فشفعهوا فيهم.

تفسير الطبرى:۲۹/۱۰۵:

فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، يقول فما يشفع لهم الذين شفعهم الله فى أهل الذنوب.. وفى هذه الآية دلالة واضحة على أن الله مشفع بعض خلقه فى بعض.

هامش طبقات المحدثين بأصبهان:۲/۳۴۶:

عن أبى أمامة عن النبى (ص) قال: إن ذرارى المسلمين يوم القيامة تحت العرش شافع مشفع.

الإيمان لابن تيمية/۱۱۵:

أبو الحسن الأشعرى نصر قول جهم فى الإيمان مع أنه نصر المشهور من أهل السنة فى أنه يستثنى فى الإيمان فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله لأنه نصر مذهب أهل السنة فى أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة ولا يخلدون فى النار وتقبل منهم الشفاعة ونحو ذلك.

فتاوى الالبانى/۲۸۶:

سؤال: هل تارك الصلاة كافر ولا ينفعه أى عمل؟

جواب: نحن قلنا إن إخواننا كانوا يصلون ويصومون إلى آخره، فيأذن الله عز وجل بأن يشفع لهم فيشفعون، ثم يشفعون لوجبة أخرى.

شفاعة القرآن، والكعبة، والحجاج، والزوار

و اصناف أخرى من الناس...

وردت فى مصادر الفريقين أحاديث عن شفاعة القرآن، وصرح بعضها بأن القرآن يتجسد يوم القيامة على صورة إنسان وملك نورانى، ويتكلم مع أهل المحشر.

وقد ورد فى أحاديث البعث والقيامة والحساب والجنة والنار، من طرق الجميع ما يدل على تجسد القرآن، وتجسد بعض الأعمال، والأمور والأمكنة والأزمنة..

وقد كان هذا الأمر صعب التصديق بل صعب التصور فى العصور السابقة، أما فى عصر الذرة والجينات فقد عرف الناس حقائق مدهشة من خلق الله تعالى وقوانينه، وصار الإيمان بضبط أعمال الإنسان وتجسدها فى هذه الدنيا أمراً معقولاً فضلًا عن عالم الآخرة!

شفاعة القرآن

فی نهج البلاغة:۲/۹۱:

واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذی لا یغش، والهادی الذی لا یضل، والمحدث الذی لا یکذب.

وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزیادة أو نقصان: زیادة فی هدی أو نقصان فی عمی.

واعلموا أنه لیس علی أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنی، فاستشفوه من أدوائکم، واستعینوا به علی لأوائکم، فإن فیه شفاء من أکبر الداء، وهو الکفر والنفاق والغی والضلال.

فاسألوا الله به، وتوجهوا إلیه بحبه، ولا تسألوا به خلقه، إنه ما توجه العباد إلی الله بمثله.

واعلموا أنه شافع مشفع، وقائل مصدق، وإنه من شفع له القرآن یوم القیامة شفع فیه، ومن محل به القرآن یوم القیامة صدق علیه، فإنه ینادی مناد یوم القیامة: ألا إن کل حارث مبتلی فی حرثه وعاقبة عمله، غیر حَرَثَةِ القرآن، فکونوا من حرثه وأتباعه، واستدلوه علی ربکم، واستنصحوه علی أنفسکم، واتهموا علیه آراءکم، واستغشوا فیه أهواءکم. العملَ العملِ، ثم النهایة النهایة. انتهی.

وفی الکافی:۲/۵۹۶-کتاب فضل القرآن:

علی بن محمد، عن علی بن العباس، عن الحسین بن عبد الرحمن، عن سفیان الحریری، عن أبیه، عن سعد الخفاف، عن أبی جعفر علیه السلام قال: یا سعد تعلموا القرآن، فإن القرآن یأتی یوم القیامة فی أحسن صورة نظر إلیها الخلق، والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف، ثمانون ألف صف أمة محمد صلی الله علیه وآله وأربعون ألف صف من سائر الأمم، فیأتی علی صف المسلمین فی صورة رجل فیسلِّم، فینظرون إلیه ثم یقولون: لا إله إلا الله الحلیم الکریم، إن هذا الرجل من المسلمین نعرفه بنعته وصفته، غیر أنه کان أشد اجتهاداً منا فی القرآن، فمن هناک أعطی من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثم یجاوز حتی یأتی علی صف الشهداء، فینظرون إلیه ثم یقولون: لا إله إلا الله الرب الرحیم، إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته، غیر أنه من شهداء البحر، فمن هناک أعطی من البهاء والفضل ما لم نعطه، قال: فیتجاوز حتی یأتی علی صف شهداء البحر فی صورة شهید، فینظر إلیه شهداء البحر فیکثر تعجبهم یقولون: إن هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته، غیر أن الجزیره التی أصیب فیها کانت أعظم هولاً من الجزیرة التی أصبنا فیها، فمن هناک أعطی من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثم یجاوز حتی یأتی صف النبیین والمرسلین فی صورة نبی مرسل، فینظر النبیون والمرسلون إلیه، فیشتد لذلک تعجبهم ویقولون: لا إله إلا الله الحلیم الکریم، إن هذا النبی مرسل نعرفه بسمته وصفته، غیر أنه أعطی فضلاً کثیراً، قال: فیجتمعون فیأتون رسول الله صلی الله علیه وآله فیسألونه ویقولون: یا محمد من هذا؟ فیقول لهم: أو ما تعرفونه؟ فیقولون ما نعرفه، هذا ممن لم یغضب الله علیه، فیقول رسول الله صلی الله علیه وآله: هذا حجة الله علی خلقه.

فیسلم ثم یجاوز حتی یأتی علی صف الملائکة فی سورة ملک مقرب، فتنظر إلیه الملائکة فیشتد تعجبهم، ویکبر ذلک علیهم لما رأوا من فضله، ویقولون: تعالی ربنا وتقدس إن هذا العبد من الملائکه نعرفه بسمته وصفته، غیر أنه کان أقرب الملائکة إلی الله عز وجل، مقاماً، فمن هناک ألبس من النور والجمال ما لم نلبس، ثم یجاوز حتی ینتهی إلی رب العزة تبارک وتعالی، فیخر تحت العرش، فینادیه تبارک وتعالی: یاحجتی فی الأرض وکلامی الصادق الناطق، إرفع رأسک وسل تعط واشفع تشفع، فیرفع رأسه، فیقول الله تبارک وتعالی: کیف رأیت عبادی؟ فیقول: یا رب منهم من صاننی وحافظ علی ولم یضیع شیئاً، ومنهم من ضیعنی واستخف بحقی وکذب بی وأنا حجتک علی جمیع خلقک، فیقول الله تبارک وتعالی: وعزتی وجلالی، وارتفاع مکانی لاثیبن علیک الیوم أحسن الثواب، ولأعاقبن علیک الیوم ألیم العقاب.(ورواه فی وسائل الشیعة:۴/۲۱۳)

علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن النوفلی، عن السکونی، عن أبی عبدالله، عن آبائه (علیهم السلام) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: أیها الناس إنکم فی دار هدنة، وأنتم علی ظهر سفر، والسیر بکم سریع، وقد رأیتم اللیل والنهار والشمس والقمر یبلیان کل جدید، ویقربان کل بعید، ویأتیان بکل موعود، فأعدوا الجهاز لبعد المجاز.

قال: فقام المقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله وما دار الهدنة؟ قال: دار بلاغ وانقطاع، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، وماحلٌ مصدق، ومن جعله أمامه قادة إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة.. فَلْيُجلْ جَال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب، فإن التفكر حياة قلب البصير، كما يمشئ المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص. انتهى.

ورواه في وسائل الشيعة:۴/۲۱۸ وفي تفسير نور الثقلين:۴/۱۳

وفي صحيح مسلم:۲/۱۹۷:

عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله(ص)يقول: إقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لاصحابه. إقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير، صوافٌّ تحاجان عن أصحابهما. إقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة. قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة. انتهى. ورواه أحمد في:۵/۲۴۸ – ۲۴۹

وفي مستدرك الحاكم:۱/۵۵۴:

عن عبدالله بن عمرو (رض) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: الصيام والقرآن يشفعان للعبد، يقول الصيام رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فيشفعان. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. انتهى. ورواه أحمد في مسنده:۲/۱۷۴ وقال عنه في مجمع الزوائد:۱۰/۳۸۰: رواه أحمد وإسناده حسن على شعف في ابن لهيعة وقد وثق. وقال في عنه الدر المنثور:۱/۱۸۲: وأخرج أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع والطبراني والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو. ورواه الديلمي في فردوس الأخبار: ۲/۵۶۸ ح ۳۶۳۱ وكنز العمال:۸/۴۴۴

وفي مستدرك الحاكم:۱/۵۶۸:

عن معقل بن يسار (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إعملوا بالقرآن، أحلوا حلاله وحرموا حرامه، واقتدوا به ولا تكفروا بشئ منه، وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي الأمر من بعدي كيما يخبروكم.

وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور، وما أوتي النبيون من ربهم.

وليسعكم القرآن وما فيه من البيان، فإنه شافع مشفع وماحل مصدق. ألا ولكل آية نور يوم القيامة، وإني أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول، وأعطيت طه وطواسين والحواميم من ألواح موسى، وأعطيت فاتحة الكتاب من تحت العرش. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وروى نحوه في:۳/۵۷۸ ورواه في كنز العمال:۱/۱۹۰

وفي مسند أحمد:۵/۳۴۸:

عن عبدالله بن بريدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له هل: تعرفني؟ فيقول ما أعرفك! فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول ما أعرفك! فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين، لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان بم كسينا هذه؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن! ثم يقال له: إقرأ واصعد في درجة الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذاً كان أو ترتيلاً. وروى نحوه في الدر المنثور: ۶/۲۷۷:عن ابن أبي شيبة وابن الضريس عن مجاهد

وفي الدر المنثور:۳/۵۶:

وأخرج ابن أبی شیبة وأحمد فی الزهد، وابن الضریس، ومحمد بن نصر، والطبرانی عن ابن مسعود قال: إن هذا القرآن شافع مشفع وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلی الجنة، ومن جعل خلفه ساقه إلی النار. انتهی. وروی نحوه فی کنز العمال:۱/۵۵۲ ونحوه فی:۱/۵۱۶ و/۵۱۹ و: ۲/۲۹۲ عن ابن مسعود وکذا فی فردوس الأخبار:۳/۲۸۱ ح ۴۷۱۰ وفی المعجم الکبیر للطبرانی:۹/۱۳۲

وفی کنز العمال:۱۴/۳۹۰:

عن فردوس الأخبار عن أبی هریرة: الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبیکم، وأهل بیته.

وفی سنن الدارمی:۲/۴۳۰:

عن أبی هریرة یقول: إقرؤوا القرآن، فإنه نعم الشفیع یوم القیامة، إنه یقول یوم القیامة: یا رب حلِّه حلیةَ الکرامة، فیحلی حلیة الکرامة، یا رب أکسه کسوة الکرامة، فیکسی کسوة الکرامة، یا رب ألبسه تاج الکرامة، یا رب إرض عنه، فلیس بعد رضاک شئ.

عن ابن عمر قال: یجی القرآن یشفع لصاحبه یقول: یا رب لکل عامل عمالة من عمله، وإنی کنت أمنعه اللذة والنوم فأکرمه، فیقال: أبسط یمینک فیملاـ من رضوان الله، ثم یقال أبسط شمالک فیملا من رضوان الله، ویکسی کسوة الکرامة، ویحلی حلیة الکرامة، ویلبس تاج الکرامة.

عن أبی صالح قال: القرآن یشفع لصاحبه فیکسی حلة الکرامة، ثم یقول: رب زده، فیکسی تاج الکرامه، قال فیقول رب زده فآته، یقول: رضائی.

قال أبو محمد: قال وهیب بن الورد: إجعل قراءتک القرآن علماً ولا تجعله عملاً.

وفی سنن الدارمی:۲/۴۳۳:

عن ابن مسعود کان یقول: یجیء القرآن یوم القیامة فیشفع لصاحبه، فیکون له قائداً إلی الجنة، ویشهد علیه، ویکون سائقاً به إلی النار.

وفی الدر المنثور:۱/۱۸:

وأخرج أبو عبید وأحمد وحمید بن زنجویه فی فضائل القرآن ومسلم وابن الضریس وابن حبان والطبری وأبوذر الهروی فی فضائله والحاکم والبیهقی فی سننه عن أبی أمامة الباهلی قال: سمعت رسول الله(ص)یقول: إقرؤا القرآن فإنه یأتی یوم القیامة شفیعاً لاصحابه. انتهی.

ورواه الطبرانی فی المعجم الکبیر:۸/۱۱۸

وقد بالغ بعضهم فی شفاعة القرآن حتی جعلها أعظم من شفاعة النبی صلی الله علیه وآله! قال السبکی فی طبقات الشافعیه:۶/۳۰۱ نقلاً عن إحیاء الدین للغزالی: ما من شفیع أعظم عند الله منزلة من القرآن!

شفاعة سور القرآن و آیاته

روت مصادر الشیعة والسنة أحادیث کثیرة فی فضل سور القرآن وآیاته، وشفاعتها لمن قرأها أو حفظها أو علمها أو تعلمها أو عمل بها، أو إعطائه حق الشفاعة بسبب ذلک.. ویطول الکلام لو أردنا استعراض هذه الأحادیث لکثرتها وضعف سند بعضها أو متنه.. لذا نکتفی بتقدیم نماذج منها من مصادر الفریقین:

ففی وسائل الشیعة:۴/۱۹۹:

عن أبی بصیر، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: لا تدعوا قراءة سورة الرحمن والقیام بها، فإنها لا تقر فی قلوب المنافقین، وتأتی بها یوم القیامة فی صورة آدمی فی أحسن صورة وأطیب ریح، حتی تقف من الله موقفاً لا یکون أحد أقرب إلی الله منها، فیقول لها: من الذی کان یقوم بک فی الحیاة الدنیا ویدمن قراءتک؟ فتقول: یا رب فلان وفلان، فتبیض وجوههم، فیقول لهم: إشفعوا فیمن أجبتم، فیشفعون حتی لا یبقی لهم غایة ولا أحد یشفعون له، فیقول لهم: أدخلوا الجنة واسکنوا فیها حیث شئتم.

عن أبی عبدالله علیه السلام قال: من قرأ التغابن فی فریضة کانت شفیعة له یوم القیامة، وشاهد عدل عند من یجیز شهادتها، ثم لا یفارقها حتی یدخل الجنة.

وفی تفسیر نور الثقلین:۲/۲:

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده إلی أبی عبدالله علیه السلام قال: من قرأ سورة الأعراف فی کل شهر، کان یوم القیامة من الذین لا خوف علیهم ولا هم یحزنون. فلا تدعوا قراءتها، فإنها تشهد یوم القیامة لمن قرأها.

وفی مصباح الکفعمی عنه صلی الله علیه وآله: من قرأها جعل الله بینه وبین إبلیس ستراً، وکان آدم علیه السلام شفیعاً له یوم القیامة. (ورواه فی فردوس الأخبار: ۴/۳۴ ح ۸ ۵۵۹)

وفی مستدرک الوسائل:۴/۳۵۱:

وعنه صلی الله علیه وآله قال: ومن قرأ سورة الممتحنة، کان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء یوم القیامة.

وفی مستدرک الوسائل:۴/۳۳۵:

وقال صلی الله علیه وآله: من قرأ آیة الکرسی مرة، محی اسمه من دیوان الاشقیاء، ومن قرأها ثلاث مرات، استغفرت له الملائکة، ومن قرأها أربع مرات شفع له الأنبیاء، ومن قرأها خمس مرات کتب الله اسمه فی دیوان الابرار، واستغفرت له الحیتان فی البحار ووقی شر الشیطان، ومن قرأها سبع مرات أغلقت عنه أبواب النیران، ومن قرأها ثمانی مرات فتحت له أبواب الجنان، ومن قرأها تسع مرات کفی هم الدنیا والآخرة، ومن قرأها عشر مرات نظر الله إلیه بالرحمة، ومن نظر الله إلیه بالرحمة فلا یعذبه.

وفی مستدرک الوسائل:۴/۳۲۳:

عن أبی عبدالله علیه السلام قال: إن لکل شئ قلباً وقلب القرآن یس، فمن قرأ یس فی نهاره قبل أن یمسی، کان فی نهاره من المحفوظین والمرزوقین حتی یمسی، ومن قرأها فی لیلة قبل أن ینام وکَّل به ألف ملک یحفظونه من کل شیطان رجیم، ومن کل آفة وإن مات فی یومه أدخله الله الجنة... ثم یقول له الرب تعالی: إشفع عبدی اشفعک فی جمیع ما تشفع، وسلنی عبدی أعطک جمیع ما تسأل، فیسأل ویعطی ویشفع فیشفع، ولا ـ یحاسب فیمن یحاسب، ولا یذل مع من یذل، ولا یبکت بخطیئته ولا بشئ من سوء عمله، ویعطی کتاباً منشوراً فیقول الناس بأجمعهم: سبحان الله ما کان لهذا العبد خطیئة واحدة، ویکون من رفقاء محمد صلی الله علیه وآله.

وفی مستدرک الوسائل:۶/۳۵۶:

عن أبی هریرة قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: یصلی لیلة السبت أربع رکعات، یقرأ فی کل رکعة الحمد مرة وآیة الکرسی ثلاث مرات، وقل هو الله أحد مرة، فإذا سلم، قرأ فی دبر هذه الصلاة آیة الکرسی ثلاث مرات، غفر الله تبارک وتعالی له ولوالدیه، وکان ممن یشفع له محمد صلی الله علیه وآله.

وفی سنن ابن ماجة:۲/۵۲۵:

عن أبی هریرة عن النبی(ص)قال: إن سورة فی القرآن، ثلاثون آیة، شفعت لصاحبها حتی غفر له: تَبَارَکَ الَّذِی بِیَدِهِ الْمُلْکُ.

ورواه أبو داود:۱ ص۳۱۶ والترمذی:۴/۲۳۸ والحاکم:۱/۵۶۵ وأحمد: ۲/۲۹۹ وکنز العمال:۱/۵۸۳ وص ۵۹۴ وفردوس الأخبار: ۲/۴۷۰ ح ۳۳۱۸

وفی سنن الدارمی:۲/۴۵۴:

عن خالد بن معدان قال: إقرؤا المنجیة، وهی أ. ل. م. تَنْزِیلُ، فإنه بلغنی أن رجلًا کان یقرؤها ما یقرأ شیئاً غیرها، وکان کثیر الخطایا، فنشرت جناحها علیه، وقالت: رب اغفر له، فإنه کان یکثر قراءتی، فشفعها الرب فیه وقال: أکتبوا له بکل خطیئة حسنة، وارفعوا له درجة.

وفی سنن الدارمی:۲/۴۵۹:

عن سعید بن المسیب یقول إن نبی الله(ص)قال: من قرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ عشر مرات بنی له بها قصر فی الجنة، ومن قرأها عشرین مرة بنی له بها قصران فی الجنة، ومن قرأها ثلاثین مرة بنی له بها ثلاثة قصور فی الجنة. فقال عمر بن الخطاب: والله یا رسول الله إذن لنکثرن قصورنا! فقال رسول الله (ص): الله أوسع من ذلک.

وفی الدر المنثور:۶/۲۴۷:

وأخرج الدیلمی عن أنس مرفوعاً قال: یبعث رجل یوم القیامة لم یترک شیئاً من المعاصی إلا رکبها، إلا أنه کان یوحد الله، ولم یکن یقرأ من القرآن إلا ـ سورة واحدة، فیؤمر به إلی النار، فطار من جوفه شئ کالشهاب، فقالت: اللهم إنی مما أنزلت علی نبیک(ص)، وکان عبدک هذا یقرؤنی، فما زالت تشفع، حتی أدخلته الجنة، وهی المنجیة: تبارک الذی بیده الملک.

وفی فردوس الأخبار:۴/۳۰ ح ۵۵۸۷:

أبو الدرداء: من قرأ مائتی آیة فی کل یوم، شفع فی سبع قبور حول قبره، وخفف الله عز وجل عن والدیه، وإن کانا مشرکین. ورواه فی کنز العمال:۱/۵۳۷ ۲۴۰۸ عن ابن أبی داود فی المصاحف والدیلمی.

شفاعة القرآن لمن یتعلمه و یعلمه

فی سنن ابن ماجة:۱/۷۸:

عن علی بن أبی طالب قال قال رسول الله (ص): من قرأ القرآن وحفظه أدخله الله الجنة، وشفعه فی عشرة من أهل بیته، کلهم قد استوجب النار.

ورواه أحمد فی مسنده:۱/۱۴۸ وفی:۱/۱۴۹ عن علی أیضاً، ورواه الترمذی فی:۴/۲۴۵ عن علی علیه السلام أیضاً ورواه البیهقی فی شعب الإیمان: ۲/۳۲۸ وص ۳۲۹ وص ۵۵۲ وکنز العمال:۱/۵۲۱ وروی الخطیب فی تاریخ بغداد:۱۱/۳۹۵ نحوه عن عائشة.

وفی مسند أحمد:۳/۴۴۰:

عن سهل، عن أبیه، عن رسول الله(ص)أنه قال: من قال سبحان الله العظیم نبت له غرس فی الجنة. ومن قرأ القرآن فأکمله وعمل بما فیه، ألبس والدیه یوم القیامة تاجاً هو أحسن من ضوء الشمس فی بیوت من بیوت الدنیا لو کانت فیه، فما ظنکم بالذی عمل به!

کما روت المصادر ذم من یتعلم القرآن للدنیا، ففی سنن النسائی:۶/۲۳:

عن أبی هریرة فقال له قائل من أهل الشام: أیها الشیخ حدثنی حدیثاً سمعته من رسول الله(ص)قال: نعم سمعت رسول الله(ص)یقول: أول الناس یقضی لهم یوم القیامة ثلاثة: رجل استشهد فأتی به فعرفه نعمة فعرفها، قال: فما عملت فیها؟ قال: قاتلت فیک حتی استشهدت. قال: کذبت، ولکنک قاتلت لیقال فلان جرئ فقد قیل! ثم أمر به فسحب علی وجهه حتی ألقی فی النار!

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتی به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فیها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فیک القرآن. قال: کذبت، ولکنک تعلمت العلم لیقال عالم! وقرأت القرآن لیقال قارئ، فقد قیل! ثم أمر به فسحب علی وجهه حتی ألقی فی النار.

ورجل وسع الله علیه وأعطاه من أصناف المال کله، فأتی به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فیها؟ قال ما ترکت من سبیل تحب کما أردت أن ینفق فیها إلا ـ أنفقت فیها لک. قال کذبت، ولکن لیقال إنه جواد، فقد قیل! ثم أمر به فسحب علی وجهه فألقی فی النار!

ورواه الحاکم فی المستدرک: ۱/۱۰۷ وقال: هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه بهذه السیاقة. انتهی.

شفاعة الکعبة لمن زاره

فی الدر المنثور:۱/۱۳۷:

وأخرج ابن مردویه والإصبهانی فی الترغیب والدیلمی عن جابر قال قال رسول الله (ص): إذا کان یوم القیامة زفت الکعبة البیت الحرام

إلى قبرى، فتقول: السلام عليك يا محمد، فأقول وعليك السلام يا بيت الله، ما صنع بك أمتى بعدى؟ فتقول: يا محمد من أتانى فأنا أكفيه وأكون له شفيعاً، ومن لم يأتنى فأنت تكفيه وتكون له شفيعاً.

وروى فى مستدرك الوسائل:۸/۴۰ رواية أخرى فى تجسد الكعبة وشفاعتها أشبه من رواية السيوطى بالإسرائيليات وإن كان موضوعها الكعبة الشريفة! قال:

عن وهب بن منبه أنه قال: مكتوب فى التوراة: إن الله تعالى يبعث يوم القيامة سبعمائة ألف ملك، ومعهم سلاسل من الذهب ليأتوا بالكعبة إلى عرصات القيامة، فيأتون بها بسلاسل الذهب إلى موقف القيامة فيقول لها ملك: يا كعبة الله سيرى، فتقول: لا أذهب حتى تقضى حاجتى، فيقول ما حاجتك؟ إلى أن قال ما حاجتك سلى حتى تعطى؟ فتقول: إلهى عبادك العصاة، أتوا إلىَّ من كل فج عميق، شعثاً غبراً وخلفوا أهليهم وأولادهم وبيوتهم، وودعوا أحباءهم وأصحابهم لزيارتى وأداء المناسك كما أمرت، إلهى فاشفع لهم لتؤمنهم من الفزع الأكبر، فاقبل شفاعتى واجعلهم فى كنفى.

فينادى ملك: إن فيهم أصحاب الكبائر والمصرين على الذنوب، المستحقين النار! فتقول الكعبة: أنا أشفع فى أهل الكبائر، فيقول الله تعالى: قبلت شفاعتك وقضيت حاجتك، فينادى ملك: ألا من كان من أهل الكعبة فليخرج من بين أهل الجمع، فيخرج جميع الحاج من بينهم، ويحتوشون الكعبة بيض الوجوه آمنون من الجحيم، يطوفون حول الكعبة، وينادون لبيك، فينادى ملك: يا كعبة الله سيرى، فتسير الكعبة وتنادى: لبيك اللهم لبيك لبيك، إن الحمد والملك والنعمة لك لا شريك لك لبيك، وأهلها يتبعونها. انتهى.

وقد روت المصادر أحاديث فى شفاعة الحجر الأسود أعزه الله تعالى، كالذى فى الدر المنثور:۱/۱۳۶ عن عائشة: قالت: قال رسول الله (ص): أشهدوا هذا الحجر خيراً، فإنه يأتى يوم القيامة شافع مشفع، له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه. وقد رواه فى مجمع الزوائد:۳/۲۴۲ وفى كنز العمال:۱۲/۲۱۷.

وورد فى مصادر الطرفين أن الحجر الأسود ملكٌ من ملائكة الجنة، وأنه شهد على ميثاق بنى آدم، ثم أنزله الله تعالى مع آدم إلى الأرض، ولا يتسع المجال لبحث ذلك.

شفاعة حجاج بيت الله الحرام

فى الكافى:۴/۲۵۵:

محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن زكريا المؤمن، عن إبراهيم بن صالح، عن رجل من أصحابنا، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: الحاج والمعتمر وفد الله، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم، وإن شفعوا شفعهم، وإن سكتوا ابتدأهم، ويعوضون بالدرهم ألف درهم. (وفى نسخة ألف ألف درهم) ورواه فى وسائل الشيعة:۸/۶۸ وروى أحاديث متعددد عن استحقاق الحاج للجنة.

وفى من لا يحضره الفقيه:۲/۲۱۷:

ومن حج أربعين حجة قيل له: اشفع فيمن أحببت، ويفتح له باب من أبواب الجنة، يدخل منه هو ومن يشفع له.

وفى وسائل الشيعة:۸/۹۲:

عن زكريا الموصلى كوكب الدم، قال: سمعت العبد الصالح عليه السلام يقول: من حج أربعين حجة، قيل له: إشفع فيمن أحببت، ويفتح له باب من أبواب الجنة، يدخل منه هو ومن يشفع له.

وفى سائل الشيعة:۹/۵۱۲:

وقال على بن الحسين (عليهما السلام): الساعى بين الصفا والمروة، تشفع له الملائكة، فيشسفع فيه بالإيجاب.

وفى مجمع الزوائد:۳/۲۱۱:

الحاج يشفع فى أربعمائة أهل بيت، أو قال من أهل بيته، ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. ورواه فى كنز العمال:۵/۱۴ وفى الدر المنثور:۱/۲۱۰

وفى ذكر أخبار أصبهان:۱/۱۴۸:

عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله (ص): إذا كان عشية يوم عرفة أشرف الرب عز وجل من عرشه إلى عباده فيقول: يا ملائكتى أنظروا إلى عبادى شعثاً غبراً، قد أقبلوا يضربون إلى من كل فج عميق، أشهدكم أنى قد شفعت محسنهم فى ميسئهم، وأنى قد غفرت لهم جميع ذنوبهم، إلا التبعات التى بينهم وبين خلقى. قال: فإذا أتوا المزدلفة وشهدوا جمعاً، ثم أتوا منى فرموا الجمار وذبحوا وحلقوا ثم زاروا البيت، قال: يا ملائكتى أشهدكم أنى قد شفعت محسنهم فى مسيئهم، وأنى غفرت لهم جميع ذنوبهم، وأنى قد خلفتهم فى عيالاتهم، وأنى قد استجبت لهم جميع ما دعوا به، وأنى قد غفرت لهم التبعات التى بينهم وبين خلقى، وعلىَّ رضاء عبادى.

وفى مجمع الزوائد:۳/۲۷۵:

عن أنس بن مالك قال: كنت قاعداً مع رسول الله(ص)فى مسجد منى، فأتاه رجل من الأنصار ورجل من ثقيف فسلما عليه ودعيا له دعاء حسناً فقالا ـ يا رسول الله جئنا لنسألك، فقال: إن شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألانى عنه فعلت، وإن شئتما أسكت وتسألانى فعلت؟ فقالا ـ أخبرنا يا رسول الله نزدد إيماناً أو يقيناً ـ الشك من إسماعيل قال لا أدرى أيهما قال إيماناً أو يقيناً ـ فقال الأنصارى للثقفى: سل رسول الله(ص)، فقال الثقفى: بل أنت فسله فإنى أعرف لك حقك، فسأله فقال: أخبرنى يا رسول الله.

قال: جئت تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام، ومالك فيه، وعن طوافك بالبيت وما لك فيه، وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما، وعن طوافك بالصفا والمروة وما لك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه، وعن رميك الجمار ومالك فيه، وعن نحرك ومالك فيه، وعن حلقك ورأسك ومالك فيه، وعن طوافك بالبيت بعد ذلك يعنى طواف الافاضة.

قال: والذى بعثك بالحق عن هذا جئت أسألك.

قال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام، لا ـ تضع ناقتك خفاً ولا ترفعه إلا كتب الله لك به حسنة وحط عنك به خطيئة ورفعك درجة، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل.

وأما طوافك بين الصفا والمروة بعد ذلك، كعتق سبعين رقبة.

وأما وقوفك عشية عرفة، فإن الله تبارك وتعالى يهبط إلى السماء الدنيا يباهى بكم الملائكة، يقول هؤلاء عبادى جاؤوا شعثاً شفعاء من كل فج عميق، يرجون رحمتى ومغفرتى، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل وكعدد القطر وكزبد البحر لغفرتها!

أفيضوا عبادى مغفوراً لكم ولمن شفعتم له...

وروى بعضه فى كنز العمال:۵/۷۱ وروى فى/۷۴:

ما من مسلم يقف عشية عرفة بالموقف فيستقبل القبلة ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شئ قدير، مائة مرة ثم يقرأ أم الكتاب مائة مرة، ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله مائة مرة، ثم يسبح الله مائة مرة فيقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم يقرأ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ مائة مرة، ثم يقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد وعلينا معهم مائة مرة، إلا قال الله تعالى: يا ملائكتى ما جزاء عبدى هذا سبحنى وهللنى وكبرنى وعظمنى ومجدنى ونسبنى وعرفنى وأثنى على وصلى على نبيى.. إشهدوا يا ملائكتى أنى قد غفرت له وشفعته فى نفسه، ولو شاء أن يشفع فى أهل الموقف لشفعته. (هب وابن النجار والديلمى عن جابر) قال أبو بكر بن مهران الحافظ: تفرد به عبدالرحمن بن محمد المحاربى عن محمد بن سوقة وقال (هب): هذا متن غريب وليس فى إسناده من نسب إلى الوضع.انتهى.

وقد أوردنا عدداً من أحاديث عرفة فى المجلد الثانى، فى أحاديث النزول وغيرها، ونقدنا مافيها من تجسيد!

شفاعة النبی الخاصة لزوار قبره

فی الکافی:۴/۵۴۸:

أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبان عن السدوسی عن أبی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من أتانی زائراً کنت شفیعه یوم القیامة. ورواه فی تهذیب الأحکام ج۶ ص۴

وفی تفسیر نور الثقلین:۱/۵۴۱:

علی بن محمد بن بندار عن إبراهیم بن إسحاق عن محمد بن سلیمان الدیلمی عن أبی حجر الاسلمی عن أبی عبدالله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من أتی مکة حاجاً ولم یزرنی إلی المدینة جفوته یوم القیامة ومن أتانی زائراً وجبت له شفاعتی ومن وجبت له شفاعتی وجبت له الجنة. ورواه فی من لا یحضره الفقیه:۲/۵۶۵ وفی تهذیب الأحکام:۶/۴ وفی وسائل الشیعة:۱۰/۲۶۱

وروی فی الوسائل:۱۰/۲۶۳:

عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبیه أن النبی صلی الله علیه وآله قال: من زارنی حیاً أو میتاً کنت له شفیعاً یوم القیامة.

وفی المقنعة للمفید/۴۵۷:

روی عن الصادق علیه السلام، عن آبائه، عن أمیرالمؤمنین صلوات الله علیهم قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: من زارنی بعد موتی کان کمن هاجر إلیَّ فی حیاتی، فإن لم تستطیعوا فابعثوا إلیَّ بالسلام، فإنه یبلغنی.

وقال علیه السلام: من أتانی زائراً، کنت شفیعه یوم القیامة.

وفی مستدرک الوسائل:۱۰/۱۸۵:

القطب الراوندی فی لب اللباب: عن النبی صلی الله علیه وآله أنه قال: من زار قبری وجبت له شفاعتی، ومن زارنی میتاً فکأنما زرارنی حیاً.

وعنه صلی الله علیه وآله أنه قال: من زار قبری حلت له شفاعتی.

وفی سنن الدار قطنی:۲/۲۷۸ ح ۱۹۴:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من زار قبری وجبت له شفاعتی.

ورواه الذهبی فی تاریخ الإسلام:۱۱/۲۱۲ ورواه بنص آخر: من زارنی بعد موتی وجبت شفاعتی.

وفی هامش طبقات المحدثین بأصبهان:۲/۱۶۷ ونحوه فی:۱/۵۵:

عن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص): من جاءنی زائراً لم تنزعه حاجة إلا زیارتی، کان حقاً علی الله أن أکون له شفیعاً یوم القیامة. انتهی.

وقد اقتصرنا من أحادیث زیارة قبره صلی الله علیه وآله علی ما ورد فیه ذکر الشفاعة، وسنورد بقیة أحادیثها فی محلها إن شاء الله تعالی، مع الجواب علی شبهة الوهابیین فی تحریمهم زیارة القبور وخیرها وأشرفها قبر سید المرسلین صلی الله علیه وآله!

هذا وقد تقدم ذکر عدد من الاصناف الذین یستحقون الشفاعة فتشملهم، أو یعطیهم الله تعالی حق الشفاعة بغیرهم ویقبل شفاعتهم، فی الفصل السادس (حدود الشفاعة) وهم أنواع عدیدة.

وکل هذه الأحادیث تدل علی أن شفاعة المؤمنین حقیقةٌ مسلَّمَةٌ عند الجمیع، فلا عجبَ أن تکون شفاعة الأئمة الأطهار من عترة النبی أعظم من جمیع الشفاعات بعد شفاعة جدهم، وأشمل وأکمل، صلی الله علیه وعلیهم، ورزقنا شفاعتهم.

تم المجلد الثالث من کتاب العقائد الإسلامیة

ویلیه المجلد الرابع إن شاء الله تعالی، وأوله بحث شفاعة أهل البیت علیهم السلام

المجلد۴

فهرست مطالب کتاب: العقائد الإسلامیهٔ (المجلد ۴)

العقائد الإسلامیهٔ (المجلد ۴)
شفاعهٔ أحد شیعهٔ أهل البیت
اویس القرنی أحد کبار الشفعاء شفیع تشتاق الیه الجنهٔ
اویس خیر التابعین
خیر التابعین صارت: من خیر التابعین
هل أن کلمهٔ (من) إضافهٔ أمویهٔ
کان أویس أسمر اللون جسیما مهیبا
صورهٔ من تزاحم المسلمین علی أویس
شعاره الصدق والجد فی أمر الله تعالی
و هو صاحب مدرسهٔ فی شکر نعم الله تعالی
زاهد یضرب بزهده المثل
زاهد یحمل هم الفقراء و یتصدق علیهم حتی بطعامه و ثیابه
و قد ربی أویس تلامیذ علی سیرته
رأیه فی الحکام غیر علی
اضطهاد مخابرات الخلافهٔ لاویس
اویس من شیعهٔ علی
صاحب البصیرهٔ الزاهد، شجاع مجاهد
نسب أویس القرنی و نسبته
عشیرهٔ الأویسات أو اللویسات السوریهٔ
روایات لقائه بعمر و استغفاره له
روایات توجب الشک فی استغفاره لعمر
من هم الذین خاطبهم النبی فی البشارهٔ بأویس؟
آراء شاذهٔ و أخری مشبوههٔ الهدف فی أویس
فقد صرح متعصبوا الحنابلهٔ بتفضیل بعض أصحابهم علی أویس القرنی
و زعم بعضهم أن قبر أویس طار من الأرض
آراء مضادهٔ مغالیهٔ فی أویس القرنی
صورهٔ عن أویس القرنی من مصادرنا روائح الجنهٔ تفوح من قرن!
خیر التابعین و نفس الرحمن
کان راعی إبل فصار الشفیع الموعود
اویس من أرکان التشیع لعلی

اويس ختام المسك الموعود فی حرب الجمل
اويس ختام المسك الموعود فی حرب صفين
متفرقات عن أويس
من الأدعية المروية عن أويس
شفاعة أويس القرنی لمئات الألوف أو الملايين
نتيجة
النواصب مطرودون من الشفاعة والجنة
حكم النواصب فی الفقه الإسلامی
على ميزان الإسلام والكفر والإيمان والنفاق
محاولة ابن حجر تجريد على من هذه الفضيلة
قصة بريدة وحدها حجة بالغة
من دلالات قصة بريدة
لمحة عن بريدة و أحاديثه فی مصادرن
والزهراء والحسنان جزء من المقياس النبوی أيض
و كل (أهل البيت) جزء من المقياس النبوی
و ويل لمبغضيهم
و ويل للمكذبين بفضلهم
واللعنة على ظالميهم و قاتليهم
و لا يقبل عمل المسلم إلا بحبهم
و الأمة مسؤولة عنهم يوم القيامة
و هذه الأحكام مختصة بهم و لا يقاس بهم أحد
و محبو أهل البيت و شيعتهم جزء من المقياس النبوی
كيف طبقت الخلافة القرشية سنة النبی فيهم
و أجبرت المسلمين على أن يكونوا نواصب
مرسوم آخر لخليفة المسلمين معاوية
مرسوم ثالث لخليفة المسلمين معاوية
مرسوم رابع لخليفة المسلمين معاوية
بعض ما ورد عن المقياس النبوی فی مصادرن
بعض ما ورد فی مصادرنا فی عدم شمول الشفاعة للنواصب
بعض ما ورد فی مصادرنا فی أحكام التعامل مع النواصب
النصب يجر إلى التجسيم
فضل العلماء الذين يدفعون شبهات النواصب
شفاعة النبی يوم القيامة بيد أهل بيته

علی صاحب لواء النبی یوم القیامهٔ
ماذا روت الصحاح عن رئاسهٔ المحشر و لواء الحمد؟
علی آمر السقایهٔ علی حوض النبی یوم القیامهٔ
محاولات الأمویین التکذیب بأحادیث الحوض
ندم أئمهٔ المذاهب علی تدوین أحادیث الحوض
و النتیجهٔ للمتأمل فی أحادیث حوض الکوثر
نماذج من أحادیث الحوض والصحابهٔ المطرودین
اسس تدوین أحادیث القیامهٔ عند علماء الخلافهٔ
نتیجهٔ کلیهٔ
احادیث أن علیا هو الساقی علی الحوض والذائد عنه
من أحادیث الحوض فی مصادرنا
اهل البیت و شیعتهم علی الحوض
شعر حوض الکوثر فی مصادر الحدیث والأدب
علی قسیم الله بین الجنهٔ والنار
حدیث قسیم الجنهٔ والنار فی الشعر
علی أول الواردین علی النبی عند حوض الکوثر
لا یعبر إنسان الصراط إلا بجواز من علی
عنوان صحیفهٔ المؤمن یوم القیامهٔ حب علی
من هو المخاطب بقوله تعالی: ألقیا فی جهنم کل کفار عنید
شفاعهٔ علی و الأئمهٔ من ذریته
احادیث فی شفاعهٔ الأئمهٔ من أهل بیت النبی
احادیث فی شفاعهٔ فاطمهٔ الزهراء
یا فاطمهٔ لا تبکی، علی و شیعته غدا هم الفائزون فی الجنهٔ
نماذج من أحادیث شفاعهٔ النبی و آله لزوار مشاهدهم المشرفهٔ
الشفاعهٔ لمن زار قبر أمیرالمؤمنین
الشفاعهٔ لمن زار قبر الإمام الحسین
الشفاعهٔ لمن زار قبر الإمام الرضا
ختام فی بعض قواعد الشفاعهٔ و أحکامه
النهی عن الإتکال علی الشفاعهٔ
امل العاصین بشفاعهٔ النبی وآله
الاولی بشفاعهٔ النبی وآله
الدعاء للنبی باعطائه الشفاعهٔ
الدعاء بطلب الشفاعهٔ لوالدیه و أقاربه

مسائل حول التوسل
مفردات التوسل
الدعاء والنداء
التوسل فی الأدیان السابقهٔ
الفرق بین التوسل و أنواع الشرک
الرسول داعی الله
المؤمنون یدعون الله تعالی وحده
الاولیاء الشیاطین
انکشاف عدم فائدهٔ الأولیاء من دون الله فی الآخرهٔ
لا وجود حقیقیا لولی من دون الله
شبههٔ علی أصل التوسل
مسألهٔ التوسل دقیقهٔ و حساسهٔ
تأکید الأئمهٔ علی المحافظهٔ علی التوحید فی التوسل
من هم المتوسل بهم عند المسلمین
التوسل بغیر المعصومین عند السنیین
التوسل الواسع فی صلاهٔ الإستسقاء
التوسل العملی بالأعمال الصالحهٔ
التوسل إلی الله فی مصادر السنیین
تعلیم النبی التوسل به إلی الله تعالی
توسل عمر بن الخطاب بالعباس عم النبی
توسل الناس فی المحشر واستشفاعهم بالنبی
ما ورد عندهم من الدعاء للنبی بالوسیلهٔ
ما هی الوسیلهٔ التی ورد الدعاء بها للنبی؟
احادیث تفسر الوسیلهٔ فی مصادرنا
خطبهٔ الوسیلهٔ من کتاب الکافی
التوسل إلی الله فی مصادرنا
التوسل إلی الله بالأعمال الصالحهٔ
التوسل إلی الله بذاته و صفاته عزوجل
الاستشفاع إلی الله تعالی بحبه و معرفته
افتتاح الصلاهٔ بالتوجه إلی الله بالنبی و آله
دلالهٔ استحباب التوسل عند الأذان و افتتاح الصلاهٔ
التوجه بالنبی و آله لدفع شر السلطان
التوجه إلی الله بالنبی و آله عند الحاجهٔ والشدهٔ

الاستشفاع بالنبى والأئمة عند زيارة قبورهم الشريفة
تفسير الآيات الثلاث فى التوسل
الآية ٠١
عمل المفسرين السنيين لإبعاد الوسيلة عن النبى
الآية ٠٢
جاؤوك، تشمل المجئ إلى قبر النبى والمجئ إلى وصيه
الآية ٠٣
تفسيرنا للآيتين الكريمتين
تفسير السنيين للآيتين الكريمتين
مناقشة تفسيرهم للآيات
على أقرب الخلق وسيلة إلى الله
الترابط بين الوسيلة والوصية
الشيعة وسيلة إلى الله يوم القيامة
ما ورد فى مصادرهم من تشويش على الأحاديث المتقدمة
آيات مؤيدة لآيات التوسل
شذوذ الوهابيين عن اجماع المسلمين فى التوسل والإستشفاع
تلبيس ابن تيمية لتحريم التوسل والإستشفاع
غرض ابن تيمية من نقل التوسل من فروع الفقه إلى أصول العقائد
هل تراجع ابن تيمية أمام القاضى أو فى سجنه عن تحريم التوسل
علماء المذاهب الإسلامية يردون على شذوذ ابن تيمية
نماذج من ردهم على مذهب ابن تيمية
مقتطفات من أهم كتب علماء المذاهب فى الرد على ابن تيمية
كتاب (التوسل بالنبى و جهلة الوهابيين)
كتاب (شفاء السقام) للإمام السبكى
حديث توسل آدم بالنبى
توسل عيسى بالنبى
توسل نوح و ابراهيم و سائر الأنبياء بنبيا
التوسل بالنبى (بعد موته)
كتاب رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة
كتاب (حقيقة التوسل والوسيلة فى الكتاب والسنة)

شفاعة أحد شيعة أهل البيت

اويس القرنى أحد كبار الشفعاء شفيع تشتاق اليه الجنة

ثبت فی مصادر الطرفین أن النبی صلی الله علیه وآله نص علی عدد من الصحابة بأسمائهم، أن لهم مقاماً کبیراً عند الله تعالی، وأن الجنة تشتاق إلیهم!

والملاحظ أنهم کلهم من شیعة أهل البیت علیهم السلام.

أما من التابعین فمن المتفق علیه أنه صلی الله علیه وآله أخبر عن أویس القرنی وبشر بأنه یأتی بعده، وأنه من کبار أولیاء الله تعالی، وأنه مستجاب الدعوة، وأنه یشفع عند الله تعالی لمئات الألوف، أو ملایین الناس!

ولما رأی المسلمون أویساً بعد وفاة النبی صلی الله علیه وآله استبشروا به وتبرکوا به، وکانوا یحرصون علی الفوز بدعاء منه، ولو بکلمة (غفر الله لک)!

وقد حاول الخلفاء أن یتقربوا الیه، ولکنه هرب منهم، وفضل أن یعیش مغمورا مع الفقراء من شیعة علی علیه السلام، حتی إذا وصلت الخلافة لعلی علیه السلام نهض معه، وشارک فی حروبه، واستشهد تحت رایته فی صفین.. وقبره هناک إلی جانب قبر عمار بن یاسر، فی مدینة الرقة السوریة، وقد وفقنا الله لزیارته.

والمتأمل فی النصوص الواردة فی مصادر السنیین فی أویس، یلاحظ فیها تناقضاً کثیراً، نشأ من أنهم أرادوا أن یغطوا علی فراره من عمر، وامتناعه من الدعاء له والاقامة عنده، فوضعوا أحادیث عن لقائه به، یناقض بعضها بعضاً!

کما أن شهادة أویس فی صفین مع علی علیه السلام، کانت حجة لعلی والمسلمین علی أن معاویة وحزبه هم أهل الباطل، والفئة الباغیة التی أخبر النبی صلی الله علیه وآله أنها تقتل عمار بن یاسر رحمه الله.

لذلک حاول الأمویون وأتباعهم أن ینفوا أصل بشارة النبی صلی الله علیه وآله بأویس، ومکانته الممیزة عند الله تعالی!

ثم عندما عجزوا عن ذلک حاولوا أن ینفوا أنه قتل فی صفین، وادعوا أنه توفی فی طریقه إلی الشام، وجعلوا له فی الشام قبراً ومزارا!!

اویس خیر التابعین

روی مسلم فی صحیحه: ۷/۱۸۸:

عن عمر بن الخطاب قال: إنی سمعت رسول الله(ص)یقول: إن خیر التابعین رجل یقال له أویس، وله والدة هو بها بر، لو أقسم علی الله لابره، وکان به بیاض فبرئ... وستأتی بقیة الحدیث.

ورواه أحمد فی مسنده: ۱/۳۸

وروی ابن سعد الطبقات: ۶/۱۶۱:

قال أخبرنا مسلم بن إبراهیم قال: حدثنا سلام بن مسکین قال: حدثنی رجل قال: قال رسول الله (ص): خلیلی من هذه الأمة أویس القرنی.

قال أخبرنا عفان بن مسلم قال: حدثنا حماد بن سلمة عن سعید الجریری، عن أبی نضرة، عن أسیر بن جابر أن عمر، أنه قال لأویس: استغفر لی.

قال: کیف أستغفر لک وأنت صاحب رسول الله(ص)؟!

قال: سمعت رسول الله(ص)یقول: إن خیر التابعین رجل یقال له أویس.

ورواه الحاکم فی المستدرک: ۳/۴۰۲ ورواه الخطیب فی الجمع والتفریق: ۱/۴۸۰ ورواه ابن معین فی تاریخه (روایة الدوری): ۱/۳۲۴

ونحوه فی الجامع الصغیر: ۳ حدیث رقم ۴۰۰۱

وروی أبو نعیم فی حلیة الأولیاء: ۲/۸۶:

حدثنا أبو بکر بن مالک، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا علی بن حکیم، أخبرنا شریک، عن یزید بن أبی زیاد، عن عبد الرحمن

بن أبى ليلى قال: نادى رجل من أهل الشام يوم صفين: أفيكم أويس القرنى؟

قال: قلنا نعم، وما تريده منه؟

قال: إنى سمعت رسول الله(ص)يقول: أويس القرنى خير التابعين بإحسان. وعطف دابته فدخل مع أصحاب على رضى الله تعالى عنهم.

وقال أبو نعيم فى الحلية: ۲/۸۲، بعد حديث عن أويس: فهذا ما أتانا عن أويس خير التابعين... انتهى.

وقال فى كنز العمال: ۱۲/۷۳:

إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لابره، وكان به بياض فبرئ، فمروه فليستغفر لكم (م. عن عمر)...

خير التابعين أويس (ك. عن على).

خير التابعين أويس القرنى (ك عن على، ق، كر عن رجل). انتهى.

وقد وردت صفة (خير التابعين) فى أحاديث أخرى، كما سيأتى.

خير التابعين صارت: من خير التابعين

قال الهيتمى فى مجمع الز وائد: ۱۰/۲۲:

عن ابن أبى ليلى قال: نادى رجل من أهل يوم صفين: أفيكم أويس القرنى؟

قالوا: نعم.

قال سمعت رسول الله(ص)يقول: من خير التابعين أويس. رواه أحمد، وإسناده جيد. انتهى.

ورواه فى تاريخ ابن معين رواية الدورى: ۱/۳۲۴

وفى طبقات ابن سعد: ۶/۱۶۱:

عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: نادى رجل من أهل الشام يوم صفين فقال: أفيكم أويس القرنى؟ قالوا نعم، قال إنى سمعت رسول الله(ص)يقول: إن من خير التابعين أويساً القرنى، ثم ضرب دابته فدخل فيهم.

ورواه اللالكائى فى كرامات الأولياء/۱۰۹، بطريقين.

وفى كنز العمال: ۱۲/۷۳:

إن من خير التابعين أويس القرنى (حم، وابن سعد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن رجل من الصحابة، حم، كر، عن رجل). انتهى.

راجع للتدقيق: طبقات ابن سعد: ۶/۱۱۳، وميزان الاعتدال: ۱/۲۷۹ و۲۸۲، ولسان الميزان: ۱/۴۷۲، وسير أعلام النبلاء: ۴/۲۱، وتاريخ الإسلام للذهبى: ۳/۵۵۶، والبداية والنهاية: ۶/۲۲۵.

راجع أيضاً: أسد الغابة: ۱/۱۵۱، وأعلام النبلاء: ۴/۲۰، وكنز العمال: ۱۲/۷۴

هل أن كلمة (من) إضافة أموية

من الطبيعى أن تكون قصة الرجل الذى سأل عن أويس فى صفين، وشهادة الرسول صلى الله عليه وآله التى رواها فى حقه وحق على عليه السلام، واحدة من الحجج التى استعملها المسلمون لاثبات أن معاوية وأهل الشام على الباطل.

ويبدو أن الأحاديث فى عمار بن ياسر وأنه تقتله الفئة الباغية، والأحاديث فى أويس، لم يكن لها جواب عند مؤيدى معاوية، ولكن بعد سيطرته على بلاج المسلمين عمل على تضعيف هذه الأحاديث وإبطال مفعولها.

ويظهر أن البصريين كانوا أكثر استجابة له من الكوفيين، فقد قال ابن أبى الوفاء فى الجواهر المضية فى طبقات الحنفية/۴۱۹:

أهل المدينة يقولون أفضل التابعين سعيد بن المسيب، وأهل الكوفة أويس القرنى، وأهل البصرة الحسن البصرى. انتهى.

وقد حاول النووى أن يوفق بين رواية مسلم وبين قول لأحمد بن حنبل! فقال فى شرح مسلم - بهامش السارى: ۹/۴۲۹:

قوله (ص) خير التابعين رجل يقال له أويس... وقد يقال: قد قال أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب؟!

والجواب: أن مرادهم أن سعيد أفضل فى العلوم الشرعية.. لا فى الخير. انتهى.

وهذا النوع من العمل كثير عند الفقهاء السنيين، فتراهم يتركون الرواية التى صحت عندهم عن نبيهم صلى الله عليه وآله - وهى تقول هنا إن أويساً خير التابعين مطلقاً، ولا تقيد ذلك بناحية دون ناحية-لكى يصححوا قول شخص فى مقابل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله؟!!

كان أويس أسمر اللون جسيما مهيبا

فى حلية الأولياء: ۲/۸۲، عن النبى صلى الله عليه وآله:

يا أبا هريرة إن الله تعالى يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء، الشعثة رؤوسهم، المغبرة وجوههم، الخمصة بطونهم إلا من كسب الحلال، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يدعوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا.

قالوا: يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟

قال: ذاك أويس القرنى.

قالوا: وما أويس القرنى؟

قال: أشهل، ذو صهوبة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة ضارب بذقنه إلى صدره، رام بذقنه إلى موضع سجوده، واضع يمينه على شماله يتلو القرآن، يبكى على نفسه، ذو طمرين لا ـ يؤبه له، متزر بإزار صوف ورداء صوف، مجهول فى أهل الأرض معروف فى أهل السماء، لو أقسم على الله لابر قسمه.

ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء، ألا وإنه إذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة، ويقال لأويس قف فاشفع، فيشفع لله عز وجل فى مثل عدد ربيعة ومضر.

وفى حلية الأولياء: ۲/۸۴:

عن هرم بن حيان العبدى قال: قدمت الكوفة فلم يكن لى هم إلا أويس، أسأل عنه فدفعت اليه بشاطئ الفرات يتوضأ ويغسل ثوبه، فعرفته بالنعت فإذا رجل آدم محلوق الرأس كث اللحية مهيب المنظر، فسلمت عليه ومددت إليه يدى لأصافحه، فأبى أن يصافحنى! فخنقتنى العبرة لما رأيت من حاله، فقلت: السلام عليك يا أويس، كيف أنت يا أخى؟

قال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان، من دلك على؟

قلت: الله عز وجل.

قال: سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا.

قلت: يرحمك الله من أين عرفت اسمى واسم أبى، فوالله ما رأيتك قط، ولا رأيتنى!

قال: عرفت روحى روحك، حيث كلمت نفسى، لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين يتعارفون بروح الله عز وجل وإن نأت بعد بهم الدار وتفرقت بهم المنازل! انتهى، ونحن نشك فى شهادة هرم لنفسه عن لأن أويس!

ورواهما فى سير أعلام النبلاء: ۴/۲۸

صورة من تزاحم المسلمین علی أویس

روی الحاکم: ۲/۳۶۵، وصححه:

أخبرنی الحسن بن حلیم المروزی، ثنا أبو الموجه، أنبأ عبدان، أنبأ عبد الله بن المبارک، أنبأ جعفر بن سلیمان، عن الجریری، عن أبی نضرة العبدی، عن أسیر بن جابر قال: قال لی صاحب لی وأنا بالکوفة: هل لک فی رجل تنظر إلیه؟ قلت نعم، قال هذه مدرجته وإنه أویس القرنی، وأظنه أنه سیمر الآن.

قال: فجلسنا له فمر، فإذا رجل علیه سمل قطیفة، قال والناس یطؤون عقبه، قال وهو یقبل فیغلظ لهم ویکلمهم فی ذلک فلا ینتهون عنه، فمضینا مع الناس، حتی دخل مسجد الکوفة ودخلنا معه، فتنحی إلی ساریة فصلی رکعتین، ثم أقبل الینا بوجهه فقال: یا أیها الناس مالی ولکم، تطؤون عقبی فی کل سکة، وأنا إنسان ضعیف، تکون لی الحاجة فلا أقدر علیها معکم، لا تفعلوا رحمکم الله، من کانت له إلی حاجة فلیلقنی هاهنا.

شعاره الصدق والجد فی أمر الله تعالی

فی مستدرک الحاکم: ۳/۴۰۵:

أخبرنا أبو العباس السیاری، ثنا عبدالله بن علی، ثنا علی بن الحسن، ثنا عبد الله بن المبارک، أنا یزید بن یزید البکری قال: قال أویس القرنی: کن فی أمر الله کأنک قتلت الناس کلهم. انتهی.

ومعنی کلامه رحمه الله: أن خوف الله تعالی یجب أن یکون فی نفس المؤمن بدرجة عالیة، کأن فی رقبته قتل الناس کلهم، لیکون فی تصرفاته مثل القاتل الملاحق دقیقاً حذراً متقیاً، وشعوره بالمسؤولیة أمام الله تعالی عمیقاً.

وروی نحوه البیهقی فی شعب الإیمان: ۱/۵۲۴

و هو صاحب مدرسة فی شکر نعم الله تعالی

فی کتاب المجروحین لإبن حبان: ۳/۱۵۱:

أخبرنا رسول الله(ص)أنه سیکون فی التابعین رجل من قرن یقال له أویس بن عامر، یخرج به وضح فیدعو الله أن یذهبه عنه فیذهبه فیقول: اللهم دع لی من جسدی ما أذکر به نعمتک علی، فیدع الله له ما یذکره نعمته علیه، فمن أدرکه منکم فاستطاع أن یستغفر له، فلیستغفر له. انتهی.

وقد وردت هذه القصة فی أحادیثه، کما تری.

زاهد یضرب بزهده المثل

فی حلیة الأولیاء: ۲/۸۷:

عن علقمة بن مرثد قال: انتهی الزهد إلی ثمانیة: عامر بن عبد الله بن عبد قیس، وأویس القرنی، وهرم بن حیان، والربیع بن خیثم، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن یزید، وأبو مسلم الخولانی، والحسن بن أبی الحسن. انتهی. وهو یقصد بالأخیر الحسن البصری.

وفی سیر أعلام النبلاء: ۴/۱۹:

هو القدوة الزاهد، سید التابعین فی زمانه، أبو عمرو، أویس بن عامر بن جزء بن مالک القرنی المرادی الیمانی.

وقال فی هامش سیر أعلام النبلاء: ۱۸/۵۵۸:

ذكر ابن خلكان فى الوفيات: ۲/۲۶۳ أن الذى ضرب به الحريرى المثل فى المقامات هو دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن على بن مزيد الأسدى المتوفى سنة ۵۲۹، من أحفاد المترجم، وقد وهم المؤلف فى ذلك، وأورد ذكره الحريرى فى المقامة التاسعة والثلاثين وهى المقامة العمانية، وفيها يصف كيف أحاطت الجماعة بأبى زيد تثنى عليه، وتقبل يديه، حتى خيل إلى أنه القرنى أويس، أو الأسدى دبيس. انظر مقامات الحريرى/۳۴۲ (ط: صادر).

وفى لسان الميزان: ۱/۴۷۱:

قال ابن عدى ثنا الحسن بن سفيان، ثنا عبد العزيز بن سلام، سمعت اسحاق بن ابراهيم يقول: ما شبهت عدى بن سلمة الجزرى إلا بأويس القرنى تواضعاً. وذكره فى ميزان الاعتدال: ۱/۲۷۹.

زاهد يحمل هم الفقراء و يتصدق عليهم حتى بطعامه و ثيابه

فى مستدرك الحاكم: ۳/۴۰۶:

أخبرنى أبو العباس قاسم بن القاسم السيارى بمرو، ثنا عبد الله بن على، ثنا على بن الحسن، ثنا عبد الله بن المبارك، أنا سفيان الثورى قال: كان لأويس القرنى رداء إذا جلس مس الأرض، وكان يقول: اللهم إنى أعتذر إليك من كل كبد جائعة وجسد عار، وليس لى إلا ما على ظهرى وفى بطنى.

ورواه البيهقى فى شعب الإيمان: ۱/۵۲۴

وفى حلية الأولياء: ۲/۸۷:

عبيد الله بن عبد الكريم ثنا سعيد بن أسد بن موسى ضمرة بن ربيعة عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس القرنى إذا أمسى يقول هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح.

وكان يقول إذا أمسى: هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يصبح.

وكان إذا أمسى تصدق بما فى بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذنى به، ومن مات عرياناً فلا تؤاخذنى به.

وفى سير أعلام النبلاء: ۴/۲۹:

عبد الله بن أحمد: حدثنى عثمان بن أبى شيبة، حدثنا أبوبكر بن عياش، عن مغيرة، قال: إن كان أويس القرنى ليتصدق بثيابه، حتى يجلس عرياناً لا يجد ما يروح فيه إلى الجمعة.

عبد الرحمن بن مهدى: حدثنا عبد الله بن الأشعث بن سوار، عن محارب بن دثار قال قال النبى (ص): إن من أمتى من لا يستطيع أن يأتى مسجده أو مصلاه من العرى يحجزه إيمانه أن يسأل الناس، منهم أويس القرنى، وفرات بن حيان.

(ورواه فى كنز العمال: ۱۲/۷۴ وقال: حم، فى الزهد، حل عن محارب بن دثار وعن سالم بن أبى الجعد).

أبو نعيم: حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا ابن جرير، حدثنا محمد بن حميد، حدثنا زافر بن سليمان، عن شريك عن جابر، عن الشعبى قال: مر رجل من مراد على أويس القرنى فقال: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت أحمد الله عز وجل.

قال: كيف الزمان عليك؟

قال: كيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسى، وإن أمسى ظن أنه لا يصبح، فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار. يا أخا مراد إن الموت لم يترك لمؤمن فرحاً... لم يترك له صديقاً... الخ.

وكان إذا أمسى تصدق بما فى بيته من الفضل من الطعام والشراب، ثم قال: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذنى به، ومن مات عرياً فلا

تؤاخذنی به. (الحلیة ۲/۸۳)

وفی حلیة الأولیاء: ۲/۸۴:

حدثنا أبو بکر بن مالک، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثنی أبی وعبید الله بن عمر قالا: ثنا عبد الرحمن بن مهدی، ثنا عبد الله بن الأشعث بن سوار، عن محارب بن دثار قال: قال رسول الله (ص): إن من أمتی من لا یستطیع أن یأتی مسجده أو مصلاه من العری، یحجزه إیمانه أن یسأل الناس! منهم أویس القرنی وفرات بن حیان.

حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا عثمان بن أبی شیبة، ثنا أبو بکر بن عیاش، عن مغیرة قال: وکان أویس القرنی لیتصدق بثیابه حتی یجلس عریاناً لا یجد ما یروح فیه. أی الی الجمعة.

وفی کتاب الزهد للشیبانی/۳۴۶:

حدثنا عبدالله، حدثنی عثمان بن أبی شیبة، حدثنا أبو بکر بن عیاش، عن مغیرة قال: إن أویس القرنی لیتصدق بثیابه حتی یجلس عریاناً لا یجدها یروح فیه إلی الجمعة.

وفی لسان المیزان: ۱/۴۷۴:

سفیان الثوری: حدثنی قیس بن یسیر بن عمرو، عن أبیه أن أویساً القرنی عری غیر مرة فکساه أبی، قال وکان أویس یقول: اللهم لا تؤاخذنی بکبد جائعة، أو جسد عار.

وفی صفحة ۲۸۰: وقال ضمرة بن ربیعة، عن عثمان بن عطاء الخراسانی، عن أبیه، قال: کان أویس یجالس رجلًا من فقهاء الکوفة یقال له یسیر ففقدته، فإذا هو فی خص له قد انقطع من العری... وذکره فی میزان الاعتدال: ۱/۲۸۲، وفی سیر أعلام النبلاء: ۲۹۴ – ۳۳. انتهی.

وهذه النصوص تکشف عن الفقر الشدید الذی کانت تعیشه طبقة واسعة من المجتمع الإسلامی، وأن أموال الفتوحات صرفت فی الطریق قبل أن تصل الیها، فکان بعضها لا یملک حتی ثوبین مناسبین یتستر بهما، بل کان فیهم من یموت من الجوع!!

ولذلک کان أویس یدعو الله تعالی أن لا یؤاخذه بعری العارین، وجوع الجائعین، لأنه لا یملک إلا ثوبیه اللذین یلبسهما، ولا یملک إلا ما فی بطنه من طعام، وکل ما یحصل علیه من عمله ومن هدایا الناس، کان یعطیه لهؤلاء للفقراء!!

وهی تدل أیضاً علی أن زهد أویس کان زهداً واعیاً یحمل هم الفقراء، وکان یحمل مسؤولیة فقرهم وبؤسهم للخلیفة والدولة، والطبقة المترفة التی کونت ثروتها من الفتوحات، وکانت تنقم من أویس أنه یهتم بهم، ویأمر من أجلهم بالمعروف وینهی عن المنکر، وسیأتی رأیه فی الخلفاء غیر علی علیه السلام وما لاقاه منهم!

و قد ربی أویس تلامیذ علی سیرته

فی مستدرک الحاکم: ۳/۴۰۸:

حدثنی أبو بکر محمد بن أحمد بن بالویه، ثنا محمد بن عثمان بن أبی شیبة، ثنا یحیی بن معین، حدثنی أبو عبیدة الحداد، ثنا أبو مکین قال: رأیت امرأة فی مسجد أویس القرنی قالت: کان یجتمع هو وأصحاب له فی مسجدهم هذا، یصلون ویقرؤون فی مصاحفهم فآتی غداءهم وعشاءهم هاهنا، حتی یصلوا الصلوات، قالت: وکان ذلک دأبهم ما شهدوا حتی غزوا، فاستشهد أویس وجماعة من أصحابه فی الرجالة بین یدی علی بن أبی طالب رضی الله عنهم أجمعین.

رأیه فی الحکام غیر علی

قال الشاطبی فی الإعتصام: ۱/۳۰:

نقل عن سيد العابدين بعد الصحابة أويس القرنى أنه قال: إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يدعا للمؤمن صديقاً، نأمرهم بالمعروف فيشتمون أعراضنا!! ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين!!

وفى مستدرك الحاكم: ٣/٤٠٥:

حدثنا أحمد بن زياد الفقيه الدامغانى، ثنا محمد بن أيوب، أنا أحمد بن يونس، ثنا أبو الأحوص، حدثنى صاحب لنا قال: جاء رجل من مراد إلى أويس القرنى فقال السلام عليكم، قال وعليكم.

قال: كيف أنتم يا أويس؟

قال: الحمد لله.

قال: كيف الزمان عليكم؟

قال: لا تسأل! الرجل إذا أمسى لم ير أنه يصبح، وإذا أصبح لم ير أنه يمسى!

يا أخا مراد، إن الموت لم يبق لمؤمن فرحاً.

يا أخا مراد، إن عرفان المؤمن بحقوق الله لم تبق له فضة ولا ذهباً.

يا أخا مراد، إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقاً! والله إنا لنأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيتخذوننا أعداء، ويجدون على ذلك من الفاسقين أعواناً، حتى والله لقد يقذفوننا بالعظائم، ووالله لا يمنعنى ذلك أن أقول بالحق!! انتهى.

وفى بحار الأنوار: ٦٨/٣٦٧:

أعلام الدين: روى عن أويس القرنى رحمه الله قال لرجل سأله كيف حالك؟

فقال: كيف يكون حال من يصبح يقول: لا أمسى، ويمسى يقول: لا أصبح، يبشر بالجنة ولا يعمل عملها، ويحذر النار ولا يترك ما يوجبها.

والله إن الموت وغصصه وكرباته وذكر هول المطلع وأهوال يوم القيامة، لم تدع للمؤمن فى الدنيا فرحاً، وإن حقوق الله لم تبق لنا ذهباً ولا فضة، وإن قيام المؤمن بالحق فى الناس لم يدع له صديقاً، نأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر فيشتمون أعراضنا، ويرموننا بالجرائم والمعايب والعظائم، ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين!! إنه والله لا يمنعنا ذلك أن نقوم فيهم بحق الله!

اضطهاد مخابرات الخلافة لاويس

يفهم من نصوص أويس أن سلطة الخلافة لم تتحمل منه ابتعاده عن الحكام وامتناعه أن يستغفر لهم ثم أمره إياهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وتعريضه وإعلانه بسيرته ودعائه كل يوم أنهم مسؤولون عن جوع الجائعين وعرى العارين.. وكأنه بذلك يقول للناس إنهم لا يصلحون للحكم باسم رسول الله صلى الله عليه وآله!!

لقد عبر هذا الولى الذى هو آية من آيات الله تعالى، ومعجزة من معجزات رسوله بكلماته القليلة عن محنته ومعاناته من مخابرات السلطة فى زمن عمر وأبى بكر وعثمان، ولم يكن ذنبه أنه نافس أحداً فى سلطان، ولا جمع حوله قبيلته قرن وكون منهم قوة سياسية تطالب بحصة من أموال الفتوحات.. بل كان يعيش عيشة الفقراء مع الفقراء، ويعبد ربه عز وجل، ويأمر بالمعروف وينهى المنكر..

ولكن السلطة مع ذلك لم تتركه، فاتخذته عدواً! وسلطت عليه الفساق واتهمته بالعظائم والجرائم والمعايب، على حد تعبيره!!

ولهذا ينبغى أن نبحث عن السلطة وراء كل ما نشك فيه من روايات أويس، ومن أولها الروايات التى تقول أن القرنيين سئلوا عنه فلم يعرفوه، والتى احتج بها البخارى على تضعيف أويس، وعدم قبول روايته!!

فكيف يتعقل إنسان أن شخصية بمستوى أويس، كان يبحث عنه الخليفة عمر، وكل أمله أن ينطق له بكلمة (غفر الله لك) لأن الرسول صلى الله عليه وآله قال له إن استطعت أن يستغفر لك فهنيئا لك!! ثم لا يكون معروفاً عند القرنيين وكل اليمانيين وموضع افتخارهم؟!

إن نفی القرنیین لمعرفتهم بأویس وتشکیکهم بنسبه، إما أن یکون مکذوباً، وإما أن تکون السلطة قد شوهت سمعة أویس وعزلته، حتی اضطر بعض القرنیین من قبیلته الصغیرة أن ینکروا أنه منهم!!

وتدل الروایات علی أن سلطة الخلافة لم تستطع الانتقام من أویس مباشرة، بسبب مکانته فی قلوب المسلمین.. ولذلک اتبعت أسلوب إیذائه وتحقیره، ووکلت به رجلاً حکومیاً من عشیرته، یؤذیه ویشیع التهم حول شخصیته ونوایاه، وأنه رجل مراء ومجنون!!

فابن عمه الذی ورد أنه کان من رجال حاکم الکوفة، وکان مولعاً بأویس یشتمه ویؤذیه.. کان واحداً من عملاء السلطة المکلفین بتحقیر أویس وأذیته، لاسقاط شخصیته ومنع تأثیره علی المسلمین!

فقد روی الحاکم فی المستدرک: ۳/۴۰۴ عن أسیر بن جابر، قال:

فکنا نجتمع فی حلقة فنذکر الله، وکان یجلس معنا، فکان إذا ذکرهم وقع حدیثه من قلوبنا موقعاً لا یقع حدیث غیره، ففقدته یوماً فقلت لجلیس لنا: ما فعل الرجل الذی کان یقعد الینا، لعله اشتکی؟

فقال: الرجل من هو؟

فقلت: من هو؟

قال: ذاک أویس القرنی.

فدللت علی منزله فأتیته فقلت یرحمک الله أین کنت، ولم ترکتنا؟

فقال: لم یکن لی رداء، فهو الذی منعنی من إتیانکم!

قال: فألقیت إلیه ردائی، فقذفه إلی!

قال فتخالیته ساعة، ثم قال:

لو أنی أخذت رداءک هذا فلبسته فرآه علی قومی قالوا انظروا إلی هذا المرائی لم یزل فی الرجل حتی خدعه وأخذ رداءه!!

فلم أزل به حتی أخذه، فقلت: انطلق حتی أسمع ما یقولون!

فلبسه فخرجنا، فمر بمجلس قومه فقالوا: أنظروا إلی هذا المرائی لم یزل بالرجل حتی خدعه وأخذ رداءه!!

فأقبلت علیهم فقلت: ألا تستحیون؟! لم تؤذونه؟! والله لقد عرضته علیه فأبی أن یقبله.

وروی ابن حبان فی المجروحین: ۳/۱۵۱:

عن صعصعة بن معاویة قال: کان أویس بن عامر رجلاً من قرن، وکان من أهل الکوفة وکان من التابعین، فخرج وبه وضح، فدعا الله أن یذهبه عنه فأذهبه فقال: اللهم دع فی جسدی ما أتذکر به نعمتک. فترک الله منها ما یذکر به نعمته علیه، وکان رجلاً یلازم المسجد فی ناس من أصحابه، وکان ابن عم له یلزم السلطان تولع به، فإن رآه مع قوم أغنیاء قال ما هو إلا یشاکلهم! وإن رآه مع قوم فقراء، قال ما هو إلا یخدعهم!

وأویس لا یقول فی ابن عمه إلا خیراً!! غیر أنه إذا مر به استتر منه مخافة أن یأثم فی سبه! انتهی.

وستأتی بقیته فی روایات لقائه بعمر بن الخطاب.

اویس من شیعة علی

فی مسند أحمد: ۳/۴۸۰:

حدثنا عبد الله، حدثنی أبی، ثنا أبو نعیم قال: ثنا شریک، عن یزید بن أبی زیاد، عن عبد الرحمن بن أبی لیلی قال: نادی رجل من أهل الشام یوم صفین:

أفیکم أویس القرنی؟

قالوا: نعم.

قال: سمعت رسول الله (ص): إن من خير التابعين أويساً القرنى. انتهى. وقد رواه أبونعيم فى الحليـة: ۲/۸۶ وقال فى مجمع الزوائد: ۱۰/۲۲: رواه أحمد وإسناده جيد ورواه ابن سعد فى الطبقات: ۶/۱۶۳ واللالكائى فى كرامات الأولياء/۱۰۹ وابن معين فى تاريخه (رواية الدورى): ۱/۳۲۴ واللواتى فى تحفة النظار: ۲/۱۹۰

وورواه أبو نعيم فى الحلية: ۲/۲۲۱، وقال بعده:

ورواه جماعة عن شريك، وقال ابن عمار الموصلى: ذكر عند المعافى بن عمران أن أويساً قتل فى الرجالة مع على بصفين، فقال معافى: ما حدث بهذا إلا الأعرج! فقال له عبد ربه الواسطى: حدثنى به شريك، عن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى! قال: فسكت!! انتهى.

ورواه كذلك فى الإصابة: ۱/۲۲۱:

وقد تقدمت روايته عند الحاكم عن أبى مكين.

ورواه أبو نعيم أيضاً بذلك فى صفحة ۲۲۲، ثم قال:

ومن طريق الأصبغ بن نباتة قال: شهدت علياً يوم صفين يقول من يبايعنى على الموت، فبايعه تسعة وتسعون رجلًا فقال: أين التمام؟ فجاءه رجل عليه أطمار صوف، محلوق الرأس فبايعه على القتل، فقيل: هذا أويس القرنى، فما زال يحارب حتى قتل.

ورواه الحاكم فى: ۳/۴۰۲، فقال:

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدورى، ثنا أبو نعيم، ثنا شريك، عن يزيد بن ابى زياد، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: لما كان يوم صفين نادى مناد من أصحاب معاوية أصحاب على: أفيكم أويس القرنى؟

قالوا: نعم.

فضرب دابته حتى دخل معهم، ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خير التابعين أويس القرنى. انتهى.

ورواه الذهبى فى تاريخ الإسلام: ۳/۵۵۶، بنحو رواية أحمد، قال:

عن ابن أبى ليلى قال: إن أويساً شهد صفين مع على، ثم روى عن رجل أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أويس خير التابعين بإحسان.

ورواه فى سير أعلام النبلاء: ۴/۳۱، بنحو رواية الحاكم، قال:

شريك، عن يزيد بن أبى زياد، عن عبدالرحمن بن أبى ليلى قال: نادى رجل من أهل الشام يوم صفين: أفيكم أويس القرنى؟ قلنا نعم وما تريد منه؟

قال: إنى سمعت رسول الله(ص)يقول: أويس القرنى خير التابعين بإحسان، وعطف دابته فدخل مع أصحاب على (رض). رواه عبد الله بن أحمد، عن على بن حكيم الأودى، أنبأنا شريك. وزاد بعض الثقات فيه عن يزيد، عن ابن أبى ليلى، قال: فوجد فى قتلى صفين.

وكذا رواه فى أسد الغابة: ۵/۳۸۰ وروته مصادرنا بنحوه فى اختيار معرفة الرجال: ۳۱۴۱، وشرح الأخبار: ۲/۳، ومعجم رجال الحديث: ۴/۱۵۴، وجامع الرواة: ۱/۱۱۰، وغيرها.

صاحب البصيرة الزاهد، شجاع مجاهد

فى ميزان الاعتدال: ۱/۲۸۱:

وقال فضيل بن عياض: أخبرنا أبوقرة السدوسى، عن سعيد بن المسيب قال: نادى عمر بمنى على المنبر: يا أهل قرن، فقام مشايخ، فقال: أفيكم من اسمه أويس؟

فقال شیخ: یا أمیر المؤمنین ذاک مجنون یسکن القفار والرمال.

قال: ذاک الذی أعنیه، إذا عدتم فاطلبوه وبلغوه سلامی.

فعادوا إلی قرن، فوجدوه فی الرمال، فأبلغوه سلام عمر وسلام رسول الله(ص)، فقال: عرفنی أمیر المؤمنین، وشهر اسمی، ثم هام علی وجهه، فلم یوقف له بعد ذلک علی أثر دهرا، ثم عاد فی أیام علی فقاتل بین یدیه فاستشهد بصفین، فنظروا فإذا علیه نیف وأربعون جراحهٔ. انتهی.

راجع أیضاً: لسان المیزان: ۱/۴۷۴، وتاریخ الإسلام للذهبی: ۳/۵۵۸، وسیر أعلام النبلاء: ۴/۳۲

وفی مستدرک الحاکم: ۲/۳۶۵:

قال ثم قال أویس: إن هذا المجلس یغشاه ثلاثهٔ نفر: مؤمن فقیه، ومؤمن لم یتفقه ومنافق... لم یجالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزیادهٔ أو نقصان، فقضاء الله الذی قضی شفاء ورحمهٔ للمؤمنین ولا یزید الظالمین إلا خسارا.

اللهم ارزقنی شهادهٔ تسبق کسرتها أذاها، وأمنها فزعها، تؤوب الحیاهٔ والرزق. ثم سکت.

قال أسیر فقال لی صاحبی: کیف رأیت الرجل؟

قلت ما ازددت فیه إلا رغبهٔ، وما أنا بالذی أفارقه، فلزمناه فلم نلبث إلا یسیرا حتی ضرب علی الناس بعث أمیر المؤمنین علی (رض)، فخرج صاحب القطیفهٔ أویس فیه، وخرجنا معه فیه، وکنا نسیر معه وننزل معه، حتی نزلنا بحضرهٔ العدو.

قال ابن المبارک: فأخبرنی حماد بن سلمهٔ، عن الجریری، عن أبی نضرهٔ، عن أسیر بن جابر قال: فنادی علی (رض): یا خیل الله ارکبی وأبشری.

قال فصف الثلثین لهم، فانتضی صاحب القطیفهٔ أویس سیفه حتی کسر جفنه فألقاه، ثم جعل یقول:

یا أیها الناس: تموا تموا، لیتمن وجوه ثم لا تنصرف حتی تری الجنهٔ.

یا أیها الناس تموا تموا، جعل یقول ذلک ویمشی وهو یقول ذلک ویمشی إذ جاءته رمیهٔ فأصابت فؤاده فبرد مکانه، کأنما مات منذ دهر.

قال حماد فی حدیثه فواریناه فی التراب. هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم ولم یخرجاه بهذه السیاقهٔ.

نسب أویس القرنی و نسبته

قال الطبری فی تاریخه: ۱۰/۱۴۵:

وأویس القرنی من مراد، وهو یحابر بن مالک بن مذحج، وهو أویس بن عامر بن جزء بن مالک بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجیهٔ بن مراد، وهو یحابر بن مالک.

وقال الجوهری: ۶/۲۱۸۱:

والقرن: موضع، وهو میقات أهل نجد، ومنه أویس القرنی.

وقال فی هامشه: القرن هنا بتسکین الراء، وأما أویس القرنی فلیس منسوباً إلی میقات أهل نجد، وإنما نسبته إلی بنی قرن، بطن من مراد من الیمن.

وقال الخلیل فی کتاب العین: ۵/۱۴۲:

وقرن: حی من الیمن، منهم أویس القرنی.

وقال السمعانی فی الانساب: ۴/۴۸۱:

القرنی: بفتح القاف والراء وکسر النون.. هذه النسبهٔ إلی قرن، وهو بطن من مراد، یقال له قرن بن ردمان بن ناجیهٔ بن مراد، نزل الیمن،

والمشهور بهذه النسبة المعروف فى الأقطار: أويس بن عامر القرنى، وقصته فى الزهد معروفة، وقال الدار قطنى: قرن، بفتحتين، فهو فيما ذكر ابن حبيب، قال: فى مراد، قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد، قوم أويس بن عامر القرنى الزاهد.

والموضع الذى يحرم منه أهل نجد يقال له: قرن المنازل، بسكون الراء. وأويس سكن الكوفة، وكان عبداً زاهداً.

وفى أسد الغابة: ۱/۱۵۱:

أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن مسعده بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجيه بن مراد المرادى ثم القرنى، الزاهد المشهور، هكذا نسبه ابن الكلبى، أدرك النبى(ص)، ولم يره، وسكن الكوفة وهو من كبار تابعيها.

وفى إكمال الكمال: ۷/۱۱۳:

أما قرن بفتح القاف والراء ففى مراد، قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد. منهم أويس بن عمرو القرنى الزاهد وغيره.

وفى صفحة ۱۴۲: أويس بن عمرو القرنى، ويقال ابن عامر.

وفى تهذيب التهذيب: ۱/۳۳۷:

(مسلم) أويس بن عامر القرنى المرادى سيد التابعين.

وفى هامشه: قال فى التقريب المغنى: القرنى بفتح القاف والراء بعدها نون، نسبة إلى قرن بن رومان، والمرادى بمضمومة وخفة راء ودال مهملة، نسبة إلى مراد. اسمه يحابر بن مالك. اه.

وفى سير أعلام النبلاء: ۴/۱۹:

أويس القرنى، هو القدوة الزاهد، سيد التابعين فى زمانه، أبوعمرو، أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرنى المرادى اليمانى. وقرن بطن من مراد. انتهى.

وبذلك يتضح أن نسبته (القرنى) بفتح الراء إلى قبيلة يمانية، وليس إلى قرن المنازل بسكون الراء، وقد اشتبه ذلك على الجوهرى وغيره، كما نص عليه ابن الأثير وغيره.

راجع أيضاً: اختيار معرفة الرجال/۳۱۴، والتحرير الطاووسى/۷۴، وطرائف المقال: ۲/۱۹۲، ومجمع البحرين: ۱/۱۳۱، والأعلام: ۱/۳۷۵، والبداية والنهاية: ۶/۲۲۵.

وبهذا يتضح أن أويساً عربى يمانى، ومن الطبيعى أن يكون أسمر اللون، ولكن بعض الروايات تذكر أنه كان آدم شديد الادمة، وكأنها تريد القول إنه كان أفريقيا أسود! فى محاولة لذم أويس فى ذلك المجتمع الأموى المتعصب ضد الأفارقة.

عشيرة الأويسات أو اللويسات السورية

فى معجم قبائل العرب: ۳/۱۰۱۹

اللويسات: من عشائر سهل الغاب بجسر الشغور، أحد أقضية محافظة حلب. ينتسبون إلى أويس القرنى، وقد قطنوا الغاب فى القرن الحادى عشر، وقريتهم الحويجة، ويعدون ۳۲ بيتاً.

روايات لقائه بعمر و استغفاره له

قال مسلم فى صحيحه: ۷/۱۸۸

عن عمر بن الخطاب قال: إنى سمعت رسول الله(ص)يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لابره، وكان به بياض فبرئ، فمروه فليستغفر لكم...

كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟

قال: نعم.

قال: من مراد، ثم من قرن؟

قال: نعم.

قال: فكان بك برص فبرئت منه، إلا موضع درهم؟

قال: نعم.

قال: لك والدة؟

قال: نعم.

قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: يأتی عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم. له والدة هو بها برٌّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فاستغفر لی، فاستغفر له...

عن أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس، فقال عمر: هل ها هنا أحد من القرنيين؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر: إن رسول الله(ص)قد قال: إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمن غير أم له، قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم.

وروى أحمد: ۱/۳۸، رواية مسلم المطولة، وفيها:

قال له عمر (رض): استغفر لی.

قال: أنت أحق أن تستغفر لی، أنت صاحب رسول الله(ص).

فقال عمر (رض): إنی سمعت رسول الله(ص)يقول: إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فدعا الله عز وجل فأذهبه عنه إلا موضع الدرهم فی سرته، فاستغفر له ثم دخل فی غمار الناس، فلم يدر أين وقع! قال: فقدم الكوفة قال وكنا نجتمع فی حلقة فنذكر الله، وكان يجلس معنا، فكان إذا ذكر هو وقع حديثه من قلوبنا موقعاً لا يقع حديث غيره. انتهى.

ورواه الحاكم فی: ۳/۴۰۴، والبيهقی فی الدلائل: ۶/۳۷۶ والذهبی فی سير أعلام النبلاء: ۴/۲۰

وقال الحاكم فی: ۳/۴۰۳:

وقد صحت الرواية بذلك عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) عن رسول الله صلى الله عليه وآله. أخبرناه أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيبانی... فلما كان فی العام المقبل حج رجل من أشرافهم فسأل عمر عن أويس كيف تركته؟ فقال: تركته رث البيت قليل المتاع، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يأتی عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لابره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل.

فلما قدم الرجل أتى أويساً فقال استغفر لی فقال: أنت أحدث الناس بسفر صالح فاستغفر لی.

فقال:لقيت عمر بن الخطاب؟

فقال: نعم.

قال فاستغفر له، قال ففطن له الناس، فانطلق على وجهه.

قال أسير: فكسوته برداً، فكان إذا رآه عليه إنسان قال من أين لاويس هذا؟!

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وروى نحوه فی: ۳/۴۰۴، والذهبی فی سير أعلام النبلاء: ۴/۲۰.

وفی طبقات ابن سعد: ۶/۱۱۳

عن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتت عليه أمداد اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر؟ فلما كان من العام المقبل حج

رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس القرنى، قال: سمعت رسول الله يقول يأتى عليك أويس بن عامر من أمداد أهل اليمن من مراد.. بر لو أقسم على الله لابره، فإن استطعت أن يستغفر لک فافعل.. ورواه فى سير أعلام النبلاء: ۴/۲۰ والبيهقى فى شعب الإيمان: ۵/۳۱۹، وابن كثير فى البداية والنهاية: ۶/۲۲۵

وفى المجروحين لابن حبان: ۳/۱۵۱:

وكان عمر بن الخطاب يسأل الوفود إذا قدموا من الكوفة: هل تعرفون أويس بن عامر القرنى؟ فيقولون: لا، فقدم وفد من أهل الكوفة فيهم ابن عمه فقال عمر: هل تعرفون أويس بن عامر القرنى؟

فقال ابن عمه: يا أمير المؤمنين هو ابن عمى وهو رجل فاسد، لم يبلغ ما أن تعرفه أنت يا أمير المؤمنين!!

فقال له عمر: ويلک هلكت ويلک هلكت، إذا أتيته فاقرئه منى السلام، ومره فليقدم إلى، فقدم الكوفة فلم يضع ثياب سفره عنه حتى أتى المسجد قال: فرأى أويساً فسلم به وقال: استغفر لى يا ابن عمى!

قال: غفر الله لک يا ابن عمى!

قال: وأنت يا أويس يغفر الله لک، أمير المؤمنين يقرئک السلام.

قال: ومن ذكرنى لامير المؤمنين؟

قال: هو ذكرک وأمرنى أن أبلغک أن تفد إليه.

فقال: سمعا وطاعة لامير المؤمنين! فوفد إليه حتى دخل على عمر فقال:

أنت أويس بن عامر؟

قال: نعم.

قال: أنت الذى خرج بک وضح فدعوت الله أن يذهب عنک فأذهبه فقلت: اللهم دع لى من جسدى ما أذكر به نعمتک؟

قال: نعم.

قال: أخبرنا رسول الله(ص)أنه سيكون فى التابعين رجل من قرن يقال له أويس بن عامر، يخرج به وضح فيدعو الله أن يذهبه عنه فيذهبه، فيقول:اللهم دع لى من جسدى ما أذكر به نعمتک على، فيدع الله له ما يذكره نعمته عليه، فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليستغفر له. استغفر لى يا أويس بن عامر، فقال: غفر الله لک يا أمير المؤمنين.

قال آخر: استغفر لى يا أويس، وقال آخر: استغفر لى يا أويس، فلما أكثروا عليه انساب فذهب! فما رؤى حتى الساعة.

راجع أيضاً: الطبقات الكبرى ۱۱۱/۶، الميزان ۴۹۲/۴، سير أعلام النبلاء: ۴/۲۵، كنز العمال: ۱۴/۱۰، الموضوعات لابن الجوزى ۴۳/۲. انتهى.

فهذه الروايات تدل على أن أويساً جاء من اليمن إلى الكوفة وسكن بها، قبل أن يعرفه عمر، مع أن طريقه تمر على الحجاز.

وتدل على أن ايذاء السلطة له فى الكوفة كان قبل مجيئه إلى المدينة، إلى عمر.

ومن البعيد أن حاكم الكوفة كان يجرؤ على مضايقة شخصية مثل أويس بدون رأى عمر، وإذا صحت رواية استدعائه له، فقد يكون الغرض محاولة كسبه، وأنها فشلت، لأنه أنسل من المدينة وهرب راجعاً إلى الكوفة بدون رضا عمر!

ولا بد أن مشكلته مع حاكم الكوفة ورجاله قد زادت أو بقيت على حالها!

وفى كنز العمال: ۱۴/۱۰:

عن صعصعة بن معاوية قال: كان عمر بن الخطاب يسأل وفد أهل الكوفة إذا قدموا عليه: تعرفون أويس بن عامر القرنى؟ فيقولون: لا. وكان أويس رجلًا يلزم المسجد بالكوفة فلا يكاد يفارقه، وله ابن عم يغشى السلطان ويؤذى أويساً، فوفد ابن عمه إلى عمر فيمن وفد من أهل الكوفة، فقال عمر: أتعرفون أويس بن عامر القرنى؟ فقال ابن عمه: يا أمير المؤمنين إن أويساً لم يبلغ أن تعرفه أنت، إنما هو

إنسان دون، وهو ابن عمی...

فقال له عمر: ویلک هلکت! إن رسول الله صلی الله علیه وسلم حدثنا أنه سیکون فی التابعین رجل یقال له أویس بن عامر القرنی، فمن أدرکه منکم فاستطاع أن یستغفر له فلیفعل، فإذا رأیته فأقرئه منی السلام، ومره أن یفد إلی، فوفد الیه، فلما دخل علیه قال:أنت أویس بن عامر القرنی؟ أنت الذی خرج بک وضح من برص فدعوت الله أن یذهبه عنک فأذهبه، فقلت اللهم أبق لی منه فی جسدی ما أذکر به نعمتک؟ قال: وأنی دریت یا أمیر المؤمنین؟ والله إن أطلعت علی هذا بشرا! قال: أخبرنی به رسول الله صلی الله علیه وسلم أنه سیکون فی التابعین رجل یقال له أویس بن عامر القرنی، یخرج به وضح من برص فیدعو الله أن یذهبه عنه فیفعل، فیقول: اللهم اترک فی جسدی ما أذکر به نعمتک، فیفعل، فمن أدرکه فاستطاع أن یستغفر له فلیفعل، فاستغفر لی یا أویس. قال: غفر الله لک یا أمیر المؤمنین! قال: ولک یغفر الله یا أویس بن عامر.فقال الناس: استغفر لنا یا أویس، فراغ، فما رئی حتی الساعة (ع، وابن منده، کر).وفی هامشه: راغ إلی کذا: مال الیه سرا وحاد (ع، وابن منده، کر) انتهی.

وفی هامشه: راغ إلی کذا: مال إلیه سرا وحاد).

وقد روی قوله (فراغ فما رئی حتی الساعة) ابن حبان فی المجروحین: ۳/۱۵۱، وفی لسان المیزان: ۱/۴۷۱..

روایات توجب الشک فی استغفاره لعمر

الأمر الثابت فی الروایات، والمنطقی أیضاً، أن عمر کان یبحث عن أویس لکی یستغفر له، کما تقدم.

بل فی بعضها أنه کان یبحث عنه إلی آخر سنة من خلافته..

ففی طبقات ابن سعد: ۶/۱۱۳:

قال بن عون عن محمد قال: أمر عمر أن نری رجلا من التابعین أن یستغفر له، قال محمد: فأنبئت أن عمر کان ینشده فی الموسم، یعنی أویساً.. انتهی.

وتدل الروایة التالیة علی أن أویساً لم یر عمر أبدا، وأنه بقی فی الیمن إلی خلافة علی علیه السلام، ولم یقبل دعوة عمر للمجئ إلی المدینة!! وعندما وجدوه فی الیمن وبلغوه سلام عمر وسلام الرسول صلی الله علیه وآله فقال له عمر: ویلک هلکت! إن رسول الله (ص)حدثنا أنه سیکون فی التابعین رجل یقال له أویس بن عامر القرنی، فمن أدرکه منکم فاستطاع أن یستغفر له فلیفعل، فإذا رأیته فاقرءه منی السلام، ومره أن یفد إلی، فوفد إلیه، فلما دخل علیه قال:

أنت أویس بن عامر القرنی؟ أنت الذی خرج بک وضح من برص فدعوت الله أن یذهبه عنک فأذهبه، فقلت اللهم أبق لی منه فی جسدی ما أذکر به نعمتک؟ قال: وأنی دریت یا أمیر المؤمنین؟ والله إن أطلعت علی هذا بشراً!

قال: أخبرنی به رسول الله(ص)أنه سیکون فی التابعین رجل یقال له أویس بن عامر القرنی، یخرج به وضح من برص فیدعو الله أن یذهبه عنه فیفعل، فیقول: اللهم أترک فی جسدی ما أذکر به نعمتک، فیفعل، فمن أدرکه فاستطاع أن یستغفر له فلیفعل، فاستغفر لی یا أویس. قال: غفر الله لک یا أمیر المؤمنین! قال: ولک یغفر الله یا أویس بن عامر. فقال الناس: استغفر لنا یا أویس. رد علی سلام الرسول وآله، ولم یرد سلام عمر!!

وفی کنز العمال: ۱۴/۱۰:

عن سعید بن المسیب قال: نادی عمر بن الخطاب وهو علی المنبر بمنی:

یا أهل قرن! فقام مشایخ فقالوا: نحن یا أمیر المؤمنین!

قال: أفی قرن من اسمه أویس؟

فقال شیخ: یا أمیر المؤمنین لیس فینا من اسمه أویس إلا مجنون یسکن القفار والرمال ولا یألف ولا یؤلف!

فقال: ذاك الذی أعنیه، إذا عدتم إلی قرن فاطلبوه وبلغوه سلامی وقولوا له: إن رسول الله(ص)بشرنی بک، وأمرنی أن أقرأ علیک سلامه.

فعادوا إلی قرن فطلبوه فوجدوه فی الرمال، فأبلغوه سلام عمر وسلام رسول الله(ص)، فقال: أعرفنی أمیر المؤمنین وشهر باسمی؟! السلام علی رسول الله، اللهم صل علیه وعلی آله، وهام علی وجهه فلم یوقف له بعد ذلک علی أثر دهراً ثم عاد فی أیام علی فقاتل بین یدیه، فاستشهد فی صفین (کر).

وکذا فی سیر أعلام النبلاء: ۴/۳۲

فهذه الروایات تدل علی أنه بقی فی الیمن، ولم یر عمر أصلًا!!

بینما تقول لروایة أخری إنه قدم من الیمن علی عمر فی المدینة، ولکنه لم یستغفر له، وهرب منه!

ففی سیر أعلام النبلاء: ۴/۲۴:

قال عمر: فقدم علینا ها هنا فقلت: ما أنت؟ قال: أنا أویس.

قلت: من ترکت بالیمن؟

قال: أما لی.

قلت: هل کان بک بیاض فدعوت الله فأذهبه عنک؟

قال: نعم.

قلت: استغفر لی.

قال: یا أمیر المؤمنین یستغفر مثلی لمثلک؟!

قلت: أنت أخی لا تفارقنی. فانملس منی، فأنبئت أنه قدم علیکم الکوفة. انتهی.

وقال فی صفحة ۲۷: وفی لفظ: أو یستغفر لمثلک؟!

وروی نحواً من ذلک عثمان بن عطاء الخراسانی عن أبیه!! انتهی.

وفی دلائل النبوة للبیهقی: ۶/۳۷۶:

لما أقبل أهل الیمن جعل عمر (رض) یستقرئ فیقول هل فیکم أحد من قرن؟... فوقع زمام عمر أو زمام أویس... فناوله عمر فقال له: ما اسمک؟

قال: أویس.

فقال له عمر: استغفر لی.

قال: أنت أحق أن تستغفر لی.

ونحوه فی مسند أحمد: ۱/۳۸، وسیر أعلام النبلاء: ۴/۲۰

وفی مستدرک الحاکم: ۳/۴۰۴:

عن أسیر بن جابر قال لما أقبل أهل الیمن جعل عمر (رض) یستقری الرفاق فیقول: هل فیکم أحد من قرن؟ حتی أتی علیه قرن فقال: من أنتم؟

قالوا: قرن.

فرفع عمر بزمامه أو زمام أویس فناوله عمر فعرفه بالنعت، فقال له عمر:

ما اسمک؟قال أنا أویس. قال: هل کان لک والدة؟ قال: نعم. قال: هل بک من البیاض؟ قال: نعم، دعوت الله تعالی فأذهبه عنی إلا موضع الدرهم من سرتی لاذکر به ربی. فقال له عمر: إستغفر لی. قال: أنت أحق أن تستغفر لی، أنت صاحب رسول الله صلی الله علیه

وآله. انتهى.

وروى الذهبى فى سير أعلام النبلاء: ۴/۲۷، نصاً طريفاً عن أبى هريرة، ورده، وقد جاء فيه:

فلما كان فى آخر السنة التى هلك فيها عمر، قام على أبى قبيس فنادى بأعلى صوته:

يا أهل الحجيج من أهل اليمن، أفيكم أويس من مراد؟

فقام شيخ كبير فقال: إنا لا ـ ندرى من أويس، ولكن ابن أخ لى يقال له أويس وهو أخمل ذكراً وأقل مالاً وأهون أمراً من أن نرفعه إليك، وإنه ليرعى إبلنا بأراك عرفات فذكر اجتماع عمر به وهو يرعى فسأله الاستغفار، وعرض عليه مالاً، فأبى. انتهى.

ثم قال الذهبى: وهذا سياق منكر لعله موضوع. انتهى.

وسبب حكمه عليه بالوضع أنه ينص على امتناع أويس من الاستغفار لعمر، وأنه لم يلقه إلا فى آخر سنة من عمره!

ولكن لو صح إشكال الذهبى على هذا النص، فإن تعارض الروايات الصحيحة عندهم فى القول بأنه استغفر لعمر أو لم يستغفر له، ورفضه أن يأخذ منه شيئاً مادياً أو معنوياً، وهروبه منه.. كل ذلك يؤيد مانص منها على أنه رفض الإستغفار له!

ويؤيد ذلك: أن التاريخ لم يذكر أن أويساً بايع أبا بكر ولا عمر ولا عثمان، ولا شارك فى حروب الفتح تحت إمرة أمرائهم، بل لم تذكر عنه شيئاً طيلة خلافتهم التى امتدت ربع قرن، حتى ظهر مع على عليه السلام، وبايعه، وشارك فى حروبه.

ويؤيده: أن روايات ذكرت أن عمر طلب منه أن يبقى عنده وقال له (أنت أخى لا ـ تفارقنى) فلم يقبل أويس وهرب منه، ولا تفسير لهروبه إلا أنه خاف أن يحرجه عمر فى كلام، أو يصر عليه أن يوليه عملاً فى دولته!

ويؤيده: أن عمر كان مركزياً شديد المركزية فى إدارته، وكان أويس معروفاً فى الكوفة، فلا يمكن القول بأن اضطهاد حاكم الكوفة لاويس كان بدون أمر من عمر! وبذلك يكون إحضاره إلى المدينة إن صح، محاولة من عمر لاستمالته، وقد فشلت!

ويؤيد أيضاً: تعارض الروايات فى وقت لقائه بعمر!

فبعضها يقول إنه كان يبحث عنه فى موسم الحج، كما فى كنز العمال: ۱۴/۷، عن محمد بن سيرين قال: أمر عمر بن الخطاب إن لقى رجلاً من التابعين أن يستغفر له قال محمد: قال فأنبئت أن عمر كان ينشده فى الموسم يعنى أويساً (ابن سعد، كر).

وبعضها: يقول إنه وفد عليه من اليمن، كما فى أسد الغابة: ۱/۱۵۱:

قال فقال عمر إن رسول الله(ص)قد قال إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم... فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال ألا ـ أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون فى غبراء الناس أحب إلى... ونحوه فى كنز العمال: ۱۴/۵، وتاريخ الإسلام: ۳/۵۵۶..

وبعضها: ينص على أنه كان فى آخر سنة من خلافته يبحث عنه! كالتى تقدمت من كنز العمال، وسير أعلام النبلاء: ۴/۲۷، عن أبى هريرة...

ويؤيد ذلك أيضاً: تناقضات أسير بن جابر راوى لقاء أويس بعمر، ففى رواية الحاكم المتقدمة عنه (: ۲/۳۶۵) أن أسيراً لم يعرف أويساً إلا فى الكوفة فى خلافة على عليه السلام، وأن أويساً لم يلبث بعد معرفته به إلا قليلاً حتى ذهب إلى صفين!

ورواياته الأخرى تقول إنه عرفه من عهد عمر، أى قبل بضع عشرة سنة من خلافة على عليه السلام.

هذا، مضافاً إلى تناقض الاحداث والمضامين التى رواها أسير، والصورة الساذجة التى أعطاها لهذا الولى الواعى، والدور الذى أعطاه لنفسه فى حياة أويس، كأنه ولى نعمته!

والمتأمل فى روايات أسير يلاحظ أن همه أن يبرز دوره ودور عمر فى حياة أويس!

وقد قال عنه الحاكم فى المستدرك: ۲/۳۶۵ (وأسير بن جابر من المخضرمين ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله. وهو من كبار أصحاب عمر (رض)). انتهى.

وقد جرح صعصعة بن معاوية فى أسير هذا، وصعصعة هو عم الأحنف بن قيس وقد وثقه النسائى وابن حبان، وشهد صعصعة بأن أسيراً كان من شرطة دار الإمارة بالكوفة وكان عمله إيذاء أويس (يغشى السلطان ويؤذى أويساً)!

وقد اعترف أسير بذلك ولكنه ادعى أنه تاب، وأن أويساً استغفر له!!

وإقراره على نفسه حجة، وادعاؤه التوبة دعوى تحتاج إلى دليل.

أما رواية صعصعة بن معاوية عن لقائه بعمر، التى رواها كنز العمال: ١٢/١٠، ورواها أبو يعلى فى مسنده: ١/١٨٧ ح ٢١٢، فهى مقطوعة، لأن صعصعة لم يدرك عمر، ولم يذكر ممن سمعها، وقد ذكروا أن صعصعة أدرك أبا ذر ورآه، وأنه كان حياً فى زمن الحجاج، ولا يعلم متى قال هذا الكلام، ولعله بعد زمن على عليه السلام.

من هم الذين خاطبهم النبى فى البشارة بأويس؟

تتعارض الروايات فى تعيين المخاطبين فى البشارة بأويس.. فبعضها تقول إن المخاطب بذلك هم المسلمون، بدون تحديد شخص أو أشخاص.

وروايات أسير بن جابر تقول إن النبى صلى الله عليه وآله خاطب بذلك عمر بن الخطاب، فهو يزعم أن ذلك إخبار غيبى بخلافة عمر، أو نوع من الوصية له، مع أن خلافة أبى بكر وعمر قامتا على أساس أن النبى صلى الله عليه وآله لم يوص لاحد، وأن عشائر قريش الثلاث والعشرين كلها ترث ملكه صلى الله عليه وآله لأنه ابن قريش!

وبعض الرويات، كما فى سير الذهبى: ٤/٢٤، تقول إن المخاطب هما عمر وعلى (يا عمر ويا على إذا رأيتماه، فاطلبا إليه يستغفر لكما، يغفر الله لكما. فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه). انتهى.

ومن الطبيعى أن هذه الرواية تريد تلطيف رواية أن المخاطب بذلك عمر وحده، لأن أويساً كان من شيعة على ولم يكن من شيعة عمر، فجعلت الخطاب لهما معاً!

أما ابن سلام الأباضى فقد ذكر فى كتابه بدء الإسلام/٧٩، أن المخاطب بذلك هما أبو بكر وعمر...

ولعل بعضهم روى أن المخاطب بذلك عثمان بن عفان، مع أن اسم عثمان غائب عن أحاديث أويس كلياً، رغم أن خلافته امتدت بضع عشرة سنة!

فهذا الاضطراب فى تسمية الذين خاطبهم النبى صلى الله عليه وآله فى أمر أويس، يقوى ما ورد فى مصادرنا من أن النبى صلى الله عليه وآله خاطب المسلمين عامة، وخاطب علياً عليه السلام خاصة، بأن أويساً سيبايعه ويقتل معه، فجعل الرواة هذه الفضيلة للخلفاء قبله، كما هو دأبهم فى مصادرة فضائل على عليه السلام وتلبيسها لغيره!

ولا يتسع البحث للافاضة فى هذا الموضوع.

قال المفيد فى الإرشاد: ١/٣١٥:

فى حديث عن على عليه السلام أنه قال: الله أكبر أخبرنى حبيبى رسول الله صلى الله عليه وآله أنى أدرك رجلاً من أمته يقال له أويس القرنى يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة، يدخل فى شفاعته مثل ربيعة ومضر. انتهى.

ونحوه فى الخرائج والجرائح: ١/٢٠٠، وإعلام الورى/١٧٠، والثاقب فى المناقب/٢٦٦، وبحار الأنوار: ٣٧/٢٩٩ و٣٨/١٤٧.

آراء شاذة و أخرى مشبوهة الهدف فى أويس

١ - حاولوا إعطاء شخصية أويس لعدوى وأموى

مع كثرة الأحاديث والروايات الصحيحة فى مصادر الشيعة والسنة حول أويس، ومع أن اسمه مميز لا يختلط بغيره.. إلا أن بعضهم

حاول أن يجعل الشخص الذى بشر النبى صلى الله عليه وآله بشفاعته شخصاً آخر غير أويس!!

قال ابن الأثير فى أسد الغابة: ۳/۲۹:

صلة بن أشيم العدوى من عدى بن الرباب وهو عدى ابن عبد مناة بن أد بن طابخة، أورده سعيد القرشى... صلة هذا قتل بسجستان سنة خمس وثلاثين، وكان عمره ثلاثين ومائة سنة، وقد ذكر النبى(ص)صلة فقال فيما روى يزيد بن جابر قال: بلغنا أن النبى(ص)قال: يكون فى أمتى رجل يقال له صلة، يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا. أخرجه أبو موسى.

روى يزيد عن جابر قال: بلغنا أن النبى قال: يكون فى أمتى رجل يقال له صلة (بن أشيم) يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا. انتهى.

ورواه الذهبى فى تاريخ الإسلام: ۵/۱۲۷

وترجم الذهبى فى سير أعلام النبلاء: ۳/۴۹۷، لصلة هذا باحترام كبير فقال:

صلة بن أشيم الزاهد العابد القدوة، أبو الصهباء العدوى البصرى زوج العالمة معاذة العدوية، ما علمته روى سوى حديث واحد عن ابن عباس.

حدث عنه أهله معاذة، والحسن، وحميد بن هلال، وثابت البنانى، وغيرهم.

ابن المبارك فى الزهد: عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: بلغنا أن النبى (ص)قال: يكون فى أمتى رجل يقال له صلة، يدخل الجنة بشفاعته كذا وكذا. هذا حديث معضل. انتهى. ثم ذكر الذهبى أنه استشهد فى سجستان سنة اثنين وستين.

وقال فى هامشه عن معاذة زوجة صلة: من رجال التهذيب، وحديثها فى الكتب الستة. وقال عن الحديث: إسناده ضعيف لأعضاله كما قال المؤلف، والحديث المعضل هو الذى سقط من إسناده اثنان على التوالى.

والخبر فى حلية الأولياء ۲/۲۴۱ من طريق ابن المبارك. انتهى.

وكفى الله المؤمنين هذا الحديث حيث ضعفه ناقلوه.. لكن تبقى دلالتة على أن وجود أويس كان ثقيلاً على السلطة وخاصة الأموية، لأنه شهادة نبوية حية على أن الحق مع على عليه السلام ولذلك حاولوا التخلص منه تارة بإنكار وجود أويس من الأساس! أو بتضعيفه، أو بإعطاء شخصيته لشخص عدوى قريب من الخليفة عمر.

وبعصهم سلم بوجود أويس لكن ادعى أنه قتل فى سجستان أو آذربيجان، ولم يقتل مع على فى صفين!!

وأخيراً.. حاول بعضهم أن يعطى شفاعة أويس لعثمان بن عفان! فقال فى تذكرة الموضوعات/۹۴: فى المختصر (يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من ربيعة ومضر) قيل هو أويس، والمشهور أنه عثمان بن عفان. انتهى.

ومعنى قوله (والمشهور) أنه يريد أن يجعله مشهوراً، وإن لم يكن كذلك حتى بين السنيين المحبين لعثمان!!

۲ - والبخارى ضعف أويساً ولم يقبل روايته!

فى ميزان الإعتدال: ۱/۲۷۸ ولسان الميزان: ۱/۴۷۱:

أويس بن عامر،ويقال ابن عمرو القرنى اليمنى العابد نزيل الكوفة، قال البخارى يمانى مرادى، فى إسناده نظر فيما يرويه! وقال البخارى أيضاً فى الضعفاء: فى إسناده نظر: يروى عن أويس فى إسناد ذلك.

قلت هذه عبارته! يريد أن الحديث الذى روى عن أويس فى الإسناد إلى أويس نظر، ولولا أن البخارى ذكر أويساً فى الضعفاء لما ذكرته أصلاً، فإنه من أولياء الله الصادقين، وما روى الرجل شيئاً فيضعف أو يوثق من أجله!

وقال أبو داود: حدثنا شعبة قال: قلت لعمرو بن مرة: أخبرنى عن أويس، هل تعرفونه فيكم؟ قال: لا.

قلت: إنما سألت عمراً عنه لأنه مرادى، هل تعرف نسبه فيكم؟ فلم يعرف. ولولا الحديث الذى رواه مسلم فى فضل أويس لما عرف، لأنه عبد لله تقى خفى، وما روى شيئاً، فكيف يعرفه عمرو، وليس من لم يعرف حجة على من عرفه! انتهى.

وشبيه به فى سير أعلام النبلاء: ۴/۱۹، قال:

أویس القرنی. هو القدوة الزاهد، سید التابعین فی زمانه، أبو عمرو، أویس بن عامر بن جزء بن مالک القرنی المرادی الیمانی. وقرن بطن من مراد.

وفد علی عمر وروی قلیلًا عنه، وعن علی.

روی عنه یسیر بن عمرو، و عبد الرحمن بن أبی لیلی، وأبو عبد رب الدمشقی وغیرهم، حکایات یسیرة، ما روی شیئاً مسنداً ولا تهیأ أن یحکم علیه بلین، وقد کان من أولیاء الله المتقین ومن عباده المخلصین. انتهی.

وقال الجرجانی فی الکامل: ۱/۱۲، بعد أن أورد عدداً من أحادیث أویس: قال الشیخ: وهذا الحدیث معروف لأویس یرویه معاذ بن هشام عن أبیه عن قتادة ولیس لأویس من الروایة شیء، وانما له حکایات ونتف وأخبار فی زهده، وقد شک قوم فیه، إلا أنه من شهرته فی نفسه وشهرة أخباره لا یجوز أن یشک فیه، ولیس له من الأحادیث إلا القلیل، فلا یتهیأ أن یحکم علیه بالضعف، بل هو صدوق ثقة مقدار مایروی عنه. انتهی.

والذی یقرأ البخاری فی صحیحه وتاریخه وبقیة مؤلفاته، یراه حریصاً علی الخط المتشدد لمذهب عمر وآرائه، ولذا فإن موقفه السلبی من أویس یمثل ما کان فی عصره من التهوین من شخصیته.. وهو دلیل کاف علی أن صلة أویس بعمر لم تکن کما یحبون.

۳ – ومتشددة الحنابلة قللوا من مقام أویس!

فقد صرح متعصبوا الحنابلة بتفضیل بعض أصحابهم علی أویس القرنی

قال أبو یعلی فی طبقات الحنابلة: ۲/۶۳:

فقال البربهاری إذا کان أویس القرنی یدخل فی شفاعته مثل ربیعة ومضر، فکم یدخل فی شفاعة أبی الحسن بن بشار؟!

قال أحمد البرمکی: صدق البربهاری لأن أویساً کان من الأبدال، وأبا الحسن کان من المستخلفین، والمستخلف أجل من البدل وأفضل عند الله، لأن المستخلف فی الأرض مقامه مقام النبیین (علیهم السلام)!! لأنه یدعو الخلق إلی الله، فبرکته عائدة علیه وعلی کافة الخلق، وبرکة البدل عائدة علی نفسه!! انتهی.

لکنا نسأل البرمکی والبربهاری وأبا یعلی الذی ارتضی کلامهما: إن درجات الناس ومقامهم عند الله وتفاضلهم غیب لا سبیل إلی العلم به الا من الذی له نافذة علی الغیب! وقد عرفنا مقام أویس من شهادة الرسول صلی الله علیه وآله، فمن أین عرفتم مقام صاحبکم!! وأن الله تعالی جعله خلیفته فی أرضه! وجعله فی رتبة الأنبیاء صلوات الله علیهم؟!

إن یتبعون إلا الظن وإن الظن لا یغنی من الحق شیئا؟!

أما الذهبی فقد قید قول النبی صلی الله علیه وآله المطلق فی أویس! وقال إنه أفضل التابعین فی عصره فقط.. ویقصد أنه بعد عصره یوجد کثیرون أفضل منه!!

قال فی سیر أعلام النبلاء: ۴/۱۹:

أویس القرنی، هو القدوة الزاهد، سید التابعین فی زمانه، أبو عمرو، أویس... انتهی.

وأما ابن تیمیة، فقد تناول أویساً من جهة أخری قد تکون هی السبب فی حساسیة بعضهم منه، فقد أکد علی أن أمر الرسول صلی الله علیه وآله لعمر أن یطلب من أویس أن یستغفر له، لا یدل علی أن أویساً أفضل من عمر!

قال فی التوسل والوسیلة/۳۲۷:

وحتی أمر النبی(ص)أن یطلب من أویس القرنی أن یستغفر للطالب، وإن کان الطالب أفضل من أویس بکثیر.

وقد قال النبی(ص)فی الحدیث الصحیح: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما یقول، ثم صلوا علی، فإنه من صلی علی مرة صلی لله علیه عشراً... انتهی.

فمن أين عرف ابن تيمية أفضلية عمر على أويس؟! وكيف جعل طلب الإستغفار كطلب الدعاء؟!

وكيف شبه أمر النبي لعمر أن يطلب الإستغفار من أويس، بطلب الرسول منا أن نصلي عليه صلى الله عليه وآله؟!! مع الفارق الكبير بينهما؟!

فطلب الرسول منا أن ندعو له بالصلاة عليه إنما هو من أجلنا، ولم يستمد منا المساعدة!

أما توجيهه أحداً أن يطلب الإستغفار من أحد، فلا يكون إلا إذا كان للثاني مقام عند الله تعالى يؤمل به أن ينفع الأول!! فهو من قبيل قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ...).

۴ - وفضلوا أموياً على أويس القرنى!

فى حلية الأولياء: ۹/۲۲۳:

قال وسمعت أبا سليمان وأبا صفوان يتناظران فى عمر بن عبد العزيز وأويس، فقال أبو سليمان لأبى صفوان: كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس!

فقال له: ولم؟

قال: لأن عمر بن عبد العزيز ملك الدنيا فزهد فيها.

فقال له أبو صفوان: وأويس لو ملكها لزهد فيها مثل ما فعل عمر!

فقال أبو سليمان: أتجعل من جرب كمن لا يجرب، إن من جرت الدنيا على يديه ولم يكن لها فى قلبه موقع.

وقال فى البداية والنهاية: ۹/۲۳۳:

قال أبو سليمان الدارانى: كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرنى، لأن عمر ملك الدنيا بحذافيرها وزهد فيها، ولا ندرى حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون؟! ليس من جرب كمن لم يجرب! انتهى.

فهل تعامى الدارانى وأبو نعيم وابن كثير أن أويساً شهد له سيد المرسلين صلى الله عليه وآله بأنه من كبار أولياء الله تعالى، والشفعاء عنده يوم القيامة، وأن معنى ذلك أن الملك والخلافة ومغريات الدنيا لو عرضت له وقبلها فسوف لا تغير منه شيئاً!

بينما لم يشهد صلى الله عليه وآله لعمر بن عبد العزيز بحرف من ذلك!

فتفضيله على أويس وجعله فى درجته، ماهو إلا الظن والتعصب لبنى أمية!

۵ - ثم حاولوا إنكار شهادة أويس فى صفين

فى سير أعلام النبلاء: ۴/۲۵:

وروى نحواً من ذلك عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه، وزاد فيها: ثم إنه غزا أذربيجان فمات، فتنافس أصحابه فى حفر قبره. انتهى.

وقد حاول المعلق على سير الذهبى أن يؤكد الشك فى شهادة أويس فى صفين، فقال فى هامشه: هناك أخبار مختلفة حول موته والمكان الذى دفن فيه، ذكرها أبو نعيم فى الحلية ۲/۸۳، وابن عساكر فى تاريخه ۳/۱۱۰، وما بعدها.

وفى حلية الأولياء: ۲/۸۴:

حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثنى زكريا بن يحيى ابن زحمويه، ثنا الهيثم بن عدى، ثنا عبد الله بن عمرو بن مرة، عن أبيه، عن عبد الله بن سلمة، قال غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب، ومعنا أويس القرنى، فلما رجعنا مرض علينا - يعنى أويس - فحملناه، فلم يستمسك فمات، فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب، وكفن وحنوط، فغسلناه وكفناه!!

وفى لسان الميزان: ۱/۴۷۳:

وأخرج مسلم... عن أسير بن جابر فذكر اجتماع عمر (رض) بأويس، وفيه:

قال: أين تريد؟

قال: الكوفة.

قال: ألا أكتب لك إلى عاملها فيستوصى بك؟

قال: لا، بل أكون فى غبرات الناس أحب إلى.. الحديث، وفى آخره أنه مات بالحيرة. انتهى.

وإذا كان يقصد أن الحديث الآخر فى مسلم، فلم نجد فيه ذكراً لموته فى الحيرة! وهذا يوجب الشك فى أن نسخ صحيح مسلم متفاوتة، وأنه أضيف إلى بعضها أنه مات بالحيرة!

وفى لسان الميزان: ۱/۴۷۵:

وقال ابن حبان فى ثقات التابعين: أويس بن عامر القرنى من اليمن، من مراد سكن الكوفة، وكان زاهداً عابداً، يروى عن عمر، اختلفوا فى موته، فمنهم من يزعم أنه قتل يوم صفين فى رجالة على (رض)، ومنهم من يزعم أنه مات على جبل أبى قبيس بمكة، ومنهم من يزعم أنه مات بدمشق، ويحكون فى موته قصصاً تشبه المعجزات التى رويت عنه.

وقد كان بعض أصحابنا ينكر كونه فى الدنيا، حدثنى عبد الله بن الحسين الرحبى ثنا عباس بن محمد قراد أبو نوح، فذكر ما تقدم، والأثر الذى تقدم عن لوين أخرج أحمد فى مسنده عن أبى نعيم عن شريك به، وفى آخره سمعت رسول الله (ص) يقول: إن من خير التابعين أويساً القرنى (رض). انتهى.

وفى تاريخ الطبرى: ۱۰/۱۱۶:

(ذكر من هلك من التابعين سنة ۳۲)

ومنهم أويس بن الخليص القرنى. كذلك ذكر ضمرة بن ربيعة عن عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه قال: سمعت من رجل من قومى يعنى من قوم أويس وأنا أحدث بحديثه، فقال تدرى يا أبا عثمان أويس ابن من؟

قلت: لا.

قال: أويس بن الخليص.

وأما يحيى بن سعيد القطان فإنه قال: حدثنا يزيد بن عطاء، عن علقمة بن مرثد بأنه قال: أويس بن أنيس القرنى.

واختلف فى وقت مهلكه فقال بعضهم: قتل مع على عليه السلام بصفين، روى محمد بن أبى منصور قال: حدثنا الحمانى قال: حدثنا شريك، عن يزيد بن أبى زياد، عن عبدالرحمن بن أبى ليلى قال: نادى منادى على عليه السلام يوم صفين: ألا اطلبوا أويساً القرنى بين القتلى، فطلبوه فوجدوه فيهم. أو كلاماً هذا معناه. انتهى.

وفى تاريخ الطبرى: ۱۰/۱۴۵:

وأويس القرنى، من مراد وهو يحابر بن مالك بن مذحج، وهو أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد بن عصوان بن قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد وهو يحابر بن مالك.

وكان ورعاً فاضلاً روى أنه قتل يوم صفين: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا هشام عن الحسن قال: قال رسول الله(ص): ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى مثل ربيعة ومضر. قال هشام فأخبرنى حوشب أنه قال هو أويس القرنى.

وفى وقعة صفين لنصر بن مزاحم/۳۲۴:

نصر، عن حفص بن عمران البرجمى، عن عطاء بن السائب، عن أبى البخترى قال: أصيب أويس القرنى مع على بصفين.

وفى أنساب الاشراف/۳۲۰:

وبعض الرواة يزعم أن أويساً القرنى العابد، قتل مع على بصفين. ويقال: بل مات بسجستان. قالوا: وكان على بصفين فى خمسين ألفاً، ويقال: بل فى مئة ألف. وكان معاوية رحمه الله!! فى سبعين ألفاً، ويقال: فى مأة ألف، فقتل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، والله أعلم.

وقال فی هامشه:

وهذا هو الشائع المعروف بین العلماء، لم یتردد فیه إلا بعض النواصب، وقد ذکر الکثیرون من منصفی أهل السنة استشهاد أویس بصفین، وذکره ابن عساکر بطرق فی ترجمة أویس من تاریخ دمشق: ۶/۶۹، وفی ترجمة زید بن صوحان: ۱۹/۱۳۱، وفی تهذیبه: ۶/۱۴.

قال فی مجمع الزوائد: ۱۰/۲۲: وعن ابن أبی لیلی قال: نادی رجل من أهل الشام یوم صفین أفیکم أویس القرنی؟

قالوا: نعم.

قال: سمعت رسول الله(ص)یقول: من خیر التابعین أویس. رواه أحمد بن حنبل وإسناده جید.

وقال ابن مسکویه فی الحکمة الخالدة/۱۳۴: وذکر ابن أبی لیلی الفقیه أن أویساً وجد فی قتلی رجالة علی بن أبی طالب یوم صفین.

وقال الحاکم فی ترجمة أویس من المستدرک: ۳/۴۰۲:

سمعت أباالعباس محمد بن یعقوب قال: سمعت العباس بن محمد الدوری یقول: سمعت یحیی بن معین یقول: قتل أویس القرنی بین یدی أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب یوم صفین.

وبالسند المتقدم عن أبی العباس محمد بن یعقوب، عن عباس بن الدوری، حدثنا أبو نعیم، حدثنا شریک، عن یزید بن أبی زیاد، عن عبد الرحمان بن أبی لیلی قال: ولما کان یوم صفین نادی مناد من أصحاب معاویة أصحاب علی: أفیکم أویس القرنی؟ قالوا: نعم فضرب دابته حتی دخل معهم ثم قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: خیر التابعین أویس القرنی.

وأخبرنی أحمد بن کامل القاضی ببغداد، حدثنا عبدالله بن روح المدائنی، حدثنا عبید الله ابن محمد العبسی، حدثنی إسماعیل بن عمرو البجلی، عن حبان بن علی العنزی عن سعد بن طریف، عن الأصبغ بن نباتة قال:

شهدت علیاً (رض) یوم صفین وهو یقول:

من یبایعنی علی الموت؟ – أو قال: علی القتال؟

فبایعه تسع وتسعون قال: فقال:

أین التمام؟ أین الذی وعدت به؟

قال: فجاء رجل علیه أطمار صوف محلوق الرأس فبایعه علی الموت والقتل[کذا]قال فقیل: هذا أویس القرنی. فما زال یحارب بین یدیه حتی قتل (رض).

وقال فی تاریخ الخمیس:۲/۲۷۷: وقتل مع علی خزیمة بن ثابت ذو الشهادتین وأویس القرنی زاهد التابعین.

وقال فی المختصر الجامع: قتل من أهل العراق خمسة وعشرون ألفا، منهم عمار بن یاسر، وأویس القرنی، وخمسة وعشرون بدریا.

وقال ابن عساکر قبل ختام ترجمة أویس بحدیث: أنبأنا أبو الغنائم محمد بن علیة[کذا]بن الحسن الحسینی، حدثنا القاضی محمد بن عبدالله الجعفی، حدثنا الحسین بن محمد ابن الفرزدق، أنبأنا الحسن بن علی بن بزیع، حدثنا محمد بن عمر، حدثنا إبراهیم بن إسحاق، حدثنا عبدالله بن أذنیة البصری، عن أبان بن أبی عباش عن سلیمان[کذا]ابن قیس العامری: قال رأیت أویساً القرنی بصفین صریعاً بین عمار وخزیمة بن ثابت.

وتقدم فی تعلیق الحدیث (۳۴۷) فی صفحة ۲۸۶ عن ترجمة زید بن صوحان من تاریخ دمشق: ۱۹/۱۳۰، وفی تهذیبه: ۶/۱۴، بسند آخر أن أویس القرنی قتل فی الرجالة یوم صفین. انتهی.

وکان ینبغی لهؤلاء المؤرخین أن یتقیدوا بمنهجهم فی الأخذ بالأحادیث الصحیحة التی نصت علی شهادة أویس مع علی علیه السلام فی صفین، وأن لا یشککوا الناس بسرد أحادیث ضعیفة فی مقابلها.

ولکن بغضهم لعلی علیه السلام یدفعهم دائماً إلی ترک منهجهم والتشبث بالطحلب لکی یتخلصوا من أویس، هذه الآیة الربانیة النبویة

التی شـهدت علی حق علی علیه السلام وباطل خصومه ومقاتلیه، وحکمت علیهم بنصوص صحیحة عندهم بأنهم الفئة الباغیة المحاربة لله ورسوله!!

تری أحدهم لا یشـهد بأن الحق مع علی علیه السـلام إلا مجبوراً، کأنه یساق إلی الموت!! ویبقی قلبه مشـرباً بحب أعداء علی ومقاتلیه، وکأنه یقول لهم (أحسنتم وتقبل الله جهادکم وطاعاتکم)!!

قال الحاکم فی المستدرک: ۳/۴۰۲:

ذکر مناقب أویس بن عامر القرنی (رض).

أویس راهب هذه الأمة ولم یصـحب رسول الله صـلی الله علیه وآله إنما ذکره رسول الله صـلی الله علیه وآله ودل علی فضـله، فذکرته فی جملة من استشهد بصفین بین یدی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب (رض).

سمعت أبا العباس محمـد بن یعقوب یقول: سـمعت العباس بن محمـد الدوری یقول: سـمعت یحیی بن معین یقول: قتل أویس القرنی بین یدی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب یوم صفین.

حـدثنا أبو العباس محمـد بن یعقوب، ثنا العباس بن محمـد الدوری، ثنا أبو نعیم، ثنا شـریک، عن یزید بن أبی زیاد، عن عبد الرحمن بن أبی لیلی قال: لما کان یوم صـفین نادی مناد من أصـحاب معاویة أصحاب علی أفیکم أویس القرنی؟ قالوا: نعم، فضرب دابته حتی دخل معهم، ثم قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: خیر التابعین أویس القرنی.

أخبرنی أحمـد بن کامـل القاضـی ببغـداد، ثنا عبـد الله بن روح المـداینی، ثنا عبیـد الله بن محمـد العبسـی، حـدثنی اسـمعیل بن عمرو البجلی، عن حبان بن علی العنزی، عن سـعد بن طریف عن الأصبغ بن نباتة قال: شهدت علیاً (رض) یوم صفین وهو یقول: من یبایعنی علی الموت، أو قال علی القتال؟ فبایعه تسع وتسعون.

قال فقال: أین التمام أین الذی وعدت به؟

قـال فجاء رجل علیه أطمار صوف، محلوق الرأس، فبایعه علی الموت والقتل، قال فقیل هـذا أویس القرنی، فما زال یحارب بین یـدیه حتی قتل (رض).

حدثنا أبو العباس محمد بن یعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوری، ثنا علی بن حکیم، ثنا شـریک قال ذکروا فی مجلسه أویس القرنی فقال: قتل مع علی بن أبی طالب(رض) فی الرجالة. انتهی.

وقد تقدم من صحیح مسلم وغیره أن أویساً کان فی صفین.

راجع أیضاً: طبقات ابن سعد: ۶/۱۱۳ – ۱۱۴، وغیره.

۶ – وجعلوا له قبرین فی الشام لیبعدوه عن صفین

فی رحلة ابن بطوطه: ۱/۹۳:

أن جماعه من الصـحابة صحبهم أویس القرنی من المدینة إلی الشام، فتوفی فی أثناء الطریق فی بریة لا عمارة فیها ولا ماء، فتحیروا فی أمره فنزلوا فوجدوا حنوطاً وکفناً وماء فعجبوا من ذلک وغسلوه وکفنوه...

بعض المشاهـد والمزارات بهـا (الشـام): فمنهـا بـالمقبرة التی بین باب الجابیـة والباب الصـغیر... وقبر بلال مؤذن رسول الله (ص)، وقبر أویس القرنی، وقبر کعب الأحبار. انتهی.

أما ابن تیمیة الذی مذهبه تحریم زیارة القبور، فقد صرح بأن قبر أویس الذی فی الشام لا أصل له، قال فی کتابه زیارة القبور/۴۴۶: أما هذه المشاهد المشـهورة فمنها ما هو کذب قطعاً مثل المشـهد الذی بظاهر دمشق المضاف إلی أبی بن کعب، والمشـهد الذی بظاهرها المضاف إلی أویس القرنی، والمشـهد الذی بمصر المضاف إلی الحسین (رض)، إلی غیر ذلک من المشاهد التی یطول ذکرها بالشام والعراق ومصـر وسائر الامصار، حتی قال طائفـة من العلماء منهم عبـد العزیز الکنانی کل هذه القبور المضافة إلی الأنبیاء لا یصح شـئ

منها إلا قبر النبى(ص)، وقد أثبت غيره أيضاً قبر الخليل عليه السلام!!

و زعم بعضهم أن قبر أويس طار من الأرض

قال حلية الأولياء: ۲/۸۴:

حدثنا أبو بكر بن مالك، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثنى زكريا بن يحيى بن زحمويه، ثنا الهيثم بن عدى، ثنا عبد الله بن عمرو بن مرة، عن أبيه عن عبد الله بن سلمة، قال غزونا أذربيجان زمن عمر بن الخطاب ومعنا أويس القرنى، فلما رجعنا مرض علينا - يعنى أويس - فحملناه فلم يستمسك فمات، فنزلنا فإذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط، فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه!

فقال بعضنا لبعض: لو رجعنا فعلمنا قبره، فرجعنا فإذا لا قبر ولا أثر!!

وقال اللواتى فى تحفة النظار فى غرائب الأمصار: ۱/۵۵:

فمن بعض المشاهد والمزارات بدمشق التى بين باب الجابية والباب الصغير قبر أم حبيبة بنت أبى سفيان أم المؤمنين، وقبر أخيها أمير المؤمنين معاوية، وقبر بلال مؤذن رسول الله(ص)، رضى الله عنهم أجمعين، وقبر أويس القرنى وقبر كعب الأحبار رضى الله عنهما.

ووجدت فى كتاب المعلم فى شرح صحيح مسلم للقرطبى أن جماعة من الصحابة صحبهم أويس القرنى من المدينة إلى الشام فتوفى فى أثناء الطريق فى بريـة لا عمارة فيها ولا ماء، فتحيروا فى أمره فنزلوا فوجدوا حنوطاً وكفناً وماء، فعجبوا من ذلك وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه، ثم ركبوا فقال بعضهم: كيف نترك قبره بغير علامة، فعادوا للموضع فلم يجدوا للقبر من أثر. انتهى.

ومن الواضح أنهما روايتان أمويتان تريدان إبعاد قبر أويس عن صفين، وتنفيان استشهاده مع على عليه السلام!!

۷ - ورووا عن مالك أنه أنكر وجود أويس

فى سير أعلام النبلاء: ۴/۳۲:

قال أبو أحمد بن عدى فى الكامل: أويس ثقة صدوق، ومالك ينكر أويساً! ثم قال: ولا يجوز أن يشك فيه. أخبار أويس مستوعبة فى تاريخ الحافظ أبى القاسم ابن عساكر.

ميزان الإعتدال: ۱/۲۷۹:

قال ابن عدى: ليس لأويس من الرواية شئ، إنما له حكايات ونتف فى زهده، وقد شك قومه فيه، ولا يجوز أن يشك فيه لشهرته ولا يتهيأ أن يحكم عليه بالضعف، بل هو ثقة صدوق. قال: ومالك ينكر أويساً يقول: لم يكن. انتهى.

ولعل إنكار مالك لوجوده فيه إن صح مبنى على أن القرنيين قالوا لا نعرف نسبه فينا، أو شككوا فى وجوده بينهم!

وقد تقدم أن مخابرات الخلافة كلفت ابن عمه بأذاه وتسقيط شخصيته، فلا يبعد أن تكون هذه الشائعة من صنعهم.

كما تقدم قول أويس عن رد فعل الخلفاء وعمالهم على نصحه لهم (حتى والله لقد يقذفوننا بالعظائم، ووالله لا يمنعنى ذلك أن أقول بالحق).

وقوله (نأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر، فيشتمون أعراضنا، ويرموننا بالجرائم والمعايب والعظائم، ويجدون على ذلك أعواناً من الفاسقين، إنه والله لا يمنعنا ذلك أن نقوم فيهم بحق الله)!

ومن المعروف للجميع أن الخلفاء (ماعدا على عليه السلام) لم يكن يتسع صدرهم للإنتقاد، وأن سياستهم قامت على أن المنتقد عدو، بل الممتنع عن البيعة عدو.. وقد أرادوا قتل سعد بن عبادة فى السقيفة، وأشعلوا الحطب فى اليوم الثانى لوفاة النبى صلى الله عليه وآله فى دار على وفاطمة ليحرقوه بمن فيه! إن لم يبايعوا!! الخ.

وعندما يكون منتقد للخليفة شخصية مهمة مبشراً به مشهوداً له من النبى صلى الله عليه وآله فإن جرمه يكون أكبر، لأن كلامه يكون مؤثراً فى الناس أكثر!

وعلیه فلیس بعیداً أن تکون السلطهٔ طلبت من القرنیین إنکار أویس، أو تبرعوا هم بإنکاره خوفاً من تحمیلهم مسؤولیهٔ معارضته! وهو عمل مألوف حتی فی عصرنا من العشیرهٔ التی لا ترید أن تتحمل مسؤولیهٔ ابنها المعارض للسلطهٔ.

ویؤید ذلک سلوک أویس الفرید فی العنایهٔ بالفقراء، وتربیته مجموعهٔ من الزهاد السائرین علی نهجه، وکان مرکزهم فی مسجد بالکوفهٔ.. وأنه ورد عنه أنه کان یکرر (ماذا لقیت من عمر) وهو شبیه بالکلام الذی کانت تکرره فاطمهٔ الزهراء علیها السلام..

هذا، ومن المحتمل أن محبی بنی أمیهٔ أشاعوا عن مالک تشکیکه فی وجود أویس القرنی، لأن أویساً کعمار بن یاسر رضی الله عنهما ظل شهادهٔ صارخهٔ من النبی صلی الله علیه وآله علی أنهم أهل الباطل!

ومن طریف ماجری فی عصرنا أن الإیرانیین بنوا فی صفین (الرقهٔ) مسجداً کبیراً ضمنوه قبر عمار بن یاسر وأویس القرنی رضی الله عنهما، وعندما کمل المشروع أقاموا لافتتاحه احتفالاً ودعوا بعض العلماء والمؤرخین لالقاء خطبهم فیه، ومنهم الدکتور سهیل زکار المحب للأمویین، فتکلم فی افتتاح مسجد أویس، وأنکر وجود شخصیته من أساسها!!

والطریف أن الملحقیهٔ الثقافیهٔ الإیرانیهٔ نشرت خطابه فی مجلتها!!

فإذا کنا إلی الآن نری أن المتعصبین لبنی أمیهٔ مثل الدکتور زکار، یثقل علیهم وجود أویس القرنی، ویحاولون إنکاره، فإن أسلافهم الذین عاصروه أو رأوا تأثیره العمیق علی الأمهٔ، أجدر من المتأخرین بإنکار وجوده للتخلص منه!

آراء مضادهٔ مغالیهٔ فی أویس القرنی

من جهةٔ أخری غالی بعضهم فی أویس وجعلوه خلیل رسول الله صلی الله علیه وآله

ففی طبقات ابن سعد: ۶/۱۶۳:

أخبرنا مسلم بن إبراهیم قال: حدثنا سلام بن مسکین قال: حدثنی رجل قال: قال رسول الله (ص): خلیلی من هذه الأمهٔ أویس القرنی.

ورواه فی الجامع الصغیر: ۳/۲۹۸، برقم ۳۹۴۲ وفی مختصر تاریخ دمشق: ۳ جزء ۸۹۵ وفی کنز العمال: ۱۲/۷۴. انتهی.

وهذه الروایهٔ لا تصح عندنا ولا عند غیرنا.

أما عندنا فلانه ثبت أن النبی صلی الله علیه وآله قال لعلی علیه السلام: أنت أخی، وخلیلی، وأول من یصافحنی یوم القیامهٔ.

وأما عندهم، فلانهم رووا حدیثاً ینفی وجود خلیل للنبی صلی الله علیه وآله وأنه لو کان متخذاً خلیلاً لاتخذ أبا بکر خلیلاً!

وحدیثهم عن ابی بکر کحدیثهم عن أویس یراج بهما نفی أن یکون خلیل النبی علیاً علیه السام! کما وضعوا حدیث أن عمر أول من یصافح الرحمن یوم القیامهٔ، مقابل حدیث أن یکون علیاً أول من یصافح النبی صلی الله علیه وآله یوم القیامهٔ!

قال أحد العلقین فی هامش المجروحین لابن حبان: ۳/۱۵۱:

وأخبار أویس أورد الکثیر منها ابن سعد فی الطبقات، وأورد ابن الجوزی خبراً منها ثم قال: قد وضعوا خبراً طویلاً فی قصهٔ أویس من غیر هذه الطریق. وإنما یصح فی الحدیث عن أویس کلمات یسیرهٔ جرت له مع عمر، وأخبره رسول الله(ص)فقال: یأتی علیکم أویس فإن استطعت أن یستغفر لک فافعل. فأطال القصاص وعرضوا فی حدیث أویس بما لا فائدهٔ فی الإطاله بذکره. انتهی.

وقد حصر هذا المحشئ سبب الوضع فی أحادیثه بالقصاص، ولکن عرفت مشکلهٔ الخلافهٔ والأمویین مع أویس، وهی دواع للإنکار والوضع معاً!!

۸ - ورووا أنه أوصی إلی هرم بن حیان وبکی علی عمر

فی مستدرک الحاکم: ۳/۴۰۶:

أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم بن عبد الله بن معاویهٔ السیاری شیخ أهل الحقائق بخراسان قال: أنا أبو الموجه محمد بن عمرو بن الموجه الفزاری، أنا عبدان بن عثمان، أنا عبد الله بن الشمیط بن عجلان، عن أبیه أنه سمع أسلم العجلی یقول: حدثنی أبو الضحاک

الجرمی، عن هرم بن حیان العبدی قال:

قدمت الكوفة فلم یكن لی بها هم إلا أویس القرنی أطلبه وأسأل عنه حتی سقطت علیه جالساً وحده علی شاطئ الفرات نصف النهار یتوضأ ویغسل ثوبه، فعرفته بالنعت فاذا رجل لحم آدم شدید الادمة، أشعر محلوق الرأس یعنی لیس له جمة، كث اللحیة علیه ازار من صوف ورداء من صوف بغیر حذاء، كبیر الوجه مهیب المنظر جداً، فسلمت علیه فرد علی، ونظر الی فقال: حیاك الله من رجل، فمددت یدی إلیه لاصافحه فأبی أن یصافحنی وقال: وأنت فحیاك الله.

فقلت رحمك الله یا أویس وغفر لك، كیف أنت رحمك الله؟

ثم خنقتنی العبرة من حبی إیاه ورقتی له، لما رأیت من حاله ما رأیت حتی بكیت وبكی.ثم قال: وأنت فرحمك الله یا هرم بن حیان، كیف أنت یا أخی، من دلك علی؟ قلت: الله.قال: لا اله إلا الله سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا، حین سمانی والله ماكنت رأیته قط ولا رآنی.

ثم قلت: من أین عرفتنی وعرفت اسمی واسم أبی؟ فوالله ما كنت رأیتك قط قبل هذا الیوم!

قال: نبأنی العلیم الخبیر، عرفت روحی روحك حیث كلمت نفسی نفسك. إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأحیاء، إن المؤمنین یعرف بعضهم بعضاً ویتحدثون بروح الله وإن لم یلتقوا، وإن لم یتكلموا ویتعارفوا، وإن نأت بهم الدیار وتفرقت بهم المنازل.

قال قلت: حدثنی عن رسول الله صلی الله علیه وآله بحدیث أحفظه عنك.

قال: إنی لم أدرك رسول الله صلی الله علیه وآله ولم تكن لی معه صحبة، ولقد رأیت رجالاً ـ قد رأوه وقد بلغنی من حدیثه كما بلغكم، ولست أحب أن أفتح هذا الباب علی نفسی أن أكون محدثاً أو قاضیاً ومفتیاً. فی النفس شغل یا هرم بن حیان.

قال فقلت: یا أخی اقرأ علی آیات من كتاب الله أسمعهن منك فإنی أحبك فی الله حباً شدیداً، وادع بدعوات وأوص بوصیة أحفظها عنك.

قال فأخذ بیدی علی شاطئ الفرات وقال أعوذ بالله السمیع العلیم من الشیطان الرجیم بسم الله الرحمن الرحیم، قال فشهق شهقة ثم بكی مكانه، ثم قال قال ربی تعالی ذكره وأحق القول قوله وأصدق الحدیث حدیثه وأحسن الكلام كلامه: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَیْنَهُمَا لاـعِبِینَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إلاـ بِالْحَقِّ.. حتی بلغ إلی من رحم الله إنه هو العزیز الرحیم. ثم شهق شهقة ثم سكت، فنظرت إلیه وأنا أحسبه قد غشیئ علیه، ثم قال: یا هرم بن حیان، مات أبوك، وأوشك أن تموت ومات أبو حیان. فإما إلی الجنة وإما إلی النار. ومات آدم ومات حواء.

یا ابن حیان ومات نوح وابراهیم خلیل الرحمن.

یا ابن حیان ومات موسی نجی الرحمن.

یا ابن حیان ومات داود خلیفة الرحمن.

یا ابن حیان ومات محمد رسول الرحمن.

ومات أبو بكر خلیفة المسلمین.

یا ابن حیان ومات أخی وصفیی وصدیقی عمر بن الخطاب.

ثم قال: واعمراه، رحم الله عمر وعمر یومئذ حی!! وذلك فی آخر خلافته.

قال فقلت له: رحمك الله إن عمر بن الخطاب بعد حی!

قال: بلی إن تفهم فقد علمت ما قلت! وأنا وأنت فی الموتی. وكان قد كان ثم صلی علی النبی صلی الله علیه وآله ودعا بدعوات خفاف ثم قال:

هذه وصیتی الیك یا هرم بن حیان: كتاب الله واللقاء بالصالحین من المسلمین والصلاة والسلام علی النبی صلی الله علیه وآله، ولقد

نعیت علی نفسی ونعیتک، فعلیک بذکر الموت، فلا یفارقن علیک طرفة، وأنذر قومک إذا رجعت الیهم، وانصح أهل ملتک جمیعاً واکدح لنفسک، وإیاک أن تفارق الجماعة فتفارق دینک وأنت لا تعلم، فتدخل النار یوم القیامة!

قال ثم قال: اللهم إن هذا یزعم أنه یحبنی فیک وزارنی من أجلک، اللهم عرفنی وجهه فی الجنة، وأدخله علی زائراً فی دارک دار السلام، واحفظه مادام فی الدنیا حیث ما کان، وضم علیه ضیعته ورضه من الدنیا بالیسیر، وما أعطیته من الدنیا فیسره له، واجعله لما تعطیه من نعمتک من الشاکرین، واجزه خیر الجزاء.

استودعتک الله یا هرم بن حیان، والسلام علیک ورحمة الله.

ثم قال لی: لا أراک بعد الیوم رحمک الله فإنی أکره الشهرة والوحدة أحب الی لأنی شدید الغم کثیر الهم مادمت مع هؤلاء الناس حیاً فی الدنیا، ولا- تسأل عنی ولا- تطلبنی. واعلم أنک منی علی بال ولم أرک ولم ترنی!! فاذکرنی وادع لی فانی سأذکرک وأدعو لک إن شاء الله تعالی.

انطلق ها هنا حتی آخذ هاهنا.

قال فحرصت علی أن أسیر معه ساعة فأبی علی، ففارقته یبکی وأبکی!

قال فجعلت أنظر فی قفاه حتی دخل فی بعض السکک، فکم طلبته بعد ذلک وسألت عنه فما وجدت أحداً یخبرنی عنه بشیء، فرحمه الله وغفر له.

وما أتت علی جمعة إلا وأنا أراه فی منامی مرة أو مرتین! أو کما قال.

وفی سیر أعلام النبلاء: ۴/۲۸:

أخبرنا إسحاق بن أبی بکر، أنبأنا یوسف بن خلیل، أنبأنا أبو المکارم المعدل، أنبأنا أبو علی الحداد، أنبأنا أبو نعیم الحافظ، حدثنا حبیب بن الحسن، حدثنا أبو شعیب الحرانی، حدثنا خالد بن یزید العمری، حدثنا عبد العزیز بن أبی رواد، عن علقمة بن مرثد، قال: انتهی الزهد إلی ثمانیة: عامر بن عبد الله بن عبد قیس، وأویس القرنی، وهرم بن حیان، والربیع بن خثیم، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن یزید، وأبی مسلم الخولانی، والحسن بن أبی الحسن.

وروی عن هرم بن حیان، قال: قدمت الکوفة، فلم یکن لی هم إلا أویس أسأل عنه، فدفعت إلیه بشاطئ الفرات یتوضأ ویغسل ثوبه، فعرفته بالنعت... إلی آخر القصة، وقال: أوردها أبونعیم فی الحلیة، ولم تصح، وفیها ما ینکر. انتهی.

ویکفی لرد هذه القصة أنها تنسب إلی أویس أن الله تعالی نعی إلیه عمر، وأنه لو صح أنه أخبر بوفاة عمر فی الکوفة قبل أن یعرف الناس لشاع ذلک ورواه غیر هرم. مضافاً إلی تعارض ما فیها، وما یعارصها من أن هرما هذا کان یبحث عن أویس ولم یجده.

ثم إن هذه القصة شهادة من هرم لنفسه بأنه الوارث الشرعی لزهد أویس، وکان ینبغی أن یشهد له بذلک غیره، کما شهد النبی صلی الله علیه وآله والمسلمون لأویس.

وأخیراً، فإن الکرامات الباطلة التی رووها عن هرم توجب الشک فی اصل تدینه وفی کل ماروی عنه وله.. فقد رووا أنه سمی هرما لأنه هرم فی بطن أمه وبقی حملا لمدة سنتین، أو أربع سنین!! قال الذهبی فی سیر أعلام النبلاء: ۴/۴۸:

وقیل: سمی هرماً لأنه بقی حملاً سنتین حتی طلعت أسنانه!

قال أبو القاسم ابن عساکر: قدم هرم دمشق فی طلب أویس القرنی. انتهی.

وقال فی اختیار معرفة الرجال: ۱/۳۱۳:

قال القتیبی: وإنما سمی هرماً لأنه بقی فی بطن أمه أربع سنین. انتهی.

فهذا هو هرم الذی هرموه، وکبروه علی حساب أویس!

۹ – وادعوا أن أویساً ورث خرقة التصوف ثم ورثها لموسی الراعی

فی طرائف المقال: ۲/۵۹۴:

عن تذکرة الأولیاء أن علیاً علیه السلام وعمر أعطیا خرقة النبی صلی الله علیه وآله حسب الوصیة أویساً فلما رآه الثانی أن ثوبه وکساه شعر الابل ووبره، ورأسه ورجلیه مکشوفان، وکان له رئاسة الدنیا والدین تغیر حاله فقال عمر: من یشتری الخلافة منی برغیف من الخبز؟

وفی لسان المیزان: ۶/۱۱۷:

(موسی) بن زید الراعی أبو عمران الدیلمی نزیل بلخ.

لم أجد له ذکراً، وأظن أن بعض من فی إسناد خبره اختلقه، فإنه أسندت عنه خرقة التصوف، فزعم أو من اختلقه أن أویساً القرنی ألبسه الخرقة لما قدم بلاد الدیلم، ومات بها، وأن عمر ألبسه قمیصه بعرفات بحضور علی، وأن علیاً ألبسه رداء ثم ألبسه قمیصه بصفین، وهما لبسا من النبی صلی الله علیه وآله.

ذکره الفخر الفارسی، وهو محمد بن ابراهیم الذی تقدمت ترجمته عن أبیه، عن نصر بن خلیفة البیضاوی، عن ابراهیم بن شهریار، عن أبی محمد الحسن الآبار الشیرازی، عن محمد بن خفیف، عن ابن عمر الإصطخری، عن أبی تراب النخشبی، عن أبی عمران المذکور. وفی السیاق أن کلا من هؤلاء ألبس الذی دونه.

وهذا خبر باطل مشوش. وأویس قتل بصفین کما ذکرته فی ترجمته، وقیل مات قبل ذلک، فالله أعلم. انتهی.

وهذه الروایات وغیرها من الإدعاءات الباطلة، تدل علی المکانة التی کانت لأویس(رض) فی وجدان المسلمین، وعلی تأثیر شخصیته ومسلکه فی نفوسهم، حتی کثرت الأحادیث عنه، وادعی کثیر الإرتباط به والقرب منه، أو ادعوا قربه من أئمتهم الذین یحبونهم!

وهو أمر یزید من التأکید علی وجود شخصیة أویس، وتأثیر سیرته تأثیراً عمیقاً فی أجیال المسلمین ومتدینیهم.. رضوان الله علیه.

صورة عن أویس القرنی من مصادرنا روائح الجنة تفوح من قرن!

فی الفضائل/۱۰۷:

مما روی أن رسول الله صلی الله علیه وآله کان یقول: تفوح روائح الجنة من قبل قرن الشمس، واشوقاه الیک یا أویس القرنی، ألا من لقیه فلیقرأه عنی السلام.

فقیل: یا رسول الله ومن أویس القرنی؟

فقال صلی الله علیه وآله: إن غاب لم یفقدوه، وإن ظهر لم یکترثوا له، یدخل فی شفاعته إلی الجنة مثل ربیعة ومضر، آمن بی ومارآنی، ویقتل بین یدی خلیفتی علی بن أبی طالب فی صفین. انتهی. ورواه فی بحار الأنوار: ۳۸/۱۵۵

وفی شرح الأخبار: ۲/۳۵:

وأویس بن عامر القرنی، قتل مع علی صلوات الله علیه بصفین، وهو الذی قال رسول الله صلی الله علیه وآله: إن من بعدی رجل یقال له: أویس به شامة بیضاء، من لقیه فلیبلغه منی السلام، فإنه یشفع یوم القیامة لکذا وکذا من الناس.

خیر التابعین و نفس الرحمن

فی هامش مجمع البحرین: ۳/۴۹۸:

هو من التابعین الاخیار، ممن کانوا علی الهدی وثبتوا علیه.

شهد مع علی علیه السلام حرب صفین، واستشهد فی سبیل حقه. ووصفه المؤرخون بأنه من خواص أمیر المؤمنین وحوارییه، وورد فی شأنه مدح کثیر وثناء من النبی صلی الله علیه وآله، قال صلی الله علیه وآله فی وصفه: إنه نفس الرحمن وخیر التابعین.

كان راعى إبل فصار الشفيع الموعود

فى طرائف المقال: ۲/۵۹۷:

وروى ضمرة عن أصبغ بن زيد قال: أسلم أويس على عهد النبى صلى الله عليه وآله لكن منعه من القدوم بره بأمه.

واستشهد أويس وجماعة من أصحابه فى الرجالة بين يدى على عليه السلام، وقد ذكرنا أن أويساً كان راعياً للابل ويأخذ الاجرة على الرعى، ويصرفها لأمه الصالحة الصادقة. فذات يوم استأذن من أمه أن يذهب إلى زيارة النبى صلى الله عليه وآله، فأذنت له لكن إن لم يكن النبى صلى الله عليه وآله فى بيته فلا ـ تتوقف وارجع معجلاً ـ فلما ذهب إلى زيارته ولم يكن فى البيت رجع إلى اليمن، فلما أتى صلى الله عليه وآله إلى بيته فرأى نوراً لم ير مثله، فسأل أنه هل أتى فى درب البيت أحد؟ فأجيب جاء أحد من اليمن اسمه أويس، فحيا وذهب. فقال صلى الله عليه وآله: نعم هذا نور أويس، جعله هدية فى بيتنا. راجع أيضاً: سير أعلام النبلاء: ۴/۲۷

اويس من أركان التشيع لعلى

فى الاختصاص/۶: ذكر السابقين المقربين من أمير المؤمنين عليه السلام:

حدثنا جعفر بن الحسين، عن محمد بن جعفر المؤدب: الاركان الاربعة: سلمان، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، هؤلاء الصحابة.

ومن التابعين: أويس بن أنيس القرنى، الذى يشفع فى مثل ربيعة ومضر...

وفى الإختصاص/۸۱:

أحمد بن هارون الفامى، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبى عبدالله محمد بن خالد البرقى، عن أحمد بن النضر الخزاز، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفى، عن أبى جعفر عليه السلام قال: شهد مع على بن أبى طالب عليه السلام من التابعين ثلاثة نفر بصفين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالجنة ولم يرهم: أويس القرنى، وزيد بن صوحان العبدى، وجندب الخير الأزدى، رحمة الله عليهم. انتهى. ورواه فى بحار الأنوار: ۲۹/۶۱۸.

وفى اختيار معرفة الرجال: ۱/۳۱۴:

وكان أويس من خيار التابعين لم ير النبى صلى الله عليه وآله ولم يصحبه، فقال النبى صلى الله عليه وآله ذات يوم لاصحابة: أبشروا برجل من أمتى يقال له أويس القرنى، فإنه يشفع لمثل ربيعة ومضر.

روى يحيى بن آدم، عن شريك، عن ابن أبى زياد، عن ابن أبى ليلى عبد الرحمن، قال: خرج رجل بصفين من أهل الشام، فقال: فيكم أويس القرنى؟ قلنا نعم. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خير التابعين، أو من خير التابعين أويس القرنى، ثم تحول الينا. انتهى.

وروى الأول فى روضة الواعظين/۲۸۹، وبحار الأنوار: ۳۸/۱۵۶، وجامع الرواة: ۱/۱۱۰، ووسائل الشيعة: ۲۰/۱۴۴، ومعجم رجال الحديث: ۴/۱۵۴

وفى طرائف المقال: ۲/۵۹۲

وعن غوث المتأخرين السيد محمد النور بخشئ نور الله مرقده فى شجرة الأولياء قال: أويس القرنى المجذوب قدس سره، هو الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله بالولاية، وقال: إنى لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن.

وفيه أيضاً فى أوائل الكتاب: محمد بن قولوية، عن سعد بن عبد الله، عن على بن سليمان بن داود الرازى، عن على بن أسباط، عن أبيه أسباط بن سالم، قال قال أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حوارى محمد بن عبد الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا إليه؟

فیقوم سلمان والمقداد وأبو ذر.

ثم ینادی المنادی: أین حواری علی بن أبی طالب علیه السلام وصی رسول الله صلی الله علیه وآله، فیقوم عمرو بن الحمق، ومحمد بن أبی بکر، ومیثم التمار مولی بنی أسد، وأویس القرنی... الحدیث. راجع أیضاً: معجم رجال الحدیث: ۴/۱۵۴.

وقد نقل عن أویس أنه فی بعض اللیالی یقول: هذه لیلة الرکوع ویتم اللیلة برکوع واحد، وفی اللیلة الأخری یقول: هذه لیلة السجود ویتمها بسجدة، فقیل له: یا أویس کیف تطیق علی مضی اللیالی الطویلة علی منوال واحد؟

فقال أویس: أین اللیلة الطویلة؟ فیالیت کان من الأزل إلی الأبد لیلة واحدة حتی نتمها بسجدة واحدة، ونتوفر علی الأنین والبکاء إلی آخرها.

اویس ختام المسک الموعود فی حرب الجمل

قال المفید فی الإرشاد: ۱/۳۱۵:

نقلاً عن ابن عباس أن أمیر المؤمنین علیه السلام جلس بذی قار لأخذ البیعة فقال:

یأتیکم من قبل الکوفة ألف رجل لا یزیدون رجلاً ولا ینقصون رجلاً یبایعوننی علی الموت.

قال ابن عباس: فجزعت لذلک أن ینقص القوم عن العدد أو یزیدون علیه، فیفسد الأمر علینا، ولم أزل مهموماً دأبی إحصاء القوم، حتی ورد أوایلهم فجعلت أحصیهم فاستوفیت عددهم تسعماة وتسعة وتسعون رجلاً، ثم انقطع مجئ القوم فقلت: إنا لله وإنا إلیه راجعون، ماذا حمله علی ماقال؟!

فبینما أنا مفکر فی ذلک إذ رأیت شخصاً قد أقبل، حتی إذا دنا وإذا هو رجل علیه قباء صوف معه سیفه وترسه وإداوته، فقرب من أمیرالمؤمنین علیه السلام فقال له: أمدد یدک أبایعک، فقال له أمیر المؤمنین علیه السلام: علی م تبایعنی؟ قال: علی السمع والطاعة، والقتال بین یدیک حتی أموت، أو یفتح الله علیک.

فقال له: ما اسمک؟

قال: أویس.

قال: أنت أویس القرنی؟

قال: نعم.

قال: الله أکبر، أخبرنی حبیبی رسول الله صلی الله علیه وآله أنی أدرک رجلاً من أمته یقال له أویس القرنی، یکون من حزب الله ورسوله، یموت علی الشهادة، یدخل فی شفاعته مثل ربیعة ومضر.

قال ابن عباس: فسری والله عنی. انتهی.

ورواه فی الخرائج والجرائح: ۱/۲۰۰، وإعلام الوری/۱۷۰، والثاقب فی المناقب/۲۶۶، وبحار الأنوار: ۳۷/۲۹۹

وفی مناقب آل ابی طالب: ۲/۱۰۴:

ابن عباس أنه قال علیه السلام یوم الجمل: لنظهرن علی هذه الفرقة، ولنقتلن هذین الرجلین. وفی روایة: لنفتحن البصرة ولیأتینکم الیوم من الکوفة ثمانیة آلاف رجل وبضع وثلاثون رجلاً، فکان کما قال. وفی روایة ستة آلاف وخمسة وستون.

وقال المفید فی الجمل/۴۹:

ونحن نذکر الان جملة من بایع أمیر المؤمنین علیه السلام الراضین بإمامته الباذلین أنفسهم فی طاعته بعد الذی أجملناه من الخبر عنهم ممن یعترف المنصف بوقوفه علی أسمائهم تحقیق ما وصفناه، من غنایتهم فی الدین وتقدمهم فی الإسلام، ومکانهم من نبی الهدی، وأن الواحد منهم لو ولی العقد لامام لانعقد الأمر به، خاصة عند خصومنا فضلاً عن جماعتهم، وعلی مذهبهم فیما یدعونه من ثبوت

الإمامة بالإختیار وآراء الرجال، وتضمحل بذلک عنده شبهات الأمویة فیما راموه من القدح فی دلیلنا، بما ذکروه من خلاف من سموه حسبما قدمنا.

ومن بایع أمیر المؤمنین بغیر ارتیاب ودان بامامته علی الإجماع والإتفاق، واعتقد فرض طاعته والتحریم لخلافه ومعصیته، والحاضرون معه فی حرب البصرة ألف وخمسمائة رجل، من وجوه المهاجرین الأولین والسابقین إلی الإسلام والأنصار البدریین العقبیین، وأهل بیعة الرضوان، من جملتهم سبعمائه من المهاجرین وثمانمائة من الأنصار، سوی أبنائهم وحلفائهم وموالیهم، وغیرهم من بطون العرب والتابعین بإحسان، علی ماجاء به الثبت من الأخبار... إلی أن قال:

بیعة باقی الشیعة:

ومن یلحق منهم بالذکر من أولیائهم وعلیة شیعتهم، وأهل الفضل فی الدین والإیمان والعلم والفقه والقرآن، المنقطعین إلی الله تعالی بالعبادة والجهاد، والتمسک بحقائق الإیمان: محمد بن أبی بکر، ربیب أمیر المؤمنین وحبیبه. ومحمد بن أبی حذیفة ولیه وخاصته المستشهد فی طاعته.

ومالک ابن الحرث الأشتر النخعی، سیفه المخلص فی ولایته.

وثابت بن قیس النخغی.

وعبد الله بن أرقم.

وزید بن الملفق.

وسلیمان بن صرد الخزاعی.

وقبیصة وجابر وعبد الله ومحمد بن بدیل الخزاعی.

وعبد الرحمن بن عدیس السلولی.

وأویس القرنی...

اویس ختام المسک الموعود فی حرب صفین

فی خصائص الأئمة/۵۳:

وبإسناد عن الأصبغ بن نباتة قال: کنت مع أمیر المؤمنین علیه السلام بصفین فبایعه تسعة وتسعون رجلاً، ثم قال: أین تمام المائة؟ فقد عهد إلی رسول الله صلی الله علیه وآله (أنه) یبایعنی فی هذا الیوم مائة رجل!

قال فجاء رجل علیه قباء صوف متقلد سیفین فقال: هلم یدک أبایعک.

فقال: علی م تبایعنی؟

قال: علی بذل مهجة نفسی دونک!

قال: ومن أنت؟

قال: أویس القرنی، فبایعه فلم یزل یقاتل بین یدیه حتی قتل، فوجد فی الرجالة مقتولاً.

وفی اختیار معرفة الرجال: ۱/۳۱۵:

وروی الحسن بن الحسین القمی، عن علی بن الحسن العرنی، عن سعد بن طریف، عن الأصبغ بن نباتة، قا ل کنا مع علی علیه السلام بصفین، فبایعة تسعة وتسعون رجلا، ثم قال: أین المائة لقد عهد الی رسول الله صلی الله علیه وآله أن یبایعنی فی هذا الیوم مائة رجل.

قال: إذ جاء رجل علیه قباء صوف متقلداً بسیفین فقال: أبسط یدک أبایعک.

قال علی علیه السلام: علی م تبایعنی؟ قال: علی بذل مهجة نفسی دونک.

قال: من أنت؟ قال: أنا أويس القرنی.

قال: فبايعه فلم يزل يقاتل بين يديه حتی قتل، فوجد فی الرجالة.

وفی رواية أخری، قال له أمير المؤمنين عليه السلام: كن أويساً.

قال: أنا أويس.

قال: كن قرنياً قال: أنا أويس القرنی.

وإياه يعنی دعبل بن علی الخزاعی فی قصيدته التی يفتخر فيها علی نزار، وينقض علی الكميت بن زيد قصيدته التی يقول فيها:

ألا حييت عنا يا مدينا أويس ذو الشفاعة كان من

فيوم البعث نحن الشافعون

راجع أيضاً: الخرائج والجرائح: ۱/۲۰۰ والثاقب فی المناقب/۲۶۶ وجامع الرواة: ۱/۱۱۰، ومدينة المعاجز: ۲/۲۹۹، ومعجم رجال الحديث (ط.ج): ۴/۱۵۴

وفی بحار الأنوار: ۲۹/۵۸۳

وبرز عبد الله بن جعفر فی ألف رجل، فقتل خلقا حتی استغاث عمرو بن العاص. وأتی أويس القرنی متقلداً بسيفين ويقال: كان معه مرماة ومخلاة من الحصی، فسلم علی أمير المؤمنين عليه السلام وودعه، وبرز مع رجالة ربيعة، فقتل من يومه، فصلی عليه أمير المؤمنين عليه السلام ودفنه. انتهی.

وفی المناقب/۲۴۹

وفی رواية: قتل من أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام فی ذلك اليوم والليلة ألفا رجل وسبعون رجلًا، وفيهم أويس القرنی زاهد زمانه، وخزيمة بن ثابت الأنصاری ذوالشهادتين، وقتل من أصحاب معاوية فی ذلك اليوم سبعة آلاف رجل. انتهی.

وتدل هذه النصوص علی أن أويساً رضی الله عنه ملهم من الله تعالی، حيث قال فی بيعته لامير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل (علی السمع والطاعة، والقتال بين يديك حتی أموت، أو يفتح الله عليك) فكان الفتح.

وقال يوم صفين (علی بذل مهجة نفسی دونك) ولم يذكر الفتح!

وتدل علی مقادير الله تعالی لهذا الولی الكبير أن يكون تمام الالف فی حرب الجمل، ثم تمام المئة فی صفين، مبايعاً علی الموت فی سبيل الله تعالی.

وتدل هی وغيرها علی أنه وجماعته كانوا فوجاً مقاتلًا، وأنهم قاتلوا قتال الابطال المستميتين، فقد كسر أويس جفن سيفه، ووجد فيه أربعون طعنة، وصلی عليه ودفنه أمير المؤمنين عليه السلام.

وليس كما ذكر أسير بن جابر أنه سرعان ماجاءه سهم فقتل، وأنه هو دفنه.. الخ.

متفرقات عن أويس

فی طرائف المقال: ۲/۵۹۲:

وفی رجال الكشی: علی بن محمد بن قتيبه قال: سئل أبو محمد عن الزهاد الثمانية فقال: الربيع بن خيثم، وهرم بن حيان، وأويس القرنی، وعامر بن عبد قيس، وكانوا مع علی عليه السلام ومن أصحابه، وكانوا زهاداً أتقياء.

وأما أبو مسلم أهبان بن صيفی، فإنه كان فاجراً مرائياً، وكان صاحب معاوية، وهو الذی كان يحث الناس علی قتال علی فقال لعلی عليه السلام: إدفع الينا المهاجرين والأنصار حتی نقتلهم بعثمان، فأبی علی ذلك، فقال أبومسلم: الآن طاب الضراب إنما! كان وضع فخاً ومصيدة.

وأما مسروق، فانه كان عشاراً لمعاوية، ومات فى عمله ذلك بموضع أسفل من واسط على دجلة يقال له الرصافة، وقبره هناك.

والحسن كان يلقى كل فرق بما يهوون، ويتصنع للرئاسة، وكان رئيس القدرية.

وأويس القرنى مفضل عليهم كلهم.

قال أبومحمد: ثم عرف الناس بعد.

وكان أويس من خيار التابعين لم ير النبى صلى الله عليه وآله ولم يصحبه، بل آمن به فى الغياب، ولعدم المكنة وتفرق الحال والإشتغال على خدمات أمه لم يدرك صحبته، وكان شغله رعى الجمال وأخذ الاجرة. انتهى.

راجع أيضاً: خلاصة الاقوال/۲۴، والتحرير الطاووسى/۷۴، ووسائل الشيعة: ۲۰/۱۴۴، ومعجم رجال الحديث: ۴/۱۵۴، ولسان الميزان: ۱/۴۷۱

وفى بحار الأنوار: ۶۳/۳۹۰:

قال أويس لهرم بن حيان: قد عمل الناس على رجاء، فقال: بل نعمل على الخوف والخوف خوفان ثابت وعارض، فالثابت من الخوف يورث الرجا، والعارض منه يورث خوفاً ثابتاً.

والرجاء رجاءان: عاكف وباد، فالعاكف منه يقوى نسبة العبد، والبادى منه يصحح أمل العجز والتقصير والحياء.

مستدرك الوسائل: ۱۶/۷۳:

مجموعة الشهيد رحمه الله: نقلاً من كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام، عن أويس القرنى قال: كنا عند أمير المؤمنين إذ أقبلت امرأة متشبثة برجل، وهى تقول: يا أ مير المؤمنين لى على هذا الرجل أربعمائة دينار، فقال عليه السلام: للرجل: ما تقول المرأة؟

فقال: ما لها عندى إلا خمسون درهماً مهرها.

فقالت: يا أمير المؤمنين، أعرض عليه اليمين، فقال عليه السلام: تقول باركاً وتشخص ببصرك إلى السماء:

اللهم إن كنت تعلم أن لهذه المرأة شيئاً أريد ذهاب حقها وطلب نشوها وأنكر ما ذكر ته من مهرها، فلا استعنت بك من مصيبة، ولا سألتك فرج كربة، ولا احتجت إليك فى حاجة، وإن كنت أعلم أنك تعلم أن ليس لهذه المرأة شيئاً أريد ذهاب حقها فلا تقمنى من مقامى هذا حتى تريها نقمتها منك.

فقال: والله يا أمير المؤمنين لا حلفت بهذا اليمين أبداً، وقد رأيت أعرابياً حلف بها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله، فسلط الله عليه ناراً فأحرقته من قبل أن يقوم من مقامه، وأنا أوفيها ما ادعته علي. انتهى.

ورواه فى الخرائج والجرائح: ۱/۲۰۰، والثاقب فى المناقب/۲۶۶، ومدينة المعاجز: ۲/۲۹۹

من الأدعية المروية عن أويس

فى مستدرك الوسائل: ۵/۴۸:

السيد رضى الدين على بن طاووس فى مهج الدعوات: عن موسى بن زيد، عن أويس القرنى، عن على بن أبى طالب عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فى حديث أنه قال: من دعا بهذا الدعاء فى منامه، فيذهب به النوم وهو يدعو بها، بعث الله جل ذكره، بكل حرف منه سبعين ألف ملك من الروحانية، وجوههم أحسن من الشمس بسبعين ألف مرة، يستغفرون الله، ويدعون له، ويكتبون له الحسنات... الخبر.

الدعاء: يا سلام المؤمن المهيمن، العزيز الجبار المتكبر، الطاهر المطهر، القاهر القادر المقتدر، يا من ينادى من كل فج عميق، بألسنة شتى ولغات مختلفة، وحوائج اخرى، يا من لا يشغله شأن عن شأن، أنت الذى لا تغيرك الأزمنة، ولا تحيط بك الأمكنة، ولا تأخذك نوم ولا سنة، يسر لى من أمرى ما أخاف عسره، وفرج من أمرى ما أخاف كربه، وسهل لى من أمرى ما أخاف حزنه، سبحانك لا اله

إلاـ أنت، إني كنت من الظالمين، عملت سوءا، وظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهى. ورواه في بحار الأنوار: ۸۸/۳۹۰

وفي حلية الأولياء: ۸/۵۶:

سفيان الثقفي الكوفي، ثنا أبو علي الحسن بن عبد الله الوزان، ثنا أبو سعيد عمران بن سهل، ثنا سليمان بن عيسى، عن سفيان الثوري، عن إبراهيم بن أدهم، عن موسى بن يزيد، عن أويس القرني عن عمر بن الخطاب عن علي بن أبي طالب قالا:

قال رسول الله (ص): من دعا بهذه الأسماء استجاب الله له دعاءه. والذي بعثني بالحق لو دعا بهذه الأسماء على صفائح من الحديد لذابت بإذن الله، ولو دعا بها على ماء جار لسكن بإذن الله.

والذي بعثني بالحق إنه من بلغ إليه الجوع والعطش، ثم دعا بهذه الأسماء أطعمه الله وسقاه، ولو دعا بهذه الأسماء على جبل بينه وبين الموضع الذي يريده الآن الله له شعب الجبل، حتى يسلكك فيه إلى الموضع الذي يريده.

وإن دعا به على مجنون أفاق من جنونه، وإن دعا به على امرأة قد عسر عليها ولدها هون الله عليها، ولو أن رجلاً دعا به والمدينة تحرق وفيها منزله أنجاه الله ولم يحترق منزله.

وإن دعا أربعين ليلة من ليالي الجمعة غفر الله له كل ذنب بينه وبين الله عز وجل، ولو أن رجلاً دعا على سلطان جائر لخلصه الله من جوره.

ومن دعا بها عند منامه بعث الله إليه بكل اسم منها سبعين ألف ملك مرة يكتبون له الحسنات ومرة يمحون عنه السيئات، ويرفعون له الدرجات إلى يوم ينفخ في الصور.

فقال سلمان: يا رسول الله فكل هذا الثواب يعطيه الله؟

قال: نعم يا سلمان، ولولا أني أخشى أن تتركوا العمل وتقتصروا على ذلك لأخبرتك بأعجب من هذا!

قال سلمان: علمنا يا رسول الله.

قال: نعم، قل:

اللهم إنك حي لا تموت، وغالب لا تغلب، وبصير لا ترتاب، وسميع لا تشك، وقهار لا تقهر، وأبدي لا تنفد، وقريب لا تبعد، وشاهد لا تغيب، وإله لا تضاد، وقاهر لا تظلم، وصمد لا تطعم، وقيوم لا تنام، ومحتجب لا ترى، وجبار لا تضام، وعظيم لا ترام، وعالم لا تعلم، وقوي لا تضعف، وجبار لا توصف، ووفي لا تخلف، وعدل لا تحيف، وغني لا تفتقر، وكنز لا تنفد، وحكم لا تجور، ومنيع لا تقهر، ومعروف لا تنكر، ووكيل لا تحقر، ووتر لا تستشار، وفرد لا يستشير، ووهاب لا ترد وسريع لا تذهل، وجواد لا تبخل، وعزيز لا تذل، وعليم لا تجهل، وحافظ لا تغفل، وقيوم لا تنام، ومجيب لا تسأم، ودائم لا تفنى، وباق لا تبلى، وواحد لا تشبه، ومقتدر لا تنازع.

هذا حديث لا يعرف إلا من هذا الوجه، وموسى بن يزيد ومن دون إبراهيم وسفيان فيهم جهالة.

وفي حلية الأولياء: ۱۰/۳۸۰:

ثنا عبد الله بن عبيدة العامري، ثنا سورة بن شداد الأزهد، عن سفيان النوري، هو عن إبراهيم بن أدهم عن موسى بن يزيد عن أويس القرني عن علز بن أبي طالب، قال قال رسول الله (ص): إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد، ما من عبد يدعو بهذه الأسماء إلا وجبت له الجنة، إنه وتر يحب الوتر هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام.. إلى قوله الرشيد الصبور.. مثل حديث الأعرج عن أبي هريرة حديث الأعرج عن أبي هريرة صحيح متفق عليه، وحديث الثوري عن إبراهيم فيه نظر لا صحة له.

وقال ابن الجوزي في الموضوعات: ۳/۱۷۵:

دعاء منقول: أنبأنا أبو سعد أحمد بن محمد البغدادي، أنبأنا عبد الوهاب بن أبي عبد الله بن مندة، أنبأنا أبي، أنبأنا إبراهيم بن محمد بن رجاء الوراق، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يزيد بن خالد المروزي، حدثنا محمد بن موسى السلمي، حدثنا أحمد بن عبد الله

النیسابوری، عن شقیق البلخی، عن إبراهیم بن أدهم، عن موسی بن یزید، عن أویس القرنی، عن عمر بن الخطاب وعلی بن أبی طالب رضی الله عنهما قالا: قال رسول الله (ص): من دعا بهذه الأسماء استجاب الله له:

اللهم أنت حی لاـ تموت، وخالق لاـ تغلب، وبصیر لا ترتاب، وسمیع لا تشک، وصادق لا تکذب، وقاهر لا تغلب، وأبدی لا تنفد، وقریب لا تبعد، وغافر لا تظلم، وصمد لا تطعم، وقیوم لا تنام، وجبار لا تقهر، وعظیم لا ترام، وعالم لا تعلم، وقوی لا تضعف، وعلیم لاـ توصف، ووفی لاـ تخلف، وعدل لاـ تحیف، وغنی لاـ تفتقر، وحکیم لاـ تجور، ومنیع لاـ تقهر، ومعروف لا تنکر، ووکیل لا تحقر، وغالب لا تغلب، ووتر لا تستأمر، وفرد لا تستشیر، ووهاب لا تمل، وسریع لا تذهل، وجواد لا تبخل، وعزیز لا تذل، وحافظ لا تغفل، وقائم لا تنام، ومحتجب لا تری، ودائم لا تفنی وباق لا تبلی، وواحد لا تشبه ومقتدر لا تنازع.

قال رسول الله (ص): والذی بعثنی لو دعی بهذه الدعوات والأسماء علی صفائح الحدید لذابت، ولو دعی بها علی ما جار لسکن، ومن أبلغ إلیه الجوع والعطش ثم دعا به أطعمه الله وسقاه، ولو أن بینه وبین موضع یریده جبل لانشعب له الجبل حتی یسلکه إلی الموضع الذی یرید، ولو دعی به علی مجنون لافاق، ولو دعی علی امرأة قد عسر علیها ولدها، ولو دعا بها والمدینة تحترق وفیها منزله لنجا ولم یحترق منزله، ولو دعی بها أربعین لیلة من لیالی الجمعة غفر له کل ذنب بینه وبین الله عزوجل، ولو أنه دخل علی سلطان جائر ثم دعی بها قبل أن ینظر السلطان إلیه لخلصه الله من شره، ومن دعی بها عند منامه بعث الله عز وجل بکل حرف منها سبعمائة ألف ملک من الروحانیین، وجوههم أحسن من الشمس والقمر، یسبحون له ویستغفرون له ویدعون ویکتبون له الحسنات ویمحون عنه السیئات ویرفعون له الدرجات.

فقال سلمان: یا رسول أیعطی الله بهذه الأسماء کل هذا الخیر؟ فقال: لا تخبر به الناس حتی أخبرک بأعظم منها، فإنی أخشی أن یدعوا العمل ویقتصروا علی هذا. ثم قال: من نام وقد دعا بها، فإن مات مات شهیدا وإن عمل الکبائر وغفر لأهل بیته، ومن دعی بها قضی الله له ألف ألف حاجة.

وقد رواه سلیمان بن عیسی عن سفیان الثوری، عن إبراهیم بن أدهم إلا أن الألفاظ تختلف. ورواه مختصراً الحسین بن داود البلخی، عن شقیق بن إبراهیم.

هذا حدیث موضوع علی رسول الله(ص)، وفی طرقه کلمات رکیکة یتنزه رسول الله(ص)عن مثلها وأسماء لله یتعالی الحق عنها، ولم نر التطویل بذکر الطرق لأنها من جنس واحد.

وفی الطریق الأول أحمد بن عبد الله وهو الجویباری.

وفی الطریق الثانی سلیمان بن عیسی.

وفی الثالث الحسین بن داود، وثلاثتهم کانوا یضعون الحدیث، والله أعلم أنهم ابتدوا بوضعه، ثم سرقه الآخران وبدَّلا فیه وغیرا.

وقد روی لنا من طریق مظلم فیه مجاهیل وفیه زیادات ونقصان. انتهی.

ونحن لا نحکم بصحة الأدعیة المرویة عن أویس رحمه الله، وهی أکثر من هذه النماذج التی ذکرناها، فروایاتها خاضعة للبحث العلمی وقواعد الجرح والتعدیل، ولکنها تدل علی المکانة العمیقة له رحمه الله فی نفوس المسلمین من الشیعة والسنة، وأنه ثبت عندهم أن أویساً من أولیاء الله الخاصین النادرین، کما ثبتت عندهم أحادیث شفاعته الواسعة..

جعلنا الله ممن تشملهم شفاعة النبی وآله، وشیعتهم المقربین.

شفاعة أویس القرنی لمئات الألوف أو الملایین

تقدم ذکر شفاعة أویس القرنی رحمه الله فی أحادیث عدیدة، ومنها أحادیث صحیحة من الدرجة الأولی عند الطرفین، ونورد هنا ما یلی:

فی مستدرک الحاکم: ۳/۴۰۸

حدثنا أبو زکریا یحیی بن محمد العنبری، ثنا محمد بن عبدالسلام، ثنا اسحاق بن ابراهیم، ثنا عبد الوهاب الثقفی، ثنا خالد الحذاء، عن عبدالله بن شقیق، عن عبدالله بن أبی الجدعاء أنه سمع رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: یدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتی أکثر من بنی تمیم.

قال الثقفی قال هشام: سمعت الحسن یقول إنه أویس القرنی. صحیح الإسناد ولم یخرجاه. ورواه فی سیر أعلام النبلاء: ۴/۳۲.

وفی مستدرک الحاکم: ۳/۴۰۵:

حدثنا أبو العباس احمد بن زیاد الفقیه بالدامغان، ثنا محمد بن أیوب، أنا أحمد بن عبد الله بن یونس، ثنا أبو بکر بن عیاش، عن هشام عن الحسن قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: یدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتی أکثر من ربیعة ومضر.

قال هشام: فأخبرنی حوشب عن الحسن أنه أویس القرنی.

قال أبو بکر بن عیاش: فقلت لرجل من قومه: أویس بأی شئ بلغ هذا؟

قال: فضل الله یؤتیه من یشاء.

وفی تاریخ الطبری: ۱۰/۱۴۵:

حدثنا أبو کریب قال: حدثنا أبو بکر قال حدثنا هشام، عن الحسن قال قال رسول الله (ص): لیدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتی مثل ربیعة ومضر: قال هشام: فأخبرنی حوشب أنه قال: هو أویس القرنی.

وفی تاریخ الطبری: ۱۱/۶۶۲:

عن هشام عن الحسن.. قال رسول الله (ص) لیدخلن الجنه بشفاعة رجل من أمتی مثل ربیعة ومضر.. أنه قال هو أویس القرنی.

وفی کنز العمال: ۱۲/۷۳:

سیکون فی أمتی رجل یقال له أویس بن عبد الله القرنی، وإن شفاعته فی أمتی مثل ربیعة ومضر (عد، عن ابن عباس).

وفی کنز العمال: ۱۲/۷۶:

یدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتی أکثر من ربیعة ومضر (ش، ک، هق، وابن عساکر عن الحسن مرسلاً، قال الحسن: هو أویس القرنی).

وفی کنز العمال: ۱۴/۸:

عن الحسن قال قال رسول الله (ص): یدخل بشفاعة رجل من أمتی الجنة أکثر من ربیعة ومضر، أما أسمی لکم ذلک الرجل؟

قالوا: بلی.

قال: ذاک أویس القرنی...

وقال: یدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتی أکثر من ربیعة ومضر، ثم سماک.. الحدیث. وروی نحوه فی صفحة ۱۳

وفی کنز العمال: ۱۲/۷۴:

سیقدم علیکم رجل یقال له أویس کان به بیاض فدعا الله له فأذهبه الله، فمن لقیه منکم فمروه فلیستغفر له (ش، عن عمر).

وفی کنز العمال: ۱۴/۷:

مسند عمر، عن صعصعة بن معاویة قال: کان أویس بن عامر من التابعین رجل من قرن، وإن عمر بن الخطاب قال: أخبرنا رسول الله(ص)أنه سیکون فی التابعین رجل من قرن یقال له أویس بن عامر، یخرج به وضح فیدعو الله أن یذهبه فیقول: اللهم دع لی فی جسدی منه ما أذکر به نعمتک علی، فیدع له فی جسده ما یذکر به نعمته علیه، فمن أدرک منکم فاستطاع أن یستغفر له فلیستغفر له (الحسن بن سفیان وأبو نعیم فی المعرفة، ق، فی الدلائل، کر) راجع أیضاً: ۱۴/۸ و۱۰. ونحوه فی سیر أعلام النبلاء: ۴/۲۶

وفی سیر أعلام النبلاء: ۴/۳۲:

وروی هشام بن حسان عن الحسن قال: یخرج من النار بشفاعة أویس أکثر من ربیعة ومضر.

أبو بکر الأعین: حدثنا أبو صالح، حدثنا اللیث، عن المقبری، عن أبی هریرة مرفوعا: یدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتی أکثر من مضر وتمیم. قیل: من هو یا رسول الله؟ قال: أویس القرنی. هذا حدیث منکر تفرد به الاعین، وهو ثقة.

ونحوه فی میزان الاعتدال: ۲/۴۴۵.

وفی تاریخ الإسلام للذهبی: ۳/۵۵۸:

عن عمر قال: قال رسول الله (ص): یدخل الجنة بشفاعة أویس مثل ربیعة ومضر.

وفی بدء الإسلام لابن سلام الاباضی/۷۹:

أویس القرنی... جاء فی الاثر عن النبی (ص) قال لأبی بکر وعمر: أوصیکم أن تقرؤوا منی أویس القرنی السلام، یقدم المدینة بعدی... یدخل فی شفاعته یوم القیامة عدد ربیعة ومضر...

وفی میزان الإعتدال: ۱/۲۸۲:

عن الحسن قال: یخرج من النار بشفاعة رجل لیس بنبی، أکثر من ربیعة ومضر.

قال هشام عن الحسن: هو أویس.

وقال عبد الوهاب الثقفی: حدثنا خالد الحذاء، عن عبد الله بن شقیق، عن ابن أبی الجدعاء: سمع رسول الله(ص)یقول: یدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتی أکثر من ربیعة وبنی تمیم.

وفی میزان الإعتدال: ۱/۲۸۲ ولسان المیزان: ۱/۴۷۴

یونس وهشام عن الحسن قال: یخرج من النار بشفاعة رجل لیس بنبی أکثر من ربیعة ومضر. قال هشام عن الحسن هو أویس.

وقال عبد الوهاب الثقفی ثنا خالد الحذاء، عن عبدالله بن شقیق، عن ابن أبی الجدعاء سمع رسول الله(ص)یقول: یدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتی أکثر من ربیعة وبنی تمیم.

وفی لسان المیزان: ۱/۴۷۳

وقال أبو صالح: ثنا اللیث، حدثنی المقبری، عن أبی هریرة (رض) أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: لیشفعن رجل من أمتی فی أکثر من مضر. قال تمیم: ومضر، وأنه أویس القرنی. انتهی.

نتیجة

النتیجة التی یخرج منها الباحث فی أحادیث أویس وشفاعته:

أن الله تعالی أعطی هذه الکرامة العظیمة لراعی إبل من جبال الیمن، فجعله بسبب طاعته وإخلاصه له، موعوداً مبشراً به، علی لسان أشرف الأنبیاء والمرسلین صلی الله علیه وآله وجعل المسلمین یتبرکون به ویطمعون منه بکلمة (غفر الله لک) فیبخل بها علی أکثرهم! وینطق بها لمن أدرکته الرحمة منهم.

ثم جعله یوم القیامة شفیعاً لمئات الألوف أو لملایین المذنبین، یدخلون ببرکته جنة النعیم.

وقوله صلی الله علیه وآله (یشفع فی مثل ربیعة ومضر.. أکثر من مضر وتمیم.. أکثر من ربیعة وبنی تمیم) إنما هو إشارة إلی الکثرة وتفهیمها للناس بجمهور قبائل کانت تمثل الکثرة فی ذلک المجتمع.. ولذلک قد یبلغ عدد من یشفع لهم أویس الملایین..

ومما یثیر العجب، أن هذا الإنسان الکریم علی ربه، صاحب المقام العظیم عنده، الذی لا ینطق بکلمة (غفر الله لک) فی غیر محلها.. تراه یقول لعلی علیه السلام: مد یدک أبایعک علی بذل مهجة نفسی دونک!!

فما هو مقام علی؟! الذی یتقرب کبار الأولیاء إلی الله بالموت دونه، ودون نصرة حقه وقضیته؟!!

وهل یستطیع مسلم بعد هذا أن یشکک فی مقام الشفاعة العظیمة لعلی وبقیة أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله.. وهو یری أن أویساً صاحب الشفاعة العظیمة، فدائی لهم!!

وختاماً، فإن شفیع المحشر علی الإطلاق، هو رسول الله صلی الله علیه وآله.. بل یفهم من أحادیثنا أن الشفاعة بالأصل إنما هی کرامة من الله تعالی له صلی الله علیه وآله

وأن الأنبیاء الاخرین إنما یشفعون بما یعطیهم سید المحشر وصاحب لوائه مما أعطاه ربه عز وجل!

وهذه الشفاعة العظمی لنبینا صلی الله علیه وآله ملکٌ کبیرٌ.. لا بد له من مدراء ومفوضین یوم القیامة.. وهؤلاء إنما هم عترة النبی الذین نص علیهم أنهم یکونون معه، وهم علی وفاطمة والمعصومون من أولادهم، صلی الله علی رسوله وعلیهم.

ولا بد أن یکون لهم أعوان من الملائکة والصالحین.

وقد خصصنا هذا الفصل بشفاعة أویس رحمه الله، لأنه شیعی ثبتت له هذه الشفاعة العظیمة بإجماع المسلمین، وکفی بها دلیلاً علی شفاعة أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله.

النواصب مطرودون من الشفاعة والجنة

حکم النواصب فی الفقه الإسلامی

عقدنا هذا الفصل لإستعراض الأحادیث التی رواها الجمیع فی قرار الحرمان الإلهی من الشفاعة والجنة، لمن أبغض أهل البیت النبوی (علیهم السلام)، أو نصب العداوة والبغضاء لهم أو لمن أحبهم، أو حمل فی نفسه غلاً علیهم، أو کرهاً أو حسداً.. ولو بمقدار ذرة!!

فقد اتفقت مذاهب السنیین علی أن من یعادی علیاً، أو أهل البیت النبوی (علیهم السلام)، فهو منافق.

أما فی فقهنا فمبغض أهل البیت (علیهم السلام) الناصب لهم، کافرٌ نجس..

ویسمی المبغض والمعادی فی الفقه الإسلامی (الناصب والناصبی)

وهو اسم مشتق من: نصب له العداوة، أی أبغضه، وتکلم علیه، أو عمل ضده، شبیهاً بقولک: نصب له الحرب!

والمبغض والمخالف والمعادی والناصب، کلمات متقاربة، ولکنها متفاوتة.. فالمخالف ناظرةٌ إلی مخالفة الشخص فی الرأی والمسلک.

والمبغض ناظرة إلی حالة النفرة النفسیة المضادة للحب.

والمعادی ناظرة إلی الموقف النفسی والعملی المضاد.

والناصب تزید علیهما بأن البغض والعداء یصیر هم الناصب!

هذا فی أصل اللغة، أما فی الشرع فقد وردت استعمالاتها بمعنی واحد وکأن المصطلح الإسلامی للمبغض یشملها جمیعاً.

والذی یدخل فی بحثنا من أحکام النواصب، أن الشفاعة النبویة الکبری علی سعتها یوم القیامة لا تنالهم، بل یؤمر بهم إلی النار!!

وهذا یعنی أن بغض أهل البیت جریمةٌ کبری فی نظر الإسلام، جزاؤها الطرد من الرحمة الإلهیة والنبویة، واستحقاق العذاب فی جهنم!

ونورد فیما یلی عدداً من أحادیث هذه المسألة، وفیها أحادیث صحیحةٌ عند الجمیع:

علی میزان الإسلام والکفر والإیمان والنفاق

روی الحاکم: ۳/۱۲۹

عن أبی ذر (رض) قال: ما کنا نعرف المنافقین إلا بتکذیبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعلی بن أبی طالب (رض).
هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم، ولم یخرجاه.

ورواه أحمد فی فضائل الصحابة: ۲/۶۳۹، والدارقطنی فی المؤتلف والمختلف: ۱۳۷۶۳، والهیثمی فی مجمع الزوائد: ۹/۱۳۲

وروی الترمذی: ۴/۳۲۷، و: ۵/۲۹۳ و۲۹۸–باب مناقب علی:

عن أبی سعید الخدری قال: إن کنا لنعرف المنافقین نحن معشر الأنصار ببغضهم علی بن أبی طالب. هذا حدیث غریب. وقد تکلم شعبة فی أبی هارون العبدی، وقد روی هذا عن الاعمش عن أبی صالح، عن أبی سعید.

وروی النسائی فی: ۸/۱۱۵

عن أم سلمة قالت: کان رسول الله(ص)یقول: لا یحب علیاً منافق، ولا یبغضه مؤمن. وقال: هذا حدیث حسن.

ورواه النسائی أیضاً فی خصائص علی ۵/۱۳۷

وابن ماجة: ۱/۴۲

والترمذی: ۴/۳۲۷ وج ۵/۵۹۴

وأحمد فی مسنده: ۲/۵۷۹ وص ۶۳۹ وفی فضائل الصحابة: ۲/۲۶۴

وعبد الرزاق فی مصنفه: ۱۱/۵۵

وابن أبی شیبة فی مصنفه: ۱۲/۵۶

والحاکم فی المستدرک: ۳/۱۲۹، وقال: هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه! ووافقه الذهبی فی تلخیص المستدرک.

ورواه الطبرانی فی الأوسط: ۳/۸۹

والهیثمی فی مجمع الزوائد:۱۲۹۹، وقال: رجال أبی یعلی رجال الصحیح.

ورواه الخطیب فی تاریخ بغداد عن صحابة متعددین فی: ۲/۷۲ و: ۴/۴۱ و: ۱۳/۳۲/۱۵۳ و: ۱۴/۴۲۶ و: ۲/۲۵۵

والبیهقی فی سننه: ۵/۴۷

وابن عبد البر فی الاستیعاب: ۳/۳۷

وفی الترمذی: ۵/۶۰۱

عن الأعمش: إنه لا یحبک إلا مؤمن. وقال: هذا حدیثٌ حسنٌ صحیح.

وفی الطبرانی الکبیر: ۱/۳۱۹ و ۲۳/۳۸۰

عن أبی الطفیل قال: سمعت أم سلمة تقول: أشهد أنی سمعت رسول الله (ص)یقول: من أحب علیاً فقد أحبنی، ومن أحبنی فقد أحب الله، ومن أبغض علیاً فقد أبغضنی، ومن أبغضنی فقد أبغض الله. ورواه الهیثمی فی الزوائد: ۹/۱۳۲.

وفی فردوس الأخبار: ۳/۶۴

عن ابن عباس أن النبی (ص) قال: علی باب حطة، من دخل منه کان مؤمناً، ومن خرج منه کان کافراً.

عن أبی ذر أن النبی (ص) قال: علی باب علمی ومبین لأمتی ما أرسلت به من بعدی. حبه إیمانٌ، وبغضه نفاق، والنظر إلیه رأفة ومودة عبادة.

وفی صحیح مسلم: ۱/۶۰، تحت عنوان: باب حب علی من الإیمان.

عن زر بن حبیش قال قال علی علیه السلام: والذی فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبی(ص)إلی، أن لا یحبنی إلا مؤمن، ولا یبغضنی إلا منافق.

ورواه ابن ماجة: ۱/۴۲

والنسائى فى سننه: ۸/۱۱۵ و۱۱۷ وفى خصائص على: ۱۳۷۵

وأحمد فى مسنده: ۱/۸۴ و ۹۵ و ۱۲۸ وفى فضائل الصحابة: ۲/۲۶۴

وابن أبى شيبة فى المصنف: ۱۲/۵۶

وعبد الرزاق فى المصنف: ۱۱/۵۵

وابن أبى عاصم فى السنة: ۵۸۴۲

وابن حبان فى صحيحه: ۹/۴۰

والخطيب فى تاريخ بغداد: ۲/۲۵۵ و: ۱۴/۴۲۶

وابن عبد البر فى الاستيعاب: ۳/۳۷

وأبو نعيم فى حلية الأولياء: ۸/۱۸۵

وابن حجر فى الإصابة: ۲/۵۰۳

والحاكم فى المستدرک: ۳/۱۳۹

والبيهقى فى سننه: ۵/۴۷

وابن حجر فى فتح البارى: ۷/۵۷

وفى مسند أبى يعلى: ۱/۲۳۷

عن الحارث الهمدانى قال: رأيت علياً جاء حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قضاء قضاه الله على لسان نبيكم النبى الامى صلى الله عليه و(آله) وسلم إلى: إنه لا يحبنى إلا مؤمن، ولا يبغضنى إلا منافق، وقد خاب من افترى.

وفى فتح البارى: ۷/۷۲

وفى كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه يقول: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفى هـذا على أن يبغضنى ما أبغضنى، ولو صببت الدنيا بجمانها على المنافق على أن يحبنى ما أحبنى! وذلک أنه قضى فانقضى على لسان النبى الأمى صلى الله عليه و (آله) وسلم أنه قال: يا على لا يبغضک مؤمن، ولا يحبک منافق.

وهو فى نهج البلاغة: ۲/۱۵۴، شرح محمد عبده، وقال ابن أبى الحديد فى شرحه ۲: ۴۸۵: فى الخبر الصحيح المتفق عليه أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، وحسبک بهذا الخبر، ففيه وحده كفاية:

وقال ابن ابى الحديد فى موضع آخر كما فى هامش بحار الأنوار: ۳۹/۲۹۴:

قال شيخنا أبو القاسم البلخى: قد اتفقت الأخبار الصحيحة التى لا ريب عند المحدثين فيها أن النبى قال له: لا يبغضک إلا منافق ولا يحبک إلا مؤمن.

وفى بشارة المصطفى للطبرى الشيعى/۱۰۷

أخبرنا الشيخ الفقيه المفيد أبو على الطوسى رحمه الله بقراءتى عليه فى شعبان سنة إحدى عشرة وخمسمائة بمشهد مولانا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام قال: أخبرنا السعيد الوالد أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسى رحمه الله قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثى رحمه الله قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عمر الجعابى قال: حدثنا على بن العباس بن الوليد قال: حدثنا ابراهيم بن بشير بن خالد قال: حدثنا منصور بن يعقوب قال: حدثنا عمرو بن ميمون، عن ابراهيم بن عبد الاعلى، عن سويد بن غفلة قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: والله لو صببت الدنيا على المنافق صباً ما أحبنى، ولو ضربت بسيفى هذا خيشوم المؤمن لاحبنى، وذلک أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا على لا يحبک إلا مؤمن، ولا يبغضک إلا منافق! انتهى.

ورواه محمد بن سليمان فى مناقب أمير المؤمنين (ع): ۲/۴۸۴، والفتال النيسابورى فى روضة الواعظين/۲۹۵

وفی فردوس الأخبار: ۵/۳۱۶

قال النبی (ص): یا علی محبک محبی، ومبغضک مبغضی.

ونحوه فی الطبرانی فی الأوسط: ۳/۸۹، عن عمران بن حصین.

وأحمد فی فضائل الصحابة: ۲/۶۳۹، عن جابر بن عبد الله الأنصاری.

والحاکم فی: ۳/۱۳۰، عن سلمان الفارسی. وفی: ۳/۱۲۹، عن أبی ذر الغفاری

والهیثمی فی مجمع الزوائد: ۹/۱۲۹، عن أبی یعلی، عن أبی رافع.

وفی تاریخ بغداد: ۹/۷۲، وفی: ۴/۴۱، وفی: ۱۳/۲۳، عن ابن مسعود، وفی صفحة ۱۵۳، عن ابن عباس.

- ورواه أیضاً فی: ۹/۷۲، وروی فیها: عن عمار بن یاسر قال سمعت رسول الله یقول لعلی: یا علی طوبی لمن أحبک وصدق فیک، وویل لمن أبغضک وکذب فیک.

وروی الحاکم فی المستدرک: ۳/۱۲۸

عن ابن عباس قال: نظر النبی(ص)الی علی فقال: یا علی أنت سیدٌ فی الدنیا وسیدٌ فی الآخرة، حبیبک حبیبی، وحبیبی حبیب الله، وعدوک عدوی وعدوی عدو الله، والویل لمن أبغضک بعدی!! صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه.

ورواه فی تاریخ بغداد: ۴/۴۱، وفی فردوس الأخبار: ۵/۳۲۴

وفی الطبرانی الأوسط: ۳/۸۹

عن عمار بن یاسر قال: سمعت رسول الله(ص)یقول لعلی:إن الله تبارک وتعالی زینک بزینة لم یزین العباد بزینة مثلها! إن الله تعالی حبب الیک المساکین والدنو منهم، وجعلک لهم إماما ترضی بهم، وجعلهم لک أتباعاً یرضون بک، فطوبی لمن أحبک وصدق علیک، وویلٌ لمن أبغضک وکذب علیک.

فأما من أحبک وصدق علیک فهم جیرانک فی دارک، ورفقاؤک من جنتک.

وأما من أبغضک وکذب علیک، فإنه حق علی الله عز وجل أن یوقفهم مواقف الکذابین.

وفی مستدرک الحاکم فی صفحة ۱۳۸ (عن علی بن أبی طلحة قال: حججنا فمررنا علی الحسن بن علی بالمدینة، ومعنا معاویة بن حدیج، فقیل للحسن: إن هذا معاویة بن خدیج الساب لعلی، فقال: علیَّ به، فأتی به فقال: أنت الساب لعلی؟! فقال: ما فعلت! فقال: والله إن لقیته، وما أحسبک تلقاه یوم القیامة، لتجده قائماً علی حوض رسول الله صلی الله علیه وآله، یذود عنه رایات المنافقین، بیده عصاً من عوسج.. حدثنیها الصادق المصدوق، وقد خاب من افتری. هذا حدیث صحیح الإسناد، ولم یخرجاه. انتهی.

وفی مسند أبی یعلی: ۶/۱۷۴

(عن علی بن أبی طلحة مولی بنی أمیة قال: حج معاویة بن أبی سفیان وحج معه معاویة بن خدیج، وکان من أسب الناس لعلی، قال: فمر فی المدینة وحسن بن علی ونفرٌ من أصحابه جالسٌ فقیل له: هذا معاویة بن خدیج الساب لعلی! قال: علیَّ الرجل، قال: فأتاه رسوله فقال: أجب.

قال: من؟

قال: الحسن بن علی یدعوک، فأتاه فسلم علیه.

فقال له الحسن: أنت معاویة بن خدیج؟

قال: نعم.

فرد ذلک علیه، قال: فأنت الساب لعلی بن أبی طالب؟!

قال: فکأنه استحیا.

فقال له الحسن: أما والله لئن وردت عليه الحوض، وما أراك ترده، لتجدنه مشمر الازار على ساق، يذود عنه رايات المنافقين ذود غريبة الابل. قول الصادق المصدوق، وقد خاب من افترى.

ورواه أبو يعلى فى مسنده: ۱۲/۱۳۹، والطبرانى فى الأوسط: ۳/۲۲، وفى الكبير: ۹۱۳، وفى مجمع الزوائد: ۹/۱۳۰، و۲۷۲

وفيه: قال يامعاوية بن خديج إياك وبغضنا، فإن رسول الله قال: لا يبغضنا ولا يحسدنا أحدٌ إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار.

ورواه فى مختصر تاريخ دمشق: ۱۲ جزء ۲۴/۳۹۳، وفى كفاية الطالب /۸۹، عن أبى كثير، ورواه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة: ۸ جزء ۱۵/۱۸، عن المدائنى.

وفى شواهد التنزيل للحسكانى: ۱/۵۵۱ ح ۵۸۵

بسنده عن جابر وأنس قالا قال رسول الله (ص): يا على، لو أن أمتى أبغضوك لأكبهم الله على مناخرهم فى النار.

وفى شواهد التنزيل: ۱/۵۵۰ ح ۵۸۳

بسنده عن جابر قال: قال رسول الله (ص) يا على، لو أن أمتى صاموا حتى صاروا كالأوتاد، وصلوا حتى صاروا كالحنايا، ثم أبغضوك لأكبهم الله على مناخرهم فى النار!!.

وفى شواهد التنزيل: ۱/۴۹۶ ح ۵۲۴

بسنده عن جابر قال: خطبنا رسول الله (ص) فسمعته يقول: من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً.

وفى شواهد التنزيل: ۱/۵۵۰ ح ۵۸۴

بسنده عن أبى سعيد قال: قتل قتيل بالمدينة على عهد النبى (ص)... فقال: والذى نفس محمد بيده لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أكبه الله عز وجل فى النار على وجهه.

وفى بشارة المصطفى للطبرى الشيعى/۲۰۴

قال حدثنا الهيثم بن حماد، عن يزيد الرقاشئ، عن أنس بن مالك قال: رجعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله قافلين من تبوك فقال فى بعض الطريق: ألقوا إلى الأحلاس والأقتاب ففعلوا، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله فخطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: معاشر الناس مالى أراكم إذا ذكر آل ابراهيم تهللت وجوهكم، فإذا ذكر آل محمد كأنما يفقأ فى وجوهكم حب الرمان!! والذى بعثنى نبياً لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال، ولم يجئ بولاية على بن أبى طالب لأكبه الله عز وجل فى النار!!

محاولة ابن حجر تجريد على من هذه الفضيلة

قال فى فتح البارى: ۱/۶۳

وقد ثبت فى صحيح مسلم عن على أن النبى (ص) قال له: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. وهذا جار باطراد فى أعيان الصحابة لتحقق مشترك الإكرام، لما لهم من حسن الغناء فى الدين!

قال صاحب المفهم: وأما الحروب الواقعة بينهم، فإن وقع من بعضهم بغض فذاك من غير هذه الجهة، بل للأمر الطارئ الذى اقتضى المخالفة! ولذلك لم يحكم بعضهم على بعض بالنفاق، وإنما كان حالهم فى ذاك حال المجتهدين فى الأحكام، للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد!! والله أعلم.

وقال فى فتح البارى: ۷/۷۲، فى شرح رواية البخارى: ۱/۵۲۵): لأعطين الراية غدا رجلًا يحب الله ورسوله: وقوله فى الحديثين إن علياً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله: أراد بذلك وجود حقيقة المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع على فى مطلق هذه الصفة.

وفى الحديث تلميح بقوله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله، فكأنه أشار إلى أن علياً تام الإتباع لرسول الله (ص)

حتى اتصف بصفة محبة الله له، ولهذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق، كما أخرجه مسلم من حديث على نفسه، قال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى (ص) أن لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق. وله شاهد من حديث أم سلمة عند أحمد. انتهى.

فقد حاول ابن حجر أن يميع شهادة النبى صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام فى خيبر، وشهادته له بأن حبه وبغضه ميزان الإيمان.. ويجعلهما شهادتين عامتين لكل الصحابة!!

أما فى خيبر فقد حاصر المسلمون خيبر وفتحوا عددا من حصونها، ولكنهم عجزوا عن فتح أهم حصن فيها (حصن السلالم)!

وكانت آخر محاولتين لفتحه حملتان، قاد المسلمين فى الأولى منهما أبو بكر، وما أن اقتربوا من الحصن حتى واجهتهم دفاعات اليهود من أعلى الحصن بوابل السهام والاحجار.. فانهزموا راجعين إلى مقر قيادة النبى صلى الله عليه وآله!!

وفى اليوم التالى قاد الحملة عمر بن الخطاب فتكرر نفس المشهد وأشد، فانهزم المسلمون ورجعوا، وهم يجبنون عمر وهو يجبنهم!! عندها غضب النبى صلى الله عليه وآله وقال كلمته الخالدة (لأعطين الراية غدا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه) وكان على مريضاً برمد العينين، فأحضره النبى صلى الله عليه وآله ومسح بريقه على عينيه فشفاه الله تعالى، وأعطاه الراية، فتقدم على أمام المسلمين وصعد فى جبل الحصن قبلهم، وهو يدفع السهام والأحجار حتى تكسر ترسه، وتمكن من الصعود إلى باب الحصن وبه جراحات، فاستعان بالله تعالى ودحا الباب الحديدى الضخم فانفتح، فدخل عليهم وحده وقتل فارسهم مرحباً، ورفع صوته بالتكبير، ففهم المسلمون أنه النصر، فدخلواالحصن على أثره وأكملوا تحريره!!

فانظر كيف حاول ابن حجر توسيع هذه الشهادة النبوية لتشمل كل الصحابة، ويغمض عينيه عن صوصياتها المتعددة، التى لا تنطبق إلا على على؟!

والأعجب من ذلك أنه عمد إلى الميزان الإلهى لايمان الأمة، والذى هو ميزان منصوص، لشخص مخصوص، فجعله ميزاناً واسعاً ضائعاً مائعاً متناقضاً! فقال:

وهذا جار بأطراد فى أعيان الصحابة، لتحقق مشترك الإكرام، لما لهم من حسن الغناء فى الدين!

يعنى بذلك أن حب كل واحد من الصحابة علامة على الإيمان، وبغض أى واحد منهم علامة على النفاق، لأنهم جميعاً شاركوا فى نصرة النبى صلى الله عليه وآله!

يفعل ابن حجر ذلك وهو يعلم أن غرض الإسلام من التأكيد على حب على عليه السلام أن يضع للامة خطاً ومقياساً ليعرف به هدى المهتدين به، وكذب المنافقين فى ادعائهم الإسلام.

وكيف يعقل ابن حجر أن يكون الصحابة جميعاً مقياساً لذلك، وعددهم عنده أكثر من مئة ألف، وقد كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه وآله مختلفى المشارب والإتجاهات والمستويات، وصاروا بعده أكثر اختلافاً وعداوة وبغضاء.. حتى انقسمت الأمة بسببهم إلى محب لهم ومبغض، وقامت بينهم الحروب!!

فلو جعلنا بغضهم مقياساً للنفاق، فقد نفينا وجود منافقين فى الأمة!

لأن المنافقين فى زمنه وبعده، إما صحابة أو يحبون أحداً من الصحابة!

وذلك تكذيب للقرآن حيث أخبرا بوجود منافقين فى حياة التبى صلى الله عليه وآله

كما أن مقياس ابن حجر يسبب مشكلة عقيدية على الصحابة أنفسهم.. لأنه لا يكاد يوجد صحابى إلا وأبغض صحابياً آخر، فيكونون جميعاً بهذا المقياس (الحجرى) منافقين!!

وقد حاول ابن حجر أن يخلص من هذه الورطة فنقل عن صاحب المفهم كلاماً غير مفهم، مفاده أن الصحابة قد أبغضوا بعضهم، وقد اشتهر بغض معاوية لعلى، ولكن هذا البغض بزعمه ليس نفاقاً! لأن قصد النبى صلى الله عليه وآله أن علامة النفاق هو بغض على بسبب

نصرته للنبی فقط.. وأما بغضه لسبب آخر فهو حلالٌ زلال، لا یوجب نفاقاً ولا من یحزنون!!

وهی حیلةٌ وجدها علماء الخلافة القرشیة قبل ابن حجر، فحللوا بهابغض علی، وزعموا أن التأکید النبوی المطلق مخصوص بمن أبغضه لنصرته للنبی صلی الله علیه وآله فقط! فلا یشمل الذین یبغضونه لأسباب أخری غیر النصرة!!

وقد تشبثوا بتلک الحیلة لرفع حکم النفاق عن معاویة، وتبریر أمره بلعن علی علیه السلام علی منابر الإسلام فی خطب الجمعة عشرات السنین، وتشرید أهل بیت النبی ومطاردتهم فی کل صقع، وتقتیل شیعتهم وهدم بیوتهم، وتقریب مبغضیهم ولاعنیهم، وإعطائهم مناصب الدولة!!

وقد تمسک بهذه الحیلة بعض فقهاء النواصب فی عصر ابن حجر، ودافعوا بها أمام القضاة السنیین، الذین أصدروا حکمهم علی ابن تیمیة، بأنه ناصبی منافق مبغض لعلی علیه السلام! فقال المدافعون: إن بغضه لعلی الذی لیس بسبب نصرته للنبی صلی الله علیه وآله! فهو مثل معاویة یبغض علیاً لأسباب أخری، فبغضه له حلالٌ لا یصیر بسببه من المنافقین، کما أن معاویة لم یصر من المنافقین!!

ولکنه منطق متهافت:

أولًا، لأن کلام النبی صلی الله علیه وآله صریح فی الإطلاق والعموم.. فأین دلیلهم علی التخصیص، وأین المخصص والمقید من عقل أو نقل؟

وثانیاً، أنهم بذلک جوزوا للمسلمین أن یصیروا کلهم رافضة، وأن یبغضوا الصحابة ویلعنوهم لأسباب أخری غیر نصرتهم للنبی صلی الله علیه وآله!!

فما دام بغض معاویة والنواصب ولعنهم علیاً حلالٌ، وهم مصدقون فی إدعائهم أن بغضهم له لسبب آخر غیر النصرة! فکل مسلم یجوز له أن یبغض من شاء من الصحابة ویلعنهم، ویکفی لتبرئته أن یزعم أن ذلک لسبب آخر غیر النصرة!!

والواقع أن ابن حجر وأمثاله یعرفون أن علیاً هو المقیاس النبوی الإلهی للإیمان فی الأمة فی حیاة النبی وبعده، ویروون فی الصحاح قصة بغض بریدة وخالد وغیرهما لعلی وغضب النبی صلی الله علیه وآله علیهم لذلک!

ولکن علماء الخلافة یجادلون نبیهم، ویحتالون علی أحادیثه تخصیصاً وتوسیعاً وتمییعاً، لمصلحة مبغضی أهل بیت نبیهم من قبائل قریش الأخری، التی أشربوا حبها علی حساب أهل بیت نبیهم!! ولله فی خلقه شؤون.

قصة بریدة وحدها حجة بالغة

روت الصحاح السنیة قصة بریدة، ولکنها اختصرتها وحذفت منها!!

وما بقی منها عظیم! وخلاصتها:

أن الصحابی بریدة الاسلمی اعترف بأنه کان مع عدد من الصحابة القرشیین فی زمن النبی صلی الله علیه وآله یبغضون علیاً علیه السلام ویعملون ضده!

وذات یوم أرسل النبی صلی الله علیه وآله جیشین إلی الیمن، أحدهما بقیادة علی، والاخر بقیادة خالد بن الولید، فاختار بریدة أن یذهب مع جیش خالد، لأن خالداً علی خطه فی بغض علی علیه السلام.

وتوغل جیش علی داخل الیمن، وأنجز الجیشان مهماتهما العسکریة، کل فی جبهته، وانتصرا وغنما ثم التقیا، فصار القائد علیهما علی کما أمر النبی صلی الله علیه وآله.

وکان خالد ومبغضو علی یراقبون حرکات علی وسکناته، لعلهم یجدون علیه مأخذاً ینتقدونه به، ویضعفون شخصیته عند المسلمین، أو عند النبی صلی الله علیه وآله!

وعندما وزع علی الغنائم وعزل منها الخمس للرسول وآله صلی الله علیه وآله، اختار منه جاریة فقوم قیمتها وحسبها من سهمه من

الخمس، ولعله تزوجها.

فرأی خالد فی ذلک نصراً عظیما علی علی ع وکتب رسالة إلی النبی صلی الله علیه وآله وأرسلها مع وفد من ثلاثة أشخاص، وأرسل معهم بریدة شاهداً مصدقاً للرسالة!

ومفاد الرسالة أن علیاً خان غنائم المسلمین وأخذ جاریة لنفسه، وتزوج علی بنت النبی صلی الله علیه وآله!

ووصل بریدة إلی المدینة، واتصل بمبغضی علی وبشرهم برسالة خالد ضد علی ففرحوا بها، وأوصوه أن یقدم معها تقریراً شفهیاً قویاً ضد علی، حتی تسقط مکانته عند النبی صلی الله علیه وآله ویرتاحوا من شره فی المستقبل!!

وقام بریدة بالمهمة کما أرادوا، ولکن النتیجة کانت معکوسة علیهم تماماً!

فقد غضب النبی غضباً شدیداً من رسالة خالد وتقریر بریدة، ومن حرکة الصحابة الذین یقفون وراءهما ضد علی.. وکشف لهم حقائق تتعلق بعلی، تضمنتها أحادیث بریدة الصحیحة فی مصادر السنة والشیعة، ومن أهم نقاطها ما یلی:

أولاً: أن علیاً بأمر الله تعالی خلیفة النبی صلی الله علیه وآله وولی المسلمین من بعده.

ثانیاً: أنه لا یتصرف من عنده أبداً، حتی عندما یکون فی الیمن بعیداً عن النبی صلی الله علیه وآله بل کل تصرفاته إما أن تکون بأمر الرسول، أو بإلهام الله تعالی!!

ثالثاً: أن علیاً مع النبی وآله، هم أصحاب الخمس الشرعیون فی الغنائم وغیرها، فحق علی فی الخمس أکثر من جاریة.

رابعاً: أن خبر زواج علی أو تسریه علی زوجته فاطمة الزهراء (علیهما السلام)، خاصة عندما یکون فی سفر، لایؤذیها ولا یؤذی أباها، لأنهما لایخالفان شرع الله، ولأنهما علی ثقة منه، ومن مقامه الذی خصه به الله تعالی.

خامساً: أن مبغضی علی إما منافقون أو کفار.. وعلی مبغضیه من الصحابة أن یتوبوا من ذلک ویجددوا إسلامهم، ویستغفروا الله تعالی ویستغفر لهم الرسول صلی الله علیه وآله، عسی أن یغفر نفاقهم أو ارتدادهم، ویقبل توبتهم وإسلامهم!!

وبالفعل فقد جدد بریدة إسلامه، وتاب من بغض علی وأخذ یحبه، وطلب من النبی صلی الله علیه وآله أن یستغفر له!

أما الباقون فلم نسمع بتوبتهم!

وفیما یلی نستعرض عدداً من نصوص القضیة، التی تحتاج من الباحث والقارئ إلی تأمل لکی یفهم مدالیلها، ویعرف هدف الرواة من صیاغاتهم لها بإشکال مخففة، ویفهم معنی تعلیقات الحاکم فی مستدرکه علی روایاتها الصحیحة علی شرط البخاری ومسلم، اللذین تجاهلاها أو بتراها!!

ولنبدأ بإحدی روایات مسند أحمد المتعددة، قال فی: ۵/۳۵۶

عن عبد الله بن بریدة عن أبیه قال: بعث رسول الله(ص)بعثین إلی الیمن علی أحدهما علی بن أبی طالب وعلی الآخر خالد بن الولید فقال: إذا التقیتم فعلی علی الناس، وإن افترقتما فکل واحد منکما علی جنده، فلقینا بنی زید من أهل الیمن فاقتتلنا فظهر المسلمون علی المشرکین، فقتلنا المقاتلة وسبینا الذریة فاصطفی علیٌّ امرأة من السبی لنفسه.

قال بریدة: فکتب معی خالد بن الولید إلی رسول الله(ص)، یخبره بذلک!

فلما أتیت النبی(ص)دفعت الکتاب فقرئ علیه، فرأیت الغضب فی وجه رسول الله(ص)، فقلت: یارسول الله هذا مکان العائذ بعثتنی مع رجل وأمرتنی أن أطیعه، ففعلت ما أرسلت به.

فقال رسول الله (ص): لا تقع فی علی، فإنه منی وأنا منه، وهو ولیکم بعدی، وإنه منی وأنا منه، وهو ولیکم بعدی!!

وقال الحاکم فی المستدرک: ۲/۱۲۹

عن عبد الله بن بریدة الأسلمی قال إنی لامشی مع أبی إذ مر بقوم ینقصون علیاً (رض) یقولون فیه! فقام فقال: إنی کنت أنال من علی وفی نفسی علیه شئ، وکنت مع خالد بن الولید فی جیش، فأصابوا غنائم، فعمد علی إلی جاریة من الخمس فأخذها لنفسه، وکان بین

علی وبین خالـد شـئ، فقال خالد هذه فرصتک! وقد عرف خالد الذی فی نفسـی علی علی، قال فانطلق إلی النبی صـلی الله علیه وآله فـاذکر ذلـک له، فـأتیت النبی صـلی الله علیه وآله فحـدثته، وکنت رجلاً ـ مکباً وکنت إذا حـدثت الحـدیث أکببت، ثم رفعت رأسـی فذکرت للنبی صـلی الله علیه وآله أمر الجیش، ثم ذکرت له أمر علی، فرفعت رأسی وأوداج رسول الله صلی الله علیه وآله قد احمرت! قال قال النبی صلی الله علیه وآله: من کنت ولیه فإن علیاً ولیه. وذهب الذی فی نفسی علیه.

هـذا حدیث صـحیح علی شـرط الشـیخین ولم یخرجاه بهذه السـیاقهٔ، إنما أخرجه البخاری من حدیث علی بن سوید بن منجوف، عن عبد الله بن بریدهٔ، عن أبیه مختصراً، ولیس فی هذا الباب أصح من حدیث أبی عوانهٔ هذا، عن الأعمش، عن سعد بن عبیدهٔ.

وهذا رواه وکیع بن الجراح، عن الأعمش، أخبرناه أبو بکر بن اسـحاق الفقیه، أنبأ موسـی بن اسحاق القاضی، ثنا عبد الله بن أبی شیبهٔ، ثنا وکیع، عن الأعمش، عن سعد بن عبیدهٔ، عن ابن بریدهٔ، عن أبیه، أنه مر علی مجلس... ثم ذکر الحدیث بطوله. انتهی.

وقال عنه فی مجمع الزوائد: ۹/۱۰۸: ورجاله رجال الصحیح. وورد فیه (فقلت لا أسوؤک فیه أبداً).

وروی الحاکم القصهٔ أیضاً: ۳/۱۱۰

وفیها أن مبغضی علی کانوا أربعهٔ، وأنهم تعاقدوا فیما بینهم علی شکایته إلی النبی صلی الله علیه وآله، قال الحاکم:

عن عمران بن حصین (رض) قال بعث رسول الله صلی الله علیه وآله سریهٔ، واستعمل علیهم علی بن أبی طالب(رض)، فمضی علی فی السـریهٔ فأصاب جاریـهٔ، فأنکروا ذلک علیه، فتعاقد أربعهٔ من أصـحاب رسول الله صـلی الله علیه وآله إذا لقینا النبی صـلی الله علیه وآله أخبرناه بما صنع علی!

قال عمران: وکان المسـلمون إذا قدموا من سفر بدؤوا برسول الله صلی الله علیه وآله، فنظروا إلیه وسلموا علیه ثم انصرفوا إلی رحالهم، فلما قدمت السریهٔ سلموا علی رسول الله صلی الله علیه وآله فقام أحد الأربعهٔ فقال: یا رسول الله، ألم تر أن علیاً صنع کذا وکذا!!

فـأعرض عنه! ثم قـام الثـانی فقـال مثل ذلک، فأعرض عنه! ثم قام الثالث فقال مثل ذلک، فأعرض عنه! ثم قام الرابع فقال: یارسول الله ألم تر أن علیاً صـنع کذا وکذا! فأقبل علیه رسول الله صلی الله علیه وآله والغضب فی وجهه فقال: ما تریدون من علی! إن علیاً منی وأنا منه، وولی کل مؤمن. هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم ولم یخرجاه. انتهی. وروی نحوه آخر، وصححه علی شرط مسلم أیضاً.

أما البخاری فهو علی عادته فی أمثال هذا الحدیث، إما أن یحذفه کلیاً، أو یحذف منه ولایهٔ علی علیه السلام ویرویه مبتوراً!

قال فی صحیحه: ۵/۱۱۰

عن عبد الله بن بریدهٔ عن أبیه (رض) قال: بعث النبی(ص)علیاً إلی خالد لیقبض الخمس، وکنت أبغض علیاً، وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا تری إلی هذا؟

فلما قدمنا علی النبی(ص)ذکرت ذلک له، فقال: یا بریدهٔ أتبغض علیاً؟

قلت: نعم. قال: لا تبغضه فإن له فی الخمس أکثر من ذلک. انتهی.

بـل نلاحـظ أن البخاری زهـد فی بریـدهٔ بسـبب أحادیثه فی فضل علی، وطبق علیه مـذهبه فی الاقلال من الروایـهٔ عن الصـحابهٔ والرواهٔ الـذین یحبون علیاً، ومنهم بریـدهٔ الاسـلمی!! فقـد رووا عنه فی الصـحاح وغیرها أکثر من مئتی حدیث، ولکن البخاری لم یرو منها فی صحیحه بعدد أصابع الید الواحدهٔ!!

کمـا أنه فی تاریخه، ترجم لعشـرات النواصب ومـدحهم بمدائـح کبیرهٔ، ولکنه اختصـر فی ترجمـهٔ بریـدهٔ جـداً، لأنه لا یحبه ولا یحب الإطالهٔ فی ترجمته!

والحدیث الوحید الذی ذکره فی ترجمته حدیث عام سیأتی!

قال البخاری فی تاریخه: ۲/۱۴۱

بریـدهٔ بن حصـیب الأسـلمی له صـحبهٔ، نزل البصـرهٔ، قـال لی عیـاش: حـدثنا عبـد الأـعلی قـال: ثنا الجریری عن أبی نضـرهٔ قال: کنت

بسجستان فإذا بريدة الأسلمی فجلست إليه، قال لی محمد بن مقاتل: أخبرنا معاذ، حدثنا عبد الله بن مسلم السلمی من أهل مرو، سمعت عبد الله بن بريدة يقول: مات والدی بمرو وقبره بجصين. وقال: هو قائد أهل المشرق يوم القيامة ونورهم.

وقال ابن بريدة: قال النبی (ص): أيما رجل من أصحابی مات ببلدة فهو قائدهم ونورهم يوم القيامة، فقال: مات فی خلافة يزيد بن معاوية، ومات بعده الحكم بن عمرو الغفاری، ودفن إلی جنبه. انتهی.

وهذه الترجمة المختصرة من البخاری، لا تناسب شخصية بريدة، وكثرة أحاديثه فی المصنفات والصحاح.

بل نلاحظ أن البخاری يروی عن عبد الله بن بريدة، ولكن عن غير أبيه.. مع أن روايات عبد الله عن أبيه كثيرة، ومنتشرة فی المصادر!!

والسبب فی ذلک: أن عبد الله مقبولٌ عند الخلافة القرشية أكثر من أبيه، وكان قاضياً عندهم علی مرو، وكثيراً ما نراه يحذف من أحاديث أبيه بريدة ما يتعلق بولاية علی عليه السلام وفضائله! وهذا ما يريده البخاری!

وقد وجدت للبخاری رواية واحدة من روايات بريدة فی حق علی عليه السلام، وهی (فلتةٌ)، ذكرها تاريخه فی ترجمة أبی ربيعة الأيادی!

ولكن البخاری ألف تاريخه فی شبابه قبل صحيحه، ولعله كان أحسن حالاً علی علی يومذاک، قال فی: ۹/۳۱:

حدثنا محمد بن الطفيل قال: نا شريک، عن أبی ربيعة الأيادی، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله (ص): إن الله أمرنی بحب أربعة من أصحابی، وأخبرنی أنه يحبهم.

فقلنا يا رسول الله من هم، فكلنا نحب أن نكون منهم؟

فقال: إن علياً منهم، ثم سكت ساعة، ثم قال: إن علياً منهم، وسلمان الفارسی، وأبا ذر، والمقداد بن الأسود الكندی. انتهی.

وهذا الحديث يدل علی أن هؤلاء الأربعة هم صفوة الله تعالی من الصحابة، وهو بالحقيقة اصطفاء لعلی وحده عليه السلام، لأن هؤلاء الثلاثة هم كبار شيعة علی وأتباعه فی زمن النبی صلی الله عليه وآله وبعده! خاصة مع ملاحظة تأكيد النبی صلی الله عليه وآله علی علی من بينهم.

ويدل حديث بريدة الذی فلت به قلم البخاری، علی أن بقية الصحابة لم يبلغوا مستوی أن يأمر الله تعالی رسوله والمسلمين بحبهم!

وقد روی هذا الحديث الحاكم فی: ۳/۱۳۰، وصححه علی شرط مسلم، وفی نصه تأكيد أكثر علی علی، ورواه الترمذی: ۵/۲۹۹

ولا يبعد أن يكون هذا الحديث جزءاً مما قاله النبی صلی الله عليه وآله لبريدة عندما جاء بالرسالة من اليمن، أو جواباً نبوياً آخر لخطط مبغضی علی التی تواصلت ضده!

كما روی الترمذی حديثاً آخر عن بريدة فی: ۵/۳۶۰، جاء فيه أن علياً وفاطمة أحب الناس إلی النبی علی الإطلاق.

علی أن هناک سبباً آخر لإقلال البخاری من أحاديث بريدة، قد لا يقل عند محبی قبائل قريش عن أحاديث بريدة فی فضائل علی عليه السلام

وهو موقف بريدة من السقيفة وبيعة أبی بكر! فقد ذكرت الروايات أنه كان مسافراً إلی الشام، ورجع إلی المدينة بعد وفاة النبی صلی الله عليه وآله بقليل، وتفاجأ ببيعة أبی بكر، فأعلن عدم شرعية السقيفة، وذهب إلی قبيلته القريبة من مكة ونصب الراية فی وسطهم، وأعلن الاعتصام والنفير، حتی يأمرهم علی بأمره!

فاستجابت له قبيلته، وكانت أول تهديد مسلح ضد أهل السقيفة! ولذلک صرح عمر أنه بقی متخوفاً من عدم نجاح بيعة السقيفة (حتی بايعت أسلم فأيقنت بالنصر!)

وقد استمرت مشكلة بريدة وقبيلته حتی أرسل اليهم علی عليه السلام أن الوقت فات، وأن أكثر قريش والأنصار قد بايعوا أبا بكر.. والإختلاف والحرب بعد وفاة النبی صلی الله عليه وآله مباشرة، ليس فی مصلحة الإسلام..الی آخره.

هذا، وقد عقد الهيثمی فی مجمع الزوائد فصلاً كاملاً، أورد فيه عدداً من روايات قصة بريدة وصحح بعضها، قال فی: ۹/۱۲۷:

باب منه جامع فیمن یحبه ومن یبغضه:

عن بریدة یعنی ابن الحصیب قال: أبغضت علیاً بغضاً لم أبغضه أحداً قط!

قال: وأحببت رجلاً ـ من قریش لم أحبه إلا علی بغضه علیاً (رض)، قال فبعث ذلک الرجل علی جیش فصحبته، ما صحبته إلا ببغضه علیاً (رض).

قال: فأصبنا سبایا، فکتب إلی رسول الله(ص)إبعث الینا من یخمسه، قال: فبعث علیاً (رض)، وفی السبی وصیفة هی أفضل السبی، قال: فخمس وقسم، فخرج ورأسه یقطر، فقلنا یا أبا الحسن ما هذا؟

قال: ألم تروا إلی الوصیفة التی کانت فی السبی فإنی قسمت وخمست فصارت فی الخمس، ثم صارت فی أهل بیت النبی(ص)، ثم صارت فی آل علی، فوقعت بها.

قال: فکتب الرجل إلی نبی الله(ص)، فقلت: إبعثنی مصدقاً.

قال: فجعلت أقرأ الکتاب وأقول: صدق!

قال: فأمسک یدی والکتاب، وقال: أتبغض علیاً؟!

قال: قلت نعم.

قال: فلا تبغضه: وإن کنت تحبه فازدد له حباً، فوالذی نفس محمد بیده لنصیب آل علی فی الخمس أفضل من وصیفة!

قال: فما کان أحد من الناس بعد قول رسول الله(ص)أحب إلی من علی.

قال عبد الله یعنی ابن بریدة: فوالذی لا إله غیره ما بینی وبین النبی(ص)فی هذا الحدیث إلا أبو بریدة.

قلت: فی الصحیح بعضه، رواه أحمد ورجاله رجال الصحیح، غیر عبد الجلیل بن عطیة وهو ثقة، وقد صرح بالسماع، وفیه لین.

وعن بریدة قال: بعث رسول الله(ص)بعثین إلی الیمن، علی أحدهما علی بن أبی طالب (رض)وعلی الآخر خالد بن الولید، فقال: إذا التقیتم فعلی علی الناس، وإن افترقتما فکل واحد منکما علی جنده.

قال فلقینا بنی زید من أهل الیمن فاقتتلنا، فظهر المسلمون علی المشرکین فقتلنا المقاتلة وسبینا الذریة، فاصطفی علیٌّ امرأة من السبی لنفسه.

قال بریدة: فکتب معی خالد بن الولید إلی رسول الله(ص)یخبره بذلک، فلما أتیت النبی(ص)دفعت الکتاب فقرئ علیه، فرأیت الغضب فی وجه رسول الله (ص)فقلت:

یا رسول الله هذا مکان العائذ، بعثتنی مع رجل وأمرتنی أن أطیعه، ففعلت ما أرسلت به.

فقال رسول الله (ص): لا تقع فی علی، فإنه منی وأنا منه، وهو ولیکم بعدی.

قلت: رواه الترمذی باختصار، رواه أحمد والبزار باختصار، وفیه الاجلح الکندی وثقه ابن معین وغیره، وضعفه جماعة، وبقیة رجال أحمد رجال الصحیح.

وعن بریدة قال بعث رسول الله(ص)علیاً أمیراً علی الیمن، وبعث خالد بن الولید علی الجبل، فقال: إن اجتمعتما فعلیٌّ علی الناس، فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم یصیبوا مثله، وأخذ علی جاریة من الخمس، فدعا خالد بن الولید بریدة فقال: اغتنمها، فأخبر النبی ما صنع!

فقدمت المدینة ودخلت المسجد، ورسول الله(ص)فی منزله، وناسٌ من أصحابه علی بابه، فقالوا: ما الخبر یا بریدة؟

فقلت: خیراً فتح الله علی المسلمین.

فقالوا: ما أقدمک؟

قلت: جاریة أخذها علی من الخمس، فجئت لأخبر النبی(ص).

فقالوا: فأخبر النبى، فإنه يسقط من عين النبى!! ورسول الله يسمع الكلام، فخرج مغضباً فقال:

ما بال أقوام ينتقصون علياً؟!!

من تنقص علياً فقد تنقصنى، ومن فارق علياً فقد فارقنى.

إن علياً منى وأنا منه، خلق من طينتى، وخلقت من طينة ابراهيم، وأنا أفضل من ابراهيم، ذريةٌ بعضها من بعض، والله سميع عليم.

يا بريدة: أما علمت أن لعلى أكثر من الجارية التى أخذ، وأنه وليكم بعدى؟

فقلت: يا رسول الله بالصحبة إلا بسطت يدك فبايعتنى على الإسلام جديداً!!

قال: فما فارقته حتى بايعته على الإسلام!!

رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه جماعة لم أعرفهم، وحسين الأشقر ضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان.

وعن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: بعث رسول الله(ص)على بن أبى طالب وخالد بن الوليد، كل واحد منهما وحده، وجمعهما فقال: إذا اجتمعتما فعليكم على، قال فخذا يميناً ويساراً، فدخل على وأبعد، وأصاب سبياً، وأخذ جارية من السبى.

قال بريدة: وكنت من أشد الناس بغضاً لعلى، قال: فأتى رجلٌ خالد بن الوليد فذكر أنه أخذ جارية من الخمس، فقال: ما هذا؟!

ثم جاء آخر ثم جاء آخر، ثم تتابعت الأخبار على ذلك، فدعانى خالدٌ فقال:

يا بريدة، قد عرفت الذى صنع، فانطلق بكتابى هذا إلى رسول الله!

فكتب إليه فانطلقت بكتابه حتى دخلت على رسول الله(ص)، فأخذ الكتاب بشماله، وكان كما قال الله عز وجل لا يقرأ ولا يكتب، وكنت إذا تكلمت طأطأت رأسى حتى أفرغ من حاجتى، فطأطأت رأسى فتكلمت فوقعت فى على حتى فرغت، ثم رفعت رأسى فرأيت رسول الله(ص)غضب غضباً لم أره غضب مثله إلا يوم قريظة والنضير!!

فنظر الى فقال: يا بريدة أحب علياً، فإنما يفعل ما أمر به!!!

فقمت وما من الناس أحد أحب إلى منه.

رواه الطبرانى فى الأوسط، وفيه ضعفاء وثقهم ابن حبان.

وعن أبى سعيد الخدرى قال: اشتكى علياً الناس، فقام رسول الله(ص)فينا خطيباً، فسمعته يقول:

أيها الناس لا تشكوا علياً، فو الله إنه لاخشن فى ذات الله أو فى سبيل الله.

رواه أحمد.

وعن عمرو بن شاس الأسلمى، وكان من أصحاب الحديبية قال: خرجت مع على عليه السلام الى اليمن فجفانى فى سفرى ذلك، حتى وجدت فى نفسى عليه، فلما قدمت المدينة أظهرت شكايته فى المسجد، حتى سمع بذلك رسول الله(ص)، فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله(ص)جالسٌ فى ناس من أصحابه، فلما رآنى أبدى لى عينيه - يقول حدد الى النظر - حتى إذا جلست قال: يا عمرو والله لقد آذيتنى!!!

قلت: أعوذ بالله من أذاك يا رسول الله.

قال: بلى، من آذى علياً فقد آذانى.

رواه أحمد والطبرانى بإختصار، والبزار أخصر منه، ورجال أحمد ثقات.

وعن أبى رافع قال: بعث رسول الله(ص)علياً أميراً على اليمن، وخرج معه رجلٌ من أسلم يقال له عمرو بن شاس، فرجع وهو يذم علياً ويشكوه، فبعث إليه رسول الله(ص)فقال:

إخسأ يا عمرو!!! هل رأيت من على جوراً فى حكم، أو أثرة فى قسمة؟!

قال: اللهم لا.

قال: فعلام تقول الذی بلغنی؟!!

قال: بغضه، لا أملک.

قال: فغضب رسول الله(ص)حتی عرف ذلک فی وجهه، ثم قال:

من أبغضه فقد أبغضنی، ومن أبغضنی فقد أبغض الله!! ومن أحبه فقد أحبنی ومن أحبنی فقد أحب الله تعالی.

رواه البزار، وفیه رجال وثقوا علی ضعفهم.

وعن سعد بن أبی وقاص قال: کنت جالساً فی المسجد أنا ورجلین معی، فنلنا من علی، فأقبل رسول الله(ص)غضبان یعرف فی وجهه الغضب، فتعوذت بالله من غضبه فقال:

ما لکم وما لی؟!!

من آذی علیاً فقد آذانی!!!

رواه أبو یعلی والبزار باختصار، ورجال أبی یعلی رجال الصحیح، غیر محمود بن خداش وقنان، وهما ثقتان.

وعن أبی بکر بن خالد بن عرفطۀ، أنه أتی سعد بن مالک فقال: بلغنی أنکم تعرضون علی سب علی بالکوفۀ، فهل سببته؟!

قال: معاذ الله، والذی نفس سعد بیده لقد سمعت من رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول فی علی شیئاً، لو وضع المنشار علی مفرقی ما سببته أبداً.

رواه أبو یعلی وإسناده حسن.

وعن أبی عبد الله الحدلی قال: دخلت علی أم سلمۀ فقالت لی:

أیسب رسول الله(ص)فیکم؟!

قلت: معاذ الله، أو سبحان الله، أو کلمۀ نحوها.

قالت: سمعت رسول الله(ص)یقول: من سب علیاً فقد سبنی!!!

رواه أحمد ورجاله رجال الصحیح، غیر أبی عبد الله الحدلی وهو ثقۀ.

وعن أبی عبد الله الحدلی قال: قالت لی أم سلمۀ:

یا أبا عبدالله، أیسب رسول الله(ص)فیکم؟!

قلت: أنی یسب رسول الله(ص)؟!

قالت: ألیس یسب علی ومن یحبه، وقد کان رسول الله(ص)یحبه!!

رواه الطبرانی فی الثلاثۀ، وأبو یعلی، ورجال الطبرانی رجال الصحیح، غیر أبی عبد الله، وهو ثقۀ.

وروی الطبرانی بعده بإسناد رجاله ثقات إلی أم سلمۀ، عن النبی(ص)قال: مثله.

وعن کعب بن عجرۀ قال: قال رسول الله (ص):

لا تسبوا علیاً فإنه ممسوسٌ فی ذات الله.

رواه الطبرانی فی الکبیر والأوسط، وفیه سفیان بن بشر أو بشیر، متأخرٌ لیس هو الذی روی عن أبی عبد الرحمن الجیلی، ولم أعرفه، وبقیۀ رجاله وثقوا، وفی بعضهم ضعف.

وعن أبی کثیرۀ قال: کنت جالساً عند الحسن بن علی فجاءه رجل فقال لقد سب عند معاویۀ علیاً سبا قبیحا رجل یقال له معاویۀ بن خدیج... الخ. انتهی.

وقد تقدم ذلک من حدیث الإمام الحسن علیه السلام. ورواه الهیثمی هنا بروایتین، وقال:

رواه الطبرانی بإسنادین فی أحدهما علی بن أبی طلحۀ مولی بنی أمیۀ، ولم أعرفه. وبقیۀ رجاله ثقات، والآخر ضعیف... الخ.

وفی مجمع الزوائد: ۹/۱۰۸

عن بریدهٔ قال: بعثنا رسول الله(ص)فی سریهٔ فاستعمل علینا علیاً، فلما جئنا قال: کیف رأیتم صاحبکم؟

فإما شکوته، وإما شکاه غیری، قال فرفع رأسه وکنت رجلًا مکباباً فإذا النبی (ص)قد احمر وجهه یقول: من کنت ولیه فعلی ولیه.

فقلت: لا أسوؤک فیه أبداً.

رواه البزار ورجاله رجال الصحیح.

وعن عمار بن یاسر قال قال رسول الله (ص):

أوصی من آمن بی وصدقنی بولایهٔ علی بن أبی طالب.

من تولاه فقد تولانی ومن تولانی فقد تولی الله عز وجل.

ومن أحبه فقد أحبنی، ومن أحبنی فقد أحب الله تعالی.

ومن أبغضه فقد أبغضنی، ومن أبغضنی فقد أبغض الله عز وجل.

رواه الطبرانی بإسنادین أحسب فیهما جماعهٔ ضعفاء، وقد وثقوا.

وعن وهب بن حمزهٔ قال: صحبت علیاً إلی مکهٔ فرأیت منه بعض ما أکره، فقلت لئن رجعت لأشکونک إلی رسول الله(ص)، فلما قدمت لقیت رسول الله (ص)فقلت: رأیت من علی کذا وکذا.

فقال: لا تقل هذا، فهو أولی الناس بکم بعدی.

رواه الطبرانی، وفیه دکین ذکره ابن أبی حاتم، ولم یضعفه أحد، وبقیهٔ رجاله وثقوا. انتهی.

وفی الصراط المستقیم للبیاضی: ۲/۵۹

وروی ابن حنبل أیضاً أن علیاً أخذ فی الیمن جاریهٔ فکتب خالد مع بریدهٔ إلی النبی صلی الله علیه وآله فأعلمه فغضب وقال: یا بریدهٔ لا تقع فی علی فإنه منی وأنا منه.

وأورده ابن مردویه من طرق عدهٔ وفی بعضها أن النبی صلی الله علیه وآله قال لبریدهٔ: إیهاً عنک فقد أکثرت الوقوع فی علی، فوالله إنک لتقع فی رجل أولی الناس بکم بعدی.

وفی بعضها إنه طلب من النبی صلی الله علیه وآله الإستغفار، فقال له: حتی یأتی علی، فلما أتی علی قال النبی صلی الله علیه وآله لعلی: إن تستغفر له فاستغفر.

وفی بعضها أن بریدهٔ امتنع من بیعهٔ أبی بکر لأجل النص الذی سمعه من النبی صلی الله علیه وآله بالولایهٔ بعده.

وفی بعضها أن بریدهٔ بایع النبی صلی الله علیه وآله علی الإسلام جدیداً، ولولا أن الإنکار علی علی یوجب تکفیراً لم یکن لبیعهٔ بریدهٔ ثانیاً معنی.

وهذا شئ لم یوجد لغیره من أصحابه قطعاً.

فهذه کتب القوم التی هی عندهم صادقهٔ، بولایهٔ علی علیه السلام ناطقهٔ، إذ فی جعله من بدنه مثل الراس، دلیل تقدیمه علی سائر الناس. انتهی.

من دلالات قصهٔ بریدهٔ

أولاًـ أن الفائدهٔ العملیهٔ لهذا المیزان فی حیاهٔ النبی صلی الله علیه وآله کانت اختباراً للمسلمین فی قبولهم تحدی الإسلام لقریش والمشرکین الذی مثله علی علیه السلام بصفته سیف الله تعالی، وعضد رسوله صلی الله علیه وآله.

کما کانت اختباراً لقبول المسلمین الحقیقی للنبی صلی الله علیه وآله بقبول عترته الذین نص علی أنهم إمتداده فی الأمهٔ..

ولكن فائدة هذا الميزان الإلهى كانت فى مرحلة ما بعد النبى أكثر منها فى حياته! ولهذا ركز عليها صلى الله عليه وآله فى أحاديث ومناسبات عديدة!

ثانياً: هذه النصوص النبوية القوية، تجعل المسلم يتيقن بأن الله تعالى جعل حب على بن أبى طالب ميزاناً للاسلام والكفر، ومقياساً للايمان والنفاق، وجعل ولايته فريضة مع حب الرسول وولايته صلى الله عليه وآله وهو مقامٌ لم يجعله الله تعالى لأى واحد من الصحابة!!

وبذلك يتضح ضعف محاولة السنيين أن يجعلوا ولاية بعض الصحابة غير على جزءا من الوحى الذى نزل على محمد صلى الله عليه وآله فى الوقت الذى ما زالوا متحيرين فى العثور على صيغة فقهية تثبت شرعية خلافتهم للنبى صلى الله عليه وآله!

بل ما زالوا يبحثون عن نص صحيح يسمح لهم بإدخالهم فى صيغة الصلاة على النبى ليجوز لهم القول (عليهما السلام وصحبه) فيضيفون صحبه إلى آله الذين أوجب الله الصلاة عليهم معه!!

ثالثاً: إن هذا المقام الربانى لعلى عليه السلام، وأمره المسلمين بحبه وتحريمه بغضه.. تكليفٌ موجه إلى الصحابة أنفسهم، ومن بعدهم إلى أجيال الأمة.. فحب على فريضةٌ على الصحابة قبل غيرهم، وميزانٌ لإيمان الصحابى أو نفاقه قبل غيره!

وبهذه الأحاديث الصحيحة ينحسم الأمر، ولا يبقى معنى لمقايسة أحد من الصحابة بعلى عليه السلام وهل يقاس الميزان بالموزون؟!

والدليل الإلهى بالمدلول عليه؟!

والمنار الربانى بمن يحتاج إلى شهادة على بأن فيه شيئاً من نور الإيمان؟!

وهل يقاس الإنسان الكامل بمن لا تعرف درجة إنسانيته وكماله إلا به؟!

فعلى عليه السلام بنص هذه الصحاح هو: المسلم الربانى الكامل، الذى جعل الله حبه وبغضه، ورضاه وغضبه، مختبراً للأمة، وجعل شخصيته قدوة للعالمين، بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

رابعاً: بعد أن أذعن جميع المسلمين بصحة هذه الأحاديث القاطعة فى على عليه السلام فإن قولهم بتفضيل غيره عليه، ونسبتهم ذلك إلى النبى صلى الله عليه وآله، يكون إتهاماً للنبى بالتناقض، وأنه أمر بحب على وجعله ميزاناً، ثم ناقض نفسه وفضل التابع على المتبوع، وجعل غير على أفضل منه، وأوصى الأمة بحبه واتباعه بدل على!!

وهو أمر لا يرتكبه رئيس عادى، ولا أمير قبيلة حكيم، ولا رب أسرة عاقل فى أولاده!!

وبعد صحة هذه الأحاديث وصراحتها فى مصادر السنيين، وعلو حجتها، لا نحتاج إلى روايتها من مصادرنا، إلا لتكميل صورة الموضوع، أو لبيان جوانب أخرى لم تتعرض لها النصوص السنية، من قصة هذا الصحابى المؤمن، ورواياته الأخرى لفريضة حب على واتباعه على الأمة، وتحريم كرهه ومخالفته!

لمحة عن بريدة و أحاديثه فى مصادرن

بريدة الأسلمى صحابىٌ مميز، بشخصيته وأحاديثه.. لم يعط حقه فى مصادر السنيين، لأنه أطاع النبى فى على وأهل بيته صلى الله عليه وآله.

وبريدة واحدٌ من مجموعة فرسان الصحابة، كان لهم دورٌ ريادىٌ قيادى هام فى حروب الردة، ثم فى الفتوحات الإسلامية، ولكن جزاءهم كان طمس أدوارهم وإعطاء منجزاتهم إلى أشخاص آخرين، تبنتهم السلطة القرشية ثم الأموية، لأنهم أطاعوا الخلافة، ووقفوا فى وجه على وأهل البيت النبوى!!

ومن هؤلاء الأبطال الشيعة: عمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، والمقداد بن عمر وأبو ذر الغفارى، وسلمان الفارسى، وخالد بن سعيد بن العاص، وأخوه أبان، وسعد بن عبادة، وابنه قيس بن سعد، وأبو أيوب الأنصارى... وآخرون يصلون إلى نحو مئة صحابى، كان لهم

أدوارٌ هامة فی حروب الردة والفتوحات، وقد وقفوا من أول الأمر مع علی علیه السلام أو انضموا إلیه فیما بعد، أو قاتلوا معه فی حروبه، واستشهدوا بین یدیه، أو ثبتوا بعد شهادته علی ولائه..

وکل واحد من هؤلاء یستحق دراسة جادة، لشخصیته وأحادیثه.. فهم ظاهرةٌ یقل مثیلها فی الأدیان الأخری، تمثل الوجه الآخر لما قالته الحکومات القرشیة ودونته عن إجراءات النبی صلی الله علیه وآله وأقواله عن مستقبل الإسلام ومسیرته من بعده.. إلی أن یبعث الله الإمام المهدی الموعود علی لسانه بعده.

ونکتفی هنا بإیراد مقتطفات عن بریدة من مصادرنا:

قال أبو جعفر الطوسی فی أمالیه: ١/٢٤٩

أبو العباس قال: حدثنا الحسن بن علی بن عفان قال: حدثنا الحسن - یعنی ابن عطیة قال: حدثنا سعاد، عن عبد الله بن عطاء، عن عبدالله بن بریدة، عن أبیه، قال: بعث رسول الله صلی الله علیه وآله علی بن أبی طالب علیه السلام وخالد بن الولید کل واحد منهما وحده، وجمعهما فقال: إذا اجتمعتما فعلیکم علی.

قال: فأخذنا یمیناً أو یساراً.

قال: وأخذ علی فأبعد، فأصاب سبیاً فأخذ جاریة من الخمس.

قال بریدة: وکنت أشد الناس بغضاً لعلی وقد علم ذلک خالد بن الولید، فأتی رجل خالداً فأخبره أنه أخذ جاریة من الخمس فقال: ما هذا؟ ثم جاء آخر، ثم أتی آخر، ثم تتابعت الأخبار علی ذلک، فدعانی خالد فقال: یا بریدة، قد عرفت الذی صنع، فانطلق بکتابی هذا إلی رسول الله فأخبره، وکتب إلیه.

فانطلقت بکتابه حتی دخلت علی رسول الله وأخذ الکتاب فأمسکه بشماله، وکان کما قال الله لا یکتب ولا یقرأ، وکنت رجلاً إذا تکلمت طأطأت رأسی حتی أفرغ من حاجتی، فطأطأت وتکلمت، فوقعت فی علی حتی فرغت، ثم رفعت رأسی فرأیت رسول الله قد غضب غضباً شدیداً لم أره غضب مثله قط إلا یوم قریظة والنضیر، فنظر إلی فقال:

یا بریدة إن علیاً ولیکم بعدی، فأحب علیاً فإنما یفعل ما یؤمر.

قال: فقمت وما أحد من الناس أحب إلی منه.

وقال عبد الله بن عطاء: حدثت بذلک أبا حرب بن سوید بن غفلة، فقال: کتمک عبد الله بن بریدة بعض الحدیث أن رسول الله قال له: أنافقت بعدی یا بریدة؟!!

وقال السید شرف الدین فی المراجعات/٢٢١

وکذلک حدیث بریدة ولفظه فی/٣٥٦ من الجزء الخامس من مسند أحمد قال: بعث رسول الله بعثین إلی الیمن... الخ.

ولفظه عند النسائی فی/١٧ من خصائصه العلویة: لا تبغضن یا بریدة لی علیاً، فإن علیاً منی وأنا منه، وهو ولیکم بعدی.

ولفظه عند ابن جریر: قال بریدة: وإذا النبی قد أحمر وجهه، فقال: من کنت ولیه فإن علیاً ولیه، قال: فذهب الذی فی نفسی علیه، فقلت لا أذکره بسوء.

والطبرانی قد أخرج هذا الحدیث علی وجه التفصیل، وقد جاء فیما رواه: أن بریدة لما قدم من الیمن، ودخل المسجد، وجد جماعة علی باب حجرة النبی صلی الله علیه وآله، فقاموا إلیه یسلمون علیه ویسألونه فقالوا: ما وراءک؟

قال: خیر فتح الله علی المسلمین.

قالوا: ما أقدمک؟

قال: جاریة أخذها علی من الخمس، فجئت لأخبر النبی بذلک.

فقالوا: أخبره أخبره، یسقط علیاً من عینه، ورسول الله صلی الله علیه وآله، یسمع کلامهم من وراء الباب، فخرج مغضباً فقال:

مابال أقوام ینتقصون علیاً؟ من أبغض علیاً فقد أبغضنی، ومن فارق علیاً فقد فارقنی، إن علیاً منی وأنا منه، خلق من طینتی، وأنا خلقت من طینة إبراهیم، وأنا أفضل من إبراهیم. ذریة بعضها من بعض، والله سمیع علیم.

یا بریدة أما علمت أن لعلی أکثر من الجاریة التی أخذ. وأنه ولیکم بعدی.

وهذا الحدیث مما لاریب فی صدوره، وطرقه إلی بریدة کثیرة، وهی معتبرة بأسرها، ومثله ما أخرجه الحاکم عن ابن عباس، من حدیث جلیل، ذکر فیه عشر خصائص لعلی فقال: وقال له رسول الله صلی الله علیه وآله: أنت ولی کل مؤمن بعدی.

ومثله ما أخرجه ابن السکن، عن وهب بن حمزة قال، کما فی ترجمة وهب من الإصابة: سافرت مع علی فرأیت منه جفاء، فقلت لئن رجعت لاشکونه، فرجعت فذکرت علیاً لرسول الله فنلت منه، فقال: لا تقولن هذا لعلی، فإنه ولیکم بعدی...

وقال المفید فی الإرشاد: ۱/۱۴۸

وکان أمیرالمؤمنین علیه السلام قد اصطفی من السبی جاریة، فبعث خالد بن الولید بریدة الأسلمی إلی النبی صلی الله علیه وآله وقال له:

تقدم الجیش إلیه فأعلمه بما فعل علی علیه السلام من اصطفائه الجاریة من الخمس لنفسه، وقع فیه.

فسار بریدة حتی انتهی إلی باب رسول الله صلی الله علیه وآله، فلقیه عمر بن الخطاب فسأله عن حال غزوتهم وعن الذی أقدمه؟ فأخبره أنما جاء لیقع فی علی علیه السلام، وذکر له اصطفاءه الجاریة من الخمس لنفسه، فقال له عمر:

إمض لما جئت له، فإنه سیغضب لابنته مما صنع علی!

فدخل بریدة علی النبی صلی الله علیه وآله ومعه کتاب من خالد بما أرسل به بریدة، فجعل یقرأه ووجه رسول الله صلی الله علیه وآله یتغیر، فقال بریدة: یارسول الله إنک إن رخصت للناس فی مثل هذا ذهب فیؤهم!

فقال له النبی صلی الله علیه وآله: ویحک یابریدة أحدثت نفاقاً!!

إن علی بن أبی طالب یحل له من الفئ مایحل لی، إن علی بن أبی طالب خیر الناس لک ولقومک، وخیر من أخلف بعدی لکافة أمتی.

یا بریدة! إحذر أن تبغض علیاً فیغبضک الله!

قال بریدة: فتمنیت أن الأرض انشقت لی فسخت فیها، وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسول الله، یا رسول الله استغفر لی فلن أبغضن علیاً علیه السلام أبداً، ولا أقول فیه إلا خیراً، فاستغفر له النبی صلی الله علیه وآله.

وفی الشافی للشریف المرتضی: ۳/۲۴۳

وروی الثقفی قال: حدثنی محمد بن علی، عن عاصم بن عامر البجلی، عن نوح بن دراج، عن محمد بن اسحق، عن سفیان بن فروة، عن أبیه قال: جاء بریدة حتی رکز رایته فی وسط أسلم، ثم قال: لا أبایع حتی یبایع علی، فقال علی علیه السلام: یا بریدة أدخل فیما دخل فیه الناس، فإن اجتماعهم أحب إلی من اختلافهم الیوم.

وروی إبراهیم، عن یحیی بن الحسن بن الفرات، عن میسر بن حماد، عن موسی بن عبد الله بن الحسن قال: أبت أسلم أن تبایع وقالوا: ما کنا نبایع حتی یبایع بریدة، لقول النبی صلی الله علیه وآله لبریدة: علی ولیکم من بعدی.

فقال علی علیه السلام: یا هؤلاء إن هؤلاء خیرونی أن یظلمونی حقی وأبایعهم، أو ارتدت الناس، حتی بلغت الردة أحداً، فاخترت أن أظلم حقی، وإن فعلوا ما فعلوا.

وقال فی هامشه: بریدة بن الحصیب بن عبد الله بن الحارث الأسلمی، صحابی أسلم هو وقومه - وکانوا ثمانین بیتاً - عند مرور رسول الله صلی الله علیه وآله بهم فی طریقة إلی المدینة، وبقی فی أرض قومه، ثم قدم المدینة بعد أحد، فشهد بقیة المشاهد، وسکن البصرة أخیراً، ثم خرج غازیاً إلی خراسان فأقام بمرو، وأقام بها حتی مات، ودفن بها (أسد الغابة ۱/۱۷۵).

وفی الإحتجاج للطبرسی: ۱/۹۷

وعن أبان بن تغلب قال: قلت لأبی عبدالله جعفر بن محمد الصادق (علیهما السلام): جعلت فداک هل کان أحدٌ فی أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله أنکر علی أبی بکر فعله وجلوسه مجلس رسول الله صلی الله علیه وآله؟

قال: نعم، کان الذی أنکر علی أبی بکر إثنا عشر رجلاً ـ من المهاجرین: خالد بن سعید بن العاص، وکان من بنی أمیة، وسلمان الفارسی، وأبوذر الغفاری، والمقداد بن الأسود، وعمار بن یاسر، وبریدة الأسلمی.

ومن الأنصار أبو الهیثم بن التیهان، وسهل، وعثمان ابنا حنیف، وخزیمة بن ثابت ذو الشهادتین، وأبی بن کعب، وأبو أیوب الأنصاری.

قال: فلما صعد أبو بکر المنبر تشاوروا بینهم، فقال بعضهم لبعض: والله لنأتینه ولننزلنه عن منبر رسول الله صلی الله علیه وآله.

وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلک إذاً أعنتم علی أنفسکم، فقد قال الله عزوجل: ولا تلقوا بأیدیکم إلی التهلکة، فانطلقوا بنا إلی أمیر المؤمنین علیه السلام لنستشیره ونستطلع رأیه.

فانطلق القوم إلی أمیر المؤمنین بأجمعهم، فقالوا یا أمیر المؤمنین ترکت حقاً أنت أحق به وأولی به من غیرک، لأنا سمعنا رسول الله یقول: علی مع الحق والحق مع علی یمیل مع الحق کیف ما مال.

ولقد هممنا أن نصیر إلیه فننزل عن منبر رسول الله صلی الله علیه وآله، فجئناک لنستشیرک ونستطلع رأیک فما تأمرنا؟

فقال أمیر المؤمنین: وأیم الله لو فعلتم ذلک لما کنتم لهم إلا حرباً، ولکنکم کالملح فی الزاد وکالکحل فی العین، وأیم الله لو فعلتم ذلک لا ـتیتمونی شاهرین بأسیافکم مستعدین للحرب والقتال، وإذا لاتونی فقالوا لی بایع وإلا قتلناک، فلا بد لی من أدفع القوم عن نفسی، وذلک أن رسول الله صلی الله علیه وآله أوعز الی قبل وفاته وقال لی: یا أبا الحسن إن الأمة ستغدر بک من بعدی وتنقض فیک عهدی، وإنک منی بمنزلة هارون من موسی، وإن الأمة من بعدی کهارون ومن اتبعه، والسامری ومن اتبعه!

فقلت: یارسول الله، فما تعهد الی إذا کان ذلک؟

فقال: إذا وجدت أعواناً فبادر الیهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً کف یدک واحقن دمک، حتی تلحق بی مظلوماً... الخ.

فانطلقوا بأجمعکم إلی الرجل فعرفوه ماسمعتم من قول نبیکم، لیکون ذلک أوکد للحجة وأبلغ للعذر، وأبعد لهم من رسول الله صلی الله علیه وآله إذا وردوا علیه.

فسار القوم حتی أحدقوا بمنبر رسول الله صلی الله علیه وآله وکان یوم الجمعة، فلما صعد أبو بکر المنبر، فأول من تکلم به خالد بن سعید بن العاص... قال: إتق الله یا أبا بکر فقد علمت أن رسول الل قال ونحن محتوشوه یوم بنی قریظة حین فتح الله له... الخ.

ثم قام إلیه بریدة الاسلمی فقال:

إنا لله وإنا إلیه راجعون، ماذا لقی الحق من الباطل! یا أبا بکر أنسیت أم تناسیت وخدعت أم خدعتک نفسک أم سولت لک الأباطیل، أو لم تذکر ما أمرنا به رسول الله من تسمیة علی بإمرة المؤمنین والنبی بین أظهرنا، وقوله له فی عدة أوقات: هذا علی أمیر المؤمنین وقاتل القاسطین؟!

إتق الله وتدارک نفسک قبل أن لا تدرکها، وأنقذها مما یهلکها، واردد الأمر إلی من هو أحق به منک، ولا تتماد فی اغتصابه، وراجع وأنت تستطیع أن تراجع، فقد محضتک النصح، ودللتک علی طریق النجاة، فلا تکونن ظهیراً للمجرمین... الخ.

وفی تأویل الآیات/۴۶۵

ویؤیده ما ذکره فی تفسیر الإمام أبی محمد الحسن العسکری علیه السلام قال: إن رسول الله صلی الله علیه وآله بعث جیشاً وأمر علیهم علیاً علیه السلام، وما بعث جیشاً قط وفیهم علی علیه السلام إلا جعله أمیرهم، فلما غنموا رغب علی علیه السلام أن یشتری من جملة الغنائم جاریة وجعل ثمنها من جملة الغنائم، فکایده فیها حاطب بن أبی بلتعة وبریدة الأسلمی وزایداه، فلما نظر إلیهما یکایدانه ویزایدانه انتظر إلی أن بلغت قیمتها قیمة عدل فی یومها فأخذها بذلک.

فلما رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تواطآ على أن يقولا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فوقف بريدة قدام رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يارسول الله ألم تر إلى على بن أبى طالب أخذ جارية من المغنم دون المسلمين؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء عن يمينه فقالها، فأعرض عنه، فجاء عن يساره فقالها، فأعرض عنه.

قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله غضباً لم ير قبله ولا بعده غضباً مثله، وتغير لونه وتربد وانتفخت أوداجه، وارتعدت أعضاؤه، وقال:

مالك يا بريدة آذيت رسول الله منذ اليوم؟!

أما سمعت قول الله عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الله وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخرة وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا. وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا.

فقال بريدة: ما علمت أنى قصدتك بأذى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أو تظن يا بريدة أنه لا يؤذينى إلا من قصد ذات نفسى؟ أما علمت أن علياً منى وأنا منه، وأن من آذى علياً فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله فحق على الله أن يؤذيه بأليم عذابه فى نار جهنم!

وفى اختيار معرفة الرجال: ۱/۳۰۸

وبهذا الإسناد: عن أبان، عن فضيل الرسان، عن أبى داود قال: حضرته عند الموت، وجابر الجعفى عند رأسه، قال فهم أن يحدث فلم يقدر، قال ومحمد بن جابر أرسله، قال فقلت: يا أبا داود حدثنا الحديث الذى أردت.

قال: حدثنى عمران بن حصين الخزاعى أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر فلاناً وفلاناً أن يسلما على على عليه السلام بإمره المؤمنين، فقالا: من الله ومن رسوله؟! ثم أمر حذيفة وسلمان فسلما، ثم أمر المقداد فسلم، وأمر بريدة أخى وكان أخاه لأمه.

فقال: إنكم قد سألتمونى من وليكم بعدى، وقد أخبرتكم به، وقد أخذت عليكم الميثاق!!

والزهراء والحسنان جزء من المقياس النبوى أيض

روى الترمذى فى: ۴/۳۳۱

عن على بن أبى طالب أن النبى(ص)أخذ بيد حسن وحسين وقال: من أحبنى وأحب هذين، وأباهما، وأمهما، كان معى فى درجتى يوم القيامة. هذا حديث حسن.

وروى الحاكم فى المستدرك: ۳/۱۶۶

عن أبى هريرة قال: خرج علينا رسول الله ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله إنك تحبهما؟ فقال: نعم، من أحبهما فقد أحبنى، ومن أبغضهما فقد أبغضنى. ورواه أحمد فى مسنده: ۲/۵۳۱، وأبو يعلى فى مسنده: ۵/۴۴۹. وقد صححه الحاكم والذهبى.

وفى الطبرانى فى الكبير: ۳/۴۷

عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال: من أحب الحسن والحسين، فقد أحبنى، ومن أبغضهما فقد أبغضنى. انتهى.

ورواه ابن ماجة: ۱/۵۱ فى باب: فضل الحسن والحسين.

وفى الطبرانى الكبير: ۳/۵۰

عن سلمان قال: قال رسول الله(ص)للحسن والحسين: من أحبهما أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله عذاب جهنم، وله عذاب مقيم!

ونحوه فى: ۶/۲۴۱، وفى مستدرك الحاكم فى: ۳/۱۶۶، وفردوس الأخبار: ۴/۳۳۶، وتاريخ بغداد: ۱۳/۳۲

وفى سنن ابن ماجة: ۲/۱۳۶۶

عن عبد الله قال: بينما نحن عند رسول الله(ص)إذ أقبل فتيةٌ من بنى هاشم فيهم الحسن والحسين، فلما رأهم النبى(ص)اغرورقت عيناه وتغير لونه! قال: فقلت: ما نزال نرى فى وجهك شيئاً نكرهه؟!

فقال: إنا أهل بيت أختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريداً وتطريداً! حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير، فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى فيلمؤها قسطاً كما ملؤوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج.

ورواه ابن أبى شيبة:۱۵/۲۳۵

والبيهقى فى الدلائل:۶ ص۵۱۵

والحاكم فى المستدرك: ۴/۴۶۴

والطبرانى فى الكبير: ۱۰/۱۰۴ و ۱۰۸

ونحوه فى فردوس الأخبار: ۵/۴۹۹

والدولابى فى الكنى: ۲/۲۶

وابن أبى عاصم فى السنة: ۲/۶۱۹

وفى الطبرانى الكبير: ۴/۱۹۲، ومجمع الزوائد: ۹/۱۹۴:

عن عمارة بن يحيى قال: كنا عند أبى (خالد بن عرفطة) يوم قتل الحسين بن على فقال لنا خالد: هذا ما سمعت من رسول الله(ص)يقول: إنكم ستبتلون فى أهل بيتى من بعدى.

وفى الطبرانى الكبير: ۲۵/۲۳

فى حديث أم الفضل قالت: بينا أنا قاعدة عند رأس رسول الله (ص) وهو مريض، فبكيت فقال: ما يبكيك؟

فقلت: أخشى عليك، فلا ندرى ما نلقى بعدك من الناس؟

قال: أنتم المستضعفون بعدى!!

ورواه أحمد: ۶/۳۳۹، ومجمع الزوائد: ۹/۳۴

وقال الفخر الرازى فى تفسيره: ۲۵/۳۵

وثبت بالنقل المتواتر أنه(ص)كان يحب علياً والحسن والحسين، وإذا كان ذلك، وجب علينا محبتهم، لقوله فاتبعوه.

وكفى شرفاً لآل رسول الله (ص) فخراً ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم فى كل صلاة. انتهى.

و كل (أهل البيت) جزء من المقياس النبوى

فى سنن الترمذى: ۴/۳۴۴

عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، وأحبونى بحب الله، وأحبوا أهل بيتى بحبى.

وقال العزيزى فى السراج المنير: ۱/۵۷: هذا حديثٌ صحيح من طريق ابن عباس، وأخرجه الحاكم والترمذى. انتهى

ورواه الطبرانى فى الكبير: ۳/۴۶ و ۱۰ /۲۸۱

والحاكم فى المستدرك: ۳/۱۵۰

والخطيب فى تاريخ بغداد: ۴ /۱۶۰

وأحمد فى فضائل الصحابة: ۲/۹۸۶

وفی الطبرانی الأوسط: ۳/۲۰۳

عن عبد الرحمن بن أبی لیلی، عن أبیه قال قال رسول الله (ص): لا یؤمن عبدٌ حتی أکون أحب إلیه من نفسه، وأهلی أحب إلیه من أهله، وعترتی أحب إلیه من عترته، وذاتی أحب إلیه من ذاته. انتهی.

فقال رجلٌ من القوم: یا أبا عبد الرحمن: ما تزال تجئ بالحدیث یحی الله به القلوب! انتهی.

ورواه الهیثمی فی مجمع الزوائد: ۱/۲۶۴

وفی الطبرانی الکبیر: ۳/۳۹

عن سلمان الفارسی قال: أنزلوا آل محمد(ص)بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العین من الرأس، فإن الجسد لا یهتدی إلا بالرأس، وإن الرأس لا یهتدی إلا بالعینین.

ورواه الهیثمی: ۹/۱۷۲

وفی سنن الترمذی: ۴/۳۳۷

أن العباس بن عبد المطلب دخل علی رسول الله(ص)مغضباً وأنا عنده فقال: ما أغضبک؟

قال: یارسول الله ما لنا ولقریش! إذا تلاقوا بینهم تلاقوا بوجوه مبشرة، وإذا لقونا بغیر ذلک!!

قال: فغضب رسول الله(ص)حتی احمر وجهه ثم قال: والذی نفسی بیده لا یدخل قلب رجل الإیمان حتی یحبکم لله ولرسوله. هذا حدیث حسن صحیح.

ورواه الطبرانی فی الکبیر: ۱۱/۴۳۳،

والخطیب: ۵/۳۱۷

ورواه أحمد فی مسنده: ۱/۲۰۷

وروی نحوه فی: ۴/۱۶۵، بعدة روایات، منها:

عن عبد المطلب بن ربیعة بن الحرث بن عبد المطلب قال: أتی ناسٌ من الأنصار النبی(ص)فقالوا: إنا لنسمع من قومک حتی یقول القائل منهم: إنما مثل محمد مثل نخلة نبتت فی کباء! قال حسین الکباء الکناسة!

فقال رسول الله (ص): أیها الناس من أنا؟

قالوا: أنت رسول الله(ص).

قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب – قال فما سمعناه قط ینتمی قبلها – ألا إن الله عز وجل خلق خلقه فجعلنی من خیر خلقه، ثم فرقهم فرقتین فجعلنی من خیر الفرقتین، ثم جعلهم قبائل فجعلنی من خیرهم قبیلة، ثم جعلهم بیوتاً فجعلنی من خیرهم بیتاً، وأنا خیرکم بیتاً وخیرکم نفساً!!

وروی نحوه ابن ماجة: ۱/۵۰، وقال بعده: فی الزوائد: رجال إسناده ثقات.

إلا أنه قیل: روایة محمد بن کعب عن العباس مرسلة.

ونحوه فی الترمذی: ۵/۳۱۷، وقال: هذا حدیث حسن صحیح.

ورواه الحاکم فی مستدرک: ۳/۳۳۳ وص ۵۶۸ و۴/۷۵، بعدة روایات.

والهیثمی فی مجمع الزوائد: ۱/۸۸، بعدة روایات.

والخطیب فی تاریخ بغداد: ۵/۳۱۷

وکنز العمال: ۱۱/۷۰۰ (حم، ت، ک – عن عبد المطلب بن ربیعة، ک – عن العباس) وفی: ۱۲/۴۱ (طس، ک عن عبدالله بن جعفر) (ط،/عن عبدالله بن جعفر) (خط، کر، عن أبی الضحی عن مسروق عن عائشة، وقال الخط یب: غریب والمحفوظ عن أبی الضحی عن

ابن عباس، وقال: ورواه جماعة عن أبى الضحى مرسلًا).

وفى/۹۷ (هعن العباس بن عبد المطلب) (حم، ت عن على). انتهى.

وفى الترمذى: ۴/۲۹۲

عن المطلب بن أبى وداعة، قال: جاء العباس إلى رسول الله(ص)وكأنه سمع شيئاً فقام النبى(ص)على المنبر فقال: من أنا؟

فقالوا: أنت رسول الله عليك السلام.

قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب: إن الله خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً. هذا حديث حسن.

وقال العزيزى فى السراج المنير: ۱/۳۶۴: هذا حديث صحيح.

وروى الحاكم: ۳/۳۱۱، وصححه على شرط مسلم قال:

عن أبى هريرة: خيركم خيركم لأهلى من بعدى.

ورواه الديلمى: ۲/۱۷۰، والهيثمى: ۹/۱۷۴، عن أبى يعلى، وقال: رجاله ثقات.

وفى الصواعق المحرقة/۱۷۶

أخرج الديلمى..: من أراد التوسل إلى، وأن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة، فليصل أهل بيتى.

و ويل لمبغضيهم

فى فردوس الأخبار: ۳/۵۰۸

عن النبى (ص) أنه قال: من مات وفى قلبه بغض على بن أبى طالب، فليمت يهودياً أو نصرانياً!!

وفى فردوس الأخبار: ۲/۸۵

عن جابر بن عبد الله عن النبى (ص): ثلاثٌ من كن فيه فليس منى ولا أنا منه: بغض على، ونصب أهل بيتى، ومن قال الإيمان كلام.

وفى الطبرانى الكبير: ۱۱/۱۴۶

عن ابن عباس قوله: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. قال ابن عباس: نحن الناس دون الناس.

عن عطاء بن أبى رباح، عن عبدالله بن عباس أن رسول الله(ص)قال: بغض بنى هاشم والأنصار كفر، وبغض العرب نفاق.

ورواه فى مجمع الزوائد: ۹/۱۷۲

وفى تاريخ بغداد: ۳/۲۹۰

عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله (ص): رجل من أمتى يبغض عترتى، لا تناله شفاعتى.

وفى ميزان الاعتدال: ۲/۴۱۰

عن أنس (رض) مرفوعاً: من أحبنى فليحب علياً، ومن أبغض أحداً من أهل بيتى حرم شفاعتى.. الحديث. وذكره فى لسان الميزان: ۳/۲۷۶

وفى مجمع الزوائد: ۷/۵۸۰

عن النبى (ص) قال.. لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أكبه الله فى النار..

ورواه الدهلوى فى حياة الصحابة: ۲/۳۶۹

وفى فردوس الأخبار: ۳/۶۲۶

عن على عليه السلام (عن النبى): من لم يعرف حق عترتى فهو لاحدى ثلاث: إما منافق وإما لزنية، وإما امرؤ حملت به أمه بغير طهر.

وفى بشارة المصطفى للطبرى الشيعى/۱۵۰

قال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى، أخبرنا الحسين بن موسى، أخبرنا الحسين بن ابراهيم بن بابويه، أخبرنا على بن ابراهيم بن همام، عن أبيه، عن محمد بن أبى عمير، عن ابن زياد، عن عبيد الله بن صالح، عن زيد بن على، عن أبيه على بن الحسين بن على، عن أبيه على بن أبى طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على من أحبنى وأحبك وأحب الأئمة من ولدك، فليحمد الله على طيب مولده، فإنه لا يحبنا إلا من طابت ولادته، ولا يبغضنا إلا من خبثت ولادته!!

و ويل للمكذبين بفضلهم

وفى كنز العمال: ۱۲/۱۰۳

من سره أن يحيا حياتى ويموت مماتى ويسكن جنة عدن التى غرسها ربى، فليوال علياً من بعدى، وليوال وليه، وليقتد بأهل بيتى من بعدى، فإنهم عترتى، خلقوا من طينتى، ورزقوا فهمى وعلمى، فويلٌ للمكذبين بفضلهم من أمتى، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم الله شفاعتى (الخطيب، والرافعى، عن ابن عباس).

ورواه الكنجى فى كفاية الطالب/۲۱۴، عن ابن عباس عن النبى (ص).

ورواه فى مناقب آل أبى طالب: ۱/۲۵۱

واللعنة على ظالميهم و قاتليهم

فى مستدرك الحاكم: ۲/۵۲۵

عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن موهب قال سمعت على بن الحسين يحدث عن أبيه عن جده (رض) قال: قال رسول الله (ص): ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبى مجاب: الزائد فى كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمتسلط بالجبروت ليذل من أعز الله ويعز من أذل الله، والتارك لسنتى، والمستحل من عترتى ما حرم الله، والمستحل لحرم الله. انتهى.

ثم رواه بسند آخر وصححه، وقال: قد احتج الإمام البخارى بإسحاق بن محمد الفروى وعبد الرحمن بن أبى الرجال فى الجامع الصحيح. وهذا أولى بالصواب من الإسناد الأول. انتهى.

راجع أيضاً: المستدرك: ۳/۱۴۹، و: ۱/۳۶

ورواه الطبرانى فى الأوسط: ۲/۳۹۸

ومجمع الزوائد: ۹/۲۷۲

وابن أبى عاصم فى السنة: ۲/۶۲۸

والأزرقى فى أخبار مكة: ۱ جزء ۲/۱۲۵

وفى المعجم الكبير للطبرانى: ۱۷/۴۳

عن عمرو بن سعواء اليافعى قال قال رسول الله (ص): سبعة لعنتهم.. الزائد فى كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمستحل من عترتى ما حرم الله، والتارك لسنتى والمستأثر بألفئ، والمتجبر بسلطانه.

وفى تاريخ الطبرى: ۵/۴۲۶

عن كثير بن عبد الله.. قال زهير بن القين لشمر: يا بن البوال على عقبيه ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة! والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين...

فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة!

قال أفبالموت تخوفنى.. ثم أقبل على الناس.. فقال: عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافى.. فوالله لا تنال شفاعة محمد قوماً أراقوا دماء ذريته وأهل بيته!!

و لا يقبل عمل المسلم إلا بحبهم

فى المعجم الكبير للطبرانى: ۱۱/۱۴۲

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): يا بنى عبد المطلب إنى سألت الله لكم ثلاثاً، سألته أن يثبت قائمكم، ويعلم جاهلكم، ويهدى ضالكم... فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام وصلى وصام، ثم مات وهو مبغضٌ لأهل بيت محمد رضى الله عنهم، دخل النار!!

ورواه الدهلوى فى حياة الصحابة: ۲/۳۶۲

وفى الطبرانى الأوسط: ۳/۱۲۲

عن الحسن بن على عليه السلام أن رسول الله(ص)قال: إلزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقى الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا، والذى نفسى بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا.

ورواه المفيد فى الامالى/۱۳ وص ۴۴،

ورواه فى مجمع الزوائد: ۹/۱۷۲

وفى مناقب آل أبى طالب: ۳/۲

كتاب ابن مردويه، بالاسناد عن زيد بن على، عن أبيه، عن جده، عن النبى صلى الله عليه وآله قال: يا على لو أن عبداً عبد الله مثل ما دام نوح فى قومه، وكان له مثل جبل أحد ذهباً فأنفقه فى سبيل الله، ومد عمره حتى حج ألف عام على قدميه، ثم قتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثم لم يوالك يا على، لم يشم رائحة الجنة، ولم يدخلها.

وفى تاريخ النسائى، وشرف المصطفى واللفظ له: قال النبى صلى الله عليه وآله:

لو أن عبداً قام لله تعالى بين الركن والمقام ألف عام، ثم ألف عام، ولم يكن يحبنا أهل البيت، لأكبه الله على منخره فى النار!! انتهى.

وفى فردوس الأخبار: ۲/۱۴۲ وص ۲۲۶

عن ابن مسعود عن النبى (ص) قال: حب آل محمد يوماً، خير من عبادة سنة. ومن مات عليه دخل الجنة.

و الأمة مسؤولة عنهم يوم القيامة

فى صحيح مسلم: ۷/۱۲۲

عن زيد بن أرقم (قام رسول الله(ص)يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال:

وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى!!

وفى مجمع الزوائد: ۱/۱۷۰

عن زيد بن ثابت، عن رسول الله(ص)قال: إنى تركت فيكم خليفتين: كتاب الله، وأهل بيتى، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض.

رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات.

ورواه بنحوه: ۹/۱۶۲، وقال: رواه أحمد، وإسناده جيد.

وروى الطبرانى فى الأوسط: ۲/۲۲۶

عن على بن أبى طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت.

وفى مجمع الزوائد: ١٠/۶٢۶

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): لا ـ تزول قدما يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسد فيما أبلاه... وعن حبنا أهل البيت. قيل: يارسول الله فما علامة حبكم؟ فضرب بيده على منكب على!

ورواه الكنجى فى كفاية الطالب/٣٢۴، عن أبى ذر.

وروى الحسكانى فى شواهد التنزيل: ٢/١٠۶

وفى حديث أبى سعيد الخدرى، عن النبى (ص): وقفوهم إنهم مسؤولون. عن ولاية على بن أبى طالب.

و هذه الأحكام مختصة بهم و لا يقاس بهم أحد

فى فردوس الأخبار: ۵/٣۴ ح ٧٠٩۴

عن أنس بن مالك عن النبى (ص) قال: نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد. انتهى.

وفى فردوس الأخبار: ۴/٢٨٣

وفى كلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب: لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفئ الغالى، وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة. انتهى.

ولا نطيل فى استعراض أحاديث المكانة الشرعية المختصة بأهل البيت (عليهم السلام)، فهى فى مصادر السنيين كثيرة وصريحة، تدل على أن حبهم وولايتهم وإطاعتهم بعد النبى صلى الله عليه وآله من أركان الدين.. والإفاضة فى ذلك تخرجنا عن غرضنا.

و محبو أهل البيت و شيعتهم جزء من المقياس النبوى

فتح البارى: ١/۴٣١

روى حديث (تقتل عماراً الفئة الباغية) جماعة من الصحابة، منهم قتادة بن النعمان كما تقدم، وأم سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذى، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائى، وعثمان بن عفان، وحذيفة، وأبو أيوب، وأبو رافع، وخزيمة بن ثابت، ومعاوية، وعمرو بن العاص، وأبو اليسر، وعمار نفسه، وكلها عند الطبرانى وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عدهم.

وفى هذا الحديث علمٌ من أعلام النبوة، وفضيلةٌ ظاهرةٌ لعلى ولعمار، ورد على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً فى حروبه.

وفى رواية ابن مسعود سمعت رسول الله(ص)يقول: إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق.

وقال الحافظ ابن كثير: ومعلوم أن عماراً كان فى جيش على يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذى تولى قتله رجلٌ يقال له أبو الفادية، وقيل إنه صحابى! وفى رواية وقاتله فى النار، لا أناله الله شفاعتى يوم القيامة!

وفى تاريخ بغداد: ٢/١۴۶

عن على أن النبى(ص)قال: شفاعتى لأمتى، من أحب أهل بيتى، وهم شيعتى.

وحسنه العزيزى فى السراج المنير: ٢/٣٧٠

ورواه فى كنز العمال: ١۴/٣٩٨

وروى ابن أبى عاصم فى السنة: ١/٣٣۴

عن علی بن أبی طالب قال: سمعت رسول الله(ص)یقول: أول من یرد علی الحوض أهل بیتی، ومن أحبنی (أحبهم؟) من أمتی.

کیف طبقت الخلافة القرشیة سنة النبی فیهم

جعلت الخلافة لعنهم علی المنابر فریضة!

فی صحیح مسلم: ۷/۱۲۰

عن عامر بن سعد بن أبی وقاص، عن أبیه قال: أمر معاویة بن أبی سفیان سعداً فقال: ما منعک أن تسب أبا تراب؟!

فقال: أما ما ذکرت ثلاثاً قالهن له رسول الله(ص)فلن أسبه! لأن تکون لی واحدة منهن أحب إلی من حمر النعم!

سمعت رسول الله(ص)یقول له (وقد) خلفه فی بعض مغازیه فقال له علی یا رسول الله خلفتنی مع النساء والصبیان؟ فقال له رسول الله (ص): أما ترضی أن تکون منی بمنزلة هارون من موسی إلا أنه لا نبوة بعدی... الخ...

وذکره فتح الباری: ۷/۶۰، عن مسلم والترمذی وأبی یعلی.

وفی مستدرک الحاکم: ۳/۱۲۱

عن بن أبی ملیکة عن أبیه قال: جاء رجل من أهل الشام فسب علیاً عند ابن عباس فحصبه ابن عباس فقال: یا عدو الله آذیت رسول الله صلی الله علیه وآله. إن الذین یؤذون الله ورسوله لعنهم الله فی الدنیا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهینا. لو کان رسول الله صلی الله علیه وآله حیاً لاذیته. هذا حدیث صحیح الإسناد، ولم یخرجاه.

ورواه الحاکم فی: ۱/۳۶ ورواه الطبرانی فی الأوسط: ۲/۳۹۸، والصغیر: ۳۹۸۲ والدیلمی فی فردوس الأخبار: ۲/۳۳۳ والهیثمی فی مجمع الزوائد: ۱/۴۲۵ و۷/۴۱۸ و ۵۸۰ - وابن حجر فی الصواعق المحرقة/۱۷۴

وابن العربی فی شرح الترمذی: ۴ جزء ۸/۳۱۸، وقال: رواه غیر واحد عن عبید الله بن عبد الرحمن بن موهب، عن علی بن حسین، عن النبی مرسلاً، وهذا أصح.

ورواه فی بحار الأنوار: ۲۷/۲۲۵

و أجبرت المسلمین علی أن یکونوا نواصب

فی الخطط السیاسیة للمحامی أحمد حسین یعقوب/۱۰۷

خلیفة المسلمین معاویة یرعی الروایة والرواة:

قال ابن أبی الحدید فی شرح النهج: ۳/۵۹۵:

روی أبو الحسن علی بن محمد بن أبی سیف المدائنی فی کتاب الأحداث قال: کتب معاویة نسخةً واحدة إلی عماله بعد عام الجماعة:

أن برئت الذمة ممن روی شیئاً من فضل أبی تراب (یعنی الإمام علی) وأهل بیته. (یعنی أهل بیت النبوة الکرام) فقامت الخطباء فی کل کورة وعلی کل منبر یلعنون علیاً، ویبرؤون منه، ویقعون فیه، وفی أهل بیته، وکان أشد الناس بلاء حینئذ أهل الکوفة، لکثرة من بها من شیعة علی علیه السلام، فاستعمل علیهم زیاد بن سمیة وضم إلیه البصرة، فکان یتتبع الشیعة وهو بهم عارف لأنه کان منهم أیام علی، فقتلهم تحت کل حجر ومدر وأخافهم، وقطع الأیدی والأرجل، وسمل العیون، وصلبهم علی جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم یبق بها معروف منهم.

مرسوم آخر لخلیفة المسلمین معاویة

ويضيف المدائني بالحرف:

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لاحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة!

وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان، ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه اليهم معاوية من الصلات والكسا والحبا والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجئ أحد من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه!

فلبثوا بذلك حيناً.

مرسوم ثالث لخليفة المسلمين معاوية

كتب معاوية إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة، والخلفاء الأوليين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب الا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله!

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرةٌ في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجرى هذا المجرى، حتى أشاروا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموا بناتهم ونساهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ماشاء الله.

مرسوم رابع لخليفة المسلمين معاوية

ثم كتب معاوية نسخةً واحدةً إلى جميع البلدان: انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه!

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاة هولاء القوم فنكلوا به واهدموا داره!

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما الكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته، فيلقى إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الإيمان الغليظة ليكتمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر.. ومضى على ذلك الفقها والقضاة والولاة!!

وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الاموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار، والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق! ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل إلا وهو خائفٌ على دمه، أو طريدٌ في الأرض.

تفاقم الأمر:

ويضيف بن أبي الحديد نقلاً عن المدائني: ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين وولي عبدالملك بن مروان، فاشتد البلاء على الشيعة، وولي عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرب إليه أهل النسك والصلاح والدين ببغض علي وموالاة أعدائه! وموالاة من يدعى من الناس أنهم أيضاً من أعدائه، فأكثروا من الرواية في فضلهم وسوابقهم ومناقبهم، وأكثروا من الغض من علي وعيبه والطعن فيه والشنآن له، حتى أن انساناً وقف للحجاج ويقال إنه جد الاصمعي عبد الملك بن قريب، فصاح به: أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني علياً، وإني فقير

بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج، فتضاحک له الحجاج، وقال: للطف ما توسلت به، قد وليتک كذا!!

وتابع ابن أبى الحديد قائلاً: وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، فى تاريخه ما يناسب هذا الخبر، وقال: إن اكثر الأحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيام بنى أمية، تقرباً اليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بنى هاشم!! انتهى.

أما الدولة العباسية فقد واصلت السياسة الأموية فى اضطهاد أهل البيت عليهم السلام، واضطهاد محبيهم ورواة فضائلهم، وأعطت للنواصب ووضاعى الأحاديث نفس المكانة المحترمة التى كانت لهم عند الخلافة الأموية!

وثقافة المسلمين السنيين إنما تكونت فى ظل هاتين الدولتين.. ولذا صار من المألوف أن تقرأ فيها مثل هذه النص (أسد بن وداعة شامى تابعى ناصبى كان يسب علياً، وكان عابداً، وثقه النسائى!) الغدير: ۵/۲۹۴

وفى النصائح الكافية لمحمد بن عقيل/۲۲

وهؤلاء هم الذين قال فيهم الإمام أحمد رحمه الله لما سئل عن معاوية: إن قوماً أبغضوا علياً فتطلبوا له عيباً فلم يجدوا، فعمدوا إلى رجل قد ناصبه العداوة فأطروه كيداً لعلى!!

وفى كتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ۲/۲۷۷

قال الرياشى: سمعت محمد بن عبد الحميد قال: قلت لابن أبى حفصة: ما أغراک ببنى على؟!

قال: ما أحد أحب إلى منهم، ولكن لم أجد شيئاً أنفع عند القوم منه! أى من بغضهم والتحامل عليهم! وكان ابن أبى حفصة يتحامل على آل على، ويكثر هجاءهم طمعاً بجوائز العباسيين!! انتهى.

ولا نطيل بذكر الشواهد الكثيرة على هذه السياسة المؤذية لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وقد أفرد السيد محمد بن عقيل الحضرمى كتاباً لتعصبات علماء الجرح والتعديل ضد أهل البيت (عليهم السلام)ومحبيهم، سماه (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل).

ولم يؤثر ذلک فى كل الناس:

فى العقد الفريد لإبن عبد ربه: ۵/۱۵۶

انتقص ابن حمزة بن عبد الله بن الزبير علياً فقال له أبوه... أما ترى علياً وما يظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر فكأنما والله يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء، وما ترى بنى مروان وما يندبون به موتاهم من المدح... فكأنما يكشفون عن الجيف!!

بعض ما ورد عن المقياس النبوى فى مصادرن

روى الكلينى فى الكافى: ۸/۹۳

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لله عز وجل فى بلاده خمس حرم: حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وحرمة آل رسول الله عليهم السلام، وحرمة كتاب الله عز وجل، وحرمة كعبة الله، وحرمة المؤمن.انتهى.

وروى نحوه فى مجمع الزوائد: ۱/۲۶۶، عن أبى سعيد الخدرى، قال قال رسول الله (ص): إن لله عز وجل حرمات ثلاث، من حفظهن حفظ الله له أمر دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له شيئاً: حرمة الإسلام، وحرمتى، وحرمة رحمى.

وفى معانى الأخبار للصدوق/۵۸

حدثنا أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانى رحمه الله قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودى بالبصرة قال: حدثنى المغيرة بن محمد، قال: حدثنا رجاء بن سلمة، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفى، عن أبى جعفر محمد بن على (عليهما السلام)قال: خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه بالكوفة بعد منصرفه من النهروان، وبلغه أن معاوية يسبه ويلعنه ويقتل

أصحابه، فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله، وذكر ما أنعم الله على نبيه وعليه، ثم قال:

لولا آية في كتاب الله ما ذكرت ما أنا ذاكره في مقامي هذا، يقول الله عز وجل: وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ. اللهم لك الحمد على نعمتك التي لا تحصى، وفضلك الذي لا ينسى.

يا أيها الناس: إنه بلغني ما بلغني، وإني أراني قد اقترب أجلي، وكأني بكم وقد جهلتم أمري، وإني تارك فيكم ماتركه رسول الله صلى الله عليه وآله: كتاب الله وعترتي، وهي عترة الهادي إلى النجاة خاتم الأنبياء، وسيد النجباء، والنبي المصطفى.

يا أيها الناس:

لعلكم لا تسمعون قائلاً يقول مثل قولي بعدي إلا مفتر، أنا أخو رسول الله، وابن عمه، وسيف نقمته، وعماد نصرته وبأسه وشدته.

أنا رحى جهنم الدائرة، وأضراسها الطاحنة، أنا موتم البنين والبنات، أنا قابض الأرواح، وبأس الله الذي لا يرده عن القوم المجرمين.

أنا مجدل الأبطال، وقاتل الفرسان، ومبير من كفر بالرحمن، وصهر خير الأنام.

أنا سيد الأوصياء، ووصي خير الأنبياء، أنا باب مدينة العلم، وخازن علم رسول الله ووارثه، وأنا زوج البتول سيده نساء العالمين فاطمة التقية، ومن ولدي مهدي هذه الأمة.

ألا وقد جعلت محنتكم.. ببغضي يعرف المنافقون، وبمحبتي امتحن الله المؤمنين هذا عهد النبي الأمي الى أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق.

وأنا صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة، ورسول الله فرطي، وأنا فرط شيعتي، والله لا عطش محبي، ولا خاف وليي. وأنا ولي المؤمنين، والله وليي.

حسب محبي أن يحبوا ما أحب الله، وحسب مبغضي أن يبغضوا ما أحب الله.

ألا ـ وإنه بلغني أن معاوية سبني ولعنني. اللهم اشدد وطأتك عليه، وأنزل اللعنة على المستحق، آمين رب العالمين، رب إسماعيل وباعث إبراهيم. إنك حميد مجيد.

وفي أمالي الصدوق/۲۶۹

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا سيد الأنبياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة المقربين، وأوصيائي سادة أوصياء النبيين والمرسلين، وذريتي أفضل ذريات النبيين والمرسلين، وأصحابي الذين سلكوا منهاجي أفضل أصحاب النبيين والمرسلين، وابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين، والطاهرات من أزواجي أمهات المؤمنين، وأمتي خير أمة أخرجت للناس، وأنا أكثر النبيين تبعاً يوم القيامة، ولي حوضٌ عرضه ما بين بصرى وصنعاء، فيه من الأباريق عدد نجوم السماء، وخليفتي على الحوض يومئذ خليفتي في الدنيا.

فقيل: ومن ذاك يا رسول الله؟

قال: إمام المسلمين وأمير المؤمنين ومولاهم بعدي علي بن أبي طالب، يسقي منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه كما يذود أحدكم الغريبة من الابل عن الماء.

ثم قال صلى الله عليه وآله: من أحب علياً وأطاعه في دار الدنيا ورد على حوضي غداً، وكان معي في درجتي في الجنة، ومن أبغض علياً في دار الدنيا وعصاه، لم أره ولم يرني يوم القيامة، واختلج دوني، وأخذ به ذات الشمال إلى النار.

وفي رواية قال: جاء رجل إلى النبي(ص)فقال: يا رسول الله أكل من قال: لا إله إلا الله مؤمن؟

قال: إن عداوتنا تلحق باليهود والنصارى! إنكم لا تدخلون الجنة حتى تحبوني، وكذب من زعم أنه يحبني ويبغض هذا، يعني علياً.

وفي أمالي الصدوق/۱۳۴

وفي حديث علي بن أبي طالب قال: بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ التفت إلينا فبكى فقلت: ما

یبکیک یا رسول الله؟

فقال: أبکی مما یصنع بکم بعدی!

فقلت: وما ذاک یارسول الله؟

قال: أبکی من ضربتک علی القرن، ولطم فاطمة خدها، وطعنة الحسن فی الفخذ والسم الذی یسقی، وقتل الحسین!

قال: فبکی أهل البیت جمیعاً، فقلت یا رسول الله، ما خلقنا ربنا إلا للبلاء.

قال: أبشر یا علی، فإن الله عز وجل قد عهد إلی أنه لا یحبک إلا مؤمن ولا یبغضک إلا منافق.

وفی أمالی الصدوق/۸۹

وقوله صلی الله علیه وآله: حرب علی حرب الله، وسلم علی سلم الله.

وقوله صلی الله علیه وآله: ولی علی ولی الله، وعدو علی عدو الله.

وقوله صلی الله علیه وآله: علی حجة الله، وخلیفته علی عباده.

وقوله صلی الله علیه وآله: حب علی إیمان، وبغضه کفر.

وقوله صلی الله علیه وآله: حزب علی حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشیطان.

وقوله صلی الله علیه وآله: علی مع الحق والحق معه لا یفترقان حتی یردا علی الحوض

وقوله صلی الله علیه وآله لعلی: قسیم النار والجنة.

وقوله صلی الله علیه وآله: من فارق علیاً فقد فارقنی، ومن فارقنی فقد فارق الله عز وجل.

وقوله صلی الله علیه وآله: شیعة علی هم الفائزون یوم القیامة.

وفی أمالی المفید/۱۶۹

فی حدیث أبی ذر الغفاری قال: رأیت رسول الله وقد ضرب کتف علی بن أبی طالب علیه السلام بیده، وقال:

یا علی: من أحبنا فهو العربی، ومن أبغضنا فهو العلج.

شیعتنا أهل البیوتات والمعادن والشرف، ومن کان مولده صحیحاً، وما علی ملة إبراهیم علیه السلام إلا نحن وشیعتنا، وسائر الناس منها براء!

وإن لله ملائکة یهدمون سیئات شیعتنا کما یهدم القدوم البنیان.

وفی أمالی المفید/۲۱۳

عن الإمام الصادق عن آبائه (علیهم السلام) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله لعلی: یاعلی أنت منی وأنا منک، ولیک ولی وولی ولی الله، وعدوک عدوی وعدوی عدو الله.

یا علی: أنا حرب لمن حاربک، وسلم لمن سالمک، یاعلی لک کنز فی الجنة، لا یدخل الجنة إلا من عرفک وعرفته، ولا یدخل النار إلا من أنکرک وأنکرته.

یا علی: أنت والأئمة من ولدک علی الأعراف یوم القیامة تعرف المجرمین بسیماهم والمؤمنون بعلاماتهم.

یا علی: لولاک لم یعرف المؤمنون بعدی.

وفی الغدیر: ۱۰/۱۵۹

لما قدم معاویة المدینة صعد المنبر فخطب ونال من ابن علی ومن علی!

فقام الحسن فحمد الله وأثنی علیه، ثم قال:

إن الله عز وجل لم یبعث بعثاً إلا جعل له عدواً من المجرمین، فأنا ابن علی وأنت ابن صخر، وأمک هند وأمی فاطمة، وجدتک قتیلة

وجدتی خدیجة، فلعن الله ألامنا حسباً، وأخملنا ذکراً، وأعظمنا کفراً، وأشدنا نفاقاً!

فصاح أهل المسجد: آمین آمین. فقطع معاویة خطبته ودخل منزله!

وفی لفظ: خطب معاویة بالکوفة حین دخلها، والحسن والحسین رضی الله عنهما جالسان تحت المنبر، فذکر علیاً علیه السلام فنال منه ثم نال من الحسن، فقام الحسین لیرد علیه، فأخذه الحسن بیده فأجلسه، ثم قام فقال:

أیها الذاکر علیاً! أنا الحسن وأبی علی، وأنت معاویة وأبوک صخر، وأمی فاطمة وأمک هند، وجدی رسول الله وجدک عتبة بن ربیعة، وجدتی خدیجة، وجدتک قتیلة! فلعن الله أخملنا ذکراً، وألامنا حسباً، وشرنا قدیماً وحدیثاً، وأقدمنا کفراً ونفاقاً. فقال طوائف من أهل المسجد: آمین.

مقاتل الطالبیین ص۲۲، وشرح ابن ابی الحدید ج۴ ص۱۲، وجمهرة الرسائل: ۲/۹ و۵۰

بعض ما ورد فی مصادرنا فی عدم شمول الشفاعة للنواصب

فی بصائر الدرجات/۵۲

حدثنا سلام بن أبی عمرة الخراسانی، عن أبان بن تغلب، عن أبی عبد الله علیه السلام، عن أبیه أنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله:

من أراد أن یحیا حیاتی ویموت مماتی ویدخل جنة ربی جنة عدن غرسة ربی، فلیتول علی بن أبی طالب، ولیعاد عدوه، ولیأتم بالأوصیاء من بعده، فإنهم أئمة الهدی من بعدی، أعطاهم الله فهمی وعلمی، وهم عترتی من لحمی ودمی. إلی الله أشکو من أمتی المنکرین لفضلهم، القاطعین فیهم صلتی!

وأیم الله لیقتلن ابنی-یعنی الحسین-لا أنالهم الله شفاعتی. ورواه فی الإمامة والتبصرة/۴۱. وتقدم فی المکذبین بفضلهم.

وفی الطبرانی الکبیر: ۵/۱۹۴ ومجمع الزوائد: ۹/۱۸۰

عن زید بن أرقم قال: قال رسول الله (ص): من أحب أن یحیا حیاتی، ویموت موتتی، ویسکن جنة الخلد التی وعدنی ربی، فإن ربی غرس قصباتها بیده، فلیتول علی بن أبی طالب، فإنه لن یخرجکم من هدی، ولن یدخلکم فی ضلالة. انتهی.

ولا بد إذا صح الحدیث أن یکون قوله (فإن ربی غرس قصباتها بیده) مجازیاً لأجل بیان أهمیة جنة الخلد، وأنها من خاص عطاء الله تعالی.

وفی المحاسن: ۱/۱۸۶

عنه، عن أبیه، عن النضر بن سوید، عن یحیی الحلبی، عن أبی المغرا، عن أبی بصیر، عن علی الصائغ، قال: قال أبو عبد الله علیه السلام: إن المؤمن لیشفع لحمیمه إلا أن یکون ناصباً، ولو أن ناصباً شفع له کل نبی مرسل وملک مقرب ما شفعوا.

ورواه فی ثواب الأعمال /۲۰۳، والمحاسن /۱۸۴، والبحار: ۸/۴۱ ونحوه فی بشارة المصطفی للطبری الشیعی/۳۸

بعض ما ورد فی مصادرنا فی أحکام التعامل مع النواصب

فی الکافی: ۵/۳۴۸

عن الإمام الصادق علیه السلام قال: لا یتزوج المؤمن الناصبة المعروفة بذلک. عن أبی عبد الله علیه السلام قال: قال له الفضیل: أتزوج الناصبة؟ قال: لا، ولا کرامة.

قلت: جعلت فداک، والله إنی لاقول لک هذا، ولو جاءتنی ببیت ملان دراهم ما فعلت.

وفی الکافی: ۵/۳۴۹

عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عن الناصب الذى قد عرف نصبه وعداوته، هل نزوجه المؤمنة، وهو قادرٌ على رده، وهو لا يعلم برده؟

قال: لا يزوج المؤمن الناصبة، ولا يتزوج الناصب المؤمنة، ولا يتزوج المستضعف مؤمنة.

وفى الكافى: ۵/۳۵۱

عن عبد الله بن سنان، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: سأله أبى وأنا أسمع عن نكاح اليهودية والنصرانية، فقال: نكاحهما أحب إلى من نكاح الناصبية، وما أحب للرجل المسلم أن يتزوج اليهودية ولا النصرانية، مخافة أن يتهود ولده أو يتنصر.

وفى الكافى: ۳/۱۳۳

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبدى، عن ابن أبى يعفور قال: كان خطاب الجهنى خليطاً لنا وكان شديد النصب لآل محمد (عليهم السلام)، وكان يصحب نجدة الحرورى!

قال: فدخلت عليه أعوده للخلطة والتقية، فإذا هو مغمى عليه فى حد الموت، فسمعته يقول: مالى ولك يا على!! فأخبرت بذل أبا عبد الله فقال أبو عبد الله: رآه ورب الكعبة، رآه ورب الكعبة!

وفى الكافى: ۴/۳۰۹

عن وهب بن عبد ربه قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: أيحج الرجل عن الناصب؟

فقال: لا.

فقلت: فإن كان أبى؟

قال: فإن كان أباك فنعم.

وفى وسائل الشيعة: ۱/۱۵۸

عن أبى الحسن الرضا عليه السلام (فى حديث) قال: من اغتسل من الماء الذى قد اغتسل فيه فأصابه الجذام، فلا يلومن إلا نفسه.

فقلت لابى الحسن عليه السلام: إن أهل المدينة يقولون: إن فيه شفاء من العين، فقال: كذبوا، يغتسل فيه الجنب من الحرام، والزانى، والناصب الذى هو شرهما و (شر) كل من خلق الله، ثم يكون فيه شفاء من العين؟!!

وفى وسائل الشيعة: ۱/۱۶۵

عن أبى عبد الله عليه السلام أنه كره سؤر ولد الزنا، وسؤر اليهودى والنصرانى، والمشرك وكل من خالف الإسلام، وكان أشد ذلك عنده سؤر الناصب.

وفى الهداية للصدوق/۲۶

إذا صليت على ناصب، فقل بين التكبيرة الخامسة: أللهم اخز عبدك فى عبادك وبلادك، أللهم أصله أشد نارك، وأذقه حر عذابك، فإنه كان يوالى أعداءك ويعادى أولياءك، ويبغض أهل بيت نبيك. فإذا رفع فقل: اللهم لا ترفعه ولا تزكه.

النصب يجر إلى التجسيم

فى تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى/۱۷۷

مسألة: فإن قيل: فما معنى الخبر المروى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال: سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته. وهذا خبر مشهور لا يمكن تضعيفه ونسبته إلى الشذوذ؟

الجواب: قلنا أما هذا الخبر فمطعون عليه مقدوح فى راويه، فإن راويه قيس بن أبى حازم، وقد كان خولط فى عقله فى آخر عمره مع استمراره على رواية الأخبار، وهذا قدحٌ لا شبهة فيه، لأن كل خبر مروى عنه لا يعلم تاريخه يجب أن يكون مردوداً، لأنه لا يؤمن أن

یکون مما سمع منه فی حال الإختلال، وهذه طریقهٔ فی قبول الأخبار وردها ینبغی أن تکون أصلًا ومعتبراً فیمن علم منه الخروج، ولم یعلم تاریخ ما نقل عنه.

علی أن قیساً لو سلم من هذا القدح کان مطعوناً فیه من وجه آخر، وهو أن قیس بن أبی حازم کان مشهوراً بالنصب والمعاداهٔ لأمیر المؤمنین صلاهٔ الله وسلامه علیه والإنحراف عنه، وهو الذی قال: رأیت علی بن أبی طالب علی منبر الکوفهٔ یقول: انفروا إلی بقیهٔ الأحزاب، فأبغضته حتی الیوم فی قلبی. إلی غیر ذلک من تصریحه بالمناصبهٔ والمعاداهٔ. وهذا قادح لا شک فی عدالته.

فضل العلماء الذین یدفعون شبهات النواصب

فی الصراط المستقیم للبیاضی: ۳/۵۶

عن الهادی علیه السلام: لولا من یبقی بعد غیبهٔ قائمکم من العلماء الدالین علیه، والداعین إلیه، والذابین عن دینه بحجج الله.. ولکنهم الذین یمسکون أزمهٔ قلوب ضعفاء الشیعهٔ، کما یمسک صاحب السفینهٔ سکانها، أولئک هم الأفضلون عند الله عز وجل. (وهو فی الإحتجاج للطبرسی: ۱/۱۵)

وقال علی علیه السلام: من قوی مسکیناً فی دینه، ضعیفاً فی معرفته، علی ناصب مخالف فأفحمه، لقنه الله یوم یدلی فی قبره أن یقول: الله ربی، ومحمد نبیی، وعلی ولیی، والکعبهٔ قبلتی، والقرآن عدتی، والمؤمنون إخوانی.

فیقول الله أدلیت بالحجهٔ، فوجبت لک عالی درجات الجنهٔ، فعند ذلک یتحول علیه قبره أنزه ریاض الجنهٔ.

وقال الرضا علیه السلام: أفضل ما یقدمه العالم من محبینا لیوم فقره ومسکنته أن یعین فی الدنیا مسکیناً من ید ناصب عدو لله ورسوله یقوم من قبره والملائکهٔ صفوف إلی محل من الجنان، فیحملونه علی أجنحتهم، ویقولون: طوباک طوباک یا دافع الکلاب عن الأبرار، ویا أیها المتعصب للأئمهٔ الأخیار.

وفی الإحتجاج للطبرسی: ۱/۱۶

وعنه علیه السلام قال: یأتی علماء شیعتنا القوامون بضعفاء محبینا وأهل ولایتنا یوم القیامهٔ والأنوار تسطع من تیجانهم، علی رأس کل واحد منهم تاج بهاء، قد انبثت تلک الأنوار فی عرصات القیامهٔ ودورها مسیرهٔ ثلاثمائهٔ ألف سنهٔ، فشعاع تیجانهم ینبث فیها کلها، فلا یبقی هناک یتیم قد کفلوه ومن ظلمهٔ الجهل علموه ومن حیرهٔ التیه أخرجوه، إلا تعلق بشعبهٔ من أنوارهم، فرفعتهم إلی العلو حتی تحاذی بهم فوق الجنان، ثم ینزلهم علی منازلهم المعدهٔ فی جوار أستاتیذهم ومعلمیهم، وبحضرهٔ أئمتهم الذین کانوا الیهم یدعون.

ولا یبقی ناصبٌ من النواصب یصیبه من شعاع تلک التیجان إلا عمیت عینه وأصمت أذنه وأخرس لسانه، وتحول علیه أشد من لهب النیران، فیحملهم حتی یدفعهم إلی الزبانیهٔ فیدعونهم إلی سواء الجحیم.

شفاعهٔ النبی یوم القیامهٔ بید أهل بیته

تقدم فی الفصول السابقهٔ من السنیین عن أویس القرنی أنه یشفع لمثل ربیعهٔ ومضر وتمیم.

وعرفت أن أویساً ما کان إلا شیعیاً مخلصاً لأهل البیت علیهم السلام، وأنه بایع أمیر المؤمنین علیه السلام علی بذل مهجته دونه، واستشهد تحت رایته فی صفین.

وإذا کان أویس صاحب هذه الشفاعهٔ الکبیرهٔ، فکیف تکون شفاعهٔ علی الذی فداه بنفسه؟!

ثم کیف لا تکون لأهل البیت علیهم السلام شفاعهٌ ممیزهٔ، وقد نصت الأحادیث الصحیحهٔ علی أن الجنهٔ والشفاعهٔ محرمهٌ علی مبغضیهم وظالمیهم، کما عرفت!

إن الذین یستکثرون الشفاعهٔ علی أهل البیت علیهم السلام، إنما یقفلون أعینهم عمداً عن المقام الممیز الذی ثبت لهم بالأحادیث

الصحیحهٔ فی مصادر الجمیع.. أو یحسدون أهل بیت نبیهم علی ما فضلهم به ربهم، صلی الله علیه وعلیهم.

ثم اعجب لهؤلاء المستکثرین للشفاعهٔ علی أهل بیت نبیهم، وهم یعلمون أن جدهم رسول الله صلی الله علیه وآله هو رئیس المحشر یوم القیامهٔ، وصاحب الشفاعهٔ الکبری فیه وصاحب حوض الکوثر.. وذلک ملکٌ عظیم یحتاج إلی من یدیره، وینفذ فیه أوامر النبی وتوجیهاته.. فمن یکون هؤلاء المنفذون غیر أهل بیته الأطهار، ومعهم ملائکهٔ الله تعالی؟!

وفیما یلی نورد أحادیث تدل علی مقامهم وشفاعتهم من مصادر الطرفین:

علی صاحب لواء النبی یوم القیامهٔ

روت بعض صحاح إخواننا أحادیث لواء الحمد، وهو لواء رئاسهٔ المحشر، الذی یعطیه الله لرسوله یوم القیامهٔ.

ولکن هذا اللواء بقی فی الصحاح بلا أحد یحمله!

والسبب فی ذلک أن حامله علی علیه السلام، وأحادیثه تضمنت فضائل له، وتعریضاً بالصحابهٔ، وهی أمورٌ لا یتحملها الخلفاء، فترکها رواهٔ الخلافهٔ!!

ماذا روت الصحاح عن رئاسهٔ المحشر و لواء الحمد؟

أما البخاری فلم یرو أن النبی صلی الله علیه وآله سید ولد آدم یوم المحشر، ولا أنه یعطی لواء الحمد، ولا أنه یکون أول شافع!

فالبخاری قلد کعب الأحبار الذی زعم أن الشافع الأول هو ابراهیم أو اسحاق، کما بینا ذلک فی المجلد الثالث!

ولذا أعطی مقام الشفاعهٔ الأول لأنبیاء الیهود، وأبقی المحشر بلا رئیس ولا لواء! ولعل أمر المحشر عنده یحتاج إلی سقیفهٔ قرشیهٔ لإختیار رئیس له!!

وأما مسلم فقد روی فی صحیحه: ۷/۵۹

عن أبی هریرهٔ قال قال رسول الله (ص): أنا سید ولد آدم یوم القیامهٔ، وأول من ینشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع.

ونحوه فی ابن ماجهٔ: ۲ /۱۴۴۰، وأبی داود: ۲/۴۰۷

وأما الترمذی فروی حدیث لواء الحمد فی: ۴/۲۹۴:

عن أبی سعید قال: قال رسول الله (ص): أنا سید ولد آدم یوم القیامهٔ ولا فخر، وبیدی لواء الحمد ولا فخر، وما من نبی یومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائی، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر.

ورواه بصیغ أخری فی: ۴/۳۷۰، وفی: ۵/۲۴۵ و۲۴۷ و۲۴۸

أما أحادیث أن علیاً حامل لواء المحشر، وأنه الساقی علی حوض النبی صلی الله علیه وآله، فقد صارت من نصیب المصادر البعیدهٔ عن رقابهٔ الخلافهٔ!

ولابأس بذلک، لأن بعض هذه المصادر أقدم من الصحاح الستهٔ، وکل مصنفیها محترمون موثقون عند السنیین، وبعضهم شیوخ أصحاب الصحاح!

وقد أورد الأمینی فی الغدیر: ۲/۳۲۱، عدداً من هذه الأحادیث، وذکر فیها لواء الحمد والسقایهٔ علی الحوض معاً.. ونحن نورد ما فیه ذکر اللواء، مما ذکره فی الغدیر، وغیره:

ففی مناقب الصحابهٔ لاحمد بن حنبل/۶۶۱

حدثنا محمد بن هشام بن البختری، ثنا الحسین بن عبید الله العجلی، ثنا الفضیل بن الإستثناء، عن عطیهٔ العوفی، عن أبی سعید الخدری قال قال رسول الله (ص): أعطیت فی علی خمساً هن أحب إلی من الدنیا وما فیها:

أما واحدة: فهو تكأتى إلى بين يدى، حتى يفرغ من الحساب.

وأما الثانية: فلواء الحمد بيده، آدم عليه السلام ومن ولد تحته.

وأما الثالثة: فواقفٌ على عقر حوضى يسقى من عرف من أمتى.

وأما الرابعة: فساتر عورتى ومسلمى إلى ربى.

وأما الخامسة: فلست أخشى عليه أن يرجع زانياً بعد إحصان أو كافراً بعد إيمان.

ورواه أبو نعيم فى الحلية: ۱۰ ص۲۱۱ والطبرى المؤرخ فى الرياض النضرة ۲/۲۰۳ ورواه فى كنز العمال ۶/۴۰۳

وفى مناقب الخوارزمى/۲۰۳: عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعلى؟ سألت ربى عز وجل فيك خمس خصال فأعطانى: أما الأولى: فإنى سألت ربى: أن تنشق عنى الأرض وانفض التراب عن رأسى وأنت معى، فأعطانى.

وأما الثانية: فسألته أن يوقفنى عند كفة الميزان وأنت معى، فأعطانى.

وأما الثالثة: فسألته أن يجعلك حامل لوائى وهو لواء الله الأكبر، عليه المفلحون والفائزون بالجنة، فأعطانى.

وأما الرابعة: فسألت ربى أن تسقى أمتى من حوضى فأعطانى.

وأما الخامسة: فسألت ربى أن يجعلك قائد أمتى إلى الجنة فأعطانى. فالحمد لله الذى من به على. انتهى.

ورواه فى فرائد السمطين فى الباب الثامن عشر، وفى كنز العمال ۶/۴۰۲.

وفى الدر المنثور: ۶/۳۷۹

أخرج ابن مردويه عن على قال: قال لى رسول الله (ص): ألم تسمع قول الله: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية، أنت وشيعتك وموعدى وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب، تدعون غراً محجلين.

وفى الطبرانى الصغير: ۲/۸۸

عن عبد الله بن عكيم الجهنى قال: قال رسول الله (ص): إن الله عز وجل أوحى إلى فى على بن أبى طالب ثلاثة أشياء ليلة أسرى بى: إنه سيد المؤمنين وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين. انتهى.وروى نحوه الحاكم: ۳/۱۳۸، عن أسعد بن زرارة، وقال: إسناده صحيح.

ومعنى قائد الغر المحجلين: أن علياً عليه السلام صاحب لواء أهل الجنة.

وفى الطبرانى الكبير: ۲/۲۴۷

عن جابر: قالوا يارسول الله، من يحمل رايتك يوم القيامة؟

قال: من يحسن أن يحملها إلا من حملها فى الدنيا، على بن أبى طالب.

وفى فردوس الأخبار: ۵/۸۳۴۶

عن أبى بن كعب أن النبى(ص)قال لعلى: يا على أنت تغسل جثتى، وتؤدى ذمتى وتوارينى فى حفرتى، وتفى بذمتى، وأنت صاحب لوائى فى الدنيا والآخرة.

وفى كنز العمال: ۱۳/۱۴۵

عن ابن عباس قال قال رسول الله(ص)لعلى: أنت أمامى يوم القيامة فيدفع إلى لواء الحمد فأدفعه إليك، وأنت تذود الناس عن حوضى (ابن عساكر، وقال: فيه أبو حذيفة إسحاق بن بشر، ضعيف) انتهى. ورواه فى إحقاق الحق: ۶/۱۷۹، عن أرجح المطالب/۶۶۲، ط. لاهور.

وفى إحقاق الحق: ۲۷/۱۹۹

عن كتاب التبر المذاب لاحمد الحافى الشافعى/۸۱:

قال الواقدى وهشام بن محمد: لما رآهم الحسين مصرين على قتله، أخذ المصحف ونشره، ونادى: بينى وبينكم كتاب الله وسنة جدى

رسول الله(ص)، بم تستحلون دمی؟ألست ابن بنت نبیکم؟ألم یبلغکم قول جدی فی وفی أخی: هذان سیدا شباب أهل الجنة؟!... فبم تستحلون دمی وجدی الذائد علی الحوض یذود عنه رجالاً کما یذاد البعیر الشارد عن الماء، ولواء الحمد بید أبی یوم القیامة... الخ.

وفی کنز العمال: ۱۱/۶۲۵ وج ۱۳/۱۲۹

عن الخطیب والرافعی عن علی قال قال رسول الله (ص):

سألت الله یا علی فیک خمساً، فمنعنی واحدة وأعطانی أربعاً: سألت الله أن یجمع علیک أمتی فأبی علی، وأعطانی فیک أنک أول من تنشق عنه الأرض یوم القیامة أنا وأنت معی، ومعک لواء الحمد أنت تحمله بین یدی تسبق به الأولین والآخرین، وأعطانی فیک أنک ولی المؤمنین بعدی.

وروی فی کنز العمال:۱۳/۱۵۲، حدیثین فی الموضوع جاء فی أولهما:

أن تسقی أمتی من حوضی، وأن یجعلک قائد أمتی إلی الجنة، فأعطانی.

وذکر أن ابن الجوزی والذهبی ضعفا هذا الحدیث بعبد الله بن أحمد بن عامر عن أبیه، وقال: ولم أقف لهذا الرجل علی ترجمة، وللحدیث الأخیر شاهدٌ من حدیث ابن عباس، إلا أن ابن الجوزی أورده فی الموضوعات، وللحدیث الأول شاهد. انتهی.

فقد مال إلی تصحیح الحدیثین بشواهدهما، وهو أمر متفق علیه فی علم الحدیث وکم من حدیث ضعیف عندهم صححوه بشواهده.

ولکنه لم یذکر شواهدهما! ومن عادة المعتدلین السنیین أنهم لا یحبون أن یفتحوا نقاشاً صریحاً مع المتعصبین.

والأحادیث التی أوردناها من مصادرهم کافیة للشهادة لهما، وفیها صحیحٌ سالم بشهادتهم!!

ویفهم من کلام صاحب کنز العمال أیضاً أنه لا یأخذ بتضعیفات ابن الجوزی والذهبی لأحادیث فضائل أهل البیت (علیهم السلام).

أما مصادرنا فقد تواترت فیها أحادیث أن لواء الحمد یکون بید علی علیه السلام:

ففی أمالی الصدوق/۶۱

عن أمیر المؤمنین علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله:

یا علی أنت أخی ووزیری، وصاحب لوائی فی الدنیا والآخرة، وأنت صاحب حوضی، من أحبک أحبنی ومن أبغضک أبغضنی.

وفی بشارة المصطفی للطبری الشیعی/۱۲۵

بسنده عن الحسین بن علی قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: یا علی أنت المظلوم بعدی، فویل لمن قاتلک وطوبی لمن قاتل معک...

یا علی أنت أول من تنشق عنه الأرض معی، وأنت أول من یبعث معی، وأنت أول من یجوز الصراط معی...

وأنت أول من یرد حوضی، تسقی منه أولیاءک وتذود عنه أعداءک.

وأنت صاحبی إذا قمت المقام المحمود تشفع لمحبنا فیهم.

وأنت أول من یدخل الجنة وبیدک لوائی لواء الحمد، وهو سبعون شقة، الشقة منه أوسع من الشمس والقمر.

وأنت صاحب شجرة طوبی فی الجنة، أصلها فی دارک وأغصانها فی دور شیعتک ومحبیک. انتهی. وروی نحوه فی ۲۲۰

علی آمر السقایة علی حوض النبی یوم القیامة

حوض النبی صلی الله علیه وآله أو حوض الکوثر، قضیةٌ کبیرة یوم القیامة.. فهو عین الحیاة فی أرض المحشر، یصب ماؤها من نهرین من أنهار الجنة، وکل الخلائق یحتاجون إلی الشرب منه، لأنه لا یمکن لاحد أن یدخل الجنة إلا بأن یشرب منه! ففی کنز العمال: ۱۴ /۴۲۰: ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن یرد علی الحوض–حم، د، ک، عن زید بن أرقم. انتهی.

والشربة منه تروی الإنسان ریاً أبدیاً، فلا یظمأ بعدها أبداً.. ویبدو أنها تؤثر علی الترکیب الفیزیائی لبدن الإنسان، فتجعله صالحاً للحیاة

فى الجنة.

وقد خص الله به سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وجعل أمره بيده ويد أهل بيته الطاهرين، فلا يشرب أحد منه إلا ببطاقة منهم!!

كما أن أحاديث حوض الكوثر قضيةٌ كبيرة أيضاً فى مصادر المسلمين!

ونشكر الله أنها بقيت فى الصحاح ولم تحذف منها!الانها كانت مهددة بالنسيان والحذف!! بسبب أن النبى صلى الله عليه وآله فى آخر سنة من عمره الشريف ركز على العقيدة بالحوض، خاصة فى خطب حجة الوداع، وربطه بوصيته بالقرآن وأهل بيته الطاهرين، وأكد على أن من لا يطيع وصيته فيهم يمنعه الله تعالى من ورود الحوض والشرب منه، وبالتالى من دخول الجنة.

وأخبر صلى الله عليه وآله أن أكثر أصحابه سوف يطردون عن الحوض، ولا يسمح لهم بالشرب منه!!!

فأحاديث الحوض تتضمن إذن: بيان مقام أهل البيت الطاهرين، والأمر باتباعهم، وأنهم ومحبيهم الواردون على الحوض، والساقون عليه..

كما تتضمن ذم مبغضيهم ومخالفيهم، وأنهم مطرودون عن الحوض، ممنوعون من الورود عليه والشرب منه، حتى لو كانوا صحابة!!

محاولات الأمويين التكذيب بأحاديث الحوض

من الطبيعى أن ينزعج المنافقون والحاسدون لبنى هاشم من هذا التأكيد النبوى، ولا بد أنهم كانوا يسخرون من عقيدة (حوض محمد وأهل بيته).

ولا نحتاج إلى تتبع سخريتهم فى زمن النبى صلى الله عليه وآله، ولكنا نراها ظاهرة عند ورثتهم من الحكام الكبار فى العهد الأموى، مثل عبيد الله بن زياد، الذى كان الحاكم المطلق للعراق وايران وما وراءها!!

ويبدو أنه كان يعمل لحذف عقيدة الحوض من الإسلام.. ولكن المؤمنين وقفوا فى وجهه!

فقد ذكر الحاكم فى المستدرك: ۱/۷۵

أن أبا سبرة بن سلمة الهذلى سمع ابن زياد يسأل عن الحوض حوض محمد! فقال: ما أراه حقاً! بعد ما سأل أبا برزة الاسلمى، والبراء بن عازب، وعائذ بن عمرو، قال: ما أصدق هؤلاء!! الخ.

وقال فى: ۱/۷۸:

عن أنس قال دخلت على عبيد الله بن زياد وهم يتراجعون فى ذكر الحوض، قال فقال جاءكم أنس، قال يا أنس ما تقول فى الحوض؟ قال قلت: ما حسبت أنى أعيش حتى أرى مثلكم يمترون فى الحوض!

لقد تركت بعدى عجائز ما تصلى واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها أن يوردها حوض محمد صلى الله عليه وآله!!

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله عن حميد شاهد صحيح على شرطهما... انتهى. وروى نحوه أبو يعلى فى مسنده: ۶/۹۶

وروى البيهقى فى الإعتقاد والهداية/۸۴: عن أبى حمزة قال: دخل أبو برزة على عبيد الله بن زياد فقال: إن محمدكم هذا لدحداح!!!

فقال: ما كنت أرانى أن أعيش فى قوم يعدون صحبة محمد(ص)عاراً!

قالوا: إن الأمير إنما دعاك ليسألك عن الحوض! فقال: عن أى باله: قال: أحقٌ هو:

قال: نعم، فمن كذب به فلا سقاه الله منه!! انتهى.

وقد يدافع النواصب عن هذه الروايات بأنها تتحدث عن حالة شخصية فى ابن زياد، وليس عن اتجاه عند الخلافة الأموية وأنصارها.

ولكنه يجد أنها اتجاه وليست حالة شخصية! فهذا عمر بن عبد العزيز، وهو فى مطلع القرن الثانى، أراد أن يتثبت من صحة أحاديث الحوض! أو يقنع بها بنى أمية وأجواءهم فى العاصمة! أو يواصل ما عمله الأمويون.. فأرسل إلى المدينة فى إحضار صحابى كبير

السن، لکی یسمع منه مباشرة حدیث الحوض!!

فقد روی البیهقی فی شعب الإیمان: ۸/۲۴۳

عن شعبة، أخبرنا أبو بکر بن فورک، أنا عبد الله بن جعفر، ثنا یونس بن حبیب، ثنا أبو داود، ثنا أبو عتبة، عن محمد بن المهاجر، عن عباس بن سالم اللخمی، أن ابن عبد العزیز بعث إلی أبی سلام الحبشی، وحمل علی البرید حتی قدم علیه فقال: إنی بعثت إلیک أشافهک حدیث ثوبان فی الحوض!

فقال أبو سلام: سمعت ثوبان یقول سمعت رسول الله(ص)یقول: حوضی من عدن أبین إلی عمان البلقاء، أکوازه مثل عدد نجوم السماء، ماؤه أحلی من العسل، أشد بیاضاً من اللبن، من شرب منه شربة لم یظمأ بعدها أبداً، أول من یرد علی فقراء أمتی.

فقال عمر: یا رسول الله من هم؟قال: هم الشعث الرؤوس، الدنس الثیاب الذین لا ینکحون المتنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد.

وقال الذهبی فی سیر أعلام النبلاء: ۴/۳۵۵

أبو سلام ممطور الحبشیء، ثم الدمشقی، الأسود الأعرج... استقدمه عمر بن عبد العزیز فی خلافته إلیه علی البرید، لیشافهه بما سمع من ثوبان فی حوض النبی (ص)، فقال له: شققت علی. فاعتذر إلیه عمر وأکرمه. توفی سنة نیف ومئة.

ندم أئمة المذاهب علی تدوین أحادیث الحوض

بل یدل النص التالی علی أن حساسیة الدولة من أحادیث الحوض امتدت إلی زمن العباسیین، بسبب أن هذه الأحادیث تتضمن ذم الصحابة!!

فقد أعلن الإمام مالک ندمه علی تدوین حدیث الحوض فی کتابه الموطأ! الذی دونه بأمر المنصور العباسی لیکون الکتاب الرسمی الإلزامی للمسلمین!

وکان الإمام الشافعی یظهر تأسفه أیضاً لتدوین مالک لهذه الأحادیث، ولو کانت صحیحة!!

قال الصدیق المغربی فی فتح الملک العلی/۱۵۱

حکی عن مالک أنه قال: ما ندمت علی حدیث أدخلته فی الموطأ إلا هذا الحدیث!! وعن الشافعی أنه قال: ما علمنا فی کتاب مالک حدیثاً فیه إزراء علی الصحابة إلا حدیث الحوض، ووددنا أنه لم یذکره!! انتهی.

ویناسب هنا أن نتوسع قلیلاث فی سبب ندم الإمام مالک والشافعی:

فقد طلب العباسیون عندما کانوا یخططون لثورتهم من الأئمة من أهل البیت (علیهم السلام)أن یتحالفوا معهم للاطاحة ببنی أمیة، فلم یستجب لهم الإمام جعفر الصادق علیه السلام، بینما استجاب لهم الحسنیون وتحالفوا معهم، وعینوا لحرکتهم إماماً حسنیاً، وبدؤوا فعالیتهم ضد الأمویین فی الحجاز والعراق وخراسان، بشعار: یالثارات الحسین، والدعوة إلی الخلیفة المرضی من آل محمد، والبراءة من غاصبی حقهم من الشیخین والأمویین بعدهم!!

وما أن حققت ثورتهم انتصارات حاسمة علی ید أبی مسلم الخراسانی، حتی اختلفوا مع حلفائهم الحسنیین، ونشبت بینهم معارک ضاریة فی الحجاز والعراق، انتصر فیها العباسیون وتفردوا بالحکم..

وهنا بدأ العباسیون بتغییر استراتیجیتهم الفکریة التی أخذوا البیعة علیها من الناس، فاستثنوا الشیخین أبا بکر وعمر من البراءة واللعن، وحصروه ببنی أمیة بمن فیهم عثمان!

ویدل ندم مالک علی وجود ذم الصحابة فی کتابه، علی أنه ألفه قبل أن یتبلور التحول فی خط الخلافة العباسیة، ویعدلوا عن البراءة من الشیخین إلی تبنی ولایتهما والتأکید علیها..

ذلک أن العباسیین کانوا سیاسیین ولم یکونوا علماء، وکانت المرجعیة الدینیة للمعارضة فی الأئمة من أولاد علی علیه السلام.. فأراد

العباسيون أن يتبنوا مرجعية دينية، غير أموية وغير علوية، فاختار أبو جعفر المنصور الإمام مالك، وطلب منه أن يؤلف كتاباً سهلاً ممهداً موطأً، لينشره فى بلاد المسلمين ويلزمهم به، فألف له الموطأ ووضع فيه حديث الحوض الذى يذم الصحابة لأنه ينسجم مع خطهم الفكرى، ونشرت الخلافة الكتاب، وأصدر المنصور قراره الذى ذهب مثلًا (لا يفتين أحد ومالك فى المدينة).

ولكن ندم مالك، والشافعى، والخلافة العباسية لم ينفع، لأن حديث الحوض دخل فى كتاب الخلافة الرسمى، وصار شاهداً لأحاديث الحوض الأخرى التى سمعها الناس ورووها ودونوها!

بل صار ندمهم شاهداً تاريخياً قوياً على صحة صدور هذه الأحاديث النبوية الخطيرة، وتأكيد خط أهل البيت (عليهم السلام) ومكانتهم فى الإسلام!

وإذا لاحظنا أن البخارى ومسلماً قد ألفا صحيحيهما فى عصر المتوكل العباسى وبعده، وأن بغض المتوكل لعلى وأهل البيت النبوى كان مشهوراً.. فينبغى أن نشكرهما لأنهما رويا شيئاً من حديث الحوض الذى فيه إزراء على الصحابة حسب تعبير الشافعى، ولا نكلفهما أن يرويا أن علياً عليه السلام هو الساقى على حوض النبى صلى الله عليه وآله وأنه يذود عنه الكفار والصحابة المطرودين!

و النتيجة للمتأمل فى أحاديث حوض الكوثر

أن موقف السلطة الأموية والعباسية لم يمنع من روايتها، ولكنه سبب أن يقلل الرواة منها ويتحاشوا ما كان شديداً على الصحابة!!

وقد رأيت أن البخارى ومسلماً لم يرويا حديث أنس مع ابن زياد، وغيره مما هو صحيح على شرطهما!!

وبذلك يصح أن تقدر أن ما روته مصادرهم من أحاديث طرد الصحابة الخائنين عن الحوض، ليس إلا جزءاً قليلًا منها!

على أن عدداً من المصادر بدلت كلمة أصحابى بكلمة: أمتى، أو بكلمة: الناس! وتحاشت صحاحهم رواية الأحاديث التى تربط حوض الكوثر بأهل البيت النبوى ومحبيهم، وتجعلهم المؤمنين المقبولين، والغر المحجلين، الذين يوافون النبى على حوضه، ويردون منه ويدخلون الجنة!!

نماذج من أحاديث الحوض والصحابة المطرودين

فى البخارى: ۷/۲۰۷

عن عبد الله بن عمرو قال النبى (ص): حوضى مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً.

وفى البخارى: ۸/۸۶

عن أسماء عن النبى(ص)قال: أنا على حوضى أنتظر من يرد على، فيؤخذ بناس من دونى فأقول أمتى! فيقول: لا تدرى مشوا على القهقرى. انتهى.

وفى البخارى: ۲/۹۷۵

عن ابن المسيب أن النبى(ص)قال: يرد علىَّ الحوض رجالٌ من أصحابى فيحلؤون عنه! فأقول: يارب أصحابى؟! فيقول: فإنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى.

وفى مسلم: ۱/۱۵۰

عن أبى هريره قال: قال رسول الله (ص): ترد علىَّ أمتى الحوض وأنا أذود الناس عنه.قالوا يا نبى الله أتعرفنا؟

قال: نعم تردون علىَّ غراً محجلين من آثار الوضوء. وليصد عنى طائفةٌ منكم فلا يصلون، فأقول يارب هؤلاء من أصحابى؟! فيجيبنى ملكٌ فيقول: وهل تدرى ما أحدثوا بعدك؟!!

وفی مسلم: ۷/۷۰

عن أبی هریره أن النبی (ص) قال: لاذودن عن حوضی رجالاً کما تـذاد الغریبـة من الإبل. ورواه أحمد فی: ۲/۲۹۸، ورواه فی المسند الجامع–تحقیق د. عواد: ۳/۳۴۳ و۵/۱۳۵ و۱۸ /۴۷۱، والبیهقی فی البعث والنشور/۱۲۵، ومجمع الزوائد: ۱۰/۶۶۵

وروی مسلم: ۲/۳۶۹، وأحمد: ۵/۳۹۰: عن عمار بن یاسر قال: أخبرنی حذیفة عن النبی (ص) قال: فی أصحابی اثنا عشر منافقاً، منهم ثمانیةٌ لا یدخلون الجنة حتی یلج الجمل فی سم الخیاط! انتهی.

وقد اهتم ابن حجر بحکم أحواض الإبل التی فی الحدیث فقال فی فتح الباری: ۵/۳۳: وقوله لأذودن.. أی لاطردن، ومناسبته الترجمة من ذکره (ص) أن صاحب الحوض یطرد إبل غیره عن حوضه، ولم ینکر ذلک، فیدل علی الجواز. انتهی.

وروی ابن أبی شیبة فی المصنف: ۱۵/۱۰۹

عن حذیفة قال: المنافقون الذین فیکم الیوم شرٌ من المنافقین الذین کانوا علی عهد رسول الله(ص)!

قال الراوی هو شقیق، قلت: یا أبا عبد الله وکیف ذاک؟!

قال: إن أولئک کانوا یسرون نفاقهم، وإن هؤلاء أعلنوه!!

وقال المفید فی الافصاح/۵۰

وقال علیه السلام: أیها الناس، بینا أنا علی الحوض إذ مُر بکم زمراً، فتفرق بکم الطرق فأنادیکم: ألا هلموا إلی الطریق، فینادینی مناد من ورائی: إنهم بدلوا بعدک، فأقول: ألا سحقاً، ألا سحقاً [۱] .

وقال علیه السلام: ما بال أقوام یقولون: إن رحم رسول الله صلی الله علیه وآله لا تنفع یوم القیامة، بلی والله إن رحمی لموصولةٌ فی الدنیا والآخرة، وإنی أیها الناس فرطکم علی الحوض، فإذا جئتم قال الرجل منکم یارسول الله أنا فلانٌ بن فلان، وقال الآخر: أنا فلانٌ بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفته، ولکنکم أحدثتم بعدی فارتددتم القهقری [۲] .

وقال علیه السلام، وقد ذکر عنده الدجال:

أنا لفتنة بعضکم أخوف منی لفتنة الدجال [۳] .

وقال علیه السلام: إن من أصحابی من لا یرانی بعد أن یفارقنی [۴] .

فی أحادیث من هذا الجنس یطول شرحها، وأمرها فی الکتب عند أصحاب الحدیث أشهر من أن یحتاج فیه إلی برهان.

علی أن کتاب الله عز وجل شاهد بما ذکرناه، ولو لم یأت حدیث فیه لکفی فی بیان ما وصفناه.

قال الله سبحانه وتعالی: وما محمدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم علی أعقابکم؟! ومن ینقلب علی عقبیه فلن یضر الله شیئاً وسیجزی الله الشاکرین.

فأخبر تعالی عن ردتهم بعد نبیه صلی الله علیه وآله علی القطع والثبات!

وفی فردوس الأخبار: ۳/۴۴۴

عن أنس بن مالک عن النبی (ص) قال: لیرفعن أناسٌ من أصحابی وأنا علی الحوض، فإذا عاینونی عرفتهم وأنا علی الحوض، قد ذبلت شفاههم فاختلجوا دونی.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله: من أحب علیاً وأطاعه فی دار الدنیا ورد علی حوضی غداً، وکان معی فی درجتی فی الجنة.

ومن أبغض علیاً فی دار الدنیا وعصاه، لم أره ولم یرنی یوم القیامة، واختلج دونی وأخذ به ذات الشمال إلی النار. انتهی.

[۱] مسند أحمد ۶: ۲۹۷، ومسند أبی یعلی: ۱۱/۳۸۷.

[۲] مسند أحمد ۳: ۱۸ و ۶۲ قطعة منه.

[۳] کنز العمال: ۱۴/۳۲۲/۲۸۸۱۲.

[۴] مسند أحمد: ۶/۳۰۷.

اسس تدوين أحاديث القيامة عند علماء الخلافة

ونصل من أحاديث الحوض إلى قضية أوسع تتعلق بموضوعنا، وهى أحاديث مقام النبى صلى الله عليه وآله يوم القيامة..

فإن المتأمل فيها فى مصادر إخواننا السنيين يصل إلى قناعة بأن أحاديثها كانت تتضمن أن أهل بيته معه فى المحشر والجنة، بدليل بقاء ذكرهم وتسميتهم فى عدد منها! وأنها كانت تتضمن بيان المصير الأسود لأكثر الصحابة!

وقد رأيت أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا من الأحاديث التى تنص على أنه لا يرد منهم الحوض ولا ينجو إلا مثل همل النعم!

وهمل النعم هى النعاج المفردة الخارجة عن القطيع! وهو يعنى أن أكثرية قطيع الصحابة لا ينجوا!!

وبهذا نعرف الصعوبة فى المهمة التى عهدت بهاالخلافة القرشية إلى علماء الحديث، أو تبرعوا هم بها، بتدوين صحاح ترضى عنها وتتبنى نشرها!!

فلا بد أنهم وقفوا طويلًا أمام مشكلة تدوين أحاديث القيامة والآخرة، لأنها تعطى أهل البيت مقاماً إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله.. ولأنها تذم الصحابة وتخبر عن هلاك أكثرهم!!

ولا شك أن الذين ألفوا بعد مالك بن أنس واجهوا نفس مشكلته، وخافوا أن يقعوا فى نفس (مزلق) التشيع الذى وقع فيه!!

لذا رأوا أنهم مجبرون على إتباع الأسس التالية:

أولاً: أن يختاروا الأحاديث التى ليس فيها ذكر لأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وهى قليلة جداً جداً!

ثانياً: أن يجردوا الأحاديث من ذكر مقام أهل البيت النبوى مهما أمكن!

ثالثاً: أن يستبدلوا أسماء أهل البيت والكلمات التى استعملها النبى صلى الله عليه وآله فى التعبير عنهم بكلمات عن الأمة والصحابة.

رابعاً: أن يتحاشوا الأحاديث التى فيها ذم الصحابة، أو يحذفوا منها الذم أو يوجهوه إلى آخرين.

خامساً: أن يدونوا الأحاديث الموضوعة فى فضل الصحابة، خاصة الخلفاء الثلاثة، لكى تقابل الأحاديث فى فضائل أهل البيت النبوى!!

وتفصيل هذا الموضوع يخرجنا عن بحثنا، فنكتفى بذكر نماذج صغيرة:

فقد روى الخطيب فى تاريخ بغداد ۹/۴۵۳

عن ابن عباس قال: سمعت النبى(ص)وهو آخذٌ بيد على يقول: هذا أول من يصافحنى يوم القيامة.

وفى الإستيعاب: ۴/۱۶۹

عن أبى ليلى الغفارى قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: ستكون بعدى فتنة فإذا كان ذلك فالزموا على بن أبى طالب فإنه أول من يرانى، وأول من يصافحنى يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين.

ورواه ابن حجر فى الإصابة: ۴/۱۷۰، وضعفه بدون حجة، وكذا فعل ابن كثير فى البداية: ۷/۳۴۸.

وفى سنن ابن ماجه: ۱/۴۴

عن عباد بن عبد الله قال: قال على(رض): أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدى إلا كذاب! صليت قبل الناس سبع سنين. هذا حديث صحيح.

ورواه العزيزى فى السراج المنير: ۲/۴۰۲، وقال البوصيرى فى الزوائد: صحيحٌ على شرط الشيخين، وتكلم فيه بعضهم لأجل عباد، لكن تابعته عليه معاذة العدوية.

وفى كنز العمال: ۱۱/۶۱۶

إن هذا أول من آمن بی، وأول من یصافحنی یوم القیامهٔ، وهذا الصدیق الأکبر، وهذا فاروق هذه الأمهٔ، یفرق بین الحق والباطل، وهذا یعسوب المؤمنین والمال یعسوب الظالمین – قاله لعلی. (الطبرانی عن سلمان وأبی ذر معاً، والبیهقی، وابن سعد، عن حذیفهٔ. انتهی.

وقال فی هامشه: أورده الهیثمی فی مجمع الزوائد (۹/۱۰۲) وقال رواه الطبرانی والبزار، وفیه عمر بن سعید المصری وهو ضعیف. انتهی.

وکلام هذا المهمش لیس دقیقاً، لأن روایهٔ کنز العمال عن ثلاثهٔ: سلمان وأبی ذر وحذیفهٔ. وروایهٔ الطبرانی والبزار التی ضعفها الهیثمی بعمر بن سعید المصری إنما هی عن أبی ذر وحده، وبالتالی فهو لم یضعف روایهٔ سلمان وأبی ذر معاً، ولا روایهٔ حذیفهٔ التی نقلها صاحب کنز العمال عن البیهقی، وعن طبقات ابن سعد!

والیک ما قاله فی مجمع الزوائد: ۹/۱۰۲:

وعن أبی ذر وسلمان قالا: أخذ النبی(ص)بید علی فقال:إن هذا أول من آمن بی، وهذا أول من یصافحنی یوم القیامهٔ، وهذا الصدیق الأکبر، وهذا فاروق هذه الأمهٔ، یفرق بین الحق والباطل، وهذا یعسوب المؤمنین والمال یعسوب الظالمین.

رواه الطبرانی والبزار عن أبی ذر وحده وقال فیه: أنت أول من آمن بی، وقال فیه: والمال یعسوب الکفار. وفیه عمرو بن سعید المصری وهو ضعیف. انتهی.

ومهما یکن، فإن بعض طرق الحدیث صحیحهٌ علی مبانیهم بدون حاجهٔ إلی شواهد، وبعضها صحیحهٌ بشواهدها. ولکنهم لا یبحثون أسانیده وأسانید شواهده، ویضعفونه ویحکمون علیه بأنه منکر، لأنه یتضمن شهادهٔ من النبی صلی الله علیه وآله بصفات مهمهٔ لعلی علیه السلام، وهی أمر منکر یضر بالخلافهٔ القرشیهٔ!!

بل الأحوط عند بعض علماء الخلافهٔ أن یعارضوه بأحادیث تشهد بأن الصفات التی وردت فیه قد ثبتت لخلفاء قریش، ولیس لعلی!!

ونترک لقب الصدیق والفاروق فعلاً، ونذکر ما رووه حول: أول من تنشق عنه الأرض مع النبی فی یوم المحشر، وأول من یصافح النبی صلی الله علیه وآله، لأنهما من صلب موضوعنا.

أما الأول:

فقد روی الحاکم فی المستدرک: ۲/۴۶۵، وصححه:عن ابن عمر رضی الله عنهما قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله: أنا أول من تنشق الأرض عنه، ثم أبو بکر، ثم عمر، ثم آتی أهل البقیع فیحشرون معی، ثم أنتظر أهل مکهٔ!!

وتلا عبد الله بن عمر: یوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلک حشر علینا یسیر!

ورواه أیضاً فی: ۳/۶۸، وصححه.ورواه فی کنز العمال: ۱۱/۴۰۳

وروی نحوه فی/۴۲۶ و۴۳۳ (عن الترمذی، وحسنه، وأبی عروبهٔ فی الاوائل، والطبرانی الکبیر، وابن عساکر، وأبی نعیم فی فضائل الصحابهٔ، عن ابن عمر. وبآخر عن ابن عساکر، عن أبی هریرهٔ. انتهی.

وتلاحظ فی هذه الأحادیث أنها تعطی الأولیهٔ فی الحشر ودخول الجنهٔ لأبی بکر وعمر، ثم لأهل البقیع، ثم للقرشیین فی مکهٔ!

کما یوجد عندهم حدیث آخر یمیلون إلی قبوله، رواه فی کنز العمال: ۱۳/۲۳۳ عن علی! قال قال رسول الله (ص):

أنا أول من تنشق الأرض عنه ولا فخر، فیعطینی الله من الکرامهٔ ما لم یعطنیمن قبل. ثم ینادی مناد: یا محمد قرب الخلفاء، فأقول: ومن الخلفاء؟!

فیقول جل جلاله: عبد الله أبو بکر الصدیق، فأول من تنشق الأرض عنه بعدی أبو بکر، ویقف بین یدی الله فیحاسب حساباً یسیراً، ویکسی حلتین خضراوین، ثم یوقف أمام العرش. ثم ینادی مناد: أین عمر بن الخطاب؟ فیجئ وأوداجه تشخب دماً فأقول: عمر! من فعل هذا بک!؟ فیقول: مولی المغیرهٔ بن شعبهٔ، فیوقف بین یدی الله فیحاسب حساباً یسیراً، ثم یکسی حلتین خضراوین، ثم یوقف أمام العرش. ثم یؤتی بعثمان بن عفان وأوداجه تشخب دماً، فأقول: عثمان! من فعل بک هذا!؟ فیقول: فلانٌ وفلان، فیوقف بین یدی الله

فيحاسب حساباً يسيراً، ثم يكسى حلتين خضراوين، ثم يوقف أمام العرش.

ثم يؤتى بعلي وأوداجه تشخب دماً فأقول: علي! من فعل بك هذا؟!

فيقول: عبد الرحمن بن ملجم، فيوقف بين يدى الله فيحاسب حساباً يسيراً، ثم يكسى حلتين خضراوين، ثم يوقف أمام العرش مع أصحابه.

الزوزنى، وفيه على بن صالح، قال الذهبى: لا يعرف، وله خبرٌ باطل، وقال فى اللسان ذكره ابن حبان فى الثقات وقال: روى عنه أهل العراق، مستقيم الحديث. انتهى.

وهكذا عالج رواة الخلافة أولية على التى رواها عن النبى صلى الله عليه وآله! فوضعوا حديثاً على لسان على نفسه! يجعل الأولية لخلفاء قريش بالترتيب، ويجعل علياً الرابع!!

وإذا كلمتهم فى السند تراهم يعرضون عن بحث أسانيد الأحاديث التى فيها فضائل على، ويعملون المستحيل لتصحيح الأحاديث التى فيها فضائل غيره، ويمدح ابن حبان واضع الحديث بأنه مستقيم الحديث، أى أن أحاديثه فى مدح الخلفاء والأمراء وعمالهم!

وأما حديث أن أول من يصافحه النبى يوم القيامة على.. فقد وجدوا له معالجة أخرى، فإذا كان على أول شخص يستقبله الرسول صلى الله عليه وآله ويصافحه يوم القيامة، فإن عمر أول شخص يستقبله الله تعالى يوم القيامة ويصافحه!! ويرحب به، ويدخله الجنة!!

فقد روى ابن ماجة فى صحيحه: ۱/۳۹

حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحى، أنبأنا داود بن عطاء المدينى، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبى بن كعب، قال: قال رسول الله (ص): أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة.

ورواه فى كنز العمال: ۱/۵۷۸ – هـ ك – عن أبى. انتهى.

وقد جاءت روايتهم فاقعةً إلى حد أن الذهبى الذى يحب التجسيم ويحب عمر، لم يستطع الدفاع عنها!

وكذلك الألبانى، حيث ضعفها على مضض فى ضعيفته برقم ۲۲۴۸۵.

نتيجة كلية

والنتيجة الأكيدة عند المتأمل فى هذه الأحاديث من مصادر الفريقين:

أن علياً وأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله لهم دورٌ كبير فى الشفاعة مع النبى يوم القيامة.. بل إن كل مؤمن مقبول له شفاعة يوم القيامة بحسبه، ولما كان أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله سادة المؤمنين، فشفاعتهم أكبر وأعظم.

أما الصحابة فتدل أحاديث القيامة على أن أكثرهم يكونون مشغولين إلى آخر نفس فى معالجة مشكلتهم وتخليص أنفسهم!!

احاديث أن عليا هو الساقى على الحوض والذائد عنه

تقدم فى الفصل الخامس عشر تحت عنوان: على ميزان الإسلام والكفر، حديث الإمام الحسن السبط عليه السلام، وقد صححه الحاكم وغيره، وفيه:

(فقال له الحسن: أما والله لئن وردت عليه الحوض، وما أراك ترده، لتجدنه مشمر الإزار على ساق، يذود عنه رايات المنافقين ذود غريبة الإبل! قول الصادق المصدوق، وقد خاب من افترى).

كما تقدمت بعض أحاديثه فى حمل لواء المحشر عن أحمد وغيره.

وفى مناقب الصحابة لاحمد/۶۶۷

وفيما كتب إلينا (عبد الله بن غنام) يذكر أن عباد بن يعقوب حدثهم، نا على بن عابس، عن عبد الله عن أبى حرب بن أبى الأسود

الدئلی، قال اشتکی أبو الأسود الفالج فنعت له ثعلب فطلبناها فی خرب البصرة، فبینا أنا أطوف إذا أنا برجل یصلی فأشار إلی فأتیته فقال: من أنت؟ فقلت أبو حرب بن أبی الأسود، فقال: أقرئ أباک السلام وقل له عبد الله بن فلان یقرأ علیک السلام ویقول لک: أشهد أنی سمعت علیاً یقول: لاذودن بیدی هاتین القصیرتین عن حوض رسول الله رایات الکفار والمنافقین، کما تذاد غریبة الابل عن حیاضها. انتهی.

وفی تاریخ المدینة لابن شبة: ۱/۳۷

حدثنا محمد بن بکار قال، حدثنا أبو معشر، عن حرام بن عثمان (عن أبی) عتیق، عن جابر بن عبدالله رضی الله عنهما قال: أخرج رسول الله(ص)أناساً من المسجد وقال: لا ترقدوا فی مسجدی هذا. قال: فخرج الناس، وخرج علی (رض)، فقال: لعلی (رض) إرجع فقد أحل لک فیه ما أحل لی، کأنی بک تذودهم علی الحوض، وفی یدک عصا عوسج.

وفی مجمع الزوائد: ۹/۱۷۳

وعن أبی هریرة أن علی بن أبی طالب (رض) قال: یا رسول الله، أیما أحب الیک أنا أم فاطمة؟

قال: فاطمة أحب إلیَّ منک، وأنت أعز علیَّ منها. وکأنی بک وأنت علی حوضی تذود عنه الناس، وإن علیه لأباریق مثل عدد نجوم السماء، وإنی وأنت والحسن والحسین وفاطمة وعقیل وجعفر فی الجنة، إخواناً علی سرر متقابلین، أنت معی وشیعتک فی الجنة. ثم قرأ رسول الله (ص): إخواناً علی سرر متقابلین، لا ینظر أحد فی قفا صاحبه.

رواه الطبرانی فی الأوسط، وفیه سلمی بن عقبة ولم أعرفه، وبقیة رجاله ثقات. ورواه فی تفسیر المیزان: ۱۲/۱۷۶، عن تفسیر البرهان عن الحافظ أبی نعیم عن رجاله عن أبی هریرة..

وفی مجمع الزوائد: ۹/۱۳۵

عن أبی سعید قال قال رسول الله (ص): یا علی معک یوم القیامة عصا من عصی الجنة تذود بها المنافقین عن حوضی. رواه الطبرانی فی الأوسط وفیه سلام بسلیمان المداینی وزید العمی، وهما ضعیفان وقد وثقا، وبقیة رجالهما ثقات.

وعن عبد الله بن إجاره بن قیس قال: سمعت أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب وهو علی المنبر یقول: أنا أذود عن حوض رسول الله(ص)بیدی هاتین القصیرتین الکفار والمنافقین کما تذود السقاة غریبة الإبل عن حیاضهم. رواه الطبرانی فی الأوسط، وفیه محمد ابن قدامة الجوهری، وهو ضعیف.

وعن علی بن أبی طالب قال قال لی رسول الله (ص): ألا ترضی یا علی إذا جمع الله النبیین فی صعید واحد، حفاة عراة مشاة قد قطع أعناقهم العطش فکان أول من یُدعی ابراهیم فیکسی ثوبین أبیضین، ثم یقوم عن یمین العرش، ثم یفجر مثعب من الجنة إلی حوضی، وحوضی أبعد مما بین بصری وصنعاء، فیه عدد نجوم السماء قدحان من فضة، فأشرب وأتوضأ وأکسی ثوبین أبیضین، ثم أقوم عن یمین العرش، ثم تدعی فتشرب وتتوضأ وتکسی ثوبین أبیضین، فتقوم معی، ولا أدعی إلی خیر إلا دعیت له.

رواه الطبرانی فی الأوسط، وفیه عمران بن میثم، وهو کذاب.

وفی مجمع الزوائد: ۱۰/۳۶۶

وعن أبی هریرة وجابر بن عبد الله قالا: قال رسول الله (ص): علی بن أبی طالب صاحب حوضی یوم القیامة، فیه أکوابٌ کعدد نجوم السماء، وسعة حوضی ما بین الجابیة إلی صنعاء. رواه الطبرانی فی الأوسط، وفیه ضعفاء وثقوا.

وفی الغدیر:۱/۳۲۱: (أخرج الطبرانی بإسناد رجاله ثقات عن أبی سعید الخدری قال: قال النبی (ص): یا علی معک یوم القیامة عصا من عصی الجنة، تذود بها المنافقین عن الحوض. (الذخایر/۹۱، الریاض: ۲/۲۱۱، مجمع الزوائد: ۹/۱۳۵، الصواعق/۱۰۴. انتهی. وهو فی الطبرانی الصغیر: ۲/۸۹، وفردوس الأخبار: ۵ /۳۱۷/۴۰۸، وفی طبعة أخری من الصواعق/۱۷۴

وفی تاریخ دمشق لابن عساکر: ۱/۲۶۵:

أخبرنا أبو الحسن السلمی، أنبأنا عبد العزیز التمیمی، أنبأنا علی بن موسی ابن الحسین، أنبأنا أبو سلیمان بن زیر، أنبأنا محمد بن یوسف الهروی، أنبأنا محمد بن النعمان بن بشیر، أنبأنا أحمد بن الحسین بن جعفر الهاشمی اللهبی، حدثنی عبد العزیز بن محمد، عن حرام بن عثمان، عن عبد الرحمن ومحمد ابنی جابر بن عبد الله عن أبیهما جابر بن عبد الله الأنصاری قال:

جاءنا رسول الله(ص)ونحن مضطجعون فی المسجد، وفی یده عسیب رطب فضربنا، وقال: أترقدون فی المسجد، إنه لا یرقد فیه أحد. فأجفلنا وأجفل معنا علی بن أبی طالب، فقال رسول الله (ص):یا علی إنه یحل لک فی المسجد ما یحل لی، یاعلی ألا ترضی أن تکون منی بمنزلة هارون من موسی إلا النبوة.

والذی نفسی بیده إنک لتذودن عن حوضی یوم القیامة رجالاً کما یذاد البعیر الضال عن الماء بعصی من عوسج، کأنی أنظر مقامک من حوضی.

قال (و) أخبرناه عالیا أبو المظفر بن القشیری وأبو القاسم الشحامی قالا: أنبأنا محمد بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو سعید محمد بن بشر، أنبأنا محمد بن ادریس، أنبأنا سوید بن سعد، أنبأنا حفص بن میسرة، عن حزام بن عثمان، عن ابن جابر – أراه عن جابر – قال: جاء رسول الله(ص)ونحن مضطجعون فی المسجد، فضربنا بعصف فی یده فقال: أترقدون فی المسجد إنه لا یرقد فیه.

فأجفلنا فأجفل علی، فقال رسول الله (ص): تعال یا علی إنه یحل لک فی المسجد ما یحل لی، أما ترضی أن تکون منی بمنزلة هارون من موسی إلا النبوة، والذی نفسی بیده إنک لذواد عن حوضی یوم القیامة، تذود کما یذاد البعیر الضال عن الماء بعصی لک من عوسج، کأنی أنظر إلی مقامک من حوضی. انتهی. ونقله عنه فی إحقاق الحق: ۱۷/۳۷۴، ورواه الخوارزمی فی مناقبه/۶۵

وفی الروض الأنف: ۲/۱۴۶:من طریق جابر بن عبد الله أن رسول الله (ص) قال لعلی: والذی نفسی بیده إنک لذائد عن حوضی یوم القیامة، تذود عنه کفار الأمم کما تذاد الإبل الضالة عن الماء.

وقال السهیلی: إلا أن هذا الحدیث یرویه حرام بن عثمان عن جابر عن النبی. وقد سئل مالک عنه فقال: لیس بثقة، وأغلظ فیه الشافعی. انتهی.

وکذلک ضعفه فی تهذیب التهذیب: ۴/۲۸۳.

ولا بد أن مالکاً سئل عنه، بعد أن ندم علی تدوین حدیث الحوض فی موطئه!

وسواء صح ما نقلوه عن الشافعی فی راوی الحدیث حرام بن عثمان أم لا، فإن الذین ضعفوا هذا الحدیث قد تعصبوا ضد أهل البیت، ودلسوا أیضاً!

ذلک أن القاعدة عند العلماء: أنهم إذا ضعفوا طریقاً لحدیث مروی من طرق أخری صحیحة، أن ینبهوا إلی ذلک، ویذکروا أن له طرقاً أخری لیس فیها حرام! خاصة أنه حدیثٌ مشهورٌ من روایة أهل البیت واحتجاجاتهم من زمن علی والحسنین (علیهم السلام)، وکذلک فی احتجاج شیعتهم ومحاوراتهم من القرن الأول نثراً وشعراً.

وقد نقلته مصادر السنیین بأسانید صحیحة عن علی، وعن الحسن السبط (علیهم السلام)، وقد تقدم فی الفصل الخامس عشر تحت عنوان: علی علیه السلام میزان الإسلام والکفر والإیمان والنفاق، فراجع.

وکذا روته مصادرهم فیما روت من خطب الإمام الحسین علیه السلام ومحاوراته لجیش یزید فی کربلاء..

ولذلک یعتبر علماء الجرح والتعدیل مثل هذا العمل تدلیساً، یقصد منه إیهام القارئ بضعف متن هذا الحدیث وأسانیده الأخری!!

وأخیراً، فقد روت مصادر السنیین حدیثاً غیر مفهوم، ورد فیه أن النبی صلی الله علیه وآله یذود عن الحوض لأهل الیمن! ففی المسند الجامع – تحقیق الدکتور عواد: ۳/۳۴۳ – ح ۲۰۶۲ – ۴۸: عن ثوبان، أن نبی الله(ص)قال: إنی لبعقر حوضی أذود الناس لأهل الیمن أضرب بعصای حتی یرفض علیهم. فسئل عن عرضه؟ فقال: من مقامی إلی عمان.

وسئل عن شرابه؟ فقال: أشد بیاضاً من اللبن، وأحلی من العسل، یغث فیه میزابان یحدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من

ورق. انتهى.

وقد وجدنا حديثاً صححه في مجمع الزوائد، وهو يعطى ضوءا على هذا الحديث المبهم، ويدل على أنه نصه كان يرتبط بأهل البيت (عليهم السلام)، فصار لأهل اليمن!!

قال في مجمع الزوائد: ١٠/٣٦٦: وعن ثوبان قال قال رسول الله (ص): حوضي أذود عنه الناس لأهل بيتي إني لأضربهم بعصاي هذه حتى ترفض.

قلت: فذكر الحديث وهو في الصحيح غير قوله (لأهل بيتي).

رواه البزار بإسنادين، ورجال أحدهما رجال الصحيح. انتهى.

ومعنى ذلك أن إحدى روايتي البزاز التي فيها (لأهل بيتي) صحيحة، ولعل أصل الحديث أذود عنه أنا وأهل بيتي، أو أذود من خالف أهل بيتي..

من أحاديث الحوض في مصادرنا

أما مصادرنا فلا مشكلة لها مع أحاديث حوض الكوثر ولا مع غيرها، لذلك تجد أحاديثه صحيحة ومتواترة في مصادرنا، وهي من حججنا على إمامة أهل البيت النبوي الطاهرين (عليهم السلام)..

قال الصدوق في كتاب الإعتقادات/٤٣

إعتقادنا في الحوض: أنه حق، وأن عرضه مابين أيلة وصنعاء، وهو للنبي صلى الله عليه وآله. الساقي عليه يوم القيامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، يسقى منه أولياءه ويذود عنه أعداءه، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: ليختلجن قوم من أصحابي دوني وأنا على الحوض، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأنادي ياربي أصحابي أصحابي، فيقال لي: إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك!

وروى في كتاب الخصال/٦٢٤، عن علي عليه السلام:

أنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعي عترتي وسبطي على الحوض، فمن أرادنا فليأخذ بقولنا وليعمل عملنا، فإن لكل أهل بيت نجيب ولنا شفاعة، ولأهل مودتنا شفاعة، فتنافسوا في لقائنا على الحوض، فإنا نذود عنه أعداءنا ونسقى منه أحباءنا وأولياءنا، ومن شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدا.

حوضنا مترعٌ فيه مثعبان ينصبان من الجنة أحدهما من تسنيم، والآخر من معين، على حافتيه الزعفران، وحصاه اللؤلؤ والياقوت، وهو الكوثر.

ورواه في تفسير فرات الكوفي/٣٦٦، وتفسير نور الثقلين: ٥/٥١١

وفي تفسير فرات /١٧٢، من رواية يخبر بها النبي ابنته الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بما سيحدث لها ولاولادها من بعده، ويعلمها الصبر على أمر الله تعالى، قال:

يا فاطمة بنت محمد... أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة.

أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقى منه أولياءه، ويذود عنه أعداءه.

أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار، يأمر النار فتطيعه يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء.

أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك والى ما تأمرين به، وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله!

فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك؟!!

وقد أوردنا فی معجم أحادیث الإمام المهدی: ۳ /۱۵۳

عن تفسیر العیاشی: ۱/۱۴، والکافی: ۱ /۶۲:

عن علی بن إبراهیم بن هاشم، عن أبیه، عن حماد بن عیسی، عن إبراهیم بن عمر الیمانی، عن أبان بن أبی عیاش، عن سلیم بن قیس الهلالی، قال قلت لأمیر المؤمنین علیه السلام: إنی سمعت من سلمان والمقداد وأبی ذر شیئاً من تفسیر القرآن وأحادیث عن نبی الله صلی الله علیه وآله غیر ما فی أیدی الناس، ثم سمعت منک تصدیق ما سمعت منهم، ورأیت فی أیدی الناس أشیاء کثیرة من تفسیر القرآن ومن الأحادیث عن نبی الله صلی الله علیه وآله أنتم تخالفونهم فیها، وتزعمون أن ذلک کله باطل، أفتری الناس یکذبون علی رسول الله صلی الله علیه وآله متعمدین؟ ویفسرون القرآن بآرائهم؟

قال: فأقبل علیَّ فقال: قد سألت فافهم الجواب.

إن فی أیدی الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وکذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحکماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد کذب علی رسول الله صلی الله علیه وآله علی عهده حتی قام خطیباً فقال: أیها الناس قد کثرت علی الکذابة، فمن کذب علیَّ متعمداً فلیتبوء مقعده من النار! ثم کذب علیه من بعده!

وإنما أتاکم الحدیث من أربعة لیس لهم خامس:

رجلٌ منافقٌ یظهر الإیمان، متصنع بالإسلام لا یتأثم ولا یتحرج أن یکذب علی رسول الله صلی الله علیه وآله متعمداً، فلو علم الناس أنه منافقٌ کذاب، لم یقبلوا منه ولم یصدقوه، ولکنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله صلی الله علیه وآله ورآه وسمع منه، وأخذوا عنه، وهم لاـ یعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقین بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال عز وجل: وَإِذَا رَأَیْتَهُمْ تُعْجِبُکَ أَجْسَامُهُمْ، وإن یقولوا تسمع لقولهم.

ثم بقوا بعده فتقربوا إلی أئمة الضلالة والدعاة إلی النار بالزور والکذب والبهتان فولوهم الأعمال، وحملوهم علی رقاب الناس، وأکلوا بهم الدنیا!

وإنما الناس مع الملوک والدنیا إلا من عصم الله، فهذا أحد الأربعة.

ورجلٌ سمع من رسول الله شیئاً لم یحمله علی وجهه ووهم فیه، ولم یتعمد کذباً فهو فی یده، یقول به ویعمل به ویرویه فیقول: أنا سمعته من رسول الله صلی الله علیه وآله فلو علم المسلمون أنه وهم لم یقبلوه ولو علم هو أنه وهم لرفضه.

ورجلٌ ثالثٌ سمع من رسول الله صلی الله علیه وآله شیئاً أمر به ثم نهی عنه وهو لا یعلم، أو سمعه ینهی عن شئ ثم أمر به وهو لا یعلم، فحفظ منسوخه ولم یحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه، ولم علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخرُ رابعٌ لم یکذب علی رسول الله صلی الله علیه وآله، مبغض للکذب خوفاً من الله وتعظیماً لرسول الله صلی الله علیه وآله، لم ینسه، بل حفظ ما سمع علی وجهه فجاء به کما سمع لم یزد فیه ولم ینقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن أمر النبی صلی الله علیه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ[وخاص وعام]ومحکم ومتشابه قد کان یکون من رسول الله صلی الله علیه وآله الکلام له وجهان: کلامٌ عام وکلامٌ خاص، مثل القرآن، وقال الله عز وجل فی کتابه: وَمَا آتَاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا.

فیشتبه علی من لم یعرف ولم یدر ما عنی الله به ورسوله صلی الله علیه وآله. ولیس کل أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله کان یسأله عن الشئ فیفهم! وکان منهم من یسأله ولا یستفهمه حتی أن کانوا لیحبون أن یجیئ الأعرابی والطارئ فیسأل رسول الله صلی الله علیه وآله حتی یسمعوا.

وقد کنت أدخل علی رسول الله صلی الله علیه وآله کل یوم دخلةً وکل لیلة دخلةً فیخلینی فیها أدور معه حیث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله أنه لم یصنع ذلک بأحد من الناس غیری، فربما کان فی بیتی یأتینی رسول الله صلی الله علیه وآله أکثر

ذلـک فی بیتی، وکنت إذا دخلت علیه بعض منـازله أخلانی وأقام عنی نسائه، فلا یبقی عنـده غیری، وإذا أتانی للخلوة معی فی منزلی لم تقم عنی فاطمة، ولا أحدٌ من بنیَّ، وکنت إذا سألته أجابنی، وإذا سـکت عنه وفنیت مسائلی ابتدأنی، فما نزلت علی رسول الله صـلی الله علیـه وآلـه آیـة من القرآن إلا ـ أقرأنیهـا وأملاهـا علی فکتبتهـا بخطی، وعلمنی تأویلهـا وتفسیرها وناسـخها ومنسوخهـا، ومحکمها ومتشابهها، وخاصـها وعامها، ودعا الله أن یعطینی فهمها وحفظها، فما نسیت آیةً من کتاب الله ولا علماً أملاه علی وکتبته، منذ دعا الله لی بمـا دعـا، ومـا ترک شـیئاً علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهی کان أو یکون ولا کتاب منزل علی أحـد قبله من طاعـة أو معصیة إلا ـ علمنیه وحفظته، فلم أنس حرفـاً واحـداً، ثم وضع یـده علی صـدری ودعـا الله لی أن یملأ ـ قلبی علماً وفهماً وحکماً ونوراً، فقلت: یا نبی الله بأبی أنت وأمی منذ دعوت الله لی بما دعوت لم أنس شیئاً ولم یفتنی شئ لم أکتبه، أفتتخوف علی النسیان فیما بعد؟

فقال: لا، لست أتخوف علیک النسیان والجهل. وقد أخبرنی ربی أنه قد استجاب لی فیک، وفی شرکائک الذین یکونون من بعدک.

فقلت: یا رسول الله ومن شرکائی من بعدی؟

قال: الذین قرنهم الله بنفسه وبی.

فقال: الأوصیاء منی إلی أن یردوا علی الحوض، کلهم هاد مهتـد لا یضـرهم من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم، لا یفارقهم ولا یفارقونه، بهم تنصر أمتی وبهم یمطرون، وبهم یدفع عنهم، وبهم استجاب دعاءهم.

فقلت: یا رسول الله سـمهم لی فقال: ابنی هـذا، ووضع یـده علی رأس الحسن، ثم ابنی هـذا ووضع یـده علی رأس الحسـین، ثم ابنٌ له یقال له علی، وسیولد فی حیاتک فاقرأه منی السلام، ثم تکملة اثنی عشر من ولد محمد.

فقلت له: بأبی أنت وأمی فسـمهم لی، فسـماهم رجلًا رجلًا فیهم والله یا أخا بنی هلال مهدی أمة محمد صلی الله علیه وآله الذی یملأ الأرض قسطاً وعدلًا کما ملئت جوراً وظلماً، والله إنی لاعرف من یبایعه بین الرکن والمقام، وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم!! انتهی.

ویوجد قسم منه فی نهج البلاغة-شـرح صبحی الصالح، خطبة ۲۱۰، وشرح محمد عبده:/۲۱۴. وروی ابن الجوزی قسماً منه فی تذکرة الخواص /۱۴۳، مرسـلًا عن کمیـل بن زیـاد. ورواه النعمانی/۷۵، والطبری الشـیعی فی المسترشـد /۲۹، والصـدوق فی کمال الـدین: ۱ /۲۸۴، والخصال: ۱ /۲۵۵، والحرانی فی تحف العقول/۱۹۳، والطبرسی فی الاحتجاج: ۱ /۲۶۴، وابن میثم البحرانی فی شـرح النهج: ۴ /۱۹، والعاملی فی إثبات الهداة:۱ /۶۶۴، والمجلسی فی البحار: ۲ /۲۲۸، و: ۳۶/۲۷۳ و ۲۷۶، و: ۹/۹۸

اهل البیت و شیعتهم علی الحوض

فی مقاتل الطالبیین/ ۴۳

حـدثنی محمد بن الحسین الأشـنانی وعلی بن العباس المقانعی قالا: حدثنا عباد بن یعقوب قال: أخبرنا عمرو بن ثابت، عن الحسن بن حکم، عن عـدی بن ثابت، عن سـفیان بن أبی لیلی، وحـدثنی محمـد بن أحمـد أبو عبید قال: حدثنا الفضل بن الحسن المصـری قال: حـدثنا محمـد بن عمرویه قـال: حـدثنا مکی بن إبراهیم، قال حـدثنا السری بن إسـماعیل، عن الشـعبی، عن سـفیان بن أبی لیلی دخل حـدیث بعضـهم فی حدیث بعض، وأکثر اللفظ لابی عبیدة قال: أتیت الحسن بن علی حین بایع معاویة فوجدته بفناء داره وعنده رهط فقلت:

السلام علیک یا مذل المؤمنین!

فقال علیک السلام یا سفیان، إنزل.

فنزلت فعقلت راحلتی ثم أتیته فجلست إلیه، فقال: کیف قلت یاسفیان؟

فقلت: السلام علیک یا مذل رقاب المؤمنین.

فقال: ما جر هذا منک إلینا؟

فقلت: أنت والله–بأبی أنت وأمی – أذللت رقابنا حین أعطیت هـذا الطاغیـة البیعة وسـلمت الأمر إلی اللعین بن اللعین بن آکلة الاکباد، ومعک مائة ألف کلهم یموت دونک، وقد جمع الله لک أمر الناس.

فقال: یا سـفیان، إنا أهل بیت إذا علمنا الحق تمسـکنا به، وإنی سمعت علیاً یقول سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: لا تذهب اللیالی والأیام حتی یجتمع أمر هذه الأمة علی رجل واسع السرم ضخم البلعوم یأکل ولا یشبع، لا ینظر الله إلیه ولا یموت حتی لا یکون له فی السماء عاذرٌ ولا فی الأرض ناصر، وإنه لمعاویة، وإنی عرفت أن الله بالغ أمره.

ثم أذن المؤذن فقمنا علی حالب یحلب ناقة، فتناول الاناء فشرب قائماً ثم سـقانی، فخرجنا نمشی إلی المسجد، فقال لی: ما جاءنا بک یاسفیان؟

قلت: حبکم والذی بعث محمداً بالهدی ودین الحق.

قال: فأبشر یا سفیان فإنی سمعت علیاً یقول: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله

یقـول: یرد علی الحـوض أهـل بیتـی ومن أحبهم من أمـتی کهـاتین، یعنی السـبابتین، ولو شـئت لقلت هـاتین یعنی السـبابة والوسـطی، إحداهما تفضل علی الأخری.

أبشر یا سفیان فإن الدنیا تسع البر والفاجر، حتی یبعث الله إمام الحق من آل محمد صلی الله علیه وآله.

هـذا لفظ أبی عبیـد وقال (وفی حدیث محمد بن الحسـین وعلی بن العباس بعض هذا الکلام موقوفاً، عن الحسن غیر مرفوع إلی النبی صلی الله علیه وآله، إلا فی ذکر معاویة فقط).

ورواه ابن طاووس فی الملاحم والفتن/۱۰۹، ملخصاً عن الفتن للسلیلی...

ورواه ابن أبی الحدید: ۱۶ /۴۴، عن أبی الفرج بسـندیه بتقدیم وتأخیر، وفی سـنده محمد بن أحمد بن عبید بدل محمد بن أحمد أبو عبید. والبصری بدل المصری. وابن عمرو بدل محمد بن عمرویه، والأشناندانی بدل الأشنانی.

ورواه فی البحار: ۴۴ /۵۹، وفی العوالم: ۱۶ /۱۷۸، عن ابن أبی الحدید بسندیه.

شعر حوض الکوثر فی مصادر الحدیث والأدب

تعتبر مجموعة شـعر الکوثر التی نقلتها مصادر الحدیث والادب، من الأدلة العلمیة المهمة علی صـحة أحادیث أن الساقی علی الحوض والذائد عنه هو علی علیه السلام. وأول شعر نقله الرواة من ذلک رجز أمیر المؤمنین فی حرب صفین:

ففی مناقب آل أبی طالب: ۱/۲۱۹

أنه علیه السلام عندما دعی إلی المبارزة فی صفین قال مرتجزاً:

أنا علیٌّ صاحب الصمصامه وصاحب الحوض لدی القیامة

أخو نبی الله ذی العلامة قد قال إذ عممنی العمامة

أنت أخی ومعدن الکرامه ومن له من بعدی الإمامه. انتهی.

کمـا روت کتب التاریـخ والحـدیث والعقائـد أبیاتـاً للامـام الحسـین علیه السـلام، جاءت ضـمن خطبته التاریخـة فی کربلاء، ذکر فیها الحوض.. کما فی الإحتجاج: ۲ /۲۶ وتفسیر نور الثقلین: ۳/۵۶۵، وغیرهما، منها:

أنا ابن أباة الضیم من آل هاشم کفانی بهذا مفخراً حین أفخر

وجدی رسول الله أکرم من مشی ونحن سراج الله فی الخلق نزهر

ونحن أمان الله للناس کلهم نطول بهذا فی الأنام ونجهر

ونحن ولاة الحوض نسقی محبنا بکأس رسول الله ما لیس ینکر

وشيعتنا في الحشر أكرم شيعة ومبغضنا يـوم القيام،ة يخسر

وفي بشارة المصطفى/١١٢

أبو عبـد الله الحسين بن الحسن الحسيني الجرجاني القاضـي، قـدم علينا من بغداد، قال: حدثني الشـريف أبو محمد الحسن بن أحمد المحمـدي النقيب قال: حـدثنا أحمد بن محمد بن عباس الجوهري قال، حدثنا أحمد بن زياد الهمداني قال: رأيت صبياً صـغيراً يكون سباعياً أو ثمانياً بالمدينة، على ساكنها أفضل السلام، ينشد:

لنحن على الحوض ذواده نذود وتسعـد وراده

وما فاز من فاز إلا بنا وما خاب من حبنا زاده

ومن سرنا نال منا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده

ومن كان ظالمنا حقنا فإن القيامـة ميعـاده

فقلت يا فتى لمن هذه الأبيات؟

فقال: لمنشدها.

فقلت: من الفتى؟

فقال علويٌّ فاطميٌّ، إيهاً عنك. انتهى.

ونسب في رشفة الصادي/١٩٢، هذه الأبيات إلى الإمام محمد الباقر عليه السلام.

وقد ترجم الأميني في الغدير: ٢، لعدد من شعراء الغدير الذين ذكروا الحوض، نذكر بعضهم:

فمن أقدمهم سفيان بن مصعب العبدي الكوفي:

وهو من شـعراء أهل البيت عليهم السلام في القرن الثاني، وقد مدحه الإمام الصادق عليه السلام واستنشده شعره في رثاء الإمام الحسين عليه السلام.. قال العبدي من قصيدة طويلة:

هل في سؤالك رسم المنزل الخرب برءٌ لقلبك من داء الهوى الوصب

أم حره يوم وشك البين يبرده ما استحدثته النوى من دمعك السرب

يا رائد الحي حسب الحي ما ضمنت له المدامع من ماء ومن عشب

لهفي لما استودعت تلك القباب وما حجبن من قضب عنا ومن كثب

لاشرقـن بدمعـي إن نـأت بهـم دارٌ ولم أقض ما في النفس من إرب

ما هز عطفي من شوق إلى وطني ولا اعتراني من وجد ومن طرب

مثل اشتياقي من بعد ومنتزح الى الغري وما فيه من الحسب

يا راكباً جسرةً تطوي مناسمها ملاءة البيد بالتقريـب والجنـب

تثني الريـاح إذا مرت بغايتهـا حسرى الطلائح بالغيطان والخـرب

بلغ سلامي قبراً بالغري حـوى أوفى البرية من عجم ومن عـرب

يا صاحب الكوثر الرقراق زاخره ذود النواصب عن سلساله العذب

قارعت منهم كماة في هـواك بما جردت من خاطر أو مقول ذرب

حتى لقد وسمت كلما جباهم خواطري بمضاء الشعر والخطب

وقال أيضاً في مدح علي عليه السلام:

أنت عين الاله والجنب من فرط فيه يصلى لظى مذموم

أنت فلک النجاة فینا وما زلت صراطاً إلی الهدی مستقیم

وعلیک الورود تسقی من الحو ض ومن شئت ینثنی محروم

وإلیک الجواز تدخل من شئت جناناً ومن تشاء جحیم

وقال الأمینی فی الغدیر: ۲/۲۹۶

فی مقتضب الاثر عن أحمد بن زیاد الهمدانی قال: حدثنی علی بن إبراهیم بن هاشم قال: حدثنی أبی عن الحسن بن علی سجاده، عن أبان بن عمر ختن آل میثم قال: کنت عند أبی عبدالله علیه السلام فدخل علیه سفیان بن مصعب العبدی قال: جعلنی الله فداک ما تقول فی قوله تعالی ذکره:

وعلی الأعراف رجالٌ یعرفون کلًا بسیماهم؟

قال: هم الأوصیاء من آل محمد الإثنی عشر، لایعرف الله إلا من عرفهم وعرفوه.

قال: فما الأعراف جعلت فداک؟

قال: کثائب من مسک، علیها رسول الله والأوصیاء یعرفون کلًا بسیماهم.

فقال سفیان: أفلا أقول فی ذلک شیئاً؟

فقال من قصیدة:

أیا ربعهم هل فیک لی الیوم مربع وهل للیال کن لی فیک مرجع

ومنها:

وأنتم ولاة الحشر والنشر والجزا وأنتم لیوم المفزع الهول مفـزع

وأنتم علی الاعراف وهی کثائب من المسک ریاها بکم یتضـوع

ثمانیـة بالعـرش إذ یحملونـه ومن بعدهم فی الأرض هادون أربع

وروی أبو الفرج فی الاغانی ۷/۲۲، عن أبی داود المسترق سلیمان بن سفیان: أن السید والعبدی اجتمعا فأنشد السید:

إنی أدین بما دان الوصی به یوم الخریبة من قتل المحلین

وبالذی دان یوم النهروان به وشارکت کفه کفی بصفین

فقال له العبدی: أخطأت، لو شارکت کفک کفه کنت مثله، ولکن قل: تابعت کفه کفی، لتکون تابعاً لا شریکاً.

فکان السید بعد ذلک یقول: أنا أشعر الناس إلا العبدی.

ومن شعراء الکوثر السید الحمیری، المتوفی ۱۷۳:

وهو اسماعیل بن محمد بن یزید بن وداع الحمیری، الملقب بالسید.

قال عنه المرزبانی: لم یسمع أن أحداً عمل شعراً جیداً وأکثر غیر السید.

وروی عن عبد الله بن إسـحاق الهاشـمی قال: جمعت للسـید ألفی قصیدة وظننت أنه ما بقی علی شئ، فکنت لا أزال أری من ینشدنی ما لیس عندی، فکتبت حتی ضجرت، ثم ترکت.

وقال: سئل أبو عبیدة من أشعر المولدین؟ قال: السید وبشار.

ونقـل عن الحسـین بن الضـحاک أنه قـال: ذاکرنی مروان بن أبی حفصـة أمر السـید بعـد موته، وأنا أحفظ الناس بشـعر بشار والسـید، فأنشدته قصیدته المذهبة التی أولها:

أین التطرب بالولاء وبالهوی أالی الکواذب من بروق الخلب؟!

أالی أمیة أم إلی شیع التی جاءت علی الجمل الخدب الشوقب

حتى أتى على آخرها، فقال لى مروان:

ما سمعت قط شعرا أكثر معانى وألخص منه، وعدد ما فيه من الفصاحة. وكان يقول لكل بيت منها: سبحان الله، ما أعجب هذا الكلام!

وروى عن التوزى أنه قال: لو أن شعراً يستحق أن لاينشد إلا فى المساجد لحسنه لكان هذا، ولو خطب به خاطب على المنبر فى يوم الجمعة لاتى حسناً، ولحاز أجراً.

ووقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر فأقبل عليه وقال:

أيها المادح العباد ليعطى إن لله ما بأيدى العباد

فأسأل الله ما طلبت إليهم وارج نفع المنزل العواد

لا تقل فى الجواد ما ليس فيه وتسمى البخيل باسم الجواد

قال بشار: من هذا؟ فعرفه.

ولعل أشهر قصائد السيد الحميرى على الإطلاق، التى مطلعها:

لام عمرو باللوى مربع طامسةٌ أعلامها بلقع

تروع عنها الطير وحشية والوحش من خيفته تفزع

ومنها:

غدا يلاقى المصطفى حيدرٌ وراية الحمد له ترفع

مولى له الجنة مأمورةٌ والنار من إجلاله تفزع

إمام صدق وله شيعةٌ يرووا من الحوض ولم يمنعو

يذب عنه ابن أبى طالب ذَبَّك جَرْبى إبلٍ تشرع

إذا دنوا منه لكى يشربوا قيل لهم تباً لكم فارجعو

هذا لمن والى بنى أحمد ولم يكن غيرهم يتبع

بذاك جاء الوحى من ربنا يا شيعة الحق فلا تجزعو

وله أيضاً:

ولقد عجبت لقائل لى مرة علامة فهم من الفقهاء

سماك قومك سيداً صدقوا به أنت الموفق سيد الشعراء

ما أنت حين تخص آل محمد بالمدح منك وشاعر بسواء

مدح الملوك ذوى الغنى لعطائهم والمدح منك لهم بغير عطاء

فابشر فإنك فايزٌ فى حبهم لو قد وردت عليهم بجزاء

ما يعدل الدنيا جميعاً كلها من حوض أحمد شربة من ماء

وله أيضاً:

أؤمل فى حبه شربةً من الحوض تجمع أمناً ورى

إذا ما وردنا غداً حوضه فأدنى السعيد وذاد الشقى

متى يدن مولاه منه يقل رد الحوض واشرب هنيئاً مرى

وإن يدن منه عدو له يذده على مكاناً قصى

وله أيضاً:

فإنک تلقاه لدی الحوض قائماً مع المصطفی بالجسر جسر جهنم

یجیران من والاهما فی حیاته الی الروح والظل الظلیل المکرم

وله قصیدة مطلعها:

هلا وقفت علی المکان المعشب بین الطویلع فاللوی من کبکب

ومنها:

إنا ندین بحب آل محمد دیناً ومن یحببهـم یستوجـب

منا المودة والولاء ومن یرد بـدلا بآل محمـد لا یحبـب

ومتی یمت یرد الجحیم ولا یرد حوض الرسول وإن یرده یضرب

ضرب المحاذر أن تعر رکابه بالسوط سالفة البعیر الأجرب

وله القصیدة المذهبة، ومنها:

لمن طللٌ کالوشم لم یتکلم ونؤیٌ وآثار کترقیش معجم؟

ألا أیها العانی الذی لیس فی الأذی ولا اللوم عندی فی علی بمحجم

ستأتیک منی فی علی مقالة تسوؤک فاستأخر لها أو تقدم

علی له عندی علی من یعیبه من الناس نصر بالیدین وبالفم

متی ما یرد عندی معادیه عیبه یجد ناصراً من دونه غیر مفحم

علی أحب الناس إلا محمداً إلیَّ فدعنی من ملامک أولم

علی وصی المصطفی وابن عمه وأول من صلی ووحد فاعلم

علی هو الهادی الإمام الذی به أنار لنا من دیننا کل مظلم

علی ولی الحوض والذائد الذی یذبب عن أرجاءه کل مجرم

علی قسیم النار من قوله لها: ذری ذا وهذا فاشربی منه واطعمی

خذی بالشوی ممن یصیبک منهم ولا تقربی من کان حزبی فتظلمی

علی غداً یدعا فیکسوه ربه ویدنیه حقاً من رفیق مکرم

فإن کنت منه یوم یدنیه راغماً وتبدی الرضا عنه من الان فارغم

فإنک تلقاه لدی الحوض قائماً مع المصطفی الهادی النبی المعظم

یجیزان من والاهما فی حیاته الی الروح والظل الضلیل المکمم

علی أمیر المؤمنین وحقه من الله مفروض علی کل مسلم

لان رسول الله أوصی بحقه وأشرکه فی کل فیئ ومغنم

وله أیضاً فی تفسیر قوله تعالی (وأنذر عشیرتک الاقربین):

بأبی أنت وأمی یا أمیر المؤمنین

بأبی أنت وأمی وبرهطی أجمعین

وبأهلی وبمالی وبناتی والبنین

وفدتک النفس منی یا إمام المتقین

وأمین الله والوا رث علم الأولین

ووصى المصطفى أحمد خير المرسلين

وولى الحوض والذا ئد عنه المحدثين

أنت أولى الناس بالنا س وخير الناس دين

كنت فى الدنيا أخاه يوم يدعو الاقربين

ليجيبوه إلى اللـه فكانوا أربعين

بين عم وابن عم حوله كانوا عرين

فورثت العلم منه والكتاب المستبين

طبت كهلاً وغلاماً ورضيعاً وجنين

ولدى الميثاق طيناً يوم كان الخلق طين

كنت مأموناً وجيهاً عند ذى العرش مكين

فى حجاب النور حياً طيباً للطاهرين

ومن شعراء الكوثر الصاحب بن عباد، وله:

قالت فمن بعده تُصفى الولاء له قلت الوصى الذى أربى على رجل

قالت فمن ذا غداً باب المدينة قل فقلت من سألوه وهو لم يسل

قالت فمن قاتل الأقوام إذ نكثوا فقلت تفسيره فى وقعة الجمل

قال فمن حارب الارجاس إذ قسطوا فقلت صفين تبدى صفحة العمل

قالت فمن قارع الانجاس إذ مرقوا فقلت معناه يوم النهروان جلى

قالت فمن صاحب الحوض الشريف غدا فقلت من بيته فى أشرف الحلل

قالت فمن ذا لواء الحمد يحمله فقلت من لم يكن فى الروع بالوجل

قالت أكل الذى قد قلت فى رجل فقلت كل الذى قد قلت فى رجل

قالت فمن هو هذا الفرد سم لنا فقلت ذاك أمير المؤمنين على

ومنهم الملك الصالح طلائع بن رزيك، وله:

أنا من شيعة الإمام على حرب أعدائه وسلم الولى

أنا من شيعة الإمام الذى ما مال فى عمره لفعل دنى

أنا عبد لصاحب الحوض ساقى من توالى فيه بكأس روى

أنا عبد لمن أبان لنا المشكل فارتاض كل صعب أبى

والذى كبَّرت ملائكة الله له عند صرعة العامرى

الإمام الذى تخيره الله بلا مرية أخاً للنبى

قسماً ما وقاه بالنفس لما بات فى الفرش عنه غير على

ولعمرى إذ حل فى يوم خم لم يكن موصياً لغير الوصى

ومنهم سعيد بن أحمد النيلى المؤدب، قال كما فى الغدير: ۴/ ۳۹۵:

دع يا سعيد هواك واستمسك بمن تسعد بهم وتزاح من آثامه

بمحمد وبحيدر وبفاطم وبولدهم عقد الولا بتمامه

قوم یسر ولیهم فی بعثه ویعض ظالمهم علی إبهامه
ونری ولی ولیهم وکتابه بیمینه والنور من قدامه
یسقیه من حوض النبی محمد کأساً بها یشفی غلیل أوامه
بیدی أمیر المؤمنین وحسب من یسقی به کأساً بکف إمامه
ذاک الذی لولاه ما اتضحت لنا سبل الهدی فی غوره وشامه
عبد الاله وغیره من جهله ما زال معتکفاً علی أصنامه
ما آصفٌ یوماً وشمعون الصفا مع یوشع فی العلم مثل غلامه
ومنهم ابن العرندس الحلی:
ذکره فی فی الغدیر: ۷/۱۴، ومن شعره:
طوایا نظامی فی الزمان لها نشر یعطرها من طیب ذکراکم نشر
قصائد ما خابت لهن مقاصدٌ بواطنها حمد ظواهرها شکر
مطالعها تحکی النجوم طوالعاً فأخلاقها زهرٌ وأنوارها زهر
عرائس تجلی حین تجلی قلوبنا أکالیلها در وتیجانها تبر
حسان لها حسان بالفضل شاهد علی وجهها تبر یزان بها التبر
فیا ساکنی أرض الطفوف علیکم سلام محب ما له عنکم صبر
نشرت دواوین الثنا بعد طیها وفی کل طرس من مدیحی لکم سطر
فطابق شعری فیکم دمع ناظری فمبیض ذا نظم ومحمر ذا نثر
وقفت علی الدارالتی کنتم بها فمغناکم من بعد معناکم فقر
وقد درست منها الدروس وطالما بهادرس العلم الإلهی والذکر
وسالت علیها من دموعی سحائب الی أن تروی البان بالدمع والسدر
فراق فراق الروح لی بعد بعدکم ودار برسم الدار فی خاطری الفکر
وقد أقلعت عنها السحاب ولم یجد ولا در من بعد الحسین لها در
إمام الهدی سبط النبوة والد الأئمة رب النهی مولی له الأمر
إمام أبوه المرتضی علم الهدی وصی رسول الله والصنو والصهر
وفیه رسول الله قال وقوله صحیحٌ صریح لیس فی ذلک نکر
حُبی بثلاث ما أفاد بمثلها ولیٌّ فمن زید هناک ومن عمرو
له تربةٌ فیها الشفاء وقبةٌ یجاب بها الداعی إذا مسه الضر
وذریةٌ دریة منه تسعةٌ أئمة حق لا ثمان ولا عشر
أیقتل ظمآنآ حسینٌ بکربلا وفی کل عضو من أنامله بحر
ووالده الساقی علی الحوض فی غد وفاطمة ماء الفرات لها مهر
فیالک مقتولاً بکته السما دماً فمغبر وجه الأرض بالدم محمر
ملابسه فی الحرب حمرٌ من الدما وهن غداة الحشر من سندس خضر
ولهفی لزین العابدین وقد سری أسیراً علیلاً لا یفک له أسر

وآل رسول الله تسبی نسائهم ومن حولهن الستر یهتک والخدر

سبایا بأکوار المطایا حواسراً یلا حظهن العبد فی الناس والحر

فویلُ یزید من عذاب جهنم إذا أقبلت فی الحشر فاطمة الطهر

تنادی وأبصار الانام شواخصٌ وفی کل قلب من مهابتها ذعر

وتشکو إلی الله العلی وصوتها علی ومولانا علی لها ظهر

فلا ینطق الطاغی یزید بما جنی وأنی له عذر ومن شأنه الغدر

وفی مناقب آل ابی طالب: ۳/۲۸

وقال ابن الحجاج:

أنا مولی لمن لواء الحمد علی عاتقه یوم النشور.

إلی آخر ما رووه من شعر حوض الکوثر، وهو یؤکد أن أحادیث النبی صلی الله علیه وآله فی أن علیاً هو آمر السقایة علیه کانت من خصائصه المعروفة.

علی قسیم الله بین الجنة والنار

قال القاضی عیاض فی الشفا: ۱/۲۹۴

(وأخبر النبی)... وما ینال أهل بیته وتقتیلهم وتشریدهم، وقتل علی، وأن أشقاها الذی یخضب هذه من هذه، أی لحیته من رأسه، وأنه قسیم النار، یدخل أولیاؤه الجنة، وأعداءه النار...

وقال الکنجی الشافعی فی کفایة الطالب/۷۲

فإن قیل: هذا سندٌ ضعیف:

قلت: قال محمد بن منصور الطوسی: کنا عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل:

ما تقول فی هذا الحدیث الذی یروی أن علیاً قال: أنا قسیم النار؟

فقال أحمد: وما تنکرون من هذا الحدیث؟! ألیس روینا أن النبی (ص) قال لعلی: لا یحبک إلا مؤمن ولا یبغضک إلا منافق؟

قلنا: بلی.

قال: فأین المنافق؟

قلنا: فی النار.

قال: فعلی قسیم النار!!

ونقل هذه الحکایة عن أحمد، فی إحقاق الحق: ۱۷/۲۰۹، عن مجمع الاداب للبخاری الفوطی: ۳ ق/۱/۵۹۴ ط. بغداد.

ونقلها فی: ۳۰/۴۰۲، عن مختصر المحاسن المجتمعة فی فضائل الخلفاء الأربعة، للصفوری/۱۶۷ ط. دار ابن کثیر، دمشق وبیروت، تحقیق محمد خیر المقداد ونقلها فی: ۴/۲۵۹، عن طبقات الحنابلة لابی یعلی: ۱/۳۲۰ طبع القاهرة.

وروی الحدیث فی صحیفة الإمام الرضا/۱۱۵، من عدة مصادر، بعدة أسانید، عن الإمام الرضا علیه السلام عن آبائه، عن النبی صلی الله علیه وآله قا: یا علی إنک قسیم النار والجنة، وإنک تقرع باب الجنة فتدخلها بلا حساب.

وقال فی هامشه:

أخرجه محب الدین الطبری فی الریاض النضرة: ۲/۱۶۰ وص ۲۱۱. وذخائر العقبی: ۶۱.

وابن المغازلی فی المناقب: ۶۷ ح ۹۷، عنه ابن طاووس فی الطرائف: ۷۶ ح ۱۰۰. وعنه البحار: ۳۹/۲۰۹ ح ۳۱.

وأخرجه القندوزی فی ینابیع المودة: ۸۴ من طریق ابن المغازلی، عن ابن مسعود وفیه: وتدخلها أحباءک. وفی/۳۰۳ وص ۲۵۷ عن علی.

ورواه الخوارزمی فی مناقبه: ۲۰۹.

والحموینی فی فرائد السمطین: ۱/۱۴۲ ح ۱۰۵

وقال فی إحقاق الحق: ۷/۱۷۲

حدیث حذیفة رواه القوم: منهم العلامة الأمر تسری فی أرجح المطالب/۳۲ ط. لاهور، روی من طریق الدیلمی وابن المغازلی والقاضی عیاض عن حذیفة قال: قال رسول الله علیه صلی الله علیه وآله: یا علی أنت قسیم النار والجنة، وأنت تقرع باب الجنة وتدخلها أحباءک بغیر حساب.

وفی الصواعق المحرقة لابن حجر/۱۲۶

عن علی الرضا أنه (ص) قال له: أنت قسیم الجنة والنار فی یوم القیامة، تقول النار: هذا لی وهذا لک..

وفی فردوس الأخبار: ۳/۹۰، عن حذیفة: علی قسیم النار.

وفی بغیة الطلب لابن العدیم: ۱/۲۸۹

قال الأعمش: وإنما یعنی بقوله أنا قسیم النار: أن من کان معی فهو علی الحق.

ورواه فی إحقاق الحق: ۲۰/۲۵۱، عن مخطوطة کتاب (آل محمد) لحسام الدین المردی الحنفی صفحة ۳۲، عن أبی سعید الخدری.

وأورد فی إحقاق الحق: ۴/۲۵۹، و: ۳۰/۴۰۲، أسماء عدد من المؤلفین السنیین الذین رووا الحدیث أو ذکروه فی مؤلفاتهم، منهم:

أحمد بن أبی عبید العبدی الهروی فی کتابه الغریبین/۳۰۷ فی مادة القاف مع السین مخطوط.

وابن المغازلی فی کتابه مناقب أمیر المؤمنین-مخطوط، قال: قال قال رسول الله (ص)لعلی علیه السلام: إنک قسیم الجنة والنار، وأنت تقرع باب الجنة وتدخلها بغیر حساب.

والخوارزمی فی المناقب/۲۳۴ ط. تبریز.

وأبو یعلی الحنبلی فی طبقات الحنابلة: ۱/۳۲۰ ط. القاهرة، ذکر حکایة أحمد المتقدمة.

وابن الأثیر فی نهایة اللغة: ۳/۲۸۴، قال: فی حدیث علی: أنا قسیم النار.

والحموینی فی فرائد السمطین، قال:

أخبرنا الشیخ شرف الدین احمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن الحسن بن عساکر سماعاً علیه قال: أخبرتنا زینب بنت أبی القاسم عبد الرحمان الشعری الجرجانی إجازة، أنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائی، نبأ أبی أحمد بن عامر بن سلیمان، نبأ أبوالحسن علی بن موسی الرضا، حدثنی أبی موسی بن جعفر بن محمد، حدثنی أبی علی بن أبی طالب قال: قال النبی (ص): یا علی إنک قسیم النار، وإنک تقرع باب الجنة فتدخلها بغیر حساب.

وقال: أنبأنی أبو الفضل بن أبی العباس مودود بن محمود عبد الله بن محمود الحنفی رحمه الله قال أنا أبو جعفر عمر بن محمد بن معمر بن طرزة الدارمی قال: أنا أبو القاسم بن أبی عبد الرحمان بن أبی نصر المستملی الشحامی إجازة قال: أنبأ أبو بکر بن الحسین الحافظ قال: أنا أبو الحسین بن الفضل القطامی قال: أنا عبد الله بن جعفر قال: ثنا یعقوب: قال حدثنی یحیی بن عبد الحمید قال: ثنا علی بن معمر عن موسی بن طریف، عن عبایة، عن علی قال: أنا قسیم النار، إذا کان یوم القیامة قلت هذا لک وهذا لی.

وابن کثیر فی البدایة والنهایة/۳۵۵: ۷ ط. مصر، قال: لفظ عبد الله بن أحمد یعقوب بن سفیان: ثنا یحیی بن عبدالحمید، ثنا علی بن مسهر، عن الأعمش، عن موسی بن طریف، عن عبایة، عن علی قال: أنا قسیم النار، إذا کان یوم القیامة، قلت هذا لک، وهذا لی.

والعسقلانی فی لسان المیزان: ۳/۲۴۷ و ۲۴۸ ط. حیدر آباد الدکن، و: ۶ ص۱۱۳

والمتقی الهندی فی منتخب کنز العمال (المطبوع بهامش المسند: ۵/۵۲ ط القدیم بمصر) قال: عن علی قال: أنا قسیم النار.

والصدیقی فی مجمع بحار الأنوار (۳/۱۴۴ ط نول کشور) قال: وفی الحدیث: علیٌّ قسیم النار.

والکشفی الترمذی فی المناقب المرتضویة/۹۱ ط. بمبئی، عن سنن الدارقطنی والصواعق المحرقة لابن حجر المکی.

والمناوی فی کنوز الحقایق/۹۸، ط. بولاق بمصر، قال: قال رسول الله (ص): علی قسیم النار.

والبدخشی فی مفتاح النجا/۴۶ مخطوط، قال: وأخرج الدارقطنی عن علی کرم الله وجهه قال: قال رسول الله (ص): یا علی أنت قسیم النار یوم القیامة.

والزبیدی فی تاج العروس: ۲/۲۵ ط. القاهرة، ذکر قول علی (رض): أنا قسیم النار.

والقندوزی فی ینابیع المودة/۸۴ ط إسلامبول، قال:

وفی جواهر العقدین: قد أخرج الدارقطنی، عن أبی الطفیل عامر بن وائلة الکنانی أن علیاً قال حدیثاً طویلاً فی الشوری، وفیه أنه قال لأهل الشوری: فأنشدکم بالله هل فیکم أحدٌ قال له رسول الله صلی الله علیه وآله: أنت قسیم النار والجنة غیری؟ قالوا: اللهم لا.

وفی صفحة ۸۵:

وفی المناقب عن أبی الطفیل عامر بن واثلة، وفیه (یا علی لو أن رجلاً أحبک وأولادک فی الله، لحشره الله معک ومع أولادک. وأنتم معی فی الدرجات العلی، وأنت قسیم الجنة والنار، تدخل محبیک الجنة ومبغضیک النار.

والصفوری، فی مختصر المحاسن المجتمعة فی فضائل الخلفاء الأربعة/۱۶۷ ط. دار ابن کثیر، دمشق وبیروت.

والعدوی الحمراوی فی مشارق الأنوار/۱۲۲ ط. مصر، عن جواهر العقدین أن المأمون قال لعلی الرضا... انتهی.

وقال فی هامش مناقب أمیر المؤمنین (ع): ۲/۵۲۷

وروی ابن قتیبة فی آخر غریب کلام أمیر المؤمنین علیه السلام من کتاب غریب الحدیث: ۲/۱۵۰، ط ۱، قال: وقول علی: أنا قسیم النار، یرویه عبد الله بن داود، عن الأعمش، عن موسی بن طریف.

قال ابن قتیبة: أراد علی أن الناس فریقان: فریق معی فهم علی هدی، وفریق علیَّ فهم علی ضلال کالخوارج. فأنا قسیم النار، معناه: نصف الناس فی الجنة معی، ونصف فی النار. وقسیم: فی معنی مقاسم مثل جلیس وأکیل وشریب.

ولیلاحظ مادة قسم من الغریبین والنهایة والفائق ولسان العرب.

وروی المرشد بالله یحیی بن الحسن الشجری فی فضائل علی علیه السلام کمافی ترتیب أمالیه/۱۳۴، ط. مصر، قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن علی بن محمد الواعظ المقرئ المعروف بابن العلاء بقراءتی علیه قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن میثم قال: أخبرنا أبو أحمد القاسم بن جعفر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علی بن أبی طالب قال: حدثنا أبی جعفر بن محمد عن أبیه محمد بن عبدالله، عن أبیه محمد بن علی عن أبیه علی بن الحسین عن أبیه: الحسین بن علی(علیهما السلام) قال: قال لی أبی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السلام: أنا قسیم النار. فقال عمار بن یاسر: إنما عنی بذلک أن کل من معی فهو علی الحق، وکل من مع معاویة علی الباطل ضالاً مضلاً...

ثم قال المرشد بالله یحیی بن الحسین الشجری: أخبرنا أبو الفضل عبید الله بن أحمد بن علی المقرئ ابن الکوفی بقراءتی علیه قال: أخبرنا أبو حفص عمر بن إبراهیم بن أحمد الکنانی المقرئ قال: حدثنا أبوالحسین عمر بن الحسن القاضی الأشنانی قال: حدثنا إسحاق بن الحسن الحربی قال: حدثنی محمد بن منصور الطوسی قال: کنا عند أحمد بن حنبل فقال له رجل: یا أبا عبدالله ما تقول فی هذا الحدیث الذی یروی أن علیاً علیه السلام قال: أنا قسیم النار؟

فقال أحمد: وما تنکر من ذا؟! ألیس روینا أن النبی صلی الله علیه وآله قال لعلی علیه السلام: لا۔ یحبک إلا مؤمن ولا یبغضک إلا منافق؟!... وانظر الحکایة ۷ و ۹ من خاتمة أربعین منتجب الدین. وهذا رواه أیضاً ابن القاضی أبی یعلی الحنفی فی کتاب طبقات

الحنابلة: ۱/۳۲۰. وقريباً منه رواه أيضاً ابن عساكر فى الحديث: ۷۷۵ من ترجمة على من تاريخ دمشق: ۲/۲۵۳ ط ۲، وفيما قبله وما بعده شواهد جمة للمقام.

ونقل فى إحقاق الحق: ۲۰/۲۵۱

عن كتاب (آل محمد) لحسام الدين المردى الحنفى صفحة ۳۲، والنسخة مصورة من مكتبة العلامة المحقق السيد الأشكورى، قال:

عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (ص):إذا سألتم الله عز وجل فاسألوه لى الوسيلة، فسئل عنها فقال: درجة فى الجنة، وهى ألف مرقاة ما بين المرقاء إلى المرقاة يسير الفرس الجواد شهراً، مرقاة زبرجد إلى مرقاة لؤلؤ، إلى مرقاة يلنجوج، إلى مرقاة نور، وهكذا من أنواع الجواهر، فهى فى بين النبيين كالقمر بين الكواكب، فينادى المنادى: هذه درجة محمد خاتم الأنبياء، وأنا يومئذ متزى بريطة من نور على رأسى تاج الرسالة واكليل الكرامة، وعلى بن أبى طالب أمامى وبيده لوائى وهو لواء الحمد مكتوب عليه لا اله إلا الله، محمد رسول الله، على ولى الله، وأولياء على المفحلون الفائزون بالله.

حتى أصعد أعلى منها وعلى أسفل منى بدرجة وبيده لوائى، فلا يبقى يومئذ رسول ونبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن، إلا رفعوا أعينهم ينظرون الينا ويقولون: طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله، فينادى المنادى يسمع نداءه جميع جميع الخلائق: هذا حبيب الله محمد، وهذا ولى الله على.

فيأتى رضوان خازن الجنة فيقول: أمرنى ربى أن آتيک بمفاتيح الجنة فأدفعها إليک يا رسول الله، فأقبلها أنا فأدفعها إلى أخى على.

ثم يأتى مالک خازن النار فيقول: أمرنى ربى ان آتيک بمقاليد النار فأدفعهما اليک يا رسول الله، فأقبلها أنا فأدفعهما إلى أخى على.

فيقف على على غمرة جنهم ويأخذ زمامها بيده وقد علا زفيرها واشتد حرها، فتنادى جهنم: يا على ذرنى فقد أطفأ نورک لهبى، فيقول لها على: ذرى هذا وليى، وخذى هذا عدوى، فلجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلى فيما يأمرها به من رق أحدکم لصاحبه، ولذلک كان على قسيم النار والجنة. انتهى.

وقد قوى ابن أبى الحديد المعتزلى حديث قسيم الجنة والنار فى شرح نهج البلاغة:۱۰ جزء ۱۹/۱۳۹، وفى: ۵ جزء ۹/۱۶۵: وقال (وهو ما يطابق الأخبار).

وأخيراً: فإن مما يؤيد صحة حديث (على قسيم النار والجنة) أن مخالفيه وضعوا حديثاً بأن أبا بكر قسيم الجنة والنار، وقد شهد محبو أبى بكر بأنه موضوع، فلابد أن يكون الدافع لوضعه أن يقابلوا به حديثاً معروفاً يحتج به الشيعة..

قال ابن حبان فى المجروحين: ۱/۱۴۵

أحمد بن الحسن بن القاسم شيخ كوفى: يضع الحديث على الثقات.. روى عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): إذا كان يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش: ألا هاتوا أصحاب محمد (ص) فيؤتى بأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب (رض) قال فيقال لأبى بكر: قف على باب الجنه فأدخل من شئت برحمة الله، وادرأ من شئت بعلم الله.. إلخ.

ثم قال ابن حبان: الحديث موضوع لا أصل له. انتهى.

حديث: قسيم النار والجنة، فى مصادرن

التعبير الأصلى فى مصادرنا عن هذه الصفة لعلى عليه السلام أنه (قسيم الله بين الجنة والنار)، وقد ورد هذا التعبير فى الكافى ۱/۱۹۶، عن الإمام الصادق عليه السلام، قال:

وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيرا ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم... الخ.

وفى الكافى: ۱/۹۸

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا قسيم الله بن الجنة والنار، لا يدخلها داخلٌ إلا على حد قسمى، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا الإمام لمن

بعدی، والمؤدی عمن کان قبلی، لا یتقدمنی أحدٌ إلا أحمد صلی الله علیه وآله. انتهی.

ونحوه فی علل الشرائع: ۱/۱۶۴، وفی بصائر الدرجات/۴۱۴

وقد جعله الصدوق عنواناً فی علل الشرائع: ۱/۱۶۱، فقال:

قسیم الله بین الجنة والنار:

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا أحمد بن یحیی بن زکریا أبو العباس القطان قال: حدثنا محمد بن إسماعیل البرمکی قال: حدثنا عبد الله بن داهر قال: حدثنا أبی، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر قال:

قلت لأبی عبد الله جعفر بن محمد الصادق: لم صار أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب قسیم الجنة والنار؟

قال: لأن حبه إیمان وبغضه کفر، وإنما خلقت الجنة لأهل الإیمان، وخلقت النار لأهل الکفر، فهو علیه السلام قسیم الجنة والنار، لهذه العلة فالجنة لا یدخلها إلا أهل محبته، والنار لا یدخلها إلا أهل بغضه.

قال المفضل: فقلت یابن رسول الله فالأنبیاء والاوصیاء (علیهم السلام) کانوا یحبونه وأعداؤهم کانوا یبغضونه؟

قال: نعم.

قلت: فکیف ذلک؟

قال: أما علمت أن النبی صلی الله علیه وآله قال یوم خیبر: لأعطین الرایة غداً رجلاً یحب الله ورسوله ویحبه الله ورسوله، ما یرجع حتی یفتح الله علی یدیه، فدفع الرایة إلی علی ففتح الله تعالی علی یدیه.

قلت: بلی.

قال: أما علمت أن رسول الله صلی الله علیه وآله لما أتی بالطائر المشوی قال: اللهم إئتنی بأحب خلقک الیک وإلیَّ، یأکل معی من هذاالطائر، وعنی به علیاً؟

قلت: بلی.

قال: فهل یجوز أن لا یحب أنبیاء الله ورسله وأوصیاؤهم(علیهم السلام) رجلاً یحبه الله ورسوله، ویحب الله ورسوله.

فقلت له: لا.

قال: فهل یجوز أن یکون المؤمنون من أممهم لایحبون حبیب الله وحبیب رسوله وأنبیائه (علیهم السلام)؟

قلت: لا.

قال: فقد ثبت أن أعدائهم والمخالفین لهم کانوا لهم ولجمیع أهل محبتهم مبغضین.

قلت: نعم.

قال: فلا یدخل الجنة إلا من أحبه من الأولین والآخرین، ولا یدخل النار إلا من أبغضه من الأولین والآخرین، فهو إذن قسیم الجنة والنار.

قال المفضل بن عمر: فقلت له یابن رسول الله فرجت عنی فرج الله عنک، فزدنی مما علمک الله.

قال: سل یا مفضل.

فقلت له: یابن رسول الله فعلی بن أبی طالب علیه السلام یدخل محبه الجنةومبغضه النار؟ أو رضوان ومالک؟

فقال: یا مفضل أما علمت أن الله تبارک وتعالی بعث رسول صلی الله علیه وآله وهو روح إلی الأنبیاء (علیهم السلام)، وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفی عام؟

قال: أما علمت أنه دعاهم إلی توحید الله وطاعته واتباع أمره، ووعدهم الجنة علی ذلک، وأوعد من خالف ما أجابوا إلیه وأنکره النار؟

قلت: بلی.

قال: أفليس النبى صلى الله عليه وآله ضامناً لما وعد وأوعد عن ربه عز وجل؟

قلت: بلى.

قال: أوليس على بن أبى طالب خليفته وإمام أمته؟

قلت: بلى.

قال: أو ليس رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبته؟

قلت: بلى.

قال: فعلى ابن أبى طالب إذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ورضوان ومالك صادران عن أمره، بأمر الله تبارك وتعالى.

يا مفضل خذ هذا، فإنه من مخزون العلم ومكنونه، لا تخرجه إلا إلى أهله.

وفى كفاية الأثر/۱۵۱

أخبرنا القاضى المعافا بن زكريا، قال حدثنا على بن عتبة، قال حدثنى الحسين بن علوان، عن أبى على الخراسانى، عن معروف بن خربوذ، عن أبى الطفيل، عن على عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

أنت الوصى على الأموات من أهل بيتى، والخليفة على الأحياء من أمتى، حربك حربى وسلمك سلمى، أنت الإمام أبو الأئمة الأحد عشر من صلبك، أئمة مطهرون معصومون، ومنهم المهدى الذى يملا الدنيا قسطاً وعدلاً، فالويل لمبغضكم.

يا على لو أن رجلاً أحب فى الله حجراً لحشره الله معه، وإن محبيك وشيعتك ومحبى أولادك الأئمة بعدك يحشرون معك، وأنت معى فى الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنة والنار، تدخل محبيك الجنة ومبغضيك النار.

وفى مناقب آل أبى طالب: ۲/۹

قال الزمخشرى فى الفايق: معنى قول على أنا قسيم النار، أى مقاسمها ومساهمها يعنى أن القوم على شطرين مهتدون وضالون، فكأنه قاسم النار إياهم فشطر لها وشطر معه فى الجنة.

ولقد صنف محمد بن سعيد كتاب: من روى فى على أنه قسيم النار.

وفى إحقاق الحق: ۱۷/۱۶۴

عن العدوى الحمراوى فى مشارق الأنوار/۱۲۲ ط. مصر، عن جواهر العقدين أن المأمون قال لعلى الرضا: بأى وجه جدك على بن أبى طالب قسيم الجنة والنار؟

فقال: يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك، عن آبائه، عن عبد الله بن عباس أنه قال سمعت رسول الله(ص)يقول: حب على إيمان وبغضه كفر.

فقال: بلى.

قال الرضا: فقسمة الجنة والنار إذاً كان على حبه وبغضه.

فقال المأمون: لا أبقانى بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنك وارث علم رسول الله (ص).

قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروى: فلما رجع الرضا إلى بيته قلت له: يا بن رسول الله ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين.

فقال: يا أبا الصلت ما أجبته إلا من حيث هو، ولقد سمعت أبى يحدث عن أبيه، عن على (رض)، قال: قال لى رسول الله (ص): أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة، تقول للنار هذا لى، وهذا لك. انتهى.

وراجع أيضاً: بصائر الدرجات/۴۱۴، والخصال/۹۶، والاحتجاج: ۱/۱۸۹ و۴۰۶، وإعلام الورى /۱۸۷، ومناقب آل ابى طالب: ۲/۶، ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ۲/ ۴۶۲، والأربعين حديثآ للمنتجب الرازى/۸۷

حدیث قسیم الجنة والنار فی الشعر

فی مناقب آل أبی طالب: ۲/۹

قال السید (الحمیری):

ذاک قسیم النار من قیله خذی عدوی وذری ناصری

ذاک علی بن أبی طالب صهر النبی المصطفی الطاهر

وله أیضاً:

علی قسیم النار من قیله ذری ذا وهذا فاشربی منه واطعمی

خذی بالشوی ممن یصیبک منهم ولا تقربی من کان حزبی فتظلمی

وله أیضاً:

قسیم النار هذا لک وذا لی ذریه إنه لی ذو وداد

یقاسمها فینصفها فترضی مقاسمة المعادل غیر عاد

کما انتقد الدراهم صیرفی ینقی الزایفات من الجیاد

وقال العونی:

یسوق الظالمین إلی جحیم فویلٌ للظلوم الناصبی

یقول لها خذی هذا فهذا عدوی فی البلاء علی الشقی

وخلی من یوالینی فهذا رفیقی فی الجنان وذا ولیی

وقال غیره:

وإنی لارجو یاإلهی سلامةً بعفوک من نار تلظی همومه

أبا حسن لو کان حبک مدخلی جهنم کان الفوز عندی جحیمه

وکیف یخاف النار من هو موقنٌ بأن أمیر المؤمنین قسیمه

وقال الزاهی:

یا سیدی یابن أبی طالب یا عصمة المعتف والجار

لا تجعلن النار لی مسکناً یا قاسم الجنة والنار

وقال غیره:

علی حبه جنة قسیم النار والجنة

وصی المصطفی حقاً إمام الانس والجنة

وفی مناقب آل ابی طالب: ۳/۲۸

وقال الناشئ:

فما لابن أبی طالب المفضال من ند

هو الحامل فی الحشر بکفیه لوا الحمد

قسیم النار والجنة بین الند والضد

وفی دیوان دعبل الخراعی/۱۲۶

قسيم الجحيم فهذا له وهذا لها باعتدال القسيم

يذود عن الحوض أعداءه فكم من لعين طريد وكم

فمن ناكثين ومن قاسطين ومن مارقين ومن مجترم

على أول الواردين على النبى عند حوض الكوثر

وردت أحاديث تنص على أن علياً عليه السلام أول وارد على رسول الله على حوضه يوم القيامة، وقد تعرض لها الأمينى رحمه الله فى الغدير: ۳/۲۲۰، وما بعدها، ونكتفى بذكر نماذج منها، قال:

قال صلى الله عليه وآله: أولكم وارداً وروداً عليَّ الحوض: أولكم إسلاماً، على بن أبى طالب. أخرجه الحاكم فى المستدرك ۳/۱۳۶، وصححه، والخطيب البغدادى فى تاريخه: ۲/۸۱، ويوجد فى الإستيعاب ۲/۴۵۷، وشرح ابن أبى الحديد ۳/۲۵۸ وفى لفظ: أول هذه الأمة وروداً على الحوض أولها إسلاماً على بن أبى طالب ۲ – السيرة الحلبية ۱/۲۸۵ – سيرة زينى دحلان ۱/۱۸۸، هامش الحلبية.

وفى لفظ: أول الناس وروداً عليَّ الحوض أولهم إسلاماً على بن أبى طالب – مناقب الفقيه ابن المغازلى، مناقب الخوارزمى. انتهى.

وفى مناقب أمير المؤمنين (ع): ۱/۲۸۰

محمد بن سليمان، عن محمد بن منصور، عن الحكم بن سليمان، عن أبى زكريا السمسار، عن محمد بن عبيد الله بن على، عن أبيه عن جده، عن أبى ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أولكم وروداً على الحوض أولكم إسلاماً على بن أبى طالب. انتهى.

ورواه فى كنز العمال: ۱۱/۶۱۶، وقال عنه (ك. ولم يصححه، والخطيب–عن سليمان). انتهى.

وليس من عادة العمال عندما ينقل حديثاً أن يقول (رواه فلانٌ ولم يصححه) ولكنهم يستعملون هذا التعبير للتبرؤ من تبنى الحديث.

وبذلك أراد صاحب كنز العمال أن يبعد عن نفسه تهمة التشيع! لأن هذا الحديث يجعل علياً أول من أسلم وليس أبا بكر! وأول من يرد المحشر والحوض، وليس عمر!

وفى مجمع الزوائد: ۹/۱۰۲

وعن سلمان قال أول هذه الأمة وروداً على نبيها(ص)أولها اسلاماً على بن أبى طالب (رض). رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

وعن ابن عباس قال: أول من أسلم على (رض). رواه الطبرانى، وفيه عثمان الجزرى ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وفى كنز العمال: ۱۱/۶۰۱

السبَّق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد على بن أبى طالب (طب، وابن مردويه، عن ابن عباس).

الصديقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبيب النجار صاحب آل يس، وعلى بن أبى طالب. (ابن النجار، عن ابن عباس).

وفى مجمع الزوائد: ۹/۱۰۲

عن ابن عباس عن النبى(ص)قال: السبَّق ثلاثة، السابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين، والسابق إلى محمد(ص)على بن أبى طالب (رض).

رواه الطبرانى وفيه حسين بن حسن الاشقر، وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور، وبقية رجاله حديثهم حسن أو صحيح.

لا يعبر إنسان الصراط إلا بجواز من على

فى تاريخ بغداد: ۱۰/۳۵۷

عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: إن على الصراط لعقبة لا يجوزها أحدٌ إلا بجواز من على بن أبى طالب.

وفى تاريخ بغداد: ۳/۱۶۱

وفى حديث ابن عباس قال: قلت للنبى (ص): يارسول الله للنار جواز؟

قال: نعم.

قلت: وما هو؟

قال: حب على بن أبى طالب.

وفى الصواعق المحرقة لابن حجر/۱۹۵

عن أبى بكر بن أبى قحافة سمعت رسول الله(ص)يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له على الجواز.

عنوان صحيفة المؤمن يوم القيامة حب على

فى تاريخ بغداد: ۴/۴۱۰

عن أنس قال: والله الذى لا إله إلا هو لسمعت رسول الله(ص)يقول: عنوان صحيفة المؤمن حب على بن أبى طالب.

وفى المعجم الكبير للطبرانى: ۱۱/۸۳

عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): لا تزول قدماً عبد يوم القيامة حتى يسأل... وعن حبنا أهل البيت.

وفى الفضائل/۱۱۴

وروى أنس بن مالك قال سمعت أذناى أن رسول الله (ص) يقول فى على بن أبى طالب عليه السلام: عنوان صحيفة المؤمن يوم القيامة حب على.

من هو المخاطب بقوله تعالى: ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد

قال الله تعالى:

وَنُفِخَ فِى الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ أَلَّذِى جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِى ضَلالٍ بَعِيدٍ قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ. ق ۲۰ - ۲۹

والسؤال هنا: من هما المخاطبان بقوله تعالى (ألقيا) المأموران بإلقاء الكفارين العنيدين فى جهنم؟

وقد أجاب أكثر المفسرين بأن المأمور بذلك هو القرين وهو واحدٌ!

لكن الأمر جاء بصيغة المثنى للتأكيد!!!

قال الطبرى فى تفسيره: ۲۷ /۱۰۳ (فأخرج الأمر للقرين وهو بلفظ واحد مخرج الإثنين، وفى ذلك وجهان من التأويل: أحدهما أن يكون القرين بمعنى الإثنين... والثانى أن يكون كما قال بعض أهل العربية وهو أن العرب تأمر الواحد والجماعة بما تأمر به الإثنين. انتهى.

وقال الراازى فى تفسيره: ۲۷/۱۶۵

ثم يقال للسائق أو للشهيد: أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ فيكون هو أمراً لواحد، وفيه وجهان: أحدهما أنه ثنى تكرار الأمر كما يقال ألق ألق، وثانيهما عادة العرب ذلك. انتهى.

وذكر شبيهاً به بعض مفسرينا، كما في التبيان: ۹/۳۶۶، وإملاء ما من به الرحمن: ۲ /۲۴۲!ولكن لا يمكن قبول هذا الرأي:

أولاً لأنه يخالف مصداقية النص القرآني الدقيقة دائماً، خاصة أنه تعالى كرر التثنية فقال (فألقياه في العذاب الشديد). فما ذكره الطبري والرازي وغيرهما، مضافاً إلى تهافته، لا يمكن قبوله.

وثانياً: أن الظاهر من الآيات أن القرين ملقى في جهنم أيضاً، وأن تخاصمه مع صاحبه داخل جهنم، فكيف يكون مقرباً عند الله تعالى، ومأموراً بإلقاء الكفارين فيها؟!

فلم يبق وجه للتثنية إلا أن يكون المخاطبان هما السائق والشهيد.

ولكن يرد عليه: أن الالقاء في النار عملٌ آخر غير السوق للمحشر والشهادة في الحساب. وأن المشهد في الآيات لشخصين: شخص كفار عنيد مناع للخير، وقرينه قرين السوء.. الخ. وهي تتناسب مع أمر اثنين بإلقائهما في جهنم!

وهذا يقوي ما ورد في مصادرنا وبعض المصادر السنية من أن المأمورين في الآية هما محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام.

وقال في هامش مناقب أمير المؤمنين عليه السلام: ۲/۵۲۷

في مناقب علي المطبوع في خاتمة مناقب ابن المغازلي/۴۲۷ ط ۱، قال: حدثناأبو الأغر أحمد بن جعفر الملطي قدم علينا في سنة سبع وعشرين وثلاث مائة قال: حدثنا محمد بن الليث الجوهري قال: حدثنا محمد بن الطفيل قال: حدثنا شريك بن عبدالله قال: كنت عند الأعمش وهو عليل فدخل عليه أبو حنيفة وابن شبرمة وابن أبي ليلى فقالوا: يا أبا محمد إنك في آخر أيام الدنيا وأول أيام الآخرة، وقد كنت تحدث في علي بن أبي طالب بأحاديث فتب إلى الله منها!!

فقال الأعمش: أسندوني أسندوني. فأسند فقال:

حدثنا أبو المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة قال الله تبارك وتعالى لي ولعلي: ألقيا في النار من أبغضكما، وأدخلا في الجنة من أحبكما، فذلك قوله تعالى: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. فقال أبو حنيفة للقوم: قوموا لا يجئ بشئ أشد من هذا.

ورواه الحافظ الحسكاني في تفسير الآية (۲۳) من سورة (ق) من شواهد التنزيل بسنده عن الكلابي، وبسند آخر، ثم قال: ورواه أيضاً الحماني عن شريك: حدثنيه أبو الحسن المصباحي، حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن واصل، حدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان، حدثنا يعقوب بن إسحاق من ولد عباد بن العوام، حدثنا يحيي بن عبدالحميد، عن شريك، عن الأعمش قال: حدثنا أبو المتوكل الناجي: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة قال الله تعالى لمحمد وعلي: أدخلا الجنة من أحبكما، وأدخلا النار من أبغضكما، فيجلس علي على شفير جهنم فيقول لها: هذا لي وهذا لك! وهو قوله: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ. ثم رواه بأسانيد أخر...

ورواه أيضاً الطوسي في الحديث: ۹ - ۱۱ من أماليه: ۱/۲۹۶ ط ۳، قال: قال أبومحمد الفحام: حدثني أبوالطيب محمد بن الفرحان الدوري قال: حدثنا محمد بن علي بن فرات الدهان، قال: حدثنا سفيان بن وكيع، عن أبيه عن الأعمش: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى يوم القيامة لي ولعلي بن أبي طالب: أدخلا الجنة من أحبكما وأدخلا النار من أبغضكما. وذلك قوله تعالى: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ.

وقريباً منه رواه بسند آخر في الحديث (۳۲) من المجلس ۱۳، من: ۱/۳۷۸ ورواه أيضاً بسنده عن أبي المفضل الشيباني في الحديث: (۷) من المجلس: (۱۲) من أماليه: ۲/۶۳۹ ط. بيروت، قال: قال أبوالمفضل: حدثنا إبراهيم بن حفص بن عمر العسكري بالمصيصة قال: حدثنا عبيد بن الهيثم بن عبيد الله الأنماطي البغدادي بحلب قال: حدثني الحسن بن سعيد النخعي ابن عم لشريك، قال: حدثني شريك بن عبدالله القاضي قال: حضرت الأعمش في علته التي قبض فيها، فبينا أنا عنده إذ دخل عليه ابن شبرمة وابن أبي ليلى وأبوحنيفة فسألوه عن حاله فذكر ضعفا شديداً، وذكر ما يتخوف من خطيئاته وأدركته ذمة فبكى.

فأقبل علیه أبو حنیفة فقال: یا أبا محمد اتق الله وانظر لنفسک، فإنک فی آخر یوم من أیام الدنیا وأول یوم من أیام الآخرة، وقد کنت تحدث فی علی بن أبی طالب بأحادیث لو رجعت عنها کان خیراً لک.

قال الأعمش: مثل ماذا یا نعمان؟

قال: مثل حدیث عبایة: أنا قسیم النار!

قال: أو لمثلی تقول هذا یا یهودی؟!

أقعدونی سندونی أقعدونی! حدثنی - والذی مصیری إلیه - موسی بن طریف ولم أر أسدیاً کان خیراً منه، قال: سمعت عبایة بن ربعی إمام الحی قال: سمعت علیاً أمیر المؤمنین علیه السلام یقول: أنا قسیم النار، أقول هذا ولیی دعیه وهذا عدوی خذیه.

وحدثنی أبو المتوکل الناجی علی بن داوود... عن أبی سعید الخدری (رض) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: إذا کان یوم القیامة یأمر الله عز وجل فأقعد أنا وعلی علی الصراط، ویقال لنا: أدخلا الجنة من آمن بی وأحبکما، وأدخلا النار من کفر بی وأبغضکما.

ثم قال أبو سعید: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: ما آمن بالله من لم یؤمن بی، ولم یؤمن بی من لم یتول - أو قال: لم یحب - علیاً، وتلا: أَلْقِیَا فِی جَهَنَّمَ کُلَّ کَفَّارٍ عَنِیدٍ. قال: فجعل أبو حنیفة إزاره علی رأسه وقال: قوموا بنا لا یجیبنا أبو محمد بأطم من هذا.

قال الحسن بن سعید: قال لی شریک بن عبدا الله: فما أمسی یعنی الأعمش حتی فارق الدنیا رحمه الله.

وقریبا منه رواه أیضاً الشیخ السدید السعید المفید أبوسعید محمد بن أحمد بن الحسین الخزاعی جد الشیخ أبی الفتوح الرازی فی الحدیث (۱۴) من أربعینه قال: وعن محمد بن تمیم الواسطی، عن الحمانی عن شریک قال: کنت عند سلیمان الأعمش فی مرضه...

ورواه أیضاً فی الحدیث العاشر منه بسند آخر وزیادة، ومثله رواه ابن المغازلی فی الحدیث (۹۷) من مناقب علی/۶۷. انتهی.

وروی فرات هذا المعنی فی تفسیره بعدة طرق، قال فی/۴۳۹:

حدثنی علی بن محمد الزهری معنعناً عن صباح المزنی قال: کنا نأتی الحسن بن صالح وکان یقرأ القرآن، فإذا فرغ من القرآن سأله أصحاب المسائل حتی إذا فرغوا قام إلیه شابٌ فقال له: قول الله تعالی فی کتابه: أَلْقِیَا فِی جَهَنَّمَ کُلَّ کَفَّارٍ عَنِیدٍ؟ فنکت نکتة فی الأرض طویلاً ثم قال: عن العنید تسألنی؟ قال: لا، أسألک عن (ألقیا) قال: فمکث الحسن ساعة ینکت فی الأرض ثم قال: إذا کان یوم القیامة یقوم رسول الله(ص)وأمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علی شفیر جهنم، فلا یمر به أحدٌ من شیعته إلا قال: هذا لی وهذا لک).

ورواه فی تفسیر القمی: ۲/۳۲۴، بسنده عن فرات.

وفی تفسیر فرات/۴۳۷

عن جعفر عن أبیه عن آبائه (علیهم السلام) قال قال النبی صلی الله علیه وآله: إن الله تبارک وتعالی إذا جمع الناس یوم القیامة وعدنی المقام المحمود وهو واف لی به، إذا کان یوم القیامة نصب لی منبر له ألف درجة، لا کمراقیکم، فأصعد حتی أعلو فوقه فیأتینی جبرئیل بلواء الحمد فیضعه فی یدی ویقول: یا محمد هذا المقام المحمود الذی وعدک الله تعالی، فأقول لعلی: إصعد، فیکون أسفل منی بدرجة، فأضع لواء الحمد فی یده.

ثم یأتی رضوان بمفاتیح الجنة فیقول: یا محمد هذا المقام المحمود الذی وعدک الله تعالی، فیضعها فی یدی فأضعها فی حجر علی بن أبی طالب.

ثم یأتی مالک خازن النار فیقول: یا محمد هذا المقام المحمود الذی وعدک الله تعالی، هذه مفاتیح النار، أدخل عدوک وعدو ذریتک وعدو أمتک النار، فآخذها وأضعها فی حجر علی بن أبی طالب.

فالنار والجنة یومئذ أسمع لی ولعلی من العروس لزوجها، فهو قول الله تبارک وتعالی فی کتابه: أَلْقِیَا فِی جَهَنَّمَ کُلَّ کَفَّارٍ عَنِیدٍ. ألق یا

محمد ويا على عدوكما فى النار ثم أقوم فأثنى على الله ثناء لم يثن عليه أحد قبلى، ثم أثنى على الملائكة المقربين، ثم أثنى على الأنبياء والمرسلين، ثم أثنى على الأمم الصالحين، ثم أجلس فيثنى الله علىَّ، ويثنى علىَّ ملائكته، ويثنى علىَّ أنبياؤه ورسله، وتثنى علىَّ الأمم الصالحة.

ثم ينادى مناد من بطنان العرش: يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم حتى تمر بنت حبيب الله إلى قصرها، فتمر فاطمة بنتى عليها ريطتان خضراوان حولها سبعون ألف حوراء، فإذا بلغت إلى باب قصرها وجدت الحسن قائماً والحسين نائماً مقطوع الرأس فتقول للحسن: من هذا؟ فيقول هذا أخى، إن أمة أبيك قتلوه وقطعوا رأسه، فيأتيها النداء من عند الله: يا بنت حبيبى إنى إنما أريتك ما فعلت به أمة أبيك لأنى ادخرت لك عندى تعزية بمصيبتك فيه إنى جعلت لتعزيتك بمصيبتك فيه أنى لا أنظر فى محاسبة العباد حتى تدخلى الجنة أنت وذريتك وشيعتك، ومن أولاكم معروفاً ممن ليس هو من شيعتك، قبل أن أنظر فى محاسبة العباد!

فتدخل فاطمة ابنتى الجنة وذريتها وشيعتها ومن أولاها معروفاً ممن ليس هو من شيعتها، فهو قول الله تعالى فى كتابه: لا يحزنهم الفزع الأكبر...

وفى تفسير فرات الكوفى/۴۳۸

عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: إذا كان يوم القيامة نصب منبر يعلو المنابر فيتطاول الخلائق لذلك المنبر، إذ طلع رجل عليه حلتان خضراوان، متزر بواحدة مترد بأخرى، فيمر بالملائكة فيقولون هذا منا، فيجوزهم، ثم يمر بالشهداء فيقولون هذا منا، فيجوزهم، ويمر بالنبيين فيقولون هذا منا، فيجوزهم حتى يصعد المنبر.

ثم يجئ رجل آخر عليه حلتان خضراوان متزر بواحدة مترد بأخرى فيمر بالشهداء فيقولون هذا منا، فيجوزهم ثم يمر بالنبيين فيقولون هذا منا، فيجوزهم ويمر بالملائكة فيقولون هذا منا، فيجوزهم حتى يصعد المنبر.

ثم يغيبان ما شاء الله، ثم يطلعان فيعرفان: محمد صلى الله عليه وآله وعلى.

وعن يسار النبى ملكٌ وعن يمينه ملكٌ، فيقول الملك الذى عن يمينه: يا معشر الخلائق أنا رضوان خازن الجنان، أمرنى الله بطاعته، وطاعة محمد، وطاعة على بن أبى طالب. وهو قول الله تعالى: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ، يامحمد ويا على.

ويقول الملك الذى عن يساره: يا معشر الخلائق أنا خازن جهنم، أمرنى الله بطاعته، وطاعة محمد، وعلى!

وفى تأويل الآيات لشرف الدين: ۲/۶۰۹

تأويله: ما رواه الحسن بن أبى الحسن الديلمى بإسناده، عن رجاله، عن جابر بن يزيد، عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله عز وجل: وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ.

قال: السائق: أمير المؤمنين عليه السلام، والشهيد: رسول الله صلى الله عليه وآله. ويؤيد هذا التأويل: قوله تعالى لهما: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ.

بيان ذلك ما ذكره أبو على الطبرسى قال: روى أبو القاسم الحسكانى بإسناده عن الأعمش قال: حدثنا أبو المتوكل الناجى، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة يقول الله لى ولعلى: ألقيا فى النار من أبغضكما وأدخلا الجنة من أحبكما، وذلك قوله تعالى: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ.

وذكر الشيخ فى أماليه... إلى آخر ما تقدم.

ويؤيده: ما روى بحذف الإسناد عن محمد بن حمران قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله عز وجل: أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ؟ فقال:

إذا كان يوم القيامة وقف محمد وعلى صلوات الله عليهما وآلهما على الصراط، فلا يجوز عليه إلا من كان معه براءة.

قلت: وما براءة؟ قال: ولاية على بن أبى طالب والأئمة من ولده (عليهم السلام).

وینادی مناد: یا محمد یا علی: القیا فی جهنم کل کفار بنبوتک عنید لعلی بن ابی طالب وولده (علیهم السلام).

وذکر فی هامشه من مصادره: تفسیر البرهان: ۴ /۲۲۲ ح ۲، عن الحسن بن أبی الحسن الدیلمی. وشواهد التنزیل: ۲/۱۹۰ ح ۸۹۶ ومجمع البیان ۹/۱۴۷، وعنه البحار: ۳۶/۷۵ ونور الثقلین: ۵/۱۱۳ ح ۳۵ عنه البرهان: ۴/۲۲۷ ح ۴ والبحار: ۷/۳۳۸ ح ۲۶ و: ۳۹/۲۵۳ ح ۲۳ و: ۶۸/۱۱۷ ح ۴۳، عن أمالی الطوسی: ۱/۳۷۸. انتهی.

وفی شواهد التنزیل للحسکانی: ۲/۲۶۵

عن علی (ع) فی قوله تعالی (أَلْقِیَا فِی جَهَنَّمَ...) قال قال لی رسول الله صلی الله علیه وآله: إن الله تبارک وتعالی إذا جمع الناس یوم القیامهٔ فی صعید واحد، کنت أنا وأنت یومئذ عن یمین العرش، فیقول لی ولک: قوما فألقیا من أبغضکما وخالفکما فی النار.

شفاعهٔ علی و الأئمهٔ من ذریته

فی کنز العمال: ۱۳/۱۵۶

عن علی قال: قال رسول الله (ص): إن أول خلق الله یکسی یوم القیامهٔ أبی إبراهیم فیکسی ثوبین أبیضین ثم یقام عن یمین العرش، ثم أدعی فأکسی ثوبین أخضرین ثم أقام عن یسار العرش، ثم تدعی أنت یا علی فتکسی ثوبین أخضرین ثم تقام عن یمینی، أفما ترضی أن تدعی إذا دعیت وتکسی إذا کسیت وأن تشفع إذا شفعت. الدارقطنی فی العلل، وأورده ابن الجوزی فی الموضوعات وقال: تفرد به میسرهٔ بن حبیب النهدی والحکم بن ظهیر عنه، والحکم کذاب.

قلت: الحکم روی له الترمذی، وقال فیه البخاری: منکر الحدیث، وروی عنه القدماء سفیان الثوری ومالک، وک فصحح له، وقد تابع میسرهٔ عن المنهال عمران بن میثم، وهو الحدیث الذی قبله. انتهی.

ویلاحظ أن المتقی الهندی رد علی ابن الجوزی! ووثق الراویین اللذین تعلل بهما ابن الجوزی لتضعیف الحدیث، ثم ذکر له متابعا وبذلک یقول لابن الجوزی: إذا أصریت علی تضعیفه فهو حسن أو صحیح بمتابعه!

ویقصد بالحدیث الذی قبله رقم ۳۶۴۸۱، وهو من مسند علی قال:

قال لی رسول الله (ص): ألا ترضی یا علی إذا جمع الله الناس فی صعید واحد حفاهٔ عراهٔ مشاهٔ قد قطع أعناقهم العطش، فکان أول من یدعی إبراهیم فیکسی ثوبین أبیضین ثم یقوم عن یمین العرش، ثم یفجر لی مثعب من الجنهٔ إلی حوضی، وحوضی أعرض مما بین بصری وصنعاء فیه عدد نجوم السماء قدحان من فضهٔ، فأشرب وأتوضأ وأکسی ثوبین أبیضین، ثم أقوم عن یمین العرش، ثم تدعی فتشرب وتتوضأ وتکسی ثوبین أبیضین، فتقوم معی، ولا أدعی لخیر إلا دعیت إلیه؟ قلت: بلی.

(ابن شاهین فی السنهٔ، طس وأبو نعیم فی فضائل الصحابهٔ، أبو الحسن المیثمی: هذا حدیث لا یصح وآفته عمران بن میثم، وقال عق: عمران بن میثم من کبار الرافضهٔ یروی أحادیث سوء کذب) انتهی.

ویدل جعل المتقی الهندی لهذا الحدیث متابعا ومؤیدا للحدیث السابق، یدل علی أنه لم یتأثر بما قالوه عن عمران بن میثم، أو أن المؤید عنده یتسع لیشمل محتمل الصحهٔ بمطلق الإحتمال.

وفی شرح الأخبار: ۲/۲۰۱، من حدیث عن ابن عباس مع الشامی الناصبی:

فقال لها رسول الله صلی الله علیه وآله: یا أم سلمهٔ، اسمعی واحفظی واشهدی، هذا أخی فی الدنیا، وقرینی فی الآخرهٔ.

یا أم سلمهٔ، اسمعی واحفظی واشهدی، هذا علی عیبهٔ علمی، والباب الذی أوتی من قبله، والوصی علی الأحیاء من أهل بیتی، وهو معی فی السنام الأعلی، صاحب لوائی، والذائد عن حوضی، وصاحب شفاعتی.

یا أم سلمهٔ، إسمعی واحفظی واشهدی، إن الله عز وجل دافع إلی یوم القیامهٔ لواءین: لواء الحمد ولواء الشفاعهٔ، ولواء الشفاعهٔ بیدی، ولواء الحمد بید علی، وهو واقفٌ علی حوضی، لا یسقی من حوضی من شتمه أو شتم أهل بیته، ولا من قتله ولا من قتل أهل بیته.

فقال له الشامی: حسبک یابن عباس رحمک الله، فرجت عنی کربتی وأحییتنی وأحییت معی خلقاً، فأحیاک الله الحیاة الطیبة فی الدنیا والآخرة. أشهد الله وأشهدک ومن حضر أن علیاً مولای ومولی کل مسلم.

ثم انصرف إلی الشام فأعلم الذین أرسلوه بما کان من ابن عباس، فرجع معه خلق من أهل الشام عن سب علی علیه السلام.

وفی تفسیر فرات الکوفی/۱۱۶

عن جعفر بن محمد، عن أبیه (علیهما السلام) قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله:

یا علی، إن فیک مثل من عیسی بن مریم قال الله تعالی: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْکِتَابِ إِلا لَیُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَیَوْمَ الْقِیَامَةِ یَکُونُ عَلَیْهِمْ شَهِیدًا.

یا علی، إنه لا ـ یموت رجل یفتری علی عیسی حتی یؤمن به قبل موته، ویقول فیه الحق حیث لا ینفعه ذلک شیئاً، وإنک علی مثله لا یموت عدوک حتی یراک عند الموت فتکون علیه غیظاً وحزناً حتی یقر بالحق من أمرک، ویقول فیک الحق ویقر بولایتک حیث لا ینفعه ذلک شیئاً، وأما ولیک فإنه یراک عند الموت، فتکون له شفیعاً ومبشراً وقرة عین.

وفی بشارة المصطفی/۱۲۵

أخبرنا الشیخ الرئیس أبو محمد الحسن بن الحسین بن بابویه فی خانقاه بالری، فی شهر ربیع الأول سنة عشرة وخمسمائة، وأخبرنا الشیخ أبو علی الحسن بن محمد وأبو عبد الله محمد بن شهریار الخازن، بمشهد مولانا أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب، قال حدثنا الشیخ السعید أبو جعفر محمد بن الحسن بن محمد الطوسی رحمه الله قال حدثنا الشیخ المفید محمد بن محمد، قال حدثنی أبوبکر محمد بن عمر الجعابی، قال حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعید، قال حدثنا أبو حاتم، قال حدثنا محمد بن الفرات، قال حدثنا حنان بن سدیر، عن أبی جعفر محمد بن علی الباقر علیه السلام قال: ما ثبت الله تعالی حب علی فی قلب أحد فزلت له قدم إلا ثبت الله له قدما أخری.

أخبرنا والدی أبو القاسم علی بن محمد بن علی الفقیه رحمه الله وعمار بن یاسر وولده أبو القاسم سعد بن عمار رحمهم الله جمیعاً عن إبراهیم بن نصر الجرجانی، عن السید الزاهد محمد بن حمزة الحسینی رحمهم الله، عن أبی عبد الله الحسین بن علی بن بابویه رحمهم الله، قال حدثنا أبو الحسن علی بن عیسی المجاور فی مسجد الکوفة، قال حدثنا اسماعیل بن رزین بن أخی دعبل الخزاعی، عن أبیه، قال حدثنی علی بن موسی الرضا، قال حدثنی أبی موسی بن جعفر، عن أبیه جعفر بن محمد، عن أبیه محمد بن علی، قال حدثنی أبی الحسین بن علی قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: یا علی، أنت المظلوم بعدی فویلٌ لمن قاتلک، وطوبی لمن قاتل معک.

یا علی أنت الذی تنطق بکلامی، وتتکلم بلسانی بعدی، فویلٌ لمن رد علیک وطوبی لمن قبل کلامک.

یا علی، أنت سید هذه الأمة بعدی، وأنت إمامها وخلیفتی علیها، ومن فارقک فارقنی یوم القیامة، ومن کان معک کان معی یوم القیامة.

یا علی، أنت أول من آمن بی وصدقنی، وأول من أعاننی علی أمری وجاهد معی عدوی وأنت أول من صلی معی والناس یومئذ فی غفلة الجهالة.

یا علی، أنت أول من تنشق عنه الأرض معی، وأنت أول من یبعث معی، وأنت أول من یجوز الصراط معی، وإن ربی جل جلاله أقسم بعزته لا یجوز عقبة الصراط إلا من کان له براءة بولایتک وولایة الأئمة من ولدک.

وأنت أول من یرد حوضی، تسقی منه أولیاءک وتذود عنه أعداءک.

وأنت صاحبی إذا قمت المقام المحمود، تشفع لمحبنا فیهم.

وأنت أول من یدخل الجنة وبیدک لوائی لواء الحمد، وهو سبعون شقة الشقة منه أوسع من الشمس والقمر.

وأنت صاحب شجرة طوبی فی الجنة، أصلها فی دارک، وأغصانها فی دور شیعتک ومحبیک.

احادیث فی شفاعة الأئمة من أهل بیت النبی

فی المحاسن ۱/۱۸۳

عن معاویة بن وهب قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن قول الله تبارک وتعالی: لا یَتَکَلَّمُونَ إِلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَابًا.

قال: نحن والله المأذون لهم فی ذلک الیوم، والقائلون صواباً.

قلت: جعلت فداک، وما تقولون إذا تکلمتم؟

قال: نمجد ربنا ونصلی علی نبینا، ونشفع لشیعتنا، فلا یردنا ربنا.

وبإسناده قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام: قوله: من ذا الذی یشفع عنده إلا بإذنه، یعلم ما بین أیدیهم وما خلفهم. من هم؟

قال: نحن أولئک الشافعون.

وروی الاخیر فی تفسیر العیاشی: ۱/۱۳۶، وفی تفسیر نور الثقلین: ۱/۲۵۸ ورواه فی البحار:۸/۴۱، عن المحاسن.

وفی بحار الأنوار: ۷/۳۳۵

جاء فی روایات أصحابنا رضی الله عنهم مرفوعاً إلی النبی صلی الله علیه وآله أنه قال: إنی أشفع یوم القیامة فأشفع، ویشفع علی فیشفع، ویشفع أهل بیتی فیشفعون، وإن أدنی المؤمنین شفاعة لیشفع فی أربعین من إخوانه، کل قد استوجبوا النار.

وفی بصائر الدرجات/۴۹۶

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن أبی أیوب، عن برید العجلی قال: سألت أبا جعفر علیه السلام عن قول الله: وَعَلَی الْأَعْرَافِ رِجَالٌ یَعْرِفُونَ کُلًّا بِسِیمَاهُمْ؟ قال: أنزلت فی هذه الأمة، والرجال هم الأئمة من آل محمد.

قلت: فالأعراف؟

قال: صراط بین الجنة والنار، فمن شفع له الأئمة منا من المؤمنین المذنبین نجا، ومن لم یشفعوا له هوی.

وفی کفایة الاثر/۱۹۴

حدثنی علی بن الحسن، قال حدثنی هارون بن موسی، قال حدثنی أبوعبد الله الحسین بن أحمد بن شیبان القزوینی، قال حدثنا أبوعمر أحمد بن علی الفیدی، قال حدثنا سعد بن مسروق، قال حدثنا عبد الکریم بن هلال المکی، عن أبی الطفیل، عن أبی ذر (رض)، قال سمعت فاطمة علیها السلام تقول: سألت أبی علیه السلام عن قول الله تبارک وتعالی: وَعَلَی الْأَعْرَافِ رِجَالٌ یَعْرِفُونَ کُلًّا بِسِیمَاهُمْ، قال: هم الأئمة بعدی علی وسبطای وتسعة من صلب الحسین، هم رجال الأعراف، لا یدخل الجنة إلا من یعرفهم ویعرفونه ولا یدخل النار إلا من أنکرهم وینکرونه، لا یعرف الله إلا بسبیل معرفتهم.

وفی تأویل الآیات: ۱/۵۵

وقوله تعالی: وَاتَّقُوا یَوْمًا لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئًا وَلا یُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لا یُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لا هُمْ یُنصَرُونَ.

قال الإمام علیه السلام: قال الله عز وجل: وَاتَّقُوا یَوْمًا لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَیْئًا:

أی لا تدفع عنها عذابا قد استحقته عند النزع.

ولا یقبل منها شفاعة: من یشفع لها بتأخیر الموت عنها.

ولا یؤخذ منها عدل: أی ولا یقبل منها فداء مکانه، یموت الفداء ویترک هو.

قال الصادق علیه السلام: وهذا الیوم یوم الموت فإن الشفاعة والفداء لا تغنی منه، فأما یوم القیامة فإنا وأهلنا نجزی عن شیعتنا کل جزاء، لیکونن علی الأعراف بین الجنة والنار محمد وعلی وفاطمة والحسن والحسین، والطیبون من آلهم، فنری بعض شیعتنا فی تلک العرصات، فمن کان منهم مقصراً فی بعض شدائدها فنبعث علیهم خیار شیعتنا کسلمان والمقداد وأبی ذر وعمار ونظائرهم فی العصر الذی یلیهم، ثم فی کل عصر إلی یوم القیامة.. فینقضون علیهم کالبزاة والصقور یتناولونهم، کما تتناول الصقور صیودها، ثم یزفون

إلی الجنة زفاً.

وإنـا لنبعث علی آخرین من محبینـا من خیار شـیعتنا کالحمام فیلتقطونهم من العرصات، کما یلتقط الطیر الحب، وینقلونهم إلی الجنان بحضرتنا. انتهی.

وقد یسأل: کیف یکون أصحاب الاعراف هم النبی والأئمة صلی الله علیه وآله، مع أنه تعالی قال عنهم (لم یدخلوها وهم یطمعون)!

والجواب: أن ضـمیر (لم یدخلوها) لا یعود علیهم، بل علی أصـحاب الحجاب الذین یعرفونهم بسـیماهم، فراجع الآیات ۴۴، وما بعدها من سورة الأعراف، وما ورد فی تفسیرها.

وفی تفسیر فرات الکوفی/۱۱۶

عن أبی جعفر علیه السـلام قـال: نزلت هـذه الآیـة فینـا وفی شـیعتنا: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِینَ. وَلا صَـدِیقٍ حَمِیمٍ، وذلک حین باها الله بفضـلنا وبفضل شیعتنا حتی إنا لنشفع ویشفعون.

قال: فلما رأی ذلک من لیس منهم قالوا فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِینَ. وَلا صَدِیقٍ حَمِیمٍ..

وفی المحاسن: ۱/۱۸۴

عن عمر بن عبد العزیز، عن مفضل أو غیره، عن أبی عبد الله علیه السلام فی قول الله: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِینَ. وَلا صَدِیقٍ حَمِیمٍ؟

قال: الشافعون الأئمة، والصدیق من المؤمنین.

ورواه فی تفسیر نور الثقلین: ۴/۶۱

وفی الکافی: ۸/۱۰۱

محمـد بن یحیی، عن ابن عیسـی، عن ابن فضال، عن علی بن عقبـة، عن عمر بن أبان، عن عبـد الحمیـد الوابشـیٔ، عن أبی جعفر علیه السلام قال: قلت له: إن لنا جاراً ینتهک المحارم کلها حتی إنه لیترک الصلاة فضلاً عن غیرها:

فقال: سبحان الله!! وأعظم ذلک!

ألا أخبرکم بمن هو شرٌّ منه؟

قلت: بلی.

قال: الناصب لنا شرٌّ منه، أما إنه لیس من عبد یذکر عنده أهل البیت فیرق لذکرنا إلا مسحت الملائکة ظهره وغفر له ذنوبه کلها إلا أن یجیٔ بذنب یخرجه من الإیمان، وإن الشـفاعة لمقبولة وما تقبل فی ناصب، وإن المؤمن لیشـفع لجاره وماله حسنة، فیقول: یارب جاری کان یکف عنی الأذی فیشفع فیه، فیقول الله تبارک وتعالی:

أنا ربک وأنا أحق من کافی عنک، فیدخله الجنة وماله من حسنة!

وإن أدنی المؤمنین شفاعة لیشفع لثلاثین إنساناً فعند ذلک یقول أهل النار: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِینَ. وَلا صَدِیقٍ حَمِیمٍ..

وفی تفسیر نور الثقلین: ۴/۶۰

عن تفسـیر علی بن ابراهیم: حـدثنی أبی، عن الحسن بن محبوب، عن أبی أسامـة، عن أبی عبـد الله وأبی جعفر (علیهما السـلام) أنهما قالا: والله لنشفعن فی المذنبین من شیعتنا حتی یقول أعداؤنا إذا رأوا ذلک: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِینَ. وَلا صَدِیقٍ حَمِیمٍ. فَلَوْ أَنَّ لَنَا کَرَّةً فَنَکُونَ مِنَ أَلْمُؤْمِنِینَ.

قال: من المهتدین، قال: لأن الإیمان قد لزمهم بالإقرار.

ورواه فی بحار الأنوار: ۸/۳۶ وقال:

بیان: أی لیس المراد بالإیمان هنا الإسلام، بل الاهتداء إلی الأئمة (علیهم السلام) وولایتهم أو لیس المراد الإیمان الظاهری.

وفی المحاسن: ۱/۶۱

عن ليث بن أبى سليمان، عن ابن أبى ليلى، عن الحسن بن على (عليهما السلام)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقى الله وهو يودنا أهل البيت دخل الجنة بشفاعتنا، والذى نفسى بيده لا ينتفع عبد بعمله إلا بمعرفة حقنا. انتهى.

ورواه فى شرح الأخبار ۳/۴۸۷، وقد تقدمت روايته عن الطبرانى ومجمع الزوائد، وأن ولايتهم (عليهم السلام) شرط لقبول الأعمال.

وفى تأويل الآيات: ۲/۳۴۹

وروى عن الصادق عليه السلام فى قوله (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) قال عليه السلام: إذا حشر الله الناس فى صعيد واحد أجل الله أشياعنا أن يناقشهم فى الحساب، فنقول: إلهنا هؤلاء شيعتنا، فيقول الله تعالى: قد جعلت أمرهم إليكم، وقد شفعتكم فيهم وغفرت لمسيئهم، أدخلوهم الجنة بغير حساب. انتهى.

ولا بد أن يكون المقصود بهؤلاء: النوع المقبول من شيعتهم وأوليائهم عليهم السلام.

وفى أمالى المفيد/۴۸

قال، أخبرنى أبو حفص عمر بن محمد قال: حدثنا أبو عبد الله جعفر بن محمد قال: حدثنا عيسى بن مهران قال: حدثنا مخول قال: حدثنا الربيع بن المنذر، عن أبيه قال: سمعت الحسن بن على (عليهما السلام) يقول: إن أبا بكر وعمر عمدا إلى هذا الأمر وهو لنا كله فأخذاه دوننا، وجعلا لنا فيه سهماً كسهم الجدة، أما والله لتهمنهما أنفسهما يوم يطلب الناس فيه شفاعتنا.

وفى بحار الأنوار: ۸/۳۶

وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يقول: الرجل من أهل الجنة يوم القيامة: أى رب عبدك فلانٌ سقانى شربة من ماء فى الدنيا فشفعنى فيه، فيقول: إذهب فأخرجة من النار، فيذهب فيتجسس فى النار حتى يخرجه منها.

علل الشرائع: أبى عن محمد العطار، عن جعفر بن محمد بن مالك، عن أحمد بن مدين، عن محمد بن عمار، عن أبيه، عن أبى بصير، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون، والله إنكم لملحقون بنا يوم القيامة، وإنا لنشفع فنشفع، ووالله إنكم لتشفعون فتشفعون، وما من رجل منكم إلا وسترفع له نارٌ عن شماله وجنةٌ عن يمينه فيدخل أحباءه الجنة، وأعداءه النار.

وفى بصائر الدرجات/۶۲

حدثنا عباد بن سليمان عن ابيه قال قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى انتجبنا لنفسه، فجعلنا صفوته من خلقه، وأمناؤه على وحيه، وخزانه فى أرضه، وموضع سره، وعيبة علمه، ثم أعطانا الشفاعة، فنحن أذنه السامعة، وعينه الناظرة ولسانه الناطق بإذنه، وأمناؤه على ما أنزل من عذر ونذر وحجة.

احاديث فى شفاعة فاطمة الزهراء

فى مسائل على بن جعفر/۳۴۵

أخبرنى أبو عبد الله محمد بن أحمد الصفوانى قال: حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودى قال: حدثنا محمد بن سهل قال: حدثنا على بن الحسن بن على بن عمر بن على بن الحسين قال: حدثنى على بن جعفر بن محمد، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده على بن الحسين، عن أبيه الحسين بن على، عن جده على بن أبى طالب، عن النبى صلى الله عليه وآله قال:

إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم ونكسوا رؤوسكم حتى تمر فاطمة بنت محمد، فتكون أول من يكسى، وتستقبلها من الفردوس إثنا عشر ألف حوراء، وخمسون ألف ملك، على نجائب من الياقوت، أجنحتها وأزمتها اللؤلؤ الرطب، ركبها من زبرجد، عليها رحل من الدر، على كل رحل نمرقة من سندس حتى يجوزوا بها الصراط، ويأتوا بها الفردوس، فيتباشر بمجيئها أهل الجنان. فتجلس على كرسى من نور ويجلسون حولها، وهى جنة الفردوس التى سقفها عرش الرحمان، وفيها قصران، قصر

أبيض وقصر أصفر من لؤلؤة على عرق واحد، فى القصر الأبيض سبعون ألف دار، مساكن محمد وآل محمد.

وفى القصر الأصفر سبعون ألف دار، مساكن إبراهيم وآل إبراهيم.

ثم يبعث الله ملكاً لها لم يبعث لأحد قبلها ولا يبعث لاحد بعدها، فيقول: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: سلينى. فتقول: هو السلام، ومنه السلام، قد أتم على نعمته، وهنأنى كرامته، وأباحنى جنته، وفضلنى على سائر خلقه، أسأله ولدى وذريتى، ومن ودهم بعدى وحفظهم فى. فيوحى الله إلى ذلك الملك من غير أن يزول من مكانه، أخبرها أنى قد شفعتها فى ولدها وذريتها ومن ودهم فيها وحفظهم بعدها، فتقول: الحمد لله الذى أذهب عنى الحزن، وأقر عينى، فيقر الله بذلك عين محمد صلى الله عليه وآله.

ورواه فى تأويل الآيات: ٢/ ١٧٩، عن الإمام الصادق عليه السلام، وقال فى آخره: كان أبى إذا ذكر هذاالحديث تلا هذه الآية: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ.

وفى علل الشرائع: ١/١٧٩

حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن عبد الله بن مسكان، عن محمد بن مسلم الثقفى قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمة عليها السلام وقفةٌ على باب جهنم، فإذا كان يوم القيامة كتب بين عينى كل رجل مؤمن أو كافر، فيؤمر بمحب قد كثرت ذنوبه إلى النار، فتقرأ فاطمة بين عينيه محباً فتقول: إلهى وسيدى سميتنى فاطمة وفطمت بى من تولانى وتولى ذريتى من النار، ووعدك الحق وأنت لا تخلف الميعاد. فيقول الله عز وجل: صدقت يا فاطمة إنى سميتك فاطمة وفطمت بك من أحبك وتولاك وأحب ذريتك وتولاهم من النار، ووعدى الحق، وأنا لا أخلف الميعاد، وإنما أمرت بعبدى هذا إلى النار لتشفعى فيه فأشفعك، وليتبين لملائكتى وأنبيائى ورسلى وأهل الموقف موقفك منى، ومكانتك عندى، فمن قرأت بين عينيه مؤمناً فخذى بيده وأدخليه الجنة. انتهى.

ورواه فى البحار: ٨/٥١

وفى تفسير فرات/١١٦

عن أبى عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام)قال: قال جابر لابى جعفر عليه السلام: جعلت فداك يا بن رسول الله حدثنى بحديث فى فضل جدتك فاطمة عليها السلام إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك.

قال أبو جعفر: حدثنى أبى، عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة نصب للأنبياء والرسل منابر من نور، فيكون منبرى أعلى منابرهم يوم القيامة، ثم يقول الله: يا محمد أخطب، فأخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها.

ثم ينصب للأوصياء منابر من نور، وينصب لوصيى على بن أبى طالب فى أوساطهم منبر من نور، فيكون منبره أعلى منابرهم، ثم يقول الله: يا على أخطب، فيخطب بخطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها.

ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور، فيكون لإبنى وسبطى وريحانتى أيام حياتى منبران من نور، ثم يقال لهما: أخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلهما.

ثم ينادى المنادى وهو جبرئيل عليه السلام:

أين فاطمة بنت محمد؟

أين خديجة بنت خويلد؟

أين مريم بنت عمران؟

أين آسية بنت مزاحم؟

أين أم كلثوم أم يحيى بن زكريا؟

فيقمن، فيقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟

فیقول محمد وعلی والحسن والحسین وفاطمة: لله الواحد القهار.

فیقول الله جل جلاله: یا أهل الجمع إنی قد جعلت الکرم لمحمد وعلی والحسن والحسین وفاطمة. یا أهل الجمع طأطئوا الرؤوس وغضوا الأبصار، فإن هذه فاطمة تسیر إلی الجنة.

فیأتیها جبرئیل بناقة من نوق الجنة مدبجة الجنبین، خطامها من اللؤلؤ المحقق الرطب، علیها رحلٌ من المرجان، فتناخ بین یدیها فترکبها فیبعث إلیها مائة ألف ملک فیصیروا علی یمینها، ویبعث إلیها مائة ألف ملک یحملونها علی أجنحتهم حتی یصیروها علی باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فیقول الله: یا بنت حبیبی ما التفاتک وقد أمرت بک إلی جنتی؟

فتقول: یا رب أحببت أن یعرف قدری فی مثل هذا الیوم. فیقول الله تعالی یا بنت حبیبی ارجعی فانظری من کان فی قلبه حبٌّ لک أو لاحد من ذریتک خذی فأدخلیه الجنة.

قال أبو جعفر: والله یا جابر إنها ذلک الیوم لتلتقط شیعتها ومحبیها کما یلتقط الطیر الحب الجید من الحب الردی، فإذا صار شیعتها معها عند باب الجنة، یلقی الله فی قلوبهم أن یلتفتوا فإذا التفتوا یقول الله: یا أحبائی ما التفاتکم وقد شفعت فیکم فاطمة بنت حبیبی؟

فیقولون: یا رب أحببنا أن یعرف قدرنا فی مثل هذا الیوم، فیقول الله:

یا أحبائی إرجعوا وانظروا من أحبکم لحب فاطمة، أنظروا من أطعمکم لحب فاطمة، أنظروا من کساکم لحب فاطمة، أنظروا من سقاکم شربة فی حب فاطمة، أنظروا من رد عنکم غیبة فی حب فاطمة.. خذوا بیده وأدخلوه الجنة.

قال أبو جعفر: والله لا یبقی فی الناس إلا شاکٌّ أو کافرٌ أو منافق.

فإذا صاروا بین الطبقات نادوا کما قال الله تعالی: فما لنا من شافعین ولا صدیق حمیم. فیقولون: فلو أن لناکرة فنکون من المؤمنین.

قال أبو جعفر: هیهات هیهات، منعوا ماطلبوا (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لکاذبون).

وفی مناقب أمیر المؤمنین لمحمد بن سلیمان: ۲/۵۸۹

حدثنا أبو أحمد قال: أخبرنا عبدالله بن عبد الصمد، عن عبد الله بن سوار، عن عباس بن خلیفة، عن سلیمان الأعمش قال قال: بعث أبو جعفر أمیر المؤمنین إلی فأتانی رسوله فی جوف اللیل فبقیت متفکراً فیما بینی وبین نفسی، فقلت عسی أن یکون بعث إلی أبو جعفر فی هذه الساعة لیسألنی عن فضائل علی فلعلی إن صدقته صلبنی.

قال: فکتبت وصیتی ولبست کفنی ودخلت علیه، فإذا عنده عمرو بن عبید فحمدت الله علی ذلک، فقال لی أبو جعفر یا سلیمان أدن منی، قال فدنوت منه فاشتم رائحة الحنوط، فقال لی: والله یا سلیمان لتصدقنی أو لأصلبنک!

قال قلت: حاجتک یا أمیر المؤمنین.

قال: ما لی أراک محنطاً؟

قال قلت: أتانی رسولک أن أجب، فبقیت متفکراً فیما بینی وبین نفسی، فقلت:

عسی أن یکون بعث إلی أبو جعفر فی هذه الساعة یسألنی عن فضائل علی، فلعلی إن صدقته صلبنی!!

قال فاستوی جالساً وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلی العظیم، فقال: یا سلیمان أسألک بالله کم من حدیث ترویه فی فضائل علی؟

قلت: ألفی حدیث أو یزید.

قال لی: والله لأحدثنک حدیثین ینسیان کل حدیث ترویه فی فضل علی!

قال: قلت حدثنی.

قال: نعم، أیام کنت هارباً من بنی مروان أدور البلاد وأتقرب إلی الناس بحب علی وفضله وکانوا یطعمونی، حتی وردت بلاد الشام وأنا فی کساء خلق ما علی غیره، قال: فنودی للصلاة وسمعت الإقامة، فدخلت المسجد وفی نفسی أن أکلم الناس لیطعمونی، فلما سلم الإمام إذا رجل عن یمینی معه صبیان فقلت: من الصبیان من الشیخ؟

قال: أنا جدهما ولیس فی هذه المدینة رجل یحب علیاً غیری، ولذلک سمیت أحدهما حسناً والآخر حسیناً، قال: فقمت إلیه فقال: یا شیخ ما تشاء؟

قال قلت: هل لک فی حدیث أقر به عینک؟

قال: إن أقررت عینی أقررت عینک.

قال قلت: حدثنی أبی عن جدی قال: کنا مع رسول الله صلی الله علیه وآله ذات یوم قعدوا إذ أقبلت فاطمة وهی تبکی بکاء شدیداً فقال لها النبی صلی الله علیه وآله: ما یبکیک؟

قالت: یا أبتاه خرج الحسن والحسین ولا أدری أین أقاما البارحة؟

فقال لها النبی صلی الله علیه وآله: یا فاطمة لا تبکی فو الله إن الذی خلقهما هو ألطف بهما منک، ثم رفع طرفه إلی السماء، ثم قال: اللهم إن کانا أخذا براً أو رکبا بحراً فاحفظهما وسلمهما.

فإذا بجبرئیل قد هبط علی النبی صلی الله علیه وآله فقال: یا محمد إن الله یقرئک السلام ویقول: إنک لا تحزن لهما ولا تغتم لهما، فإنهما فاضلان فی الدنیا فاضلان فی الآخرة، وأبواهما خیر منهما، وهما نائمان بحضیرة بنی النجار، قد وکل الله بهما ملکاً یحفظهما.

فقام رسول الله صلی الله علیه وآله فرحاً مع أصحابه حتی أتی حضیرة بنی النجار، فإذا الحسن معانق الحسین، وإذا ذلک الملک الموکل بهما باسط أحد جناحیه تحتهما والآخر قد جللهما به، فانکب علیهما النبی صلی الله علیه وآله فقبلهما، حتی انتبها من نومهما فحملهما النبی صلی الله علیه وآله، وهو یقول:والله لابینن فیکما کما بین فیکما الله.

فقال له أبو بکر: یا رسول الله ناولنی أحد الصبیین أخفف عنک.

فقال النبی: یا أبا بکر نعم الحامل حاملهما ونعم المحمولان هما، وأبوهما خیرٌ منهما.

فقال عمر: یا رسول الله ناولنی أحد الصبیین أخفف عنک.

فقال: یا عمر نعم الحامل حاملهما، ونعم الراکبان هما، وأبوهما خیرٌ منهما.

فأتی بهما النبی صلی الله علیه وآله إلی المسجد فقال: یا بلال هلم إلی الناس فنادی منادی رسول الله فی المدینة، فاجتمع الناس إلی رسول الله، فقام علی قدمیه فقال:

یا معشر الناس، ألا أدلکم علی خیر الناس جداً وجدة؟ قالوا: بلی یا رسول الله.

قال: الحسن والحسین جدهما رسول الله، وجدتهما خدیجة ابنة خویلد سیدة نساء أهل الجنة.

ثم قال: أیها الناس، ألا أدلکم علی خیر الناس أباً وأماً؟

قالوا: بلی یا رسول الله.

قال: علیکم بالحسن والحسین، أبوهما شاب یحب الله ورسوله، ویحبه الله ورسوله، وأمهما فاطمة ابنة رسول الله.

یا معشر الناس، ألا أدلکم علی خیر الناس عماً وعمة؟

قالوا: بلی یا رسول الله.

قال: علیکم بالحسن والحسین، عمهما جعفر بن أبی طالب ذو الجناحین الطیار فی الجنة مع الملائکة، وعمتهما أم هانئ بنت أبی طالب.

ثم قال: یا معشر الناس، ألا أدلکم علی خیر الناس خالاً وخالة؟

قالوا: بلی یا رسول الله.

قال: علیکم بالحسن والحسین، فخالهما القاسم بن رسول الله، وخالتهما زینب ابنة رسول الله.

ثم قال: إن الحسن والحسین فی الجنة، وأباهما فی الجنة، وأمهما فی الجنة وعمهما فی الجنة، وعمتهما فی الجنة، وخالهما فی الجنة،

وخالتهما فی الجنهٔ.

اللهم إنک تعلم أنه من یحبهما أنه معهما. اللهم إنک تعلم أنه من یبغضهما أنه فی النار. فلما قلت ذلک للشیخ، قال: من أنت یا فتی؟ قلت: من أهل الکوفهٔ.

قال: عربیٌّ أم مولی؟ قلت: عربی. قال: أنت تحدث بهذا الحدیث، وأنت فی هذا الکساء؟!قال: فکسانی حلهٔ وحملنی علی بغلته.

قال: فبعتهما فی ذلک الزمان بمائهٔ دینار.

ثم قال: یا فتی أقررت عینی، والله لارشدنک إلی شاب یقر عینک.

قال: قلت نعم أرشدنی.

قال: فقال نعم ههنا رجلان أحدهما إمام والآخر مؤذن، فأما الإمام فهو یحب علیاً منذ خرج من بطن أمه، وأما الآخر فقد کان یبغض علیاً وهو الیوم یحب علیاً.

قال: فأخذ بیدی وأتی بی باب الإمام، فإذا شابٌ صبیح الوجه قد خرج علی فعرف الحلهٔ وعرف البلغهٔ وقال: والله یا أخی ما کساک فلان حلته، ولا حملک علی بغلته، إلا أنک تحب الله ورسوله وتحب علیاً، فحدثنی فی علی.

فقلت: نعم حدثنی والدی عن أبیه عن جده قال:

کنا مع رسول الله صلی الله علیه وآله ذات یوم إذ أقبلت فاطمهٔ وهی حاملهٔ الحسن والحسین علی کتفیها وهی تبکی بکاء شدیداً، فقال لها رسول الله صلی الله علیه وآله: یا فاطمهٔ ما یبکیک؟

قالت: یا رسول الله عیرتنی نساء قریش أن أباک زوجک معدماً لا مال له!

فقال لها رسول الله: یا فاطمهٔ لا تبکی، فو الله ما زوجتک حتی زوجک الله وشهد علی ذلک جبرئیل وإسرافیل. ثم اختار من أهل الدنیا فاختار من الخلق أباک فبعثه نبیا، ثم اختار من أهل الدنیا فاختار من الخلق علیاً فجعله وصیاً.

یا فاطمهٔ لا تبکی، فإنی زوجتک أشجع الناس قلباً، وأعلم الناس علماً، وأسمح الناس کفاً، وأقدم الناس إسلاماً.

یا فاطمهٔ لا تبکی، ابناه سیدا شباب أهل الجنهٔ، کان اسمهما مکتوبک فی التوراهٔ شبراً وشبیراً ومشبراً.

(وفی مناقب الخوارزمی: ثم إن الله عز وجل أطلع إلی أهل الأرض فاختار من الخلائق أباک فبعثه نبیاً، ثم أطلع إلی الأرض ثانیهٔ فاختار من الخلائق علیاً، فزوجک الله إیاه واتخذته وصیاً، فعلی منی وأنا منه، فعلی أشجع الناس قلبآ وأعلم الناس علماً وأحلم الناس حلماً وأقدم الناس سلماً وأسمحهم کفاً وأحسنهم خلقاً.

یا فاطمهٔ، إنی آخذ لواء الحمد ومفاتیح الجنهٔ بیدی، ثم أدفعها إلی علی، فیکون آدم ومن ولده تحت لوائه.

یا فاطمهٔ، إنی مقیم غداً علیاً علی حوضی، یسقی من عرف من أمتی، والحسن والحسین ابناه سیدا شباب أهل الجنهٔ من الأولین والآخرین، وقد سبق اسمهما فی توراهٔ موسی، وکان اسمهما فی التوراهٔ شبراً وشبیراً، سماهما الله الحسن والحسین لکرامهٔ محمد علی الله ولکرامتهما علیه).

یا فاطمهٔ، ألا ترین أنی إذا دعیت إلی رب العالمین دعی علی معی، وإذا شفعنی الله فی المقام المحمود شفع علی معی.

یا فاطمهٔ إذا کان یوم القیامهٔ کسی أبوک حلتین، وعلی حلتین، وینادی المنادی فی ذلک الیوم: یا محمد نعم الجد جدک إبراهیم، ونعم الأخ أخوک علی.

یا فاطمهٔ لا تبکی، علی و شیعته غدا هم الفائزون فی الجنهٔ

وقال فی هامشه:

۱۱۰۰ – والحدیث رواه الخوارزمی فی أول الفصل (۱۹) من کتابه مناقب علی علیه السلام بسند آخر عن الأعمش، وبزیادات فی متن

الحدیث.

وقد رواه بعدهٔ أسانید ابن المغازلی الشافعی فی الحدیث (۱۸۸) من کتابه مناقب علی علیه السلام صفحهٔ ۱۴۳، قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن أحمد بن عثمان بن الفرج بن الأزهر الصیرفی البغدادی رحمه الله قدم علینا واسطاً، حدثنا أبو بکر محمد بن الحسن سلیمان، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبدالله العکبری، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عتاب العبدی، حدثنا عمر بن شبهٔ بن عبیدهٔ النمیری قال: حدثنی المدائنی قال: وجه المنصور إلی الأعمش یدعوه...

قال: وحدثنا محمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبدالله العکبری، حدثنا عبدالله بن عتاب بن محمد، حدثنا الحسن بن عرفهٔ، حدثنا أبو معاویهٔ قال: حدثنا الأعمش قال: أرسل إلی المنصور...

وحدثنا محمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الله العکبری، حدثنا عبد الله بن عتاب بن محمد العبدی، حدثنا أحمد بن علی العمی، حدثنا إبراهیم بن الحکم قال: حدثنی سلیمان بن سالم قال: حدثنی الاعمش قال: بعث إلی أبو جعفر المنصور..

أقول: ورواه أیضاً شیخ الشیعهٔ وصدوق الشریعهٔ محمد بن علی بن الحسین بأسانید أربعهٔ فی المجلس (۶۷) من أمالیه/۳۵۲، قال: وأخبرنا سلیمان بن أحمد بن أیوب اللخمی فیما کتب إلینا من إصبهان قال: حدثنا أحمد بن القاسم بن مساور الجوهری سنهٔ ست وثمانین ومائتین قال: حدثنا الولید بن الفضل العنزی قال: حدثنا مندل بن علی العنزی عن الأعمش.

أقول: وهذا هو السند الثالث من أسانید الشیخ الصدوق، ومن أحب أن یطلع علی جمیع أسانیده، ولفظ الحدیث فلیراجع الأمالی فإنه منشور کثیر الوجود، وإنما أخترنا هذا السند لاجل وقوع الحافظ الطبرانی فیه وعلو مقامه فی الحفظ غیر خفی.

ورواه أبو القاسم الطبری فی بشارهٔ المصطفی/۱۱۴

والمحب الطبری ملخصاً فی ذخائر العقبی/۱۳۰

والحموینی فی فرائد السمطین ۲/۹۰ ح ۴۰۶

والخزاعی أبو بکر فی أربعینه ح ۲۵

ولاحظ البحار: ۳۷/۸۸.

نماذج من أحادیث شفاعهٔ النبی و آله لزوار مشاهدهم المشرفهٔ

من الثابت فی سیرهٔ المؤمنین فی کل الأدیان، من عهد أبینا آدم علیه السلام إلی ظهور الإسلام، احترام قبور أنبیائهم وأوصیائهم وأولیائهم، وتشییدها وزیارتها.

بل إن ذلک سیرهٔ عقلائیهٔ عند کل الأمم والشعوب، فتراهم یحترمون قبور موتاهم، خاصهٔ المهمین العزیزین عندهم.

وکان ذلک من عادات العرب أیضاً، وکانت الإستجارهٔ بالقبر العزیز علی القبیلهٔ وسیلهٔ مهمهٔ للعفو عمن استجار به أو تحقیق طلبه.

ولکن فی أیام وفاهٔ النبی علیهما السلام والإختلاف الذی وقع بین صحابته وأهل بیته علی خلافته، ادعی بعض الصحابهٔ أنه صلی الله علیه وآله أوصی أن لا یبنی علی قبره، ولا یصلی عند قبره، ولا یجتمع المسلمون عند قبره.. الخ.

وقد اهتمت دولهٔ الخلافهٔ بترویج هذه الأحادیث، وتشددت فی تنفیذها.

ونحن نعتقد أنها أحادیث غیر صحیحهٔ، وأن الدافع لوضعها کان خوف أهل الخلافهٔ الجدیدهٔ من أن تستجیر المعارضهٔ خاصهٔ أهل بیت النبی بقبره صلی الله علیه وآله ویعلنوا مرابطتهم عنده، ومطالبتهم بإرجاع الخلافهٔ إلیهم!!

وغرضنا هنا أن نلفت إلی أن تأکید الأئمهٔ من أهل البیت علیهم السلام علی زیارهٔ قبر النبی صلی الله علیه وآله وقبورهم الشریفهٔ، کان استمراراً لسنهٔ الله تعالی فی الأنبیاء والأوصیاء السابقین، کما کان رداً لمقولهٔ السلطهٔ التی عملت لتکریسها علی أنها جزءٌ من الدین!

وفیما یلی نماذج من الأحادیث الشریفهٔ، اقتصرنا منها علی ما تضمن شمول شفاعهٔ النبی وأهل بیته الطاهرین صلی الله علیه وآله لمن

زار قبورهم الطاهرة.

- ففى علل الشرائع: ۲/۴۶۰:

حدثنا أبى (رض) قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن عباد بن سليمان، عن محمد بن سليمان الديلمى، عن ابراهيم بن أبى حجر الأسلمى، عن أبى عبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أتى مكة حاجاً ولم يزرنى إلى المدينة جفانى، ومن جفانى جفوته يوم القيامة، ومن جاءنى زائراً وجبت له شفاعتى، ومن وجبت له شفاعتى وجبت له الجنة.

قال مصنف هذا الكتاب: العلة فى زيارة النبى صلى الله عليه وآله أن من حج ولم يزره فقد جفاه، وزيارة الأئمة تجرى مجرى زيارته، بما قد روى عن الصادق، وذكرهم فى هذا الباب.

- وفى الكافى: ۴/۵۶۷:

أبو على الأشعرى، عن عبد الله بن موسى، عن الحسن بن على الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: إن لكل إمام عهداً فى عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء: زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة فى زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة.

- ورواه فى علل الشرائع: ۲/۴۵۹، وتهذيب الأحكام: ۶/ ۷۸ و۹۳، والفقيه: ۲ /۵۷۷، والمقنعة/۴۷۴

الشفاعة لمن زار قبر أميرالمؤمنين

- فى تهذيب الأحكام: ۶/۱۰۷:

وعنه عن محمد بن على بن الفضل قال: أخبرنى الحسين بن محمد بن الفرزدق قال: حدثنا على بن موسى بن الأحول قال: حدثنا محمد بن أبى السرى إملاءً قال: حدثنى عبد الله بن محمد البلوى قال: حدثنا عمارة بن زيد عن أبى عامر الساجى واعظ أهل الحجاز قال: أتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله، ما لمن زار قبره؟ يعنى أمير المؤمنين، وعمر تربته؟

قال: يا أبا عامر، حدثنى أبى، عن أبيه، عن جده الحسين بن على، عن على، أن النبى صلى الله عليه وآله قال له: والله لتقتلن بأرض العراق وتدفن بها.

قلت: يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟

فقال لى: يا أبا الحسن، إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة، وعرصة من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوته من عباده تحن اليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرباً منهم إلى الله، مودة منهم لرسوله. أولئك يا على المخصوصون بشفاعتى والواردون حوضى، وهم زوارى غداً فى الجنة.

يا على، من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس.

ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فأبشر وبشر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ولكن حثالةً من الناس يعيرون زوار قبوركم بزيارتكم، كما تعير الزانية بزناها!

أولئك شرار أمتى، لا نالتهم شفاعتى ولا يردون حوضى.

- وفى علل الشرائع: ۲/۵۸۵:

حدثنا محمد بن على ماجيلويه رحمه الله قال: حدثنا على بن ابراهيم عن عثمان بن عيسى عن أبى الجارود رفعه فيما يروى إلى على صلوات الله عليه قال: إن ابراهيم صلى الله عليه مر ببانقيا فكان يزلزل بها، فبات بها فأصبح القوم ولم يزلزل بهم، فقالوا ما هذا وليس حدث؟!

قالوا: نزل هاهنا شیخٌ ومعه غلامٌ له.

قال فأتوه فقالوا له: یا هـذا إنه کان یزلزل بنا کل لیلهٔ، ولم یزلزل بنا هذه اللیلهٔ فبت عندنا، فبات فلم یزلزل بهم، فقالوا: أقم عندنا ونحن نجری علیک ماأحببت.

قال: لا، ولکن تبیعونی هذاالظهر، ولا یزلزل بکم.

فقالوا: فهو لک.

قال: لا آخذه إلا بالشراء، فقالوا: فخذه ما شئت فاشتراه بسبع نعاج وأربعهٔ أحمرهٔ فلذلک سمی بانقیا، لأن النعاج بالنبطیهٔ نقیا.

قال: فقال له غلامه یا خلیل الرحمن ما تصنع بهذا الظهر لیس فیه زرع ولاضرع؟!

فقال له: أسکت، فإن الله تعالی یحشر من هذا الظهر سبعین ألفاً یدخلون الجنهٔ بغیر حساب، یشفع الرجل منهم لکذا وکذا. انتهی.

وبانقیا کما ذکره اللغویون هی أول العراق من جههٔ الحجاز، وهی منطقهٔ النجف وأبی صخیر الفعلیهٔ، وقد تشمل کربلاء.

الشفاعهٔ لمن زار قبر الإمام الحسین

فی الکافی: ۴/۵۸۲:

محمـد بن یحیی، وغیره، عن محمـد بن أحمـد، ومحمـد بن الحسـین جمیعاً، عن موسـی بن عمر، عن غسان البصـری، عن معاویـهٔ بن وهب، وعلی بن ابراهیم، عن أبیه، عن بعض أصـحابنا، عن ابراهیم بن عقبـهٔ، عن معاویهٔ بن وهب قال: اسـتأذنت علی أبی عبد الله علیه السـلام فقیل لی: أدخل فدخلت فوجدته فی مصـلاه فی بیته فجلست حتی قضـی صـلاته، فسمعته وهو یناجی ربه ویقول: یا من خصنا بالکرامـهٔ وخصـنا بالوصـیهٔ، ووعـدنا الشـفاعهٔ، وأعطانـا علم ما مضـی وما بقی، وجعل أفئـدهٔ من الناس تهوی الینا، اغفر لی ولإخوانی، ولزوار قبر أبی الحسین علیه السلام.

- و فی تهذیب الأحکام: ۶/۱۰۸:

أحمد بن محمد الکوفی قال: أخبرنی المنذر بن محمد عن جعفر بن سـلیمان عن عبد الله بن الفضل الهاشـمی قال: کنت عند أبی عبد الله الصادق جعفر بن محمد صـلی الله علیه وآله، فدخل رجل من أهل طوس فقال: یا بن رسول الله ما لمن زار قبر أبی عبد الله الحسین بن علی (علیهما السـلام)؟ فقال له: یا طوسی من زار قبر أبی عبد الله الحسین بن علی (علیهما السلام) وهو یعلم أنه إمام من قبل الله عز وجل مفترض الطاعـهٔ علی العباد، غفر الله له ما تقـدم من ذنبه وما تأخر وقبل شـفاعته فی خمسـین مـذنباً، ولم یسأل الله عز وجل حاجهٔ عند قبره إلا قضاها له.

قال: فـدخل موسـی بن جعفر وهو صبی فأجلسه علی فخذه، وأقبل یقبل ما بین عینیه، ثم التفت الی وقال: یا طوسـی إنه الإمام والخلیفهٔ والحجـهٔ بعدی، سـیخرج من صـلبه رجلٌ یکون رضاً لله عز وجل فی سـمائه ولعباده فی أرضه، یقتل فی أرضـکم بالسم ظلماً وعدواناً، ویدفن بها غریباً، ألا فمن زاره فی غربته وهو یعلم أنه امام بعد أبیه مفترض الطاعهٔ من الله عز وجل، کان کمن زار رسول الله صـلی الله علیه وآله.

الشفاعهٔ لمن زار قبر الإمام الرضا

- فی من لا یحضره الفقیه: ۲/۵۸۴

وروی الحسن بن علی بن فضـال، عن أبی الحسن علی بن موسـی الرضـا صـلی الله علیه وآله، أنه قال له رجلٌ من أهل خراسان: یا ابن رسول الله رأیت رسول الله صـلی الله علیه وآله فی المنام کأنه یقول لی: کیف أنتم إذا دفن فی أرضـکم بضعتی، واستحفظتم ودیعتی، وغیب فی ثراکم نجمی؟

فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون فى أرضكم، أنا بضعة من نبيكم، وأنا الوديعة والنجم، ألا فمن زارنى وهو يعرف ما أوجب الله عز وجل من حقى وطاعتى فأنا وآبائى شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنا شفعاؤه نجى ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والانس، ولقد حدثنى أبى عن جدى عن أبيه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآنى فى منامه فقد رآنى، لأن الشيطان لا يتمثل فى صورتى، ولا فى صورة أحد من أوصيائى، ولا فى صورة واحد من شيعتهم، وإن الرؤيا الصادقة جزءٌ من سبعين جزء من النبوة.

– وفى من لا يحضره الفقيه: ۲/۵۸۳

وروى البزنطى عن الرضا عليه السلام قال: ما زارنى أحد من أوليائى عارفاً بحقى، إلا شفعت فيه يوم القيامة. ورواه فى وسائل الشيعة: ۱۰/ ۴۳۴

– وفى تهذيب الأحكام: ۶/۱۰۸:

أحمد بن محمد بن سعيد الهمدانى قال: أخبرنا على بن الحسن بن على بن فضال عن أبيه، عن أبى الحسن على بن موسى الرضا أنه قال: إن بخراسان لبقعة يأتى عليها زمانٌ تصير مختلف الملائكة، فلا يزال فوجٌ ينزل من السماء وفوجٌ يصعد إلى أن ينفخ فى الصور، فقيل له: يا بن رسول الله، وأية بقعة هذه؟

قال: هى أرض طوس، وهى والله روضة من رياض الجنة. من زارنى فى تلك البقعة كان كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله، وكتب الله له ثواب ألف حجة مبرورة وألف عمرة مقبولة، وكنت أنا وآبائى شفعاءه يوم القيامة.

ورواه فى من لايحضره الفقيه: ۲/۵۸۵، وفى وسائل الشيعة: ۱۰/۴۴۵

ختام فى بعض قواعد الشفاعة و أحكامه

نصيحة المسلم بأن لا يحتاج إلى الشفاعة

وردت أحاديث تنصح المسلم بأن يكون تقياً فى سلوكه، ويتوب إلى ربه من سيآته فى الدنيا، حتى يكون من أهل الجنة، ولا يحتاج إلى شفاعة لغفران ذنوبه يوم القيامة.

– ففى نهج البلاغة: ۴/۸۷:

۳۷۱ – وقال عليه السلام: لاشرف أعلى من الإسلام، ولا عز أعز من التقوى، ولا معقل أحصن من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة.

– وفى من لا يحضره الفقيه: ۳/۵۷۴:

وقال الصادق عليه السلام: شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا، وأما التائبون فإن الله عز وجل يقول: مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ.

النهى عن الإتكال على الشفاعة

– فى الكافى: ۸/۴۰۵:

وإياكم ومعاصى الله أن تركبوها، فإنه من انتهك معاصى الله فركبها فقد أبلغ فى الإساءة إلى نفسه، وليس بين الإحسان والإساءة منزلة، فلأهل الإحسان عند ربهم الجنة، ولأهل الإساءة عند ربهم النار، فاعلموا بطاعة الله واجتنبوا معاصيه، واعلموا أنه ليس يغنى عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً، لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل، ولا من دون ذلك، فمن سره أن تنفعه شفاعة الشافعين عند الله، فليطلب إلى الله أن يرضى عنه.

واعلموا أن أحداً من خلق الله لم يصب رضا الله إلا بطاعته، وطاعة رسوله، وطاعة ولاة أمره من آله، ولم ينكر لهم فضلاً، عظم ولا صغر.

وفى الكافى: ۶/۴۰۰:

علی بن ابراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن الحسن العطار، عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله: لا ینال شفاعتی من استخف بصلاته، ولا یرد علیَّ الحوض، لا والله! لا ینال شفاعتی من شرب المسکر، ولا یرد علیَّ الحوض، لا والله!

أحمد بن محمد، عن محمد بن اسماعیل، عن ابن مسکان، عن أبی بصیر، عن أبی الحسن علیه السلام قال: إنه لما احتضر أبی علیه السلام قال لی: یا بنی إنه لا ینال شفاعتنا من استخف بالصلاة، ولا یرد علینا الحوض من أدمن هذه الأشربة.

فقلت: یا أبَه، وأی الأشربة؟

فقال: کل مسکر. ورواهما فی تهذیب الأحکام: ۹/۱۰۶

وفی علل الشرائع: ۲/۳۵۶:

أبی رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عیسی، عن علی بن حدید وعبد الرحمان بن أبی نجران، عن حماد بن عیسی الجهنی، عن حریز بن عبد الله السجستانی، عن زرارة، عن أبی جعفر علیه السلام قال:

لا تستخفن بالبول ولا تتهاون به، ولا بصلاتک، فإن رسول الله صلی الله علیه وآله قال عند موته: لیس منی من استخف بصلاته، لا یرد علی الحوض، لا والله، لیس منی من شرب مسکراً لا یرد علی الحوض، لا والله. ورواه فی المحاسن: ۱ /۷۹

- وفی الکافی: ۵/۴۶۹:

محمد بن یحیی، عن محمد بن الحسین، عن محمد بن اسماعیل، عن صالح بن عقبة، عن أبی شبل قال قلت لابی عبدالله علیه السلام: رجلٌ مسلم ابتلی ففجر بجاریة أخیه فما توبته؟

قال: یأتیه فیخبره ویسأله أن یجعله من ذلک فی حل، ولا یعود.

قال: قلت: فإن لم یجعله من ذلک فی حل؟

قال: قد لقی الله عز وجل وهو زان خائن.

قال: قلت: فالنار مصیره؟

قال: شفاعة محمد صلی الله علیه وآله وشفاعتنا تحیط بذنوبکم یا معشر الشیعة، فلا تعودون وتتکلون علی شفاعتنا، فوالله ما ینال شفاعتنا إذا رکب هذا حتی یصیبه ألم العذاب ویری هول جهنم. ورواه فی الفقیه: ۴/۳۹

- وفی الصحیفة السجادیة: ۱ /۳۲۴:

وسألتک مسألة الحقیر الذلیل، البائس الفقیر، الخائف المستجیر، ومع ذلک خیفةً وتضرعاً وتعوذاً وتلوذاً، لا مستطیلاً بتکبر المتکبرین، ولا متعالیاً بدالة المطیعین، ولا مستطیلاً بشفاعة الشافعین، وأنا بعد أقل الاقلین وأذل الأذلین، ومثل الذرة...

- وفی مستدرک الوسائل: ۱۱/۱۷۴:

- جامع الأخبار: عن أمیر المؤمنین علیه السلام أنه قال: المؤمن یکون صادقاً فی الدنیا، واعی القلب، حافظ الحدود، وعاء العلم، کامل العقل، مأوی الکرم، سلیم القلب، ثابت الحلم، عاطف الیقین، باذل المال، مفتوح الباب للإحسان، لطیف اللسان، کثیر التبسم، دائم الحزن، کثیر التفکر، قلیل النوم، قلیل الضحک، طیب الطبع، ممیت الطمع، قاتل الهوی، زاهداً فی الدنیا، راغباً فی الآخرة، یحب الضیف، ویکرم الیتیم، ویلطف الصغیر، ویرفق الکبیر، ویعطی السائل، ویعود المریض، ویشیع الجنائز، ویعرف حرمة القرآن، ویناجی الرب، ویبکی علی الذنوب، آمراً بالمعروف، ناهیاً عن المنکر، أکله بالجوع، وشربه بالعطش، وحرکته بالأدب، وکلامه بالنصیحة، وموعظته بالرفق، ولا یخاف إلا الله، ولایرجو إلا ایاه، ولا یشغل إلا بالثناء والحمد، ولایتهاون، ولا یتکبر، ولا یفتخر بمال الدنیا، مشغولٌ بعیوب نفسه، فارغٌ عن عیوب غیره، الصلاة قرة عینه، والصیام حرفته وهمته، والصدق عادته، والشکر مرکبه، والعقل قائده، والتقوی زاده، والدنیا حانوته، والصبر منزله، واللیل والنهار رأس ماله، والجنة مأواه، والقرآن حدیثه، ومحمد صلی الله علیه وآله شفیعه، والله

جل ذکره مؤنسه.

امل العاصین بشفاعة النبی وآله

- فی الصحیفة السجادیة: ۱ /۳۵۰

اللهم فصل علی محمـد وآل محمـد، ولا تخیب الیوم ذلک من رجائی، ویا من لا یحفیه سائل ولا ینقصه نائل، فانی لم آتک ثقة منی بعمل صالح قدمته، ولا شفاعة مخلوق رجوته، إلا شفاعة محمد وأهل بیته، علیه وعلیهم سلامک...

- وفی الإعتقادات للصدوق/۴۷:

قال النبی صلی الله علیه وآله: لا یدخل رجل الجنة بعمله، إلا برحمة الله عز وجل.

- وفی بحار الأنوار: ۸/۳۶۲

- العیون: فیما کتب الرضا علیه السـلام للمأمون من محض الإسـلام: إن الله لا یـدخل النار مؤمنا وقـد وعـده الجنة، ولا یخرج من النار کافراً وقد أوعده النار والخلود فیها، ومذنبو أهل التوحید یدخلون النار ویخرجون منها، والشفاعة جائزةٌ لهم.

وهو فی عیون أخبار الرضا ۷: ۲۶۸، وفی الخصال: ۲/۱۵۴

- وفی تأویل الآیات: ۲/۶۸:

الشیـخ رحمه الله فی أمالیه، عن أبی محمد الفحام، عن المنصوری، عن عم أبیه قال: دخل سـماعة بن مهران علی الصادق علیه السـلام فقال له: یا سماعة من شر الناس عند الناس؟

قال: نحن یا بن رسول الله!

قال: فغضب حتی احمرت وجنتاه، ثم استوی جالساً وکان متکئاً، فقال:

یا سماعة من شر الناس عند الناس؟

فقلت: والله ما کذبتک یابن رسول الله، نحن شر الناس عند الناس، لأنهم سمونا کفاراً ورافضة.

فنظر الی ثم قال: کیف بکم إذا سیق بکم إلی الجنـة، وسیق بهم إلی النار فینظرون إلیکم فیقولون: ما لنا لا نری رجالاً کنا نعدهم من الأشرار؟

یـا سـماعة بن مهران، إنه من أساء منکم إساءة مشـینا إلی الله تعالی یوم القیامـة بأقـدامنا فنشـفع فیه فنخلصه، والله لا یـدخل النار منکم عشـرة رجـال، والله لا یـدخل النار منکم خمسـة رجال، والله لا یـدخل النار منکم ثلاثـة رجال، والله لا یـدخل النار منکم رجل واحـد، فتنافسوا فی الدرجات، وأکمدوا أعداءکم بالورع. انتهی.

ولا بد أن یکون مقصود الإمام الباقر علیه السلام محبی أهل البیت المؤمنین المقبولین عند الله تعالی.

- وفی تأویل الآیات: ۲/۱۵۵:

وروی الشیـخ أبو جعفر الطوسـی قدس الله روحه عن رجاله، عن زید بن یونس الشـحام، عن أبی الحسن موسـی بن جعفر علیه السلام قال: قلت لابی الحسن علیه السلام: الرجل من موالیکم عاقٌ یشرب الخمر، ویرتکب الموبق من الذنب نتبرأ منه؟

فقال: تبرؤوا من فعله، ولا تتبرؤوا من خیره، وابغضوا عمله.

فقلت: یتسع لنا أن نقول: فاسقٌ فاجر؟

فقال: لا، الفاسق الفاجر الکافر الجاحد لنا ولأولیائنا، أبی الله أن یکون ولینا فاسـقاً فاجراً وإن عمل ما عمل، ولکنکم قولوا: فاسق العمل فاجر العمل مؤمن النفس، خبیث الفعل طیب الروح والبدن.

لا والله لا یخرج ولینا من الـدنیا إلا والله ورسوله ونحن عنه راضون، یحشـره الله علی ما فیه من الـذنوب، مبیضاً وجهه، مسـتورة عورته،

آمنة روعته، لا خوف علیه ولا حزن. وذلک أنه لا یخرج من الدنیا حتی یصفی من الذنوب، إما بمصیبة فی مال أو نفس أو ولد أو مرض، وأدنی ما یصنع بولینا أن یریه الله رؤیا مهولة فیصبح حزیناً لما رآه، فیکون ذلک کفارةً له. أو خوفاً یرد علیه من أهل دولة الباطل، أو یشدد علیه عند الموت، فیلقی الله عز وجل طاهراً من الذنوب، آمنة روعتة بمحمد وأمیر المؤمنین، صلوات الله علیهما.

ثم یکون أمامه أحد الأمرین: رحمة الله الواسعة التی هی أوسع من أهل الأرض جمیعاً، أو شفاعة محمد وأمیر المؤمنین صلوات الله علیهما، إن أخطأته رحمة الله أدرکته شفاعة نبیه وأمیر المؤمنین، فعندها تصیبه رحمة الله الواسعة، وکان أحق بها وأهلها، وله إحسانها وفضلها. انتهی.ورواه فی أصل زید الزراد/۵۱

ولا بد أن یکون المقصود بولیهم المؤمن المقبول عند الله تعالی.

– وفی بحار الأنوار: ۸/۳۶۲:

تذییل: اعلم أن الذی یقتضیه الجمع بین الآیات والأخبار أن الکافر المنکر لضروری من ضروریات دین الإسلام مخلدٌ فی النار، لا یخفف عنه العذاب إلا المستضعف الناقص فی عقله، أو الذی لم یتم علیه الحجة، ولم یقصر فی الفحص والنظر، فإنه یحتمل أن یکون من المرجون لأمر الله، کما سیأتی تحقیقه فی کتاب الإیمان والکفر. وأما غیر الشیعة الإمامیة من المخالفین وسائر فرق الشیعة ممن لم ینکر شیئاً من ضروریات دین الإسلام فهم فرقتان:

إحداهما، المتعصبون المعاندون منهم ممن قد تمت علیهم الحجة فهم فی النار خالدون.

والأخری، المستضعفون منهم وهم الضعفاء العقول مثل النساء العاجزات والبله وأمثالهم، ومن لم یتم علیه الحجة ممن یموت فی زمان الفترة، أو کان فی موضع لم یأت إلیه خبر الحجة، فهم المرجون لأمر الله، إما یعذبهم وإما یتوب علیهم، فیرجی لهم النجاة من النار.

وأما أصحاب الکبائر من الإمامیة فلا خلاف بین الإمامیة فی أنهم لا یخلدون فی النار، وأما أنهم هل یدخلون النار أم لا؟ فالأخبار مختلفة فیهم اختلافاً کثیراً.

ومقتضی الجمع بینها أنه یحتمل دخولهم النار، وأنهم غیر داخلین فی الأخبار التی وردت أن الشیعة والمؤمن لا یدخل النار، لأنه قد ورد فی أخبار أخر أن الشیعة من شایع علیاً فی أعماله، وأن الإیمان مرکبٌ من القول والعمل.

لکن الأخبار الکثیرة دلت علی أن الشفاعة تلحقهم قبل دخول النار، وفی هذا التبهیم حکم لا یخفی بعضها علی أولی الأبصار.

الاولی بشفاعة النبی وآله

– فی مستدرک الوسائل: ۸/۴۴۲:

وبهذا الإسناد: عن علی بن أبی طالب قال: قیل یا رسول الله ما أفضل حال أعطی للرجل؟

قال: الخلق الحسن، إن أدناکم منی وأوجبکم علیَّ شفاعة: أصدقکم حدیثاً، وأعظمکم أمانة، وأحسنکم خلقاً، وأقربکم من الناس.

ورواه فی صفحة ۴۵۴، وفی ۱۱/۱۷۱

– وفی تفسیر نور الثقلین: ۱/۷۷:

فی کتاب الخصال عن أبی عبد الله علیه السلام قال: ثلاثٌ من کن فیه استکمل خصال الإیمان: من صبر علی الظلم وکظم غیظه، واحتسب وعفی وغفر، کان ممن یدخله الله تعالی الجنة بغیر حساب، ویشفعه فی مثل ربیعة ومضر.

– وفی المقنعة/۲۶۷:

وقال صلی الله علیه وآله: إنی شافع یوم القیامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنیا: رجلٌ نصر ذریتی، ورجلٌ بذل ماله لذریتی عند الضیق، ورجلٌ أحب ذریتی بالقلب واللسان، ورجلٌ سعی فی حوائج ذریتی إذا طردوا وشردوا.

– وفی فردوس الأخبار للدیلمی: ۵/۱۰۷ ح ۷۳۲۷

أنس بن مالك: وعدنی ربی عز وجل فی أهل بیتی: من أقر منهم بالتوحید ولی بالبلاغ، أن لا یعذبهم.

– وفی فردوس الأخبار: ۱/۵۴ ح ۲۸:

عبد الله بن عمر: أول من أشـفع له یوم القیامة من أمتی أهل بیتی ثم الأقرب فالأقرب ثم الأنصار. ثم من آمن بی واتبعنی من الیمن، ثم سائر العرب والأعاجم. ومن أشفع له أولاً أفضل.

وفی الطبرانی الکبیر: ۱۲/۴۲۱

عن ابن عمر قـال: قال رسول الله (ص): أول من أشـفع له یوم القیامـة أهل بیتی، ثم الأقرب فالأقرب من قریش، ثم الأنصار ثم من أمن بی واتبعنی من الیمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم، وأول من أشفع له أولوا الفضل.

ورواه الهیثمی فی مجمع الزوائد: ۱۰/۳۸۱

– وفی مجمع الزوائد ج ۱۰/۳۸۰:

باب فی أول من یشـفع لهم: عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص): أول من أشفع له من أمتی أهل بیتی، ثم الأقرب فالأقرب من قریش والأنصار، ثم آمن بی واتبعنی من أهل الیمن، ثم من سائر العرب، ثم الأعاجم. وأول من أشـفع له أولو الفضل. رواه الطبرانی، وفیه من لم أعرفهم.

الدعاء للنبی باعطائه الشفاعة

– فی الکافی: ۳/۱۸۷:

علی بن ابراهیم، عن أبیه، عن عبدالله بن المغیرة، عن رجل، عن سـلیمان بن خالد، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: تقول: أشهد أن لا اله إلا الله، وأشـهد أن محمداً رسول الله، اللهم صل علی محمد عبدک ورسولک، اللهم صل علی محمد وآل محمد، وتقبل شـفاعته، وبیض وجهه، وأکثر تبعه.

وفی الصحیفة السجادیة ۱/۲۹۱:

اللهم اجعل محمداً أول شافع وأول مشفع، وأول قائل، وأنجح سائل.

اللهم صـل علی محمـد وآل محمـد سـید المرسـلین وإمام المتقین وأفضل العالمین وخیر الناطقین، وقائـد الغر المحجلین، ورسول رب العالمین.

اللهم أحسن عنـا جزاءه، وعظم حبـاءه وأکرم مثواه وتقبل شـفاعته فی أمته وفی من سواهم من الأمم، واجعلنا ممن تشـفعه فیه، واجعلنا برحمتک ممن یرد حوضه یوم القیامة.

– وفی تهذیب الأحکام: ۶/۱۰۰:

وبموالاـتکم تقبل الطاعـة المفترضـة، ولکم المودة الواجبـة والـدرجات الرفیعـة، والمکان المحمود والمقام المعلوم عنـد الله عز وجل، والجاه العظیم، والشأن الکبیر والشفاعة المقبولة.

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاکتبنا مع الشاهـدین، ربنا لا تزغ قلوبنا بعـد اذ هدیتنا وهب لنا من لدنک رحمة إنک انت الوهاب، سبحان ربنا إن کان وعد ربنا لمفعولا.

یا ولی الله إن بینی وبین الله عز وجل ذنوباً لا یأتی علیها إلا رضاکم، فبحق من ائتمنکم علی سره، واسترعاکم أمر خلقه، وقرن طاعتکم بطاعته، لما استوهبتم ذنوبی، وکنتم شفعائی، فإنی لکم مطیع.

من أطاعکم فقد أطاع الله، ومن عصاکم فقد عصی الله، ومن أحبکم فقد أحب الله، ومن أبغضکم فقد أبغض الله.

اللهم إنی لو وجـدت شـفعاء أقرب الیـک من محمـد وأهـل بیته الأخیـار الأئمـة الأبـرار لجعلتهم شـفعائی، فبحقهم الـذی أوجبت لهم

علیک، أسألک أن تدخلنی فی جملة العارفین بهم وبحقهم، وفی زمرة المرحومین بشفاعتهم، إنک أرحم الراحمین.

الدعاء بطلب الشفاعة لوالدیه و أقاربه

– فی الصحیفة السجادیة ۱/۳۴۷:

اللهم رب هذه الأمکنة الشریفة، ورب کل حرم ومشعر عظمت قدره وشرفته... واغفر لی ولوالدی ولمن ولدنی من المسلمین، وارحمهما کما ربیانی صغیراً، واجزهما عنی خیر الجزاء، وعرفهما بدعائی لهما ما یقر أعینهما، فإنهما قد سبقانی إلی الغایة، وخلفتنی بعدهما، فشفعنی فی نفسی وفیهما، وفی جمیع أسلافی من المؤمنین والمؤمنات، فی هذا الیوم یا أرحم الراحمین. انتهی.

مسائل حول التوسل

مفردات التوسل

وقع خلط فی مسائل هذا الباب ومعانی مفرداته، فکان لا بد من تمییزها.

وأهم المفردات المستعملة فی التوسط بین الإنسان وربه عز وجل، هی:

الدعاء، النداء، التوسل، التذرع، الإستشفاع، الإستعانة، الإستغاثة، السؤال به، التوجه به. ویتصل بها: التضرع، والابتهال، والتبرک..

وقد استعمل الإسلام کلمات: الشفاعة والتوسل والإستشفاع والتوجه إلی الله تعالی، بعمل، أو شخص، أو سؤاله بکرامته علیه، أو حقه، أو جاهه عنده.. الخ. بنفس معناها اللغوی، وهو التوسط إلی الله تعالی بعمل أو بشخص، أو طلب التوسط من ذلک الشخص إلی الله تعالی.

ویتخیل بعضهم أن توسیط شخص إلی شخص أو إلی الله تعالی، یتضمن إشراکه فی مقام المتوسط إلیه، وهو خطأٌ لأن التوسیط یدل علی أن للواسطة وجاهةً ما، یؤمل بها أن یقبل المتوسط إلیه شفاعته.

فمعنی الشراکة فی الألوهیة معنی آخر لا یأتی من التوسیط، بل قد یکون من عقیدة المتوسط ونیته، وقد لا یکون أصلاً.

وسوف تعرف بطلان دعوی ابن تیمیة وأتباعه تحریم بعض أنواع التوسیط بحجة أنه یتضمن شرکاً بالله تعالی، وأن الشرک لا یأتی من التوسیط بل من خارجه.

ویبدو أن أقوی معانی التوسیط: سؤال الله تعالی بشخص، أو بعمل.. ویأتی بعده فی المرتبة: التوسل والتوجه به إلی الله تعالی.

ففی روضة الواعظین للنیسابوری/۳۲۷، أن أبا بصیر سأل الإمام الصادق علیه السلام: ما کان دعاء یوسف فی الجب، فإنا قد اختلفنا فیه؟ قال: إن یوسف لما صار فی الجب وآیس من الحیاة قال: اللهم إن کانت الخطایا والذنوب قد أخلقت وجهی عندک فلن ترفع لی الیک صوتاً، ولن تستجیب لی دعوة فإنی أسألک بحق الشیخ یعقوب، فارحم ضعفه واجمع بینی وبینه، فقد علمت رقته علیَّ وشوقی إلیه. قال: ثم بکی أبو عبد الله علیه السلام ثم قال: وأنا أقول:

اللهم إن کانت الخطایا والذنوب قد أخلقت وجهی عندک فلن ترفع لی الیک صوتا ولن تستجیب دعوة، فإنی أسألک بک فلیس کمثلک شیء، وأتوجه الیک بمحمد نبیک نبی الرحمة، یا الله یا الله یا الله.

قال ثم قال أبو عبد الله علیه السلام: قولوا هذا وأکثروا منه، کثیراً ما أقوله عند الکرب العظام. انتهی.

ونلاحظ أن الإمام الصادق علیه السلام أجری تعدیلاً علی دعاء نبی الله یوسف علیه السلام، وجعل السؤال فجعله بالله تعالی وحده، وجعل التوجه إلیه بنبیه محمد صلی الله علیه وآله.

وهو یدل علی أن سؤال الله تعالی بالشئ أعظم من التوجه إلیه به.

فالتوجه هو أن يقدم السائل شخصاً له وجهةٌ عند المسؤول.

والسؤال به يشبه المطالبة بحق للمسؤول به على المسؤول.

والإستشفاع قريبٌ من التوجه، وهو توسيط من له حق الوساطة.

ولا يبعد أن يكون التوسل أعم منها جميعاً، لأنه توسيط من له وجهة عند المسؤول، أو له حق عنده، أو له حق شفاعة ووساطة..

وقد يكون التوسل غير ناظر إلى حق المسؤول به نهائياً بل ناظرٌ إلى مسيس حاجة السائل المتوسل، فيكون التوسل من هذه الناحية على نحو القضية المهملة.

والذى أعتقده أن هذه التعبيرات الأربع (التوجه بشخص أو شئ، والتوسل به، والإستشفاع به، والسؤال به) غير مترادفة، ويتضح ذلك من استعمالات القرآن والنبى وآله لها، وهم أفصح من نطق بالضاد، وأعلم الناس بالله تعالى وأدب سؤاله. وأن مانراه من ترادفها فهو بالنظرة الأولى.

ويحتمل فى بعضها أن المعصومين (عليهم السلام)أقروا ترادفها تخفيفاً على الأمة، أو أن الراوى اشتبه فى نقلها لترادفها فى ذهنه.

ويؤيد ذلك أن الإمام الصادق عليه السلام قال (وأنا أقول.. وفى رواية ولكنى أقول) وهو بذلك لا خطئ يوسف عليه السلام بسؤاله بأبيه يعقوب، ولكنه ارتقى فى أدب الدعاء فسأل الله تعالى به وحده، مشيراً بذلك إلى أن حق يعقوب وحق جميع الرسل والعباد إنما هو تفضل من الله تعالى وليس ذاتياً، فالتوجه بمقام الجاه الذى أعطاهم الله أنسب.

وفى هذا الموضوع بحوثٌ مفيدة لطيفة، يحسن لمن أرادها أن يتأمل فى نصوص أدعية الصحيفة السجادية، ففيها أنواع المعرفة بالله تعالى، وأدب سؤاله ودعائه، وفيها خصائص الكلمات العربية، التى ليس فيها مترادفٌ بالمعنى الدقيق!

الدعاء والنداء

توسع العرب فى مادة (دَعَوَ) واستعملوا مشتقاتها فى معان كثيرة، مثل نداء الشخص لأى غرض حتى مجازاً، ودعائه إلى طعام.. ومن ذلك الدعاء إلى عبادة الله تعالى، أو غيره، كما قال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك)!

قال الخليل فى العين: ۲/۲۲۱:

(وفلانٌ فى مدعاة إذا دعى إلى الطعام. وتقول دعا دعاء، وفلان داعى قوم وداعية قوم: يدعو إلى بيعتهم دعوة. والجميع: دعاة). انتهى.

- وقال الراغب فى المفردات/۱۶۹:

الدعاء كالنداء، إلا أن النداء قد يقال بيا أو أيا ونحو ذلك، من غير أن يضم إليه الإسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الإسم نحو يا فلان... ودعوته إذا سألته وإذا استغثته، قال تعالى (قالوا ادع لنا ربك) أى سله.

وقال (قل أرأيتم أن أتاكم عذاب الله أ وأتتكم الصاعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون) تنبيها أنكم إذا أصابتكم شدة لم تفزعوا إلا إليه.

وادعوه خوفاً وطمعاً. وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين. وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه. وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه.

ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك. انتهى.

- وفى الفروق اللغوية لأبى هلال/۵۳۴:

الفرق بين النداء والدعاء: أن النداء هو رفع الصوت بماله معنى، والعربى يقول لصاحبه ناد معى ليكون ذلك أندى لصوتنا، أى أبعد له.

والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه، يقال دعوته من بعيد ودعوت الله فى نفسى، ولا يقال ناديته فى نفسى. انتهى.

والنتیجة

أن النـداء الـذی هو أحد معانی الدعاء، یشـمل النداء لأی غرض کان، ویشـمل النداء الحقیقی والمجازی.. وعلیه فلا یصح زعمهم أن قول القائل (یا محمد یا علی یا فاطمة) هو حرامٌ وشرک، لأنه دعاء لغیر الله تعالی وعبادة له!

فـإن ذلـک یتبع عقیـدة المنـادی ونیته، فإن کانت نیته عبادتهم والعیاذ بالله، فهو شـرک أو کفر! أما إذا کان غرضه التوسل بهم إلی الله تعالی، کما هو عقیدة الشـیعة وعامة المتوسلین المستغیثین من المسلمین، والمتبادر إلی أذهان عوامهم فضلاً عن علمائهم، فهو عبادةٌ لله تعالی وتوسلٌ إلیه بالنبی وآله، الذین شرع التوسل بهم، صلوات الله علیهم.

وسیأتی أن الإستعانة والإستغاثة کالتوسل والإستشفاع وبقیة ألفاظ التوسیط، معنیً وحکماً.

التوسل فی الأدیان السابقة

هل کان مبدأ التوسل والإستشفاع إلی الله تعالی بالأعمال والاشخاص موجوداً فی الدین الإلهی قبل الإسلام؟

والجواب بالإیجاب، لأن قوله تعالی فی آخر سورة نزلت من القرآن:

یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَیْهِ الْوَسِیلَةَ وَجَاهِدُوا فِی سَبِیلِهِ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ. المائدة: ۳۵

لیس دعوةً إلی سنة جدیدة، بل إلی سنته سبحانه فی الأدیان السابقة.

ولـذلک أبقی الوسـیلة مطلقـةً ولم یبینهـا، لأنهـا معهودةٌ فی أذهـان المتـدینی بأنهـا التوسـل إلی الله تعـالی بالأعمال الصالحـة وبرسـله وأوصیائهم، وبذلک تکون الآیة إذناً للمسلمین بأن یتوسلوا إلیه بأعمالهم وبنبیه وأوصیائه، کما کانت السنة فی الأدیان السابقة.

فإن قلت: مادام الإسـلام جاء بمبدأ الواسطة بین الله وعباده، وأمر به، فلماذا کل هذا الإنکار فی القرآن والحدیث علی المشرکین الذین اتخذوا آلهتهم ومعبودیهم وسائط بینهم وبین الله تعالی؟ وماذا یصیر الفرق بینهم وبین المؤمنین؟!

والجواب:

أن الفرق بین المؤمنین والمشـرکین فی کـل الأدیان: أن المشـرکین جعلوا لله شـرکاء وشـفعاء لم یأذن بهم، فأشـرکوهم معه بأنواع من التشریک الذی زعموه.

أمـا المؤمنون فوحـدوا الله وأطـاعوه، وهو الـذی أمرهم باتخـاذ الوسـیلة الیه والتوجه الیه بهم وتقـدیمهم بین یـدی دعـائهم وأعمالهم.. فالأنبیاء والأوصیاء وسیلةٌ مشروعةٌ وشفعاء بإذنه.

وبذلک یکون الحد الفاصل بین الشـرک والتوحید فی نوع الواسـطة لا فی أصـلها: فالواسـطة التی أذن بها الله الواحد الأحد سـبحانه لا تنافی التوحید بل تؤکده..

والواسطة التی لم یأذن بها شرکٌ یخرج صاحبه عن التوحید.

والله تعالی یسـتحیل أن یأذن باتخاذ وسـیلة الیه ممن یزعم أن له شـراکة معه! ولذا لا یدعی المتوسلون بالرسل والأوصیاء علیهم السلام أن لهم شراکةً مع الله تعالی ولو بقدر ذرة! بل هم عبادٌ مکرمون، شاء الله تعالی أن یجعلهم وسائط لعطائه.

الفرق بین التوسل و أنواع الشرک

تضمنت آیات القرآن الکریم کل المفاهیم اللازمة للبشر، فی تحدید ما هو من دون الله فی العبادة والإطاعة، وما هو من الله. وفیما یلی أهم عناوینها:

۱ - الذین هم من دون الله

هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِی مَاذَا خَلَقَ الَّذِینَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِی ضَلالٍ مُبِینٍ. لقمان: ۱۱

أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. الزمر: ۳۶

۲ – الآلهة من دون الله

قال تعالى عن الأصنام المعبودة عند قوم عاد:

قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَ مَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ. إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ. مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ. إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. هود: ۵۳ – ۵۶

وقال تعقيباً على إهلاك حضارت عاد وثمود ومصر:

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ. هود: ۱۰۱

وقال عن آلهة البابليين:

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ. قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ. ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنْطِقُونَ. قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ. أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ. قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. الأنبياء: ۵۹ – ۶۹

وقال عن آلهة الرومان:

وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَاْ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا. هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا. وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلا اللهَ فَاوُواْ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا. الكهف: ۱۴ – ۱۶

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَ هُمْ مُهْتَدُونَ. وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُونَ. إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ. يس: ۲۰ – ۲۴

وقال عن تأليه النصارى لعيسى ومريم:

وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ... المائدة: ۱۱۶ – ۱۲۰

وقال عن آلهة أمم مختلفة:

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا. الفرقان: ۳

وقال عن (الالهة) الذين رضوا بأن يعبدهم الناس:

وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ. إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ. لَوْ كَانَ هَؤُلاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَ كُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ. الأنبياء: ۹۶ – ۹۹

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْئُولاً. وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ. الفرقان: ۱۶ – ۱۷

هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ. احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ. وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ. مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ. بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ. وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ. قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ. قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ. فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ. فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ. فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ. الصافات: ۲۱ – ۳۳

وقال عن آلهة بعض مشركى العرب:

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا. كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا. مريم: ۱۸ – ۸۲

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ. لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ. فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ. يس: ۷۴ – ۷۶

وقال عن آلهة مكذبى الرسل من الأمم السابقة والعرب:

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِىَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِى بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ. الأنبياء: ۲۴

وقال عن تأليه الملائكة والأنبياء:

وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ. الأنبياء: ۲۹

وقال عن قوم سبأ:

إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ. أَلا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. النمل: ۲۳ – ۲۶

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ. قِيلَ لَهَا ادْخُلِى الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. النمل: ۴۳ – ۴۴

وقال عن آلهة الحضارات التى فى الجزيرة العربية وحولها:

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الأيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ. الأحقاف: ۲۷ – ۲۸

وقال عن عباد الرحمن الموحدين:

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا.... وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. الفرقان: ۶۳، ۶۸

۳ – المعبودون من دون الله

قال تعالى عن المعبودين من دون الله عند أمم مختلفة:

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِى شَكٍّ مِنْ دِينِى فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ. يونس: ۱۰۴ – ۱۰۶

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ. الحج: ۷۱

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا. الفرقان:۵۵

وقال عن عبادة الناس غير الملموسة للحكام الطواغيت:

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ

عَلَى الرُّسُلِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ. وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ. النحل: ۳۵ – ۳۶

وقال عن معبودات البابليين:

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ. أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ. قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ. الأنبياء: ۶۶ – ۶۹

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ. إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ. قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ. أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ. قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ. قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ. فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلا رَبَّ الْعَالَمِينَ. الشعراء: ۶۹ – ۷۷

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ. وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ. وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اللهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ. فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ. وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ. قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ. تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ. إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَمَا أَضَلَّنَا إِلا الْمُجْرِمُونَ. الشعراء: ۹۰ – ۹۹

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. العنكبوت: ۱۶ – ۱۷

وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإبْرَاهِيمَ. إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ. إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ. أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ. فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ. فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ. فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ. فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ. مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ. فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ. فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ. قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ. وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ. الصافات: ۸۳ – ۹۶

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ. العنكبوت: ۲۴ – ۲۵

فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا. مريم: ۴۹

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لاسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. الممتحنة: ۴

وقد تقدمت الآيات ۹۷ – ۹۹ من سورة الأنبياء، والفرقان – ۱۷، عن (الآلهة) الذين رضوا بأن يعبدهم الناس.

وقال تعالى عن عبادة النصارى للمسيح ومريم:

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ.

قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. مائدة: ۷۵ – ۷۶

وقال عن عبادة العرب وأمثالهم للاصنام:

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

أَلا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. الزمر: ۲ – ۳

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لايَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ.

فَلا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ.

ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ.

وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. النحل: ۷۳ – ۷۶

وقال مقارنا بين عبادة الرسول (ص) وعبادة مكذبيه:

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ.

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. الزمر: ۱۱ – ۱۵

وقال عن تخويف المشركين للنبي بمعبوداهم:

أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ.

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ. الزمر: ۳۶ – ۳۸

۴ – الأنداد من دون الله

قال تعالى عن الرؤساء المطاعين من دون الله (الانداد):

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ.

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ. البقرة ۱۶۵ – ۱۶۶

وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُواْ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ. الزمر: ۸

۵ – الشركاء من دون الله

قال تعالى عن الأصنام:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِي مَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ.

وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ.

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ.

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوالَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ. الأعراف: ۱۸۹ – ۱۹۵

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لا يَشْكُرُونَ.

يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لله أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. يوسف: ۳۸ – ۴۰

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ. مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ. غافر: ۷۰ – ۷۴

۶ – المزعومون من دون الله

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلًا.

أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا.

وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا. الإسراء: ۵۶ – ۵۸

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ. سبأ: ۲۲

۷ – المدعوون من دون الله

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا. لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا. وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا. يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا. النساء: ۱۱۷ – ۱۲۰

قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. الأنعام: ۷۱

وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. الأنعام: ۱۰۸

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ. الأعراف: ۳۷

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ. الرعد: ۱۴

أَلا إِنَّ للهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ. يونس: ۶۶

وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ.

إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ. لا جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ. النحل: ۲۰ – ۲۳

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا. الإسراء: ۶۷

قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ. الأنعام: ۴۰ – ۴۲

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا. قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا.

وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَى أَلا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى شَقِيًّا. مريم: ۴۶ – ۴۸

وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ. وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ. الزخرف: ۸۶ – ۸۷

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالأَخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. يَدْعُواْ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُ وَمَا لا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ. يَدْعُواْ لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ. الحج: ۱۱ – ۱۳

ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. الحج: ۶۲

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الحج: ۷۳ – ۷۴

ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. لقمان: ۳۰

يُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ.

إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ. فاطر: ۱۳ – ۱۴

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلا غُرُورًا. فاطر: ۴۰

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَ ظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ. فصلت: ۴۸

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَوَاتِ ائْتُونِى بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُواْ مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ. وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ. الأحقاف: ۴ – ۶

وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِىَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ. الزمر: ۳۸

وَاللهُ يَقْضِى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. غافر: ۲۰

هُوَ الْحَىُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِىَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. غافر: ۶۵ – ۶۶

وقال تعالى عن اهلاك الحضارات الظالمة:

فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ. مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ. إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَىْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ. العنكبوت ۴۰ – ۴۳

الرسول داعى الله

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ. يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِىَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ

ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ. الأحقاف: ۲۹ – ۳۲

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُواْ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا. قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا. الجن: ۲۰ – ۲۱

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ. قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ. الأنعام: ۵۶ – ۵۷

إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ. وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ. وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ. خُذِ الْعَفْوَ وَامُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ. الأعراف: ۱۹۶ – ۱۹۹

المؤمنون يدعون الله تعالى وحده

وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. الأنعام: ۵۱ – ۵۲

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا. الكهف: ۲۸

۸ – الشفعاء من دون الله والشفعاء من الله

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. الأنعام: ۷۰ – ۷۱

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. يونس: ۱۸

اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ. يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ. السجدة: ۴ – ۵

أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقِلُونَ. قُلْ لِلهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.الزمر: ۴۳ – ۴۶

۹ – الأرباب من دون الله

قال الله تعالى عن ربوبية الحكام والأحبار عند أهل الكتاب:

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. آل عمران: ۶۴

إتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ. التوبة: ۳۱

وقال تعالى عن المسيح والأنبياء:

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ

الْکِتَابَ وَبِمَا کُنْتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلا یَامُرَکُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِکَةَ وَالنَّبِیِّینَ أَرْبَابًا أَیَامُرُکُمْ بِالْکُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. آل عمران: ۷۹ – ۸۰

وقال عن أرباب الفراعنة وأتباعهم فی مصر:

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِی إِبْرَاهِیمَ وَإِسْحَاقَ وَیَعْقُوبَ مَا کَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِکَ بِاللهِ مِنْ شَیْءٍ ذَلِکَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَیْنَا وَعَلَی النَّاسِ وَلَکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَشْکُرُونَ. یَا صَاحِبَیِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَیْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّیْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُکُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُکْمُ إِلا للهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِیَّاهُ ذَلِکَ الدِّینُ الْقَیِّمُ وَلَکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ. یوسف: ۳۸ – ۴۰

هذا وقد تقدم تصنیف آیات الشفاعة فی المجلد الثالث.

۱۰–الشهداء من دون الله والاشهاد من الله

وَإِن کُنتُمْ فِی رَیْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَی عَبْدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَکُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنتُمْ صَادِقِینَ. البقرة: ۲۳

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَی عَلَی اللهِ کَذِبًا أُولَئِکَ یُعْرَضُونَ عَلَی رَبِّهِمْ وَیَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِینَ کَذَبُوا عَلَی رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَی الظَّالِمِینَ. الَّذِینَ یَصُدُّونَ عَنْ سَبِیلِ اللهِ وَیَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالأَخِرَةِ هُمْ کَافِرُونَ. هود: ۱۸ – ۱۹

۱۱ – الصدق عن الله والإفتراء من دون الله

وَمَا یَتَّبِعُ أَکْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لا یُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شَیْئًا إِنَّ اللهَ عَلِیمٌ بِمَا یَفْعَلُونَ. وَمَا کَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ یُفْتَرَی مِنْ دُونِ اللهِ وَلَکِنْ تَصْدِیقَ الَّذِی بَیْنَ یَدَیْهِ وَتَفْصِیلَ الْکِتَابِ لا رَیْبَ فِیهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِینَ. أَمْ یَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ کُنْتُمْ صَادِقِینَ. بَلْ کَذَّبُوا بِمَا لَمْ یُحِیطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا یَأْتِهِمْ تَأْوِیلُهُ کَذَلِکَ کَذَّبَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ کَیْفَ کَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِینَ. یونس: ۳۶ – ۳۹

أَمْ یَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَیَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ کُنْتُمْ صَادِقِینَ. فَإِنْ لَمْ یَسْتَجِیبُوا لَکُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. هود: ۱۳ – ۱۴

۱۲ – العاصم من الله والعاصم من دون الله

قُلْ لَنْ یَنْفَعَکُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِیلاً.

قُلْ مَنْ ذَا الَّذِی یَعْصِمُکُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِکُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِکُمْ رَحْمَةً وَلا یَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِیًّا وَلا نَصِیرًا. الأحزاب: ۱۶ – ۱۷

۱۳–الولیجة من دون الله:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَکُوا وَلَمَّا یَعْلَمِ اللهُ الَّذِینَ جَاهَدُوا مِنْکُمْ وَلَمْ یَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِینَ وَلِیجَةً وَاللهُ خَبِیرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. التوبة: ۱۶

۱۴ – الأولیاء من دون الله:

وهذا الموضوع أوسع المواضیع فی مصطلح (من دون الله القرآنی) لأن الأولیاء من دونه فی المجتمعات البشریة والسلوک الإنسانی متنوعون. قال الله تعالی:

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْکُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَکُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِیٍّ وَلا نَصِیرٍ. البقرة: ۱۰۷

الاولیاء الشیاطین

قُلْ أَمَرَ رَبِّی بِالْقِسْطِ وَأَقِیمُوا وُجُوهَکُمْ عِنْدَ کُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ کَمَا بَدَأَکُمْ تَعُودُونَ. فَرِیقًا هَدَی وَفَرِیقًا حَقَّ عَلَیْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّیَاطِینَ أَوْلِیَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَیَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ. الأعراف: ۲۹ – ۳۰

التأثر بأفکار الناس یجعلهم أولیاء من دون الله

فَاسْتَقِمْ کَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَکَ وَ لا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ. وَ لا تَرْکَنُوا إِلَی الَّذِینَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّکُمُ النَّارُ وَ مَا لَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ. وَ أَقِمِ الصَّلَوةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ. وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. هود: ۱۱۲ – ۱۱۵

إِتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ. الأعراف: ۳

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. الرعد: ۱۱

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا. قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا. وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا. الكهف: ۲۵ – ۲۷

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلا الصَّابِرُونَ. فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ. القصص: ۸۰ – ۸۱

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. الرعد: ۱۶

انكشاف عدم فائدة الأولياء من دون الله في الآخرة

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ. وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ. اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ. الشورى: ۴۵ – ۴۷

وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا. وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا. وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلا ضَلالاً. مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا. نوح: ۲۲ – ۲۵

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. الزمر: ۲ – ۳

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ. وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ. أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الشورى: ۶ – ۹

تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ. وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ. مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. الجاثية: ۶ – ۱۰

لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. الرعد: ۱۱

وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ. أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِيءُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الأخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. العنكبوت: ۱۸ – ۲۳

- وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولاً. قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولاً. قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا. وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا. الإسراء: ٩٤ - ٩٧

أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا. وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا. وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا. هُنَالِكَ الْوَلايَةُ للهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا. الكهف: ٤١ - ٤٤

قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا. فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا. وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا. الفرقان: ١٨ - ٢٠

لا وجود حقيقيا لولي من دون الله

- إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ. لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. التوبة: ١١٦ - ١١٧
وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ. وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ. وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ. الشورى: ٢٩ - ٣١

نتيجة

من الآيات المتقدمة، يتضح أن سبب الكفر والشرك والضلال، ثلاثةُ أمور:

الأول: زعم الألوهية لأحد غير الله تعالى.

والثاني: زعم الشراكة فى الألوهية أو فى التصرف فى الخلق لأحد مع الله تعالى.

والثالث: زعم حق الوسيلة والوساطة لأحد أو شئ لم يأذن به الله تعالى.

أما التوسل إلى الله بمن أذن بالتوسل به، وبدون ادعاء شراكة له مع الله تعالى.. فهو خارجٌ عن هذه الحالات المذمومة كلها، ولا يدخل فى شيء من الكفر والشرك والضلال، بل هو إطاعة لله، لأنه اتخاذ وسيلة بأمره، وليس من دونه.

فالميزان فى المسألة هو: أن اتخاذ الوسيلة والشفعاء من دون الله تعالى شرك وكفر، واتخاذهم من عنده بإذنه وأمره، إيمان وتقوى.

وشتان بين الأمرين!! فهما وإن تشابها فى الظاهر لكن الفرق بينهما هو المسافة بين الكفر والضلال، والهدى والرشاد.

وبذلك تعرف وهن تشبث به ابن تيمية وأتباعه فحكموا على أكثر المسلمين بالكفر بسببه!! واستحلوا بذلك دماءهم وأموالهم!!

شبهة على أصل التوسل

أثار بعضهم اشكالاً على مبدأ التوسل، شبيهاً بما مر فى الشفاعة..

والسبب فى ذلك أنهم رأوا الشفاعات والوساطات والمحسوبيات السيئة عند الرؤساء والمسؤولين فى دار الدنيا، وما فيها من محاباة وإعطاء بغير حق، ولا جهد من المشفوع لهم، أو المتوسط لهم.

وبما أن الله تعالى يستحيل عليه أن يحابى كما يحابى حكام الدنيا، وإنما يعطى جنته وثوابه بالإيمان والعمل الصالح.. فلذا صعب على هؤلاء قبول الشفاعة والوساطة والوسيلة إلى الله تعالى!

ولکنه فات هؤلاء أنه لا استحقاق فی الأصل لمخلوق علی الله تعالی، وأن المنشأ الحقوقی الوحید لحق المخلوق علی ربه هو وعده سبحانه إیاه بالعطاء، فهو حقٌّ مکتسبٌ بالوعد لأن الله تعالی رحیمٌ صادق، ولیس حقاً أصلیاً للعبد!

وفاتهم أیضاً، أن الإستشفاع والتوسل إلیه تعالی عملٌ صالح، لأنه تعالی أمرنا أن نبتغی إلیه الوسیلة.

فاتهم أن الحکمة من جعله تعالی الأنبیاء والأوصیاء الوسیلة إلیه تعالی:

أولاً: أن یعالج مشکلة التکبر فی البشر، لأن البشر لا یمکنهم الإنتصار علی تکبرهم والخضوع لعبودیة الله تعالی، إلا إذا انتصروا علی ذاتیتهم فی مقابل الأنبیاء والأوصیاء، واعترفوا لهم بالفضل والمکانة الممیزة والإختیار الإلهی، وأنهم المبلغون عن الله تعالی.. فهذا الإعتراف مطلوب لأنه مقدمة علمیة وعملیة للإیمان بالله تعالی وممارسة العبودیة له.

فبدون الخضوع للأنبیاء والأوصیاء لا یتحقق خضوع حقیقی لله تعالی، ولا إیمان حقیقی به!! وهذا هو المقصود بقوله تعالی (وَمَا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللهِ إلا وَهُمْ مُشْرِکُونَ.)!!

لقد کان من الممکن أن یقول الله تعالی للناس: آمنوا بی ولا شغل لکم برسلی وأولیائی، فإنما هم مبلغون لما أرسلتهم به، وإنما (الرسول طارش) کما قال بعض الوهابیین! ولکن ذلک لا یعالج مشکلة الإنسان فی التکبر علی عباد الله!!

وإذا لم تنحل مشکلته هذه، لم تنحل مشکلته فی التکبر علی ربه وادعاءاته الفارغة بقربه منه وتکریمه له!!

فالخضوع العملی للمخلوقین الربانیین الممتازین، هو الطریق الطبیعی الوحید للخضوع للخالق سبحانه.

وهما نوعان مختلفان من الخضوع، لأن حق الخضوع لله ذاتی، ولأولیائه تبعی جعلی.. بل هما فی الحقیقة نوعٌ واحد، لأن الخضوع للأولیاء بأمر الله تعالی إنما هو خضوعٌ لله تعالی.

وثانیاً: أن جعل الأنبیاء والأوصیاء وسیلة إلی تعالی ضرورة ذهنیة للبشر.. ذلک أن الفاصلة بین ذهن الإنسان المحدود المیال إلی المادیة والمحدودیة، وبین التوحید المطلق المطلوب والضروری، فاصلةٌ کبیرة، فهی تحتاج إلی نموذج ذهنی حاضر من نوع الإنسان، یمارس التوحید أمامه ویکون قدوةً له. وبدون هذا النموذج القدوة، یبقی الإنسان فی معرض الجنوح فی تصوره للتوحید وممارسته، والجنوح فی هذا الموضوع الخطیر، أخطر أنواع جنوح الضلال!!

وهذا هو السبب فی اعتقادی فی أن الله تعالی جعل أنبیاءه وأوصیاءهم حججاً علی العباد، وهو السبب فی أنه جعلهم من نوع الناس أنفسهم ولیس من نوع آخر کالملائکة مثلاً.

والنتیجة:

أن وجود الوسیلة بین العباد والله تعالی لو کان أمره یرجع الینا لصح لنا أن نقول یاربنا نرید أن تجعل کل أنواع ارتباطنا بک مباشراً، فلا تجعل بیننا وبینک واسطةً فی شئ! کما یمیل إلیه أهل الإشکال علی الشفاعة والتوسل!

ولکن الأمر له سبحانه، فالأفضل أن یکون منطقنا سلیما فنقول:

اللهم لا نقترح علیک، فأنت أعلم بما یصلحنا، وإن أردت أن تجعل أنبیاءک وأوصیاءک واسطةً بیننا وبینک، وحججاً علینا عندک، فنحن مطیعون لک ولهم، ولا اعتراض عندنا..

وهذا هو التسلیم المطلق لإرادته تعالی الذی عبر عنه بقوله لرسوله صلی الله علیه وآله فی سورة الزخرف: ۸۱ – ۸۲: قل إن کان لله ولد فأنا أول العابدین.

ومعناه: أیها الرسول وحد لله تعالی توحیداً بلا شرط، واقبل معه کل شرط حتی لو اتخذ ولداً وأمرک بعبادته!

ثم بین تعالی أن الواقع أنه لم یتخذ ولن یتخذ ولداً فقال:

سبحان الله رب السماوات والأرض، رب العرش، عما یصفون.

مسألة التوسل دقیقة و حساسة

فهى مسألة ذات حدين، لابد فيها التوازن والحذر من الإفراط والتفريط!

فلا هؤلاء الوسائط يملكون شيئاً مع الله تعالى.. لأنهم مخلوقون فقراء إليه تعالى.

كما أنه لا غنى للناس عن وساطتهم إلى الله.. لأنهم عباده المكرمون الذين أمر بالتوجه اليه بهم.

والتعادل المطلوب فيها تعادل فكرى وعملى.. لأن الحركة الإنحرافية، ذهنية أو عملية، قد توجب الضلال!!

فالـذين ينقصون من دور أنبياء الله وأوصيائه ومقامهم عنـد الله تعالى، بحجـة توحيـده وإبعاد الشـركاء عن ساحته المقدسة، يقعون فى الضلال والبعد عن الطريق الذى عينه الله لتوحيده وطاعته..وهو طلعتهم، والتوجه اليه بهم!

والذين يزيدون على دورهم المحدد من الله تعالى، ويجعلون لهم معه شـراكةً فى ملكه أو حكمه أو عبادته، ولو ذرةً واحدة، بحجة أنه جعلهم وسيلةً إليه.. يقعون فى الضلال والبعد عن الطريق الذى عينه الله تعالى، والذى هو التوحيد المطلق!

وبسبب هذه الدقة فى العقيدة الإسلامية فى الأنبياء والاوصياء نرى أن الآيات والأحاديث الشريفة أكدت على الجانبين معاً!

۱ - فهى تؤكد من ناحية على أن طاعته تعالى إنما تكون بطاعتهم وابتغاء الوسيلة إليه عن طريقهم.

۲ - ومن ناحية أخرى تؤكد على بشريتهم، وأن الذين جعلوهم آلهة أو شركاء لله قد ضلوا وكفروا.

وفيما يلى نورد بعض الآيات فى إطاعة الرسول صـلى الله عليه وآله، ونلاحظ أن الله جعل طاعة الرسول إيماناً ومعصيته كفراً! وهو مقام مافوقه مقام لمخلوق أن يجعل الله طاعته طاعته، ومعصيته معصيته!!

قال سبحانه:

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ. آل عمران: ۳۲

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا. النساء: ۸۰

وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِى تَقُولُ وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا. النساء ":۸۱

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ. وَ لَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لاسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ. الانفال: ۲۰ - ۲۳

وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا. النساء: ۶۹ - ۷۰

وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ. وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. النور: ۵۲ - ۵۳

قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ. النور: ۵۴

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا. الأحزاب: ۷۰ - ۷۱

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ. محمد: ۳۳

وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا. الفتح: ۱۷

تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ. النساء: ۱۳ - ۱۴

ونلاحظ هنا أن نفس فريضة الإطاعة التي فرضها الله لرسوله، فرضها لأولى الأمر من بعده! صلى الله على رسوله وآله، قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَاوِيلًا. النساء: ۵۹

وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِى الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلا قَلِيلًا. النساء: ۸۳

ومن الجهة الأخرى قال تعالى فى الذين ألّهوا الأنبياء والأولياء أو جعلوهم شركاء لله سبحانه:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ. وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ. وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ. الأنبياء: ۲۵ – ۲۹

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ. لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ. الزمر: ۲ – ۴

تأكيد الأئمة على المحافظة على التوحيد فى التوسل

وذلك فى نصوص كثيرة، ومنها نصوص الأدعية والتوسلات التى علمها الأئمة الطاهرون (عليهم السلام) لشيعتهم، كما لاحظت فيما أوردناه منها.. وهذا نموذجٌ آخر:

– فى بحار الأنوار: ۹۸/۱۶۸:

عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إذا أتيت القبر بدأت فأثنيت على الله عز وجل، وصليت على النبى صلى الله عليه وآله، واجتهدت فى ذلك إن شاء الله، ثم تقول: سلامُ الله وسلام ملائكته فيما تروح وتغدو.

من هم المتوسل بهم عند المسلمين

يكاد يكون التوسل والإستشفاع فى مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، محصوراً روايةً وعملاً بمحمد وآله المعصومين صلى الله عليه وعليهم.

ولم أجد فى سيرة أئمتنا (عليهم السلام)، ولا فى سلوك المتشرعين من أصحابهم وشيعتهم ذكراً للتوسل بأحد غير المعصومين (عليهم السلام)! وإن وجد فهو توسلٌ بهم تبعاً للمعصومين أو فى موارد خاصة.

نعم ورد فى عدد من الأدعية عن أهل البيت (عليهم السلام) تعليم التوسل بالملائكة المقربين والأنبياء السابقين، وكتب الله المنزلة، وعباده الصالحين، والأعمال الصالحة..

ففى مصباح المتهجد/۳۵۸:

اللهم إنى أتقرب اليك بجودك وكرمك، وأتشفع اليك بمحمد عبدك ورسولك، وأتوسل اليك بملائكتك المقربين، وأنبيائك المرسلين، أن تقيلنى عثرتى، وتستر على ذنوبى، وتغفرها لى، وتقلبنى بقضاء حاجتى، ولا تعذبنى بقبيح كان منى.

يا أهل التقوى وأهل المغفرة، يا بر يا كريم، أنت أبر بى من أبى وأمى، ومن نفسى، ومن الناس أجمعين، بى اليك فاقة وفقر، وأنت غنى عنى...

– وفى مصباح المتهجد /۳۰۲

روی ابراهیم بن عمر الصنعانی، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: للأمر المخوف العظیم تصلی رکعتین، وهی التی کانت الزهراء علیها السلام تصلیها، تقرأ فی الأولی الحمد، وقل هو الله أحد خمسین مرة، وفی الثانیة مثل ذلک، فإذا سلمت صلیت علی النبی صلی الله علیه وآله، ثم ترفع یدیک وتقول:

اللهم انی أتوجه بهم الیک وأتوسل الیک بحقهم العظیم الذی لا یعلم کنهه سواک وبحق من حقه عندک عظیم، وبأسمائک الحسنی وکلماتک التامات، التی أمرتنی أن أدعوک بها.

وأسألک باسمک العظیم الذی أمرت ابرهیم علیه السلام أن یدعو به الطیر فأجابته.

وباسمک العظیم الذی قلت للنار کونی برداً وسلاماً علی ابرهیم فکانت.

وبأحب أسمائک إلیک، وأشرفها عندک، وأعظمها لدیک، وأسرعها إجابة، وأنجحها طلبة، وبما أنت أهله ومستحقه ومستوجبه...

وأسألک بکتبک التی أنزلتها علی أنبیائک ورسلک صلواتک علیهم أجمعین من التوراة والإنجیل والقرآن العظیم، من أولها إلی آخرها، فإن فیها اسمک الأعظم. وبما فیها من أسمائک العظمی أتقرب الیک.

التوسل بغیر المعصومین عند السنیین

سیرة أئمة المذاهب السنیة وسلوک أتباعهم حافلةٌ بالتوسل بمن یعتقدون صلاحه من شیوخ العلم والتصوف.

وحتی الحنابلة الذین یدعی ابن تیمیة الإنتساب إلیهم ویشن باسمهم حملة ضد التوسل والإستشفاع ویکفر بهم المسلمین.. یعتقدون بالتوسل!!

فقد ثبت عن إمامهم أحمد وکبار متقدمیهم ومتأخریهم، أنهم کانوا یزورون القبور ویتوسلون إلی الله تعالی بأصحابها!!

وقد بنوا علی قبر أحمد بن حنبل مسجداً وقبة! وجعلوه مزاراً یصلون عنده ویتمسحون به ویتوسلون به!!

- ففی وفیات الأعیان لابن خلکان: ۱/۶۴:

أحمد بن حنبل... توفی ضحوة الجمعه لثنتی عشرة لیلة خلت من شهر ربیع الأول.. ودفن بمقبرة باب حرب، وباب حرب منسوب إلی حرب بن عبد الله أحد أصحاب أبی جعفر المنصور، والی حرب هذا تنسب المحلة المعروفة بالحربیة، وقبر أحمد بن حنبل مشهور بها یزار.

- وفی مناقب الإمام أحمد لابن الجوزی/۴۵۴:

حدثنی أبو بکر بن مکارم بن أبی یعلی الحربی وکان شیخاً صالحاً قال: کان قد جاء فی بعض السنین مطرٌ کثیر جداً قبل دخول رمضان بأیام، فنمت لیلة فی رمضان فأریت فی منامی کأنی قد جئت علی عادتی إلی قبر الإمام أحمد بن حنبل أزور، فرأیت قبره قد التصق بالأرض حتی بقی بینه وبین الأرض مقدار ساف أو سافین، فقلت: إنما تم هذا علی قبر الإمام أحمد من کثرة الغیث!

فسمعته من القبر وهو یقول: لا، بل هذا من هیبة الحق عز وجل، لأنه عز وجل قد زارنی!! فسألته عن سر زیارته إیای فی کل عام فقال عز وجل: یا أحمد، لأنک نصر ت کلامی فهو ینشر ویتلی فی المحاریب.فأقبلت علی لحده أقبله ثم قلت: یا سیدی ما السر فی أنه لا یقبل قبر إلا قبرک؟ فقال لی: یا بنی، لیس هذا کرامة لی، ولکن هذا کرامة لرسول الله(ص)! لأن معی شعرات من شعره!!

ألا ومن یحبنی یزورنی فی شهر رمضان! قال ذلک مرتین!!

- وفی طبقات الحنابلة لأبی یعلی: ۲/۱۸۶:

سمعت رزق الله یقول: زرت قبر الإمام أحمد صحبة القاضی الشریف أبو علی فرأیته یقبل رجل القبر! فقلت له: فی هذا أثر؟

قال لی: أحمد فی نفسی شئ عظیم، وما أظن أن الله تعالی یؤاخذنی بهذا!!

- وفی تاریخ بغداد للخطیب: ۴/۴۲۳:

عن أبى الفرج الهندبانى يقول: كنت أزور قبر أحمد بن حنبل فتركته مدة، فرأيت فى المنام قائلاث يقول لى: لم تركت زيارة إمام السنة!!

ورواه ابن الجوزى فى مناقب الإمام أحمد/۴۸۱

- وفى رحلة ابن بطوطه: ۱/۲۲۰:

قبور الخلفاء ببغداد وقبور بعض العلماء والصالحين بها... وبقرب الرصافه قبر الإمام أبى حنيفة، وعليه قبة عظيمه وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وليس بمدينة بغداد اليوم زاوية يطعم الطعام فيها ماعدا هذه الزاوية.

وبالقرب منها قبر الإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل، ولا قبة عليه.. ويذكر أنها بنيت على قبره مراراً فتهدمت بقدرة الله تعالى.

وقبره عند أهل بغداد معظم، وأكثرهم على مذهبه، وبالقرب منه قبر أبى بكر الشبلى من أئمة المتصوفة.

- وفى تاريخ الإسلام للذهبى: ۳۸/۲۳:

فى عام ۵۵۴ غرقت مقبرة الإمام أحمد وخرجت الموتى على وجه الماء وكانت آية عجيبة.

- وفى عمدة القارى للعينى: ۵ جزء ۹/۲۴۱:

سعيد العلائى قال: رأيت فى كلام أحمد بن حنبل.. أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبى (ص) وتقبيل منبره، فقال: لا بأس بذلك. قال فأريناه للشيخ تقى الدين بن تيمية، فصار يتعجب من ذلك ويقول: عجبت! أحمد عندى جليل، يقول هذا الكلام!

وأى عجب.. وقد روينا عن الإمام أحمد أنه غسل قميصاً للشافعى وشرب الماء الذى غسله به!!

- وفى تاريخ الإسلام للذهبى: ۱۴/۳۳۵:

وقال ابن خزيمه: هل كان ابن حنبل إلا غلاماً من غلمان الشافعى؟

- وفى الإعتصام للشاطبى: ۱/۲۲۶:

والجواب عن هذا (قول أحمد بن حنبل) أنه كلام مجتهد يحتمل اجتهاده الخطأ والصواب.. وقد كان (ابن حنبل) يميل إلى نفى القياس، ولذلك قال: مازلنا نلعن أهل الرأى ويلعنوننا، حتى جاء الشافعى فخرج بيننا..

- وفى الغدير للأمينى: ۵/۱۹۴:

قال ابن حجر فى (الخيرات الحسان) فى مناقب الإمام أبى حنيفة فى الفصل الخامس والعشرين: إن الإمام الشافعى أيام كان هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبى حنيفة ويجئ إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه، ثم يتوسل إلى الله تعالى به فى قضاء حاجاته، وقال: قد ثبت أن الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعى حتى تعجب ابنه عبد الله بن الإمام أحمد، فقال له أبوه: إن الشافعى كالشمس للناس وكالعافية للبدن. ولما بلغ الإمام الشافعى: أن أهل المغرب يتوسلون بالإمام مالك لم ينكر عليهم.

وفى الغدير: ۵/۱۹۸:

قال (ابن الجورى) فى المنتظم: ۱۰/۲۸۳:

وفى أوائل جمادى الآخرة سنة ۵۷۴ تقدم أمير المؤمنين بعمل لوح ينصب على قبر الإمام أحمد بن حنبل، فعمل ونقضت السترة جميعها وبنيت بآجر مقطوع جديدة، وبنى له جانبان، ووقع اللوح الجديد وفى رأسه مكتوب: هذا ما أمر بعمله سيدنا ومولانا المستضى بأمر الله أمير المؤمنين.

وفى وسطه: هذا قبر تاج السنة وحيد الأمة العالى الهمة العالم العابد الفقيه الزاهد الإمام أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى رحمه الله. وقد كتب تاريخ وفاته وآية الكرسى حول ذلك.

ووعدت بالجلوس فى جامع المنصور، فتكلمت يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى، فبات فى الجامع خلق كثير وختمت ختمات، واجتمع للمجلس بكرة ما حزر بمائة ألف، وتاب خلق كثير وقطعت شعور، ثم نزلت فمضيت إلى زيارة قبر أحمد، فتبعنى من حزر

بخمسة آلاف.

– وفی الغدیر للأمینی: ۵/۱۹۹:

الحافظ ابن عساکر فی تاریخه: ۲/۴۶:

عن أبی بکر بن أنزویه قال: رأیت رسول الله(ص)فی المنام ومعه أحمد بن حنبل فقلت: یا رسول الله من هذا؟

فقال: هذا أحمد ولی الله وولی رسول الله علی الحقیقة، وأنفق علی الحدیث ألف دینار.

ثم قال: من یزوره غفر الله له، ومن یبغض أحمد فقد أبغضنی، ومن أبغضنی فقد أبغض الله.

وفی النهایة لابن کثیر: ۱۲/۳۲۳

وفی صفر سنة ۵۴۲ رأی رجل فی المنام قائلاً یقول له: من زار أحمد بن حنبل غفر له. قال: فلم یبق خاصٌ ولا عامٌ إلا زاره وعقدت یومئذ ثم مجلساً، فاجتمع فیه ألوفٌ من الناس!!

التوسل الواسع فی صلاة الإستسقاء

ورد عندنا وعندهم الحث علی التوسل فی صلاة الإستسقاء بالأخیار والضعفاء والمرضی، ومن ذلک: ما قاله النووی فی المجموع: ۵/۶۶:

قال فی الأم: ولا آمر بإخراج البهائم. وقال أبو اسحق: استحب إخراج البهائم، لعل الله تعالی یرحمها، لما روی أن سلیمان(ص)خرج لیستسقی فرأی نملة تستسقی، فقال ارجعوا فإن الله تعالی سقاکم بغیرکم.

ویکره إخراج الکفار للاستسقاء لأنهم أعداء الله فلا یجوز أن یتوسل بهم إلیه، فإن حضروا وتمیزوا لم یمنعوا، لأنهم جاؤوا فی طلب الرزق.

وقال فی: ۵/۷۰:

یستحب أن یستسقی بالخیار من أقارب رسول الله(ص)، وبأهل الصلاح من غیرهم، وبالشیوخ والضعفاء والصبیان والعجائز وغیر ذوات الهیئات من النساء، ودلیله ما ذکره المصنف.

وأیضاً ففی الصحیح أن رسول الله(ص)قال: وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائکم؟

قال القاضی حسین والرویانی والرافعی وآخرون من أصحابنا: ویستحب أن یذکر کل واحد من القوم فی نفسه ما فعله من الطاعة الجلیلة، ویتشفع به ویتوسل.

واستدلوا بحدیث ابن عمر فی الصحیحین عن رسول الله(ص)فی قصة أصحاب الغار الثلاثة الذین أووا إلی غار فأطبقت علیهم صخرة، فتوسل کل واحد بصالح عمله، فأزال الله عنهم بسؤال کل واحد ثلثاً من الصخرة وخرجوا یمشون. انتهی.

فهذه فتاوی من فقهاء المذاهب الأربعة، تنص علی التوسل بالصالحین والضعفاء والمرضی والأعمال والحیوانات، وتنص علی أنه توسل واستشفاع، وهو أوسع من التوسل المتبادر إلی أذهاننا بالنبی وأهل بیته صلی الله علیه وعلیهم.

التوسل العملی بالأعمال الصالحة

فی بحار الأنوار: ۷۴/۳۹۸:

عن أمالی المفید، عن أحمد بن الولید، عن أبیه، عن الصفار، عن ابن عیسی، عن ابن محبوب، عن علی بن أبی حمزة، عن أبی بصیر، عن أبی جعفر محمد بن علی بن الحسین (علیهم السلام) قال: قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

أفضل ما توسل به المتوسلون الإیمان بالله، ورسوله، والجهاد فی سبیل الله، وکلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فانها الملة،

وإیتاء الزکاة فإنها من فرائض الله، وصیام شهر رمضان فإنه جنة من عذاب الله، وحج البیت فإنه میقات للدین ومدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها مثراة للمال ومنسأة للأجل، والصدقة فی السر فإنها تذهب الخطیئة وتطفئ غضب الرب، وصنایع المعروف فإنها تدفع میتة السوء، وتقی مصارع الهوان. ومثله فی: ۹۳/۱۷۷

ونحوه فی: ۷۴/۲۸۹، عن تحف العقول، قال: خطبته علیه السلام المعروفة بالدیباج:

الحمد لله فاطر الخلق، وخالق الإصباح، ومنشر الموتی، وباعث من فی القبور، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شریک له، وأن محمداً عبده ورسوله صلی الله علیه وآله عباد الله، إن أفضل ماتوسل به المتوسلون إلی الله جل ذکره: الإیمان بالله وبرسله وما جاءت به من عند الله... الحدیث، کما تقدم بتفاوت.

– ورواه فی: ۷۱/۴۱۰، عن علل الشرائع عن أبی، عن سعد، عن ابراهیم بن مهزیار، عن أخیه علی، عن حماد عن ابراهیم بن عمر، رفعه إلی أمیر المؤمنین علیه السلام قال: ان أفضل ما توسل به المتوسلون...

– ورواه فی: ۶۲/۳۸۶، عن أمالی المفید، عن الإمام الصادق علیه السلام، بتفاوت وزیادة فی آخره، قال (ألا فاصدقوا فإن الله مع من صدق، وجانبوا الکذب فإن الکذب مجانب الإیمان، ألا وإن الصادق علی شفا منجاة وکرامة، ألا وإن الکاذب علی شفاه مخزاة وهلکة، ألا ـ وقولوا خیراً تعرفوا به، واعملوا به تکونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلی من ائتمنکم، وصلوا من قطعکم، وعودوا بالفضل علیهم. انتهی.

ولکن التوسل بالأعمال الصالحة لا ینفی التوسل بالنبی وآله صلی الله علیه وآله، فقد ثبت أنه لا یقبل عملٌ لمسلم إلا بولایتهم، وأنه لا یرفع دعاء إلا بالصلاة علیهم، وهو التوسل بهم! وقد روی ذلک عندنا فی مصادر الجمیع!

التوسل إلی الله فی مصادر السنیین

تعلیم النبی التوسل به إلی الله تعالی

روی الترمذی: ۵/۲۲۹ برقم ۳۶۴۹:

حدثنا محمود بن غیلان، أخبرنا عثمان بن عمر، أخبرنا شعبة، عن أبی جعفر، عن عمارة بن خزیمة بن ثابت، عن عثمان بن حنیف: أن رجلًا ضریر البصر أتی النبی(ص)فقال: أدع الله أن یعافینی.

قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خیر لک.

قال: فادعه. قال: فأمره أن یتوضأ فیحسن وضوءه ویدعوه بهذا الدعاء: اللهم إنی أسألک وأتوجه الیک بنبیک محمد نبی الرحمة. یا محمد إنی توجهت بک إلی ربی فی حاجتی هذه لتقضی لی، اللهم فشفعه فی.

هذا حدیث حسن صحیح غریب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حدیث أبی جعفر، وهو غیر الخطمی. انتهی.

– ورواه ابن ماجة فی: ۱/۴۴۱، وقال: قال أبو اسحاق هذا حدیث صحیح. انتهی.

– ورواه أحمد: ۴/۱۳۸، بروایتین.

– ورواه الحاکم فی المستدرک: ۱/۳۱۳، وقال: هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه. انتهی.

– ورواه فی: ۱/۵۱۹، بسندین آخرین، وقال بعدهما: هذا حدیث صحیح الإسناد ولم یخرجاه.

– ورواه فی: ۱/۵۲۶، وقال: تابعه شبیب بن سعید الحبطی عن روح بن القاسم زیادات فی المتن والإسناد والقول...

وقال أیضاً: هذا حدیث صحیح علی شرط البخاری ولم یخرجاه، وإنما قدمت حدیث عون بن عمارة لأن من رسمنا أن نقدم العالی من الأسانید.

– ورواه الطبرانی فی کتاب الدعاء/۳۲۰، وما بعدها بعدة طرق، وکذا فی المعجم الکبیر: ۹/ ۳۱، والصغیر: ۱/۱۸۳، وصححه.

– ورواه فی مجمع الزوائد: ۲/۲۷۹، وقال:

قلت: روی الترمذی وابن ماجه طرفا من آخره خالیا عن القصة، وقد قال الطبرانی عقبه: والحدیث صحیح، بعد ذکر طرقه التی روی بها.

– ورواه فی کنز العمال: ۲/۱۸۱، و۶/۵۲۱ (ت، ه، ک، عن عثمان بن حنیف). (حم ت: حسن صحیح غریب هک وابن السنی عن عثمان بن حنیف) ورواه ابن خزیمة فی صحیحه: ۲/۲۲۵ وروی الطبرانی تطبیق عثمان بن حنیف للحدیث بعد وفاة النبی صلی الله علیه وآله کما سیأتی.

– وفی السنن الکبری للنسائی: ۶/۱۶۸

أخبرنا محمد بن معمر قال، حدثنا حبان قال، حدثنا حماد قال، أخبرنا جعفر عن عمارة بن خزیمة، عن عثمان بن حنیف أن رجلاً أعمی أتی النبی (ص) فقال: یا رسول الله إنی رجل أعمی، فادع الله أن یشفینی، قال بل أدعک، قال: أدع الله لی مرتین أو ثلاثاً.

قال: توضأ ثم صل رکعتین ثم قل: اللهم إنی أسألک وأتوجه الیک بنبیی محمد نبی الرحمة، یا محمد إنی أتوجه بک إلی الله أن یقضی حاجتی، أو حاجتی إلی فلان، أو حاجتی فی کذا وکذا. اللهم شفع فیَّ نبیی وشفعنی فی نفسی. انتهی.

ثم رواه النسائی بروایتین أخریتین.

توسل عمر بن الخطاب بالعباس عم النبی

– روی الحاکم فی المستدرک: ۳/۳۳۴

أخبرنا أبو زکریا یحیی بن محمد العنبری، ثنا الحسن بن علی بن نصر، ثنا الزبیر بن بکار، حدثنی ساعدة بن عبید الله المزنی، عن داود بن عطاء المدنی، عن زید بن أسلم، عن ابن عمر أنه قال: استسقی عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس ابن عبد المطلب فقال: اللهم هذا عم نبیک العباس نتوجه الیک به فاسقنا، فما برحوا حتی سقاهم الله. قال فخطب عمر الناس فقال:

أیها الناس إن رسول الله کان یری للعباس مایری الولد لوالده، یعظمه ویفخمه ویبر قسمه، فاقتدوا أیها الناس برسول الله فی عمه العباس، واتخذوه وسیلة إلی الله عز وجل فیما نزل بکم! انتهی. وروته عامة مصادرهم.

توسل الناس فی المحشر واستشفاعهم بالنبی

– روی ذلک البخاری فی عدة مواضع، فی صحیحه: ۵/۱۴۷

عن أنس (رض) عن النبی(ص)قال:

یجتمع المؤمنون یوم القیامة فیقولون لو استشفعنا إلی ربنا فیأتون آدم فیقولون أنت أبو الناس خلقک الله بیده وأسجد لک ملائکته وعلمک أسماء کل شئ، فاشفع لنا عند ربک حتی یریحنا من مکاننا هذا. فیقول: لست هناکم، ویذکر ذنبه فیستحی ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلی أهل الأرض، فیأتونه فیقول لست هناکم... ائتوا ابراهیم... ائتوا موسی... ائتوا عیسی... ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، فیأتونی فأنطلق حتی أستأذن...الخ.

– ونحوه بتفاوت فی: ۷ /۲۰۳، و: ۸/۱۷۲ و ۱۸۳، وروته عامة مصادرهم.

ما ورد عندهم من الدعاء للنبی بالوسیلة

– قال البخاری فی صحیحه: ۱/۱۵۲:

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله(ص)قال: من قال حین یسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسیلة

والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته.. حلّت له شفاعتى يوم القيامة.

ورواه البخارى فى: ٥/٢٢٨، وابن ماجة: ١/٢٣٩، وأبو داود: ١/ ١٢٩، والنسائى: ٢/٢٧، والترمذى: ١/ ١٣٦، والبيهقى فى السنن: ١/٤١٠، والهيثمى فى الزوائد: ١/٣٣٣ و: ١٠/١١٢، وفى كنز العمال: ٢/٨٠ و: ٧/٦٩٨ و٧٠٣... وغيرها.

هـذه هى صيغة البخارى، التى لم يرو فى صحيحه غيرها، وهى تريد الإيحاء بأن الدعاء بالوسيلة دعاءٌ مستقل يستحب أن يدعو به المسلمون عند سماع الأذان، ولا علاقة لها بصيغة الصلاة على النبى، ولا علاقة لها بآله!!

وقد تبع البخارى محدثون آخرون كما رأيت، ثم تبعهم الفقهاء فأفتوا بهذا الدعاء فصار سنةً للسنيين فى عملهم ومساجدهم!

ولكن وردت لهـذا الـدعاء صيغةٌ أخرى صحيحةٌ عندهم أيضاً، تقول إن هـذا الـدعاء جزءٌ من صيغة الصلاة على النبى التى علمها للمسلمين، وأمرهم أن يصلوا على آله معه، وأن يختموها بالدعاء له بالوسيلة!!

وفى بعضها أن الدعاء بالوسيلة مقدمةٌ للصلاة عليه وآله!

فلماذا صار دعاء الوسيلة عندهم دعاءً مستقلاً للرسول وحده، بدون آله!!

السبب عندهم: أن الصلاة على آل النبى معه والدعاء لهم معه، أمرٌ ثقيلٌ على الخلافة القرشية، التى فرضت عليهم العزل السياسى والإجتماعى والإقتصادى، لـذلك اختار الرواة بـدله الدعاء للنبى بالوسيلة، وجعلوه أمراً مستقلاً خاصاً بالنبى دون آله، مماشاةً للخلافة القرشية!!

والطريف أنهم رروه عن جابر بن عبد الله الأنصارى رحمه الله، المعروف بأحاديثه القوية فى وجوب ولاية أهل البيت (عليهم السلام)، حتى أنهم رووا عنه أنه كان فى زمن معاوية يتوكأ على عصاه ويدور فى سكك المدينة ويبلغ المسلمين ما قاله النبى صلى الله عليه وآله فى من أبغض عليا وأهل البيت النبوى الطاهرين!

ويلاحظ أن الذى رواه عن جابر عند البخارى هو محمد بن المنكدر، المبغض لأهل البيت (عليهم السلام)!!

ولك أن تقارن بين رواية البخارى، وبين رواية مسلم وغيره لهذا الدعاء!!

- قال مسلم فى صحيحه: ٢/٤:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى(ص)يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ فإنه من صلى علىَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلةٌ فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة!

ورواه النسائى: ٢/٢٥، وأبو داود: ١/١٢٨، والترمذى: ٥/٢٤٧، والبيهقى فى سننه: ١/٤٠٩، والهيثمى فى مجمع الزوائد: ١/٣٣٢.

ورواه أحمد: ٢/١٦٧، ونحوه فى: ٢/٢٦٥، وقال (من صلى علىَّ ليس ليس فى البخارى)!!

- وأفتى به النووى فى المجموع: ٣/١١٦

وقدمه فى تلخيص الحبير: ٣ /٢٠٣، على رواية البخارى فقال:

(قوله) من المحبوبات أن يصلى المؤذن وسامعه على النبى(ص)بعد الأذان ويقول: اللهم رب هـذه الـدعوة التامة والصلاة لقائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته. أخرجه مسلم وغيره من حديث عبد الله بن عمرو أنه سمع النبى(ص)يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىَّ، الحديث.

وأخرج البخارى وأصحاب السنن من حديث جابر مرفوعاً من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة.. الحديث، لكن ليس فيه والدرجة الرفيعة. انتهى.

- وقال السيوطى فى الدر المنثور: ٥/٢١٩:

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود (رض) قال: قلنا يا رسول الله قد عرفنا كيف السلام عليك، فكيف نصلى عليك؟

قال قولوا: اللهم صل على محمد، وأبلغه درجة الوسيلة من الجنة. اللهم اجعل فى المصطفين محبته، وفى المقربين مودته، وفى عليين ذكره وداره، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد. انتهى.

فقد نصت هذه الأحاديث الصحيحة عندهم على أن الدعاء له صلى الله عليه وآله بالوسيلة إنما هو جزءٌ من صيغة الصلاة الشرعية عليه، صلى الله عليه وعليهم، فهل يعقل أن يكون أمر باصافة آله معه فى الصلاة عليه، ثم أفرد نفسه عنهم فى الدعاء!!

وبذلك يترجح أن يكون أصل النص النبوى لهذا الدعاء ما روته مصادرنا، وفيه ذكر أهل بيته معه، كما سيأتى.

ما هى الوسيلة التى ورد الدعاء بها للنبى؟

ذكرت بعض المصادر السنية أنها درجةٌ ومنزلةٌ فى الجنة، تكون لشخص واحد من الخلق، ولذا طلب من المسلمين أن يدعوا له ليكون هو ذلك الشخص.

ولكن ذلك يشبه كلام التوراة، فكأن درجة الوسيلة موضوع قرعة أو مسابقة بين الأنبياء ولم يعلم صاحبها بعد! فالرسول الله صلى الله عليه وآله يرجو أمته أن يدعوا له أن تكون له!

- قال مسلم فى صحيحه: ۲/۴:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى(ص)يقول:إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرآ، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لاتنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة! انتهى.

ورواه أبو داود: ۱/ ۱۲۸، والترمذى: ۵ /۲۴۷، والبيهقى فى السنن: ۱/۴۰۹ وأحمد: ۲/۱۶۷ و ۱۶۸، وفى: ۲/۲۶۵ و۳۶۵، عن أبى هريرة، والترمذى: ۵/۴۶ ۲، عن كعب عن أبى هريرة. وفى مجمع الزوائد: ۱/۳۳۲، عن أبى سعيد الخدرى، وأبى هريرة، وفى كنز العمال: ۲/ ۷۹ و۱۳۴ و: ۷/۶۹۸ و۷۰۰ و:۱۴/ ۴۰۰ و: ۱/۴۸۹ و۴۹۴ و۴۹۷، وفردوس الأخبار: ۵/۱۴۷

بينما روت أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) أن أمر الوسيلة مفروغٌ عنه، وهى أعلى مساكن الفردوس، وأنها للنبى وآله، إلى جانب مساكن ابراهيم وآله صلى الله عليهم. ووافقتهابعض مصادر السنيين:

فقد روى ابن مردويه كما فى كنز العمال: ۱۲/ ۱۰۳ و: ۱۳/۶۳۹: عن النبى صلى الله عليه وآله قال: فى الجنة درجة تدعى الوسيلة، فإذا سألتم الله فسلوا لى الوسيلة.

قالوا: يا رسول الله، من يسكن معك فيها؟

قال: على وفاطمة والحسن والحسين. انتهى.

وهذه هى الصيغة المعقولة لحديث الوسيلة والدعاء بها للنبى صلى الله عليه وآله.. ولكن ذلك ليس فى مصلحة الخلافة القرشية!! ولذا تركوا هذه الصيغة ورووا غيرها!!

احاديث تفسر الوسيلة فى مصادرنا

- قال الصدوق فى معانى الأخبار/۱۱۶:

۱۱۶ - حدثنا أبى (رض) قال: حدثنا سعد بن عبدالله قال: حدثنا أحمد ابن محمد بن عيسى قال: حدثنا العباس بن معروف، عن عبدالله بن المغيرة قال: حدثنا أبوحفص العبدى قال: حدثنا أبو هارون العبدى، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

إذا سألتم الله لى فسلوه الوسيلة. فسألنا النبى صلى الله عليه وآله عن الوسيلة؟ فقال: هى درجتى فى الجنة، وهى ألف مرقاة، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد شهراً، وهى ما بين مرقاة جوهر إلى مرقاة زبرجد، إلى مرقاة ياقوت، إلى مرقاة ذهب، إلى مرقاة فضة.

فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين، فهى فى درجة النبيين كالقمر بين الكواكب، فلا يبقى يومئذ نبى ولا صديق ولا شهيد إلا قال طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته. فيأتى النداء من عند الله عز وجل يسمع النبيين وجميع الخلق: هذه درجة محمد.

فأقبل أنا يومئذ متزراً بريطة من نور، على تاج الملك، واكليل الكرامة، وعلى ابن أبى طالب أمامى، وبيده لوائى وهو لواء الحمد، مكتوب عليه (لا اله إلا الله، المفلحون هم الفائزون بالله). فإذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكان مقربان لم نعرفهما ولم نرهما. وإذا مررنا بالملائكة قالوا: نبيين مرسلين، حتى أعلو الدرجة وعلى يتبعنى، حتى إذا صرت فى أعلى درجة منها وعلى أسفل منى بدرجة، فلا يبقى يومئذ نبى ولا صديق ولا شهيد إلا قال: طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله تعالى!

فيأتى النداء من قبل الله عز وجل يسمع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين: هذا حبيبى محمد وهذا وليى على، طوبى لمن أحبه، وويل لمن أبغضه وكذب عليه. فلا يبقى يومئذ أحدٌ أحبك يا على إلا استروح إلى هذا الكلام، وابياضَّ وجهه وفرح قلبه، ولا يبقى أحدٌ ممن عاداك أو نصب لك حرباً أوجحد لك حقاً، إلا اسود وجهه واضطربت قدماه.

فبينا أنا كذلك إذا ملكان قد أقبلا الى، أما أحدهما فرضوان خازن الجنة، وأما الآخر فمالك خازن النار، فيدنو رضوان فيقول: السلام عليك يا أحمد.

فأقول: السلام عليك أيها الملك، من أنت؟ فما أحسن وجهك الطيب وأطيب ريحك!

فيقول: أنا رضوان خازن الجنة، وهذه مفاتيح الجنة بعث بها اليك رب العزة فخذها يا أحمد.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربى، فله الحمد على ما فضلنى به، ادفعها إلى أخى على بن أبى طالب، فيدفع إلى على.

ثم يرجع رضوان فيدنو مالك فيقول: السلام عليك يا أحمد.

فأقول: عليك السلام أيها الملك، فما أقبح وجهك وأنكر رؤيتك، من أنت؟! فيقول: أنا مالك خازن النار، وهذه مقاليد النار بعث بها اليك رب العزة فخذها يا أحمد.

فأقول: قد قبلت ذلك من ربى، فله الحمد على ما فضلنى به، ادفعها إلى أخى على بن أبى طالب، فيدفعها إليه ثم يرجع مالك.

فيقبل على ومعه مفاتيح الجنة ومقاليد النار، حتى يقف بحجزة جهنم وقد تطاير شررها وعلا زفيرها واشتد حرها، وعلى آخذٌ بزمامها فتقول له جهنم: جزنى يا على فقد أطفأ نورك لهبى، فيقول لها على: قرى يا جهنم: خذى هذا واتركى هذا! خذى عدوى واتركى وليى.

فَلَجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلى من غلام أحدكم لصاحبه، فإن شاء يذهبها يمنة، وإن شاء يذهبها يسرة، ولجهنم يومئذ أشد مطاوعة لعلى فيما يأمرها به من جميع الخلائق. انتهى.

ورواه فى روضة الواعظين/١١٣، وبشارة المصطفى/٢١، وتفسير القمى: ٢/٣٢٤، وفى آخره (وذلك أن علياً يومئذ قسيم الجنة والنار) وفى بصائر الدرجات/٤١٦:

خطبة الوسيلة من كتاب الكافى

روى الكلينى رحمه الله خطبة عظيمة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام، تسمى خطبة الوسيلة، تتضمن تفصيلاث عن درجة الوسيلة فى الجنة لمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم. ونظراً لاهميتها وفوائدها أوردنا منها أكثر من محل الشاهد.

قال رحمه الله فى الكافى: ٨/١٨:

خطبة لامير المؤمنين عليه السلام، وهى خطبة الوسيلة:

محمد بن على بن معمر، عن محمد بن على بن عكاية التميمى، عن الحسين بن النضر الفهرى، عن أبى عمرو الأوزاعى، عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد قال: دخلت على أبى جعفر فقلت: يا بن رسول الله قد أرمضنى اختلاف الشيعة فى مذاهبها!

فقال: يا جابر ألم أقفك على معنى اختلافهم من أين اختلفوا، ومن أى جهة تفرقوا؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله.

قال: فلا تختلف إذا اختلفوا يا جابر، إن الجاحد لصاحب الزمان كالجاحد لرسول الله صلى الله عليه وآله فى أيامه، يا جابر إسمع وع.

قلت: إذا شئت.

قال: اسمع وع وبلغ حيث انتهت بك راحلتك: إن أمير المؤمنين خطب الناس بالمدينة بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه فقال:

الحمد لله الذى منع الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول أن تتخيل ذاته، لإمتناعها من الشبة والتشاكل، بل هو الذى لا يتفاوت فى ذاته، ولا يتبعض بتجزئة العدد فى كماله، فارق الأشياء لا على اختلاف الاماكن، ويكون فيها لا على وجه الممازجة، وعلمها لا بأداة، لا يكون العلم إلا بها، وليس بينه وبين معلومه علمٌ غيره به كان عالماً بمعلومه.

إن قيل كانَ، فعلى تأويل أزلية الوجود، وإن قيل لم يزل، فعلى تأويل نفى العدم.

فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه، واتخذ إلها غيره علواً كبيرا.

نحمده بالحمد الذى ارتضاه من خلقه، وأوجب قبوله على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، شهادتان ترفعان القول وتضاعفان العمل، خف ميزان ترفعان منه، وثقل ميزان توضعان فيه، وبهما الفوز بالجنة والنجاة من النار، والجواز على الصراط، وبالشهادة تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة.

أكثروا من الصلاة على نبيكم: إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

أيها الناس: إنه لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجع من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية، ولا وقاية أمنع من السلامة، ولا مال أذهب بالفاقة من الرضى بالقناعة، ولا كنز أغنى من القنوع ومن أقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، وتبوء خفض الدعة.

والرغبة مفتاح التعب، والإحتكار مطية النصب، والحسد آفة الدين، والحرص داع إلى التقحم فى الذنوب، وهو داع للحرمان، والبغى سائق إلى الحين، والشره جامع لمساوى العيوب.

رب طمع خائب وأمل كاذب، ورجاء يؤدى إلى الحرمان، وتجارة تؤول إلى الخسران.

ألا ومن تورط فى الأمور غير ناظر فى العواقب، فقد تعرض لمفضحات النوائب، وبئست القلادة قلادة الذنب للمؤمن.

أيها الناس: إنه لا كنز أنفع من العلم، ولا عز أرفع من الحلم، ولا حسب أبلغ من الادب، ولا نصب أوضع من الغضب، ولا جمال أزين من العقل، ولا سوءة أسوأ من الكذ ب، ولا حافظ أحفظ من الصمت، ولا غائب أقرب من الموت.

أيها الناس: إنه من نظر فى عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن رضى برزق الله لم يأسف على ما فى يد غيره، ومن سل سيف البغى قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته، ومن نسى زلته استعظم زلل غيره، ومن أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن سفه على الناس شتم، ومن خالط الأنذال حقر، ومن حمل ما لا يطيق عجز.

أيها الناس: إنه لا مال أعود من العقل، ولا فقر أشد من الجهل، ولا واعظ أبلغ من النصح، ولا عقل كالتدبير، ولا عبادة كالتفكر، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا وحشة أشد من العجب، ولا ورع كالكف عن المحارم، ولا حلم كالصبر والصمت.

أيها الناس: فى الإنسان عشر خصال يظهرها لسانه: شاهدٌ يخبر عن الضمير، حاكمٌ يفصل بين الخطاب، وناطقٌ يرد به الجواب، وشافعٌ

يدرك به الحاجة، وواصفٌ يعرف به الأشياء، وأميرٌ يأمر بالحسن، وواعظٌ ينهى عن القبيح، ومعزٌ تسكن به الأحزان، وحاضرٌ تجلى به الضغائن، ومونقٌ تلتذ به الاسماع.

أيها الناس: إنه لا خير فى الصمت عن الحكم، كما أنه لا خير فى القول بالجهل. واعلموا أيها الناس إنه من لم يملك لسانه يندم، ومن لا يعلم يجهل، ومن لا يتحلم لا يحلم، ومن لا يرتدع لا يعقل، ومن لا يعقل يهن، ومن يهن لا يوقر، ومن لا يوقر يتوبخ، ومن يكتسب مالاً من غير حقه يصرفه فى غير أجره، ومن لا يدع وهو محمود يدع وهو مذموم، ومن لم يعط قاعداً منع قائماً، ومن يطلب العز بغير حق يذل، ومن يغلب بالجور يغلب، ومن عاند الحق لزمه الوهن، ومن تفقه وقر، ومن تكبر حقر، ومن لا يحسن لا يحمد.

أيها الناس: إن المنية قبل الدنية، والتجلد قبل التبلد، والحساب قبل العقاب والقبر خير من الفقر، وغض البصر خير من كثير من النظر، والدهر يومٌ لك ويوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر، فبكليهما تمتحن.

أيها الناس: أعجب ما فى الإنسان قلبه، وله موادٌّ من الحكمة، وأضدادٌ من خلافها، فإن سنح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعد بالرضى نسى التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمن استلبته الغرة، وان جددت له نعمة أخذته العزة، وإن أفاد ما لا أطغاه الغنى، وإن عضته فاقة شغله البلاء وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط فى الشبع كظته البطنة.. فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد.

أيها الناس: إنه من فل ذل، ومن جاد ساد، ومن كثر ماله رأس، ومن كثر حلمه نبل، ومن أفكر فى ذات الله تزندق، ومن أكثر من شئ عرف به، ومن كثر مزاحه استخف به، ومن كثر ضحكه ذهبت هيبته، فسد حسب من ليس له أدب، إن أفضل الفعال صيانة العرض بالمال، ليس من جالس الجاهل بذى معقول، من جالس الجاهل فليستعد لقيل وقال، لن ينجو من الموت غنى بماله ولا فقير لإقلاله.

أيها الناس: لو أن الموت يشترى لاشتراه من أهل الدنيا الكريم الابلج، واللئيم الملهوج.

أيها الناس: إن للقلوب شواهد تجرى الأنفس عن مدرجة أهل التفريط وفطنة الفهم. للمواعظ ما يدعو النفس إلى الحذر من الخطر، وللقلوب خواطر للهوى، والعقول تزجر وتنهى، وفى التجارب علم مستأنف، والإعتبار يقود إلى الرشاد، وكفاك أدباً لنفسك ما تكرهه لغيرك، وعليك لأخيك المؤمن مثل الذى لك عليه، لقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبر قبل العمل، فإنه يؤمنك من الندم، ومن استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ، ومن أمسك عن الفضول عدلت رأيه العقول، ومن حصن شهوته فقد صان قدره، ومن أمسك لسانه أمنه قومه ونال حاجته، وفى تقلب الأحوال علم جواهر الرجال، والأيام توضح لك السرائر الكامنة، وليس فى البرق الخاطف مستمتع لمن يخوض فى الظلمة، ومن عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار والهيبة، وأشرف الغنى ترك المنى، والصبر جنة من الفاقة، والحرص علامة الفقر، والبخل جلباب المسكنة، والمودة قرابة مستفادة، ووصول معدم خير من جاف مكثر، والموعظة كهف لمن وعاها، ومن أطلق طرفه كثر أسفه، وقد أوجب الدهر شكره على من نال سؤله، وقل ما ينصفك اللسان فى نشر قبيح أو إحسان، ومن ضاق خلقه مله أهله، ومن نال استطال، وقل ما تصدقك الامنية، والتواضع يكسوك المهابة، وفى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.

كم من عاكف على ذنبه فى آخر أيام عمره، ومن كساه الحياء ثوبه خفى على الناس عيبه، وانح القصد من القول فإن من تحرى القصد خفت عليه المؤن، وفى خلاف النفس رشدك، من عرف الأيام لم يغفل عن الإستعداد.

ألا وإن مع كل جرعة شرقاً وإن فى كل أكلة غصصاً، لا تنال نعمة إلا بزوال أخرى ولكل ذى رمق قوت، ولكل حبة آكل، وأنت قوت الموت.

أعلموا أيها الناس أنه من مشى على وجه الأرض فإنه يصير إلى بطنها، والليل والنهار يتنازعان فى هدم الأعمار.

يا أيها الناس: كفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم، إن من الكرم لين الكلام ومن العبادة إظهار اللسان وإفشاء السلام. إياك والخديعة فإنها من خلق اللئيم، ليس كل طالب يصيب، ولا كل غائب يؤوب. لا ترغب فيمن زهد فيك. رب بعيد هو أقرب من قريب.

سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار.

ألا ومن أسرع في المسير أدركه المقيل. أستر عورة أخيك كما تعلمها فيك. اغتفر زلة صديقك ليوم يركبك عدوك.

من غضب على من لا يقدر على ضره، طال حزنه وعذب نفسه. من خاف ربه كف ظلمه، ومن لم يزغ في كلامه أظهر فخره، ومن لم يعرف الخير من الشر فهو بمنزلة البهيمة.

إن من الفساد إضاعة الزاد. ما أصغر المصيبة مع عظم الفاقة غداً هيهات هيهات. وما تناكرتم إلا لما فيكم من المعاصي والذنوب، فما أقرب الراحة من التعب والبؤس من النعيم، وما شرٌ بشر بعده الجنة، وما خيرٌ بخير بعده النار. كل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية، وعند تصحيح الضمائر تبدو الكبائر.

تصفية العمل أشد من العمل، وتخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد. هيهات لو لا التقى لكنت أدهى العرب.

أيها الناس: إن الله تعالى وعد نبيه محمداً صلى الله عليه وآله الوسيلة ووعده الحق، ولن يخلف الله وعده.

ألا وإن الوسيلة على درج الجنة وذروةُ ذوائب الزلفة، ونهاية غاية الأمنية، لها ألف مرقاة، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد مائة عام. وما بين مرقاة درة إلى مرقاة جوهرة، إلى مرقاة زبرجدة، إلى مرقاة لؤلؤة، إلى مرقاة ياقوته، إلى مرقاة زمردة، إلى مرقاة مرجانة، إلى مرقاة كافور، إلى مرقاة عنبر، إلى مرقاة يلنجوج، إلى مرقاة ذهب، إلى مرقاة غمام، إلى مرقاة هواء، إلى مرقاة نور!!

قد أنافت على كل الجنان، ورسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ قاعدٌ عليها، مرتد بريطتين، ريطة من رحمة الله وريطة من نور الله، عليه تاج النبوة واكليل الرسالة، قد أشرق بنوره الموقف، وأنا يومئذ على الدرجة الرفيعة وهي دون درجته، وعليَّ ريطتان، ريطة من أرجوان النور، وريطة من كافور.

والرسل والأنبياء، قد وقفوا على المراقي، وأعلام الأزمنة وحجج الدهور، عن أيماننا وقد تجللهم حلل النور والكرامة، لا يرانا ملكٌ مقربٌ ولا نبي مرسل إلا بهت بأنوارنا وعجب من ضيائنا وجلالتنا.

وعن يمين الوسيلة عن يمين الرسول صلى الله عليه وآله غمامةٌ بسطة البصر، يأتي منها النداء:

يا أهل الموقف طوبى لمن أحب الوصي وآمن بالنبي الأُمي العربي، ومن كفر فالنار موعده!

وعن يسار الوسيلة عن يسار الرسول صلى الله عليه وآله ظلةٌ يأتي منها النداء:

يا أهل الموفق طوبى لمن أحب الوصي وآمن بالنبي الامي، والذي له الملك الأعلى لا فاز أحد ولا نال الروح والجنة إلا من لقي خالقه بالإخلاص لهما والإقتداء بنجومهما. فأيقنوا يا أهل ولاية الله ببياض وجوهكم، وشرف مقعدكم، وكرم مآبكم وبفوزكم اليوم على سرر متقابلين. ويا أهل الإنحراف والصدود عن الله عز ذكره ورسوله وصراطه وأعلام الأزمنة، أيقنوا بسواد وجوهكم وغضب ربكم جزاءً بما كنتم تعملون.

وما من رسول خلفَ ولا نبي مضى إلا وقد كان مخبراً أمته بالمرسل الوارد من بعده، ومبشراً برسول الله صلى الله عليه وآله، وموصياً قومه باتباعه ومحله عند قومه، ليعرفوه بصفته وليتبعوه على شريعته، ولئلا يضلوا فيه من بعده، فيكون من هلك أو ضل بعد وقوع الأعذار والإنذار عن بينة وتعيين حجة، فكانت الأمم في رجاء من الرسل وورود من الأنبياء.

ولئن أصيبت بفقد نبي بعد نبي، على عظم مصائبهم وفجائعها بهم فقد كانت على سعة من الامل، ولا مصيبة عظمت ولا رزية جلت كالمصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله، لأن الله ختم به الأنذار والأعذار، وقطع به الإحتجاج والعذر بينه وبين خلقه، وجعله بابه الذي بينه وبين عباده، ومهيمنه الذي لا يقبل إلا به، ولا قربة إليه إلا بطاعته، وقال: في محكم كتابه: من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا. فقرن طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، فكان ذلك دليلاً على ما فوض إليه، وشاهداً له على من اتبعه وعصاه، وبين ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتباعه، والترغيب في تصديقه والقبول لدعوته: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم. فاتباعه صلى الله عليه وآله محبة الله، ورضاه غفران الذنوب،

وکمال الفوز، ووجوب الجنهٔ.

وفی التولی عنه والإعراض محادهٔ الله وغضبه وسخطه، والبعد منه مسکن النار وذلک قوله: ومن یکفر به من الأحزاب فالنار موعده، یعنی الجحود به والعصیان له. فإن الله تبارک اسمه امتحن بی عباده، وقتل بیدی أضداده، وأفنی بسیفی جحاده، وجعلنی زلفهٔ للمؤمنین، وحیاض موت علی الجبارین، وسیفه علی المجرمین، وشد بی أزر رسوله، وأکرمنی بنصره، وشرفنی بعلمه، وحبانی بأحکامه، واختصنی بوصیته، واصطفانی بخلافته فی أمته، فقال صلی الله علیه وآله وقد حشده المهاجرون والأنصار وانغصت بهم المحافل: أیها الناس إن علیاً منی کهارون من موسی إلا أنه لا نبی بعدی، فعقل المؤمنون عن الله نطق الرسول، إذ عرفونی أنی لست بأخیه لأبیه وأمه، کما کان هارون أخا موسی لأبیه وأمه، ولا کنت نبیاً فاقتضی نبوهٔ، ولکن کان ذلک منه استخلافاً لی، کما استخلف موسی هارون، حیث یقول: أخلفنی فی قومی وأصلح، ولا تتبع سبیل المفسدین، وقوله صلی الله علیه وآله حین تکلمت طائفهٔ فقالت: نحن موالی رسول الله، فخرج رسول الله إلی حجهٔ الوادع، ثم صار إلی غدیر خم فأمر فأصلح له شبه المنبر، ثم علاه وأخذ بعضدی حتی رئی بیاض إبطیه رافعاً صوته قائلًا فی محفله: من کنت مولاه فعلی مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

فکانت علی ولایتی ولایهٔ الله، وعلی عداوتی عداوهٔ الله. وأنزل الله عز وجل فی ذلک الیوم: الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَرَضِیتُ لَکُمُ الإسلام دِینًا. فکانت ولایتی کمال الدین ورضا الرب جل ذکره، وأنزل الله تبارک وتعالی اختصاصاً لی وتکرماً نحلنیه، وإعظاماً وتفضیلًا من رسول الله صلی الله علیه وآله منحنیه، وهو قوله تعالی: ثُمَّ رُدُّوا إِلَی اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُکْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِینَ. فی مناقب لو ذکرتها لعظم بها الارتفاع فطال لها الإستماع.

ولئن تقمصها دونی...

إن القوم لم یزالوا عباد أصنام وسدنهٔ أوثان، یقیمون لها المناسک، وینصبون لها العتائر، ویتخذون لها القربان، ویجعلون لها البحیرهٔ والوصیلهٔ والسائبهٔ والحام، ویستقسمون بالأزلام، عامهین عن الله عز ذکره، حائرین عن الرشاد، مهطعین إلی البعاد، وقد استحوذ علیهم الشیطان، وغمرتهم سوداء الجاهلیهٔ، ورضعوها جهالهٔ وانفطموها ضلالهٔ، فأخرجنا الله الیهم رحمهٔ وأطلعنا علیهم رأفهٔ، وأسفر بنا عن الحجب نوراً لمن اقتبسه، وفضلًا لمن اتبعه، وتأییداً لمن صدقه، فتبوؤوا العز بعد الذلهٔ، والکثرهٔ بعد القلهٔ، وهابتهم القلوب والأبصار، وأذعنت لهم الجبابرهٔ وطوائفها وصاروا أهل نعمهٔ مذکورهٔ، وکرامهٔ میسورهٔ، وأمن بعد خوف، وجمع بعد کوف، وأضاءت بنا مفاخر معد بن عدنان، وأولجناهم باب الهدی، وأدخلناهم دار السلام وأشملناهم ثوب الإیمان، وفلجوا بنا فی العالمین، وأبدت لهم أیام الرسول آثار الصالحین، من حام مجاهد، ومصل قانت، ومعتکف زاهد، یظهرون الأمانهٔ، ویأتون المثابهٔ.

حتی إذا دعا الله عز وجل نبیه ورفعه إلیه، لم یک ذلک بعده إلا کلمحهٔ من خفقهٔ أو ومیض من برقهٔ، إلی أن رجعوا علی الاعقاب، وانتکصوا علی الأدبار، وطلبوا بالأوتار، وأظهروا الکتائب، وردموا الباب، وفلوا الدیار، وغیروا آثار رسول الله، ورغبوا عن أحکامه، وبعدوا من أنواره، واستبدلوا بمستخلفه بدیلا، اتخذوه وکانوا ظالمین، وزعموا أن من اختاروا من آل أبی قحافهٔ أولی بمقام رسول الله ممن اختار رسول الله لمقامه، وأن مهاجر آل أبی قحافهٔ خیرٌ من المهاجری والأنصاری الربانی ناموس هاشم بن عبد مناف.

ألا وإن أول شهادهٔ زور وقعت فی الإسلام شهادتهم أن صاحبهم مستخلف رسول الله صلی الله علیه وآله، فلما کان من أمر سعد بن عبادهٔ ما کان، رجعوا عن ذلک وقالوا: إن رسول الله صلی الله علیه وآله مضی ولم یستخلف، فکان رسول الله الطیب المبارک أول مشهود علیه بالزور فی الإسلام، وعن قلیل یجدون غب ما أسسه الأولون.

ولئن کانوا فی مندوحهٔ من المهل، وشفاء من الاجل وسعهٔ من المنقلب، واستدراج من الغرور، وسکون من الحال، وإدراک من الأمل، فقد أمهل الله عز وجل شداد بن عاد، وثمود بن عبود، وبلعم بن باعور، وأسبغ علیهم نعمه ظاهرهٔ وباطنهٔ، وأمدهم بالأموال والأعمار، وأتتهم الأرض ببرکاتها لیذکروا آلاء الله، ولیعرفوا الإهابهٔ له، والإنابهٔ إلیه، ولینتهوا عن الإستکبار، فلما بلغوا المدهٔ، واستتموا الأکلهٔ أخذهم الله عز وجل واصطلمهم، فمنهم من حصب، ومنهم من أخذته الصیحهٔ، ومنهم من أحرقته الظلهٔ، ومنهم من أودته الرجفهٔ،

ومنهم من أردته الخسفة: وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ألا ـ وإن لكل أجل كتاباً، فاذا بلغ الكتاب أجله لو كشف لك عما هوى إليه الظالمون، وآل إليه الأخسرون، لهربت إلى الله عز وجل مما هم عليه مقيمون، وإليه صائرون.

ألا وإني فيكم أيها الناس كهارون فى آل فرعون، وكباب حطة فى بنى اسرائيل، وكسفينة نوح فى قوم نوح. إنى النبأ العظيم، والصديق الأكبر، وعن قليل ستعلمون ما توعدون، وهل هى إلا كلعقة الأكل ومذقة الشارب، وخفقة الوسنان، ثم تلزمهم المعرات، خزياً فى الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب، وما الله بغافل عما يعملون.

فما جزاء من تنكب محجته، وأنكر حجته، وخالف هداته، وحاد عن نوره، واقتحم فى ظلمه، واستبدل بالماء السراب، وبالنعيم العذاب، وبالفوز الشقاء، وبالسراء الضراء، وبالسعة الضنك، إلا جزاء اقترافه وسوء خلافه، فليوقنوا بالوعد على حقيقته، وليستيقنوا بما يوعدون: يوم تأتى الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج. إنا نحن نحيي ونميت والينا المصير. يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً... الى آخر السورة.

العلاقة بين التوسل والإستشفاع وبين درجة الوسيلة فى الجنة

لا بد أن يكون اسم (الوسيلة) لتلك المنطقة والدرجة العالية من الجنة، بسبب أنها مسكن أقرب المخلوقات وسيلةً إلى الله تعالى.

وبذلك تكون الشفاعة التى يعطاها النبى صلى الله عليه وآله، نوعاً من الوسيلة، التى استحقها لأنه أقرب الناس إلى الله صلى الله عليه وآله، واستحق معها مسكن الفردوس والوسيلة، أعلى مراتب الجنة.

التوسل إلى الله فى مصادرنا

التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة

تقدم فى المسألة السابعة: التوسل العملى إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة وقول أمير المؤمنين عليه السلام: أفضل ما توسل به المتوسلون الإيمان بالله، ورسوله، والجهاد فى سبيل الله، وكلمة الإخلاص فانها الفطرة، وأقام الصلاة فانها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها من فرائض الله، وصيام شهر رمضان فانه جنة من عذاب الله، وحج البيت فانه ميقات للدين ومدحضة للذنب، وصلة الرحم فانها مثراة للمال، ومنسأة للأجل، والصدقة فى السر فانها تذهب الخطيئة وتطفئ غضب الرب، وصنايع المعروف فانها تدفع ميتة السوء، وتقى مصارع الهوان. انتهى.

وذكرنا هناك أن التوسل بالأعمال الصالحة لاينافى التوسل إليه بدعائه بأسمائه وصفاته، وبمن أمر بالتوسل بهم من أنبيائه وأوصيائه.. لأن ذلك من الأعمال الصالحة أيضاً.

التوسل إلى الله بذاته و صفاته عزوجل

- فى الكافى: ۴/۷۴:

على، عن أبيه، عن اسماعيل بن مرار، عن يونس، عن ابراهيم، عن محمد بن مسلم والحسين بن محمد، عن أحمد بن اسحاق، عن سعدان، عن أبى بصير قال: كان أبو عبد الله عليه السلام يدعو بهذا الدعاء فى شهر رمضان:

اللهم انى بك أتوسل ومنك أطلب حاجتى. من طلب حاجته إلى الناس، فانى لا أطلب حاجتى إلا منك، وحدك لا شريك لك. وأسألك بفضلك ورضوانك أن تصلى على محمد وأهل بيته وأن تجعل لى فى عامى هذا إلى بيتك الحرام سبيلا، حجة مبرورة متقبلة زاكية خالصة لك، تقر بها عينى وترفع بها درجتى، وترزقنى أن أغض بصرى، وأن أحفظ فرجى، وأن أكف بها عن جميع محارمك، حتى لا يكون شئ آثر عندى من طاعتك وخشيتك، والعمل بما أحببت والترك لما كرهت ونهيت عنه.

واجعل ذلک فی یسر ویسار وعافیهٔ، وأوزعنی شکر ما أنعمت به علی.

وأسألک أن تجعل وفاتی قتلًا فی سبیلک تحت رایهٔ نبیک مع أولیائک.

وأسألک أن تقتل بی أعدائک وأعداء رسولک.

وأسألک أن تکرمنی بهوان من شئت من خلقک ولا تهنی بکرامهٔ أحد من أولیائک.

اللهم اجعل لی مع الرسول سبیلًا. حسبی الله، ما شاء الله.

– وفی الصحیفهٔ السجادیهٔ: ۱/ ۴۰۸:

الهی استشفعت بک الیک، واستجرت بک منک، أتیتک طامعا فی احسانک، راغبا فی امتنانک، مستسقیا وابل طولک، مستمطرا غمام فضلک، طالبا مرضاتک، قاصدا جنابک، واردا شریعهٔ رفدک، ملتمسا سنی الخیرات من عندک.

– وفی الصحیفهٔ السجادیهٔ: ۱/ ۱۵۱:

دعاؤه علیه السلام فی ذکر التوبهٔ وطلبها:

اللهم صل علی محمد وآله، وشفع فی خطایای کرمک، وعد علی سیئاتی بعفوک، ولا ـ تجزنی جزائی من عقوبتک، وابسط علی طولک، وجللنی بسترک، وافعل بی فعل عزیز تضرع إلیه عبد ذلیل فرحمه، أو غنی تعرض له عبد فقیر فنعشه.

اللهم لا خفیر لی منک فلیخفرنی عزک، ولا شفیع لی فلیشفع لی فضلک، وقد أوجلتنی خطایای فلیؤمنی عفوک..

– وفی الصحیفهٔ السجادیهٔ: ۱/ ۴۰۲:

یا مجیب المضطر، یا کاشف الضر، یا عظیم البر، یا علیما بما فی السر، یا جمیل الستر استشفعت بجودک وکرمک الیک، وتوسلت بحنانک وترحمک لدیک فاستجب دعائی، ولاتخیب فیک رجائی، وتقبل توبتی، وکفر خطیئتی بمنک ورحمتک یا أرحم الراحمین.

– وفی الصحیفهٔ السجادیهٔ: ۱/۴۴۱:

یا من لا ینقص ملکوته عصیان المتمردین، ولا یزید جبروته ایمان الموحدین، إلیک أستشفع بقدیم کرمک، أن لا تسلبنی مامنحتنی من جسیم نعمک.

الاستشفاع إلی الله تعالی بحبه و معرفته

– وفی الصحیفهٔ السجادیهٔ: ۱/ ۲۱۶

فیا من ربانی فی الدنیا باحسانه وتفضله ونعمه، وأشار لی فی الآخرهٔ إلی عفوه وکرمه. معرفتی یا م ولأی دلتنی علیک، وحبی لک شفیعی الیک، وأنا واثق من دلیلی بدلالتک، وساکن من شفیعی إلی شفاعتک.

– وفی الصحیفهٔ السجادیهٔ: ۱/۲۴۹:

یاذا المن ولا یمن علیک، یا ذا الطول، ویا ذا الجلال والاکرام، لا إله إلا أنت ظهر اللاجین، وجار المستجیرین، وأمان الخائفین، الیک فررت بنفسی یا ملجأ الخائفین، لا أجد شافعاً إلیک إلا معرفتی بأنک أفضل من قصد إلیه المقصرون، وآمل من لجأ إلیه الخائفون.

افتتاح الصلاهٔ بالتوجه إلی الله بالنبی و آله

– فی الکافی: ۲/۵۴۴:

– محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد بن عیسی، عن علی بن النعمان، عن بعض أصحابه، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: کان أمیر المؤمنین علیه السلام یقول: من قال هذا القول کان مع محمد وآل محمد إذا قام قبل أن یستفتح الصلاهٔ:

اللهم إنی أتوجه الیک بمحمد وآل محمد، وأقدمهم بین یدی صلاتی، وأتقرب بهم إلیک، فاجعلنی بهم وجیها فی الدنیا والآخرهٔ

ومن المقربین.

مننت علی بمعرفتهم فاختم لی بطاعتهم ومعرفتهم وولایتهم، فانها السعادهٔ، واختم لی بها، فانک علی کل شئ قدیر.

ثم تصلی فاذا انصرفت قلت:

اللهم اجعلنی مع محمـد وآل محمـد فی کل عافیهٔ وبلاء، واجعلنی مع محمـد وآل محمـد فی کل مثوی ومنقلب، اللهم اجعل محیای محیاهم، ومماتی مماتهم، واجعلنی معهم فی المواطن کلها، ولا تفرق بینی وبینهم، إنک علی کل شئ قدیر.

– عدهٔ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا رفعه قال: تقول قبل دخولک فی الصلاهٔ:

اللهم انی أقـدم محمدا نبیک صـلی الله علیه وآله بین یدی حاجتی، وأتوجه به الیک فی طلبتی، فاجعلنی بهم وجیها فی الدنیا والآخره ومن المقربین.

اللهم اجعل صلاتی بهم متقبلهٔ، وذنبی بهم مغفورا، ودعائی بهم مستجابا، یا أرحم الراحمین.

– وفی الکافی: ۳/۳۰۹:

وعنه، عن أبیه، عن الحسین بن سـعید، عن فضالهٔ، عن أبان، ومعاویهٔ بن وهب قالا: قال أبو عبد الله علیه السـلام: إذا قمت إلی الصـلاهٔ فقل:

اللهم انی أقدم الیک محمدا صـلی الله علیه وآله بین یدی حاجتی وأتوجه به الیک، فاجعلنی به وجیها عند ک فی الدنیا والآخرهٔ ومن المقربین.

اجعل صـلاتی به مقبولـهٔ، وذنبی به مغفورا، ودعائی به مسـتجابا. انک أنت الغفور الرحیم... ورواه فی تهـذیب الأحکام: ۲ /۲۸۷، وفی الفقیه: ۱/۳۰۲

– وفی الفقیه: ۱ /۴۸۳: القول عند القیام إلی صلاهٔ اللیل:

قال الصادق علیه السـلام: إذا أردت أن تقوم إلی صـلاهٔ اللیل فقل: اللهم انی أتوجه الیک بنبیک نبی الرحمـهٔ وآله وأقدمهم بین یدی حوائجی، فـاجعلنی بهم وجیهـا فی الـدنیا والآـخرهٔ ومن المقربین، اللهم ارحمنی بهم ولاـ تعـذبنی بهم، واهـدنی بهم ولا تضـلنی بهم، وارزقنی بهم ولا تحرمنی بهم، واقض لی حوائجی للدنیا والآخرهٔ، انک علی کل شئ قدیر، وبکل شئ علیم.

باب الصلوات التی جرت السنهٔ بالتوجه فیهن:

من السـنهٔ التوجه فی ست صـلوات وهی أول رکعهٔ من صـلاهٔ اللیل، والمفردهٔ من الوتر وأول رکعهٔ من رکعتی الزوال، وأول رکعهٔ من رکعتی الإحرام، وأول رکعهٔ من نوافل المغرب، وأول رکعهٔ من الفریضهٔ. کذلک ذکره أبی (رض) فی رسالته الی.

وفی الصحیفهٔ السجادیهٔ: ۲/۲۵۸:

أسألـک یـا سـیدی، ولیس مثلـک شـئ بکـل دعوهٔ دعاک بها نبی مرسل، أو ملک مقرب، أو مؤمن امتحنت قلبه بالإیمان، واسـتجبت دعو ته، وأتوجه إلیک بنبیک محمد نبی الرحمهٔ، وأقدمه بین یدی حوائجی.

یا رسول الله بأبی أنت وأمی وأهل بیتک الطیبین، إنی أتوجه بک إلی ربک، وأقدمک بین یدی حوائجی.

وفی الصحیفهٔ السجادیهٔ: ۲/۳۴۴:

أسألک بحق نبیک محمد صـلی الله علیه وآله، وأتوسل الیک بالأئمهٔ (علیهم السـلام) الذین اخترتهم لسر ک، وأطلعتهم علی خفیک، واخـترتهم بعلمـک، وطهرتهم وأخلصـتهم واصـطفیتهم وأصـفیتهم، وجعلتهم هـداهٔ مهـدیین، وائتمنتهم علی وحیـک، وعصـمتهم عن معاصیـک، ورضـیتهم لخلقـک، وخصصـتهم بعلمـک، واجتبیتهم وحبوتهم، وجعلتهم حججـا علی خلقـک، وأمرت بطاعتهم علی من برأت.

وأتوسل الیک فی موقفی الیوم أن تجعلنی من خیار وفدک.

دلالة استحباب التوسل عند الأذان و افتتاح الصلاة

من الأمور التى تهز الإنسان وهو يبحث فى آيات التوسل وأحاديثه: أن الله تعالى أنزل آيته الكبرى الأمرة بالتوسل فى آخر سورة من قرآنه (المائدة) بعبارة موجزة مقتضبة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ...) ولكن بصيغة قوية أمر فيها المسلمين بالارتفاع بايمانهم إلى نوع راق من السلوك الإيمانى يتميز بالتعامل اليومى مع النبى وأهل بيته صلى الله عليه وآله على أنهم وسيلة المسلم إلى ربه تعالى!!

ثم بين الرسول للمسلمين كيفية هذا التعامل الذى أراده الله تعالى بأن يصلوا عليه عندما يذكر اسمه.. وعندما يسمعون الأذان بالتوحيد والنبوة.. وعندما يقفون بين يدى ربهم فى افتتاح صلاتهم.. وفى ختام صلاتهم، وعندما تمسهم شدة أو حاجة!! وهذا يعنى أن يعايش المسلم يوميا وفى أقدس لحظات حياته وأهمها، التوجه إلى الله تعالى بالنبى وآله والتوسل بهم إليه، لانهم الواسطة التى اختارها الله ورضيها وأمر أن يتوسط إليه بها!!

وهى حقيقة كبيرة يفهم منها المسلم أبعاد النبوة وأعماق الولاية، لمحمد وآله الطيبين الطاهرين.. فقد جذر الله تعالى مقامهم فى الكون والحياة، حتى قرنه بألوهيته فلم يقبل مدخلا إليه إلا به.. وهو مقام عظيم، وشرف محلق، ما عليه من مزيد!!

التوجه بالنبى و آله لدفع شر السلطان

- فى الكافى: ۲/۵۵۸:

وقال أبو عبد الله عليه السلام: من دخل على سلطان يهابه فليقل: بالله أستفتح، وبالله أستنجح، وبمحمد صلى الله عليه وآله أتوجه، اللهم ذلل لى صعوبته، وسهل لى حزونته، فانك تمحوما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب.

- ونحوه فى الصحيفة السجادية: ۲ /۶۵

التوجه إلى الله بالنبى و آله عند الحاجة والشدة

- فى الكافى:۲/۵۵۲:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبى داود عن أبى حمزة، عن أبى جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله انى ذو عيال وعلىَّ دين، وقد اشتدت حالى، فعلمنى دعاء أدعو الله عز وجل به ليرزقنى ما أقضى به دينى، وأستعين به على عيالى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبد الله توضأ وأسبغ وضوءك، ثم صل ركعتين تتم الركوع والسجود، ثم قل: يا ماجد يا واحد يا كريم يا دائم، أتوجه اليك بمحمد نبيك نبى الرحمة. يا محمد يا رسول الله انى أتوجه بك إلى الله ربك وربى ورب كل شئ أن يصلى على محمد وأهل بيته.

وأسألك نفحة كريمة من نفحاتك وفتحا يسيرا ورزقا واسعا ألم به شعثى، وأقضى به دينى، وأستعين به على عيالى.

- ورواه فى الكافى:۳/۴۷۳، بسنده عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن أبى داود، عن أبى حمزة، عن أبى جعفر عليه السلام...

وروى نحوه فى التهذيب: ۳ /۳۱۱:

أحمد بن محمد عن احمد بن ابى داود عن ابن ابى حمزة عن ابى جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى الرضا عليه السلام فقال له: يابن رسول الله انى ذو عيال وعلى دين، وقد اشتدت حالى، فعلمنى دعاءا إذا دعوت الله عز وجل به رزقنى الله فقال: يا عبدالله توضأ

واسبغ وضوءك ثم صل ركعتين تتم الركوع والسجود فيهما، ثم قل... وذكره.

وفى الكافى: ۲/۵۸۲: على بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن معاوية بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام ابتداء منه: يا معاوية أما علمت أن رجلا أتى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فشكى الأبطاء عليه فى الجواب فى دعائه فقال له:

أين أنت عن الدعاء السريع الاجابة؟

فقال له الرجل: ما هو؟

قال قل: اللهم انى أسألك باسمك العظيم الأعظم الأجل الأكرم، المخزون المكنون النور الحق البرهان المبين، الذى هو نور مع نور، ونور من نور، ونور فى نور، ونورعلى نور، ونور فوق كل نور، ونور يضىء به كل ظلمة، ويكسر به كل شدة، وكل شيطان مريد، وكل جبار عنيد، لاـ تقربه أرض، ولاـ تقوم به سماء، ويأمن به كل خائف، ويبطل به سحر كل ساحر، وبغى كل باغ، وحسد كل حاسد، ويتصدع لعظمته البر والبحر، ويستقل به الفلك حين يتكلم به الملك، فلا يكون للموج عليه سبيل. وهو اسمك الأعظم الأعظم الأجل الأجل النور الأكبر الذى سميت به نفسك، واستويت به على عرشك، وأتوجه اليك بمحمد وأهل بيته، أسألك بك وبهم، أن تصلى على محمد وآل محمد، وأن تفعل بى كذا وكذا.

وفى الكافى: ۳/۴۷۶

على بن ابراهيم، عن أحمد بن محمد بن أبى عبد الله، عن زياد القندى، عن عبد الرحيم القصير قال: دخلت على أبى عبدالله عليه السلام فقلت جعلت فداك إنى اخترعت دعاء، قال: دعنى من اختراعك! إذا نزل بك أمر فافزع إلى رسول الله، وصل ركعتين تهديهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. قلت: كيف أصنع؟ قال: تغتسل وتصلى ركعتين تستفتح بهما افتتاح الفريضة، وتشهد تشهد الفريضة، فاذا فرغت من التشهد وسلمت قلت:

اللهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يرجع السلام، اللهم صل على محمد وآل محمد، وبلغ روح محمد منى السلام، وأرواح الأئمة الصادقين سلامى، واردد على منهم السلام، والسلام عليهم ورحمة الله وبركاته.

اللهم إن هاتين الركعتين هدية منى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأثبنى عليهما ما أملت ورجوت، فيك وفى رسولك، يا ولى المؤمنين.

ثم تخر ساجدا وتقول:

يا حى يا قيوم، ياحى لا يموت، ياحى لا إله إلا أنت، ياذا الجلال والإكرام، ياأرحم الراحمين. أربعين مرة.

ثم ضع خدك الأيمن فتقولها أربعين مرة.

ثم ضع خدك الأيسر فتقولها أربعين مرة.

ثم ترفع رأسك وتمد يدك وتقول أربعين مرة.

ثم ترد يدك إلى رقبتك وتلوذ بسبابتك وتقول ذلك أربعين مرة.

ثم خذ لحيتك بيدك اليسرى وابك أو تباك وقل:

يا محمد يا رسول الله أشكو إلى الله واليك حاجتى، والى أهل بيتك الراشدين حاجتى، وبكم أتوجه إلى الله فى حاجتى.

ثم تسجد وتقول: يا الله يا الله – حتى ينقطع نفسك – صل على محمد وآل محمد وافعل بى كذا وكذا.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فأنا الضامن على الله عزوجل أن لا يبرح حتى تقضى حاجته. ورواه فى الفقيه:۱/۵۵۶

وفى الكافى: ۳/۴۷۸

وبهذا الاسناد، عن أبى اسماعيل السراج، عن ابن مسكان، عن شرحبيل الكندى، عن أبى جعفر عليه السلام قال: إذا أردت أمرا تسأله ربك، فتوضأ وأحسن الوضوء ثم صل ركعتين، وعظم الله وصل على النبى صلى الله عليه وآله، وقل بعد التسليم:

اللهم إنى أسألک بأنک ملک، وأنک على کل شئ قدير مقتدر، وبأنک ما تشاء من أمر يکون.

اللهم إنى أتوجه اليک بنبيک محمد نبى الرحمة.

يا محمد يا رسول الله إنى أتوجه بک إلى الله ربک وربى، لينجح لى طلبتى.

اللهم بنبيک أنجح لى طلبتى بمحمد. ثم سل حاجتک.

ورواه فى تهذيب الأحکام: ۳/۳۱۳

وفى الفقيه: ۱ /۵۵۶

روى موسى بن القاسم البجلى، عن صفوان بن يحيى، ومحمد بن سهل عن أشياخهما عن أبى عبدالله عليه السلام قال:

إذا حضرت لک حاجة مهمة إلى الله عز وجل فصم ثلاثة أيام متوالية: الأربعاء والخميس والجمعة، فاذا کان يوم الجمعة ان شاء الله تعالى فاغتسل والبس ثوبا جديداً، ثم اصعد إلى أعلى بيت فى دارک وصل فيه رکعتين، وارفع يديک إلى السماء ثم قل:

اللهم إنى حللت بساحتک لمعرفتى بوحدانيتک وصمدانيتک، وإنه لا قادر على حاجتى غيرک، وقد علمت يارب أنه کلما تظاهرت نعمتک على اشتدت فاقتى إليک، وقد طرقنى هم کذا وکذا وأنت بکشفه عالم غير معلم، واسع غير متکلف فأسألک باسمک الذى وضعته على الجبال فنسفت، ووضعته على السماء فانشقت، وعلى النجوم فانتثرت، وعلى الأرض فسطحت، وأسألک بالحق الذى جعلته عند محمد والائمة عليهم السلام وتسميهم إلى آخرهم، أن تصلى على محمد وأهل بيته، وأن تقضى حاجتى، وأن تيسر لى عسيرها، وتکفينى مهمها، فإن فعلت فلک الحمد، وإن لم تفعل فلک الحمد، غير جائر فى حکمک، ولا متهم فى قضائک، ولا حائف فى عدلک.

وتلصق خدک بالأرض وتقول:

اللهم أن يونس بن متى عبدک دعاک فى بطن الحوت وهو عبدک فاستجبت له، وأنا عبدک أدعوک فاستجب لى.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: لربما کانت الحاجة لى فأدعو بهذا الدعاء فأرجع وقد قضيت.

- صلاة أخرى للحاجة: روى سماعة عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: ان أحدکم إذا مرض دعا الطبيب وأعطاه، وإذا کانت له حاجة إلى سلطان، رشا البواب وأعطاه!

ولو أن أحدکم إذا فدحه أمر فزع إلى الله تعالى، فتطهر وتصدق بصدقة قلت أو کثرت ثم دخل المسجد فصلى رکعتين فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبى وأهل بيته، ثم قال: اللهم إن عافيتنى من مرضى، أو رددتنى من سفرى، أو عافيتنى مما أخاف من کذا وکذا. إلا آتاه الله ذلک.

- وفى الصحيفة السجادية: ۱/۲۹۳:

اللهم فانى أتقرب اليک بالمحمدية الرفيعة، والعلوية البيضاء، وأتوجه إليک بهما أن تعيذنى من شر کذا وکذا، فإن ذلک لا يضيق عليک فى وجدک، ولا يتکأدک فى قدرتک وأنت على کل شئ قدير...

وفى الصحيفة السجادية: ۲/ ۲۵۸:

أسألک يا سيدى وليس مثلک شئ بکل دعوة دعاک بها نبى مرسل، أو ملک مقرب، أو مؤمن امتحنت قلبه بالإيمان، واستجبت دعوته، وأتوجه اليک بنبيک محمد نبى الرحمة، وأقدمه بين يدى حوائجى.

يا رسول الله بأبى أنت وأمى وأهل بيتک الطيبين، انى أتوجه بک إلى ربک، وأقدمک بين يدى حوائجى.

يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، انى أسألک بک فليس کمثلک شئ، وأتوجه اليک بمحمد نبى الرحمة وبعترته الطيبين، وأقدمهم بين يدى حوائجى أن تعتقنى من النار، وتکفينى وجميع المؤمنين والمؤمنات کل ما أهمنا من أمر الدنيا والآخرة.. انتهى.

والأحاديث فى هذا الباب کثيرة، وفيها صحاح متواترة، تجدها فى أبواب افتتاح الصلاة من الفقه، وأبواب صلاة الحاجة، وفى کتب

المزار والأدعیة.

الاستشفاع بالنبی والأئمة عند زیارة قبورهم الشریفة

ستأتی أحادیث الاستشفاع والتوسل بالنبی صلی الله علیه وآله فی تفسیر قوله تعالی (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّه...).

وفی المقنعة/۴۶۳:

وتحول إلی عند الرأس فقف علیه، وقل:

السلام علیک یا وصی الأوصیاء، ووارث علم الأنبیاء، أشهد لک یا ولی الله بالبلاغ والاداء.

أتیتک بأبی أنت وأمی زائراً عارفاً بحقک، مستبصراً بشأنک، موالیاً لأولیائک، معادیاً لأعدائک، متقربا إلی الله بزیارتک فی خلاص نفسی، وفکاک رقبتی من النار، وقضاء حوائجی للآخرة والدنیا، فاشفع لی عند ربک، صلوات الله علیک ورحمة الله وبرکاته.

وفی الکافی: ۴/۵۶۹:

- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زیاد، عن محمدبن أورمة، عمن حدثه، عن الصادق وأبی الحسن الثالث (علیهما السلام)، قال یقول: السلام علیک یا ولی الله أنت أول مظلوم، وأول من غصب حقه، صبرت واحتسبت، حتی أتاک الیقین، فأشهد أنک لقیت الله وأنت شهید، عذب الله قاتلک بأنواع العذاب، وجدد علیه العذاب.

جئتک عارفاً بحقک مستبصراً بشأنک، معادیاً لأعدائک ومن ظلمک، ألقی علی ذلک ربی ان شاء الله.

یا ولی الله: ان لی ذنوبا کثیرة، فاشفع لی إلی ربک، فإن لک عند الله مقاماً محموداً معلوماً، وان لک عند الله جاها وشفاعة، وقد قال تعالی: ولا یشفعون إلا لمن ارتضی. ورواه فی تهذیب الأحکام: ۶/ ۲۸

- وفی مصباح المتهجد/۶۹۴:

اللهم لا قوة لی علی سخطک ولا صبر لی علی عذابک ولا غنی لی عن رحمتک تجد من تعذب غیری ولا أجد من یرحمنی غیرک ولا قوة لی علی البلاء ولا طاقة لی علی الجهد، أسألک بحق محمد نبیک صلی الله علیه وآله، وأتوسل الیک بالأئمة الذین اخترتهم لسرک وأطلعتهم علی خفیک وأخبرتهم بعلمک وطهرتهم وخلصتهم واصطفیتهم وأصفیتهم وجعلتهم هداة مهدیین وائتمنتهم علی وحیک وعصمتهم عن معاصیک ورضیتهم لخلقک وخصصتهم بعلمک واجتبیتهم وحبوتهم وجعلتهم حججا علی خلقک وأمرت بطاعتهم ولم ترخص لأحد فی معصیتهم وفرضت طاعتهم علی من برأت، وأتوسل الیک فی موقفی الیوم أن تجعلنی من خیار وفدک.

- وفی بحار الأنوار: ۹۹/ ۱۶۹:

ثم قال السید رحمه الله، دعاء یدعی به عقیب الزیارة لسائر الأئمة (علیهم السلام): اللهم إنی زرت هذا الإمام مقراً بإمامته، معتقداً لفرض طاعته، فقصدت مشهده بذنوبی وعیوبی، وموبقات آثامی، وکثرة سیئاتی وخطایای، وما تعرفه منی، مستجیرا بعفوک، مستعیذاً بحلمک، راجیاً رحمتک، لاجیاً إلی رکنک، عائذاً برأفتک، مستشفعاً بولیک وابن أولیائک، وصفیک وابن أصفیائک، وأمینک وابن أمنائک، وخلیفتک وابن خلفائک، الذین جعلتهم الوسیلة إلی رحمتک ورضوانک، والذریعة إلی رأفتک وغفرانک.

وفی بحار الأنوار: ۲/۲۴

۳۱۹ - کنز: روی شیخ الطائفة رحمه الله بإسناده إلی الفضل بن شاذان رفعه إلی أبی جعفر علیه السلام قال: ان الله عز وجل یقول: ماتوجه إلیَّ أحد من خلقی أحب الیَّ من داع دعانی یسأل بحق محمد وأهل بیته، وإن الکلمات التی تلقاها آدم من ربه قال:(اللهم أنت ولیی فی نعمتی، والقادر علی طلبتی، وقد تعلم حاجتی، فأسألک بحق محمد وآل محمد إلا ما رحمتنی وغفرت زلتی) فأوحی الله إلیه: یا آدم أنا ولی نعمتک، والقادر علی طلبتک، وقد علمت حاجتک، فکیف سألتنی بحق هؤلاء؟ فقال: یارب انک لما نفخت فی

الروح رفعت رأسى إلى عرشك، فإذا حوله مكتوب: لا اله إلا الله محمـد رسول الله، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك، ثم عرضت علىَّ الأسماء، فكان ممن مربى من أصحاب اليمين آل محمد وأشياعهم، فعلمت أنهم أقرب خلقك اليك، قال: صدقت يا آدم.

تفسير الآيات الثلاث فى التوسل

الآية ٠١

قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. المائدة: ٣٥

فقد أمرت هذه الآية الكريمة باتخاذ (وسيلة) إلى الله تعالى، ولكنها لم تبين ما هى، وهذا يعنى أن الله تعالى ترك بيانها للرسول صـلى الله عليه وآله.

عمل المفسرين السنيين لإبعاد الوسيلة عن النبى

يلاحظ الباحث أن الرواة والمفسرين السنيين سعوا حثيثا لابعاد (الوسيلة المأمور بها فى القرآن) عن النبى صلى الله عليه وآله!!

فمن ناحية، لم يرووا شـيئا فى تفسيرها عن النبى وآله، بل تبرعوا بالبيان من عندهم وفسـروها بالقربة، وغاية ما رووا فى رواى مقطوعة عن حذيفة تقول أن الوسيلة هى القربة! كما فى مستدرك الحاكم: ٢/٣١٢!

مع أنه لا يعقل أن يكون الأمر الإلهى نزل إلى الأمة بأن يبتغوا إلى ربهم الوسيلة، ولم يبينها لهم الرسول الذى أرسله الله ليبين للناس؟!

أما تفسيرهم لها بالقربة فهو تفسير الماء بالماء! لأن القربة كلمة مجملة تحتاج إلى تفسير كالوسيلة!!

فهل تختص بالأعمال الصالحة، أم تشمل ابتغاء التوسل بالأنبياء والأوصياء والأولياء.. الخ.

قال السيوطى فى الدر المنثور: ٢/٢٨٠

- أخرج عبد بن حميد والفريابى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم فى قوله:

وابتغوا إليه الوسيلة، قال: القربة.

- وأخرج الحاكم وصححه عن حذيفة فى قوله وابتغوا إليه الوسيلة قال: القربة.

- وأخرج عبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة فى قوله: وابتغوا إليه الوسيله قال تقربوا إلى الله بطاعته والعمل بما يرضيه.

- وأخرج عبد بن حميد عن أبى وائل قال: الوسيلة فى الإيمان.

- وأخرج الطستى وابن الأنبـارى فى الوقف والابتـداء عن ابن عبـاس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرنى عن قوله عز وجل: وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، قال: الحاجة. قال وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول:

إن الرجال لهم اليك وسيلة أن ياخذوك تكحلى وتخضبى. انتهى.

وتفسير ابن عباس للوسيلة بالحاجة ان صح عنه فلا يصح، لأن مقصود عنترة أن يقول لتلك المرأة: ان الرجال سيجدون وسيلة لأخذك ولو بالخطيفة فاسـتعدى! على أنه لا يبعد أن يكون معنى الحاجة فى زمن ابن عباس هو المعنى الذى يستعمله أهل مصر اليوم، وهو عام يشمل الوسيلة.

وفى حلية الأولياء: ٤/١٠٥

عن منصور عن أبى وائل فى قوله تعالى وابتغوا إليه الوسيلة، قال: القربة فى الأعمال. انتهى.

وهكذا ساروا على ما أسسه المفسـرون الأمويون من تفسـير الآية بالقربة وابعادها عن النبى وآله صلى الله عليه وآله، الذين هم الوسيلة التى أمر الله بها فى كتابه!

ولم يكتفوا بتفسير الوسيلة المطلقة بالقربة المطلقة، حتى ضيقوا مفهوم القربة وأبعدوه عن كثير من التقربات المرتبطة بشخص النبى صلى الله عليه وآله، وقبورهم الشريفة!!

وسوف ترى أن الإتجاه الأموى أخذ شكلا حادا على يد ابن تيمية واتباعه!

وبذلك اتجه السؤال بالتهمة اليهم بأنهم راعوا سياسة الخلافة القرشية فى تقليلها من حاجة المسلمين إلى النبى صلى الله عليه وآله حتى فى ايمانهم، وخاصة فى الأمور التى لابد أن تكون ممتدة بعده بأهل بيته الطاهرين.

وفى اعتقادى أن ذلك يرجع إلى يوم أعلنت الخلافة القرشية الأحكام العرفية فى كل مايتعلق بالقبر النبوى، لأنها خشيت أن يستجير به أهل بيته ويطالبوا بالخلافة! فقد منعت التجمع عنده والصلاة والتوسل والتبرك.. وأكثر مظاهر الإحترام الطبيعية التى تقوم بها الأمم تجاه قبر نبيها!!

فصار ذلك فقها وعقيدة، وقامت الخلافة الأموية بتركيزه وتبريره.. ولم يخرج عنه إلا المتصوفة، ولكنهم حاولوا أن يفسروا الوسيلة إلى الله تعالى بمشايخ طرقهم!!

وقد حاول الفخر الرازى أن يستدل على إبعاد الوسيلة عن الواسطة فى تلقى الدين والسلوك الدينى، فقال فى تفسيره: ۶ جزء ۱۱/۲۲۰:

المسألة الثالثة، الوسيلة: فعيلة، من وسل أى تقرب إليه، قال لبيد الشاعر:

أرى الناس لا يدرون ماقدر أمرهم إلا كل ذى لب إلى الله واسل أى متوسل، فالوسيلة هى التى يتوسل بها إلى المقصود.

قالت التعليميه: دلت الآيه على أنه لا سبيل إلى الله تعالى إلا بمعلم معرفته، ومرشد يرشدنا إلى العلم به، وذلك لأنه طلب الوسيلة إليه مطلقاً، والإيمان به من أعظم المطالب وأشرف المقاصد، فلا بد فيه من الوسيلة.

وجوابنا: أنه تعالى أمر بابتغاء الوسيلة إليه بعد الإيمان به، والإيمان به عبارة عن المعرفة به، فكان هذا أمرا بابتغاء الوسيلة إليه بعد الإيمان به ومعرفته، فيمتنع أن يكون هذا أمرا بطلب الوسيلة إليه فى معرفته!

فكان المراد طلب الوسيلة إليه فى تحصيل مرضاته، وذلك بالعبادات والطاعات. انتهى كلام الرازى.

وغرضه أن يقول ان الآية تخاطب المؤمنين بعد ايمانهم بأن يتوسلوا بالطاعات، ولا تطلب من الناس أن يتوسلوا بشخص إلى الإيمان.

ولكنه نسى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ) النساء: ۱۳۶

فقد طلب الله من المؤمنين أن يؤمنوا بالله ورسوله! ونسى قوله تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا) الحجرات – ۱۴

فلا مانع أن يخاطب الله تعالى المؤمنين بعد إيمانهم أن يبتغوا إليه الوسيلة عن طريق رسوله؟!

بل حتى لو سلمنا أن الآية ناظرة إلى مرحلة مابعد ايمانهم، فأى مانع فى أن يطلب الله تعالى منهم أن يرتقوا بايمانهم إلى درجة أعلى فيجعلوا الرسول قدوتهم ووسيلتهم إلى ربهم؟!!

ولكن غرض الرازى أن يحصر الوسيلة المأمور بها بالأعمال، ويبعدها عن شخص النبيى وآله صلى الله عليه وآله! كما أن غرض التعليمية الذين ذكرهم الرازى أن يبعدوها عن الرسول وآله صلوات الله عليهم، ويثبتوا بها حاجة المسلم فى الإيمان والتدين إلى شيخ طريقة يكون هو وسيلته إلى ربه!!

أما المفسرون الشيعة فقد تأثر بعضهم بالجو العام للتفسير السنى، ففسروا الوسيلة مثلهم بالقربة بلا تعيين، بينما فسرها بعضهم بما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام)، من أن الوسيلة هو النبى أو وصيه من بعده..

– قال الطوسى فى تفسير التبيان: ۳/۵۰۹

خاطب الله فى هذه الآية المؤمنين وأمرهم أن يتقوه، ومعناه أن يتقوا معاصيه ويجتنبوها، ويبتغوا إليه معناه يطلبون إليه، الوسيلة وهى القربة فى قول الحسن ومجاهد وقتادة وعطاء والسدى وابن زيد وعبد الله بن كثير وأبى وابل. وهى على وزن فعيلة، من قولهم: توسلت اليك، أى تقربت. قال عنترة ابن شداد:

إن الرجال لهم الیک وسیلهٔ أن یأخذوک فلجلجی وتخضبی

وقال الآخر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافی بیننا والوسائل

یقال: منه سلت أسال، أی طلبت، وهما یتساولان، أی یطلب کل واحد منهما من صاحبه. والأصل الطلب والوسیلهٔ التی ینبغی أن یطلب مثلها. انتهی.

والظاهر أن منهج الشیخ الطوسی رحمه الله فی تفسیر التبیان أن یکتب ما یتحمله القارئ السنی.

وکذا فعل المقداد السیوری فی فقه القرآن: ١/٣٦٩

والبلاغی فی إملاء ما منَّ به الرحمن:١/٢١٤

أما التفاسیر الروائیهٔ عن أهل البیت (علیهم السلام)، فقد فسرت الوسیلهٔ التی أمر الله تعالی بها بالنبی والأئمهٔ من بعده صلی الله علیه وعلیهم.

ففی تفسیر القمی: ١/١٦٨

وقوله (اتَّقُوا اللَهَ وَابْتَغُوا إِلَیْهِ الْوَسِیلَهَٔ) فقال: تقربوا إلیه بالإمام. انتهی.

والمتأمل فی الآیهٔ یلاحظ أنها: أمر الهی نزل فی آخر سورهٔ من القرآن، بعنصر جدید کلف الله به المسلمین هو (البحث.. عن.. الوسیلهٔ)!

وهو أمر مجمل، والمصدر الوحید لبیانه هو الرسول صلی الله علیه وآله.

أما نحن فنروی أنه بین الوسیلهٔ بأنها هو وأهل بیته، فالأمهٔ مکلفهٔ أن تتعبد لله تعالی بمعرفتهم فی کل عصر وإطاعتهم..

بینما لم یرو السنییون بیانها، ورووا عن غیر النبی تفسیرها بالقربهٔ، وهو لا یصح لأنه أولا تفسیر مجمل مثلها! ولانه ثانیا یلغی العنصر الجدید الذی نزلت به الآیهٔ، ویجعل معناها تأکیداً لمثل قوله تعالی (أَطِیعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ)، وبذلک لا یبقی معنی لإستعمال مصطلح الوسیلهٔ وابتغائها، ولا لنزول الآیهٔ!!

الآیهٔ ٠٢

قال الله تعالی: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِیمًا. النساء: ٦٤

ورد تفسیر المجئ إلی الرسول فیها عن أهل البیت (علیهم السلام)، أنه یشمل المجئ إلی الرسول صلی الله علیه وآله فی حیاته، والمجئ إلی قبره الشریف بعد وفاته. وقد وافقتهم علی ذلک روایات عدیدهٔ من مصادر السنیین.

ففی الکافی: ٤ / ٥٥٠:

عن معاویهٔ بن عمار، عن أبی عبدالله علیه السلام قال: إذا دخلت المدینهٔ فاغتسل قبل أن تدخلها أو حین تدخلها ثم تأتی قبر النبی صلی الله علیه وآله ثم تقوم فتسلم علی رسول الله صلی الله علیه وآله ثم تقوم عند الاسطوانهٔ المقدمهٔ من جانب القبر الأیمن عند رأس القبر عند زاویهٔ القبر وأنت مستقبل القبلهٔ ومنکبک الأیسر إلی جانب القبر ومنکبک الأیمن مما یلی المنبر، فانه موضع رأس رسول الله صلی الله علیه وآله وتقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشریک له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أنک رسول الله، وأشهد أنک محمد بن عبدالله، وأشهد أنک قد بلغت رسالات ربک ونصحت لأمتک، وجاهدت فی سبیل الله، وعبدت الله مخلصاً حتی أتاک الیقین وأدیت الذی علیک من الحق وأنک قد رؤفت بالمؤمنین وغلظت علی الکافرین فبلغ الله بک أفضل شرف محل المکرمین، الحمدالله الذی استنقذنا بک من الشرک والضلالهٔ، اللهم فاجعل صلواتک وصلوات ملائکتک المقربین وعبادک الصالحین وأنبیائک المرسلین وأهل السماوات والأرضین ومن سبح لک یا رب العالمین من الأولین والآخرین علی محمد عبدک ورسولک ونبیک وأمینک ونجیک

وحبيبك وصفيك وخاصتك وصفوتك وخيرتك من خلقك، اللهم أعطه الدرجة والوسيلة من الجنة وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون.

اللهم إنك قلت: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً.

وإنى أتيت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبى وإنى أتوجه بك إلى الله ربى وربك ليغفرلى ذنوبى.

وإن كانت لك حاجة فاجعل قبر النبى صلى الله عليه وآله خلف كتفيك واستقبل القبلة وارفع يديك واسأل حاجتك فإنك أحرى ان تقضى ان شاء الله.

- ورواه فى تهذيب الأحكام: ۶ /۵

- ونحوه فى من لا يحضره الفقيه: ۲/۵۶۷، وفيه:

اللهم وأعطه الدرجة والوسيلة من الجنة وابعثه مقاما محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم إنك قلت وقولك الحق: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.

وإنى أتيت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبى، يا رسول الله انى أتوجه بك إلى الله ربى وربك ليغفر لى ذنوبى. انتهى.

- وفى الدر المنثور: ۱/۲۳۸:

- وأخرج البيهقى عن أبى حرب الهلالى قال حج أعرابى فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله(ص)أناخ راحلته فعقلها ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ووقف بحذاء وجه رسول الله(ص)فقال:

بأبى أنت وأمى يا رسول الله، جئتك مثقلاً بالذنوب والخطايا، مستشفعاً بك على ربك، لأنه قال فى محكم كتابه: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا.

وقد جئتك بأبى أنت وأمى مثقلاً بالذنوب والخطايا، أستشفع بك على ربك أن يغفر لى ذنوبى، وأن يشفع فى.

ثم أقبل فى عرض الناس وهو يقول:

يا خير من دفنت فى الترب أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

- ورواه فى كنز العمال: ۴/۲۵۸، وقال فى هامشه: وذكر ابن كثير فى تفسيره: ۲/۳۲۹

وقصة هذا الأعرابى تدل على أن العربى الصافى الفطرة يفهم أن قوله تعالى (جاؤوك) يشمل المجئ إلى الرسول فى حياته، والى قبره بعد وفاته.

- وقال الشرنبلانى فى نور الإيضاح/۱۵۶

لمسلمين ثم يعود ويقف عند رأس سيدنا النبى صلى الله عليه وآله الشريف مستقبله كالأول ويقول اللهم إنك قلت وقولك الحق وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. وقد جئناك سامعين قولك طائعين أمرك مستشفعين بنبيك اليك اللهم ربنا اغفر لنا ولاباءنا) وأمهاتنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربا انك رؤوف رحيم

- وفى الدر المنثور: ۲/۲۱۹:

وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود قال: من قرأ هاتين الآيتين من سورة النساء ثم استغفر غفر له: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا.

وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ.. الآية.

- وفى الدر المنثور: ۲ /۱۷۰:

– وأخرج هناد عن ابن مسعود قال: أربع آيات فى كتاب الله عز وجل أحب إلى من حمر النعم وسودها:
فى سورة النساء قوله: إِنَّ اللَه لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.. الآية.
وقوله: إِنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ.. الآية.
وقوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ.. الآية.
وقوله: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ.. الآية.
– وفى الدر المنثور: ۲ / ۱۸۰:
وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير قال:
الإستغفار على نحوين، أحدهما فى القول والآخر فى العمل.
فأما استغفار القول فإن الله يقول: ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول.
وأما استغفار العمل فإن الله يقول وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، فعنى بذلك أن يعملوا عمل الغفران. انتهى.

جاؤوك، تشمل المجئ إلى قبر النبى والمجئ إلى وصيه

فى القرآن الكريم والأحاديث الشريفة خطابات وأحكام خاصة بالنبى صلى الله عليه وآله، فما حكمها بعد وفاته؟
قالت مـذاهب الخلافة القرشـية: منها ماهو من شأن النبوة وقد انتهى بوفاة النبى، والباقى صار المخاطب به الخليفة الذى حل محل النبى صلى الله عليه وآله! وبدأت الخلافة بتنفيذ ذلك فى الخمس والأمور المالية فقالت صار أمرها إلى الخليفة... الخ.
ولكن هذه الخطابات والأحكام أوسع وأعمق من أن ينهض بها أمثال الخلفاء الذين حكموا بعد النبى صلى الله عليه وآله.. وللبحث فى هـذا الموضوع مكان آخر، ويدخل منه فى بحثنا فتح باب الغفران الإلهى بالمجئ إلى النبى صـلى الله عليه وآله، فهل هو حكم مستمر بعده فى وصيه أم لا؟
دلت أحاديثنا الصـحيحة على أن هذا المقام الربانى ثابت للوصـى عليه السلام، وهو الذى يساعد عليه إستمرار الإسلام، ووراثة الكتاب الإلهى، ونصوص وصية النبى لعترته الطاهرين، صلى الله عليه وعليهم.
– ففى الكافى: ۱/۳۹۱:
– على بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن ابن اذينـة، عن زرارة أو بريـد، عن أبى جعفر عليه السـلام قال: قال: لقد خاطب الله أمير المـؤمنين عليه السـلام فى كتـابه قـال: قلت: فى أى موضـع؟ قـال: فى قوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَـهُمْ جـاءُوكَ فَاسْـتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْـتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَـدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. فَلا وَ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَـجَرَ بَيْنَهُمْ، فيما تعاقـدوا عليه لئن أمات الله محمدا ألا يردوا هذا الأمر فى بنى هاشم، ثم لا يجدوا فى أنفسه حرجا مما قضيت، عليهم من القتل أو العفو، ويسلموا تسليما.
– وفى الكافى: ۸ /۳۳۴:
على بن ابراهيم، عن أبيه ومحمد بن اسماعيل، وغيره، عن منصور بن يونس عن ابن اذينة، عن عبدالله بن النجاشئ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السـلام يقول فى قول الله عزوجـل: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِى أَنْفُسِـهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا. يعنى والله فلانا وفلانا.
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. يعنى والله النبى صـلى الله عليه وآله وعلياً مما صنعوا أى لو جاؤوك بها يا على فا ستغفروا الله مما صنعوا، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما.
فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ. فقال أبوعبد الله: هو والله على بعينه، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت،

علی لسانک یا رسول الله یعنی به من ولایة علی، ویسلموا تسلیما، لعلی.

– وفی تفسیر القمی: ۱/ ۱۴۲:

وقوله: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّه، فانه حدثنی أبی، عن ابن أبی عمیر، عن ابن أذینة، عن زرارة، عن أبی جعفر علیه السلام قال: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. هکذا نزلت.

ثم قال: فَلا وَ رَبِّکَ لا یُؤْمِنُونَ حَتَّی یُحَکِّمُوکَ، یا علی، فیما شجر بینهم، یعنی فیما تعاهدوا وتعاقدوا علیه من خلافک بینهم وغصبک. ثم لا یجدوا فی أنفسهم حرجاً مما قضیت، علیهم یا محمد علی لسانک من ولایته، ویسلموا تسلیما، لعلی علیه السلام. انتهی.

ومعنی قول الإمام الباقر علیه السلام (هکذا نزلت) أی هذا هو المعنی المقصود فیها الذی أنزله الله تعالی.

وقد یکون الول بتعمیم الخطاب للوصی ثقیلاً علی بعضهم، ولکنه لا بد منه إذا أرنا أن لا نعطل معنی الآیات والأحادیث والأحکام المتعلقة بالنبی صلی الله علیه وآله! مع ما یستلزمه تعطیلها من نقصان الدین بعد کماله وتمامه!!

الآیة ۰۳

قال الله تعالی: وَ رَبُّکَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِی السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَی بَعْضٍ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا.

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِکُونَ کَشْفَ الضُّرِّ عَنْکُمْ وَ لا تَحْوِيلاً.

أُولَئِکَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَی رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّکَ کَانَ مَحْذُورًا. الإسراء: ۵۵ – ۵۷

وهذه الآیة تدل علی مشروعیة التوسل إلی الله تعالی بالأشخاص الأقرب إلیه، فمن المتفق علیه بین المفسرین أن قوله تعالی (يَبْتَغُونَ إِلَی رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) مدح لهؤلاء المؤمنین بأنهم یطلبون التوسل إلی الله تعالی.. وإن اختلفوا فی تعیین هؤلاء المتوسلین، والمتوسل بهم. کما سیأتی.

تفسیرنا للآیتین الکریمتین

معنی الآیات:

قل لهم فلیدعوا الذین یزعمون لکشف الضر عنهم، فلا مجیب!! لأنهم فی الحقیقة لا یدعون شیئا!

ولکن المؤمنین هم الذین یدعون من هو أهل لکشف الضر سبحانه، فتراهم یبتغون إلیه الوسیلة، ویبحثون عن أقرب عباده إلیه وسیلة فیتوسلون به إلیه، فیستجیب دعاءهم. ف– (أولئک) فی مطلع الآیة الثانیة إستئناف، والمقصود بهم المؤمنون عبر التاریخ، وقد مدحهم الله تعالی بدعائهم ربهم الحق، وبتوسلهم بمن هو أقرب منهم إلیه.. وذلک فی مقابل المشرکین الذین یدعون هباء! ویتوسلون بما لم یأذن به الله!!

أما المفسرون السنیون فقد أرجعوا الضمیر فی أولئک إلی المعبودین المزعومین من دون الله. وبعضهم کالجبائی أرجعه إلی الأنبیاء، ولکنه وافقهم علی أن (أیهم أقرب) صفة للمتوسلین، لا للمتوسل بهم، کما سیأتی.

وأما المفسرون الشیعة غیر المحدثین، فقد راعوا التفسیر السنی، ولم یخرجوا عنه إلا قلیلاً.

– قال الطوسی فی تفسیر التبیان: ۶/۴۹۰:

ثم قال لنبیه: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ، یعنی الذین زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دون الله، ادعوهم إذا نزل بکم ضرر، فانظروا هل یقدرون علی دفع ذلک أم لا.

وقال ابن عباس والحسن: الذین من دونه، الملائکة والمسیح وعزیر.

وقال ابن مسعود: أراد به ماكانوا يعبدون من الجن: وقد أسلم أولئك النفر من الجن، لأن جماعة من العرب كانوا يعبدون الجن، فأسلم الجن وبقى الكفار على عبادتهم.

وقال أبو على: رجع إلى ذكر الأنبياء فى الآية الأولى، والتقدير ان الأنبياء يدعون إلى الله يطلبون بذلك الزلفة لديه ويتوسلون به إليه والى رضوانه وثوابه، أيهم كان أفضل عند الله، وأشد تقربا إليه بالأعمال.

ثم قال: فلا يملكون، يعنى الذين تدعون من دون الله، كشف الضر، والبلاء عنكم، ولا تحويله إلى سواكم.

ثم قال: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب..الآية قوله: أولئك: رفع بالإبتداء، والذين، صفة لهم، ويبتغون إلى ربهم خبر الإبتداء. والمعنى الجماعة الذين يدعون يبتغون إلى ربهم.

أيهم رفع بالإبتداء، وأقرب خبره. والمعنى يطلبون الوسيلة ينظرون أيهم اقرب فيتوسلون به، ذكره الزجاج.

وقال قوم: الوسيلة هى القربة والزلفة.

وقال الزجاج: الوسيلة والسؤال والسؤل والطلبة واحد، والمعنى ان هؤلاء المشركين يدعون هؤلاء الذين اعتقدوا فيهم أنهم أرباب ويبتغى المدعوون أرباباً إلى ربهم القربة والزلفة لأنهم أهل ايمان به.

والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله، أيهم أقرب عند الله بصالح أعماله واجتهاده فى عبادته، فهم يرجون بأفعالهم رحمته ويخافون عذابه بخلافهم إياه. إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا. أى متقى. انتهى.

وقد اقتصر الشيخ الطوسى على ذكر أقوال السنيين، كما رأيت.

- وأما الطبرسى فى مجمع البيان: ۶/۴۲۲، فقد مال إلى قول أبى على الجبائى، فقال: ثم قال سبحانه لنبيه (ص):

قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله: أدعوا الذين زعمتم من دونه أنهم آلهة عند ضر ينزل بكم ليكشفوا ذلك عنكم أو يحولوا تلك الحالة الى حالة أخرى.

فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا، للحالة التى تكرهونها إلى حالة تحبونها يعنى تحويل حال القحط إلى الخصب والفقر إلى الغنى والمرض إلى الصحة.

وقيل معناه لا يملكون تحويل الضر عنكم إلى غيركم، بين سبحانه أن من كان بهذه الصفة فانه لايصلح للإلهية، ولا يستحق العبادة.

والمراد بالذين من دونه الملائكة والمسيح وعزير عن ابن عباس والحسن، وقيل هم الجن لأن قوماً من العرب كانوا يعبدون الجن عن ابن مسعود، قال وأسلم أولئك النفر من الجن وبقى الكفار على عبادتهم.

قال الجبائى: ثم رجع سبحانه إلى ذكر الأنبياء فى الآية الأولى فقال: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ، ومعناه أولئك الذين يدعون إلى الله تعالى ويطلبون القربة إليه بفعل الطاعات.

أيهم أقرب، أى ليظهر أيهم الأفضل والأقرب منزلة منه. وتأويله أن الأنبياء مع علو رتبهم وشرف منزلتهم إذا لم يعبدوا غير الله فأنتم أولى أن لا تعبدوا غير الله. وإنما ذكر ذلك حثاً على الإقتداء بهم.

وقيل ان معناه أولئك الذين يدعون ويعبدونهم ويعتقدون أنهم آلهة من المسيح والملائكة يبتغون الوسيلة والقربة إلى الله تعالى بعبادتهم، ويجتهد كل منهم ليكون أقرب من رحمته، أو يطلب كل منهم أن يعلم أيهم أقرب إلى رحمته أو إلى الاجابة، ويرجون رحمته ويخافون عذابه، أى وهم مع ذلك يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمته أن أطاعوه ويخافون عذابه ان عصوا، ويعملون عمل العبيد. انتهى.

ومع أنه رحمه الله مال إلى تفسير الجبائى، ولكنه لم يخرج عن التفسير الأساسى للمفسرين السنيين، ولم يبحث النسبة بين الآية وبين أحاديث أهل البيت عليهم السلام الصحيحة التى تنص على أن الذين جعلهم الله تعالى وسيلة للناس والأنبياء هم محمد وآله صلى الله عليهم.

وأما الطباطبائی فقد ذکر أقوال المفسرین السنیین فی الآیهٔ، ولم یجزم بشئ منها! قال فی تفسیر المیزان: ۱۳/۱۳۰:
قوله تعالی: أُولَئِکَ الَّذِینَ یَدْعُونَ یَبْتَغُونَ إِلَی رَبِّهِمُ الْوَسِیلَةَ أَیُّهُمْ أَقْرَبُ، إلی آخر الآیهٔ.أولئک مبتدأ، والذین صفهٔ له، ویدعون صلته ضمیره عائد إلی المشرکین. ویبتغون خبر أولئک، وضمیره وسائر ضمائر الجمع إلی آخر الآیهٔ راجعهٔ إلی أولئک.
وقوله: أَیُّهُمْ أَقْرَبُ، بیان لابتغاء الوسیلهٔ لکون الإبتغاء فحصا وسؤإلا فی المعنی. هذا ما یعطیه السیاق.
والوسیلهٔ علی ما فسروه هی التوصل والتقرب، وربما استعملت بمعنی ما به التوصل والتقرب، ولعله هو الأنسب بالسیاق بالنظر إلی تعقیبه بقوله: أَیُّهُمْ أَقْرَبُ. والمعنی والله أعلم:
أولئک الذین یدعوهم المشرکون من الملائکهٔ والجن والانس یطلبون ما یتقربون به إلی ربهم یستعلمون.
أَیُّهُمْ أَقْرَبُ: حتی یسلکوا سبیله ویقتدوا بأعماله لیتقربوا إلیه تعالی کتقربه. ویرجون رحمته. من کل ما یستمدون به فی وجودهم ویخافون عذابه فیطیعونه ولا یعصونه.
إِنَّ عَذَابَ رَبِّکَ کَانَ مَحْذُورًا. یجب التحرز منه والتوسل إلی الله ببعض المقربین إلیه – علی ما فی الآیهٔ الکریمهٔ قریب من قوله: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَیْهِ الْوَسِیلَةَ، غیر ما یرومه المشرکون من الوثنیین، فإنهم یتوسلون إلی الله ویتقربون بالملائکهٔ الکرام والجن والأولیاء من الانس، فیترکون عبادته تعالی ولا یرجونه ولا یخافونه، وإنما یعبدون الوسیلهٔ ویرجون رحمته ویخافون سخطه ثم یتوسلون إلی هؤلاء الأرباب والإلههٔ بالأصنام والتماثیل فیترکونهم ویعبدون الأصنام، ویتقربون الیهم بالقرابین والذبائح.
وبالجملهٔ یدعون التقرب إلی الله ببعض عباده أو أصنام خلقه، ثم لا یعبدون إلا الوسیلهٔ مستقلهٔ بذلک، ویرجونها ویخافونها مستقلهٔ بذلک من دون الله، فیشرکون بإعطاء الإستقلال لها فی الربوبیهٔ والعبادهٔ.
والمراد بأولئک الذین یدعون: ان کان هو الملائکهٔ الکرام والصلحاء المقربون من الجن والأنبیاء والأولیاء من الإنس، کان المراد من ابتغائهم الوسیلهٔ ورجاء الرحمهٔ وخوف العذاب ظاهره المتبادر.
وان کان المراد بهم أعم من ذلک حتی یشمل من کانوا یعبدونه من مردهٔ الشیاطین وفسقهٔ الإنسان کفرعون ونمرود وغیرهما، کان المراد بابتغائهم الوسیلهٔ إلیه تعالی ماذکر من خضوعهم وسجودهم وتسبیحهم التکوینی (!)
وکذا المراد من رجائهم وخوفهم ملذواتهم. انتهی.
ثم ذکر رحمه الله وجوها أخری فی رجوع الضمائر، ولم یتبن منها شیئا.

تفسیر السنیین للآیتین الکریمتین

قال المحدثون والمفسرون السنیون ان المقصود بـ(أولئک) فی الآیهٔ، المعبودون المزعومون من دون الله الذین یؤلههم بعض الناس، فالمعبودون مؤمنون یعبدون الله تعالی ویبتغون إلیه الوسیلهٔ... وعابدوهم مشرکون.
ورووا عن ابن مسعود وابن عباس أن هؤلاء المعبودین من مؤمنی الجن، أو الملائکهٔ، أو أنهم المسیح وعزیر والشمس والقمر!
– قال البخاری فی صحیحه: ۵/۲۲۷:
عن أبی معمر عن عبد الله (ابن مسعود): إِلَی رَبِّهِمُ الْوَسِیلَةَ، قال: کان ناس من الإنس یعبدون ناسا من الجن، فأسلم الجن وتمسک هؤلاء بدینهم. زاد الأشجعی: عن سفیان عن الأعمش: قُلِ ادْعُوا الَّذِینَ زَعَمْتُمْ.
باب أُولَئِکَ الَّذِینَ یَدْعُونَ یَبْتَغُونَ إِلَی رَبِّهِمُ الْوَسِیلَةَ.. الآیهٔ:
عن أبی معمر عن عبدالله (رض) فی هذه الایه: الَّذِینَ یَدْعُونَ یَبْتَغُونَ إِلَی رَبِّهِمُ الْوَسِیلَةَ، قال: ناس من الجن یعبدون، فأسلموا.
– ورواه مسلم: ۸/۲۴۴ عن عبد الله أیضاً، وفیه قال: کان نفر من الإنس یعبدون نفراً من الجن، فأسلم النفر من الجن، واستمسک الإنس بعبادتهم فنزلت: أُولَئِکَ الَّذِینَ یَدْعُونَ یَبْتَغُونَ إِلَی رَبِّهِمُ الْوَسِیلَةَ.

- ورواه الحاكم بنحوه: ۲/۳۶۲، عن عبد الله أيضاً.

- وقال السيوطى فى الدر المنثور: ۴/ ۱۸۹:

أخرج عبدالرزاق، والفريابى، وسعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، والبخارى، والنسائى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحاكم، وابن مردويه، وأبو نعيم فى الدلائل، عن ابن مسعود (رض) فى قوله: قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلًا، قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن وتمسك الأنسيون بعبادتهم، فأنزل الله: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ. كلاهما بالياء.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقى، معا فى الدلائل، عن ابن مسعود (رض) قال: نزلت هذه الآية فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيون والنفر من العرب لا يشعرون ذلك.

- وقال فى الدر المنثور: ۴/۱۹۰:

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود (رض) قال: كان قبائل من العرب يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن، ويقولون هم بنات الله، فأنزل الله: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ.. الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن أبى حاتم، وابن مرديه، عن ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية قال: كان أهل الشرك يعبدون الملائكة والمسيح وعزيرا.

وأخرج ابن أبى شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله: فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ، قال: عيسى وأمه وعزيز.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ، قال: هم عيسى وعزيز والشمس والقمر. انتهى.

- وقال الفخر الرازى فى تفسيره: ۲۰/۲۳۱:

فنقول: ان قوما عبدوا الملائكة فنزلت هذه الآية فيهم.

وقيل إنها نزلت فى الذين عبدوا المسيح وعزيرا.

وقيل إن قوماً عبدوا نفرا من الجن فأسلم النفر من الجن، فبقى أولئك من الناس متمسكين بعبادتهم، فنزلت هذه الآية. انتهى.

وعلى هذا المنوال نسج المفسرون الباقون.. ومنهم ابن تيمية، الذى أهمل كغيره أن الآية فى مدح المتوسلين، وأخذ منها ذم الذين عبدوا المتوسلين!

- قال فى رسالة فتيا فى نية السفر/۴۳۰

فالآية تتناول كل من دعا من دون الله من هو صالح عند الله من الملائكة والإنس والجن! قال تعالى: هؤلاء الذين دعوتموهم لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه، ان عذاب ربك كان محذورا.

قال أبومحمد عبد الحق بن عطية فى تفسيره: أخبر الله تعالى أن هؤلاء المعبودين يطلبون التقرب إليه والتزلف إليه، وأن هذه حقيقة حالهم، والضمير فى ربهم للمبتغين أو للجميع، والوسيلة هى القربة، وسبب الوصول إلى البغية، وتوسل الرجل إذا طلب الدنو والنيل لامر ما، ومنه قول النبى(ص)من سأل الله لى الوسيلة.. الحديث.

وهذا الذى ذكره ذكر سائر المفسرين نحوه، إلا أنه برز به على غيره فقال: وأيهم ابتداء وخبره أقرب، وأولئك يراد بهم المعبودون، وهو ابتداء وخبره يبتغون. والضمير فى يدعون للكفار، وفى يبتغون للمعبودين، والتقدير نظرهم وذكرهم أيهم أقرب!! وهذا كما قال عمر بن الخطاب (رض) فى حديث الراية بخيبر فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها؟ أى يتبارون فى طلب القرب!! قال رحمه الله:

وطفف الزجاج فى هذا الموضع فتأمله.

ولقد صدق فى ذلك فإن الزجاج ذكر فى قوله أيهم أقرب وجهين كلاهما فى غاية الفساد. وقد ذكر ذلك عنه ابن الجوزى وغيره، وتابعه المهدوى والبغوى وغيرهما، ولكن ابن عطية كان أقعد بالعربية والمعانى من هؤلاء وأخبر بمذهب سيبوبة والبصريين، فعرف تطفيف الزجاج مع علمه رحمه الله بالعربية وسبقه ومعرفته بما يعرفه من المعانى والبيان! وأولئك لهم براعة وفضيلة فى أمور يبرزون فيها على ابن عطية لكن دلالة الألفاظ من جهة العربية هو بها أخبر، وان كانوا هم أخبر بشئ آخر من المنقولات أو غيرها!!

وقد بين سبحانه وتعالى أن المسيح وان كان رسولاً كريماً فانه عبد الله، فمن عبده فقد عبد مالا ينفعه ولا يضره!

قال تعالى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار. انتهى.

مناقشة تفسيرهم للآيات

يلاحظ على تفسيرهم للايات:

أولا: أنهم ابتعدوا عن سياق الآية ومصبها، وهو المقابلة بين المشركين الذين يدعون من يزعمون، وبين المؤمنين الذين يدعون ربهم ويبتغون إليه الوسيلة.. فقد قال سبحانه لرسوله (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلًا.).

ثم مدح الذين يقابلونهم فقال (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ)...

فالسياق هو تحدى المشركين بأن آلهتهم المزعومة لا تستطيع أن تكشف الضر عنهم، وأنهم بالحقيقة لا يدعون من دون الله شيئاً، بل أوهاماً.. ثم قابلهم بالذين يدعون الله تعالى ويتوسلون إليه، فهؤلاء الذين يدعون الحق بحق، وعبر عنهم بأولئك تعظيما لهم. أما غيرهم فلا يدعون شيئا.

وبذلك تتم المقابلة وتكون (أولئك) استئنافاً جديداً تاماً، والضمير فيها للشأن، ولا ربط له بالآية السابقة حتى يعود على شئ منها!!

أما تفسيرهم فقد جعل التقابل بين المشركين وبين بعض من يعبدونهم من الأنبياء.. وهو تقابل ضعيف بعيد لو سلم من الإشكالات فلا يتبادر إلى الذهن.

وقول الجبائى ان المقصود بـ(أولئك) هم الأنبياء المذكورون فى الآية السابقة، أقرب من أقوالهم إلى الصحة، ولكن لفظ (أولئك) مطلق شامل لكل العابدين لله، ولا دليل على حصره بالأنبياء (عليهم السلام)، وان كانوا سادتهم.

ثانيا: ارجاعهم ضمير (أولئك) إلى المعبودين المزعومين من دون الله خلاف الظاهر، لأن ضمير هؤلاء المزعومين خفى، والضمير البارز فيها ضمير العابدين المخاطبين، فلو كان يريد المزعومين لقال (أولئك الذين تدعونهم أو تزعمونهم) أو ذكر اشارة تدل على قصدهم، وعدم قصد العابدين المخاطبين!

ثالثا: أن المعبودين المزعومين فيهم الصالح والطالح والجماد، ففيهم الأنبياء مثل عزير وعيسى، وفيهم الملائكة والجن، والشمس والقمر والنجوم والأصنام، وبقية المعبودات.. وصفات المدح لـ(أولئك) تمنع رجوع الضمير إلى المعبودين جميعا! وكيف يصح عود الضمير على بعض العام المعهود بدون قرينة؟!

ولعمرى ان هذا الضعف فى ارجاع الضمائر لا وجود له فى القرآن؟!! وهو كاف لتضعيف ما روى عن ابن مسعود وغيره!

رابعاً: ما رووه عن ابن مسعود وغيره من أن قوما من العرب كانوا يعبدون الجن فآمن الجن وبقى عبادهم مشركين.. الخ.. فنزلت الآية.. هذه الوجوه ليست حديثا بل هى أقوال لو تم سندها لبقى تعارضها!

ولو سلمنا ارتفاع تعارضها،فهى سبب لنزول الآية لا أكثر، والسبب الخاص لا يخصص الوارد العام، وصيغة الآية عامة (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ..) وهو يشمل كل الذين زعموا فلا مبرر لتخصيصها ببعضهم!

خامسا: أن ضـمير العاقل فى (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) ينقض تفسيرهم، فقد جعلوا أيهم بـدل جزء من كل من الفاعل، ليبعدوه عن المتوسل بهم ويجعلوه صفة للمتوسلين، فصار المعنى عندهم: يبتغى الوسيلة منهم من كان أقرب وسيلة إلى ربه، فكيف بالأبعد وسيلة!!

وذلك كمن يقول (أولئك يقاتلون عدوهم حقاً أيهم أشجع من غيره!) ويقصد القائل أن الأشجع منهم يقاتل، فكيف بالأضعف!!

وهو كلام بعيد عن البلاغة بل عن الفصاحة حتى فى كلام المخلوقين، فلا يصح أن ينسبوه إلى كلام الخالق سبحانه؟!!

ولعل هذا هو السبب فى أن بعض مفسريهم كالفخر الرازى هرب من من تفسير (أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) ومر عنها كأنها لا وجود لها!!

سادسا: أن ضمير (أَيُّهُمْ) يعود على (أولئك) وما داموا أرجعوا ضمير أولئك على المعبودين المزعومين، فيجب أن يرجعوا ضمير أيهم اليهم! فيكون المعنى عنـدهم: أن المتوسـل بهم الممـدوحين هم من بين المعبودين المزعومين، فيكون التوسـل بالأشـخاص ممـدوحا، ويكون منحصراً بالأنبياء المعبودين كعيسى وعزير! وهذا خلاف مذهبهم!!

سابعـا: أن فعـل (يَبْتَغُونَ) ينقض تفسيرهم، لأنه يـدل على البحث والتحرى، ويطلب مفعولا! و(أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) أقرب مفعول إليه، فحق أى أن تكون منصوبة على المفعولية، لا مرفوعة بدلاً عن الفاعل بدل جزء من كل كما زعموا!

ولكنهم أغمضوا عيونهم عن يبتغى وتركوه بلا مفعول، ليحصروا التوسل بالأعمال دون الذوات!!

وهكذا.. يتضح لك أن التفسير الذى قدمناه هو الوحيد الخالى عن الإشكال.. وهو نص فى مشروعية التوسل بالأشخاص الأقرب وسيلة إلى الله، وأنه من صفات المؤمنين عبر التاريخ وسيرتهم.

وهو يتفق مع أحاديثنا الصحيحة التى تنص على أن الله تعالى جعل الوسيلة إليه فى هذه الأمة بل قبلها، محمدا وآله صلى الله عليهم.

على أقرب الخلق وسيلة إلى الله

أقرب الخلق وسيلة إلى الله تعالى هو سيد المرسلين محمد ومعه آله الذين أمرنا بالصلاة عليهم معه، صلى الله عليه وعليهم.

ولـذلك لا تجـد فى جميع مصادر الحديث السـنية والشـيعة أن النبى صـلى الله عليه وآله وصف أحدا بأنه أقرب الخلق وسـيلة إلى الله تعالى بعده، إلا علياً عليه السلام، وهى حقيقة مهمة! شاء الله تعالى أن ترويها عائشة عن النبى صلى الله وآله!!

–قال القاضى النعمان فى شرح الأخبار: ۱/ ۱۴۱:

عن مسروق، قال: دخلت على عائشة فقالت لى: يا مسروق: انك من أبر ولدى بى، وانى أسألك عن شئ فأخبرنى به.

فقلت: سلى يا أماه عما شئت.

قالت: المخدج من قتله؟

قلت: على بن أبى طالب عليه السلام.

قالت: وأين قتله؟

قلت: على نهر يقال لأعلاه تامرا، ولأسفله النهروان بين أحافيف (أخافيق) وطرق.

فقالت: لعن الله فلاناً، تعنى عمرو بن العاص فانه أخبرنى أنه قتله على نيل مصر.

قال مسروق: يا أماه فانى أسألك بحق الله وبحق رسوله وبحقى فانى ابنك لما أخبرتنى بما سمعت من رسول الله فيهم.

قالت: سمعته يقول فيهم (أهل النهروان): هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم إلى الله وسيلة.

قال مسروق: وكان الناس يومئذ أخماساً، فأتيتها بخمسين رجلاً عشرة من كل خمس، فشهدوا لها أن عليا قتله!!

–وفى هامشه:

–وفى المناقب لابن شـهر آشوب ۳/۶۷: عن الدارى بإسـناده عن الأصـبغ بن نباتة وعن جميع التميمى كليهما عن عائشة: إنها لما روت هذا الخبر، قيل لها: فلم حاربتيه؟ قالت: ما حاربته من ذات نفسى إلا حملنى طلحة والزبير. وفى رواية: أمر قدر وقضاء غلب.

-ذكر فضل بن شاذان المتوفى ۲۶۰ ه فى الإيضاح/۸۶: عن أبى خالد الأحمر عن مجالد عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت: لعن الله عمرو بن العاص ما أكذبه لقوله: أنه قتل ذا الثدية بمصر.

وروى البحرانى فى غاية المرام/۴۵۱ الباب الأول الحديث ۲۱ نقلاً من كتاب صفين للمدائنى عن مسروق: أن عائشة قالت له – لما عرفت –: من قتل ذى الثدية؟ لعن الله عمرو بن العاص فانه كتب الىَّ يخبرنى أنه قتله بالإسكندرية إلا أنه ليس يمنعنى ما فى نفسى أن أقول ما سمعته من رسول الله، سمعته يقول: يقتله خير أمتى من بعدى.

ورواه فى شرح الأخبار:۱ /۴۳۰، وفى هامشه:

رواه ابن المغازلى فى المناقب/۵۵ عن أحمد بن محمد بن عبدالوهاب بن طاوان عن الحسين بن محمد العلوى، عن أحمد بن محمد الجواربى، عن أحمد بن حازم، عن سهل بعامر البحلى عن أبى خالد الأحمر، عن مجالد، عن الشعبى، عن مسروق قال:

قالت عائشة: يا مسروق إنك من ولدى، وإنك من أحبهم الى، فهل عندك علم من المخدج؟

قال: قلت: نعم، قتله على بن أبى طالب على نهر يقال لأعلاه تامرا ولأسفله النهروان، بين أحفاق وطرقاء.

قالت: ابغنى على ذلك بينة، فأتيتها بخمسين رجلاً من كل خمسين بعشرة – وكان الناس اذ ذاك أخماساً – يشهدون أن عليا عليه السلام قتله على نهر يقال لأعلاه تأمرا ولأسفله النهروان بين أخفاق وطرقاء.

فقلت: يا أمة، أسألك بالله وبحق رسول الله وبحقى – فإنى من ولدك – أى شئ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه؟

قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم إلى الله وسيلة. انتهى.

– ورواه فى شرح الأخبار: ۲/۵۹، وفيه:

قال: ثم ذكرت لها أن عليا عليه السلام استخرج ذا الثدية من قتلى أهل النهروان الذين قتلهم، فقالت: أذا أتيت الكوفة فاكتب إلى بأسماء من شهد ذلك ممن يعرف من أهل البلد.

قال: فلما قدمت الكوفة، وجدت الناس أسباعاً، فكتبت من كل سبع عشرة ممن شهد ذلك – ممن نعرفه – فأتيتها بشهادتهم.

فقالت: لعن الله عمرو بن العاص، فانه زعم هو قتله على نيل مصر. انتهى.

– وقال المفيد فى الإرشاد: ۱/۳۱۷

وقال عليه السلام وهو متوجه إلى قتال الخوارج: لولا أنى أخاف أن تتكلوا وتتركوا العمل لأخبرتكم بما قضاه الله على لسان نبيه فيمن قاتل هولاء القوم مستبصراً بضلالتهم.

وان فيهم لرجلا مودون اليد له ثدى كثدى المرأة، وهم شر الخلق والخليقة وقاتلهم أقرب خلق الله إلى الله وسيلة.

ولم يكن المخدج معروفا فى القوم، فلما قتلوا جعل عليه السلام يطلبه فى القتلى ويقول: والله ما كذبت ولا كذبت! حتى وجد فى القوم، وشق قميصه وكان على كتفه سلعة كثدى المرأة عليها شعرات إذا جذبت انجذبت كتفه معها، وإذا تركت رجع كتفه إلى موضعه، فلما وجده كبر وقال: ان فى هذا لعبرة لمن استبصر.

– وفى بحار الأنوار: ۳۸/۹

تاريخ الخطيب: روى الأعمش، عن عدى، عن زر، عن عبيدالله، عن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يقل على خير الشر فقد كفر. وعنه فى التاريخ بالإسناد عن علقمة عن عبدالله قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: خير رجالكم على بن أبى طالب، وخير شبابكم الحسن والحسين، وخيرنسائكم فاطمة بنت محمد. الطبريان فى الولاية والمناقب بإسنادهما إلى مسروق عن عائشة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم إلى الله وسيلة أى المخدج وأصحابه.

– وفى هامش اختيار معرفة الرجال: ۱/ ۲۳۹

ومن المتفق عليه لدى الجميع أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فى المخدج ذى الثدية: يقتله خير الخلق والخليقة، وفى رواية يقتله خير هذه الأمة. وفى روايات جمة عن عائشة قالت: سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول: هم – أى المخدج وأصحابه – شر الخلق والخليقة، يقتله خير الخلق والخليقة، وأقربهم إلى الله وسيلة.

رواه الحافظ نور الدين فى مجمع الزوائد ۶/۲۳۹، راجع فى ذلك:

احقاق الحق: ۸/۴۷۵ – ۵۲۲ ومسلم فى صحيحه ۳/۱۱۲ طبعة محمد على وأحمد بن حنبل فى مسنده ۳ /۵۶ والبخارى فى صحيحه ۴/۲۰۰ الطبعة الأميرية. والنسائى فى الخصائص: ۴۳ طبعة مصر

ومن طرق عديدة عنها عنه صلى الله عليه وآله، هم شر الخلق والخليقة يقتلهم سيد الخلق والخليقة، وفى أخبار كثيرة أنه صلى الله عليه وآله قال لعلى عليه السلام: وانك أنت قاتله يا على.

ثم قد أطبقت الأمة على أن عليا عليه السلام قد قتله يوم النهروان وأخبر الناس بذلك وقد كان عليه السلام يخبر به وبصفته من قبل، ثم استخرجه من تحت القتلى فوجدوه على ماكان يذكر فيه من صفته، فكبر الله وقال: صدق الله ورسوله وبلغ رسوله.

وفى صحيحى البخارى ومسلم وغيرهما من صحاحهم أن النبى صلى الله عليه وآله قال فيه: إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون الكتاب لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على خير فرقة من الناس. وكان أبوسعيد الخدرى يقول، أشهد انى سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وأشهد أن على بن أبى طالب قاتلهم وقتلهم وأنا معه، ثم من بعد القتال استخرجوا من بين القتلى من هذه صفته فجاؤوا به إليه، فشاهدت فيه تلك الصفات. انتهى.

الترابط بين الوسيلة والوصية

– فى بصائر الدرجات/۲۱۶:

حدثنا أبو الفضل العلوى قال: حدثنى سعيد بن عيسى الكربزى البصرى، عن ابراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن شريك بن عبد الله، عن عبد الأعلى الثعلبى، عن أبى تمام، عن سلمان الفارسى رحمه الله، عن أمير المؤمنين عليه السلام فى قول الله تبارك وتعالى: قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فقال: أنا هو الذى عنده علم الكتاب، وقد صدقه الله وأعطاه. والوسيلة فى الوصية ولا تخلو أمة من وسيلة إلى الله، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ.

الشيعة وسيلة إلى الله يوم القيامة

– فى علل الشرائع: ۲/۵۶۴:

باب العلة التى من أجلها يكره تكليف المخالفين للحوائج:

حدثنا أبى قال: حدثنا أحمد بن ادريس عن حنان قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا تسألوهم فتكلفونا قضاء حوائجهم يوم القيامة.

وبهذا الإسناد قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لا تسألوهم الحوائج فتكونوا لهم الوسيلة إلى رسول الله يوم القيامة. انتهى.

ورواه فى فى بحار الأنوار: ۸/۵۵:

ما ورد فى مصادرهم من تشويش على الأحاديث المتقدمة

وفى مقابل رواية عائشة عن شهادة النبى صلى الله عليه وآله فى حق على عليه السلام نلاحظ وجود رواية أكثرت من نقلها المصادر

السنية تصف عبد الله بن مسعود بأنه أقرب الناس أو من أقربهم وسيلة إلى الله!

ولكنها والحمد لله ليست رواية عن النبى صلى الله عليه وآله، بل عن حذيفة!! وحتى لو صحت عن حذيفة وفسرناها بأى تفسير، فهى لا ترقى إلى معارضة حديث عائشة وغيرها فى على عليه السلام.

وان أحسنا الظن بروايتهم عن ابن مسعود فهى تدل على أن مصطلح (الأقرب وسيلة إلى الله تعالى) كان معروفاً بين المسلمين من عصر الرسول صلى الله عليه وآله، وأن حذيفة أو واضع الحديث على لسانه أراد أن يمدح به عبد الله بن مسعود.

وان أسأنا الظن بروايتهم، فهى محاولة للتعتيم على الحديث النبوى البليغ فى على عليه السلام، واعطاء هذه الصفة لعبد الله بن مسعود! وطالما فعلتها الخلافة القرشية ورواتها!

- روى أحمد فى مسنده: ۵/۳۹۴:

عن شقيق قال كنت قاعداً مع حذيفة فاقبل عبدالله بن مسعود فقال حذيفة إن أشبه الناس هدياً ودلا برسول الله(ص)من حين يخرج من بيته حتى يرجع فلا أدرى ما يصنع فى أهله كعبد الله بن مسعود والله لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد(ص)ان عبد الله من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة.

- وروى نحوه الحاكم فى: ۲/۳۱۲، ورواه فى: ۳/۳۱۵، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. انتهى.

ومن الملفت فى الموضوع أن... نفى القسم الأخير من النص وقال انه لم يسمعه من عبد الرحمن بن يزيد!

قال أحمد فى مسنده: ۵/۳۹۵:

ولم نسمع هذا من عبد الرحمن بن يزيد لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد(ص) إن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله عز وجل وسيلة!!

- وفى الغدير: ۹/۹:

أخرج الترمذى بإسناد رجاله ثقات من طريق حذيفة بن اليمان: إن أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً بمحمد(ص)عبد الله.

وفى لفظ البخارى: ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلاً برسول الله(ص)من ابن أم عبد.

وزاد الترمذى: ولقد علم المحفوظون من أصحاب رسول الله(ص)أن ابن أم عبد أقربهم إلى الله زلفى.

وفى لفظ أبى نعيم: إنه من أقربهم وسيلة يوم القيمة.

وفى لفظ أبى عمر: سمع حذيفة يحلف بالله ما أعلم أحدا أشبه دلاً وهدياً برسول الله من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع إليه من عبدالله بن مسعود، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد(ص)أنه من أقربهم وسيلة إلى الله يوم القيامة.

وفى لفظ علقمة: كان يشبه بالنبى فى هديه ودله وسمته.

راجع صحيح البخارى كتاب المناقب. مسند أحمد ۵: ۳۸۹، المستدرک ۳: ۳۱۵، ۳۲۰

حلية الأولياء ۱: ۱۲۶، ۱۲۷،

الاستيعاب ۱: ۳۷۲،

مصابيح السنة ۲: ۲۸۳،

صفة الصفوة ۱: ۱۵۶، ۱۵۸،

تاريخ ابن كثير ۲: ۱۶۲،

تيسير الوصول ۳: ۲۹۷

الإصابة ۲: ۳۶۹

كنز العمال ۷: ۵۵. انتهى.

وقد ذكرنا أن هذا لنص حتى لو صح عن حذيفة، فهو لا يصلح معارضا ولا مقللا من قيمة الحديث الشريف الذى روته عائشة وغيرها فى أن عليا عليه السلام أقرب الخلق وسيلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

آيات مؤيدة لآيات التوسل

وردت آيات متعددة فى طلب المؤمنين من الأنبياء (عليهم السلام) أن يتوسطوا لهم عند الله تعالى، ويدعوه لهم بالمغفرة وبالخير.. وهذا نوع من التوسيط يدل على أن باب الطلب من الله تعالى بواسطة الغير أمر طبيعى فى دين الله تعالى وشرائعه!

وأنه لو كان التوسيط منافياً للتوحيد كما يزعم ابن تيمية، لوجب أن يطلب كل إنسان لنفسه بنفسه مباشرة، ووجب تحريم كل طلب من الله تعالى بواسطة!! اذ لا فرق فى أصل الواسطة بين التوسط والتوسل بدعاء الغير وبين أنواع التوسيط الأخرى!

منها، قوله تعالى:

قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ. قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. يوسف: ۹۸

- وروى الصدوق فى علل الشرائع: ۱/ ۵۴:

- حدثنا محمد بن ابراهيم بن اسحاق الطالقانى (رض) قال: حدثنا احمد بن محمد بن سعيد الهمدانى مولى بنى هاشم قال: أخبرنا المنذر بن محمد قال: حدثنا اسماعيل بن ابراهيم الخزاز، عن اسماعيل بن الفضل الهاشمى قال: قلت لجعفر بن محمد عليه السلام: أخبرنى عن يعقوب لما قال له بنوه: يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين، قال سوف أستغفر لكم ربى، فأخر الإستغفار لهم.

ويوسف عليه السلام لما قالوا له: تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين؟ قال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

قال: لأن قلب الشاب أرق من قلب الشيخ، وكانت جناية ولد يعقوب على يوسف، وجنايتهم على يعقوب انما كانت بجنايتهم على يوسف، فبادر يوسف إلى العفو عن حقه، وأخر يعقوب العفو لأن عفوه انما كان عن حق غيره، فأخرهم إلى السحر ليلة الجمعة.

- ورواه وغيره فى تفسير نور الثقلين: ۲/۴۶۵

- وفى تفسير التبيان: ۶/۱۹۵:

وروى عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال: أخرهم إلى ليلة الجمعة. وقال ابن مسعود وابراهيم التيمى، وابن جريج وعمرو بن قيس: انه أخرهم إلى السحر، لأنه أقرب إلى اجابة الدعاء. انتهى.

- وروى نحوه الترمذى فى سننه: ۵ /۲۲۳، عن ابن عباس، والحاكم: ۱/۳۱۶، والدر المنثور: ۴/۳۶، وكنز العمال: ۲/۵۹، وغيرها.

ومنها، قوله تعالى:

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرَائِيلَ. الأعراف: ۱۳۴

وقد قبل موسى عليه السلام طلبهم، ودعا الله لهم، فدل ذلك قبوله على أنه طلبهم بواسطته أمر مشروع إلى آخر الآيات التى والأحاديث التى تدل على توسيط الغير مع الله تعالى.

شذوذ الوهابيين عن اجماع المسلمين فى التوسل والإستشفاع

من المسائل التى شذ فيها ابن تيمية وتبعه ابن عبد الوهاب، تحريم السفر لزيارة النبى صلى الله عليه وآله، بل تحريم الزيارة نوى لها السفر!

وكذلك تحريم التوسل والاستشفاع به صلى الله عليه وآله، بحجة أنه ميت ولا يجوز التوسل بالميت.

وكذا تحريم الإستغاثة به صلى الله عليه وآله لأن المستغيث بزعمه يعبد المستغاث به.. الخ.!!

- قال الشيخ محمود سعيد ممدوح فی كتابه رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة - المطبوع فی دار الإمام النووی بعمان - سنة ۱۴۱۶:

وهو - التوسل - السؤال بالنبی أو بالولی أو بالحق أو بالجاه أو بالحرمة أو بالذات وما فی معنى ذلك.

وهذا النوع لم ير المتبصر فی أقوال السلف من قال بحرمته أو أنه بدعة ضلالة، أو شدد فيه وجعله من موضوعات العقائد، كما نرى الآن.

لم يقع هذا إلا فی القرن السابع وما بعده! وقد نقل عن السلف توسل من هذا القبيل. قال ابن تيمية فی (التوسل والوسيلة) (/۹۸): هذا الدعاء (أی الذی فيه توسل بالنبی(ص)) ونحوه قد روی أنه دعا به السلف ونقل عن أحمد بن حنبل فی منسك المروزی التوسل بالنبی(ص)فی الدعاء. اه، ونحوه فی (/۱۵۵) من الكتاب المذكور.

وقال فی (/۶۵): (والسؤال به (أی بالمخلوق) فهذا يجوزه طائفة من الناس، ونقل فی ذلك آثار عن بعض السلف، وهو موجود فی دعاء كثير من الناس.) اه.

وذكر أثرا فيه التوسل بالنبی(ص)لفظه: (اللهم انی أتوجه اليك بنبيك محمد نبی الرحمة(ص)تسليماً. يا محمد إنی أتوجه بك إلى ربك وربی يرحمنی مما بی).

قال ابن تيمية: فهذا الدعاء ونحوه روی أنه دعا به السلف، ونقل عن أحمد بن حنبل فی منسك المروزی التوسل بالنبی(ص)فی الدعاء. اه.

وهذا هو نص عبارة أحمد بن حنبل، فقال فی منسك المروزی بعد كلام مانصه: وسل الله حاجتك متوسلاً إليه بنبيه(ص)، تقض من الله عز وجل. اه. هكذا ذكره ابن تيمية فی الرد على الأخنائی/۱۶۸!!

والتوسل به(ص)معتمد فی المذاهب ومرغب فيه نص على ذلك الأئمة الأعلام، وكتب التفسير والحديث والخصائص ودلائل النبوة والفقه طافحة بأدلة ذلك بدون تحريم وهی بكثرة...

كان ابن تيمية يرى منع التوسل بالأنبياء والملائكة والصالحين، وقال: التوسل حقيقته هو التوسل بالدعاء - دعاء الحی فقط - وذكر ذلك فی مواضع من كتابه (التوسل والوسيلة) (/۱۶۹). انتهى كلام الممدوح.

وقال ابن تيمية فی كتابه زوار المقابر/۴۳۳:

قال عامة المفسرين كابن عباس ومجاهد وعطاء والفراء: الوسيلة القربة، قال قتادة: تقربوا إلى الله بما يرضيه.

قال أبو عبيدة: توسلت إليه أی تقربت.

وقال عبد الرحمن بن زيد: تحببوا إلى الله.

والتحبب والتقرب إليه انما هو بطاعة رسوله، فالإيمان بالرسول وطاعته هو وسيلة الخلق إلى الله، ليس لهم وسيلة يتوسلون بها البتة إلا الإيمان برسوله وطاعته. وليس لأحد من الخلق وسيلة إلى الله تبارك وتعالى إلا بوسيلة الإيمان بهذا الرسول الكريم وطاعته.

وهذه يؤمر بها الإنسان حيث كان من الأمكنة وفی كل وقت. وما خص من العبادات بمكان كالحج، أو زمان كالصوم والجمعة، فكل فی مكانه وزمانه.

وليس لنفس الحجرة من داخل فضلا عن جدارها من خارج إختصاص بشئ فی شرع العبادات ولا فعل شئ منها، فالقرب من الله أفضل منه بالبعد عنه باتفاق المسلمين، والمسجد خص بالفضيلة فی حياته(ص)، قبل وجود القبر.

فلم تكن فضيلة مسجده لذلك، ولا أستحب هو(ص)ولا أحد من أصحابه، ولا علماء أمته أن يجاور أحد عند قبر ولا يعكف عليه، لا قبره المكرم ولا قبر غيره، ولا أن يقصد السكنى قريبا من قبر أی قبر كان.

وسکنی المدینة النبویة هو أفضل فی حق من تتکرر طاعته لله ورسوله فیها أکثر کما کان الأمر لما کان الناس مأمورین بالهجرة إلیها فکانت الهجرة إلیها والمقام بها أفضل من جمیع البقاع مکة وغیرها.

بل کان ذلک واجبا من أعظم الواجبات، فلما فتحت مکة قال النبی(ص)لا هجرة بعد الفتح ولکن جهاد ونیة، وکان من أتی من أهل مکة وغیرهم لیهاجر ویسکن المدینة یأمره أن یرجع! انتهی.

وخلاصة کلامه: أن التوسل محصور بالإیمان بالرسول وطاعته، وبدعائه فی حال حیاته.

أما التوسل به فی حیاته وبعد موته، ومجاورة قبره الشریف والعکوف عنده، فلیس من الطاعة، لأن الصحابة لم یفعلوه.

والأصل فی کل ما لم یفعلوه عدم المشروعیة، حتی یقوم علیه دلیل!

وهو کما تری تحکم لا دلیل علیه:

فحصره التوسل المأمور به فی القرآن بالإیمان بالرسول وطاعته، لا دلیل علیه وکذلک لادلیل علی میزانه فیما جعله جزء من الإیمان بالرسول أو نفی جزئیته، وما جعله طاعة للرسول أونفی کونه طاعة له!

فلماذا لا یکون التوسل بزیارة قبره صلی الله علیه وآله والتبرک به والسکنی عنده من الإیمان به، ومن طاعته صلی الله علیه وآله؟!!

ثانیا، دعوی أن القاعدة والأصل فی الأشیاء الحرمة حتی تثبت حلیتها، لا دلیل علیه أیضاً. بل الأصل فی الأشیاء الحلیة حتی یثبت دلیل الحرمة ویصل إلی المکلف، فقد قال الله تعالی (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ).

ثالثاً، دعوی أن کل ما لم یفعله الصحابة فهو حرام حتی یقوم علیه دلیل، تحکم بلا دلیل أیضاً، فإن کثیرا من الأمور لم یفعلها الصحابة وهی حلال حتی بفتوی ابن تیمیة، کالوسائل المعیشیة المتجددة!! وقد ألف الحافظ الصدیق المغربی رسالة فی عدم دلالة الترک علی التحریم، کما ذکر تلمیذه الممدوح.

أما عندنا فإن فعل الصحابی لیس حجة إذا لم یکن معصوماً، فضلا عن ترکه!

تلبیس ابن تیمیة لتحریم التوسل والإستشفاع

یفترض ابن تیمیة مسبقا أن المتوسل أو المستغیث بالنبی صلی الله علیه وآله (یدعوه) أی یطلب منه، لا من الله تعالی!

وهذا مصادرة علی المطلوب وتبطین الحکم المتنازع فیه فی لفافة علی أنه جزء من مقدمة مسلمة عند الطرف الآخر!

فابن تیمیة یقول للمتوسل أو المستغیث: انک اعترفت أنک دعوت الرسول أو الولی بدل الله!! فأنت اذن کافر!!

مع أن المتوسل لم یدع النبی بدل الله تعالی! بل توسل به واستغاث به واستشفع به إلی الله تعالی!!

ومثال ذلک فی أمور الدنیا: أن یتوسل شخص إلی رئیس مکتب الملک، لیتوسط له عند الملک!

فیقول له ابن تیمیة: انک تعدیت علی شرعیة الملک، وجعلت الملک الشرعی رئیس مکتبه! وهذا خروج علی الملک ونظامه، تستحق به الإعدام!!

وقد حاول ابن تیمیة أن یستدلوا علی هذه المصادرة المفضوحة فقالوا: ان المستغیث یطلب من الرسول أو الولی مالا یقدر علیه إلا الله تعالی، وهذا یستلزم أنه یؤلهه!!

ولکن هذا اللزوم ممنوع.

بل هو علی مذهبهم ممنوع حتی لو صحت الملازمة، لانهم یزعمون أن لازم المذهب لیس بمذهب!!

- قال الشیخ سلیمان حفید ابن عبد الوهاب فی تیسیر العزیز الحمید/۲۰۹:

فحدیث الأعمی شئ، ودعاء غیر الله تعالی والاستغاثة به شئ آخر.

فلیس فی حدیث الاعمی شئ غیر أنه طلب من النبی(ص)أن یدعو له ویشفع له، فهو توسل بدعائه وشفاعته، ولهذا قال فی آخره:

اللهم فشفعه فى.

فعلم أنه شفع له. وفى رواية أنه طلب من النبى(ص)أن يدعو له. فدل الحديث على أنه(ص)شفع له بدعائه، وأن النبى(ص)أمره هو أن يدعو الله، ويسأله قبول شفاعته.

فهذا من أعظم الأدلة أن دعاء غير الله شرك، لأن النبى(ص)أمره أن يسأل قبول شفاعته، فدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يدعى، ولأنه(ص)لم يقدر على شفائه إلا بدعاء الله له. فأين هذا من تلك الطوام؟!

والكلام إنما هو فى سؤال الغائب أو سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

أما أن تأتى شخصاً يخاطبك فتسأله أن يدعو لك فلا إنكار فى ذلك على ما فى حديث الأعمى.

فالحديث سواء كان صحيحا أو لا، وسواء ثبت قوله فيه يا محمد أو لا، لا يدل على سؤال الغائب ولا على سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، بوجه من وجوه الدلالات.

ومن ادعى ذلك فهو مفتر على الله وعلى رسوله(ص)!! انتهى.

فتراه يشكك فى حديث الأعمى الذى صححه علماء المذاهب، وقبله إمامه ابن تيمية، ثم تراه يفترض أن المستشفع (يدعو) النبى صلى الله عليه وآله، ويطلب من النبى نفسه ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى!!

كل ذلك ليثبت أن المسلم المستغيث إلى الله برسوله قد كفر واستبدل عبادة الله بعبادة الرسول! ويستحل بذلك دمه وماله!!

وإن سألته عن دليله على أن المتوسلين والمستشفعين يدعون الرسول من دون الله.. فانك تطلب منهم ما لايقدر عليه إلا الله تعالى، وتكون على مذهبه عبدته من دونه تعالى!!!

غرض ابن تيمية من نقل التوسل من فروع الفقه إلى أصول العقائد

ماذا يحدث لو نقلنا مادة جزائية من القانون التجارى إلى مواد القانون الجنائى، أو إلى مواد مخالفات الدستور، ومحكمة أمن الدولة؟ طبعاً سيكون الفرق على مرتكبها كبيرا، لأن التهمة الجنائية أصعب من التهمة الجزائية، وأصعب منهما تهمة الإخلال بالدستور!!

ان ما فعله ابن تيمية من اتهام المتوسلين بمخالفة الشرع، شئ لا يذكر أمام نقله تهمتهم إلى الإخلال بأصول الدين وارتكاب الشرك!! وبذلك حكم عليهم بالكفر واستحل قتلهم وأعراضهم وأموالهم!!!

فبدل أن يقول مثلاًـ أنهم مخلصون ولكنهم يتخيلون أنهم يتقربون إلى الله بالتوسل بالنبى الميت، فهم مخطئون يرتكبون معصية! قال انهم يشركون بالله ويستحقون القتل!!

وهكذا، كانت مسألة التوسل والإستشفاع والاستغاثة لمدة ثمانية قرون مسألة فقهية، وكان فقهاء المذاهب الأربعة، والخمسة والستة، يبحثونها فى باب الحج والزيارة، فيذكرون صورها، ويفتى مفتيهم بجواز بعض فروعها وحرمة بعضها، أو التوقف فيه.. حتى عالم حرانى نصبه الحاكم الشركسى المصرى لمدة قليلة شيخا للاسلام فى الشام، فأبدع فى عمله أيما ابداع، وقدم للأجيال أكبر خدمة، فكفر مسلمى عصره و العصور المتقدمة، لأنهم يتوسلون بنبيهم الميت!!!

هل تراجع ابن تيمية أمام القاضى أو فى سجنه عن تحريم التوسل

المعروف عن ابن تيمية أنه تراجع عن تحريم التوسل، عندما عقدوا له جلسة مع العلماء لمناقشة آرائه الشاذة، ومنها تحريم التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله!!

وقد اعتمد الذين نسبوا إليه هذا القول على أمرين:

الأول، ما اعترف به فى مصر، حيث عرف عنه اعتقاده بعدم جواز التوسل والإستشفاع بالنبى صلى الله عليه وآله فاستنكر المسلمون

ذلک، وعقد القضاة مجلسا للنظر فی قوله..

قال السقاف فی کتابه (البشارة والإتحاف بما بین ابن تیمیة والآلبانی فی العقیدة من الإختلاف)

۱۳ – فصل: أما مسألـة التوسل فقـد اختلف آراء دعاة السـلفیة فیه بشـکل ملحوظ مع أن الموجودین فی الساحة منهم الیوم یقولون بأن هذه المسألة من مسائل العقائد، ولیست کذلک قطعاً.

أما ابن تیمیـة فقـد أنکر فی کتابه (قاعدة جلیلة فی التوسل والوسـیلة) التوسل – ومرادنا التوسل بالذوات – ثم رجع عن ذلک کما نقل تلمیـذه ابن کثیر فی (البدایـة والنهایة) (۱۴ – ۴۵) حیث قـال: (قال البرزالی (۱۶): وفی شوال منها شـکی الصوفیة بالقاهرة علی الشیخ تقی الـدین – وکلموه فی ابن عربی وغیره – إلی الدولـة فردوا الأـمر فی ذلک إلی القاضـی الشافعی، فعقـد له مجلس وادعی علیه ابن عطـاء بأشـیاء فلم یثبت علیه منها شـئ، لکنه قال: لا یستغاث إلا بالله، لا یسـتغاث بالنبی استغاثة بمعنی العبارة – ولعلها العبادة – ولکن یتوسل به ویتشـفع به إلی الله، فبعض الحاضـرین قال لیس علیه فی هذا شـئ، ورأی القاضی بدر الدین بن جماعة أن هذا فیه قلة أدب) انتهی. فتأمل!!

(هو الحافظ ابو محمد القاسم بن البهاء محمد الدمشقی البرزالی ترجم فی طبقات الحفاظ للسیوطی – / ۲۵۶).

وأما الشوکانی فقد أجاز التوسل فی کتابه (تحفة الذاکرین) کما یعلم ذلک القاصـی والدانی، ففی صـحیفة (۳۷) من کتاب الشوکانی (تحفـة الـذاکرین طبع دار الکتب العلمیـة) عقـد باباً سـماه: (وجه التوسل بالأنبیاء وبالصالحین) ثم قال:) (قوله ویتوسل إلی الله سـبحانه بأنبیائه والصالحین) أقول: ومن التوسل بالأنبیاء ما أخرجه الترمذی. انتهی.

وأصرح من هذا ما ذکره الشوکانی/(۱۳۸) فی (باب صـلاة الضـر والحاجة) حیث قال ما نصه: (وفی الحدیث دلیل علی جواز التوسـل برسول الله إلی الله عز وجل مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالی) انتهی.

وقـد نص الشوکانی أیضاً علی جواز التوسل، ورد علی ابن تیمیـة فی کتابه (الـدر النضـید فی اخلاص کلمـة التوحیـد) فلیرجع إلیه من شاء.

وأما الألبانی فمنع ذلک واعتبره من الضـلال فی کتابه (التوسل أنواعه وأحکامه) کما هو مشـهور ومعلوم، مع أنه قال فی مقدمة (شرح الطحاویة)/(۶۰ الطبعة ۸) أن مسالـة التوسـل لیست من مسائـل العقیـدة، وهـذا خلاف ما یقوله کثیر من أدعیاء السـلفیة. فتأملوا یا ذوی الأبصار!! انتهی کلام السقاف.

والأمر الثانی، ماکتبه فی رسالة، من سجنه، حیث قال فی/۱۶:

وکذلک مما یشـرع التوسل به فی الدعاء کما فی الحدیث الذی رواه الترمذی وصـححه أن النبی(ص)علم شخصا أن یقول: اللهم إنی أسألک وأتوسل الیک بنبیک محمـد نبی الرحمة. یا محمد یا رسول الله، إنی أتوسل بک إلی ربی فی حاجتی لیقضـیها. اللهم فشـفعه فی.

فهذا التوسل به حسن، وأما دعاؤه والإستغاثة به فحرام!

والفرق بین هذین متفق علیه بین المسـلمین. المتوسل انما یدعو الله ویخاطبه ویطلب منه لا یدعو غیره إلا علی سبیل استحضاره لا علی سبیل الطلب منه. وأما الداعی والمستغیث فهو الذی یسأل المدعو ویطلب منه ویستغیثه ویتوکل علیه. انتهی.

والـذی وصـلت إلیه أن ابن تیمیـة لم یغیر رأیه فی التوسـل، ولکنه اسـتعمل عبارات مبهمـة لیرضـی بها قضاة الدولـة والناقمین علیه من الناس!

ومهما یکن، فقد أخطأ ابن تیمیة بتحریمه الإستغاثة أیضاً، لأنها معناها طلب الغوث أی العون من شخص، وهو لا یعنی أن المستغیث به یعبده، فحکمها حکم الإستعانة والنداء والتوسل، بدون فرق!

– قال ابن السکیت فی اصلاح المنطق/۲۹

يقال: قد استغاثنى فلان فأغثته، وقد غاث الله البلاد يغيثها غيثا، إذا أنزل بها الغيث وقد غيثت الأرض تغاث، وهى أرض مغيثة ومغيوثة.

- وقال الراغب فى المفردات/۳۷۹

ويقال فزع إليه إذا استغاث به عند الفزع، وفزع له أغاثه. انتهى.

فزعم ابن تيمية أنك عندما تقول (يا رسول الله أغثنى) فانك تعبده من دون الله تعالى! تصور باطل، لأن معنى الإستعانة والإستغاثة لا يعطى ذلك، ولا المستعين والمستغيث ينويه، ولا يعتقده! بل المستغيث كالمتوسل ينويان طلب توسط الرسول إلى الله تعالى، فلا فرق بينهما حتى يحل أحدهما ويحرم الآخر!

علماء المذاهب الإسلامية يردون على شذوذ ابن تيمية

رد علماء المذاهب على آراء ابن تيمية فى التجسيم وتحريم السفر إلى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله، وتحريم التوسل والإستشفاع به، وألفوا فيها كتبا عديدة، من عصر ابن تيمية إلى عصر ابن عبد الوهاب.. والى يومنا.

ولا يتسع المجال هنا إلا لعرض نماذج مختصرة منها.

نماذج من ردهم على مذهب ابن تيمية

- قال ابن عابدين فى حاشية رد المحتار: ۶/۷۱۶:

نعم ذكر العلامة المناوى فى حديث: اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك نبى الرحمة، عن العز بن عبد السلام أنه ينبغى كونه مقصوراً على النبى (ص) وأن لا يقسم على الله بغيره، وأن يكون من خصائصه.

قال: وقال السبكى يحسن التوسل بالنبى إلى ربه، ولم ينكره أحد من السلف، ولا الخلف إلا ابن تيمية، فابتدع ما لم يقله عالم قبله. اه ونازع العلامة ابن أمير حاج فى دعوى الخصوصية، وأطال الكلام على ذلك فى الفصل الثالث عشر، آخر شرحه على المنية، فراجعه.

- وقال الشربينى فى مغنى المحتاج: ۱/۱۸۴

خاتمة: سئل الشيخ عز الدين هل يكره أن يسأل الله بعظيم من خلقه كالنبى والملك والولى؟

فأجاب بأنه جاء عن النبى(ص) أنه علم بعض الناس: اللهم انى أقسم عليك بنبيك محمد نبى الرحمة.. الخ. فإن صح فينبغى أن يكون مقصورا عليه عليه الصلاة والسلام، لأنه سيد ولد آدم، ولا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة، لأنهم ليسوا فى درجته، ويكون هذا من خواصه. اهـ والمشهور أنه لا يكره شئ من ذلك.

- وقال الشروانى فى حواشيه: ۲ /۱۰۸:

خاتمة: سئل الشيخ عز الدين: هل يكره أن يسأل الله بعظيم من خلقه كالنبى والملك والولى؟

فأجاب: بأنه جاء عن النبى (ص) أنه علم بعض الناس: اللهم إنى أقسم عليك بنبيك محمد نبى الرحمة.. الخ. فإن صح فينبغى أن يكون مقصوراً عليه عليه الصلاة والسلام، لأنه سيد ولد آدم، ولا يقسم على لله بغيره من الأنبياء والملائكة، لأنهم ليسوا فى درجته، ويكون هذا من خواصه.انتهى.

والمشهور أنه لا يكره شئ من ذلك - مغنى.

وفى ع ش بعد ذكر كلام الشيخ عز الدين ما نصه: فإن قلت: هذا قد يعارض ما فى البهجة وشرحها لشيخ الإسلام، والافضل استسقاؤهم بالاتقياء لأن دعاءهم أرجى للإجابة الخ.

قلت: لا تعارض لجواز أن ما ذكره العز مفروض فيما لو سأل بذلك على صورة الألازم، كما يؤخذ من قوله: اللهم انى أقسم عليك.. الخ.

وما في البهجة وشرحها محصور بما إذا ورد على صورة الإستشفاع والسؤال، مثل أسألك ببركة فلان، أو بحرمته أو نحو ذلك. انتهى.

مقتطفات من أهم كتب علماء المذاهب في الرد على ابن تيمية

كتاب: ارغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي

للحافظ ابن الصديق الغماري الحسني.. الطبعة الثانية – ۱۴۱۲ – دار الإمام النووي – الأردن، وقد حققه وقدم له السيد حسن السقاف، ومقدمته وتحقيقه لا تقل فائدتهما عن أصل الكتاب.

– قال السقاف في مقدمته:

أما بعد: فالتوسل والإستغاثة والتشفع بسيد الانام، نبينا محمد(ص)مصباح الظلام، من الأمور المندوبات المؤكدات، وخصوصا عند المدلهمات، وعلى ذلك سار العلماء العاملون، والأولياء العابدون، والسادة المحدثون، والأئمة السالفون، كما قال السبكي فيما نقل عند صاحب فيض القدير (۲/۱۳۵): ويحسن التوسل والإستعانه والتشفع بالنبي إلى ربه ولم ينكر ذلك احد من السلف ولامن الخلف.. انتهى.

حتى نص السادة الحنابلة في مصنفاتهم الفقهية على استحباب التوسل بسيدنا رسول الله(ص)، ونقلوا ذلك عن الإمام أحمد أنه استحبه كا في كتاب الإنصاف فيما ترجح من الخلاف (۲/۴۵۶) وغيره. ونقل ابن كثير في البداية (۱۴/۴۵) أن ابن تيمية أقر أخيراً في المجلس الذي عقده له العلماء العاملون الربانيون المجاهدون بالتوسل وأصر على إنكار الإستغاثة. مع أنه يقول في رسالة خاصة له في الاستغاثة بجوازها بالنبي فيما يقدر عليه المخلوق.

واعتمد الإمام الحافظ النووي استحباب التوسل والإستغاثة في مصنفاته، كما في حاشية الإيضاح على المناسك له (/۴۵۰) و (/۴۹۸) من طبعة أخرى وفي شرح المهذب المجموع (۸/۲۷۴) وفي الاذكار (/۳۰۷) من طبعة دار الفكر، في كتاب أذكار الحج، وص (۱۸۴) من طبعة المكتبة العلمية.

وهو مذهب الشافعية، وغيرهم من الأئمة المرضيين، المجمع على جلالتهم وثقتهم.

واني أود أن أسرد بعض الأدلة من الأحاديث الصحيحة الثابتة عند علماء المسلمين وائمة الحفاظ والمحدثين، والتي لم تضرها محاولة تلاعب المتلاعبين في الطعن في أسانيدها، وغير ذلك من طرق التلاعب والتدليس التي بينتها، ومثلت عليها في بهجة الناظر في الفصل الرابع.

ولا يعرف الحق كما هو معلوم بالجعجعة وكثرة الكلام، ونفخ الكتب بتكثير عدد الصفحات، وانما يعرف الحق بالبراهين العلمية، والأدلة الواضحة الجلية، وان كانت قليلة العبارات، فهي كثيرة التعبيرات والإشارات.

وقد أرشد إلى ذلك سيدنا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم في قوله (أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام إختصاراً).

واني أبدأ بعرض بعض أدلة التوسل ثم أردفها بأدلة الاستغاثة المندوبة التي أرشدت اليها السنة الغراء فأقول:

أدلة التوسل:

۱ – حديث الشفاعة المتواتر والمروي في الصحيحين وغيرهما، من أن الناس يتوسلون بسيد الأنام عند إشتداد الأمر عليهم يوم القيامة ويستغيثون به.

ولو كان التوسل والإستغاثة من الكفر والشرك لم يشفع النبي للناس يومئذ، ولا يأذن الله له بالشفاعة للمشركين والكفار، على زعم من يكفر عباد الله بالألاف، ويحاول تهييج العامة والسذج على من أظهر كفر من قال بقدم العالم، المجمع على كفر قائله ومعتقده.

وأيضاً لو كان التوسل شركاً أو كفراً لبينه سيدنا رسول الله(ص)عندما أخبر أصحابه بحديث الشفاعة. فلما لم يكن كفراً بنص الأحاديث المتواترة كان أمراً مندوباً إليه في الدنيا والآخرة، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ومن قال أن التوسل والإستغاثة

كفر في الـدنيا ليس كفرا في الآخرة، قلنا له: إن الكفر كفر سواء كان في الـدنيا أو في الآخرة، والتوسل به قبل موته(ص)وبعـد موته لا فرق. وإن ادعيت الفرق فأت لنا بدليل شرعي مخصص مقبول معتبر.

۲ – حديث سـيدنا عثمان بن حنيف (رض) قال: (إن رجلًا ضـريراً أتى النبي (ص)فقال ادع الله أن يعافيني فقال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير قال فادعه. فأمره أن يتوضأ ويحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء:

اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة.

يا محمد إني أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى.

اللهم شفعه فى.

قال سيدنا عثمان: فعاد وقد أبصر.

رواه الترمـذي والنسـائي والطبراني والحـاكم وأقره الـذهبي والبيهقي بالأسانيـد الصـحيحة. وللحـديث تتمـة صـحيحة تـأتي في (إرغام المبتدع الغبي).

۳ – حديث سـيدنا علي رضـي الله عنه وكرم وجهه: أن سـيدنا النبي(ص)لما دفن فاطمة بنت أسد أم سـيدنا علي رضـي الله عنهما قال: اللهم بحقي وحق الأنبيـاء من قبلي اغفر لأـمي بعـد أمي. رواه الطبراني، والحـاكم مختصـرا، وابن حبـان وغيرهم، وفي إسـناده روح بن صلاح قال الحاكم: ثقة، وضعفه بعضهم،والحديث صحيح.

۴ – وروى الإمام البخاري في صـحيحه: أن سيدنا عمر (رض) استسقى عام الرمادة بالعباس عم النبي(ص)ومن قوله توسلًا به: اللهم إنا كنـا نتوسـل اليـك بنبينا(ص)، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا. قال فيسـقون. وفي الحـديث إثبات التوسل به(ص)وبيان جواز التوسل بغيره، كالصالحين من آل البيت ومن غيرهم. كما قال الحافظ في فتح الباري (۲/۴۹۷)

وأما أدلة الإستغاثة:

۱ – فما روى البخاري في صـحيحه وغيره من حـديث سـيدنا عبـد الله بن عمر رضـي الله عنهما في حديث الشـفاعة بلفظ (إن الشـمس تـدنو يوم القيامـة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينا هم كـذلك استغاثوا بآدم ثم بموسـى ثم بمحمـد (ص)فيشـفع ليقضـي بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم).

وهـذا صـريح في الإسـتغاثة، وهي عامـة في جميع الأـحوال، مع لفت النظر أنه (ص)حي في قبره يبلغه سـلام من يسـلم عليه وكلام من يستغيث به لأن الأعمال تعرض عليه كما صح فيدعو الله لاصحاب الحاجات.

۲ – روى الإمـام أحمـد بسـند حسن كمـا قال الإمام الحافظ ابن حجر في الفتـح (۸/۵۷۹) عن الحـارث بن حسـان البكري (رض) قال: خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي إلى رسول الله(ص).. الحديث، وفيه: فقلت أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد.

قال أي سيدنا رسول الله – وما وافد عاد؟ وهو أعلم بالحديث ولكنه يستطعمه... الحديث.

وقـد استغاث الرجـل بـالله وبرسوله ولم يكفره سـيدنا رسول الله(ص). وقـد خـالف الألبـاني ذلك فكفر كل مسـتغيث به(ص)كما في توسله/۷ الطبعة الثانية، وقلده في هذه البدعة أصحابه والمتعصبون له، وأنكروا على من كفر من العلماء مثبت قدم العالم نوعاً، ومن قال بالحد والجهة والإسـتقرار وغير ذلك من طامات! نسأل الله لهم الهداية، وأن يردهم إلى دينه وإلى الحق رداً جميلًا، وأن يخلصـهم من أهوائهم وعنادهم الذي بنوه على سوء فهم كبيرهم الذي علمهم السحر، أو فساد قصده وقد يجتمعان.

۳ – قوله(ص)في حديث الأعمى الصـحيح عندما علم الرجل أن يقول: (يا محمد إني أتوجه بك إلى الله). وهذه إستغاثة صريحة، وقد اعتمدها العلماء المحدثون والحفاظ في كتب السنة في صلاة الحاجة، حاثين الأمة عليها.

۴ – جاء في البخاري أن النبي(ص)قص على أصـحابه قصة السيدة هاجر هي وابنها في مكة قبل أن تبنى الكعبة، بعد أن تركهما سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام، وفي ما قصه: أنها لما سمعت صوتا عند الطفل قالت: إن كنت ذا غوث فأغث، فاستغاثت فاذا بجبريل عليه

السلام فغمز الأرض بعقبه فخرجت زمزم. ولم يقل النبى(ص)انها كفرت، كما يزعم الألبانى، ولم ينبه أن تلك الإستغاثة منها كفر البتة. وهى تعلم أن صاحب الصوت لن يكون رب العالمين المنزه عن الزمان والمكان.

وهناك أدلة كثيرة بجواز التوسل والإستغاثة وندبهما أفردتها برسالة خاصة أسميتها (الإغاثة بأدلة الإستغاثة) وقد اقتصرت هنا على بعضها، وفيها بيان لمن ألقى السمع وهو شهيد، هذا إذا كان قلبه نظيفا لا يحب رمى عباد الله بالشرك بمجرد مخالفتهم لمزاجه، وأراد اقتفاء النبى(ص).

وأختم الإستدلال ببيان مسألة هامة جدا وهى إستدلال أخير على التوسل والإستغاثة من أحد الصحابة بعد وفاة النبى(ص)، وإقرار الباقين من الصحابة له وعلى رأسهم سيدنا عمر بن الخطاب (رض)، وهو ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى (۲/۴۹۵) حيث قال: روى ابن ابى شيبة بإسناد صحيح (وصححه أيضاً ابن كثير فى البداية والنهاية ۷/۹۲ من طريق البيهقى) عن أبى صالح السمان عن مالك الدار، وكان خازن عمر قال: أصاب الناس قحط شديد فى زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبى(ص)فقال يارسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل فى المنام فقيل له ائت عمر وأقرئه السلام وأخبره أنهم يسقون. اسناده صحيح.

وقد ضعف هذا الأثر الصحيح الألبانى بحجج أوهى من بيت العنكبوت فى توسله/(۱۱۹ – ۱۲۱) وزعم أن مالك الدار مجهول.

ونقل ترجمته من كتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم فقط، ليوهم قراءة أنه لم يرو عنه إلا رجل واحد وهو أبو صالح السمان، وقد تقرر عند الألبانى بما ينقله عن بعض العلماء من غير المتفق عليه أن الرجل يبقى مجهولاً حتى يروى عنه اثنان فأكثر. ثم قال لينصر هواه ان المنذرى والهيثمى لم يعرفا مالك الدار، فهو مجهول، ولا يصح السند لوجود مجهول فيه. ثم تبجح قائلا: وهذا علم دقيق لا يعرفه إلا من مارس هذه الصناعة.

ونحن نقول له: بل هذا تدليس وغش وخيانة لا يدريه إلا من امتلأ قلبه حقداً وعداء على السنة والتوحيد وأهلهما.

وقد تبعه على هذا الغش والتدليس وزاد عليه أحد الاغبياء المتعصبين اللاهثين وراء بريق الدراهم فى كتاب له ملأه من هذه البضاعة، تخيل فيه أنه رد التوسل وهيهات، وهو لم يقرأ العلوم وخاصة ملحها الإعراب على أحد، ولم يكن له فى حياته أستاذ يهذب أو شيخ يدرب، إلا التلقى من صفحات دفاتر هذا الألبانى. ونقول فى بيان نسف ما قاله الألبانى من جهالة مالك الد ار:

إذا صرح المنذرى والهيثمى بأنهما لا يعرفانه فنقول للباحث عن الحق اذن لم يصرحا بتوثيق له أو تجريح، لأنهما لا يعرفانه.

لكن هناك من يعرفه وهم ابن سعد والبخارى وعلى ابن المدينى وابن حبان والحافظ ابن حجر العسقلانى وغيرهم. فهل يا ألبانى ينقل كلام من عرفه أم كلام من جهله؟! العجيب أن الالبانى يحبذ كلام من جهل حاله، ويختاره ويفضله على كلام من علم حاله، الذى يستره الألبانى ولا يحب أن يطلع عليه أحدا!!

وما سأنقله من أقوال الأئمة الحفاظ الذين عرفوه فى توثيقه كاف فى اثبات ما يقوله السيد عبد الله الغمارى وغيره من المحدثين والمشتغلين فى علم الحديث من أن الالبانى يعرف الصواب فى كثير من الأمور، لكنه غاش مدلس خائن مضلل لا يؤتمن على حديث واحد.

وقد صرح بذلك كثير من أهل العلم كالسيد أحمد الغمارى والسيد عبد الله والسيد عبد العزيز المحدثون، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والمحدث حبيب الرحمن الأعظمى محدث الهند والباكستان، والشيخ اسماعيل الأنصارى، والشيخ محمد عوامة، والشيخ محمود سعيد، والشيخ شعيب الأرناؤوط، وغيرهم عشرات من أهل هذا الفن والمشتغلين به.

فأهل الحديث شهدوا بأن هذا الرجل لا يعتمد كلامه فى التصحيح والتضعيف، لأنه يصحح ويضعف حسب الهوى والمزاج، وليس حسب القواعد العلمية!!

ومن تتبع أقواله وما يكتبه تحقق ذلك.

ويكفينى أن أقول فى مالك الدار ان ابن سعد قال فى الطبقات (۵/۱۲): مالك الدار مولى عمر بن الخطاب، روى عن أبى بكر وعمر،

ثم قال وكان معروفاً.

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمته ترجمة رقم (۸۳۵۶):

له ادراك، أي أنه معدود من الصحابة. ويكفيه في ذلك توثيقا، ثم ذكر أنه روى عنه أربعة رجال وهم أبو صالح السمان، وابناه عون وعبد الله ابنا مالك، وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي.

ثم قال: قال على بن المديني: كان مالك الدار خازناً لعمر اه، بمعناه ملخصا.

وبذلك نعلم أن سيدنا عمر وسيدنا عثمان قد وثقاه اذ قد ولياه بيت مال المسلمين وفي ذلك أقوى توثيق له أيضاً.

وقد نقل الحافظ الخليلي في كتابه الإرشاد الإتفاق عل توثيق مالك الدار فقال هناك: متفق عليه أثنى عليه التابعون!! فقد ذهب كلام الألباني هباء.

وللموضوع توسع في رسالة لنا خاصة أسميناها بالباهر. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. انتهى.

- وقال الصديق المغربي في كتابه المذكور/۱۱:

وبعد، فإن الشيخ الألباني سامحه الله تعالى صاحب غرض وهوى، إذا رأى حديثا أو أثراً لا يوافق هواه فانه يسعى في تضعيفه بأسلوب فيه تدليس وغش، ليوهم قراءه أنه مصيب، مع أنه مخطئ بل خاطئ غاش، وبأسلوبه هذا ضلل كثيراً من أصحابه الذين يثقون به ويظنون أنه على صواب، والواقع خلاف ذلك.

ومن المخدوعين به من يدعى حمدى السلفى الذى يحقق المعجم الكبير، فقد أقدم بجرأة على تضعيف أثر صحيح لم يوافق هواه كما لم يوافق هوى شيخه، وكان كلامه في تضعيفه هو كلام شيخه نفسه.

فأردت أن أرد الحق إلى نصابه، ببيان بطلان كلام الخادع والمخدوع به، وعلى الله اعتمادى، وإليه تفويضى واستنادى.

روى الطبراني في المعجم الكبير (۹/۱۷) من طريق ابن وهب عن شبيب عن روح بن القاسم عن ابى جعفر الخطمى المدنى عن ابى أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف (رض): أن رجلاً ـ كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رض) في حاجة له فكان عثمان لا ـ يلتفت إليه، ولا ـ ينظر في حاجته، فلقى عثمان بن حنيف فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد، فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد(ص)نبى الرحمة، يا محمد انى أتوجه بك إلى ربى فتقضى لى حاجتى، وتذكر حاجتك، ورح إلى حتى أروح معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان فجاء البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطنفسة، وقال له ما حاجتك فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال: ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فائتنا.

ثم ان الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتى ولا يلتفت الى حتى كلمته في. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكن شهدت رسول الله(ص)وأتاه رجل ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبى (ص): أو تصبر؟ فقال: يا رسول الله انه ليس لى قائد وقد شق على.

فقال له النبى(ص): ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات!

قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث، حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر، قط. صححه الطبراني، وتعقبه حمدى السلفى بقوله: لا شك في صحة الحديث المرفوع، وإنما الشك في هذه القصة التى يستدل بها على التوسل المبتدع، وهى انفرد بها شبيب كما قال الطبراني، وشبيب لا بأس بحديثه، بشرطين: أن يكون من رواية ابنه أحمد عنه، وأن يكون من رواية شبيب عن يونس بن يزيد.

والحديث رواه عن شبيب ابن وهب وولداه اسماعيل واحمد، وقد تكلم الثقات في رواية ابن وهب عن شبيب، في شبيب، وابنه

اسماعيل لا يعرف، وأحمد وان روى القصة عن أبيه إلا أنها ليست من طريق يونس بن يزيد، ثم اختلف فيها على احمد، ورواه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة، والحاكم من ثلاثة طرق بدون ذكر القصة، ورواه الحاكم من طريق عون بن عمارة البصرى عن روح بن القاسم به، قال شيخنا محمد ناصر الدين الألبانى: وعون هذا وان كان ضعيفا فروايته أولى من رواية شبيب لموافقتها لرواية شعبة وحماد بن سلمة عن أبى جعفر الخطمى. ا ه.

وفى هذا الكلام تدليس وتحريف نبينه فيما يلى:

أولاً: هذه القصة رواها البيهقى فى دلائل النبوة من طريق يعقوب بن سفيان حدثنا أحمد بن شبيب بن سعيد ثنا أبى عن روح بن القاسم عن أبى جعفر الخطمى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف، أن رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رض)، فذكر القصة بتمامها.

ويعقوب بن سفيان هو الفسوى الحافظ الإمام الثقة، بل هو فوق الثقة، وهذا اسناد صحيح البخارى، ومعنى ذلك أنها صحيحة، وهذا الذى يوافق كلام الحافظ، ويبطل ما استنبطه الألبانى من كلام الحافظ فى مقدمة فتح البارى فليتأمل.

ان الحفاظ أيضاً صححوا هذه القصة، كالمنذرى فى الترغيب والترهيب (۱/۴۷۶) باقراره للطبرانى، والهيثمى فى مجمع الزوائد (۲/۲۷۹) أيضاً، وقبلهما الإمام الحافظ الطبرانى فى معجمه الصغير (۱/۳۰۷ الروض الدانى) وغيرهم.

ثانياً: أحمد بن شبيب من رجال البخارى، روى عنه فى الصحيح، وفى الأدب المفرد.

ووثقه ابوحاتم الرازى وكتب عنه هو وأبو زرعة، وقال ابن عدى: وثقه أهل البصرة وكتب عنه على ابن المدينى. وأبوه شبيب بن سعيد التميمى الحبطى البصرى أبو سعيد من رجال البخارى أيضاً، روى عنه فى الصحيح وفى الأدب المفرد.

ووثقه ابوزرعة وأبو حاتم والنسائى والذهلى والدارقطنى والطبرانى فى الأوسط. قال أبو حاتم: كان عنده كتب يونس بن زيد، وهو صالح الحديث لا بأس به. وقال ابن عدى: ولشبيب نسخة الزهرى عنده عن يونس عن الزهرى أحاديث مستقيمة. وقال ابن المدينى: ثقة كان يختلف فى تجارة إلى مصر وكتابه كتاب صحيح، هذا ما يتعلق بتوثيق شبيب، وليس فيه اشتراط صحة روايته بأن تكون عن يونس بن يزيد، بل صرح ابن المدينى بأنه كتابه صحيح. وابن عدى انما تكلم على نسخة الزهرى عن شبيب فقط، ولم يقصد جميع رواياته!!

فما ادعاه الألبانى تدليس وخيانة، يؤكد ذلك أن حديث الضرير صححه الحفاظ ولم يروه شبيب عن يونس عن الزهرى!! وانما رواه عن روح بن القاسم!!

ودعواه ضعف القصة بالإختلاف فيها، حيث لم يذكرها بعض الرواة عند ابن السنى والحاكم، لون آخر من التدليس! لأن من المعلوم عند أهل العلم أن بعض الرواة يروى الحديث وما يتصل به كاملاً، وبعضهم يختصر منه بحسب الحاجة، والبخارى يفعل هذا أيضاً، فكثيرا ما يذكر الحديث مختصرا أو يوجد عند غيره تاماً.

والذى ذكر القصة فى رواية البيهقى امام فذ يقول عنه ابو زرعة الدمشقى: قدم علينا رجلان من نبلاء الناس أحدهما وأرحلهما يعقوب بن سفيان يعجز أهل العراق أن يرو مثله رجلا.

وتقديمه رواية عون الضعيف على من زاد القصة، لون ثالث من التدليس والغش.

فإن الحاكم روى حديث الضرير من طريق عون مختصرا، ثم قال: تابعه شبيب ابن سعيد الحبطى عن روح بن القاسم زيادات فى المتن والإسناد، والقول فيه قول شبيب فانه ثقة مأمون، هذا كلام الحاكم، وهو يؤكد ما تقرر عند علماء الحديث والأصول أن زيادة الثقة مقبولة، وأن من حفظ حجة على من لم يحفظ!

والألبانى رأى كلام الحاكم لكن لم يعجبه لذلك ضرب عنه صفحاً، وتمسك بأولوية رواية عون الضعيف عنادا وخيانة.

ثالثا: تبين مما أوردناه وحققناه فى كشف تدليس الالبانى وغشه، أن القصة صحيحة جدا، رغم محاولاته وتدليساته، وهى تفيد جواز

التوسل بالنبی(ص) بعد انتقاله، لأن الصحابی راوی الحدیث فهم ذلک،وفهم الراوی له قیمته العلمیة، وله وزنه فی مجال الإستنباط.

وانما قلنا ان القصة من فهم الصحابی علی سبیل التنزل، والحقیقة أن ما فعله عثمان بن حنیف من ارشاده الرجل إلی التوسل، کان تنفیذا لما سمعه من النبی (ص)، کما ثبت فی حدیث الضریر.

قال ابن أبی خیثمة فی تاریخه: حدثنا مسلم بن ابراهیم ثنا حماد بن سلمة أنا أبو جعفر الخطمی عن عمارة بن خزیمة عن عثمان بن حنیف (رض): أن رجلا أعمی أتی النبی(ص)فقال: إنی أصبت فی بصری فادع الله لی قال:

إذهب فتوضأ وصل رکعتین ثم قل:

اللهم إنی أسألک وأتوجه الیک بنبیی محمد نبی الرحمة. یا محمد إنی أستشفع بک إلی ربی فی رد بصری. اللهم فشفعنی فی نفسی، وشفع نبیی فی رد بصری.

وإن کانت حاجة فافعل مثل ذلک. إسناده صحیح.

والجملة الأخیرة من الحدیث تصرح بإذن النبی(ص)فی التوسل به عند عروض حاجة تقتضیه.

وقد أعل ابن تیمیة هذه الجملة بعلل واهیة. بینت بطلانها فی غیر هذا المحل. وابن تیمیة جرئ فی رد الحدیث الذی لا یوافق غرضه، ولو کان فی الصحیح!!

مثال ذلک: روی البخاری فی صحیحه حدیث (کان الله ولم یکن شئ غیره) وهو موافق لدلائل النقل والعقل والإجماع المتیقن، لکنه خالف رأیه فی إعتقاده قدم العالم، فعمد إلی روایة للبخاری أیضاً فی هذا الحدیث بلفظ (کان الله ولم یکن شئ قبله) فرجحها علی الروایة المذکورة، بدعوی أنها توافق الحدیث الآخر (أنت الأول فلیس قبلک شئ).

قال الحافظ ابن حجر: مع أن قضیة الجمع بین الروایتین تقتضی حمل هذه الروایة علی الأولی لا العکس، والجمع مقدم عل الترجیح بالإتفاق.

قلت: تعصبه لرأیه أعماه عن فهم الروایتین اللتین لم یکن بینهما تعارض...

مثال ثان: حدیث أمر رسول الله(ص)بسد الأبواب الشارعة فی المسجد، وترک باب علی علیه السلام، حدیث صحیح، أخطأ ابن الجوزی بذکره فی الموضوعات. ورد علیه الحافظ فی القول المسدد.

وابن تیمیة لإنحرافه عن علی علیه السلام کما هو معلوم، لم یکفه حکم ابن الجوزی بوضعه، فزاد من کیسه حکایة اتفاق المحدثین علی وضعه!!

وأمثلة رده للأحادیث التی یردها لمخالفة رأیه کثیرة، یعسر تتبعها.

رابعا: ونقول علی سبیل التنزل: لو فرضنا أن القصة ضعیفة تطیبا لخاطر الألبانی، وأن روایة ابن أبی خیثمة معلولة کما فی محاولة ابن تیمیة، قلنا: فی حدیث توسل الضریر کفایة وغناء، لأن النبی حین علم الضریر ذلک التوسل، دل علی مشروعیته فی جمیع الحالات.

ولا یجوز أن یقال عنه: توسل مبتدع! ولا یحوز تخصیصه بحال حیاته(ص)، ومن خصصه فهو المبتدع حقیقة، لأنه عطل حدیثا صحیحاً وأبطل العمل به، وهو حرام.

والألبانی عفا الله عنه جرئ علی دعوی التخصیص والنسخ لمجرد خلاف رأیه وهواه. فحدیث الضریر لو کان خاصا به، لبینه النبی(ص)، کما بین لأبی بردة أن الجذعة من المعز تجزیه فی الأضحیة، ولا تجزی غیره، کما فی الصحیحین. وتأخیر البیان عن وقت الحاجة لا یجوز.

اعتذار وجوابه:

قد یقال: الداعی إلی تخصیص الحدیث بحال حیاة النبی صلی الله علیه وآله ما فیه من ندائه، وهو عذر مقبول.

والجواب: أن هذا اعتذار مردود، لأنه تواتر عن النبی صلی علیه وسلم تعلیم التشهد فی الصلاة، وفیه السلام علیه بالخطاب ونداؤه

(السلام علیک أیها النبی) وبهذه الصیغة علمه علی المنبر النبوی أبو بکر وعمر، وابن الزبیر، ومعاویة، واستقر علیه الإجماع، کما یقول ابن حزم، وابن تیمیة!

والألبانی لإبتداعه خالف هذا کله، وتمسک بقول ابن مسعود، فلما مات قلنا السلام علی النبی، ومخالفة التواتر والإجماع، هی عین الإبتداع.

مع أنه صح عن النبی(ص)أن أعمالنا تعرض علیه، وکذلک صلاتنا علیه(ص)، تعرض علیه.

وثبت أن لله ملائکة سیاحین فی الأرض یبلغونه سلام أمته.

وثبت بالتواتر والإجماع أن النبی(ص)حی فی قبره، وأن جسده الشریف لا یبلی، فکیف یمتنع مع هذا نداؤه فی التوسل به، وهل هو إلا مثل ندائه فی التشهد؟!!

ولکن الألبانی عنید شدید العناد، والألبانیون عندهم عناد، وصلابة فی الرأی، أخبرنی بذلک عالم ألبانی حضر علی فی تفسیر البیضاوی وشرح التحریر لابن أمیر الحاج، وکان ودیعا هادئ الطبع، وهو تلمیذ لی.

هذا موجز ردنا لدعوی الألبانی. أما من یدعی حمدی السلفی فلیس هناک، وإنما هو مجرد مخدوع یردد الصدا.

الحاق: قال الدرامی فی سننه:

حدثنا أبو النعمان ثنا سعید بن زید ثنا عمرو بن مالک النکری حدثنا ابوالجوزاء اوس بن عبد اللهْ قال: قحط أهل المدینة قحطاً شدیداً، فشکوا إلی عائشة، فقالت انظروا قبر النبی(ص)فافتحوا منه کوی إلی السماء حتی لا یکون بینه وبین السماء سقف ففعلوا. فمطرنا مطرا حتی نبت العشب وسمنت الإبل حتی تفتقت من الشحم فسمی عام الفتق.

ضعف الألبانی هذا الأثر بسعید بن زید، وهو مردود لأن سعیداً من رجال مسلم ووثقه یجیی بن معین وضعفه أیضاً بإختلاط ابی النعمان، وهو تضعیف غیر صحیح لأن إختلاط أبی النعمان لم یؤثر فی روایته، قال الدارقطنی: تغیر بأخرة. وما ظهر له بعد اختلاط حدیثٌ منکر، وهو ثقة. وقول ابن حبان: وقع فی حدیثه المناکیر الکثیرة بعد إختلاطه، رده الذهبی فقال: لم یقدر ابن حبان أن یسوق له حدیثا منکراً والقول فیه ما قال الدارقطنی (۴۵)، وابن تیمیة کذب أثر عائشة، ولا عبرة به لجرأته علی تکذیب ما یخالف هواه.

والحمد لله رب العالمین. انتهی.

کتاب (التوسل بالنبی و جهلة الوهابیین)

تألیف أبی حامد المرزوق – طبعة مکتبة ایشیق فی إستانبول

قال فی/۲۴:

وانما جر هذا المبتدع ومن انخدع بأباطیله هذه، أنه لم یحقق معنی العبادة شرعاً کما یدل علیه استقراء موارد هذه اللفظة فی کلام الله تعالی ورسوله صلی الله تعالی علیه وسلم، فظن أن التوسل برسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم وسائر الصالحین والإستغاثة بهم، مع استقرار القلب علی أنهم أسباب لا إستقلال لهم بنفع ولا ضر، ولیس لهم من الربوبیة شئ، ولکن الله جعلهم مفاتیح لخیره ومنابع لبره وسحبا یمطر منها علی عباده أنواع خیره.. ظن أن ذلک وما إلیه من الشرک المخرج عن الملة.

ومن رافقه التوفیق وفارقه الخذلان ونظر فی المسألة نظر الباحث المنصف علم یقینا لا تخالطه ریبة أن مسمی العبادة شرعاً لا یدخل فیه شئ مما عده من توسل واستغاثة وغیرهما، بل لا یشتبه بالعبادة أصلاً فإن کل ما یدل علی التعظیم لا یکون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبیة لذلک المعظم، أو صفة من صفاتها الخاصة بها. ألا تری الجندی یقوم بین یدی رئیسه ساعة وساعات احتراما له وتأدبا معه، فلا یکون هذا القیام عبادة للرئیس شرعاً ولا لغةً، ویقوم المصلی بین یدی ربه فی صلاة بضع دقائق أو بعضها، قدر ما یقرأ الفاتحة، فیکون هذا القیام عبادة شرعا؟! وسر ذلک أن هذ القیام وإن قلت مسافته مقترن باعتقاد القائم ربوبیة من قام له، ولا یقارن

ذاک القیام هذا الإعتقاد. ا هـ

وقـد اطلعت علی کلاـم لابن تیمیـة فی توحیـد الربوبیـة وتوحیـد الألوهیـة مفرق فی أربعـة مواضع من کتبه، أذکره کله لیراه القراء، ثم أبطله:

۱ – قال فی الجزء الأول من فتاواه/۲۱۹، فی تفسیر قوله صلی الله تعالی علیه وسلم: (ولا ینفع ذا الجد منک الجد) والمعنی أن صاحب الجـد لا ینفعه منک جده، ألا ینجیه ویخلصه منک جده، وإنما ینجیه الإیمان والعمل الصالح، والجد هو الغنی وهو العظمة وهو المال، (إلی أن قـال) فبین فی هـذا الحـدیث أصـلین عظیمین أحـدهما، توحیـد الربوبیـة، وهو أن لاـ معطی لما منع الله ولا مانع لما أعطاه ولا یتوکل إلا علیه ولا یسأل إلا هو.

والثانی، توحیـد الإلهیـة، وهو بیان ما ینفع وما لا ینفع، وأنه لیس کل من أعطی مالا أو دنیا أو رئاسـة، کان ذلک نافعاً عند الله منجیاً له من عـذابه، فإن الله تعالی یعطی الـدنیا من یحب ومن لا یحب، ولا یعطی الإیمان إلا من یحب (إلی أن قال): وتوحیـد الإلهیـة أن یعبد الله ولا یشرک به شیئاً فیطیعه ویطیع رسله ویفعل ما یحبه ویرضاه.

وأما توحیـد الربوبیـة فیـدخل ما قـدره وقضاه، وان لم یکن مما أمر به وأوجبه أرضاه، والعبـد مأمور بأن یعبـد الله ویفعل ما أمر به وهو توحید الإلهیة ویستغفر الله علی ذلک وهو توحید له فیقول: (إِیَّاکَ نَعْبُدُ وَ إِیَّاکَ نَسْتَعِینُ) اه.

۲ – وقال فی الجزء الثانی من فتاواه/۲۷۵:

فـإن المقصـود هنـا بیـان حـال العبـد المحض لله تعـالی الـذی یعبـده ویسـتعینه فیعمـل له ویسـتعینه، ویحقق قوله (إِیَّاکَ نَعْبُـدُ وَ إِیَّاکَ نَسْتَعِینُ)، توحید الألوهیة وتوحید الربوبیة، وان کانت الإلهیة تتضمن الربوبیة والربوبیة تستلزم الإلهیة فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الإـنفراد لم یمنع أن یختص بمعنی عنـد الإـقتران، کما فی قوله: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. الـخ) فجمع بین الإسـمین، فإن الإله هو المعبود الذی یستحق أن یعبد، والرب هو الذی یرب عبده ا ه.

۳ – وقـال فی الجزء الثانی من منهاج السـنة/۶۲، بعـد ثرثرة ذم فیها جمیع فرق المسـلمین من المتکلمین، مصـرحا بأنهم عبـدوا غیر الله لجهلهم توحید الألوهیة وإثبات حقائق أسماء الله، ما نصه:

فانهم قصـروا عن معرفة الأدلة العقلیة التی ذکرها الله فی کتابه فعدلوا عنها إلی طرق أخری مبتدعة فیها من الباطل ما لأجله خرجوا عن بعض الحق المشترک بینهم وبین غیرهم، ودخلوا فی بعض الباطـل المبـدع، وأخرجوا من التوحیـد ما هو منه کتوحیـد الإلهیـة، واثبات حقـائق أسـماء الله وصـفاته، ولم یعرفوا من التوحیـد إلا توحیـد الربوبیـة، وهو الإقرار بأن الله خالق کل شـئ وهـذا التوحیـد کان یقر به المشـرکون الذین قال الله عنهم (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَیَقُولُنَّ اللهُ)، وقال تعالی: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِیم. سَیَقُولُونَ لِلهِ، الآیات). وقال عنهم: (وَمَا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِکُونَ.) فالطائفة من السلف تقـول لهم من خلـق السـموات والأـرض فیقولـون الله، وهم مع ذلـک یعبـدون غیره، وإنمـا التوحیـد الـذی أمر الله به العبـاد هو توحید الألوهیة المتضمن توحید الربوبیة، بأن یعبدوا الله ولا یشرکوا به شیئاً، فیکون الدین کله لله ا ه.

۴ – وقال فی رسالة أهل الصفة/۳۴: توحید الربوبیة وحده لا ینفی الکفر ولا یکفی ا ه.

أقول: قد لبس ابن تیمیة فی تآلیفه علی العامة وأشباههم من المتفقهة کثیراً بالسلف الصالح والکتاب والسنة، لترویج هواه فی سوقهم! ولکنه فی هـذا الکلاـم صرح بهواه ولم یلصـقه بهما ولا بالسـلف، وإنی بحول الله وتوفیقه أکیل له بصاعه الـذی لبس به علی البسطاء کیلًا حقیقیاً وافیاً، مبرهنا فأقول:

کلامه هذا فی الأربعة المواضع بالطل باثنین وثلاثین وجها.

الوجه الأول: لم یقل الإمام احمـد بن حنبل الـذی انتسب إلیه کذبا لأصـحابه ان التوحید قسـمان: توحید الربوبیة وتوحید الألوهیة، وان من لم یعرف توحیـد الألوهیـة لا تعتبر معرفته لتوحید الربوبیة لأن هذا یعرفه المشـرکون، وهذا عقیدة الإمام أحمد مدونة فی مصـنفات

أتباعه فی مناقبه لإبن الجوزی وفی غیره لیس فیه هذا الهذیان.

الوجه الثانی: لم یقل أی واحد من أتباع التابعین لأصحابه ان التوحید قسمان: توحید الربوبیة وتوحید الألوهیة، وان من لم یعرف توحید الألوهیة لا یعتد بمعرفته لتوحید الربوبیة، فلو اجتمع معه الثقلان علی إثباته عن أی واحد منهم لا یستطیعون.

الوجه الثالث: لم یقل أی واحد من التابعین لأصحابه ان التوحید ینقسم إلی توحید الربوبیة وتوحید الألوهیة، فلو اجتمع معه الثقلان علی إثباته عن أی واحد منهم لا یستطیعون.

الوجه الرابع: لم یقل أی صحابی من أصحاب النبی صلی الله تعالی علیه وسلم ورضی عنهم ان التوحید ینقسم إلی توحید الربوبیة وتوحید الألوهیة وأن من لم یعرف توحید الألوهیة لا یعتد بمعرفته لتوحید الربوبیة لأن هذا یعرفه المشرکون، وإنی اتحدی کل من له المام بالعلم أن ینقل لنا هذا التقسیم المخترع عنهم، ولو بروایة واهیة.

الوجه الخامس: لم یأت فی سنة النبی صلی الله تعالی علیه وسلم الواسعة التی هی بیان لکتاب الله عز وجل من صحاح وسنن ومسانید ومعاجم، أن النبی صلی الله تعالی علیه وسلم کان یقول لأصحابه ویعلمهم أن التوحید ینقسم إلی توحید الربوبیة وتوحید الألوهیة، وان من لم یعرف توحید الألوهیة لایعتد بمعرفته لتوحید الربوبیة، لأن هذا یعرفه المشرکون، فلو اجتمع معه الثقلان علی اثبات هذا الهذیان عن النبی صلی الله تعالی علیه وسلم باسناد ولو واهیاً لا یستعطیون.

الوجه السادس: بل کتب السنة طافحة بأن دعوته(ص)الناس إلی الله کانت إلی شهادة ان لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله وخلع عبادة الأوثان، ومن أشهرها حدیث معاذ بن جبل لما أرسله النبی صلی الله تعالی علیه وسلم إلی الیمن فقال له: (ادعهم إلی شهادة أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لذلک فأخبرهم أن علیهم خمس صلوات فی الیوم واللیلة - الحدیث).

وروی الخمسة وصححه ابن حبان أنه(ص)أخبره أعرابی برؤیة الهلال، فأمر بالصیام ولم یسأله النبی(ص)إلا عن الإقرار بالشهادتین، وکان اللازم علی هذیانه هذا أن یدعو النبی صلی الله تعالی علیه وسلم جمیع الناس إلی توحید الألوهیة الذی جهلوه، وأما توحید الربوبیة فقد عرفوه! ویقول لمعاذا ادعهم إلی توحید الألوهیة! ویقول للأعرابی الذی رأی هلال رمضان هل تعرف توحید الألوهیة؟!

الوجه السابع: لم یأمر الله فی کتابه العزیز الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه عباده بتوحید الألوهیة، ولم یقل لهم ان من لم یعرفه لایعتد بمعرفته لتوحید الربوبیة، بل أمر وهو:

الوجه الثامن: بکلمة التوحید مطلقة، قال الله تبارک وتعالی مخاطبا نبیه صلی الله تعالی علیه وسلم (فاعلم أنه لا اله إلا الله) وهکذا جمیع آیات التوحید المذکورة فی القرآن، مع سورة الإخلاص التی تعدل ثلث القرآن.

الوجه التاسع: یلزم علی هذا الهذیان علی الله تبارک وتعالی لعباده حیث عرفوا کلهم توحید الربوبیة ولم یعرفوا توحید الألوهیة - أن یبینه لهم ولا یضلهم ولا یعذ بهم علی جهلهم نصف التوحید ولا یقول لهم: (الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَرَضِیتُ لَکُمُ الإِسْلامَ دِینًا) نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان.

الوجه العاشر: الإله هو الرب والرب هو الإله، فهما متلازمان یقع کل منهما فی موضع الآخر، وکتاب الله تعالی طافح بذلک، وکذلک سنته علیه الصلاة والسلام، قال الله تبارک وتعالی: (یَأَیُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّکُمُ الَّذِی خَلَقَکُمْ وَ الَّذِینَ مِن قَبْلِکُمْ) وکان اللازم - علی زعمه - حیث کانوا یعرفون توحید الربوبیة ولا یعرفون توحید الألوهیة أن یقول الله: (إعبدوا الهکم)!!

وقال الله تعالی: (أَلَمْ تَرَ إِلَی الَّذِی حَاجَّ إِبْرَاهِیمَ فِی رَبِّهِ - الآیة)، وکان اللازم - علی زعمه حیث کان النمرود یعرف توحید الربوبیة ویجهل توحید الألوهیة - أن یقول الله تعالی: (ألم تر إلی الذی حاج ابراهیم فی إلهه)!!

وکان اللازم علی زعمه أن یقول الله فی قوله تعالی: (یَا أَیُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّکُمُ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) اتقوا إلهکم!!

وکان اللازم علی زعمه أن یقول الله فی قوله تعالی: (إِذْ قَالَ الْحَوَارِیُّونَ یَا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ هَلْ یَسْتَطِیعُ رَبُّکَ أَنْ یُنَزِّلَ عَلَیْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ)، هل یستطیع إلهک، وکان اللازم علی زعمه أن یقول الله فی قوله تعالی: (ثُمَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ یَعْدِلُونَ) ثم الذین کفروا

بالههم یعدلون! لأن الرب یعرفونه، وهو شئ کثیر فی القرآن...

الوجه الثلاثون: جعله التوسل والإستغاثة عبادة للمتوسل به والمستغاث به والمستعان به!!...

قوله (وهم مع ذلک یعبدون غیره) فاسد أیضاً ومعناه یقول أحمد بن تیمیة الملبس بلفظ (الطائفة) والملبس أیضاً المدعی أنه (من السلف) للمالکیة والشافعیة والحنفیة ومستقیمی العقیدة من الحنابلة (من خلق السموات والأرض فیقولون الله) وهم مع إعترافهم بتوحید الربوبیة مشرکون فی رأیه لأنهم (یعبدون غیره)، أی یتوسلون بالنبی صلی الله تعالی علیه وسلم وبالصالحین من أمته ویستغیثون ویستعینون بهم، وکل من التوسل والإستعانة والإستغاثة عبادة غیر الله تعالی فی زعمه!!

وقد اعتمد فی تکفیر المسلمین بهذه الالفاظ علی إرادة نفع جاه المتوسل به أو المستغاث به مثلًا، قیاساً علی عبدة الأوثان بجامع الإرادة المذکورة فی کل، وهو قیاس فاسد من ستة أوجه:

الأول: جهله حقیقة العبادة، فإن العبادة لغة: أقصی نهایة الخضوع والتذلل بشرط نیة التقرب، ولا یکون ذلک إلا لمن له غایة التعظیم، فقد تبین منه أن العبادة لغة لا تطلق إلا علی العمل الدال علی الخضوع المتقرب به لمن یعظمه بإعتقاد تأثیره فی النفع والضر، أو اعتقاد الجاه العظیم الذی ینفعه فی الدنیاوالآخرة، وهی التی نهی الله سبحانه وتعالی عن أن تقع لغیره، وکفر من لم ینته عنها، وما قصر عن هذه المرتبة لایقال فیه عبادة لغیر الله.

وشرعاً: إمتثال أمر الله کما أمر علی الوجه المأمور به من أجل أنه أمر، مع المبادرة بغایة الحب والخضوع والتعظیم، فاعتبر فیها ما اعتبر فی اللغویة من الخضوع والتذلل والتعظیم.

فاللغویة غیر مقیدة بعمل مخصوص والشرعیة مقیدة بالأعمال المأمور بها فکانت جاریة علی الأعم الأغلب فی الحقائق الشرعیة من کونها أخص من اللغویة.

ومن أجل اختصاصها بالمأمور به خرجت عبادة الیهودی مثلًا، لأنه وإن تمسک بشریعة إلا أنها لما کانت منسوخة کانت کأن لم تکن، وعبادة المبتدع فی الدین ما لیس منه، فالله سبحانه لما نهی الکفار عما هم مشتغلون به من عبادة غیره، ووبخهم علی وضع الشئ فی غیر محله وتعظیمهم غیر أهله، وبین لهم بالدلائل الواضحة عدم صلوحیة ما اتخذوه من دونه لما اتخذوه إلیه، وکان الحامل لهم علی ذلک اتباع أهوائهم، والإسترسال مع أغراضهم، وذلک مناف لعبودیتهم، إذا العبد لا یتصرف فی نفسه بمقتضی شهوته وغرضه، وإنما یتصرف علی مقتضی أمر سیده ونهیه، قصد سبحانه أن یخرجهم عن داعیة أهوائهم واتباع أغراضهم، حتی یکونوا عبیدا لله تعالی، اختیارا کما هم عبید له اضطرارا، فوضع لهم الشریعة المطهرة وبین لهم الأعمال التی تعبدهم بها، والطرق التی توصلهم إلی منافعهم ومصالحهم علی الوجه الذی ارتضاه لهم، ونهاهم عن مجاوزة ما حد لهم...

وعلی هذا فشرط کونها عبادة نیة التقرب للمعبود، فالسجود لایکون عبادة ولا کفراً إلا تبعاً للنیة، فسجود الملائکة علیهم الصلاة والسلام لآدم علیه الصلاة والسلام عبادة لله لأنه امتثال لأمره وتقرب وتعظیم له، والسجود للصنم کفر إذا قصد به التقرب إلیه اذ هو عبادة لغیر الله، وکذا یحکم علیه به عند جهل قصده أو إنکاره لأنه علامة علی الکفر.

والسجود للتحیة معصیة فقط فی شرعنا، وقد کان سائغا فی الشرائع السابقة بدلیل سجود یعقوب وبنیه لیوسف علیهم الصلاة والسلام.

فتحقق من تعریفی العبادة لغة وشرعاً أن العبادة التذلل والتعظیم للمعبود، وعلیه فلیس کل تعظیم عبادة، وأن ضابط التعظیم المقتضی للعبادة هو أن یعتقد له التأثیر فی النفع والضر، أو یعتقد له الجاه التام والشهادة المقبولة بحیث ینفع فی الآخرة ویستنزل به النصر والشفاء فی الدنیا.

والتوسل لا یسمی عبادة قطعاً ولا یقال فیه عبادة وانما هی وسیلة الیها، وسیلة الشئ غیره بالضرورة.

الثانی: الوسیلة لغة کل ما یتقرب به إلی الغیر، وسل إلی الله تعالی توسیلًا عمل عملا تقرب به إلیه، فتحقق منه أن التوسل لا یسمی عبادة قطعاً، ولا یقال فیه عبادة وإنما هو وسیلة إلیها، ووسیلة الشئ غیره بالضرورة وهو واضح، فإن التوسل لاتقرب فیه للمتوسل به ولا

تعظيمه غاية التعظيم، والتعظيم إذا لم يصل إلى هذا الحد لا يكون الفعل المعظم به عبادة، فلا يطلق إسم العبادة على ما ظهر من الإستعمال اللغوى إلا على ما كان بهذه المثابة من كون العمل دالاً على غاية الخضوع منويا به التقرب للمعبود تعظيماً له بذلك التعظيم التام، فاذا اختل شئ منها منع الإطلاق، أما الدلالة على نهاية الخضوع فظاهر، لأن مناط التسمية لم يوجد، ولأن الناس من قديم الزمان إلى الآن يخضعون لكبرائهم ورؤسائهم بما يقتضيه مقامه الدنيوى عندهم ويحيونهم بأنواع التحيات، ويتذللون بين أيديهم ولا يعدون ذلك قربة ولا يطلقون عليه اسم العبادة، وانما يرونه من باب الأدب، وما ذاك إلا لكون ذلك الخضوع لم يبلغ نهايته والعظيم الناشئ عنه لم يبلغ غايته، وبهذا ظهر الفرق بين التوسل والعبادة. على أن عبد يتعدى بنفسه وتوسل يتعدى بحرف الجر.

وقد أوغل ابن تيمية فى بيداء القياس الفاسد دفعتين، قياسه معانى هذا الألفاظ، توسل استعان، استغاث، تشفع، على العبادة، وقياسه المؤمنين المتوسلين بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مثلاً على عبدة الأوثان من دون الله بجامع أرادة الجاه فى كل.

فلينظر اللبيب إلى أين رماه جهله باللغة العربية، فانه لو تأمل فى قول القائل: اللهم انى أتوسل اليك بفلان، وأجراه على ما تدل عليه اللغة لوجد معناه، اللهم انى أتقرب اليك وأتحبب اليك، فهو دال بجوهره على أن التقرب لله لا لمن يراد جاهه!!

ومن جهل الفرق بين عبد وتوسل، كيف يصح له القياس فى دين الله والحاق بعض الفروع ببعض، والقياس أصعب أنواع الإجتهاد، لكثرة ما يعتبر فى أركانه من الشروط، وما يرد عليه من المعارضات والمناقضات وغير ذلك من أنواع الإعتراضات، فلا يصفو مشربه إلا لأهل الاجتهاد ومن أحاط بمداركهم على اختلاف مراتبهم، ومن قصر عن تلك المراتب لايسوغ له الجزم بالحكم المأخوذ منه فى دانق، فكيف بالحكم المأخوذ منه فى تكفير المسلمين؟!!

الثالث: وحيث تحقق الفرق بين العبادة والتوسل، فالعبادة فيها معنى زائد يناسب اناطة الحكم به، وهو اشتمالها على الأعراض عن الله واطلاق الإلهية على غيره وإقامته مقامه وخدمته بما يستحق أن يخدم، وقد أشار إلى هذا المعنى بعض فضلاء أهل السنة، وملخص كلامه: أن الشبهة الحاملة لعبدة الأوثان على عبادتها هى أنهم استصغروا أنفسهم فاستعظموا أن يعبدوا الله مباشرة، ورأوا من سوء الأدب أن يشتغل الحقير من أول وهلة بخدمة العظيم، وقربوا ذلك بأمر مستحسن فى العادة، وهو أن الحقير لا ينبغى له أن يخدم الملك حتى يخدم عماله إلى أن يترقى لخدمته، وقال: وهذه هى الحاملة على التوسل إلى الله تعالى بمن له جاه عنده، إلا أن الشرع أذن فى التوسل ولم يأذن فى العبادة، فكانت حاجة الكفار تندفع بما شرعه الله، إلا أن الله تعالى أعمى بصائرهم، ولو تنبهوا لأمر عادى آخر لأرشدهم، فإن الملك من ملوك الدنيا إذا استجاه له أحد بعظيم من وزرائه وتشفع له بذلك، ربما أقبل عليه وأخذ بيديه وقضى ما أراده منه. أما إذا عظم ذلك الوزير بما يعظم به الملك وعامله بمعاملته وأقامه فى مقامه فيما يختص به الملك عن غيره، رجاء أن يقضى ذلك الوزير حاجته من الملك، فإن الملك إذا علم بصنيعه يغضب أشد الغضب، ولا يقتصر فى العقوبة على قطع الرجاء من الحاجة، بل يفتك به وبالوزير ان أحب ذلك!

فمثال التوسل الأول ومثال العبادة الثانى فتأمل هذا المثال فانه واف بواقعة الحال، وبالله التوفيق والإعتصام.

الرابع: القاعدة المشهورة المطردة وهى: أن استواء الفعلين فى السبب الحامل على الفعل لايوجب استواءهما فى الحكم، يدل على هاته القاعدة دلالة قطعية، أنه لو لم يكن الأمر كذلك بأن كان الاستواء فى الحامل يوجب الإستواء فى الحكم = كما ادعاه ابن تيمية وقرره فى قياسه التوسل على العبادة والمتوسل على عابد الوثن، للزم ابطال الشريعة وتساوى الأعمال فى الأحكام، واللازم باطل بالإتفاق، وهو ضرورى غنى عن الإستدلال!!

- وقال فى/۹۶:

وقد انتهيت بتوفيق الله من ابطال كثير من كلام ابن تيمية وابن القيم وبعض كلام ابن عبد الوهاب، فى توحيد الربوبية والألوهية والعبادة وملحقاتهما فى هذا الفصل، وأختمه بما كتبه العلامة المحقق المرحوم الشيخ (يوسف الدجوى) المتوفى سنة خمس وستين وثلاثمائة وألف فى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية قال رحمه الله: جاءتنا رسائل كثيرة يسأل مرسلوها عن توحيد الألوهية وتوحيد

الربوبية ما معناهما، وما الذى يترتب عليهما ومن ذا الذى فرق بينهما؟ وما هو البرهان على صحة ذلك أو بطلانه؟ فنقول وبالله التوفيق: ان صاحب هذا الرأى هو ابن تيمية الذى شاد بذكره قال: ان الرسل لم يبعثوا إلا لتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة، وأما توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله رب العالمين المتصرف فى أمورهم فلم يخالف فيه أحد من المشركين والمسلمين بدليل قوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ).

ثم قالوا: إن الذين يتوسلون بالأنبياء ويتشفعون بهم وينادونهم عند الشدائد هم عابدون لهم قد كفروا باعتقادهم الربوبية فى تلك الأوثان والملائكة والمسيح سواء بسواء، فانهم لم يكفروا باعتقادهم الربوبية فى تلك الأوثان وما معها بل بتركهم توحيد الألوهية بعبادتها، وهذا ينطبق على زوار القبور المتوسلين بالأولياء المنادين لهم المستغيثين بهم الطالبين منهم ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى!! بل قال محمد بن عبد الواهاب: (ان كفرهم أشنع من كفر عباد الأوثان، وإن شئت ذكرت لك عبارته المحزنة الجريئة) فهذا ملخص مذهبهم مع الإيضاح، وفيه عدة دعاوى...

- وقال فى/١٠٠:

ولكن نقول لهم بعد هذا على فرض أن هناك فرقاً بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية كما يزعمون، فالتوسل لا ينافى توحيد الألوهية فانه ليس من العبادة فى شئ لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً، ولم يقل أحد ان النداء أو التوسل بالصالحين عبادة، ولا أخبرنا الرسول صلى الله تعالى وسلم بذلك!!

ولو كان عبادة أو شبه عبادة لم يجز بالحى ولا بالميت.

ومن المعلوم أن المتوسل لم يطلب إلاـ من الله تعالى بمنزلة هذا النبى أو الولى، ولا شك فى أن لهما منزلة عند الله تعالى فى الحياة وبعد الممات.

فإن تشبث متشبث بأن الله أقرب الينا من حبل الوريد فلا يحتاج إلى واسطة.

قلنا له: (حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء...)، فإن رأيك هذا يلزمه ترك الأسباب والوسائط فى كل شئ، مع أن العالم مبنى على الحكمة التى وضعت الأسباب والمسببات فى كل شئ!!

ويلزمه عدم الشفاعة يوم القيامة وهى معلومة من الدين بالضرورة، فانها على هذا الرأى لا حاجة اليها، اذ لا يحتاج سبحانه وتعالى إلى واسطة فانه أقرب من الواسطة. ويلزم خطأ عمربن الخطاب فى قوله: (إنا نتوسل اليك بعم نبيك العباس الخ..)!!

وعلى الجملة يلزم سد باب الأسباب والمسببات والوسائل والوسائط، وهو خلاف السنة الإلهية التى قام عليها بناء هذه العوالم كلها من أولها إلى آخرها، ولزمهم على هذا التقدير أن يكونوا داخلين فيما حكموا به على المسلمين، فانه لا يمكنهم أن يدعوا الأسباب أو يتركوا الوسائط بل هم أشد الناس تعلقاً واعتماداً عليها.

ولا يفوتنا أن نقول: ان التفرقة بين الحى والميت فى هذا المقام لا معنى لها، فإن المتوسل لم يطلب شيئا من الميت أصلاً، وانما طلب من الله متوسلاً إليه بكرامة هذا الميت عنده أو محبته له أو نحو ذلك، فهل فى هذا كله تأليه للميت أو عبادة له، أم هو حق لا مرية فيه، ولكنهم قوم يجازفون ولا يحققون!! كيف وجواز التوسل بل حسنه معلوم عند جميع المسلمين.

وانظر كتب المذاهب الأربعة (حتى مذهب الحنابلة) فى آداب زيارته(ص) تجدهم قد استحبوا التوسل به إلى الله تعالى، حتى جاء ابن تيمية فخرق الإجماع وصادم المركوز فى الفطر مخالفا فى ذلك العقل والنقل. انتهى.

كتاب (شفاء السقام) للإمام السبكى

وهو من كبار علماء مصر المعاصرين لابن تيمية، وذكروا أن ابن تيمية كان يحترمه كثيرا، ولعله كان يهابه فلم يرد على كتابه!!

وقد طبع الكتاب مرات فى مصر، ثم نشرته مكتبة ايشيق فى استانبول، وحققه أخيراً ونشره العلامة السيد محمد رضا الجلالى.

والمحور الأصلی للکتاب هو رد بدعة ابن تیمیة فی تحریم زیارة النبی صلی الله علیه وآله، وفیه فصل فی رد تحریمه التوسل والإستشفاع والإستغاثة بالنبی صلی الله علیه وآله.

– قال السبکی فی/۵۹ من کتابه المذکور:

أما بعد، فهذا کتاب سمیته (شفاء السقام فی زیارة خیر الأنام) ورتبته علی عشرة أبواب:

الأول: فی الأحادیث الواردة فی الزیارة.

الثانی: فی الأحادیث الدالة علی ذلک وان لم یکن فیها لفظ (الزیارة).

الثالث: فیما ورد فی السفر إلیها.

الرابع: فی نصوص العلماء علی إستحبابها.

الخامس: فی تقریر کونها قربة.

السادس: فی کون السفر إلیها قربة.

السابع: فی دفع شبه الخصم وتتبع کلماته.

الثامن: فی التوسل والإستغاثة.

التاسع: فی حیاة الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام.

العاشر: فی الشفاعة، لتعلقها بقوله: (من زار قبری وجبت له شفاعتی).

وضمنت هذا الکتاب الرد علی من زعم: أن أحادیث الزیارة کلها موضوعة! وأن السفر إلیها بدعة غیر مشروعة!

وهذه المقالة أظهر فسادا من أن یرد العلماء علیها، ولکنی جعلت هذا الکتاب مستقلا فی الزیارة وما یتعلق بها، مشتملاً من ذلک علی جملة یعز جمعها علی طالبها.

– وقال فی/۲۹۱:

اعلم أنه یجوز ویحسن التوسل، والإستغاثة، والتشفع بالنبی(ص)الی ربه سبحانه وتعالی.

وجواز ذلک وحسنه من الأمور المعلومة لکل ذی دین، المعروفة من فعل الأنبیاء والمرسلین، وسیر السلف الصالحین، والعلماء والعوام من المسلمین.

ولم ینکر أحد ذلک من أهل الأدیان، ولا سمع به فی زمن من الأزمان، حتی جاء ابن تیمیة، فتکلم فی ذلک بکلام یلبس فیه علی الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم یسبق إلیه فی سائر الأعصار.

وحسبک أن إنکار ابن تیمیة للإستغاثة والتوسل قول لم یقله عالم قبله وصار بین أهل الإسلام مثلة!!

وقد وقفت له علی کلام طویل فی ذلک رأیت من الرأی القویم أن أمیل عنه إلی الصراط المستقیم ولا أتتبعه بالنقض والأبطال، فإن دأب العلماء القاصدین لإیضاح الدین وارشاد المسلمین تقریب المعنی إلی أفهامهم وتحقیق مرادهم وبیان حکمه، ورأیت کلام هذا الشخص بالضد من ذلک، فالوجه الأضراب عنه.

وأقول: أن التوسل بالنبی(ص)جائز فی کل حال: قبل خلقه وبعد خلقه، فی مدة حیاته فی الدنیا، وبعد موته، فی مدة البرزخ وبعد البعث فی عرصات القیامة والجنة وهو علی ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن یتوسل به، بمعنی أن طالب الحاجة یسأل الله تعالی به أو بجاهه أو ببرکته.

فیجوز ذلک فی الأحوال الثلاثة، وقد ورد فی کل منها خبر صحیح:

حدیث توسل آدم بالنبی

أما الحالهٔ الأولی: قبل خلقه فیدل علی ذلک آثار عن الأنبیاء الماضین صلوات الله وسلامه علیهم أجمعین، اقتصرنا منها علی ما تبین لنا صحته وهو ما رواه الحاکم أبو عبدالله بن البیع فی (المستدرک علی الصحیحین أو أحدهما) (۱) قال: ثنا أبو سعید عمرو بن محمد بن منصور العدل (۱) ثنا أبو الحسن محمد بن اسحاق ابن ابراهیم الحنظلی ثنا أبو الحارث عبدالله بن مسلم الفهری ثنا اسماعیل ابن مسلمهٔ أنا عبدالرحمان بن زید بن أسلم عن أبیه عن جده عن عمر بن الخطاب (رض) قال: قال رسول الله (ص): (لما اقترف (۲)
آدم علیه السلام الخطیئهٔ (۳) قال: یا رب أسألک بحق محمد لما غفرت لی.
فقال الله: یا آدم وکیف عرفت محمدا ولم أخلقه؟
قال: یا رب لأنک لما خلقتنی بیدک، ونفخت فی من روحک رفعت رأسی فرأیت علی قوائم العرش مکتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنک لم تضف إلی إسمک إلا أحب الخلق إلیک.
فقال الله: صدقت یا آدم، إنه لأحب الخلق الی اذ سألتنی بحقه فقد غفرت لک، ولولا محمد ما خلقتک).
قال الحاکم: هذا حدیث صحیح الإسناد، وهو أول حدیث ذکرته لعبد الرحمان بن زید بن أسلم فی هذا الکتاب.
ورواه البیهقی أیضاً فی (دلائل النبوهٔ) وقال: تفرد به عبد الرحمان.
وذکره الطبرانی وزاد فیه (وهو آخر الأنبیاء من ذریتک).

توسل عیسی بالنبی

وذکر الحاکم مع هذا الحدیث أیضا... عن ابن عباس قال: أوحی الله إلی عیسی علیه السلام: یا عیسی آمن بمحمد وأمر من أدرکه من امتک أن یؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولولاه ما خلقت الجنهٔ والنار ولقد خلقت العرش علی الماء فاضطرب فکتبت علیه: لا اله إلا الله فسکن. قال الحاکم: هذا حدیث حسن صحیح الإسناد ولم یخرجاه، انتهی ما قاله الحاکم.
والحدیث المذکورلم یقف علیها بن تیمیهٔ بهذا الإسناد ولا بلغه أن الحاکم صححه. فانه قال أعنی ابن تیمیهٔ: أما ما ذکره فی قصهٔ آدم من توسله فلیس له أصل ولا نقله أحد عن النبی(ص)باسناد یصلح الإعتماد علیه، ولا الإعتبار ولا الإستشهاد).
ثم أدعی ابن تیمیهٔ أنه کذب، وأطال الکلام فی ذلک جدا بما لا حاصل تحته بالوهم والتخرص!.. ونحن نقول: قد اعتمدنا فی تصحیحه علی الحاکم وأیضا: عبدالرحمان بن زید بن أسلم لا یبلغ فی الضعف الی الحد الذی ادعاه.
وکیف یحل لمسلم أن یتجاسر علی منع هذا الأمر العظیم الذی لا یرده عقل ولا شرع؟ وقد ورد فیه هذا الحدیث؟!

توسل نوح و ابراهیم و سائر الأنبیاء بنبیا

وأما ما ورد من توسل نوح وإبراهیم وغیرهما من الأنبیاء: فذکره المفسرون، واکتفینا عنه بهذا الحدیث لجودته وتصحیح الحاکم له.
ولا فرق فی هذا المعنی بین أن یعبر عنه بلفظ (التوسل) أو (الاستغاثهٔ) أو (التشفع) أو (التجوه). والداعی بالدعاء المذکور وما فی معناه: متوسل بالنبی(ص)، لأنه جعله وسیلهٔ لإجابهٔ الله دعاءه. ومستغیث به والمعنی أنه استغاث الله به علی ما یقصده فالباء ها هنا للسببیهٔ، وقد ترد للتعدیهٔ، کما تقول: (من استغاث بک فأغثه). ومستشفع به. ومتجوه به، ومتوجه، فإن التجوه والتوجه راجعان إلی معنی واحد.
فإن قلت: المتشفع بالشخص من جاء به لیشفع فکیف یصح أن یقال: یتشفع به؟
قلت: لیس الکلام فی العبارهٔ وانما الکلام فی المعنی وهو سؤال الله بالنبی (ص)کما ورد عن آدم، وکما یفهم الناس من ذلک، وانما یفهمون من التشفع والتوسل والإستغاثهٔ والتجوه ذلک، ولا مانع من اطلاق اللغهٔ بهذه الألفاظ علی هذا المعنی.
والمقصود جواز أن یسأل العبد الله تعالی بمن یقطع أن له عند الله قدرا أو مرتبهٔ.

ولا شک أن النبی(ص)له عنـد الله قدر علی ومرتبهٔ رفیعهٔ وجاه عظیم. وفی العادهٔ أن من کان له عند الشـخص قدر بحیث أنه إذا شـفع عنده قبل شفاعته، فإذا انتسب إلیه شخص فی غایته وتوسل بذلک وتشفع به، فإن ذلک الشخص یجیب السائل إکراماً لمن انتسب إلیه وتشفع به وان لم یکن حاضراً ولا شافعاً.

وعلی هذا التوسل بالنبی(ص)قبل خلقه.

ولسنا فی ذلـک سـائلین غیر الله تعـالی ولا داعین إلا إیاه، ویکون ذکر المحبوب أو العظیم سـبباً للإجابـهٔ. کما فی الأدعیـهٔ الصـحیحهٔ المأثورهٔ (أسألک بکل اسم لک وأسألک بأسـمائک الحسـنی وأسألک بأنک أنت الله، وأعوذ برضاک من سـخطک وبمعافاتک من عقوبتک، وبک منک).

وحدیث الغار الذی فیه الدعاء بالأعمال الصالحهٔ وهو من الأحادیث الصحیحهٔ المشهورهٔ.

فالمسؤول فی هذه الدعوات کلها هو الله وحده لا شریک له والمسؤول به مختلف ولم یوجب ذلک اشراکاً، ولا سؤال غیر الله.

کذلک السؤال بالنبی(ص)لیس سؤالاً للنبی بل سؤ ال لله به.

وإذا جاز السؤال بالأعمال وهی مخلوقهٔ فالسؤال بالنبی(ص)أولی.

ولا یسـمع الفرق بأن الأعمال تقتضـی المجازاهٔ علیها، لأن اسـتجابهٔ الـدعاء لم تکن علیها، وإلا لحصـلت بدون ذکرها وانما کانت علی الدعاء بالأعمال.

ولیس هذا المعنی مما یختلف فیه الشـرائع حتی یقال: إن ذلک شـرع من قبلنا فإنه لو کان ذلک مما یخل بالتوحید لم یحل فی ملهٔ من الملل، فإن الشرائع کلها متفقهٔ علی التوحید. ولیت شعری ما المانع من الدعاء بذلک؟!

فإن اللفظ انما یقتضـی أن للمسؤول به قدرا عند المسؤول. وتارهٔ یکون المسؤول به أعلی من المسؤول: اما الباری سـبحانه وتعالی کما فی قوله (من سـألکم بـالله فـأعطوه) وفی الحـدیث الصـحیح فی حـدیث أبرص وأقرع وأعمی (أسألـک بالـذی أعطاک اللون الحسـن والجلد الحسن) الحدیث.. وهو مشهور.

وأما بعض البشر، ویحتمل أن یکون من هذا القسم قوله عائشهٔ لفاطمهٔ: أسألک بما لی علیک من الحق.

وتارهٔ: یکون المسؤول أعلی من المسؤول به، کما فی سؤال الله تعالی بالنبی (ص)، فانه لا شک أن للنبی قـدرا عنـده. ومن أنکر ذلک فقد کفر.

فمتی قال: (أسألک بالنبی(ص)) فلا شک فی جوازه.

وکذا إذا قال (بحق محمد) والمراد بالحق الرتبهٔ والمنزلهٔ. والحق الذی جعله الله علی الخلق أو الحق الذی جعله الله بفضـله له علیه، کما فی الحدیث الصحیح قال: فما حق العباد علی الله؟

ولیس المراد بالحق الواجب، فانه لا یجب علی الله شـئ، وعلی هـذا المعنی یحمل ما ورد عن بعض الفقهاء فی الإمتناع من اطلاق هذه اللفظهٔ.

الحالـهٔ الثانیـهٔ: التوسـل به بـذلک النوع بعـد خلقه(ص)فی مـدهٔ حیـاته: فمن ذلـک مـا رواه أبو عیسـی الترمـذی فی جـامعه فی کتاب الـدعوات، قـال... عن عثمـان بن حنیف: أن رجلاًـ ضـریر البصـر أتی النـبی(ص) فقـال... وقـد کفانـا الترمـذی والـبیهقی رحمهمـا الله بتصحیحهما مؤنهٔ النظر فی تصحیح هذا الحدیث، وناهیک به حجهٔ فی المقصود.

فإن اعترض معترض: بأن ذلک انما کان لأن النبی(ص)شفع فیه فلهذا قال له أن یقول (انی توجهت الیک بنبیک).

قلت: الجواب من وجوه:

أحدها: سیأتی أن عثمان بن عفان وغیره استعملوا ذلک بعد موته(ص)وذلک یدل علی أنهم لم یفهموا اشتراط ذلک.

الثانی: أنه لیس فی الحدیث أن النبی(ص)بین له ذلک.

الثالث: أنه ولو كان كذلك لم يضر فى حصول المقصود وهو جوار التوسل إلى الله بغيره بمعنى السؤال به كما علمه النبى(ص)وذلك زيادة على طلب الدعاء منه فلو لم يكن فى ذلك فائدة لما علمه النبى(ص)وأرشده إليه، ولقال له: إنى قد شفعت فيك، ولكن لعله(ص)أراد أن يحصل من صاحب الحاجة التوجه بذل الإضطرار والإفتقار والإنكسار ومستغيثا بالنبى(ص)فيحصل كمال مقصوده.

ولا شك أن هذا المعنى حاصل فى حضرة النبى(ص)وغيبته وفى حياته وبعد وفاته فإنا نعلم شفقته(ص)على امته ورفقه بهم ورحمته لهم واس تغفاره لجميع المؤمنين وشفاعته فإذا انضم إليه توجه العبد به حصل هذا الغرض الذى أرشد النبى(ص)الأعمى إليه.

التوسل بالنبى (بعد موته)

الحالة الثالثة: أن يتوسل بذلك بعد موته(ص)لما رواه الطبرانى رحمه الله فى المعجم الكبير فى ترجمة عثمان بن حنيف... أن رجلا كان يختلف الى عثمان بن عفان... ورواه البيهقى بإسناده عن أبى جعفر المدينى عن أبى امامة بن سهل بن حنيف...

والإحتجاج من هذا الأثر لفهم عثمان (رض) ومن حضره الذين هم أعلم بالله ورسوله وفعله.

النوع الثانى: التوسل به بمعنى طلب الدعاء منه وذلك فى أحوال:

إحداها: فى حياته(ص)، وهذا متواتر والأخبار طافحة به، ولا يمكن حصرها، وقد كان المسلمون يفزعون إليه ويستغيثون به فى جميع ما نابهم كما فى الصحيحين... والأحاديث والاثار فى ذلك أكثر من أن تحصى، ولو تتبعتها لوجدت منها ألوانا.

ونص قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ... الآية صريح فى ذلك.

وكذلك يجوز ويحسن مثل هذا التوسل بمن له نسبة من النبى(ص)كما أن عمر ابن الخطاب (رض) إذا قحط استسقى بالعباس بن عبدالمطلب(رض)ويقول: اللهم انا كنا إذا قحطنا توسلنا بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا محمد(ص) فاسقنا.

وكذلك يجوز مثل هذا التوسل بسائر الصالحين وهذا شئ لا ينكره مسلم بل متدين بملة من الملل.

فإن قيل: لم توسل عمر بن الخطاب بالعباس ولم يتوسل بالنبى(ص)أو بقبره؟

قلنا: ليس فى توسله بالعباس إنكار للتوسل بالنبى(ص)أو بالقبر. وقد روى عن أبى الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضى الله عنها فقالت: فانظروا قبر النبى(ص)فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف. ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمن الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى(عام الفتق)...

فإن قال المخالف: أنا لا أمنع التوسل والتشفع لما قدمتم من الآثار والأدلة وإنما أمنع اطلاق (التجوه) و(الإستغاثة) لأن فيهما إيهام أن المتجوه به والمستغاث به أعلى من المتجوه عليه والمستغاث عليه.

قلنا: هذا لا يعتقده مسلم ولا يدل لفظ (التجوه) و (الإستغاثة) عليه.

فإن (التجوه) من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بذى الجاه الى من هو أعلى جاها منه.

و (الاستغاثة) طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه.

فالتوسل والتشفع والتجوه والإستغاثة بالنبى(ص)وسائر الأنبياء والصالحين ليس لها معنى فى قلوب المسلمين غير ذلك، ولا يقصد بها أحد منهم سواه، فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه، نسأل الله العافية.

وإذا صح المعنى فلا عليك فى تسميته (توسلًا) أو (تشفعاً) أو (تجوها) أو (إستغاثة).

ولو سلم أن لفظ (الإستغاثة) تستدعى النصر على المستغاث منه فالعبد يستغيث على نفسه وهواه والشيطان وغير ذلك مما هو قاطع له عن الله تعالى بالنبى (ص) وغيره من الأنبياء والصالحين متوسلًا بهم إلى الله تعالى ليغيثه على من استغاث منه من النفس وغيرها، والمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى والنبى(ص) واسطة بينه وبين المستغيث.

وإذ قد تحررت هذه الأنواع والأحوال فى الطلب من النبى(ص)وظهر المعنى فلا عليك فى تسميته (توسلًا) أو (تشفعاً) أو (إستغاثة) أو

(تجوها) أو (توجهاً) لأن المعنى فى جميع ذلك سواء:

أما التشفع: فقد سبق فى الأحاديث المتقدمة قول وفد بنى فزارة للنبى (ص): تشفع لنا الى ربك وفى حديث الأعمى ما يقتضيه أيضاً.

والتوسل: فى معناه.

وأما التوجه والسؤال: ففى حديث الأعمى.

والتجوه: فى معنى التوجه قال تعالى فى حق موسى عليه السلام:)وكان عند الله وجيهاً. وقال فى حق عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام:)وجيها فى الدنيا والآخرة. وقال المفسرون) وجيهاً (أى ذا جاه ومنزلة عنده. وقال الجوهرى فى فعل (وجه): وجه إذا صار وجيها ذا جاه وقدر. وقال الجوهرى أيضاً فى فعل (جوه): الجاه القدر والمنزلة وفلان ذو جاه وقد أوجهته ووجهته أنا أى جعلته وجيهاً (۱). وقال ابن فارس: فلان وجيه ذو جاه(۲).

إذا عرف ذلك فمعنى (تجوه) توجه بجاهه وهو منزلته وقدره عند الله تعالى إليه.

وأما الإستغاثة: فهى طلب الغوث. وتارة يطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالى وحده كقوله تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ.

وتارة يطلب ممن يصح اسناده إليه على سبيل الكسب، ومن هذا النوع الإستغاثة بالنبى(ص)فى هذين القسمين.

وتعدى الفعل تارة بنفسه، كقوله تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ. فاستغاثة الذى من شيعته. وتارة بحرف الجر، كما فى كلام النحاة فى المستغاث به، وفى كتاب سيبويه رحمه الله: فاستغاث بهم ليشتروا له كليبا.

فيصح أن يقال:استغثت النبى (ص)، وأستغيث بالنبى بمعنى واحد، وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه، على النوعين السابقين فى التوسل من غير فرق، وذلك فى حياته وبعد موته.

ويقول: استغثت الله، واستغيث بالله، بمعنى طلب خلق الغوث منه، فالله تعالى مستغاث. فالغوث منه خلقاً وايجاداً، والنبى(ص)مستغاث والغوث منه تسبباً وكسباً.

ولا فرق فى هذا المعنى بين أن يستعمل الفعل متعديا بنفسه أو لازماً أو متعدياً بالباء.

وقد تكون الإستغاثة بالنبى(ص)على وجه آخر، وهو أن يقول: استغثت الله بالنبى(ص)، كما يقول: سألت الله بالنبى(ص)، فيرجع إلى النوع الأول من أنواع التوسل، ويصح قبل وجوده وبعد وجوده.

وقد يحذف المفعول به ويقال: استغثت بالنبى(ص)، بهذا المعنى.

فصار لفظ الإستغاثة بالنبى(ص)له معنيان:

أحدهما: أن يكون مستغاثاً.

والثانى: أن يكون مستغاثاً به، والباء للإستعانة.

فقد ظهر جواز إطلاق (الإستغاثة) و (التوسل) جميعاً وهذا أمر لا يشك فيه، فإن (الإستغاثة) فى اللغة طلب الغوث وهذا جائز لغة وشرعاً من كل من يقدر عليه بأى لفظ عبر عنه كما قالت أم إسماعيل: أغث ان كان عندك غواث.

- وقال فى/۳۱۹:

قد تضمنت الأحاديث المتقدمة أن روح النبى (ص) قد قيل فى ذلك بالنسة الى الأنبياء وسائر الموتى وقد رتبنا الكلام فى هذا الباب على فصول:

الفصل الأول: فيما ورد فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صنف الحافظ أبو بكر البيهقى رحمه الله فى ذلك جزء وروى فيه أحاديث منها: (الأنبياء صلوات الله عليهم أحياء فى قبورهم يصلون).

ورواه ابن عدى فى (الكامل أنا غير واحد أذناً عن ابن المقير عن ابن الشهرزورى أنا اسماعيل بن مسعدة أنا حمزة بن يوسف أنا أحمد بن عدى الحافظ قال: ثنا قسطنطين بن عبدالله الرومى مولى المعتمد على الله أمير المؤمنين ثنا الحسين بن عرفة حدثنى الحسن بن قتيبة

المدائنی ثنا المتسلم بن سعید الثقفی عن الحجاج الأسود عن ثابت البنانی عن أنس قال: قال رسول الله (ص): (الأنبیاء صلوات الله علیهم أحیاء فی قبورهم یصلون).

قال ابن عدی: وللحسن بن قتیبة هذا أحادیث غرائب حسان فأرجو أنه لابأس به.

ومما یدل علی ذلک ما ساق اسناده الی أوس بن أوس قال: قال رسول الله (ص): (أفضل أیامکم یوم الجمعة وفیه خلق آدم وفیه قبض وفیه النفخة وفیه الصعقة فأکثروا علیَّ من الصلاة فیه، فإن صلاتکم معروضة).

قالوا: وکیف تعرض صلاتنا علیک وقد أرمت؟ - یقولون: بلیت - فقال: إن الله تعالی حرم علی الأرض أن تأکل أجساد الأنبیاء أخرجه أبو داود.

قال البیهقی: وله شواهد منها:

ما أنا أبو عبدالله أنا ابن اسحاق الفقیه أنا الآبار ثنا أحمد بن عبدالرحمان ثنا الولید ثنا أبو رافع عن سعید المقبری عن أبی مسعود الأنصاری عن النبی(ص)أنه قال: (أکثروا الصلاة علی فی یوم الجمعة فانه لیس یصلی علی أحد یوم الجمعة إلا عرضت علی صلاته).

وحدیث: (ما من أحد یسلم علی إلا رد الله علی روحی حتی أرد).

قال البیهقی وانما أراد - والله أعلم - إلا وقد رد الله علی روحی حتی أرد علیه.

وقد ثبت فی الصحیح فی حدیث الإسراء: أنه(ص)وجد آدم فی السماء الدنیا وقال فیه: (فإذا رجل عن یمینه أسودة وعن یسارة أسودة فاذا نظر قبل یمینه ضحک وإذا نظر قبل شماله بکی فقال: مرحبا بالنبی الصالح والإبن الصالح)

ومن الأحادیث الصحیحة المتفق علیها نداؤه(ص)أهل البئر وقوله: (ما أنتم بأسمع لما أقول منهم).

وأما الإدراک: فیدل له مع ذلک الأحادیث الواردة فی عذاب القبر وهی أحادیث صحیحة متفق علیها رواها البخاری ومسلم وغیرهما وأجمع علیها وعلی مدلولها أهل السنة والأحادیث فی ذلک متواترة.

ومن أحسنها ما رواه أبو داود الطیالسی أنا أبو العباس أحمد بن محمد الدشتی بقراءتی علیه بالشام فی سنة سبع وسبعمائة قال: أنا الحافظ ابن خلیل أنا اللبان أنا الحداد أنا أبو نعیم أنا ابن فارس ثنا یونس بن حبیب ثنا أبو داود الطیالسی ثنا الأسود بن شیبان عن بحر بن مرار(۱) عن أبی بکرة قال: بینما أنا أمشی مع رسول الله(ص)ومعی رجل ورسول الله(ص)فی مشی بیننا اذ أتی علی قبرین فقال رسول الله (ص): (إن صاحبی هذین القبرین لیعذبان الآن فی قبورهما فأیکما یأتینی من هذا النخل بعسیب؟).

فاستبقت أنا وصاحبی فسبقته وکسرت من النخل عسیباً فأتیت به النبی(ص)فشقه نصفین من أعلاه فوضع علی أحدهما نصفاً وعلی الآخر نصفاً وقال: (إنه یهون علیهما ما دام فیهما من بلوتهما شئ إنهما یعذبان فی الغیبة والبول... وفی هذه الروایة النص علی أن العذاب الآن وأنه فی القبور.

وقد أجمع أهل السنة علی اثبات الحیاة فی القبور قال إمام الحرمین فی الشامل: إتفق سلف الأمة علی إثبات عذاب القبر وإحیاء الموتی فی قبورهم ورد الأرواح فی أجسادهم.

وقال الفقیه أبو بکر بن العربی فی (الأمد الأقصی فی تفسیر أسماء الله الحسنی:

إن أحیاء المکلفین فی القبر وسؤالهم جمیعاً لا خلاف فیه بین أهل السنة.

وقال سیف الدین الآمدی فی کتاب أبکار الأفکار:

اتفق سلف الأمة قبل ظهور المخالف وأکثرهم بعد ظهوره علی إثبات إحیاء الموتی فی قبورهم ومسألة الملکین لهم، واثبات عذاب القبر للمجرمین والکافرین...

وقال القرطبی: إن الإیمان به مذهب أهل السنة والذی علیه الجماعة من أهل الملة ولم یفهم الصحابة الذین نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبیهم علیه السلام غیر ذلک وکذلک التابعون بعدهم وذهب بعض المعتزلة إلی موافقة أهل السنة علی ذلک.

وذهب صالح قبة والصالحى وابن جرير إلى أن الثواب والعقاب ينال الميت من غير حياة وهذا مكابرة للعقول...

وقد تلخص من هذا: أن الروح تعاد إلى الجسد ويحيا وقت المسألة وأنه ينعم أو يعذب من ذلك الوقت إلى يوم البعث إما متقطعاً أو مستمراً على ما سبق.

وهل ذلك من بعد وقت المسألة إلى البعث للروح فقط أو لها مع الجسم؟

يترتبان على أن الجسم هل يفنى أو يتفرق وكلا الأمرين جائز عقلاً وفى الواقع منه قولان للمتكلمين ولم يرد فى الشرع ما يمكن التمسك به فى ذلك إلا قوله (ص): (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب).

فحيث يكون الجسم أو بعضه باقياً فلا امتناع من قيام الحياة به وحيث يعدم بالكلية يتعين القول بالروح فقط...

وبالجملة: كل أحد يعامل بعد موته كما كان يعامل فى حياته ولهذا يجب الأدب مع النبى(ص)بعد موته كما كان فى حياته.

وقد روى عن أبى بكر الصديق (رض) قال: لا ينبغى رفع الصوت على نبى حيا ولا ميتاً.

وروى عن عائشة رضى الله عنها: أنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب فى بعض الدور المطيفة بمسجد رسول الله(ص)فترسل اليهم: لا تؤذوا رسول الله(ص)...

وعن عروة قال: وقع رجل فى على عند عمر بن الخطاب فقال له عمر بن الخطاب: قبحك الله لقد آذيت رسول الله(ص)فى قبره.

كتاب رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة

للشيخ محمود سعيد ممدوح – طبعة دار الإمام النووى – الأردن ۱۴۱۶

قال فى/۵:

وبعد.. فإن مسألتى التوسل والزيارة من المسائل التى شغلت الناس كثيراً، وصنفت فيهما – خاصة مسالة التوسل – مصنفات متعددة، وحصل أخذ ورد وجدل، وتزيد! وتاجر بهما سماسرة الإختلاف بين المسلمين!

ومما زاد الطين بله أن سبكهما المتشددون فى مسائل الإعتقاد..!!

وقد حصل بسببهما الخوض فى أعراض كثير من أئمة الدين، وتطاول فى أعراض جماهير المسلمين. ومن أحاط علما بما ذكرت علم كم صحب ذلك من النهى الشديد والتخويف والتهديد، وقد تلاحقت أقلام فى ذلك كان من آخرها رسالة باسم (الأخطاء الأساسية فى توحيد الألوهية الواقعة فى فتح البارى) شنع فيها صاحبها على الحافظ ابن حجر لتجويزه التوسل، وقوله بإستحباب الزيارة! وهذا غاية فى الغلو والتعصب والجهل! فيا للعار والشنار: قاضى قضاة المسلمين وشيخ المحدثين وامامهم، ومفخرة المسلمين، أحمد بن حجر العسقلانى (رض) تصنف – بدون حياء – رسالة تحوى هذا المعنى الذى لا يدل إلا على مبلغ إنحراف مصنفها المسكين...

والغرض من هذا المصنف بعد بيان الحق فى الأحاديث، هو أن الخلاف فى مسألة التوسل هو خلاف فى الفروع، ومثله لا يصح أن يشنع أخ به على أخيه أو يعيبه به، وأن من قال به – وهو التوسل بالأنبياء والأولياء – متمسك بأدلة ثابتة ثبوت الجبال الرواسى وردها لا يجئ إلا من متعنت أو مكابر.

وأما المقصود فى مسألة الزيارة فهو اثبات اطباق فقهاء الأمة على أستحباب أو وجوب زيارة المصطفى صلى الله عليه وآله، بشد رحل أو بدونه، وأن من قال بتحريم الزيارة المستوجبة لشد الرحل قد ابتدع وخالف النصوص الصريحة، واطباق فقهاء مذهبه، فضلاً عن المذاهب الأخرى.

فأولى بأولى النهى ترك الشاذ من القول، والتسليم بالمعروف المشهور الذى أطبقت الأمة على العمل به، والله المستعان.

أما من تعود أن يقول: عنزة ولو طارت، أو يا داخل مصر مثلك كثير، فهو مكابر أو متعنت، فلا كلام لنا معه، فقد خالف صريح الدليل وخالف أعيان الأئمة وسرج الأمة...

- وقال فی/۱۳:

وکون الوسیلة هی القربة لا خلاف بین المفسرین فی ذلک، کما صرح به ابن کثیر فی تفسیره (۳/۹۷) وقال (الوسیلة هی ما یتوصل بها إلی تحصیل المطلوب). اهـ

فقول بعضهم: إن التوسل هو اتخاذ واسطة بین العبد وربه، خطأ محض! فالتوسل لیس من هذا الباب قطعاً، فالمتوسل لم یدع إلا الله وحده، فالله وحده هو المعطی والمانع والنافع والضار، ولکنه اتخذ قربة رجاء قبول دعاءه، والقربة فی الدعاء مشروعة بالإتفاق.

وترد الوسیلة بمعنی المنزلة کما فی الحدیث الصحیح المشهور: سلوا الله لی الوسیلة.. الحدیث...

والتوسل علی نوعین: أحدهما ما اتفق علیه. وترک الخوض فیه صواب، لأنه تکرار وتحصیل حاصل.

ثانیهما: ما اختلف فیه، وهو السؤال بالنبی أو بالولی أو بالحق أو بالجاه أو بالحرمة أو بالذات، وما فی معنی ذلک.

وهذا النوع لم یر المتبصر فی أقوال السلف من قال بحرمته، أو أنه بدعة ضلالة أو شدد فیه وجعله من موضوعات العقائد، کما نری الآن.

لم یقع هذا إلا فی القرن السابع وما بعده!

وقد نقل عن السلف توسل من هذا القبیل...

- وقال فی/۱۵:

وقد أکثر ابن تیمیة من بحث النوع الثانی من التوسل فی مصنفاته قائلاً بمنعه، وقلده وردد صدی کلامه آخرون. ویحسن ذکر کلام ابن تیمیة مع بیان ما فیه، واقتصاری علی کلامه فقط هو الأولی، لأن من تشبث بکلامه لا یزید عن کونه متشبعا من موائده، دائراً فی فلکه، والله المستعان:

کان ابن تیمیة یری منع التوسل بالأنبیاء والملائکة والصالحین، وقال: التوسل حقیقته هو التوسل بالدعاء - دعاء الحی فقط - وذکر ذلک فی مواضع من کتابه (التوسل والوسیلة) (/۱۶۹).

وقال ابن تیمیة (/۶۵) وهو الإعتراض الأول:

السؤال به (أی بالمخلوق) فهذا یجوزه طائفة من الناس، لکن ما روی عن النبی(ص)فی ذلک کله ضعیف بل موضوع، ولیس عنه حدیث ثابت قد یظن أن لهم فیه حجة، إلا حدیث الأعمی ولا حجة لهم، فانه صریح فی أنه انما توسل بدعاء النبی(ص)وشفاعته، وهو طلب من النبی(ص)الدعاء، وقد أمره النبی أن یقول: اللهم شفعة فی، ولهذا رد الله علیه بصره لما دعا له النبی، وکان ذلک مما یعد من آیات النبی(ص)، ولو توسل غیره من العمیان الذین لم یدع لهم النبی (ص)بالسؤال به لم تکن حالهم کحاله. اهـ

قلت: قوله کله ضعیف بل موضوع ولیس عنه حدیث ثابت قد یظن أن لهم فیه حجة إلا.. سیأتی ان شاء الله تعالی الرد علی هذا الکلام فی تخریج الأحادیث، ففیها الصحیح والحسن والضعیف عند أئمة هذا الشأن، ووفق قواعد الفن.

أما قوله: إلا حدیث الأعمی لا حجة لهم فیه، فانه صریح فی أنه انما توسل بدعاء النبی(ص)وشفاعته... وکلامه فیه نظر ظاهر، لأن الناظر فی حدیث توسل الأعمی یجد فیه الآتی:

۱ - جاء الأعمی للنبی(ص)فقال له: ادع الله أن یعافینی، فالأعمی طلب الدعاء.

۲ - فأجابه النبی(ص)قائلاً: إن شئت أخرت ذلک وهو خیر، وإن شئت دعوت. فخیره رسول الله(ص)وبین له أن الصبر أفضل.

۳ - ولکن لشدة حاجة الأعمی، التمس الدعاء من النبی(ص).

۴ - عند ذلک أمره النبی(ص)أن یتوضأ فیحسن وضوءه ویصلی رکعتین.

۵ - وزاد علی ذلک هذا الدعاء: اللهم إنی أسألک وأتوجه إلیک بنبیک محمد نبی الرحمة. یا محمد إنی توجهت بک إلی ربی فی حاجتی فتقضی لی.

فدعا النبی(ص)بهذا الدعاء، کما طلب الأعمی فی أول الحدیث، ودعا الأعمی بهذا الدعاء کما علمه النبی(ص).

۶ - فعلمه النبی(ص)دعـاء هو توسل به، وهو نص فی التوسل به(ص)، لا یحتمل أی تاویل، وکیف یحتمل غیر التوسل به وفیه (أتوجه إلیک بنبیک.. إنی توجهت بک. ومن رأی غیر ذلک فقد استعجم علیه الحدیث.

وابتهج الألبانی فی توسله بکلام ابن تیمیة فردده قائلاً (۷۲/): وعلی هذافالحادثـة کلها تدور حول الدعاء - کما هو ظاهر - ولیس فیها ذکر شئ مما یزعمون. اهـ

قلت: هذه مصادرة للنص وتعمیة علی القارئ!

کیف لا یکون کذلک والنبی(ص)علم الرجل دعاء فیه السؤال بالنبی(ص).

نعم، الحادثة تدور حول الدعاء، ولکن السؤال هنا ما هو الدعاء الذی دعا به النبی(ص)؟ وما هو الدعاء الذی علمه للرجل الأعمی؟

لاـ یستطیع أی منصف إلاـ الإجابـة بأن هـذا الـدعاء هو الـذی فیه نص بالتوسل به(ص)، فالأعمی جاء یطلب مطلق الـدعاء برد بصـره، وعلمه(ص) وأمره بالتوسل به لیتحقق المطلوب.

۷ - ثم قال (ص): اللهم شفعه فی وشفعنی فی نفسی، أی تقبل شفاعته أی دعاءه فی وتقبل دعائی فی نفسی.

وهنا سؤال: أی دعاء هنا الـذی یطلب قبوله؟ لا شک أن الإجابـة علیه ترد بداهة فی ذهن أی شـخص، إنه الدعاء المذکور فیه التوسـل به(ص)، وهذا لا یحتاج لأعمال فکر أو اطالة نظر وتأمل، وهو واضح وضوح الشـمس فی رابعة النهار. ویمکن أن یقال: إن سؤال قبول الشفاعة هو توسل بدعائه(ص)، مع التوسل بذاته وهذا منتهی ما یفهم من النص، والله أعلم.

۸ - فسبب رد بصـر الأـعمی هو توسـله بـالنبی(ص)، وهـذا مـا فهمه الأئمـة الحفاظ الـذین أخرجوا الحـدیث فی مصـنفاتهم، فـذکروا الحـدیث علی أنه من الأدعیـة التی تقال عنـد الحاجات. فقال البیهقی فی دلائل النبوة (۶/۱۶۶) باب: ما جاء فی تعلیمه الضـریر ما کان فیه شفاؤه حین لم یصبر، وما ظهر فی ذلک من آثار النبوة. ا هـ

ولا یخفی أن تعلیمه للضریر هو الدعاء الذی فیه التوسل بالذوات، وعبارة البیهقی واضحة جدا. والبیهقی حافظ فقیه.

وهکـذا ذکره النسـائی، وابن السـنی فی عمـل الیوم واللیلـة، والترمـذی فی الـدعوات والطبرانی فی الـدعاء، والحاکم فی المسـتدرک، والمنذری فی الترغیب والترهیب، والهیثمی فی مجمع الزوائد فی صلاة الحاجة ودعائها، والنووی فی الأذکار علی أنه من الاذکار التی تقال عند عروض الحاجات، وابن الجزری فی العدة فی باب صلاة الضر والحاجة (۱۶۱/).

وقال القاضـی الشوکانی فی تحفة الذاکرین (۱۶۲/): وفی هـذا الحـدیث دلیـل علی جواز التوسل برسول الله(ص)الی الله عز وجل، مع إعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالی، وأنه المعطی المانع، ما شاء الله کان وما لم یشأ لم یکن. ا هـ

واستقصاء الحفاظ الذین فهموا أن الحدیث علی عمومه، وإستعمال الدعاء الوارد فیه الذی فیه التوسل به(ص)، یطول.

۹ - إن عثمـان بن حنیف (رض) وهو راوی الحـدیث فهم من الحـدیث العموم، فقـد وجه رجلا یریـد أن یـدخل علی عثمان بن عفان (رض) إلی التوجه بالدعاء المذکور فی الحدیث الذی فیه التوسل بالنبی(ص)، إسناده صحیح سیأتی إن شاء الله تعالی.

وفهم الصحابی الجلیل عثمان بن حنیف (رض)، هو ما لا یستقیم فهم الحدیث إلا به.

۱۰ - إن روایة ابن أبی خیثمة للحدیث من طریق حماد بن سـلمة الحافظ الثقة فیها (فإن کانت حاجة فافعل مثل ذلک) وهی زیادة ثقة حافظ، فهی صـحیحة مقبولة، کما هو معلوم ومقرر فی علوم الحدیث. وهذه الروایة تدل علی العموم وطلب العمل بالحدیث فی الحیاة وبعد الممات، إلی قیام الساعة.

ثم قال ابن تیمیة: ولو توسل غیره من العمیان الذین لم یدع لهم النبی فی بالسؤال به لم تکن حالهم کحاله. اهـ

وقـال ابن تیمیـة فی موضع آخر: وکـذلک لو کـان أعمی توسـل به(ص)ولم یـدع له الرسول(ص)بمنزلـة ذلـک الأعمی، لکان عمیان الصحابة أو بعضهم یفعلون مثل ما فعل الأعمی، فعدولهم عن هذا إلی هذا دلیل علی أن المشروع ما سألوه دون ما ترکوه. ا هـ

قلت: الجواب عليه سهل ميسور، وكنت أود أن لا أرد هذا الإيراد، لكنني رأيت جماعة أخذوا هذا الإيراد ونسبوه لأنفسهم، وكان الصواب ألا يذكر لفساده، أو يذكر مع نسبته لقائله!

ومن الذين نسبوه لأنفسهم الألباني فإنه قال في توسله (/۷۶):

لو كان السر في شفاء الأعمى أنه توسل بجاه النبي(ص)وقدره وحقه كما يفهم عامة المتأخرين، لكان المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه(ص)، بل ويضمون إليه أحيانا جاه جميع الأنبياء المرسلين، وكل الأولياء والشهداء والصالحين، وجاه كل من له جاه عند الله من الملائكة والإنس والجن أجمعين.

ولم نعلم ولا نظن أحداً قد علم حصول مثل هذا خلال هذه القرون الطويلة بعد وفاته(ص)الى اليوم. اهـ

وذكر نحو هذا الإيراد صاحب (التوصل إلى حقيقة التوسل)/۲۴۳، وكذا المتعالم صاحب (هذه مفاهيمنا)/۳۷.

والجواب على هذا الإيراد بالآتي:

۱ – إجابة الدعاء ليست من شروط صحة الدعاء، وقد قال الله تعالى (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) ونحن نرى بعض المسلمين يدعون فلا يستجاب لهم، وهذا الإيراد يأتي على الدعاء كله، فانظر إلى هذا الإيراد أين ذهب بصاحبه؟

۲ – هذا الإيراد يرد عليه احتمال أقوى منه وحاصله: أن عدم توسل عميان الصحابة وغيرهم إحتمال فقط لا يؤيده دليل، وهم إما توسلوا فاستجيب لهم، أو تركوا رغبة في الآجر، أو توسلوا وادخر ذلك أجراً لهم، أو تعجلوا فما استجيب لهم.

وقد صح أن رسول الله(ص)قال (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: قد دعوت فلم يستجب لي) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وكم من داع متوسلاً لله بأسمائه وصفاته ولم يستجب له، ويلزم هؤلاء إشكال وهو أننا نرى من يدعو ويتوسل بأسماء الله وصفاته أو بعمله الصالح أو بدعاء رجل صالح ولم نر إجابة الدعاء.

هذا من تمام الحجة عليهم ونقض إيرادهم! فلا تلازم بين الدعاء والإجابة. والله أعلم بالصواب.

على أن قول الألباني: لا نعلم ولا نظن أحداً.. إلخ. تهافت وشهادة على نفي لا ينخدع بها إلا مسلوب العقل.

تذنيب مفيد لكل لبيب:

بعد أن تبين لك دلالة الحديث الواضحة على التوسل بالنبي(ص)، وأن المخالف متسنم بيتا من بيوت العنكبوت.. تجد أن من هؤلاء المخالفين من لم يستطع تحت قوة الدليل إلا الإعتراف بجواز هذا التوسل، وأنه لا غبار عليه فشكك في شبهاته وأسقط كلامه!!

إنه الألباني الذي قال في توسله (/۷۷):

على أنني أقول: لو صح أن الأعمى انما توسل بذاته(ص)فيكون حكماً خاصاً به (ص)، لا يشاركه فيه غيره من الأنبياء والصالحين، وإلحاقهم به مما لا يقبله النظر الصحيح، لأنه(ص)سيدهم وأفضلهم جميعاً، فيمكن أن يكون هذا مما خصه الله به عليهم، ككثير مما يصح به الخبر، وباب الخصوصيات لا تدخل فيه القياسات، فمن رأى أن توسل الأعمى كان بذاته(ص)فعليه أن يقف عنده ولا يزيد عليه، كما نقل عن الإمام أحمد والشيخ العز بن عبد السلام رحمهما الله تعالى. هذا هو الذي يقتضيه البحث العلمي مع الإنصاف والله الموفق للصواب). اه

فقل لي بربك لماذا كان كل هذا المراء من أساسه، وترك الدليل إلى التقليد؟

بيد أن عبارته فيها هنات لا تخفى، فقصره بالتوسل بالنبي(ص)فقط لا دليل عليه، وهو تخصيص بدون مخصص، فالخصوصية لاتثبت إلا بدليل.

وإذا كان الإمام أحمد رحمه الله يجوز التوسل بالنبي(ص)، فلم ينقل عنه المنع من التوسل بغيره، ومن نقل عنه ذلك يكون قد افتأت عليه، والحنابلة وهم أعرف بامامهم لم يذهبوا إلى القصر الذي ادعاه الألباني! فيقول ابن مفلح الحنبلي في الفروع (۱/۵۹۵): (ويجوز التوسل بصالح وقيل يستحب قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمروزي انه يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسله في دعائه، وجزم به في

المستوعب وغيره). اه.

وقال في/٣١:

وقال عمر بن حمزة: حدثنا سالم عن أبيه: ربما ذكرت قول الشاعر وأنا انظر إلى وجه النبي(ص)يستسقى، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل وهو قول أبي طالب والشاهد فيه قوله: (يستسقى الغمام بوجهه) فتمثل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بقول أبي طالب، وتذكره له مع النظر للنبي(ص)، يدل على توسله بالنبي(ص)في الإستسقاء، وهو نص لا يحتمل غيره.

وقد أجاب الشيخ بشير السهسواني على هذا النص الصريح اجابة مندفعة فقال (/٣٧٣): فإن قلت: لفظ (يستسقى الغمام بوجهه) يدل على أن التوسل بالذوات الفاضلة جائز؟

قلت: المكروه من التوسل هو أن يقال أسألك بحق فلان أو بحرمة فلان، وأما احضار الصالحين في مقام الاستسقاء، أو طلب الدعاء منهم فهو ليس من المكروه في شئ، بل هو ثابت بالسنة الصحيحة. اه.

وقال في موضع آخر (/٢٧٤): وإذا كان حضور الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والضعفاء سببا للنصر والفتح، فما ظنك بحضور سيد ولد آدم(ص)؟ اه.

ثم قال في (/٢٧٥): فالمراد بوجهه في قول أبي طالب: (يستسقى بوجهه) ببركة حضور ذاته أو بدعائه. ا ه.

قلت وبالله التوفيق: صرف السهسواني هذا التوسل إلى التبرك بالذات أوالدعاء فيه نظر، أما الدعاء فظاهر أن كون المراد بيستسقى بوجهه ببركة حضوره فيمكن أن يكون كذلك ان كان التبرك والتوسل عنده مترادفان وهو الصواب، وهو ما صرح به البدر العيني فقال في عمدة القارى (٧/٣٠):

معنى قول أبي طالب هذا في الحقيقة توسل إلى الله عز وجل بنبيه، لأنه حضر استسقاء عبد المطلب والنبي(ص)معه، فيكون استسقاء الناس الغمام في ذلك الوقت ببركة وجهه الكريم. ا ه.

وإن لم يكن، فلفظة (يستسقى الغمام بوجهه) هو عين التوسل، ولابد من حمل النص على ظاهره، ولا يصرف إلا بدليل ولا صارف هنا. والله أعلم.

وللعلامة محمد بن على الشوكاني كلمة في جواز التوسل بالأنبياء وغيرهم من الصالحين رد فيها على من منعه وفند ايراداته، فقال رحمه الله في كتابه (الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد) ما نصه:

أما التوسل إلى الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه، فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه لا يجوز التوسل إلى الله تعالى إلا بالنبي(ص)ان صح الحديث فيه.

ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه، والترمذي وصححه، وابن ماجه، وغيرهم، أن أعمى أتى النبي...

وعندى أنه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي(ص)كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين: الأول، ما عرفناك به من إجماع الصحابة رضى الله تعالى عنهم.

والثاني، ان التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون فاضلًا إلا بأعماله، فاذا قال القائل: اللهم إني أتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو بإعتبار ما قام به من العلم. وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي(ص)حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل...

فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز، أو كان شركا كما زعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السلام ومن قال بقوله من أتباعه، لم تحصل الإجابة لهم ولا سكت النبي(ص)عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم!

وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسل بالأنبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى) ونحو قوله

تعالى (فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا)، ونحو قوله تعالى (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) ليس بوارد، بل هو من الإستدلال على محل النزاع بما هو أجنبى عنه... وهكذا الإستدلال على منع التوسل بقوله(ص)لما نزل قوله تعالى (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ أَلأَقْرَبِينَ) يا فلان ابن فلان لا أملك لك من الله شيئاً، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئاً، فإن هذا ليس فيها إلا التصريح بأنه(ص)لا يستطيع نفع من أراد الله ضره ولا ضر من أراد الله تعالى نفعه، وأنه لا يملك لأحد من قرابته فضلًا عن غيرهم شيئاً من الله. وهذا معلوم لكل مسلم، وليس فيه أنه لا يتوسل به إلى الله، فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهى، وانما أراد الطالب أن يقدم بين يدى طلبه ما يكون سبباً للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع، وهو مالك يوم الدين. انتهى كلام الشوكانى رحمه الله.

- وقال الآلوسى: أنا لا أرى بأساً فى التوسل إلى الله تعالى بجاه النبى(ص)عند الله تعالى حياً وميتاً، ويراد بالجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته فيكون معنى قول القائل: إلهى أتوسل اليك بجاه نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم أن تقضى لى حاجتى، الهى اجعل محبتك له وسيلة فى قضاء حاجتى.

ولا فرق بين هذا وقولك: إلهى أتوسل اليك برحمتك أن تفعل كذا، إذ معناه أيضاً الهى اجعل رحمتك وسيلة فى فعل كذا. انتهى من جلاء العينين (/۵۷۲).

وقال فى/۳۷:

التوسل ليس من مباحث الإعتقاد:

التوسل من موضوعات الفروع، لأن حقيقته اتخاذ وسيلة، أى قربة إلى الله تعالى.

قال الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ).

والتوسل على أنواع، وأمره يدور بين الجواز والندب والحرمة، وماكان أمره كذلك فهو من الأحكام الشرعية التى موضوعها علم الفقه.

واقحام موضوعات الفقه فى التوحيد والعقائد خطأ يجب مجانبته، حتى ينزل كل بحث منزلته.

وهذا الإمام أبو حنيفة يقول: ويكره أن يقول الرجل فى دعائه: أسألك بمعقد العز من عرشك. اهـ (الجامع الصغير للإمام محمد/۳۹۵ مع النافع الكبير) فعبر الإمام أبوحنيفة رحمه الله بقوله (يكره) فدار الأمر بين الكراهة التنزيهية أو التحريمية، كما قرره أصحابه فى كتاب (الكراهية) أو الحظر والإباحة من مصنفاتهم الفقهية.

والسادة الفقهاء يذكرون التوسل فى باب الإستسقاء، وعند زيارة قبر النبى(ص).

أما سلك بحث التوسل فى العقائد وجعله وسيلة من وسائل الشرك، فبدعة قد حلت بالمسلمين ومسلك قد زرع العداوة بينهم، ونفخ فى بوق الخلاف بين الأخ وأخيه والأب وابنه.

ومن قلب النظر فى عشرات الكتب والرسائل التى يصنفها بعض المعاصرين التى تتحدث عن (منهج أهل السنة والجماعة) و (أصول أهل السنة) و (عقيدة الفرقة الناجية أو (العقيدة الصحيحة) و (مجمل أصول أهل السنة والجماعة). وخصائص... و مميزات... لرأى الهول والجهل معا ووقف على أنواع من التشدد كادت أن تأتى على الأخضر واليابس.

وينبغى على العقلاء كشف أوضار وأخطار هؤلاء الجهلة، ومن على شاكلتهم من المتاجرين بالخلاف بين المسلمين.

وإن المرء لا يعجب ممن يأخذ بأحد الرأيين، ولكنه لا ينقضى عجبه ممن يتبع أحد هذين الرأيين، ثم يجعل ما اتبعه هو الحق الذى يجب المصير إليه ويجعل من اختيار الآخرين للرأى الآخر برهان كونهم مبتدعة يجب مفارقتهم ويجب... ويجب... فقل لى بربك أى عالم من علماء الأمة يقر هذا المسلك المتخلف العجيب!

ولطالما اتهم كثير من عباد الله الصالحين بالإبتداع وغيره، وعند المحققة تجد الحق معهم والجهل مع غيرهم، فإلى الله المشتكى مما إليه أمر المسلمين.

وقال فى/۴۱:

ولا بأس أن ألفت نظر القارئ الكريم لنوع من رسائل التهويل والتضليل والتعدى على المسلمين، وما أكثرها.

من هذه الرسائل رسالة باسم (وقفات مع كتاب للدعاة فقط) يعيب المؤلف فيها على صاحب كتاب (للدعاة فقط) مسائل منها قول الإمام حسن البنا رحمه الله: (والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله تعالى بأحد من خلقه خلاف فرعى فى كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة). اه (۲۵/).

وهذا حق لا مرية فيه، ومنكره منكر للمحسوس ومكابر فى الضروريات، ولأن صاحب الرسالة المذكورة وقف على بعض الرسائل التى ترشح بالتهويل والتضليل وتعميق الخلاف بين المسلمين، جرى المسكين فى فلك هذه الرسائل فأبرق لمن يفتيه وفق مراده، فأفاده بعضهم بقوله المضحك المبكى (هو صالح الفوزان):

التوسل فى الدعاء بذوات الصالحين أو حقهم أو جاههم يعتبر أمراً مبتدعاً ووسيلة من وسائل الشرك، والخلاف فيه يعتبر خلافا فى مسائل العقيدة لا فى مسائل الفروع، لأن الدعاء فيه أعظم أنواع العبادة، ولا يجوز فيه إلا ما ورد فى الكتاب والسنة... الخ (۳۱/ - ۳۲).

قلت: لا يخفى أن الأحاديث والاثار الصحيحة والحسنة ترد قوله، ولو استحضر هذا المجيب حديثا واحدا منها، وليكن حديث توسل الأعمى بالنبى(ص) واستعمال عثمان بن حنيف له، وزيادة حماد بن سلمة الصحيحة، وكان مع استحضاره منصفاً وترك تقليد غيره، لأعرض عما تفوه به، فإن أبى ترك التقليد فأولى به تقليد إمامه فى توسله بالنبى(ص)، وجماعة من السلف، كما نقله ابن تيمية فى التوسل والوسيلة/۶۵، ۹۸!

فإذا كان أحمد وجماعة من السلف لايعرفون الشرك ووسائله، وعرفه هذا المستدرك عليهم، فليكن ماعرفه هو سب السلف وأئمة الدين ورميهم بالعظائم لا غير.

نعم الدعاء من أعظم أنواع العبادة، كلمة حق أريد بها باطل، لكن المتوسل لا يدعو إلا الله جل وعز، ولكنه اتباعا لقول بقول الله تعالى (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) توسل فى دعائه. وهذه الوسيلة مختلف فى بعض أنواعها منها ما يجوز، ومنها ما لا يجوز.

فالأمر فيه خلاف وهو ضعيف، ومحل هذا الخلاف موضوع علم الفقه، أما علم العقيدة أو التوحيد فيتكلم فى الإلهيات والنبويات والسمعيات، فلا معنى لإدخال بحث التوسل فى العقيدة، وبون كبير بين العالمين!

وقال فى/۴۷:

وإذا كان صاحب رسالة (وقفات مع كتاب للدعاة فقط) قد اعتمد على غيره، فإن أبا بكر الجزائرى قد اعتمد على نفسه، فزاد الطين بلة، وكفر قسطاً وافراً من المسلمين فقال ما نصه:

إن دعاء الصالحين والإستغاثة بهم والتوسل بجاههم لم يكن فى دين الله تعالى قربة ولا عملاً صالحاً فيتوسل به أبداً، وانما كان شركاً فى عبادة الله محرماً يخرج فاعله من الدين ويوجب له الخلود فى جهنم. انتهى بحروفه من كتابه (عقيدة المؤمن) (۱۴۴/).

والصحيح أن المؤمن لا يعتقد ذلك فى اخوانه المؤمنين الذين يعتقدون ألا مؤثر إلا الله عز وجل، وغاية عملهم أنهم علموا منزلة النبى(ص)عند ربه فتوسلوا به واتبعوا الأدلة الصحيحة، وقد تأسوا فى ذلك بالصحابة رضوان الله عليهم.

وقد أخطأ أبوبكر الجزائرى فكفر عباد الله الصالحين، وهذا التكفير الجزاف لا ارتباط له بكتاب أو سنة، ولا بما عليه السواد الأعظم، ولم يقل ذو عقل ودين بمقولته الفاسدة إلا من كان على رأى الخوارج!! نسأل الله العافية.

وللأسف قد طبع كتابه مرات، وليتأمل القارئ المنصف كم من المسلمين فتنوا بهذا الباطل! والله المستعان.

وقال فى/۴۸:

وإذا كان أبوبكر الجزائرى قد تفوه بالتكفير، فهناك آخر هو محمد صالح العثيمين الذى أصر على اعتبار التوسل من مباحث الإعتقاد واستدل على مقولته بما لم يصرح به مسلم فقال:

وبالنسبة للتوسل فهو داخل فى العقيدة لأن المتوسل يعتقد أن لهذه الوسيلة تاثيراً فى حصول مطلوبه ودفع مكروهه، فهو فى الحقيقة

من مسائل العقیدة، لأن الإنسان لایتوسل بشئ إلا وهو یعتقد أن له تأثیرا فیما یرید. اه

من فتاوی ابن عثیمین (۳/۱۰۰) کما نقله عنه جامع (فتاوی مهمه لعموم الأمة).

قلت: أثبت العرش ثم انقش، فمن الذی أطلعک علی ما فی صدور المتوسلین حتی تصرح بهذه المقولة الشنیعة.

إن ما قاله مناف للإعتقاد تماما، فکل مسلم یعتقد إعتقاداً جازماً أن الله جل وعز هو النافع وهو الضار، وأن المؤثر الحقیقی هو الله، وأنه وحده مسبب لأسباب، فلا فاعل إلا الله، ولا خالق سواه، وإلیه یرجع الأمر کله.

وغایة مافی المتوسل أن یقول: اللهم إنی أسالک أو أتوسل الیک بنبیک(ص)مثلا.

فالمتوسل سأل الله تعالی ولم یسأل سواه، ولم ینسب إلی المتوسل به تأثیراً أو فعلًا أو خلقاً، وانما أثبت له القربة والمنزلة عند الله تعالی، وتلک المنزلة ثابتة له فی الدنیا والآخرة، وإلیه نذهب یوم القیامة طلباً للشفاعة.

ومن اعتقد أن إخوانه المسلمین یعتقدون أن المتوسل به له تأثیر، فیکون قد کفرهم، ووضع نفسه مقام العارف بما فی الصدور!

وهذه فتاوی یضحک بها هؤلاء علی البسطاء لیوضحوا لهم أن المتوسلین من جلدة أخری! وکلام العثیمین ینسحب إلی التوسل کله.

والحق یقال: انه کلام لا ـ علاقة له بالعلم، وکم من حوادث وفتن تتبع هذه الفتاوی، وکم من جاهل کفر أبویه أو أهل خطته بسبب اغتراره بمثل هذه الفتاوی، ولو تمهل المفتی وفکر قلیلا لأدرک سخف مقولته.

والعجب أنه أطلق وما قید، فهل للعمل الصالح المتوسل به تأثیراً بذاته. ومحال أن الصحابة اعتقدوا هذا الإعتقاد فی النبی(ص)، والعباس ویزید عندما توسلوا بهم، ومحال أن یعتقد السلف، ومنهم الإمام أحمد الذین توسلوا بالنبی(ص) (کما صرح به ابن تیمیة فی التوسل والوسیلة/۹۸) هذا الإعتقاد الفاسد.

والحنابلة یجوزون أو یستحبون التوسل بالنبی(ص)کما صرح إمامهم ابن قدامة بذلک فی المغنی، فهل یراهم یعتقدون مثل هذا الإعتقاد؟!!

إن من الآفات المردیة التسرع فی رمی العباد بالعظائم.

والحاصل أن ماقاله العثیمین لا یصلح دلیلًا علی ما ادعی، بل هو مما یدوم ضرره، لأن آثاره نراها دارجة تفرق بین المسلمین! نسأل الله لنا جمیعا الهدایة والتوفیق، ولو حسن الشیخ الظن باخوانه المسلمین لکان له موقف آخر.

کتاب (حقیقة التوسل والوسیلة فی الکتاب والسنة)

والوسیلة ما یتقرب به إلی الغیر. والجمع الوسل، والوسائل، والتوسیل والتوسل واحد، یقال: وسل فلان إلی ربه وسیلة، وتوسل إلیه بوسیلة، إذا اقترب إلیه بعمل.

وهی أیضاً: کل ما جعله الله سبباً فی القربی عنده، ووصلة إلی قضاء الحوائج منه، والمدار فیها علی أن یکون للوسیلة قدر وحرمة عند المتوسل إلیه.

ولفظ الوسیلة عام فی الآیتین، فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبیاء والصالحین، فی الحیاة وبعد الممات، وباتیان الأعمال الصالحة علی الوجه المأثور به وللتوسل بها بعد وقوعها.

أخرج الطبرانی فی معجمه الکبیر والأوسط بسند رجاله رجال الصحیح، وابن حبان والحاکم عن أنس أنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علی رضی الله عنهما، دخل علیها رسول الله.. الحدیث، وفی آخره: أنه لما فرغ من حفر لحدها دخل رسول الله فاضطجع فیه وقال: الله الذی یحیی ویمیت، وهو حی لا یموت، اغفر لأمی فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع علیها مدخلها، بحق نبیک والأنبیاء الذین من قبلی فانک أرحم الراحمین.

ففی هذا الحدیث الثابت، توسله علیه الصلاة والسلام إلی ربه بذاته، التی هی أرفع الذوات قدراً، وباخوانه من النبیین، وجلهم موتی

علیهم جمیعا الصلاهٔ والسلام.

فالتوسل بسیدنا رسول الله، والتوسل بسائر الأنبیاء علیهم الصلاهٔ والسلام، والتوسل بالصالحین من عباد الله سبحانه، والإستغاثهٔ بهم جمیعاً، علی النحو الذی علیه الأمهٔ، من اعتقاد أنهم عباد مکرمون مقبولو الشفاعهٔ، عند الله تعالی بفضله، هو مما أجمعت علیه الأمهٔ، ودل علیه الکتاب، ونطقت به صحاح السنهٔ، وأقوال العلماء.

وجواز التوسل وحسنه یعد بحق من الأمور المعلومهٔ لکل ذی دین، المعروفهٔ من فعل الأنبیاء والمرسلین، وسیر السلف الصالحین والعلماء العوام من المسلمین.

وحسبک من انکار المنکر للإستعانهٔ والتوسل، قول لم یقله عالم قبله، وقد وقفت له علی کلام طویل فی ذلک، رأیت أن أمیل عنه ولا أتتبعه بالنقض والأبطال، فإن دأب القاصدین لإیضاح الدین وإرشاد المسلمین، تقریب المعنی إلی أفهامهم، وتحقیق مرادهم وبیان حکمه وأحکامه.

وعلی أی حال من الأحوال، ومهما بلغ قول المنکر من الإنکار، فإن التوسل بالنبی جائز فی کل حال، قبل خلقه، وبعد خلقه، فی مدهٔ حیاته فی الدنیا، وبعد موته فی مدهٔ البرزخ، وبعد البعث فی عرصات القیامهٔ، والجنهٔ.

وهو علی ثلاثهٔ أنواع:

۱ – النوع الأول: أن التوسل به بمعنی أن طالب الحاجهٔ یسأل الله تعالی به، أو بجاهه أو ببرکته. وله ثلاث حالات:

أما الحالهٔ الأولی: قبل خلقه فیدل علی ذلک آثار عن الأنبیاء الماضین، صلوات الله وسلامه علیهم أجمعین، اقتصرنا منها علی بعض ما تبین لنا صحته، وهو ما رواه الحاکم أبو عبدالله فی المستدرک علی الصحیحین، وعبد الرزاق فی مصنفه، وابن أبی شیبهٔ فی مسنده: عن قتادهٔ عن سعید بن المسیب عن ابن عباس رضی الله عنهما، قال: أوحی الله إلی عیسی یا عیسی آمن بمحمد، وأمر من أدرکه من أمتک أن یؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولاه ما خلقت الجنهٔ والنار، ولقد خلقت العرش علی الماء فاضطرب فکتبت علیه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسکن.

وأما ما ورد من توسل نوح، وابراهیم، وغیرهما من الأنبیاء (علیهم السلام)، فذکره المفسرون، واکتفینا عنه بهذا الحدیث لجودته وتصحیح الحاکم له.

ولا۔ فرق فی هذا المعنی بین أن یعبر عنه بلفظ التوسل، أو الإستعانهٔ، أو التشفع أو التجوه. ولسنا فی ذلک سائلین غیر الله تعالی، ولا داعین إلا إیاه، ویکون ذکر المحبوب أو التعظیم سبباً فی ذلک للإجابهٔ، کما فی الأدعیهٔ الصحیحهٔ المأثورهٔ: أسألک بکل اسم لک، وأسألک بأسمائک الحسنی، وأسألک بأنک أنت الله، وأعوذ برضاک من سخطک، وبمعافاتک من عقوبتک، وبک منک...

أما عن التوسل بدعاء الرسول وشفاعته، فیدل علیه قوله تعالی: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِیماً.

وفی الحدیث الصحیح عن أنس بن مالک (رض)، أن رجلاً۔ دخل یوم الجمعهٔ من باب کان وجاه المنبر ورسول الله قائم یخطب، فاستقبل رسول الله قائماً، قال: یا رسول الله، هلکت المواشی، وانقطعت السبل فادع الله أن یغیثنا. قال: فرفع رسول الله یدیه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا...

فالنبی أقر هذا الأعرابی علی التوسل به، وسعی فی تحقیق ما توسل إلیه...

الحالهٔ الثانیهٔ: التوسل به بذلک النوع، بعد خلقه، فی مدهٔ حیاته، فمن ذلک ما رواه أبو عیسی الترمذی فی جامعه فی کتاب الدعوات: عن عثمان بن حنیف أن رجلا ضریر البصر أتی النبی فقال: ادع الله أن یعافنی...

والحالهٔ الثالثهٔ: أن یتوسل به بعد موته، لما رواه الطبرانی فی معجمه الکبیر: عن عثمان بن حنیف أن رجلاً کان یختلف إلی عثمان بن عفان فی حاجهٔ له فکان عثمان لا۔ یلتفت إلیه، ولا ینظر فی حاجته، فلقی ابن حنیف فشکا ذلک إلیه فقال له عثمان بن حنیف: ایت

المیضاة فتوضأ، ثم ایت المسجد فصل فیه رکعتین، ثم قل: «اللهم انی أسألک وأتوجه الیک بنبینا محمد نبی الرحمة، یا محمد إنی أتوجه بک إلی ربک فیقضی حاجتی وتذکر حاجتک...

والإحتجاج بهذا الأثر فهم عثمان بن حنیف (رض) ومن حضره ممن هم أعلم بالله ورسوله.

۲ – النوع الثانی: التوسل به بمعنی طلب الدعاء منه، وذلک فی أحوال: الحالة الأولی: فی حیاته وهذا متواتر...

ولا یصح أن یقول مانع التوسل: أنا لا أمنع التوسل والتشفع لما قدمتم من الآثار والأدلة وإنما أمنع إطلاق التوجه والإستغاثة لأن فیهما إبهام وهو أن المتوجه به، والمستغاث به أعلی من المتوجه علیه والمستغاث علیه.

وهذا لا یعتقده مسلم، ولا یدل لفظ التوجه والإستغاثة علیه فإن التوجه من الجاه والوجاهة، ومعناه: علو القدر والمنزلة.

وقد یتوسل بذی جاه إلی من هو أعلی جاها منه.

الحالة الثانیة: بعد موته فی عرصات القیامة بالشفاعة منه، وذلک مما قام الإجماع علیه وتواترت الأخبار به.

الحالة الثالثة: المتوسطة فی مدة البرزخ، ولا مانع من ذلک، فإن دعاء النبی لربه تعالی فی هذه الحالة غیر ممتنع، وقد وردت الأخبار علی ما ذکرنا من قبل، ونذکر طرفا منه باثبات علمه بسؤال من یسأله، فلا مانع من أن یسأل به الإستسقاء کما کان یسأله فی الدنیا.

۳ – النوع الثالث: من التوسل أن یطلب منه ذلک الأمر المقصود، بمعنی أنه (ص) قادر علی التسبب فیه بسؤاله ربه وشفاعته إلیه، فیعود إلی النوع الثانی فی المعنی، وإن کانت العبارة مختلفة، ومن هذا قول القائل للنبی: أسألک مرافقتک فی الجنة، فقال له (ص): أعنی علی نفسک بکثرة السجود.

والآثار فی ذلک کثیرة، ولا یقصد الناس بسؤالهم ذلک إلا کون النبی (ص) سبباً وشافعاً، ولیس المراد نسبة النبی إلی الخلق والإستقلال بالأفعال، فإن هذا لا یقصده مسلم. فصرف الکلام إلیه ومنعه من باب التلبیس فی الدین والتشویش علی عوام الموحدین!!

وأما الإستغاثة فهی طلب الغوث. وتارة یطلب الغوث من خالقه وهو الله تعالی وحده، کقوله تعالی: إِذْ تَسْتَغِیثُونَ رَبَّکُمْ فَاسْتَجَابَ لَکُمْ.

وتارة یطلب ممن یصح إسناده إلیه، علی سبیل الکسب، ومن هذا النوع الإستغاثة بالنبی(ص)فی هذین القسمین فیصح أن یقال: استغثت بالنبی، وأستغیث بالنبی، بمعنی واحد، وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه علی النوعین السابقین فی التوسل من غیر فرق، وذلک فی حیاته وبعد موته، ویقول: استغثت الله، وأستغیث الله بمعنی طلب خلق الغوث منه.

فالله تعالی مستغاث، والغوث منه خلقاً وایجاداً، والنبی(ص)مستغاث، والغوث منه تسبباً وکسباً.

وقد تکون الإستغاثة بالنبی علی وجه آخر، وهو أن یقول: استغثت بالنبی کما یقول: سألت الله بالنبی، فیرجع إلی النوع الأول من أنواع التوسل، ویصح قبل وجوده وبعد وجوده.

والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل، وجوازه بالنبی(ص)، فی حیاته وبعد وفاته، وکذا بغیره من الأنبیاء والمرسلین، والأولیاء الصالحین، کما دلت علیه الأحادیث السابقة.

ومعاشر أهل السنة لا یعتقدون خلقاً ولا ایجاداً، ولا إعداماً إلا لله تعالی وحده لا شریک له. فلا فرق فی التوسل بالنبی وغیره من الأنبیاء والمرسلین صلوات الله وسلامه علیه وعلیهم أجمعین. وکذلک بالأولیاء والصالحین، لا فرق بین کونهم أحیاءً أو أمواتاً، لأنهم لا یخلقون شیئاً، وانما یتبرک بهم لکونهم أحباء الله تعالی، والخلق والإیجاد لله وحده لا شریک له.

شبهة إنکار التوسل والإستغاثة والرد علیها:

من شبهات الخصم التی یدلس فیها ویموه بها:

۱ – الإنکار علی المتوسلین والمستغیثین، وتکفیرهم وعدهم مشرکین، کعباد الأوثان، بل وجعلهم أسوأ حالاً منهم، واتهامهم أنهم یعتقدون التأثیر لغیر الله تعالی.

۲ – الإنکار علی المستغیثین بالموتی.

۳ – انكار زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وبالأخص سيد المرسلين والإستغاثة به(ص)، إلى رب العالمين.

۴ – إنكار الصلاة فى المساجد التى بها قبور، وعد ذلك من الشرك، ولا ذريعة إلى الشرك.

۵ – إنكار وصول ثواب قراءة القرآن والدعاء والإستغفار للموتى. وغير ذلك مما اعتبره الخصم من أنواع الشرك.

ولتفنيد شبهات الخصم سالفة الذكر هذه، فقد أفردنا لكل شبهة فصلًا مستقلًا تناولنا فيه الرد عليها.

أما الشبهة الأولى فقد استقصينا كلام الخصم، فوجدناه مفتتحا إظهار دعوة مخالفة لأهل الأرض والسماء وهو عارف بضعف حاله، فإن تكفيره لمن خالف بدعته من جميع المسلمين، ونسبتهم إلى الشرك الأكبر، واتخاذه هذا الإتهام ذريعة لتكفيرهم لا دليل له عليه.

هـذه الذريعـة التى اتخـذها هى قوله: إن المشـركين السابقين كانوا مشـركين فى الألوهيـة فقط، وأما مشـركو المسـلمين فنعنى بهم من أشـركوا فى الألوهية والربوبية. وقال أيضاً: إن الكفار فى زمن رسول الله لا يشركون دائماً، بل تارة يشركون، وتارة يوحدون، ويتركون دعـاء الأنبيـاء والصالحين، وذلك أنهم إذا كانوا فى السـراء دعوهم واعتقـدوا بهم، وإذا أصابهم الضـر والشدائـد تركوهم وأخلصوا لله الدين، وعرفوا أن الأنبياء والصالحين لا يملكون ضراً ولا نفعاً.

قـال الخصم هـذا، وحمـل تأويـل جميع الآيـات القرآنيـة التى نزلت فى المشـركين على الموحـدين من أمـة محمـد وتمسـك بهـا فى تكفيرهم.

مجمـل القول فى رد هـذه الشـبهة: أن التوسـل والتشـفع والإسـتغاثة كلها بمعنى واحـد، وليس لها فى قلوب المؤمنين معنى إلا التبرك بذكر أحباب الله تعالى، لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم، سواء أكانوا أحياءً أم أمواتاً. فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى، وهؤلاء سبب عادى فى ذلك، لا تأثير لهم، وذلك مثل السبب العادى فانه لا تأثير له.

فالمسـلم الموحد متى صدر منه اسـناد الشـئ لغير من هو له، يجب حمله على المجاز العقلى، واسلامه وتوحيده، قرينة على ذلك، كما نص على ذلك علماء المعانى فى كتبهم، وأجمعوا عليه.

وأما منع التوسل مطلقاً فلا وجه له مع ثبوته فى الأحاديث الصحيحة، ومع صدوره من النبى(ص)، وأصحابه، وسلف الأمة وخلفها.

والمنكرون للتوسـل، والمـانعون منه، منهم من يجعله حراماً، ومنهم من يجعله كفراً وإشـراكاً! وكل ذلك باطل، لأنه يؤدى إلى اجتماع معظم الأمـة على الحرام والإشـراك، لأن من تتبع كلام الصـحابة والعلماء من السـلف والخلف يجد التوسل صادراً منهم، بل ومن كل مؤمن فى أوقـات كثيرة، وإجتمـاع أكثرهم على الحرام أو الإشـراك لاـ يجوز، لقوله(ص)فى الحـديث الصـحيح: لاـ تجتمع أمتى على ضلالة.

كمـا أن المنع من التوسـل والإسـتغاثة بالكليـة مصـادم للأحاديث الصـحيحة، ولفعل السـلف والخلف، فعليك باتباع الجمهور والسواد الأـعظم. يقول سـبحانه وتعـالى: وَمَنْ يُشَـاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْـدِ مَـا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُـدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيـلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَـا تَوَلَّى وَنُصْـلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا.

يقول رسول الله (عليهما السلام): عليكم بالسواد الأعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

هؤلاـء المنكرون للتوسـل والزيـارة، فـارقوا الجماعــة والسـواد الاـعظم، وعمـدوا إلى آيـات كـثيرة مـن آيـات القرآن الـتى نزلـت فى المشـركين، فحملوهـا على المؤمنين الـذين تقع منهم الزيـارة والتوسـل، وتوصـلوا بـذلك إلى تكفير أكثر الأمـة من العلماء والصـلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق، والحق على خلاف ما يقولون ويزعمون.

أما تخيلهم أن منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد، وأن فعل ذلك مما يؤدى إلى الشـرك، فهو تخيل فاسد باطل. فالتوسل والزيارة إذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدى إلى محذور البتة.

والقائل بمنع ذلك سـدا للذريعة متقول على الله، وعلى رسوله(ص)، وكأن هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبى(ص)، فحيثمـا صـدر من أحـد تعظيم له حكموا على فاعله بالكفر والإشـراك، وليس الأمر كما يقولون، فإن الله تعالى عظم النبى

فى القرآن الكريم بأعلى أنواع التعظيم، فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه.

الفصل الثانى شبهة إنكار الإستغاثة بالموتى والرد عليها:

كثر الخوض، واشتد الجدال، وحدث الإنكار، ضد الإستغاثة بالموتى، ومنع النداء لهم، ظنا من المنكرين، أن سائر الموتى من الأنبياء، والمرسلين، والأولياء الصالحين، وعامة المؤمنين لمجرد انتقالهم من دار الحياة الدنيا، صاروا ترابا لا بقاء لهم فى قبورهم، لا يسمعون ولا يدركون. بيد أن الحق على خلاف ما يزعمون، والصواب على غير ما يعتقدون.

والسنة الشريفة ترد عليهم زعمهم فى صراحة قوية، وتبطل قولهم فيما جاء بها من أحاديث صحيحة.

أخرج البخارى ومسلم، وأصحاب السنن، من حديث ابن عمر قال: اطلع رسول الله(ص)على أهل القليب فقال: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا...

وقال الله تعالى: وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فإذا ثبت هذا فى الشهداء وهم من سائر الأمة فى كل زمان، فلا شك أن الأنبياء من باب أولى.

وفى الحديث الصحيح: ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام. فظاهره يقتضى أن روحه الشريفة تفارق جسده الشريف وأنها بالسلام ترد...

يؤيد ذلك ما صح عنه(ص)من قوله: حياتى خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتى خير لكم تعرض علىَّ أعمالكم، ما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شر استغفرت لكم. وفى هذا الباب آثار كثيرة.

وأما شبهتهم فى المنع من النداء لهم فقالوا: إن النداء والخطاب للجمادات، والغائبين، والاموات، من الشرك الذى يباح به الدم والمال، ولا حجة لهم فى ذلك، فإن الأحاديث الصحيحة صريحة فى بطلان قولهم هذا.

إنهم زعموا أن النداء للأموات والغائبين والجمادات يسمى دعاء، وأن الدعاء عبادة، بل هو مخ العبادة. وحملوا كثيراً من الآيات القرآنية التى نزلت فى المشركين على الموحدين، وقد تقدم ذكر كثير من تلك الآيات ورد زعمهم فيها.

وهذا كله منهم تلبيس فى الدين، فانه وان كان النداء قد يسمى دعاء كما فى قوله تعالى: لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً. لكن ليس كل نداء عبادة، ولو كان كل نداء عبادة لشمل ذلك نداء الأحياء والأموات، فيكون كل نداء ممنوعاً مطلقاً، وليس الأمر كذلك، وإنما النداء الذى يكون عبادة هو نداء من يعتقدون ألوهيته واستحقاقه العبادة فيرغبون إليه ويخضعون بين يديه.

الذى يوقع فى الإشراك هو إعتقاد ألوهية غير الله تعالى، وأما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته ولا تأثيره فانه ليس عبادة...

المجلد۵

فهرست مطالب كتاب: العقائد الإسلامية (المجلد ۵)

العقائد الإسلامية (المجلد ۵)
مقدمة
عقيدة اليهود نفى الحكمة عن الله تعالى و نفى العصمة أنبيائه
لماذا يحسد اليهود الشعوب التى عندها مقدسات
لم يكن اليهود موحدين حتى فى عصور أنبيائهم
الالحاد الصريح فى اليهود الماضين والمعاصرين
افتراء اليهود على الله تعالى و نفيهم عنه العلم والعدل

وصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق
و وصفوه بالطيش والغضب والظلم
و افتروا على الله تعالى بأنه ينسى عهده ثم يتذكره
و زعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فعجز الله أن يغلبه
و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادى يسكن فى السماء
و وصفوه بأن له سبعة أرواح كالقطط
من إهانات اليهود لأنبيائهم و افتراءاتهم عليهم
افتروا على ابراهيم بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان
و اتهموا ابراهيم بأنه تزوج سارة و هى أخته
و اتهموه بأنه كذب على الحاكم القبطى بأن سارة أخته
و اتهموا نبى الله إسحاق بنفس التهمة
و اتهموا إبراهيم و بقية الأنبياء بأنهم كانوا يشربون الخمر
و زعموا أن لوطا سكن فى سدوم اختلافه مع ابراهيم
و نسبوا إلى سارة رضى الله عنها الظلم والقسوة
و اتهموا إبراهيم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر و ابنها إسماعيل
اما مصادرنا فتبرئ إبراهيم و عترته من الظلم والمعصية
و اتهموا نبى الله هارون و موسى بالشرك والمعاصى
و اتهموا أنبياء الله بالحيل والدجل والبلاهة
و اتهموا يوشع بأنه ختن اليهود بسكاكين من حجر الصوان
و افتروا على سليمان أنه أشرك بالله تعالى
النتائج الخطيرة لتخريب اليهود لعقيدة العدل والعصمة
امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة
نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة
من أحاديث الشيعة فى عصمة الأنبياء والأئمة عصمة تامة
من شرائع ديننا عصمة الأنبياء و الأوصياء
وجوب طاعة الأنبياء والأوصياء تستوجب عصمتهم
ضرورة بعثة الأنبياء تستوجب عصمتهم
العصمة من أول صفات الإمام
احاديث نصت على إمامة الأئمة الإثنى عشر و عصمتهم
كتاب كفاية الأثر فى النصوص على الأئمة الإثنى عشر
العصمة التامة هى الوسطية بين الغلو والتقصير
من كلمات علماء الشيعة فى عصمة الأنبياء والأئمة
الانبياء معصومون مطهرون كاملون

العصمة عن الذنوب، والغلط، والرذائل، وما ينفر
جليلنا
اصل الأدلة عندنا على العصمة التامة: الدليل العقلى
العصمة لاتعنى الإجبار، و لا تنافى الإختيار
دفاع أهل البيت و شيعتهم عن عصمة الأنبياء
الامام الصادق يتألم لظلم الناس للأنبياء والأوصياء
ملاحظة
استغفار الأنبياء والأوصياء وابتلاؤهم لم يكن بسبب الذنوب
ملاحظة
هشام بن الحكم يدافع عن عصمة الأنبياء والأئمة تحت سيف هارون الرشيد
مرجع الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله يدافع عن عصمة نبينا
مرجع الشيعة السيد المرتضى قدس سره يؤلف كتابا فى تنزيه الأنبياء
مقتطفات من كتاب تنزيه الأنبياء
بيان الخلاف فى نزاهة الأنبياء عن الذنوب
تنزيه آدم عن الغواية
تنزيه نوح عما لا يليق به
تنزيه إبراهيم عن الكفر والعصيان
تنزيه إبراهيم عن الشك فى الله تعالى
تنزيه إبراهيم عن الإستغفار للكفار
تنزيه يعقوب عن إيقاع التحاسد بين بنيه
تنزيه يعقوب عن الحزن المكروه
تنزيه يوسف عن الصبر على الإستعباد
تنزيه يوسف عن الهم بالمعصية
فى أن أيوب ابتلى امتحانا لا عقابا
تنزيه موسى عن العصيان بالقتل
تنزيه يونس عن الظلم والمعصية بمغاضبته قومه
معركة تنزيه الأنبياء بين الشيعة و مخالفيهم
موقف علماء الشيعة الثابت: تأويل الآيات التى يبدو منها...
لا عصمة للأنبياء عند السنيين لكن الصحابة عندهم معصومون
نماذج من آراء علمائهم فى عصمة الأنبياء
رأى الغزالى
رأى الآمدى
رأى القاضى عياض

رأى الفخر الرازى
ملاحظات على كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازى
الملاحظة ۰۱
الملاحظة ۰۲
رأى ابن تيمية و مشبهة الحنابلة فى عصمة الأنبياء
ابن تيمية يهاجم الشيعة لقولهم بعصمة الأنبياء
السبب الغريب لهجوم ابن تيمية على العصمة
دفاع ابن تيمية عن اليهود و عن أسطورة الغرانيق
ابن تيمية يجوز أن يكون النبى كافرا فاسقا شريرا
البخارى ينقض عصمة الأنبياء و يفترى عليهم
صحيح البخارى مشحون بالإسرائيليات التى تطعن فى الأنبياء و أسوأ منها القرشيات التى تطعن فى نبينا
نبى الله إبراهيم يكذب
نبى الله موسى غضوب بطاش
نبى الله موسى يركض عاريا وراء ثيابه
نبى الله سليمان مفرط فى الجنس، معرض عن ذكر الله
البخارى يروى تفضيل نبينا على الرسل والبشر
ثم يتراجع البخارى و يفضل نبى الله موسى على نبينا لكنه يفضل قريشا على اليهود
و يفضل عيسى على نبينا
و يروى النهى عن تفضيل الأنبياء على بعضهم
الانبياء عند البخارى عصبيون كما فى التوراة
قرشيات البخارى فى الطعن بنبينا أسوأ من إسرائيلياته
روايات البخارى المشينة فى سلوك نبينا
البخارى يفتتح صحيحه بالطعن فى نبوة نبينا
غرانيق قريش و محاولات التغطية على البخارى
البخارى يروى فرية الغرانيق فى ست مواضع
تناقض الفخر الرازى فى حديث الغرانيق
القاضى عياض أكثر علماء السنة اعتدالا فى عصمة نبينا
غرانيق قريش يتصيدها بروكلمان و مونتغمرى
ملاحظات على قصة الغرانيق
عمر عندهم معصوم و أفضل من جميع الأنبياء
النبى معصوم نظريا، و أبوبكر و عمر معصومان عمليا
مقولة عدالة الصحابة سياج لعصمة أبى بكر وعمر
اضطرارهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر و بيعة الرضوان

عصمة عمر عندهم أعلی من عصمة جمیع الأنبیاء

النبی عندهم أضعف من عمر أمام شیطانه

و زعموا أن الله تعالی یتكلم بلسان عمر

و زعموا أن الملائكة تحدث عمر

و الفوا مؤلفات فی الأخطاء النبویة والتصحیحات العمریة

و اخترع الذهبی قاعدة خاصة لعصمة عمر و أبی بكر

و غیروا إسم العصمة لإثباتها لعمر و أبی بكر

و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبی

و منهم أخذ الصوفیون عصمة الأقطاب و حفظ الأولیاء

رأی التفتازانی: فی عصمة أبی بكر و عمر و عدالة باقی الصحابة

نقد منطق التفتازانی فی العصمة فی مسائل

المسألة ۰۱

المسألة ۰۲

المسألة ۰۳

المسألة ۰۴

ابوبكر و عمر معصومان عند الغزالی، لكن لا یجب تقلیدهما

هل تشیع الغزالی فی آخر عمره؟

النقد الذاتی قلیل نادر فی علمائهم

السلطة القرشیة تتبع الیهود حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل

تقلید الیهود.. من مصادرة الخلافة الی.. ترك الصلاة

اعمال تحریفیة واسعة من أجل ترسیخ عصمة عمر و أبی بكر

بدأ نشاطهم بعد النبی واستمر إلی یومنا هذا

حملوا آیات مدح الصحابة أكثر مما تحتمل

غیبوا الآیات الصریحة فی نقد الصحابة و ذمهم

لابد من میزان لتقییم الصحابة

وضعوا أحادیث فی مدح الصحابة و عصمتهم

لیقابلوا بها أحادیث عصمة العترة

نقد حدیث: خیر القرون قرنی

و معناه أن التاریخ الإسلامی یسیر إلی الإنحدار، والأمة إلی الزوال

الخط البیانی للأمة.. نزول ثم صعود

تخبط الشراح فی حدیث خیر القرون قرنی

ردهم شهادات النبی فی انحراف الصحابة بعده

الامام مالك یعض یدیه ندما لروایته أحادیث الحوض

قرنوا الصحابة بالنبی فی الصلاة علیه من أجل عمر
من الذی حذف الصلاة علی آل النبی؟! ومن أین جاء قولهم، أو علیه وآله صحبه و سلم؟
من الذی وضع الصلاة علی الصحابة بدل الآل أو معها؟
عصموا البخاری من أجل عصمة عمر
مات البخاری قبل أن یکمل کتابه، فأکمله جماعة المتوکل
السر فی تبنیهم کتاب البخاری
هل أن تبنی البخاری عمل علمی أم ضد العلم؟
نظریة إلجام العوام بید السلطة و رجال الدین
الجام العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم
الجام العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصیة
الجام العوام عن قبول شهادة النبی لقاتل عمار بالنار
ابن حنبل یقول: صحابی فی النار
الجام العوام عن قبول شهادة ثقة و أمین أسراره
الجام العوام لتغطیة مؤامرة خیر القرون لقتل النبی
الجام العوام لتغطیة اضطهاد خیر القرون لأهل بیت نبیهم
الجام العوام عن تصدیق القرآن بأن أکثریة خیر القرون لن یؤمنوا
من أسالیبهم فی إلجام العوام
تمییع الحقائق و حلف الإیمان
تعلیم العوام إنکار الحقائق نهارا جهارا
الجام أطفال المسلمین بتربیتهم علی عصمة عمر
الجام العوام باستخدام وسائل الإعلام
العصمة والمعصومون فی القرآن
المعصومون ثمرة الوجود البشری
آیات العصمة فی القرآن
آیات الإستخلاف
لا یکون خلیفة الله فی الأرض إلا معصوما
تکریم بنی آدم لا یعنی استخلافهم لأنه تکریم تکوینی واقتضائی
خلفاء الله فی الأرض لیس بالضرورة أن یکونوا حکاما
تعلیم آدم الأسماء دلیل علی عصمة خلفاء الله تعالی
آیات الإصطفاء الإلهی
آیات الإصطفاء الإلهی
معنی الإصطفاء و أنواعه
تفسیر آیة: ثم أورثنا الکتاب الذین اصطفین

الآية من متشابهات القرآن
القرطبى يرفض التفسير الرسمى
تفسير أهل البيت
اختصاص أهل البيت بعلم الكتاب لا يلغى حجيته
ابناء فاطمة و أتباع أهل البيت ورثة مجازيون للكتاب
الظالم لنفسه درجات متفاوتة
رأى علماء الشيعة
بعض مفسرى الشيعة وافق على تفسير عمر و كعب
اهم الإشكالات على التفسير الحكومى
التوريث الإلهى للكتاب مقام عظيم
آيات الإستخلاص والإجتباء الإلهى
اخلاص الدين لله تعالى
دعاء الله بانقطاع و إخلاص
المخلصون المستخلصون
المخلصون ناجون من الضلال والهلاك
المخلصون مقربون من الله و ليسوا أبناءه
المخلصون ناجون من العذاب مكرمون فى الجنة
يتمنى غير المخلصين أن يكونوا منهم
معنى الإخلاص والمخلص
دلالة الإستخلاص الإلهى على العصمة
آيات الإجتباء تشبه آيات الإستخلاص
آيات نفى سلطان الشيطان على المخلصين
وجه دلالتها على العصمة
الحكمة من نزول آيات متشابهة فى عصمة الأنبياء
معجزة الجغرافية القرآنية
العصمة و قاعدة اللطف
معنى العصمة فى القرآن واللغة والحديث
من تعريفات المتكلمين للعصمة
قاعدة اللطف الإلهى التى استدل بها علماؤنا على العصمة
قاعدة اللطف عقلية و شرعية
اللطف الإلهى فى القرآن
اللطف فى أحاديث النبى و آله
من كلمات علمائنا فى قاعدة اللطف

رد الفقهاء للإستدلال بقاعدة اللطف فی الفقه
ضرر الإغراق فی التأصیل بقاعدة اللطف
کیف یلطف الله تعالی بالمعصوم
درجات العصمة واللطف بالمعصومین
عصمة نبینا و آله أرقی أنواع العصمة
النبی و عترته المعصومون منظومة خاصة لا یقاس بهم أحد
درجة شیعة النبی و آله فی أحادیث الطرفین
زیادة رزین العبدری عن أبی داود

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین وأفضل الصلاة وأتم السلام علی سیدنا ونبینا محمد وآله الطیبین الطاهرین

وبعد، فإن عصمة الأنبیاءوالأوصیاء علیهم السلام من العقائد المرکزیة فی الأدیان الإلهیة، وقد اهتم بها علماء المسلمین، خاصةً علماء مذهب أهل البیت علیهم السلام، وبحثوا مسائلها بإجمال وتفصیل، وسلکوا المنهج الکلامی الذی یغلب علیه الطابع العقلی، أو المنهج الحدیثی الذی یغلب علیه الطابع النقلی، وإن کانت عملیة الإستدلال عملیة عقلیة دائماً، لأنها ترتیب مقدمات للإنتقال بها إلی نتیجة سواءً کانت مقدماتها عقلیة أو نقلیة، أو مرکبة.

وقد اخترنا لسلسلة العقائد الإسلامیة المنهج الحدیثی المقارن، وتوسعنا فی هذا المجلد فی بحثین من بحوث العصمة:

الأول: العصمة فی القرآن، فبحثنا طوائف من الآیات الکریمة لایمکن تفسیرها إلا بالمعصومین من الأنبیاءوأوصیائهم علیهم السلام.

والثانی: مقارنة عقیدة العصمة بین الإسلام والیهودیة، لبیان دور الیهود فی تخریب عقیدة عصمة الأنبیاء علیهم السلام وتأثر المسلمین بهم! فالیهود هم الذین فتحوا باب التنقیص من مقام الأنبیاءوالأوصیاء علیهم السلام، وطوَّلوا ألسنتهم علیهم، واتهموهم بارتکاب أخطاء ومعاصی وأفعال مشینة، حتی الکفر بالله تعالی!

ومن المؤسف أن النصاری تبعوهم فی ذلک، ولم یستثنوا إلا نبی الله عیسی علیه السلام فقط. ثم تبعهم جمهور المسلمین فاستوردوا منهم أکثر اتهاماتهم للأنبیاء علیهم السلام وافتراءاتهم علیهم، وکان السبب الأکبر فی ذلک أن الخلافة القرشیة قامت علی سیاسة منع المسلمین من التحدیث بأحادیث نبیهم صلی الله علیه وآله، وقرَّبَتْ عدداً من حاخامات الیهود وقساوسة النصاری، وأطلقت ألسنتهم فی نشر ثقافتهم بین المسلمین فنشروها بإسم الإسلام، وغرسوا فی أذهان المسلمین التصور الیهودی الظالم للأنبیاءوالأوصیائهم علیهم السلام، ودخل کل ذلک فی کتب الصحاح والتفسیر والسیرة، وورثت ذلک أجیال المسلمین علی أنه حقائق دینیة!

ولولا وقوف أهل البیت علیهم السلام وعلماء مذهبهم فی مقابل موجة الثقافة الیهودیة، لاتسعت زاویة الإنحراف، وتضاعف الإفتراء علی الأنبیاءوالأوصیاء علیهم السلام، بل علی الله نفسه تبارک وتعالی، ولم یبقَ مَن یعتقد بعصمة الله وأولیائه، ویدفع عنهم افتراءات الیهود والمتهوکین!

إن النص التالی یصوِّر لنا عمق الفاجعة التی حلَّتْ بثقافة الأمة الإسلامیة من تبنی السلطة القرشیة للإسرائیلیات، ویکشف نوع عمل الأئمة علیهم السلام فی معالجتها:

قال الصدوق رحمه الله فی عیون أخبار الرضا علیه السلام:۲/۱۷۰:(باب ذکر مجلس آخر للرضا علیه السلام عند المأمون مع أهل الملل والمقالات، وما أجاب به علی بن محمد بن الجهم فی عصمة الأنبیاءسلام الله علیهم أجمعین:

حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمدانی(رض)والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هشام المكتب، وعلی بن عبد الله الوراق رضی الله عنهم قالوا: حدثنا علی بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا القإسم بن محمد البرمكی قال:حدثنا أبو الصلت الهروی قال: لما جمع المأمون لعلی بن موسی الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصاری والمجوس والصابئين وسائر المقالات، فلم يقم أحد إلا وقد ألزمه حجته كانه ألقم حجراً، قام إليه علی بن محمد بن الجهم فقال له: يا ابن رسول الله أتقول بعصمه الأنبياء عليهم السلام؟ قال عليه السلام: نعم. قال: فما تعمل فی قول الله عز وجل: وَعَصَی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَی. (طه:١٢١)، وفی قوله عز وجل: وَذَا النُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ.(الأنبياء:٨٧) وفی قوله عز وجل فی يوسف عليه السلام:وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا.(يوسف:٢۴). وفی قوله عز وجل فی داود: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلی نِعَاجِهِ وإن كثيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِی بَعْضُهُمْ عَلَی بَعْضٍ إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَاهُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ إنما فَتَنَّاهُ. (ص:٢۴)، وقوله تعالی فی نبيه محمد صلی الله عليه وآله: وَتُخْفِی فِی نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَی النَّاسَ وَاللهُ أحق أن تَخْشَاهُ. (الأحزاب:٣٧)

فقال الرضا عليه السلام: ويحك ياعلی إتق الله ولاتنسب إلی أنبياءالله عليهم السلام الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك، فإن الله عز وجل قد قال: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ.(آل عمران:٧). أما قوله عز وجل فی آدم: وَعَصَی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَی(طه: ١٢١)، فإن الله عز وجل خلق آدم حجة فی أرضه وخليفة فی بلاده لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم فی الجنة لافی الأرض، وعصمته يجب أن تكون فی الأرض لتتم مقادير أمر الله، فلما أهبطه إلی الأرض وجعله حجة وخليفة عصمه بقوله عز وجل: أن اللهَ اصْطَفَی آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبراهيم وَآلَ عِمْرَانَ عَلَی الْعَالَمِينَ.(آل عمران: ٣٣) وأما قوله عز وجل:وَذَا النُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ. إنما ظن بمعنی استيقن أن الله لن يضيق عليه رزقه، ألاتسمع قول الله عز وجل: وأما إذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ.(الفجر:١۶) أی ضيق عليه رزقه، ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأما قوله عز وجل فی يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا، فإنها همت بالمعصية وهمَّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عز وجل: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ.(يوسف: ٢۴) يعنی القتل والزنا. وأما داود عليه السلام فما يقول من قبلكم فيه؟

فقال علی بن محمد بن الجهم: يقولون إن داود عليه السلام كان فی محرابه يصلی فتصور له إبليس علی صورة طير أحسن ما يكون الطيور، فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلی الدار، فخرج الطير إلی السطح، فصعد فی طلبه، فسقط الطير فی دار أوريا بن حنان، فاطلع داود فی أثر الطير بامرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها، وقد أخرج أوريا فی بعض غزواته، فكتب إلی صاحبه أن قدم أوريا إمام التابوت، فقدم فظفر أوريا بالمشركين، فصعب ذلك علی داود، فكتب إليه ثانية أن قدمه إمام التابوت فقدم فقتل أوريا، فتزوج داود بامرأته!

قال: فضرب الرضا عليه السلام بيده علی جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! لقد نسبتم نبياً من أنبياءالله عليهم السلام الی التهاون بصلاته حتی خرج فی أثر الطير، ثم بالفاحشة ثم بالقتل! فقال: يا بن رسول الله فما كان خطيئته؟

فقال: ويحك! إن داود إنما ظن أن ما خلق الله عز وجل خلقاً هو أعلم منه فبعث الله عز وجل إليه الملكين فتسورا المحراب، فقالا: خَصْمَانِ بَغَی بَعْضُنَا عَلَی بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاتُشْطِطْ وَاهْدِنَا إلی سَوَاءِ الصِّرَاطِ.إنَّ هَذَا أخی لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِیَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِی فِی الْخِطَابِ. قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلی نِعَاجِهِ، (صاد:٢٢-٢۴) فعجل داود علی المدعی عليه فقال: قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلی نِعَاجِهِ، ولم يسأل المدعی البينة علی ذلك ولم يقبل علی المدعی عليه فيقول له: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة رسم الحكم لا ما ذهبتم إليه! ألا تسمع الله عز وجل يقول: يَا دَاوُدُ أنا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِی الأرض فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَی فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ. (صاد: ٢۶).

فقال: يا بن رسول الله فما قصته مع أوريا؟

فقال الرضا علیه السلام:إن المرأة فی أیام داود علیه السلام کانت إذا مات بعلها أو قتل لاتتزوج بعده أبداً، وأول من أباح الله له أن یتزوج بامرأة قتل بعلها کان داود علیه السلام، فتزوج بامرأة أوریا لما قتل وانقضت عدتها منه، فذلک الذی شق علی الناس من قبل أوریا.

وأما محمد صلی الله علیه وآله وقول الله عز وجل: وَتُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا الله مُبْدِیهِ وَتَخْشَی النَّاسَ وَاللهُ أحق أن تَخْشَاهُ.(الأحزاب:۳۷)فإن الله عز وجل عرف نبیه صلی الله علیه وآله أسماء أزواجه فی دار الدنیا وأسماء أزواجه فی دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنین، وإحداهن من سمی له زینب بنت جحش، وهی یومئذ تحت زید بن حارثة، فأخفی إسمها فی نفسه ولم یبده لکیلا یقول أحد من المنافقین أنه قال فی امرأة فی بیت رجل أنها إحدی أزواجه من أمهات المؤمنین، وخشیء قول المنافقین، فقال الله عز وجل: وَتَخْشَی النَّاسَ وَاللهُ أحق أن تَخْشَاهُ، یعنی فی نفسک. وإن الله عز وجل ما تولی تزویج أحد من خلقه إلا تزویج حواء من آدم علیه السلام وزینب من رسول الله صلی الله علیه وآله بقوله: فَلَمَّا قَضَی زَیْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاکَهَا لِکَیْ لا یَکُونَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ حَرَجٌ فِی أَزْوَاجِ أَدْعِیَائِهِمْ إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَکَانَ أَمْرُاللهِ مَفْعُولاً.(الأحزاب:۳۷)وفاطمة من علی علیهما السلام.

قال: فبکی علی بن محمد بن الجهم وقال: یا بن رسول الله: أنا تائب إلی الله عز وجل من أن أنطق فی أنبیاءالله علیهم السلام بعد یومی إلا بما ذکرته). انتهی.

لذلک رکَّزنا البحث علی کشف الجذور التاریخیة للشبهات والإفتراءات علی عصمة الأنبیاءوالأوصیاء علیهم السلام، خاصة ما یتعلق بعصمة نبینا صلی الله علیه وآله، ثم علی بحث الأصل القرآنی لعقیدة العصمة، وقاعدة اللطف. والله تعالی ولی التوفیق.

حرره بقم المشرفة فی الثانی والعشرین من رجب الخیر ۱۴۲۳

علی الکورانی العاملی

عقیدة الیهود نفی الحکمة عن الله تعالی و نفی العصمة أنبیائه

لماذا یحسد الیهود الشعوب التی عندها مقدسات

لا تتعجب إذا رأیت الیهودی عنده عقدة من کل ما هو مقدس عند الشعوب!

فقد ورث من أجداده التطاول علی قداسة الله تعالی وأنبیائه علیهم السلام، فهم أول من فتح باب الجرأة علی الله وأنبیائه علیهم السلام، مع أن کل مایزعمونه لأنفسهم من مکانة وامتیاز علی الشعوب، مبنیٌّ علی أنهم شعب الله المختار وأتباع أنبیائه علیهم السلام!

وبهذا تفهم سبب نشاطهم فی تخریب مقدسات الأدیان الأخری، لأن الذی یخرب مقدساته، ویجعل معبوده جاهلًا، متعصباً، فظاً، غلیظاً، ظالماً، ویجعل أنبیاءالله علیهم السلام أنانیین، شهوانیین، خونة! لایطیق أن یکون للآخرین إلهٌ حکیمٌ، عادلٌ، لایظلم مخلوقاً مثقال ذرة. وأن یکون لهم أنبیاءأطهارٌ، معصومون فی کل حیاتهم، وجمیع أعمالهم، منزهون عن المعاصی والنقائض!

وقد نجح الیهود فی تخریب مقدسات المسیحیین وعقیدتهم، ونفذوا إلی جهازهم الکنسی ونشروا فیه الفساد، وأسقطوا مقام القساوسة عند الناس!

وقد أخبرنی مستشار ثقافی فی مؤسسة الیونسکو أن الیهود هم الذین یقفون وراء طرح التحلل من الدین والمقدسات، الذی ینادی به مثقفون (مسیحیون) ویکتبون مقالات یطالبون فیها البابا والفاتیکان: نرید دیناً بلا محرمات!

وها نحن نری سعیهم الحثیث لتخریب مقدسات المسلمین، بکل الوسائل!

لم یکن الیهود موحدین حتی فی عصور أنبیائهم

لم يكن جمهور اليهود مخلصاً لتوحيد الله تعالى حتى فى عصور أنبيائهم عليهم السلام، رغم تبجحهم بأنهم هم الموحدون، وأنهم أبناء نبى الله إبراهيم صلى الله عليه وآله، الذى قاوم عبادة الأوثان وأرسى أسس التوحيد، هذا إن صحت أنسابهم اليه!

ومن أوضح الأدلة على ذلك أنهم بعد أن رأوا المعجزة على يد موسى عليه السلام، وشقَّ الله لهم البحر وجعله طريقاً يبساً، وعبروا فيه ونجوا من فرعون وجنوده.. قابلوا هذه المعجزة الكبرى بفكرهم الوثنى، وطالبوا موسى عليه السلام أن يتخذ لهم إلهاً عجلاً ليعبدوه! وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إسرائيل الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إلهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ. إن هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إلهاً وَهُوَفَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (الأعراف:۱۳۸-۱۴۰(ويظهر أن سكوتهم يومها كان خوفاً من موسى عليه السلام! فأول ما سنحت لهم الفرصة فى غيابه، صنعوا عجلاً ذهبياً واتخذوه إلهاً! وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لايُكَلِّمُهُمْ وَلايَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ. وَلَمَّا سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى أَعَجِلْتُمْ أمر رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الألواح وَأَخَذَ بِرَأْسِ أخيه يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أم أن الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلاتُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَاءَ وَلاتَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.قَالَ رَبِّ اغْفِرْلِى وَلأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. أن الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَاوَكَذَلِكَ نَجزى الْمُفْتَرِينَ. وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا أن رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ. وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أخذ الألواح وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ.

وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رجلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أخذتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا أن هِىَ إلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ أنت وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَاكْتُبْ لَنَا فِى هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الآخرة أنا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالآنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أنزل مَعَهُ أولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ. (الأعراف ۱۴۸-۱۵۷)

وقال تعالى: وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أربعين لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ. ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إلى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ أنه هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ. وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ). (البقرة: ۵۱-۵۶)

فاليهود لم يخلصوا فى تاريخهم لتوحيد الله تعالى فكيف يخلصوم لأنبيائه؟! ولهذا أجاب أمير المؤمنين عليه السلام يهودياً عندما سأله: (ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه! فقال له عليه السلام: إنما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ماجفَّتْ أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: اجْعَلْ لَنَا إلهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ). (نهج البلاغة:۴/۷۵، وأمالى المرتضى:۱/۱۹۸، والعرائس للثعالبى۱۱۳).

الالحاد الصريح فى اليهود الماضين والمعاصرين

شهد المؤرخ الغربى ول ديورانت فى قصة الحضارة (۲/۳۳۸) وغيره، بأن عبادة العجل الذهبى استمرت فى بنى إسرائيل فى زمن نبى الله موسى عليه السلام الى ما بعد سليمان عليه السلام، حيث استبدلوا العجل بأصنام أخرى!!

وقد أوردنا فى المجلد الثانى من العقائد الإسلامية ص۱۷۷، نصوصاً من توراتهم وإنجيلهم تدل على تأصل المادية والوثنية فى تفكيرهم!

قال الدكتور الشلبى فى مقارنة الأديان:۱/۱۹۲: (على أن مسألة الألوهية كلها، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد، لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى إسرائيل، فقد كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعى فى الحياة من أكثر ما يشغلهم، وإذا تخطينا عدة قرون، فإننا نجد الفكر اليهودى الحديث يجعل لليهود رباً جديداً نفعياً كذلك، ذلك هو: تربة فلسطين وزهر برتقالها!

والذى يقرأ رواية(طوبى للخائفين)للكاتبة اليهودية يائيل ديان، ابنة القائد الصهيونى العسكرى موشئ ديان، يجد أحد أبطالها(إيفرى)ينصح ابنه الطفل بأن يتخلى عن الذهاب للكنيسة، وأن يحول اهتمامه لإلهه الجديد: تراب فلسطين! ونقتبس فيما يلى سطوراً من هذه الرواية:

...الصبى يحب أن يذهب إلى الكنيس مع أمه، ولكنه عندما عاد مرة من المعبد الذى لا يذهب إليه إلا القليلون، ثار أبوه فى وجهه بحديث له مغزى عميق قال له: أيام زمان حين كنا يهوداً فى روسيا وغيرها، كان من الضرورى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا، فقد كان الدين اليهودى لنا وسيلتنا لنتعاون ونتعاطف ونذود عنا الردى، أما الآن فقد أصبح لدينا شئ أهم هو الأرض، أنت الآن إسرائيلى ولست مجرد يهودى، إنى قد تركت فى روسيا كل شئ، ملابسى ومتاعى وأقاربى وإلهى، وعثرت هنا على رب جديد، هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال. إلا تحس بذلك؟.... وأخذ إيفرى حفنة من تراب الأرض وسكبها فى كف ابنه وقال له: إمسك هذا التراب، إقبض عليه، تحسسه تذوقه، هذا هو ربك الوحيد، إذا أردت أن تصلى للسماء فلا تصل لها لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا، ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا، هذا هو المهم: إياك أن تذهب مرة أخرى إلى المعبد)!!.

وقال أيضاً:۱/۲۶۷: (ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة، وسنَّ له شريعة لم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها، فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر فى نفسه، وبين الشريعة المرسومة إليه، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بامرأته، لأن الله هو السبب فى كل ذلك!!). (التلمود شريعة إسرائيل ص۱۷).

افتراء اليهود على الله تعالى و نفيهم عنه العلم والعدل

مضافاً إلى فريتهم الكبرى على الله تعالى بأنه جسم متجسدٌ فى عِجْل، من حجر أو ذهب، أو متجسد بصورة إنسان كبير السن، كما فى توراتهم طبعة مجمع الكنائس الشرقية(ص۴فقرة۲۷) قد وصفوا الله تعالى بصفات لاتناسب الإنسان العادى، فضلًا عن رب العالمين الذى ليس كمثله شئ، عز وجل:

وصفوا الله تعالى بأنه لا يعلم ما خلق

جاء فى ص۶ من توراتهم: (۸. وسمعاً صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة. ۹. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت. ۱۰. فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت. ۱۱. فقال من أعلمك إنك عريان، هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها. ۱۲. فقال آدم: المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت).!!

و وصفوه بالطيش والغضب والظلم

قال الدكتور شلبى فى تاريخ الأديان:۱/۲۶۷: (يروى التلمود أن الله ندم لِمَا أنزله باليهود وبالهيكل، ومما يرويه التلمود على لسان الله قوله: تب لى لأنى صرحت بخراب بيتى وإحراق الهيكل ونهب أولادى!! وليست العصمة من صفات الله فى رأى التلمود، لأنه غضب مرة على بنى إسرائيل فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه، لأنه عرف أنه فعل فعلًا ضد العدالة).

وقال ابن حزم فى الفصل:۱/۱/۲۲۲: (ونقل فى توراتهم وكتب الأنبياء بأن رجلًا اسمه إسماعيل كان أثر خراب البيت المقدس، سمع الله يئن كما تئن الحمامة ويبكى وهو يقول: الويل الويل لمن أخرب بيته....وَيْلِى على ما أخربت من بيتى! ويْلى على ما فرقت من بنىَّ وبناتى)!!

و افتروا على الله تعالى بأنه ينسى عهده ثم يتذكره

فى التوراة والإنجيل ص۹۹: (۲۳.وبعد مرور حقبة طويلة مات ملك مصر وارتفع أنين بنى إسرائيل وصراخهم من وطأة العبودية، وصعد إلى الله.۲۴. فأصغى الله إلى أنينهم، وتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب.۲۵. ونظر الله إلى بنى إسرائيل.(ورق لحالهم).

و زعموا أن يعقوب صارع الله تعالى فعجز الله أن يغلبه

قال ابن حزم فى الفصل:۱جزء۱/۱۴۱: (ذكر فى هذا المكان(من التوراة)أن يعقوب صارع الله عز وجل.... حتى قالوا أن الله عز وجل عجز عن أن يصرع يعقوب! وفيه أن يعقوب قال: رأيت الله مواجهة وسلمت عليه)!

و وصفوا معبودهم بأنه موجود مادى يسكن فى السماء

فى/۵۷۹ من توراتهم: (۱۸.فقال ملك إسرائيل ليهوشافاط أما قلت لك أنه لا يتنبأ على خيراً بل شراً. ۱۹. وقال فاسمع إذا كلام الرب. قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره. ۲۰. فقال الرب من يغوى أخآب فيصعد ويسقط فى راموت جلعاد. فقال: هذا هكذا، وقال: ذاك هكذا).

و وصفوه بأن له سبعة أرواح كالقطط

جاء فى توراتهم طبعة مجمع الكنائس الشرقية ص۳۹۹: (۱. بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح فى السماء والصوت الأول الذى سمعته كبوق يتكلم معى قائلًا إصعد إلى هنا فأريك ما لابد أن يصير بعد هذا. ۲. وللوقت صرت فى الروح وإذا عرش موضوع فى السماء وعلى العرش جالس. ۳. وكان الجالس فى المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش فى المنظر شبه الزمرد. ۴. وحول العرش أربعة وعشرون عرشاً، ورأيت على العروش أربعة وعشرين شيخاً جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب. ۵. ومن العرش يخرج بروق ورعود وأصوات، وإمام العرش سبعة مصابيح نار متقدة هى سبعة أرواح الله)!!

من إهانات اليهود لأنبيائهم و افتراءاتهم عليهم

افتروا على ابراهيم بأنه كان قبل نبوته يعبد الأوثان

فى قاموس الكتاب المقدس ص۵۹۶: (وقد أدرك إبراهيم بالوحى والإلهام وجود إله واحد أبدى خالق السموات والأرض، وسيد الكون. (تك ۱۸: ۱۹)
وكان إيمان إبراهيم جديداً بالنسبة لأور التى كان يقيم فيها، حيث كانت مركز عبادة القمر، بل أن أبا إبراهيم نفسه كان يخدم آلهة أور الوثنية(يش۲:۲۴).
لذلك هاجر إبراهيم من أور نحو بلاد كنعان حوالى أواخر القرن العشرين قبل الميلاد).

و اتهموا ابراهيم بأنه تزوج سارة و هى أخته

فی قاموس الکتاب المقدس ص۹: (وقد عاش إبراهیم الجزء الأول من حیاته مع أبیه وإخوته فی أور الکلدانیین، وقد تزوج من ساری وکانت أخته بنت أبیه ولیست بنت أمه، کما نعرف ذلک من تک ۲۰: ۱۲).

و اتهموه بأنه کذب علی الحاکم القبطی بأن سارهٔ أخته

فی التوراهٔ والإنجیل ص۲۱(موقع arabicbible): (۱۴. ولما اقترب أبرام من مصر استرعی جمال سارای أنظار المصریین، وشاهدها أیضاً رؤساء فرعون فأشادوا بها أمامه. ۱۵. فأخذت المرأهٔ إلی بیت فرعون. ۱۶. فأحسن إلی أبرام بسببها وأجزل له العطاء من الغنم والبقر والحمیر والعبید والإماء والأتن والجمال. ۱۷. ولکن الرب ابتلی فرعون وأهله ببلایا عظیمهٔ بسبب سارای زوجهٔ أبرام. ۱۸. فاستدعی فرعون أبرام وسأله ماذا فعلت بی؟ لماذا لم تخبرنی أنها زوجتک؟ ۱۹. ولماذا ادعیت أنها أختک حتی أخذتها لتکون زوجهٔ لی؟ والآن ها هی زوجتک، خذها وامض فی طریقک. ۲۰. وأوصی فرعون رجاله بأبرام فشیعوه وامرأته، وکل ما کان یملک).

وفی التوراهٔ والإنجیل ص۳۳: (۱. وارتحل إبراهیم من هناک إلی أرض النقب وأقام بین قادش وشور وتغرب، فی جرار. ۲. وهناک قال إبراهیم عن سارهٔ زوجته هی أختی. فأرسل أبیمالک ملک جرار وأحضر سارهٔ إلیه. ۳. ولکن الله تجلی لأبیمالک فی حلم فی اللیل وقال له: إنک ستموت بسبب المرأهٔ التی أخذتها، فإنها متزوجهٔ. ۴. ولم یکن أبیمالک قد مسها بعد، فقال للرب: أتمیت أمهٔ بریئهٔ؟ ۵. ألم یقل لی أنها أختی وهی نفسها ادعت أنه أخوها؟ ما فعلت هذا إلا بسلامهٔ قلبی وطهارهٔ یدی. ۶. فأجابه الرب: أنا أیضاً علمت إنک بسلامهٔ قلبک قد فعلت هذا، وأنا أیضاً منعتک من أن تخطئ إلی ولم أدعک تمسها. ۷. والآن رُدَّ للرجل زوجته فإنه نبی، فیصلی من أجلک فتحیا، وإن لم تردها فإنک وکل من لک حتماً تموتون).

وفی قاموس الکتاب المقدس ص۱۰: (فارتحل من هناک إلی مصر(تک ۱۲: ۱۰) وهناک خوفاً علی حیاته، ذکر لفرعون أن سارای أخته دون أن یذکر أنها زوجته (تک ۱۲:۱۱–۲۰) ومن عند بلوطات ممرا انتقل إبراهیم إلی أرض الجنوب وهناک أرسل أبیمالک ملک جرار وأخذ سارهٔ لأن إبراهیم قال أنها أختی ولکن الرب ظهر لأبیمالک فی حلم ولم یدعه یمسها، ولما عاقبه الرب علی أخذه سارهٔ ردها إلی إبراهیم. وصلی إبراهیم لأجله ولأجل بیته فرفع الرب العقاب عنه (تک/۲۰). إلا أنه أظهر ضعفاً مرتین عندما لم یقل الحق کله فی ذکر علاقهٔ سارهٔ زوجته به! (تک ۱۲: ۱۸ و۲۰: ۱۱).

وفی قاموس الکتاب المقدس ص۴۴۳: (سارهٔ: إسم عبری معناه: أمیرهٔ، وهی زوجهٔ إبراهیم، وکانت فی الأصل تدعی سارای. تزوجت سارهٔ من إبراهیم فی أور الکلدانیین وکانت أصغر منه بعشر سنوات (تکوین ۱۱: ۲۹–۳۱ و۱۷: ۱۷). وعندما خرج إبراهیم من حاران کان عمر سارهٔ ۶۵سنهٔ (تکوین۱۲: ۴) ولکنها کانت جمیلهٔ بالرغم مما بلغت من العمر، وکانت محتفظهٔ بقوتها وبشبابها. وبعد مغادرهٔ حاران وقبل النزول إلی مصر، تحدث إبراهیم مع سارهٔ وطلب منها أن تخفی أنها زوجته وتقول أنها أخته، وقد کانت بالفعل أخته ابنهٔ أبیه لیست ابنهٔ أمه! (تک ۲۰: ۱۲). وکان سبب طلب إبراهیم ذلک خوفه من أن جمال سارهٔ یلفت نظر المصریین إلیها، فیقتلونه ویأخذونها، وأطاعت سارهٔ زوجها، فأخذها ملک مصر، ولکن الله منعه من الإقتراب إلیها. ووبخ فرعون زوجها عندما أعلن له الله الأمر. وبعد عدهٔ سنین سکن إبراهیم فی جرار وقال عن سارهٔ أنها أخته، فطلب أبیمالک أن یتزوج منها، ربما لغرض إیجاد تحالف مع الأمیر البدوی القوی. وهنا أیضاً منع الله أبیمالک من الإساءهٔ إلی سارهٔ)! (تکوین ۲۰: ۱– ۱۸).

أما الروایهٔ الصحیحهٔ للقصهٔ فهی فی مصادر أهل البیت علیهم السلام فی الکافی:۸/۳۷۰: (علی بن إبراهیم، عن أبیه، وعدهٔ من أصحابنا، عن سهل بن زیاد، جمیعاً عن الحسن بن محبوب، عن إبراهیم بن أبی زیاد الکرخی قال: سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول:إن إبراهیم علیه السلام کان مولده بکوثی ربا، وکان أبوه من أهلها، وکانت أم إبراهیم وأم لوط سارهٔ وورقهٔ– وفی نسخهٔ رقیهٔ– أختین وهما ابنتان للاحج، وکان لاحج نبیاً منذراً ولم یکن رسولاً، وکان إبراهیم علیه السلام فی شبیبته علی الفطرهٔ التی فطر الله عز

وجل الخلق علیها، حتی هداه الله تبارک وتعالی إلی دینه واجتباه، وأنه تزوج سارة ابنة لاحج وهی ابنة خالته، وکانت سارة صاحبة ماشیة کثیرة وأرض واسعة وحال حسنة، وکانت قد ملّکت إبراهیم علیه السلام جمیع ماکانت تملکه، فقام فیه وأصلحه، وکثرت الماشیة والزرع حتی لم یکن بأرض کوثی ربا رجل أحسن حالاً منه.

وإن إبراهیم علیه السلام لما کسر أصنام نمرود أمر به نمرود فأوثقه وعَمل له حِیراً وجمع له فیه الحطب وألهب فیه النار، ثم قذف إبراهیم علیه السلام فی النار لتحرقه، ثم اعتزلوها حتی خمدت النار، ثم أشرفوا علی الحیر فإذا هم بإبراهیم علیه السلام سلیماً مطلقاً من وثاقه، فأخبر نمرود خبره، فأمرهم أن ینفوا إبراهیم علیه السلام من بلاده، وإن یمنعوه من الخروج بماشیته وماله، فحاجّهم إبراهیم علیه السلام عند ذلک فقال:إن أخذتم ماشیتی ومالی فإن حقی علیکم أن تردوا علیَّ ما ذهب من عمری فی بلادکم! واختصموا إلی قاضی نمرود فقضی علی إبراهیم علیه السلام أن یسلم إلیهم جمیع ما أصاب فی بلادهم، وقضی علی أصحاب نمرود أن یردوا علی إبراهیم علیه السلام ما ذهب من عمره فی بلادهم! فأخبر بذلک نمرود، فأمرهم أن یخلوا سبیله وسبیل ماشیته وماله، وأن یخرجوه، وقال: إنه إن بقی فی بلادکم أفسد دینکم وأضر بآلهتکم، فأخرجوا إبراهیم ولوطاً معه من بلادهم إلی الشام، فخرج إبراهیم ومعه لوط لایفارقه وسارة، وقال لهم: إِنِّی ذَاهِبٌ إِلی رَبِّی سَیَهْدِینِ، یعنی بیت المقدس، فتحمل إبراهیم علیه السلام بماشیته وماله وعمل تابوتاً وجعل فیه سارة وشد علیها الأغلاق غیرةً منه علیها، ومضی حتی خرج من سلطان نمرود وصار إلی سلطان رجل من القبط یقال له عرارة، فمر بعاشر له فاعترضه العاشر لیعُشِّر ما معه، فلما انتهی إلی العاشر ومعه التابوت، قال العاشر لإبراهیم علیه السلام: إفتح هذا التابوت حتی نُعَشِّر ما فیه، فقال له إبراهیم علیه السلام: قل ما شئت فیه من ذهب أو فضة حتی نعطی عُشره ولا نَفتحه، قال: فأبی العاشر إلا فتحه، قال: وغضب إبراهیم علیه السلام علی فتحه، فلما بدت له سارة وکانت موصوفة بالحسن والجمال قال له العاشر: ما هذه المرأة منک؟ قال إبراهیم علیه السلام: هی حرمتی وابنة خالتی فقال له العاشر: فما دعاک إلی أن خبیتها فی هذا التابوت؟ فقال إبراهیم علیه السلام: الغیرة علیها أن یراها أحد، فقال له العاشر: لست أدعک تبرح حتی أعلم الملک حالها وحالک قال: فبعث رسولاً إلی الملک فأعلمه، فبعث الملک رسولاً ـ من قبله لیأتوه بالتابوت، فأتوا لیذهبوا به فقال لهم إبراهیم علیه السلام: إنی لست أفارق التابوت حتی تفارق روحی جسدی، فأخبروا الملک بذلک فأرسل الملک أن احملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهیم علیه السلام والتابوت وجمیع ما کان معه حتی أدخل علی الملک فقاله له الملک: إفتح التابوت، فقال إبراهیم علیه السلام: أیها الملک إن فیه حرمتی وابنة خالتی، وأنا مفتدٍ فَتْحَهُ بجمیع ما معی!

قال: فغضب الملک وأجبر إبراهیم علیه السلام علی فتحه، فلما رأی سارة لم یملک حلمه سفهه أن مد یده إلیها، فأعرض إبراهیم علیه السلام بوجهه عنها وعنه غیرةً منه، وقال: اللهم احبس یده عن حرمتی وابنة خالتی، فلم تصل یده إلیها ولم ترجع إلیه! فقال له الملک: أن إلهک الذی فعل بی هذا؟ فقال له: نعم، أن إلهی غیور یکره الحرام وهو الذی حال بینک وبین ما أردت من الحرام! فقال له الملک: فادع إلهک یرد علیَّ یدی فإن أجابک لم أعرض لها، فقال: إبراهیم علیه السلام: إلهی رُدَّ علیه یده لیکف عن حرمتی: قال: فردَّ الله عز وجل علیه یده، فأقبل الملک نحوها ببصره ثم أعاد بیده نحوها فأعرض إبراهیم علیه السلام عنه بوجهه غیرةً منه وقال: اللهم احبس یده عنها، قال: فیبست یده ولم تصل إلیها، فقال الملک لإبراهیم علیه السلام: أن إلهک لغیور وإنک لغیور، فادع إلهک یرد علیَّ یدی فإنه أن فعل لم أعد، فقال له إبراهیم علیه السلام: أسأله ذلک علی أنک إن عدت لم تسألنی أن أسأله، فقال الملک: نعم، فقال إبراهیم علیه السلام: اللهم إن کان صادقاً فردَّ علیه یده، فرجعت إلیه یده! فلما رأی ذلک الملک من الغیرة ما رأی ورأی الآیة فی یده، عظَّمَ إبراهیم علیه السلام وهابَهُ وأکرمه واتقاه وقال له: قد أمِنتَ من أن أعرض لها، أو لشئ مما معک فانطلق حیث شئت ولکن لی إلیک حاجة، فقال إبراهیم علیه السلام: ما هی؟ فقال له: أحب أن تأذن لی أن أخدمها قبطیة عندی جمیلة عاقلة تکون لها خادماً، قال: فأذن له إبراهیم علیه السلام فدعا بها فوهبها لسارة، وهی هاجر أم إسماعیل علیه السلام، فسار إبراهیم علیه السلام بجمیع مامعه وخرج الملک معه یمشئ خلف إبراهیم علیه السلام إعظاماً لإبراهیم علیه السلام وهیبةً له، فأوحی الله تبارک وتعالی إلی إبراهیم أن

قف ولا تمش قدام الجبار المتسلط ويمشئ هو خلفك، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه وعظمه وهبه فإنه مسلط، ولا بد من إمرة فى الأرض بَرَّة أو فاجرة، فوقف إبراهيم عليه السلام وقال للملك: إمض فإن إلهى أوحى إلىَّ الساعة أن أعظمك وأهابك وأن أقدمك أمامى وأمشئ خلفك إجلالاً لك، فقال له الملك: أوحى إليك بهذا؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: نعم، فقال له الملك: أشهد أن إلهك لرفيق حليم كريم، وأنك ترغبنى فى دينك، قال: وودعه الملك فسار إبراهيم عليه السلام حتى نزل بأعلى الشامات، وخلف لوط فى أدنى الشامات. ثم إن إبراهيم عليه السلام لما أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعتنى هاجر لعل الله أن يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً، فابتاع إبراهيم عليه السلام هاجر من سارة، فوقع عليها فولدت إسماعيل عليه السلام).

و اتهموا نبى الله إسحاق بنفس التهمة

فى التوراة صفحة ۴۶: (۶. فأقام إسحق فى مدينة جرار. ۷. وعندما سأله أهل المدينة عن زوجته قال: هى أختى، لأنه خاف أن يقول: هى زوجتى لئلا يقتله أهل المدينة من أجل رفقة، لأنها كانت رائعة الجمال. ۸. وحدث بعد أن طال مكوثه هناك، أن أبيمالك ملك الفلسطينيين أطل من النافذة، فشاهد إسحق يداعب امرأته رفقة. ۹. فاستدعاه إليه وقال: إنها بالحقيقة زوجتك، فكيف قلت هى أختى؟ فأجاب إسحق: لأنى قلت لعلى أقتل بسببها. ۱۰. فقال أبيمالك: ما هذا الذى فعلت بنا؟ لقد كان يسيراً على أى واحد من الشعب أن يضطجع مع زوجتك فتجلب بذلك علينا إثماً. ۱۱. وأنذر أبيمالك كل الشعب قائلاً: كل من يمس هذا الرجل أو زوجته فحتماً يموت).

و اتهموا إبراهيم و بقية الأنبياء بأنهم كانوا يشربون الخمر

فى قاموس الكتاب المقدس ص۷۷۶: وقد أتقن القدماء الإعتناء بالكروم ووضع ملكى صادق خبزاً وخمراً إمام أبرام. (تك ۱۴: ۱۸)
وشرب لوط خمراً. (تك ۱۹: ۳۳).
وأحضر يعقوب خمراً لإسحاق. (تك ۲۷: ۲۵)
وتنبأ يعقوب قبل موته بأن يهوذا يشتهر بتربية الكرم. (تك ۴۹: ۱۲).
وكان أولاد أيوب يشربون الخمر. (أى ۱: ۱۸)
ونددد صاحب الأمثال بمن يدمن الخمر. (أم ۲۳: ۳۰ و ۳۱)
وكذلك إشعياء النبى. (اش ۵: ۱۱)!!

و زعموا أن لوطا سكن فى سدوم اختلافه مع ابراهيم

فى التوراة والإنجيل ص۲۲(موقع ۵) :(arabicbible. وكان للوط المرافق لأبرام غنم وبقر وخيام أيضاً. ۶. فضاقت بهما الأرض لكثرة أملاكهما، فلم يقدرا أن يسكنا معاً. ۷. ونشب نزاع بين رعاة مواشئ أبرام ورعاة مواشئ لوط، فى الوقت الذى كان فيه الكنعانيون والفرزيون يقيمون فى الأرض. ۸. فقال أبرام للوط: لايكن نزاع بينى وبينك، ولابين رعاتى ورعاتك لأننا نحن أخوان ۹. أليست الأرض كلها أمامك؟ فاعتزل عنى. أن اتجهت شمالاً، أتجه أنا يميناً، وإن تحولت يميناً، أتحول أنا شمالاً).

و نسبوا إلى سارة رضى الله عنها الظلم والقسوة

فى التوراة والإنجيل ص۲۶: (۴. فعاشر هاجر فحبلت منه. ولما أدركت أنها حامل هانت مولاتها فى عينيها، ۵. فقالت ساراى لأبرام: ليقع ظلمى عليك، فأنا قد زوجتك من جاريتى، وحين أدركت أنها حامل هنتُ فى عينيها. ليقض الرب بينى وبينك. ۶. فأجابها أبرام:

ها هی جاریتک تحت تصرفک، فافعلی بها ما یحلو لک. فأذلتها سارای حتی هربت منها).

وفی التوراة ص۳۶: (۹. ورأت سارة أن ابن هاجر المصریة الذی أنجبته لإبراهیم یسخر من ابنها إسحق. ۱۰. فقالت لإبراهیم: أطرد هذه الجاریة وابنها، فإن ابن الجاریة لن یرث مع ابنی إسحق. ۱۱. فقبح هذا القول فی نفس إبراهیم من أجل ابنه. ۱۲. فقال الله له: لا یسوء فی نفسک أمر الصبی أو أمر جاریتک، واسمع لکلام سارة فی کل ما تشیر به علیک لأنه بإسحق یدعی لک نسل. ۱۳. وسأقیم من ابن الجاریة أُمَّةً أیضاً لأنه من ذریتک. ۱۴. فنهض إبراهیم فی الصباح الباکر وأخذ خبزاً وقربة ماء ودفعهما إلی هاجر، ووضعهما علی کتفیها، ثم صرفها مع الصبی، فهامت علی وجهها فی بریة بئر سبع. ۱۵. وعندما فرغ الماء من القربة طرحت الصبی تحت إحدی الأشجار. ۱۶. ومضت وجلست مقابله، علی بعد نحو مئة متر، لأنها قالت: لا أشهد موت الصبی. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبکت. ۱۷. وسمع الله بکاء الصبی، فنادی ملاک الله هاجر من السماء وقال لها: ما الذی یزعجک یا هاجر؟ لا تخافی لأن الله قد سمع بکاء الصبی من حیث هو ملقی. ۱۸. قومی واحملی الصبی، وتشبثی به لأننی سأجعله أمة عظیمة. ۱۹. ثم فتح عینیها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة وسقت الصبی. ۲۰. وکان الله مع الصبی فکبر، وسکن فی صحراء فاران وبرع فی رمی القوس. ۲۱. واتخذت له أمه زوجة من مصر).

وفی قاموس الکتاب المقدس ص۹۹۴: (وقد تکلم الرسول بولس عن هاجر وولادتها حسب الجسد ابناً للعبودیة! ووصف المؤمنین بالمسیح بأنهم کأولاد الحرة یرثون مع الأب ومیلادهم(الثانی) بالموعد مثل إسحاق ابن إبراهیم (غل ۴: ۲۱-۳۱). وقد جاء فی معظم التقالید أن العرب هم ذریة إسماعیل).

و اتهموا إبراهیم بأنه أطاع سارة و طرد هاجر و ابنها إسماعیل

فی قاموس الکتاب المقدس ص۴۴۳: (وعندما بلغت سارة سن۸۹ جاءها الموعد بمیلاد إسحق، الذی ولدته بعد سنة. وغیَّر الله إسم سارای إلی سارة فی ذلک الوقت- وقت الموعد). (تک ۱۷: ۱۵ – ۲۲ و ۱۸: ۹ – ۱۵ و ۲۱: ۱ – ۵).

وعندما فطم إسحاق أقام والداه ولیمة عظیمة... ولاحظت سارة أن إسماعیل یمزح، وقد قیل أنه کان یصوب سهامه علی إسحاق مهدداً بقتله من باب التخویف، فطلبت سارة من إبراهیم أن یطرد الجاریة مع ابنها! وقد ظن البعض أن ذلک کان قساوة وشراً من سارة، غیر أن البعض الآخر یعتقد أن سارة لم تطلب طرد هاجر إلا إلی الخیام الأخری لإبراهیم والتی کان یقیم فیها عبیده الآخرون، أی أن سارة منعت الجاریة وابنها من السکن فی خیمة السید، وجعلتها تأخذ مکانها کجاریة فقط، واختلفت الآراء فی سارة، ولکنها کانت فی الحق مؤمنةً فاضلة وزوجةً أمینة وأما مثالیة. وقد ماتت سارة وهی فی سن ۱۲۷ سنة، بعد ولادة إسحاق بما یزید علی۳۶ سنة، ودفنها إبراهیم فی حقل المکفیلة الذی اشتراه لهذا الغرض).

وفی قاموس الکتاب المقدس ص۷۳: (وقد حثَّت سارة إبراهیم أن یأخذ أمتها زوجة لکی یعقب منها نسلاً، لأن سارة کانت عاقراً (تک ۱۶: ۱ – ۴) وکان هذا النظام فی الزواج معمولاً به فی تلک الأزمنة. وقد دلت الإکتشافات علی أنه کان موجوداً فی (نوزی) بالقرب من کرکوک فی العراق. أما هذا العمل من ناحیة سارة فمصدره ضعف الإیمان بمواعید الرب لإبراهیم وسارة بأن یکون لهما ابن! وبعد أن حملت سارة نظرت إلی سیدتها باحتقار لأنها کانت عاقراً فطردتها سیدتها، ولاقاها ملاک الرب فی الطریق وأمرها أن ترجع إلی سیدتها وإلی بیت إبراهیم، ووعدها بأنها ستلد ابناً تسمیه إسماعیل، وأنه یکون أبا لجمهور من الناس، وأنه سیسکن البریة کحمار وحشی). (تک ۱۶: ۵ – ۱۴)

وبعد أن رجعت هاجر ولدت إسماعیل، لما کان إبراهیم ابن ست وثمانین سنة وبعد أن کان له فی أرض کنعان عشر سنین(تک ۱۶: ۳ – ۱۶). وقد ختن إسماعیل فی الثالثة عشرة من عمره(تک ۱۷: ۲۵) وهی السن التی یختن فیها الأولاد العرب فی الوقت الحاضر.

وفی الولیمة التی أقیمت بمناسبة فطام إسحاق، سَخِر إسماعیل من أخیه الصغیر وکان إسماعیل حینئذ قد بلغ السادسة عشرة من عمره.

فـألحَّت سـارة على إبراهيم أن يطرد هاجر وابنها فطردهما (تك ۲۱: ۸ – ۱۴). فتاهت الأم وابنها فى برية بئر سـبع فى جنوب فلسـطين، وكانا على وشك الهلاك من الظمأ. فأرى الله هاجر بئر ماء ووعـدها ثانيـة بأن ابنها إسـماعيل سيصـير مصـدر أمـة عظيمة. ومنذ ذلك الحين سـكن إسـماعيل فى برية فاران فى جنوب فلسـطين على حدود شبه جزيرة سيناء، وأصبح ماهراً فى استعمال القوس. وأخذت له أمه زوجة من بلادها، من مصر (تك ۲۱: ۱۵ – ۲۱) وولد له اثنا عشـر ابناً الذين أصبحوا آباء القبائل العربية(أنظر إسماعيليين) وولد له أيضاً ابنة اسمها محلة (تك ۲۸: ۹) أو بسمة(تك ۳۶: ۳) وقد تزوجها عيسو. وقد اشترک إسـماعيل مع إسحاق فى دفن أبيهما إبراهيم فى مَمْرا بالقرب من حبرون. (تك ۲۵: ۹). وقد مات إسماعيل بعد أن بلغ من العمر۱۳۷ سنة).(تک ۲۵: ۱۷.

اما مصادرنا فتبرئ إبراهيم و عترته من الظلم والمعصية

ففى المحاسن:۲/۳۳۷،عن الإمام الصادق عليه السـلام:(إن إبراهم عليه السلام لما خلف هاجر وإسماعيل بمكة عطش إسماعيل فبكى، فخرجت هـاجر حتى عَلَتْ على الصـفا وبـالوادى أشـجار فنـادت: هـل بالوادى من أنيس؟ فلم يجبها أحـد، فانحـدرت حتى علت على المروة، فنـادت هل بالوادى من أنيس؟ فلم تزل تفعل ذلك حتى فعلته سـبع مرات، فلما كانت السابعـة هبط عليها جبرئيل عليه السـلام فقـال لهـا: أيتهـا المرأة من أنت؟ قـالت: أنا هاجر أم ولـد إبراهيم، قال لها: وإلى من خلَّفك؟ قالت: أما إذا قلت ذلك، لقـد قلت له يا إبراهيم إلى من تخلفنى ههنـا؟ فقـال: إلى الله عز وجـل أخلفك، فقال لها جبرئيل عليه السـلام: نعم ما خلفك إليه، ولقـد وكلك إلى كافٍ فارجعى إلى ولدك، فرجعت إلى البيت وقد انبعث زمزم والماء ظاهر يجرى، فجمعت حوله التراب فحبسته! قال أبو عبد الله عليه السلام: ولو تركته لكان سيحاً!

ثم مرَّ ركب من اليمن ولـم يكونوا يـدخلون مكة، فنظروا إلى الطير مقبلة على مكة من كل فج، فقالوا: ما أقبلت الطير على مكة إلا وقد رأت المـاء، فمـالوا إلى مكـة حـتى أتـوا موضـع الـبيت، فنزلـوا واسـتقوا من المـاء وتزودوا منه مـا يكفيهم وخلفوا عنـدهما من الزاد ما يكفيهما، فأجرى الله لهم بذلك رزقاً.

وروى محمـد بن خلف، عن بعض أصـحابه، قال: فكان الناس يمرون بمكة فيطعمونهم من الطعام، ويسـقونهم من الماء). (والكافى:۴/ ۲۰۲).

وفى الكافى:۴/۲۰۱:(عن الإمـام الصـادق عليه السـلام قـال:لمـا ولـد إسـماعيل حمله إبراهيم وأمه على حمار، وأقبل معه جبرئيل حتى وضـعه فى موضع الحجر ومعه شـئ من زاد وسـقاء فيه شـئ من مـاء، والبيت يومئـذ ربوةٌ حمراء من مَـدَر فقال إبراهيم لجبرئيل عليهما السلام: هاهنا أمرت؟ قال: نعم، قال: ومكة يومئذ سَلَمٌ وسَمَر، وحول مكة يومئذ ناسٌ من العماليق).

وروى فى الكافى:۴/۲۰۲عن الإمام الصادق عليه السـلام رواية تختلف عن المشـهور تذكر أن زمزم الأولى شحَّت فحفرها إبراهيم عليه السلام، قال:(عن محمد بن يحيى، وأحمد بن إدريس، عن عيسى بن محمد بن أبى أيوب، عن على بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن على بن منصـور، عن كلثوم بن عبـد المؤمن الحرانى، عن أبى عبـد الله عليه السـلام قـال: أمر الله عز وجـل إبراهيم عليه السـلام أن يحج ويحج إسـماعيل معه ويسـكنه الحرم، فحجَّا على جمل أحمر وما معهما إلا جبرئيل عليه السـلام، فلما بلغا الحرم قال له جبرئيل: يا إبراهيم إنزلاـ فاغتسـلا قبـل أن تـدخلا الحرم، فنزلاـ فاغتسـلا، وأراهمـا كيف يتهيئان للإحرام ففعلا، ثم أمرهما فأهلا بالحـج، وأمرهما بالتلبيـات الأـربع التى لبى بهـا المرسـلون، ثم صـار بهما إلى الصـفا فنزلا وقام جبرئيل بينهما، واسـتقبل البيت فكبر الله وكبرا، وهلل الله وهللا، وحمد الله وحمدا، ومجَّد الله ومجَّدا، وأثنى عليه وفعلا مثل ذلك.

وتقـدم جبرئيـل وتقـدما، يثنيـان على الله عز وجـل ويمجـدانه، حتى انتهى بهمـا إلى موضع الحجر فاسـتلم جبرئيـل الحجر وأمرهما أن يستلما، وطاف بهما أسبوعاً، ثم قام بهما فى موضع مقام إبراهيم عليه السلام فصلى ركعتين وصليا، ثم أراهما المناسك وما يعملان به. فلما قضـيا مناسـكهما أمر الله إبراهيم عليه السـلام بالإنصـراف وأقام إسـماعيل وحـده، ما معه أحـد غير أمه، فلما كان من قابل أذن الله

لإبراهيم عليه السلام فى الحج وبناء الكعبة، وكانت العرب تحج إليه وإنما كان ردماً إلا أن قواعده معروفة، فلما صدر الناس جمع إسماعيل الحجارة وطرحها فى جوف الكعبة. فلما أذن الله له فى البناء قدم إبراهيم عليه السلام فقال: يا بنيَّ قد أمرنا الله ببناء الكعبة، وكشفا عنها فإذا هو حجر واحد أحمر، فأوحى الله عز وجل إليه ضع بناءها عليه، وأنزل الله عز وجل أربعة أملاك يجمعون إليه الحجارة، فكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يضعان الحجارة والملائكة تناولهما، حتى تمت اثنى عشر ذراعاً، وهيئا له بابين: باباً يدخل منه وباباً يخرج منه، ووضعا عليه عتباً وشرجاً من حديد على أبوابه.

وكانت الكعبة عريانة فصدر إبراهيم وقد سوى البيت وأقام إسماعيل، فلما ورد عليه الناس نظر إلى امرأة من حِمْيَر أعجبه جمالها، فسأل الله عز وجل أن يزوجها إياه، وكان لها بعل فقضى الله على بعلها بالموت وأقامت بمكة حزناً على بعلها، فأسلى الله ذلك عنها، وزوجها إسماعيل.

وقدم إبراهيم الحج وكانت امرأة موفقة، وخرج إسماعيل إلى الطائف يمتار لأهله طعاماً، فنظرت إلى شيخ شعث، فسألها عن حالهم فأخبرته بحسن حال، فسألها عنه خاصة فأخبرته بحسن الدين، وسألها ممن أنت؟ فقالت: امرأة من حِمْيَر فسار إبراهيم ولم يلق إسماعيل، وقد كتب إبراهيم كتاباً فقال: إدفعي هذا إلى بعلك، إذا أتى أن شاء الله، فقدم عليها إسماعيل فدفعت إليه الكتاب فقرأه فقال: أتدرين من هذا الشيخ؟ فقالت: لقد رأيته جميلاً فيه مشابهة منك، قال: ذاك إبراهيم فقالت: واسوءتاه منه فقال: ولِمَ، نظرَ إلى شئ من محاسنك؟ فقالت: لا ولكن خفت أن أكون قد قصرت! وقالت له المرأة وكانت عاقلة: فهلا تعلق على هذين البابين سترين ستراً من ههنا وستراً من ههنا؟ فقال لها: نعم فعملا لهما سترين طولهما اثنى عشر ذراعاً فعلقا هما على البابين فأعجبهما ذلك، فقالت: فهلَّا أحوكُ للكعبة ثياباً فتسترها كلها فإن هذه الحجارة سمجة؟ فقال لها إسماعيل: بلى، فأسرعت فى ذلك وبعثت إلى قومها بصوف كثير تستغزلهم. قال أبو عبد الله عليه السلام: وإنما وقع استغزال النساء من ذلك بعضهن لبعض لذلك، قال: فأسرعت واستعانت فى ذلك، فكلما فرغت من شقة علقتها فجاء الموسم وقد بقي وجه من وجوه الكعبة، فقالت لإسماعيل: كيف نصنع بهذا الوجه الذى لم تدركه الكسوة، فكسوه خصفاً فجاء الموسم وجاءته العرب على حال ماكانت تأتيه، فنظروا إلى أمر أعجبهم، فقالوا: ينبغى لعامل هذا البيت أن يهدى إليه، فمن ثَمَّ وقع الهدى، فأتى كل فخذ من العرب بشئ يحمله من ورق ومن أشياء غير ذلك، حتى اجتمع شئ كثير، فنزعوا ذلك الخصف وأتموا كسوة البيت وعلقوا عليها بابين.

وكانت الكعبة ليست بمسقفة، فوضع إسماعيل فيها أعمدة مثل هذه الأعمدة التى ترون من خشب، وسقفها إسماعيل بالجرائد وسوَّاها بالطين، فجاءت العرب من الحول فدخلوا الكعبة ورأوا عمارتها فقالوا: ينبغى لعامل هذا البيت أن يزاد، فلما كان من قابل جاءه الهدى، فلم يدر إسماعيل كيف يصنع، فأوحى الله عز وجل إليه أن انحره وأطعمه الحاج.

قال: وشكا إسماعيل إلى إبراهيم قلة الماء، فأوحى الله عز وجل إلى إبراهيم أن احتفر بئراً يكون منها شراب الحاج فنزل جبرئيل عليه السلام فاحتفر قليبهم يعنى زمزم حتى ظهر ماؤها ثم قال جبرئيل عليه السلام:إنزل يا إبراهيم فنزل بعد جبرئيل فقال: ياإبراهيم إضرب فى أربع زوايا البئر وقل بسم الله، قال فضرب إبراهيم عليه السلام فى الزاوية التى تلى البيت وقال: بسم الله فانفجرت عين ثم ضرب فى الزاوية الثانية وقال: بسم الله فانفجرت عين، ثم ضرب فى الثالثة وقال: بسم الله فانفجرت عين، ثم ضرب فى الرابعة وقال: بسم الله فانفجرت عين.

وقال له جبرئيل:إشرب يا إبراهيم وادع لولدك فيها بالبركة، وخرج إبراهيم عليه السلام وجبرئيل جميعاً من البئر فقال له: أفض عليك يا إبراهيم، وطف حول البيت فهذه سقيا سقاها الله ولد إسماعيل، فسار إبراهيم وشيَّعه إسماعيل حتى خرج من الحرم، فذهب إبراهيم ورجع إسماعيل إلى الحرم). انتهى.

و اتهموا نبى الله هارون و موسى بالشرك والمعاصى

فی قاموس الکتاب المقدس ص۹۹۵: (غیر أن هارون أظهر ضعف إیمان فی حالات کثیرة، وکان أولها لما تأخر موسی وهو علی الجبل مع الرب. فقد ضج الشعب وارتد عن طاعة الله، وطلب إلی هارون أن یصنع له تماثیل آلهة لیعبدها. فصنع هارون عجل الذهب وبنی له مذبحاً (خر/۳۲). ومع هذا غفر الله له خطأه، وأمر برسمه، هو وذریته، کهنة علی بنی إسرائیل.(خر ۴۰: ۱۲ – ۱۵). وبذلک تأسست الکهانة اللاویة، وأصبح هارون أول رئیس کهنة....

وکان الله کثیر الإحسان لهارون بالرغم من أخطائه. وکانت آخر أخطائه أنه لم یقدس الرب إمام بنی إسرائیل، لا هو ولا موسی، فی أواخر رحلة بنی إسرائیل إلی فلسطین وحینما شعر الشعب بالظمأ إمام قادش. فأمر الله بعقابهما، بمنعهما من دخول فلسطین، أی بموتهما قبل الوصول إلیها (عد ۲۰: ۱ – ۱۳).

وغادر بنو إسرائیل قادش وأتوا إلی جبل هور، فأمر الرب موسی أن یأخذ هارون وابنه ألعازار، ویصعد بهما إلی الجبل وهناک یخلع ثیاب هارون الکهنوتیة ویلبسها لابنه. ولما نفذ هارون ذلک مات هارون، وانضم إلی آبائه وبکاه قومه ثلاثین یوماً (عد ۲۰: ۲۲ – ۲۹ و۳۳: ۳۷ – ۳۹ وتث ۱۰: ۶).

وکان عمره عند وفاته مئة وثلاث وعشرین سنة. ولا یزال أثر المکان الذی مات فیه محفوظاً إلی الیوم علی إحدی قمتی جبل هور بالقرب من بترا. وسمی هارون (قدس الرب). (مز ۱۰۶: ۱۶).

وکان الیهود المتأخرون یحفظون ذکراه بإکرام. وهم یصومون تذکاراً له فی الیوم الأول من شهر آب. وظلت رئاسة الکهنوت عند العبرانیین فی بیت هارون إلی دمار أورشلیم والهیکل فی سنة ۷۰م).

و اتهموا أنبیاء الله بالحیل والدجل والبلاهة

فی التوراة والإنجیل ص۴۷:(۲۷–۱. ولما شاخ إسحق وضعف بصره استدعی ابنه الأکبر عیسو وقال له: یا بنی ۲. ها أنا قد شخت ولست أعرف متی یحین یوم وفاتی. ۳. فالأن خذ عدتک:جعبتک وقوسک، وامض إلی البریة واقتنص لی صیداً. ۴. وجهز لی طعاماً شهیاً کما أحب وائتنی به لآکل، لتبارکک نفسی قبل أن أموت. ۵. وسمعت رفقة حدیث إسحق لابنه عیسو. فعندما انطلق عیسو إلی البریة لیصطاد صیداً ویأتی به. ۶. قالت رفقة لابنها یعقوب: سمعت أباک یقول لعیسو أخیک ۷. إقتنص لی صیداً، وجهز لی أطعمة شهیة لآکل وأبارکک إمام الرب قبل موتی. ۸. والأن یا بنی أطع قولی فی ما آمرک به، ۹. واذهب إلی قطیع الماشیة، واختر جدیین لأجهز لأبیک أطعمة شهیة کما یحب! ۱۰. تقدمها لأبیک لیأکل، فیبارکک قبل وفاته. ۱۱. فقال یعقوب لرفقة أمه: أخی عیسو رجل أشعر، وأنا رجل أملس. ۱۲. وقد یجسنی أبی فیتبین خداعی، وأستجلب علی نفسی لعنة لا برکة. ۱۳. فقالت له أمه: لعنتک علیَّ یا بنیَّ، فأطع قولی فقط، واذهب وأحضر الجدیین لی. ۱۴. فذهب واختارهما وأحضرهما لأمه، فأعدت رفقة الأطعمة المطیبة کما یحب أبوه ۱۵. وتناولت ثیاب بکرها عیسو الفاخرة الموجودة عندها فی البیت وألبست یعقوب ابنها الأصغر، ۱۶. وکذلک غطت یدیه وملاسة عنقه بجلد الجدیین. ۱۷. وأعطته ما أعدته من الأطعمة الشهیة والخبز. ۱۸. فأقبل علی أبیه وقال: یا أبی. فأجابه: نعم یا ابنی من أنت؟ ۱۹. فقال یعقوب: أنا عیسو بکرک. وقد فعلت کما طلبت، والأن قم واجلس وکل من صیدی حتی تبارکنی.۲۰. فقال إسحق: کیف استطعت أن تجد صیداً بمثل هذه السرعة یا ولدی؟ فأجابه: لأن الرب إلهک قد یسر لی ذلک. ۲۱. وقال إسحق: إقترب منی لأجسک یا ابنی لأری أن کنت حقاً ابنی عیسو أم لا. ۲۲. فدنا یعقوب من أبیه إسحق فجسه وقال: الصوت صوت یعقوب، أما الیدان فهما یدا عیسو. ۲۳. ولم یعرفه لأن یدیه کانتا مشعرتین کیدی أخیه عیسو، فبارکه!! ۲۴. وسأل: هل أنت ابنی عیسو؟ فأجاب: أنا هو. ۲۵. ثم قال: قدم لی من صیدک حتی آکل وأبارکک. فأحضر یعقوب إلیه الطعام فأکل ثم قدم له خمراً فشرب، ۲۶. فقال له إسحق أبوه: تعال وقبلنی یا ولدی. ۲۷ فاقترب منه وقبله، فتنسم رائحة ثیابه وبارکه قائلاً: ها أن رائحة ابنی کرائحة حقل بارکه الرب، ۲۸. فلینعم علیک الرب من ندی السماء ومن خیرات الأرض، فیکثر لک الحنطة والخمر. ۲۹. لتخدمک الشعوب، وتسجد لک القبائل، لتکن سیداً علی

إخوتک. وبنو أمک لک ینحنون. ولیکن لاعنوک ملعونین، ومبارکوک مبارکین.

۳۰. ولما فرغ إسحق من مبارکة یعقوب، وخرج یعقوب من عند أبیه، رجع عیسو من صیده، ۳۱. فجهز هو أیضاً أطعمة طیبة وأحضرها إلی أبیه وقال: لیقم أبی ویأکل من صید ابنه فتبارکنی نفسک. ۳۲. فقال إسحق: من أنت؟ فأجابه: أنا ابنک بکرک عیسو. ۳۳. فارتعد إسحق بعنف وقال: من هو إذا الذی اصطاد صیداً وأحضره إلیَّ فأکلت من الکل قبل أن تجیء، وبارکته؟ وحقاً یکون مبارکاً. ۳۴. فما أن سمع عیسو کلام أبیه حتی أطلق صرخة هائلة ومرة جداً وقال: بارکنی أنا أیضاً یا أبی. ۳۵. فأجاب: لقد مکر بی أخوک وسلب برکتک! ۳۶. فقال: ألم یدع اسمه یعقوب؟ لقد تعقبنی مرتین: أخذ بکوریتی، وها هو یسلبنی الآن برکتی. ثم قال: أما احتفظت لی ببرکة؟ ۳۷. فأجاب إسحق: لقد جعلته سیداً لک، وصیرت جمیع إخوته له خداماً، وبالحنطة والخمر أمددته. فماذا أفعل لک الآن یا ولدی؟. ۳۸. فقال عیسو: ألک برکة واحدة فقط یا أبی؟ بارکنی أنا أیضاً یا أبی. وأجهش عیسو بالبکاء بصوت عال. ۳۹. فأجابه أبوه: ها مسکنک یکون فی أرض جدباء لایهطل علیها ندی السماء. ۴۰. بسیفک تعیش ولأخیک تکون عبداً، ولکن حین تجمح تحطم نیره عن عنقک.

۴۱. وحقد عیسو علی یعقوب من أجل ما ناله من برکة أبیه. فناجی نفسه: قریباً یموت أبی، وبعدئذ أقتل أخی یعقوب. ۴۲. فبلغ رفقة وعید عیسو ابنها الأکبر، فأرسلت واستدعت یعقوب ابنها الأصغر وقالت له: عیسو یخطط لقتلک. ۴۳. والأن یا ابنی إصغ لقولی، وقم اهرب إلی أخی لابان إلی حاران، ۴۴ وامکث عنده أیاماً قلائل ریثما یهدأ سخط أخیک. ۴۵. ومتی سکن غضبه ونسی ما صنعت به، عندئذ أبعث إلیک لتعود من هناک)!!

و اتهموا یوشع بأنه ختن الیهود بسکاکین من حجر الصوان

فی قاموس الکتاب المقدس ص۳۳۷: (۷: ۲۲. والختان من الشعائر المعروفة فی الیهودیة، وهو قطع لحم غرلة کل ذکر ابن ثمانیة أیام... وقد ختن إبراهیم وهو فی التاسعة والتسعین وإسماعیل وهو فی الثالثة عشرة. (تک ۱۷: ۱۱ – ۲۷).

ثم تجددت سنة الختان لموسی(لا ۱۲: ۳) فقضی أن لا یأکل الفصح رجل أغرل. وکان الیهود یحافظون کل المحافظة علی هذه السنة وقد أهملوها أثناء رحلتهم فی البریة. علی أنه عند دخول الشعب أرض کنعان صنع یشوع سکاکین من الصوان وختن الشعب کله). (یشوع ۵: ۲ – ۹).

و افتروا علی سلیمان أنه أشرک بالله تعالی

فی التوراة/۵۵۴: (۹. فغضب الرب علی سلیمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائیل الذی تراءی له مرتین ۱۰. وأوصاه فی هذا الأمر أن لا یتبع آلهة أخری فلم یحفظ ما أوصی به الرب. ۱۱. فقال الرب لسلیمان من أجل أن ذلک عندک ولم تحفظ عهدی وفرائضی التی أوصیتک بها فإنی أمزق المملکة عنک تمزیقاً وأعطیها لعبدک). انتهی.

النتائج الخطیرة لتخریب الیهود لعقیدة العدل والعصمة

لهذا العمل الیهودی دلالات مهمة ونتائج خطیرة بل مهولة، فی عقائد الیهود وحیاتهم، فی تعاملهم مع ربهم وأنبیائهم علیهم السلام، ومع الشعوب الإخری!

فمنها: أنه یکشف سبب التعقید فیهم، والذی تحول من صفة فی الشخص الیهودی المنحرف، إلی صفة فی الجماعة الیهودیة کلها، إلا من عصم الله.

فإن کنت تعتقد أن رب العالمین خالق السماوات والأرضین، یعامل عباده

بالغضب والظلم والإنتقام، ويفتقر إلى العلم المطلق، والحكمـة المطلقـة، والرحمة المطلقة.. فمن الطبيعى أن تتأصل فى نفسك الذاتية، وتشـعر أنـك موجودٌ فى مقابـل خالقه، ليس المهم عنـده عبادة ربه وطاعته وكسب فيض رحمته، بل المهم أن يستعمل الحيَل مع ربه لحماية نفسه منه، وكسب ما يمكنه منه! وهذا هو التعقيد فى الشخصية فى أعمق حالاته!

وإذا كان رب العالمين معاذ الله كذلك، وكان الأنبياء عليهم السـلام جماعة أنانيين شـهوانيين، يسيؤون اسـتعمال السلطة والبركة التى أعطاهم إياها! فماذا عسى أن يكون اليهودى العادى؟!!

ومنها: أنه يكشف منشأ نظرتهم الدونية إلى أنفسـهم فضلاً عن غيرهم، فعقيدة أنهم شعب الله المختار لاتقلل من عقيدة الدونية! فما دام أنبياءهذا الشعب سيؤون ذميمون، فصفات عامة الشعب أحط منها وأسوأ بكثير!

ومنها: أن نعرف سبب عقيـدتهم بدونية الشعوب، فمن كانت هذه عقيدته إلى أنبيائه عليهم السـلام ونفسه، فلا عجب أن تكون نظرته إلى بقية شعوب العالم بأنهم حمير خلقهم الله ليركبهم أبناء الشعب اليهودى؟!

ومنها: أنه يكشف سبب حرصهم على نشر النظرة الدونية إلى الإنسان فى العالم، التى تزعم أن الإنسان حيوان يحركه الجنس لا أكثر! ولـذا كان دارون وفرويـد اليهوديان أبطالاً قوميين عنـد اليهود! لايتكارهما نظريات تساعـد فى تركيز النظرة اليهوديـة فى ثقافة شـعوب العالم!

ومنها: أنا بـذلك نضع يـدنا على فعالية أحبار يهود المدينة وخيبر والشام واليمن، ونابغتهم كعب الأحبار، فى تخريب عقيدة المسـلمين فى صـفات الله تعالى والطعن فى عدالته، ونفيهم لعصـمة الأنبياء عليهم السـلام، وخاصة نبينا صـلى الله عليه وآله فإن أول هدف وأهمه عند اليهودى أن يجعلك مثله تنتقد الله تعالى ورسله، وتطول لسانك عليهم، فبذلك تقف معه على الطريق الذى يريده لك!

راجع ماكتبناه فى(ألف سؤال وإشـكال:۱/۴۸۵) عن دور كعب فى تخريب عقائـد المسـلمين وزرع اليأس فى نفوسـهم من المسـتقبل، وزعمه حتمية انتهاء الإسلام وفناء أمته، وهدم الكعبة وخراب مكة، خراباً لاتسكن بعده أبداً!

امتياز الشيعة عن اليهود والسنة بعقيدة العصمة التامة

نؤمن بالعدالة المطلقة لله تعالى والعصمة التامة للأنبياء والأئمة

امتاز الشـيعة عن غيرهم من جميع مذاهب المسـلمين وأهل الأديان الأخرى بأنهم يعتقدون بالعدالة الكاملة لله تعالى، والعصـمة الكاملة لأنبيائه وأوصـيائه عليهم السلام وينزهونهم عن جميع المعاصى والرذائل، طوال أعمارهم الشريفة، قبل البعثة والإمامة وبعدها، سواء فى تبليغ الرسالة وعقائدها وأحكامها، أو فى غيره من سلوكهم الشخصى والعام.

وقد عرَّف الإمام الصادق عليه السلام العصمة كما فى معانى الأخبار للصدوق: ص۱۳۲:

(حـدثنا على بن الفضل بن العباس البغدادى بالرى المعروف بأبى الحسن الحنوطى، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد بن سـليمان بن الحـارث، قـال: حـدثنا محمـد بن على بن خلف العطار قال: حـدثنا حسـين الأشـقر قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: أن الإمـام لا يكون إلا معصوماً؟ فقال: سألت أبا عبـد الله عليه السـلام عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم).

وفى معانى الأخبار ص۱۳۲: (حـدثنا أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المقرى قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر المقرى الجرجانى قال: حـدثنا أبو بكر محمـد بن الحسن الموصـلى ببغـداد، قال: حدثنا محمد بن عاصم الطريفى، قال: حدثنا عباس بن يزيد بن الحسـن الكحال مولى زيـد بن على قال: حـدثنى أبى قال: حدثنى موسـى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن على، عن أبيه على بن الحسـين عليهم السـلام قال: الإمام منا لايكون إلا معصوماً، وليست العصـمة فى ظاهر الخلقـة فيعرف بها، ولـذلك لايكون إلا

منصوصاً.

فقیل له: یا ابن رسول الله فما معنی المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لایفترقان إلی یوم القیامهٔ، والإمام یهدی إلی القرآن والقرآن یهدی إلی الإمام، وذلک قول الله عز وجل ": إن هذا القرآن یهدی للتی هی أقوم. ")

وفی معانی الأخبار ص۱۳۲: (حدثنا محمد بن علی ماجیلویهٔ- رحمه الله - قال حدثنا علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن محمد بن أبی عمیر قال: ما سمعت ولا استفدت من هشام بن الحکم فی طول صحبتی له شیئاً أحسن من هذا الکلام فی صفهٔ عصمهٔ الإمام، فإنی سألته یوماً عن الإمام أهو معصوم؟ فقال: نعم. فقلت: فما صفهٔ العصمهٔ فیه؟ وبأی شیئ تعرف؟ فقال: إن جمیع الذنوب لها أربعهٔ أوجه ولا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوهٔ، فهذه منفیهٔ عنه لا یجوز أن یکون حریصاً علی هذه الدنیا وهی تحت خاتمه لأنه خازن المسلمین، فعلی ماذا یحرص؟ ولا یجوز أن یکون حسوداً لأن الإنسان إنما یحسد من فوقه ولیس فوقه أحد، فکیف یحسد من هو دونه؟ ولا یجوز أن یغضب لشئ من امور الدنیا إلا أن یکون غضبه لله عز وجل، فإن الله عز وجل قد فرض علیه إقامهٔ الحدود وأن لا تأخذه فی الله لومهٔ لائم ولا رأفهٔ فی دینه حتی یقیم حدود الله عز وجل، ولا یجوز له أن یتبع الشهوات ویؤثر الدنیا علی الآخرهٔ لأن الله عز وجل حبب إلیه الآخرهٔ کما حبب إلینا الدنیا فهو ینظر إلی الآخرهٔ کما ننظر إلی الدنیا فهل رأیت أحداً ترک وجهاً حسناً لوجه قبیح وطعاماً طیباً لطعام مر وثوباً لیناً لثوب خشن ونعمهٔ دائمهٔ باقیهٔ لدنیا زائلهٔ فانیهٔ). (ورواه فی علل الشرائع:۱/۲۰۴. وأمالی الصدوق/۷۳۱:والخصال/۲۱۵)

وهذا الإمتیاز معروف للجمیع عن الشیعهٔ، من عصر النبی والأئمهٔ علیهم السلام.

قال الرازی فی تفسیره:۳/۷: (واختلف الناس علی ثلاثهٔ أقوال:

أحدها: قول من ذهب إلی أنهم معصومون من وقت مولدهم، وهو قول الرافضهٔ.

وثانیها: قول من ذهب إلی عصمتهم وقت بلوغهم، ولم یجوزوا منهم ارتکاب الکفر والکبیرهٔ قبل النبوهٔ، وهو قول کثیر من المعتزلهٔ.

وثالثها: قول من ذهب إلی أن ذلک (یعنی ارتکاب الکفر والکبیرهٔ) لایجوز وقت النبوهٔ أما قبلها فجائز، وهو قول أکثر أصحابنا، وقول أبی الهذیل العلاف، وأبی علی من المعتزلهٔ).

وقال أیضاً فی عصمهٔ الأنبیاءص۸: (وقد اختلفوا فیه علی خمسهٔ مذاهب:

(الأول): الحشویهٔ وهو أنه یجوز علیهم الإقدام علی الکبائر والصغائر.

(الثانی): أنه لایجوز منهم تعمد الکبیرهٔ البتهٔ، وأما تعمد الصغیرهٔ فهو جائز بشرط أن لا تکون منفراً، وأما أن کانت منفراً فذلک لایجوز علیهم، مثل التطفیف بما دون الحبهٔ، وهو قول أکثر المعتزلهٔ.

(الثالث) أنه لا یجوز علیهم تعمد الکبیرهٔ والصغیرهٔ، ولکن یجوز صدور الذنب منهم علی سبیل الخطأ فی التأویل، وهو قول أبی علی الجبائی

(الرابع): أنه لایجوز علیهم الکبیرهٔ ولا الصغیرهٔ، لا بالعمد ولا بالتأویل والخطأ. أما السهو والنسیان فجائز، ثم إنهم یعاتبون علی ذلک السهو والنسیان لما أن علومهم أکمل، فکان الواجب علیهم المبالغهٔ فی التیقظ، وهو قول أبی إسحاق إبراهیم بن سیار النظام.

(الخامس): أنه لا یجوز علیهم الکبیرهٔ ولا الصغیرهٔ، لا بالعمد ولا بالتأویل، ولا بالسهو والنسیان. وهذا مذهب الشیعهٔ).

وقال فی تفسیره:۱۸/۹: (وعندنا العصمهٔ إنما تعتبر فی وقت النبوهٔ لاقبلها).

وهذه النصوص من عالم سنی مشهود له بالعمق والدقهٔ، تکشف لنا أنه لم ینج من التأثر بالتهم الیهودیهٔ للأنبیاء علیهم السلام إلا الشیعهٔ، أتباع العترهٔ النبویهٔ الطاهرهٔ صلوات الله علیهم.

کما تکشف لنا خریطهٔ التأثیر الیهودی بنسب متفاوتهٔ علی فئات المسلمین فی تنقیصهم من مقام الأنبیاء علیهم السلام، مع الإلتفات إلی أن ماذکره الرازی هو القدر المتبنی رسمیاً فی فتاوی علمائهم وعقائدهم، أما فی مصادرهم الصحیحهٔ فهی حافلهٔ بأنواع الطعن فی

عصمة الأنبیاء علیهم السلام وعدالتهم واتهامهم فی سلوکهم الشخصی، وحتی فی تبلیغهم للرسالة!

وسبب ذلک ما نشره الیهود فیهم من مفاهیم وقصص انتقاص الأنبیاء علیهم السلام! وإن حکومات الخلافة القرشیة شجعت تلک الروایات وجعلت مجالسها مجالس رسمیة فی مسجد النبی صلی الله علیه وآله وغیره من مساجد المسلمین، وأعطت رواتها مناصب علیاً فی الدولة!

کما أنها شجعت علی روایات الإنتقاص من نبینا صلی الله علیه وآله لتبریر عمل الخلفاء، ورفعهم إلی صف النبی صلی الله علیه وآله، بل تفضیلهم علیه أحیاناً، کما سیأتی!

من أحادیث الشیعة فی عصمة الأنبیاء والأئمة عصمة تامة

من شرائع دیننا عصمة الأنبیاء و الأوصیاء

فی الخصال للصدوق ص۶۰۳: (حدثنا أحمد بن محمد بن الهیثم العجلی، وأحمد بن الحسن القطان، ومحمد بن أحمد السنانی، والحسین بن إبراهیم بن أحمد بن هشام المکتب، وعبد الله بن محمد الصائغ، وعلی بن عبد الله الوراق رضی الله عنهم قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن یحیی بن زکریا القطان قال: حدثنا بکر بن عبد الله بن حبیب قال: حدثنا تمیم بن بهلول قال: حدثنا أبو معاویة، عن الأعمش، عن جعفر بن محمد علیهما السلام قال:

(هذه شرائع الدین لمن أراد أن یتمسک بها وأراد الله هداه:

إسباغ الوضوء کما أمر الله عز وجل فی کتابه الناطق، غسل الوجه والیدین إلی المرفقین، ومسح الرأس والقدمین إلی الکعبین، مرة مرة. ومرتان جائز.... وهو حدیث طویل تضمن أهم أحکام الوضوء والأغسال والفرائض والنوافل وصلاة الجماعة، وأحکام الزکاة... وجاء فیه قوله علیه السلام:

وبر الوالدین واجب، فإن کانا مشرکین فلا تطعهما ولا غیرهما فی المعصیة، فإنه لا طاعة لمخلوق فی معصیة الخالق. والأنبیاءوالأوصیاء علیهم السلام لاذنوب لهم، لأنهم معصومون مطهرون...الی أن قال علیه السلام: ولا یفرض الله عزوجل علی عباده طاعة من یعلم أنه یغویهم ویضلهم، ولا یختار لرسالته ولا یصطفی من عباده من یعلم أنه یکفر به ویعبد الشیطان دونه، ولا یتخذ علی خلقه حجة إلا معصوماً. والإسلام غیر الإیمان وکل مؤمن مسلم، ولیس کل مسلم مؤمن...الخ.).

وفی أمالی الصدوق ص۷۳۸: (المجلس الثالث والتسعون، مجلس یوم الجمعة الثالث عشر من شعبان سنة ثمان وستین وثلاثمائة:

واجتمع فی هذا الیوم إلی الشیخ الفقیه أبی جعفر محمد بن علی بن الحسین بن موسی بن بابویه القمی(رض)، أهل مجلسه والمشایخ، فسألوه أن یملی علیهم وصف دین الإمامیة علی الإیجاز والإختصار، فقال رضی الله عنه:

دین الإمامیة هو الإقرار بتوحید الله تعالی ذکره ونفی التشبیه عنه، وتنزیهه عما لا یلیق به، والإقرار بأنبیاءالله ورسله وحججه وملائکته وکتبه، والإقرار بأن محمداً صلی الله علیه وآله هو سید الأنبیاءوالمرسلین، وأنه أفضل منهم ومن جمیع الملائکة المقربین، وأنه خاتم النبیین، فلا نبی بعده إلی یوم القیامة، وإن جمیع الأنبیاءوالرسل والأئمة علیهم السلام أفضل من الملائکة، وأنهم معصومون مطهرون من کل دنس ورجس، لا یهمون بذنب صغیر ولا کبیر ولا یرتکبونه، وأنهم أمان لأهل الأرض کما أن النجوم أمان لأهل السماء.

وإن الدعائم التی بنی الإسلام علیها خمس: الصلاة، والزکاة، والصوم، والحج، وولایة النبی والأئمة صلوات الله علیهم بعده، وهم اثنا عشر إماماً، أولهم أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب، ثم الحسن، ثم الحسین، ثم علی بن الحسین، ثم الباقر محمد بن علی، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الکاظم موسی بن جعفر، ثم الرضا علی بن موسی، ثم الجواد محمد بن علی، ثم الهادی علی بن محمد، ثم العسکری الحسن بن علی، ثم الحجة بن الحسن بن علی، علیهم السلام، والإقرار بأنهم أولوا الأمر الذین أمر الله عز وجل بطاعتهم،

فقال: (یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أطیعوا اللهَ وَأطیعوا الرَّسُولَ وَأولِی الأمر مِنْکُمْ) (النساء:۵۹) وإن طاعتهم طاعة الله، ومعصیتهم معصیة الله، وولیهم ولی الله، وعدوهم عدو الله عز وجل. ومودة ذریة النبی صلی الله علیه وآله إذا کانوا علی منهاج آبائهم الطاهرین فریضةٌ واجبةٌ فی أعناق العباد إلی یوم القیامة، وهی أجر النبوة، لقول الله عز وجل: (قُلْ لاأَسْأَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إلاالْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبَی)(الشوری:۲۳) والإقرار بأن الإسلام هو الإقرار بالشهادتین، والإیمان هو إقرار باللسان، وعقد بالقلب، وعمل بالجوارح، لا یکون الإیمان إلا هکذا، ومن شهد الشهادتین فقد حقن ماله ودمه إلا بحقها، وحسابه علی الله عز وجل).

وفی التوحید للصدوق ص۱۱۸: (حدثنا محمد بن موسی بن المتوکل رحمه الله قال: حدثنا علی بن الحسین السعد آبادی، عن أحمد بن أبی عبد الله البرقی، عن أبیه محمد بن خالد، عن أحمد بن النضر، عن محمد بن مروان، عن محمد بن السائب، عن أبی الصالح، عن عبد الله بن عباس فی قوله عزوجل: فَلَمَّا أفاق قَالَ سُبْحَانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ وأنا أول الْمُؤْمِنِینَ، قال: یقول سُبْحَانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ من أن أسألک الرؤیة وأنا أول الْمُؤْمِنِینَ بأنک لا تری.

قال محمد بن علی بن الحسین مصنف هذا الکتاب رضی الله عنه:

إن موسی علیه السلام علم أن الله عز وجل لایجوز علیه الرؤیة، وإنما سأل الله عز وجل أن یریه ینظر إلیه عن قومه حین ألحوا علیه فی ذلک، فسأل موسی ربه ذلک من غیر أن یستأذنه فقال: رَبِّ أَرِنِی أَنْظُرْ إِلَیْکَ قَالَ لَنْ تَرَانِی وَلَکِنِ انْظُرْ إلی الْجَبَلِ فإن اسْتَقَرَّ مَکَانَهُ فی حال تزلزله فَسَوْفَ تَرَانِی، ومعناه إنک لا ترانی أبداً، لأن الجبل لایکون ساکناً متحرکاً فی حال أبداً، وهذا مثل قوله عزوجل: وَلا یَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّی یَلِجَ الْجَمَلُ فِی سَمِّ الْخِیَاطِ، ومعناه أنهم لا یدخلون الجنة أبداً، کما لایلج الجمل فی سم الخیاط أبداً.

فَلَمَّا تَجَلَّی رَبُّهُ لِلْجَبَلِ، أی ظهر للجبل بآیة من آیاته، وتلک الآیة نور من الأنوار التی خلقها ألقی منها علی ذلک الجبل جَعَلَهُ دَکّاً وَخَرَّ مُوسَی صَعِقاً، من هول تزلزل ذلک الجبل علی عظمه وکبره.

فَلَمَّا أفاق قَالَ سُبْحَانَکَ تُبْتُ إِلَیْکَ، أی رجعت إلی معرفتی بک عادلاً عما حملنی علیه قومی من سؤالک الرؤیة، ولم تکن هذه التوبة من ذنب لأن الأنبیاءلا یذنبون ذنباً صغیراً ولا کبیراً، ولم یکن الإستیذان قبل السؤال بواجب علیه، لکنه کان أدباً یستعمله ویأخذ به نفسه متی أراد أن یسأله، علی أنه قد روی قوم أنه قد استأذن فی ذلک فأذن له، لیعلم قومه بذلک أن الرؤیة لا تجوز علی الله عزوجل.

وقوله: وأنا أول الْمُؤْمِنِینَ، یقول: وأنا أول المؤمنین من القوم الذین کانوا معه وسألوه أن یسأل ربه أن یریه ینظر إلیه، بأنک لا تری.

وجوب طاعة الأنبیاء والأوصیاء تستوجب عصمتهم

فی علل الشرائع للصدوق:۱/۱۲۳: (حدثنا محمد بن موسی بن المتوکل(رض) قال: حدثنا علی بن الحسین السعد آبادی، عن أحمد بن أبی عبد الله عن أبیه، عن حماد بن عیسی، عن ابن أذینة، عن أبان بن أبی عیاش، عن سلیم بن قیس قال سمعت أمیر المؤمنین علیه السلام یقول: إنما الطاعة لله عز وجل ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر بطاعة أولی الأمرلأنهم معصومون مطهرون لایأمرون بمعصیته).

وفی الخصال ص۱۳۹: (حدثنا أبی(رض)قال: حدثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد بن عیسی، عن أبیه، عن حماد بن عیسی، عن عمر بن أذینة. عن أبان بن أبی عیاش، عن سلیم بن قیس الهلالی قال: سمعت أمیر المؤمنین علیاً علیه السلام یقول: إحذروا علی دینکم ثلاثة: رجلاً قرأ القرآن حتی إذا رأیت علیه بهجته، اخترط سیفه علی جاره ورماه بالشرک!

فقلت: یا أمیر المؤمنین أیهما أولی بالشرک؟ قال: الرامی.

ورجلاً استخفته الأحادیث، کلما أُحدثت أحدوثة کذب مدَّها بأطول منها!

ورجلاً آتاه الله عز وجل سلطاناً فزعم أن طاعته طاعة الله ومعصیته معصیة الله! وکذبَ لأنه لاطاعة لمخلوق فی معصیة الخالق، لاینبغی للمخلوق أن یکون حبه لمعصیة الله، فلا طاعة فی معصیته ولا طاعة لمن عصی الله، إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر الله عز وجل بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر، لایأمر بمعصیته، وإنما أمر بطاعة أولی الأمر لأنهم معصومون مطهرون لایأمرون بمعصیته).

ضرورة بعثة الأنبياء تستوجب عصمتهم

فى الكافى:۱/۱۶۸عن الإمام الصادق عليه السلام قال:(إنا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً، لم يجز أن يشاهده خلقه ولايلامسوه فيباشرهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء فى خلقه، يُعَبِّرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفى تركه فناؤهم، فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم فى خلقه والمعبِّرون عنه جلَّ وعز، وهم الأنبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس- على مشاركتهم لهم فى الخلق والتركيب- فى شئ من أحوبالهم، مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة. ثم ثبت ذلك فى كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين لكى لاتخلو أرض الله من حجة، يكون معه عَلَم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته). انتهى.

وقال الوحيد الخراسانى فى شرح هذا الحديث فى منهاج الصالحين:۱/۶۴:

(ومعناه أن كل فعل وترك وحركة وسكون يصدر من الإنسان، إما أن يكون نافعاً لدنياه وآخرته، أو ضاراً، أو غير نافع ولا ضار، وعلى كل الفروض يحتاج الإنسان إلى معرفة ما هو النافع وما هو الضار وما هو المصلح والمفسد لدنياه وآخرته، وهذه المعرفة لا تتيسر إلا من عند من هو خبير بالرابطة التى بين الأفعال والتروك وصلاح الإنسان وفساده، ومحيطٌ بتأثير الحركات والسكنات فى حياة الإنسان فى الدنيا والآخرة، وإنما هو خالق الإنسان وخالق الدنيا والآخرة سبحانه. ولما كانت حكمته تعالى تستوجب أن يدل عباده على ذلك، وكانت دلالته عليه بدون واسطة غير ممكنة لتعاليه عن مباشرتهم ومخاطبتهم، فلا بد من سفراء مختارين (يدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفى تركه فناؤهم).

وهذا البرهان يمتاز من جهات عما برهن به الفلاسفة على ضرورة النبوة، الذى اعتمد على قاعدة أن الإنسان مدنى بالطبع فيحتاج إلى قوانين عادلة لمعاملاته وعلاقاته الاجتماعية، فإن دليلهم مختص بالحياة الاجتماعية على الأرض، بينما دليل الإمام عليه السلام يشمل عموم مصالح الإنسان ومضاره فى كل عوالم الوجود).

العصمة من أول صفات الإمام

فى الخصال ص۴۲۸: (حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلى(رض)قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال: حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدثنا تميم بن بهلول قال: حدثنا أبو معاوية، عن سليمان بن مهران، عن أبى عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: عشر خصال من صفات الإمام: العصمة، والنصوص، وإن يكون أعلم الناس، وأتقاهم لله، وأعلمهم بكتاب الله، وإن يكون صاحب الوصية الظاهرة، ويكون له المعجز والدليل، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يكون له فئ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه).

احاديث نصت على إمامة الأئمة الإثنى عشر و عصمتهم

فى أمالى الصدوق ص۵۷۴: (حدثنا أحمد بن زياد بن جعفر الهمدانى رحمه الله قال:حدثنا على بن إبراهيم بن هاشم قال: حدثنا جعفر بن سلمة الأهوازى قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفى، عن إبراهيم بن موسى بن أخت الواقدى قال: حدثنا أبو قتادة الحرانى، عن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمى، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس قال: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً ذات يوم وعنده علىٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ فقال: اللهم إنك تعلم أن هؤلاء أهل بيتى وأكرم الناس علىَّ فأحبب من أحبَّهم وأبغض من أبغضهم، ووال من والاهم وعاد من عاداهم، وأعن من أعانهم. واجعلهم مطهرين من كل رجس، معصومين من كل ذنب، وأيدهم بروح القدس.

ثم قال: يا عليُّ أنت إمام أمتى، وخليفتى عليها بعدى، وأنت قائد المؤمنين إلى الجنة، وكأنى أنظر إلى ابنتى فاطمة قد أقبلت يوم القيامة على نجيب من نور، عن يمينها سبعون ألف ملك، وعن يسارها سبعون ألف ملك، وبين يديها سبعون ألف ملك، وخلفها سبعون ألف ملك، تقود مؤمنات أمتى إلى الجنة، فأيما امرأة صلت فى اليوم والليلة خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجت بيت الله الحرام، وزكت مالها، وأطاعت زوجها، ووالت علياً بعدى، دخلت الجنة بشفاعة ابنتى فاطمة، وإنها لسيدة نساء العالمين.

فقيل له: يا رسول الله أهى سيدة نساء عالمها؟ فقال النبى: ذاك لمريم بنت عمران، فأما ابنتى فاطمة فهى سيدة نساء العالمين من الأولين والإخرين، وإنها لتقوم فى محرابها فيسلم عليها سبعون ألف ملك من الملائكة المقربين، وينادونها بما نادت به الملائكة مريم فيقولون: يا فاطمة (إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. ثم التفت إلى عليٍّ فقال: يا عليُّ، أن فاطمة بضعة منى، وهى نور عينى، وثمرة فؤادى، يسوءنى ما ساءها، ويسرنى ما سرها، وإنها أول من يلحقنى من أهل بيتى فأحسن إليها بعدى.

وأما الحسن والحسين فهما ابناى وريحانتاى، وهما سيدا شباب أهل الجنة، فليكرما عليك كسمعك وبصرك. ثم رفع يده إلى السماء، فقال: اللهم إنى أشهدك أنى محب لمن أحبهم، ومبغض لمن أبغضهم، وسلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم، وعدو لمن عاداهم، وولى لمن والأهم).

وفى عيون أخبار الرضا عليه السلام:۲/۶۵: (حدثنا على بن عبد الله الوراق الرازى قال: حدثنا سعد بن عبد الله قال: حدثنا الهيثم بن أبى مسروق النهدى، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباته، عن عبدالله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا وعليٌّ والحسنُ والحسينُ وتسعةٌ وُلْدِ الحسين، مطهرون معصومون). (ورواه أيضاً فى كمال الدين ص ۲۸۰، وفى كفاية الأثر ص۱۹).

وفى دلائل الإمامة للطبرى الشيعى ص۵۰۶: (أخبرنى أبو القإسم عبد الباقى بن يزداد بن عبد الله البزاز قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد الثعالبى قراءة فى يوم الجمعة مستهل رجب سنة سبعين وثلاثمائة، قال: أخبرنا أبو على أحمد بن محمد بن يحيى العطار، عن سعد بن عبد الله بن أبى خلف القمى، من حديث طويل، قال:

كنت أمرءً لَهِجاً بجمع الكتب المشتملة على غوامض العلوم ودقائقها، كَلِفاَ باستظهار ما يصح من حقائقها، مغرماً بحفظ مشتبهها ومستغلقها، شحيحاً على ما أظفر به من معاضلها ومشكلاتها، ومتعصباً لمذهب الإمامية، راغباً عن الأمن والسلامة فى انتظار التنازع والتخاصم، والتعدى إلى التباغض والتشاتم، معيباً للفرق ذوى الخلاف، كشافاً عن مثالب أئمتهم، هتاكاً لحجب قادتهم.

إلى أن بليت بأشد النواصب منازعة، وأطولهم مخاصمة، وأكثرهم جدالاً، وأقشعهم سؤالاً، وأثبتهم على الباطل قدماً. فقال ذات يوم وأنا أناظره:

تباً لك يا سعد ولأصحابك، إنكم معشر الرافضة تقصدون على المهاجرين والأنصار بالطعن عليهما....

وكنت قد اتخذت طوماراً، وأثبت فيه نيفا وأربعين مسألة من صعاب المسائل التى لم أجد لها مجيباً، على أن أسأل عنها خير أهل بلدى أحمد بن إسحاق صاحب مولانا أبى محمد عليه السلام فارتحلت خلفه، وقد كان خرج قاصداً نحو م ولأى بسر من رأى، فلحقته فى بعض المناهل، فلما تصافحنا قال: لخير لحاقك بى؟ قلت: الشوق، ثم العادة فى الأسئلة. قال: قد تكافأنا على هذه الخطة الواحدة، فقد برح بى الشوق إلى لقاء مولانا أبى محمد عليه السلام، وأريد أن أسأله عن معاضل فى التأويل ومشاكل من التنزيل، فدونكها الصحبة المباركة، فإنها تقف بك على ضفة بحر لاتنقضى عجائبه، ولا تفنى غرائبه، وهو إمامنا.

فوردنا سر من رأى فانتهينا منها إلى باب سيدنا عليه السلام، فاستأذنا فخرج إلينا الإذن بالدخول عليه، وكان على عاتق أحمد بن إسحاق جراب قد غطاه بكساء طبرى، فيه ستون ومائة صرة من الدنانير والدارهم، على كل صرة ختم صاحبها.

قال سعد: فما شبهت مولانا أبا محمد عليه السلام حين غشينا نور وجهه إلا ببدر قد استوفى من لياليه أربعاً بعد عشر، وعلى فخذه الأيمن غلام يناسب المشترى فى الخلقة والمنظر، على رأسه فرق بين وفرتين، كأنه ألف بين واوين، وبين يدى مولانا عليه السلام

رمانة ذهبية تلمع بدائع نقوشها وسط غرائب الفصوص المركبة عليها، قد كان أهداها إليه بعض رؤساء أهل البصرة، وبيده قلم، إذا أراد أن يسطر به على البياض قبض الغلام على أصابعه، وكان مولانا عليه السلام يدحرج الرمانة بين يديه ويشغله بردها لئلا يصده عن كتبة ما أراد، فسلَّمنا عليه فألطف فى الجواب، وأومأ إلينا بالجلوس، فلما فرغ من كتابة البياض الذى كان بيده، أخرج أحمد بن إسحاق جرابه من طيِّ كسائه، فوضعه بين يدى مولانا فنظر أبو محمد عليه السلام إلى الغلام وقال: يا بنى، فض الخاتم عن هدايا شيعتك ومواليك.

فقال: يا م ولأى، أيجوز لى أن أمد يداً طاهرة إلى هدايا نجسة، وأموال رجسة قد شيب أحلها بأحرمها؟!

فقال مولانا عليه السلام: يا بن إسحاق، استخرج ما فى الجراب ليميز بين الأحل منها والأحرم. فأول صرة بدأ أحمد بإخراجها قال الغلام: هذه لفلأن بن فلأن من محلة كذا بقم، تشتمل على اثنين وستين ديناراً، فيها من ثمن حجرة باعها وكانت إرثاً له من أبيه خمسة وأربعون ديناراً، ومن أثمان تسعة أثواب أربعة عشر ديناراً، وفيها من أجرة الحوانيت ثلاثة دنانير.

فقال مولانا عليه السلام: صدقت يا بنى، دُلَّ الرجل على الحرام منها....

قال أحمد (رواى الحديث عن سعد): وكان ذلك الثوب فى حقيبة لى فنسيته. فلما انصرف أحمد بن إسحاق ليأتيه بالثوب نظر إلى مولانا أبو محمد عليه السلام فقال: ما جاء بك يا سعد؟ فقلت: شوقنى أحمد بن إسحاق إلى لقاء مولانا. فقال: والمسائل التى أردت أن تسأله عنها؟ قلت: على حالتها يا مولاى. فقال: سل قرة عينى، وأومأ إلى الغلام، عما بدا لك منها.

فقلت: مولانا وابن مولانا، أنا روينا عنكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه حتى أرسل يوم الجمل إلى عائشة": إنك قد أرهجت على الإسلام وأهله بفتنتك، وأوردت بنيك حياض الهلاك بجهلك، فإن كففت عنى غربك وإلا طلقتك. "ونساء رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان طلاقهن بوفاته؟!

قال عليه السلام: ما الطلاق؟ قلت: تخلية السبيل. قال:فإذا كنَّ بوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قد خُلِّيَ سبيلهنَّ، فلِمَ لايحلُّ لهنَّ الأزواج؟ قلت: لأن الله حرم الأزواج عليهن قال: كيف وقد خلَّى الموت سبيلهن؟ قلت فأخبرنى يا بن م ولأى عن معنى الطلاق الذى فوض رسول الله صلى الله عليه وآله حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبى صلى الله عليه وآله فخصهن بشرف الأمهات، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن، إن هذا الشرف باق لهن ما دُمْنَ لله على الطاعة، فأيتهن عصت الله بعدى بالخروج عليك، فأطلق لها فى الأزواج وأسقطها من شرف الأمهات ومن شرف أمومة المؤمنين.....

قلت: فأخبرنى يا م ولأى عن العلة التى تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم؟ قال: مصلحٌ أو مفسد؟ قلت: مصلح. قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على الفساد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟

قلت: بلى. قال: فهى العلة أوردها لك ببرهان ينقاد له عقلك: أخبرنى عن الرسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم علمه، وأيدهم بالوحى والعصمة، إذ هم أعلام الأمم، وأهدى إلى الإختيار منهم، مثل موسى وعيسى عليهما السلام، هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما، إذا هما بالإختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، وهما يظنان أنه مؤمن؟ قلت: لا.

قال عليه السلام: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه، اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلًا، ممن لم يشك فى إيمانهم وإخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين، قال الله عز وجل: وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رجلًا لِمِيقَاتِنَا، وقوله: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَه جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله لنبوته، واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد، علمنا أن لا اختيار إلا لمن يعلم ما تخفى الصدور وتُكنُّ الضمائر، وتنصرف عليه السرائر، وإن لاخطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء عليهم السلام...). انتهى.

كتاب كفاية الأثر فى النصوص على الأئمة الإثنى عشر

وهو کتـاب جلیل جمع فیه مؤلفه الخزاز القمی رحمه الله وهو من علماء القرن الرابع، الأحادیث النبویـهٔ علی إمامـهٔ الأئمـهٔ الإثنی عشـر علیهم السـلام عن ثلاـثین صـحابیاً من طرق غیر أهل البیت علیهم السـلام. وقـد اقترحنا علی بعض الفضـلاء تحقیقه وتخریـج أحادیثه، وسیصدر فی مجلدات إن شاء الله، وهذه بعض أحادیثه فی عصمتهم علیهم السلام:

فی کفایهٔ الأثرص ۲۹: (حدثنا علی بن الحسین، قال حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن البرقوی(رض)، قال حدثنا القاضی أبو إسماعیل جعفر بن الحسین البلخی، قال حـدثنا شـقیق البلخی، عن سـماک، عن زید بن أسـلم، عن أبی هرون العبدی، عن سـعید الخدری قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول:

أهل بیتی أمانٌ لأهل الأرض کما أن النجوم أمانٌ لأهل السماء.

قیل: یارسول الله فالأئمهٔ بعدک من أهل بیتک؟ قال: نعم الأئمهٔ بعدی اثنا عشـر تسعهً من صلب الحسین، أمناء معصومون. ومنا مهدی هذه الأئمهٔ، إلا إنهم أهل بیتی وعترتی من لحمی ودمی، ما بال أقوام یؤذوننی فیهم، لا أنالهم الله شفاعتی).

وفی کفایهٔ الأثر: ص۳۵: (حـدثنا أبو المفضل محمـد بن عبد الله الشـیبانی رحمه الله، قال حدثنا محمد بن ریاح الأشـجعی، قال حدثنا محمد بن غالب بن الحارث، قال حدثنا إسـماعیل بن عمرو البجلی، قال حدثنا عبد الکریم، عن أبی الحسن، عن أبی الحرث، عن أبی ذر قال: سـمعت رسول الله صـلی الله علیه وآله یقول: من أحبنی وأهل بیتی کنا نحن وهو کهاتین- وأشار بالسـبابهٔ والوسـطی- ثم قال: أخی خیر الأوصیاء، وسبطی خیر الأسباط، وسوف یخرج الله تبارک وتعالی من صلب الحسین أئمهٔ أبراراً، ومنا مهدی هذه الأمهٔ.

قلت: یارسول الله وکم الأئمهٔ بعدک؟ قال: عدد نقباء بنی إسرائیل.

حـدثنا القاضـی أبو الفرج المعافـا بن زکریـا البغـدادی، قـال حـدثنی محمـد بن همام بن سـهیل الکاتب، قال حـدثنی محمـد بن معافا السلماسـی، عن محمـد بن عامر، قال حـدثنا عبـدالله بن زاهر، عن عبـد العـدوس، عن الأعمش، عن حبش بن المعتمر قال: قال أبو ذر الغفاری رحمـهٔ الله علیه: دخلت علی رسول الله صـلی الله علیه وآله فی مرضه الـذی توفی فیه، فقال: یا أبا ذر إیتنی بابنتی فاطمـهٔ. قال: فقمت ودخلت علیهـا وقلت: یا سـیدهٔ النسوان أجیبی أباک. قال: فلبت منحلها وأبرزت وخرجت حتی دخلت علی رسول الله صـلی الله علیه وآله، فلما رأت رسول الله صلی الله علیه وآله انکبت علیه وبکت وبکی رسول الله صلی الله علیه وآله لبکائها وضمها إلیه، ثم قال: یا فاطمهٔ لا تبکین فداک أبوک، فأنت أول من تلحقین بی مظلومهٔ مغصوبهٔ، وسوف یظهر بعدی حسـیکهٔ النفاق وسـمل جلباب الدین، وأنت أول من یرد علی الحوض.

قالت: یاأَبَهْ أین ألقاک؟ قال: تلقینی عند الحوض وأنا أسـقی شیعتک ومحبیک وأطرد أعداک ومبغضیک. قالت: یا رسول الله فإن لم ألقک عنـد الحوض؟ قال تلقینی عند المیزان. قالت: یا أَبَهْ وإن لم ألقک عند المیزان؟ قال: تلقینی عند الصـراط وأنا أقول: سـلِّمْ سـلِّمْ شیعهٔ علی.

قال أبو ذر: فسـکن قلبها ثم التفت الی رسول الله صلی الله علیه وآله فقال: یا أبا ذر أنها بضعهٔ منی فمن آذاها فقد آذانی، إلا أنها سیدهٔ نساء العالمین، وبعلها سید الوصیین، وابنیها الحسن والحسین سیدا شباب أهل الجنهٔ، وإنهما إمامان أن قاما أو قعدا، وأبوهما خیر منهما، وسوف یخرج من صـلب الحسـین تسعهٔ من الأئمه معصومون قوامون بالقسط، ومنا مهدی هذه الأمهٔ. قال قلت: یا رسول الله فکم الأئمهٔ بعدک؟ قال: عدد نقباء بنی اسرائیل.

وفی کفایـهٔ الأثر: ص۴۴: (حـدثنا علی بن الحسـین بن محمـد قال:حدثنا هارون بن موسـی(رض)قال: أحمد بن محمد بن سـعید قال: حدثنا محمد بن عامر بن السائب الثقفی، عن أبیه، عن سـلمان الفارسـی رحمهٔ الله علیه قال: دخلت علی رسول الله صـلی الله علیه وآله وعنده الحسن والحسـین یتغدیان والنبی صـلی الله علیه وآله یضع اللقمهٔ تارهٔ فی فم الحسن وتارهٔ فی فم الحسـین، فلما فرغا من الطعام أخـذ رسول الله صـلی الله علیه وآله الحسن علی عـاتقه والحسـین علی فخـذه، ثم قـال: یـا سـلمان أتحبهم؟ قلت: یا رسول الله کیف لا

أحبهم ومكانهم منك مكانهم؟ قال: يا سلمان من أحبهم فقد أحبنى، ومن أحبنى فقد أحب الله. ثم وضع يده على كتف الحسين عليه السلام فقال: أنه الإمام ابن الإمام، تسعة من صلبه أئمة أبرار، أمناء، معصومون، والتاسع قائمهم).

وفى كفاية الأثر: ص٧٣: (حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عياش الجوهرى قال: حدثنا محمد بن أحمد الصفوانى قال:حدثنا محمد بن الحسين قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحمصى قال: حدثنا بن حماد، عن أنس بن سيرين، عن أنس بن مالك، قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الفجر، ثم أقبل علينا فقال: معاشر أصحابى من أحب أهل بيتى حشر معنا، ومن استمسك بأوصيائى من بعدى فقد استمسك بالعروة الوثقى.

فقام إليه أبو ذر الغفارى فقال: يا رسول الله كم الأئمة بعدك؟ قال: عدد نقباء بنى إسرائيل، فقال: كلهم من أهل بيتك؟ قال: كلهم من أهل بيتى، تسعة من صلب الحسين، والمهدى منهم.

حدثنا محمد بن عبد الله الشيبانى رحمه الله قال: حدثنا رجا بن يحيى العرآنى الكاتب قال: حدثنا يعقوب بن إسحق عن محمد بن بشارقال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما عرج بى إلى السماء رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلى ونصرته. ورأيت اثنى عشر إسماً مكتوباً بالنور فيهم على بن أبى طالب وسبطى وبعدهما تسعة أسماء علياً علياً ثلاث مرات، ومحمد ومحمد مرتين، وجعفر وموسى والحسن، والحجة يتلألأ من بينهم، فقلت: يا رب أسامى من هؤلاء؟ فنادانى ربى جل جلاله: هم الأوصياء من ذريتك، بهم أثيب وأعاقب).

وفى كفاية الأثر ص٧٥: وعنه قال: حدثنا أبو مزاحم موسى بن عبد الله بن يحيى بن خاقان المقرئ ببغداد قال: حدثنا أحمد بن الحسن بن الفضل بن ربيع أبو العباس مولى بنى هاشم قال: حدثنى عثمان بن أبى شيبة فى مسند أنس. قال: حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا عبد الله ابن عوف، عن أنس بن سيرين، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أوصياء الأنبياءالذين بعدهم بقضاء ديونهم وإنجاز عداتهم ويقاتلون على سنتهم. ثم التفت إلى على عليه السلام فقال: أنت وصيى وأخى فى الدنيا والآخرة تقضى دينى وتنجز عداتى، وتقاتل على سنتى، تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فأنا خير الأنبياءوأنت خير الأوصياء وسبطاى خير الأسباط، ومن صلبهما يخرج الأئمة التسعة، مطهرون معصومون قوامون بالقسط، والأئمة بعدى على عدد نقباء بنى إسرائيل وحوارى عيسى. هم عترتى من لحمى ودمى.

وفى كفاية الأثر ص٩٨: (حدثنا الحسين بن على الرازى قال: حدثنى إسحاق بن محمد بن خالويه قال: حدثنى يزيد بن سليمان البصرى قال: حدثنى شريك، عن الركين بن الربيع، عن القإسم بن حسان، عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: معاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، أنا جدهما، وجدتهما خديجة سيدة نساء أهل الجنة.

ألا أدلكم على خير الناس أبا وأما؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين أبوهما على بن أبى طالب، وأمهما فاطمة سيدة نساء العالمين.

ألا أدلكم على خير الناس عماً وعمة؟ قلنا: بلى يارسول الله، قال: الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبى طالب، وعمتهما أم هانى بنت أبى طالب.

أيها الناس إلا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين، خالهما القإسم بن رسول الله، وخالتهما زينب بنت رسول الله.

ثم قال: على قاتلهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وإنه ليخرج من صلب الحسين أئمة أبرار أمناء معصومون قوامون بالقسط، ومنا مهدى هذه الأمة الذى يصلى عيسى بن مريم خلفه. قلنا: من يا رسول الله؟ قال: هو التاسع من صلب الحسين، تسعة من صلب الحسين أئمة أبرار والتاسع مهديهم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً).

وفی کفایة الأثر: ص۱۰۰: (حدثنا أبو عبد الله الحسین بن محمد بن سعید الخزاعی قال: حدثنا أبو الحسین محمد بن عبد الله الکوفی الأسدی قال: حدثنی محمد بن إسمعیل البرمکی قال: حدثنی مندل بن علی، عن أبی نعیم عن محمد بن زیاد، عن زید بن أرقم قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول لعلی علیه السلام: أنت الإمام والخلیفة بعدی، وابناک سبطای وهما سیدا شباب أهل الجنة، وتسعة من صلب الحسین أئمة معصومون، ومنهم قائمنا أهل البیت. ثم قال:

یا علی، لیس فی القیامة راکب غیرنا، ونحن أربعة. فقام إلیه رجل من الأنصار، فقال: فداک أبی وأمی یا رسول الله ومن هم؟ قال: أنا علی دابة الله البراق، وأخی صالح علی ناقته التی عقرت، وعمی حمزة علی ناقتی العضباء، وأخی علی علی ناقة من نوق الجنة، وبیده لواء الحمد، ینادی لا إله إلا الله محمد رسول الله، فیقول الآدمیون: ما هذا إلا ملک مقرب أو نبی مرسل أو حامل عرش، فیجیبهم ملک من بطنان العرش: یا معشر الآدمیین، لیس هذا ملک مقرب، ولا نبی مرسل، ولا حامل عرش، هذا الصدیق الأکبر علی بن أبی طالب).

وفی کفایة الأثر ص۱۱۰: (حدثنا علی بن الحسن بن محمد قال:حدثنا هرون بن موسی قال: حدثنا جعفر بن علی بن سهل الدقاق الدوری قال:حدثنا علی بن الحارث المروزی قال: حدثنا أیوب بن عاصم الهمذانی قال:حدثنا حفص بن غیاث، عن یزید بن مکحول، عن واثلة بن الأسقع یقول: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: لما عرج بی إلی السماء وبلغت سدرة المنتهی نادانی ربی جل جلاله فقال: یا محمد. فقلت: لبیک سیدی. قال: انی ما أرسلت نبیاً فانقضت أیامه إلا أقام بالأمر بعده وصیه، فاجعل علی بن أبی طالب الإمام والوصی من بعدک، فإنی خلقتکما من نور واحد، وخلقت الأئمة الراشدین من أنوار کما، أتحب أن تراهم یا محمد؟ قلت: نعم یا رب. قال: إرفع رأسک. فرفعت رأسی فإذا أنا بأنوار الأئمة بعدی اثنا عشر نوراً، قلت: یا رب أنوار من هی؟ قال: أنوار الأئمة بعدک أمناء معصومون.

وفی کفایة الأثر ص۱۱۳: (أخبرنا أبو المفضل الشیبانی قال:حدثنی حیدر بن محمد بن نعیم السمرقندی قال: حدثنا محمد بن مسعود، عن یوسف بن السخت، عن سفیان الثوری، عن موسی بن عبیدة أیاس بن مسلمة بن الأکوع، عن أبی أیوب الأنصاری قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله یقول: أناسید الأنبیاء، وعلیٌّ سید الأوصیاء، وسبطای خیر الأسباط، ومنا الأئمة المعصومون من صلب الحسین، ومنا مهدی هذه الأمة. فقام إلیه أعرابی فقال: یارسول الله کم الأئمة بعدک؟ قال:عدد الأسباط وحواری عیسی ونقباء بنی إسرائیل).

وفی کفایة الأثر ص۱۲۴: (حدثنی علی بن الحسن بن محمد قال: حدثنا هارون بن موسی قال: حدثنی محمد بن علی بن معمر قال: حدثنی عبد الله بن معبد قال: حدثنا موسی بن إبراهیم الممتع قال: حدثنی عبد الکریم بن هلال، عن أسلم، عن أبی الطفیل، عن عمار قال: لما حضرت رسول الله صلی الله علیه وآله الوفاة دعا بعلی علیه السلام، فسارَّهُ طویلاً ـ ثم قال: یا علی أنت وصیی ووارثی قد أعطاک الله علمی وفهمی، فإذا متُّ ظهرت لک ضغائن فی صدور قوم وغصبٌ علی حقد. فبکت فاطمة علیها السلام وبکی الحسن والحسین، فقال لفاطمة: یا سیدة النسوان مم بکاؤک؟ قالت: یا أبة أخشی الضیعة بعدک. قال: أبشری یا فاطمة فإنک أول من یلحقنی من أهل بیتی، ولاتبکی ولاتحزنی فإنک سیدة نساء أهل الجنة، وأباک سید الأنبیاء، وابن عمک خیر الأوصیاء، وابناک سیدا شباب أهل الجنة، ومن صلب الحسین یخرج الله الأئمة التسعة مطهرون معصومون، ومنا مهدی هذه الأمة. ثم التفت إلی علی علیه السلام فقال:

یا علی لایلی غسلی وتکفینی غیرک. فقال علی علیه السلام: یا رسول الله من یناولنی الماء فإنک رجل ثقیل لا أستطیع أن أقلبک. فقال: أن جبرئیل معک والفضل یناولک الماء ولیغطی عینیه فإنه لا یری أحد عورتی إلا انفقأت عیناه.

قال: فلما مات رسول الله صلی الله علیه وآله کان الفضل یناوله الماء وجبرئیل یعاونه، فلما أن غسله وکفنه أتاه العباس فقال:یاعلی أن الناس قد أجمعوا أن یدفن النبی صلی الله علیه وآله بالبقیع وإن یؤمهم رجل واحد، فخرج علیٌّ إلی الناس فقال: أیها الناس أن رسول الله صلی الله علیه وآله کان إمامنا حیاً ومیتاً، وهل تعلمون أن رسول الله صلی الله علیه وآله لعن من جعل القبور مصلی، ولعن من جعل

مع الله إلهاً آخر، ولعن من كسر رباعيته وشق لثته.

قال فقالوا: الأمر اليك فاصنع ما رأيت. قال: فإنى أدفن رسول الله صلى الله عليه وآله فى البقعة التى قبض فيها. قال: ثم قام على الباب فصلى عليه، وأمر الناس عشراً عشراً يصلون عليه ثم يخرجون).

وفى كفاية الأثر ص۱۳۲: (أخبرنا محمد بن عبد الله بن المطلب، قال حدثنا أبو أسيد أحمد بن محمد بن أسيد المدينى بأصبهان، قال حدثنا عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر، عن عبد الوهاب بن عيسى المروزى، قال حدثنا الحسين بن على بن محمد البلوى، قال حدثنا عبد الله بن سحح، عن على بن هاشم، عن على بن خرور، عن الأصبغ بن نباتة، قال سمعت عمران بن حصين، يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلى: أنت وارث علمى وأنت الإمام والخليفة بعدى، تعلِّم الناس بعدى ما لا يعلمون، وأنت أبو سبطىَّ وزوج ابنتى، من ذريتكم العترة الأئمة المعصومون. فسأله سلمان عن الأئمة، فقال: عدد نقباء بنى إسرائيل). (حدثنا على بن محمد بن الحسن، قال حدثنا هارون بن موسى قال: حدثنا حيدر بن نعيم السمرقندى قال: حدثنا محمد بن زكريا الجوهرى قال:حدثنا العباس بن بكار الضبى قال: حدثنا أبو بكر الهذلى، عن أبى عبد الله الشامى، عن عمران بن حصين، وذكر نحوه).

وفى كفاية الأثر ص۱۳۴: (حدثنا محمد بن وهبان بن محمد البصرى قال: حدثنا الحسين بن على البزوفرى قال: حدثنى عبد العزيز بن يحيى الجلودى بالبصرة قال: حدثنى محمد بن زكريا، عن أحمد بن عيسى بن زيد قال: حدثنى عمر بن عبد الغفار، عن أبى بصير، عن حكيم بن جبير، عن على بن زيد بن جذعان، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن مالك أن النبى صلى الله عليه وآله قال: يا على أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبى بعدى، تقضى دينى وتنجز عداتى، وتقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل. يا على حبك إيمان وبغضك نفاق، ولقد نبأنى اللطيف الخبير أنه يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة معصومون مطهرون، ومنهم مهدى هذه الأمة الذى يقوم بالدين فى آخر الزمان كما قمت فى أوله).

وفى كفاية الأثرص۱۵۱: (أخبرنا القاضى المعافا بن زكريا قال: حدثنا على بن عتبة قال: حدثنى الحسين بن علوان، عن أبى على الخراسانى، عن معروف بن خربوذ، عن أبى الطفيل، عن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت الوصى على الأموات من أهل بيتى، والخليفة على الأحياء من أمتى، حربك حربى وسلمك سلمى، أنت الإمام أبو الأئمة الأحد عشر، من صلبك أئمة مطهرون معصومون، ومنهم المهدى الذى يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً، فالويل لمبغضكم. يا علىُّ لو أن رجلاً أحب فى الله حجراً لحشره الله معه وإن محبيك وشيعتك ومحبى أولادك الأئمة بعدك يحشرون معك. وأنت معى فى الدرجات العلى، وأنت قسيم الجنة والنار، يدخل محبيك الجنة ومبغضيك النار).

وفى كفاية الأثر ص۱۸۰: (حدثنا على بن الحسن بن محمد بن مندة قال: حدثنا أبو الحسين زيد بن جعفر بن محمد بن الحسين الخزاز بالكوفة فى سنة سبع وسبعين وثلثمائة قال: حدثنا العباس بن العباس الجوهرى ببغداد فى دار عميرة قال: حدثنى عفان بن مسلم قال: حدثنى حماد بن سلمة، عن الكلبى، عن أبى صالح، عن سداد بن أوس، قال: لما كان يوم الجمل قلت: لا أكون مع على ولا أكون عليه، وتوقفت عن القتال إلى انتصاف النهار فلما كان قرب الليل ألقى الله فى قلبى أن أقاتل مع على، فقاتلت معه حتى كان من أمره ما كان.

ثم إنى أتيت المدينة فدخلت على أم سلمة، قالت: من أين أقبلت؟ قلت: من البصرة. قالت: مع أى الفريقين كنت؟ قلت: يا أم المؤمنين إنى توقفت عن القتال إلى انتصاف النهار وألقى الله عز وجل أن أقاتل مع على.

قالت: نعم ما عملت، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من حارب علياً فقد حاربنى، ومن حاربنى فقد حارب الله! قلت: فترين أن الحق مع على؟ قالت: أى والله، علىٌّ مع الحق والحق معه، والله ما أنصف أمة محمد نبيهم إذ قدموا من أخره الله عز وجل ورسوله، وأخروا من قدمه الله تعالى ورسوله، وأنهم صانوا حلائلهم فى بيوتهم وأبرزوا حليلة رسول الله صلى الله عليه وآله الى الفناء! والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لأمتى فرقة وجعلة (وجمعة) فجامعوها إذا اجتمعت، وإذا افترقت فكونوا من النمط

الأوسط، ثم ارقبوا أهل بيتى فإن حاربوا فحاربوا، وإن سالموا فسالموا، وإن زالوا فزالوا معهم، فإن الحق معهم حيث كانوا.

قلت: فمَن أهل بيته؟ قالت: أهل بيته الذين أمرنا بالتمسک بهم، قالت: هم الأئمة بعده كما قال: عدد نقباء بنى إسرائيل: عليٌّ وسبطاه، وتسعةٌ من صلب الحسين، هم أهل بيته، هم المطهرون، والأئمة المعصومون.

قلت أنا: لله هلك الناس إذا! قالت: كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ).

وفى كفاية الأثر: ص١٨٥: (أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن العياشئ قال: حدثنى جدى عبيدالله بن الحسن، عن أحمد بن عبد الجبار، قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن المخزومى قال: حدثنا عمر بن حماد قال: حدثنا على بن هاشم البريد، عن أبيه قال: حدثنى أبو سعيد التميمى، عن أبى ثابت مولى أبى ذر، عن أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسرى بى إلى السماء نظرت فإذا مكتوب على العرش " لا ـ إله إلا ـ الله محمد رسول الله أيدته بعلى ونصرته بعلى، " ورأيت أنوار على وفاطمة والحسن والحسين وأنوار على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلى بن موسى ومحمد بن على وعلى بن محمد والحسن بن على، ورأيت نور الحجة يتلألأ من بينهم كأنه كوكب درى، فقلت: يا رب من هذا ومن هؤلاء؟ فنوديت: يا محمد هذا نور على وفاطمة، وهذا نور سبطيك الحسن والحسين، وهذه أنوار الأئمة بعدك من ولد الحسين مطهرون معصومون، وهذا الحجة يملأ الدنيا قسطاً وعدلا.

وهذه أم سلمة روى عنها شداد بن أوس والحكم بن قيس وأبو الأسود وأبو ثابت مولى أبى ذر رحمة الله عليه).

وفى كفاية الأثرص٣٠١: (حدثنا أبو المفضل رحمه الله قال: حدثنى محمد بن على بن شاذان بن حباب الأزدى الخلال بالكوفة قال: حدثنى الحسن بن محمد بن عبد الواحد قال: حدثنا الحسن ثم الحسين العربى الصوفى قال: حدثنى يحيى بن يعلى الأسلمى، عن عمرو بن موسى الوجيهى، عن زيد بن على عليه السلام قال: كنت عند أبى على بن الحسين عليه السلام إذ دخل عليه جابر بن عبد الله الأنصارى، فبينما هو يحدثه إذ خرج أخى محمد من بعض الحجر، فأشخص جابر ببصره نحوه ثم قام إليه فقال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال: ادبر فأدبر، فقال: شمائل كشمائل رسول الله صلى الله عليه وآله ما اسمک يا غلام؟ قال: محمد. قال: ابن من؟ قال: ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، قال: أنت إذاً الباقر. قال فأكبى عليه وقبل رأسه ويديه ثم قال: يا محمد إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤك السلام. قال: على رسول الله أفضل السلام وعليك يا جابر بما أبلغت السلام. ثم عاد إلى مصلاه، فأقبل يحدث أبى ويقول: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لى يوماً: يا جابر إذا أدركت ولدى الباقر فاقرأه منى السلام، فإنه سمِّيِّى وأشبه الناس بى، علمه علمى وحكمه حكمى، سبعة من ولده أمناء معصومون أئمة أبرار، والسابع مهديهم الذى يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثم تلا ـ رسول الله صلى الله عليه وآله: وَجَعَلْنَاهُمْ أئمة يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)

وفى كفاية الأثر ص٣٠٣: (حدثنى أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد بن على الخزاعى قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بالكوفة قال: حدثنى جعفر بن على بن سحلح الكندى قال: حدثنى إبراهيم بن محمد بن ميمون قال: حدثنى المسعودى أبو عبد الرحمان، عن محمد بن على الفرارى، عن أبى خالد الواسطى، عن زيد بن على عليه السلام، قال حدثنى أبى على بن الحسين، عن أبيه الحسين ابن على، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حسين أنت الإمام وأخ الإمام وابن الإمام. تسعة من ولدك أمناء معصومون والتاسع مهديهم، فطوبى لمن أحبهم، والويل لمن أبغضهم).

وفى كفاية الأثرص٢٦١:(عن أبى عبدالله عليه السلام:أن قائمنا يخرج من صلب الحسين والحسين، يخرج من صلب على، وعلى يخرج من صلب محمد، ومحمد يخرج من صلب على، وعلى يخرج من صلب ابنى هذا، وأشار إلى موسى بن جعفر، وهذا خرج من صلبى. نحن اثنا عشر، كلنا معصومون مطهرون).

وفى أمالى الصدوق ص٦٧٩:(حدثنا أحمد بن على بن إبراهيم بن هاشم(رض)قال: حدثنا أبى، عن أبيه، عن محمد بن على التميمى

قال: حدثنی سیدی علی بن موسی الرضا، عن أبیه، عن آبائه، عن النبی(صلی الله علیه وآله) أنه قال: من سره أن ینظر إلی القضیب الأحمر الذی غرسه الله بیده، ویکون متمسکاً به، فلیتول علیاً والأئمهٔ من ولده فإنهم خیرهٔ الله عز وجل وصفوته، وهم المعصومون من کل ذنب وخطیئهٔ). (ورواه فی عیون أخبار الرضا علیه السلام:۱/ ۶۲۹).

العصمهٔ التامهٔ هی الوسطیهٔ بین الغلو والتقصیر

فی الکافی:۱/۲۶۹: (محمد بن یحیی، عن أحمد بن محمد، عن البرقی، عن أبی طالب، عن سدیر قال: قلت لأبی عبد الله علیه السلام: أن قوماً یزعمون أنکم آلههٔ، یتلون بذلک علینا قرآناً: وَهُوَ الَّذِی فِی السَّمَاءِ إله وَفِی الأرض إِلَهٌ! فقال: یاسدیر سمعی وبصری وبشری ولحمی ودمی وشعری من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم، ما هؤلاء علی دینی ولاعلی دین آبائی! والله لا یجمعنی الله وإیاهم یوم القیامهٔ إلا وهو ساخط علیهم! قال قلت: وعندنا قوم یزعمون أنکم رسل، یقرؤون علینا بذلک قرآنا: یَا أَیُّهَا الرُّسُلُ کُلُوا مِنَ الطَّیِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صالحاً إِنِّی بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِیمٌ! فقال: یاسدیر سمعی وبصری وشعری وبشری ولحمی ودمی من هؤلاء براء، وبرئ الله منهم ورسوله، ما هؤلاء علی دینی ولا علی دین آبائی والله لا یجمعنی الله وإیاهم یوم القیامهٔ إلا وهو ساخط علیهم! قال: قلت: فما أنتم؟

قال: نحن خُزَّانُ علم الله، نحن تَراجمهٔ أمر الله، نحن قومٌ معصومون أمر الله تبارک وتعالی بطاعتنا ونهی عن معصیتنا، نحن الحجهٔ البالغهٔ علی من دون السماء و فوق الأرض).

وفی علل الشرائع للصدوق:۱/۱۷۳: (حدثنا أبو علی أحمد بن یحیی المکتب قال حدثنا أحمد بن محمد الوراق قال حدثنا بشر بن سعید بن قلبویه المعدل بالرافقه قال حدثنا عبد الجبار بن کثیر التمیمی الیمانی قال سمعت محمد بن حرب الهلالی أمیر المدینهٔ یقول: سألت جعفر بن محمد علیه السلام فقلت له یا ابن رسول الله فی نفسی مسألهٔ أرید أن أسألک عنها فقال: إن شئت أخبرتک بمسألتک قبل أن تسألنی وإن شئت فسل، قال: قلت له یا ابن رسول الله وبأی شئ تعرف ما فی نفسی قبل سؤالی؟ فقال بالتوسم والتفرس، أما سمعت قول الله عز وجل(إِنَّ فِی ذَلِکَ لایَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ) وقول رسول الله صلی الله علیه وآله اتقوا فراسهٔ المؤمن فإنه ینظر بنور الله، قال: فقلت له یا ابن رسول الله فأخبرنی بمسألتی قال: أردت أن تسألنی عن رسول الله صلی الله علیه وآله لمَ لم یطق حمله علی علیه السلام عند حط الأصنام من سطح الکعبهٔ مع قوته وشدته وما ظهر منه فی قلع باب القموص بخیبر والرمی به إلی ورائه أربعین ذراعاً، وکان لایطیق حمله أربعون رجلاً وقد کان رسول الله صلی الله علیه وآله یرکب الناقهٔ والفرس والحمار، ورکب البراق لیلهٔ المعراج وکل ذلک دون علی فی القوهٔ والشدهٔ؟ قال فقلت له: عن هذا والله أردت أن أسألک یا ابن رسول الله، فأخبرنی؟ فقال:

إن علیاً علیه السلام برسول الله تشرَّف وبه ارتفع، وبه وصل إلی أن أطفأ نار الشرک، وأبطل کل معبود من دون الله عز وجل، ولو علاه النبی علیهما السلام لحطِّ الأصنام لکان علیه السلام بعلی مرتفعاً وتشریفاً وواصلاً إلی حط الأصنام، ولو کان ذلک کذلک لکان أفضل منه، ألا تری أن علیاً علیه السلام قال: لما علوت ظهر رسول الله صلی الله علیه وآله شرفت وارتفعت حتی لو شئت أن أنال السماء لنلتها، أما علمت أن المصباح هو الذی یهتدی به فی الظلمهٔ، وانبعاث فرعه من أصله، وقد قال علی علیه السلام أنا من أحمد کالضوء من الضوء، أما علمت أن محمداً وعلیاً صلوات الله علیهما کانا نوراً بین یدی الله عز وجل قبل خلق الخلق بألفی عام، وإن الملائکهٔ لما رأت ذلک النور رأت له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع فقالت: إلهنا وسیدنا ماهذا النور؟ فأوحی الله تبارک وتعالی إلیهم هذا نور من نوری أصله نبوهٔ وفرعه إمامهٔ، أما النبوهٔ فلمحمد عبدی ورسولی وأما الإمامهٔ فلعلی حجتی وولیی، ولولاهما ما خلقت خلقی! أما علمت أن رسول الله صلی الله علیه وآله رفع ید علی علیه السلام بغدیر خم حتی نظر الناس إلی بیاض إبطیهما فجعله مولی المسلمین وإمامهم، وقد احتمل الحسن والحسین علیهما السلام یوم حظیرهٔ بنی النجار، فلما قال له بعض أصحابه ناولنی أحدهما یارسول الله قال: نعم الراکبان وأبوهما خیر منهما، وأنه کان یصلی بأصحابه فأطال سجدهٔ من سجداته فلما سلم قیل له یارسول الله لقد أطلت هذه السجدهٔ فقال صلی الله علیه وآله لأن ابنی ارتحلنی فکرهت أن أعاجله حتی ینزل، وإنما أراد بذلک رفعهم وتشریفهم،

فالنبى صلى الله عليه وآله إمام ونبى وعلى عليه السلام إمام ليس بنبى ولا رسول، فهو غير مطيق لحمل أثقال النبوة.

قال محمد بن حرب الهلالى: فقلت له زدنى يا ابن رسول الله فقال: إنك لأهل للزيادة إن رسول الله صلى الله عليه وآله حمل علياً عليه السلام على ظهره يريد بذلك أنه أبو ولده وإمام الأئمة من صلبه، كما حول ردائه فى صلاة الإستسقاء وأراد أن يعلم أصحابه بذلك أنه قد تحول الجدب خصباً، قال: قلت له زدنى ياابن رسول الله، فقال: احتمل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام يريد بذلك أن يعلم قومه أنه هو الذى يخفف عن ظهر رسول الله ما عليه من الدين والعدات والأداء عنه من بعده، قال: فقلت له يا ابن رسول الله زدنى فقال: احتمله ليعلم بذلك أنه قد احتمله وما حمل إلا لأنه معصوم لايحمل وزراً فتكون أفعاله عند الناس حكمة وصواباً وقد قال النبى صلى الله عليه وآله لعلى يا على أن الله تبارك وتعالى حملنى ذنوب شيعتك ثم غفرها لى وذلك قوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ،ولما أنزل الله عز وجل إذا اهتديتم وعلىٌّ نفسى وأخى أطيعوا علياً فإنه مطهر معصوم لايضل ولايشقى ثم تلاهذه الآية: قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فإن تَوَلَّوْا فإنما عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وإن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ.

قال محمد بن حرب الهلالى: ثم قال جعفر بن محمد عليه السلام: أيها الأمير لو أخبرتك بما فى حمل النبى صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبة من المعانى التى أرادها به، لقلت إن جعفر بن محمد لمجنون! فحسبك من ذلك ما قد سمعت! فقمت إليه وقبلت رأسه وقلت: اللهُ أعلم حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ). انتهى.

من كلمات علماء الشيعة فى عصمة الأنبياء والأئمة

الانبياء معصومون مطهرون كاملون

قال الصدوق فى الإعتقادات فى دين الإمامية ص۷۰: باب الإعتقاد فى العصمة: (إعتقادنا فى الأنبياءوالرسل والأئمة والملائكة عليهم السلام أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لايذنبون ذنباً لاصغيراً ولاكبيراً، ولايعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. ومن نفى عنهم العصمة فى شئ من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر. واعتقادنا فيهم: أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم، من أوائل أمورهم وأواخرها، لايوصفون فى شئ من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل). انتهى.

ملاحظة: لابد أن يكون الكفر فى كلام الصدوق رحمه الله بمعناه اللغوى، فلا هو ولا بقية فقهائنا يكفرون أحداً من أهل القبلة لقوله بالعصمة الناقصة.

وقال المفيد فى المقنعة ص۳۰: (ويجب أن يعتقد التصديق لكل الأنبياء عليهم السلام وأنهم حجج الله على من بعثهم إليه من الأمم، والسفراء بينه وبينهم، وإن محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، خاتمهم وسيدهم وأفضلهم، وإن شريعته ناسخة لما تقدمها من الشرائع المخالفة لها، وأنه لانبى بعده صلى الله عليه وآله ولا شريعة بعد شريعته.

وكل من ادعى النبوة بعده فهو كاذب على الله تعالى، ومن يغير شريعته فهو ضال، كافر من أهل النار، إلا أن يتوب ويرجع إلى الحق بالإسلام فيكفر بالله تعالى حينئذ عنه... بالتوبة ما كان مقرفاً من الآثام.

ويجب اعتقاد نبوة جميع من تضمن الخبر عن نبوته القرآن على التفصيل، واعتقاد الجملة منهم على الإجمال، ويعتقد أنهم كانوا معصومين من الخطأ، موفقين للصواب، صادقين عن الله تعالى فى جميع ما أدوه إلى العباد، وفى كل شئ أخبروا به على جميع الأحوال، وإن طاعتهم طاعة لله ومعصيتهم معصية لله، وإن آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وإدريس وموسى وهارون وعيسى وداود وسليمان وزكريا ويحيى وإلياس وذا الكفل وصالحاً وشعيباً ويونس ولوطاً وهوداً، كانوا أنبياءالله تعالى ورسلاً له صادقين عليه، كما سماهم بذلك وشهد لهم به، وإن من لم يذكر اسمه من رسله على التفصيل كما ذكر ممن سميناه منهم،

وذكرهم فی الجملهٔ حیث یقول:وَرسلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَیْکَ مِنْ قَبْلُ وَرسلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَیْکَ، كلهم أنبیاءعن الله صادقون، وأصفیاء له منتجبون لدیه، وإن محمداً صلی الله علیه وآله سیدهم وأفضلهم، كما قدمناه...
ویجب علی كـل مكلف أن یعرف إمـام زمـانه، ویعتقـد إمـامته وفرض طـاعته وأنه أفضل أهل عصـره وسـید قومه، وأنهم فی العصـمهٔ والكمال كالأنبیاء علیهم السلام ویعتقد أن كل رسول الله تعالی فهو نبی إمام، ولیس كل إمام نبیاً ولا رسولًا، وإن الأئمهٔ بعد رسول الله صلی الله علیه وآله حجج الله تعالی وأولیائه، وخاصهٔ أصـفیاء الله، أولهم وسیدهم أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبـد مناف، علیه أفضل السـلام، وبعـده الحسن والحسـین، ثم علی بن الحسـین، ثم محمد بن علی بن الحسـین، ثم جعفر بن محمـد، ثـم موسـی بـن جعفر، ثـم علی بـن موسـی، ثم محمـد بن علی بن موسـی، ثم علی بن محمـد بن علی، ثم الحسن بن علی بن محمـد، ثم الحجهٔ القائم بالحق ابن الحسن بن علی بن محمد بن علی بن موسـی علیهم السـلام. لاإمامهٔ لاحد بعد النبی صـلی الله علیه وآله غیرهم، ولایستحقها سواهم، وأنهم الحجهٔ علی كافهٔ الأنام كالأنبیاء علیهم السلام وأنهم أفضل خلق الله بعد نبیه علیه وآله السلام، والشـهداء علی رعایـاهم یوم القیامـهٔ، كمـا أن الأنبیـاء علیهم السـلام شـهداء الله علی أممهم، وأنه بمعرفتهم وولا-یتهم تُقبـل الأعمـال، وبعداوتهم والجهل بهم تُستحق النار).
فی بحـار الأنوار:۱۱/۷۲-۹۶: (بـاب عصـمهٔ الأنبیـاء علیهم السـلام وتأویل مایوهم خطأهم وسـهوهم). أورد فیه نحو مجموعـهٔ أحادیث وكلمات لعلمائنا رضی الله عنهم فی عصمهٔ الأنبیاءالتامهٔ علیهم السلام.

العصمهٔ عن الذنوب، والغلط، والرذائل، وما ینفر

قال المفید فی تصحیح اعتقادات الإمامیهٔ/۱۲۸:
(العصمهٔ من الله تعالی لحججه هی التوفیق واللطف، والإعتصام من الحجج بها: عن الذنوب، والغلط فی دین الله تعالی.
والعصـمهٔ تفضـل من الله تعـالی علی من علم أنه یتمسـک بعصـمته، والإعتصام فعل المعتصم، ولیست العصـمهٔ مانعـهً من القـدرهٔ علی القبیح، ولا مضـطرهً للمعصوم إلی الحسن، ولا مُلجئهً له إلیه، بل هی الشـئ الذی یعلم الله تعالی أنه إذا فعله بعبد من عبیده لم یؤثر معه معصیته له، ولیس كل الخلق یعلم هذا من حاله، بل المعلوم منهم ذلک هم الصفوهٔ والإخیار).

جلیلنا

وفی الكافی لأبی الصلاح الحلبی/۷۸: (وإذا ثبتت نبوهٔ نبینا صلی الله علیه وآله بالبراهین الواضحهٔ وجب القطع علی كونه صلی الله علیه وآله علی الصفات التی یجب كون النبی علیها من العصمهٔ فیما یؤدیه، والعصمهٔ من جمیع القبائح، وتنزیهه عن كل منفر حسب ما دللنا علیه).

اصل الأدلهٔ عندنا علی العصمهٔ التامهٔ: الدلیل العقلی

أقول: أصل الـدلیل فی مذهبنا علی عقیدهٔ عصـمهٔ الأنبیاءوالأئمهٔ علیهم السـلام عصـمهٔ تامهٔ هو العقل، الذی یحكم بضـرورهٔ أن یكون المؤدی للنـاس عن الله تعـالی والمؤدی للنـاس عن النبی صـلی الله علیه وآله معصوماً، وإلا فلا یمكن الوثوق بقوله، وأن عصـمته تثبت بنص المعصوم أو بالمعجزهٔ.
وقـد حاول غیرنا إثبات العصـمهٔ بالنقل لكنه یلزم منه الدور، لأن الوثوق بالنص الذی یثبت العصـمهٔ یتوقف علیها، فلا یصح أن تتوقف هی علیه.
وأسوأ من ذلک قول بعضهم بأن الأنبیاء علیهم السلام یرتكبون الذنوب والمعاصی حتی فی تبلیغ الرسالهٔ، لكن الله تعالی لایقرهم علی

الخطأ، فیصحح لهم ما عصوا فیه ویتوبون من معصیتهم!

قال ابن تیمیة فی منهاج سنته: ۲/۴۰۰: (والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم یتوبوا منها، والجمهور الذین یقولون بجواز الصغائر علیهم یقولون إنهم معصومون من الإقرار علیها، وحینئذ فما وصفوهم إلا بما فیه کمالهم، فإن الأعمال بالخواتیم. مع أن القرآن والحدیث وإجماع السلف معهم فی تقریر هذا الأصل! فالمنکرون لذلک یقولون فی تحریف القرآن ما هو من جنس قول أهل البهتان، ویحرفون الکلم عن مواضعه). انتهی.

وقوله: (والجمهور...) یقصد بهم أتباع المذاهب السنیة، وتعبیره بالصغائر لکی یجعل آیات الغرانیق الشیطانیة التی افتروها علی النبی صلی الله علیه وآله وصحح هو روایتها ودافع عنها، أن یجعلها من المعاصی الصغیرة! مع أنها خیانةٌ للوحی، وکفرٌ بالله العظیم، وعبادةٌ للأصنام وسجودٌ لها!

والوجه فی بطلان هذا الکلام أنه یستوجب سلب الثقة بکل کلام النبی علیه السلام فما دام قد یخطئ أو یخون الرسالة ویبلِّغ الکفرَ بدلَ التوحید! فلا ینفع بعد ذلک أن الله تعالی لایقره علی الخطأ، وأنه ینبهه بعد مدة فیقول النبی للناس إن الشئ الفلانی الذی بلغتکم إیاه کان خطأ منی أو من شیطانی، وقد نبهنی الیه جبرئیل وتاب الله علیَّ! فخذوا الصحیح ودعوا الخطأ!

فمن أین یثق الناس بأن هذا البدیل الذی بلغه الآن لیس منه أو من الشیطان کسابقه؟! فإن من وقع فی خطیئة مرة یمکن أن یقع فیها مئة مرة، ومن خان الوحی مرة، قد یخونه مئة مرة!

ونفس هذا الکلام یجری بطریق أولی فی عصمة الإمام المؤدی للأمة عن نبیها صلی الله علیه وآله فإن من یؤدی عن النبی صلی الله علیه وآله لابد أن یکون عنده العلم القطعی بکتاب الله والسنة، وأن یکون معصوماً لایحتمل فی حقه النسیان والخطأ وارتکاب خیانة، لأن احتمال الکذب والخطأ فیه یسلب الإطمئنان من أجیال الأمة بأن ما أدَّاهُ الیها هو مراد الله تعالی من کلامه قطعاً وهو قول النبی صلی الله علیه وآله قطعاً!

قال المحقق الحلی فی المسلک فی أصول الدین ص۱۵۴:

(وأما العصمة(للنبی)عن المعاصی فقد اختلفوا، فمنهم من عصمه عن الخلل فی التبلیغ لاغیر، ومنهم من عصمه مع ذلک عن الکبائر.

والحق أنه معصومٌ عن الکل فی حال النبوة وقبلها. وهل هو معصوم عن السهو أم لا؟ فیه خلاف بین أصحابنا، والأصح القول بعصمته عن ذلک کله.

لنا: لو جاز شئ من ذلک لجاز تطرقه إلی التبلیغ، لکن ذلک محال، ولأنه مع تجویز ذلک یرتفع الوثوق بخبره، فینتقض الغرض المراد بالبعثة.

وأما قبل النبوة فهو معصوم عن تعمد المعصیة، صغیرة کانت أو کبیرة، ویدل علیه من القرآن قوله: لاَیَنَالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ.

وأما ما تضمنه الکتاب العزیز وکثیر من الأخبار من ماظاهره وقوع المعصیة فمحمول علی ضرب من التأویل، لئلا تتناقض الأدلة).

وقاتل العلامة الحلی فی شرح التجرید ص۳۷۵:

المسألة الثانیة: فی وجوب العصمة قال: ویجب فی النبی العصمة لیحصل الوثوق فیحصل الغرض، ولوجوب متابعته، وضدها الإنکار علیه.

أقول: اختلف الناس هاهنا، فجماعة المعتزلة جوزوا الصغائر علی الأنبیاء علیهم السلام أما علی سبیل السهو کما ذهب إلیه بعضهم، أو علی سبیل التأویل کما ذهب إلیه قوم منهم، أو لأنها تقع محبطة بکثرة ثوابهم. وذهبت الأشاعرة والحشویة إلی أنه یجوز علیهم الصغائر والکبائر، إلا الکفر والکذب.وقالت الإمامیة إنه یجب عصمتهم عن الذنوب کلها، صغیرة کانت أو کبیرة، والدلیل علیه بوجوه:

أحدها: أن الغرض من بعثة الأنبیاء علیهم السلام إنما یحصل بالعصمة فیجب العصمة تحصیلًا للغرض، وبیان ذلک أن المبعوث إلیهم لو جوزوا الکذب علی الأنبیاءوالمعصیة جوزوا فی أمرهم ونهیهم وأفعالهم التی أمروهم باتباعهم فیها ذلک، وحینئذ لا ینقادون إلی

امتثال أوامرهم وذلک نقض للغرض من البعثة.

الثانی: أن النبی علیه السلام یجب متابعته فإذا فعل معصیة فأما أن یجب متابعته أولاًوالثانی باطل لانتفاء فائدة البعثة، والأول باطل لأن المعصیة لایجوز فعلها وأشار بقوله لوجوب متابعته وضدها إلی هذا الدلیل، لأنه بالنظر إلی کونه نبیاً یجب متابعته، وبالنظر إلی کون الفعل معصیة لا یجوز اتباعه.

الثالث: أنه إذا فعل معصیة وجب الإنکار علیه، لعموم وجوب النهی عن المنکر، وذلک یستلزم إیذائه، وهو منهیٌّ عنه، وکل ذلک محال).

وفی النافع یوم الحشر للعلامة الحلی ص۸۴: (والإمامیة أوجبوا العصمة مطلقاً عن کل معصیة، عمداً وسهواً، وهو الحق لوجهین:

الأول: ما أشار إلیه المصنف، وتقریره: أنه لو لم یکن الأنبیاء علیهم السلام معصومین لانتفت فائدة البعثة، واللازم باطل فالملزوم مثله.

بیان الملازمة: أنه إذا جازت المعصیة علیهم لم یحصل الوثوق بصحة قولهم لجواز الکذب حینئذ علیهم، وإذا لم یحصل الوثوق لم یحصل الإنقیاد لأمرهم ونهیهم، فتنتفی فائدة بعثهم، وهو محال.

الثانی: لوصدر عنهم الذنب لوجب اتباعهم، لدلالة النقل علی وجوب اتباعهم، لکن الأمر حینئذ باتباعهم محال لأنه قبیح! فیکون صدور الذنب عنهم محالاً وهو المطلوب....

وأما ما ورد فی الکتاب العزیز والأخبار مما یوهم صدور الذنب عنهم فمحمول علی ترک الأولی، جمعاً بین ما دل العقل علیه وبین صحة النقل، مع أن جمیع ذلک قد ذکر له وجوه ومحامل فی مواضعه... وعلیک فی ذلک بمطالعة کتاب تنزیه الأنبیاء علیهم السلام الذی رتبه السید المرتضی رحمه الله علم الهدی الموسوی وغیره من الکتب، ولولا خوف الإطالة لذکرنا نبذة من ذلک).

وقال فی تذکرة الفقهاء(ط.ج):۹/۳۹۷: (الخامس عشر: أن یکون منزهاً عن القبائح لدلالة العصمة علیه، ولأنه یکون مستحقاً للإهانة والإنکار علیه، فیسقط محله من قلوب العامة فتبطل فائدة نصبه.

وأن یکون منزهاً عن الدناءات والرذائل، کاللعب والأکل فی الأسواق وکشف الرأس بین الناس، وغیر ذلک مما یسقط محله ویوهن مرتبته.

وأن یکون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات.

وقد خالفت العامة فی ذلک کله).

وقال ابن میثم البحرانی فی قواعد المرام فی علم الکلام ص۱۲۵:

البحث الأول: العصمة صفة للإنسان یمتنع بسببها من فعل المعاصی ولایمتنع منه بدونها. وعندنا أن النبی معصوم عن الکبائر والصغائر عمداً وسهواً من حین الطفولیة إلی آخر العمر. وجوز بعض الخوارج صدور جمیع الذنوب عن الأنبیاء علیهم السلام، وجوزت المعتزلة والزیدیة وقوع الصغائر عنهم فیما یتعلق بالفتوی دون الکبائر. ثم منهم من جوزها سهواً فقط، وهو مذهب الأشعریة.

فأما ما یتعلق بأداء الشریعة فأجمعوا علی أنه لایجوز علیهم فیه التحریف والخیانة لا عمداً ولا سهواً، وکذلک أجمعوا علی أن وقت العصمة هو وقت النبوة دون ما قبله.

لنا وجوه: أحدها، أن غرض الحکیم من البعثة هدایة الخلق إلی مصالحهم وحثهم بالبشارة والنذارة وإقامة الحجة علیهم بذلک لقوله تعالی:رسلاً مُبَشِّرِینَ وَمُنْذِرِینَ لِئَلایَکُونَ لِلنَّاسِ عَلَی اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ. (النساء:۱۶۵) فلو لم یجب فی حکمته عصمة النبی لناقض غرضه من بعثه وإرساله، لکن اللازم باطل فالملزوم مثله، فعصمة النبی واجبة فی الحکمة.

أما الملازمة فلأنه بتقدیر وقوع المعصیة منه جاز أن یأمرهم بما هو مفسدة لهم وینهاهم عما هو مصلحة لهم، وذلک مستلزم لإغوائهم وإضلالهم، فکان فی بعثة غیر المعصوم مناقضة للغرض من بعثه.

وأما بطلان اللازم فلأن مناقضة الغرض یستلزم السفه والعبث، وهما محالان علی الحکیم، کما تقدم فی باب اللطف.

الثانی، لو جاز صدور المعصیهٔ عن النبی لوجب علینا فعل المفسدهٔ أو ترک المصلحهٔ الواجبهٔ، لکن اللازم باطل فالملزوم مثله.

بیان الملازمهٔ أنه یجب علینا فعل ما أمرنا به والانتهاء عما نهانا عنه لقوله تعالی: وَمَاآتَاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. (الحشر:۷) فبتقدیر أن تجوز المعصیهٔ علیه جاز أن یوجب علینا ما هو محرم ویحرم علینا ما هو واجب، ویجب علینا اتباعه فی ذلک.

وأما بطلأن اللازم فلأن أمر الحکیم لنا باتباعه مطلقاً یستلزم أمره لنا بفعل القبیح إذن، لکن الأمر بالقبیح قبیح ممتنع علیه تعالی.

الثالث، لو جاز صدور المعصیهٔ عنهم لکان بتقدیر وقوعها منهم لاتقبل شهاداتهم، لقوله تعالی: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أن جَاءَکُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَیَّنُوا. (الحجرات:۶) لکن اللازم باطل، لأنها إذا لم تقبل فی محقرات الأمور فکان أولی أن لا- تقبل فی الأدیان الباقیهٔ إلی یوم القیامهٔ).

قال الصدوق رحمه الله فی معانی الأخبار ص۱۳۳ بعد إیراد الحدیث المتقدم فی أمالیه:

(قال أبو جعفر مصنف هذا الکتاب: الدلیل علی عصمهٔ الإمام أنه لما کان کل کلام ینقل عن قائله یحتمل وجوهاً من التأویل، وکان أکثر القرآن والسنهٔ مما أجمعت الفرق علی أنه صحیح لم یغیر ولم یبدل، ولم یزد فیه ولم ینقص منه، محتملاً- لوجوه کثیرهٔ من التأویل، وجب أن یکون مع ذلک مخبرٌ صادقٌ معصومٌ من تعمد الکذب والغلط، منبئٌ عما عنی الله ورسوله فی الکتاب والسنهٔ علی حق ذلک وصدقه، لأن الخلق مختلفون فی التأویل، کل فرقهٔ تمیل مع القرآن والسنهٔ إلی مذهبها، فلو کان الله تبارک وتعالی ترکهم بهذه الصفهٔ من غیر مخبر عن کتابه صادق فیه لکان قد سوغهم الإختلاف فی الدین ودعاهم إلیه، إذ أنزل کتاباً یحتمل التأویل، وسن نبیه سنهً تحتمل التأویل، وأمرهم بالعمل بهما، فکأنه قال: تأولوا واعملوا. وفی ذلک إباحهٔ العمل بالمتناقضات والإعتماد للحق وخلافه. فلما استحال ذلک علی الله عز وجل، وجب أن یکون مع القرآن والسنهٔ فی کل عصر من یبین عن المعانی التی عناها الله عز وجل فی القرآن بکلامه، دون ماتحتمله ألفاظ القرآن من التأویل، ویبین عن المعانی التی عناها رسول الله فی سننه وأخباره دون التأویل الذی تحتمله ألفاظ الأخبار المرویهٔ عنه علیه السلام المجمع علی صحهٔ نقلها.

وإذا وجب أنه لا- بدَّ من مخبر صادق، وجب أن لا-یجوز علیه الکذب تعمداً ولا- الغلط فیما یخبر به عن مراد الله عز وجل فی کتابه، وعن مراد رسول الله فی أخباره وسننه. وإذا وجب ذلک وجب أنه معصوم.

ومما یؤکد هذا الدلیل أنه لایجوز عند مخالفینا أن یکون الله عز وجل أنزل القرآن علی أهل عصر النبی صلی الله علیه وآله ولا نبی فیهم ویتعبدهم بالعمل بما فیه علی حقه وصدقه، فإذا لم یجز أن ینزل القرآن علی قوم ولا ناطقٌ به ولا معبِّرٌ عنه ولا مفسر لما استعجم منه، ولا مبین لوجهه، فکذلک لایجوز أن نتعبد نحن به إلا ومعه من یقوم فینا مقام النبی صلی الله علیه وآله فی قومه وأهل عصره، فی التبیین لناسخه ومنسوخه وخاصه وعامه، و المعانی التی عناها الله عز وجل بکلامه دون ما یحتمله التأویل، کما کان النبی صلی الله علیه وآله مبیناً لذلک کله لأهل عصره. ولابد من ذلک ما لزموا العقول والدین.

فإن قال قائل: إن المؤدی إلینا ما نحتاج إلی علمه من متشابه القرآن ومن معانیه التی عناها الله دون ما یحتمله ألفاظه، هو الأمهٔ.

أکذبه اختلاف الأمهٔ وشهادتها بأجمعها علی أنفسها فی کثیر من أی القرآن لجهلهم بمعناه الذی عناه الله عز وجل!

وفی ذلک بیان أن الأمهٔ لیست هی المؤدیهٔ عن الله عز وجل ببیان القرآن، وأنها لیست تقوم فی ذلک مقام النبی صلی الله علیه وآله.

فإن تجاسر متجاسر فقال: قد کان یجوز أن ینزل القرآن علی أهل عصر النبی صلی الله علیه وآله , ولا یکون معه نبی ویتعبدهم بما فیه مع احتماله للتأویل.

قیل له: فهبْ ذلک کان قد وقع من الخلاف فی معانیه ما قد وقع فی هذا الوقت، ما الذی کانوا یصنعون؟

فإن قال: ما قد صنعوا الساعهٔ.

قیل: الذی فعلوه الساعهٔ أخذ کل فرقهٔ من الأمهٔ جانباً من التأویل وعمله علیه، وتضلیل الفرقهٔ المخالفهٔ لها فی ذلک، وشهادتها علیها بأنها لیست علی الحق.

فإن قال: أنه كان يجوز أن يكون أول الإسلام كذلك وإن ذلك حكمة من الله و عدل فيهم، ركب خطأ عظيماً وما لا أرى أحداً من الخلق يقدم عليه.

فيقال له عند ذلك: فحدثنا إذا تهيأ للعرب الفصحاء أهل اللغة أن يتأولوا القرآن ويعمل كل واحد منهم بما يتأوله على اللغة العربية، فكيف يصنع من لا يعرف اللغة من الناس؟ وكيف يصنع العجم من الترك والفرس؟ وإلى أى شئ يرجعون فى علم ما فرض الله عليهم فى كتابه؟ ومن أى الفرق يقبلون مع اختلاف الفرق فى التأويل؟!

وإباحتك كل فرقة أن تعمل بتأويلها، فلا بد لك من أن تجرى العجم ومن لا يفهم اللغة مجرى أصحاب اللغة من أن لهم أن يتبعوا أى الفرق شاؤوا! و[إلا] إن ألزمت من لا يفهم اللغة اتباع بعض الفرق دون بعض، لزمك أنت تجعل الحق كله فى تلك الفرقة دون غيرها، فإن جعلت الحق فى فرقة دون فرقة نقضت مابنيت عليه كلامك واحتجت إلى أن يكون مع تلك الفرقة علم وحجة تبين بها من غيرها، وليس هذا من قولك!

ولو جعلت الفرق كلها متساوية فى الحق مع تناقض تأويلاتها، فيلزمك أيضاً أن تجعل للعجم ومن لايفهم اللغة أن يتبعوا أى الفرق شاؤوا، وإذا فعلت ذلك لزمك فى هذا الوقت أن لاتلزم أحداً من مخالفيك من الشيعة والخوارج وأصحاب التأويلات وجميع من خالفك ممن له فرقة ومن مبتدع لافرقة له على مخالفيك ذماً!! وهذا نقض الإسلام والخروج من الإجماع.

ويقال لك: وما ينكر على هذا الأعطاء أن يتعبد الله عز وجل الخلق بما فى كتاب مطبق لا يمكن أحداً أن يقرأ ما فيه، ويأمر أن يبحثوا ويرتادوا ويعمل كل فرقة بما ترى أنه فى الكتاب.

فإن أجزت ذلك أجزت على الله عز وجل العبث لأن ذلك صفة العابث! ويلزمك أن تجيز على كل من نظر بعقله فى شئ واستحسن أمراً من الدين أن يعتقده! لأنه سواء أباحهم أن يعملوا فى أصول الحلال و الحرام وفروعها بآرائهم، وأباحهم أن ينظروا بعقولهم فى أصول الدين كله وفروعه من توحيده وغيره، وإن يعملوا أيضاً بما استحسنوه وكان عندهم حقاً!

فإن أجزت ذلك أجزت على الله عز وجل أن يبيح الخلق أن يشهدوا عليه أنه ثانى اثنين، وإن يعتقدوا الدهر، وجحدو البارئ جل وعز. وهذا آخر ما فى هذا الكلام، لأن من أجاز أن يتعبدنا الله عز وجل بالكتاب على احتمال التأويل ولا مخبر صادق لنا عن معانيه، لزمه أن يجيز على أهل عصر النبى صلى الله عليه وآله مثل ذلك! وإذا أجاز مثل ذلك لزمه أن يبيح الله عز وجل كل فرقة العمل بما رأت وتأولت، لأنه لايكون لهم غير ذلك إذا لم يكن معهم حجة فى أن هذا التأويل أصح من هذا التأويل.

وإذا أباح ذلك أباح متبعهم ممن لايعرف اللغة! وإذا أباح أولئك أيضاً لزمه أن يبيحنا فى هذا العصر، وإذا أباحنا ذلك فى الكتاب لزمه أن يبيحنا ذلك فى أصول الحلال والحرام ومقائيس العقول وذلك خروج من الدين كله.

وإذاً وجب بما قدمنا ذكره أنه لابد من مترجم عن القرآن وأخبار النبى صلى الله عليه وآله وجب أن يكون معصوماً ليجب القبول منه، فإذا وجب أن يكون معصوماً بطل أن يكون هو الأمة لما بينا من اختلافاتها فى تأويل القرآن والأخبار، وتنازعها فى ذلك ومن إكفار بعضها بعضاً!!

وإذا ثبت ذلك وجب أن المعصوم هو الواحد الذى ذكرناه وهو الإمام. وقد دللنا على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً، وأرينا أنه إذا وجبت العصمة فى الإمام لم يكن بد من أن ينص النبى عليه، لأن العصمة ليست فى ظاهر الخلقة فيعرفها الخلق بالمشاهدة فواجب أن ينص عليها علام الغيوب تبارك وتعالى على لسان نبيه , وذلك لأن الإمام لايكون إلا منصوصاً عليه، وقد صح لنا النص بما بيناه من الحجج وبما رويناه من الأخبار الصحيحة). انتهى.

وقال الطباطبائى فى تفسير الميزان:۲/۱۳۴: (كلام فى عصمة الأنبياء عليهم السلام:

العصمة على ثلاثة أقسام: العصمة عن الخطأ فى تلقى الوحى، والعصمة عن الخطأ فى التبليغ والرسالة، والعصمة عن المعصية، وهى ما فيه هتك حرمة العبودية ومخالفة مولويته، ويرجع بالآخرة إلى قول أو فعل ينافى العبودية منافاةً ما. ونعنى بالعصمة وجود أمر فى

الإنسان المعصوم يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ، أو المعصية.

وأما الخطأ فى غير باب المعصية وتلقى الوحى والتبليغ، وبعبارة أخرى: فى غير باب أخذ الوحى وتبليغه والعمل به، كالخطأ فى الأمور الخارجية نظير الأغلاط الواقعة للإنسان فى الحواس وإدراكاتها، أو الإعتباريات من العلوم، ونظير الخطأ فى تشخيص الأمور التكوينية من حيث الصلاح والفساد والنفع والضرر ونحوها، فالكلام فيها خارج عن هذا المبحث.

وكيف كان، فالقرآن يدل على عصمتهم عليهم السلام فى جميع الجهات الثلاث:

أما العصمة عن الخطأ فى تلقى الوحى وتبليغ الرسالة: فيدل عليه قوله تعالى فى الآية: كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَااخْتَلَفَ فِيهِ إلاالَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ. (البقرة:۲۱۳) فإنه ظاهر فى أن الله سبحانه إنما بعثهم بالتبشير والإنذار وإنزال الكتاب، وهذا هو الوحى، ليبينوا للناس الحق فى الإعتقاد والحق فى العمل. وبعبارة أخرى لهداية الناس إلى حق الإعتقاد وحق العمل، وهذا هو غرضه سبحانه فى بعثهم، وقد قال تعالى:لايَضِلُّ رَبِّى وَلايَنْسَى.(طه:۵۲) فبيَّن أنه لايضل فى فعله ولايخطئ فى شأنه، فإذا أراد شيئاً فإنما يريده من طريقه الموصل إليه من غير خطأ، وإذا سلك بفعل إلى غاية فلا يضل فى سلوكه، وكيف لا وبيده الخلق والأمر وله الملك والحكم، وقد بعث الأنبياء عليهم السلام بالوحى إليهم وتفهيمهم معارف الدين، ولا بد أن يكون، وبالرسالة لتبليغها للناس ولابد أن يكون. وقال تعالى أيضاً: إنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيءٍ قَدْرا.(الطلاق:۳) وقال أيضاً: وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. (يوسف:۲۱) ويدل على العصمة عن الخطأ أيضاً قوله تعالى:عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً، الأمن ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً. لِيَعْلَمَ أن قَدْ أَبْلَغُوارِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَداً.(الجن:۲۶-۲۸) فظاهره أنه سبحانه يختص رسله بالوحى فيظهرهم على الغيب ويؤيدهم بمراقبة ما بين أيديهم وما خلفهم، والإحاطة بما لديهم، لحفظ الوحى عن الزوال والتغير بتغيير الشياطين وكل مغير غيرهم، ليتحقق إبلاغهم رسالات ربهم.

ونظيره قوله تعالى حكاية عن قول ملائكة الوحى: وَمَا نَتَنَزَّلُ إلابِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً. (مريم:۶۴)، دلت الآيات على أن الوحى من حين شروعه فى النزول، إلى بلوغه النبى، إلى تبليغه للناس محفوظ مصون عن تغيير أى مغير يغيره).

وقال الوحيد الخراسانى فى مقدمة منهاج الصالحين ص۶۱:

والأدلة على عصمة الأنبياء عليهم السلام عديدة، نشير إلى بعضها:

الدليل الأول: أن لوصول كل مخلوق إلى كماله الذى خلق له سنناً وقوانين، وقد تبين مما تقدّم أن السنة التى توصل الإنسان إلى كماله المقصود من خلقه، إنما هى الهداية الإلهية ودين الحقّ.

ولما كان تحقق هذا الكمال يتوقف على تبليغ السنة والنظام الإلهى وتنفيذه،

والنبى متكفل لتربية الإنسان وفق هذه السنة والنظام، فلو حصل تخلّف فى تبليغه أو تنفيذه لكان نقضاً للغرض، ولا يكون تخلّف مبلغ الوحى والمربّى بالتربية الإلهية إلامن جهة الخطأ أو الهوى، وأىّ منهما كان فلا يحصل الغرض الأقصى.

فكمال الهداية الإلهية يتطلّب كمال الهادى، وعصمة النظام الإلهى الذى لاَيَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ، تستلزم عصمة المعلم والمنفذ.

الدليل الثانى: دلّ العقل والنقل على أن الدين جاء ليُحيى الإنسان حياة طيّبة مَنْ عَمِلَ صالحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ، وماء الحياة الطيّبة للإنسان هو الإيمان والعمل الصالح، وهما يشكّلأن مجموعة الدين، ومجرى هذا الماء الطيب وجود النبىّ عليه السلام، فلو كان مجرى الماء ملوثاً لتلوث الماء ولم يصلح لسقى عقول الناس وقلوبهم، ولا يحصل منه ثمرة الحياة الطيبة.

الدلیل الثالث: بما أن الغرض من بعثة النبی علیه السلام لایتحقّق إلا بإطاعته فی أمره ونهیه، وبما أن إطاعة المخطئ والعاصی لاتجوز، فلو لم یکن النبی علیه السلام معصوماً لم تجب إطاعته، فیلزم نقض الغرض وبطلأن نتیجة البعثة.

الدلیل الرابع: إذا لم یکن النبی علیه السلام معصوماً، لم یحصل للأمة الیقین بصدقه وصحة قوله فی تبلیغ الوحی، وإذا لم یکن معصوماً من الذنوب، سقطت مکانته فی أعین الناس، وکلام العالم بلا عمل، والواعظ غیر المتعظ لا یؤثر فی النفوس، فلا یحصل الغرض المقصود من البعثة.

الدلیل الخامس: منشأ الخطأ والذنب ضعف العقل والإرادة، وعقل النبی علیه السلام کامل، لأنه باتصاله بالوحی اتصل بحق الیقین، وصار یری الأشیاء علی واقعها کما هی، وإرادته لا تتأثّر إلا من إرادة الله سبحانه وتعالی، فلا یبقی فی شخصیته مجالٌ للخطأ والذنب). انتهی.

العصمة لاتعنی الإجبار، و لا تنافی الإختیار

قال المفید فی رسالة النکت الإعتقادیة ص۴۵:

(فإن قیل: ما حد العصمة؟ الجواب: العصمة لطف یفعله الله بالمکلف بحیث یمنع منه وقوع المعصیة وترک الطاعة، مع قدرته علیهما.

فإن قیل: ما الدلیل علی أنه معصوم من أول عمره إلی آخره؟

والجواب: الدلیل علی ذلک أنه لو عهد منه السهو والنسیان لارتفع الوثوق منه عند إخباراته. ولو عهد منه خطیئة لتنفرت العقول من متابعته فتبطل فائدة البعثة).

وقال العلامة الحلی فی شرح التجرید/۴۹۴:

قال: ولا تنافی العصمة القدرة.

أقول:اختلف القائلون بالعصمة فی أن المعصوم هل یتمکن من فعل المعصیة أم لا؟ فذهب قوم منهم إلی عدم تمکنه من ذلک، وذهب آخرون إلی تمکنه منها. أما الأولون فمنهم من قال: أن المعصوم مختص فی بدنه أو نفسه بخاصیة تقتضی امتناع إقدامه علی المعصیة، ومنهم من قال: أن العصمة هو القدرة علی الطاعة وعدم القدرة علی المعصیة، وهو قول أبی الحسین البصری. وأما الإخرون الذین لم یسلبوا القدرة فمنهم من فسرها بأنه الأمر الذی یفعله الله تعالی بالعبد من الألطاف المقربة إلی الطاعات التی یعلم معها أنه لا یقدم علی المعصیة بشرط أن لا ینتهی ذلک الأمر إلی الالجاء، ومنهم من فسرها بأنها ملکة نفسانیة لا یصدر عن صاحبها معها المعاصی. وآخرون قالوا: العصمة لطف یفعله الله تعالی بصاحبها لا یکون له معه داع إلی ترک الطاعة وارتکاب المعصیة، وأسباب هذا اللطف أمور أربعة:

أحدها: أن یکون لنفسه أو لبدنه خاصیة تقتضی ملکة مانعة من الفجور وهذه الملکة مغایرة للفعل.

الثانی: أن یحصل له علم بمثالب المعاصی ومناقب الطاعات.

الثالث: تأکید هذه العلوم بتتابع الوحی والإلهام من الله تعالی.

الرابع: مؤاخذته علی ترک الأولی بحیث یعلم أنه لا یترک مهملا بل یضیق علیه الأمر فی غیر الواجب من الأمور الحسنة.

فإذا اجتمعت هذه الأمور کان الإنسان معصوماً.

والمصنف رحمه الله اختار المذهب الثانی وهو أن العصمة لا تنافی القدرة بل المعصوم قادر علی فعل المعصیة، وإلا لما استحق المدح علی ترک المعصیة ولا الثواب، ولبطل الثواب والعقاب فی حقه، فکان خارجاً عن التکلیف! وذلک باطل بالإجماع وبالنقل فی قوله تعالی:(قُلْ إنما أنا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُوحَی إِلَیَّ).

وقال العلامة الحلی فی کتاب الألفین/۶۷:

البحث السابع: فی عصمة الإمام، وهی ما یمتنع المکلف معه من المعصیة متمکنا منها، ولا یمتنع منها مع عدمها. اختلف الناس فی ذلک، فذهبت الإمامیة والإسماعیلیة إلیه، ونفاه الباقون، لنا وجوه:

الأول: لو کان غیر معصوم لکان محتاجاً إما إلی نفسه أو إلی إمام آخر فیدور أو یتسلسل وهما محالأن، وذلک لوجود العلة المحوجة إلیه فیه.

لایقال: المعصوم لایخلو إما أن یقدر علی المعصیة أو لا یقدر، فإن قدر فلایخلو أن یمکن وقوعها منه أو لایمکن، فإن أمکن فهو کسائر المکلفین فی الحقیقة من غیر امتیاز، وإن لم یمکن فقدرته علی ما لایمکن وقوعه لا یکون قدرة، وإن لم یقدر فهو مجبورٌ ولیس ذلک بشرف له.

وأیضاً، إذا جاز أن یمتنع وقوع المعصیة من شخص من المکلفین بفعل الله تعالی، ولا یضر ذلک قدرته وتمکنه من الطرفین، فالواجب أن یجعل جمیع المکلفین کذلک، إذ کان الغرض من وجودهم إیصال الثواب إلیهم دون وقوع المعصیة وعقابهم علیها؟

وأیضاً، فلمَ یجوز أن یکون الإنتهاء فی الإحتجاج إلی النبی صلی الله علیه وآله أو القرآن وینقطع التسلسل.

لأنا نجیب عن الأول: بأنه یقدر علیها ولکن لاتقع مقدورة منه، لعدم خلوص داعیه إلیها، کما نقول فی امتناع وقوع القبایح من الحکیم تعالی، وکما نقول فی عصمة الأنبیاء علیهم السلام فإن القدرة علی ما لایمکن وقوعه لاعتبار شئ غیر ذاته لایستنکر، إنما یستنکر القدرة علی ما لا یمکن وقوعه لذاته.

وعن الثانی: أنا لا نقول أن الحکیم تعالی جعل شخصاً واحداً بفعله معصوماً من غیر استحقاق منه لذلک، لکِنَّا نقول: کل من یستحق الألطاف الخاصة التی هی العصمة بکسبه، فهو تعالی یخصه بها.

ثم الإمام یجب أن یکون من تلک الطایفة، فالمکلفون بأسرهم لو استحقوا بکسبهم تلک الألطاف لکانوا کلهم معصومین، فظهر أن الخلل فی عدم عصمتهم جمیعاً راجع علیهم لا علیه تعالی.

وعن الثالث: أن نسبة غیر المعصومین إلی النبی صلی الله علیه وآله القرآن نسبة واحدة، فلو جاز أن یکون النبی الموجود فی زمان سابق أو القرآن مُغنیاً لمکلف مع جواز خطأه عن الإمام لجاز فی الجمیع مثل ذلک، وحینئذ لایجب احتیاجهم جمیعاً إلی الإمام، وقد سبق فساد اللازم فظهر فساد الملزوم.

الثانی: لما ثبت وجوب نصب الإمام علی الله تعالی بالطریق الثانی فنقول: أنا نعلم ضرورة أن الحاکم إذا نصب فی رعیته من یعرف منه أنه لا یقوم بمصالحهم ولا یراعی فیهم ما لأجله احتاجوا إلی منصوب قبله، تستقبح العقول منه ذلک النصب وتنفر عنه، ونصب غیر المعصوم من الله تعالی داخل فی هذه الحِکم، فعلمنا أنه لاینصب غیر المعصوم، فکل إمام ینصبه الله تعالی فهو معصوم). انتهی.

وقال الشریف المرتضی فی رسائله:۳/۳۲۳:

(مسألة فی العصمة: ماحقیقة العصمة التی یعتقد وجوبها للأنبیاءوالأئمة علیه السلام، وهل هو معنی یضطر إلی الطاعة ویمنع من المعصیة أو معنی یضامُّ الإختیار؟ فإن کان معنی یضطر إلی الطاعة ویمنع من المعصیة، فکیف یجوز الحمد والذم لفاعلها؟ وإن کان معنی یضامُّ الإختیار، فاذکروه ودُلُّوا علی صحة مطابقته له، ووجوب اختصاص المذکورین به دون من سواهم، فقد قال بعض المعتزلة: إن الله عصم أنبیاءه بالشهادة لهم بالإعتصام، وضلل قوماً بنفس الشهادة علیهم بالضلال، فإن یکن ذلک هو المعتمد، أنعمْ بذکره ودلَّ علی صحته وبطلأن ما عساه نعلمه من الطعن علیه، وإن کان باطلاً دلَّ علی بطلانه وصحة الوجه المعتمد دون ما سواه؟

الجواب ولله التوفیق: أعلم أن العصمة هی اللطف الذی یفعله تعالی، فیختار العبد عنده الإمتناع من فعل القبیح، فیقال علی هذا إن الله عصمه، بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبیح، ویقال إن العبد معتصم، لأنه اختار عند هذا الداعی الذی فعل الإمتناع عن القبیح. وأصل العصمة فی وضع اللغة المنع، یقال: عصمت فلاناً من السوء إذا منعت من فعله به. غیر أن المتکلمین أجروا هذه اللفظة علی من امتنع باختیاره عند اللطف الذی یفعله الله تعالی به، لأنه إذا فعل به ما یعلم أن یمتنع عنده من فعل القبیح فقد منعه منه، فأجروا علیه لفظ

المانع قسراً أو قهراً. وأهل اللغة يتصارفون ذلك ويستعملونه، لأنهم يقولون فيمن أشار على غيره برأى فقبله مختاراً، واحتمى بذلك من ضرر يلحقه هو وماله إنه حماه من ذلك الضرر ومنعه وعصمه، وإن كان ذلك على سبيل الإختيار.

فإن قيل: أفتقولون فيمن لطف له بما اختار عنده الإمتناع من فعل واحد قبيح أنه معصوم.

قلنا: نقول ذلك مضافاً ولا نطلقه، فنقول: أنه معصوم من كذا ولا نطلق، فيوهم أنه معصوم من جميع القبائح، ونطلق فى الأنبياءوالأئمة عليهم السلام العصمة بلا تقييد، لأنهم عندنا لايفعلون شيئاً من القبائح، دون ما يقوله المعتزلة من نفى الكبائر عنهم دون الصغائر.

فإن قيل: فإذا كان تفسير العصمة ما ذكرتم، أفلا عصم الله جميع المكلفين وفعل بهم ما يختارون عنده الإمتناع من القبائح.

قلنا: كل من علم الله تعالى أن له لطفاً يختار عنده الإمتناع من القبح، فإنه لا بدَّ أن يفعله وإن لم يكن نبياً ولا إماماً، لأن التكليف يقتضى فعل اللطف على ما دل عليه فى مواضع كثيرة.

غير أنا لانمنع أن يكون فى المكلفين من ليس فى المعلوم أن فيه سبباً متى فعل اختار عنده الإمتناع من القبح، فيكون هذا المكلف لاعصمة له فى المعلوم ولا لطف، ولا يكلف من لا لطف له بحسن ولا بقبح، وإنما القبيح منع اللطف فيمن له لطف مع ثبوت التكليف.

فأما قول بعضهم إن العصمة الشهادة من الله تعالى بالإعتصام، فباطل لأن الشهادة لا يجعل الشئ على ما هو به، وإنما يتعلق به على ما هو عليه، لأن الشهادة هى الخبر، والخبر عن كون الشئ على صفة لا يؤثر فى كونه عليها، فيحتاج أولاًإلى أن يتقدم إلى العلم بأن زيداً معصوم أو معتصم، ويوضح عن معنى ذلك، ثم تكون الشهادة من بعده مطابقة لهذا العلم، وهذا بمنزلة من سئل عن حد المتحرك، فقال: هو شهادة بأنه متحرك أو العلم بأنه على هذه الصفة. وفى هذا البيان كفاية لمن تأمل).

وقال الطباطبائى فى تفسير الميزان:۲/۱۳۸: (فإن قلت: الذى يدل عليه ما مر من الآيات الكريمة هو أن الأنبياء عليهم السلام لايقع منهم خطأ ولا يصدر عنهم معصية، وليس ذلك من العصمة فى شئ، فإن العصمة على ما ذكره القوم قوة تمنع الإنسان عن الوقوع فى الخطأ، وتردعه عن فعل المعصية واقتراف الخطيئة، وليست القوة مجرد صدور الفعل أو عدم صدوره، وإنما هى مبدأ نفسانى تصدر عنه الفعل كما تصدر الأفعال عن الملكات النفسانية.

قلت: نعم لكن الذى يحتاج إليه فى الأبحاث السابقة هو عدم تحقق الخطأ والمعصية من النبى عليه السلام ولايضر فى ذلك عدم ثبوت قوة تصدر عنها الفعل صواباً أو طاعة وهو ظاهر.

ومع ذلك يمكن الإستدلال على كون العصمة مستندة إلى قوة رادعة بما مر فى البحث عن الإعجاز من دلالة قوله تعالى: إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَئٍ قَدْراً. (الطلاق:۳) وكذا قوله تعالى: إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (هود:۵۶) على أن كلاً من الحوادث يحتاج إلى مبدأ يصدر عنه وسبب يتحقق به، فهذه الأفعال الصادرة عن النبى عليه السلام على وتيرة واحدة صواباً وطاعة تنتهى إلى سبب مع النبى عليه السلام وفى نفسه وهى القوة الرادعة.

وتوضيحه: أن أفعال النبى عليه السلام المفروض صدورها طاعة أفعال اختيارية من نوع الأفعال الإختيارية الصادرة عنا، التى بعضها طاعة وبعضها معصية، ولا شك أن الفعل الإختيارى إنما هو اختيارى بصدوره عن العلم والمشية، وإنما يختلف الفعل طاعة ومعصية باختلاف الصورة العلمية التى يصدر عنها، فإن كان المقصود هو الجرى على العبودية بامتثال الأمر مثلًا تحققت الطاعة، وإن كان المطلوب- أعنى الصورة العلمية التى يضاف إليها المشية- اتباع الهوى واقتراف ما نهى الله عنه تحققت المعصية، فاختلاف أفعالنا طاعة ومعصية لاختلاف علمنا الذى يصدر عنه الفعل، ولو دام أحد العلمين أعنى الحكم بوجوب الجرى على العبودية وامتثال الأمر الإلهى، لما صدر إلا الطاعة، ولو دام العلم الآخر الصادر عنه المعصية (والعياذ بالله) لم يتحقق إلا المعصية.

وعلى هذا فصدور الأفعال عن النبى عليه السلام بوصف الطاعة دائماً ليس إلا لأن العلم الذى يصدر عنه فعله بالمشية صورة علمية صالحة غير متغيرة، وهو الإذعان بوجوب العبودية دائماً، ومن المعلوم أن الصورة العلمية والهيئة النفسانية الراسخة غير الزائلة، هى

الملکـة النفسانیـة کملکـة العفة والشـجاعة والعدالة ونحوها، ففی النبی ملکة نفسانیة تصدر عنها أفعاله علی الطاعة والإنقیاد وهی القوة الرادعة عن المعصیة.

ومن جهة أخری النبی علیه السلام لایخطئ فی تلقی الوحی ولا فی تبلیغ الرسالة ففیه هیئة نفسانیة لاتخطئ فی تلقی المعارف وتبلیغها، ولاتعصی فی العمل. ولو فرضنا أن هذه الأفعال وهی علی وتیرة واحدة لیس فیها إلا الصواب والطاعة تحققت منه من غیر توسط سبب من الأسباب یکون معه، ولا انضمام من شئ إلی نفس النبی علیه السلام، کان معنی ذلک أن تصدر أفعاله الإختیاریة علی تلک الصفة بإرادة من الله سبحانه من غیر دخالة للنبی علیه السلام فیه، ولازم ذلک إبطال علم النبی علیه السلام وإرادته فی تأثیرها فی أفعاله، وفی ذلک خروج الأفعال الإختیاریة عن کونها اختیاریة، وهو ینافی افتراض کونه فرداً من أفراد الإنسان الفاعل بالعلم والإرادة. فالعصمة من الله سبحانه إنما هی بإیجاد سبب فی الإنسان النبی یصـدر عنه أفعاله الإختیاریـة صواباً وطاعة، وهو نوع من العلم الراسخ، وهو الملکة کما مر).

وقال فی المیزان:۵/۷۸، فی تفسیر قوله تعالی: وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَیْکَ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَـةَ وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ.(النساء:۱۱۳): (ظاهر الآیة أن الأمر الذی تتحقق به العصمة نوع من العلم یمنع صاحبه عن التلبس بالمعصیة والخطأ. وبعبارة أخری: علم مانع عن الضلال، کما أن سائر الإخلاق کالشـجاعة والعفـة والسـخاء کل منها صورة علمیـة راسـخة موجبـة لتحقق آثارها، مانعةٌ عن التلبس بأضـدادها من آثار الجبن والتهور والخمود والشره والبخل والتبذیر.

والعلم النافع والحکمـة البالغـة وإن کانا یوجبان تنزه صاحبهما عن الوقوع فی مهالک الرذائل، والتلوث بأقـذار المعاصـی، کما نشاهده فی رجال العلم والحکمة والفضلاء من أهل التقوی والدین، غیر أن ذلک سببٌ غالبیٌّ کسائر الأسباب الموجودة فی هذا العالم المادی الطبیعی، فلا تکاد تجـد متلبساً بکمال یحجزه کماله من النواقص ویصونه عن الخطأ صوناً دائمیاً من غیر تخلف، سـنةً جاریـةً فی جمیع الأسباب التی نراها ونشاهدها.

والوجه فی ذلک أن القوی الشعوریة المختلفة فی الإنسان یوجب بعضها ذهوله عن حکم البعض الآخر، أو ضعف التفاته إلیه، کما أن صاحب ملکة التقوی مادام شاعراً بفضـیلة تقواه لایمیل إلی اتباع الشـهوة غیر المرضـیة ویجری علی مقتضـی تقواه، غیر أن اشـتعال نار الشـهوة وانجـذاب نفسه إلی هـذا النحو من الشـعور، ربما حجبه عن تـذکر فضـیلة التقوی أو ضـعف شـعور التقوی، فلا یلبث دون أن یرتکب ما لاترتضیه التقوی، ویختار سفساف الشره، وعلی هذا السبیل سائر الأسباب الشعوریة فی الإنسان.

وإلا فالإنسان لایحیـد عن حکم سبب من هذه الأسـباب ما دام السبب قائماً علی ساق، ولا مانع یمنع من تأثیره، فجمیع هذه التخلفات تستند إلی مغالبة التقوی والأسباب، وتغلُّب بعضها علی بعض.

ومن هنـا یظهر أن هـذه القوة المسـماة بقوة العصـمة سبب شـعوری علمی غیر مغلوب البتـة، ولو کـانت من قبیـل مـا نتعارفه من أقسام الشعور والإدراک لتسرب إلیها التخلف، وخَبَطت فی أثرها أحیاناً، فهذا العلم من غیر سنخ سائر العلوم والإدراکات المتعارفة التی تقبل الإکتساب والتعلم. وقـد أشار الله تعالی إلیه فی خطابه الذی خص به نبیه صـلی الله علیه وآله بقوله: وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَیْکَ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَةَ وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ. (النساء:۱۱۳) وهو خطاب خاص لانفقهه حقیقة الفقه، إذ لاذوق لنا فی هذا النحو من العلم والشعور.

غیر أن الـذی یظهر لنـا من سائر کلامه تعالی بعض الظهور کقوله: قُلْ مَنْ کَانَ عـدواً لِجبْرِیلَ فإنه نَزَّلَهُ عَلَی قَلْبِکَ بِإذْنِ اللهِ مُصَـدِّقاً لِمَا بَیْنَ یَـدَیْهِ وَهُـدیً وَبُشْرَی لِلْمُـؤْمِنِینَ. (البقرة:۹۷) (نَزَلَ بِـهِ الرُّوحُ الأَـمِینُ، عَلَی قَلْبِـکَ لِتَکُونَ مِـنَ الْمُنْـذِرِینَ، بِلِسَـانٍ عَرَبِیٍّ مُـبِینٍ، (الشعراء:۱۹۵-۱۹۶) أن الإنزال المذکور من سنخ العلم، ویظهر من جهة أخری أن ذلک من قبیل الوحی والتکلیم، کما یظهر من قوله: شَرَعَ لَکُمْ مِنَ الدِّینِ مَا وَصَّی بِهِ نوحاً وَالَّذِی أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ وَمَا وَصَّیْنَا بِهِ إبراهیم وَمُوسَی وَعِیسَی، الآیة.. (الشوری:۱۳) وقوله: أنا أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ کَمَا أَوْحَیْنَا إلی نُوحٍ وَالنَّبِیِّینَ مِنْ بَعْـدِهِ، (النساء:۱۶۳) وقوله: إنْ أَتَّبِعُ إلاـ مَا یُوحَی إِلَیَّ.(الأنعام-۵۰)، وقوله: إنمـا أَتَّبِعُ مَا یُوحَی إِلَیَّ (لأعراف:۲۰۳) ویستفاد من الآیات علی اختلافها أن المراد بالإنزال هو الوحی، وحی الکتاب والحکمة، وهو نوع تعلیم إلهی لنبیه

صلی الله علیه وآله.

غیر أن الـذی یشـیر إلیه بقوله: وَعَلَّمَـکَ مَا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ. (النساء:۱۱۳) لیس هو الـذی علمه بوحی الکتـاب والحکمـة فقط، فإن مورد الآیـة قضـاء النبی صـلی الله علیه وآله فی الحوادث الواقعـة والـدعاوی التی ترفع إلیه برأیه الخـاص، ولیس ذلک من الکتاب والحکمة بشیء وإن کـان متوقفاً علیهمـا بـل رأیه ونظره الخـاص به. ومن هنا یظهر أن المراد بالإنزال والتعلیم فی قوله: وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَیْکَ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَـةَ وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ. (النساء:۱۱۳) نوعان اثنان من العلم، أحـدهما التعلیم بالوحی ونزول الروح الأمین علی النبی صـلی الله علیه وآله والإخر: التعلیم بنوع من الإلقـاء فی القلب والإلهام الخفی الإلهی من غیر إنزال الملک، وهـذا هو الـذی تؤیـده الروایات الواردة فی علم النبی صلی الله علیه وآله.

وعلی هذا فالمراد بقوله: وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ،آتاک نوعاً من العلم لو لم یؤتک إیاه من لدنه لم یکفک فی إیتائه الأسباب العادیة التی تعلم الإنسان ما یکتسبه من العلوم.

فقد بان من جمیع ما قدمناه أن هذه الموهبة الإلهیة التی نسمیها قوة العصمة نوع من العلم والشعور، یغایر سائر أنواع العلوم فی أنها غیر مغلوبـة لشـیء من القوی الشـعوریة البتـة، بـل هی الغالبـة القـاهرة علیهـا المسـتخدمة إیاها، ولـذلک کانت تصون صاحبها من الضـلال والخطیئة مطلقاً.

وقد ورد فی الروایات أن للنبی والإمام علیهما السلام روحاً تسمی روح القدس تسدده وتعصمه عن المعصیة والخطیئة، وهی التی یشیر إلیهـا قوله تعـالی وَکَـذَلِکَ أَوْحَیْنَـا إِلَیْکَ رُوحـاً مِنْ أَمْرِنَامَاکُنْتَ تَـدْرِی مَاالْکِتَابُ وَلا الإیمان وَلَکِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْـدِی بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا، (الشوری:۵۲) بتنزیـل الآیـة علی ظاهرهـا من الإلقـاء علیه صـلی الله علیه وآله ونظیره قوله تعالی: وَجَعَلْنَاهُمْ أئمـة یَهْـدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَیْنَا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِیتَاءَ الزَّکَاةِ وَکَانُوا لَنَا عَابِـدِینَ، (الأنبیاء:۷۳)بناء علی ما سـیجیء من بیان معنی الآیة إن شاء الله العزیز أن المراد به تسدیـد روح القـدس الإمـام بفعـل الخیرات وعبـادة الله سـبحانه. وبـانَ مما مر أیضاً أن المراد بالکتاب فی قوله: وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَیْکَ

الْکِتَابَ وَالْحِکْمَـةَ وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ، هو الوحی النازل لرفع اختلافات الناس علی حـد قوله تعالی:کَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِـدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِیِّینَ مُبَشِّرِینَ وَمُنْذِرِینَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْکِتَابَ بِالْحَقِّ لِیَحْکُمَ بَیْنَ النَّاسِ فِیمَا اخْتَلَفُوا فِیهِ). (البقرة:۲۱۳).

دفاع أهل البیت و شیعتهم عن عصمة الأنبیاء

الامام الصادق یتألم لظلم الناس للأنبیاء والأوصیاء

اشاره

فی أمالی الصدوق ص۱۶۳: (حدثنا أبی رحمه الله قال: حدثنا علی بن محمد بن قتیبة عن حمدان بن سلیمان، عن نوح بن شعیب، عن محمد بن إسـماعیل، عن صالح، عن علقمة، قال: قال الصادق جعفر بن محمد علیهما السـلام وقد قلت له: یا بن رسول الله أخبرنی من تقبل شهادته ومن لاتقبل شهادته؟ فقال: (یا علقمة، کل من کان علی فطرة الإسلام جازت شهادته. قال فقلت له: تقبل شهادة المقترف للـذنوب؟ فقال: یا علقمـة لو لم تقبل شـهادة المقترفین للـذنوب لما قبلت إلا شـهادات الأنبیاءوالأوصـیاء صـلوات الله علیهم، لأنهم هم المعصومون دون سائر الخلق، فمن لم تره بعینک یرتکب ذنباً أو لم یشـهد علیه بذلک شاهدان، فهو من أهل العدالة والستر، وشـهادته مقبولة، وإن کان فی نفسه مذنباً...

قال علقمـة: فقلت للصادق علیه السـلام: یا بن رسول الله أن الناس ینسـبوننا إلی عظائم الأمور، وقـد ضاقت بـذلک صدورنا. فقال علیه السلام:

یا علقمة أن رضا الناس لایملک، وألسنتهم لاتضبط، فکیف تَسْلمون مما لم یسلم منه أنبیاءالله ورسله وحججه علیهم السلام؟!

ألم ینسبوا یوسف إلی أنه هم بالزنا؟! ألم ینسبوا أیوب إلی أنه ابتلی بذنوبه؟!

ألم ینسبوا داود إلی أنه تبع الطیر حتی نظر إلی امرأة أوریا فهواها! وأنه قدم زوجها إمام التابوت حتی قتل ثم تزوج بها؟!

ألم ینسبوا موسی إلی أنه عنین وآذوه حتی برأه الله مما قالوا وکان عند الله وجیها؟!

ألم ینسبوا جمیع أنبیاءالله إلی أنهم سحرة طلبة الدنیا؟!

ألم ینسبوا مریم بنت عمران إلی أنها حملت بعیسی من رجل نجار اسمه یوسف؟!

ألم ینسبوا نبینا محمداً صلی الله علیه وآله إلی أنه شاعر مجنون؟ ألم ینسبوه إلی أنه هوی امرأة زید بن حارثة فلم یزل بها حتی استخلصها لنفسه؟ ألم ینسبوه یوم بدر إلی أنه أخذ لنفسه من المغنم قطیفة حمراء! حتی أظهره الله عز وجل علی القطیفة وبرأ نبیه من الخیانة، وأنزل بذلک فی کتابه: وَمَا کَانَ لِنَبِیٍّ أن یَغُلَّ وَمَنْ یَغْلُلْ یأت بِمَا غَلَّ یَوْمَ الْقِیَامَةِ! ألم ینسبوه إلی أنه ینطق عن الهوی فی ابن عمه علی حتی کذبهم الله عز وجل، فقال سبحانه: وَمَا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوَی.إنْ هُوَ إلا وَحْیٌ یُوحَی؟!

ألم ینسبوه إلی الکذب فی قوله: أنه رسول من الله إلیهم؟ حتی أنزل الله عز وجل علیه: وَلَقَدْ کُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ فَصَبَرُوا عَلَی مَا کُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّی أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِکَلِمَاتِ اللهِ وَلَقَدْ جَاءَکَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِینَ؟!

ولقد قال یوماً: عرج بی البارحة إلی السماء. فقیل: والله ما فارق فراشه طول لیلته.

وما قالوا فی الأوصیاء علیهم السلام أکثر من ذلک! ألم ینسبوا سید الأوصیاء علیه السلام إلی أنه کان یطلب الدنیا والملک وأنه کان یؤثر الفتنة علی السکون، وأنه یسفک دماء المسلمین بغیر حلها، وأنه لو کان فیه خیر ما أمر خالدَ بن الولید بضرب عنقه؟

ألم ینسبوه إلی أنه أراد أن یتزوج ابنة أبی جهل علی فاطمة علیها السلام، وإن رسول الله صلی الله علیه وآله شکاه علی المنبر إلی المسلمین، فقال: أن علیاً یرید أن یتزوج ابنة عدو الله علی ابنة نبی الله، إلا أن فاطمة بضعة منی، فمن آذاها فقد آذانی، ومن سرها فقد سرنی، ومن غاظها فقد غاظنی؟

ثم قال الصادق علیه السلام: یا علقمة، ما أعجب أقاویل الناس فی علی علیه السلام!

کم بین من یقول: أنه رب معبود، وبین من یقول: أنه عبد عاص للمعبود! ولقد کان قول من ینسبه إلی العصیان أهون علیه من قول من ینسبه إلی الربوبیة.

یا علقمة، ألم یقولوا لله عز وجل: أنه ثالث ثلاثة؟ ألم یشبهوه بخلقه؟ ألم یقولوا أنه الدهر؟ ألم یقولوا: أنه الفلک؟ ألم یقولوا: أنه جسم؟ ألم یقولوا: أنه صورة؟ تعالی الله عن ذلک علوا کبیراً.

یاعلقمة، أن الألسنة التی تتناول ذات الله تعالی ذکره بما لایلیق بذاته، کیف تحبس عن تناولکم بما تکرهونه! فاستعینوا بالله واصبروا، أن الأرض لله یُورِثُهَا مَنْ یَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِینَ. فإن بنی إسرائیل قالوا لموسی علیه السلام: أُوذِینَا مِنْ قَبْلِ أن تَأْتِیَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا، فقال الله عز وجل: قل لهم یا موسی:عَسَی رَبُّکُمْ أن یُهْلِکَ عَدُوَّکُمْ وَیَسْتَخْلِفَکُمْ فِی الأرض فَیَنْظُرَ کَیْفَ تَعْمَلُونَ. (الأعراف:۱۲۹)

الإمام الرضا علیه السلام یدافع عن عصمة الأنبیاء والأوصیاء علیهم السلام

فی عیون أخبار الرضا علیه السلام:۲/۱۷۴: (باب ذکر مجلس آخر للرضا علیه السلام عند المأمون فی عصمة الأنبیاء علیهم السلام: (حدثنا تمیم بن عبد الله بن تمیم القرشی(رض)قال: حدثنی أبی عن حمدان بن سلیمان النیسابوری عن علی بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا علی بن موسی علیهما السلام فقال له المأمون: یا ابن رسول الله ألیس من قولک: الأنبیاءمعصومون؟ قال: بلی قال: فما معنی قول الله عز وجل: وَعَصَی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَی؟

فقال علیه السلام: أن الله تبارک وتعالی قال لآدم:(اسْکُنْ أنت وَزَوْجُکَ الْجَنَّةَ وَکُلا مِنْهَا رَغَداً حَیْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ،

وأشار لهما إلى شجره الحنطة فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ، ولم يقل لهما: لاتأكلا من هذه الشجره ولا مما كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجره ولم يأكلا منها وإنما أكلا من غيرها لمَّا أن وسوس الشيطان اليهما وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، وإنما نهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها، إلا أنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ، وَقَاسَمَهُمَا إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ , ولم يكن آدم وحواء شاهداً قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً، فَدَلاهُمَا بِغُرُور، فأكلا منها ثقة بيمينه بالله>.وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التى تجوز على الأنبياءقبل نزول الوحى عليهم <فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. وقال عز وجل: أن الله اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبراهيم وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ.

فقال له المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: فَلَمَّا آتَاهُمَا صالحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا؟

فقال له الرضا عليه السلام>: إن حواء ولدت لآدم خمس مأة بطن ذكراً وأنثى، <وإن آدم عليه السلام وحواء عاهدا الله عز وجل ودعواه وقالا: لَئِنْ آتَيْتَنَا صالحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمَا صالحاً من النسل خلقاً سوياً بريئاً من الزمانة والعاهة وكان ما آتاهما صنفين صنفاً ذكراناً وصنفاً إناثاً، فجعل الصنفان لله تعالى شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، ولم يشكراه كشكر أبويهما له عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.

فقال المأمون: أشهد إنك ابن رسول الله حقاً، فأخبرنى عن قول الله عز وجل فى حق إبراهيم عليه السلام: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّى؟

فقال الرضا عليه السلام: أن إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثه أصناف صنف يعبد الزهرة وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السرب الذى أخفى فيه فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ فرأى الزهرة قال:هَذَا رَبِّى؟! على الإنكار والإستخبار فَلَمَّا أَفَلَ الكوكب قَالَ لا أحب الآفِلِين، لأن الأفول من صفات المحدث لا من صفات القدم، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّى على الإنكار والإستخبار: فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ، يقول: لو لم يهدنى ربى لكنت من القوم الضالين، فلما أصبح رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ من الزهرة والقمر، على الإنكار والإستخبار لا على الأخبار والإقرار، فَلَمَّا أَفَلَتْ قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس:يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَالسَّمَاوَاتِ والأرض حنيفاً وَمَاأَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وإنما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات والأرض.

وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله تعالى وآتاه كما قال الله عز وجل: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيم عَلَى قَوْمِهِ.

فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله فأخبرنى عن قول إبراهيم عليه السلام: رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى؟

قال الرضا عليه السلام: أن الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى ابراهيم عليه السلام: إنى متخذ من عبادى خليلًا أن سألنى إحياء الموتى أجبته، فوقع فى نفس إبراهيم أنه ذلك الخليل، فقال:رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى على الخلَّة، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أن الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

فأخذ إبراهيم عليه السلام نسراً وطاووساً وبطاً وديكاً، فقطَّعهنَّ وخَلَطهُنَّ، ثم جعل على كل جبل من الجبل التى حوله وكانت عشرة منهن جزءً وجعل مناقيرهن بين أصابعه، ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حباً وماءً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كل بدن حتى انضمَّ إلى رقبته ورأسه، فخلَّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهن فطِرْنَ، ثم وقعنَ فشربنَ من ذلك الماء، والْتقطنَ من ذلك الحب وقلنَ: يا نبيَّ الله أحييتنا، أحياك الله. فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت، وهو على كل شئ قدير.

قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن فأخبرنى عن قول الله عز وجل: فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؟

قال الرضا عليه السلام: أن موسى دخل مدينه من مدائن فرعون عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ، فقضى موسى على العدو، وبحكم الله تعالى ذِكْره فَوَكَزَهُ، فمات! قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَان، يعنى الإقتتال الذى كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قَتْلِهِ. أنه عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ، يعنى الشيطان.

فقال المأمون: فما معنى قول موسى: رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى؟

قال: يقول: إنى وضعت نفسى غير موضعها بدخولى هذه المدينة، فَاغْفِرْ لِى، أى أسترنى من أعدائك لئلا يظفروا بى فيقتلونى، فَغَفَرَ لَهُ أنه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَىَّ، من القوة حتى قتلت رجلًا بوكزة، فَلَنْ أكون ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ، بل أجاهد سبيلك بهذه القوة حتى ترضى.

فَأَصْبَحَ موسى عليه السلام فِى الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِى اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ على آخر، قَالَ لَهُ مُوسَى إنك لَغَوِىٌّ مُبِينٌ، قاتلت رجلًا بالأمس وتقاتل هذا اليوم، لأوذينك، وأراد أن يبطش به فَلَمَّا أن أراد أن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا وهو من شيعته قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نفساً بِالأَمْسِ أن تُرِيدُ إلا أن تَكُونَ جَبَّاراً فِى الأرض وَمَا تُرِيدُ أن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ.

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: فَعَلْتُهَا إذا وأنا مِنَ الضَّالِّينَ؟

قال الرضا عليه السلام: أن فرعون قال: لموسى لما أتاه: وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ، بى! قال موسى: فَعَلْتُهَا إذا وأنا مِنَ الضَّالِّينَ، عن الطريق بوقوعى إلى مدينه من مدائنك، فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْماً وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وقد قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله: أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى، يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك الناس. وَوَجَدَكَ ضَالًا، يعنى عند قومك، فَهَدَى، أى هداهم إلى معرفتك.

وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى، يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً.

قال المأمون: بارك الله فيك يا ابن رسول الله، فما معنى قول الله عز وجل: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى، كيف يجوز أن يكون كلم الله موسى بن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تبارك وتعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟

قال الرضا عليه السلام: أن كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أن الله تعالى أعزُّ من أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقرَّبه نجياً، رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه، فقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى نستمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمأة الف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً ثم اختار منهم سبعه آلاف، ثم اختار منهم سبعمائة، ثم اختار منهم سبعين رجلًا لميقات ربهم، فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم فى سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور، وسأل الله تعالى أن يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وإمام، لأن الله عز وجل أحدثه فى الشجرة، وجعله منبعثاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ بأن هذا الذى سمعناه كلام الله: حَتَّى نَرَى اللَه جَهْرَةً، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقه فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا رب ما أقول لبنى إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنك ذهبت بهم فقتلتهم، لأنك لم تكن صادقاً فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجل إياك، فأحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: إنك لو سألت الله أن يريك ننظر إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته؟ فقال موسى: يا قوم أن الله تعالى لا يرى بالأبصار ولا كيفيه له وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه فقالوا: لن نؤمن لك حتى تسأله، فقال موسى: يا رب إنك قد سمعت مقاله بنى إسرائيل، وأنت أعلم بصلاحهم فأوحى الله جل جلاله: يا موسى سلنى ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِى وَلَكِنِ انْظُرْ إلى الْجَبَلِ فإن اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ وهو يهوى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ بآيهٔ من آياته جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أفاق قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ يقول: رجعت إلى معرفتى بك عن جهل قومى

وأنا أول الْمُؤْمِنِینَ منهم بأنک لا ترى.

فقال المأمون لله درک یا أبا الحسن فأخبرنی عن قول الله عز وجل: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أن رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ؟

قال الرضا علیه السلام: لقد همت به ولولا ـ أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها کما همت، لکنه علیه السلام کان معصوماً والمعصوم لا یهمُّ بذنب ولا یأتیه، ولقد حدثنی أبی عن أبیه الصادق علیهما السلام أنه قال: همَّت بأن تفعل، وهمَّ بأن لا یفعل.

فقال المأمون: لله درک یا أبا الحسن فأخبرنی عن قول الله عز وجل:وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أن لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ؟

فقال الرضا علیه السلام: ذاک یونس بن متى علیه السلام ذهب مغاضباً لقومه فظن بمعنى استیقنأَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَیْهِ أی لن نضیق رزقه، ومنه قوله عز وجل: وأما إذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَیْهِ رِزْقَهُ، أی ضیق وقتر. فَنَادَى فِی الظُّلُمَاتِ،أی ظلمة اللیل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت أن لاإله إلاأنت سُبْحَانَکَ إِنِّی کُنْتُ مِنَ الظَّالِمِینَ، بترکی مثل هذه العبادة التی قد فرغتنی لها فی بطن الحوت، فاستجاب الله له وقال عز وجل: فَلَوْلا أنه کَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِینَ.لَلَبِثَ فِی بَطْنِهِ إلى یَوْمِ یُبْعَثُونَ.

فقال المأمون: لله درک أبا الحسن فأخبرنی عن قول الله عز وجل: حَتَّى إذا اسْتَیْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ کُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا؟

قال الرضا علیه السلام یقول الله عز وجل:حَتَّى إذا اسْتَیْأَسَ الرُّسُلُ من قومهم، وظن قومهم أن الرسل قد کُذِبوا، جاء الرسل نصرنا.

فقال المأمون: لله درک یا أبا الحسن، فأخبرنی قول الله عز وجل: لِیَغْفِرَ لَکَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قال الرضا علیه السلام: لم یکن أحد عند مشرکی أهل مکه أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله علیه وآله لأنهم کانوا یعبدون من دون الله ثلاث مأة وستین صنماً فلما جاءهم صلى الله علیه وآله بالدعوه إلى کلمة الإخلاص کبُرَ ذلک علیهم وعظُم وقالوا: أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحداً أن هَذَا لَشَیْءٌ عُجَابٌ. وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أن امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِکُمْ أن هَذَا لَشَیْءٌ یُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِی الْمِلَّةِ الآخرة أن هَذَا إلا اخْتِلاقٌ. فلما فتح الله عز وجل على نبیه صلى الله علیه وآله مکه قال له یا محمد: أنا فَتَحْنَا لَکَ> مکة فَتْحاً مُبِیناً لِیَغْفِرَ لَکَ اللهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ، عند مشرکی أهل مکه بدعائک إلى توحید الله فیما تقدم. وَمَا تَأَخَّرَ، لأن مشرکی مکه أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مکة ومن بقی منهم لم یقدر على إنکار التوحید علیه إذا دعا الناس إلیه، فصار ذنبه عندهم ذلک مغفوراً بظهوره علیهم.

فقال المأمون: لله درک أبا الحسن، فأخبرنی عن قول الله عز وجل: عَفَا اللهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ؟ قال الرضا علیه السلام:هذا مما نزل بإیاک أعنی واسمعی یا جارة، خاطب الله عز وجل بذلک نبیه وأراد به أمته وکذلک قوله: تعالى: لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ وَلَتَکُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِینَ، وقوله عز وجل: وَلَوْلا أن ثَبَّتْنَاکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شیئاً قلیلاً.

قال صدقت یا ابن رسول الله فأخبرنی عن قول الله عز وجل: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللهُ عَلَیْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَیْهِ أَمْسِکْ عَلَیْکَ زَوْجَکَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللهُ مُبْدِیهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أحق أن تَخْشَاهُ؟

قال الرضا علیه السلام>: إن رسول الله صلى الله علیه وآله قصد دار زید بن حارثه بن شراحیل الکلبی فی أمر أراده فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الذی خلقک، وإنما أراد بذلک تنزیه الباری عز وجل عن قول من زعم أن الملائکة بنات الله، فقال الله عز وجل: أَفَأَصْفَاکُمْ رَبُّکُم بِالْبَنِینَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِکَةِ إنَاثاً إِنَّکُمْ لَتَقُولُونَ قولاً عَظِیماً، فقال النبی صلى الله علیه وآله: لما رآها تغتسل: سبحان الذی خلقک أن یتخذ له ولداً یحتاج إلى هذا التطهیر والإغتسال، فلما عاد زید إلى منزله أخبرته امرأته بمجیئ رسول الله صلى الله علیه وآله وقوله لها: سبحان الذی خلقک! فلم یعلم زید ما أراد بذلک وظن أنه قال ذلک لما أعجبه من حسنها < فجاء إلى النبی صلى الله علیه وآله وقال له: یارسول الله أن امرأتی فی خلقها سوء وإنی أرید طلاقها فقال النبی صلى الله علیه وآله: أَمْسِکْ عَلَیْکَ زَوْجَکَ وَاتَّقِ اللهَ، وقد کان الله عز وجل عرَّفه عدد أزواجه وإن تلک المرأ صلى الله علیه وآله منهن، فأخفى ذلک فی نفسه، ولم یبده لزید، وخشئ الناس أن یقولوا أن محمداً یقول لمولاه: أن امرأتک ستکون لی زوجة، یعیبونه بذلک، فأنزل الله عز وجل: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِی أَنْعَمَ اللهُ عَلَیْهِ یعنی بالإسلام، وَأَنْعَمْتَ عَلَیْهِ یعنی بالعتق أَمْسِکْ عَلَیْکَ زَوْجَکَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِی فِی نَفْسِکَ مَا اللهُ مُبْدِیهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أحق أن تَخْشَاهُ.

ثم أن زيد بن حارثه طلقها واعتدت منه فزوجها الله عز وجل من نبيه محمد صلى الله عليه وآله وأنزل بذلك قرآناً فقال عز وجل: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لايَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أمر اللهِ مَفْعُولاً. ثم علم الله عز وجل أن المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأنزل الله تعالى: مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أمر اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً.

فقال المأمون: لقد شفيت صدرى يا ابن رسول الله وأوضحت لى ما كان ملتبساً علىَّ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً.

قال على بن محمد بن الجهم: فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله وكان حاضر المجلس وتبعتهما، فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟ فقال له:عالم ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم!

فقال المأمون: أن ابن أخيك من أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله الذين قال فيهم النبى:

إلاـ أن أبرار عترتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، لايخرجونكم من باب هدى، ولايدخلونكم فى باب ضلالة.

وانصرف الرضا عليه السلام الى منزله، فلما كان من الغد غدوت عليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له، فضحك عليه السلام ثم قال: يا ابن الجهم لايغرنك ما سمعته منه فإنه سيغتالنى، والله تعالى ينتقم لى منه!

قال مصنف هذا الكتاب: هذا الحديث غريب من طريق على بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام). انتهى. (ورواه الصدوق أيضاً فى التوحيد/۷۴: و/۱۲۱)

ملاحظة

اعتبر السيد الخوئى قدس سره علىَّ بن الجهم وعلىَّ بن محمد بن الجهم، شخصاً واحداً، قال فى معجم رجال الحديث:۱۲/۳۲۳: (على بن الجهم: عن مروج الذهب أنه بلغ من نصب على بن الجهم أنه كان يلعن أباه فسئل عن ذلك فقال: بتسميتى علياً! قال ابن شهرآشوب: قال أبو العيناء لعلى بن الجهم: إنما تبغض علياً لأنه كان يقتل الفاعل والمفعول، وأنت أحدهما! فقال له: يا مخنث! فقال أبو العيناء: وَضَرَبَ لَنَا مثلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ)!!

وقال فى:۱۳/۱۴۲: (على بن محمد بن الجهم: روى الصدوق بإسناده عنه فى حديث ذكر فى آخره أن المأمون سأل محمد بن جعفر بن محمد وقال: كيف رأيت ابن أخيك (الرضا عليه السلام)؟ فقال: عالم، ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم...الخ. ثم قال السيد الخوئى رحمه الله: أقول: كأن على بن محمد بن الجهم، هو على بن الجهم المتقدم). انتهى.

لكنَّ علىَّ بن محمد بن الجهم إسم لعديد من الرواة، وقد ميزوا بعضهم بالسمرى، وبعضهم بالكاتب، وبعضهم بالسائى، وبعضهم بكنية أبى طالب... (راجع كفاية الخطيب ص ۹۰ قال: أنا أبو طالب على بن محمد بن الجهم الكاتب، قال ثنا صالح بن أحمد بن حنبل...).

وميزه الكلباسى فى سماء المقال:۱/۸: فقال:(على بن الجهم بن بدر السائى: كان أكذب خلق الله، مشهوراً بالنصب كثير الحط على على وأهل البيت عليهم السلام وقيل إنه كان يلعن أباه لم سماه علياً).

أما الحسكانى فى شواهد التنزيل:۱/۴۲، فروى عن أبى الفضل جعفر بن الفضل الوزير بمكة، قال: حدثنا على بن محمد بن الجهم..وروى عنه فضيلة لأمير المؤمنين عليهم السلام)

كما روى الزرندى فى نظم درر السمطين: ص۲۴۲، عن على بن الجهم معجزة الإمام الهادى عليه السلام مع المتوكل.

ولعل الذى روى عنه الصدوق غير الذين ترجموا لهم بهذا الإسم، لاسيما أن رواية أبى الصلت التى نقلناها فى مقدمة الكتاب عن العيون:۲/۱۷۰، تدل على أنه كان من العلماء الذين اختارهم المأمون لمناظرة الإمام الرضا عليه السلام وأنه لم يكن معانداً بل كان مؤدباً مخبتاً مطيعاً للحق، فقد جاء فى آخرها:

(وفی آخرها: فبکی علی بن محمـد بن الجهم وقال: یا ابن رسول الله،أنا تائب إلی الله عز وجل من أن أنطق فی أنبیاءالله علیهم السـلام بعد یومی إلا بما ذکرته).

فمن المحتمل أنه اهتدی بعد مناظرته مع الإمام الرضا علیه السلام ولم یطلع الصدوق علی ذلک.

لکن الإشـکال الأهم من إسم ابن الجهم، متن روایته، ففیها تنزیهٌ للأنبیاء علیهم السلام یتفق مع مذهبنا، وفیها ما یخالف عصمتهم التامهٔ قبل البعثـهٔ، ولذا قال صاحب المیزان:۱/۱۴۶: (أقول: قال الصـدوق رحمه الله بعـد نقل الحـدیث علی طوله: والحدیث عجیب من طریق علی بن محمد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البیت علیهم السلام. انتهی. وما أعجبه منه إلا ما شاهده من اشتماله علی تنزیه الأنبیاء علیهم السلام من غیر أن یمعن النظر فی الأصول المأخوذهٔ فیه، فما نقله من جوابه علیه السلام فی آدم لایوافق مذهب أئمهٔ أهل البیت المستفیض عنهم من عصمهٔ الأنبیاءمن الصغایر والکبائر قبل النبوهٔ وبعدها.

علی أن الجواب مشـتمل علی تقـدیر فی قوله تعالی: مَا نَهَاکُمَا رَبُّکُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلا أن تَکُونَا...، إلی مثل قولنا: ما نهاکما ربکما عن هذه الشجرهٔ وإنما نها کما عن غیرها، وما نهاکما عن غیرها إلا أن تکونا..الخ.). انتهی.

فالروایهٔ مضافاً إلی الجهالهٔ فی سندها، فیها إشکالات تتعلق بالعصمهٔ، وقد وضعنا أهم فقراتها بین قوسین). < > (

لکنها بقرینـهٔ الشواهـد الأخری الصـحیحهٔ، تـدل علی أن الإمام الرضا علیه السـلام قـد أجاب المأمون علی تمسک العامـهٔ بالمتشابهات وشـبهات الیهود علی عصـمهٔ الأنبیاءالتامـهٔ علیهم السـلام، وشـبهات قریش علی عصـمهٔ نبینـا صـلی الله علیه وآله، وإن کان الرواى ابن الجهم أو غیره رواها متأثرهً بتصوره، ولم یحفظها بدقهٔ!

استغفار الأنبیاء والأوصیاء وابتلاؤهم لم یکن بسبب الذنوب

اشاره

فی الخصال للصدوق ص۳۹۹: (حـدثنا أبی(رض)قال: حدثنا سـعد بن عبد الله قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عیسـی، عن الحسن بن علی الخزاز، عن فضل الأشعری، عن الحسین بن المختار، عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: ابتلی أیوب علیه السلام سبع سنین بلا ذنب.

حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا الحسن بن علی السـکری قال: حدثنا محمد بن زکریا الجوهری قال: حدثنا جعفر بن محمد بن عمـارهٔ، عن أبیه، عن جعفر بن محمـد، عن أبیه علیهم السـلام قـال: أن أیوب علیه السـلام ابتلی من غیر ذنب، وإن الأنبیاءلایـذنبون لأنهم معصومون مطهرون، لایذنبون ولایزیغون ولایرتکبون ذنباً صغیراً ولا کبیراً.

وقـال علیه السـلام: إن أیوب علیه السـلام مع جمیع ما ابتلی به لم ینتن له رائحـهٔ، ولا قبحت له صورهٔ، ولا خرجت منه مـدهٔ من دم ولا قیح، ولا اسـتقذره أحد رآه، ولا اسـتوحش منه أحد شاهده، ولا یدود شـئ من جسده، وهکذا یصـنع الله عز وجل بجمیع من یبتلیه من أنبیائه وأولیائه المکرمین علیه. وإنما اجتنبه الناس لفقره وضـعفه فی ظاهر أمره، لجهلهم بما له عنـد ربه تعالی ذکره من التأیید والفرج، وقـد قـال النبی صـلی الله علیه وآله: أعظم النـاس بلاـء الأنبیاءثم الأمثل فالأمثل، وإنما ابتلاه الله عزوجل بالبلاء العظیم الـذی یهون معه علی جمیع الناس، لئلا یـدَّعوا له الربوبیـهٔ إذا شاهدوا ما أراد الله أن یوصـله إلیه من عظائم نعمه متی شاهدوه، لیسـتدلوا بذلک علی أن الثواب من الله تعالی ذکره علی ضـربین: استحقاق واختصاص، ولئلا یحتقروا ضعیفاً لضعفه، ولا فقیراً لفقره ولأمریضاً لمرضه، ولیعلموا أنه یسـقم من یشاء ویشـفی من یشاء، متی شاء کیف شاء بأی سـبب شاء، ویجعل ذلک عبرهً لمن یشاء وشقاوهٔ لمن یشاء وسعادهٔ لمن یشاء، وهو فی جمیع ذلک عدل فی قضائه وحکیم فی أفعاله، لایفعل بعباده إلا الأصلح لهم، ولا قوهٔ لهم إلا به).

وفی معانی الأخبار/۳۸۳: (حـدثنا أبی رحمه الله قال: حدثنا سـعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عیسـی، عن الحسن بن محبوب،

عن علی بن رئاب، قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن قول الله عز وجل: وَمَاأَصَابَکُمْ مِنْ مُصِیبَةٍ فَبِمَا کَسَبَتْ أَیْدِیکُمْ وَیَعْفُو عَنْ کَثِیرٍ، أرأیت ما أصاب علیاً وأهل بیته هو بما کسبت أیدیهم، وهم أهل بیته طهارة معصومون؟

فقال: أن رسول الله صلی الله علیه وآله کان یتوب إلی الله عزوجل ویستغفره فی کل یوم ولیلة مائة مره من غیر ذنب. أن الله عز وجل یخص أولیاءه بالمصائب لیأجرهم علیها من غیر ذنب). (ورواه فی الکافی:۲/۴۵۰)

وفی الکافی:۲/۴۵۰: (علی بن إبراهیم، رفعه قال: لما حمل علی بن الحسین إلی یزید بن معاویة فأوقف بین یدیه، قال یزید: وما أصابکم من مصیبة فبما کسبت أیدیکم، فقال علی بن الحسین: لیست هذا الآیة فینا أن فینا قول الله عز وجل: مَا أَصَابَ مِنْ مُصِیبَةٍ فِی الأرض وَلافِی أَنْفُسِکُمْ إلا فِی کِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أن نَبْرَأَهَا أن ذَلِکَ عَلَی اللهِ یَسِیرٌ).

ملاحظة

إن نفیَ الذنوب عن الأنبیاءوالأوصیاء علیهم السلام والإعتقاد بأنهم مطهرون منها، کما فی الخصال ص۶۰۳ وأمالی الصدوق ص۷۳۸، لاینافیه وجود آیات تنسب الیهم الذنوب علیهم السلام، لأنها ذنوب من مستواهم ولیست من نوع ذنوبنا، فیصح إطلاق الذنوب علیها بلحاظ، ونفی کونها ذنوباً بلحاظ آخر، کما لو دخل شخص مجلساً ولم یسلِّم علی أهله، فقلت له هذا ذنبٌ لایناسب أخلاقک العالیة، ثم قلت له: لکن لابأس فهو لیس ذنباً شرعیاً.

هشام بن الحکم یدافع عن عصمة الأنبیاء والأئمة تحت سیف هارون الرشید

فی کمال الدین للصدوق ص۳۶۲: (حدثنا أحمد بن زیاد الهمدانی، والحسین بن إبراهیم بن ناتانه رضی الله عنهما قالا: حدثنا علی بن إبراهیم بن هاشم، عن أبیه، عن محمد بن أبی عمیر قال: أخبرنی علی الأسواری قال: کان لیحیی بن خالد مجلس فی داره یحضره المتکلمون من کل فرقة وملة یوم الأحد فیتناظرون فی أدیانهم، یحتج بعضهم علی بعض، فبلغ ذلک الرشید، فقال لیحیی بن خالد: یاعباسی ما هذا المجلس الذی بلغنی فی منزلک یحضره المتکلمون؟ قال: یا أمیر المؤمنین ما شئ مما رفعنی به أمیر المؤمنین وبلغ بی من الکرامة والرفعة أحسن موقعاً عندی من هذا المجلس، فإنه یحضره کل قوم مع اختلاف مذاهبهم، فیحتج بعضهم علی بعض ویعرف المحق منهم، ویتبین لنا فساد کل مذهب من مذاهبهم.

فقال له الرشید: أنا أحب أن أحضر هذا المجلس وأسمع کلامهم علی أن لا یعلموا بحضوری فیحتشمونی ولا یظهروا مذاهبهم، قال: ذلک إلی أمیر المؤمنین متی شاء، قال: فضع یدک علی رأسی أن لا تعلمهم بحضوری، ففعل، وبلغ الخبر المعتزلة، فتشاوروا بینهم وعزموا علی أن لا یکلموا هشاماً إلا فی الإمامة لعلمهم بمذهب الرشید وإنکاره علی من قال بالإمامة.

قال: فحضروا وحضر هشام، وحضر عبد الله بن یزید الإباضی وکان من أصدق الناس لهشام بن الحکم، وکان یشارکه فی التجارة، فلما دخل هشام سلم علی عبد الله بن یزید من بینهم، فقال یحیی بن خالد لعبد الله بن یزید: یا عبد الله کلم هشاماً فیما اختلفتم فیه من الإمامة.

فقال هشام: أیها الوزیر لیس لهم علینا جواب ولا ـ مسألة إن هؤلاء قوم کانوا مجتمعین معنا علی إمامة رجل، ثم فارقونا بلا علم ولا معرفة، فلا حین کانوا معنا عرفوا الحق، ولا حین فارقونا علموا علی ما فارقونا، فلیس لهم علینا مسألة ولا جواب.

فقال بیان، وکان من الحروریة: أنا أسألک یا هشام، أخبرنی عن أصحاب علی یوم حکموا الحکمین أکانوا مؤمنین أم کافرین؟

قال هشام: کانوا ثلاثة أصناف: صنف مؤمنون، وصنف مشرکون، و صنف ضُلال، فأما المؤمنون فمن قال مثل قولی إن علیاً علیه السلام إمام من عند الله عز وجل ومعاویة لایصلح لها، فآمنوا بما قال الله عز وجل فی علی علیه السلام وأقروا به. وأما المشرکون فقوم قالوا: علی إمام، ومعاویة یصلح لها، فأشرکوا إذ أدخلوا معاویة مع علی علیه السلام. وأما الضلال: فقوم خرجوا علی الحمیة والعصبیة

للقبائل والعشائر لم یعرفوا شیئاً من هذا وهم جهال.

قال: فأصحاب معاویهٔ ما کانوا؟ قال: کانوا ثلاثهٔ أصناف: صنف کافرون، وصنف مشرکون، وصنف ضلال. فأما الکافرون: فالذین قالوا إن معاویهٔ إمام، وعلی لا یصلح لها، فکفروا من جهتین إذ جحدوا إماماً من الله عز وجل، ونصبوا إماماً لیس من الله. وأما المشرکون: فقوم قالوا: معاویهٔ إمام، وعلی یصلح لها، فأشرکوا معاویهٔ مع علی علیه السلام. وأما الضلال: فعلی سبیل أولئک خرجوا للحمیهٔ والعصبیهٔ للقبائل والعشائر. فانقطع بیان عند ذلک.

فقال ضرار: وأنا أسألک یا هشام فی هذا؟ فقال هشام: أخطأت قال: ولمَ؟ قال: لأنکم کلکم مجتمعون علی دفع إمامهٔ صاحبی، وقد سألنی هذا عن مسألهٔ ولیس لکم أن تثنوا بالمسألهٔ علیَّ حتی أسألک یا ضرار عن مذهبک فی هذا الباب؟

قال ضرار: فسل، قال: أتقول إن الله عز وجل عدل لا یجور؟

قال: نعم هو عدل لا یجور تبارک وتعالی.

قال: فلو کلف الله المقعد المشیء إلی المساجد والجهاد فی سبیل الله، وکلف الأعمی قراءهٔ المصاحف والکتب أتراه کان یکون عادلا أم جائراً؟

قال ضرار: ما کان الله لیفعل ذلک.

قال هشام: قد علمت أن الله لاـ یفعل ذلک ولکن ذلک علی سبیل الجدل والخصومهٔ أن لو فعل ذلک ألیس کان فی فعله جائراً إذ کلفه تکلیفاً لا یکون له السبیل إلی إقامته وأدائه؟

قال: لو فعل ذلک لکان جائراً.

قال: فأخبرنی عن الله عز وجل کلف العباد دیناً واحداً لا اختلاف فیه لا یقبل منهم إلا أن یأتوا به کما کلفهم؟

قال: بلی. قال: فجعل لهم دلیلًا علی وجود ذلک الدین، أو کلفهم مالا دلیل لهم علی وجوده فیکون بمنزلهٔ من کلف الأعمی قراءهٔ الکتب والمعقد المشیئ إلی المساجد والجهاد؟

قال: فسکت ضرار ساعهٔ، ثم قال: لا بدَّ من دلیل ولیس بصاحبک!

قال: فتبسم هشام وقال: تشیع شطرک وصرت إلی الحق ضرورهٔ ولا خلاف بینی وبینک إلا فی التسمیهٔ!

قال ضرار: فإنی أرجع القول علیک فی هذا.

قال: هات.. قال ضرار لهشام: کیف تعقد الإمامهٔ؟

قال هشام: کما عقد الله عز وجل النبوهٔ.

قال: فهو إذاً نبی! قال هشام: لا لأن النبوهٔ یعقدها أهل السماء، والإمامهٔ یعقدها أهل الأرض فعقد النبوهٔ بالملائکهٔ، وعقد الإمامهٔ بالنبی، والعقدان جمیعاً بأمر الله جل جلاله.

قال: فما الدلیل علی ذلک؟ قال هشام: الإضطرار فی هذا.

قال ضرار: وکیف ذلک؟

قال هشام: لا یخلو الکلام فی هذا من أحد ثلاثهٔ وجوه: أما أن یکون الله عز وجل رفع التکلیف عن الخلق بعد الرسول صلی الله علیه وآله، فلم یکلفهم ولم یأمرهم ولم ینههم فصاروا بمنزلهٔ السباع والبهائم التی لا تکلیف علیها، أفتقول هذا یا ضرار إن التکلیف عن الناس مرفوع بعد الرسول صلی الله علیه وآله؟

قال: لا أقول هذا.

قال هشام: فالوجه الثانی ینبغی أن یکون الناس المکلفون قد استحالوا بعد الرسول صلی الله علیه وآله علماء فی مثل حد الرسول فی العلم حتی لاـ یحتاج أحد إلی أحد، فیکونوا کلهم قد استغنوا بأنفسهم، وأصابوا الحق الذی لا اختلاف فیه! أفتقول هذا إن الناس

استحالوا علماء حتى صاروا فى مثل حد الرسول فى العلم بالدين حتى لا يحتاج أحد إلى أحد، مستغنين بأنفسهم عن غيرهم فى إصابة الحق؟

قال: لا أقول هذا، ولكنهم يحتاجون إلى غيرهم.

قال: فبقى الوجه الثالث وهو أنه لا ـ بدَّ لهم من عالم يقيمه الرسول لهم لا يسهو ولا يغلط ولا يحيف، معصوم من الذنوب، مبرؤ من الخطايا، يحتاج الناس إليه ولا يحتاج إلى أحد.

قال: فما الدليل عليه؟ قال هشام: ثمان دلالات أربع فى نعت نسبه، وأربع فى نعت نفسه. فأما الأربع التى فى نعت نسبه: فإنه يكون معروف الجنس، معروف القبيلة، معروف البيت، وإن يكون من صالب الملة والدعوة إليه إشارة، فلم ير جنس من هذا الخلق أشهر من جنس العرب الذين منهم صاحب الملة والدعوة الذى ينادى باسمه فى كل يوم خمس مرات على الصوامع " أشهد أن لا إله إلا الله، وإن محمداً رسول الله " فتصل دعوته إلى كل بر وفاجر وعالم وجاهل، مقر ومنكر، فى شرق الأرض وغربها، ولو جاز أن تكون الحجة من الله على هذا الخلق فى غير هذا الجنس لأتى على الطالب المرتاد دهر من عصره لا يجده، ولجاز أن يطلبه فى أجناس من هذا الخلق من العجم وغيرهم، ولكان من حيث أراد الله عز وجل أن يكون صلاح يكون فساد، ولا ـ يجوز هذا فى حكمة الله جل وجلاله وعدله أن يفرض على الناس فريضة لا توجد. فلما لم يجز ذلك لم يجز أن يكون إلا فى هذا الجنس لا تصاليه بصاحب الملة والدعوة، فلم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا فى هذه القبيلة لقرب نسبها من صاحب الملة وهى قريش، ولما لم يجز أن يكون من هذا الجنس إلا فى هذه القبيلة لم يجز أن يكون من هذه القبيلة إلا فى هذا البيت لقرب نسبه من صاحب الملة و الدعوة، ولما كثر أهل هذا البيت وتشاجروا فى الإمامة لعلوها وشرفها، ادعاها كل واحد منهم فلم يجز إلا أن يكون من صاحب الملة والدعوة إشارة إليه بعينه واسمه ونسبه كيلا يطمع فيها غيره.

وأما الأربع التى فى نعت نفسه: فإن يكون أعلم الناس كلهم بفرائض الله وسننه وأحكامه حتى لا يخفى عليه منها دقيق ولا جليل، وإن يكون معصوماً من الذنوب كلها، وإن يكون أشجع الناس، وإن يكون أسخى الناس.

فقال عبد الله بن يزيد الإباضى: من أين قلت: أنه أعلم الناس؟

قال: لأنه أن لم يكن عالماً بجميع حدود الله وأحكامه وشرائعه وسننه لم يؤمن عليه أن يقلب الحدود، فمن وجب عليه القطع حده، ومن وجب عليه الحد قطعه، فلا يقيم لله عز وجل حدا على ما أمر به فيكون من حيث أراد الله صلاحاً يقع فساداً.

قال: فمن أين قلت: أنه معصوم من الذنوب؟ قال: لأنه إن لم يكن معصوماً من الذنوب دخل فى الخطأ، فلا يؤمن أن يكتم على نفسه ويكتم على حميمه وقريبه، ولا يحتج الله بمثل هذا على خلقه.

قال: فمن أين قلت: إنه أشجع الناس؟

قال: لأنه فئة للمسلمين الذى يرجعون إليه فى الحروب، وقال الله عز وجل: وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلا مُتَحرفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، فإن لم يكن شجاعاً فرَّ فيبوء بغضب من الله، ولا يجوز أن يكون من يبوء بغضب من الله عز وجل حجة الله على خلقه.

قال: فمن أين قلت أنه أسخى الناس؟

قال: لأنه خازن المسلمين فإن لم يكن سخياً تاقت نفسه إلى أموالهم فأخذها فكان خائناً، و لا يجوز أن يحتج الله على خلقه بخائن.

فعند ذلك قال ضرار: فمن هذا بهذه الصفة فى هذا الوقت؟

فقال: صاحب القصر أمير المؤمنين! وكان هارون الرشيد قد سمع الكلام كله، فقال عند ذلك: أعطانا والله من جراب النورة، ويحك يا جعفر، وكان جعفر بن يحيى جالساً معه فى الستر، مَنْ يعنى بهذا؟

فقال: يا أمير المؤمنين يعنى به موسى بن جعفر، قال: ما عنى بها غير أهلها، ثم عضَّ على شفتيه وقال: مثل هذا حيٌّ ويبقى لى ملكى

ساعة واحدة! فو الله للسان هذا أبلغ فی قلوب الناس من مائة ألف سیف!!

وعلم یحیی أن هشاماً قد أُتِیَ، فدخل الستر فقال: یا عباسی ویحک من هذا الرجال؟ فقال: یا أمیر المؤمنین حسبک، تکفی تکفی! ثم خرج إلی هشام فغمزه، فعلم هشام أنه قد أتیَ فقام یریهم أنه یبول أو یقضی حاجة، فلبس نعلیه وانسل، ومر ببیته وأمرهم بالتواری، وهرب ومر من فوره نحو الکوفة، فوافی الکوفة ونزل علی بشیر النبال- وکان من حملة الحدیث من أصحاب أبی عبد الله علیه السلام – فأخبره الخبر، ثم اعتل علة شدیدة فقال له البشیر: آتیک بطبیب؟ قال: لا أنا میت، فلما حضره الموت قال لبشیر: إذا فرغت من جهازی فاحملنی فی جوف اللیل وضعنی بالکناسة واکتب رقعة وقل: هذا هشام بن الحکم الذی یطلبه أمیر المؤمنین، مات حتف أنفه. وکان هارون قد بعث إلی إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به، فلما أصبح أهل الکوفة رأوه، وحضر القاضی وصاحب المعونة والعامل و المعدلون بالکوفة، وکتب إلی الرشید بذلک، فقال: الحمد لله الذی کفانا أمره فخلی عمن کان أخذ به)!!. انتهی. (وعنه فی البحار بتفاوت یسیر: ۴۸/۱۹۷)

وفی هذا النص دلالات هامة تاریخیة وعقیدیة، وهو یکشف الحکمة من نهی الإمام الکاظم علیه السلام لهشام رحمه الله نهیاً مشدداً عن المشارکة فی ذلک مجلس المناظرات البرمکی!

وإن کان زمن هذه القصة بعد وفاة الإمام الکاظم علیه السلام بکثیر حیث توفی الإمام الکاظم علیه السلام سنة ۱۸۳، وهشام قریب المئتین.

مرجع الشیعة الشیخ المفید رحمه الله یدافع عن عصمة نبینا

فی مصنفات الشیخ المفید:۱/۳۰: (فصل: ومن کلام الشیخ أدام الله عزه أیضاً: حضر فی دار الشریف أبی عبدالله محمد بن محمد بن طاهر رحمه الله، وحضر رجل من المتفقهة یعرف بالورثانی وهو من فقهائهم، فقال له الورثانی: ألیس من مذهبک أن رسول الله صلی الله علیه وآله کان معصوماً من الخطأ، مبرأً من الزلل مأموناً علیه من السهو والغلط، کاملاً بنفسه غنیاً عن رعیته؟

فقال له الشیخ أیده الله: بلی کذلک کان صلی الله علیه وآله.

قال له: فما تصنع فی قول الله جل جلاله: وَشَاوِرْهُمْ فِی الأمر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَکَّلْ عَلَی اللهِ إِنَّ اللهَ یُحِبُّ الْمُتَوَکِّلِینَ، ألیس قد أمره الله بالإستعانة بهم فی الرأی وأفقره إلیهم، فکیف یصح لک ماادعیت مع ظاهر القرآن وما فعله النبی صلی الله علیه وآله؟

فقال له الشیخ أدام الله عزه: إن رسول الله صلی الله علیه وآله لم یشاور أصحابه لفقر منه إلی آرائهم ولحاجة دعته إلی مشورتهم من حیث ظننت وتوهمت، بل لأمر آخر أنا أذکره لک بعد الإیضاح عما أخبرتک به، وذلک أنا قد علمنا أن رسول الله صلی الله علیه وآله کان معصوماً من الکبائر والصغائر، وإن خالفت أنت فی عصمته من الصغائر. وکان أکمل الخلق باتفاق أهل الملة وأحسنهم رأیاً وأوفرهم عقلاً وأکملهم تدبیراً، وکانت المواد بینه وبین الله سبحانه متصلة والملائکة تتواتر علیه بالتوفیق من الله عز وجل والتهذیب، والإنباء له عن المصالح، وإذا کان بهذه الصفات لم یصح أن یدعوه داع إلی اقتباس الرأی من رعیته، لأنه لیس أحد منهم إلا وهو دونه فی سائر ما عددناه، وإنما یستشیر الحکیم غیره علی طریق الإستفادة والإستعانة برأیه إذا تیقن أنه أحسن رأیاً منه وأجود تدبیراً وأکمل عقلاً أو ظن ذلک فأما إذا أحاط علماً بأنه دونه فیما وصفناه، لم یکن للإستعانة فی تدبیره برأیه معنی، لأن الکامل لایفتقر إلی الناقص فیما یحتاج فیه إلی الکمال، کما لایفتقر العالم إلی الجاهل فیما یحتاج فیه إلی العلم. والآیة بینةٌ یدل متضمنها علی ذلک، ألا تری إلی قوله تعالی: وَشَاوِرْهُمْ فِی الأمر فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَکَّلْ عَلَی اللهِ، فعلق وقوع الفعل بعزمه دون رأیهم ومشورتهم).

مرجع الشیعة السید المرتضی قدس سره یؤلف کتابا فی تنزیه الأنبیاء

ألف السید المرتضی وهو من أکابر علمائنا رحمه الله توفی سنة۴۳۶، کتاباً خاصاً سماه" تنزیه الأنبیاء، "لیساعد الشیعة فی وقوفهم إمام

ثقافة اليهود التى نشرها الحكام فى الأمة، وقد ردَّ فيه افتراءهم على الأنبياء عليهم السلام وما تمسكوا به من متشابهات القرآن.

وقد تتبعت المؤلفات فى هذا الموضوع، وأقدم ما رأيته منها كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام لجعفر بن مبشر الكاتب المعتزلى، ذكره كتابه ابن النديم فى الفهرست ص۲۰۸، وقال الذهبى فى ميزان الإعتدال:۱/۴۱۴: (جعفر بن مبشر الثقفى، من رؤوس المعتزلة، له تصانيف فى الكلام، وهو أخو الفقيه حبيش بن مبشر.... مات سنة أربع وثلاثين ومائتين). انتهى.

وأخوه حبيش هذا من رواة الشيعة وفقهائهم المشهورين فى بغداد.

كما وجدت إسم كتاب عصمة الأنبياءلأحمد بن سهل أبى زيد البلخى المعتزلى أيضاً، توفى۳۲۲، ذكره ابن النديم فى الفهرست ص۱۵۳، وابن حجر فى لسان الميزان:۱/۱۸۳.

وهذا يدل على أن المدافعين عن عصمة الأنبياء عليهم السلام كانوا الشيعة وبعض المعتزلة فقط، وإن أتباع الفرق الموالية للحكم القرشئ كانوا يقبلون الإسرائيليات فيهم التى تطعن فى عصمتهم قبل النبوة وبعدها!

أما فى القرون المتأخرة فنجد مؤلفات كثيرة فى تنزيه الأنبياء عليهم السلام أكثرها لعلماء شيعة، وأقل منها لمعتزلة وقليل منها لصوفية وعلماء سنيين، وأشهرها على الإطلاق كتاب عصمة الأنبياءللفخر الرازى المتوفى۶۰۶ هجرية، (كشف الظنون:۱/۳۳۳) وهو سنى متأثر بالمعتزلة، وسوف نورد فقرات من كتابه.

مقتطفات من كتاب تنزيه الأنبياء

رأينا أن نورد فى هذا الكتاب مقتطفات منه أو فهرساً علمياً موسعاً لأهم مسائله، ونضع لها العناوين المناسبة، ونلفت إلى أن العناوين المطبوعة بما فيها المسألة والجواب، ليست من كلام المؤلف، ولا فى النسخة الأصلية.

قال رحمه الله فى ص۱۵: (سألت أحسن الله توفيقك، إملاء كتاب فى تنزيه الأنبياءوالأئمة عليهم السلام عن الذنوب والقبائح كلها، ما سمى منها كبيرة أو صغيرة والرد على من خالف فى ذلك، على اختلافهم وضروب مذاهبهم.

وأنا أجيب إلى ما سألت على ضيق الوقت، وتشعب الفكر، وأبتدئ بذكر الخلاف فى هذا الباب، ثم بالدلالة على مذهب الصحيح من جملة ما اذكره من المذاهب، ثم بتأويل ما تعلق به المخالف من الآيات والأخبار، التى اشتبه عليه وجهها، وظن أنها تقتضى وقوع كبيرة أو صغيرة من الأنبياءوالأئمة عليهم السلام، ومن الله تعالى استمد المعونة والتوفيق، واياه اسأل التأييد والتسديد.

بيان الخلاف فى نزاهة الأنبياء عن الذنوب

اختلف الناس فى الأنبياء عليهم السلام، فقالت الشيعة الإمامية، لايجوز عليهم شئ من المعاصى والذنوب كبيراً كان أو صغيراً، لاقبل النبوة ولا بعدها، ويقولون فى الأئمة مثل ذلك.

وجوَّزَ أصحاب الحديث والحشوية على الأنبياءالكبائر قبل النبوة، ومنهم من جوزها فى حال النبوة سوى الكذب فيما يتعلق بأداء الشريعة، ومنهم من جوزها كذلك فى حال النبوة بشرط الإستسرار دون الإعلان، ومنهم من جوزها على الأحوال كلها.

ومنعت المعتزلة من وقوع الكبائر والصغائر المستخفة من الأنبياء عليهم السلام قبل النبوة وفى حالها، وجوزت فى الحالين وقوع ما لا يستخف من الصغاير، ثم اختلفوا فمنهم من جوز على النبى عليه السلام الإقدام على المعصية الصغيرة على سبيل العمد، ومنهم من منع من ذلك وقال إنهم لايقدمون على الذنوب التى يعلمونها ذنوباً، بل على سبيل التأويل.

وحكى عن النظام، وجعفر بن مبشر، وجماعة ممن تبعهما، أن ذنوبهم لا تكون إلا على سبيل السهو والغفلة، وأنهم مؤاخذون بذلك وإن كان موضوعاً عن أممهم لقوة معرفتهم وعلو مرتبتهم.

وجوزوا كلهم ومن قدمنا ذكره من الحشوية وأصحاب الحديث على الأئمة الكبائر والصغائر، إلا أنهم يقولون أن وقوع الكبيرة من

الإمام تفسد إمامته ويجب عزله والإستبدال به.....

واعلم أن جميع ما ننزه الأنبياء عليهم السلام عنه ونمنع من وقوعه منهم، يستند إلى دلالة العلم المعجز أما بنفسه أو بواسطة. وتفسير هذه الجملة، أن العلم المعجز إذا كان واقعاً موقع التصديق لمدعى النبوة والرسالة، وجارياً مجرى قوله تعالى له: صدقت فى إنك رسولى ومؤدٍّ عنى، فلابد من أن يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه على الله سبحانه فيما يؤديه عنه، لأنه تعالى لايجوز أن يصدق الكذاب، لأن تصديق الكذاب قبيح.....

فإن قيل: لم يبق إلا أن تدلوا على أن تجويز الكبائر يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول والإمتثال.

قلنا: لاشبهة فى أن من نجوز عليه كبائر المعاصى ولا نأمن منه الإقدام على الذنوب، لاتكون أنفسنا ساكنة إلى قبول قوله أو استماع وعظه كسكونها إلى من لانجوز عليه شيئاً من ذلك، وهذا هو معنى قولنا أن وقوع الكبائر منفر عن القبول....

فإن قيل: أو ليس قد جوز كثير من الناس على الأنبياء عليهم السلام الكبائر مع أنهم لم ينفروا عن قبول أقوالهم والعمل بما شرعوه من الشرايع، وهذا ينقض قولكم أن الكبائر منفرة!

قلنا: هذا سؤال من لا يفهم ما أوردناه، لأنا لم نرد بالتنفير ارتفاع التصديق وإن لايقع امتثال الأمر جملة، وإنما أردنا ما فسرناه من أن سكون النفس إلى قبول قول من يجوز ذلك عليه لايكون على حد سكونها إلى من لا يجوز ذلك عليه، وأنا مع تجويز الكبائر نكون أبعد من قبول القول.....

ومما يدل أيضاً على أن الكبائر لاتجوز عليهم، أن قولهم قد ثبت أنه حجة فى الشرع....

فأما ما حكيناه عن النظام وجعفر بن مبشر ومن وافقهما، من أن ذنوب الأنبياء عليهم السلام تقع منهم على سبيل السهو والغفلة، وأنهم مع ذلك مؤاخذون بها فليس بشيء، لأن السهو يزيل التكليف ويخرج الفعل من أن يكون ذنباً مؤاخذاً به، ولهذا لايصح مؤاخذة المجنون والنائم.

وحصول السهو فى أنه مؤثر فى ارتفاع التكليف بمنزلة فقد القدرة والآلات والأدلة، فلو جاز أن يخالف حال الأنبياءفى صحة تكليفهم مع السهو، جاز أن يخالف حالهم لحال أممهم فى جواز التكليف مع فقد سائر ما ذكرناه، وهذا واضح.

فأما الطريق الذى به يعلم أن الأئمة عليهم السلام لايجوز عليهم الكبائر فى حال الإمامة، فهو أن الإمام إنما احتيج إليه لجهة معلومة، وهى أن يكون المكلفون عند وجوده أبعد من فعل القبيح وأقرب من فعل الواجب على ما دللنا عليه فى غير موضع، فلو جازت عليه الكبائر لكانت علة الحاجة إليه ثابتة فيه وموجبة وجود إمام يكون إماماً له، والكلام فى إمامته كالكلام فيه، وهذا يؤدى إلى وجود ما لا نهاية له من الأئمة وهو باطل، أو الإنتهاء إلى إمام معصوم وهو المطلوب.....

تنزيه آدم عن الغواية

فمما تعلقوا به قوله تعالى فى قصة آدم عليه السلام: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) (طه:۱۲۱) قالوا وهذا تصريح بوقوع المعصية التى لا تكون إلا قبيحة، وأكده بقوله فغوى، وهذا تصريح بوقوع المعصية، والغيُّ ضد الرشد.

يقال لهم: أما المعصية فهى مخالفة الأمر، والأمر من الحكيم تعالى قد يكون بالواجب وبالمندوب معاً، فلا يمتنع على هذا أن يكون آدم عليه السلام مندوباً إلى ترك التناول من الشجرة، ويكون بمواقعتها تاركاً نفلاً وفضلاً وغير فاعل قبيحاً، وليس يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصياً كما يسمى بذلك تارك الواجب، فإن تسمية من خالف ما أمر به سواء كان واجباً أو نفلاً بأنه عاص ظاهرة، ولهذا يقولون أمرت فلاناً بكذا وكذا من الخير فعصانى وخالفنى، وإن لم يكن ما أمره به واجباً.

وأما قوله فغوى فمعناه أنه خاب، لأنا نعلم أنه لو فعل ما ندب إليه من ترك التناول من الشجرة لاستحق الثواب العظيم.....

فإن قال قائل: فما قولكم فى قوله تعالى:(هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً

خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صالحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صالحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (لأعراف:۱۸۹–۱۹۰)، أوَلیس ظاهر هذه الآیة یقتضی وقوع المعصیة من آدم علیه السلام لأنه لم یتقدم من یجوز صرف هذه الکنایة فی جمیع الکلام إلیه، إلا ذکر آدم علیه السلام وزوجته....

یقال له: قد علمنا أن الدلالة العقلیة التی قدمناها فی باب أن الأنبیاء علیهم السلام لایجوز علیهم الکفر والشرک، والمعاصی غیر محتملة، ولا یصح دخول المجاز فیها، والکلام فی الجملة یصح فیه الإحتمال وضروب المجاز، فلابد من بناء المحتمل علی ما لایحتمل، فلو لم نعلم تأویل هذه الآیة علی سبیل التفصیل لکنا نعلم فی الجملة أن تأویلها مطابق لدلالة العقل. وقد قیل فی تأویل هذه الآیة ما یطابق دلیل العقل، ومما یشهد له اللغة وجوه.

منها، أن الکنایة فی قوله سبحانه: جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، غیر راجعة إلی آدم علیه السلام وحواء، بل إلی الذکور والإناث من أولادهما....

فأما مایدعی فی هذا الباب من الحدیث فلا یلتفت إلیه، لأن الأخبار یجب أن تبنی علی أدلة العقول، ولاتقبل فی خلال ما تقتضیه أدلة العقول. ولهذا لاتقبل أخبار الجبر والتشبیه، ونردها أو نتأولها أن کان لها مخرج سهل. وکل هذا لو لم یکن الخبر الوارد مطعوناً علی سنده مقدوحاً فی طریقه، فإن هذا الخبر یرویه قتادة عن الحسن عن سمرة وهو منقطع، لأن الحسن لم یسمع من سمرة شیئاً فی قول البغدادیین.

وقد یدخل الوهن علی هذا الحدیث من وجه آخر، لأن الحسن نفسه یقول بخلاف هذه الروایة فیما رواه خلف بن سالم، عن إسحاق بن یوسف عن عوف، عن الحسن فی قوله تعالی: فَلَمَّا آتَاهُمَا صالحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، قال: هم المشرکون، وبإزاء هذا الحدیث ما روی عن سعید بن جبیر وعکرمة والحسن وغیرهم، من أن الشرک غیر منسوب إلی آدم وزوجته علیهما السلام وإن المراد به غیرهما، وهذه جملة واضحة.

تنزیه نوح عما لا یلیق به

فإن سأل سائل: عن قوله تعالی:(وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ أن ابْنِي مِنْ أَهْلِي وإن وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِين. قَالَ يَا نُوحُ أنه لَيْسَ مِنْ أهلک أنه عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ). (هود:۴۵–۴۶) فقال: ظاهر قوله تعالی أنه لیس من أهلک، فیه تکذیب لقوله علیه السلام أن ابْنِي مِنْ أَهْلِي، وإذا کان النبی لایجوز علیه الکذب، فما الوجه فی ذلک؟

قیل له: فی هذه الآیة وجوه، کل واحد منها صحیح مطابق لأدلة العقل:

أولها، أن نفیه لأن یکون من أهله لم یتناول فیه نفی النسب، وإنما نفی أن یکون من أهله الذین وعده الله تعالی بنجاتهم....الخ.

تنزیه إبراهیم عن الکفر والعصیان

فإن قال قائل: فما معنی قوله تعالی حاکیاً عن إبراهیم علیه السلام:فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أحب الآفِلِينَ. فَلَمَّا رَأى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ. فَلَمَّا رَأى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ.(الأنعام:۷۶–۷۸) أوَلیس ظاهر هذه الآیة یقتضی أنه علیه السلام کان یعتقد فی وقت من الأوقات الإلهیة للکواکب، وهذا مما قلتم أنه لایجوز علی الأنبیاء علیهم السلام.....

قلنا: عن هذا جوابان، أحدهما: أنه لم یقل ذلک مخبراً، وإنما قال فارضاً ومقدراً علی سبیل الفکر والتأمل، إلا تری أنه قد یحسن من أحدنا إذا کان ناظراً فی شئ ومتأملاً بین کونه علی إحدی صفتیه أن یفرضه علی إحداهما لینظر فیما یؤدی ذلک الفرض إلیه من

صحة أو فساد، ولا يكون بذلك مخبراً فى الحقيقة....

تنزيه إبراهيم عن الشك فى الله تعالى

فإن قيل فما معنى قوله تعالى مخبراً عن إبراهيم عليه السلام: (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى الُّنجُومِ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ) (الصافات:۸۹)

تنزيه إبراهيم عن الإستغفار للكفار

فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى: (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إبراهيم لأبِيهِ إلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إيَّاهُ)، (التوبة:۱۱۴) وكيف يجوز أن يستغفر لكافر، أو أن يعده بالإستغفار؟ قلنا:.... فكيف يجوز أن يجعل ذلك ذنباً لإبراهيم عليه السلام وقد عذره الله تعالى فى أن استغفاره إنما كان لأجل موعده، وبأنه تبرأ منه لما تبين له منه المقام على عداوة الله تعالى.....

تنزيه يعقوب عن إيقاع التحاسد بين بنيه

فإن قيل: فما معنى تفضيل يعقوب ليوسف عليهما السلام على إخوته فى البر والتقريب والمحبة، حتى أوقع ذلك التحاسد بينهم وبينه، وأفضى إلى الحال المكروهة التى نطق بها القرآن....

فإن قيل: فلم أرسل يعقوب يوسف عليهما السلام مع إخوته....

تنزيه يعقوب عن الحزن المكروه

فإن قيل: فلم أسرف يعقوب عليه السلام فى الحزن والتهالك وترك التماسك حتى ابيضت عيناه من البكاء والحزن....

تنزيه يوسف عن الصبر على الإستعباد

فإن قيل: كيف صبر يوسف عليه السلام، ولم لم ينكرها ويبرأ من الرق، وكيف يجوز على النبى الصبر على أن يستعبد ويسترق....

تنزيه يوسف عن الهم بالمعصية

فإن قيل: فما تأويل قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام وامرأة العزيز: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أن رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ أنه مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف:۲۴).... قلنا: يجوز أن يكون لما هم بدفعها وضربها، أراه الله تعالى برهاناً على أنه أن أقدم على من همَّ به أهلكه أهلها وقتلوه، أو أنها تدعى عليه المراودة على القبيح، وتقذفه بأنه دعاها إليه وضربها لامتناعها منه، فأخبر الله تعالى أنه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء، اللذين هما القتل والمكروه...

فأما ما يدل من القرآن، على أنه عليه السلام ما هم بالفاحشة ولا عزم عليها فمواضع كثيرة منها قوله تعالى: (كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ).......

تنزيه يوسف عليه السلام عن إلحاق الأذى بأبيه. تنزيه يوسف عليه السلام عن الكذب وتهمة إخوته. تنزيه يوسف عليه السلام عن الرضا بالسجود له. تنزيه يوسف عليه السلام عن طاعة الشيطان

فى أن أيوب ابتلى امتحانا لا عقابا

فإن قيل: فما قولكم فى الأمراض والمحن التى لحقت أيوب عليه السلام أو ليس قد نطق القرآن بأنها كانت جزاء على ذنب فى قوله:

أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ.(ص:۴۱)والعذاب لايكون إلا جزاءً كالعقاب. والآلام الواقعة على سبيل الإمتحان لا تسمى عذاباً ولا عقاباً، أو ليس قد روى جميع المفسرين أن الله تعالى إنما عاقبه بذلك البلاء لتركه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقصته مشهورة يطول شرحها؟

قلنا: أما ظاهر القرآن فليس يدل على أن أيوب عليه السلام عوقب بما نزل به من المضار، وليس فى ظاهره شئ مما ظنه السائل.....

فأما ما روى فى هذا الباب من جهلة المفسرين فمما لا يلتفت إلى مثله، لأن هؤلاء لايزالون يضيفون إلى ربهم تعالى والى رسله عليهم السلام كل قبيح ومنكر، ويقذفونهم بكل عظيم! وفى روايتهم هذه السخيفة ما إذا تأمله المتأمل علم أنه موضوع الباطل مصنوع، لأنهم رووا أن الله تعالى سلط إبليس على مال أيوب عليهم السلام وغنمه وأهله، فلما أهلكهم ودمر عليهم ورأى من صبره عليه السلام وتماسكه، قال إبليس لربه يا رب أن أيوب قد علم إنك ستخلف عليه ماله وولده فسلطنى على جسده، فقال تعالى قد سلطتك على جسده كله إلا قلبه وبصره، قال فأتاه فنفخه من لدن قرنه على قدمه فصار قرحة واحدة، فقذف على كناسة لبنى إسرائيل سبع سنين وأشهراً تختلف الدواب على جسده.. إلى شرح طويل نصون كتابنا عن ذكر تفصيله! فمن يقبل عقله هذا الجهل والكفر كيف يوثق بروايته، ومن لا ـ يعلم أن الله تعالى لا ـ يسلط إبليس على خلقه، وإن إبليس لا ـ يقدر على أن يقرح الأجساد ولا يفعل الأمراض كيف تعتمد روايته؟!

تنزيه موسى عن العصيان بالقتل

فإن قيل: فما الوجه فى قتل موسى عليه السلام للقبطى وليس يخلو من أن يكون مستحقاً للقتل أو غير مستحق، فإن كان مستحقاً فلا معنى لندمه عليه السلام وقوله: (هَـذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) وقوله: (رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى)، وإن كان غير مستحق فهو عاص فى قتله...

قلنا: مما يجاب به عن هذا السؤال أن موسى عليه السلام لم يعتمد القتل ولا أراده، وإنما اجتاز فاستغاث به رجل من شيعته على رجل من عدوه بغى عليه وظلمه وقصد إلى قتله، فأراد موسى عليه السلام أن يخلصه من يده ويدفع عنه مكروهه، فأدى ذلك إلى القتل من غير قصد إليه، فكل ألم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير أن يكون مقصوداً فهو حسن غير قبيح ولا يستحق عليه العوض به، ولا فرق بين أن تكون المدافعة من الإنسان عن نفسه، وبين أن يكون عن غيره....

ومن العجب، أن أبا على الجبائى ذكر هذا الوجه فى تفسيره، ثم نسب مع ذلك موسى عليه السلام إلى أنه فعل معصية صغيرة، ونسب معصيته إلى الشيطان!!

تنزيه موسى عليه السلام عن الضلالة والاستعفاء من الرسالة. وتنزيهه عن الأمر بالسحر، وعن الخوف الحرام، وعن نسبة الإضلال لله تعالى، وعن سؤال الرؤية لنفسه، وبيان الوجه فى أخذ موسى برأس أخيه عليهما السلام يجره، وتنزيهه عن المعصية فى مرافقته للخضر عليهما السلام، وتنزيهه عما رموه به من أخذ الحجر لثيابه وركضه عارياً.....

تنزيه داود عليه السلام عن المعصية، وتفسير قوله تعالى: وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ. وتنزيه سليمان عليه السلام عن المعصية، وعن الإفتتان. وعن الشح وعدم القناعة فى طلبه ملكاً لاينبغى لأحد من بعده.

تنزيه يونس عن الظلم والمعصية بمغاضبته قومه

تنزيه عيسى عليه السلام عن ادعائه الألوهية، وتفسير قوله تعالى: إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلا أعلم مَا فِى نَفْسِكَ إنك أنت عَلامُ الْغُيُوبِ.

تنزيه نبينا صلى الله عليه وآله عن الضلال، وتفسير قوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِى

أَمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

وقوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا.

وقوله تعالى: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.

وقوله تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى.

وقوله تعالى: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أحق أَنْ تَخْشَاهُ. وقوله تعالى: مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرض تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخرة وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

وقوله تعالى: لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أخذتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. وقوله تعالى: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ.

وقوله تعالى: لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً.

وقوله تعالى: وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ، الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ.

وقوله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى.

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

وقوله تعالى: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. وكيف يوجه هذا الخطاب إلى من لايجوز عليه الشرك ولا شئ من المعاصى؟

قد قيل فى هذه الآية أن الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله والمراد به أمته، فقد روى عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن بإياك أعنى واسمعى يا جارة.... وليس يمتنع أن يتوعد الله تعالى على العموم. وعلى سبيل الخصوص من يعلم أنه لا يقع منه ما تناوله الوعيد، لكنه لابد من أن يكون مقدوراً له وجائزا بمعنى الصحة لا ـ بمعنى الشك، ولهذا يجعل جميع وعيد القرآن عاماً لمن يقع منه ما تناوله الوعيد، ولمن علم الله تعالى أنه لا يقع منه....

والشيعة لها فى هذه الآية جواب تنفرد به وهو أن النبى صلى الله عليه وآله لما نص على أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بالإمامة فى ابتداء الأمر جاءه قوم من قريش فقالوا له: يا رسول الله إن الناس قريبوا عهد بالإسلام لا يرضون أن تكون النبوة فيك والإمامة فى ابن عمك على بن أبى طالب! فلو عدلت به إلى غيره لكان أولى. فقال لهم النبى صلى الله عليه وآله: ما فعلت ذلك برأيى فأتخير فيه، لكن الله تعالى أمرنى به....الى آخر ما أورده الشريف المرتضى رحمه الله.

وقد تعرض المؤلف رحمه الله الى عدة مسائل فى تنزيه الله تعالى عن التجسيم والتشبيه وبحث عدداً من أحاديثهم المروية عن النبى صلى الله عليه وآله مثل: إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن.. إن الله خلق آدم على صورته.. إن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل، فعليكم من الأعمال بما تطيقون فإن الله لا ـ يمل حتى تملوا.. سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون فى رؤيته!

وقال تعليقاً على الإخير: قلنا: أما هذا الخبر فمطعون عليه مقدوح فى راويه، فإن راويه قيس بن أبى حازم، وقد كان خولط فى عقله فى آخر عمره، مع استمراره على رواية الأخبار! وهذا قدح لاشبهة فيه، لأن كل خبر مروى عنه لايعلم تاريخه يجب أن يكون مردوداً، لأنه لا ـ يؤمن أن يكون مما سمع منه فى حال الإختلال. وهذه طريقة فى قبول الأخبار وردها ينبغى أن يكون أصلاً ومعتبراً فيمن علم منه الخروج ولم يعلم تاريخ ما نقل عنه.

على أن قيساً لو سَلِمَ من هذا القدح، كان مطعوناً فيه من وجه آخر، وهو أن قيس بن أبى حازم كان مشهوراً بالنصب والمعاداة لأمير المؤمنين صلاة الله وسلامه عليه والإنحراف عنه، وهو الذى قال: رأيت على بن أبى طالب على منبر الكوفة يقول: إنفروا إلى بقية

الأحزاب، فأبغضته حتى اليوم فى قلبى! إلى غير ذلك من تصريحه بالمناصبة والمعاداة. وهذا قادح لاشك فى عدالته.

وختم المؤلف رحمه الله كتابه بالإجابة على مايشكله بعضهم على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وعصمته، من قبيل إشكالهم وسؤالهم لماذا لم ينازع أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام الذين غصبوا خلافته؟ قال رحمه الله:

إن قال قائل: إذا كان من مذهبكم يا معشر القائلين بالنص أن النبى صلى الله عليه وآله نص على على بن أبى طالب أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة بعده، وفوض إليه أمر أمته، فما باله لم ينازع المتآمرين بعد النبى صلى الله عليه وآله فى الأمر الذى وكل إليه وعول فى تدبيره عليه، أوَ ليس هذا منه إغفالاً لواجب لايسوغ إغفاله؟

فإن قلتم إنه لم يتمكن من ذلك فهلا أعذر وأبلى واجتهد، فإنه إذا لم يصل إلى مراده بعد الإعذار والإجتهاد كان معذوراً.

أو ليس هو عليه السلام الذى حارب أهل البصرة وفيهم زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وطلحة والزبير، ومكانهما من الصحبة والإختصاص والتقدم مكانهما، ولم يحشمه ظواهر هذه الأحوال من كشف القناع فى حربهم حتى أتى على نفوس أكثر أهل العسكر؟ وهو المحارب لأهل صفين مرة بعد أخرى مع تخاذل أصحابه وتواكل أنصاره، وإنه كان فى أكثر مقاماته تلك وموقفه لايغلب فى ظنه الظفر ولا يرجو لضعف من معه النصر، وكان مع ذلك كله مصمماً ماضياً قدماً...

قلنا: أما الكلام على ما تضمنه هذا السؤال فهو مما يخص الكلام فى الإمامة وقد استقصيناه فى كتابنا المعروف بالشافى فى الإمامة، وبسطنا القول فيه فى هذه الأبواب ونظائرها بسطاً يزيل الشبهة ويوضح الحجة، لكنا لا نخلى هذا الكتاب من حيث تعلق غرضه بهذه المواضع من إشارة إلى طريقة الكلام فيها، فنقول: قد بينا فى صدر هذا الكتاب أن الأئمة عليهم السلام معصومون من كبائر الذنوب وصغائرها، واعتمدنا فى ذلك على دليل عقلى لايدخله احتمال ولا تأويل بشئ، فمتى ورد عن أحدهم عليهم السلام فعل له ظاهر الذنب، وجب أن نصرفه عن ظاهره ونحمله على ما يطابق موجب الدليل العقلى فيهم، كما فعلنا مثل ذلك فى متشابه القرآن المقتضى ظاهره ما لا يجوز على الله تعالى، وما لا يجوز على نبى من أنبيائه عليهم السلام.

فإذا ثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام إمام فقد ثبت بالدليل العقلى أنه معصومٌ عن الخطأ والزلل، فلا بدَّ من حمل جميع أفعاله على جهات الحسن، ونفى القبيح عن كل واحد منها. وما كان له منها ظاهر يقتضى الذنب علمنا فى الجملة أنه على غير ظاهره، فإن عرفنا وجهه على التفصيل ذكرناه، وإلا كفانا فى تكليفنا أن نعلم أن الظاهر معدولٌ عنه، وأنه لابدَّ من وجه فيه يطابق ما تقتضيه الأدلة.

وهذه الجملة كافية فى جميع المشتبهة من أفعال الأئمة عليهم السلام وأقوالهم، ونحن نزيد عليها فنقول: إن الله تعالى لم يكلف إنكار المنكر سواءً اختص بالمنكر أو تعداه إلى غيره، إلا بشروط معروفة، أقواها التمكن، وإن لا يغلب فى ظن المنكر أن إنكارة يؤدى إلى وقوع ضرر به لايحتمل مثله، وإن لايخاف فى إنكاره من وقوع ما هو أفحش منه وأقبح من المنكر.

وهذه شروط قد دلت الأدلة عليها، ووافقنا المخالفون لنا فى الإمامة فيها. وإذا كان ما ذكرناه مراعىً فى وجوب إنكار المنكر، فمن أين أن أمير المؤمنين عليه السلام كان متمكناً من المنازعة فى حقه والمجادلة، وما المنكر من أن يكون عليه السلام خائفاً متى نازع وحارب، من ضرر عظيم يلحقه فى نفسه وولده وشيعته؟! ثم ما المنكر من أن يكون خاف من الاإكار من ارتداد القوم عن الدين وخروجهم عن الإسلام ونبذهم شعار الشريعة، فرأى أن الإغضاء أصلح فى الدين، من حيث كان يجر الإنكار ضرراً فيه لايتلافى...

ثم قد ذكرنا فى كتابنا فى الإمامة من أسباب الخوف وأمارات الضرر التى تناصرت بها الروايات، ووردت من الجهات المختلفة ما فيه مقنع للمتأمل، وأنه عليه السلام غولط فى الأمر وسوبق إليه وانتهزت غرته، واغتنمت الحال التى كان فيها متشاغلاً بتجهيز النبى صلى الله عليه وآله، وسعى القوم إلى سقيفة بنى ساعدة، وجرى لهم فيها مع الأنصار ما جرى...

وأما حضور مجالسهم، فما كان عليه الصلاة والسلام ممن يتعمدها ويقصدها، وإنما كان يكثر الجلوس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فيقع الإجتماع مع القوم هنا، وذلك ليس بمجلس لهم مخصوص. وبعد، فلو تعمد حضور مجالسهم لينهى عن بعض ما يجرى فيها من منكر، فإن القوم قد كانوا يرجعون إليه فى كثير من الأمور، لجاز، ولكان للحضور وجه صحيح له بالدين علقه قوية.

فأما الـدخول فی آرائهم، فلم یکن علیه السـلام ممن یدخل فیها إلا مرشداً لهم، ومنبهاً علی بعض ما شذ عنهم، والدخول بهذا الشـرط واجب....

فأمـا الـدخول فی الشوری، فقـد بینـا فی کتابنـا المقـدم ذکره الکلاـم فیه مستقصـی، ومن جملته أنه علیه السـلام لولا الشوری لم یکن لیتمکن من الإحتجاج علی القوم بفضائله ومناقبه، والأخبار الدالـة علی النص بالإمامـة علیه...ومن کان یصـغی لولا الشوری إلی کلامه المستوفی فی هذا المعنی؟...

فإن قیل: فما الوجه فی تحکیمه علیه السلام أبا موسی الأشعری وعمرو بن العاص، وما العذر فی أن حکم فی الدین الرجال.....؟

قلنا: کل أمر ثبت بدلیل قاطع غیر محتمل فلیس یجوز أن نرجع عنه ونتشکک فیه لأجل أمر محتمل، وقد ثبت إمامة أمیر المؤمنین علیه السلام وعصمته وطهارته من الخطأ، وبراءته من الذنوب والعیوب، بأدله عقلیة وسمعیة، فلیس یجوز أن نرجع عن ذلک أجمع، ولا عن شئ منه، لمـا وقع من التحکیم للصواب بظـاهره، وقبـل النظر فیه کاحتمـاله للخطـأ، ولو کان ظاهره أقرب إلی الخطأ وأدنی إلی مخالفة الصواب.

بل الواجب فی ذلک القطع علی مطابقة ما ظهر من المحتمل لما ثبت بالدلیل، أو صـرف ماله ظاهر عن ظاهره، والعدول به إلی موافقة مدلول الدلالة التی لا یختلف مدلولها ولا یتطرق علیها التأویل.

وهذا فعلنا فیما ورد من أی القرآن التی تخالف بظاهرها الأدلة العقلیة مما یتعلق به الملحدون أو المجبرة أو المشبهة.

وهـذه جملـة قـد کررنا ذکرها فی کتابنا هـذا لجلالة موقعها من الحجة، ولو اقتصـرنا فی حل هذه الشـبهة علیها لکانت مغنیة کافیة...). انتهی.

معرکة تنزیه الأنبیاء بین الشیعة و مخالفیهم

موقف علماء الشیعة الثابت: تأویل الآیات التی یبدو منها..

موقف علماء الشیعة الثابت: تأویل الآیات التی یبدو منها معصیة الأنبیاء، ورد الأحادیث التی تزعم ذلک

اتضح بما تقدم أن أئمة أهل البیت علیهم السلام رسموا خطاً فی تنزیه الأنبیاء علیهم السلام والدفاع عنهم، وأن علماء المذهب رضوان الله علیهم اتبعوهم فأجـادوا الإتبـاع والشـرح والإسـتدلال، وکـان موقفهم ثابتـاً فی أن الآیات التی یبـدو منها وقوع المعصـیة من الأنبیاء علیهم السلام وأنها لیست علی ظاهرها بل یجب اتباع الراسخین فی العلم فی تأویلها.

واتضح أن الأحادیث الصـریحة فی ارتکاب الأنبیاء علیهم السـلام للمعاصـی مکذوبة، وأنها من موضوعات رواة السـلطة القرشیة لتبریر معاصـی الخلفاء أو من الإسـرائیلیات التی ابتلیت بها مصادر السـنة عندهـم، وکلها روایات باطلة یجب التوقف فیها أو تکذیبها، حتی لو تسرب بعضها إلی مصادرنا!

وتشـمل هـذه القاعـدة نفی وقوع المعصـیة من الأنبیـاء علیهم السـلام وکـلِّ سـلوکٍ أو وضعٍ ینفِّر الناس منهم، کما تشـمل نفی السـهو والنسیان عنهم علیهم السلام.

قال العلامة الحلی فی منتهی المطلب:۱/۳۳۵: (احتج المخالف بأن النبی صـلی الله علیه وآله صلی بأصحابه فلما أحرم بالصلاة ذکر أنه جنب، فقال لأصحابه: کما أنتم، ومضی ورجع ورأسه یقطر ماء ولم یستخلف، فدل علی عدم الجواز.

والجواب: أن هذا عندنا باطل، والخبرُ کذبٌ إذ الأنبیاء علیهم السلام معصومون عن وقوع الذنب عمداً وسهواً). انتهی.

ومن هذا القبیل رد علماء الشـیعة لخبر اتهام نبی داود علیه السلام مع أنه ورد فی تفسیر القمی:۲/۲۲۹: وجاء فیه: (فلما کان الیوم الذی وعده الله عز وجل اشـتدت عبادته وخلا فی محرابه وحجب الناس عن نفسه وهو فی محرابه یصـلی، فإذا طائر قد وقع بین یدیه جناحاه

من زبرجد أخضر ورجلاه من ياقوت أحمر ورأسه ومنقاره من لؤلؤ وزبرجد، فأعجبه جداً ونسى ما كان فيه، فقام ليأخذه فطار الطائر فوقع على الحائط بين داود وبين أوريا بن حنان، وكان داود قد بعث أوريا فى بعث فصعد داود عليه السلام الحائط ليأخذ الطير، وإذا امرأة أوريا جالسة تغتسل، فلما رأت ظل داود نشرت شعرها وغطت به بدنها، فنظر إليها داود فافتتن بها ورجع إلى محرابه ونسى ما كان فيه، وكتب إلى صاحبه فى ذلك البعث لما أن يصيروا إلى موضع كيت وكيت يوضع التابوت بينهم وبين عدوهم، وكان التابوت فى بنى إسرائيل كما قال الله عز وجل:فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌمِمَّاتَرَكَ آلُ مُوسَيوَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ (البقرة:۲۴۸) وقد كان رفع بعد موسى عليه السلام إلى السماء لما عملت بنو إسرائيل بالمعاصى، فلما غلبهم جالوت وسألوا النبى أن يبعث إليهم ملكاً يقاتل فى سبيل الله بعث إليهم طالوت وأنزل عليهم التابوت، وكان التابوت إذا وضع بين بنى إسرائيل وبين أعدائهم ورجع عن التابوت إنسان كفر وقتل، ولا يرجع أحد عنه إلا ويقتل. فكتب داود إلى صاحبه الذى بعثه أن ضع التابوت بينك وبين عدوك وقدم أوريا بن حنان بين يدى التابوت، فقدمه وقتل، فلما قتل أوريا دخل عليه الملكان وقعدوا ولم يكن تزوج امرأة أوريا، وكانت فى عدتها وداود فى محرابه يوم عبادته، فدخلا عليه الملكان من سقف البيت وقعدا بين يديه ففزع داود منهما فقالا: لاتَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إلى سَوَاءِ الصِّرَاطِ. (ص:۲۲) ولداود حينئذ تسع وتسعون امرأة ما بين مهيرة إلى جارية، فقال أحدهما لداود:إنَّ هَذَا أخى لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ. أى ظلمنى وقهرنى، فقال داود كما حكى الله عز وجل:قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إلى نِعَاجِهِ وإن كثيراًمِنَ الْخُلَطَاءِلَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَيبَعْضٍ إلاالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَاهُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ إنما فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ) (ص:۲۳-۲۴) قال: فضحك المستعدى عليه من الملائكة وقال: وقد حكم الرجل على نفسه فقال داود: أتضحك وقد عصيت لقد هممت أن أهشم فاك، قال: فعرجا، وقال الملك المستعدى عليه: لو علم داود أنه أحق بهشم فيه منى.

ففهم داود الأمر وذكر الخطيئة فبقى أربعين يوماً ساجداً يبكى ليله ونهاره ولايقوم إلا وقت الصلاة، حتى انخرق جبينه وسال الدم من عينيه....)!! إلى آخر القصة الواردة فى مصادر أهل الكتاب ومصادر السنيين! وقد ردها علماء الشيعة، وحملها بعضهم على التقية لموافقتها مذهب العامة ورواياتهم التى تجوِّز المعاصى على الأنبياء عليهم السلام.

وقد تقدم استنكارها فى مقدمة الكتاب فى حديث الإمام الرضا عليه السلام.

لا عصمة للأنبياء عند السنيين لكن الصحابة عندهم معصومون

المعروف عن المذاهب السنية أنها تعتقد بعصمة الأنبياء عليهم السلام، لكن واقعها العملى عدم الإعتقاد بعصمتهم، لاعن الصغائر ولا الكبائر ولا ماينفِّر الناس منهم، لاقبل البعثة ولا بعدها، لا فى الأمور الشخصية ولا فى تبليغ الرسالة!

فأئمة المذاهب وعلماؤها يقولون نظرياً بعصمة الأنبياء عليهم السلام عصمة غير تامة على اختلافٍ بينهم فيها، لكنهم عندما يصلون إلى الإسرائيليات، أو إلى القرشيات، يقعون فى اتهام الأنبياء عليهم السلام، ويتمسكون بالآيات المتشابهة التى يبدو منها وقوع المعصية منهم عليهم السلام فينفون عنهم العصمة التى أثبتوها لهم آنفاً! بل ينسبون اليهم المنكرات والعظائم، حتى إلى خاتمهم وأفضلهم صلى الله عليه وآله!

من جهة أخرى.. يقول علماء المذاهب السنية إنهم لايعتقدون بعصمة الصحابة بل بعدالتهم، وقد يفسرون عدالتهم بتصديق روايتهم عن النبى صلى الله عليه وآله.

لكن كلامهم هذا نظرى، لأنهم إذا وصلوا إلى أى مسألة تتعلق بأبى بكر وعمر وعثمان، تراهم يدافعون عنهم حتى لو كانت المسألة مقابل النبى صلى الله عليه وآله!

ومعناه أنهم يقولون بعصمة هؤلاء الثلاثة، وبعضهم يقول بعصمة عائشة وحفصة ومعاوية معهم، فهم يبررون أخطاءهم، وقد يكفِّرون

من ينتقدهم!

أما إذا اختلف الصحابة في رأي أو فتوى أو نقل حديث، فهم مجمعون على أن العصمة والحق دائماً مع عمر، وفيما وافق عمر!

وقد ناقشنا بعض المتحمسين لعمر وابن تيمية، فقال إنكم تتهموننا زوراً بأنا نعتقد بعصمة عمر وابن تيمية، فنحن لم نقل ذلك؟

فقلنا له إنكم لاتقولون ذلك بل تفعلونه، فإن كنت صادقاً فأعطنا خطأ واحداً تراه لابن تيمية أو لعمر! فغضب وولى!

وهذه مفارقة عجيبة أنهم يقولون بعصمة الأنبياء عليهم السلام نظرياً ثم ينقضونها عملياً! ويقولون بعدم عصمة الصحابة نظرياً، ثم يصرون عليها عملياً!

قال العلامة الحلي قدس سره في نهج الحق وكشف الصدق ص۱۴۲:

(ذهبت الإمامية كافة إلى أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الصغائر والكبائر، ومنزهون عن المعاصي، قبل النبوة وبعدها، على سبيل العمد والنسيان، وعن كل رذيلة ومنقصة، وما يدل على الخسة والضعة.

وخالفت الأشاعرة في ذلك وجوَّزوا عليهم المعاصي، وبعضهم جوَّزوا الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها! وجوزوا عليهم السهو والغلط!

ونسبوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله الى السهو في القرآن بما يوجب الكفر! فقالوا إنه صلى يوماً وقرأ في سورة (النجم) عند قوله تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الإخرَى: تلك الغرانيق العلى، منها الشفاعة ترتجى!!

وهذا اعترافٌ منه صلى الله عليه وآله بأن تلك الأصنام ترتجى الشفاعة منها! نعوذ بالله من هذه المقالة التي نسبوا النبيَّ صلى الله عليه وآله إليها، وهي توجب الشرك! فما عذرهم عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قَتَلَ جماعةً كثيرةً من أهله وأقاربه على عبادة الأصنام، ولم تأخذه في الله لومة لائم، و(هم) ينسبون إليه هذا القول الموجب للكفر والشرك!!...

ورووا عنه صلى الله عليه وآله أنه صلى الظهر ركعتين، فقال له ذو اليد: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟! فقال: أصدق ذو اليد؟ فقال الناس: نعم، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فصلى اثنتين أخريين، ثم سلَّم.. الحديث!!

ورووا في الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله صلى بالناس صلاة العصر ركعتين، ودخل حجرته، ثم خرج لبعض حوائجه، فذكَّره بعضٌ فأتمَّها!

وأي نسبة أنقص من هذا وأبلغ في الدناءة! فإنها تدل على إعراض النبي صلى الله عليه وآله عن عبادة ربه وإهمالها والإشتغال عنها بغيرها، والتكلم في الصلاة، وعدم تدارك السهو من نفسه لو كان! نعوذ بالله من هذه الآراء الفاسدة!

ونسبوا إلى النبي صلى الله عليه وآله كثيراً من النقص! روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن عائشة قالت: كنت ألعبُ بالبنات عند النبي(ص) وكانت لي صواحبُ يلعبنَ معي وكان رسول الله إذا دخل تقبَّعْنَ منه، فيشير إليهن فيلعبن معي!

مع أنهم رووا في صحاح الأحاديث: أن الملائكة لاتدخل بيتاً فيه صور مجسمة، أو تماثيل! وتواتر النقل عنه بإنكار عمل الصور والتماثيل، فكيف يجوز لهم نسبة هذا إلى النبي صلى الله عليه وآله وإلى زوجته من عمل الصور في بيته، الذي أسس للعبادة، وهو محل هبوط الملائكة والروح الأمين في كل وقت! ولما رأى النبي صلى الله عليه وآله الصور في الكعبة لم يدخلها حتى محيت، مع أن الكعبة بيت الله تعالى، فإذا امتنع من دخوله مع شرفه وعلو مرتبته، فكيف يتخذ في بيته، وهو أدون من الكعبة صوراً ويجعله محلاً لها.

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين: قالت عائشة: رأيت النبي يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر! وروى الحميدي عن عائشة قالت: دخل عليَّ رسول الله وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحوَّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي؟! فأقبل عليه رسول الله وقال: دعها فلما غفل غمزتهما فخرجتا! وكيف يجوز للنبي صلى الله عليه وآله الصبر على هذا، مع أنه نصَّ على تحريم اللعب واللهو والقرآن مملوءٌ به، وبالخصوص مع زوجته؟! وهلا دخلته الحمية والغيرة مع أنه صلى الله عليه وآله أغْيَرُ الناس؟!

وكيف أنكر أبو بكر وعمر ومنعهما؟ فهل كانا أفضل منه؟!

وقـد رووا عنه صـلى الله عليه وآله أنه لمـا قـدم المدينـة من سـفر، خرجت إليه نسـاء المدينـة يلعبن بالـدف فرحاً بقـدومه، وهو يرقص بأكمامه!! وهل يصدر مثل هذا عن رئيس، أو من له أدنى وقار، نعوذ بالله من هذه السقطات!

مع أنه لو نُسِبَ أحدهم إلى مثل هذا، قابله بالسب والشـتم وتبرأ منه، فكيف يجوز نسـبة النبى صـلى الله عليه وآله إلى مثل هذه الأشياء التى يُتبرأ منها؟!

وفى الصحيحين أن ملك الموت لما جاء لقبض روح موسى عليهما السلام لطمه موسى ففقأ عينه! فكيف يجوز لعاقل أن ينسب موسى عليه السـلام مع عظمته وشـرف منزلته وقربه من الله تعالى والفوز بمجاورة عالم القـدس، إلى هذه الكراهة؟! وكيف يجوز منه أن يوقع بملك الموت ذلك وهو مأمور من قبل الله تعالى؟!

وفى الجمع بين الصـحيحين: أن رسول الله صـلى الله عليه وآله قـال فى صـفة الخلق يوم القيامـة: وإنهم يـأتون آدم ويسـألونه الشـفاعة فيعتـذر إليهم، فيـأتون نوحاً فيعتـذر إليهم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله، إشـفع لنا إلى ربك أما ترى ما نحن فيه؟! فيقول لهم: إن ربى قـد غضب غضـباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعـده مثله! وإنى قـد كذبت ثلاث كذبات. نفسـى، نفسـى، إذهبوا إلى غيرى! وفى الجمع بين الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لم يكذب إبراهيم النبى إلا ثلاث كذبات!!

كيف يحلُّ لهؤلاء نسبة الكذب إلى الأنبياء عليهم السلام؟! وكيف الوثوق بشريعتهم، مع الإعتراف بتعمد كذبهم؟!

وفى الجمع بين الصـحيحين أن النبى صـلى الله عليه وآله قـال: نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِى الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَـالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى. ويرحم الله لوطاً لقـد كـان يـأوى إلى ركن شديـد! ولو لبثت فى السـجن طول لبث يوسـف لأجبت الداعى!

كيف يجوز لهؤلاء الإجتراء على النبى صلى الله عليه وآله بالشك فى العقيدة؟

وفى الصـحيحين قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبى صـلى الله عليه وآله بحرابهم دخل عمر فأهوى إلى الحصـباء فحصـبهم بها فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:دعهم يا عمر.

وروى الغزالى فى إحياء علوم الدين أن النبى صـلى الله عليه وآله كان جالساً وعنده جوارٍ يغنين فجاء عمر فاستأذن فقال النبى صلى الله عليه وآله للجوارى: أسكتنَ فسكتن، فدخل عمر وقضى حاجته ثم خرج، فقال لهن عُدْنَ، فعدن إلى الغناء!

فقلن: يارسول الله، مَن هذا الذى كلما دخل قلت أسكتنَ، وكلما خرج قلت: عدنَ إلى الغناء؟ قال هذا رجلٌ لا يؤثرُ سماع الباطل.

كيف يحلُّ لهؤلاء القوم رواية مثل ذلك عن النبى صـلى الله عليه وآله؟ أترى عمر أشـرف من النبى صلى الله عليه وآله؟ حيث لا يؤثر سماع الباطل، والنبى صلى الله عليه وآله يؤثره؟!

وفى الجمع بين الصـحيحين: عن أبى هريرة قـال: أقيمت الصـلاة، وعـدلت الصـفوف قياماً قبل أن يخرج إلينا رسول الله صـلى الله عليه وآله، فخرج إلينا رسول الله صـلى الله عليه وآله فلما قام فى مصـلاه ذكر أنه جنبٌ فقال لنا: مكانكم. فلبثنا على هيئتنا قياماً، فاغتسل، ثم خرج إلينا، ورأسه يقطر، فكبَّر وصلينا.

فلينظر العاقل: هل يحسن منه وصف أدنى الناس بأنه يحضر الصلاة ويقوم فى الصف وهو جنب! وهل هذا الأمن التقصير فى عبادة ربه وعـدم المسارعـة إليها وقـد قال تعالى:وَسَارِعُوا إلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم... فَاسْـتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ، فأى مكلف أجدر بقبول هذا الأمر من النبى صلى الله عليه وآله؟!

وفى الجمع بين الصـحيحين عن أبى هريرة قال: صـلى النبى صـلى الله عليه وآله إحدى صـلاتى العشئ، قال وأكثر ظنى العصر ركعتين ثم سـلم، ثم قـال إلى خشـبة فى مقـام المسـجد فوضع يـده عليهـا، وفيهم أبو بكر وعمر فهاباه أن يكلماه، وخرج سـرعان الناس فقالوا: أقصـرت الصـلاة؟ ورجلٌ يـدعوه النبى صـلى الله عليه وآله ذو اليـدين فقال: لم أنسَ ولم أقَصِّر، قال: بل قد نسيت! فصـلى ركعتين ثم سلم!

فلينظر العاقل هل يجوز نسبة هذا الفعل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وكيف يجوز منه أن يقول: ما نسيت؟ فإن هذا سهوٌ في سهو، ومن يعلم أن أبا بكر وعمر حفظا ما نسى رسول الله صلى الله عليه وآله مع إنهما لم يذكرا ذلك للنبى صلى الله عليه وآله؟

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر أنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنه دعا زيد بن عمرو بن نفيل وذلك قبل أن ينزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وآله، فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله سفرةً فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال: إنى لا آكل ما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل مما لم يذكر إسم الله عليه!!

فلينظر العاقل هل يجوز له أن ينسب نبيه إلى عبادة الأصنام، والذبح على الأنصاب ويأكل منه! وإن زيدَ بن عمرو بن نفيل كان أعرف بالله منه، وأتمَّ حفظاً ورعايةً لجانب الله تعالى؟! نعوذ بالله من هذه الإعتقادات الفاسدة!

وفى الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال:كنت مع النبى صلى الله عليه وآله فانتهى إلى سباطة قوم فبال قائماً، فتنحيت فقال: أدنه، فدنوتُ حتى قمت عند عقبيه، فتوضأ فمسح على خفيه! فكيف يجوز: أن ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله البول قائماً، مع أن أرذل الناس لو نُسب هذا إليه تبرأ منه؟! ثم المسح على الخفين والله تعالى يقول: وأرجلكم!

فانظروا إلى هؤلاء القوم: كيف يجوِّزون الخطأ والغلط على الأنبياء عليهم السلام، وإن النبى يجوز أن يسرق درهماً، ويكذب فى أخس الأشياء وأحقرها!

وقد لزمهم من ذلك محالات:

منها: جواز الطعن على الشرائع وعدم الوثوق بها، فإن المبلِّغ إذا جوَّزوا عليه الكذب وسائر المعاصى جاز أن يكذب عمداً أو نسياناً، أو يترك شيئاً مما أوحىَ إليه، أو يأمر من عنده، فكيف يبقى اعتمادٌ على أقواله؟!

ومنها: أنه إذا فعل المعصية، فإما أن يجب علينا اتباعه فيها، فيكون قد وجب علينا فعل ما وجب تركه، واجتمع الضدان! وإن لم يجب، انتفت فائدة البعثة.

ومنها: أنه لو جاز أن يعصى لوجب إيذاؤه والتبرى منه، لأنه من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لكن الله تعالى قد نص على تحريم إيذاء النبى صلى الله عليه وآله فقال:إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخرة وَأَعَدَّ لَهُمْ عذاباً مُهِيناً , (الأحزاب:۵۷) ومنها: سقوط محله ورتبته عند العوام، فلاينقادون إلى طاعته، فتنتفى فائدة البعثة.

ومنها: أنه يلزم أن يكونوا أدون حالاً من آحاد الأمة، لأن درجات الأنبياء عليهم السلام فى غاية الشرف، وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه أفحش، كما قال تعالى: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يأت مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، (الأحزاب:۳۰) والمحصن يرجم وغيره يحد، وحد العبد نصف حد الحر. والأصل فيه: أن علمهم بالله تعالى أكثر وأتمُّ، وهم مهبط وحيه، ومنازل ملائكته، ومن المعلوم أن كمال العلم يستلزم كثرة معرفته والخضوع والخشوع، فينافى صدور الذنب، لكن الإجماع دل على أن النبى صلى الله عليه وآله لايجوز أن يكون أقل حالاً من آحاد الأمة.

ومنها: أنه يلزم أن يكون مردود الشهادة، لقوله تعالى: إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا، فكيف تقبل شهادته فى الوحى ويلزم أن يكون أدنى حالاً من عدول الأمة، وهو باطل بالإجماع.

ومنها: أنه لو صدر عنه الذنب لوجب الإقتداء به لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوااللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ..لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... فَاتَّبِعُونِى... والتالى باطل بالإجماع، وإلا اجتمع الوجوب والحرمة). انتهى.

وقال رحمه الله فى نهج الحق وكشف الصدق/۱۵۹:

(ذهبت الإمامية إلى أن النبى صلى الله عليه وآله يجب أن يكون منزهاً عن دناءة الآباء وعهر الأمهات، بريئاً من الرذائل والأفعال الدالة على الخسة، كالإستهزاء به والسخرية والضحك عليه، لأن ذلك يسقط محله من القلوب، وينفِّر الناس عن الإنقياد إليه، فإنه من المعلوم بالضرورة الذى لايقبل الشك والإرتياب.

وخالفت السنة فيه: أما الأشاعرة فباعتبار نفى الحسن والقبح، فلزمهم أن يذهبوا إلى جواز بعثة ولد الزنا المعلوم لكل أحد! وإن ب فاعلًا لجميع أنواع الفواحش وأبلغ أصناف الشرك! وهو ممن يُسخر به ويُضحك عليه ويُصفع في الأسواق ويُستهزأ به، ويكون قد ليط به دائماً لأبنة فيه، قواداً، وتكون أمه في غاية الزنا والقيادة والإفتضاح بذلك، لا تردُّ يدَ لامس! ويكون هو في غاية الدناءة والسفالة، ممن قد ليط به طول عمره، حال النبوة وقبلها، ويصفع في الأسواق، ويعتمد المناكير، ويكون قواداً بصاصاً. فهؤلاء يلزمهم القول بذلك حيث نفوا التحسين والتقبيح العقليين، وإن ذلك ممكنٌ فيجوز من الله وقوعه، وليس هذا بأبلغ من تعذيب الله من لايستحق العذاب، بل يستحق الثواب طول الأبد!

وأما المعتزلة، فلأنهم جوَّزوا صدور الذنب عنهم عليهم السلام، لزمهم القول بجواز ذلك أيضاً، واتفقوا على وقوع الكبائر منهم، كما في قصة إخوة يوسف!

فلينظر العاقل بعين الإنصاف: هل يجوز المصير إلى هذه الأقاويل الفاسدة، والآراء الردية؟ وهل يبقى مكلف ينقاد إلى قبول قول من كان يفعل به الفاحشة طول عمره إلى وقت نبوته؟ وأنه يصفع ويستهزأ به حال النبوة؟! وهل يثبت بقول هذا حجة على الخلق؟!

واعلم أن البحث مع الأشاعرة في هذا الباب ساقط، وأنهم إن بحثوا في ذلك استعملوا الفضول، لأنهم يجوزون تعذيب المكلف على أنه لم يفعل ما أمره الله تعالى به من غير أن يعلم ما أمره به، ولا أرسل إليه رسولاً البتة! بل وعلى امتثال أمره به، وإن جميع القبائح من عنده تعالى، وإن كل ما وقع في الوجود فإنه فعله تعالى وهو حسن، لأن الحسن هو الواقع والقبيح هو الذي لم يقع. فهذه الصفات الخسيسة في النبي وأبويه تكون حسنة، لوقوعها من الله تعالى، فأي مانع حينئذ من البعثة باعتبارها؟!

فكيف يمكن للأشاعرة منع كفر النبي عليه السلام وهو من الله وكل ما يفعله تعالى فهو حسن! وكذا أنواع المعاصي! وكيف يمكنهم مع هذا المذهب التنزيه للأنبياء عليهم السلام؟! نعوذ بالله من مذهب يؤدي إلى تحسين الكفر وتقبيح الإيمان، وجواز بعثة من اجتمعت فيه كل الرذائل والسقطات.

وقد عرفت من هذا أن الأشاعرة في هذا الباب، قد أنكروا الضروريات!

وقال في منهاج الكرامة ص۳۱، وهو الكتاب الذي حاول ابن تيمية أن يرد عليه في منهاج سنته، قال العلامة: (الفصل الأول: في نقل المذاهب في هذه المسألة:

ذهبت الإمامية إلى أن الله تعالى عدلٌ حكيمٌ لايفعل قبيحاً ولايخلُّ بواجب وإن أفعاله إنما تقع لغرض صحيح وحكمة، وأنه لايفعل الظلم ولا العبث، وأنه رؤوفٌ بالعباد، يفعل بهم ما هو الأصلح لهم والأنفع، وأنه تعالى كلفهم تخييراً لا إجباراً، ووعدهم بالثواب وتوعدهم بالعقاب على لسان أنبيائه ورسله المعصومين، بحيث لا يجوز عليهم الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي، وإلا لم يبق وثوقٌ بأقوالهم، فتنتفي فائدة البعثة.

ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول بالأمة، فنصب أولياء معصومين عليهم السلام، ليأمن الناس من غلطهم وسهوهم وخطئهم، فينقادون إلى أوامرهم، لئلا يخلي الله تعالى العالم من لطفه ورحمته. وأنه تعالى لما بعث رسوله محمداً صلى الله عليه وآله قام بنقل الرسالة ونصَّ على أن الخليفة بعده عليُّ بن أبي طالب، ثم من بعده ولدُه الحسن الزكي، ثم على الحسين الشهيد، ثم على علي بن الحسين زين العابدين، ثم على محمد بن علي الباقر، ثم على جعفر بن محمد الصادق، ثم على موسى بن جعفر الكاظم، ثم على علي بن موسى الرضا، ثم على محمد بن علي الجواد، ثم على علي بن محمد الهادي، ثم على الحسن بن علي العسكري، ثم على الخلف الحجة محمد بن الحسن عليهم السلام، وإن النبي صلى الله عليه وآله لم يمت إلا عن وصية بالإمامة.

وذهب أهل السنة إلى خلاف ذلك كله، فلم يثبتوا العدل والحكمة في أفعاله تعالى، وجوَّزوا عليه فعل القبيح والإخلال بالواجب، وأنه تعالى لايفعل لغرض بل كل أفعاله لا لغرض من الأغراض ولا لحكمة البتة!

وأنه تعالى يفعل الظلم والعبث، وأنه لايفعل ما هو الأصلح للعباد، بل ما هو الفساد في الحقيقة، لأن فعل المعاصي وأنواع الكفر والظلم

وجميع أنواع الفساد الواقعة فی العالم مستندة إليه! تعالی الله عن ذلك، وإن المطيع لايستحق ثواباً والعاصی لايستحق عقاباً، بل قد يعذب المطيع طول عمره، المبالغ فی امتثال أوامره تعالی كالنبی عليه السلام ويثيب العاصی طول عمره بأنواع المعاصی وأبلغها كإبليس وفرعون! وإن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين بل قد يقع منهم الخطأ والزلل والفسوق والكذب والسهو، وغير ذلك.

وإن النبی صلی الله عليه وآله لم ينص علی إمام بينهم، وأنه مات عن غير وصية، وإن الإمام بعد رسول الله صلی الله عليه وآله أبو بكر بن أبی قحافة لمبايعة عمر بن الخطاب له برضا أربعة: أبی عبيدة، وسالم مولی حذيفة، وأسيد بن حضير، وبشر بن سعيد، ثم من بعده عمر بن الخطاب بنص أبی بكر عليه، ثم عثمان بن عفان بنص عمر علی ستة هو أحدهم، فاختاره بعضهم، ثم علی بن أبی طالب عليه السلام لمبايعة الخلق له.

ثم اختلفوا، فقال بعضهم إن الإمام بعده ابنه الحسن عليه السلام، وبعضهم قال: إنه معاوية بن أبی سفيان، ثم ساقوا الإمامة فی بنی أمية إلی أن ظهر السفاح من بنی العباس، فساقوا الإمامة إليه، ثم انتقلت الإمامة منه إلی أخيه المنصور ثم ساقوا الإمامة فی بنی العباس إلی المعتصم، إلی أربعين).!

وقال الكراجكی رحمه الله فی كتابه: التعجب من أغلاط العامة ص۶۴:

(الفصل السابع فی أغلاطهم فی العصمة: فمن عجيب أمرهم: أنهم ينكرون عصمة الأنبياءوالأئمة عليهم السلام عن سائر الأنام، ويقولون إن هذه العصمة إن كانت منهم جاز أن تقع فی غيرهم فيساويهم فی منزلتهم، وإن كانت من الله سبحانه فقد جبرهم واضطرهم ولم يستحقوا ثواباً علی عصمتهم!

وهم مع ذلك معترفون بأن النبی صلی الله عليه وآله معصومٌ فی التأدية والتبليغ، ومعصومٌ عما سوی ذلك من جميع كبائر الذنوب فی حال نبوته وقبلها، وأنها عصمة اختيار يستحق عليها الجزاء، ولايساويه أحد من أمته فيها!

ومن عجيب أمرهم: إنكارهم لعصمة الأئمة وقولهم أنها لاتقتضی الإختيار!

ومن العجب قولهم: إن العصمة ثابتة لجميع الأمة منتفية عن كل واحد منها، مع علمهم بأن آحادَهم جماعتُها، وأنها إذا كانت مؤمنة بأجمعها كان الإيمان حاصلاً لآحادها، ولو كفر جميعها لكان الكفر حاصلاً مع كل واحد منها.

وقد قال أحد المعتزلة يوماً وقد سمع هذا الكلام: فرقٌ بين العصمة وما ذكرت من الكفر والإيمان، وذلك أن ما ثبت لكل واحد منها فهو ثابتٌ لجماعتها، وليس كلما ثبت لجماعتها ثابتاً لكل واحد منها، فلذلك إذا آمن آحادها كان جميعها مؤمنين، وإذا كفر آحادها كان جميعها كافرين، وليس إذا ثبت العصمة لجماعتها يكون آحادها معصومين.

فقلت له: ما رأيت أعجب من أمرك وانصرافك عن مقتضی قضيتك، إذا كان ما ثبت لكل واحد من الأمة ثابتاً لجميعها فقد ثبت عندی وعندك الحكم علی كل واحد منها بجواز الخطأ والنسيان وتعمد الغلط فی الأفعال والأقوال، فاحكم بثبوت ذلك لجميعها، وأسقط ما ادعيت من عصمتها! فلم يدر ما يقول بعد هذا!

ومن عجيب أمرهم وطريف رأيهم قولهم: إن الأمة معصومة وقولها حجة، وهی مفتقرةٌ مع ذلك إلی إمام، وإمامها غير معصوم ولا قوله حجة، وليس هو مفتقراً إلی إمام، وهذا من أعجب الأقوال! ومن عجيب المناقضة أن يكون لها إمام ولا يكون ارتفاع العصمة عن الإمام موجباً أن يكون له إمام، ولا يكون أيضاً غناية عن الإمام يقتضی تميزه بالعصمة عن الأنام.

إنهم جعلوا حجتهم فی عصمة الأمة وفی أن إجماعها صواب وحجة خبراً نسبوه إلی رسول الله صلی الله عليه وآله وهو أنه: لاتجتمع أمتی علی ضلالة، وهذا الخبر لايمكنهم علی أصلهم أن يدعوا فيه التواتر، إذا كان غير موجب لسامعيه علی الضرورة بصحته، فهو لامحالة من أخبار الآحاد، فهم إذاً قد جعلوا دليل الدعوی بأن الأمة لاتجتمع علی ضلال قول بعضها، والحجة علی عصمتها شهادة واحد منها، ولم يعلموا أن الخلاف فی قول جميعها يتضمن الخلاف فی قول بعضها، والتخطئة لسائرها يدخل فی التخطئة لواحدها!

وهل هم فی ذلك إلا كمن ادعی الحجة بإجماع عشرة من الناس علی قول أو فعل، وجعل دليله علی ذلك قول واحد من العشرة، ولم

یعلم أن المخالف له فی الحجة بإجماع العشرة لم یصر إلی ذلک إلا بعد المخالفة له فیمن دون العشرة! إذ لو سلَّم الخصم قول بعضها لم یصح خلافه له فی قول جمیعها!

ولما رأوا أن خبرهم لایصح کونه فی قسم المتواتر علی أصلهم، ولا ینصرف عن إضافته إلی أخبار الآحاد التی لا تثبت بها حجة لدعواهم، اشتد غلطهم وعظم زللهم، فأدَّاهم إلی القول بأنهم علموا صحته بالإجماع! وهذا من أعجب الأقوال! وهو فی المناقضة لاحقٌ فی الهذیان، لأن أصل الخلاف إنما هو فی الإجماع وهل هو حجة أم لا، فکیف یکون الإجماع دلیلًا لنفسه، وبرهاناً علی ما یدعی من صوابه؟! ولو جاز هذا لکانت الدعوی نفسها برهاناً والفتوی بعینها دلیلًا، وهذا ما لایخفی فساده علی العقلاء.

ومما یوضح غلطهم فیه أن الدلیل علی الشیء یعرف قبل معرفة الشیء، فإذا کانوا لم یعلموا أن الإجماع حجة، وإن الأمة فیما تخبر به معصومة إلا بالخبر فقد وجب أن یکونوا عالمین بصحته قبل علمهم بأن الإجماع حجة، وإن الأمة فیما تخبر به معصومة، وإذا کانوا لم یعلموا أن الخبر صحیح إلا بالإجماع، فقد وجب أن یکونوا عالمین بأن الإجماع حجة قبل علمهم بصحة الخبر، فکیف یتقدم المؤخر ویتأخر المقدم، وهل رؤی قط أعجب من هذا الأمر؟!).

أقول: ما أوردناه من کلام العلامة الحلی والکراجکی رحمهما الله، یکفی لبیان أن مخالفینا ینقضون عملیاً عصمة الأنبیاء علیهم السلام التی قرروها نظریاً!

نماذج من آراء علمائهم فی عصمة الأنبیاء

هذه آراء بعض کبار علمائهم فی عصمة الأنبیاء علیهم السلام، وهی صریحة فی سلب قسم من العصمة عنهم علیهم السلام، ثم تراهم یسلبون ما أقروا به منها عندما یصلون إلی الإسرائیلیات التی تطعن فی عصمتهم وعدالتهم علیهم السلام، والقرشیات التی تطعن فی عصمة نبینا وعدالته صلی الله علیه وآله، ویؤیدونها بمتشابه الآیات!

وقد بسطنا الکلام فی رأی الفخر الرازی لأنه إمام معترف به عند الأشعریة. وکذا فی رأی ابن تیمیة لأنه هاجم الشیعة بسبب قولهم بالعصمة التامة للأنبیاء علیهم السلام وادعی إجماع السنیین علی ارتکاب الأنبیاء علیهم السلام للمعاصی الصغیرة والکبیرة حتی فی تبلیغ الرسالة، غایة الأمر أن الله تعالی ینبههم أو یؤنبهم ویتوب علیهم!!

ولأنه انفرد بالکشف عن السبب الحقیقی لرفضهم عصمة الأنبیاء علیهم السلام وهو أنها تستوجب الطعن فی أبی بکر وعمر، وذلک لأن الإرتکاز الذهنی یوجب التجانس بین النبی صلی الله علیه وآله وخلیفته، وأبو بکر وعمر قد عبدا الأصنام مدة طویلة، فلو قبلوا أن النبی صلی الله علیه وآله معصوم لما ناسب أن یکونا خلیفتیه، وستری کلامه!

رأی الغزالی

قال فی المستصفی ص۲۷۴: (الفصل الأول فی دلالة الفعل ونقدم علیه مقدمة فی عصمة الأنبیاء، فنقول: لما ثبت ببرهان العقل صدق الأنبیاءوتصدیق الله تعالی إیاهم بالمعجزات، فکل ماینافض مدلول المعجزة فهو محال علیهم بدلیل العقل، ویناقض مدلول المعجزة جواز الکفر والجهل بالله تعالی وکتمان رسالة الله والکذب والخطأ والغلط فیما یبلغ، والتقصیر فی التبلیغ والجهل بتفاصیل الشرع الذی أمر بالدعوة إلیه.

أما ما یرجع إلی مقارفة الذنب فیما یخصه ولایتعلق بالرسالة فلا یدل علی عصمتهم عنه، عندنا دلیل العقل، بل دلیل التوقیف والإجماع قد دل علی عصمتهم عن الکبائر، وعصمتهم أیضاً عما یصغر أقدارهم من القاذورات، کالزنا والسرقة واللواط.

أما الصغائر فقد أنکرها جماعة وقالوا: الذنوب کلها کبائر فأوجبوا عصمتهم عنها، والصحیح أن من الذنوب صغائر وهی التی تکفرها الصلوات الخمس، واجتناب الکبائر کما ورد فی الخبر، وکما قررنا حقیقته فی کتاب التوبة من کتاب إحیاء علوم الدین.

فإن قيل: لِمَ لمْ تثبت عصمتهم بدليل العقل، لأنهم لو لم يعصموا لَنَفَرَت قلوب الخلق عنهم؟!

قلنا: لايجب عندنا عصمتهم من جميع ما ينفِّر، فقد كانت الحرب سجالاً بينه وبين الكفار، وكان ذلك ينفِّر قلوب قوم عن الإيمان ولم يعصم عنه وإن ارتاب المبطلون، مع أنه حفظ عن الخط والكتابة كى لايرتاب المبطلون. وقد ارتاب جماعة بسبب النسخ، كما قال تعالى: وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أعلم بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إنما أنت مُفْتَر. (النحل:۱۰۱) وجماعة بسبب المتشابهات فقالوا: كان يقدر على كشف الغطاء لو كان نبياً لخلَّص الخلق من كلمات الجهل والخلاف كما قال تعالى:فَيَتَّبِعُونَ مَاتَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ (آل عمران:۷) وهذا لأن نفى المنفرات ليس بشرط دلالة المعجزة.

هذا حكم الذنوب، أما النسيان والسهو فلاخلاف فى عصمتهم بما يتعلق بتبليغ الشرع والرسالة، فإنهم كلفوا تصديقه جزماً، ولايمكن التصديق مع تجويز الغلط، وقد قال قوم: يجوز عليه الغلط فيما شرعه بالإجتهاد، لكن لايقرُّ عليه، وهذا على مذهب من يقول المصيب واحد من المجتهدين، أما من قال: كل مجتهد مصيب فلايتصور الخطأ عنده فى اجتهاد غيره فكيف فى اجتهاده).

وقال فى المنخول ص۳۰۹: (وقد تقرر بمسلك النقل كونهم معصومين عن الكبائر، وأما الصغائر ففيه تردد العلماء، والغالب على الظن وقوعه، وإليه تشير بعض الآيات والحكايات.

هذا كلام فى وقوعه، أما جوازه فقد أطبقت المعتزلة على وجوب عصمة النبى عليه السلام عقلاً عن الكبائر تعويلاً على أنه يورث التنفير وهو مناقض لغرض النبوة، وهذا يبطل بكون الحرب سجالاً بينه وبين الكفار وبه اعتصم بعض اليهود فى تكذيبه. والمختار ما ذكره القاضى وهو أنه لايجب عقلاً عصمتهم إذ لايستبان استحالة وقوعه بضرورة العقل ولا بنظر العقل، وليس هو مناقضاً لمدلول المعجزة فإن مدلولها صدق اللهجة فيما يخبر عن الله تعالى، فلاجَرَمَ لايجوز وقوع الكذب فيما يخبر به عن الرب تعالى لاعمداً ولاسهواً، ومعنى التنفير باطل، فإنا نُجَوِّز أن ينبِّئ الله تعالى كافراً ويؤيده بالمعجزة! والمعتزلة يأبون ذلك أيضاً.

والذين أوجبوا عصمته عن الكبيرة اختلفوا، فمنهم من قال كل مخالفة كبيرة بالنسبة إلى عظمته، فلا صغيرة أصلاً وكل مخالفة كبيرة. وهذا كما أن رفع الصوت فوق صوت من يماثل الإنسان، قد يعدُّ صغيرةً وهو بعينه فى مجلس الملوك كبيرة دونه تُحَزُّ الرقاب، فللنسبة بعد تأثير فى تعظيم أثر المخالفة.

والذين أثبتوا الصغيرة اضطربوا، ومثار الإضطراب فى أنه هل يورث التنفير.

أما النسيان فلايجب كونه عندنا معصوماً عنه فى أفعاله وأقواله، إلا فيما يخبر عن الله تعالى، لأن تجويزه مناقض مدلول المعجزة). انتهى.

أقول: لك أن تلاحظ فظاعة مذهب أتباع الخلافة فى قول الغزالى: (ومعنى التنفير باطل، فإنا نُجَوِّز أن ينبِّئَ الله تعالى كافراً ويؤيده بالمعجزة)!! ومعناه أن المهم عندهم فى العقائد والقيم والشرائع التى يدعو إلى الرسول، هو إبلاغها للناس ليطبقوها، وليس أن يطبقها هو!

والمهم فى شخصية الأنبياءوالرسل عليهم السلام ليس إيمانهم بما جاؤوا به ولا تطبيقهم له، بل نقلهم البريدى له! حتيلو كانوا فسقة فجرة كفرة، وضربوا بماأوحى اليهم عرض الجدار، فنفر الناس منهم لتناقضهم وفقدانهم المصداقية!

وهذا يضع يدنا على تأثر علماء السلطة القرشية بتصور اليهود عن أفعال الله تعالى وفقدانها للحكمة! وتصورهم عن أنبياءالله عليهم السلام، وأن النبوة منصب دنيوى كمنصب قضاة بنى إسرائيل، ومنصب الخلافة الأموية والعباسية!

رأى الآمدى

قال فى الأحكام فى أصول الأحكام:۱/۱۶۹:

(المقدمة الأولى:فى عصمة الأنبياء عليهم السلام وشرح الإختلاف فى ذلك، وما وقع الإتفاق من أهل الشرائع على عصمتهم عنه من

المعاصی وما فیه الإختلاف.

أما قبل النبوة فقد ذهب القاضی أبو بکر وأکثر أصحابنا وکثیر من المعتزلة إلی أنه لایمتنع علیهم المعصیة کبیرة کانت أو صغیرة، بل ولا یمتنع عقلًا إرسال من أسلم وآمن بعد کفره.

وذهبت الروافض إلی امتناع ذلک کله منهم قبل النبوة، لأن ذلک مما یوجب هضمهم فی النفوس واحتقارهم والنفرة عن اتباعهم، وهو خلاف مقتضی الحکمة من بعثة الرسل، ووافقهم علی ذلک أکثر المعتزلة، إلا فی الصغائر.

والحق ما ذکره القاضی لأنه لاسمع قبل البعثة یدل علی عصمتهم عن ذلک والعقل دلالته مبنیة علی التحسین والتقبیح العقلی، ووجوب رعایة الحکمة فی أفعال الله تعالی، وذلک کله مما أبطلناه فی کتبنا الکلامیة.

وأما بعد النبوة فالإتفاق من أهل الشرائع قاطبة علی عصمتهم عن تعمد کل ما یخل بصدقهم فیما دلت المعجزة القاطعة علی صدقهم فیه، من دعوی الرسالة والتبلیغ عن الله تعالی.

واختلفوا فی جواز ذلک علیهم بطریق الغلط والنسیان، فمنع منه الأستاذ أبو إسحاق وکثیر من الأئمة، لما فیه من مناقضة دلالة المعجزة القاطعة. وجوَّزه القاضی أبو بکر، مصیراً منه إلی أن ما کان من النسیان وفلتات اللسان غیر داخل تحت التصدیق المقصود بالمعجزة، وهو الأشبه.

وأما ما کان من المعاصی القولیة والفعلیة التی لادلالة للمعجزة علی عصمتهم عنها، فما کان منها کفراً فلا نعرف خلافاً بین أرباب الشرائع فی عصمتهم عنه، إلا ما نقل عن الأزارقة من الخوارج أنهم قالوا بجواز بعثة نبی علم الله أنه یکفر بعد نبوته، وما نقل عن الفضلیة من الخوارج أنهم قضوا بأن کل ذنب یوجد فهو کفر، مع تجویزهم صدور الذنوب عن الأنبیاءفکانت کفراً.

وأما ما لیس بکفر، فإما أن یکون من الکبائر أو لیس منها. فإن کان من الکبائر فقد اتفقت الأمة سوی الحشویة ومن جوز الکفر علی الأنبیاء، علی عصمتهم عن تعمده من غیر نسیان ولا تأویل، وإن اختلفوا فی أن مدرک العصمة السمع، کما ذهب إلیه القاضی أبو بکر والمحققون من أصحابنا، أو العقل، کما ذهب إلیه المعتزلة.

وأما أن کان فعل الکبیرة عن نسیان أو تأویل خطأ، فقد اتفق الکل علی جوازه سوی الرافضة.

وأما ما لیس بکبیرة، فإما أن یکون من قبیل ما یوجب الحکم علی فاعله بالخسة ودناءة الهمة وسقوط المروءة، کسرقة خبزة أو کسرة، فالحکم فیه کالحکم فی الکبیرة. وأما ما لایکون من هذا القبیل کنظرة أو کلمة سفه نادرة فی حالة غضب، فقد اتفق أکثر أصحابنا وأکثر المعتزلة علی جوازه عمداً وسهواً خلافاً للشیعة مطلقاً، وخلافاً للجبائی والنظّام وجعفر بن مبشر فی العمد). انتهی.

وتلاحظ فی رأی الآمدی تصدیق قول العلامة الحلی قدس سره فی نهج الحق ص۱۵۹:

(واعلم أن البحث مع الأشاعرة فی هذا الباب ساقط، وأنهم إن بحثوا فی ذلک استعملوا الفضول، لأنهم یجوزون تعذیب المکلف علی أنه لم یفعل ما أمره الله تعالی به من غیر أن یعلم ما أمره به، ولا أرسل إلیه رسولاً البتة!....

فکیف یمکن للأشاعرة منع کفر النبی علیه السلام وهو من الله وکل ما یفعله تعالی فهو حسن! وکذا أنواع المعاصی! وکیف یمکنهم مع هذا المذهب التنزیه للأنبیاء علیهم السلام؟! نعوذ بالله من مذهب یؤدی إلی تحسین الکفر وتقبیح الإیمان، وجواز بعثة من اجتمعت فیه کل الرذائل والسقطات. وقد عرفت من هذا أن الأشاعرة فی هذا الباب، قد أنکروا الضروریات). انتهی.

رأی القاضی عیاض

قال فی کتابه (الشفا بتعریف حقوق المصطفی):۲/۱۷۲:

(فصل: قد استبان لک أیها الناظر مما قررناه ماهو الحق من عصمته(ص) عن الجهل بالله وصفاته، أو کونه علی حالة تنافی العلم شئ من ذلک کله جملة، بعد النبوة عقلًا وإجماعاً، وقبلها سماعاً ونقلاً، ولا بشئ مما قررناه من أمور الشرع، وأداه عن ربه من الوحی، قطعاً

وعقلًا وشرعاً.

وعصمته عن الكذب وخلف القول، منذ نبأه الله وأرسله، قصداً أو غير قصد، واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ونظراً وبرهاناً، وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً، وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً، وعن الصغائر تحقيقاً، وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة، وعصمته فى كل حالاته من رضاً وغضب، وجد ومزح). انتهى.

أقول: بذل القاضى عياض جهده فى كتابه لإظهار النبى صلى الله عليه وآله بمظهر لائق وتنزيهه عما نسبوه اليه من أخطاء ومعاص، لكنه اصطدم دائماً بالقرشيات التى ملأت الصحاح، فحاول معالجتها وتأويلها بما يحفظ رواياتها، ويحفظ مكانة النبى صلى الله عليه وآله فلم يحالفه التوفيق، كما سترى فى قضة الغرانيق!

رأى الفخر الرازى

قال فى المحصول:۳/۲۲۵: (اختلفت الأمة فى عصمة الأنبياء عليهم السلام على قولين: أحدهما، قول من ذهب إلى أنه لايجوز أن يقع منهم ذنب صغيراً كان أو كبيراً، لاعمداً ولاسهواً ولا من جهة التأويل، وهو قول الشيعة.

والإخر: قول من ذهب إلى جوازه عليهم، ثم اختلفوا فيما يجوز من ذلك وما لايجوز. والإختلاف فى هذا الباب يرجع إلى أقسام أربعة:

أحدها، ما يقع فى باب الإعتقاد وقد اتفقوا على أنه لايجوز أن يقع منهم الكفر، وقالت الفضيلية من الخوارج أنه قد وقعت منهم ذنوب وكل ذنب عندهم كفر وشرك. وأجازت الشيعة إظهار الكفر على سبيل التقية.

فأما الإعتقاد الخطأ الذى لايبلغ الكفر، مثل أن يعتقد مثلًا أن الأعراض باقية ولايكون كذلك، فمنهم من أباه لكونه منفراً، ومنهم من جوزه.

وثانيها، باب التبليغ، واتفقوا على أنه لايجوز عليهم التغيير، وإلا لزال الوثوق بقولهم. وقال قوم يجوز ذلك من جهة السهو.

وثالثها، ما يتعلق بالفتوى، واتفقوا أيضاً على أنه لايجوز عليهم الخطأ فيه، وجوزه قوم على سبيل السهو.

ورابعها، مايتعلق بأفعالهم، واختلفت الأمة فيه على أربعة أقوال:

أحدها: قول من جوَّز عليهم الكبائر عمداً. وهؤلاء منهم من قال بوقوع هذا الجائز وهم الحشوية، وقال القاضى أبو بكر: هذا وإن جاز عقلًا ولكن السمع منع من وقوعه.

وثانيها: أنه لايجوز أن يرتكبوا كبيرة ولاصغيرة عمداً، لكن يجوز أن يأتوا بها على جهة التأويل، وهو قول الجبائى.

وثالثها: أنه لايجوز ذلك لا عمداً ولامن جهة التأويل لكن على سبيل السهو، وهم مؤاخذون بما يقع منهم على هذه الجهة، وإن كان موضوعاً عن أمتهم، لأن معرفتهم أقوى فيقدرون على التحفظ عما لا يتأتَّى لغيرهم.

ورابعها: أنه لا يجوز أن يرتكبوا كبيرة، وأنه قد وقعت منهم صغائر على جهة العمد والخطأ والتأويل إلا ما ينفر كالكذب والتطفيف، وهو قول أكثر المعتزلة.

والذى نقول به أنه لم يقع منهم ذنب على سبيل القصد لاصغيراً ولاكبيراً، أما السهو فقد يقع منهم لكن بشرط أن يتذكروه فى الحال وينبهوا غيرهم على أن ذلك كان سهواً، وقد سيقت هذه المسألة فى علم الكلام، ومن أراد الإستقصاء فعليه بكتابنا فى عصمة الأنبياء، والله أعلم). انتهى.

وقال فى عصمة الأنبياءص۸:

[الرابع] ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم، وقد اختلفوا فيه على خمسة مذاهب:

الأول: الحشوية وهو أنه يجوز عليهم الإقدام على الكبائر والصغائر.

الثانى: أنه لايجوز منهم تعمد الكبيرة البتة، وأما تعمد الصغيرة فهو جائز بشرط أن لا تكون منفراً، وأما أن كانت منفراً فذلک لايجوز عليهم، مثل التطفيف بما دون الحبة، وهو قول أكثر المعتزلة.

الثالث: أنه لايجوز عليهم تعمد الكبيرة والصغيرة، ولكن يجوز صدور الذنب منهم على سبيل الخطأ فى التأويل، وهو قول أبى على الجبائى.

الرابع: أنه لايجوز عليهم الكبيرة ولاالصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل والخطأ. أما السهو والنسيان فجائز، ثم إنهم يعاتبون على ذلک السهو والنسيان لِمَا أن علومهم أكمل، فكان الواجب عليهم المبالغة فى التيقظ، وهو قول أبى إسحاق إبراهيم بن سيار النظام.

الخامس: أنه لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة، لا بالعمد ولا بالتأويل، ولا بالسهو والنسيان. وهذا مذهب الشيعة.

واختلفوا أيضاً فى وقت وجوب هذه العصمة، فقال بعضهم: أنها من أول الولادة إلى آخر العمر، وقال الأكثرون هذه العصمة إنما تجب فى زمان النبوة فأما قبلها فهى غير واجبة. وهو قول أكثر أصحابنا رحمهم الله تعالى

والذى نقول: أن الأنبياء عليهم السلام معصومون فى زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد، أما على سبيل السهو فهو جائز.

ويدل على وجوب العصمة وجوه خمسة عشرة:

الحجة الأولى، لو صدر الذنب عنهم لكان حالهم فى استحقاق الذم عاجلاً والعقاب آجلاً أشد من حال عصاة الأمة، وهذا باطل....

الحجة الثانية، لو صدر الذنب عنهم لما كانوا مقبولى الشهادة لقوله تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا....

الحجة الثالثة، لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم، لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لكن زجر الأنبياءعليهم الصلاة والسلام غير جائز، لقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخرة، فكان صدور الذنب عنهم ممتنعاً...

الحجة الرابعة، لو صدر الفسق عن محمد عليه الصلاة والسلام لكنا إما أن نكون مأمورين بالإقتداء به وهذا لايجوز، أولانكون مأمورين بالإقتداء به وهذا أيضاً باطل لقوله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ....

الحجة الخامسة، لو صدرت المعصية عن الأنبياء عليهم السلام لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب الله بعذاب جهنم، لقوله تعالى: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ، ولكانوا ملعونين لقوله تعالى: إلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ...

الحجة السادسة، إنهم كانوا يأمرون بالطاعات وترک المعاصى، ولو تركوا الطاعة وفعلوا المعصية لدخلوا تحت قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ.كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاتَفْعَلُونَ. وتحت قوله تعالى: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ...

الحجة السابعة، قال الله تعالى فى صفة إبراهيم وإسحاق ويعقوب: إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، والألف واللام فى صيغة الجمع تفيد العموم فدخل تحت لفظ الخيرات فعل كل ما ينبغى وترک كل ما لاينبغى، وذلک يدل على أنهم كانوا فاعلين لكل الطاعات وتاركين لكل المعاصى.

الحجة الثامنة، قوله تعالى: إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الإخيَار.... فدلت هذه الآية على أنهم كانوا من المصطفين الإخيار فى كل الأمور...

الحجة التاسعة، قوله تعالى حكاية عن إبليس: قَالَ فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أجمعين، إلاعِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. استثنى المخلصين من إغوائه وإضلاله. ثم إنه تعالى شهدعلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أنهم من المخلصين، حيث قال: أنا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ.وقال فى حق يوسف عليه السلام:إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ فلما أقر إبليس أنه لايغوى المخلصين، وشهد الله بأن هؤلاء من المخلصين، ثبت أن إغواء إبليس ووسوسته ما وصلت إليهم...

الحجة العاشرة، قال الله تعالى: وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبليس ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إلافَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فهؤلاء الذين لم يتبعوا إبليس إما أن يقال إنهم الأنبياءأو غيرهم فإن كانوا غيرهم لزم أن يكونوا أفضل منهم....

الحجة الحادية عشرة، أنه تعالى قسم المكلفين إلى قسمين: حزب الشيطان كما قال تعالى:أَولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ إلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وحزب الله كما قال تعالى: أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ إلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. ولاشك أن حزب الشيطان هو الذى يفعل مايريد الشيطان ويأمره به، فلو صدرت الذنوب عن الأنبياءلصدق عليهم أنهم من حزب الشيطان، ولصدق عليهم قوله تعالى: إلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ، ولصدق على الزهاد من آحاد الأمة قوله تعالى: إلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وحينئذ يلزم أن يكون واحد من آحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء، ولا شك فى بطلانه..

الحجة الثانية عشرة، إن أصحابنا بينوا أن الأنبياءأفضل من الملائكة، وثابت بالدلالة أن الملائكة ما أقدموا على شئ من الذنوب، فلو صدرت الذنوب عن الأنبياءلامتنع أن يكونوا زائدين فى الفضل على الملائكة...

الحجة الثالثة عشرة، قال الله تعالى فى حق إبراهيم عليه السلام:إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً، والإمام هو الذى يقتدى به، فلو صدر الذنب عن إبراهيم لكان اقتداء الخلق به فى ذلك الذنب واجباً. وإنه باطل.

الحجة الرابعة عشرة، قوله تعالى: لايَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ، فكل من أقدم على الذنب كان ظالماً لنفسه لقوله تعالى: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ. إذا عرفت هذا فنقول: ذلك العهد الذى حكم الله تعالى بأنه لايصل إلى الظالمين إما أن يكون هو عهد النبوة أو عهد الإمامة، فإن كان الأول فهو المقصود، وإن كان الثانى فالمقصود أظهر، لأن عهد الإمامة أقل درجة من عهد النبوة، فإذا لم يصل عهد الإمامة إلى المذنب العاصى، فبأن لايصل عهد النبوة إليه أولى.

الحجة الخامسة عشرة، روى أن خزيمة بن ثابت الأنصارى(رض)شهد على وفق دعوى النبى(ص)مع أنه ماكان عالماً بتلك الواقعة فقال خزيمة: إنى أصدقك فيما تخبر عنه من أحوال السماء، أفلا أصدقك فى هذا القدر؟! فلما ذكر ذلك صدقه النبى(ص)فيه ولقبه بذى الشهادتين، ولو كان الذنب جائزاً على الأنبياءلكانت شهادة خزيمة غير جائزة....

ثم قال الرازى:(واعلم أن شبهات المخالفين فى هذه المسألة كثيرة، ونحن نذكرها على سبيل الإختصار...). انتهى.

ملاحظات على كتاب عصمة الأنبياء للفخر الرازى

الملاحظة ۰۱

أنه تأثر كثيراً بمنهج السيد المرتضى فى كتابه تنزيه الأنبياء عليهم السلام الذى ألفه قبله بأكثر من قرن ونصف، بل يمكن القول إن كتاب عصمة الأنبياء عليهم السلام للرازى هو نفس كتاب تنزيه الأنبياء عليهم السلام للسيد المرتضى، مصوغاً بقلم سنى!

الملاحظة ۰۲

أن الرازى كغيره من علماء الأشعرية، يجيدون الدفاع عن الأنبياء عليهم السلام عندما يعتمدون العقل والفطرة الإنسانية، فيجئ دفاعهم قوياً متماسكاً، لكنهم عندما يصطدمون بعشرات الأحاديث الصحيحة عندهم فى البخارى ومسلم وغيرهما، ينخنث كلامهم ويضطرب! فترى بعضهم يغمض بصره عن تلك الأحاديث، أو يشير اليها إشارة ويردها، وأحياناً أخرى يدافع عنها، فيقع فى التناقض!

فالمشكلة الأساسية التى تواجه الباحث منهم ليست الآيات المتشابهة التى يفهم من ظاهرها معصية الأنبياء عليهم السلام وتحتاج إلى تفسير أو تأويل، بل الإسرائيليات التى تثقل كاهل الصحاح فى ذم الأنبياء عليهم السلام، ولا يمكن تأويلها!

نعم إن العقبة الكأداء هى القرشيات التى روتها مصادرهم فى ذم نبينا صلى الله عليه وآله وربطتها بالآيات المتشابهة وفسرتها بها، أو جعلتها سبباً لنزولها كذباً وزوراً!

وقلما تجد من علمائهم صاحب شجاعة، يتقرب إلى الله تعالى ويتخطى هذه الموانع دفاعاً عن نبينا صلى الله عليه وآله وأنبياءالله عليهم

السلام!

لاحظ ما قاله الرازی فی ص۷۲، فی قصة نبی الله داود علیه السلام:(فاعلم أن الذی أقطع به عدم دلالة هذه الآیة علی صدور الكبیرة من داود علیه السلام. وبیانه من وجوه:

الأول، أن الذی حكاه المفسرون عن داود وهو أنه عشق امرأة أوریا فاحتال حتی قتل زوجها فتزوجها، لایلیق بالأنبیاء، بل لو وصف به أفسق الملوک لكان منكراً.

الثانی، أن الدخول فی دم أوریا أعظم من التزوج بامرأته، فكیف ترک الله الذنب الأعظم واقتصر علی ذكر الإخف؟!

الثالث، أن السورة من أولها إلی آخرها فی محاجة منكری النبوة، فكیف یلائمها القدح فی بعض أكابر الأنبیاءبهذا الفسق القبیح؟!

الرابع، أن الله تعالی وصف داود علیه السلام فی ابتداء القصة بأوصاف حمیدة، وذلک ینافی ما ذكروه فی الحكایة.....!

فإن قلت: إن كثیراً من المحدثین روی هذه الحكایة!

قلت: هذه الدلائل الباهرة لما أبطلت قولهم وجب القطع بفسادها، فالعجب اتفاق الناس علی أن خبر الواحد لایفید إلا الظن، والظن إنما ینتفع به فی العملیات وهذه المسألة لیست من العملیات، فصارت روایتهم ساقطة العبرة من كل الوجوه....وعن سعید بن المسیب والحارث الأعور أن علیاً(رض)قال:من حدثكم بحدیث داود علیه السلام علی ما یرویه القُصَّاص جلدته مأتین وستین وهو حد الفریة علی الأنبیاء علیهم السلام. وروی أن واحداً ذكر ذلک الخبر عند عمر بن عبد العزیز وعنده رجل من أهل الحق، فكذب المحدث به وقال: إن كانت القصة علی ما فی كتاب الله تعالی فما ینبغی أن نلتمس خلافها، وإن كان علی ما ذكرت وكفَّ الله عنها ستراً علی نبیه فیما ینبغی إظهار ما علیه. فقال عمر: سماعی هذا الكلام أحب إلی مما طلعت الشمس علیه). انتهی.

فأنت تری أن الرازی أجاد، لأنه جری فی كلامه علی مقتضی العقل والفطرة، وردَّ إسرائیلیات رواة السلطة، لأنها تنافی عصمة نبی الله داود علیه السلام.

لكنه لایملک هذه الشجاعة إذا وصل إلی القرشیات التی یستوجب ردها أن یضرب بروایة البخاری عرض الجدار، مع أن البخاری دخل فی الرواة الذین هاجمهم! حیث تبنی اتهام رواة الإسرائیلیات لداود علیه السلام! قال فی:۴/۱۳۴: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ.....إِنَّ هَذَا أخی لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً..... یقال للمرأة نعجة، ویقال لها أیضاً شاة...الخ.)! انتهی.

ومعنی هذا أن البخاری تبنی كل إسرائیلیات السلطة، لأنها كلها مبنیة علی أن المقصود بتسع وتسعین نعجة: تسعٌ وتسعون امرأة!!

ومن تأثیر قداسة البخاری علی الرازی أنه قال بتنزیه الأنبیاء علیهم السلام وساق حججه التی رأیت بعضها، لكنه غض بصره عن أحادیث البخاری وغیره التی تنسبهم إلی المعاصی، ولم یؤولها ولم یردها!

لقد أطال فی ص۲۸ وما بعدها فی الدفاع عن نبی الله إبراهیم علیه السلام، فقال عن الآیات التی تمسكوا بها فی اتهامه بالكفر والكذب: (تمسكوا بها من وجوه تسعة: الأولی: قوله تعالی حاكیاً عن إبراهیم علیه السلام:قَالَ هَذَا رَبِّی، فلا یخلو إما أن یقال إنه قال هذا الكلام فی النظر والإستدلال أو قبل البلوغ أو بعده....

والأصح من هذه الأقوال أن ذلک علی وجه الإعتبار والإستدلال لا علی وجه الأخبار، ولذلک فإن الله تعالی لم یذم إبراهیم علیه السلام علی ذلک، بل ذكره بالمدح والتعظیم، وأنه أراه ذلک كی یكون من الموقنین، هذا هو البحث المشهور فی الآیة، وفیها أبحاث أخر من حیث أن بعض الملاحدة قال إن إبراهیم استدل علی الشیئ بما لایدل علیه وذكر أشیاء لا تصح، فكان الطعن متوجهاً، ونحن نذكر كل واحد من تلک الأسئلة الأربعة عشرة مع جوابه....). انتهی.

وقد تقدم قول الرازی: (الحجة الثالثة عشرة: قال الله تعالی فی حق إبراهیم علیه السلام: إِنِّی جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً، والإمام هو الذی یقتدی به، فلو صدر الذنب عن إبراهیم لكان اقتداء الخلق به فی ذلک الذنب واجباً. وإنه باطل). انتهی.

فهل فاته أنه بذلک یطعن فیما رواه البخاری عن الأنبیاء علیهم السلام؟!

رأی ابن تیمیة و مشبهة الحنابلة فی عصمة الأنبیاء

ابن تیمیة یهاجم الشیعة لقولهم بعصمة الأنبیاء

قال فی منهاج سنته:۱/۴۷۳: (وأما الرافضة فأشبهوا النصاری، فإن الله تعالی أمر الناس بطاعة الرسل فیما أمروا به، وتصدیقهم فیما أخبروا به، ونهی الخلق عن الغلو والإشراک بالله تعالی، فبدلت النصاری دین الله تعالی فغلوا فی المسیح فأشرکوا به وبدلوا دینه.....
وکذلک الرافضة غَلَوْا فی الرسل بل فی الأئمة حتی اتخذوهم أرباباً من دون الله، فترکوا عبادة الله وحده لاشریک له التی أمرهم بها الرسل، وکذبوا الرسل فیما أخبروا به من توبة الأنبیاءواستغفارهم)! انتهی.
یقصد بذلک أن الشیعة کذبوا الرسل فی أن الأنبیاء علیهم السلام قد ارتکبوا المعاصی وتابوا، وذلک لأن الشیعة یکذبون الإسرائیلیات فی مصادر الخلافة القرشیة التی تنسب إلی الأنبیاء علیهم السلام المعاصی، فتکذیبها عنده یعتبر تکذیباً للرسل وکفراً!!

السبب الغریب لهجوم ابن تیمیة علی العصمة

کشف ابن تیمیة عن سبب حملته علی الشیعة لتنزیههم الأنبیاء علیهم السلام!
فقد تخیل أن غرضهم من ذلک الطعن بأبی بکر وعمر، لأن عقیدة العصمة التامة تجعل المعاصی فضیلة وارتکابها منقصة، وأبو بکر وعمر کانا کافرین قبل الإسلام یرتکبان المعاصی، فیکون ذلک منقصة فیهما، فلا یستحقان مقام الخلافة عن النبی المعصوم عصمة تامة!.
لذا رأی ابن تیمیة أنه یجب الدفاع عن أبی بکر وعمر، وذلک برفض عقیدة العصمة التامة للأنبیاء علیهم السلام، والقول بأنهم کانوا قبل النبوة مثل أبی بکر وعمر کفاراً یرتکبون المعاصی ثم تابوا، ثم بجعل الکافر ومرتکب المعصیة التائب أفضل من غیر مرتکبها!!
قال فی منهاج سنته: ۲/۴۲۹: (وأما ما تقوله الرافضة من أن النبی قبل النبوة وبعدها لایقع منه خطأ، ولاذنب صغیر وکذلک الأئمة، فهذا مما انفردوا به عن فرق الأمة کلها، وهو مخالف للکتاب والسنة وإجماع السلف، ومن مقصودهم بذلک القدح فی إمامة أبی بکر وعمر رضی الله عنهما لکونهما أسلما بعد الکفر، ویدعون أن علیاً(رض)لم یزل مؤمناً، وأنه لم یخطئ قط ولم یذنب قط، وکذلک تمام الإثنی عشر. وهذا مما یظهر کذبهم وضلالهم فیه لکل ذی عقل یعرف أحوالهم! ولهذا کانوا هم أغلی الطوائف فی ذلک وأبعدهم عن العقل والسمع....
ونکتة أمرهم أنهم ظنوا وقوع ذلک من الأنبیاءوالأئمة نقصاً، وإن ذلک یجب تنزیههم عنه، وهم مخطئون إما فی هذه المقدمة وإما فی هذه المقدمة.
أما المقدمة الأولی فلیس من تاب إلی الله تعالی وأناب إلیه بحیث صار بعد التوبة أعلی درجة مما کان قبلها، منقوصاً ولا مغضوضاً منه، بل هذا مفضَّلٌ عظیمٌ مکرمٌ، وبهذا ینحل جمیع ما یوردونه من الشبه). انتهی!!
ثم أفاض ابن تیمیة بذکر فضائل من یعصی ویتوب، فقال فی منهاجه ۲/۴۳۰:
(وفی الصحیحین عن النبی(ص)من غیر وجه أنه قال: لله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دوِّیَّة مهلکة، علیها طعامه وشرابه، فقال (من القیلولة) تحت شجرة ینتظر الموت، فلما استیقظ إذا بدابته علیها طعامه وشرابه! فکیف تجدون فرحه بها؟ قالوا: عظیماً یا رسول الله. قال: لله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته..... فمن یجعل التائب الذی اجتباه الله وهداه منقوصاً بما کان من الذنب الذی تاب منه، وقد صار بعد التوبة خیراً مما کان قبل التوبة، فهو جاهل بدین الله تعالی وما بعث الله به رسوله)!!.
ثم تنازل ابن تیمیة قلیلاً، فقال: (ولسنا نقول إن کل من أذنب وتاب فهو أفضل ممن لم یذنب ذلک الذنب، بل هذا یختلف باختلاف أحوال الناس! فمن الناس من یکون بعد التوبة أفضل، ومنهم من یعود إلی ما کان ومنهم من لا یعود إلی مثل حاله. والأصناف الثلاثة

فيهم من هو أفضل ممن لم يذنب ويتب، وفيهم من هو مثله، وفيهم من هو دونه). انتهى.

ومعنى كلامه أن الكافر مرتكب المعصية إذا تاب، قد يكون أحياناً خيراً ممن لم يكفر ولم يرتكب المعصية!

ثم قال: (بل أقوال هؤلاء الذين غلوا بجهل من الأقوال المبتدعة في الإسلام (بقولهم بالعصمة التامة) وهم قصدوا تعظيم الأنبياءبجهل، كما قصدت النصارى تعظيم المسيح وأحبارهم ورهبانهم بجهل، فأشركوا بهم واتخذوهم أرباباً من دون الله)!

ثم ارتكب ابن تيمية مصادرة واضحة فاستدل على معاصي الأنبياء عليهم السلام بما رووه من الإسرائيليات، وبظواهر بعض الآيات المتقدمة! قال في منهاجه۲/۴۳۵:

(بل كتب التفسير والحديث والآثار والزهد وأخبار السلف مشحونةٌ عن الصحابة والتابعين بمثل ما دل عليه القرآن (أي ارتكاب الأنبياءللمعاصي!) وليس فيهم من حرَّف الآيات كتحريف هؤلاء، ولا من كذب بما في الأحاديث كتكذيب هؤلاء، ولا من قال هذا يمنع الوثوق أو يوجب التنفير ونحو ذلك، كما قال هؤلاء)!

وقال: (وأما المسائل المتقدمة فقد شرك غير الإمامية فيها بعض الطوائف إلا غلوهم في عصمة الأنبياءفلم يوافقهم عليه أحد أيضاً، حيث ادعوا أن النبي (ص)لايسهو، فإن هذا لايوافقهم عليه أحد فيما علمت، اللهم إلا أن يكون من غلاة جهال النساك، فإن بينهم وبين الرافضة قدراً مشتركاً في الغلو وفي الجهل والإنقياد لما لا يعلم صحته، والطائفتان تشبهان النصارى في ذلك)!

وقال في:۲/۳۹۳: (فصل: وأما قوله وإن الأنبياءمعصومون من الخطأ والسهو والمعصية صغيرها وكبيرها من أول العمر إلى آخره، وإلا لم يبق وثوق بما يبلغونه فانتفت فائدة البعثة ولزم التنفير عنهم.

فيقال: أولاً، إن الإمامية متنازعون في عصمة الأنبياء.... ثم يقال ثانياً قد اتفق المسلمون عليأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله فلايجوز أن يقرَّهم على الخطأ في شئ مما يبلغونه عنه، وبهذا يحصل المقصود من البعثة، وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبياً لايخطئ أو لايذنب، فليس في النبوة ما يستلزم هذا).

لاحظ قوله: (لايجوز أن يقرَّهم على الخطأ في شئ مما يبلغونه عنه) فهو صريح في أن الأنبياءقد يخطئون حتى بعد البعثة في التبليغ عن الله تعالى! غاية الأمر أن الله لايقرهم على الخطأ بل يوبخهم ويصحح لهم، وذلك لتبرير زعم قريش أن النبي صلى الله عليه وآله زاد في القرآن وكفر، ومدح الأصنام في سورةالنجم بأنهن الغرانيق العلى، وشفاعتهن ترتجى، فنزل جبرئيل ووبخه وصحح له!

ثم قال في:۲/۳۹۷ (والله تعالى قد أخبر أنه يبدل السيئات بالحسنات للتائب، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، ومعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم من عهد الرسول(ص)وقبل أن يصدر منهم مايدعونه من الأحداث، كانوا من خيار الخلق، وكانوا أفضل من أولادهم الذين ولدوا بعد الإسلام). انتهى.

وبذلك كشف ابن تيمية عن هدفه وغرضه، وهو أن يثبت أن كفر أبي بكر وعمر ومعاصيهما قبل الإسلام، وكذا معاصي بعض الصحابة بعد الإسلام، لاتنقص من درجتهم، ولاتجعل درجة عليٍّ عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله لعصمتهما التي يدعيها الشيعة، وعدم عبادتهما للأصنام، أرفع من درجة الصحابة!

ثم تمادى ابن تيمية فاعتبر أن القول بعصمة الأنبياءالتامة هو حرمان للأنبياء عليهم السلام من الوقوع في المعاصي والفوز بالتوبة وثوابها العظيم!! قال في نفس الموضع:

(وأيضاً: فوجوب كون النبي لايتوب إلى الله فينال محبة الله وفرحه بتوبته وترتفع درجته بذلك، ويكون بعد التوبة التي يحبه الله منه خيراً مما كان قبلها، فهذا مع ما فيه من التكذيب للكتاب والسنة، غض من مناصب الأنبياءوسلبهم هذه الدرجة، ومنع إحسان الله إليهم وتفضله عليهم بالرحمة والمغفرة.

ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره وتاب بعد ذنبه، فهو مخالف ماعلم بالإضطرار من دين الإسلام! فإنه من المعلوم أن الصحابة الذين آمنوا برسول الله(ص)بعد كفرهم وهداهم الله به بعد ضلالهم، وتابوا إلى الله بعد ذنوبهم

أفضل من أولادهم الذين ولدوا على الإسلام!

وهل يُشَبِّهُ بنى الأنصار بالأنصار، أو بنى المهاجرين بالمهاجرين إلا من لا علم له!!...... وقد قال عمر بن الخطاب(رض)إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ فى الإسلام من لم يعرف الجاهلية)!! انتهى.

فالنبى عند ابن تيمية إذا ذاق طعم الكفر والجرائم والمعاصى مثل أبى بكر وعمر، يكون أقرب إلى الله تعالى! والذين يقولون بعصمة النبى عليه السلام وعدم صدور المعاصى منه فقد نقصوه حقه وحرموه من النعمة العظيمة التى لاتتحقق إلا بالكفر أو بالمعاصى وهى فرحة الله بتوبته، والتى فاز بها أبو بكر وعمر!

وهكذا يظهر لك أن مكانة أبى بكر وعمر عنده هى حجر الزاوية فى هندسة عقائده(الإسلامية)! وأنه لايخجل فى سلب العصمة عن جميع الأنبياء عليهم السلام ورميهم بالكفر والمعاصى حتى بعد النبوة، من أجل مساواتهم بأبى بكر وعمر! والتفضل عليهم بدرجة التوبة العظيمة التى نالها أبو بكر وعمر بتوبتهما من كفرهما ومعاصيهما!

وقد واصل ابن تيمية خطبة الجمعة فى مقام التائبين من جرائمهم، وكيف أن الله تعالى يمحوها بل يبدلها حسنات، ثم قال فى:۲/۴۰۰:(وكذلك من اتفق أن شرب السم فسقى ترياقاً فاروقاً يمنع نفوذ سائر السموم فيه، كان بدنه أصح من بدن من لم يشرب ذلك الترياق. والذنوب إنما تضر أصحابها إذا لم يتوبوا منها. فهذا وأمثاله من خيار تأويلات المانعين لما دل عليه القرآن من توبة الأنبياءمن ذنوبهم واستغفارهم، وزعمهم أنه لم يكن هناك مايوجب توبة ولااستغفار ولاتفضل الله عليه بمحبته وفرحه بتوبتهم ومغفرته ورحمته لهم. فكيف بسائر تأويلاتهم التى فيها من تحريف القرآن وقول الباطل على الله، ما ليس هذا موضع بسطه!

وقال: (والمقصود هنا أن الذين ادعوا العصمة مما يتاب منه، عمدتهم أنه لو صدر منهم الذنب لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة، لأن درجتهم أعلى فالذنب منهم أقبح، وأنه يجب أن يكون فاسقاً فلا تقبل شهادته، وأنه حينئذ يستحق العقوبة فلا يكون إيذاؤه محرماً وأذى الرسول محرم بالنص، وأنه يجب الإقتداء بهم ولايجوز الإقتداء بأحد فى ذنب. ومعلوم أن العقوبة ونقص الدرجة إنما يكون مع عدم التوبة، وهم معصومون من الإصرار).

ثم ذكر عدداً من أدعية النبى صلى الله عليه وآله مستدلاً بها على أنها دليل على صدور الذنوب الصغيرة والكبيرة منه صلى الله عليه وآله والعياذ بال له، وإن ذلك لم يكن ينفر المسلمين منه!

ثم ختم كلامه بقوله:۲/۴۰۸: (وهذا عمر بن الخطاب(رض)قد علم تعظيم رعيته له وطاعتهم، مع كونه دائماً كان يعترف بما يرجع عنه من خطأ، وكان إذا اعترف بذلك وعاد إلى الصواب زاد فى أعينهم وازدادوا له محبة وتعظيماً.... فعلم أن التوبة والإستغفار (من المعاصى) لاتوجب تنفيرأولاًتزيل وثوقاً)!!

دفاع ابن تيمية عن اليهود و عن أسطورة الغرانيق

قال فى منهاج سنته::۲/۴۰۹: (وما أعلم أن بنى إسرائيل قدحوا فى نبى من الأنبياءبتوبته فى أمر من الأمور! وإنما كانوا يقدحون فيهم بالإفتراء عليهم كما كانوا يؤذن موسى عليه السلام، وإلا فموسى قد قتل القبطى قبل النبوة، وتاب من سؤال الرؤية، وغير ذلك بعد النبوة، وما أعلم أحداً من بنى إسرائيل قدح فيه بمثل هذا. وما جرى فى سورة النجم من قوله:(تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى) على المشهور عند السلف والخلف من أن ذلك جرى على لسانه ثم نسخه الله وأبطله، هو من أعظم (الردود)على قول هؤلاء...

والعصمة المتفق عليها أنه لا يُقَرُّ على خطأ فى التبليغ بالإجماع، ومن هذا فلم يعلم أحد من المشركين نفر برجوعه عن هذا، وقوله إن هذا مما ألقاه الشيطان. ولكن روى أنهم نفروا لما رجع إلى ذم آلهتهم بعد ظنهم أنه مدحها، فكان رجوعهم لدوامه على ذمها، لا لأنه قال شيئاً ثم قال إن الشيطان ألقاه. وإذا كان هذا لم ينفر، فغيره أولى أن لا ينفر)!!

ابن تیمیة یجوز أن یکون النبی کافرا فاسقا شریرا

وأخیراً صرح ابن تیمیـة بمـذهبه وإن لفه بلفافـة! فقال بعدم عصـمة الأنبیاءمطلقاً وأن الله تعالی یمکن أن یبعث نبیاً کافراً أو فاسـقاً قبل النبوة، أو یصـیر کافراً فاسـقاً بعدها. وهو بذلک یجری مع رواسب أشعریته فی إنکار الحسن والقبح العقلیین، وإنکار لزوم الحکمة فی أفعال الله تعالی! قال فی منهاجه:۲/۴۱۳:

(وممـا یبین الکلاـم فی مسألـة العصـمة أن تعرف النبوة ولوازمها وشـروطها، فإن الناس تکلموا فی ذلک بحسب أصولهم فی أفعال الله تعـالی، إذْ کـان جعـل الشـخص نبیاً رسولاً من أفعال الله تعالی، فمن نفی الحِکَم والأسـباب فی أفعاله وجعلها معلقـةً بمحض المشـیئة، وجوَّز علیه فعل کل ممکن، ولم ینزهه عن فعل من الأفعال، کما هو قول الجهم بن صـفوان وکثیر من الناس کالأشعری ومن وافقه من أهل الکلام من أتباع مالک والشافعی وأحمـد وغیرهم من مثبتـة القدر، فهؤلاء یجوِّزون بعثة کل مکلف! والنبوة عندهم مجرد إعلامه بما أوحاه إلیه! والرسالة مجرد أمره بتبلیغ ما أوحاه إلیه! والنبوة عندهم صـفة ثبوتیة ولامسـتلزمة لصـفة یختص بها، بل هی من الصفات الإضافیـة کما یقولون، مثل ذلک فی الأحکام الشـرعیة. وهـذا قول طوائف من أهل الکلام کالجهم بن صـفوان والأشـعری وأتباعهما، ولهـذا من یقول بها کالقاضـی أبی بکر وأبی المعالی وغیرهما یقول إن العقل لایوجب عصـمة النبی إلا فی التبلیغ خاصة، فإن هذا هو مدلول المعجزة! وما سوی ذلک إن دل السمع علیه، وإلا لم تجب عصمته منه.

وقال محققوا هؤلاء کأبی المعالی وغیره إنه لیس فی السـمع قاطع یوجب العصـمة، والظواهر تـدل علی وقوع الـذنوب منهم! وکـذلک کالقاضـی أبی بکر إنما یثبت مایثبته من العصـمة فی غیر التبلیغ إذا کان من موارد الإجماع، لأن الإجماع حجة، وما سوی ذلک فیقول لم یدل علیه عقل ولا سمع.

وإذا احتـج المعتزلـة وموافقوهم من الشـیعة علیهم بأن هـذا یوجب التنفیر ونحو ذلک فیجب من حکمـة الله منعهم منه، قالوا هـذا مبنی علی مسألـة التحسـین والتقبیـح العقلیین ونحن نقول لاـیجب علی الله شـئ ویحسن منه کـل شـئ! وإنمـا ننفی ما ننفیه بالخبر السـمعی، ونوجب وقوع مـا یقع بـالخبر السـمعی أیضـاً، کمـا أوجبنـا ثواب المطیعین وعقوبـة الکـافرین لإخبـاره أنه یفعـل ذلک، ونفینا أن یغفر لمشـرک لإخباره أنه لایفعل ذلک، ونحو ذلک. وکثیر من القدریـة المعتزلة والشـیعة وغیرهم ممن یقول بأصـله فی التعدیل والتجویر، وأن الله لایفضل شـخصاً علی شـخص إلا بعمله، یقول إن النبوة أو الرسالـة جزاءٌ علی عمل متقـدم فالنبی فَعَل من الأعمال الصالحـة ما استحق به أن یجزیه الله بالنبوة، وهؤلاء القدریة فی شق، وأؤلئک الجهمیة الجبریة فی شق). انتهی.

إن اعتراف ابن تیمیـة هـذا، لایقف عنـد تجویزه أن یکون النبی کافراً فاسـقاً شـریراً! بل یصل إلی نفی الحکمة عن الله تعالی فی أفعاله وأقواله!

وهـذا هو نفس معبود التوراة الـذی قال التلمود فی وصـفه: (سـمع الله یئن کما تئن الحمامة ویبکی وهو یقول: الویل الویل لمن أخرب بیته....وَیْلِی علی ما أخربت من بیتی! ویْلی علی ما فرقت من بنیَّ وبناتی)! (الفصل لابن حزم:۱/۱/۲۲۲)

البخاری ینقض عصمة الأنبیاء و یفتری علیهم

صحیح البخاری مشحون بالإسرائیلیات التی تطعن فی الأنبیاء و أسوأ منها القرشیات التی تطعن فی نبینا

نبی الله إبراهیم یکذب

مضافاً إلی ما تقدم، نورد هنا عدداً من افتراءات البخاری علی الأنبیاء علیهم السلام!

فقد نسب إلی نبی الله إبراهیم علیه السـلام فی:۴/۱۱۲و۱۱۳، وکرر ذلک فی:۶/۱۲۱، أنه کـذب ثلاث کذبات، اثنتان لله، وواحدة لغیر

الله! قال: (لم يكذب ابراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: إِنِّي سَقِيمٌ، وقوله: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا! وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ههنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه؟ قال: أختي)!

وروى في:۵/۲۲۶: أن ابراهيم عليه السلام يستحي من ربه يوم القيامه أن يشفع للناس بسبب كذباته الثلاث! وكرر ذلك في:۵/۲۲۵و:۷/۲۰۳و:۸/۱۷۲و۱۸۳،و۱۹۲،و۲۰۱!!

نبي الله موسى غضوب بطاش

وفي:۲/۹۲، روى ما يقوله اليهود حرفياً في نبي الله موسى عليه السلام ووضعه على لسان نبينا صلى الله عليه وآله، مثل أن موسى كان قوي الشخصية والبدن وقد غضب على ملك الموت ولطمه ففقأ عينه وأرسله إلى السماء أعور باكياً شاكياً! فعالجه الله تعالى وأعاده ليقبض روح موسى عليه السلام! واحتاج عزرئيل إلى استعمال الحيلة مع موسى فأعطاه تفاحة مسمومة، فشمها موسى فمات!!

قال البخاري: (باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة... أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه! فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لايريد الموت! فرد الله عز وجل عليه عينه وقال: إرجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالأن. فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال قال رسول الله (ص) فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر)! وكرر البخاري هذا الحديث المزعوم في:۴/۱۳۰، فقال: (باب وفاة موسى وذكره بعد...(كذا)! وحذف منه جملة (ففقأ عينه)، التي أثبتها مسلم:۷/۹۹!!

قال ابن حجر في فتح الباري:۶/۳۱۵: (صكه: أي ضربه على عينه، وفي رواية همام عن أبي هريرة عند أحمد ومسلم: جاء ملك الموت إلى موسى فقال أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها!

وفي رواية عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة عند أحمد والطبري:كان ملك الموت يأتي الناس عياناً فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه.....وفي رواية عمار: فقال يا رب عبدك موسى فقأ عيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه)!!

نبي الله موسى يركض عاريا وراء ثيابه

روى البخاري قصة (ثوبي حجر) التي يزعم فيها اليهود أن نبي الله موسى عليه السلام كان يغتسل ووضع ثيابه على حجر، فركض الحجر هارباً بثيابه، وركض موسى وراءه عارياً، ورآه بنو إسرائيل! فغضب موسى على الحجر وأخذ ثيابه منه وضربه بعصاه!

وزعموا أن ذلك كان بتدبير الله تعالى لكي يبرئ موسى عليه السلام من اتهام بني إسرائيل له بأن له أُدْرَةً! وكأن تبرئة الله تعالى لنبيه عليه السلام لاتتم إلا بإهانته!

قال البخاري:۴/۱۲۹: (فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملأـ من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعضاه! فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً). انتهى.

وكرره البخاري هذا الحديث على عادته بمثله أو بنحوه في:۶/۲۸ و:۱/۷۳!

نبي الله سليمان مفرط في الجنس، معرض عن ذكر الله

وروى البخاري في:۳/۲۰۹ عن سليمان عليه السلام: (قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين

کلهن یأتی بفارس یجاهد فی سبیل الله فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم یقل إن شاء الله! فلم یحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل! والذی نفس محمد بیده لوقال إن شاء الله لجاهدوا فی سبیل الله فرساناً أجمعون)! وکرره البخاری بنحوه:۴/۱۳۶و:۶/۱۶۰!

البخاری یروی تفضیل نبینا علی الرسل والبشر

قال فی:۵/۲۲۵: (قال: أنا سید الناس یوم القیامة، وهل تدرون ممَّ ذلک؟ یجمع الناس الأولین والإخرین فی صعید واحد یسمعهم الداعی وینفذهم البصر وتدنو الشمس فیبلغ الناس من الغم والکرب ما لایطیقون ولا یحتملون فیقول الناس ألا ترون ما قد بلغکم، ألا تنظرون من یشفع لکم إلی ربکم؟ فیقول بعض الناس لبعض علیکم بآدم فیأتون آدم علیه السلام فیقولون له: أنت أبو البشر، خلقک الله بیده ونفخ فیک من روحه، وأمر الملائکة فسجدوا لک، إشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی ما نحن فیه، ألا تری إلی ما قد بلغنا؟
فیقول آدم: إن ربی قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله! ولن یغضب بعده مثله! وإنه نهانی عن الشجرة فعصیته، نفسی نفسی نفسی، إذهبوا إلی غیری إذهبوا إلی نوح!!
فیأتون نوحاً فیقولون یا نوح إنک أنت أول الرسل إلی أهل الأرض وقد سماک الله عبداً شکوراً، إشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی ما نحن فیه؟
فیقول: إن ربی عز وجل قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله، ولن یغضب بعده مثله، وإنه قد کانت لی دعوة دعوتها علی قومی. نفسی نفسی نفسی! إذهبوا إلی غیری، إذهبوا إلی إبراهیم!!
فیأتون إبراهیم فیقولون یا إبراهیم أنت نبی الله وخلیله من أهل الأرض اشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی ما نحن فیه؟ فیقول لهم: إن ربی قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله، ولن یغضب بعده مثله! وإنی قد کنت کذبت ثلاث کذبات، فذکرهن أبو حیان فی الحدیث، نفسی نفسی نفسی! إذهبوا إلی غیری إذهبوا إلی موسی!! فیأتون موسی فیقولون یاموسی أنت رسول الله، فضلک الله برسالته وبکلامه علی الناس، إشفع لنا إلی ربک، ألا۔ تری إلی ما نحن فیه؟ فیقول: إن ربی قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله ولن یغضب بعده مثله، وإنی قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسی نفسی نفسی! إذهبوا إلی غیری، إذهبوا إلی عیسی! فیأتون عیسی فیقولون یاعیسی أنت رسول الله وکلمته، ألقاها إلی مریم وروح منه وکلمت الناس فی المهد صبیاً، إشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی ما نحن فیه؟ فیقول عیسی: إن ربی قد غضب الیوم غضباً لم یغضب قبله مثله ولن یغضب بعده مثله!! ولم یذکر ذنباً، نفسی نفسی نفسی! إذهبوا إلی غیری إذهبوا إلی محمد!!
فیأتون محمداً فیقولون: یا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبیاءوقد غفر الله لک ما تقدم من ذنبک وما تأخر، إشفع لنا إلی ربک، ألا تری إلی ما نحن فیه؟ فأنطلق فآتی تحت العرش فأقع لربی عز وجل، ثم یفتح الله علی من محامده وحسن الثناء علیه شیئاً لم یفتحه علی أحد قبلی، ثم یقال یا محمد إرفع رأسک سل تعطه، واشفع تشفَّع، فأرفع رأسی فأقول أمتی یا رب أمتی یا رب، فیقال یا محمد أدخل من أمتک من لاحساب علیهم من الباب الأیمن من أبواب الجنة وهم شرکاء الناس فیما سوی ذلک، من الأبواب ثم قال: والذی نفسی بیده إن ما بین المصراعین من مصاریع الجنة کما بین مکة وحمیر، أو کما بین مکة وبصری). انتهی.
ونحن نعتقد بتفضیل نبینا وآله صلی الله علیه وآله علی الخلق کلهم، لکنا لانقبل حدیث أبی هریرة المذکور، لأنه مصوغٌ من جو الإسرائیلیات والمسیحیات عن غضب الله تعالی، وعن اعترافات أنبیائه بمعاصیهم إلا عیسی علیهم السلام!
ونطمئنُّ بأن البخاری أورده لا لکی یمدح النبی صلی الله علیه وآله فهو لایتردد فی تفضیل بقیة الأنبیاءعلیه صلی الله علیه وآله حتی یونس علیه السلام! بل لیثبت فضیلة لأمته التی فی طلیعتها طلقاء قریش! وحیثما وجدنا مدحاً لأمة النبی صلی الله علیه وآله فینبغی لنا أن نفحصه حتی لایکون موضوعاً، أو یکون کلمة حق أرید بها باطل!

ثم یتراجع البخاری و یفضل نبی الله موسی علی نبینا لکنه یفضل قریشا علی الیهود

روى صحيحه:٨/٤٨: روى أن نبى الله موسى رغم عيوبه يبقى أفضل من نبينا صلى الله عليه وآله، لأنه يفيق قبله من نفخة الصور يوم القيامة، أو يستثنى منها أصلاً، لأنه أصيب بالصعقة فى طور سيناء فكفته عن صعقة الصور!

قال البخارى: (قال (ص): لاتخيرونى من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ـ أدرى أفاق قبلى، أم جزى بصعقة الطور)!! انتهى. وكرر ذلك فى:٣/٨٨، و:٤/ ١٢٦و١٣١و١٣٣، و:٥/١٩٦، و:٦/٣٤، و:٧/١٩٣، و:٨/١٧٧!

كما روى سبباً آخر لتفضيل موسى على نبينا صلى الله عليه وآله هو أن موسى عليه السلام كان أوسع صدراً، فقد تحمل من بنى إسرائيل أكثر مما تحمل نبينا صلى الله عليه وآله من قريش! قال فى:٤/١٣٠: (قسم النبى(ص) قسماً فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبى(ص)فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب فى وجهه، ثم قال: يرحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا، فصبر)! وكرره فى:٥/١٠٦و:٧/٨٧ و٩٦و١٤٣و١٥٣!

وبهذا تكون قريش أفضل من اليهود لأنها لم تؤذ نبيها صلى الله عليه وآله كما آذت اليهود موسى عليه السلام! ولهذا يبكى موسى عليه السلام يوم القيامة لتفضيل أمة محمد على أمته!

قال البخارى:٤/٢٤٩ عن لسان النبى صلى الله عليه وآله يصف معراجه: (فلما خلصت فإذا موسى قال هذا موسى فسلِّمْ عليه فسلمتُ عليه فردَّ ثم قال: مرحباً بالإخ الصالح والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى! قيل له: ما يبكيك؟ قال أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتى)!

وينبغى أن تعرف أن تعبير(غلاماً) عن النبى صلى الله عليه وآله تعبير يهودى فهم يزعمون أن الله تعالى جعل إسماعيل وذريته عبيداً لأبناء إسحاق!!

وهكذا يحرص البخارى على إرضاء ولى نعمته المتوكل العباسى فى تبرئة القرشيين وتفضيلهم، حتى لو استوجب ذلك تنقيص مقام النبى صلى الله عليه وآله!

و يفضل عيسى على نبينا

رواه البخارى مرة واحدة لأن روايته مسيحية وليست إسرائيلية! قال فى:٤/٩٤: (قال النبى(ص): كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبيه بإصبعه حين يولد، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب)!! انتهى.

ومعنى هذا الحديث المزعوم غريب قد يعرفه البخارى والقساوسة، فما معنى أن الشيطان يطعن فى جنب المولود، وهل يتسلط عليه بهذه الطعنة بإصبعه؟ وما معنى أنه أراد أن يطعن فى جنبيَّ عيسى عليه السلام فذهبت طعنة إصبعه فى الحجاب، ولم تصل إلى أحد جنبيه؟ وما هو ذلك الحجاب، ولماذا خص الله به عيسى من دون الرسل والبشر، حتى نبينا صلى الله عليه وآله؟!

و يروى النهى عن تفضيل الأنبياء على بعضهم

قال الله تعالى:(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ). (البقرة:٢٥٣)

(وَإِذْ أخذ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ). (آل عمران:٨١) فقد نصَّت الآيات الكريمة على تفاضل الرسل

عليهم السلام، وأجمع المسلمون على تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله على الجميع، ورواه البخارى كما رأيت.

لكن البخارى نقض ما رواه من تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله من جهة!

ثم خالف القرآن فروى قاعدة تحريم تفضيل الأنبياء عليهم السلام على بعضهم!

ثم نقض هذه القاعدة فروى تفضيل موسى على نبينا صلى الله عليه وآله كما رأيت!!

قال البخارى:۴/۱۳۲: (عن أبى هريرة قال: بينما يهودى يعرض سلعته، أعطى بها شيئاً كرهه فقال: لا والذى اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه وقال: تقول والذى اصطفى موسى على البشر، والنبى بين أظهرنا؟! فذهب إليه فقال أبا القاسم إن لى ذمة وعهداً فما بال فلأن لطم وجهى؟! فقال: لم لطمتَ وجهه؟ فذكره، فغضب النبى(ص)حتى رؤى فى وجهه! ثم قال: لاتفضلوا بين أنبياءالله فإنه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى أخذ بالعرش، فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلى! ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى!). انتهى.

فهذا الحديث المزعوم صريح فى أن النبى صلى الله عليه وآله وقف إلى جانب اليهودى الذى زعم أن الله تعالى اصطفى موسى على البشر، وأنه صلى الله عليه وآله خَطَّأ المسلم الذى زعم أن الله اصطفى النبى صلى الله عليه وآله على البشر!!

بل زاد فى آخره النهى عن تفضيله صلى الله عليه وآله على نبى الله يونس! وروى بعده مباشرة: (عن النبى(ص)قال: لاينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى)!

وكرر حديث النهى عن تفضيل أحد على يونس بصيغ مختلفة فى أكثر من عشرة مواضع فى:۴/۱۲۵و۱۳۲بروايتين، و:۵/۱۹۳و:۶/۳۰ و:۸/۲۱۳ و:۵/۱۸۵و:۶/۳۱ وفى الإخيرتين: من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب! والمقصود به أن لايفضل أحد نبينا صلى الله عليه وآله على يونس عليه السلام!

أما السبب فهو تعريض القرشيين بنبينا صلى الله عليه وآله وأنه كيونس لم يصبر على قومه بل ذهب مغاضباً منهم، وهاجر إلى المدينة واستعان عليهم بالأنصار!

وإلا فلا معنى لروايته أصلًا، أو روايته فى سياق تفضيل موسى على نبينا صلى الله عليه وآله!!

الانبياء عند البخارى عصبيون كما فى التوراة

روى البخارى أن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الغضب المفرط انتقاماً لأنفسهم! فى حديثين فى نبى قرصته نملة، فغضب وأحرق قرية النمل بالنار، قال فى:۴/۲۲: (قرصت نملة نبياً من الأنبياءفأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه إن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله)!! وكرره فى:۴/۱۰۰!!

قرشيات البخارى فى الطعن بنبينا أسوأ من إسرائيلياته

عندما يصل البخارى إلى نبينا صلى الله عليه وآله تنضم قرشياته إلى إسرائيلياته، وتتعاونان فى طعن قريش المبطن فى عصمة نبينا صلى الله عليه وآله وشخصيته!!

تزعم هذه الفِرَى القرشية أن النبى صلى الله عليه وآله من الأساس لم يكن على يقين من بعثته، بل كان فى شك وحيرة! ثم لما أطمأن بنبوته وتأخر عليه الوحى، قرر أن ينتحر!!

وهو ثانياً، غير معصوم حتى فى تبليغ رسالة ربه، فقد غلبه الشيطان فخان الرسالة وغيَّر القرآن واستبدل ذم أصنام قريش اللات والعزى ومناة بمدحها، وسجد لها هو والمشركون، فعبد الأصنام وكفر برب العالمين!

وهو ثالثاً، لیس أفضل من أنبیاءبنی إسرائیل، فموسی علی عیوبه ومعاصیه أفضل منه، ویونس علی ترکه لقومه ومغاضبته خیر منه، وعیسی خیر منه!!

وهو رابعاً، عصبی المزاج سیٔ الإخلاق مع المسلمین، غیر مسدد فی منطقه، ولذا ینطق عن الهوی ویسب ویشتم ویلعن بغیر حق، وهو غیر مسدد فی عمله فقد یؤذی ویجلد الناس ظلماً وعدواناً!

وهو خامساً، ساذج ضعیف الشخصیهٔ والتدبیر، یقع فی أخطاء فظیعهٔ، فیصححها له عمر وینزل الوحی موبخاً له مؤیداً لعمر!

وهو سادساً، ظلم قریشاً فی بدر وأخذ منهم أسری بغیر حق، وأخذ من الأسری فدیهٔ حتی أطلقهم، فعاقبه الله بهزیمته وکسر رباعیته فی أحد!

وهو سابعاً، غیر مسدد فی حکمه وقضائه بین المسلمین، فقد یقضی لشخص بالباطل لأنه حاذق فی کلامه!

وهو ثامناً، ینهی عن الأمر ویرتکبه، فقد نهی المسلمین عن التمنی وقول (لو) لکنه تمنی وقالها مرات!

وهو تاسعاً، صاحب ذهن عادی، ینسی کثیراً، فقد نسی أنه جُنُب لم یغتسل وبدأ فی صلاته! وقد نسی عدد رکعات الصلاهٔ ونقَّص منها! وقد أخطأ فی قراءهٔ القرآن فی صلاته فصححها له بدوی!

وهو عاشراً، غلب علیه المرض فی آخر حیاته فأخذ یهذی وطلب من المسلمین أن یأتوه بدواهٔ وقرطاس لیکتب لهم کتاباً یؤمِّنهم من الإختلاف والضلال إلی یوم القیامهٔ، فرفض ذلک عمر وقال نبیکم غلب علیه الوجع، وأیده أکثر الحاضرین، ومنعوه من کتابهٔ ذلک العهد!

کما کان یغمی علیه فی مرضه ویفیق، فأحس بأنهم یریدون أن یسقوه دواء إذا أغمی علیه (یَلِدُّوه)، فنهاهم عن ذلک فلم تسمع کلامه عائشهٔ وحفصهٔ کلامه ولدَّتاه، فلما أفاق غضب علیهم وأمرهم أن یشربوا من ذلک الدواء کلهم، إلا بنی هاشم!

وأخیراً تقول عائشهٔ إنه سُحِرَ ففقد ذاکرته، وبقی لستهٔ أشهر مسحوراً یخیَّلُ إلیه أنه فعل الشئ وهو لم یفعله، وأنه أتی زوجته ولم یأتها!

روایات البخاری المشینهٔ فی سلوک نبینا

أما إذا وَصَلَ الحدیث إلی سلوک النبی الشخصی صلی الله علیه وآله، فتری فی البخاری الأعاجیب! فهو مفرط فی الجنس، یأتی نساءه التسعهٔ فی لیلهٔ واحدهٔ، ویباشر زوجته وهی حائض، ویتبذَّل تبذلاً لایناسب وجیهاً اجتماعیاً عادیاً، فیبول وهو واقف، ویستقبل ضیوفه وهو مضطجع، ویستمع الغناء، ویشرب النبیذ!

أما عمر بن الخطاب فکان محافظاً أکثر منه، حیث قال له أحجب نساءک فلم یفعل، فأنزل الله آیهٔ الحجاب، وأمره بما أمره به عمر!

وتجد فی البخاری أنه صلی الله علیه وآله کان مغرماً بزوجهٔ له اسمها عائشهٔ، یفضلها علی کل زوجاته، فکان یستمع معها الغناء من جاریتین تغنیان لهما، ویحملها علی کتفه ویضع خده علی خدها لتشاهد من شباک الغرفهٔ رقص الأحباش، ویأخذها معه فی غزواته، وربما ترک جیشه وسابقها، وقد سبقها مرهٔ وسبقته مرهٔ، فتعادلا!

وقد روت عنه عائشهٔ مئات الأحادیث، فیها قصص حیاتهما الشخصیهٔ، مما لایناسب زوجین مسلمین محافظین!!

إلی غیر ذلک من مطاعن البخاری فی نبینا صلی الله علیه وآله التی لو أفضنا فیها لخرجنا عن قصد هذا الکتاب، فنکتفی بالتعداد، وتفصیل بعضها!

البخاری یفتتح صحیحه بالطعن فی نبوهٔ نبینا

صدَّر البخاری صحیحه بحدیث بدء الوحی وکرره فی أجزاء کتابه مرات، فروی عن عائشهٔ أن النبی صلی الله علیه وآله لم یبعث نبیاً فی جوٍّ واضح، ولا رأی جبرئل بالأفق المبین کما قال تعالی:وَاللَّیْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ. إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ. ذِی قُوَّهٍٔ عِنْدَ

ذی الْعَرْشِ مَکِینٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ. وَمَا صَاحِبُکُمْ بِمَجْنُونٍ.وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِینِ. وَمَا هُوَعَلَی الْغَیْبِ بِضَنِینٍ. وَمَا هُو بِقَوْلِ شَیْطَانٍ رَجِیمٍ. فَأَیْنَ تَذْهَبُونَ. إِنْ هُوَإِلاَّ ذِکْرٌ لِلْعَالَمِینَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ.وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ یَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِینَ). (التکویر:۱۷-۲۹)

یقول البخاری کلا! فقد کان الأفق غائماً وکانت النبوة مشکوکة! والذی جاء للنبی صلی الله علیه وآله أشبه بکابوس منه بملَک، وکان تعامله معه وحشیاً! فقـد أمره أن یقرأ، ولم یقبل عذره بأنه لایعرف القراءة، فغطه غطاً عنیفاً ثلاث مرات!! أی أمسـکه، وخبزه بالأرض، وعجنه!!

والأـهم من ذلـک أن النبی صـلی الله علیه وآله لم یعرف جبرئیـل، ولاـ فهم کلاـمه ولا ما یریـده منه! وعاد إلی منزله فی مکة مرعوباً فشـکی إلی زوجته خدیجة علیها السلام فطمأنته، لکنها بقیت هی فی شک! فأخذت زوجها إلی ورقة بن نوفل، وهو قسیس عجوز من قبیلتها بنی زهرة، وعرضت علیه مشکلة زوجها، فسأله ورقة وأجابه، فطمأنه بأن الذی جاءه هو جبرئیل، وأنه فعلًا قد بعث نبیاً!!

لکن النبی صـلی الله علیه وآله لم یطمئن، خاصـة بعـد أن انقطع عنه الوحی! فقرر أن یلقی بنفسه من رأس جبـل شاهق وینتحر! وذهب مراراً إلی رؤوس الجبال، لکنه کلما ذهب إلی رأس جبل لینتحر، کان جبرئیل یأتیه ویمنعه من ذلک!!

قال بخاری فی صحیحیه:۸/۶۷: (باب التعبیر وأول ما بـدئ به رسول الله(ص)من الوحی.. عن عائشـة أنها قالت: أول ما بـدئ به رسول الله من الوحی الرؤیـا الصادقـة فی النوم فکـان لاـیری رؤیـا إلا جاءت مثل فلق الصـبح، فکان یأتی حِرَاء فیتحنَّث فیه وهو التعبـد اللیالی ذوات العدد ویتزود لذلک، ثم یرجع إلی خدیجة فتزوده لمثلها، حتی فجأه الحق وهو فی غار حراء، فجاءه الملک فیه فقال: إقرأ، فقال له النبی(ص): ما أنا بقارئ، قال فأخـذنی فغطنی حتی بلغ منی الجَهد! ثم أرسـلنی فقال:إقرأ! فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنی فغطنی الثانیة حتی بلغ منی الجهـد! ثم أرسـلنی فقال: إقرأ! فقلت:ما أنا بقارئ فغطنی الثالثـة حتی بلغ منی الجهد! ثم أرسـلنی فقال: إقرأ باسم ربک! ثم أرسلنی فقال: إقرأ بإسم ربک الذی خلق، حتی بلغ ما لم یعلم.

فرجع بها ترجف بوادره حتی دخل علی خدیجة فقال: زمِّلونی زمِّلونی، فزمَّلوه حتی ذهب عنه الروع! فقال یا خدیجـة مالی؟! وأخبرها الخبر وقال: قد خشیت علی نفسی! فقالت له: کلا، أبشر فوالله لایخزیک الله أبداً، إنک لتصل الرحم، وتصدق الحدیث، وتحمل الکل، وتقری الضیف، وتعین علی نوائب الحق.

ثم انطلقت به خدیجة حتی أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزی بن قصی، وهو ابن عم خدیجة أخو أبیها، وکان امرأً تنصَّر فی الجاهلیـة وکان یکتب الکتاب العبری فیکتب بالعربیـة من الإنجیل ماشاء الله أن یکتب، وکان شـیخاً کبیراً قـد عمی، فقالت له خدیجة: أی ابن عم إسمع من ابن أخیک، فقال له ورقة: ابنَ أخی ماذا تری؟ فأخبره النبی(ص)ما رأی فقال ورقة: هذا الناموس الذی أنزل علی موسـی، یا لیتنی فیها جـذعاً أکون حیاً حین یخرجک قومک؟ فقال رسول الله: أو مُخرجیَّ هم؟ فقال ورقـة: نعم، لم یأت رجل قط بما جئت به إلا عودی، وإن یدرکنی یومک أنصرک نصراً مؤزراً، ثم لم ینشب ورقه أن توفی!

وفتر الوحی فترة حتی حزن النبی(ص) فیما بلغنا حزناً غـدا منه مراراً کی یتردی من رؤس شواهق الجبال، فکلما أوفی بذروة جبل لکی یلقی منه نفسه تبدی له جبریل فقال یامحمد إنک رسول الله حقاً، فیسـکن لذلک جأشه وتقر نفسه فیرجع، فإذا طالت علیه فترة الوحی غدا لمثل ذلک! فإذا أوفی بذروة جبل تبدَّی له جبریل فقال له مثل ذلک)!!

نعم لقد افتتح البخاری بهذه الخرافة:۱/۲ وکررها فی:۴/۱۲۴، و۶/۸۸!!

غرانیق قریش و محاولات التغطیة علی البخاری

الغرانیق جمع غرنوق، وهو طائر أبیض من طیور الماء یشـبه الکرکی، یعلو فی طیرانه. وقد شـبهت به قریش أصنامها الخاصة بها: اللات والعزی ومُناة، ووصـفتها بالغرانیق العلی، لأن مقامها عنـد الله بزعمهم مقامٌ عال کطائر الغرنوق! (النهایـة:۳/۳۶۴، والعین:۴/۴۵۸، ولسان العرب:۱۰/۲۸۷).

قال الرازی فی تفسیره:۲۴/۱۲:(والغرانیق تصعد فی الجو جداً عند الطیران، فإن حجب بعضها عن بعض ضباب أو سحاب، أحدثت عن أجنحتها حفیفاً مسموعاً یلزم به بعضها بعضاً، فإذا نامت علی جبل فإنها تضع رؤوسها تحت أجنحتها، إلا القائد فإنه ینام مکشوف الرأس، فیسرع انتباهه وإذا سمع جرساً صاح). انتهی.

وقد کان موقف النبی صلی الله علیه وآله من الأصنام من أول بعثته موقفاً صریحاً حاسماً لامساومهٔ فیه، رافضاً لها کلها، داعیاً إلی عبادهٔ رب العالمین وحده لاشریک له، وکانت سور القرآن تتوالی مهاجمهً الأصنام وعُبّادها، مسفههً أحلامهم، حتی قال القرشیون: إن محمداً قد سب آلهتنا وسفه أحلامنا!

فی ذلک الجو نزلت سورهٔ النجم بعد أکثر من عشرین سورهٔ من القرآن، کلها صریحهٔ فی رفض الأصنام، ومنها سورهٔ الکافرون، وقل هو الله أحد! لکن سورهٔ النجم تمیزت بأنها ذمَّت أصنام قریش الثلاثهٔ بأسمائها، فقال الله تعالی: أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الإخرَی.أَلَکُمُ الذَّکَرُ وَلَهُ الأنثی. تِلْکَ إذًا قِسْمَةٌ ضِیزَی. إنْ هِیَ إلاأَسْمَاءٌ سَمَّیْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُکُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إنْ یَتَّبِعُونَ إلاالظَّنَّ وَمَا تَهْوَی الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَی. (۱۹-۲۳) فکان ذلک إعلاناً بتسفیه أصنام قریش (اللات والعزی ومناهٔ) وإسقاطها إلی الأبد!

ومن الطبیعی أن یکون تأثیر ذلک علی قریش کبیراً، وأن یثیر کبریاءها وردهٔ فعلها العنیف، وهذا ما حدث بالفعل حتی وصلت إلی قرار قتل النبی صلی الله علیه وآله، فأنجاه الله بالهجرهٔ.

فی هذا السیاق القطعی من السیرهٔ لایمکننا أن نفسیر قصهٔ الغرانی إلا بأنها ردهٔ فعل قرشیهٔ، وأن أصلها أن أحد المشرکین القرشیین أجاب علی ذم أصنام قریش فی سورهٔ النجم: أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخری، أَلَکُمُ الذَّکَرُ وَلَهُ الأنثی، تِلْکَ إذًا قِسْمَةٌ ضِیزَی، إنْ هِیَ إلاأَسْمَاءٌ سَمَّیْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُکُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إنْ یَتَّبِعُونَ إلاالظَّنَّ وَمَاتَهْوَی الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَی. فقام بتحریفها إلی مدح للأصنام وقال:أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ تلک الغرانیق العلی، وإن شفاعتهن لترجی! فأعْجَبَ ذلک القرشیین وتمنوا لو أن القرآن قال هذا المدیح فی آلهتهم، بدل ذمها وذمهم!

ومن المؤکد أن قصهٔ الغرانیق وضعها رواهٔ قریش بعد وفاهٔ النبی صلی الله علیه وآله، ولم یکن لها عین ولا أثر فی سیرته صلی الله علیه وآله فی مکهٔ، وإلا لرفعها المشرکون علماً، وطبَّل بها الیهود وزمَّروا!

لکن السؤال ما هو غرض طلقاء قریش من ترویج هذه القصهٔ بعد وفاهٔ النبی صلی الله علیه وآله ونسبتها الیه مع أن أصنامهم انتهت وهدمت، وتبرؤوا منها ودخلوا فی الإسلام تحت السیف ثم رضوا به؟!

الجواب: أن الغرض منها إثبات أن النبی صلی الله علیه وآله لم یکن معصوماً عصمهٔ مطلقهٔ حتی تکون کل تصرفاته وأقواله حجهٔ، بل کان یخطئ حتی فی تبلیغ الوحی! وبذلک یمکن تبریرمخالفهٔ الخلفاء والسلطهٔ لأوامره صلی الله علیه وآله!

فالمهم عندهم تبریر مخالفهٔالنبی صلی الله علیه وآله ولیکن ثمن ذلک قصهٔ الغرانیق التی تزعم أنه صلی الله علیه وآله ارتکب خیانهٔ فی نص القرآن والعیاذ بالله، وکفَر ومدَح أصنام قریش لکی ترضی عنه، وسجد لها وسجد معه مشایخ قریش وکل من کان فی المسجد، وزاد البخاری أن کل الإنس والجن سجدوا یومها!!

وزادت الروایهٔ المزعومهٔ أن زعماء قریش طاروا فرحاً بخیانهٔ النبی صلی الله علیه وآله فی نص القرآن، وطبیعی أن یطیر المستشرقون فرحاً بهذه القصهٔ!!

وأخیراً المرتد سلمان رشدی والحکومات الغربیهٔ!!

البخاری یروی فریهٔ الغرانیق فی ست مواضع

روی البخاری:۲/۳۲: (عن عبدالله(رض)قال قرأ النبی(ص)النجم بمکهٔ فسجد فیها وسجد من معه، غیر شیخ أخذ کفاً من حصی أو

تراب ورفعه إلى جبهته وقال يكفيني هذا، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً...

وعن عبد الله(رض)أن النبي(ص)قرأ سورة النجم فسجد بها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد، فأخذ رجل من القوم كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال يكفيني هذا، فلقد رأيته بعد قتل كافراً...

وعن ابن عباس(رض)أن النبي(ص)سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون، والجن والإنس! ورواه ابن طهمان عن أيوب).

وفي:۴/۲۳۹: (عن عبد الله(رض)قال: قرأ النبي(ص)النجم فسجد، فما بقي أحد إلاسجد إلا رجل رأيته أخذ كفاً من حصى فرفعه فسجد عليه وقال: هذا يكفيني، فلقد رأيته بعد قتل كافراً بالله). وفي:۵/۷: بنحوه.

وفي:۶/۵۲: (قال فسجد رسول الله(ص)وسجد من خلفه إلا رجلًا رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف). انتهى. فهذه ست روايات رواها البخاري على الأقل.

ورواه مسلم بنحوه في:۲/۸۸، ورواه في:۶/۵۲، وسمى الذي سجد بأنه أمية بن خلف).

وقال الحاكم في المستدرك:۱/۲۲۱: (عن عبد الله قال: أول سورة قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله على الناس الحج، حتى إذا قرأها سجد فسجد الناس، إلا رجل أخذ التراب فسجد عليه فرأيته قتل كافراً. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين بالإسنادين جميعاً، ولم يخرجاه إنما اتفقا على حديث شعبة عن أبي إسحاق عن الأسود عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وآله قرأ والنجم، فذكره بنحوه، وليس يعلل أحد الحديثين الإخيرين، فإني لاأعلم أحداً تابع شعبة على ذكره النجم، غير قيس بن الربيع. والذي يؤدي إليه الإجتهاد صحة الحديثين، والله أعلم).

ومعنى كلام الحاكم: أنه كان الأولى بالبخاري ومسلم أن يرويا السجود في سورة الحج لأنها أصح، ولكنهما تركاها ورويا السجود في سورة النجم!!

وقال البيهقي في سننه:۲/۳۱۴:(عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي(ص) سجد فيها يعني والنجم، وسجد فيها المسلمون والمشركون والجن والإنس. رواه البخاري في الصحيح عن أبي معمر وغيره عن عبد الوارث.

وصححه في مجمع الزوائد:۷/۱۱۵، قال: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى...عن ابن عباس فيما يحسب سعيد بن جبير، أن النبي(ص)كان بمكة، فقرأ سورة والنجم حتى انتهى إلى: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى،فجرى على لسانه: تلك الغرانيق العلى الشفاعة منهم ترتجى. قال: فسمع بذلك مشركو أهل مكة فسرُّوا بذلك فاشتدَّ على رسول الله(ص)فأنزل الله تبارك وتعالى:وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِيٍّ إلا إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ. رواه البزار والطبراني... ورجالهما رجال الصحيح، إلا أن الطبراني قال: لا أعلمه إلا عن ابن عباس عن النبي(ص)وقد تقدم حديثٌ مرسل في سورة الحج أطول من هذا، ولكنه ضعيف الإسناد).

ويقصد بالحديث المرسل الحديث الذي يضعفه بابن لهيعة وقد وثقه عدد من علمائهم، وله شواهد صحيحة تجعله حسناً، وهو في مجمع الزوائد: ۷/۷۰، وفيه:

(حين أنزل الله السورة التي يذكر فيها والنجم إذا هوى، فقال المشركون: لوكان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، فإنه لا يذكر أحداً ممن خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر به آلهتنا من الشتم والشر. فلما أنزل الله السورة التي يذكر فيها والنجم وقرأ: أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى، ألقى الشيطان فيها عند ذلك ذكر الطواغيت، فقال: وإنهم من الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى، وذلك من سجع الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك، وذلقت بها ألسنتهم واستبشروا بها، وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فلما بلغ رسول الله (ص)آخر السورة التي فيها النجم سجد وسجد معه كل من حضره من مسلم ومشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان كبيراً فرفع ملء كفه تراب فسجد عليه، فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله(ص)، فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون

سمعوا الذی ألقی الشیطان علی ألسنة المشرکین. وأما المشرکون فاطمأنت أنفسهم إلی النبی(ص)وحدثهم الشیطان أن النبی (ص)قد قرأها فی السجدة فسجدوا لتعظیم آلهتهم، ففشت تلک الکلمة فی الناس وأظهرها الشیطان حتی بلغت الحبشة! فلما سمع عثمان بن مظعون وعبدالله بن مسعود ومن کان معهم من أهل مکة أن الناس أسلموا وصاروا مع رسول الله(ص)، وبلغهم سجود الولید بن المغیرة علی التراب علی کفه، أقبلوا سراعاً! فکبُر ذلک علی رسول الله(ص)فلما أمسی أتاه جبریل علیه السلام فشکا إلیه، فأمره فقرأ له، فلما بلغها تبرأ منها جبریل! وقال: معاذ الله من هاتین ما أنزلهما ربی ولا أمرنی بهما ربک! فلما رأی ذلک رسول الله(ص)شق علیه وقال: أطعتُ الشیطان وتکلمتُ بکلامه وشرَّکنی فی أمر الله! فنسخ الله ما یلقی الشیطان وأنزل علیه:وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ إلا إذا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللهُ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللهُ آیَاتِهِ وَاللهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ. لِیَجْعَلَ مَا یُلْقِی الشَّیْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ وإن الظَّالِمِینَ لَفِی شِقَاقٍ بَعِیدٍ). الحج:۵۲-۵۳ فلما برأه الله عز وجل من سجع الشیطان وفتنته، انقلب المشرکون بضلالهم وعداوتهم. فذکر الحدیث وقد تقدم فی الهجرة إلی الحبشة. رواه الطبرانی مرسلاً وفیه ابن لهیعة، ولا یحتمل هذا من ابن لهیعة).

وقد أورد السیوطی قصة الغرانیق بعدة طرق بعضها صحیح فی الدر المنثور:۴/۱۹۴وقال فی ص۳۶۶: (وأخرج البزار، والطبرانی، وابن مردویه، والضیاء فی المختارة بسند رجاله ثقات، من طریق سعید بن جبیر عن ابن عباس، قال: إن رسول الله(ص)قرأ: أفرأیتم اللات والعزی ومنات الثالثة الأخری تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی! ففرح المشرکون بذلک وقالوا: قد ذکر آلهتنا. فجاء جبریل فقال: إقرأ علی ما جئتک به، فقرأ: أفرأیتم اللات والعزی ومناة الثالثة الأخری تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی! فقال: ما أتیتک بهذا! هذا من الشیطان فأنزل الله:وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ إلا إذا تَمَنَّی..إلی آخر الآیة. وأخرج ابن جریر وابن المنذر وابن أبی حاتم وابن مردویه، بسند صحیح عن سعید بن جبیر...!!). انتهی.

بهذا یتبین لک أن حدیث الغرانیق أو الآیات الشیطانیة رواها البخاری ومسلم وغیرهما بأسانید صحیحة، فکل هؤلاء یتحملون وزرها!

ویتبین لک بطلأن دعوی من قال إن الواقدی تفرَّد بها وأن الصحاح لم تروِها!!

ویتبین لک مصیبة أن بعض الحفاظ یکذبون لیغطوا علی البخاری!!

قال ابن کثیر فی تفسیره: قد ذکر کثیر من المفسرین هنا قصة الغرانیق وما کان من رجوع کثیر من مهاجرة الحبشة ظناً منهم أن مشرکی قریش قد أسلموا، ولکنها من طرق کلها مرسلة، ولم أرها من وجه صحیح.

وقال القسطلانی فی شرح البخاری: وقد طعن فی هذه القصة وسندها غیر واحد من الأئمة حتی قال ابن إسحاق وقد سئل عنها: هی من وضع الزنادقة. وقال القاضی عیاض: إن هذا حدیث لم یخرجه أحد من أهل الصحة ولارواه أحد بسند متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بکل غریب المتلقفون عن الصحف کل صحیح وسقیم)!

ونقل عن أبی بکر بن العربی الإمام المالکی: إن جمیع ما ورد فی هذه القصة لا أصل له)!! (هامش عصمة الأنبیاءللرازی ص۹۴).

وذکر عبد الله النعیم فی کتابه الإستشراق فی السیرة النبویة- نشرالمعهد العالمی للفکر الإسلامی۱۴۱۷، أن المصادرَ التی روت حدیث الغرانیق هی: طبقات ابن سعد:۱/۲۰۵، وتاریخ الطبری:۲/۲۲۶، وتاریخ ابن الأثیر:۲/۷۷، وسیرة ابن سید الناس:۱/۱۵۷. وقال فی ص۹۷: (یعتبر الواقدی أول من روج لهذه الفریة، ثم أخذها عنه ابن سعد والطبری وغیرهم).

ونقل فی ص۹۳ نقد القرضاوی فی کتابه کیف نتعامل مع السنة النبویة، وجاء فیه: (ومعنی هذا أن تفهم السنة فی ضوء القرآن، ولهذا کان حدیث الغرانیق مردوداً بلا ریب، لأنه منافٍ للقرآن). انتهی.

وقال فی ص۹۸: (ولم یروِ ابن إسحاق وابن هشام هذه الواقعة إطلاقاً. ومهما یکن من أمر فالواقدی هو أصلها. إن ما یدعو للتساؤل هو: کیف أمکن تمریر هذه الواقعة مع علم أصحابها بعصمة الرسل؟!). انتهی.

ثم نقل نقد القاضی عیاض فی کتابه الشفا لحدیث الغرانیق سنداً ومتناً.

وکلامهم یشبه بعضه فی تبرئة البخاری من الغرانیق!! ولکن عدداً منهم یعرفون أن البخاری روی فریة الغرانیق بأکثر من روایة، وروتها صحاحهم بطرق متعددة، یکثر فیها الإسناد الصحیح!

غایة الأمر أن البخاری ومن شاکله حذفوا منها إسم الغرانیق وأبقوا سجود النبی صلی الله علیه وآله المزعوم بعد مدحه لأصنام قریش وسجود المشرکین معه، وقد سموا من زعماء المشرکین الذین سجدوا أمیة بن خلف، وأبا أحیحة وهو سعید بن العاص! وهم یعرفون أن سجود المشرکین بعد سماع القرآن لم ینقله مصدر علی الإطلاق، فی أی قصة علی الإطلاق، إلا قصة الغرانیق!

لذلک من حقنا أن نشک فی أمانة النافین لروایة البخاری والصحاح لها، کالذین تقدم کلامهم، وکالفخر الرازی عندما قال فی تفسیره:۲۳/۴۹:

(وأیضاً فقد روی البخاری فی صحیحه أن النبی(ص)قرأ سورة النجم وسجد فیها المسلمون والمشرکون والإنس والجن، ولیس فیه حدیث الغرانیق! وروی هذا الحدیث من طرق کثیرة ولیس فیها البتة حدیث الغرانیق)!!

تناقض الفخر الرازی فی حدیث الغرانیق

وقد بحث الفخر الرازی هذه الفریة فی کتابه عصمة الأنبیاء علیهم السلام وفی تفسیره:۲۳/۴۹، فدافع عن النبی صلی الله علیه وآله ونفاها عنه، ودافع عن البخاری وغیره من صحاحهم! ثم عاد فی أواخر تفسیره واتهم بها النبی صلی الله علیه وآله!!

قال فی عصمة الأنبیاء علیهم السلام ص۹۳:

(الشبهة الثانیة:تمسکوا بقوله تعالی:وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ إِلاإِذَا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللهُ مَایُلْقِی الشَّیْطَانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللهُ آیَاتِهِ وَاللهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ. قالوا إن ظاهر الآیة یدل علی أن الشیطان ملقٍ فی قراءة الأنبیاء علیه السلام ما یؤدی إلی الشبهة، فإذا جوَّزنا ذلک ارتفع الوثوق!

روی أنه(ص)شقَّ علیه ما رأی من مباعدتهم عما جاءهم به، فتمنی فی نفسه أن یأتیه من الله تعالی ما یقارب بینه وبین قومه، وذلک لحرصه علی إیمانهم، فجلس ذات یوم فی ناد من أندیة قریش کثیر أهله، وأحب یومئذ أن لا یأتیه شئ من الله فینفروا عنه، وتمنی ذلک فأنزل الله تعالی: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَی، فقرأ رسول الله(ص): أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخری، ألقی الشیطان علی لسانه ما کان یحدث به نفسه ویتمناه: تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی! فلما سمعت قریش ذلک فرحوا ومضی رسول الله(ص)فی قراءته فقرأ السورة کلها وسجد فی آخرها، فسجد المسلمون وسجد جمیع من فی المسجد من المشرکین، فلم یبق فی المسجد مؤمن ولاکافر إلا سجد، إلا الولید بن المغیرة، وأبو أحیحة سعید بن العاص، فإنهما أخذا حفنةً من البطحاء ورفعاها إلی جبهتهما وسجدا علیها، لأنهما کانا شیخین کبیرین فلم یستطیعا السجود!

وتفرقت قریش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذکر محمد آلهتنا بأحسن الذکر! فلما أمسی رسول الله(ص)أتاه جبریل علیه السلام وقال: ما ذا صنعت؟ تلوت علی الناس ما لم آتک به عن الله، وقلت ما لم أقل لک؟! فحزن رسول الله (ص)حزناً شدیداً وخاف من الله خوفاً کثیراً، فأنزل الله هذه الآیة)!!

الجواب الذی یدل علی أنه علیه السلام ما غیر ومابدل وجوه خمسة:

الأول: قوله تعالی:وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنَا بَعْضَ الأَقَاوِیلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْیَمِینِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِینَ. الثانی: وَ إِذَا تُتْلَی عَلَیْهِمْ آیَاتُنَا بَیِّنَاتٍ قَالَ الَّذِینَ لایَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا یُوحَی إِلَیَّ. الثالث: وَإِنْ کَادُوا لَیَفْتِنُونَکَ عَنِ الَّذِی أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ لِتَفْتَرِیَ عَلَیْنَا غَیْرَهُ وَإِذاً لاتَّخَذُوکَ خَلِیلا. وَ لَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَیْهِمْ شَیئاً قلیلاً. الرابع: کَذَلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَکَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِیلا. الخامس: قوله: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسَی.

وإذا ثبت ما ذکرناه فلنشرع فی الجواب عن الشبهة فنقول:

التمنى، جاء فى اللغة لأمرين: أحدهما تمنى القلب، والثانى التلاوة، قال الله تعالى:وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لايَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاأَمَانِيَّ، أى إلا قراءة...

إذا عرف ذلك فنقول: من المفسرين من حمل الآية على تمنى القلب، والمعنى أن النبى متى تمنى بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لاينبغى، ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله، ويأتيه بما يرشده إلى ترك الإلتفات إلى وسوسته.

وهذا ضعيف، لأنه لوكان كذلك لم يكن مايخطر بباله فتنة للكفار، وذلك يبطله قوله تعالى: لِيَجْعَلَ مَايُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِى شِقَاقٍ بَعِيد.. الآية: فثبت أن المراد بالتمنى القراءة، ثم اختلف الذاهبون إلى هذا التأويل على وجوه....

فإن قلت: لعله قد ذكر ذلك استفهاماً على سبيل الإنكار؟

قلت: هب أنه كذلك لكن قراءته فى أثناء قراءة القرآن مع كونه على ذلك الوزن توهم كونه منه، فيعود المحذور المذكور.

أما السهو فغير جائز أيضاً، لأنه لو جاز وقوع السهو هاهنا لجاز فى غيره وحينئذ ترتفع الثقة بالشرع! ولأن الساهى لايجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ مطابقة لوزن هذه السورة وطريقتها ومعناها، فإنا نعلم بالضرورة أن واحداً لو أنشد قصيدة لما جاز أن يسهو حتى يتفق فيه بيت شعر فى وزنها ومعناها وطريقتها.

الثالث، أن يكون الشيطان أجبر النبى(ص)على التكلم، وهذا أيضاً فاسدٌ لوجوه ثلاثة......

الخامس، أن المتكلم بذلك بعض الكفرة، فإنه عليه الصلاة والسلام لما انتهى من قراءة هذه السورة إلى هذا الموضع وذكر أسماء آلهتهم وقد علموا من عادته أنه يعيبها، فقال بعض من حضر من الكفار:تلك الغرانيق العلا، فاشتبه على القوم، لأنهم كانوا يلغطون عند قراءته ويكثرون من الكلام طلباً لتغليطه وإخفاء قراءته. وممكن أن يكون أيضاً فى الصلاة لأنهم كانوا يقربون منه فى حال الصلاة ويسمعون قراءته ويلغون فيها، وقيل: إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا تلا القرآن على قريش توقف فى فصول الآيات، فألقى بعض الحاضرين ذلك الكلام فى تلك الواقعات فتوهم القوم أنه من قراءته عليه الصلاة والسلام، ثم أضاف الله ذلك إلى الشيطان لأنه بوسوسته حصل، أو لأنه جعل ذلك المتكلم شيطاناً.....

ولقائل أن يقول: إذا جوزتم أن يتكلم الشيطان فى أثناء كلام الرسول عليه الصلاة والسلام بما يشتبه على كل السامعين حتى يظنوه كلاماً لرسول الله (ص) بقى هذا الإحتمال فى كل ما يتكلم به الرسول(ص)فتفضى إلى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع!

الجواب: أن ذلك الإحتمال قائم، ولكنه لو وقع لوجب فى حكمة الله تعالى أن يشرح الحال فيه كما فى هذه الواقعة إزالة للتلبيس.....

السادس، أن المراد بالغرانيق الملائكة، وقد كان ذلك قرآنا منزلاً فى وصف الملائكة، فلما توهم المشركون أنه يريد آلهتهم نسخ الله تلاوته)!!. انتهى.

والتهافت فى دفاع االرازى واضح، فقد نفى أولاًأن يكون النبى صلى الله عليه وآله غيَّر أو بدَّل فى قراءته فقال:(الجواب الذى يدل على أنه عليه السلام ماغيَّر ومابدَّل...)، لكنه عاد وفسر آية:أَلْقَى الشَّيْطَان فِي أُمْنِيَّتِه، بذلك! وضعَّف الإحتمالات التى تنزه النبى صلى الله عليه وآله أو سكت عنها، كالوجه الخامس الذى استفاده من الشريف المرتضى!

أما فى تفسيره الكبير، فقد بدأ قوياً فى استدلاله، لكنه ضعف فى ختام كلامه، وعاد إلى تبنى اتهام قومه القرشيين للنبى صلى الله عليه وآله، وينبغى أن تعرف أن الفخر الرازى قرشئ تيمى، من عشيرة أبى بكر وقيل من ذريته!

قال فى الجزء ٢٣/٤٩: (المسألة الثانية: ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآية أن الرسول(ص)لما رأى إعراض قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى....الى آخر ما ذكره فى كتاب العصمة، ثم قال:

هذا رواية عامة المفسرين الظاهريين، أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول.

أما القرآن فوجوه...وأورد الآيات المتقدمة وغيرها، ثم قال:

وأما السنة فهى ما روى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال: هذا وضع من الزنادقة، وصنف فيه كتاباً.

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم.

وأيضاً فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى(ص)قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق. وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث الغرانيق. وأما المعقول فمن وجوه:

أحدها: أن من جوز على الرسول(ص)تعظيم الأوثان فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان فى نفى الأوثان.

وثانيها: أنه عليه السلام ما كان يمكنه فى أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمناً أذى المشركين له حتى كانوا ربما مدوا أيديهم إليه وإنما كان يصلى إذا لم يحضروها ليلاً أو فى أوقات خلوة وذلك يبطل قولهم

وثالثها: أن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم.

ورابعها: قوله: فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ، وذلك لأن إحكام الآيات بإزالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التى تبقى الشبهة معها، فإذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلاً، أولى.

وخامسها: وهو أقوى الوجوه أنا لو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا فى كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، فإنه لا فرق فى العقل بين النقصان عن الوحى وبين الزيادة فيه. فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة. أكثر ما فى الباب أن جمعاً من المفسرين ذكروها، لكنهم ما بلغوا حد التواتر، وخبر الواحد لايعارض الدلائل النقلية والعقلية المتواترة...). انتهى.

أقول: إلى هنا يبدو الرازى منسجماً، فقد وافق محمد بن إسحاق صاحب السيرة على أن القصة فريةٌ من وضع الزنادقة القرشيين على النبى صلى الله عليه وآله بأنه مدحَ أصنامهم وسجد لها، وسجد معه القرشيون، وكل من فى المسجد!

لكن الرازى دخل مدخلاً صعباً فى الدفاع عن البخارى وبقية مصادرهم التى روتها بطرق متعددة وصححتها! وادعى أن البخارى لم يرو حديث الغرانيق، مع أنه رواه وحذف منها إسم الغرانيق، كما رأيت!

ثم دخل الرازى مدخلاً أصعب فى تفسير قوله تعالى:(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)، لأنه اقتفى أثر مفسرى السلطة القرشية وحبس نفسه بتفسير أُمْنِيَّتِهِ بذهن النبى صلى الله عليه وآله وقراءته للقرآن!

بينما التمنى أمر ذهنى، لكن الأمنيَّة قد تكون ذهنية، وقد تكون خارجية، وهى فى الآية خارجية، وإلقاء الشيطان إنما هو فى الأمنيَّة الخارجية، وليس فى ذهن النبى صلى الله عليه وآله:

ونلاحظ أن كلام الرازى الطويل بلا طائل، فقد قال:

(ولنشرع الآن فى التفصيل فنقول التمنى جاء فى اللغة لأمرين: أحدهما: تمنى القلب والثانى: القراءة)...

ثم أخذ فى تعداد الإحتمالات على تفسير الأمنية بالقراءة، وردها جميعاً فقال: (فهذه الوجوه المذكورة فى قوله تلك الغرانيق العلا قد ظهر على القطع كذبها، فهذا كله إذا فسرنا التمنى بالتلاوة. وأما إذا فسرناها بالخاطر وتمنى القلب فالمعنى أن النبى(ص)متى تمنى بعض ما يتمناه من الأمور يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغى، ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه إلى ترك الإلتفات إلى وسوسته، ثم اختلفوا فى كيفية تلك الوسوسة على وجوه.... واختار منها الرابع، وختم بقوله:

(ورابعها: معنى الآية إذا تمنى إذا أراد فعلاً مقرباً إلى الله تعالى ألقى الشيطان فى فكره ما يخالفه فيرجع إلى الله تعالى فى ذلك وهو كقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. وكقوله: وأما يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ.

ومن الناس من قال لايجوز حمل الأمنية على تمنى القلب لأنه لو كان كذلك لم يكن ما يخطر ببال رسول الله(ص)فتنة للكفار وذلك يبطله قوله تعالى: لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ. والجواب: لايبعد أنه إذا قوى التمنى اشتغل الخاطر به فحصل السهو فى الأفعال الظاهرة بسببه فيصير ذلك فتنة للكفار. فهذا آخر القول فى هذه المسألة). انتهى.

وبذلك ختم الرازى بتبنى الفرية على النبى صلى الله عليه وآله بأنه يتمنى فيلقى الشيطان فى ذهنه فينشغل به خاطره، فيحصل له السهو فى أفعاله، فيكون ذلك فتنة!!

فأين صار استنكاره لفرية الغرانيق، وأنها من وضع الزندقة؟!

بل صرح فى تفسيره:۳۲/۱۴۱، بنسبة الكفر إلى النبى صلى الله عليه وآله وهو يعدد الفوائد لكلمة "قل "فى(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) قال: (الحادى والثلاثون: كأنه تعالى يقول: يا محمد ألست أنت الذى قلت: من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يوقفن مواقف التهم، وحتى أن بعض المشايخ قال لمريده الذى يريد أن يفارقه: لاتخاف السلطان قال: ولم؟ قال: لأنه يوقع الناس فى أحد الخطأين، وأما أن يعتقدوا أن السلطان متدين، لأنه يخالطه العالم الزاهد، أو يعتقدوا أنك فاسق مثله، وكلاهما خطأ، فإذا ثبت أنه يجب البراءة عن موقف التهم فسكوتك يا محمد عن هذا الكلام يجر إليك تهمة الرضا بذلك، لاسيما وقد سبق أن الشيطان ألقى فيما بين قراءتك:تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى، فأزل عن نفسك هذه التهمة و: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لاأَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)! انتهى.

فأين حملة الفخر الرازى على الزنادقة واضعى فرية الغرانيق، ونصه على أن النبى صلى الله عليه وآله لم يغيِّر فى سورة النجم ولم يبدِّل؟!!

نعوذ بالله من هذه الفرية على سيد الموحدين صلى الله عليه وآله، التى بلغ من تأكيد مصادرهم عليها أنها أوقعت الفخر الرازى وهو العالم المتبحر والفيلسوف المتضلع فى هذا التهافت المشين، فنقض ما كتبه بيمينه فى الجزء الثالث والعشرين، وعمى عن أن سورة الكافرون نزلت بالإتفاق قبل سورة النجم!

قال الزركشئ فى البرهان:۱/۱۹۳:(أول مانزل من القرآن بمكة إقرأ بإسم ربك، ثم والقلم، ثم ياأيها المزمل، ثم المدثر، ثم تبت يدا أبى لهب، ثم إذا الشمس كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى، ثم والليل إذا يغشى، ثم والفجر، ثم والضحى، ثم ألم نشرح، ثم والعصر، ثم والعاديات، ثم إنا أعطيناك الكوثر، ثم ألهاكم التكاثر، ثم أرأيت الذى، ثم قل يأيها الكافرون، ثم سورة الفيل، ثم الفلق، ثم الناس، ثم قل هو الله أحد، ثم والنجم إذا هوى، ثم عبس وتولى...). انتهى.(راجع فهرست ابن النديم/۲۸، وتفسير الميزان للطباطبائى:۱۳/۲۳۳)

هذا، وسوف نلقى مزيداً من الضوء عل تفسير آية: أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ، فى فصل العصمة فى القرآن، إن شاء الله تعالى.

القاضى عياض أكثر علماء السنة اعتدالا فى عصمة نبينا

قال فى الشفا بتعريف حقوق المصطفى:۲/۱۲۳:

(فصل:وأما أقواله(ص)فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيها من الأخبار عن شئ منها بخلاف ما هو به. لا قصداً ولا عمداً، ولا سهواً ولا غلطاً.

أما تعمد الخلف فى ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال، اتفاقاً، وبإطباق أهل الملة إجماعاً.

وأما وقوعه على جهة الغلط فى ذلك، فبهذه السبيل عند الأستاذ أبى إسحاق الإسفرائينى ومن قال بقوله.

ومن جهـة الإجماع فقط وورود الشـرع بانتفاء ذلک وعصـمة النبی لامن مقتضـی المعجزة نفسـها عند القاضـی أبی بکر الباقلانی ومن وافقه، لاختلاف بینهم فی مقتضی دلیل المعجزة، لا نطول بذکره فنخرج عن غرض الکتاب.

فلنعتمـد علی ما وقع علیه إجماع المسـلمین أنه لایجوز علیه خلف فی القول إبلاغ الشـریعة والإعلام بما أخبر به عن ربه وما أوحاه إلیه من وحیه، لا علی وجه العمد ولا علی غیر عمد، ولا فی حالی الرضا والسخط والصحة والمرض، وفی حدیث عبد الله بن عمرو قلت: یا رسول الله أأکتب کل ما أسمع منک؟ قال: نعم، قلت: فی الرضی والغضب؟ قال: نعم فإنی لا أقول فی ذلک کله إلا حقاً.

ولنزد ما أشرنا إلیه من دلیل المعجزة علیه بیاناً: فنقول إذا قامت المعجزة علی صدقه وأنه لا یقول إلا حقاً ولا یبلغ عن الله إلا صدقاً وأن المعجزة قائمـة مقـام قول الله له صـدقت فیما تـذکره عنی، وهو یقول إنی رسول الله إلیکم لأبلغکم ما أرسـلت به إلیکم، وأبین لکم ما نزل علیکم: وَمَا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوَی.إنْ هُوَ إلاـ وَحْیٌ یُوحَی. وقَدْ جَاءَکُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّکُمْ. وَمَا آتَاکُمُ الرَّسُولُ فَخُـذُوهُ وَمَا نَهَاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. فلا یصـح أن یوجد منه فی هذا الباب خبر بخلاف مخبره علی أی وجه کان، فلو جوزنا علیه الغلط والسـهو لما تمیز لنا من غیره ولاختلط الحق بالباطل!

فالمعجزة مشـتملة علی تصـدیقه جملـة واحـدة من غیر خصوص، فتبرئـة النبی(ص)عن ذلک کله واجب، برهاناً وإجماعاً، کما قاله أبو اسحاق.

فصل: وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنین سؤالات:

منهـا مـا روی من أن النـبی(ص)لمـا قرأ سـورة والنجم: أَفَرَأَیْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّی، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأـخری، قـال: تلـک الغرانیق العلی، وإن شفاعتها لترتجی. ویروی ترتضـی، وفی روایـة إن شـفاعتها لترتجی وإنها لمع الغرانیق العلی. وفی أخری والغرانقة العلی تلک الشـفاعة ترتجی، فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والکفار لمَّا سمعوه أثنی علی آلهتهم!

ومـا وقع فی بعض الروایـات أن الشـیطان ألقاها علی لسانه وأن النبی(ص) کان یتمنی أن لو نزل علیه شـئ یقارب بینه وبین قومه. وفی روایـة أخری أن لاینزل علیه شـئ ینفرهم عنه، وذکر هـذه القصـة، وأن جبریل علیه السـلام جاءه فعرض علیه السورة فلما بلغ الکلمتین قـال له: ماجئتک بهاتین! فحزن لـذلک النبی(ص)فأنزل الله تعالی تسـلیة له: وَمَا أَرْسَـلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِیٍّ..الآیـة وقوله: وَإِنْ کَادُوا لَیَفْتِنُونَکَ..الآیة.

فاعلم أکرمک الله أن لنا فی الکلام علی مشکل هذا الحدیث مأخذین: أحدهما فی توهین أصله، والثانی علی تسلیمه.

أمـا المأخـذ الأـول، فیکفیک أن هـذا حـدیث لم یخرجه أحـد من أهل الصـحة ولا رواه ثقـة بسـند سـلیم متصل! وإنما أولع به وبمثله المفسـرون والمؤرخون المولعون بکـل غریب، المتلقفون من الصـحف کل صـحیح وسـقیم، وصـدق القاضـی بکر بن العلاء المالکی حیث قال: لقـد بلی الناس ببعض أهل الأهواء والتفسـیر وتعلق بـذلک الملحـدون، مع ضـعف نقلته واضـطراب روایاته وانقطاع إسـناده واختلاـف کلماته، فقائل یقول إنه فی الصـلاة، وآخر یقول قالها فی نادی قومه حین أنزلت علیه السورة، وآخر یقول قالها وقـد أصابته سِنـة، وآخر یقول بـل حـدَّث نفسه فیها، وآخر یقول إن الشـیطان قالها علی لسانه وأن النبی(ص)لما عرضـها علی جبریل قال ما هکـذا أقرأتـک، وآخر یقول بـل أعلمهم الشـیطان أن النبی(ص)قرأها، فلما بلغ النبی(ص)ذلک قال: والله ما هکـذا نزلت.. إلی غیر ذلک من اختلاف الرواة.

ومن حُکیت هـذه الحکایـة عنه من المفسـرین والتابعین، لم یسـندها أحد منهم ولا رفعها إلی صاحب! وأکثر الطرق عنهم فیها ضـعیفة واهیـة، والمرفـوع فیـه حـدیث شـعبة، عـن أبی بشـر، عـن سـعید بـن جـبیر، عن ابن عبـاس قـال: فیمـا أحسب الشـک فی الحـدیث أن النبی(ص)کان بمکة وذکر القصة.

قال أبو بکر البزار: هذا الحدیث لانعلمه یروی عن النبی(ص)باسـناد متصل یجوز ذکره إلا هذا، ولم یسنده عن شعبة إلا أمیة بن خالد، وغیره یرسله عن سـعید بن جبیر، وإنما یعرف عن الکلبی، عن أبی صالـح، عن ابن عباس. فقد بین لک أبو بکر رحمه الله أنه لایعرف

من طریق یجوز ذکره سوی هذا، وفیه من الضعف ما نبه علیه، مع وقوع الشک فیه کما ذکرناه، الذی لا یوثق به ولاحقیقهٔ معه.

وأما حدیث الکلبی فمما لا تجوز الروایهٔ عنه ولا ذکره، لقوهٔ ضعفه وکذبه کما أشار إلیه البزار رحمه الله.

والذی منه فی الصحیح أن النبی(ص)قرأ والنجم وهو بمکهٔ، فسجد معه المسلمون والمشرکون والجن والإنس). انتهی.

وینبغی أن نحسن الظن بالقاضی عیاض بأنه لم یطلع علی الطرق والأسانید الکثیرهٔ لحدیث الغرانیق، لکن العجب أنه أورد ما رواه البخاری فی الصحیح، وهرب منه ولم یعلق علیه بشیءٍ! فهل غاب علیه أن ما رواه البخاری هو حدیث الغرانیق بعینه وذاته، وأنه لم یُرْوَ سجود المشرکین مع المسلمین فی غیره أبداً؟!

ثم تابع القاضی عیاض توهین حدیث الغرانیق من جههٔ دلالته فقال:

(هذا توهینه من طریق النقل، فأما من جههٔ المعنی فقد قامت الحجهٔ وأجمعت الأمهٔ علی عصمته(ص)ونزاهته عن مثل هذه الرذیلهٔ، إما من تمنیه أن ینزل علیه مثل هذا من مدح آلههٍ غیر الله، وهو کفر! أو أن یتسور علیه الشیطان ویشبِّه علیه القرآن حتی یجعل فیه ما لیس منه ویعتقد النبی(ص)أن من القرآن ما لیس منه حتی ینبهه جبریل علیه السلام وذلک کله ممتنع فی حقه(ص)! أو یقول ذلک النبی(ص)من قبل نفسه عمداً وذلک کفر! أو سهواً وهو معصوم من هذا کله! وقد قررنا بالبراهین والإجماع عصمته (ص)من جریان الکفر علی قلبه أولسانه لاعمداً ولا ـ سهواً، أو أن یتشبه علیه ما یلقیه الملک مما یلقی الشیطان، أو یکون للشیطان علیه سبیل أو أن یتقول علی الله لاعمداً ولاسهواً ما لم ینزل علیه، وقد قال الله تعالی:وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِیلِ، الآیهٔ. وقال تعالی: إِذاً لَأَذَقْنَاکَ ضِعْفَ الْحَیَاهِٔ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ. الآیهٔ.

ووجه ثان، وهو استحالهٔ هذه القصهٔ نظراً وعرفاً، وذلک أن هذا الکلام لو کان کما روی لکان بعید الإلتئام متناقض الأقسام، ممتزج المُدح بالضم، متخاذل التألیف والنظم، ولما کان النبی(ص)ولا من بحضرته من المسلمین وصنادید المشرکین ممن یخفی علیه ذلک! وهذا لا یخفی علی أدنی متأمل، فکیف بمن رجح حلمه، واتسع فی باب البیان فصیح الکلام علمه.

ووجه ثالث، أنه قد علم من عادهٔ المنافقین ومعاندی المشرکین وضَعَفَهٔ القلوب والجَهَلهٔ من المسلمین نفورهم لأول وهلهٔ، وتخلیط العدو علی النبی(ص) لأقل فتنهٔ، وتعییرهم المسلمین والشماتهٔ بهم الفیْئَهٔ بعد الفینهٔ، وارتداد من فی قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنی شبههٔ، ولم یَحْکِ أحدٌ فی هذه القصهٔ شیئاً سوی هذه الروایهٔ الضعیفهٔ الأصل، ولو کان ذلک لوجَدَت قریش بها علی المسلمین الصولهٔ، ولأقامت بها الیهود علیهم الحجهٔ کما فعلوا مکابرهً فی قصهٔ الإسراء، حتی کانت فی ذلک لبعض الضعفاء ردهٔ، وکذلک ما روی فی قصهٔ القضیهٔ(صلح الحدیبیهٔ)،ولافتنهٔ أعظم من هذه البلیهٔ لو وجدت، ولاتشغیب للمعادی حینئذ أشد من هذه الحادثهٔ لو أمکنت.

فما روی عن معاند فیها کلمهٔ، ولا عن مسلم بسببها بنت شفهٔ، فدل علی بطلها واجتثاث أصلها، ولاشک فی إدخال بعض شیاطین الإنس أو الجن هذا الحدیث علی بعض مغفلی المحدثین لیلبس به علی ضعفاء المسلمین!

ووجه رابع، ذکر الرواهٔ لهذه القضیهٔ أن فیها نزلت: وَإِنْ کَادُوا لَیَفْتِنُونَکَ.. الآیتین وهاتان الآیتان تردان الخبر الذی رووه، لأن الله تعالی ذکر أنهم کادوا یفتنونه حتی یفتری، وأنه لولا ـ أن ثبته لکاد یرکن إلیهم، فمضمون هذا ومفهومه أن الله تعالی عصمه من أن یفتری وثبته حتی لم یرکن إلیهم قلیلاً فکیف کثیراً! وهم یروون فی أخبارهم الواهیهٔ أنه زاد علی الرکون والإفتراء بمدح آلهتهم وأنه قال(ص):(افتریت علی الله وقلتُ ما لم یُقل) وهذا ضد مفهوم الآیهٔ، وهی تضعف الحدیث لو صح، فکیف ولا صحهٔ له؟!). انتهی.

ثم ذکر عیاض الوجوه التی ذکرها علماؤهم لتوجیه حدیث الغرانیق، وضعَّف أکثرها، وبذلک تنزَّل وفتح الباب لاحتمال صحته، وهو أضعف الإیمان!

غرانیق قریش یتصیدها بروکلمان و مونتغمری

انتقـد الباحث السودانی عبـدالله النعیم فی کتابه: الإستشـراق فی السـیرة النبویـة- (نشـرالمعهد العالمی للفکر الإسـلامی۱۴۱۷) استغلالَ المستشـرقین لروایـة الغرانیق، ونقل فی ص۵۱ افـتراءَ المستشـرق بروکلمـان وقوله عن النبـی صـلی الله علیه وآله: (ولکنه علی مـا یظهر اعترف فی السـنوات الأولی من بعثته بآلهـة الکعبـة الثلاث اللواتی کان مواطنوه یعتبرونهن بنات الله، وقد أشار إلیهن فی إحدی الآیات الموحاة إلیه بقوله: تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترجی... ثم ما لبث أن أنکر ذلک وتبرأ منه فی الیوم التالی)!!

ونقل فی ص۹۶ عن المستشـرق مونتغمری وات قوله: (تلا محمد الآیات الشـیطانیة باعتبارها جزءً من القرآن، إذ لیس من المتصور أن تکون القصـة من تألیف المسـلمین أو غیر المسـلمین، وإن انزعاج محمـد حینما علم بأن الآیات الشـیطانیة لیست جزءً من القرآن، یدل علی أنه تلاها، وأن عبادة محمـد بمکة لاتختلف عن عبادة العرب فی نخلة والطائف (محلتان لأصـنام قریش) ولقد کان توحید محمد غامضاً، ولاشک أنه یعد اللات والعزی ومناة کائنات سماویة أقل من الله). انتهی.

ومع أن المستشـرقین لایحتـاجون إلی الروایـات الموضوعـة لیتمسـکوا بهـا، فهم یکـذبون علی نبینا صـلی الله علیه وآله وعلی مصادرنا جهاراً نهاراً، لکن المؤسف أن تحفل مصادر السـنیین وفی طلیعتها البخاری بالإفتراءات علی النبی صـلی الله علیه وآله کقصـة الغرانیق، وقصة ورقة بن نوفل، وغیرهما من القرشـیات المخالفة للعقل، فتقدِّم للمستشـرقین مادةً ومستمسـکاً للطعن فی النبی صلی الله علیه وآله والقرآن والإسلام!

ملاحظات علی قصة الغرانیق

۱- لعل فریة الغرانیق أعظم فریة تضـمنتها مصادر الحدیث السـنیة علی رسول الله صـلی الله علیه وآله من بین أکثر من ثلاثین فریة علیه بـأنه شک فی نبوته، وأنه خالف أوامر ربه، وتحیز لأقربائه، وأنه کان یهتم بالأغنیاء ویعبس فی وجه الفقراء، أو اتهمته بسـلوک مشـین! وقد تعرضنا لأکثرها فی المجلد الرابع من کتاب الإنتصار.

۲- من المفارقـات الواضـحة فی روایـاتهم أن سورة النجم الـتی اتهموا النبـی صـلی الله علیه وآله بـأنه تعمـد فی قراءتهـا الکفر ومـدح الأصـنام وسـجد لهـا، أو أن الشـیطان قالهـا علی لسانه، أو أنه نسـی وأثَّر علیه الشـیطان ففعل ذلک! هی السورة التی نص الله تعالی فی مطلعها علی عصـمة نبیه صـلی الله علیه وآله عصـمة مطلقة بمسـتوی لم یبلغه نبی ولا رسول آخر علیهم السـلام! قال تعالی: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَی. مَا ضَلَّ صَاحِبُکُمْ وَمَا غَوَی. وَمَایَنْطِقُ عَنِ الْهَوَی.إِنْ هُوَإِلا وَحْیٌ یُوحَی. عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوَی.

فکأنهم تعمـدوا وضع فریـة الغرانیق فی سورة نصت علی العصـمة الشاملة للنبی صـلی الله علیه وآله تکذیباً صـریحاً للقرآن لیقولوا: بل نطق عن الهوی وکفر، وسجد للأصنام تقرباً لقریش! فوبخه الله وتسامح معه وتاب علیه!!

۳- لا بـد علی زعمهم أن یکون جبرئیل قـد تأخر فی توبیخ النبی صـلی الله علیه وآله أیاماً عدیدة حتی انتشـر خبر کفر النبی صـلی الله علیه وآله وسـجوده للأصـنام فی مکة، ووصل الخبر إلی الحبشة ففرح المسلمون المهاجرون بالحل السلمی مع قریش! وعاد قسم منهم إلی مکة، فوجدوا نبیهم صـلی الله علیه وآله عاد إلی التوحید وکفَر بالأصـنام بعد أن وبخه جبرئیل علیه السـلام، وأن قریشاً عادت إلی عدائها له، فرجعوا أدراجهم إلی الحبشة!

وقد تندر الأخ الباحث السـید جعفر مرتضـی علی ذلک فقال فی الصـحیح من السـیرة:۳/۱۴۶: (وقولهم إن هـذه القضـیة قد کانت بعد شهرین من الهجرة إلی الحبشـة نقول فیه: إنهم یقولون إن عودة مهاجری الحبشـة قـد کانت بعـد شـهرین أیضاً، فهل وصل إلیهم الخبر بالتلکس، أو بالتلفون، وهل جاؤوا بالطائرة، أم بالصواریخ؟! إلا أن یکون المراد أنهم بدأوا بالتوجه نحو مکة بعد شهرین من هجرتهم، وإن کان هذا بعیداً عن ظاهر اللفظ.

وکـذا قولهم إنه لما عرض صـلی الله علیه وآله السورة علی جبرئیل وقرأ الفقرتین أنکرهما جبرئیل فقال صـلی الله علیه وآله: قلت علی الله مـا لم یقل! فأنزل الله: وَإِنْ کَادُوا لَیَفْتِنُونَکَ، نقول فیه إن الخطاب فی الآیـة للنبی صـلی الله علیه وآله أن الناس کادوا یفتنونه مع أن

الروایة تنص علی أن الشیطان هو الذی کاد أن یفتنه.. إلی غیر ذلک من موارد الضعف والوهن والتناقض التی یمکن تلمسها فی هذا المجال). انتهی.

۴- لیت الفخر الرازی وعیاضاً وابن کثیر والقرضاوی، وغیرهم من الذین ردوا حدیث الغرانیق لمخالفته للقرآن والعقل، یتمسکون بهذا الدلیل لرد غیره من المکذوبات المخالفة للقرآن مما وضعه منافقوا قریش وروجته الخلافة القرشیة ورواتها، ولم یعدوها من الأحادیث الصحیحة أو الموثقة!!

قال الطباطبائی فی تفسیر المیزان:۱۴/۳۹۶، عن روایة الغرانیق:

(الروایة مرویة بطرق عدیدة عن ابن عباس وجمع من التابعین، وقد صححها جماعة منهم الحافظ ابن حجر، لکن الأدلة القطعیة علی عصمته صلی الله علیه وآله تکذب متنها وإن فرضت صحة سندها فمن الواجب تنزیه ساحته المقدسة عن مثل هذه الخطیئة، مضافاً إلی أن الروایة تنسب إلیه صلی الله علیه وآله أشنع الجهل وأقبحه فقد تلی: تلک الغرانیق العلی وإن شفاعتهن لترتجی، وجهل أنه لیس من کلام الله ولا نزل به جبریل، وجهل أنه کفر صریح یوجب الإرتداد وداوم علی جهله حتی سجد وسجدوا فی آخر السورة، ولم یتنبه ثم داوم علی جهله حتی نزل علیه جبریل وأمره أن یعرض علیه السورة فقرأها علیه وأعاد الجملتین، وهو مصر علی جهله حتی أنکره علیه جبریل، ثم أنزل علیه آیة تثبت نظیر هذا الجهل الشنیع والخطیئة الفضیحة لجمیع الأنبیاءوالمرسلین علیهم السلام وهی قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ إلاـ إذا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطَانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ، وبذلک یظهر بطلان ما ربما یعتذر دفاعاً عن الحدیث بأن ذلک کان سبقاً من لسان دفعةً بتصرف من الشیطان سهواً منه وغلطاً من غیر تفطن! فلا متن الحدیث علی ما فیه من تفصیل الواقعة ینطبق علی هذه المعذرة، ولا دلیل العصمة یجوز مثل هذا السهو والغلط.

علی أنه لو جاز مثل هذا التصرف من الشیطان فی لسانه صلی الله علیه وآله بإلقاء آیة أو آیتین فی القرآن الکریم، لارتفع الأمن عن الکلام الإلهی فکان من الجائز حینئذ أن یکون بعض الآیات القرآنیة من إلقاء الشیطان، ثم یلقی نفس هذه الآیة وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ، الآیة، فیضعه فی لسان النبی وذکره فیحسبها من کلام الله الذی نزل به جبریل کما حسب حدیث الغرانیق کذلک، فیکشف بهذا عن بعض ما ألقاه وهو حدیث الغرانیق ستراً علی سائر ما ألقاه. أو یکون حدیث الغرانیق من کلام الله وآیة وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلانَبِیٍّ، الخ، وجمیع ما ینافی الوثنیة من کلام الشیطان، ویستر بما ألقاه من الآیة وأبطل من حدیث الغرانیق علی کثیر من إلقاءاته فی خلال الآیات القرآنیة، وبذلک یرتفع الاعتماد والوثوق بکتاب الله من کل جهة، وتلغو الرسالة والدعوة النبویة بالکلیة، جلت ساحة الحق من ذلک). انتهی.

۵- من الحیل اللفظیة التی استعملها رواة قریش، أنهم حاولوا تغطیة طعنهم بالنبی صلی الله علیه وآله، فقالوا إنه صلی الله علیه وآله سجد بعد أن أکمل قراءة سورة النجم، وکأنه سجد لله وللأصنام معاً!! وهذه بعض نصوصهم:

(فقال: وإنهن لهن الغرانیق العلی، وإن شفاعتهن لهی التی ترتجی، فکان ذلک من سجع الشیطان وفتنته، فوقعت هاتان الکلمتان فی قلب کل مشرک بمکة وذلقت بها ألسنتهم وتباشروا بها. وقالوا: إن محمداً قد رجع إلی دینه الأول ودین قومه. فلما بلغ رسول الله(ص)آخر النجم، سجد وسجد کل من حضر من مسلم ومشرک، ففشت تلک الکلمة فی الناس، وأظهرها الشیطان حتی بلغت أرض الحبشة، فأنزل الله: وما أرسلنا من قبلک...).

وفی بعضها: (ألقی الشیطان علی لسانه: وهی الغرانیق العلی، شفاعتهن ترتجی، فلما فرغ من السورة سجد، وسجد المسلمون والمشرکون إلا أبا أحیحة سعید بن العاص، فإنه أخذ کفاً من تراب فسجد علیه، وقال: قد آن لابن أبی کبشة أن یذکر آلهتنا بخیر، فبلغ ذلک المسلمین الذین کانوا بالحبشة أن قریشاً قد أسلمت فأرادوا أن یقبلوا، واشتد علی رسول الله(ص)وعلی أصحابه ما ألقی الشیطان علی لسانه، فأنزل الله: وما أرسلنا من قبلک من رسول ولا نبی.. الآیة). انتهی. (راجع أیضاً مجمع الزوائد: ۶/۳۲ و: ۷/۷۰).

لکن غاب عنهم أن المشرکین کانوا یرفضون السجود لله تعالی کما قال عنهم: وَإِذَا قِیلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَاالرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ

لِمَاتَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً. فلا بـد أن يكون سـجودهم على أثر مـدحه لآلهتهم، وهو فى الثلث الأول للسورة بعد الآية العشـرين منها. وبما أن السورة اثنتان وسـتون آية، وسـياقها متتابع، فلا يمكن أن نجمع بين سجود النبى صلى الله عليه وآله والمشركين معاً، وبين قولهم إنه صبر حتى أكمل السورة فسجد لله تعالى وحده، أو لله وللأصنام معاً!!

۶- بناءً على قصـتهم المزعومة، لابد أن يكون النبى صلى الله عليه وآله ترك آيات ذم اللات والعزى ومناة فى سورة النجم ولم يقرأها يومئذ، وهى قبل آيات الغرانيق المزعومة وبعدها، فكانت جريمته حذف آيات كثيرة واستبدالها بآيات الغرانيق الشيطانية! فلا يعقل أنَّ يكون زعماء قريش فرحوا وسجدوا عند مدح أصنامهم، ثم سمعوه يقرأ بقية السورة، وكلها هجوم كاسح عليهم؟!

۷- ينبغى الإلفات هنا إلى أن اللات والعزى ومناة أسماء مؤنثة، زعمت قريش أنها ملائكة وأن الملائكة إناث! وقد ردهم الله تعالى فى نفس الآيات:

(أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الإخرَى. أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنثى. تِلْكَ إذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى. إنْ هِىَ إلاأَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى. أَمْ لِلإنْسَانِ مَا تَمَنَّى. فَلِلَّهِ الآخرة وَالأولى. وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِى السَّمَوَاتِ لاتُغْنِى شَفَاعَتُهُمْ شيئاً إلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى. إنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخرة لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأنثى. وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إنْ يَتَّبِعُونَ إلا الظَّنَّ وَإنَّ الظَّنَّ لايُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا. فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إلا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا.ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إنَّ رَبَّكَ هُوَأَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَأَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) (النجم:۱۹-۲۹)

أما مكـان هـذه الأصـنام الثلاثـة، فقـد جـاء فى لسـان العرب:۲/۱۱۲: (تقـول العرب: اللات والعزى وأشـباهها مـن الآلهـة المؤنثـة)، وفى:۵/۳۷۸: (اللات صنم كان لثقيف، والعزى صنم كان لقريش وبنى كنانة).

وفى مجمع البحرين:۴/۱۵۱:(اللات والعزى ومناة، إسم أصنام من حجارة، كـانت فى جوف الكعبة يعبدونها، فاللات لثقيف وقيل لقريش، والعزى لغطفان ومناة لهذيل وخزاعة).

وفى التبيان:۹/۴۲۷: (أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأخرى، أسماءأصـنام كانت العرب تعبـدها، والعزى كانت تعبـدها غطفان، وهى شجرة سمرة عظيمة، واللات صنم كانت ثقيف تعبدها، ومنات كانت صخرة عظيمة لهذيل وخزاعة كانو يعبدونها). انتهى.

ويظهر أن هذه الثلاثة كانت مفضلة عند قريش ومعها غيرها من قبائل العرب، وأن بعض هذه الأصنام كان خارج مكة، لكن لها ثلاثة تماثيل عنـد الكعبـة أو داخلها، وروى أن الأصـنام حول الكعبـة وعلى سـطحها كانت أكثر من ثلاث مئـة، وكانت قريش اكثر تمسـكاً بالعزى من بينها! ففى أمالى الطوسى:۱/۳۱۶، عن ابن عباس قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على قتلى بدر فقال:جزاكم الله من عصابـة شـراً! لقـد كـذَّبتمونى صادقـاً، وخوَّنتمونى أميناً. ثم التفت إلى أبى جهل بن هشام فقال: إن هـذا أعتى على الله من فرعون! إن فرعون لما أيقن بالهلاك وَحَّدَ الله، وهذا لما أيقن بالهلاك دعا باللات والعزى)!! (ومثله فى مجمع الزوائد:۶/۹۱).

وفى مجمع الزوائد:۶/۲۱: (وعن رجل من بنى مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله(ص)بسوق ذى المجاز يتخللها يقول: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، قـال وأبو جهـل يحثى عليه التراب ويقول: لايغوينكم هـذا عن دينكم فإنما يريـد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى، ومـا يلتفت إليه رسول الله! قلت: إنعت لنـا رسول الله (ص)، قـال: بين بردين أحمرين، مربوع، كثير اللحم، حسن الوجه شديد سواد الشعر، أبيض شديد البياض، سابغ الشعر. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح). انتهى.

۸- نزلت سورة الإسـرا ء فى مكة، ودلت على أن النبى صـلى الله عليه وآله كان يتعرض لضـغط المشركين، وأن الله تعالى ثبته وعصمه من الوقوع تحت تـأثيرهم، ولم تشـر إلى أنه كـان يتعرض لضـغط الشـيطان وتأثيره، قال تعالى: (وَإنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإذًا لاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا. وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إلَيْهِمْ شيئاً قَلِيلًا. إذًا لاذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاتَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا). (الإسراء:۷۳-۷۵)

كما أنها تضمنت تهديداً للنبى صلى الله عليه وآله إن هو غيَّر فى القرآن وتقوَّل على ربه.

وفى المقابل، تقول قصة الغرانيق إن الله لم يثبت نبيه صلى الله عليه وآله وإنه خضع لضغوط قريش ولتأثير الشيطان، فكفر بعد إيمانه، ومدح الأصنام، وافترى على ربه! فالسؤال: لماذا لم يعاقبه ربه، ولا أذاقه ضعف الحياة وضعف الممات؟! وهل هذا إلا نقضٌ لمصداقية القرآن واتهامٌ لله تعالى بأنه تراجع عن تهديده؟!

۹- نزلت سورة الحاقة فى المدينة المنورة، وفيها قوله تعالى: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم. وَمَا هُوَبِقَوْلِ شَاعِرٍ قليلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلابِقَوْلِ كَاهِنٍ قليلاً مَا تَذَكَّرُونَ. تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أحد عَنْهُ حَاجِزِينَ). (الحاقّة:۴۰-۴۷)

فمن حق المسلم فى المدينة أن يسأل أين مصداقية هذا الكلام وقد كفر النبى صلى الله عليه وآله وتقوَّل على ربه وافترى عليه أعظم فرية، وغيَّر فى القرآن ومدح الأصنام، فلم يأخذ منه باليمين ولاقطع منه الوتين، بل اكتفى بتوبيخه وسامحه وتاب عليه! بل أعطاه الأجر العظيم الذى يستحقه الأنبياء عليهم السلام لتوبتهم من كفرهم ومعاصيهم كما يزعم ابن تيمية!!

وهكذا تستوجب قصة الغرانيق مضافاً إلى طعنها بالنبى صلى الله عليه وآله الطعن بالله تعالى وتكذيب العديد من الآيات، وليس ما ذكرناه إلا نموذجين منها.

۱۰- فى السيرة والتاريخ عدة مفردات حول اللات والعزى تضيئ لنا خلفية الفرية القرشية على النبى صلى الله عليه وآله، وتكشف أن قبائل قريش تبنَّتْ عبادة اللات والعزى فى مقابل خط الأحناف من بنى إسماعيل، وحتى فى مقابل الكعبة! وأن عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وآله كان متشدداً فى رفض أصنامهم والتمسك بحنيفية إبراهيم عليه السلام. ففى معجم البلدان:۳/۲۲۶: (وقال أبو المنذر: وكانت قريش قد حمت للعزى شعباً من وادى حراض يقال له سُقام يضاهون به حرم الكعبة)!!

وفى:۴/۱۸۵: (وقيل: الغَبْغَب: هو الموضع الذى كان يُنحر فيه للات والعزى بالطائف، وخزانة ما يهدى إليهما بها.... قال أبو المنذر: وكان للعزى منحر ينحرون فيه هداياهم، يقال له الغبغب).

وفى تاريخ دمشق:۱۶/۲۳۲: من حديث خالد بن سعيد بن العاص، عن أبيه الذى هو من كبار زعماء قريش، قالت رواية الغرانيق إنه أخذ كفاً من حصى وسجد عليه، قال خالد للنبى صلى الله عليه وآله: (أىْ رسول الله، الحمد لله الذى أكرمنا بك وأنقذنا من الهلكة، ولقد كنت أرى أبى يأتى إلى العزى بِحَتْرةٍ مائة من الإبل والغنم فيذبحها للعزى، ويقيم عندها ثلاثاً ثم ينصرف إلينا مسروراً! فنظرت إلى ما مات عليه أبى، وذلك الرأى الذى كان يعاش فى فضله كيف خدع حتى صار يذبح لحجر لايسمع ولايبصر ولايضر ولاينفع! فقال رسول الله(ص):إن هذا الأمر إلى الله، فمن يسَّرَهُ للهدى تيسر، ومن يُسِّر للضلالة كان فيها).

وذكر الدكتور شوقى ضيف فى تاريخ الأدب العربى ص۴۱ (دارالمعارف المصرية) أن المنذر بن ماء السماء ملك المناذرة المعاصر لعبد المطلب، وهو أعظم ملك وثنى فى العرب، أَسَرَ ابن الحارث بن شمر ملك الغساسنة النصرانى فى حرب ضروس بين المناذرة والغساسنة، فذبحه قرباناً للعزى!!

وهو يعطينا ضوءاً على نذر عبد المطلب(رض)إن رزقه الله عشرة أولاد أن يذبح أحدهم قرباناً للكعبة، أى لرب الكعبة عز وجل، تعزيزاً لدين جده إبراهيم صلى الله عليه وآله، ورداً على قريش وعلى عمل المنذر فى تعزيزهم مكانة صنم العزى!

ومما يدل على مكانة اللات والعزى عند القرشيين غير بنى هاشم، أن شعارهم فى الحرب، وتعاقدهم، وقسمهم الرسمى، كان باسمها: ففى طبقات ابن سعد:۲/۴۲: (ونادى المشركون بشعارهم يا للعزى يا لهبل! وأوجعوا فى المسلمين قتلًا ذريعاً، وولى من ولى منهم يومئذ وثبت رسول الله (ص)ما يزول، يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا). انتهى.

كما تعاقدت قريش على قتل النبى صلى الله عليه وآله بإسم اللات والعزى، ففى مستدرك الحاكم:۱: ۱۶۳، وصححه: (عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله وهى تبكى فقال: يابنية ما يبكيك قالت: يا أبت مالى لا أبكى وهؤلاء الملأ من قريش فى الحجر يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، لو قد رأوك لقاموا إليك فيقتلونك، وليس منهم رجل إلا وقد عرف

نصیبه من دمک...الخ.). (ورواه أحمد وصححه الهیثمی فی الزوائد:۸ /۲۲۸)

وقد بقیت عادهٔ القسم باللات والعزی علی ألسنهٔ القرشیین حتی بعد إسلامهم! فقد روی ابن ماجه:۱/۶۷۸،أن سعد بن أبی وقاص قال للنبی صلی الله علیه وآله:حلفت باللات والعزی فقال رسول الله (ص) قل: لا ـ إله إلا ـ الله وحده لا شریک له، ثم انفث عن یسارک ثلاثاً، وتعوَّذ ولا تَعُد). انتهی.(ورواه أبو داود فی:۲/۹۰، والترمذی:۳/ ۴۶ وص۵۱، والنسائی: ۷/۷، وأحمد:۱/ ۱۸۳ و۱۸۶ و:۲/ ۳۰۹، والبیهقی:۱/ ۱۴۹ و:۱۰/۳۰، ومالک فی الدونهٔ: ۲/۱۰۸ونحوه البخاری:۶/۵۱ و: ۷/۹۷ وص۱۴۴ وص۲۲۲و۲۲۳ ومسلم:۵/۸۱ وص۸۲).

وبهذا نفهم کُرْهَ النبی صلی الله علیه وآله للات والعزی بأنه مضافاً إلی کونه عصمهٔ إلهیهٔ، فهو موروثٌ من أسرته الحنیفیهٔ، وقد انفردت مصادرنا بروایهٔ بغض النبی صلی الله علیه وآله لأصنام قریش، دون مصادرهم! ففی کمال الدین وتمام النعمهٔ:۱/۱۸۴، فی خبر بحیری الراهب: (قال بحیری: یاغلام أسألک عن ثلاث خصال بحق اللات والعزی إلا ما أخبرتنیها. فغضب رسول الله صلی الله علیه وآله عند ذکر اللات والعزی وقال: لاتسألنی بهما فوالله ما أبغضت شیئاً کبغضهما، وإنما هما صنمان من حجارهٔ لقومی!

فقال بحیری: هذه واحدهٔ، ثم قال: فبالله إلا ما أخبرتنی، فقال: سل عما بدا لک فإنک قد سألتنی بإلهی وإلهک الذی لیس کمثله شئ، فقال: أسألک عن نومک ویقظتک، فأخبره عن نومه ویقظته وأموره وجمیع شأنه، فوافق ذلک ما عند بحیری من صفته التی عنده، فانکب علیه بحیری فقبل رجلیه وقال: یا بنی ما أطیبک وأطیب ریحک، یا أکثر النبیین أتباعاً...). انتهی.

عمر عندهم معصوم و أفضل من جمیع الأنبیاء

النبی معصوم نظریا، و أبوبکر و عمر معصومان عملیا

یقول أتباع المذاهب السنیهٔ إن النبی صلی الله علیه وآله معصوم فی تبلیغ الرسالهٔ فقط، دون بقیهٔ سلوکه العام، وسلوکه الشخصی! لکن هذا الکلام نظری فقط! لأن مصادرهم الصحیحهٔ تزعم أن النبی صلی الله علیه وآله ارتکب أخطاء عدیدهٔ فی سلوکه الشخصی والعام، وحتی فی تبلیغ الرسالهٔ! وأن بعض أخطائه کان یصححها له جبرئیل علیه السلام، وبعضها کان یصححها له عمر بن الخطاب فیؤیده الوحی!

أما أهل بیت النبی وعترته صلی الله علیه وآله، علیٌّ وفاطمهٔ والحسن والحسین علیهم السلام، فهم لا یروْن عصمتهم، ویقولون إن لهم فضائل کما لهم أخطاء، ولا ـیعترفون بأنهم معیَّنون من الله تعالی أوصیاء للنبی صلی الله علیه وآله وأئمهٔ للأمهٔ، بل یؤوِّلون الآیات والأحادیث التی تدل علی عصمتهم وإمامتهم علیهم السلام، ویجعلون درجهٔ علی علیه السلام رابع الصحابهٔ، لأنه کان الخلیفهٔ الرابع! وأکثرهم یفضل علیه أبا بکر وعمر وعثمان، وقد یفضلون عائشهٔ علی فاطمهٔ الزهراء علیها السلام...الخ.

فالصحابهٔ عندهم هم الأصل بعد النبی صلی الله علیه وآله والأفضل من جمیع أجیال الأمهٔ، وعنهم یتلقَّوْن دینهم، ولایهتمون بالرأی المخالف لهم، بل یعتبرونه خطأً أو انحرافاً عن الإسلام، حتی لو کان صادراً من أهل بیت النبی صلی الله علیه وآله!

وقد وصل بهم الأمر إلی أنهم یقرنون الصحابهٔ بالنبی فی الصلاهٔ علیه صلی الله علیه وآله، وقد یحذفون منها الصلاهٔ علی آل النبی صلی الله علیه وآله، مع أنهم رووا فی أصح صحاحهم أن النبی صلی الله علیه وآله علَّمَهم الصلاهٔ علیه، وأمرهم أن یقرنوا به آله علیهم السلام فقط!

مقولهٔ عدالهٔ الصحابهٔ سیاج لعصمهٔ أبی بکر وعمر

وعندما تراهم أو تسمعهم یقولون(الصحابهٔ)، فلا تتصور أنهم یقصدون المئهٔ ألف شخص وأکثر، الذین رأوا النبی صلی الله علیه وآله وأطلقوا علیهم إسم (الصحابهٔ)!

بل عليك أن تعرف باطن كلامهم وأنهم لايقصدون إلا أربعة رجال منهم فقط: أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ومَن وافقهم، ومعهم امرأتان: عائشة وحفصة، ومن وافقهما! ولايُدخلون معهم حتى أهل بيت النبوة علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، مع أنهم أهل بيت وصحابة!

فباقي الصحابة إنما يقبلونهم بشرط أن يوافقوا هؤلاء الستة، ولا ـ عبرة بقولهم جميعاً إن خالفوا الستة، بل لا عبرة بقولهم جميعاً إن خالفوا عمر وحده!

ولا يقول السنيون نظرياً بعصمة هؤلاء الصحابة الستة. لكن ما قيمة الكلام النظرى وهم عملياً يقولون بعصمتهم كمجموع، بل بعصمة عمر وأبى بكر خاصة، والدليل البسيط على ذلك أنهم لايقبلون أن يوجه اليهما أى نقد! ويصححون أفعالهما وأقوالهما بكل وسيلة حتى فى مقابل النبى صلى الله عليه وآله!

بل يغالون فيحكمون بضلال من ينتقدهما، أو بكفره!

يشعر أتباع الخلافة القرشية بأنهم مجبورون على القول بعصمة الشيخين! لأن عدالة الصحابة لاتكفيهم لإثبات قداستهما، لأنها سيف ذو حدين!

كما أن حديث(أصحابى كالنجوم) الذى يحتج به علماؤهم فى علومهم المختلفة، رغم تضعيفهم له، سيفٌ ذو حدين! إذ يكفى بموجبه أن يقتدى المسلم بأى صحابى ويأخذ منه دينه وخطه السياسى، لأنه نجمٌ ربانى جعله الله دليلًا لعباده! فيحق للمسلم أن يرفض خلافة قريش وخلفائها، ويقتدى بالذين رفضوا سقيفتها واتهموا أبا بكر وعمر بالخيانة، ولم يبايعوهما إلا مجبرين، كسعد بن عبادة، فهو صحابى وزعيم أنصار الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله فهم صحابة وعترة! لكن هذا نقضٌ لغرضهم فى تربية الناس على تقديس الشيخين أبى بكر وعمر!

إنهم لايريدون عدالة الصحابة من أجل ذاتها، ولا من أجل الصحابة، بل من أجل عصمة أبى بكر وعمر بالخصوص، ولا كرامة لمن خالفهما!

فكل ما تراه من تأكيدهم على عدالة الصحابة، إنما هو تمهيد وسياج لعقيدة عصمة عمر وأبى بكر ليس إلا!

اضطرارهم لتضييق سياج الصحابة بأهل بدر و بيعة الرضوان

بعد أن أعطوا كل الصحابة صفة العدالة، وهم أكثر من مئة ألف، وهو أمر غير معقول، قاموا بخطوة فى تحديد السياج الذى أرادوه لأبى بكر وعمر، فضيقوا الدائرة وقالوا إن مقصودنا بالصحابة العدول المشهود لهم بالجنة، وهم أهل بدر وأهل بيعة الشجرة، وعددهم ألفٌ وأربع مئة كما فى البخارى!

قال البخارى فى:۵/۶۲: (عن البراء....كنا مع النبى(ص)أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبى(ص) فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ، ثم مضمض ودعا، ثم صبه فيها، فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا). انتهى.

وروى فى:۵/۶۳، عن ابن أبى أوفى أنهم ألف وثلاث مئة. وروى فى:۴/۱۹، أن النبى صلى الله عليه وآله قال فى قصة حاطب بن بلتعة، الذى خان المسلمين وكتب إلى المشركين بأنهم ينوون غزو مكة: (إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)! وكرره فى:۴/۳۸، و۳۹، وفى: ۵/۸۹ , وفى: ۶/۶۰، و:۷/۱۳۴، و: ۸/۵۵.

وروى فى:۵/۱۰: (فقال أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم)، ونحوه فى: ۷/۹۷.

وصححوا حديث مسلم:۷/۱۶۹، فى قصة حاطب أن النبى صلى الله عليه وآله قال: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد،

الذین بایعوا تحتها). وروی مسلم أن حفصة اعترضت فنهرها النبی صلی الله علیه وآله، و(أن عبداً لحاطب جاء رسول الله (ص) یشکو حاطباً فقال: یا رسول الله لیدخلنَّ حاطبٌ النار! فقال رسول الله (ص): کذبت لا یدخلها، فإنه شهد بدراً والحدیبیة). انتهی.

وبهذا ضیقوا دائرة الصحابة إلی نحو ألف وخمس مئة، لأن أهل بدر ضمن أهل الحدیبیة، ورفعوا علماً لذلک آیة: (لَقَدْ رَضِیَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبَایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِی قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّکِینَةَ عَلَیْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِیباً) (الفتح:۱۸) وجعلوها شعاراً ودثاراً فی الدفاع عنهم، لکنه دفاع بالمحال، لأن هذه الآیة کغیرها من الآیات متحفظة جداً، ولا إطلاق فیها، لا فی الأشخاص، ولا فی الزمان! فلو کان مقصوده عز وجل الإطلاق لما قیدها بقیدین فاستعمل کلمة (المؤمنین) وکلمة (إذ) ولقال: لقد رضی الله عن الذین یبایعونک تحت الشجرة!

فلما لم یقل ذلک وقال: لَقَدْ رَضِیَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ..فمعناه وجود غیر مؤمنین فیهم، وأن رضاه عن المؤمنین منهم محدود بظرف (إذْ) وهو زمن البیعة!

لکنهم اتخذوا قراراً بالدفاع عن هذا السیاج، لأن النیل من أهل بدر والحدیبیة یعنی انهیار آخر خطوط الدفاع عن أبی بکر وعمر وعثمان!

کما تراهم عندما یحتاج الأمر یوسعون السیاج، کما فعلوا فی مواجهة حملة المسلمین علی یزید بن معاویة: قال التفتازانی فی شرح المقاصد:۵/۳۱۰:

(فإن قیل: فمن علماء المذهب من لایجوِّز اللعن علی یزید، مع علمهم بأنه یستحق ما یربو علی ذلک ویزید.

قلنا: تحامیاً علی أن یرتقی إلی الأعلی فالأعلی، کما هو شعار الروافض، علی ما یروی فی أدعیتهم، ویجری فی أندیتهم، فرأی المعتنون بأمر الدین إلجام العوام بالکلیة، طریقاً إلی الإقتصاد فی الإعتقاد). انتهی.

فهذا التوسیع قانون من السلطة وعلمائها له قوة الدین! (فرأی المعتنون بأمر الدین إلجام العوام بالکلیة)!

عصمة عمر عندهم أعلی من عصمة جمیع الأنبیاء

قال البخاری فی صحیحه:۴/۹۶: (استأذن عمر علی رسول الله(ص)وعنده نساء من قریش یکلمنه ویستکثرنه، عالیة أصواتهن، فلما استأذن عمر قمن یبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله(ص)ورسول الله یضحک، فقال عمر: أضحک الله سنک یا رسول الله؟ قال: عجبت من هؤلاء اللاتی کنَّ عندی فلما سمعنَ صوتک ابتدرنَ الحجاب! قال عمر: فأنت یا رسول الله کنت أحق أن یَهَبْنَ، ثم قال: أیْ عدوات أنفسهن، أتهبنّنی ولا تهبنَ رسول الله؟ قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله(ص)! قال رسول الله(ص): والذی نفسی بیده مالقیک الشیطان قط سالکاً فجّاً إلا سلک فجاً غیر فجِّک). (وکرره البخاری فی:۴/۱۹۹و:۷/۹۳).

وما دام النبی صلی الله علیه وآله أخبر عن ربه بفرار الشیطان من عمر وعدم تأثیره علیه، فهو معصومٌ من کل أنواع الذنوب! بل هو أفضل من النبی صلی الله علیه وآله! لأنهم رووا أن شیطان النبی صلی الله علیه وآله معه لایهرب منه، وأنه خاض معه صراعاً فأعانه الله علیه!!

قال النووی فی شرح مسلم:۱۵/۱۶۵: (الفج الطریق الواسع، ویطلق أیضاً علی المکان المنخرق بین الجبلین. وهذا الحدیث محمولٌ علی ظاهره أن الشیطان متی رأی عمر سالکاً فجّاً هرب هیبة من عمر، وفارق ذلک الفج وذهب فی فج آخر لشدة خوفه من بأس عمر أن یفعل فیه شیئاً! قال القاضی: ویحتمل أنه ضرب مثلاً لبعد الشیطان وإغوائه منه، وأن عمر فی جمیع أموره سالک طریق السداد، خلاف ما یأمر به الشیطان. والصحیح الأول). (والدیباج:۵/۳۸۰).

وقال ابن حجر فی فتح الباری:۷/۳۸: (قوله: إلا سلک فجاً غیر فجک. فیه فضیلة عظیمة لعمر، تقتضی أن الشیطان لاسبیل له علیه، لا أن ذلک یقتضی وجود العصمة، إذ لیس فیه إلا فرار الشیطان منه أن یشارکه فی طریق یسلکها، ولا یمنع ذلک من وسوسته له بحسب ما

تصل إليه قدرته.

فإن قيل: عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة، لأنه إذا منع من السلوك فی طريق فأولى أن لايلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له، فيمكن أن يكون حُفِظَ من الشيطان، ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له، لأنها فی حق النبی واجبة، وفی حق غيره ممكنة.

ووقع فی حديث حفصة عند الطبرانی فی الأوسط بلفظ أن الشيطان لا يلقى عمر منذ أسلم إلا خرَّ لوجهه، وهذا دل على صلابته فی الدين، واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض). ثم نقل كلام النووی، وفی آخره: (والأول أولى، بدل: والصحيح الأول)! انتهى. وهو تحريف من أجل التخفيف!

لقد رأى ابن حجر أن حديث البخاری يجعل عمر معصوماً بدرجة فوق درجة عصمة النبی صلى الله عليه وآله! فأراد أن يخفف من وقعه فزعم أن ذلك لايستلزم العصمة، وأن فرار الشيطان منه لايمنع أنه يحاول الوسوسة له من بعيد بعيد وهو هارب منه!

ثم اعترف بأن فراره منه ينفی إمكانية وسوسته أصلًا، وقد روى هو وقبله أن الشيطان يخرُّ لوجهه إذا لقی عمر! ومع ذلك تحايل فی التأويل وقال هی عصمة جائزة وعصمة النبی صلى الله عليه وآله واجبة!

وليس ذلك إلا تلاعباً بالألفاظ من أجل عمر، فالعصمة الجائزة أو المستحبة التی اخترعوها عصمةٌ أكمل وأفضل من عصمة النبی صلى الله عليه وآله لأن الشيطان يفر من صاحبها ويخر لوجهه من رؤيته، بينما لا يفر من النبی صلى الله عليه وآله ولا يخر على وجهه!!

فهل رأيت كيف عَصَيرَ علماء الخلافة القرشية أدمغتهم من أجل عمر، فجعلوا النبوة قسمين: نبوة واجبة على الله تعالى للنبی صلى الله عليه وآله، ونبوة ممكنة قررها الله تعالى لعمر فوصل اليه مضمونها، وكادت تصل رسمياً: (لوكان بعدی نبی لكان عمر)!

وجعلوا العصمة قسمين: عصمة واجبة على الله للنبی صلى الله عليه وآله، وعصمة ممكنة أو مستحبة لله لعمر، وقالوا إن الله تعالى أتقن عمله المستحب أكثر من عمله الواجب فتدخل لمصلحة عمر وخصَّه بأن الشيطان يهرب منه ويخرُّ لوجهه إذا لقيه، ولم يتدخل لمصلحة خاتم انبيائه وسيد رسله صلى الله عليه وآله بل تركه يغالب شيطان وسلطه عليه حتى فی صلاته!

قال ابن القيم فی زاد المعاد:۱/۲۶۸: (والصحيح عن النبی(ص)أنه كان يشير فی صلاته، رواه أنس وجابر وغيرهما. وكان(ص)يصلی وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فإذا سجد غمزها بيده فقبضت رجليها وإذا قام بسطتهما.

وكان(ص)يصلی فجاءه الشيطان ليقطع عليه صلاته، فأخذه فخنقه حتى سال لعابه على يده). انتهى.

وأفتى به سيد سابق فی فقه السنة وهو كتاب موجه لأهل المذاهب الأربعة:۱/۲۶۵ وصححه محمد ناصر الألبانی فی تمام المنة ص۳۰۴، فقال: (وقد صح أن الشيطان أراد أن يفسد على النبی(ص)صلاته، فمكنه الله منه وخنقه، حتى وجد برد لعابه بين إصبعيه، وقال: والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به أهل المدينة. والقصة فی مسلم:۲/۷۳، وعبد الرزاق:۲/۲۴/۲۳۳۸)، وأحمد:۱/۴۱۳ و۳/۸۲ و۵/۱۰۴ و۱۰۵، والطبرانی فی الكبير:۲/۲۲۴ و۲۲۷ و۲۵۱، عن غير واحد من الصحابة بألفاظ متقاربة. أنظر صفة الصلاة (۷۴). انتهى.

وفی هذه الأحاديث المزعومة فضيلة لسليمان عليه السلام وأن الله تعالى جعل الشيطان طليقاً بدعوته، فمنع نبيه صلى الله عليه وآله من القبض عليه وتحويله إلى لعبة لصبيان المدينة! ولعل هذه الكرامة لسليمان عليه السلام لأنه نبی اليهود!

ومن محاولاتهم فی تهدئة خواطر المسلمين لتفضيل عمر على النبی صلى الله عليه وآله، ما نقله الصالحی وارتضاه، قال فی سبل الهدى:۱۱/۲۷۵: (قال الكرمانی: إن قلت: يلزم أن يكون أفضل من أيوب ونحوه، إذ قال: مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ؟ قلت: لا، إذ التركيب لايدل إلا على الزمن الماضی، وذلك أيضاً مخصوص بحال الإسلام فليس على ظاهره، وأيضاً هو مقيد بحال سلوك الطريق، فجاز أن يلقاه على غير تلك الحالة. وقال القاضی عياض: ويحتمل أنه ضرب مثلاً لبعد الشيطان وأعوانه من عمر، وأنه لا سبيل له عليه، أی إنك إذا سلكت فی أمر بمعروف أو نهی عن منكر تنفذ فيه ولا تتركه، فليس للشيطان أن يوسوس فيه فيتركه، ويسلك غيره، وليس المراد بالطريق على الحقيقة، لأنه تعالى قال:إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاتَرَوْنَهُمْ فلا يخافه إذا لقيه فی فج، لأنه لا يراه).

انتهى.

يقصد الكرماني وعياض أن حديث فرار الشيطان من عمر لا ـ يجعله أفضل من نبي الله أيوب عليه السلام الذي مسه الشيطان! لأن الحديث لا يشمل مرحلة عبادة عمر للأصنام وهي أكثر من أربعين سنة! ولا يشمل عمر إذا لم يسلك طريقاً، ففرار الشيطان منه محدود في الزمان وفي الحالة! ففيه فتحة لأن يكون أيوب أفضل منه! وهو جواب هزيل كما ترى، لأن عصمة عمر قبل الإسلام ليست محل بحث، وحديثهم المدعى ليس فيه حصْرُ فرار الشيطان منه في حالة سلوكه فجاً، بل فيه إطلاق لكل حالات عمر، بل هو يخرَّ على وجهه بزعمهم بمجرد رؤيته!

وهذا كله لعب بالألفاظ، فلو قلنا لمن يريد حصر فرار الشيطان منهم بسلوك عمر فجاً: هل تقبل بأن الشيطان يمس عمر إذا لم يسلك فجاً؟ لقامت قيامته!

من ناحية أخرى فإن عياضاً أو غيره عندما يقولون إن فرار الشيطان من عمر محصور بما إذا سلك فجاً بأمر بمعروف أو نهي عن منكر، فماذا يبقون من سلوكه لم تشمله العصمة؟! بل ماذا يبقون للأنبياء عليهم السلام من سلوك يتميزون به على عمر، وجِلُّ سلوكهم أو كُلُّه عبارة عن أمر بمعروف ونهي عن منكر، وفي كله لايهرب منهم الشيطان كما يهرب من عمر!

إنها محاولات تهدئة وتغطية، عن عمد، وأحياناً عن سذاجة وبلادة، حتى لايصرخ المسلم: ماذا فعلتم بهذا الحديث؟! لقد طعنتم في أنبياءالله جميعاً عليهم السلام وصادرتم نبوتهم، ورفعتم درجة عمر فوق درجتهم عليهم السلام!!

المشكلة أنهم اخترعوا حديثاً يفضل عمر على نبينا صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء عليهم السلام ورأوا أنهم تورطوا فيه! فأخذوا يتكلفون لغرض تحديده وتقليصه بقدر يريدونه باللعب بالألفاظ، ليجعلوا عمر بعد الأنبياء عليهم السلام مباشرة!

وكيفَ يمكنهم ذلك وقد فسروا قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ). (الحج:۵۲) فسروه بالأمنية في القلب لا في تحققها في الخارج كما نفسره نحن؟!

قالوا إن الشيطان يمس جميع الأنبياء عليهم السلام ويتسلط عليهم جزئياً حتى في تبليغهم لرسالة ربهم! ولا شك أن الذي يهرب منه الشيطان ويخرُّ على وجهه إذا شاهده، أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام الذين يمسهم ويلقي في قلوبهم الكفر والمعصية!

أما نحن فنقول حاشا لله أن يسلط الشيطان على قلوب أنبيائه وأذهانهم عليهم السلام، وليس معنى(إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) أنه يلقي في قلب النبي وتفكيره، بل يلقي في أذهان الناس في الأمر الذي تتحقق به أمنية النبي عليه السلام! فالأمنية هنا بمعناها الخارجي العملي وليس الذهني!

النبي عندهم أضعف من عمر أمام شيطانه

روى القرشيون عن النبي المصطفى المظلوم صلى الله عليه وآله أن شيطانه قويٌّ لايهرب منه إذا رآه، بل يرافقه دائماً ولا يخاف منه، بل يأتيه بصورة جبرئيل ويؤثر عليه!

وقد رأيت اختراعهم فرية الغرانيق عليه صلى الله عليه وآله وأن الشيطان تسلَّطَ عليه حتى كفَرَ معاذ الله، وغيَّرَ نَصَّ القرآن المنزل عليه، ومدح أصنام قريش بأنها الغرانيق العلى أي الطيور المحلِّقة في السماء، وسجد لها!

قال العلامة مرتضى في الصحيح من السيرة:۲/۳۰۵:(ومن الطعن في النبوة أيضاً.... قولهم: إنه قد كان للنبي(ص) عدو من شياطين الجن يسمى الأبيض، كان يأتيه في صورة جبرئيل، ولعله هو الشيطان الذي أعانه الله عليه فأسلم كما يقولون. (السيرة الحلبية:۱/۲۵۳، راجع: إحياء علوم الدين:۳/۱۷۱ وفي هامشه عن مسلم، والغدير:۱۱/۹۱ عنه، والمواهب اللدنية:۱/۲۰۲، ومشكل الآثار:۱/۳۰، وحياة الصحابة:۲/ ۷۱۲ عن مسلم وعن المشكاة ص ۲۸۰ والمحجة البيضاء:۵/ ۳۰۳/۳۰۲).

وشيطانه هذا الذي أسلم، كان يجري منه مجرى الدم. (مشكل الأثار:۱/۳۰).

وكان يدعو الله بأن يُخْسِئ شيطانه، فلما أسلم ذلك الشيطان ترك ذلك!

ورووا أنه عرض للنبي صلى الله عليه وآله في صلاته قال: فأخذتُ بحلقه فخنقته، فإني لأجد بَرْدَ لسانه على ظهر كفي! (مسند أبي يعلى:۱/۵۰۶ و ۳۶۰ ومسند أبي عوانة:۲/۱۴۳ والسنن الكبرى:۲/۲۶۴ ومسند أحمد:۲/۲۹۸ وأخرجه البخاري في مواضع من صحيحه، وثمة مصادر كثيرة أخرى وراجع الغدير:۸/۹۵).

ويروون أيضاً أنه صلى الله عليه وآله قد صلى بهم الفجر فجعل يهوي بيديه قدامه، وهو في الصلاة، وذلك لأن الشيطان كان يلقي عليه النار ليفتنه عن الصلاة! (المصنف:۲/۲۴، وراجع: البخاري ط. سنة ۱۳۰۹:۱/۱۳۷، و:۲/۱۴۳).

ونقول: ونحن لانشك في أن هذا كله من وضع أعداء الدين، بهدف فسح المجال أمام التشكيك في النبوة وفي الدين الحق....

وقد أخذه بعض المسلمين لربما بسلامة نية وحسن طوية، وبلا تدبر أو تأمل، سامحهم الله وعفا عنهم. والغريب في الأمر أننا نجدهم في مقابل ذلك يروون عنه صلى الله عليه وآله قوله لعمر: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك....!). انتهى. وقد تقدم تصحيح ابن القيم والألباني لذلك!

ومن تخبط علمائهم في ترقيع تفضيلهم عمر على النبي صلى الله عليه وآله! ما قاله الصالحي في سبل الهدى والرشاد:۱/۵۰۷:

(المحفوظ: إسم مفعول من الحفظ، وسمي به لأنه محفوظٌ من الشيطان. روى البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى صلاة فقال: إن الشيطان عرض لي فشد عليَّ ليقطع الصلاة عليَّ فأمكنني الله منه. وفيه دليل على حفظه منه.

فإن قيل: لمَ سُلِّطَ عليه الشيطان أولاً، وهلَّا كان إذا سلك طريقاً هربَ الشيطان منه كما وقع لعمر بن الخطاب، فقد روى الشيخان عن سعد بن أبي وقاص أن النبي قال لعمر: مالقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلاسلك فجاً غيره.

الجواب: أنه لما كان رسول الله(ص)معصوماً من الشيطان ومكره، ومحفوظاً من كيده وغدره، آمناً من وسواسه وشره، كان اجتماعه به وهربه منه سيان في حقه(ص). ولما لم يبلغ عمر هذه الرتبة العليه والمنزلة السنية، كان هرب الشيطان منه أولى في حقه، وأيقن لزيادة حفظه، وأمكن لدفع شره!

على أنه يجوز أن يحمل الشيطان الذي كان يهرب من عمر غير قرينه، أما قرينه فكان لايهرب منه، بل لايفارقه لأنه وكل به). انتهى.

وقد وصفناه بالتخبط، لأن النبي صلى الله عليه وآله عندهم غير محفوظ من الشيطان، ويكفي أن تقرأ تفسيرهم لقوله تعالى: (إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) وإصرارهم على أن الأمنية هي قلب النبي صلى الله عليه وآله، وليست ما تحقق في الخارج كما نفسرها نحن!

ثانياً، إنهم بهذا اللعب بالألفاظ لم يفعلوا شيئاً، فما داموا يقبلون أن الشيطان يهرب من عمر دون النبي صلى الله عليه وآله فلن يستطيعوا أن يرتقوا ما فتقوه! بل هم بذلك ينفون الحكمة والعصمة عن الله تعالى، حيث عصم عمر التابع، بأفضل وأقوى مما عصم به النبي المتبوع صلى الله عليه وآله!

ثالثاً، لعل الصالحي رأى أنه لا يستطيع أن يجعل مقام النبي صلى الله عليه وآله أعلى قليلًا من مقام عمر أو مساوياً له، فطرح احتمال أن يكون الشيطان الذي يهرب من عمر غير الشيطان العام الذي هو القرين! وهو احتمال هوائي كثيراً ما يلجأ اليه علماء الحكومة القرشية في ورطاتهم، فإن لفظ الشيطان المستعمل في حديثهم المزعوم، والذي يهرب من عمر، هو نفس لفظه المستعمل في أنه تسلط على النبي صلى الله عليه وآله، فالمتبادر منهما واحد! ولا قرينة ولا دليل على أن الشيطان الذي يهرب منه شيطان فرعي! وأن الأصلي لايهرب منه بل يمسه!

والنتيجة: أنه لا طريق لهم إلا أن يعترفوا بكذب (حديثهم) المزعوم ويفروا ويفروا منه كفرار الشيطان المزعوم من عمر! ولكنهم لايفعلون لأنه منقبة لعمر، رواها الشيخان، ومن أوجب الواجبات على الأمة أن تعتقد بمناقب عمر العظيمة حتى لو كانت تفضله على أنبياءالله تعالى جميعاً عليهم السلام!

ولك الله يارسول الله! فقد بخلوا عليك حتى بأن يساووك بعمر!

و زعموا أن الله تعالی یتکلم بلسان عمر

ولم یکتفوا بمقولة إن الشیطان یهرب من عمر ویخر لوجهه خوفاً منه!

بـل وضـعوا حـدیث إن (الحق) ینطق علی لسان عمر، أی إن الله تعالی ینطق علی لسانه! وذلک فی مقابل قوله تعالی عن نبیه صـلی الله علیه وآله: وَمَا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوَی!

(قال فی فتح الباری:۹/۳۹۷: ولقد کان الحق ینطق علی لسان عمر)!

ولمـا رأو ذلـک غلـواً واضـحاً خففـوه فقـالوا: إن الله جعـل الحـق علی لسـانه! ولکنه بنفس المعنی، لأـن قصـدهم منه ومن الـذی قبله: الإستمرار والشمول!

ومن سوء توفیقهم أنهم عندما یتحدثون عن النبی صـلی الله علیه وآله یمیّعون الآیة الصـریحة فی عصمته صلی الله علیه وآله وهی قوله تعالی:(وَمَا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوَی. إنْ هُوَ إلا وَحْیٌ یُوحَی) فیکابرون أمام صـراحتها فی عصمتة منطقه الشاملة، واستلزامها عصمة فعله الشاملة صلی الله علیه وآله، ویردونها بادعاء عشرات الأخطاء للنبی صلی الله علیه وآله فی سلوکه الشخصی والعام، وحتی فی التبلیغ!

فإذا وصل الحدیث إلی عمر وضعوا له مقابل آیة عصمة النبی صلی الله علیه وآله حدیثاً فزعموا أن الحق ینطق علی لسانه! وتفاخروا به ولم یثبتوا له أخطاء ومعاصی، بل تراهم یهاجمون من یذکر له أخطاء ومعاصی، وقد یکفرونه!

واعجب إن شـئت من حجتهم فی ذلک بأن عمر والصحابة أمناء النبی صلی الله علیه وآله علی تبلیغ الدین للأجیال، فالطعن فیهم طعن فی الدین! فیجعلون حصانة الوکیل أعظم من حصانة الأصیل صلی الله علیه وآله؟ هذا لو صحت وکالة الصحابة التی زعموها!

ویجعلون القول بخطأ المبلغ الوکیل حراماً وطعناً فی الدین، بینما القول بخطأ الأصیل صلی الله علیه وآله حلالاً ولیس طعناً فی الدین؟!

و زعموا أن الملائکة تحدث عمر

کما وضـعوا فی مقابل تحـدیث الملائکـة للنبی وآله صـلی الله علیه وآله الأطهار، أن الملائکة تحدث عمر! وقد تقدم ذلک فی کلام الغزالی، ورواه البخاری وغیره!

قال السیوطی فی الخصائص:۲/۲۱۹: (بـاب إخبـاره بـأن عمر من المحـدثین. أخرج الشـیخان عن عائشـة قالت قال رسول الله: کان فی الأمم محدثون فإن یکن فی أمتی أحد فعمر. وأخرج الطبرانی فی الأوسط عن أبی سـعید الخدری قال: قال رسول الله: إنه لم یبعث الله نبیاً إلا کان فی أمته محدثون، وإن یکن فی أمتی أحد فهو عمر قالوا: یارسول الله کیف محدث؟ قال: تتکلم الملائکة علی لسانه).

وقال ابن حجر فی شرحه للبخاری:۷/۴۰: (قوله: محـدَّثون، بفتح الدال جمع محدَّث، واختلف فی تأویله فقیل: ملهم، قاله الأکثر، قالوا: المحـدَّث بالفتـح هو الرجل الصادق الظن وهو من ألقی فی روعه شـئ من قبل الملأ الأعلی، فیکون کالذی حدثه غیره به، وبهذا جزم أبو أحمد العسکری.

وقیل: من یجری الصواب علی لسانه من غیر قصد. وقیل مکلم أی تکلمه الملائکة بغیر نبوة. وهذا ورد من حدیث أبی سـعید الخدری مرفوعاً ولفظه: قیل یا رسول الله وکیف یحـدث قال تتکلم الملائکـة علی لسانه. رویناه فی فوائد الجوهری، وحکاه القابسـی وآخرون. ویؤیده ما ثبت فی الروایة المعلقة ویحتمل رده إلی المعنی الأول أی تکلمه فی نفسه وإن لم یر مکلماً فی الحقیقة فیرجع إلی الإلهام).

وقـال ابـن تیمیـة فی الرد علی المنطقییـن ص۵۱۳: (فأمـا درجـة السـابقین الأـولین کـأبی بکر وعمر فتلک لایبلغها أحـد! وقـد ثبت فی الصـحیحین عن النبی(ص)أنه قال: قـد کان فی الأمم قبلکم محـدثون فإن یکن فی أمتی فعمر، وفی حـدیث آخر: إن الله ضـرب الحق علی لسـان عمر وقلبه. وقـال علیٌ: کنـا نتحـدث أن السـکینة تنطق علی لسـان عمر. وفی الترمـذی وغیره: لو لم أبعث فیکم لبعث فیکم عمر، ولو کان بعدی نبی ینتظر لکان عمر).

وقال في منهاجه:۶/۷۵(وكلام عمر رضي الله عنه من أجمع الكلام وأكمله، فإنه ملهم محدث! كل كلمة من كلامه تجمع علماً كثيراً)! انتهى.

فقد وصلوا في كلام عمر إلى درجة كلام النبي صلى الله عليه وآله، وصار عمر لاينطق عن الهوى إن هو إلا حديث الملائكة! والفرق بينهما أن النبي صلى الله عليه وآله مع ذلك قد يخطئ فيصحح له عمر، أما عمر فلايخطئ!

و الفوا مؤلفات في الأخطاء النبوية والتصحيحات العمرية

افتروا على النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يخطئ وكان عمر يصحح له أخطاءه ويسدده وأنه كان يختلف مع النبي صلى الله عليه وآله في الأمر فيوافقه الله تعالى وينزل الوحي طبق رأي عمر! وسموا ذلك موافقات عمر، وقد بحثناها في المجلد الثاني من كتاب (ألف سؤال وإشكال:۲/مسألة ۱۴۴)، وقلنا هناك ما مضمونه: إن الوضع الطبيعي للعلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله وعمر أن تكون علاقة مسلم تابع بنبيٍّ متبوع مُطاع، لكن الثابت أن عمر كان كثير الإعتراض على النبي صلى الله عليه وآله! والتفسير الصحيح لذلك أنه خطأ من عمر، وأن الإعتراض على رسول الله صلى الله عليه وآله معصية أو رد عليه وكلاهما أمرٌ كبير لأنه صلى الله عليه وآله كما قال الله تعالى:وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى.إِنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى... وَمَاآتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

لكن عمر ومحبيه خرجوا عن المألوف، وفسروا اعتراضات عمر بأنه كان دائماً مصيباً، بينما كان النبي صلى الله عليه وآله يقع في الخطأ! وأن الوحي كان ينزل مؤيداً لرأي عمر منتقداً لرأي النبي صلى الله عليه وآله، بل كان أحياناً يوبِّخ النبي صلى الله عليه وآله، معاذ الله!!

فكأن النبي صلى الله عليه وآله عندهم رجلٌ ساذج، يقع في أخطاء فيصححها له عمر!

وكأن المطلوب أن يثبتوا لعمر فضائل، ولو بالطعن في شخصية النبي صلى الله عليه وآله!

وقد ألفوا في هذا الطعن المغطى به صلى الله عليه وآله كتباً ونظموا أراجيز وسموه (موافقات عمر) ومعناها: موافقات الله تعالى لرأي عمر، ولو بتخطئة رأي النبي صلى الله عليه وآله!!

ففي الأعلام:۲/۶۳: (أبو بكر بن زيد بن أبي بكر الحسني الجراعي الدمشقي... (۸۲۵-۸۸۳) له.... نفائس الدرر في موافقات عمر).

وفي:۳/۳۰۱: (الجلال السيوطي(۸۴۹—۹۱۱)، وعدَّ من مؤلفاته: قطف الثمر في موافقات عمر). وكذا في كشف الظنون:۲/۱۳۵۳.

وفي:۵/۳۰۲: (...ـ۹۳۷هـ) محمد بن إبراهيم بن محمد بن مقبل البلبيسي... صنَّف: شرح نظم الدرر في موافقات عمر للبدر الغزي).

وفي:۷/۴۴: (محمد بن جمال الدين عبد الله بن أبي حفص سراج الدين عمر، من علماء حلب، ولي قضاءها مرات، واستقضيَ بدمشق والقاهرة. له كتب منها... الموافقات العمرية للقرآن الشريف).

وفي معجم المؤلفين:۲/۲۲: (أحمد بن النقيب(۷۷۱-۸۱۶ ه) أحمد بن علي بن محمد المقدسي... له الموافقات التي وقعت في القرآن لعمر بن الخطاب).

وفي إيضاح المكنون:۱/۴۴۷:(الدر المستطاب في موافقات عمر بن الخطاب، لحامد بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحيم العمادي، المفتي الدمشقي الحنفي المتوفى سنة ۱۱۷۱).

وفي:۲/۶۵۸: (نظم الدرر في موافقات عمر، أعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبدر الدين محمد بن محمد الغزي).

وفي هدية العارفين:۱/۴۹۷: (ابن البدر الخطيب عبد الباقي بن عبدا لباقي بن عبد القادر بن عبدا لباقي بن إبراهيم بن عمر البعلي الدمشقي.... ولد سنة ۱۰۰۵ وتوفي في ذي الحجة من سنة۱۰۷۱. من تصانيفه شرح الجامع الصحيح للبخاري لم يكمل. اقتطاف الثمر في موافقات عمر).

وفي:۲/۲۳۳: (محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان الغزي...توفي سنة۹۳۵.... من

تصانيفه... شرح نظم الدرر فى موافقات عمر... نظم الدرر فى موافقات عمر). انتهى.

قال ابن حجر فى فتح البارى:۱/۲۰۰: (وروى البزار باسناد حسن، من حديث أبى سعيد الخدرى فى هذه القصة أن النبى(ص)أذن لمعاذ فى التبشير، فلقيه عمر فقال: لاتعجل، ثم دخل فقال: يا نبى الله أنت أفضل رأياً، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها! قال: فَرُدَّهُ! وهذا معدودٌ من موافقات عمر، وفيه جواز الإجتهاد بحضرته (ص)!!

وقال فى فتح البارى:۷/۴۲: (عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عباس يقرأ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَنَبِيٍّ،ولا محدث. والسبب فى تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له فى زمن النبى(ص)من الموافقات التى نزل القرآن مطابقاً لها)!!

وفى تحفة الأحوذى:۱۰/۱۲۵:(فإن يك فى أمتى أحد)أى من المحدثين (فعمر بن الخطاب) وفى بعض النسخ: يكون عمر بن الخطاب، والسبب فى تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له فى زمن النبى(ص)من الموافقات التى نزل القرآن مطابقاً لها، ووقع له بعد النبى(ص)عدة إصابات). انتهى.

وقال الصالحى فى سبل الهدى والرشاد:۳/۱۹۷:(عن عبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله(ص)بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض علينا الحرب، على ألانشرك بالله شيئاً، ولانسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف...

وقوله: على بيعة النساء، يعنى على وفق ما نزلت عليه بيعة النساء بعد ذلك عام الحديبية، وكان هذا مما نزل على وفق ما بايع عليه أصحابه ليلة العقبة، وليس هذا بعجيب، فإن القرآن نزل بموافقات عمر بن الخطاب). انتهى.

وفى تاريخ المدينة لابن شبة:۳/۸۵۹: (موافقاته رضى الله عنه... قال ابن عمر: ما أنزل الله أمراً قط فقالوا فيه وقال فيه عمر، إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر)! (ورواه أحمد:۲/۹۵، والترمذى:۵/۲۸۰، وروى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله قال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه)!

ثم ذكر ابن شبَّه عدداً من موافقات الله تعالى لعمر، بعضها واضح الكذب، وبعضها محرَّف، وفى بعضها تخطئة صريحة للنبى صلى الله عليه وآله!

الى آخر إفراطهم وغلوهم فى عمر، الذى هو طعن فى النبى صلى الله عليه وآله لامحالة! فى مأساة حقيقية للإسلام، صنعتها قريش من أجل عمر، وربت عليها الأجيال!

و اخترع الذهبى قاعدة خاصة لعصمة عمر و أبى بكر

شمس الدين الذهبى(محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشركسى) من كبار أئمتهم، معروف بكثرة مؤلفاته، وبتشدده فى النقد الرجالى والحديثى، لكنه لم يملك نفسه فى حب عمر وأبى بكر، فأفتى صراحةً بأن العصمة لا تختص بالأنبياء عليهم السلام بل تشمل معهم نوعين من الناس هما: أبو بكر الصديق لتصديقه بالنبى صلى الله عليه وآله وعمر الفاروق، لأنه حاكم عادل!

شمس الدين الذهبى(محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الشركسى) من كبار أئمتهم، معروف بكثرة مؤلفاته، وبتشدده فى النقد الرجالى والحديثى، لكنه لم يملك نفسه فى حب عمر وأبى بكر، فأفتى صراحةً بأن العصمة لا تختص بالأنبياء عليهم السلام بل تشمل معهم نوعين من الناس هما: أبو بكر الصديق لتصديقه بالنبى صلى الله عليه وآله وعمر الفاروق، لأنه حاكم عادل!

قال فى كتابه (الموقظة فى علم مصطلح الحديث) ص۸۴، بعد أن قسم طبقات أئمة الجرح والتعديل إلى: الحاد، والمعتدل، والمتساهل، قال ما نصه: (والعصمة للأنبياء عليهم السلام، والصديقين، وحكام القسط)!! انتهى.

وبذلك أضاف الذهبى من جيبه إلى الأنبياء عليهم السلام نوعين: الأول، الصديقين ليثبت العصمة لأبى بكر. والثانى، حكام القسط ليثبتها لعمر لأنه حاكم عادل!

وإنما قلنا إنه وضع القاعدة من أجلهما خاصة، لأنهم لایقولون بعصمة کل صدِّیق، ولا کل حاکم عادل، وإلا لزم أن یقولوا بعصمة کسری الذی رووا أن النبی صلی الله علیه وآله قال فیه (ولدت فی زمن الملک العادل)! والذهبی نفسه أعطی وصف الملک العادل لمجموعة سلاطین تراکمة وشراکسة مع أنه لایثبت لهم العصمة، وفیهم رافضی قوی الرفض علی حد قوله، هو رزیک بن طلائع بن رزیک سلطان مصر! قال فی أعلام النبلاء:۱۵/۲۰۸:(وولی مکانه(طلائع) ولده الملک العادل رزیک وکان ملیح النظم، قوی الرفض، جواداً شجاعاً، یناظر علی الإمامة والقدر)!

کما وصف: تُقَاق بن سلجوق الترکمانی بأنه الملک العادل (أعلام النبلاء:۱۸/۲۴۳) وکذلک وصف ألب أرسلأن (:۱۸/۴۱۴)، ونور الدین حاکم الموصل(:۲۰/۱۹۰)، وعلی بن السلار الکردی(:۲۰/۲۸۱)، وأبا بکر بن أیوب الأیوبی(:۲۳/۱۸۴)، وطومبای الأول (تذکرة الحفاظ ص۷)، وغیرهم ممن لایراهم معصومین! فهو إذن یقصد بحکام القسط والعدل عمر وحده!

و غیروا إسم العصمة لإثباتها لعمر و أبی بکر

اخترعوا للعصمة اسم(الحفظ من الذنوب)لیخففوا علی المسلمین تنقیصهم لمقام نبیهم صلی الله علیه وآله ویستعملوها لأبی بکر وعمر، کما رأیت أنهم اخترعوا تقسیمها إلی عصمة واجبة للأنبیاء علیهم السلام وجائزة مستحبة لأبی بکر وعمر!

قال ابن نجیم المصری فی البحر الرائق:۱/۸۰: (ثبت عن رسول الله(ص) مرسلًا ومسنداً: بینما رسول الله(ص)یصلی بالناس إذ دخل رجل فتردی فی حفرة وکان فی بصره ضرر، فضحک کثیر من القوم وهو فی الصلاة، فأمر رسول الله(ص)من ضحک أن یعید الوضوء والصلاة. وتمامه فی فتح القدیر. وما قیل بأنه لایظن الضحک بالصحابة خلفه قهقهة، أجیب عنه بأنه کان یصلی خلفه الصحابیون والمنافقون والأعراب الجهال، فالضاحک لعله کان بعض الأحداث أو المنافقین، أو بعض الأعراب لغلبة الجهل علیهم، کما بال أعرابی فی مسجد النبی(ص). وهو نظیر قوله تعالی: (وترکوک قائماً) فإنه لم یترکه کبار الصحابة باللهو. قال فی العنایة: وهذا من باب حسن الظن بهم رضی الله عنهم، وإلا فلیس الضحک کبیرة، وهم لیسوا من الصغائر بمعصومین ولا عن الکبائر، علی تقدیر کونه کبیرة. ا هـ والمنقول فی الأصول أن الصحابة عدول فهم محفوظون من المعاصی)!! انتهی.

وقال ابن حجر فی فتح الباری:۱/۲۴۴: (قال ابن بن المنذر...وتمسکوا بحدیث لایصح، وحاشا أصحاب رسول الله (ص)الذین هم خیر القرون أن یضحکوا بین یدی الله تعالی خلف رسول الله (ص)). انتهی.

فاعجب لهم کیف تجاهلوا قوله تعالی: وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَکُوکَ قائماً قُلْ مَاعِنْدَاللهِ خَیْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَیْرُ الرَّازِقِینَ، وتجاهلوا الأحادیث المستفیضة التی تقول إن الصحابة قطعوا صلاتهم وترکوا الصلاة وأبا الصلاة، ولم یبق مع النبی صلی الله علیه وآله فی المسجد إلا بضع عشرة، أوبضعة نفرا!

ومع ذلک تراهم یقولون: حاشا أصحاب رسول الله (ص)خیر القرون أن یضحکوا بین یدی الله تعالی، فهم محفوظون من المعاصی!!

و من لعبهم بالألفاظ و ادعائهم الأدب مع النبی

قولهم فی تحفة الأحوذی فی شرح الترمذی:۲/۴۸۱، فی شرح دعاء النبی صلی الله علیه وآله بالسلامة من کل إثم: (قال العراقی: فیه جواز سؤال العصمة من کل الذنوب، وقد أنکر بعضهم جواز ذلک، إذ العصمة إنما هی للأنبیاءوالملائکة علیهم السلام.

قال والجواب: أنها فی حق الأنبیاءوالملائکة واجبة، وفی حق غیرهم جائزة، وسؤال الجائز جائز، إلا أن الأدب سؤال الحفظ فی حقنا لا العصمة، وقد یکون هذا هو المراد هنا). انتهی.

یقصد بذلک أنه ینبغی للمسلم لزوم الأدب مع رسول الله صلی الله علیه وآله وحفظ مقام العصمة الخاص به صلی الله علیه وآله، فلا یدعو لنفسه بالعصمة من الذنوب بل بالحفظ منها.

وظاهره حسن أدب مع النبی صلی الله علیه وآله، لکنهم یتنازلون عنه إذا جاء الحدیث عن عمر ویطلقون لهواهم العنان فی عصمته فیجعلونه معصوماً بدرجة أعلی من عصمة النبی صلی الله علیه وآله! فإذا ناقشتهم قالوا لا بأس بذلک فنحن نراعی الأدب مع النبی صلی الله علیه وآله ونحفظ حرمته ومقامه، ونقول إن عمر محفوظ من الذنوب والمعاصی، وإن الشیطان کلما رآه صرخ وهرب!!

و منهم أخذ الصوفیون عصمة الأقطاب و حفظ الأولیاء

قال الشعرانی فی العهود المحمدیة ص۸: (ولذلک لم یقع الإحتلام إلا من المریدین والعوام دون الأکابر! فإن الأکابر إما معصومون کالأنبیاء، أو محفوظون کالأولیاء! ثم إن وقع أن أحداً من أکابر الأولیاء احتلام، فإنما یکون ذلک فی حلیلته من زوجة أو جاریة لا فیما لایحل له، وسببه غفلته عن تدبیر جسده، لما هو علیه من الإشتغال بالله عز وجل، أو أمر المسلمین، کما بلغنا أن عمر بن الخطاب(رض)احتلم فی جاریته، وقال: قد ابتلینا بهذا الأمر منذ اشتغلنا بأمر المسلمین)! انتهی.

یقصد الشعرانی بذلک أن الأکابر مثل عمر وأبی بکر والأقطاب، یصح أن نستعمل فیهم لفظ العصمة، لأنهم معصومون کالأنبیاء علیهم السلام، أما الأولیاء فنقول عنهم إنهم محفوظون من الذنوب، ولا نقول إنهم معصومون.

ویقول الشعرانی إن أکابر الأولیاء لایرون أحلاماً جنسیة لأنهم مستغرقون فی الله تعالی، أو فی التفکیر أمر المسلمین وقضایاهم! وإذا حدث ذلک فإنهم یحتلمون بزوجاتهم، کما حدث لعمر فقد کان کل عمره مستغرقاً فی الله تعالی لایحتلم، ثم استغرق بأمور المسلمین السیاسیة، فحدث أن احتلم ذات مرة، لکن بجاریته ولیس بامرأة أجنبیة!

وقال المقریزی فی فضل آل البیت ص۹۲: (وما تجد فی القرآن عباداً مضافین إلیه سبحانه إلا السعداء خاصة، وجاء اللفظ فی غیرهم بالعباد، فما ظنک بالمعصومین المحفوظین منهم، القائمین بحقوق سیدهم، الواقفین عند مراسمه وحدوده، فشرفهم أعلی، وهؤلاء هم أقطاب هذا المقام).انتهی.

وقال البیومی فی کتابه السیدة فاطمة الزهراء ص۸۲: (وقد ذهب البعض إلی أن آل البیت(یقصدکل ذریة علی وفاطمة علیهما السلام)محفوظون من الکبائر بعنایة الله، فقد فطرهم علی حبه وحب طاعته، والناس معادن خیارهم فی الجاهلیة خیارهم فی الإسلام.

وذهب قوم إلی أن القطب فی کل عصر، لابد وأن یکون من أهل البیت النبوی الشریف، وإن رأی أبو العباس کما نقل عنه تلمیذه ابن عطاء، أن القطب قد یکون من غیرهم، ولکن قطب الأقطاب لا یکون إلا منهم، لأنهم أزکی الناس أصلاً وأوفرهم فضلًا، غیر أن القطب من شأنه غالباً الخفاء وعدم الظهور، فإذ لم یوجد فی الظاهر من أهل البیت من یصلح للإتصاف بالقطبیة، حمل علی أنه قام بذلک رجل منهم فی الباطن، وأما القائم بتجدید الدین فلا بد أن یکون ظاهراً حتی یسیر علمه فی الأفاق، وینتشر فی الأقطار). انتهی.

رأی التفتازانی: فی عصمة أبی بکر و عمر و عدالة باقی الصحابة

سعد الدین التفتازانی من کبار العلماء المنظِّرین لمذهب الحکومات القرشیة،

جاء فی معجم المطبوعات العربیة:۱/۶۳۵: (التفتازانی، سعد الدین(۷۲۲-۷۹۳هجریة) مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدین التفتازانی الهروی الشافعی الخراسانی التفتازانی، نسبة إلی تفتازان بلدة بخراسان ولد فیها، کان من محاسن الزمان، لم تر العیون مثله فی الأعلام والأعیان. وهو الأستاذ علی الإطلاق، والمشار إلیه بالإتفاق. اشتهرت تصانیفه فی الأرض وأتت بالطول والعرض). انتهی.

وکتابه شرح المقاصد من أهم کتبهم الکلامیة المعتمدة، وقد سجل فیه رأیه فی الصحابة فقال فی:۵/۳۱۰: (ما وقع بین الصحابة من المحاربات والمشاجرات علی الوجه المسطور فی کتب التواریخ، والمذکور علی ألسنة الثقات، یدل بظاهره علی أن بعضهم قد حاد عن طریق الحق، وبلغ حد الظلم والفسق، وکان الباعث علیه الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملک والریاسات والمیل إلی اللذات والشهوات، إذ لیس کل صحابی معصوماً، ولا کل من لقی النبی (ص) بالخیر موسوماً. إلاأن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب

رسول الله(ص)ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صوناً لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة، سيما المهاجرين منهم والأنصار، المبشرين بالثواب في دار القرار.

وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبي(ص)، فمن الظهور بحيث لامجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء، ويكاد تشهد به الجماد والعجماء، ويبكي له من في الأرض والسماء، وتنهدُّ منه الجبال، وتنشق منه الصخور، ويبقى سوء عمله على كر الشهور ومر الدهور، فلعنة الله على من باشر، أو رضي، أوسعى، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

فإن قيل: فمن علماء المذهب من لايجوِّز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد.

قلنا: تحامياً على أن يرتقي إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض، على ما يروى في أدعيتهم، ويجرى في أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوام بالكلية، طريقاً إلى الإقتصاد في الإعتقاد، بحيث لاتزلُّ الأقدام عن السواء، ولا تضل الأفهام بالأهواء!! وإلا فمَن خفيَ عليه الجواز والإستحقاق، وكيف لايقع عليهما الإتفاق؟! وهذا هو السر فيما نقل عن السلف من المبالغة في مجانبة أهل الضلال، وسد طريق لايؤمن أن يجر إلى الغواية في المآل، مع علمهم بحقيقة الحال وجلية المقال)!! انتهى.

وفي هامش الإصابة:١/٢٥:(وقال السعد التفتازاني: يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم، وحمل ما يوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات، سيما المهاجرين والأنصار، وأهل بيعة الرضوان، ومن شهد بدراً وأحداً والحديبية، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع، وشهد بذلك الآيات الصراح، والأخبار الصحاح. وللروافض سيما الغلاة منهم مبالغات في بغض البعض من الصحابة رضي الله عنهم والطعن فيهم، بناء على حكايات وافتراءات لم تكن في القرن الثاني والثالث! فإياك والإصغاء إليها فإنها تضل الأحداث، وتحير الأوساط وإن كانت لاتؤثر فيمن له استقامة على الصراط المستقيم، وكفاك شاهداً على ما ذكرنا أنها لم تكن في القرون السالفة ولا فيما بين العترة الطاهرة، بل ثناؤهم على عظماء الصحابة وعلماء السنة والجماعة، والمهديين من خلفاء الدين، مشهور في خطبهم ورسائلهم وأشعارهم). انتهى.

نقد منطق التفتازاني في العصمة في مسائل

المسألة ١•

اعترف التفتازاني بأن بعض الصحابة قد انحرف بعد النبي صلى الله عليه وآله عالماً عامداً وكان دافعه إلى ذلك على حد تعبيره: (الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرياسات، والميل إلى اللذات والشهوات)! وأن صحبة النبي صلى الله عليه وآله لاتوجب العصمة ولا العدالة، فقد صدرت منهم المعاصي والظلم والفسق!

وما داموا لايعرفون من هم المنحرفون من الصحابة، ولا مقياس عندهم مثلنا حيث نقول بأن العترة هم المقياس لجميع الصحابة، فوجب عليهم أن يجروا فيهم حكم الشبهة المحصورة، ويحرِّموا على المسلمين أن يتلقَّوْا منهم دينهم بعد النبي صلى الله عليه وآله! فقد أفتى فقهاؤهم وفقهاؤنا بأنه إذا اشتبه إناء نجس بآنية طاهرة ولم يتميز، وجب اجتناب الجميع ولا يصح الوضوء بأي منها!

قال العلامة الحلي في نهاية الأحكام:١/٢٥٣: (فلو اشتبه إناء طاهر بماء الغالب في مثله النجاسة كان كما لو اشتبه بمتيقن النجاسة، فيحتاج إلى الإجتهاد).انتهى.

فإن قلت: أفتى بعضهم في هذه الحالة بجواز العمل بما غلب الظن على أنه طاهر فيصح الوضوء به، قال النووي في المجموع:١/١٨٠:(إذا اشتبه ماءان طاهر ونجس، ففيه ثلاثة أوجه: الصحيح المنصوص الذي قطع به الجمهور وتظاهرت عليه نصوص الشافعي أنه لاتجوز الطهارة بواحد منهما إلا إذا اجتهد وغلب على ظنه طهارته بعلامة تظهر، فإن ظنه بغير علامة تظهر لم تجز الطهارة به... وسواء عندنا كان عدد الطاهر أكثر أو أقل حتى لو اشتبه إناء طاهر بمائة إناء نجسة تحرى فيها، وكذلك الأطعمة والثياب، هذا

مـذهبنا، ومثله قال بعض أصـحاب مالک. کـذا قال بمثله أبو حنیفـة فی القبلة والطعمة والثیاب، وأما الماء فقال لایتحری إلا بشـرط أن یکون عـدد الطاهر أکثر من عـدد النجس. وقال أحمـد وأبو ثور والمزنی: لایجوز التحری فی المیاه بل یتیمم، وهـذا هو الصـحیح عند أصحاب مالک). (راجع أیضاً إعانة الطالبین:۱/۴۵).

فالجواب: أولاً، أن الأصل فی الظن عدم الحجیة کما قال الله تعالی: وَمَا یَتَّبِعُ أَکْثَرُهُمْ إِلا ظناً إِنَّ الظَّنَّ لایُغْنِی مِنَ الْحَقِّ شیئاً.(یونس:۳۶) فلا حجیة للظن إلا بدلیل شـرعی من کتاب أوسنة، ولو سلمنا أن الله تعالی أجاز الإعتماد علی غلبة الظن فی الأوانی والأطعمة المشتبهة کعـدد الرکعـات تسـهیلاً علی العبـاد، فلا یـدل ذلک علی جواز الإعتماد علی الظن فی تلقی الـدین بعـد النبی صـلی الله علیه وآله من صحابته، ونحن نعلم کما اعترف التفتازانی بأن فیهم أهل دنیا کذابین!

إن مجرد وجود هؤلاء فیهم مع عدم إمکانیة تمییزهم، یرفع الإطمئنان بأن ما رواه هذا الصحابی من الدین فیجب التوقف!

ثم لو سلمنا أن وثاقة الصحابی وعدالته تابعة لغلبة ظن المسلم، فمعناه فتح باب الإجتهاد فیهم، وهذا ما یقفون ضده بشدة.

وثانیـاً، إن دلیلهم علی حجیـة الظن فی الإناء المشـتبه هو عمل الصـحابة واتفاقهم علیه، فلو أردنا أن نثبت به حجیـة قول الصـحابة، لزم الدور!

قال الغزالی فی المستصفی ص۲۵۳: (لو اشتبه إناء نجس بعشر أوان طاهرة فلا ترجیح للأکثر، بل لا بد من الإجتهاد والدلیل، ولا یجوز أن یأخذ واحداً ویقدر حله أو طهارته، لأن جنسه أکثر.

لکنا نقول: الظن عبارة عن أغلب الإحتمالین، ولکن لایجوز اتباعه إلا بـدلیل، فخبر الواحـد لایورث إلا غلبـة الظن من حیث أنَّ صـدق العدل أکثر وأغلب من کذبه، وصیغة العموم تتبع، لأن إرادة ما یدل علیه الظاهر أغلب وأکثر من وقوع غیره. والفرق بین الفرع والأصل ممکن غیر مقطوع ببطلانـه فی الأقیسـة الظنیـة، لکن الجمع أغلب علی الظن، واتبـاع الظن فی هـذه الأصول لا لکونه ظنـاً، لکن لعمل الصحابة به واتفاقاتهم علیه). انتهی.

فقـد تشـدد الغزالی حتی فی الظن الحاصل من خبر الواحـد الثقـة، وحکم بأنه لیس حجة فی ذاته، بل لعمل الصـحابة به واتفاقهم علیه! فهو یرجع بالحقیقة إلی حجیة إجماع الصحابة، وستعرف ما فیه.

وثالثاً، إن إجماع الصحابة بدون القول بعصمة بعضهم لایفید العلم.

ولو سـلمنا حجیته نظریـاً، فکیف نطبقه عملیاً ونحن لا نکاد نجـد مسألـة عقیدیـة أو فقهیـة أو سیاسـیة، إلا وقـد روی فیها عنهم الرأی وخلافه!

فبیعـة أبی بکر التی یضـربونها مثلاً لإجماعهم، یعترفون بأن الإجماع فیها انتقض بمخالفـة سـعد بن عبادة وفاطمـة الزهراء علیها السـلام وأهل البیت علیهم السلام وعدیدین من المهاجرین والأنصار!

المسألة ۰۲

لاـیغرُّک أن التفتـازانی بـدأ کلاـمه بالإعتراف بـأن مـا وقع بین الصـحابة کان صـراعاً علی السـلطة، حسـداً وطمعاً فی الـدنیا والرئاسـة والشـهوات، فقد عاد وبرَّرَ کل ذلک بقوله إنه: (یدل بظاهره علی أن بعضـهم قد حاد عن طریق الحق) فظاهر قولهم وفعلهم عنده الظلم والفسق، أمـا بـاطنه فهو الحق والعدالـة من بعضـهم، والعـدل والعصـمة من کبارهم! وبـذلک تعرف کیف أتقن هـذا الإیرانی أسـلوب المحامین المعاصرین فی صیاغة کلامه، للدفاع عن نظریة الصحابة القرشیة!

وتعرف أن أتباع الحکومات القرشـیة یقعون فی التناقض الـذی یعیبونه علی الإسـماعیلیة الباطنیـة، فقـد قلنا لبعض أتباع الإسـماعیلة إن إمامهم یشـرب الخمر علناً، فأجاب إن عمله فی الظاهر شـربُ خمر، أما فی الباطن فإنه بمجرد أن یلمس زجاجة الویسکی بیده الشریفة تتحول إلی شراب طهور من الجنة!

فما الفرق بین مقولتهم ومقولهٔ التفتازانی فی ظاهر عمل الصحابهٔ وباطنه؟!

وقد بلغت براعهٔ التفتازانی ذروتها فی قراءته التعزیهٔ علی ظلم أهل البیت النبوی صلوات الله علیهم، لکنه بَرَّأ الصحابهٔ من ذلک بمن فیهم معاویهٔ، وهاجم یزید بن معاویهٔ وأدانه بجریمهٔ قتل الإمام الحسین علیه السلام، ثم تراجع وأثبت له حق الحصانهٔ، حتی لاتصعد الإدانهٔ إلی من فوقه من الصحابهٔ!

فهل رأیت محامیاً محترفاً أبرع منه فی الدفاع عن جرائم أئمته؟!

المسألهٔ ۰۳

یظهر أن التفتازانی یقول بعصمهٔ أبی بکر وعمر من بین الصحابهٔ! فقد قال: (إذ لیس کل صحابی معصوماً، ولا ـ کل من لقی النبی(ص)بالخیر موسوماً. إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله (ص)ذکروا لها محامل وتأویلات بها تلیق، وذهبوا إلی أنهم محفوظون عما یوجب التضلیل والتفسیق، صوناً لعقائد المسلمین من الزیغ والضلالهٔ فی حق کبار الصحابهٔ)!

فقوله: (إذ لیس کل صحابی معصوماً) یشعر بأن بعضهم قد یکون معصوماً! وکلامه بعده یدل علی أنه ارتضی قول (العلماء) أی علماء مذاهب السلطهٔ القرشیهٔ فی تبریر جمیع أقوالهما وأفعالهما وإنهما محفوظان من الضلال والمعصیهٔ! وهذه هی العصمهٔ بعینها! فهویقول بها لمن سماهم (کبار الصحابهٔ) ویقصد بهم أبا بکر وعمر فقط، وربما قصد معهما عثمان وعلیاً علیه السلام

المسألهٔ ۰۴

إن دلیل(العلماء) الذی ارتضاه التفتازانی علی مقام العصمهٔ لأبی بکر وعمر، ومقام العدالهٔ لبقیهٔ الصحابهٔ، مع الإعتراف بجرائم بعضهم، أجمله فی قوله: (إلا أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله(ص)ذکروا لها محامل وتأویلات بها تلیق، وذهبوا إلی أنهم محفوظون عما یوجب التضلیل والتفسیق، صوناً لعقائد المسلمین من الزیغ والضلالهٔ فی حق کبار الصحابهٔ، سیما المهاجرین منهم والأنصار المبشرین بالثواب فی دار القرار).

وترجمته بالعربیهٔ:أن عقیدهٔ المسلمین فیهم یجب أن تحفظ، لأنهم مبشرون بالجنهٔ!

وهو مصادرهٔ واضحهٔ، لأن البحث فیما یجب أن تکون عقیدهٔ المسلمین فیهم، هل هی العدالهٔ أو العصمهٔ، أو أن الأصل عدم أی منهما حتی تثبت قطعیاً؟

وکان ینبغی للتفتازانی المنطقی أن یقول: یجب التوقف فی الصحابهٔ، لأن الله مدح بعضهم وبشرهم بالجنهٔ، وذم بعضهم وأخبر أنهم سینقلبون بعد النبی صلی الله علیه وآله فقال:(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلارَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَی أَعْقَابِکُمْ وَمَنْ یَنْقَلِبْ عَلَی عَقِبَیْهِ فَلَنْ یَضُرَّ اللهَ شَیئاً وَسَیَجْزِی اللهُ الشَّاکِرِینَ).(آل عمران:۱۴۴). ولأن النبی صلی الله علیه وآله مدح بعضهم ووعدهم الجنهٔ، وذم أکثرهم وأخبر أنهم فی النار کما فی صحیح البخاری:۷/۲۰۹، عن أبی هریرهٔ عن النبی(ص)قال: بینا أنا قائم فإذا زمرهٔ حتی إذا عرفتهم خرج رجل من بینی وبینهم فقال هلمَّ! فقلت أین! قال إلی النار والله! قلت: وما شأنهم؟قال: إنهم ارتدوا بعدک علی أدبارهم القهقری، ثم إذا زمرهٔ حتی إذا عرفتهم خرج رجل من بینی وبینهم فقال هلمَّ! قلت أین؟ قال إلی النار والله! قلت: ما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدک علی أدبارهم القهقری، فلا أراه یخلص منهم إلا مثل همل النعم)!!

وهمل النعم کما فی مقدمهٔ فتح الباری: ص۱۹۷: الإبل بغیر راع وکذا غیرها، أی الصحابهٔ الخارجون علی السلطهٔ، وهم الشاکرون فی الآیهٔ.

کان ینبغی للتفتازانی أن یقول مادامت النتیجهٔ المنطقیهٔ تتبع أخس المقدمات، فلیس بوسعنا إلا التوقف فی أمر الصحابی حتی تثبت عدالته أو عصمته!

لكنه كرر دليله الواهى بقوله: (يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم، وحمل مايوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات، سيما المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرضوان، ومن شهد بدراً وأحداً والحديبية، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع، وشهد بذلك الآيات الصراح، والأخبار الصحاح).

وكلامه هذا دعوة إلى تعطيل العقل والشرع، وإلغاء ما قرره عامة عقلاء المجتمعات البشرية، وعلماء البيان والفقه والأصول، من حجية ظواهر الكتاب والسنة، وظواهر أقوال الناس وأفعالهم! فإن فتواه بوجوب(حمل ما يوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات) دعوةٌ صريحة إلى القول بعصمة الصحابة، وإلغاء الظاهر، واتباع المذهب الباطنى بأسوأ أنواع الباطنية!

أما قوله إن الآيات الصريحة تدل على علو شأنهم فهو كلام تعمد إبهامه، فإنْ قصد أنها تدل على عصمتهم جميعاً، ووجوب تأويل ظاهر معاصيهم وانحرافهم فهو ممنوع. وإن قصد أنها تدل على أن بعضهم من أهل الجنة، فهو صحيح، لكن لمَّا لم يدل دليلٌ عندهم على تمييزهم، كان حكمهم حكم الشبهة المحصورة وهو وجوب اجتناب كل أطرافها حتى يتميز الطاهر فيها من النجس، والحلال من الحرام، والمتهم من البرئ، وأهل الجنة من أهل النار!

وأما دعواه إجماع المسلمين على علو شأنهم، ونسبته إلى أهل البيت عليهم السلام مديحهم، فهو ممنوع، بل الثابت بشهادة علمائهم نقض هذا الإجماع، وطعن أهل البيت عليهم السلام وغيرهم فى أهل السقيفة، ومن ذلك اعتراف عمر بأن علياً والعباس شهدا عليه وعلى أبى بكر بأنهم غادران خائنان آثمان! (صحيح مسلم:۵/۱۵۲)

ولو لم يكن إلا خطبة على عليه السلام الشقشقية لكفت، ولا يتسع المجال للإفاضة!

فظهر أن التفتازانى يقول بعصمة الصحابة بعضاً أو كلاً، ويقول بعدالتهم كلاً، لكنه لم يقدم دليلًا واحداً على ذلك، إلا التقليد للسلطة وعلمائها!

ابوبكر و عمر معصومان عند الغزالى، لكن لا يجب تقليدهما

عندما يبحث علماؤهم حجية قول الصحابى، يصرِّحون بعدم عصمة الصحابة، لكنهم عملياً يعصمون الشيخين! قال الغزالى فى المستصفى:ص ۱۷۰:

(إن قال قائل: إن لم يجب تقليدهم، فهل يجوز تقليدهم؟

قلنا: أما العامى فيقلدهم، وأما العالم فإنه إن جاز له تقليد العالم جاز له تقليدهم وإن حرمنا تقليد العالم للعالم فقد اختلف قول الشافعى رحمه الله فى تقليد الصحابة، فقال فى القديم: يجوز تقليد الصحابى إذا قال قولاً وانتشر قوله ولم يخالف. وقال فى موضع آخر: يقلد وإن لم ينتشر، ورجع فى الجديد إلى أنه لايقلد العالم صحابياً، كما لايقلد عالماً آخر.

ونقل المزنى عنه ذلك وأن العمل على الأدلة التى بها يجوز للصحابة الفتوى، وهو الصحيح المختار عندنا إذ كل مادل على تحريم تقليد العالم للعالم كما سيأتى فى كتاب الإجتهاد لايفرق فيه بين الصحابى وغيره.

فإن قيل: كيف لايفرق بينهم مع ثناء الله تعالى وثناء رسول الله(ص)قال تعالى: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأمرمِنْكُمْ...وقال تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ...وقال رسول الله(ص):خير الناس قرنى. وقال(ص):أصحابى كالنجوم إلى غير ذلك؟

قلنا: هذا كله ثناء يوجب حسن الإعتقاد فى علمهم ودينهم ومحلهم عند الله تعالى، ولايوجب تقليدهم لاجوازاً ولا وجوباً، فإنه (ص)أثنى أيضاً على آحاد الصحابة، ولايتميزون عن بقية الصحابة بجواز التقليد أو وجوبه، كقوله (ص): لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان العالمين لرجح. وقال (ص): إن الله قد ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه، يقول الحق وإن كان مراً. وقال لعمر: والله ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك. وقال (ص) فى قصة أسارى بدر حيث نزلت الآية على وفق رأى عمر: لو نزل بلاء من السماء ما نجا منه إلا عمر. وقال صلوات الله عليه: إن منكم لمحدثين وإن عمر لمنهم. وكان على(رض)وغيره من الصحابة يقولون: ما كنا نظن

إلاـ أن ملكـاً بين عينيه يسـدده وأن ملكـاً ينطـق على لسـانه! وقـال (ص) فی حـق علی: اللهم أدر الحق مع علی حیث دار، وقـال(ص): أقضاكم علی، وأفرضكم زيد، وأعرفكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل). انتهی.

وقد ناقض الغزالی نفسه، فقد شهد بعصمة أبی بكر وعمر وعلی، ثم قال: (ولايتميزون عن بقية الصحابة بجواز التقليد أو وجوبه)! وقال: (إذ كل ما دل على تحريم تقليد العالم للعالم...لايفرق فيه بين الصحابی وغيره). انتهی.

فإن الدرجة التی أثبتها لهم هی درجة العصـمة، وهی توجب على الأمة اتباعهم، وهی فوق درجة التقليد ورجوع الجاهل إلی العالم، أو إلی أهل الخبرة.

بل ما دام الغزالی يعتقـد بأن النبی صـلی الله عليه وآله شـهد بأن إيمان أبی بكر يَرْجُح علی إيمان العالمين بمن فيهم الأنبياءأو باسـتثناء الأنبياء عليهم السلام، فالواجب علی العالمين أن يقتدوا به فی قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم الضلال!

ومادام عمر كالنبی صـلی الله عليه وآله لاينطق عن الهوی، بل ينطق علی لسانه ملك معصوم، وتحـدثه الملائكة، ويهرب منه الشـيطان الذی لايهرب من الأنبياء عليهم السلام! فالواجب علی المسلمين أن يقتدوا به فی قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم الضلال!

ومـا دام النـبی صـلی الله عليـه وآله دعـا لعلی عليه السـلام أن يجعـل الله معه الحـق أينمـا دار، ودعـاؤه صـلی الله عليه وآله مسـتجاب، فالواجب علی المسلمين أن يقتدوا به فی قوله وفعله، وإلا لم يؤمن عليهم أن يتركوا الحق ويتبعوا الباطل!

لكن لايغرك قول الغزالی وغيره بعـدم وجوب إطاعـة أبی بكر وعمر وعـدم عصـمتهما، فإنما يقولونه بألسـنتهم، و ستری أنهم عندما يصلون إلی عملهم وسيرتهم، يتبنون عصمتهم بالكامل، ويدافعون عن أفعالهم ليثبتوا أنها كلها صحيحة، وأنهم لم يرتكبوا معصية أبداً، لاصـغيرة ولاـ كبيرة، حتی فيمـا خـالفوا فيه النبی صـلی الله عليه وآله! أما إذا وصـلوا إلی حكم من يرفض شـرعية خلافتهما، فيحكمون بكفره ويهـدرون دمه، ويوجبون قتله! فيثبتون لهمـا درجـة فوق العصـمة، ويجعلون ولايتهمـا ركناً قام عليه الإسـلام، إلی صف التوحيد والنبوة أو قبلهما!!

بل يصل بهم الأمر أنهم يجعلون ولايتهما أعظم من ولايـة الله تعالی ورسوله صـلی الله عليه وآله لأنهم لا يحكمون دائماً بالكفر والقتل علی من عصی الله ورسوله صلی الله عليه وآله!!

ليس من المبالغـة أن نقول إن غيرتهم علی أبی بكر وعمر، وشدَّتَهم علی من رفضـهم، أعظم من غيرتهم علی الله تعالی ورسوله صـلی الله عليه وآله! وبعضهم يضيف اليهم عائشة وحفصة وعثمان ومعاوية.

وهذا التاريخ يشـهد بأنه لم تضـطهد أمة من الأمم من أجل شخصـين،كما اضطهد ملايين المسلمين من أجل عمر وأبی بكر، ولم تُرق دماءٌ بذنب رفض ولاية أحد، كما أريقت بذنب رفض ولاية أبی بكر وعمر!

لقـد أقاموا كل عقيـدتهم وفقههم ودولهم وتاريخهم وتربية أبنائهم وبناتهم، علی تقديسـهما واضـطهاد من لايقبلهما، حتی كان أجيال الشـيعة فی زمن الأمويين والعباسـيين والعثمانيين، يتمنون أن تعاملهم دولـة الخلافة القرشـية معاملة المنكرين لله ورسوله صـلی الله عليه وآله، ليخف جرمهم، واضطهادهم، وتقتيلهم!!

هل تشيع الغزالی فی آخر عمره؟

للغزالی كتاب اسـمه (سر العالَمَيْن وكشف مافی الداريْن)نقل الدكتور الخليلی فی كتابه (السقيفة أم الفتن) ص۱۱۴، عن مخطوطته فی دار الكتب المصريةرقم:۱/۳۱۶.

وقد طبع الكتاب فی الهند ومصـر والعراق وبيروت وإيران، وهو مرتب علی مقالات، وقد أظهر فيه تشيَّعه بصراحة، ولذا شكك بعضهم فی نسبته اليه!

قال المرحوم الطهرانی فی الذريعة إلی تصانيف الشيعة:۱۲/۱۶۸:

(١٢٠:سر العالمين) المنسوب إلى الغزالى. كتاب شيعى نسبه إليه فى تذكرة خواص الأمة، وتاج العروس، والإتحاف فى شرح الإحياء. فراجعه).

وتابعه إليان سركيس فى معجم المطبوعات العربية:٢/١٤١٢، فقال: (سر العالمين وكشف ما فى الدارين، وهو منسوب للغزالى والصواب أنه لأحد الباطنية- هند ١٣١٤ مصر١٣٢٤). كما وافقه الباحث السيد جعفر مرتضى فشكك بنسبة الكتاب إلى الغزالى. (مجلة تراثنا:٢/٩٧ و:٤/١٧٣)

بينما خالفهم عديدون ونسبوا الكتاب إلى الغزالى كالبغدادى فى إيضاح المكنون:٢/١١، قال: (سر العالمێن وكشف ما فى الدارێن لأبى حامد الغزالى محمد بن محمد). ونحوه فى هدية العارفين:٢/٨٠، وكذا القاضى نورالله التسترى فى كتابه مجالس المؤمنين، والفيض الكاشانى فى الوافى، والطريحى فى مجمع البحرين، والأمينى فى الغدير:١/٣٩١، والمرعشئ فى شرح إحقاق الحق:٣٣/٢٤٤، كما نقلوا ذلك عن المحقق الكركى.

وقال الماحوزى فى الأربعين ص١٥١: (ذكر مولانا محسن الكاشئ فى المحجة البيضاء أن ابن الجوزى الحنبلى ذكر فى بعض تصانيفه أن الغزالى ترفض فى آخر عمره، وأظهر رفضه فى كتاب سر العالمين).

ووافقهم السيد الميلانى فى نفحات الأزهار:١/١٠٢و:٩/ ١٨٤، مؤيداً ما استدلوا به من نسبة ابن الجوزى الكتاب إلى الغزالى فى تذكرة الخواص ص٦٢، والذهبى فى ميزان الإعتدال:١/٥٠٠، وفى طبعتنا:٢/٢١٥، حيث اعتمد عليه فقال: (قال أبو حامد الغزالى فى كتاب (سر العالمێن): شاهدت قصة الحسن بن الصباح لما تزهَّد تحت حصن أَلَمُوت فكان أهل الحصن يتمنون صعوده إليهم، ويمتنع ويقول: أما ترون المنكر قد فشا وفسد الناس! فتبعه خلق، ثم خرج أمير الحصن يتصيد فنهض أصحابه وملكوا الحصن!) انتهى.

أقول: وهذا هو الصحيح، والعبارة موجودة فى سر العالمين، ولا توجد فى غيره. وقد نقل عنه الذهبى أيضاً فى:١٩/٤٠٣، نفس عبارته فى ميزان الإعتدال وقال قبلها فى ترجمة الغزالى:١٩/٣٢٧: (ومن معجم أبى على الصدفى، تأليف القاضى عياض له، قال: والشيخ أبو حامد، ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف العظيمة، غلا فى طريقة التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم وصار داعية فى ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة! والله أعلم بسره، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها فامتُثل ذلك. مولده سنة خمسين وأربع مئة.

قلتُ(الذهبى): ما زال العلماء يختلفون ويتكلم العالم فى العالم باجتهاده، وكل منهم معذور مأجور، ومن عاند أو خرق الإجماع فهو مأزور، وإلى الله ترجع الأمور. ولأبى المظفر يوسف سبط ابن الجوزى فى كتاب رياض الأفهام فى مناقب أهل البيت قال: ذكر أبو حامد فى كتابه سر العالمێن وكشف ما فى الدارێن فقال فى حديث: من كنت مولاه فعلى مولاه، إن عمرقال لعلى: بخ بخ أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة. قال أبو حامد: وهذا تسليم ورضى، ثم بعد هذا غلب عليه الهوى، حباً للرياسة وعقْد البنود، وأمر الخلافة ونهيها، فحملهم على الخلاف فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون! وسرد كثيراً من هذا الكلام الفسل الذى تزعمه الإمامية، وما أدرى ما عذره فى هذا! والظاهر أنه رجع عنه وتبع الحق فإن الرجل من بحور العلم، والله أعلم.

هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك ببعيد، ففى هذا التأليف بلايا لاتتطبب! وقال فى أوله:إنه قرأه عليه محمد بن تومرت المغربى سراً بالنظامية، قال: وتوسمت فيه الملك). انتهى.

أقول:لم يعين الذهبى من اتهمه باحتمال وضع الكتاب، بقوله (هذا إن لم يكن هذا وضع هذا وما ذاك ببعيد)! فهل يقصد الصدفى، أم القاضى عياضاً! مع أنه ترجم لهما ووصف كلاًـ منهما بالإمام ومدحهما كثيراً، قال فى سير أعلام النبلاء:٢٠/٢١٢: (القاضى عياض: الإمام العلامة الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام القاضى أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبى الأندلسى، ثم السبتى المالكى. ولد فى سنة ست وسبعين وأربع مئة... الخ.).

وقال فى تذكرة الحفاظ:٤/١٢٥٣: (الإمام الحافظ البارع أبو على الحسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدفى السرقسطى

الأندلسی...الخ.). انتهی.
فتشکیک الذهبی فی الکتاب بدون حجة بعد ما اعتمد علیه کبار علمائهم!
أما البلیة التی لاتتطب عند الذهبی فهی قول الغزالی فی سر العالمین ص ۲۱:
(المقالة الرابعة فی ترتیب الخلافة والمملکة: اختلف العلماء فی ترتیب الخلافة وتحصیلها لمن آل أمرها إلیه، منهم من زعم أنها بالنص ودلیلهم قوله تعالی: قُلْ لِلْمُخَلَّفِینَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إلی قَوْمٍ أُولِی بَأْسٍ شَدِیدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ یُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِیعُوا یُؤْتِکُمُ اللهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا کَمَا تَوَلَّیْتُمْ مِنْ قَبْلُ یُعَذِّبْکُمْ عذاباً أَلِیماً) (الفتح:۱۶) وقد دعاهم أبو بکر إلی الطاعة بعد رسول الله(ص)فأجابوا.
وقال بعض المفسرین فی قوله تعالی: وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِیُّ إلی بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حدیثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَیْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَکَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِیَ الْعَلِیمُ الْخَبِیرُ. (التحریم:۳)، قال فی الحدیث: إن أبا بکر هو الخلیفة من بعدی یا حمیراء، وقالت امرأة: إذا فقدناک فالی من نرجع؟ فأشار إلی أبی بکر، ولأنه أمَّ بالمسلمین علی بقاء رسول الله(ص)والإمامة عماد الخلافة. هذه جملة ما یتعلق به القائلون بالنصوص.
ثم تأولوا وقالوا: إذ لو کان علیٌّ أول الخلفاء لانسحب علیهم ذیل الفناء، ولم یأتوا بفتوح ولا مناقب، ولا یقدح فی کونه رابعاً للخلفاء، کما لایقدح فی نبوة رسول الله صلی الله علیه وآله إذ کان آخراً.
والذین عدلوا عن هذه الطریقة زعموا أن هذا تعلق فاسد جاء علی زعمکم وأهویتکم، وقد وقع المیراث فی الأحکام والخلافة، مثل داود وسلیمان وزکریا ویحیی، قالوا: کان لأزواجه ثمن الخلافة فبهذا تعلقوا. وهذا باطل، إذ لو کان میراثاً لکان العباس أولی.
لکن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهیر علی متن الحدیث من خطبته فی یوم غدیر خم باتفاق الجمیع وهو یقول: من کنت مولاه فعلی مولاه، فقال عمر: بخ بخ یا أبا الحسن لقد أصبحت م ولأی ومولی کل مولی، فهذا تسلیمٌ ورضاً وتحکیم. ثم بعد هذا غلب الهوی بحب الرئاسة، وحَمْلُ عمود الخلافة، وعقود البنود، وخفقان الهوی، فی قعقعة الرایات، واشتباک ازدحام الخیول، وفتح الأمصار، سقاهم کأس الهوی، فعادوا إلی الخلاف الأول، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قلیلاً فبئس ما یشترون.
ولما مات رسول الله صلی الله علیه وآله قال وقت وفاته: إیتونی بدواة وبیاض لا زیل عنکم إشکال لأمر، وأذکر لکم من المستحق لها بعدی! قال عمر: دعوا الرجل فإنه لیهجر وقیل لیهذر. فإذن بطل تعلقکم بتأویل النصوص، فعدتم إلی الإجماع، وهذا منقوض أیضاً فإن العباس وأولاده وعلیاً علیه السلام وزوجته لم یحضروا حلقة البیعة وخالفکم أصحاب السقیفة فی مبایعة الخزرجی....الخ.). انتهی.
والظاهر أن استبصار الغزالی کان فی آخر أیامه فی طوس، ولم یمهله العمر حتی ینشر ذلک، ویبرئ ذمته بإعلأن رجوعه عن کتبه ومؤلفاته العدیدة، وما غصت به من عدائه لأهل البیت الطاهرین علیهم السلام وتأصیله لمذاهب مخالفیهم!
وقد رأیت قبره قرب بیته أو مسجده فی بلده طوس، حیث أمضی آخر حیاته، وهی فی ضاحیة مشهد الإمام الرضا علیه السلام، وقد اهتمت به الحکومة الإیرانیة.

النقد الذاتی قلیل نادر فی علمائهم

مضافاً إلی کتاب سر العالمین للغزالی، فقد أعجبنی هذا النقد الذاتی للحافظ محمد بن عقیل فی کتابه القیِّم: النصائح الکافیة لمن یتولی معاویة/۱۷۴، قال:
(إننا أهل السنة قد أنکرنا علی الشیعة دعواهم العصمة للأئمة الإثنی عشر، وجاهرناهم بصیحات النکیر، وسفهنا بذلک أحلامهم، ورددنا أدلتهم بما رددنا، أفبعد ذلک یجمل بنا أن ندعی أن مائة وعشرین ألفاً حاضرهم وبادیهم وعللهم وجاهلهم وذکرهم وأنثاهم، کلهم معصومون أو کما نقول محفوظون من الکذب والفسق، ونجزم بعدالتهم أجمعین فنأخذ روایة کل فرد منهم قضیةً مسلمةً نضلل من نازع فی صحتها ونفسقه، ونتصامم عن کل ما ثبت وصح عندنا، بل وما تواتر من ارتکاب بعضهم ما یخرم العدالة وینافیها، من

البغی، والکذب، والقتل بغیر حق، وشرب الخمر، وغیر ذلک مع الإصرار علیه؟!! لا أدری کیف تحل هذه المعضلة ولا أعرف تفسیر هذه المشکلة.

إلیک فإنی لستُ ممن إذا اتَّقی عِضاضُ الأفاعی نامَ فوقَ العقارب

أما الأمر بحسن الظن فحسن، ولکنه لیس فی مقام بیان الحق وإبطال الباطل، والکلام علی جرح أو تعدیل، ولو سوغنا هذا لتعطلت الأحکام، وبطلت الحدود والشهادات، وکُبکب الشرع علی أم رأسه، إذ لا وجه لتخصیص أشخاص دون آخرین بحسن الظن بهم فی کل ما یفعلونه، إذا ترتب علی فعله حکم شرعی إلا بمخصص شرعی، وأنَّی بذلک.

ولو عممنا القول بذلک لکان حسن الظن حسناً بکل فرد من أفراد المسلمین فی کل ما یفعله کما یقول به بعض الصوفیة، فیتأول حینئذ لکل منهم ما ارتکبه من القبائح والبدع المضلة والکبائر، ویحمل کل ذلک علی محمل حسن وقصد صالح، ویدخل فی ذلک الخوارج وغلاة الرافضة فیما یرتکبونه من البدع والتفکیر والسب، وهلم جراً.

اللهم غفرانک، إنه بهذا یتعطل الشرع وتلتبس الأمور ویختلط الحابل بالنابل، بل الواجب إجراء کل شئ فی مجراه عند إرادة إیضاح الحقائق وبیان المشروعات. وبهذا عمل الصحابة رضی الله عنهم فیما بینهم، وهکذا عمل جهابذة أصحاب الحدیث فی الجرح والتعدیل، فی رواة الحدیث إلا ـ فیمن له صحبة علی حسب اصطلاحهم فی تعریف الصاحب، وهی نقطة الإنتقاد علیهم ومحل الإشکال، إذ کیف یمکن طالب الحق أن یعتمد ما قالوه ویجری علی ماجروا علیه من التسویة، صحةً واحتجاجاً، بین روایات الحکم والولید ومعاویة

وعمرو وأشباههم؟! سبحان الله أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ کَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ؟! لا ـ والله، ثم لا والله إن الإذعان للحق شأن المنصفین، وَلَکِنَّ أَکْثَرَکُمْ لِلْحَقِّ کَارِهُونَ).

السلطة القرشیة تتبع الیهود حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل

تقلید الیهود.. من مصادرة الخلافة الی.. ترک الصلاة

شهدت عامة المصادر کالبخاری ومسلم أن النبی صلی الله علیه وآله حذر المسلمین من الإنحراف بعده، وفی نفس الوقت أخبرهم بأن ذلک سیکون، فقال: لتتبعن سنن من کان قبلکم شبراً شبراً، وذراعاً بذراع، حتی لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ تبعتموهم! قلنا: یا رسول الله، الیهود والنصاری؟ قال: فمن؟!

وفی مناسبة أخری قال لهم: والذی نفسی بیده لتتبعنَّ سننَ الذین من قبلکم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً فباعاً، حتی لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتموه! قالوا ومن هم یا رسول الله، أهل الکتاب؟ قال: فمه؟!

وفی مناسبة أخری قال لهم: لاتقوم الساعة حتی تأخذ أمتی مأخذ الأمم والقرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، قالوا: یا رسول الله کما فعلت فارس والروم؟ قال: وهل الناس إلا أولئک؟!

(روت ذلک عامة المصادر کالبخاری:۹ / ۱۲۶ و:۸/۱۵۱، ومسلم:۴ / ۲۰۵۴ ح۲۶۶۹ عن أبی سعید الخدری، ونحوه/۲۰۵۵، وأحمد:۲/۳۲۷و۳۲۵ و۴۵۰، ونحوه ص۳۳۶ و۳۶۷ و۵۲۷ و: ۳/۸۴ و۸۹ و۹۴ و:۴/۱۲۵، والرویانی: ح۱۰۸۵ عن سهل بن سعد، والبغوی فی المصابیح:۳ /۴۵۸، من صحاحه، عن أبی سعید، کما فی روایة البخاری الثانیة، وجامع الأصول:۱۰/ ۴۰۹ ح۷۴۷۲، و۷۴۷۳، وجمع الجوامع: ۱ / ۹۰۲، والجامع الصغیر:۲/۴۰۱ ح۷۲۲۴، ومجمع الزوائد:۷/۲۶۱، وفیض القدیر:۵ / ۲۶۱، ومسند ابن الجعد ص۴۹۱، والدیباج علی مسلم: ۶/۳۳ و۳۴، ومصنف عبد الرزاق:۱۱/۳۶۹، وکنز العمال: ۱۴ / ۲۰۷، والکنی والأسماء:۲/۳۰، عن ابن عباس، أن رسول الله صلی الله علیه وآله قال: ولترکبن سنن من کان قبلکم شبراً حتی لو أن أحدهم دخل حجر ضب دخلتم، وحتی لو أن أحدهم

ضاجع أمه بالطريق لفعلتم. والحاكم:۱/۳۷ و۴/ ۴۵۵ وصححه وفيه":حتى لو أن أحدهم جامع إمرأته بالطريق لفعلتموه. ومصنف ابن أبي شيبة:۸/۶۳۴، وفيه:

(أنتم أشبه الناس سمتاً وهدياً ببنى إسرائيل لتسلكن طريقهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل).، قال عبد الله: إن من البيان سحراً. وقال في هامشه: القذة ريش السهم، وللسهم ثلاث قذذ متقاربة الواحدة بجانب الأخرى، ويقال حذو القذة بالقذة للشيئين يستويان ولا يتفاوتان).

وفي شرح مسلم للنووي:۱۶/۲۱۹: (السَّنَن بفتح السين والنون هو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب كل التمثيل بشدة الموافقة لهم).

وفي فتح الباري:۱۳/۲۵۵: (في رواية الكشميهني شبراً بشبر وذراعاً بذراع، عكس الذي قبله. قال عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر، تمثيلٌ للإقتداء بهم في كل شئ مما نهى الشرع عنه وذمه.....

وقد أخرج الطبراني من حديث المستورد بن شداد رفعه: لاتترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتيه..... وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها.....

عن أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهرفيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا ظهر الإدهان في خياركم، والفحش في شراركم، والملك في صغاركم، والفقه في رذالكم). انتهى.

وفي مناسبة أخرى قال النبي صلى الله عليه وآله:(لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة).

(رواه من مصادرنا: الطوسي وغيره، قال في الأمالي ص۱۸۶: أخبرنا محمد بن محمد قال: أخبرني أبو محمد الحسن بن محمد العطشئ قال: حدثنا أبو علي محمد بن همام الإسكافي قال: حدثنا حمزة بن أبي جمة الجرجرائي الكاتب قال: حدثنا أبو الحارث شريح قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد العزيز بن سليمان، عن سليمان بن حبيب، عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وآله.

ورواه من مصادرهم: أحمد:۵/۲۵۱، والبخاري في تاريخه: ۸ /۳۳۳ ح ۳۲۱۴، وابن حبان: ۸/۲۵۳ ح ۶۶۸۰، عن أبي أمامة. والطبراني الكبير: ۸/۱۱۶ ح ۷۴۸۶، والجامع الصغير:۲/۴۰۳ ح ۷۲۳۲، وص۴۷۳، والحاكم: ۴/۹۲، وقال: والإسناد كله صحيح ولم يخرجاه. ومجمع الزوائد:۷/۲۸۱، وقال: رواه أحمد، والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح). انتهى.

أمام هذه الأحاديث النبوية تواجهنا عدة أسئلة:

السؤال الأول، معنى هذه الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وآله قد نعى الأمة إلى نفسها، وأنها من بعده ستنحرف، فهل هذا حقيقة قطعية؟!

والجواب: نعم إنها حقيقة قطعية وإن كانت مُرَّة، بدليل أن هذه الأحاديث صحيحة مجمع عليها عند كافة الأمة، والمجمع عليه من الأمة لاشك فيه.

والسؤال الثاني، هل المقصود بهذا الكلام النبوي انحراف غالبية الأمة، أو انحراف فئة صغيرة منها؟

والجواب: أن الخطاب في هذه الأحاديث موجه إلى جميع الأمة، فلا بد أن يشمل الإنحراف غالبيتها حتى يصح نسبة الإنحراف إلى الأمة، فقد قال صلى الله عليه وآله: لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً... والذي نفسي بيده لتتبعنَّ سننَ الذين من قبلكم... ولتركبن سنن من كان قبلكم... ولو كان الإنحراف محصوراً بفئة قليلة من الأمة لقال: ليتبعن فئة من أمتي، أو مارقة من أمتي سنن من كان قبلهم.

والسؤال الثالث، هل أن الإنحراف الموعود يشمل العقائد والشرائع والسياسة، كما حدث في بني إسرائيل؟!

والجواب: نعم لا بد من القول بشمول الإنحراف لكل معالم الإسلام، بدليل الإطلاقات في ألفاظ اتباع سنن اليهود والنصارى، وبدليل

السعة فى انحراف اليهود بعد أنبيائهم عليهم السلام، حيث شمل انحرافهم أصول عقيدتهم بالله تعالى، وطعنهم بأنبيائهم ومخالفتهم لأوصيائهم عليهم السلام، واتباعهم غيرهم!

وقد نصَّت صيغ الأحاديث على الشمول كقوله صلى الله عليه وآله: لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، كلما نقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة. وسواء أراد بالحكم الخلافة، أو القضاء، فهو يدل على انحراف السلطة الحاكمة.

والسؤال الرابع، ما علاقة هذه الأحاديث النبوية بآية الإنقلاب على الأعقاب؟: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلارَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شيئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ) (آل عمران:۱۴۴) والجواب: هذه الأحاديث النبوية المتفق عليها تفسر الإنقلاب المقصود فى الآية، وتدل على أن الله تعالى لم يتحدث فيها وفى أمثالها عن فرضية لن تحدث وأن الشرطية والإستفهام فيها إخبار إلهىٌّ، قبل أن يكون إنذاراً واستنكاراً!

والسؤال الخامس، أين هذا الإنحراف فى الأمة، إن لم يكن ما تقوله الشيعة؟

والجواب: نعم هذه هى الحقيقة، ولذلك يدور أمر الذين ينكرون وقوع الإنحراف فى جمهور الأمة، بين أن يكذِّبوا إخبارات النبى صلى الله عليه وآله عن وقوعه، ويكذِّبوا آية الإنقلاب.. وبين أن يعترفوا بعدم شرعية السلطة القرشية التى بدأت فى السقيفة يوم وفاة النبى صلى الله عليه وآله من غير مشورة المسلمين، ولا استناد على نص من النبى صلى الله عليه وآله، وأجبرت الناس على بيعتها، ثم تواصلت سياسة الإجبار فى بنى أمية وبنى العباس بنفس طريقة الغلبة والجبر، التى أسستها السقيفة!

فلو سألت عالماً سنياً: هل تحقق ما أخبر به النبى صلى الله عليه وآله فاتبعت الأمة سنن اليهود والنصارى أم لا؟! لحاول أن ينفى ذلك، ويثبت لك أن الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وآله مشت على طريق الهدى، واتبعت خير أصحابه أبا بكر وعمر، وأن الذين انحرفوا فئة قليلة هم أهل الأهواء والبدع، وهم الرافضة الذين رفضوا خلافة أبى بكر وعمر، وزعموا أن النبى صلى الله عليه وآله أوصى الأمة باتباع على والعترة عليهم السلام!

ولو قلت له: لو كانت أغلبية الأمة مهتدية لما صح هذه الإطلاق والتعميم فى كلام النبى صلى الله عليه وآله، ولكان اللازم أن يقول مثلاً: لتتبعن فئة من أمتى أو مارقة من أمتى سنن من كان قبلها.. لما استطاع أن يجيب!

والسؤال السادس، من أين يبدأ هذا الإنحراف الخطير فى الأمة؟

الجواب: صحت الأحاديث أن النبى صلى الله عليه وآله حدد مصدر الإنحراف فى أمته وأساس فتنتها، بالحكام والأئمة القرشيين المضلين!

ففى مجمع الزوائد:۵/۲۳۹: (وعن ثوبان قال قال رسول الله(ص):إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين. رواه أحمد ورجاله ثقات...

وعن سداد بن أوس قال قال رسول الله(ص): إنى لا أخاف على أمتى إلا الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف فى أمتى لايرفع عنهم إلى يوم القيامة. رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وعن عمير بن سعد وكان عمر ولاه حمص قال قال عمر لكعب: إنى سائلك عن أمر فلا تكتمنى. قال: والله ما أكتمك شيئاً أعلمه، قال: ما أخوف ما تخاف على أمة محمد(ص)؟ قال: أئمة مضلين، قال عمر: صدقت قد أسرَّ إلىَّ وأعلمنيه رسول الله(ص). رواه أحمد ورجاله ثقات).

وروى أحمد:۵/۱۴۵، عن أبى ذر قال: كنت أمشىء مع رسول الله(ص)فقال: لغير الدجال أخوفنى على أمتى قالها ثلاثاً! قال قلت يارسول الله، ما هذا الذى غير الدجال أخوفك على أمتك قال: أئمة مضلون!! (ورواه أبو يعلى:۱/۳۵۹ ح ۴۶۶، والفردوس:۳/۱۳۱ح ۴۱۶۳ عن على).

وفى سنن الترمذى:۳/۳۴۲: (۲۳۳۰- عن ثوبان قال قال رسول الله (ص): إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين.

قال وقال رسول الله(ص): لاتزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله. هذا حديث صحيح).

انتهى.

وفى تحفة الأحوذى:۶/۴۰۱: (باب ما جاء فى الأئمة المضلين: قوله: إنما أخاف على أمتى أئمة مضلين، أى داعين إلى البيع والفسق والفجور....

قوله (هذا حديث صحيح)، وأخرجه مسلم وابن ماجة بدون ذكر إنما أخاف على أمتى أئمة مضلين. وأخرجه أبو داود مطولاً).

وروى ابن أبى شيبة فى المصنف:١٥/١۴٢ ح ١٩٣٣٢: (عن على قال: كنا عند النبى(ص)جلوساً وهو نائم، فذكرنا الدجال، فاستيقظ محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم عندى من الدجال: أئمة مضلون).

وفى الطبرانى الكبير:٨/١٧۶عن أبى أمامة يحدث أنه سمع رسول الله(ص) يقول: لست أخاف على أمتى جوعاً يقتلهم ولا ـ عدواً يجتاحهم، ولكنى أخاف على أمتى أئمة مضلين، إن أطاعوهم فتنوهم، وإن عصوهم قتلوهم).

أما من طرق أهل البيت عليهم السلام فقد روى الطوسى فى أماليه:٢/١٢۶: (عن عبد الله بن يحيى الحضرمى قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وآله وهو نائم ورأسه فى حجرى، فتذاكرنا الدجال، فاستيقظ النبى محمراً وجهه فقال: غير الدجال أخوف عليكم من الدجال، الأئمة المضلون، وسفك دماء عترتى من بعدى، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم). انتهى.

والسؤال السابع: ما دام الإنحراف وقع قطعاً بحكم أن الصادق الأمين صلى الله عليه وآله أخبر به عن ربه، فلا بد أن يكون له ثقافة تحريفية واسعة فى العقائد والتفسير والأحاديث والأحكام والسيرة والمذاهب والمشارب! فأين هذه الآثار الثقافية فى مصادر المسلمين، إن لم تكن ما يقوله الشيعة؟!

والسؤال الثامن: كتبنا فى كتاب تدوين القرآن: الفصل العاشر موقف إخواننا السنة من الثقافة اليهودية، تحت عنوان:

مذهب أهل البيت أبعد المذاهب عن الثقافة اليهودية

إذا كان عند الباحث معرفة بالثقافة اليهودية وحساسية منها، ومشى بهذا النور فى مصادر الإسلام متتبعاً احتمالات التسرب والتأثير، فلن يجد معيناً صافياً لا شائبة فيه إلا الثروة المروية عن أهل البيت عليهم السلام.

ولا يهمنا أن يستكثر الآخرون هذه الدعوى، ولكن يهمنا أن يبحثوا فى مفردات ما أنزل الله تعالى على رسوله برواية أهل بيته صلى الله عليه وآله ثم يقارنوا بينها وبين مثيلاتها من رواية غير أهل البيت، من زاوية القرب والبعد عن الثقافة اليهودية، ومن زاوية احتمال التسرب والتأثر، وزاوية التعبير عن استقلال الشخصية الفكرية للوحى المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله.. ثم يحكموا!!...

حدثنى الأستاذ الشيخ مصطفى الزرقا، وهو من كبار فقهاء السنة فى عصرنا، ومن أبرز عقولهم العلمية المحترمة، عن جلسة من جلسات مؤتمر البحوث الإسلامية فى القاهرة فى أواخر الستينات فقال: تحدث أحد المحاضرين عن مشكلة الإسرائيليات فى مصادر المسلمين فحمل على الشيعة الذين جلبوا على المسلمين هذا البلاء، وأطال فى ذلك. فطلبت الكلام بعده وقلت: لا يصح أن نظلم الشيعة، لأنهم طائفة إسلامية لها عراقتها وأصالتها العلمية، وقد اطلعت على مصادر من فقههم فرأيته فقهاً قوى المنطق والحجة مستنداً إلى القرآن والسنة.. والإسرائيليات بلاء عام ابتليت به مصادرنا كما ابتليت به مصادر الشيعة، فلا يصح أن نقول إنه جاءنا منهم..

إن هذا الموقف شبه المنصف لهذا الفقيه يدل على اطلاعه على مصادر السنة وشئ من مصادر الشيعة.. ولكنى مطمئن بأنه لو اطلع أكثر لقال: إن بلاء الإسرائيليات فى مصادر المسلمين وإن كان مشتركاً بين السنة والشيعة، إلا أن منبعه عند السنة وبعض ترشحاته عند الشيعة، والسبب فى ذلك أن السلطة كانت بيد خلفاء السنة وأئمتهم، وكان علماء اليهود وحملة ثقافتهم يتقربون إليهم فقربوهم وأجازوا لهم بث ثقافتهم فى المسلمين! أما الشيعة فكانوا أقلية محكومين، وكان اليهود يبتعدون عنهم خوفاً من غضب السلطة.

ولو اطلع أكثر لقال: أما على والأئمة من أهل بيت النبى فلم يكونوا بحاجة لأن تكون لهم علاقات ثقافية مع اليهود والنصارى، بل كانوا يأنفون من الإستماع إلى علومهم المحرفة.. ولم يعهد عنهم أنهم مدحوا شخصيات أهل الكتاب أو ثقافتهم بكلمة واحدة، بل

كـانوا أقوى المنـاظرين لهم، وكـان المسـلمون إذا أحرجوا فى مسألـة من أهـل الكتاب هرعوا إلى أهل بيت نبيهم صـلى الله عليه وآله ليأخذوا جوابها..

ومن المعروف عن على عليه السـلام أن حاخاماً يهودياً قال له: سرعان ما اختلفتم فى نبيكم. يقصد فى أمر الخلافة. فأجابه عليه السلام: نحن لم نختلف فى نبينا بل اختلفنا عنه، وأما أنتم فما جفت أقدامكم من البحر حتى قلتم: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهؤلاء!!

إننـا على يقين بـأن البـاحثين المنصـفين فى سـلوك أهـل البيت وفقههم والعلوم التى أثرت عنهم، سوف يصـلون إلى نتيجـة تقول: إن أصفى المذاهب وأبعدها عن التأثر بثقافة أهل الكتاب: هو مذهب أهل البيت عليهم السلام.

اعمال تحريفية واسعة من أجل ترسيخ عصمة عمر و أبى بكر

بدأ نشاطهم بعد النبى واستمر إلى يومنا هذا

رأى أتبـاع الخلافـة القرشـية أن كل أمرهم يتوقف على تصـحيح عمل السـقيفة، فأشاعوا نشـر تقـديس شخصـية عمر وأبى بكر، وبقية زعماء قريش، مقابل قداسـة عترة النبى الطاهرين عليهم السـلام الـذين تعلم المسـلمون الآيات والأحـاديث فيهم، وشاهـدوا فيهم مناقبية الأوصياء فى القول والعمل!

ولاـ نتكلم هنـا عن أعمـال أتبـاع الخلافـة فى تبرير عزل زعمـاء قريش لأهل البيت واضـطهادهم وتنقيص مقامهم! ولا عن أعمالهم فى آيات القرآن وأحاديث النبى صـلى الله عليه وآله فى عترته أهل بيته عليهم السلام. وإنما عن أعمالهم لرفع مقام الصحابة من أجل عمر وأبى بكر، فقد جعلوا لعمر مقام النبى بلا نبوة، ومقام العصـمة بدرجة أعلى من عصـمة النبى صـلى الله عليه وآله، وقد أوردنا عدداً من مسائـل هـذا الموضوع فى المجلـد الثـانى من كتـاب (ألف سؤال وإشـكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين) فى الفصل ۲۱ و۲۲، ونكتفى هنا ببضعة أعمال يتسع لها هذا الكتاب:

حملوا آيات مدح الصحابة أكثر مما تحتمل

فى القرآن عدد من الآيات فى مدح الصـحابة، وأضعافها فى انتقادهم! وهذا طبيعى لأن القرآن تنزل فى ثلاث وعشرين سنة، ليثبِّتَ الله به قلب نبيه صـلى الله عليه وآله فى تبليغه الرسالـة وبناء الأمـة، قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا. وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا. (الفرقان:۳۲-۳۳).

وليوجه أمـة النبى صـلى الله عليه وآله وأصـحابه، فيمـدحهم عنـدما يحسـنون، ويشـجعهم عنـدما يضـعفون، ويؤنبهم عنـدما يقصـرون! وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَئٍ عَلِيمٌ. (البقرة:۲۳۱). وَكَيفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم. (آل عمران:۱).

وقد ضـخَّمت السـلطة بعد النبى صـلى الله عليه وآله آيات مدح الصحابة، وتناست آيات نقدهم وذمهم! وبالغت فى ذلك حتى جعلت صحابتهـا معصومين عملياً، لتثبت أنهم الورثـة الشـرعيون للنبى صـلى الله عليه وآله مع أن أهـل البيت النبوى عليهم السـلام أهـل بيت وصحابة!

ومن الحقـائق الملفتـة أن احتجـاج أتبـاع الخلافـة بهـذه الآيات، ظهرت فى عهـد معاويـة ولم يكن لهما وجود فى زمن أبى بكر وعمر وعثمـان! فغايـة مـا تجـده عن عمر أنه فضـل أهـل بـدر بالعطاء على غيرهم، وحكم بأن الخلافـة يجب أن تكون فيهم وأنها حرام على الطلقاء! قال:(هذا الأمر فى أهل بدر ما بقى منهم أحد، ثم فى أهل أحد ما بقى منهم أحد، ثم فى كذا وكذا وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسـلمة الفتح شئ. أخرجه الثلاثة).(أسد الغابة:۴/۳۸۷، وفتح البارى:۱۳/۱۷۸، والطبقات:۳/۳۴۲، وابن عساكر:۵۹/۱۴۵، وكنز

العمال:۱۲/۶۸۱).

بل إن شـهادتهم لأهل بـدر بالجنهٔ، التی رواها بخاری فی:۴ /۱۹، وعـدهٔ مواضع أخری، والتی تقول إن النبی صـلی الله علیه وآله قـال: (وما یـدریک لعل الله أن یکون قد اطلع علی أهل بدر فقال اعملوا ما شـئتم فقد غفرت لکم). لم یروها أحد عن أبی بکر ولا عمر! مع أنها لو کانت صحیحهً لاحتجَّا بها فیما احتجَّا!

إن هـذا یـدل علی أن أتباع الخلافهٔ اتخـذوا فیمـا بعـد قرارهم بتعظیم الصـحابهٔ بآیات وأحادیث، وإشاعتها فی المسـلمین، فملأوا بها مصادرهم، وربَّوا علیها أولادهم، وأنسوهم آیات توبیخ الصـحابهٔ، وأحادیث دخول اکثرهم النار! وحرموا علی المسـلمین انتقادهم، بل أفتوا بکفر من ارتکب ذلک وقتله!

قال الخطیب البغـدادی الکفایـهٔ فی علم الروایهٔ ص۶۳: (بـاب ما جاء فی تعـدیل الله ورسوله للصـحابهٔ، وأنه لا یحتاج إلی سؤال عنهم، وإنما یجب فیمن دونهم.

کل حـدیث اتصل إسـناده بین من رواه وبین النبی(ص)لم یلزم العمل به إلا بعـد ثبوت عدالـهٔ رجاله، ویجب النظر فی أحوالهم، سوی الصـحابی الذی رفعه إلی رسول الله(ص)لأن عدالهٔ الصحابهٔ ثابتهٔ معلومهٔ بتعدیل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختیاره لهم فی نص القرآن.

فمن ذلک قوله تعالی: کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍٔ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

وقوله:وَکَـذَلِکَ جَعَلْنَـاکُمْ أُمَّهًٔ وَسَـطاً لِتَکُونُوا شُـهَدَاءَ عَلَی النَّاسِ وَیَکُونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَـهِیداً وهـذا اللفـظ وإن کـان عامـا فالمراد به الخاص وقیل وهو وارد فی الصحابهٔ دون غیرهم.

وقوله: لَقَدْ رَضِیَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبَایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَهِٔ فَعَلِمَ مَا فِی قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّکِینَهَٔ عَلَیْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِیباً

وقوله تعالی: وَالسَّابِقُونَ الأولونَ مِنَ الْمُهَاجِرِینَ وَالأنصار وَالَّذِینَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِیَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.

وقوله تعالی: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِکَ الْمُقَرَّبُونَ. فِی جَنَّاتِ النَّعِیمِ.

وقوله: یَا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَسْبُکَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ

وقوله تعـالی:لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَـاجِرِینَ الَّذِینَ أُخْرِجُوا مِنْ دِیَـارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ یَبْتَغُونَ فَضْـلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانـاً وَیَنْصُـرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِکَ هُمُ الصَّادِقُونَ. وَالَّذِینَ تَبَوَّأُوا الـدَّارَ وَالإیمـان مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هَـاجَرَ إِلَیْهِمْ وَلا یَجِـدُونَ فِی صُـدُورِهِمْ حَاجَـهًٔ مِمَّا أُوتُوا وَیُؤْثِرُونَ عَلَی أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ کَانَ بِهِمْ خَصَاصَهٌٔ وَمَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فی آیات یکثر ایرادها ویطول تعدادها...). انتهی.

ولو سـألتهم أولاًـ أین الآیـات الأخری فی الصـحابهٔ، لنقارنها بآیات مـدحهم ونجمع بینها وبینها، کقوله تعالی عن النبی صـلی الله علیه وآله: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِذَا لَقِیتُمُ الَّذِینَ کَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ. وَمَنْ یُوَلِّهِمْ یَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَیِّزًا إِلَی فِئَهٍٔ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِیرُ. (الأنفال:۱۵-۱۶)

لَما کان عنـدهم جواب، لأن الصـحابهٔ جمیعاً، ما عـدا بنی هاشم، فروا فی أحد وخیبر وحنین، وغیرها، واسـتحقوا بنص الآیهٔ نار جهنم، إلا من ثبتت توبته!

وثانیاً، لو قلنا لهم: ما هی أقوی آیهٔ عندکم فی مدح الصـحابهٔ؟ لقالوا: إنها قوله تعالی: لَقَدْ رَضِیَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِینَ إِذْ یُبَایِعُونَکَ تَحْتَ الشَّجَرَهِٔ فَعَلِمَ مَا فِی قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّکِینَهَٔ عَلَیْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِیباً، فقـد نصت علی رضا الله عن أهل بیعـهٔ الرضوان، وکانوا ألفاً وأربع مئهٔ، ولذا حکمنا بأنهم من أهل الجنهٔ.

نقول لهم: إن أهل بیعـهٔ الرضوان أو الشـجرهٔ، فیهم مؤمنون وفیهم دون ذلک، والرضا ورد فی الآیـهٔ عن المؤمنین فقط، واسـتمراره عن هؤلاء المؤمنین مشروط بأن لایحدثوا ما یغضب الله علیهم ویحبط عملهم!

فلو کـان کل المبایعین مؤمنین والرضا عنهم مطلق، لقال عز وجل: لقـد رضـی اللهُ عن الـذین یُبایعونک، وما قیـده بالمؤمنین، وبظرف

(إِذْ يُبَايِعُونَكَ)! فاختياره لهذين القيدين، تحفظٌ إلهي كبير، يدل على أن رضاه محدود في الأشخاص، وفي الظرف!

وثالثاً، لماذا نسيتم العقد الذي بايعوا عليه النبي صلى الله عليه وآله، فكان سبب رضا الله عنهم، والذي جعلتموه رضاً مستمراً وعصمة شاملة؟ فقد صرحتم بأنهم بايعوه على أن يقاتلوا معه ولا يفروا! قال بخاري:۴/۸: (باب البيعة في الحرب أن لايفروا، وقال بعضهم على الموت، لقوله تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...فسألت نافعاً على أي شئ بايعهم على الموت؟ قال: لا بايعهم على الصبر). انتهى.

فكيف يستمر رضا الله عليهم وقد نكثوا بيعتهم وفروا في خيبر وحنين، وكانتا بعد بيعة الشجرة؟والله تعالى يقول: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ! (الفتح:۱۰).

قال ابن طاوس في الطرائف ص۵۸: (رواه علماء التاريخ مثل محمد بن يحيى الأزدي، وابن جرير الطبري [۱] والواقدي، ومحمد بن إسحاق، وأبي بكر البيهقي في دلائل النبوة [۲] وأبي نعيم في كتاب حلية الأولياء [۳] والأبشهي في الإعتقاد، عن عبد الله بن عمر، وسهل بن سعد، وسلمة بن الأكوع، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، أن النبي صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر برايته مع المهاجرين وهي راية بيضاء، فعاد يؤنب قومه ويؤنبونه، ثم بعث عمر بعده فرجع يجبّن أصحابه ويجبنونه، حتى ساء ذلك النبي صلى الله عليه وآله فقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لايرجع حتى يفتح الله على يديه فأعطاها علياً ففتح على يديه [۴] .

وقال تعالى: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرض بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. (التوبة:۲۵).

وفي صحيح بخاري:۵/۱۰۱: (عن أبي قتادة قال: وانهزم المسلمون يوم حنين وانهزمت معهم فإذا عمر بن الخطاب في الناس فقلت له: ما شأن الناس؟، قال: أمر الله)!! ونحوه:۴/۵۸.

فكيف يجوز التمسك بآية: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ، وترك قوله عن الفار: فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وقوله عن الناكث: فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ؟!

ورابعاً، سواء كان المدح في الآية لكل من بايع كما تقولون، أو لبعضهم كما نقول، فإن أهل البيت عليهم السلام في طليعتهم، فهم شركاء للصحابة فيها، مضافاً إلى ما اختصوا به من آيات وأحاديث، فكيف يصح رفع الصحابة إلى مرتبتهم لأنهم شاركوهم في مديح؟!

وخامساً، ما ذا يعني عندكم نص القرآن على رضا الله عز وجل عن أناس؟

هل يعني عصمتهم، وأنهم حجة على المسلمين يجب عليهم الإقتداء بهم؟ فتكون سنتهم وقولهم وفعلهم وتقريرهم حجة شرعية كالنبي صلى الله عليه وآله؟

وإذا اختلفوا واقتتلوا، فهل يكون إجماعهم فقط هو الحجة؟ أم يجوز للمسلم أن يقتدي بأي واحد منهم كما رويتم: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم؟!

فيصح الإقتداء بسعد بن عبادة وأهل البيت عليهم السلام في رفضهم لخلافة السقيفة؟

وسادساً، كيف تقولون إن الرضا الإلهي شمل كل أهل بيعة الشجرة فكلهم في الجنة، وفيهم رأس المنافقين ابن سلول، وفيهم ابن عديس البلوي قاتل عثمان، وفيهم أبو الغادية قاتل عمار الذي شهد النبي صلى الله عليه وآله بأنه من أهل النار؟!

هذه مناقشة عابرة في أهم آية عندهم في مدح الصحابة، التي حاولوا بها رفعهم إلى صف أهل البيت عليهم السلام. ولايتسع المجال لبسط القول فيها وفي غيرها.

[۱] تاريخ الطبري:۳/۹۳ ط بيروت.

[۲] رواه البيهقي في السنن الكبرى: ۹/۱۰۶، وكذا في الإعتقاد: ۱۵۱.

[۳] حلیة الأولیاء:۱/۶۲ و:۴/۳۵۶، والحاکم النیسابوری فی المستدرک: ۳/۳۸.

[۴] محب الدین الطبری فی ذخائر العقبی:۸۲، وابن حجر فی الصواعق المحرقة:۷۲). انتهی.

غیبوا الآیات الصریحة فی نقد الصحابة و ذمهم

فمنها قوله تعالی: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْکِتَابِ الَّذِی نَزَّلَ عَلَی رَسُولِهِ (النساء:۱۳۶)، وهو خطاب یشمل الصحابة ویأمرهم أن یؤمنوا، ویدل علی أنهم کغیرهم، فیهم کامل الإیمان وناقصه!

وتدل الآیة التالیة علی أنهم کغیرهم من الناس، فأکثرهم موحد فی الظاهر، مشرک فی الواقع: وَمَا أَکْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِینَ...وَمَا یُؤْمِنُ أَکْثَرُهُمْ بِاللهِ إلاوَهُمْ مُشْرِکُونَ.(یوسف:۱۰۳و۱۰۶).

کما أن منهم من لبس إیمانه بظلم: الَّذِینَ آمَنُوا وَلَمْ یَلْبِسُوا إِیمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِکَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ. الأنعام:۸۲

ومنهم من یؤذی النبی صلی الله علیه وآله: وَمِنْهُمُ الَّذِینَ یُؤْذُونَ النَّبِیَّ وَیَقُولُونَ هُوَأُذُنٌ! (التوبة:۶۱).

ومنهم یفتری علی النبی صلی الله علیه وآله ویتهم عرضه: إِنَّ الَّذِینَ جَاءُوا بِالإِفْکِ عُصْبَةٌ مِنْکُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَکُمْ بَلْ هُوَخَیْرٌ لَکُمْ لِکُلِّ امْرِیءٍ مِنْهُمْ مَا اکْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِی تَوَلَّی کِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِیمٌ. (النور:۱۱).

ومنهم منافقون لایعلمهم حتی النبی صلی الله علیه وآله: وَمِنْ أهل الْمَدِینَةِ مَرَدُوا عَلَی النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ. التوبة:۱۰۱

ومنهم من یرید الحیاة الدنیا فیهرب من المعرکة: مِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الدُّنْیَا وَمِنْکُمْ مَنْ یُرِیدُ الآخرة. آل عمران:۱۵۲

ویتهم الله ورسوله لتغطیة جبنه: وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا. الأحزاب:۱۰ وَإِذْ یَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إلا غُرُورًا. الأحزاب:۱۲

ومنهم من یتسلل هرباً من أمر النبی صلی الله علیه وآله: قَدْ یَعْلَمُ اللهُ الَّذِینَ یَتَسَلَّلُونَ مِنْکُمْ لِوَاذًا فَلْیَحْذَرِ الَّذِینَ یُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِیبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ یُصِیبَهُمْ عَذَابٌ أَلِیمٌ. النور:۶۳

ومنهم من یتثاقل عن الجهاد مع النبی صلی الله علیه وآله: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَا لَکُمْ إِذَا قِیلَ لَکُمُ انْفِرُوا فِی سَبِیلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلی الأرض أَرَضِیتُمْ بِالْحَیَاةِ الدُّنْیَا مِنَ الآخرة! التوبة:۳۸

ومنهم من یثبط المؤمنین عن الجهاد مع النبی صلی الله علیه وآله: وَإِنَّ مِنْکُمْ لَمَنْ لَیُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْکُمْ مُصِیبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَیَّ إِذْ لَمْ أَکُنْ مَعَهُمْ شَهِیدًا. النساء:۷۲

ومنهم بخیلٌ بماله فکیف بدمه: هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِی سَبِیلِ اللهِ فَمِنْکُمْ مَنْ یَبْخَلُ وَمَنْ یَبْخَلْ فَإِنَّمَا یَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِیُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا یَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَیْرَکُمْ ثُمَّ لا یَکُونُوا أَمْثَالَکُمْ. محمّد:۳۸

ومنهم من یخون الله ورسوله: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِکُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. الأنفال:۲۷

ومن یتبع خطوات الشیطان: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّیْطَانِ وَمَنْ یَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّیْطَانِ فَإِنَّهُ یَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْکَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَیْکُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَکَی مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَکِنَّ اللهَ یُزَکِّی مَنْ یَشَاءُ وَاللهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ. النور:۲۱

ومنهم من یسقط فی الفتنة: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِیَ فِی اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ کَعَذَابِ اللهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّکَ لَیَقُولُنَّ إِنَّا کُنَّا مَعَکُمْ أَوَلَیْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِی صُدُورِ الْعَالَمِینَ. العنکبوت:۱۰ وَلَیَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَلَیَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِینَ. العنکبوت:۱۱

ومنهم صاحب أضغان وعقد: أَمْ حَسِبَ الَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ یُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ. محمّد:۲۹ وَلَوْ نَشَاءُ لارَیْنَاکَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِیمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِی لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ یَعْلَمُ أَعْمَالَکُمْ. محمّد:۳۰

ومنه فی معرض الردة والکفر: إِنَّ الَّذِینَ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ کَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا کُفْرًا لَمْ یَکُنِ اللهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِیَهْدِیَهُمْ سَبِیلاً. النساء:۱۳۷

ولم ينته امتحانهم بوفاة النبى صلى الله عليه وآله: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ. محمّد:۳۱

ومنهم من سيرتد وينقلب على عقبيه بعد النبى صلى الله عليه وآله: وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شيئاً وَسَيَجْزِى اللهُ الشَّاكِرِينَ).(آل عمران:۱۴۴)

ومنهم الخائن العميل للكافرين: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. التوبة:۱۶

ومنهم من هو من اليهود أو النصارى: وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. المائدة:۵۱ فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَاتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِى أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. المائدة:۵۲

وهم مثل أتباع الأنبياء السابقين منهم الصالح ومنهم الطالح: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخر وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ. البقرة:۶۲

ولا نريد بذلك أن ننقص من حق صحابة النبى صلى الله عليه وآله، ففيهم أبرار أخيار ومجاهدون أئمة، نزلت فيهم آيات مديح فريدة، وصدرت بحقهم شهادات نبوية خالدة، لكنها تخص الصالحين منهم، دون المنافقين، ومرضى القلوب وضعفاء العقيدة. فلا بد من ميزان لمعرفتهم.

لابد من ميزان لتقييم الصحابة

كان الميزان رسول الله صلى الله عليه وآله، أما بعده فالميزان عترته الطاهرون عليهم السلام الذين قال فيهم فى حديثه المتواتر عند الجميع: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما.

وقال فى أولهم على عليه السلام:(على باب علمى، ومبيِّنٌ لأمتى ما أرسلت به من بعدى. حبه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رأفة ومودة وعبادة.(فردوس الأخبار:۳/۶۴)

وروى الحاكم: ۳/۱۲۹: عن أبى ذر قال: ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعلى بن أبى طالب. هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. (ورواه أحمد فى فضائل الصحابة: ۲/۶۳۹).

وفى صحيح مسلم: ۱/۶۰، تحت عنوان: باب حب على من الإيمان: عن زر بن حبيش قال: قال على عليه السلام: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبى(ص)إلىَّ: أن لا يحبنى إلا مؤمن، ولا يبغضنى إلا منافق). (ورواه ابن ماجة:۱/۴۲، والنسائى فى سننه: ۸/۱۱۵ و۱۱۷ وفى خصائص على: ۱۳۷۵، وأحمد:۱/۸۴ و۹۵ و۱۲۸ وفضائل الصحابة: ۲/۲۶۴، وابن أبى شيبة فى مصنفه:۱۲/۵۶، وعبد الرزاق فى مصنفه:۱۱/۵۵، وابن أبى عاصم فى السنة:۵۸۴۲، وابن حبان فى صحيحه:۹/۴۰، والخطيب فى تاريخ بغداد:۲/۲۵۵ و۱۴/۴۲۶، وابن عبد البر فى الإستيعاب: ۳/۳۷، وأبو نعيم فى حلية الأولياء:۸/۱۸۵، وابن حجر فى الإصابة:۲/۵۰۳، والحاكم فى المستدرك:۳ /۱۳۹، والبيهقى فى سننه:۵/۴۷، وابن حجر فى فتح البارى:۷/۵۷).

وفى فتح البارى: ۷/۷۲: وفى كلام أمير المؤمنين كرم الله وجهه يقول: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفى هذا على أن يبغضنى ما أبغضنى، ولو صببت الدنيا بجمانها على المنافق على أن يحبنى ما أحبنى! وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبى الأمى صلى الله عليه و(آله)وسلم أنه قال: يا على لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق). انتهى.

ويطول الكلام لو أردنا استعراض ما دل على أن علياً والعترة الطاهرة عليهم السلام ميزان الإسلام والكفر والإيمان والنفاق، فبهم فقط نستطيع أن نعرف المرضيين وغير المرضيين من الصحابة، من أهل السقيفة وغيرهم.

وضعوا أحاديث فى مدح الصحابة و عصمتهم

ليقابلوا بها أحاديث عصمة العترة

قال الخطيب البغدادى فى الكفاية ص۶۴: (ووصف رسول الله(ص) الصحابة مثل ذلك(مثل الآيات)وأطنب فى تعظيمهم وأحسن الثناء عليهم. فمن الأخبار المستفيضة عنه فى هذا المعنى: ما أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس...عن عبد الله بن مسعود أن النبى(ص)قال: خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تسبق ايمانهم شهادتهم ويشهدون قبل ان يستشهدوا... ثم رواه الخطيب عن أبى هريرة وعمران بن حصين، وروى بعده:

عن أبى سعيد قال قال رسول الله(ص): لا تسبوا أصحابى، فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه...

عن ابن عباس قال قال رسول الله(ص): مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحدكم فى تركه، فإن لم يكن فى كتاب الله فسنة منى ماضية، فإن لم تكن سنة منى ماضية فما قال أصحابى، إن أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء فأيها أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابى لكم رحمة...

عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله(ص): سألت ربى فيما اختلف فيه أصحابى من بعدى، فأوحى الله إلىَّ يا محمد إن أصحابك عندى بمنزلة النجوم فى السماء، بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشئ مما هم عليه من اختلافهم فهم عندى على هدى....

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله(ص): إن الله اختارنى واختار أصحابى فجعلهم أصهارى وجعلهم أنصارى، وإنه سيجئ فى آخر الزمان قوم ينتقصونهم ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تنكحوا إليهم، ألا فلا تصلوا معهم، ألا فلا تصلوا عليهم، عليهم حلت اللعنة.

وتابع الخطيب: الأخبار فى هذا المعنى تتسع، وكلها مطابقة لما ورد فى نص القرآن! وجميع ذلك يقتضى طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم، إلى تعديل أحد من الخلق له، فهو على هذه الصفة، إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية والخروج من باب التأويل، فيحكم بسقوط العدالة، وقد برأهم الله من ذلك ورفع أقدارهم عنه.

على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شئ مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة فى الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم والإعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين، الذين يجيؤن من بعدهم أبد الآبدين! هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء.

وذهبت طائفة من أهل البدع إلى أن حال الصحابة كانت مرضية إلى وقت الحروب التى ظهرت بينهم وسفك بعضهم دماء بعض، فصار أهل تلك الحروب ساقطى العدالة، ولما اختلطوا بأهل النزاهة، وجب البحث عن أمور الرواة منهم.

وليس فى أهل الدين والمتحققين بالعلم من يصرف إليهم خبر ما لا- يحتمل نوعاً من التأويل، وضرباً من الإجتهاد، فهم بمثابة المخالفين من الفقهاء، المجتهدين فى تأويل الأحكام لإشكال الأمر والتباسه.

ويجب ان يكونوا على الأصل الذى قدمناه من حال العدالة والرضا، إذ لم يثبت ما يزيل ذلك عنهم.

أخبرنا أبو منصور محمد بن عيسى الهمذانى، ثنا صالح بن أحمد الحافظ قال: سمعت أبا جعفر أحمد بن عبدل يقول: سمعت أحمد بن محمد بن سليمان التسترى يقول: سمعت أبا زرعة يقول: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله(ص)فاعلم أنه زنديق! وذلك أن الرسول(ص)عندنا حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله(ص)، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة). انتهى.

وكلام أبى زرعة الذى رواه الخطيب البغدادى فى سياق الأحاديث كأنه حديث شريف! يدل على تصعيد محاولتهم فى الدفاع عن أبى بكر وعمر وأتباعهما، بحصر سند الإسلام والقرآن بهم، وجعل التشكيك فيهم تشكيكاً فى سند الإسلام! وكأن كل أمة الإسلام ماتت بعد النبى صلى الله عليه وآله وضاع الإسلام، ولا يوجد سند لإثباته إلا رواية هؤلاء!!

أما الأحاديث التى ذكرها الخطيب فى فضلهم، فكلها ضعيفة أو موضوعة، بدون استثناء، بشهادة النقاد من علمائهم! ولا يتسع المجال لبيان ذلك.

وقال القاضى الجرجانى فى شرح المواقف:٨/٣٧٣، وهو من كبار متكلمى المذاهب السنية: (المقصد السابع: إنه يجب تعظيم الصحابة كلهم، والكف عن القدح فيهم لأن الله سبحانه وتعالى عظمهم وأثنى عليهم، فى غير موضع من كتابه، كقوله: والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. وقوله: يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه، نورهم يسعى بين أيديهم. وقوله: والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً. وقوله: لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة.

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظم قدرهم وكرامتهم عند الله.

والرسول قد أحبهم وأثنى عليهم فى أحاديث كثيرة، منها قوله عليه السلام:خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. ومنها قوله: لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. ومنها قوله: الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه. إلى غير ذلك من الأحاديث المشهورة فى الكتب الصحاح.

ثم إن من تأمل سيرتهم، ووقف على مآثرهم، وجدهم فى الدين وبذلهم أموالهم وأنفسهم فى نصرة الله ورسوله، لم يتخالجه شك فى عظم شأنهم، وبراءتهم عما ينسب إليهم المبطلون من المطاعن، ومنعه ذلك أى تيقنه بحالهم عن الطعن فيهم، فرأى ذلك مجانباً للإيمان.

ونحن لا نلوث كتابنا بأمثال ذلك، وهى مذكورة فى المطولات مع التفصى عنها، فارجع إليها إن أردت الوقوف عليها.

وأما الفتن والحروب الواقعة بين الصحابة، فالهشامية من المعتزلة أنكروا وقوعها! ولا شك أنه مكابرة للتواتر فى قتل عثمان ووقعة الجمل وصفين.

والمعترفون بوقوعها، منهم من سكت عن الكلام فيها بتخطئة أو تصويب، وهم طائفة من أهل السنة. فإن أرادوا إنه اشتغال بما لا يعنى فلا بأس به، إذ قال الشافعى وغيره من السلف: تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلنطهر عنها ألسنتنا. وإن أرادوا إنا لا نعلم أوقعت أم لا؟ فباطل، لوقوعها قطعاً، وأنت خبير بأن الشق الثانى من الترديد ينافى الإعتراف بوقوعها.

واتفق العمرية أصحاب عمرو بن عبيد، والواصلية أصحاب واصل بن عطاء على رد شهادة الفريقين، قالوا لو شهد الجميع بباقة بقلة لم نقبلها، أما العمرية فلأنهم يرون فسق الجميع من الفريقين.

وأما الواصلية فلأنهم يفسقون أحد الفريقين لا بعينه، فلا يعلم عدالة شئ منهما.

والذى عليه الجمهور من الأمة هو: أن المخطئ قتلة عثمان ومحاربوا على لأنهما إمامان فيحرم القتل والمخالفة قطعاً، إلا أن بعضهم كالقاضى أبى بكر ذهب إلى أن هذه التخطئة لا تبلغ إلى حد التفسيق. ومنهم ذهب إلى التفسيق كالشيعة وكثير من أصحابنا). انتهى.

وقد كشف الجرجانى وجود آراء مختلفة تدين أكثر الصحابة ومنهم أبو بكر وعمر، لكنه مرَّ عليها مروراً وركَّز على بضعة أحاديثهم الموضوعة المتقدمة! ونكتفى هنا بمناقشة واحد منها:

نقد حديث: خير القرون قرنى

روى البخارى:٧/١٧٣، عن عبدالله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله قال:خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم

يجئ من بعدهم قوم تسبق شهادتهم أيمانهم، وأيمانهم شهادتهم. ورواه أيضاً بصيغة: خيركم قرنى، ثم الذين يلونهم- قال عمران فما أدرى قال النبى بعد قوله مرتين أو ثلاثاً- ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولايستشهدون، ويخونون ولايؤتمنون، وينذرون ولايفون، ويظهر فيهم السِّمَن).انتهى. ومعنى السِّمَن: البدنة من الترف وكثرة الأكل. (وكرر روايته فى:۷/۲۲۴، و۲۳۳)

و معناه أن التاريخ الإسلامى يسير إلى الإنحدار، والأمة إلى الزوال

وأصل الحديث هو تصور عمر لمستقبل الإسلام وأمته، وأنه كالبعير سيهرم ويموت! ففى مسند أحمد:۳/۴۶۳: (قال كنت فى مجلس فيه عمر بن الخطاب بالمدينة فقال لرجل من القوم: يا فلان كيف سمعت رسول الله (ص)ينعت الإسلام؟ قال: سمعت رسول الله(ص)يقول: إن الإسلام بدأ جَذعاً ثم ثِنْياً ثم رُباعياً ثم سُديسياً ثم بازلاً! قال فقال عمر بن الخطاب: فما بعد البزول إلا النقصان)!! (ورواه فى:۵/۵۲، وقال فى لسان العرب إن الذى سأله عمر هو العلاء بن الحضرمى).

وقال الزبيدى فى تاج العروس:۹/۲۴۵: (وأدنى الأسنان الإثناء، وهو أن تنبت ثنيتاها، وأقصاها فى الإبل البزول، وفى البقر والغنم السلوغ).

وأصل الفكرة من كعب الأحبار الذى أقنع عمر بأن الإسلام سوف ينتهى، وأن الكعبة سوف تهدم، ومكة ستخرب! فقد عقد البخارى باباً فى:۲/۱۵۹، بعنوان: (باب هدم الكعبة!) روى فيه (عن أبى هريرة عن النبى(ص) قال: يُخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة)! (ورواه مسلم:۸/۱۸۳) ثم روى البخارى حديثين آخرين، أحدهما عن ابن عباس عن النبى(ص)قال:كأنى به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً!

ومن الثابت أن أبا هريرة كان يروى عن كعب ويسنده إلى النبى صلى الله عليه وآله مع أن كعباً لم ير النبى صلى الله عليه وآله! ويبدو أن عمر يفعل ذلك أيضاً لشدة ثقته بكعب!

ففى مسند أحمد:۱/۲۳: عن عمر أنه سمع رسول الله (ص) يقول: سيخرج أهل مكة ثم لايعبر بها أولايعبر بها إلا قليل، ثم تمتلئ وتبنى، ثم يخرجون منها فلا يعودون فيها أبداً)! (وقال عنه فى مجمع الزوائد:۳/۲۹۸: رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح).

وفى مسند أحمد:۲/۲۲۰: (عن عبدالله بن عمرو قال سمعت رسول الله (ص) يقول: يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها! ولكأنى أنظر إليه أصيلع أُفَيْدِع، يضرب عليها بمسحاته ومعوله)! انتهى.

الخط البيانى للأمة.. نزول ثم صعود

كل من قرأ القرآن يعرف أن الله تعالى وعد أن يظهر دينه على الدين كله: (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ).

وكل من قرأ الحديث يعرف أن النبى صلى الله عليه وآله أخبر أمته عن مستقبلها ومسارها وأنها ستصاب بالإنحراف والضعف، ثم يبعث الله فيها المهدى من عترته عليه السلام فيظهر به دينه على الدين كله، وينزل فيها عيسى عليه السلام من السماء ليساعده.

فهى أحاديث متواترة روتها مصادر السنيين ومصادر أهل البيت عليهم السلام، منها ما رواه الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن على عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أبشروا ثم أبشروا-ثلاث مرات-إنما مثل أمتى كمثل غيث لايدرى أوله خير أم آخره، إنما مثل أمتى كمثل حديقة أطعم منها فوج عاماً، ثم أطعم منها فوج عاماً، لعل آخرها فوجاً يكون أعرضها بحراً وأعمقها طولاً وفرعاً، وأحسنها جنىً! وكيف تهلك أمة أنا أولها واثنا عشر من بعدى من السعداء وأولى الألباب، والمسيح عيسى بن مريم آخرها؟! ولكن يهلك بين ذلك نتج الهرج، ليسوا منى ولست منهم). (الخصال ص۴۷۵، وكمال الدين ص۲۶۹، وعيون

أخبار الرضا علیه السلام:۲/۵۶).

لکنک تری علماء السلطة القرشیة یتعمدون الإعراض عن هذه الأحادیث ویرجحون علیها حدیث خیر القرون المزعوم، لأنه بتصورهم یُفَضِّل الصحابة الذین یحبونهم، أی أبا بکر وعمر، علی کل البشر، وهذا مطلوبهم حتی لو خربت الدنیا، وهدمت الکعبة، وانتهی الإسلام!!

وقد تمحلوا فی تأویل الأحادیث الصریحة الصحیحة التی تفضل جیلًا أو أشخاصاً آتین من الأمة علی جیل الصحابة، مثل حدیث: (تأتی أیام للعامل فیهن أجر خمسین، قیل: منهم أو منایارسول الله؟ قال: بل منکم).

فهاجموا کل نوع من هذه الأحادیث تأویلًا وتمییعاً وتضعیفاً، لتسلم لهم مقولة أن الصحابة أفضل من الجمیع! (راجع الفصل السادس عشر من المجلد الأول، لتری تأثیر الیهود فی نشر عقیدة أن الأمة الإسلامیة تسیر فی خط نزول مستمر إلی فنائها! وأن القرآن سیرفع من الأرض، والکعبة ستهدم، ومکة ستخرب فلا تسکن بعدها أبداً).

تخبط الشراح فی حدیث خیر القرون قرنی

قال النووی فی مقدمة شرح مسلم:۱/۳: (المُکَرَّم بتفضیل أمته زادها الله شرفاً علی الأمم السابقین، وبکون أصحابه خیر القرون الکائنین، وبأنهم کلهم مقطوع بعدالتهم عند من یعتد به من علماء المسلمین).وقال فی:۱۶/۸۴: (اتفق العلماء علی أن خیر القرون قرنه(ص)، والمراد أصحابه، وقد قدمنا أن الصحیح الذی علیه الجمهور أن کل مسلم رأی النبی(ص)ولو ساعة فهو من أصحابه. وروایة خیر الناس علی عمومها والمراد منه جملة القرن، ولا یلزم منه تفضیل الصحابی علی الأنبیاء(ص)ولا أفراد النساء علی مریم وآسیة وغیرهما، بل المراد جملة القرن بالنسبة إلی کل قرن بجملته...الخ.). ثم ذکر النووی اختلافهم فی القرن، من عشر سنوات إلی مئة وعشرین سنة!

فانظر کیف فسر القرن بالمجموع الکلی للأصحاب، وفضلهم علی المجموع الکلی لأناس کل قرن! وهذا معنی قوله (جملة القرن بالنسبة إلی کل قرن بجملته) ولکنه یقول لایلزم منه ذلک!

ولو أنصف لقال: یلزم منه أنهم أفضل من المجموع الکلی لأناس القرون الماضیة والآتیة مجتمعین، لأن تفضیلهم جاء مطلقاً!

ویبدو أن البخاری لم یروِ: خیر القرون قرنی، فراراً من التعمیم الذی فیه، ولکنه روی: خیر الناس قرنی، فوقع فیما فرَّ منه!

قال الشوکانی فی نیل الأوطار:۹/۲۲۸: (وحدیث أبی هریرة أن خیر القرون قرنه (ص)، وفی ذلک دلیل علی أنهم الخیار من هذه الأمة، وأنه لا أکثر خیراً منهم. وقد ذهب الجمهور إلی أن ذلک باعتبار کل فرد فرد. وقال ابن عبد البر: إن التفضیل إنما هو بالنسبة إلی مجموع الصحابة، فإنهم أفضل ممن بعدهم، لا کل فرد منهم. وقد أخرج الترمذی باسناد قوی، من حدیث أنس مرفوعاً: مَثَلُ أمتی مثلُ المطر، لا یدری أوله خیر أم آخره.....

وأخرج ابن أبی شیبة من حدیث عبد الرحمن بن جبیر بن نفیر باسناد حسن قال رسول الله (ص): لیدرکن المسیح أقواماً إنهم لمثلکم أو خیر ثلاثاً.....

وأخرج أحمد، والدارمی، والطبرانی باسناد حسن، من حدیث أبی جمعة قال: قال أبو عبیدة: یارسول الله أحد خیر منا، أسلمنا معک وجاهدنا معک؟ قال: قوم یکونون من بعدکم، یؤمنون بی ولم یرونی. وقد صححه الحاکم.

وأخرج مسلم من حدیث أبی هریرة رفعه: بدأ الإسلام غریباً وسیعود غریباً کما بدأ، فطوبی للغرباء.

وأخرج أبو داود والترمذی من حدیث ثعلبة رفعه: تأتی أیام للعامل فیهن أجر خمسین، قیل: منهم أو منا یا رسول الله؟ قال: بل منکم وجمع الجمهور، بأن الصحابة لها فضیلة ومزیة لایوازیها شئ من الأعمال، فلمن صحب النبی(ص)فضیلة الصحبة وإن قصر فی الأعمال، وفضیلة من بعد الصحابة باعتبار کثرة الأعمال المستلزمة لکثرة الأجور، فحاصل هذا الجمع أن التنصیص علی فضیلة الصحابة باعتبار فضیلة الصحبة، وأما باعتبار أعمال الخیر فهم کغیرهم...فتقرر بما ذکرناه عدم صحة ما جمع به الجمهور...

والـذي يستفاد من مجموع الأحاديث أن للصحابة مزيـة لايشاركهم فيها من بعـدهم، وهي صحبته(ص)ومشاهـدته والجهاد بين يديه وإنفاذ أوامره ونواهيه، ولمن بعـدهم مزيـة لايشـاركهم الصحابة فيها وهي إيمانهم بالغيب في زمان لا يرون فيه الـذات الشـريفة، التي جمعت من المحاسن ما يقود بزمام كل مشاهد إلى الإيمان، إلامن حقت عليه الشقاوة....). انتهى.

فتكون النتيجة عند الشوكاني قريبة من التساوي!!

ثم تابع الشوكاني:(فإن قلت: ظاهر الحـديث المتقدم عن أبي عبيدة قال: يارسول الله أحد خير منا أسـلمنا معك وجاهدنا معك؟ فقال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولايروني، يقتضي تفضيل مجموع قرن هؤلاء على مجموع قرن الصحابة.

قلت: ليس في هـذا الحديث مـا يفيـد تفضيـل المجمـوع على المجموع، وإن سـلم ذلـك وجب المصـير إلى الترجيـح لتعـذر الجمع، ولاشـك أن حـديث خير القرون قرني أرجـح من هـذا الحـديث بمسافـات، لو لم يكن إلا كونه في الصـحيحين وكونه ثابتاً من طرق، وكونه متلقى بالقبول....فلم يبق ههنا إشكال والله أعلم)!

أما ابن حجر فقـد بحث في أول المجلـد السابع من فتـح الباري حـديث خير القرون وأفضـلية الصـحابة، بحثاً مطولاً كغيره، فقوَّى رأى البخـاري في أن الصـحابي من رأى النبي صـلى الله عليه وآله! وأفتى بـأن من قاتل منهم أو أنفق فهم خير البشـر على الإطلاق! ثم قال: (لكن هل هذه الأفضـلية بالنسـبة إلى المجموع أو الأفراد، محل بحث، والى الثاني نحا الجمهور، والأول قول ابن عبد البر. والذي يظهر أن من قاتل مع النبي(ص)أو في زمانه بأمره، أو أنفق شـيئاً من ماله بسـببه، لايعدله في الفضل أحد بعده كائناً من كان! وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث، والأصل في ذلك قوله تعالى: لايَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا.. الآية

واحتج بن عبد البر بحديث: مثلُ أمتي مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره، وهو حديث حسن، له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة.

وقـد روى بن أبي شـيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بن نفير أحد التابعين باسـناد حسن قال قال رسول الله(ص): ليدركنَّ المسيح أقواماً، إنهم لمثلكم أو خير. ثلاثاً، ولن يخزى الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها.

وروى أبو داود والترمـذي من حـديث أبي ثعلبـة رفعه: تـأتي أيـام للعامـل فيهن أجر خمسـين. قيـل: منهم أو منا يا رسول الله؟ قال: بل منكم، وهو شاهد لحديث مثل أمتي مثل المطر.

واحتـج بن عبـد البر أيضـاً بحـديث عمر رفعه: أفضـل الخلق إيمانـاً قوم في أصـلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني..الحـديث، أخرجه الطيالسي وغيره لكن إسناده ضعيف فلا حجة فيه.

وروى أحمـد والـدارمي والطبراني من حـديث أبي جمعة قال قال أبو عبيدة: يارسول الله أحدٌ خير منا، أسـلمنا معك وجاهدنا معك؟ قال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني، وإسناده حسن وقد صححه الحاكم.

واحتـج أيضـاً بـأن السـبب في كون القرن الأـول خير القرون أنهم كـانوا غربـاء في إيمانهم لكثرة الكفار حينئـذ، وصبرهم على أذاهم، وتمسـكهم بدينهم، قال: فكـذلك أواخرهم إذا أقاموا الدين وتمسـكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن، كانوا أيضاً عند ذلك غرباء، وزكـت أعمالهم في ذلك الزمان كما زكـت أعمال أولئك. ويشهـد له ما رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء.

وقد تعقب كلام بن عبد البر بأن مقتضـى كلامه أن يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة، وبذلك صرح القرطبي، لكن كلام بن عبـد البر ليس على الإطلاق في حق جميع الصـحابة، فإنه صـرح في كلامه باسـتثناء أهل بـدر والحديبية، نعم، والذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لايعدلها عمل لمشاهدة رسول الله(ص). انتهى.

ثم واصل ابن حجر محاولته لترجيـح هذا حديث خير القرون على مايعارضه بكلام طويل، ومما قاله: (وأما حديث أبي جمعة فلم تتفق الرواة على لفظه، فقـد رواه بعضـهم بلفـظ الخيريـة كمـا تقـدم، ورواه بعضـهم بلفـظ: قلنـا يـا رسـول الله هـل من قـوم أعظم منـا أجراً..

الحدیث...). انتهی.

وتلاحظ أنه أسقط حدیث أبی جمعهٔ عن الصلاحیهٔ لمعارضهٔ حدیث القرون لتفاوت ألفاظه، وهو یعرف أن ألفاظ حدیث القرون متفاوتهٔ ومتعارضهٔ، وأن صیَغه تزید علی العشرهٔ، وقد تضمن بعضها شتماً لکل أجیال المسلمین الآتیهٔ! کالذی فی فیض القدیر:۳/۶۳۸: (خیر الناس قرنی الذین أنا فیهم، ثم الذین یلونهم، ثم الذین یلونهم، والآخرون أراذل)! انتهی. یقصد الذین من بعدهم!!

ثم ختم ابن حجر بقوله: (واستدل بهذا الحدیث علی تعدیل أهل القرون الثلاثهٔ وإن تفاوتت منازلهم فی الفضل، وهذا محمول علی الغالب والأکثریهٔ)! انتهی.

وبذلک حصر أمر التفضیل علی العالمین فی أبی بکر وعمر ومن تبعهما! وهو بیت قصیدهم، فی هذه المسألهٔ وغیرها!

قال المناوی فی فیض القدیر:۲/۲۳۳: (وأما خبر خیر الناس قرنی فخاص بقوم منهم، والمراد فی قرنی کالعشرهٔ وأضرابهم، وأما سواهم فیجوز أن یساویهم أفاضل أواخر هذه الأمهٔ). انتهی.

فاتجاههم إلی تضییق المقصود بالحدیث، ثابتٌ مستمر، حتی یصل الأمر إلی العشرهٔ المبشرهٔ، ثم یصل منهم إلی عمر وأبی بکر خاصهٔ!

ردهم شهادات النبی فی انحراف الصحابهٔ بعده

یحمد الله الشوکانی علی أنه لم یبق إشکال علی حدیث القرون (خیر القرون قرنی) وأنه ثبت به تفضیل أبی بکر وعمر، علی أهل القرون!

أما ابن حجر فتخیل أنه عثر علی علل فی الأحادیث المعارضهٔ لحدیث القرون فی سند بعضها، ونقاط ضعف فی تفاوت ألفاظ بعضها!

ومن العجیب أن هؤلاء الباحثین یرجحون حدیث القرون وهو حدیث واحد لراوییْن أو ثلاثهٔ، علی أحادیث الحوض وهی عشرات الأحادیث الصحیحهٔ الصریحهٔ، المتعددهٔ الطرق والرواهٔ إلی حد التواتر، بل تراهم یذکرونها علی مضض کأنهم مجبرون! والسبب أنها نصَّتْ علی أن أکثر الصحابهٔ فی النار! وأنه لا ینجو منهم إلا مثل هَمَل النَّعَم، أی القلهٔ الذین لاراعی لهم!

قال البخاری:۷/۲۰۸: (عن أبی هریرهٔ عن النبی(ص)قال: (بیْنَا أنا قائمٌ فإذا زمرهٔ حتی إذا عرفتهم خرج رجل من بینی وبینهم فقال: هلمَّ، فقلت أین؟ قال إلی النار والله! قلتُ: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدک علی أدبارهم القهقری! ثم إذا زمرهٔ حتی إذا عرفتهم خرج رجل من بینی وبینهم فقال: هلم! قلتُ: أین؟ قال: إلی النار والله! قلتُ: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدک علی أدبارهم القهقری! فلا أراه یخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم)!! انتهی.

وقد قتل شراح البخاری أنفسهم لإبعاد هذه الأحادیث عن الصحابهٔ وإلصاقها بغیرهم، وقالوا إن النبی صلی الله علیه وآله یقصد الذین ارتدوا فی الیمن ونجد!

لکن روایهٔ البخاری التالیهٔ صرحت بأن هؤلاء المطرودین عن الحوض الصحابهٔ لا البدو المرتدین! قال فی:۲/۹۷۵: (عن ابن المسیب أن النبی(ص)قال: یَرِدُ علیَّ الحوضَ رجالٌ من أصحابی فیحلؤون عنه، فأقول یارب أصحابی! فیقول: فإنه لاعلم لک بما أحدثوا بعدک، إنهم ارتدوا علی أعقابهم القهقری)!

(وروی شبیهاً به فی: ۸/۸۶ وشبیهاً بالأول فی:۷/۱۹۵ و۲۰۷ـ۲۱۰ وص۸۴ و۸۷ و:۸/۸۶ و۸۷، ونحوه مسلم:۱/۱۵۰ و:۷/۶۶ وابن ماجهٔ:۲/۱۴۴۰ وأحمد:۲/۲۵ و۴۰۸ و:۳/۲۸ و:۵/۲۱ و۲۴ و۵۰ و:۶/۱۶، والبیهقی فی سننه:۴/ ۱۴، ونقل روایاته المتعددهٔ فی کنز العمال:۱۳/۱۵۷و:۱۴/۴۸ و:۱۵/۶۴۷ وقال رواه(مالک والشافعی حم م ن–عن أبی هریرهٔ. وأورد ابن حجر فی فتح الباری:۱۱/۳۳۳، قرابهٔ عشرین حدیثاً فی الحوض والصحابهٔ المطرودین عنه).

وفی مسلم:۱/۱۵۰، (عن أبی هریرهٔ قال قال رسول الله (ص): ترد علیَّ أمتی الحوض وأنا أذود الناس عنه، قالوا یا نبی الله أتعرفنا؟ قال: نعم تردون علیَّ غراً محجلین من آثار الوضوء. ولَیُصَدَّ عنی طائفهٌ منکم فلایصلون فأقول یارب هؤلاء من أصحابی! فیجیبنی ملکٌ

فیقول: وهل تدری ما أحدثوا بعدک؟!).

وفی مسلم:۷/۷۰: (عن أبی هریره أن النبی(ص) قال: لأذودن عن حوضی رجالاً کما تذاد الغریبهٔ من الإبل). (ورواه أحمد:۲/۲۹۸، المسند الجامع تحقیق د. عواد:۳/۳۴۳ و:۵/۱۳۵ و۱۸ /۴۷۱، والبیهقی فی البعث والنشور ص۱۲۵ ومجمع الزوائد:۱۰/۶۶۵).

فهل یعقل من الذی أخبر بوحی رب العالمین عن مستقبل الصحابهٔ الرهیب فی جهنم، أن یقول عنهم إنهم خیر القرون، وأفضل من جمیع العالمین؟!

وهل یعقل من الذی لم یرض أن یسمیهم إخوانی صلی الله علیه وآله، لأنهم سینقلبون من بعده، أن یقول عنهم إنهم خیر القرون! ففی صحیح مسلم:۱/۱۵۰: (وددت أنا قد رأینا إخواننا. قالوا: أولسنا إخوانک یا رسول الله؟ قال أنتم أصحابی، وإخواننا الذین لم یأتوا بعد. فقالوا کیف تعرف من لم یأت بعد من أمتک یا رسول الله؟ فقال: أرأیت لو أن رجلاً له خیل غر محجلهٔ بین ظهریْ خیل دُهْم بُهْم، ألا یعرف خیله؟ قالوا: بلی یا رسول الله. قال: فإنهم یأتون غراً محجلین من الوضوء، وأنا فرطهم علی الحوض، ألا ـ لیذادن رجال عن حوضی کما یذاد البعیر الضال! أنادیهم ألا هلمَّ، فیقال إنهم قد بدلوا بعدک! فأقول سحقاً سحقاً!). ورواه أحمد فی مسنده:۲/۳۰۰ وص۴۰۸، والبیهقی فی سننه:۱/۸۳ و:۴/۷۸، وابن حبان:۳/۳۲۱، ومجمع الزوائد:۱۰/۶۶، وغیرهم بدون نقیصهٔ، لکن رواه النسائی فی سننه:۱/۹۳، وحذف آخره لأن فیه ذم الصحابهٔ!

وهل یعقل أن یکون الصحابهٔ خیر أهل القرون، ثم یکون قطیعهم وأکثریتهم من أهل النار، ولاینجو منهم ولا یدخل الجنهٔ إلا قلهٔ قلیلهٔ، یکونون منفردین عن قطیعهم مثل (هَمَل النعم)کالأغنام المنفردهٔ البعیدهٔ عن القطیع!

قال ابن حجر فی مقدمته ص۱۹۷: (والخلیفهٔ راعی الصحابهٔ بلا ـ شک).انتهی. فمن هم الهمل الناجون، البعیدون عن قطیع الصحابهٔ الذی راعیاه أبو بکر وعمر؟!

الامام مالک یعض یدیه ندما لروایته أحادیث الحوض

تحالف الحسنیون والعباسیون فی جبههٔ واحدهٔ للثورهٔ علی الأمویین، وکانت القیادهٔ للحسنیین، وما أن اشتعلت الثورهٔ فی خراسان بقیادهٔ أبی مسلم الخراسانی حتی بادر العباسیون فی الکوفهٔ إلی سرقتها وأقنعوه بالبیعهٔ للسفاح فبایعوا له فی الکوفهٔ وأزاحوا الحسنیین، فغضب الحسنیون وسیطروا علی الیمن والحجاز والبصرهٔ، وزحفوا فی سبعین ألف مقاتل نحو الکوفهٔ ووصلوا الیها وشارفوا علی النصر، وتهیأ أبو جعفر المنصور للهرب، لکن قائدهم إبراهیم بن عبدالله بن الحسن أصابه سهم طائش فقتل وتفرق جنده، فاستتب الأمر للعباسیین.

کان مالک بن أنس أفتی بالثورهٔ مع الحسنیین! فعاقبه العباسیون بعد ذلک بالسجن والجلد، ثم استرضاهم فرضی عنه السفاح والمنصور.

وقد ساء المنصور أن یری المرجعیهٔ الفکریهٔ للأمهٔ متمرکزهٔ فی الأئمهٔ من ذریهٔ الحسین علیه السلام فاتخذ قراراته غیظاً من کل أبناء علی علیه السلام بتغییر الخط الفکری لثورهٔ العباسیین، وإعادهٔ الإعتبار للخلفاء القرشیین، بعد أن قامت الثورهٔ الهاشمیهٔ علی البراءهٔ منهم، ورفعت فی مقابل الأمویین شعار: یالثارات الحسین علیه السلام، وفی مقابل قریش: الدعوهٔ إلی الرضا من آل محمد، فقرر المنصور تأسیس مذهب فی مقابلهم، وأمر مالک بن أنس أن یکتب له کتاباً موطأً لیلزم به المسلمین، وحصر الفتوی بمالک، ومنع أئمهٔ أهل البیت علیهم السلام وفقهاء المدینهٔ أن یفتوا مادام مالک موجوداً فصار قراره مثلاً: (لایفتین أحد ومالک فی المدینهٔ)، وقام باضطهاد الإمام جعفر الصادق علیه السلام وقتله.

وقد استغرق هذا العمل بضع عشرهٔ سنهٔ، کتب مالک کتابه الموطأ فی أولها،

وتبنته السلطهٔ ونشرته، وبعد نشره أصدر المنصور أمراً للمحدثین والفقهاء والولاهٔ أن لایرووا شیئاً فی فضائل علی علیه السلام، ولا طعناً بأبی بکر وعمر، وأن یفضلوهما علی علی علیه السلام! ثم أمر بمدح أبی بکر وعمر فی خطبهٔ الجمعهٔ وقال: (والله لأرغمن أنفی

وأنوفهم، وأرفع علیهم بنی تیم وعدی). (منهاج الکرامة ص۶۹).

لکن الموطأ کان قد انتشر وفیه أحادیث الحوض وما أدراک ما أحادیث الحوض! فکان مالک یعض أصابعه ندماً علی وجودها فیه! قال الحافظ ابن الصدیق المغربی فی فتح الملک العلی ص۱۵۱: (وخرج مالک والبخاری ومسلم حدیث الحوض، الذی حکی عن مالک أنه قال: ما ندمت علی حدیث أدخلته فی الموطأ إلا هذا الحدیث (الموطأ: ۱/۴۰ ط مصر۱۳۶۹)!

وعن الشافعی أنه قال: ما علمنا فی کتاب مالک حدیثاً فیه إزراء علی الصحابة إلا حدیث الحوض وددنا انه لم یذکره). انتهی.

هذا واقع الصحابة فی النص الصحیح عندهم! لکن السلطة القرشیة ترید إخفاءه ورفع الصحابة فی مقابل عترة النبی صلی الله علیه وآله وکأنهم لیسوا صحابة! وکأن النبی صلی الله علیه وآله لم یقل فیهم: (إنی تارک فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی أهل بیتی)!

علی أنهم لیسوا حریصین علی مدح جمیع الصحابة، بل یریدون مدحاً مجملاً مبهماً للصحابة، یمکنهم تفسیره بأبی بکر وعمر ومن تبعهما فقط، من بین مئة ألف صحابی رأوا النبی صلی الله علیه وآله!

وحدیث: خیر الناس قرنی، برأیهم حدیث جمیل یصلح لهذه الوظیفة!

علی أنا لو سلمنا صحة هذا الحدیث وقلنا إن النبی صلی الله علیه وآله قال عن مسلمی عصره إنهم خیر البشر! فهل ینفع هذا المدح المجمل فی إثبات عدالة أبی بکر وعمر، أوإثبات عصمتهما؟ فقد یکون سبب الخیر وجود العترة النبویة فیهم علیهم السلام کما تقول خیر العصور عصر رسول الله بسبب وجوده الشریف صلی الله علیه وآله ووجود أهل بیته الأطهار علیهم السلام الذین هم معدن الخیر، وبهم کانت الأمة خیر أمة أخرجت للناس!

لکن القوم لا یریدونهم، ولا یریدون عدالة الصحابة، وإنما اتخذوا حدیث خیر القرون جسراً لإثبات عصمة عمر وأبی بکر! فهی بیت قصیدهم!

بل، حتی لو قلنا إن سبب هذه الخیریة والأفضلیة وجود خمس مئة من الصحابة الأبرار، فلا ینفعهم ذلک، إذا لم یوجد نصَّ یُعینهم، ومقیاسَ یُمیزهم، فتکون القضیة بالنسبة إلی غیر أهل البیت علیهم السلام المخصوصین بالمدح النبوی، من نوع الشبهة المحصورة والأوانی المشتبهة بین الحلال والحرام، أو الطاهر والنجس، وفتوی مذاهبهم فیها وجوب اجتنابها جمیعاً إلا ما ثبتت طهارته!

قرنوا الصحابة بالنبی فی الصلاة علیه من أجل عمر

اتفقت مصادرهم علی أن المسلمین سألوا النبی صلی الله علیه وآله کیف نصلی علیک؟ فأمرهم بالصلاة علیه وآله معاً، وعلمهم صیغتها! وهذا نصها من البخاری:

(قِیلَ یَارَسُولَ اللهِ أَمَّا السَّلامُ عَلَیْکَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ فَکَیْفَ الصَّلاةُ عَلَیْکَ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَی مُحَمَّدٍ وَعَلَی آلِ مُحَمَّدٍ کَمَا صَلَّیْتَ عَلَی آلِ إِبْرَاهِیمَ إِنَّکَ حَمِیدٌ مَجِیدٌ اللَّهُمَّ بَارِکْ عَلَی مُحَمَّدٍ وَعَلَی آلِ مُحَمَّدٍ کَمَا بَارَکْتَ عَلَی آلِ إِبْرَاهِیمَ إِنَّکَ حَمِیدٌ مَجِیدٌ).(راجع أیضاً الأحادیث: ۳۳۶۹، ۳۳۷۰، ۶۳۵۷، ۶۳۵۸، ۴۷۹۸، ۶۳۶۰).

فهو نصٌّ صریح فی أن الله تعالی لایقبل الصلاة علی نبیه إلا مقرونة بآله صلی الله علیه وآله. وهوصیغة توقیفیة یجب اتباعها فی الصلاة وغیر الصلاة، لأن السؤال مطلق: فَکَیْفَ الصَّلاةُ عَلَیْکَ؟ فعلمهم، ولم یسألوه کیف نصلی علیک فی صلاتنا؟ حتی یتفلسف متفلسف فیقول نحن نتقید بهذه الصیغة فی الصلاة، ونحذف منها ونزید علیها فی غیر الصلاة!

من الذی حذف الصلاة علی آل النبی؟! ومن أین جاء قولهم، أو علیه وآله صحبه و سلم؟

اعترف الحافظ الحنبلی ابن حجر بأن العلماء والرواة ارتکبوا تحریف أحادیث النبی صلی الله علیه وآله وحذفوا منها الصلاة علی آل النبی(تقیةً)من حکام بنی أمیة وجنودهم!

قال في سبل السلام بشرح الكحلاني:۱/۱۹۲: (ودعوى النووي وغيره الإجماع على أن الصلاة على الآل مندوبة، غير مسلَّمة! بل نقول: الصلاة عليه(ص)لا تتم ولا يكون العبد ممتثلاً بها حتى يأتي بهذا اللفظ النبوي الذي فيه ذكر الآل، لأنه قال السائل: كيف نصلي عليك؟فأجابه بالكيفية أنها الصلاة عليه وعلى آله، فمن لم يأت بالآل فما صلى عليه بالكيفية التي أمر بها، فلا يكون ممتثلاً للأمر، فلا يكون مصلياً عليه(ص). وكذلك بقية الحديث من قوله: كما صليت إلى آخره، يجب، إذ هو من الكيفية المأمور بها، ومن فرق بين ألفاظ هذه الكيفية بإيجاب بعضها وندب بعضها، فلا دليل له على ذلك.

وأما استدلال المهدي في البحر على أن الصلاة على الآل سنة، بالقياس على الأذان، فإنهم لم يذكروا معه (ص) فيه، فكلامٌ باطل، فإنه كما قيل لا قياس مع النص، لأنه لا يذكر الآل في تشهد الأذان لا ندباً ولا وجوباً، ولأنه ليس في الأذان دعاء له (ص) بل شهادة بأنه رسول الله، والآل لم يأت تعبدٌ بالشهادة بأنهم آله. ومن هنا تعلم أن حذف لفظ الآل من الصلاة كما يقع في كتب الحديث، ليس على ما ينبغي! وكنت سئلت عنه قديماً فأجبت إنه قد صح عند أهل الحديث بلا ريب كيفية الصلاة على النبي(ص)وهم رواتها، وكأنهم حذفوها خطأ تقيةً لمَّا كان في الدولة الأموية من يكره ذكرهم، ثم استمر عليه عمل الناس متابعةً من الآخر للأول فلا وجه له. وبسطت هذا الجواب في حواشي شرح العمدة بسطاً شافياً). انتهى.

ولم يسبق بني أمية إلا عبدالله بن الزبير، الذي كان في خلافته يصلي الجمعة فلا يذكر النبي صلى الله عليه وآله أصلاً! وإذا ذكره لايصلي عليه صلى الله عليه وآله!فسئل عن ذلك فقال:(إن هذا الحيَّ من بني هاشم إذا سمعوا ذكره أشرأبَّت أعناقهم، وأبغض الأشياء إليه ما يسرهم! لا يمنعني ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها! وفي رواية أنه قال مرةً: إن له أهيل سوء ينغضون رؤوسهم عند ذكره)!. (راجع الصحيح من السيرة: ۲/۱۵۳، عن العقد الفريد:۴/۴۱۳ ط دار الكتاب العربي، وشرح النهج:۲۰/۱۲۷، وأنساب الأشراف:۴/ ۲۸ وقاموس الرجال: ۵/۴۵۲، ومقاتل الطالبيين ص۴۷۴).

من الذي وضع الصلاة على الصحابة بدل الآل أو معها؟

الذين حذفوا الآل من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله هم الذين وضعوا صحابته بدلهم! فهل عندهم حديث جوَّز لهم قَرْنَ الصحابة بالنبي صلى الله عليه وآله في الصلاة عليه، سواء في صلاة الفريضة أو خارجها؟ أم هو استدراكٌ على النبي صلى الله عليه وآله وبدعة! وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار؟!

قال الحافظ الصديق المغربي في رسالته (القول المقنع في الرد على الألباني المبتدع) طبع طنجة بالمغرب ۱۹۸۶، ص۱۲:(وننبه هنا على خطأ وقع من جماهير المسلمين، قلد فيه بعضهم بعضاً ولم يتفطن له إلا الشيعة، ذلك أن الناس حين يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذكرون معه أصحابه مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله الصحابة فقالوا: كيف نصلي عليك؟ أجابهم بقوله: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد. وفي رواية: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، ولم يأت في شئ من طرق الحديث ذكر أصحابه مع كثرة الطرق وبلوغها حد التواتر.

فذكرُ الصحابة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم زيادةٌ على ما علمه الشارع، واستدراكٌ عليه، وهو لا يجوز.

وأيضاً فإن الصلاة حقٌّ للنبي ولآله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا دخلَ للصحابة فيها، لكن يترضى عنهم). انتهى. وهو كلام قويٌّ من عالم سني منصف.

وقد رد الألباني عليه في مقدمة كتابه: سلسلة الأحاديث الضعيفة:۳/ ۸ رداً مطولاً جداً، ومما قاله: (قلت: ليس في هذا الكلام من الحق إلا قولك الأخير: إنه لاتجوز الزيادة على ما علمه الشارع..إلخ، فهذا حق نقول به ونلتزمه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا. ولكن ما بالك أنت وأخوك خالفتم ذلك، واستحببتم زيادة كلمة (سيدنا) في الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم، ولم ترد في شئ من طرق الحديث؟! أليس في ذلك استدراك صريح عليه صلى الله عليه وآله وسلم، يامن يدعى تعظيمه بالتقدم بين يديه؟! أما سائر كلامك

فباطل لوجوه:

الأول: أنك أثنيت على الشيعة بالفطنة ونزهتهم عن البدعة، وهم فيها من الغارقين الهالكين. واتهمت أهل السنة بها وبالبلادة والغباوة، وهم والحمد لله مبرؤون منها، فحسبك قوله (ص)فى أمثالك: إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم. رواه مسلم.....

وتابع الألبانى قائلًا: (هذا العموم المزعوم، أنت أول مخالف له! لأنه يستلزم الصلاة عليه(ص)بهذه الصلوات الابراهيمية كلما ذكر عليه الصلاة والسلام، وما رأيتك فعلت ذلك ولو مرة واحدة فى خطبة كتاب أو فى حديث ذكر فيه النبى(ص)! ولا علمنا أحداً من السلف فعل ذلك والخير كله فى الإتباع (!).

والسر فى ذلك أن هذا العموم المدعى إنما هو خاص بالتشهد فى الصلاة كما أفادته بعض الأحاديث الصحيحة، ونبه عليه الإمام البيهقى فيما ذكره الحافظ فى فتح البارى:۱۱/۱۵۴، الطبعة السلفية فليراجعه من شاء، والإمام الشافعى فى رسالته على ما ذكره الحافظ السخاوى فى القول البديع، والرافعى، والشيرازى، والنووى، وابن تيمية، وابن القيم، وابن حجر، وغيرهم كثير وكثير جداً، لا ـ يمكن حصرهم، ما زال كل واحد منهم يصلى على النبى(ص)فى خطبة كتبه ويصلى على أصحابه معه، كما أفعل أنا أحياناً اقتداءً بهم، وبخاصة أن الحافظ ابن كثير نقل فى تفسيره الإجماع على جوازه (!)، ومع ذلك كله رميتنى بسبب ذلك بدائك وبَدَّعتنى! أفهؤلاء الأئمة مبتدعةٌ عندك ويحك! أم أنت تزن بميزانين وتكيل بكيلين؟!).

ثم قال الألبانى: (وهو يعلم أن النبى(ص)كان يصلى على أصحابه بمناسبات مختلفة، ومن ذلك حديث: كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل عليهم فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبى أوفى. رواه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج فى الإرواء،۸۵۳، وغيره.....ولا دليل على أن ذلك من خصوصياته (ص) بل قد صح عن ابن عمر أنه كان يقول فى الجنازة: اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض رسولك. رواه ابن أبى شيبة فى المصنف:۱۰/۴۱۴، وسنده صحيح على شرط الشيخين. وبعد هذا كله فإنى أرجو أن يكون ظهر للقراء جميعاً من هو المبتدع!). انتهى.

هذا لبُّ ماذكره الألبانى من كلامه الطويل الذى لم يأت فيه بدليل على جواز قرن الصحابة بالنبى فى الصلاة عليه صلى الله عليه وآله، وغاية ما ذكره ثلاثة أدلة:

الأول: قوله:(والسر فى ذلك أن هذا العموم المدعى إنما هو خاص بالتشهد فى الصلاة، كما أفادته بعض الأحاديث الصحيحة، ونبه عليه الإمام البيهقى، فيما ذكره الحافظ فى فتح البارى..الخ). انتهى.

وقصده أنه لاعموم لصيغة الصلاة التى علمها النبى صلى الله عليه وآله للمسلمين للصلاة عليه فى كل حال، بل هو تعليم نبوى خاص بتشهد الصلاة، ففى غير الصلاة يجوز لك أن تحذف الصلاة على الآل، وتضع مكانهم الصحابة، ولا حرج!

لكن ما هو دليل الألبانى على تخصيصها بتشهد الصلاة، وحديثها فى البخارى وغيره عامٌّ مطلقٌ ليس فيه حصرٌ فى التشهد، قالوا: (فَكَيْفَ الصَّلاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...)؟!

يقول الألبانى أن دليله على تخصيصها: (أفادته بعض الأحاديث الصحيحة، ونبه عليه الإمام البيهقى فيما ذكره الحافظ فى فتح البارى). انتهى.

فقد ادعى وجود أحاديث صحيحة تحصر صيغة الصلاة النبوية التعليمية للمسلمين فى تشهد الصلاة، فأين هى هذه الأحاديث الصحيحة؟!

الجواب: لاتوجد أحاديث لاصحيحة ولاضعيفة! وإلا ـ لأتى بها الألبانى فى رده الطويل الذى أخذ أكثر من عشر صفحات، وهو متخصص فى الحديث! لكنه

كما يبدو يستحل الكذب للدفاع عن الصحابة!

ثم قال الألبانى:(ونبه عليه الإمام البيهقى فيما ذكره الحافظ فى فتح البارى...)

يقصد أن هؤلاء العلماء الذين ليس فيهم واحد قبل القرن السادس! نبهوا على تخصيص صيغة الصلاة التعليمية النبوية بالتشهد دون غيره!

ويبدو أنها كذبة أخرى! ولو صدقناه لقلنا لهؤلاء: ما هو دليلكم على التخصيص؟ وهل هو الأحاديث الصحيحة التى وعد بها الألبانى!!

الدليل الثانى: قال الألبانى: (وهو يعلم أن النبى(ص)كان يصلى على أصحابه بمناسبات مختلفة، ومن ذلك حديث: كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صلِّ عليهم، فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبى أوفى. رواه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج فى الإرواء،٨٥٣، وغيره....). انتهى.

والجواب: إن هذا تدليس فى الإستدلال مع الأسف! لأن موضوعنا كيف يجب أن نصلى نحن على النبى صلى الله عليه وآله؟فكيف يستدل عليه بصلاة النبى صلى الله عليه وآله على المسلمين؟! فالنبى صلى الله عليه وآله يعرف تكليفه كيف يصلى علينا وعلى غيرنا، وقد بين لنا تكليفنا نحن كيف نصلى عليه، وحدده بصيغة تعليمية توقيفية صحيحة.

فهل يجوز لنا أن نقول له: كلا، نريد أن نصلى عليك كما نحب، ونضم فى الصلاة عليك من نحب، ونحذف منها لا نحب! لأنك أنت تفعل ذلك؟!

الدليل الثالث: قال الألبانى: (ولا دليل على أن ذلك من خصوصياته(ص) بل قد صح عن ابن عمر أنه كان يقول فى الجنازة: اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض رسولك. رواه ابن أبى شيبة فى المصنف:١٠/٤١٤، وسنده صحيح على شرط الشيخين). انتهى.

يقول الألبانى بذلك لقد ثبت بأثر صحيح عن ابن عمر أنه قال لميت (اللهم بارك فيه وصل عليه) فالصلاة على المسلمين ليست من مختصات النبى صلى الله عليه وآله، بل يجوز لأى مسلم أن يقول لمسلم آخر (اللهم صل عليه)، ونحن نقول: اللهم صل على الصحابة، فما المانع؟

والجواب: أن الألبانى يعرف أن المسألة ليست جواز الصلاة على مسلم بقولنا: (اللهم صل عليه)، بل هى قَرْنُ الصحابةبالنبى صلى الله عليه وآله، وهل يجوز أن نتعدى تعليمه بالصلاة عليه، ونحذف آله من صلاتنا عليه، ونضع بدلهم الصحابة؟!

فانظر كيف غيَّر الموضوع أيضاً، وشطَّ عنه بعيداً، وكذلك يفعلون!

قرنهم الصحابة بالنبى صلى الله عليه وآله معضلة لاحل لها!

إن حذف أتباع الخلافة لآل النبى من الصلاة عليه صلى الله عليه وآله، ووضعهم الصحابة بدلهم أو معهم وقرنهم بالنبى صلى الله عليه وآله، معضلةٌ لم ولن يستطيعوا حلها! بل هى ست معضلات فقهية كاملة:

١- هل يجوز الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وآله، ومن أمر النبى بالصلاة عليه؟

٢- هل يوجد دليل يخصص صيغة الصلاة النبوية بتشهد الصلاة؟

٣- هل يجوز حذف آل النبى صلى الله عليه وآله من الصلاة عليه؟

٤- هل يجوز وضع الصحابة مكانهم وقرنهم بالنبى صلى الله عليه وآله؟

٥- هل يجوز أن نوى بصلاتنا على آل النبى صلى الله عليه وآله جميع ذريته من فاطمة وعلى عليهما السلام وكل ذرية بنى هاشم إلى يوم القيامة، ونقرنهم بالنبى صلى الله عليه وآله وفيهم من ثبت أنهم أعداء لله ورسوله، وفيهم اليوم نصارى وملحدون وقتلة وأشرار؟!

فهل يمكن أن يأمرنا الله تعالى أن نصلى على هؤلاء الكفار والفجار ونقرنهم بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله؟! وهل يجب عليهم أن يقولوا (وآله المؤمنين)؟!

٦- إذا حلينا أصل مشكلة ضم الصحابة وقرنهم بالصلاة مع النبى صلى الله عليه وآله فهل يجوز لنا أن نعمم الصلاة عليهم جميعاً بدون تخصيص أو تقييد، لأنا بقولنا (وعلى أصحابه أجمعين)نقرن أكثر من مئة ألف شخص بالنبى صلى الله عليه وآله وهؤلاء فيهم من

شـاركوا فی محاولـة اغتیال النبی صـلی الله علیه وآله لیلـة العقبـة، وفیهم من ثبت نفاقهم بنص القرآن ونص النبی صـلی الله علیه وآله، وفیهم جماعـة شـهد النبی صـلی الله علیه وآله بأنهم لن یروه بعـد وفاته، وأنهم سوف ینقلبون من بعده، ویمنعون من ورود حوضه یوم القیامة ویؤمر بهم إلی النار! فهل یجب التخلص من هذا الإشکال بأن نقول: (علیه وعلی أصحابه المؤمنین، أو المرضیین)؟!

لقد أوقعوا أنفسـهم فی کل هذه المشـکلات، لأنهم استدرکوا علی النبی صلی الله علیه وآله ولم یتَّبعوا! أما نحن فلا مشکلة عندنا، لأنا لانستحل أن نقرن بنبینا فی الصلاة علیه صلی الله علیه وآله إلا آله وأهل بیته الطاهرین علیهم السلام الذین أمرنا بقرنهم به، وهم عندنا مصطلح نبوی خاص حدده النبی صـلی الله علیه وآله بعلی، وفاطمة، والحسن، والحسین، وتسعة من ذریة الحسین، آخرهم المهدی، صلوات الله علیهم.

عصموا البخاری من أجل عصمة عمر

صحیح البخاری کتابٌ فی الحدیث، ألفه محمـد بن إسـماعیل بن برد زبه، المعروف بالبخاری الخرتنکی، نسبة إلی بلـده بخاری فی شرق إیران، وخرتنک قریة قرب بخاری فیها مولده وقبره، وقد ولد سنة۱۹۶وتوفی سنة۲۵۶.

وکـانت کتب الحـدیث قبله بالمئـات، وبعـده بالألوف، لکن المتوکل العباسـی تنبی کتابه بتوثیق أحمـد بن حنبل، وأعرض عن کتاب الموطأ الذی ألفه مالک بن أنس لجد جده المنصور! فقد ولد مالک سنة۹۳ وتوفی سنة۱۷۹. (مقدمة کتاب الموطأ والأعلام:۵/۲۵۷).

قال ابن فرحون فی الدیباج المذهب ص۲۵: (باب فی ذکر الموطأ وتألیفه إیاه: روی أبو مصعب أن أبا جعفر المنصور قال لمالک: ضع للنـاس کتابـا أحملهم علیه فکلمه مالـک فی ذلـک فقـال: ضـعه فمـا أحـد الیوم أعلم منک، فوضع الموطأ فلم یفرغ منه حتی مات أبو جعفر، وفی روایـة أن المنصور قال له: یا أبا عبـد الله ضع هـذا العلم ودون کتابا وجنب فیه شدائـد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواذ ابن مسـعود، واقصـد أواسط الأمور وما أجمع علیه الصـحابة والأئمـة وفی روایـة أنه قال له: إجعل هـذا العلم علما واحد، فقـال له: إن أصـحاب رسول الله(ص)تفرقوا فی البلاد فأفتی کل فی مصـره بما رأی فلأهل المدینـة قول، ولأهل العراق قول تعـدوا فیه طورهم. فقال: أما أهل العراق فلست أقبل منهم صرفا ولا عدلا، وانما العلم علم أهل المدینة فضع للناس العلم.

وفی روایـة عن مالـک فقلت له: إن أهـل العراق لاـ یرضون علمنـا، فقال أبو جعفر: نضـرب علیه عامتهم بالسـیف ونقطع علیه ظهورهم بالسیاط!

وروی أن المهـدی قـال له: ضع کتابـا أحمـل الأمـة علیه، فقـال له مالـک: أمـا هـذا الصـقع فقـد کفیته یعنی المغرب، وأمـا الشام ففیه الأوزاعی، وأما أهل العراق ففیهم أهل العراق، قال عتیق الزبیدی: وضع مالک الموطأ علی نحو من عشرة آلالف حدیث، فلم یزل ینظر فیه کل سنة ویسقط منه حتی بقی هذا، ولو بقی قلیلا لأسقطه کله). انتهی.

وبقی الموطـأ المرجع الرسـمی للدولـة وعلمائهـا، وکـان أئمـة المـذاهب یمـدحونه بـأنه أصـح کتاب بعـد کتاب الله تعالی، حتی ترکه المتوکل واستعاض عنه بمسودة کتاب البخاری فصار أصح کتاب بعد کتاب الله تعالی!

قال ابن عبد البر فی التمهید:۱/۷۹: (سمعت الشافعی یقول: ما رأیت کتاباً الف فی العلم أکثر صواباً من موطأ مالک).

وقال الذهبی سیر أعلام النبلاء:۹/۲۰۵: (قال بندار: سمعت عبد الرحمن یقول: ما نعرف کتابا فی الإسلام بعد کتاب الله أصح من موطأ مالک).

وقال السید المیلانی فی الأحادیث المقلوبة فی مناقب الصحابة ص۳۸:

(ولما أراد الرشـید الشـخوص إلی العراق قال لمالک: ینبغی أن تخرج معی فإنی عزمت أن أحمل الناس علی الموطأ کما حمل عثمان الناس علی القرآن! (مفتاح السعادة: ۲ /۶۸۷). ثم أراد هارون أن یعلق الموطأ علی الکعبـة! (۷ کشف الظنون: ۲/۱۹۰۸). ونادی منادی الحکومة: ألا لا یفتی الناس إلا مالک بن أنس) (وفیات الأعیان ۳/۲۸۴، مفتاح السعادة:۲/۸۷، مرآة الجنان:۱/۳۷۵.)

أما المتوكل الـذى فقـد كان صاحب مشـروع جديد فى التجسـيم والنصب، يختلف عن مشـروع أجداده، فقد أسـس ميليشا (أصـحاب الحـديث) واختار لهم إماماً هو أحمـد بن حنبل، ودعاه إلى سامراء وأكرمه وعقد له مجالس، وكان لايعين قاضـى القضاة إلا بموافقته، ففى تاريخ بغداد ۳/۱۴۷: (أمر المتوكل بمسائلة أحمد بن حنبل عمن يتقلد القضاء).

وفى تاريخ بغداد:۲/۴۲۶: (بعث المتوكـل إلى أحمـد بن حنبـل يسـأله عن ابن الثلجى ويحيى بن أكثم فى ولايـة القضـاء، فقال أما بن الثلجى فلا). انتهى.

وكان البخارى على صـلة دائمـة بأحمـد، وقـد ألف كتابه بتوجيهه، وعرضه عليه فارتضاه، ففى مقدمة فتح البارى ص۴۹۱: (لما صنف البخارى كتاب الصـحيح عرض مسودته على ابن المدينى وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم فاستحسـنوه، وشـهدوا له بالصـحة إلا أربعة أحاديث. قال العقيلى: والقول فيها قول البخارى وهى صحيحة). انتهى.

وطلب ابن حنبل من البخارى أن يسكن فى بغداد فاعتذر له، لكنه ندم بعد ذلك! ففى تاريخ بغداد:۲/۲۲: (سمعت محمد بن إسماعيل البخارى يقول: دخلت بغداد آخر ثمان مرات، كل ذلك أجالس أحمد بن حنبل فقال لى فى آخر ما ودعته: يا أبا عبد الله تترك العلم والناس وتصير إلى خراسان؟! قال أبو عبد الله: فأنا الآن أذكر قوله). انتهى.

مات البخارى قبل أن يكمل كتابه، فأكمله جماعة المتوكل

وقـد اعترف بذلك ابن حجر فى مقدمة الفتح ص۶، قال: (حدثنا الحافظ أبو إسـحاق إبراهيم بن أحمد المستملى قال: انتسخت كتاب البخارى من أصـله الـذى كان عنـد صاحبه محمـد بن يوسف الفربرى، فرأيت فيه أشـياء لم تتم، وأشـياء مبيضة منها تراجم(عناوين)لم يثبت بعدها شيئاً، ومنها أحاديث(أى عناوين أحاديث) لم يترجم لها، فأضفنا بعض ذلك إلى بعض!

قال أبو الوليد الباجى: ومما يدل على صـحة هذا القول أن رواية أبى إسحاق المستملى ورواية أبى محمد السرخسى ورواية أبى الهيثم الكشـمهينى وروايـة أبى زيـد المروزى، مختلفـة بالتقـديم والتأخير، مع أنهم انتسـخوا من أصل واحـد! وإنما ذلك بحسب ما قدر كل واحـد منهم فيما كان فى طرة أو رقعة مضافة، أنه من موضع ما، فأضافه إليه! ويبين ذلك أنك تجد ترجمتين(عنوانين)وأكثر من ذلك متصلة ليس بينها أحاديث). انتهى.

ومع ذلك فقد تبنته السلطة وألزمت به الطلبة والناس، وأنستهم موطأ مالك!

السر فى تبنيهم كتاب البخارى

كتاب البخارى واحـدٌ من مئات الكتب المشابهـة التى ألفت قبله، وألوف الكتب التى ألفت بعـده، وليس فيه سـر سوى أنه مفصل على مزاج المتوكـل! فمن أراد أن يعرف البخـارى فليعرف المتوكـل، فى نصبه لأهـل البيت عليهم السـلام كلهم وكرهه لعلى عليه السـلام خاصة، وقتله أئمة أهل البيت عليهم السـلام واضطهاده لشيعتهم، ومنعه الناس من زيارة قبر الحسين عليه السلام ثم هدمه القبر الشريف! (راجع كتابنا: جواهر التاريخ).

يوازى ذلك تقديسه لأبى بكر وعمر إلى حد العصـمة! وقد رأيت أن أهم أحاديث عصـمة عمر رواها البخارى، ومنها: (والذى نفسـى بيده مالقيك الشيطان قط سالكاً فجّاً إلا سلك فجاً غير فجّك). (البخارى:۴/۹۶, و۱۹۹ و:۷/۹۳)!

هل أن تبنى البخارى عمل علمى أم ضد العلم؟

يسأل بعضـهم: لماذا لا يقوم مجموعة من العلماء المشـهورين بجمع الأحاديث الصـحيحة فى مدرسة أهل البيت ويصـححونها، وتخرج فى كتب ونقول للعامة هذا صحيحنا وبه حاجونا؟

وقـد أجبنا عليه: بأن هـذا سؤال يسأله أهل البساطـة العلميـة، فإن من مشاكل المذاهب السـنية أنها أقفلت على نفسـها باب الإجتهاد فى الحديث، واعتمدت على اجتهاد البخارى قبل ألف ومئتى سنة، وفرضته على الناس فى كل العصور!

أمـا نحن، فمنهجنـا علمى منطقى، نعتبر كل ما روى عن النبى وآله صـلوات الله عليهم، مواديجب أن تخضع للبحث العلمى، والإجتهاد فيهـا مفتوح فى كـل العصور، والـذى يصـحح ويضـعف هو المرجع بالنسـبة إلى مقلـديه وأهل الإختصاص الموثوق بهم. فأى النهجين أصح؟

وهل إذا قام عالم فى عصرنا فألف كتاباً جمع فيه الصحيح برأيه، يجب عليك وعلى كل الناس تقليده، وعلى الأجيال الآتية؟!

كلا، فتصـحيحه حجـةٌ على نفسه وعلى من يقلـده فقط، ولا بـد أن يكون فى المسـلمين فى كل عصـر مجتهـدون وخبراء، يبحثون كل الثروة العلمية التى رويت عن النبى صـلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ويجتهدون فى التصحيح والتضعيف، ويفتون المسلمين بنتيجة آرائهم فيقلدهم المسلمون بصفتهم أهل خبرة فى الشريعة وأحاديث السنة الشريفة.

وبـذلك فقـط نضـمن براءة ذمـة المسـلمين، وعـدم جمودهم على تصـحيح عـالم من مئات السـنين، لم يطلع على ما اطلع عليه العلماء المتأخرون.

نظرية إلجام العوام بيد السلطة و رجال الدين

قال التفتازانى فى شـرح المقاصد:۵/۳۱۰: (فـإن قيل: فمن علماء المـذهب من لايجوِّز اللعن على يزيـد، مع علمهم بأنه يسـتحق ما يربو على ذلـك ويزيـد. قلنـا: تحامياً على أن يرتقى إلى الأـعلى فالأـعلى، كما هو شـعار الروافض، على ما يروى فى أدعيتهم، ويجرى فى أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوام بالكلية، طريقاً إلى الإقتصاد فى الإعتقاد). انتهى.

فقـد ألجموهم على حـد تعبير التفتازانى عن الكلام على يزيـد! لكنهم لم يقفوا فى شد لجامهم عند قصور بنى أمية فقط، بل عن أمور كثيرة، نذكر منها هنا:

الجام العوام عن قبول شهادة الصحابة بحق أنفسهم

فقد شـهد أهل بدر وبيعة الرضوان بأن رضا الله تعالى عنهم ليس مطلقاً، بل هو مشـروطٌ بشروط، منها أن لا يحدثوا بعد النبى صلى الله عليه وآله وينحرفوا! فقـد روى البخـارى:۵/۶۶، عن المسيب أنه قـال للبراء بن عـازب: (طوبى لـك، صـحبت النبى(ص)وبايعته تحت الشجرة. فقال:يا ابن أخى إنك لا تدرى ما أحدثنا بعده)!

لكنهم لم يقبلوا هذه الشهادة، وقالوا لهم: كلا، إن رضا الله عنكم مطلق وشامل، وأنتم من أهل الجنة، فاعملوا ماشئتم!!

الجام العوام عن قبول إقرار بعض الصحابة بالمعصية

ففى مسند أبى يعلى:۹/۱۷۶: (عن عبدالله بن مسعود أنه تعمد الكذب من أجل أن يأخذ ناقة! قال: ماكذبت مذ أسلمت إلا كذبة! كنت أرحـل رسول الله(ص) فـأتى رجـل من الطـائف فقـال: أى راحلـة أعجب إلى رسول الله(ص)فقلت الطائفيـة المنكبـة، قـال ورسول الله (ص)يكرههـا! قال: فلما رحَّلها فأتى بها قال: من رحَّل لنا هـذه؟ قالوا رحَّل لك الـذى أتيت به من الطائف، قال: ردوا الراحلة إلى ابن مسـعود). (ورواه ابـن أبى الـدنيا فى آداب اللسـان/۲۵۳، والطبرانى فى المعجم الكـبير:۱۰/۱۷۴، وأبـو نعيم الأصـفهانى فى مسـند أبى حنيفة/۲۳۵و ۲۵۸، وابن عساكر فى تاريخ دمشق:۲۴/۳۱۱)

الجام العوام عن قبول شهادة النبى لقاتل عمار بالنار

فقد رووا بأسانید صحیحة أن النبی صلی الله علیه وآله قال لعمار بن یاسر: تقتلک الفئة الباغیة، وقال: قاتل عمار وسالبه فی النار! وقد قتله فی صفین(الصحابی)أبو الغادیة یسار بن سبع، وهو ممن بایع بیعة الشجرة أوالرضوان! ففی مجمع الزوائد:۹/۲۹۷: عن النبی صلی الله علیه وآله (قاتل عمار وسالبه فی النار. رواه الطبرانی...ورجاله رجال الصحیح).

وفی مستدرک الحاکم:۳/۳۸۷: (أن رجلین أتیا عمرو بن العاص یختصمان فی دم عمار بن یاسر وسلبه، فقال عمرو خلِّیا عنه، فإنی سمعت رسول الله(ص)یقول: اللهم أولعت قریش بعمار، إن قاتل عمار وسالبه فی النار). انتهی.

وفی طبقات ابن سعد:۳/۲۶۰، عن کلثوم بن جبر قال:(کنت بواسط القصب، عند عبد الأعلی بن عبدالله بن عامر، فقلت الإذنَ هذا أبو غادیة الجهنی، فقال عبد الأعلی: أدخلوه، فدخل علیه مقطعات له، فإذا رجل طوال ضرب من الرجال کأنه لیس من هذه الأمة، فلما أن قعد قال بایعت رسول الله (ص)یوم العقبة فقال:یا أیها الناس ألا إن دماءکم وأموالکم حرام علیکم إلی أن تلقوا ربکم، کحرمة یومکم هذا فی شهرکم هذا فی بلدکم هذا، ألا هل بلغت؟ فقلنا: نعم، فقال: اللهم اشهد، ثم قال ألا لا ترجعوا بعدی کفاراً یضرب بعضکم رقاب بعض!

قال: ثم أتبع ذا فقال: إنا کنا نعد عمار بن یاسر فینا حناناً، فبینا أنا فی مسجد قباء إذ هو یقول ألا إن نعثلًا هذا لعثمان، فألتفتُّ فلو أجد علیه أعواناً لوطأته حتی أقتله، قال: قلت اللهم إنک إن تشأ تمکنی من عمار، فلما کان یوم صفین أقبل یستن أول الکتیبة رجلًا، حتی إذا کان بین الصفین فأبصر رجل عورة فطعنه فی رکبته بالرمح، فعثر فانکشف المغفر عنه فضربته، فإذا رأس عمار ندر!

قال: فلم أر رجلًا أبین ضلالةً عندی منه! إنه سمع من النبی علیه السلام ما سمع ثم قتل عماراً!!

قال: واستسقی أبو غادیة فأتی بماء فی زجاج فأبی أن یشرب فیها، فأتی بماء فی قدح فشرب، فقال رجل علی رأس الأمیر قائم بالنبطیة: أوی ید کفتا! یتورع عن الشراب فی زجاج(إناء مفضض)، ولم یتورع عن قتل عمار)!! (قال عنه فی مجمع الزوائد:۷/۲۴۳، رجاله رجال الصحیح).

وفی تاریخ دمشق:۴۳/۴۷۶: (وقال علیٌّ حین قتل عمار:إن امرءاً من المسلمین لم یَعْظُمْ علیه قتل ابن یاسر ویدخلْ علیه المصیبة الموجعة، لغیر رشید! رحم الله عماراً یوم أسلم، ورحم الله عماراً یوم قتل، ورحم الله عماراً یوم یبعث حیاً، لقد رأیت عماراً وما یذکر من أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله أربعة إلا کان رابعاً، ولا خمسة إلا کان خامساً، وما کان أحد من قدماء أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله یشک أن عماراً قد وجبت له الجنة فی غیر موطن، ولا اثنین، فهنیئاً لعمار بالجنة). انتهی.

ابن حنبل یقول: صحابی فی النار

تقدم حدیث(قاتل عمار وسالبه فی النار)، وأن رجاله رجال الصحیح، وفی مقابله تجد فی مسند أحمد:۴/۷۶ عنواناً: (بقیه حدیث أبی الغادیة رضی الله تعالی عنه)!!

لکن أحمد احتاط فرجح أن یروی عنه ولا یسمی! (العلل لأحمد:۲/۶۰۲)

أما ابن حبان فعدَّه فی الثقات! (۳/۳۸۱ ونحوه فی:۳/۴۴۸). لکن الذهبی تعجب فی میزان الإعتدال:۱/۴۸۸، فقال: (عن أبی الغادیة: سمعت رسول الله(ص)یقول: قاتل عمار فی النار. وهذا شئ عجیب، فإن عماراً قتله أبو الغادیة)! انتهی.

ونحوه فی لسان المیزان لابن حجر:۲/۲۰۴.

ونقل عنه فی تعجیل المنفعةص۵۰۹ أنه کان یتبجح بقتله عماراً، قال: (کان إذا استأذن علی معاویة وغیره یقول قاتل عمار بالباب، یتبجح)!!

أما ابن تیمیة فحاول أن یشکک فی قتله لعمار، قال فی منهاجه:۷/۵۶: (وذکر ابن حزم أن عمار بن یاسر قتله أبو الغادیة، وأن أبا الغادیة هذا من السابقین ممن بایع تحت الشجرة، وأولئک جمیعهم قد ثبت فی الصحیحین أنه لا یدخل النار منهم أحد! ففی صحیح مسلم

وغیره عن جابر عن النبی(ص)أنه قال: لایدخل النار أحد بایع تحت الشجرة)!!

لکنه شهد فی نفس منهاجه:۶/۲۰۴، بأنه قاتل عمار، لکن شککک فی أنه من أهل بیعة الرضوان! قال: (بل نشهد أن العشرة فی الجنة، وأن أهل بیعة الرضوان فی الجنة، وأن أهل بدر فی الجنة، کما ثبت الخبر بذلک عن الصادق المصدوق الذی لا ینطق عن الهوی إن هو إلا وحی یوحی. وقد دخل فی الفتنة خلق من هؤلاء المشهود لهم بالجنة، والذی قتل عمار بن یاسر هو أبو الغادیة وقد قیل إنه من أهل بیعة الرضوان ذکر ذلک ابن حزم، فنحن نشهد لعمار بالجنة، ولقاتله إن کان من أهل بیعة الرضوان بالجنة)!! راجع أیضاً:۶/۳۳۴!

ثم عاد فی کتابه رأس الحسین علیه السلام ص۲۰۴ وشکک فی قتله لعثمان، قال: ولهذا کان الکلام فی السابقین الأولین ومن شُهد له بالجنة، کعثمان وعلی وطلحة والزبیر ونحوهم: له حکم آخر، بل ومن هو دون هؤلاء، مثل أکابر أهل الحدیبیة الذین بایعوا تحت الشجرة. وکانوا أکثر من ألف وأربعمائة، وقد ثبت فی الصحیح عن النبی(ص) أنه قال: (لایدخل النار أحد بایع تحت الشجرة). فهؤلاء ونحوهم فیما شجر بینهم: إما أن یکون عمل أحدهم سعیاً مشکوراً، أو ذنباً مغفوراً، أو اجتهاداً قد عفی لصاحبه عن الخطأ فیه، فلهذا کان من أصول أهل العلم أنه لایمکّن أحدٌ من الکلام فی هؤلاء بکلام یقدح فی عدالتهم ودیانتهم، بل یُعلم أنهم عدول مرضیون، رضی الله عنهم وأرضاهم، لا سیما والمنقول عنهم من العظائم کذبٌ مفتری). انتهی.

ولا بد أن یکون من هذه العظائم المفتراة أن أبا لغادیة قتل عماراً!

أما عبد الرحمن بن عدیس البلوی الذی قتل عثمان، وهو من أهل بیعة الشجرة، فالأمر فیه یختلف! وهم یتمنون أن یحکموا علیه بأنه من أهل النار، لکن بشرط أن لاینکسر سیاج أهل الشجرة لأبی بکر وعمر! فهل من طریق؟!

الجام العوام عن قبول شهادة ثقة و أمین أسراره

إذا اختلف شخصان فیما بینهما، أو اختلفنا فی قبول شهادتهما، ترانا نبحث عن شخص متفق علیه من الطرفین أو من الأطراف، یرضی به الجمیع ویشهدون بصدقه ووثاقته، فنعتبره حکماً عادلاً، ونقبل شهادته أوحکمه.

والصحابة فیهم مجمع علیه وفیهم مختلف فیه. ومن المجمع علیهم حذیفة بن الیمان ثقة رسول الله صلی الله علیه وآله وموضع سره. فلماذا لایقبلون شهاداته القاصعة التی رواها البخاری؟! ولماذا لایقارنونها بحدیثهم (خیر الناس قرنی)؟!

قال حذیفة،کما فی البخاری:۸/۱۰۰: (إن المنافقین الیوم شرٌّ منهم علی عهد النبی (ص)! کانوا یومئذ یسرون والیوم یجهرون! إنما کان النفاق علی عهد النبی(ص) فأما الیوم فإنما هو الکفر بعد الإیمان!!). انتهی.

فمَن هم الذین کانوا یجهرون بالنفاق فی عهد أبی بکر وعمر وعثمان، إلا طلقاء قریش؟ وما هو النفاق الذی کانوا یجهرون به إلا التشکیک برسول الله صلی الله علیه وآله والکذب علیه والطعن بعترته؟ ومن کان یحمیهم إلا السلطة؟!

قال الذهبی فی السیر:۲/۳۶۱: (حذیفة بن الیمان. من نجباء أصحاب محمد (ص)، وهو صاحب السر... حلیف الأنصار، من أعیان المهاجرین...

ولیَ حذیفة إمرة المدائن لعمر، فبقی علیها إلی بعد مقتل عثمان، وتوفی بعد عثمان بأربعین لیلة....وحذیفة هو الذی ندبه رسول الله(ص)لیلة الأحزاب لیجس له خبر العدو، وعلی یده فتح الدینور عنوة. ومناقبه تطول، رضی الله عنه... خالد عن أبی قلابة عن حذیفة قال: إنی لأشتری دینی بعضه ببعض مخافة أن یذهب کله..... ما أدرک هذا الأمر أحد من الصحابة إلا قد اشتری بعض دینه ببعض. قالوا: وأنت؟ قال: وأنا والله!). انتهی.

فمن الذی کان یستعمل سیاسة الإرهاب والقمع والإضطهاد مع المسلمین إلا السلطة القرشیة المعادیة لأهل بیت النبی صلی الله علیه وآله؟

ومن کان یحمی المنافقین المجاهرین بنفاقهم ضد الإسلام ونبیه إلا السلطة ومسلحوها، وجمهورها من طلقاء قریش، الذین ملؤوا

المدينة وسيطروا على الدولة؟ وهل يعقل أن يقول النبى صلى الله عليه وآله عن هؤلاء إنهم خير القرون؟!

روى مسلم:۱/۷۱:(كنا جلوساً مع حذيفة فى المسجد فجاء رجل حتى جلس الينا، فقيل لحذيفة إن هذا يرفع إلى السلطان أشياء، فقال حذيفة: إرادة أن يسمعه: سمعت رسول الله(ص)يقول: لايدخل الجنة قتات)، وفى رواية أخرى(ينقل الحديث إلى الأمير) وفى البخارى:۷/۸۶: (يرفع الحديث إلى عثمان)!

فهل يكون هؤلاء خير القرون بإرهابهم واضطهادهم أبرار الصحابة؟!

وفى الطبرانى الكبير:۳/۲۸۰: (عن أبى مالك الأشعرى أنه قال لقومه: إجتمعوا أصلى بكم صلاة رسول الله(ص)فاجتمعوا فقال: هل فيكم أحد؟ فقالوا لا، إلا بن أخت لنا! قال فذلك من القوم، فدعا بجفنة فيها ماء فتوضأ وهم شهود، فمضمض واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه، ثم صلى بنا الظهر فكبر فيها ثنتين وعشرين تكبيرة، يكبر إذا سجد وإذا رفع رأسه...الخ.) انتهى.

وفى البخارى:۱/۱۳۴، عن الزهرى قال: (دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكى! فقلت له ما يبكيك؟ فقال لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت!!). انتهى.

فهل يكون هؤلاء خير القرون، وقد انقلبوا على أعقابهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وغيروا كل شئ، حتى الوضوء والصلاة؟!

قال المفيد فى الإفصاح ص۵۳:(وفى قول أنس بن مالك: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فأضاء منها كل شئ، فلما مات عليه السلام أظلم منها كل شئ، وما نفضنا عن النبى صلى الله عليه وآله الأيدى ونحن فى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا شاهد عدل على القوم بما بيناه). انتهى.

وفى فتح البارى:۸/۱۱۴:(قال أبو سعيد فيما أخرجه البزار بسند جيد: وما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا). وفى تحفة الأحوذى:۱۰/۶۲:(قال التوربشتى يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والألفة)!!

الجام العوام لتغطية مؤامرة خير القرون لقتل النبى

فى صحيح مسلم:۸/۱۲۳: قال رجل لحذيفة (أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم أخبره إذ سألك! قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر فإن كنتَ منهم فقد كان القوم خمسة عشر! وأشهد بالله ان اثنى عشر منهم حرب لله ولرسوله فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد). انتهى.

فمن هؤلاء الذين كانوا مستعجلين على الخلافة واستطالوا عمر النبى صلى الله عليه وآله فتآمروا لقتله فى عودته من تبوك، وصعدوا إلى أعلى العقبة ليلاً وألقوا الصخور على ناقته ليقتلوه، فنجاه الله منهم، ولم يستطع النبى صلى الله عليه وآله أن يعلن أسماءهم ويعاقبهم خوفاً من حدوث حركة ردة عن الإسلام! فهل هؤلاء خير القرون؟!

الجام العوام لتغطية اضطهاد خير القرون لأهل بيت نبيهم

وهل خير القرون أولئك الذين عرض عليهم نبيهم صلى الله عليه وآله وهو على فراش مرضه ما لم يعرضه نبى على أمته قط، أن يكتب لهم عهداً إن عملوا به لايضلوا إلى يوم القيامة، ويكونوا سادة العالم إلى يوم القيامة! فرفضوه بقلة أدب وقالوا إن نبيكم يهجر! وهددوه بالردة، فسكت صلى الله عليه وآله على ألم وطردهم من بيته؟!

وهل خير القرون أولئك الذين تركوا جنازة نبيهم صلى الله عليه وآله بين يدى أهل بيته، وعدَوْا إلى السقيفة ليبايعوا أحدهم خلسةً، ثم عادوا مسلحين لا ليعزوا أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله بل ليهددوهم بأن يبايعوا لصاحبهم، أو يحرقوا عليهم دارهم؟!

الجام العوام عن تصديق القرآن بأن أكثرية خير القرون لن يؤمنوا

وكيف يكون أهل عصر النبوة أو قريش خاصة خير القرون وقد صدر حكم الله تعالى على أكثرهم بأنهم حق عليهم القول، وبأنهم لن يؤمنوا وإن أظهروا الإيمان، فقال عنهم: لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لايُؤْمِنُونَ.وقال:لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاًوَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ. (يس:۷ و۷۰) فهل نقض الله تعالى فى المدينة ما أنزله فى مكة؟! فقوله تعالى: لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ، يشمل أهل مكة، وأهل الجزيرة الذين بلغتهم دعوة النبى صلى الله عليه وآله وإنذاره فى حياته.

وقوله تعالى: لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لايُؤْمِنُونَ.إخبار منه وهو العليم بهم بأن أكثريتهم من أهل جهنم، وأنهم لن يؤمنوا واقعاً، وإن آمنوا ظاهراً، طمعاً أو خوفاً. وقد فسر المقصود بالقول الذى حق عليهم بقوله تعالى: قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ. لأَمْلأن جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (صاد ۸۴- ۸۵)

وهل يستطيع المسلم الذى يؤمن بالقرآن ويقول صدق الله العظيم إلا أن يعتقد بأن أكثر أهل مكة وقريش كانوا كفاراً عند وفاة النبى صلى الله عليه وآله ولم يؤمنوا!

قال ابن الجوزى فى زاد المسير:۶/۲۶۳: (لقد حق القول، فيه قولان: أحدهما وجب العذاب، والثانى سبق القول بكفرهم.

قوله تعالى":أكثرهم، يعنى أهل مكة، وهذه إشارة إلى إرادة الله تعالى السابقة لكفرهم. لا يؤمنون، لما سبق من القدر بذلك). انتهى.

وأخيراً، كيف يكونون خير القرون وقد حكم عليهم الله تعالى بأنهم فراعنة وجنود للفراعنة فقال لنبيه صلى الله عليه وآله:وَاصْبِرْ عَلَى مَايَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً وَذَرْنِى وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً.إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً. وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعذاباً أَلِيماً.يَوْمَ تَرْجُفُ الأرض وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً. إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رسولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً. فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أخذاً وَبِيلاً. (المزمل ۱۰-۱۶).

وقد تحقق إخباره سبحانه، فلم يكن مع النبى صلى الله عليه وآله من قريش فى مهجره إلا قلة قليلة جداً! وفى بعضهم كلام! وعندما فتح النبى صلى الله عليه وآله مكة مَلَكهم عبيداً، ولم يعتقهم بل أطلقهم إطلاقاً، وسماهم الطلقاء! فكيف صاروا بمجرد وفاته صحابة عدولاً، وكيف يجعل الله فيهم خلافة نبيه صلى الله عليه وآله ويأمر المسلمين أن يطيعوا قريشاً مدى الدهر، لأنهم خير القرون؟ حاشا لله!

من أساليبهم فى إلجام العوام

تمييع الحقائق و حلف الإيمان

قال ابن حزم فى الأحكام:۲/۲۰۳: (وأما قدامة بن مظعون، وسمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة، وأبو بكرة، رضوان الله عليهم، فأفاضل أئمة عدول.

أما قدامة فبدرى مغفور له بيقين، مرضى عنه، وكل من تيقنا أن الله عز وجل رضى عنه وأسقط عنه الملامة ففرض علينا أن نرضى عنه وأن لا نعدد عليه شيئاً، فهو عدل بضرورة البرهان القائم على عدالته من عند الله عز وجل وعندنا، وبقوله عليه السلام إن الله اطلع على أهل بدر فقال لهم إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وأما المغيرة بن شعبة، فمن أهل بيعة الرضوان، وقد أخبر عليه السلام ألا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، فالقول فيه كالقول فى قدامة.

وأما سمرة بن جندب فأُحُدى، وشهد المشاهد بعد أحد وهلم جراً، والأمر فيه كالأمر فى المغيرة بن شعبة.

وأما أبو بكرة، فيحتمل أن يكون شبه عليه، وقد قال ذلك المغيرة، فلا يأثم هو ولا المغيرة، وبهذا نقول: وكل ما احتمل ولم يكن ظاهره يقيناً فغير منقول عن متيقن حاله بالامس، فهما على ما ثبت من عدالتهما، ولا يسقط اليقين بالشك وهذا هو استصحاب الحال

الذی أباه خصومنا، وهم راجعون إلیه فی هذا المکان بالصغر منهم! فما منهم أحد امتنع من الروایة عن المغیرة وأبی بکرة معاً، وأبو بکرة وهو متأول، وأما سمرة فمتأول أیضاً، والمتأول مأجور وإن کان مخطئاً، وکذلک قدامة تأول أن لا جناح علیه وصدق لاجناح علیه عند الله تعالی فی الآخرة بلا شک، وأما فی أحکام الدنیا فلا، ولنا فی الدنیا أحکام غیر أحکام الآخرة. وکذلک کل من قاتل علیاً رضوان الله علیه یوم صفین.

وأما أهل الجمل فما قصدوا قط قتال علی رضوان الله علیه، ولا قصد علی رضوان الله علیه قتالهم، وإنما اجتمعوا بالبصرة للنظر فی قتلة عثمان رضوان الله علیه، وإقامة حق الله تعالی فیهم، فأسرع الخائفون علی أنفسهم أخذ حد الله تعالی منهم–وکانوا أعداداً عظیمة یقربون من الألوف– فأثاروا القتال خفیة حتی اضطر کل واحد من الفریقین إلی الدفاع عن أنفسهم، إذ رأوا السیف قد خالطهم وقد جاء ذلک نصاً مرویاً.....

ولیس عندنا من أمرهم إلا أنهم فیما بدا لنا مسلمون فاضلون، یلزمنا توقیرهم والاستغفار لهم، إلا أننا لا نقطع لهم بالجنة ولا بمغیب عقودهم، ولا برضی الله عز وجل عنهم، لکن نرجو لهم ذلک ونخاف علیهم کسائر أفاضل المسلمین ولا فرق. ثم لا نجیز ذلک لعلی وأم المؤمنین وطلحة والزبیر وعمار وهشام بن حکیم ومعاویة وعمرو والنعمان وسمرة وأبی الغادیة وغیرهم، وهم أئمة الإسلام حقا والمقطوع علی فضلهم وعلی أکثرهم بأنهم فی الجنة، وهذا لا یخیل إلا علی مخذول.

وکل من ذکرنا من مصیب أو مخطئ فمأجور علی اجتهاده، إما أجرین، وإما أجراً، وکل ذلک غیر مسقط عدالتهم. وبالله تعالی التوفیق).

وقال فی المحلی:۹/۴۹: (إن من البرهان الواضح علی کذب هذا الخبر ووضعه وانه لا یمکن أن یکون حقا أصلا ما فیه مما نسب إلی أم المؤمنین من أنها قالت: أبلغی زید بن أرقم أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله(ص)إن لم یتب. وزید لم یفته مع رسول الله(ص)إلا غزوتان فقط بدر وأحد فقط، وشهد معه علیه السلام سائر غزواته، وأنفق قبل الفتح وقاتل وشهد بیعة الرضوان تحت الشجرة بالحدیبیة ونزل فیه القرآن وشهد الله تعالی له بالصدق وبالجنة علی لسان رسوله علیه السلام انه لا یدخل النار أحد بایع تحت الشجرة، ونص القرآن بأن الله تعالی قد رضی عنه وعن أصحابه الذین بایعوا تحت الشجرة. فوالله ما یبطل هذا کله ذنب من الذنوب غیر الردة عن الإسلام فقط وقد أعاذه الله تعالی منها برضاه عنه وأعاذ أم المؤمنین من أن تقول هذا الباطل)

تعلیم العوام إنکار الحقائق نهارا جهارا

قال ابن کثیر فی النهایة:۶/۲۱۱: (ثبت أیضاً الأخبار عنه صلوات الله وسلامه علیه بأنه لایدخل النار أحد بایع تحت الشجرة، وکانوا ألفاً وأربعمائة، وقیل وخمسمائة، ولم ینقل أن أحداً من هؤلاء رضی الله عنه عاش إلا حمیداً، ولا مات إلا علی السداد والاستقامة والتوفیق، ولله الحمد والمنة. وهذا من أعلام النبوات، ودلالات الرسالة). انتهی.

الجام أطفال المسلمین بتربیتهم علی عصمة عمر

قال ابن حبان فی صحیحه:۱۵/۳۱۷: (ذکر الخبر الدال علی أن عمر بن الخطاب (رض) کان من المحدثین فی هذه الأمة.....عن عائشة قالت قال رسول الله(ص)قد کان یکون فی الأمم محدثون فإن یکن فی أمتی أحد فهو عمر بن الخطاب!

ذکر إجراء الله الحق علی قلب عمر بن الخطاب(رض)ولسانه:

عن بن عمر أن النبی(ص)قال: إن الله جعل الحق علی لسان عمر وقلبه.

وقال ابن عمر ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فیه وقال عمر بن الخطاب، إلا نزل القرآن علی نحو مما قال عمر!

ذکر بعض ما أنزل الله جل وعلا من الآی وفاقاً لما یقوله عمر بن الخطاب(رض):

عن حمید عن أنس قال قال عمر بن الخطاب: وافقت ربی فی ثلاث أو وافقنی ربی فی ثلاث....

ذکر الخبر الدال علی أن ناحیهٔ بعد أبی بکر کان عمر...

ذکر البیان بأن عمر بن الخطاب أول ما تنشق عنه الأرض بعد أبی بکر الصدیق...

ذکر البیان بأن عمر بن الخطاب کان أحب الناس إلی رسول الله بعد أبی بکر...

ذکر إثبات الرشد للمسلمین فی طاعهٔ أبی بکر وعمر...

ذکر أمر المصطفی المسلمین بالاقتداء بأبی بکر وعمر بعده...

ذکر شهادهٔ المصطفی للصدیق والفاروق بکل شئ کان یقوله (ص)...

ذکر البیان بأن الصدیق والفاروق یکونان فی الجنهٔ سیدی کهول الأمم فیها...

ذکر رضا المصطفی عن عمر بن الخطاب فی صحبته إیاه... انتهی.

ولیس ابن حبان إلا نموذجاً لجمیع مصادرهم فی الحدیث! فقد عقدوا لهذه الأحادیث أبواباً متعددهٔ متنوعهٔ، فی الصحاح، والسنن، والمسانید! وعلّموا الناس حفظها ونشرها، وتردیدها فی زیارهٔ قبر عمر، کما فی إعانهٔ الطالبین:۲/۳۵۷: (فیسلم علی سیدنا عمر(رض)ویقول: السلام علیک یاأمیر المؤمنین یاسیدنا عمر بن الخطاب، یا ناطقاً بالحق والصواب، السلام علیک یاحلیف المحراب. السلام علیک یا من بدین الله أمر، یا من قال فی حقک سید البشر(ص): لو کان بعدی نبیٌّ لکان عمر.

السلام علیک یا شدید المحاماهٔ فی دین الله والغیرهٔ، یا من قال فی حقک هذا النبی الکریم(ص): ما سلک عمر فجاً إلا سلک الشیطان فجاً غیره...). إلخ.

قال السید المرتضی قدس سره فی کتابه الشافی فی الإمامهٔ:۳/۱۲۹، وهو یفند الأحادیث القرشیهٔ الموضوعهٔ فی فضائل أبی بکر وعمر: (وأما ما رواه من قوله صلی الله علیه وآله: إن الحق ینطق علی لسان عمر، فهو مقتض إن کان صحیحاً عصمهٔ عمر والقطع علی أن أقواله کلها حجهٔ! ولیس هذا مذهب أحد فی عمر، لأنه لاخلاف فی أنه لیس بمعصوم وأن خلافه سائغ!

وکیف یکون الحق ناطقاً علی لسان من یرجع فی الأحکام من قول إلی قول، ویشهد علی نفسه بالخطأ، ویخالف فی الشئ ثم یعود إلی قول من خالفه، فیوافقه علیه، ویقول (لولا علی لهلک عمر) و (لولا معاذ لهلک عمر)؟!

وکیف لم یحتجَّ بهذا الخبر هو لنفسه فی بعض المقامات التی احتاج إلی الإحتجاج فیها؟! وکیف لم یقل أبو بکر لطلحهٔ لما قال له: ما تقول لربک إذ ولیت علینا فظاً غلیظاً! أقول له: ولَّیتُ من شهد الرسول بأن الحق ینطق علی لسانه!

ولیس لأحد أن یدعی فی الإمتناع من الإحتجاج بذلک سبباً مانعاً کما ندعیه فی ترک أمیر المؤمنین علیه السلام الإحتجاج بذلک بالنص، لأنا قد بینا فیما تقدم أن لترکه علیه السلام ذلک سبباً ظاهراً، وهو تآمر القوم علیه وانبساط أیدیهم، وأن الخوف والتقیهٔ واجبان ممن له السلطان، ولا تقیهٔ علی عمر وأبی بکر من أحد، لأن السلطان کان فیهما ولهما، والتقیهٔ منهما لا علیهما!

علی أن هذا الخبر لو کان صحیحاً فی سنده ومعناه، لوجب علی من ادعی أنه یوجب الإمامهٔ (یقصد القاضی عبد الجبار الهمدانی صاحب المغنی، وقد ألف الشافی رداً علیه)، أن یبین کیفیهٔ إیجابه لذلک، ولایقتصر علی الدعوی المحضهٔ، وعلی أن یقول: إذا جاز أن یدعی فی کذا وکذا أنه یوجب الإمامهٔ، جاز فی هذا الخبر، لأنا لما ادعینا فی الأخبار التی ذکرناها ذلک، لم نقتصر علی محض الدعوی، بل بینا کیفیهٔ دلالهٔ ما تعلقنا به علی الإمامهٔ، وقد کان یجب علیه إذا عارضنا بأخباره أن یفعل مثل ذلک). انتهی.

وقال الأمینی فی الغدیر:۶/۳۳۱: (هناک أحادیث موضوعهٔ تذکر فی فضائل عمر لاتلتئم مع شئ مما ذکرناه بأسانیده الوثیقهٔ(فی علم عمر) وکلٌّ من ذلک یفنِّدها منها ما یعزی إلیه صلی الله علیه وآله من قوله: لو لم أبعث فیکم لبعث عمر.

وروایهٔ: لو لم أبعث لبعثت یا عمر.

وروایهٔ: لو کان نبی بعدی لکان عمر بن الخطاب.

ورواية: قد كان فى الأمم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد فهو عمر.

ورواية: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

وراية: أن الله ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه.

ومنها ما رووه عن على أمير المؤمنين عليه السلام من قول: كنا نتحدث إن ملكاً ينطق على لسان عمر. وقوله: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر.

ومنها ما يروى عن أعاظم الصحابة مثل ما يعزى إلى ابن مسعود من قوله: لو وضع علم عمر فى كفة وعلم أهل الأرض فى كفة لرجح علم عمر.

وأمثال هذه من الأكاذيب، فإن من يكون بتلك المثابة حتى يكاد أن يبعث نبياً لايفقد علم واضحات المسائل عند ابتلائه، أو ابتلاء من يرجع أمره إليه من أمته بها، ولا يتعلم مثله سورة من القرآن فى اثنتى عشرة سنة!

وأين كان الحق والملك والسكينة، يوم كان لايهتدى إلى أمهات المسائل سبيلاً فلا تسدده، ولا تفرغ الجواب على لسانه، ولا تضع الحق فى قلبه!

وكيف يسعُ المسدَّد بذلك كله أن يحسب كل الناس أفقه منه حتى ربات الحجال؟! وكيف كان يأخذ علم الكتاب والسنة من نساء الأمة وغوغاء الناس فضلاً عن رجالها وأعلامها؟

وكيف كان يرى عرفان لفظة مفسرة بالقرآن تكلفاً ويقول: هذا لعمر الله هو التكلف، ما عليك يا بن أم عمر أن لا تدرى ما الأبُّ؟!

وكيف كان يأخذ عن أولئك الجم الغفير من الصحابة ويستفتيهم فى الأحكام.

وكيف كان يعتذر عن جهله أوضح ما يكون من السنة بقوله: ألهانى عنه الصفق بالأسواق.

وكيف كان لم يسعه أن يعلم الكلالة ويقيمها، ولم يتمكن من تعلم صور ميراث الجد، وكان النبى صلى الله عليه وآله يقول: ما أراه يعلمها، وما أراه يقيمها. ويقول: إنى أظنك تموت قبل أن تعلم ذلك؟!

وكيف كان مثل أبيٍّ بن كعب يغلظ له فى القول ويراه لاهياً عن علم الكتاب بالصفق بالأسواق وبيع الخيط والقرظة؟

وكيف كان يراه أمير المؤمنين عليه السلام جاهلاً بتأويل القرآن الكريم.

وكيف وكيف، إلى مائة كيف؟!

نعم راق القوم أن ينحتوا له فضائل ويغالوا فيها ولم يترووافى لوازمها).انتهى.

وقال المفيد رحمه الله فى الإفصاح فى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ص ٤٠: (فلو سلمنا لك دعواك لمن ادعيت الفضل لهم على ما تمنيت لم يمنع مما ذكرناه، لأنه لا يوجب لهم العصمة من الضلال، ولايرفع عنهم جواز الغلط والسهو والنسيان، ولايحيل منهم تعمد العناد. وقد رأيت ما صنع شركاؤهم فى الصحبة والهجرة والسبق إلى الإسلام حين رجع الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام باختيار الجمهور منهم والإجتماع، فنكث بيعته طلحة والزبير، وقد كانا بايعاه على الطوع والإيثار وطلحة نظير أبى بكر، والزبير أجل منهما على كل حال، وفارقه سعد بن أبى وقاص وهو أقدم إسلاماً من أبى بكر، وأشرف منه فى النسب، وأكرم منه فى الحسب، وأحسن آثاراً من الثلاثة فى الجهاد! وتبعه على فراقه وخذلانه محمد بن مسلمة، وهو من رؤساء الأنصار، واقتفى آثارهم فى ذلك وزاد عليها بإظهار سبه والبراءة منه حسان!! فلو كانت الصحبة مانعة من الضلال لمنعت من ذكرناه ومعاوية ابن أبى سفيان وأبا موسى الأشعرى، وله من الصحبة والسبق ما لايجهل وقد علمتم عداوتهم لأمير المؤمنين عليه السلام وإظهارهم البراءة منه، والقنوت عليه، وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأميره على أبى بكر وعمر وعثمان.

ولو كانت الصحبة أيضاً مانعة من الخطأ فى الدين والآثام.....ولكانت صحبة السامرى لموسى بن عمران عليهما السلام وعظم محله منه ومنزلته، تمنعه من الضلال باتخاذ العجل والشرك بالله عز وجل، ولاستحال أيضاً على أصحاب موسى نبى الله عليه السلام وهم ستمائة

ألف إنسان وقد شاهدوا الآيات والمعجزات وعرفوا الحجج والبينات أن يجتمعوا على خلاف نبيهم وهو حى بين أظهرهم، ويباينوا خليفته وهو يدعوهم ويعظهم ويحذرهم من الخلاف وينذرهم، فلا يصغون إلى شئ من قوله، ويعكفون على عبادة العجل من دون الله عز وجل.

ولكان أيضاً أصحاب عيسى عليه السلام معصومين من الردة، ولم يكونوا كذلك، بل فارقوا أمره وغيروا شرعه، وادعوا عليه أنه كان يأمرهم بعبادته، واتخاذه إلهاً مع الله تعالى تعمداً للكفر والضلال، وإقداماً على العناد من غير شبهة ولا سهو ولا نسيان). انتهى.

الجام العوام باستخدام وسائل الإعلام

لو نظرنا فى حجم ما يقوم به فى عصرنا الذين يسميهم ابن حبَّان (المعتنين بأمر الدين)، لتركيز قداسة أبى بكر وعمر فى نفوس المسلمين، لرأينا العجب!!

من مناهج التربية المدرسية والجامعية، إلى برامج الراديو والتلفزيون، إلى خطب المساجد ودروسها، إلى الكتب والكتيبات والأشرطة، إلى صفحات النت ومواقعها المتنوعة.. ومنها بإسم الصحابة لكن المقصود به أبو بكر وعمر!

والمطلوب فيها كلها غرس الإعتقاد بفضائل أبى بكر وعمر إلى حد العصمة والغلو، وغرس الإعتقاد بأن من لم يعتقد بذلك فهو عدو للإسلام ونبيه وقرآنه!

وفى مقابله لاتكاد تجد شيئاً عن أهل البيت، وحتى عن بقية الصحابة!

والمطلوب أن يكبر الطفل المسلم وعنده تقديس خاص لعمر وأبى بكر لايصل اليه تقديس آخر، وحساسية خاصة تجاههما بحيث تستنفر وسائل دفاعه لأقل ما يحتمل أنه يمس بهما، أكثر مما يستنفر لرسول الله صلى الله عليه وآله!

وبهذا يتجاوز المعتنون بأمر (الدين) قضية إلجام العوام عن المساس بأبى بكر وعمر، إلى تعبئتهم للحرب من أجلهما، ومن أجل كل ما يتعلق بهما!

وليس فى كلامنا هذا مبالغة، إذ يكفى أن تجرب مع هؤلاء المعبئين أن تبحث فى عصمة النبى صلى الله عليه وآله وأخطائه الكثيرة، فتراهم يشاركونك فى البحث! حتى إذا طرحت ما يحتمل أنه خطأ لعمر، انصب عليك جام غضبهم بلا هوادة!

العصمة والمعصومون فى القرآن

المعصومون ثمرة الوجود البشرى

يتصور البعض أن القرآن لايرى عصمة الأنبياءوالأوصياء عليهم السلام، لأنه يتحدث عن(معصية)آدم عليه السلام ويذكر(مؤاخذات)على بعض الأنبياء عليهم السلام كطلب نوح عليه السلام من ربه أن ينجِّى ابنه مع أنه كان كافراً، وما يبدو من تحيُّر إبراهيم عليه السلام فى ربه هل هو النجوم أو القمر أو الشمس، ومن قتل موسى للقبطى، وغضبه على أخيه هارون عليهما السلام. ونحو ذلك من(ذنوب الأنبياء) التى أكثرَ اليهود فيها الكلام والإتهام وتمسك بها المخالفون لمذهب أهل البيت عليهم السلام، فحصروا عصمة الأنبياء عليهم السلام فى التبليغ فقط، ونفوها فى الأمور الشخصية والعامة، بل نسبوا اليهم أخطاء ومعاصى فظيعة حتى فى التبليغ كما تقدم!

لكنَّ النظرة الفاحصة ترينا أن العصمة والمعصومين فى القرآن ظاهرةٌ بارزةٌ من أول مشروع خلق آدم عليهم السلام وذريته، وقد وردت فى القرآن ببضعة عشر عنواناً:

فالمعصومون هم النخبة الذين من أجلهم كان مشروع إسكان آدم فى الأرض، وبهم ستصل الحياة الإجتماعية إلى هدفها الربانى

الحكيم الـذى لم يعرفه الملائكـة: قَالَ إِنِّى أعلم مَا لا تَعْلَمُونَ. وهم الـذين تحـدى الله تعالى عـدوه إبليسَ أن يؤثرَ عليهم فقال له: إِنَّ عِبَادى لَيسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ.

وهم العباد المكرمون عنده الذين: لايَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

وهم الـذين يخصـهم بالإطلاع على غيبه، ويحيطهم برصـد لحفظ الغيب ضـمن خطه المقرر، كما قال تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً. إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا.

وهم الذين يورثهم الكتاب عبر الأجيال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا.

وهم الذين وعد أن يغلب بهم: كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلِى إن الله قَوِىٌّ عَزِيزٌ.

ووعـد أن تتجلى هذه الغلبة بعد خاتم رسـله وأنبيائه صـلى الله عليه وآله: هُوَ الَّذِى أرسل رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. وهم الذين سيورثهم الأرض بعد عهود الجبابرة: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أن الأرض يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ.

وهم عباد الرحمن الخاصون الذين خصهم بصفات وافية من سورة الفرقان.

وهم الـذين أعطاهم عنـده عهـداً فلن يخلفه: قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عهداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ... إلى آخر الآيات التى تتحدث بيقين عن نجاح المشروع الإلهى فى آدم وذريته. وليس نجاحه إلا بهؤلاء المعصومين عليهم السلام، الذين هم لبُّ هذا المشروع وضمانه، وهدفه الأسمى!

آيات العصمة فى القرآن

فى القرآن الكريم طوائف من الآيات تتحدث عن نخبة من البشرية، وتصفهم بصفات تدل على عصمتهم، وهذه أهمها:

آيات الإستخلاف

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ: إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأرض خَلِيفَةً. قَالُوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟ قَالَ: إِنِّى أعلم مَا لا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الأسـماء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَـهُمْ عَلَى الْمَلائِكَـةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْـمَاءِ هؤُلاءِ إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا: سُبْحَانَكَ لاعِلْمَ لَنَآ إلا مَا عَلَّمْتَنَآ، إنك أنت الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ: ياآدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْـمَائِهِمْ! فَلَمَّآ أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أعلم غَيْبَ السَّمَوَاتِ والأرض وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ).(البقرة:۳۰–۳۳)

لا يكون خليفة الله فى الأرض إلا معصوما

قالت أحاديث أهل البيت عليهم السـلام إن المستخلف فى الآية هو بعض المعصومين وهم آدم عليه السـلام وبعض الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وليس كل نوع الإنسان.

وذهب أغلب المفسـرين السـنة المتأخرين وتبعهم بعض مفسـرى الشـيعة، إلى أن المسـتخلف فى الآية نوعُ الإنسان، وأكثروا فى توجيه ذلك بلا طائل.

والصـحيح أن هـذا الجعـل الإلـهى مختص بـآدم والمعصومين من ذريته عليهم السـلام، لأنه جعلٌ تشـريعى لولايـة من الله على الأرض وأناسها، وإعطاؤها لغير المعصوم يستوجب نفى الحكمة عن الله ونسبة الظلم اليه، سبحانه وتعالى!

ذلـك أن قوله تعـالى للملائكـة: إِنِّى جَاعِـلٌ فِى الأـرض خَلِيفَـةً، ليس إخبـاراً عن مجرد إسـكان آدم وذريته فى الأرض، بل عن جعل خلفاء لله منهم.

وعندما تساءل الملائکة کیف تصلح ذریة آدم للخلافة مع أنهم سیفسدون ویسفکون الدماء؟ خطَّأهم الله تعالی لأنهم حکموا علی جمیع ذریة آدم، وجمیع مدتهم علی الأرض! وأخبرهم سبحانه أن مشروع استخلافهم لایضر به ما تفعله ذریة آدم من إفساد وسفک الدماء ای حین! وأن آدم والمستخلفین من ذریته علیهم السلام أفضل من الملائکة فهم یصلحون ولا یفسدون، وأثبت الله لهم ذلک فعلم آدم علیه السلام ما لایعلمونه، وأراهم سیرة خلفائه من ذریة آدم علیهم السلام، فاعترف الملائکة واستغفروا!

نعم، یصح القول إن الإنسان خلیفة الله فی الأرض، باعتبار أن خلفاء الله الشرعیین من نوعه، لکنه لایعنی شمول الخلافة لغیر المعصومین علیهم السلام بحال. وذلک کقوله تعالی: (وَإِذْ قَالَ مُوسَی لِقَوْمِهِ یَا قَوْمِ اذْکُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَیْکُمْ إِذْ جَعَلَ فِیکُمْ أنبیاءوَجَعَلَکُمْ مُلُوکاً)(المائدة:۲۰) فعبَّر بجعلهم ملوکاً بالعموم، لأنهم منهم.

ولا نطیل فی ذکر أقوال المفسرین فی المسألة ومناقشتها، فإن أحداً منهم لم یأت بدلیل من الآیة أوخارجها علی أن هذه الخلافة تشمل کل ذریة آدم علیه السلام، اللهم إلا الإستحسانات والظنون، وهی لا تنهض دلیلًا!

ولعل القائلین بعموم الخلافة لکل بنی آدم غفلوا عن أن الجاعل لها هو العالم الحکیم المطلق عز وجل، وأن أحدنا لایعطی هذا المقام الخطیر للمفسدین ولا للعادیین فکیف بالله تعالی! وإذ انتفت خلافة المفسدین بالفعل أو بالقوة، لم یبق إلا المعصومون علیهم السلام، وهذا مذهب أهل البیت علیهم السلام.

ولعله اختلط علیهم هذا الإستخلاف التشریعی بالإستخلاف التکوینی بمعنی أن الله جعل الإنسان أجیالاً یخلف بعضها بعضاً، کما قال نبی الله هود علیه السلام لقومه: وَاذْکُرُوا إِذْ جَعَلَکُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَکُمْ فِی الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْکُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ.(الأعراف:۶۹)، فهذا استخلافٌ لکن لیس فیه ولایة ولا مقام، بل امتنَّ الله علیهم بخلقهم بعد قوم نوح وتوریثهم حضارتهم، رغم کفرهم.

لأجل ما تقدم فإن مقام خلیفة الله لم یثبت فی القرآن إلا لآدم وداود علیهما السلام:یَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاکَ خَلِیفَةً فِی الأرض فَاحْکُمْ بَیْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ. (سورة صاد:۲۶).

أما قوله تعالی:أَمْ مَنْ یُجِیبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ وَیَکْشِفُ السُّوءَ وَیَجْعَلُکُمْ خُلَفَاءَ الأرض أإِلَهٌ مَعَ اللهِ قلیلًا مَا تَذَکَّرُونَ، (النمل:۶۲) وقوله تعالی: وَعَدَ اللهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الأرض کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ (النور:۵۵)، فهو وعدٌ إلهی باستخلاف المعصومین وختامهم الإمام المهدی علیه السلام، خلیفة الله الموعود، الذی یملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً!

فی الکافی:۱/۱۹۳، عن الإمام الرضا علیه السلام قال: (الأئمة خلفاء الله عز وجل فی أرضه). وعن الإمام الصادق علیه السلام، فی قوله تعالی:وَعَدَ اللهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَیَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِی الأرض کَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ، قال: هم الأئمة).

أما فی السنة فثبت إسم خلیفة الله لنبینا وآله صلی الله علیه وآله، وربما لکبار الأنبیاء علیهم السلام. ففی من لایحضره الفقیه:۲/۶۱۱، فی روایة الزیارة الجامعة: (ورضیکم خلفاء فی أرضه، وحججاً علی بریته).

وفی خصائص الأئمة للشریف الرضی رحمه الله ص۱۰۵: فی حدیث کمیل بن زیاد رحمه الله فی وصف الأئمة علیهم السلام عن أمیر المؤمنین علیه السلام قال: (اللهم بلی، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً، أو خافیاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبیناته.... أولئک خلفاء الله فی أرضه والدعاة إلی دینه). انتهی.

أما الزیدیة فقد توسعوا فی إعطاء لقب خلیفة الله لکل من اجتمعت فیه شروط الإمامة عندهم فکان فقیهاً من ذریة علی وفاطمة علیهما السلام وقام بالسیف.(الأحکام:۲/۵۰۵)

تکریم بنی آدم لا یعنی استخلافهم لأنه تکریم تکوینی واقتضائی

استدل بعضهم على عموم الإستخلاف فى الأرض بآية تكريم بنى آدم، وهى قوله تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً. يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا. (الإسراء:٧٠-٧١).

لكن لا علاقة لهذا التكريم بالإستخلاف، لأنه أعم منه محمولاً وموضوعاً، فهو يشمل المؤمن والكافر، كما قال الله تعالى: فَأَمَّا الإنسان إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ كَلا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. (الفجر:١٥-١٧). فالإكرام هنا دنيوى يشمل حتى الكفار والفجار والطغاة، ولا يصح القول إنهم مكرمون، فهم خلفاء الله فى أرضه!

والمقصود بالتكريم التكوينى خلق الإنسان فى أحسن تقويم، ومنحه قدرات وظروفاً تمكنه من التكامل ونيل التكريم الحقيقى إن أراد، كما قال تعالى عن مؤمن آل ياسين: قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ. (يس:٢٦-٢٧). فوصل بتكريمه التكوينى إلى تكريمه الحقيقى.

وأخيراً، فإن جعل التقوى ميزاناً للكرامة والتكريم، فى قوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ. (الحجرات:١٣) يؤكد أن ماتحقق لكل بنى آدم فى قوله: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ، تكريمٌ عامٌّ بنعم الله التى وسعت الكافر والمؤمن، أما الإستخلاف فهو تكريمٌ خاص ومنصبٌ لعباد خاصين لا يثبت إلا بدليل، قال تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.(الأنبياء:٢٦-٢٧).

خلفاء الله فى الأرض ليس بالضرورة أن يكونوا حكاما

من الواضح أن خليفة الله فى أرضه وحجته على عباده، ليس بالضرورة أن يكون حاكماً، فأكثر أنبياءالله وأوصيائهم عليهم السلام كانوا محكومين مضطهدين، ولم ينقص ذلك من مقامهم العظيم وخلافتهم عن الله تعالى فى أرضه.

وهذا معنى ما رووه ورويناه من أن الخلفاء الذين بشر بهم النبى صلى الله عليه وآله لايضرهم تكذيب من كذبهم. فقد روى الكافى:١/٥٢٩، وكمال الدين ص٢٩٩، واللفظ له: (عن أبى الطفيل قال: شهدت جنازة أبى بكر يوم مات، و شهدت عمر حين بويع وعليٌّ جالس ناحية، إذ أقبل عليه غلام يهودى عليه ثياب حسان وهو من ولد هارون، حتى قام على رأس عمر فقال: يا أمير المؤمنين أنت أعلم هذه الأمة بكتابهم وأمر نبيهم؟ قال: فطأطأ عمر رأسه، فقال: إياك أعنى وأعاد عليه القول! فقال له عمر: ما شأنك؟ فقال: إنى جئتك مرتاداً لنفسى شاكاً فى دينى، فقال: دونك هذا الشاب قال: ومَن هذا الشاب؟ قال: هذا على بن أبى طالب ابن عم رسول الله، وهو أبو الحسن والحسين ابنى رسول الله، وهذا زوج فاطمة ابنة رسول الله. فأقبل اليهودى على على فقال: أكذلك أنت؟ قال: نعم، فقال اليهودى: إنى أريد أن أسألك عن ثلاث وثلاث وواحدة..... إلى أن قال: أخبرنى عن محمد كم بعده من إمام عدل وفى أى جنة يكون، ومن الساكن معه فى جنته؟ فقال: يا هارونى إن لمحمد صلى الله عليه وآله من الخلفاء اثنا عشر إماماً عدلاً، لايضرهم خذلأن من خذلهم، ولا يستوحشون بخلاف من خالفهم، وإنهم أرسب فى الدين من الجبال الرواسى فى الأرض. ومسكن محمد صلى الله عليه وآله فى جنة عدن معه أولئك الإثنا عشر الأئمة العدل. فقال:صدقت والله الذى لا إله إلا هو إنى لأجدها فى كتاب أبى هارون كتبه بيده). انتهى.

وفى معجم الطبرانى الكبير: ٢/١٩٦، و٢١٣ و٢١٤، و٢٥٦، والأوسط:٣ /٢٠١، ومجمع الزوائد:٥/١٩١:(عن جابر بن سمرة عن النبى(ص)قال: يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً، لايضرهم من خذلهم). انتهى.

وقد روى بعضهم زيادة فى حديث الأئمة الإثنى عشر (كلهم تجتمع عليه الأمة) وأراد حصر تطبيقه بالحكام، وأنه لايشمل من أهل البيت إلا علياً عليه السلام، لكن الألبانى رد هذه الزيادة فى سلسلته برقم ٣٧٦، وقال عنها إنها منكرة!

وقد بحثنا فى المجلد الثانى من كتاب (ألف سؤال وإشكال- مسألة ١٦٢) لقب خليفة الله تعالى وخليفة النبى صلى الله عليه وآله،

واستغلال القرشيين له وأعطاءه لحكامهم! وأن أبا بكر استكثر على نفسه لقب خليفة الله فنهاهم عنه (ابن أبی شيبة فی المصنف:۸/۵۷۲، وصححه فی الزوائد:۵/۱۸۴ عن أحمد. وكذلك عمر: شرح النهج:۱۲/۹۴)

بينما سمى معاوية نفسه (خليفة الله) فاعترض عليه صعصعة بن صوحان رحمه الله!

(مروج الذهب للمسعودی:۳/۵۲) ثم تمادى حكام بنی أمية فی استغلا لقب خليفة الله لأنفسهم، ففضلوا الحاكم الأموی بذلك على نبينا صلى الله عليه وآله بحجة أن خليفة المرأ خير من رسوله فی حاجته! (الصحيح السيرة:۱/۲۹)

ونقل النووی فی الأذكار ص ۳۶۰، عن البغوی أنه قال: (ولا يسمى أحد خليفة الله تعالى بعد آدم وداود عليهما الصلاة والسلام).

ونقل عنه الشربينی فی مغنی المحتاج:۴/۱۳۲، قوله: (ولا ـ يجوز تسميته بخليفة الله تعالى، لأنه إنما يستخلف من يغيب ويموت، والله تعالى منزه عن ذلك).انتهى.

ودليل البغوی ضعيف، والدليل الصحيح: أن خليفة الله وخليفة الرسول منصب يحتاج إلى نص من الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وآله، وإلا كان ادعاءً وافتراءً.

والنتيجة: أن نظام الإستخلاف فی الأرض ومقام الخلافة الذی نصَّت عليه الآية يدل على أن من ثبت له هذا المنصب، فقد ثبتت له العصمة.

وقد اتضح أن توسيع إسم (خليفة الله) لكل بنی آدم، إنما قال به بعض المتأخرين تأثراً بفكر بعض المتصوفة، أو بفكر الغربيين الذی يؤكد على أصالة الإنسان إلى حد تأليه! فجعلوا التكريم بمعنى الإستخلاف وعمموه لكل إنسان! وأن معاوية أول من ابتدع تعميمه للحاكم أیُّ حاكم! بحجة أن الله أعطاه الحكم فيكون استخلفه فی أرضه!

تعليم آدم الأسماء دليل على عصمة خلفاء الله تعالى

فی آية استخلاف آدم عليه السلام بحوثٌ مهمة تتعلق بموضوعنا، فقد أوضحت أن ملاك خلافة الله تعالى والأفضلية على الملائكة هو العلم الإلهی الذی يعطيه لخليفته، ودرجة العبودية التی يوفقه لها.

فالإنسان رغم أن فيه قابلية الإفساد وسفك الدماء، فيه إيجابيات وقابليات عظيمة لم يعرفها الملائكة، هی التی أوجبت جعله خليفة فی الأرض، وهی تغلب فی مصلحتها على إفساد المفسدين منه! وأنها ستتحق فی المعصومين عليهم السلام ويتحقق على يدهم إقامة دولة العدل الإلهی فی الأرض، التی لا إفساد فيها ولاسفك دماء، والتی تمتد حتى يرث الله الأرض ومن عليها!

وقد أثبت عز وجل للملائكة أن آدم عليه السلام يستطيع أن يتلقى من العلم الإلهی فيصل إلى درجة أعلى من الملائكة، وأن خلفاء الله من ذريته سيكونون أهلًا للتلقی والطاعة بأفضل من الملائكة!

لقد علَّم الله آدم أسماء خلفائه من ذريته وبين له مقامهم، ثم عرض سيرتهم على الملائكة، وامتحنهم فی معرفة(أَسْمَاءِ هؤُلاءِ) العظماء فلم يعرفوهم، وعرفهم آدم عليه السلام فأخبرهم بهم، فاقتنع الملائكة وقالوا: (سُبْحَانَكَ لا ـ عِلْمَ لَنَآ إلا ـ مَا عَلَّمْتَنَآ، إنك أنت الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

وقد أكثر المفسرون فی بحث الأسماء التی علمها الله لآدم عليه السلام، ثم فی معنى (عرضهم) على الملائكة، لكنهم ذهبوا بها بعيداً مع أنها لابد أن تكون معلومات عن مستقبل أبناء آدم عليه السلام فی الأرض، لتكون جواباً مقنعاً للملائكة الذين تصوروا أن كل حياة الإنسان على الأرض إفسادٌ وسفك للدماء!

لذلك لانجد تفسيراً معقولاً لها، إلا أن الله علَّم آدم عليه السلام علماً استطاع به أن يرى مستقبل ذريته فی الأرض، ويرى أن مرحلة السماح بالإفساد وسفك الدماء فی الأرض ستنتهی، ثم تبدأ مرحلة دولة العدل الإلهی على يد خلفاء الله من عترة خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وآله، وتمتد إلى آخر حياة الإنسان!

فهذا هو الجواب الوحید الذی یقنع الملائکة بجدارة آدم للخلافة، وجدارة الخلفاء من أبنائه، وانهم لا یُفسدون فی الأرض ولا یَسفکون الدماء، بل سیصلحونها ویعمرونها، صلوات الله علیهم!

فیکون معنی قوله تعالی: ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَی الْمَلائِکَةِ.. أنه عرض علیهم شریطاً لسیرة شخصیات ربانیة أعظم مقاماً من الملائکة، فتعجبوا لهم ولم یعرفوهم، فأخبرهم آدم علیه السلام بأنهم من ذریته، وأنهم دیرون بخلافة الله فی الأرض!

وبهذا المعنی فقط تصح الشرطیة فی قوله تعالی: فَقَالَ أَنْبِئُونِی بِأَسْمَاءِ هؤُلاءِ أن کُنتُمْ صَادِقِینَ. أی إن کنتم مصیبین فی قولک إنهم سیفسدون!

وقد یسأل: هل إن صور مایکون محفوظة عند الله تعالی، لیعلمها لمخلوق قبل أن تکون؟

والجواب: أن هذا من بدائه عقیدتنا فی الغیب والنبی وآله صلی الله علیه وآله، وأحادیثه عندنا صحیحة مستفیضة بل متواترة، وأن الله تعالی علم نبیه صلی الله علیه وآله علم ما یکون إلی یوم القیامة، فعلمه لعلی والأئمة من عترته علیهم السلام.

قد یقال: روی أن الله تعالی علم آدم أسماء الأشیاء، مما تحتاجه حیاته علی الأرض مثل إسم الماء والهواء والشجر والحیوان والجبال؟

والجواب: أن هذا لو صح لا یکون جواباً علی إشکال الملائکة، إذ لاتلازم بین معرفة أسماء الأشیاء، وعدم الإفساد وسفک الدماء!

ثم لو صح أن یکون جواباً لاستخلاف آدم علیه السلام، فلا یصح جواباً لاستخلاف ذریته، فإن الملائکة أخبروا عن إفساد ذریته ولیس عن إفساده هو! فهم بحاجة إلی جواب یثبت عدم إفساد الذریة، أو وجود مصلحة فی استخلافهم تغلب ما یقع من إفساد بعضهم، ولیس ذلک إلا مرحلة حکم خلفاء الله فی أرضه علیهم السلام.

وبذلک یتضح قوة ما ورد فی مصادرنا فی تفسیر الآیة الکریمة، کالذی فی تفسیر فرات الکوفی ص۵۶ بسنده عن الإمام الصادق علیه السلام قال: (إن الله تبارک وتعالی کان ولا شئ، فخلق خمسة من نور جلاله، وجعل لکل واحد منهم إسماً من أسمائه المنزلة، فهو الحمید وسمی النبی محمداً، وهو الأعلی وسمی أمیر المؤمنین علیاً، وله الأسماء الحسنی فاشتق منها حسناً وحسیناً، وهو فاطر فاشتق لفاطمة من أسمائه إسماً، فلما خلقهم جعلهم فی المیثاق فإنهم عن یمین العرش،وخلق الملائکة من نور، فلما أن نظروا إلیهم عظموا أمرهم وشأنهم ولقنوا التسبیح فذلک قوله: وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون فلما خلق الله تعالی آدم نظر إلیهم عن یمین العرش فقال: یا رب من هؤلاء؟ قال: یا آدم هؤلاء صفوتی وخاصتی، خلقتهم من نور جلالی وشققت لهم إسماً من أسمائی، قال: یا رب فبحقک علیهم علمنی أسماءهم، قال: یا آدم فهم عندک أمانة سر من سری، لایطلع علیه غیرک إلا بإذنی، قال: نعم یا رب، قال: یا آدم أعطنی علی ذلک العهد فأخذ علیه العهد، ثم علمه أسماءهم، ثم عرضهم علی الملائکة ولم یکن علمهم بأسمائهم فقال: أنبئونی بأسماء هؤلاء إن کنتم صادقین. قالوا: سبحانک لا علم لنا إلا ما علمتنا إنک أنت العلیم الحکیم. قال یا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم..علمت الملائکة أنه مستودع وأنه مفضل بالعلم، وأمروا بالسجود إذ کانت سجدتهم لآدم تفضیلاً له وعبادة لله). انتهی. (والبحار:۳۷/۶۲)

آیات الإصطفاء الإلهی

الإصطفاء الإلهی، والإستخلاص، والإجتباء، والإختیار، أوصاف قرآنیة، وصف الله تعالی بها نخبة عباده.

والمتحصل من کلمات اللغویین أن أعلاها درجة الإصطفاء، لأنه اختیار الصفو بذاته من البشریة، ویلیه الإستخلاص وهو تخلیص الشئ من الشوائب واختیاره، ویلیه الإختیار وهو انتخاب الشئ الأفضل من غیره.

قال الراغب فی المفردات ص۱۵۴:(الخالص کالصافی إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن کان فیه، والصافی قد یقال لما لا شوب فیه، ویقال خلصته فخلص... وقوله تعالی: فَلَمَّا اسْتَیْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِیّاً، أی انفردوا خالصین عن غیرهم....فإخلاص المسلمین أنهم قد تبرؤوا مما یدعیه الیهود من التشبیه والنصاری من التثلیث، قال تعالی: مُخْلِصِینَ لَهُ الدِّینَ... فحقیقة الإخلاص التبری عن کل ما

دون الله تعالى). انتهى.

وقال في ص٢٨٣: (أصل الصفاء خلوص الشئ من الشوب، ومنه وذلك إسم لموضع مخصوص، والاصطفاء تناول صفو الشئ كما أن الإختيار تناول خيره والإجتباء تناول جبايته. واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافياً عن الشوب الموجود في غيره، وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتعر ذلك من الأول، قال تعالى: الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس – إن الله اصطفى آدم ونوحا – اصطفاك وطهرك واصطفاك – اصطفيتك على الناس– وإنهم عندنا لمن المصطفين الإخيار).

واصطفيت كذا على كذا أي اخترت (أصطفى البنات على البنين– وسلام على عباده الذين اصطفى. ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا. والصفي والصفية ما يصطفيه الرئيس لنفسه....

والصفوان كالصفا الواحدة صفوانة، قال:صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ، ويقال يوم صفوان، صافي الشمس، شديد البرد). انتهى.

وقال في ص١٦٠: (الخير ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً والعدل والفضل والشئ النافع، وضده الشر....فالخير يقابل به الشر مرة والضر مرة نحو قوله تعالى: وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَئٍ قَدِيرٌ....

وقوله: وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ، يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خياراً، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم). انتهى.

أقول: لاشك أن الإستخلاف الإلهي درجةٌ أعلى من الإصطفاء والإستخلاص والإختيار، لكن التفاضل بين هذه الثلاثة لا دليل عليه من اللغة أو استعمالات القرآن والسنة، بل المصطفون هم المستخلصون وهم المختارون.

واستعمالات القرآن ليست لبيان درجاتها، بل لبيان أنواع فاعلياته تعالى في الإصطفاء والإستخلاص والإختيار، المتناسبة مع أبعاد شخصية الإنسان ومجتمعه.

فالإصطفاء، وهو أخذ الصفو، يتناسب مع جوهر نفوسهم الصافية، ويشير إلى كدورة أنفس البشر الإخرين.

والإستخلاص، يتناسب مع جهادهم لتصفية نياتهم وأعمالهم وتخليصها مما هو لغير الله تعالى، حتى صاروا مخلِصين، فاستخلصهم الله وجعلهم مخلَصين بالفتح. بينما بقي غيرهم في شوائب الشرك العقدي، وشوائبه العملية.

والإختيار، يتناسب مع انتخاب الله تعالى لخير البشر وصفوتهم ومخلصيهم، في مقابل من اختاره البشر، أو مقابل من لم يستحق اختيار الله تعالى.

ولهذا ورد تفسير آيات هذه الصفات بالنبي وآله الأطهار صلى الله عليه وآله، كما ورد وصفهم بها في أحاديث عديدة.

فقد ورد وصفهم بخلفاء الله تعالى، وبالمصطفين، كما في الزياة الجامعة:

(ورضيكم خلفاء في أرضه، وحججاً على بريته....

وأشهد أنكم الأئمة الراشدون، المهديون المعصومون، المكرمون المقربون المتقون الصادقون المصطفون....اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لدينه، واختاركم لسره، واجتباكم بقدرته).

وفي المقنعة ص٣٢: (وأن الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله حجج الله تعالى وأولياؤه، وخاصة أصفياء الله...). وفي فقه الرضا/١٢٨: (اللهم صل على محمد وآل محمد المصطفين، بأفضل صلواتك..)

وفي علل الشرائع:١/١٨: (عن زرارة قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن بدء النسل من آدم كيف كان وعن بدء النسل عن ذرية آدم فإن أناساً عندنا يقولون إن الله عز وجل أوحى إلى آدم يزوج بناته ببنيه، وإن هذا الخلق كله أصله من الإخوة والإخوات! فقال أبو عبد الله عليه السلام: تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، يقول من قال هذا بأن الله عز وجل خلق صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، من حرام؟! ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطهر الطاهر الطيب؟!!). (ورواه في الفقيه:٣/٣٨١).

کما ورد وصفهم بالمخلصین بفتح اللام وکسره، ففی الزیارة الجامعة: (السلام علی الدعاة إلی الله، والأدلاء علی مرضات الله، والمستقرین فی أمر الله، والتامین فی محبة الله، والمخلصین فی توحید الله). (من لا یحضره الفقیه:۲/۶۱۰).

وفی من لایحضره الفقیه:۱/۵۱۳:(وأعوذ بک من شر ما عاذ منه عبادک المخلصون).

وورد وصفهم بالمختارین: ففی الزیاة الجامعة:(اصطفاکم بعلمه، وارتضاکم لدینه، واختارکم لسره، واجتباکم بقدرته....

السلام علی الأئمة الدعاة، والقادة الهداة، والسادة الولاة، والذادة الحماة، وأهل الذکر وأولی الأمر، وبقیة الله وخیرته...).

وفی الکافی:۱/۱۹۹، فی حدیث الإمام الرضا علیه السلام عن الإمامة: (إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلی مکانا وأمنع جانبا وأبعد غوراً من أن یبلغها الناس بعقولهم، أو ینالوها بآرائهم، أو یقیموا إماماً باختیارهم، إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهیم الخلیل علیه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة، وفضیلة شرفه بها وأشاد بها ذکره، فقال: إنی جاعلک للناس إماماً فقال الخلیل علیه السلام سرورا بها ": ومن ذریتی؟ قال الله تبارک وتعالی: لا ینال عهدی الظالمین. " فأبطلت هذه الآیة إمامة کل ظالم إلی یوم القیامة وصارت فی الصفوة ثم أکرمه الله تعالی بأن جعلها فی ذریته أهل الصفوة والطهارة فقال: ووهبنا له إسحاق و یعقوب نافلة وکلا جعلنا صالحین وجعلناهم أئمة یهدون بأمرنا وأوحینا إلیهم فعل الخیرات وإقام الصلاة وإیتاء الزکاة وکانوا لنا عابدین لم تزل فی ذریته یرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتی ورثها الله تعالی النبی صلی الله علیه وآله فقال جل وتعالی: إن أولی الناس بإبراهیم للذین اتبعوه وهذا النبی والذین آمنوا والله ولی المؤمنین فکانت له خاصة فقلدها علیاً).

ولیس غرضنا هنا شرح هذه الصفات العظیمة وبیان الفروق بینها، وفیها بحوث مفصلة، بل الغرض أن کلًا من الإصطفاء والإستخلاص والإختیار، یستلزم العصمة کالإستخلاف، لأن أیاً منها لایتم إلا لخیرة البشر المطیعین لربهم عز وجل، الورعین عن محارمه ومعاصیه.

ولأن من اصطفاه الله واستخلصه واختاره، یمده بالحمایة والعنایة والألطاف، التی تعنی عصمته عن المعاصی، بل وما فوق العصمة العادیة.

لذلک نکتفی بإیراد آیات هذه الصفات، وبعض الأحادیث الموضحة المؤکدة لدلالتها علی العصمة.

آیات الإصطفاء الإلهی

نص القرآن علی أن الله تعالی اصطفی عدداً من عباده من الأمم الماضیة، ومن هذه الأمة، منهم أشخاص ومنهم أسر، وهوکالإستخلاف یدل علی عصمة المصطفین صلوات الله علیهم. وهذه عناوین آیات الإصطفاء:

قانون الإصطفاء الإلهی لمهمات وأدوار

اللهُ یَصْطَفِی مِنَ الْمَلائِکَةِ رسلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ. یَعْلَمُ مَا بَیْنَ أَیْدِیهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَی اللهِ تُرْجَعُ الأمور. (الحج:۷۵-۷۶)

ابتدأ الإصطفاء الإلهی من آدم علیه السلام

إِنَّ اللهَ اصْطَفَی آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِیمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَی الْعَالَمِینَ. ذُرِّیَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ. (آل عمران:۳۳-۳۴)

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِکَةُ یَا مَرْیَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاکِ وَطَهَّرَکِ وَاصْطَفَاکِ عَلَی نِسَاءِ الْعَالَمِینَ. (آل عمران:۴۲)

وَمَنْ یَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِیمَ إلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَیْنَاهُ فِی الدُّنْیا، وَإِنَّهُ فِی الآخرة لَمِنَ الصَّالِحِینَ. (البقرة:۱۳۰)

وَاذْکُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِیمَ وَإِسْحَاقَ وَیَعْقُوبَ أُولِی الأَیْدِی وَالأبصار. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِکْرَی الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَیْنَ الإخیَارِ. وَاذْکُرْ إِسْمَاعِیلَ وَالْیَسَعَ وَذَا الْکِفْلِ وَکُلٌّ مِنَ الإخیَارِ. (صاد:۴۵-۴۸)

اصطفاء موسی علیه السلام مشروع مستقل

قَالَ یَا مُوسَی إِنِّی اصْطَفَیْتُکَ عَلَی النَّاسِ بِرِسَالاتِی وَبِکَلامِی فَخُذْ مَا آتَیْتُکَ وَکُنْ مِنَ الشَّاکِرِینَ. (الأعراف:۱۴۴).

اصطفاء طالوت ملکاً

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا إنی يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِی الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِی مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَاتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَی وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِی ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. (البقرة:۲۴۷-۲۴۸)

المصطفوْن عليهم السلام أهل السلام والأمن الإلهی

قُلِ الْحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلَی عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَی اللهُ خَيْرٌ أما يُشْرِكُونَ. (النمل:۵۹ (

اصطفاء الإسلام ديناً

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّی بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِی إِنَّ اللهَ اصْطَفَی لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. (البقرة:۱۳۱-۱۳۲)

معنی الإصطفاء و أنواعه

غرض الإصطفاء: نَصَّ قوله تعالی:(اللهُ يَصْطَفِی مِنَ الْمَلائِكَةِ رسلاً وَمِنَ النَّاسِ) علی أن الإصطفاء يكون لمهمة عظيمة كحمل الرسالة الإلهية، فهو عمل إلهی يكشف عن مقام لغرض اجتماعی فی الدنيا: (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِی الدُّنْيَا).

وقد يكون هدفه أن يكون أصحابه قدوة للأجيال فيتبعوا ملتهم وسيرتهم، كما فی إبراهيم عليه السلام وذريته: (وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِی الدُّنْيَا، وَإِنَّهُ فِی الآخرة لَمِنَ الصَّالِحِينَ). (البقرة:۱۳۰)

أنواع الإصطفاء: فمنه اصطفاء عام علی العالمين كاصطفاء آدم ونوح، والأسر المصطفاة من آل إبراهيم عليهم السلام: (إِنَّ اللهَ اصْطَفَی آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَی الْعَالَمِينَ). (آل عمران:۳۳)

ومنه اصطفاء لموجودين أو لآتين، علم الله ما سيعملون فاصطفاهم قبل ولادتهم: (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ). (آل عمران:۳۳-۳۴)

ومنه اصطفاء علی أناس معينين كاصطفاء طالوت للملك علی بنی إسرائيل: (قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِی الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ). ومنه اصطفاء بمنصب أو ميزة: (يَا مُوسَی إِنِّی اصْطَفَيْتُكَ عَلَی النَّاسِ بِرِسَالاتِی وَبِكَلامِی)، أو بالتطهير المناسب للشخص: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ)

ومنه اصطفاء لشخص علی أهل عصره: (وَاصْطَفَاكِ عَلَی نِسَاءِ الْعَالَمِينَ).

والإصطفاء لايكون إلا باستحقاق:

ففی علل الشرائع:۱/۵۶، عن الإمام الباقر عليه السلام قال:(أوحی الله عز وجل إلی موسی عليه السلام: أتدری لما اصطفيتك لكلامی دون خلقی؟ فقال موسی: لا، يا رب، فقال: يا موسی إنی قلبت عبادی ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذلَّ لی منك نفساً. يا موسی انك إذا صليت وضعت خديك علی التراب).

وعن الصادق عليه السلام قال: (وكان موسی عليه السلام إذا صلی لم ينفتل حتی يلصق خده الأيمن بالأرض والأيسر). انتهی.

أما الذين اصطفاهم الله تعالی قبل أن يولدوا (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ)، فقد علم الله ما هم عاملون فاصطفاهم قبل ولادتهم. علی أنه قد امتحن جميع الخلق فی نشأة سابقة قبل نشأتهم فی الدينا، ففی الكافی:۲/۱۰:(عن أبی عبد الله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله صلی الله عليه وآله: بأی شئ سبقت الأنبياءوأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إنی كنت أول من آمن بربی وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم علی أنفسهم ألست بربكم؟ فكنت أنا أول نبی قال: بلی، فسبقتهم بالإقرار بالله عز وجل). انتهی.

تفسير آية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفين

قال الله تعالى: وَالَّذِی أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ مِنَ الْکِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَیْنَ یَدَیْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِیرٌ بَصِیرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَیْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِکَ هُوَ الْفَضْلُ الْکَبِیرُ. جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَهَا یُحَلَّوْنَ فِیهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِیهَا حَرِیرٌ. وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِی أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ أن رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَکُورٌ.الَّذِی أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا یَمَسُّنَا فِیهَا نَصَبٌ وَلا یَمَسُّنَا فِیهَا لُغُوبٌ. وَالَّذِینَ کَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا یُقْضَى عَلَیْهِمْ فَیَمُوتُوا وَلا یُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا کَذَلِکَ نَجْزِی کُلَّ کَفُورٍ. (فاطر:۳۱-۳۶).

الآیة من متشابهات القرآن

فما معنى توریث القرآن للمصطفین؟ ومن هم؟ وما معنى التقسیم بعدها إلى ظالم ومقتصد وسابق بالخیرات، فهل یمکن أن یکون الظالم من المصطفین الذین أورثهم الله الکتاب؟ وهل یدخل الجمیع الجنة بمن فیهم الظالمون؟!

والموقف الشرعی والعلمی عندما یواجه الباحث المتشابه، أن یرده إلى المحکم، وأن یرد الجمیع إلى أهل البیت علیهم السلام الذین قرنهم النبی صلى الله علیه وآله بالقرآن فقال: (إنی تارک فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی)، فأوجب بذلک أخذ القرآن وتفسیره منهم. لکن هل یفعل ذلک مفسرو قریش؟ کلا! بل یتبعون ما تشابه منه، ویهیمون فی کل واد! فقد کثرت احتمالاتهم واتسع تحیرهم وتخبطهم فی هذه الآیات، حتى وصل إلى بعض مفسری الشیعة!

وأصل الموضوع عندهم أن عمر وکعب الأحبار قالا: إن الله ورَّث القرآن للأمة کلها بمن فیها الظالمون، وکلهم فی الجنة! فتبعهما أکثر المفسرین، وحاولوا جعل تفسیرهما مسنداً إلى رسول الله صلى الله علیه وآله! وقارب آخرون وباعدوا، وحاولوا ترقیع ما یستلزمه هذا التفسیر من مشکلات عقدیة!

قال السیوطی فی الدر المنثور:۵/۲۵۱: (وأخرج سعید بن منصور، وابن أبی شیبة، وابن المنذر، والبیهقی فی البعث، عن عمر بن الخطاب أنه کان إذا نزع بهذه الآیة:ثم أورثنا الکتاب... قال: ألا إن سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له!!

وفی تفسیر النحاس:۵/۴۵۸: (وقال کعب: هذه الأمة على ثلاث فرق، کلها فی الجنة، ثم تلا: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا..إلى قوله: جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَهَا، فقال: دخلوها ورب الکعبة)! انتهى. (ونحوه تفسیر ابن کثیر:۳/۵۶۴)

وفی تفسیر الطبری:۲۲/۱۶۰، عن کعب: (قال: کلهم فی الجنة، وتلا هذه الآیة: جنات عدن یدخلونها). انتهى.

وفی تفسیر عبد الرزاق:۳/۱۳۶: (عن عبد الله بن الحارث عن کعب قال: قرأ هذه الآیة: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ حتى بلغ: جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَهَا... فقال کعب: دخلوها ورب الکعبة)! (ورواه فی تفسیر الثوری ص۲۴۶)

ورووا ذلک عن عمر وکعب بطرق عدیدة، وعن عثمان وعائشة أیضاً، کما فی تفسیر ابن کثیر:۳/۵۶۴، عن عثمان قال: (هی لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرنا وسابقنا أهل الجهاد). وقال ابن کثیر فی تفسیره:۲/۷۹: (والصحیح أن الأقسام الثلاثة من هذه الأمة کلهم یدخلون الجنة).

وفی المعجم الأوسط للطبرانی:۶/۱۶۷: (عن عقبة بن صهبان قال قلت لعائشة: أرأیت قول الله جل ذکره: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا...الآیة؟ قالت: أما السابق فقد مضى فی حیاة رسول الله(ص)وشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع آثارهم فعمل بمثل أعمالهم حتى یلحق بهم، وأما الظالم لنفسه فمثلی ومثلک ومن اتبعنا. قالت وکلهم فی الجنة). (والحاکم:۲/۴۲۶، وصححه)

القرطبی یرفض التفسیر الرسمی

وقال القرطبی فی تفسیره:۱۴/۳۴۶: (هذه الآیة مشكلة، لأنه قال جل وعز: اصطفینا من عبادنا ثم قال: فمنهم ظالم لنفسه! وقد تكلم العلماء فیها من الصحابة والتابعین ومن بعدهم!! قال النحاس: فمن أصح ما روی فی ذلك ما روی عن ابن عباس: فمنهم ظالم لنفسه، قال: الكافر، رواه ابن عیینة عن عمرو بن دینار عن عطاء عن ابن عباس أیضاً. وعن ابن عباس أیضاً: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخیرات قال: نجت فرقتان، ویكون التقدیر فی العربیة: فمنهم من عبادنا ظالم لنفسه، أی كافر. وقال الحسن: أی فاسق. ویكون الضمیر الذی فی یدخلونها، یعود علی المقتصد والسابق، لا علی الظالم....

وقیل: الضمیر فی یدخلونها یعود علی الثلاثة الأصناف لی ألا یكون الظالم ها هنا كافراً ولا فاسقاً. وممن روی عنه هذا القول عمر، وعثمان، وأبو الدرداء، وابن مسعود، وعقبة بن عمرو، وعائشة، والتقدیر علی هذا القول: أن یكون الظالم لنفسه الذی عمل الصغائر....

قال النحاس: وقول ثالث یكون الظالم صاحب الكبائر، والمقتصد الذی لم یستحق الجنة بزیادة حسناته علی سیئاته، فیكون: جنات عدن یدخلونها للذین سبقوا بالخیرات لا غیر. وهذا قول جماعة من أهل النظر، لأن الضمیر فی حقیقة النظر لما یلیه أولی.

قلت: القول الوسط(أنه یعود علی المقتصد والسابق)أولاها وأصحها إن شاء الله، لأن الكافر والمنافق لم یصطفوا بحمد الله، ولا اصطفیَ دینهم. وهذا قول ستة من الصحابة، وحسبك. وسنزیده بیاناً وإیضاحاً فی باقی الآیة). انتهی.

وأهم ما عمله القرطبی أنه ذكر التفسیر الرسمی بصیغة: (قیل) وحاول تخفیف وقعه بتضییق دخول الظالمین الجنة! فهو من المفسرین القلائل الذین لم یدخل فی قلبهم تفسیر عمر وكعب، بل اختار أن آیة: جنات عدن یدخلونها... تختص بالسابقین والمقتصدین ولاتشمل الظالمین!

لكنك تجد قول عمر وكعب صار عندهم حدیثاً نبویاً! فقالوا إن عمر قال: (سمعت رسول الله(ص)یقول: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، وقرأ عمر: فمنهم ظالم لنفسه...الآیة) انتهی. (الدر المنثور:۵/۲۵۱، عن العقیلی وابن لآل وابن مردویه والبیهقی، وأضاف كنز العمال:۲/۴۸۵ عن الدیلمی).

وقال الرازی فی تفسیره:۲۶/۲۴: (اتفق أكثر المفسرین علی أن المراد من الكتاب القرآن، وعلی هذا فالذین اصطفینا هم الذین أخذوا بالكتاب وهم المؤمنون، والظالم والمقتصد والسابق، كلهم منهم. ویدل علیه قوله تعالی: جنات عدن یدخلونها، أخبر بدخولهم الجنة، وكلمة: ثم أورثنا، أیضاً تدل علیه لأن الإیراث إذا كان بعد الإیحاء ولا كتاب بعد القرآن فهو الموروث. والإیراث المراد منه الأعطاء بعد ذهاب من كان بیده المعطی..... ویصحح هذا قول عمر عن النبی(ص): ظالمنا مغفور له). انتهی.

وهكذا صار التفسیر الذی وضع أساسه عمر وكعب الأحبار، الرأی الرسمی لأجیال مفسری الدولة، اتبعه أكثرهم علی تحیُّر، ومال عنه بعضهم علی وجل! ولكنه كان سداً إمام تفسیر أهل البیت علیه السلام!

تفسیر أهل البیت

نورد فیما یلی نماذج من أحادیثنا المتواترة فی أن أهل البیت علیهم السلام هم ورثة القرآن، وأنهم الذین عندهم علم الكتاب، دون غیرهم!

ففی شرح الأخبار:۳/۴۷۲: (قال أبو جعفر محمد بن علی صلی الله علیه وآله: ما یقول من قِبلكم فی هذه الآیة: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَیْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِیرُ.جَنَّاتُ عَدْنٍ یَدْخُلُونَهَا...؟ قال قلت: یقولون نزلت فی أهل القبلة. قال: كلهم؟ قلت: كلهم. قال: فینبغی أن یكونوا قد غفر لهم كلهم. قلت: یا ابن رسول الله فی من نزلت؟ قال: فینا. قلت: فما لشیعتكم؟ قال: لمن اتقی وأصلح منهم الجنة، بنا یغفر الله ذنوبهم وبنا یقضی دیونهم، ونحن باب حطتهم كحطة بنی إسرائیل).

وفی الثاقب فی المناقب ص۵۶۶، عن أبی هاشم الجعفری رحمه الله قال: (كنت عند أبی محمد علیه السلام فسألته عن قول الله تعالی:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ؟ فقال عليه السلام: كلهم من آل محمد عليهم السلام، الظالم لنفسه الذى لا ـ يقر بالإمام، والمقتصد العارف بالإمام، والسابق بالخيرات بإذن الله الإمام. قال: فدمعت عيناى وجعلت أفكر فى نفسى عظم ما أعطى الله آل محمد عليهم السلام، فنظر إلىَّ وقال: الأمر أعظم مما حدثتك به نفسك من عظم شأن آل محمد عليهم السلام فاحمد الله فقد جعلك متمسكاً بحبلهم، تدعى يوم القيامة بهم إذا دعى كل أناس بإمامهم، فأبشر يا أبا هاشم فإنك على خير). انتهى.

وفى بصائر الدرجات ص۱۳۵: (حدثنا العباس بن معروف عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام إن العلم الذى نزل مع آدم لم يرفع، والعلم يتوارث، وكان على عليه السلام عالم هذه الأمة، وإنه لن يهلك منا عالم إلا خلفه من أهله من يعلم مثل علمه، أو ما شاء الله).

وفى بصائر الدرجات ص۱۳۴: (حدثنا محمد بن الحسن عن حماد عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبيه عن أبى الحسن الأول عليه السلام قال قلت له: جعلت فداك النبى صلى الله عليه وآله ورث علم النبيين كلهم؟ قال لى: نعم، قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه؟ قال: نعم، قلت: ورثهم النبوة وما كان فى آبائهم من النبوة والعلم؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا وقد كان محمد صلى الله عليه وآله أعلم منه، قال قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله؟ قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم كلام الطير، قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل، فقال إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك فى أمره: مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، وكانت المردة والريح والنمل والإنس والجن والشياطين له طائعين، وغضب عليه فقال: لأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، وإنما غضب عليه لأنه كان يدله على الماء، فهذا وهو طير قد أعطىّ ما لم يعطَ سليمان! وإنما أراده ليدله على الماء، فهذا لم يعط سليمان، وكانت المردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكانت الطير تعرفه!

إن الله وتعالى يقول فى كتابه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأرض أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لله الأمر جميعاً، وقد ورثنا هذا القرآن، ففيه ما تقطَّع به الجبال وتقطَّع المداين به ويحيا به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإن فى كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلى أن يأذن الله به، مع ما فيه أذن الله، فما كتبه للماضين جعله الله فى أم الكتاب، إن الله يقول فى كتابه: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ وَالأرض إِلا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ. ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فنحن الذين اصطفانا الله فورثنا هذا الذى فيه تبيان كل شئ). انتهى.

وروى فى كتاب بصائر الدرجات ص۶۵، أكثر من خمسة عشر حديثاً فى هذا الموضوع، وفيها صحيح السند بدرجة عالية، منها: (عن أبى جعفر عليه السلام قال فى هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا..الآية، قال: السابق بالخيرات الإمام، فهى فى وُلد على وفاطمة عليهم السلام).

وفى عيون أخبار الرضا عليه السلام:۲/۲۰۷: (عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع فى مجلسه جماعه من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون: أخبرونى عن معنى هذه الآية: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا؟ فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكنى أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها فى الجنة لقول الله عز وجل: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير، ثم جمعهم كلهم فى الجنة فقال عز وجل: جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب، الآية. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا ـ لغيرهم فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله فى كتابه فقال عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله:إنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى إلا ـ وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفون فيهما أيها الناس لا تعلموهم فإنهم

أعلم منکم.

قالت العلماء: أخبرنا یا أبا الحسن عن العترة أهم الآل أم غیر الآل؟

فقال الرضا علیه السلام: هم الآل، فقالت العلماء: فهذا رسول الله (ص) یؤثر عنه أنه قال: أمتی آلی وهؤلاء أصحابه یقولون بالخبر المستفاض الذی لایمکن دفعه آل محمد أمته! فقال أبو الحسن علیه السلام: أخبرونی فهل تحرم الصدقة علی الآل؟ فقالوا: نعم، قال: فتحرم علی الأمة؟ قالوا: لا، قال: هذا فرق بین الآل والأمة! ویحکم أین یذهب بکم؟ أضربتم عن الذکر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون! أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة علی المصطفین المهتدین دون سائرهم؟ قالوا: ومن أین یا أبا الحسن؟ فقال من قول الله عز وجل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِیمَ وَجَعَلْنَا فِی ذُرِّیَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْکِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَکَثِیرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثه النبوة والکتاب للمهتدین دون الفاسقین). انتهی.

وفی معانی الأخبار للصدوق ص۱۰۴: (عن جابر بن یزید الجعفی، عن أبی جعفر محمد بن علی الباقر علیهما السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَیْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ؟ فقال: الظالم منا من لا یعرف حق الإمام، والمقتصد العارف بحق الإمام والسابق بالخیرات بإذن الله هو الإمام. جنات عدن یدخلونها، یعنی السابق والمقتصد).انتهی.

اختصاص أهل البیت بعلم الکتاب لا یلغی حجیته

قال السید الخوئی رحمه الله فی البیان ص۲۶۸: (فإن معنی ذلک أن الله قد خص أوصیاء نبیه صلی الله علیه وآله بإرث الکتاب، وهو معنی قوله تعالی: ثم أورثنا الکتاب الذین اصطفینا من عبادنا(۳۵:۳۲)فهم المخصوصون بعلم القرآن علی واقعه وحقیقته، ولیس لغیرهم فی ذلک نصیب. هذا هو معنی المرسلة، وإلا فکیف یعقل أن أبا حنیفة لا یعرف شیئاً من کتاب الله حتی مثل قوله تعالی: قل هو الله أحد، وأمثال هذه الآیة مما یکون صریحاً فی معناه. والأخبار الدالة علی الإختصاص المتقدم کثیرة جداً). انتهی.

ابناء فاطمة و أتباع أهل البیت ورثة مجازیون للکتاب

فی تفسیر العیاشی:۱/۷۰: (عن عاصم بن حمید عن أبی عبد الله علیه السلام:إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ، یقول لا حرج علیه أن یطوَّف بهما، فنزلت هذه الآیة، فقلت: هی خاصة أو عامة قال: هی بمنزلة قوله: مَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فمن دخل فیهم من الناس کان بمنزلتهم یقول الله: وَمَنْ یُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَالصِّدِّیقِینَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِینَ وَحَسُنَ أُولَئِکَ رَفِیقاً). انتهی.

الظالم لنفسه درجات متفاوتة

(الظالم لنفسه) مفهوم واسع فی القرآن، یشمل الکافر والفاسق والظالم لغیره، لأن الجمیع ظلم للنفس، وقد نص القرآن علی أن بعض أنواع الظالمین لأنفسهم یدخلون جهنم، قال تعالی: الَّذِینَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِکَةُ ظَالِمِی أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا کُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَی إِنَّ اللهَ عَلِیمٌ بِمَا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِینَ فِیهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَی الْمُتَکَبِّرِینَ. (النحل:۲۸-۲۹).

وبعضهم یدخل الجنة، قال تعالی: وَسَارِعُوا إِلی مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأرض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِینَ. الَّذِینَ یُنْفِقُونَ فِی السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْکَاظِمِینَ الْغَیْظَ وَالْعَافِینَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ یُحِبُّ الْمُحْسِنِینَ. وَالَّذِینَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَکَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ یُصِرُّوا عَلَی مَا فَعَلُوا وَهُمْ یَعْلَمُونَ. أُولَئِکَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِینَ فِیهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِینَ. (آل عمران:۱۳۳-۱۳۶).

وبعضـهم ظالمون لأنفسـهم فكرياً وعملياً بترك عقيـدة التوحيـد واتخاذ عقيدة الكفر، كقوله تعالى: وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَـهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ. (هود:۱۰۱).

وبعضـهم ظالم لنفسه عملياً فقط بتعـدى حدود الله تعالى: وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا. (الطلاق:۱.

أو بعمل سوء يتبعه بالإستغفار: وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا. (النساء:۱۱۰).

وعلى هذا، فحتى لو جعلنا الظالم لنفسه من أبناء فاطمة عليها السـلام قسـماً ملحقاً بالمصـطفين ورثة الكتاب عليهم السلام فالمقصود به ليس الظالم للناس بل لنفسه بسلوكه الشخصى المحض يتبعه بالإستغفار، كما تقدم.

على أنـك عرفت روايـة الصـدوق فى معانى الأخبار ص۱۰۴ عن الإمـام الباقر عليه السـلام قال: (جنات عـدن يـدخلونها، يعنى السابق والمقتصد). انتهى.

رأى علماء الشيعة

قال المفيـد رحمه الله فى المسائل العكبرية ص۱۱۱: (وقوله تعالى: فمنهم ظالم لنفسه بعد وصـفه الوارثين للكتاب بالصفوة، فإنه عير ما ظنه السائـل أنه لم يرد بقوله: فمنهم من أعيـانهم، وإنمـا أراد من ذوى أنسابهم وذراريهم. فأما المصـطفون فقـد حرسوا بالاصـطفاء من الظلم ووفقوا به للعدل. وكذلك قوله: ومنهم مقتصد، يريد به من نسلهم وأهلهم وذوى أنسابهم. وقوله: ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله كذلك. ولم يرد بالأصناف الثلاثة أعيان من خبر اصطفائه وتوريثه الكتاب).

ةقال السـيد المرتضـى رحمه الله فى رسائله:۳/۱۰۲: (والـذى أعتمـده وأعوِّل عليه أن يكون: فمنهم ظـالم لنفسه، من صـفة عبادنـا، أى أورثنـا الكتـاب الـذين اصـطفينا من عبادنـا، ومن عبادنـا ظـالم لنفسه ومنهم مقتصـد ومنهم سابق بالخيرات، أى فليس كل عبادنا ظالماً لنفسه، ولا كلهم مقتصداً ولا كلهم سابقاً بالخيرات، فكان الذين أورثوا الكتاب السابقون بالخيرات دونهما).

وقـال الشـيخ الطوسـى رحمه الله فى التبيان:۸/۴۳۰: (إن الله تعـالى أورث علم الكتـاب الـذى هـو القرآن، الـذين اصـطفاهم واجتبـاهم واختارهم على جميع الخلق من الأنبياءالمعصومين والأئمـة المنتجبين، الـذين لا يجوز عليهم الخطأ ولا فعل القبيـح لا صـغيراً ولا كبيراً. ويكون قوله: فمنهم ظالم لنفسه، راجعاً إلى عبادنا وتقـديره فمن عبادنا ظالم لنفسه ومن عبادنا مقتصـد ومن عبادنا سابق بالخيرات، لأن من اصطفاه الله لايكون ظالماً لنفسه، فلا يجوز أن ترجع الكناية إلى الذين اصطفينا).

وقال الطبرسـى رحمه الله فى مجمع البيان:۸/۲۴۵: (اختُلـف فى أن الضـمير فى منهم إلى من يعـود على قولين، أحـدهما: إنه يعود إلى العبـاد، وتقـدير الكلام: فمن العبـاد ظـالم. وروى نحو ذلـك عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، واختاره المرتضـى قـدس الله روحه من أصـحابنا، قـال: والوجه فيه أنه لما علق توريث الكتاب بمن اصـطفاه من عباده، بين عقيبه أنه إنما علق وراثـة الكتاب ببعض العباد دون بعض لأن فيهم من هو ظالم لنفسه، ومن هو مقتصد، ومن هو سابق بالخيرات.

والقول الثانى: إن الضمير يعود إلى المصطفين من العباد، عن أكثر المفسرين).

بعض مفسرى الشيعة وافق على تفسير عمر و كعب

قال فى تفسير الميزان:۱۷/۴۵:(واختلفوا فى هؤلاء المصـطفين من عباده من هم؟ فقيل هم الأنبياء، وقيل هم بنو إسـرائيل الـداخلون فى قوله: إن الله اصـطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. وقيل هم أمة محمد صلى الله عليه وآله فقد أورثوا القرآن من نبيهم. وقيـل وهو المأثور عن الصادقين صـلى الله عليه وآله فى روايات كثيرة مسـتفيضة، إن المراد بهم ذريـة النبى صـلى الله عليه وآله من أولاد فاطمة عليها السلام).

وقال فی:۱۷/۵۰: (واعلم أن الروایات من طرق الشیعة عن أئمة أهل البیت علیهم السلام فی کون الآیة خاصة بولد فاطمة علیها السلام، کثیرة جداً). انتهی.

أقول: بل وصلت هذه الروایات إلی حد التواتر، وفیها عدد صحیح السند قطعی الحجیة بنفسه، فقد قال السید ابن کاووس فی سعد السعود ص۱۰۸: (أقول: وروی تأویل هذه الآیة من عشرین طریقاً). انتهی.

لکن صاحب المیزان رحمه الله أعرض عنها مع الأسف، ولم یصل حتی إلی مستوی تفسیر القرطبی، بل أخذ بالتفسیر القرشئ الرسمی تبعاً لکثرة المفسرین القائلین به! فخفف معنی وراثة الکتاب، وأدخل الظالمین الجنة!

قال فی المیزان:۱۷/۴۵: (وقوله: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخیرات " یحتمل أن یکون ضمیر منهم راجعاً إلی الذین اصطفینا، فیکون الطوائف الثلاث الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخیرات شرکاء فی الوراثة وإن کان الوارث الحقیقی العالم بالکتاب والحافظ له هو السابق بالخیرات.

ویحتمل أن یکون راجعا إلی عبادنا - من غیر إفادة الإضافة للتشریف - فیکون قوله: فمنهم مفیدا للتعلیل والمعنی إنما أورثنا الکتاب بعض عبادنا وهم المصطفون لا جمیع العباد، لأن من عبادنا من هو ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق ولا یصلح الکل للوراثة.

ویمکن تأیید أول الإحتمالین بأن لامانع من نسبة الوراثة إلی الکل مع قیام البعض بها حقیقة کما نجد نظیره فی قوله تعالی: وأورثنا بنی إسرائیل الکتاب (المؤمن:۵۴)، وما فی الآیة من المقابلة بین الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخیرات، یعطی أن المراد بالظالم لنفسه من علیه شئ من السیئات وهو مسلم من أهل القرآن لکونه مصطفی ووارثاً! والمراد بالمقتصد المتوسط الذی هو فی قصد السبیل وسواء الطریق. والمراد بالسابق بالخیرات بإذن الله من سبق الظالم والمقتصد إلی درجات القرب، فهو إمام غیره بإذن الله بسبب فعل الخیرات، قال تعالی: والسابقون السابقون أولئک المقربون. (الواقعة: ۱۱).

وقوله تعالی: ذلک هو الفضل الکبیر، أی ما تقدم من الإیراث هو الفضل الکبیر من الله، لادخل للکسب فیه. هذا ما یعطیه السیاق وتفیده الأخبار من معنی الآیة! وفیها للقوم اختلاف عجیب)! انتهی.

وتبعه صاحب تفسیر الأمثل فقال:۱۴/۸۷: (ثم تنتقل الآیة إلی تقسیم مهم بهذا الخصوص فتقول: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخیرات بإذن الله ذلک هو الفضل الکبیر. ظاهر الآیة هو أن هذه المجامیع الثلاثة هی من بین الذین اصطفینا أی ورثة وحملة الکتاب السماوی. وبتعبیر أوضح إن الله سبحانه وتعالی قد أوکل مهمة حفظ هذا الکتاب السماوی بعد الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله الی هذه الأمة، الأمة التی اصطفاها الله سبحانه...

وقد ورد فی روایات کثیرة عن أهل بیت العصمة علیهم السلام فی تفسیر:سابق بالخیرات بالمعصوم، وظالم لنفسه: بمن لایعرف الإمام، والمقتصد:، العارف بالإمام. وهذه التفسیرات شاهد واضح علی ما اخترناه لتفسیر الآیة، وهو أنه لا مانع من کون هذه المجامیع الثلاثة ضمن ورثة الکتاب الإلهی! ولا نحتاج إلی التذکیر بأن تفسیر الروایات أعلاه هو من قبیل بیان المصادیق الأوضح للآیة، وهم الأئمة المعصومون، إذ هم الصف الأول، بینما العلماء والمفکرون وحماة الدین الإخرون فی صفوف أخری). انتهی.

اهم الإشکالات علی التفسیر الحکومی

أهم الإشکالات علیه: أنه یخرِّب معنی توریث القرآن للمصطفئن، فیجعل کل الأمة مصطفاة بمن فیها الظلمة والقتلة والجبابرة والمنافقون الذین هم فی الدرک الأسفل من النار! فهو یخرب معنی الإصطفاء الإلهی ویطعن فی حکمة الله تعالی!

وعندما یحکم بأن الظالم یدخل الجنة یصل تخریبه إلی قانون استحقاق الثواب والعقاب، لا یبقی لطاعة الله معنی لأنها تتساوی فی النتیجة مع الظلم والمعصیة!

۱- معنی توریث الکتاب الإلهی:

قال الراغب الأصفهانی، وهو من أفضل علماء العربیة فی تجذیر الکلمات، قال فی المفردات ص۵۱۸: (الوراثة والإرث: انتقال قُنْیَةٍ إلیک عن غیرک، من غیر عقد ولا ما یجری مجری العقد. وسمی بذلک المنتقل عن المیت، فیقال للقنیة الموروثة: میراث وإرث، وتراث. أصله وُراث، فقلبت الواو ألفاً وتاء، قال: وتأکلون التراث... ویقال: ورثت مالاً عن زید وورثت زیداً، قال: وورث سلیمان داود.. وورثه أبواه.. وعلی الوارث مثل ذلک....ویقال لکل من حصل له شئ من غیر تعب: قد ورث کذا. ویقال لمن خَوَّل شیئاً مهنئاً: أوْرث، قال تعالی: وتلک الجنة التی أورثتموها.. أولئک هم الوارثون الذین یرثون....وقال لعلی رضی الله عنه: أنت أخی ووارثی، قال: وما أرثک؟ قال: ما ورَّثت الأنبیاءقبلی، کتاب الله وسنتی).

وموضوعنا: وراثة الکتاب الإلهی، وقد وردت فی القرآن بثلاث صیغ:

الصیغة الأولی: الذین ورثوا الکتاب، وأورثوا الکتاب.

ومعناها مطلق الوراثة للأمة، کقوله تعالی عن الیهود: (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِی الأرض أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِکَ...فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْکِتَابَ یَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَی وَیَقُولُونَ سَیُغْفَرُ لَنَا. وَالَّذِینَ یُمَسِّکُونَ بِالْکِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَوةَ إِنَّا لا نُضِیعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِینَ..(الأعراف:۱۶۸-۱۷۰).

وقوله تعالی عن النصاری: وَإِنَّ الَّذِینَ أُورِثُوا الْکِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِی شَکٍّ مِنْهُ مُرِیبٍ. (الشوری:۱۴). فلم ینسب فیها التوریث إلی الله تعالی، وجاءت فی سیاق ذم ورثة الکتاب لأنهم لم یعملوا به، ومدح الذین عملوا به.

وشبیه بها صیغة: (الذین أوتوا الکتاب، وأوتوا نصیباً من الکتاب) بالمبنی للمجهول، بدون نسبة الإیتاء صریحاً إلی الله تعالی. وسیاقها أیضاً الذم، کقوله تعالی: نَبَذَ فَرِیقٌ مِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتَابَ کِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ. البقرة:۱۰۱

وقوله تعالی: وَإِنَّ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتَابَ لَیَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ. البقرة:۱۴۴

وقوله تعالی: وَلَئِنْ أَتَیْتَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتَابَ بِکُلِّ آیَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَکَ. البقرة:۱۴۵

وقوله تعالی: إِنَّ الدِّینَ عِنْدَ اللهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْیًا بَیْنَهُمْ. آل عمران:۱۹

وقوله تعالی: وَقُلْ لِلَّذِینَ أُوتُوا الْکِتَابَ وَالأمِّیِّینَ أَأَسْلَمْتُمْ؟ آل عمران:۲۰

وقوله تعالی: وَإِذْ أخذ اللهُ مِیثَاقَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتَابَ لَتُبَیِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَکْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِیلاً فَبِئْسَ مَا یَشْتَرُونَ. آل عمران:۱۸۷

وقوله تعالی: کَالَّذِینَ أُوتُوا الْکِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَیْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ.(الحدید:۱۶)

وقوله تعالی: وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَیِّنَةُ. (البیّنة:۴)

وینبغی أن نسجل ثلاث ملاحظات علی هذا الآیات:

الأولی، أن تعبیر(ورثوا الکتاب، وأورثوا الکتاب، وأوتوا الکتاب)، وإن کان فیه مدح بأن الله تعالی آتاهم الکتاب، لکنه مدحٌ بنعمة أنعمها الله علیهم فلم یحفظوها، فهو فی جوهره ذمٌّ لهم، مضافاً إلی صفاتهم الأخری التی نصت علیها الآیات، کالکفر والفسق، ولذا قلنا إن سیاق الآیات هو الذم.

والثانیة، أن الذین(أوتوا نصیباً من الکتاب) هم نفس(أوتوا الکتاب) أو بعضهم وهذا التعبیر یدل علی أنهم استوعبوا شیئاً من الکتاب، أو طبقوه، بینما ضیعوا الباقی! فهو أیضاً ذم لهم ولیس مدحاً.

قال الله تعالی:أَلَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ أُوتُوا نَصِیبًا مِنَ الْکِتَابِ یُدْعَوْنَ إِلَی کِتَابِ اللهِ لِیَحْکُمَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ یَتَوَلَّی فَرِیقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ. آل عمران:۲۳

وقال تعالی: أَلَمْ تَرَ إِلَی الَّذِینَ أُوتُوا نَصِیبًا مِنَ الْکِتَابِ یُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَیَقُولُونَ لِلَّذِینَ کَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَی مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا سَبِیلاً. أُولَئِکَ الَّذِینَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ یَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِیرًا. النساء:۵۱-۵۲

والثالثة، أن إيتاء الكتاب فی هذه الآيات عام لكل الأمة، ومجمل لم يحدد فيه الأنبياءأو الأوصياء عليهم السلام أو العلماء الذين آتاهم الكتاب، ولا مستواهم العلمی لكن يوجد آية أخرى كشفت أن وصف هؤلاء المذمومين بأنهم ورثوا أو أورثوا أو أوتوا الكتاب، كان بسبب وجود الصالحين المصطفين منهم الذين أورثهم الله الكتاب، وإنما وصف به المذمومون لأنهم أممهم وقومهم!

قال تعالى: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِی الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِی بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ). (الأنعام:۸۳-۸۹)

وتعبير: أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ، يكشف عن أن هؤلاء هم أهل الكتاب وأصحابه وورثته الحقيقيين، وأن وصف غيرهم به مجازٌ بسبب وجودهم فيهم.

الصيغة الثانية: أورثنا الكتاب. وقد وردت فی آيتين فقط:

إحداهما، توريث الكتاب لبنی إسرائيل، وهی قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِی إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرَى لأُولِی الأَلْبَابِ. (غافر:۵۳-۵۴)، فذكرت أن إيتاء الكتاب وتنزيله كان لموسى عليه السلام، بينما توريثه لبنی إسرائيل.

والثانية، توريث القرآن للمصطفين من هذه الأمة، وهی الآية موضوع البحث:

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. (فاطر:۳۲).

وهذه الصيغة شبيهة بصيغة: آتيناهم الكتاب فی قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِی إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. (الجاثية:۱۶)

وقوله تعالى: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. (البقرة:۱۴۶).

ومن الملاحظات فی الصيغتين:

الأولى، أن المورِّث فی الآيتين هو الله تعالى، لكن المورَّث مختلف، فتوريث التوراة والإنجيل كان لبنی إسرائيل عامة، أما توريث القرآن فكان للمصطفين فقط! فقد تحدث سبحانه فی سورة فاطر من آية ۲۷، فی سياق متصل عن العلم والعلماء، ثم عن التالين لكتاب الله، ثم عن تنزيل هذا الكتاب على رسوله صلى الله عليه وآله مصدقاً لما بين يديه، ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، ولم يقل: ثم أورثناكم الكتاب، أو ثم أورثنا الأميين الكتاب، كما قال: وَأَوْرَثْنَا بَنِی إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرَى لأُولِی الأَلْبَابِ؟!

فما هو السر فی هذا العموم والخصوص فی التوريث الإلهی؟

الثانية، أن توريث الكتاب الإلهی يختلف معناه حسب المورَّثين، فتوريثه للأمة يعنی توريثه لأشخاص معينين منها مجازی للأمة وحقيقی لأفراد منها، أما توريثه لأشخاص فهو توريث حقيقی يعنی تعليمهم تفسيره وعلومه ليكونوا معلمين له. كما تقول إن فلاناً ورَّث علم الطب للشعب الفلانی، أو ورثه للأطباء الفلانيين، فلا بد من فی تفسيره من مراعاة التناسب بين التوريث والمورث!

والفرق الذی يبدو صغيراً هو كبير جداً، فتوريث الكتاب لبنی إسرائيل يعنی توريث علومه لأنبياءوأوصياء منهم وجعله فی متناول كل الأمة.

أما توريث الكتاب للمصطفين من أمة النبی صلى الله عليه وآله فيعنی توريث علومه لأئمة معينين، وجعله فی متناول من تبعهم.

الثالثة، لايمكن تفسير المصطفين ورثة الكتاب الإلهی، إلا بملاحظة الصفات المشابهة التی وصف بها القرآن حملة العلم الإلهی فی

هذه الأمة، كالذين عندهم علم الكتاب، والراسخين فى العلم، وأهل الذكر، فى قوله تعالى عن وصى سليمان عليهما السلام: قَالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِيَبْلُوَنِی أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فإنما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ كَرِيمٌ) (النمل:۴۰) وقوله تعالى عن وصى النبى صلى الله عليه وآله: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرسلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِی وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)(الرعد:۴۳) وقوله تعالى: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِی الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلا أُولُو الألْبَابِ). (آل عمران:۷)

وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجَالاً نُوحِی إِلَيْهِمْ فَاسْأَلوا أهل الذِّكرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (النحل:۴۳).

وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِی إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أهل الذِّكرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ) (الأنبياء:۷) وهى نفس الآية المتقدمة بدون كلمة: (مِن)!

وآية الشهود التالين للنبى صلى الله عليه وآله فى قوله تعالى: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إماماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِی مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ) (هود:۱۷) فهذه الآيات وغيرها، تعرفنا من هم المصطفوْن الذى خصهم الله فى هذه الأمة بوراثة القرآن. وكذلك أحاديث النبى صلى الله عليه وآله، ومثلها أحاديث أهل بيته الطاهرين عليهم السلام، لأن النبى صلى الله عليه وآله أرجع أمته إليهم وجعلهم عدل القرآن فى مثل قوله المتواتر صلى الله عليه وآله: إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى، فقولهم قوله وحديثهم حديثه، ومنهم يجب أن تأخذ الأمة كتاب الله وتفسيره.

۲- الظالم مطلقاً يستحيل أن يكون من المصطفيْن!

القاعدة العامة فى التفسير وكل بحث علمى، بل فى كل الحياة، أن لا نبيع اليقين بالشك، ولا المحكم بالمتشابه. ومن اليقين المحكم أن المصطفيْن من الله أشخاص اختارهم الله لأدوار فى الشعوب والأمم والعالم، لأنهم أهل لذلك، وأعطاهم ما يحتاجونه فى عملهم من علم وتأييد.

وهذا يقتضى طهارتهم وعصمتهم ووجوب اتباعهم.

وعندما نجد نصاً ظاهره أن المصطفيْن فيهم ظالمون عاصون لربهم، فيجب أن نتوقف فيه، لأن قبول ظاهره يعنى تخريب قانون الإصطفاء الإلهى، والطعن فى حكمة الله تعالى!

لهذا لا بد فى آية توريث الكتاب للمصطفين من أحد أمرين:

إما أن نجعل الظالم لنفسه قسماً من عبادنا وليس من المصطفين كما اختاره الشريف المرتضى رحمه الله، وغيره. قال فى مجمع البيان:۸/۲۴۵: (اختلف فى أن الضمير فى منهم إلى من يعود، على قولين، أحدهما: إنه يعود إلى العباد، وتقدير الكلام: فمن العباد ظالم. وروى نحو ذلك عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، واختاره المرتضى قدس الله روحه، من أصحابنا).انتهى.

وإما أن نجعل دخول الظالم لنفسه فى المصطفيْن مجازاً، لأنه منهم نسباً أو اتباعاً، كما فسره الإمام الرضا عليه السلام وهذا الذى أرجحه لأنه روى عن المعصوم عليه السلام، ولعل المرتضى لم يطلع عليه، وقد استدل له الإمام الرضا عليه السلام بقوله تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِی ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. (الحديد:۲۶) فكما أن جعل النبوة والكتاب فى بعض ذرية نوح وإبراهيم، لم يمنع أن يكون بعضهم الآخر فاسقين، فكذلك توريث الكتاب لعترة محمد صلى الله عليه وآله لم يمنع أن يكون بعض آخر منهم ظالم لنفسه.

وقد تقدمت روايته من عيون أخبار الرضا عليه السلام:۲/۲۰۷ وفيها: (فقالت العلماء: أراد الله عز وجل بذلك الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قالوا ولكنى أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة. فقال المأمون:

وكيف عنى العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة لكانت أجمعها فى الجنة لقول الله عز وجل: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير، ثم جمعهم كلهم فى الجنة فقال عز وجل: جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب، الآية. فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله فى كتابه فقال عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله:إنى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى إلا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفون فيهما. أيها الناس لا- تعلموهم فإنهم أعلم منكم. إلى أن قال: أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟ فقال من قول الله عز وجل: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ، فصارت وراثه النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين). انتهى.

۳- تعميمهم للمفردات الخاصة، وتمييعهم للقوانين الحاسمة!

ليست محاولة علماء السلطة فى التعميم والتمييع فى تفسير الآية، إلا واحدة من منهج ابتدعوه فى التفسير، كشفنا جانباً منه فى المجلد الثانى من كتاب (ألف سؤال وإشكال- المسألة۱۶۳)، وقد ارتكبوا هنا تعميمين للكتاب والمصطفيْن، وتمييعين لتوريث الكتاب، وقانون الثواب والعقاب:

فقد عمموا الكتاب فى قوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فجعلوه كل كتاب إلهى، مع أن السياق يتحدث عن القرآن، فالآية التى قبلها: وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا..الآية. فعدلوا عن السياق بلاحجة!

وكأن هدف كعب الأحبار من توسيع المصطفيْن وتوسيع الكتاب، أن يعطى الشرعية للتوراة والثقافة اليهودية وأنها مورَّثة لهذه الأمة، ويعطى لنفسه مقام مستشار الخلافة فى علم الكتاب كله التوراة والإنجيل والقرآن! وإلا فأين التوراة والإنجيل اللذين ورثتهما الأمة، وعند مَنْ يوجدان؟!

أما لو اعترف كعب بأن القرآن هو المورَّث لفئة من هذه الأمة، فلا بد أن تكون عترة النبى صلى الله عليه وآله، فيكون أخرج نفسه وعلمه من الساحة، وأوجب على الأمة أن ترجع إلى العترة ورثة القرآن ومعادله، كما أمرها نبيها صلى الله عليه وآله!

وقد استطاع كعب أن يقنع عمر بذلك وبأشياء كثيرة، لا يتسع لها هذا الكتاب!

ولا نطيل الكلام فى وقوف كعب وراء هذه التعميمات والتمييعات ودوافعه، ونكتفى بالقول إن المقصود بالكتاب فى الآية هو القرآن بحكم السياق، ولا دليل إلا التحكم لمن ادعى تعميمه لكل كتاب إلهى.

وأما جعله الظالمين من المصطفيْن وأهل الجنة، فهو جزءٌ من خطته فى فتح أبواب الجنة لجميع الناس، وهو أمر عمل له كعب وأطاعه فيه عمر حتى قال بشمول الشفاعة لجميع الخلق، ثم قال إن النار تفنى وينقل أهلها إلى الجنة! (راجع المسألة۱۵۵ من كتابنا (ألف سؤال وإشكال)، والمجلد الثالث من العقائد الإسلامية).

وأما معنى المصطفيْن الذين أورثهم الله الكتاب، فلا يصح أن يكونوا إلا جماعة خاصين بحكم الظهور المستحكم للكلمة، وهم عترة النبى صلى الله عليه وآله الذين قرنهم بالقرآن وجعلهم عدلاً له، وسماهما الثقلين! وتؤيد ذلك الأدلة الكثيرة لاصطفاء العترة النبوية، التى رواها المؤالف والمخالف.

ولا دليل من عقل ولا نقل على زعم كعب أنهم كل الأمة، ولا زعم غيره أنهم الصحابة، إلا الإستحسان الظنى، أو التحكم، لمصادرة ما خص الله به عترة نبيه صلى الله عليه وآله وأعطاؤها لغيرهم!

فلو كان الصحابة هم المصطفوْن ورثة الكتاب، لَمِا أوجب النبى صلى الله عليه وآله على أمته التمسك بالثقلين الكتاب والعترة فى حديث الثقلين المتواتر عند الجميع، ولَمَا أمر الأمة أن يقرنوا العترة بالنبى صلى الله عليه وآله والصلاة عليهم معه فى صلواتهم!

ثم لو سلمنا أن المقصود بهم الصحابة، لكان أهل البيت أولى بوراثة الكتاب أيضاً، لأنهم صحابة وعترة!

وخامساً، كيف يكون الصحابة مصطفيْن، وقد أخبر النبی صلی الله علیه وآله فی أصح كتب أتباعهم بأن أكثرهم يدخلون جهنم، ولا ينجو منهم إلا مثل هَمَل النعم!

قال البخاری:۷/۲۰۸: (عن أبی هريرة عن النبی(ص)قال: بينا أنا قائمٌ فإذا زمرةٌ حتی إذا عرفتهم خرج رجل من بينی وبينهم فقال: هلمَّ، فقلت أين؟ قال إلی النار والله! قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك علی أدبارهم القهقری! ثم إذا زمرة حتی إذا عرفتهم خرج رجل من بينی وبينهم فقال: هلمَّ! قلت: أين؟قال: إلی النار والله! قلت: ماشأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك علی أدبارهم القهقری! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم)! انتهی.

ولم تصرح رواية البخاری هذه بإسمهم، لكن صرحت روايته الأخری بالصحابة وفسرها شراحه بهم! قال فی صحيحه:۲/۹۷۵: (يرد علی الحوض رجالٌ من أصحابی فيحلؤون عنه فأقول يارب أصحابی! فيقول: فإنه لاعلم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا علی أعقابهم القهقری)! (وشبيهاً به فی: ۸/۸۶و:۷/۱۹۵و۲۰۷ـ۲۱۰ وص۸۴ و۸۷ و:۸/۸۶ و۸۷، ونحوه مسلم:۱/۱۵۰ و:۷/۶۶ وابن ماجة:۲/۱۴۴۰وأحمد:۲/۲۵و۴۰۸ و:۳/۲۸ و:۵/۲۱ و۲۴ و ۵۰ و:۶/۱۶، والبيهقی فی سننه:۴/ ۱۴، وغيرهم).

أما دعوی كعب وعمر ومن وافقهما بأن المصطفيْن كل الأمة، فيرد عليها:

أولاًـ أنه لادليل عليها من عقل ولاـ نقل، فإن الله تعالی قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، وظاهره أنه انتخب عباداً خاصين فأورثهم الكتاب، ولا دليل لهم علی أنهم كل الأمة إلا التحكم المحض، أو الإستحسان والتخرص!

وثانياً، كيف يتجرأ مسلم أو عاقل علی القول إن كل المسلمين مصطفوْن يدخلون الجنة بمن فيهم الظالم والمنافق! ويرفع يده عن آيات القرآن التی تنص علی دخول أصناف من هذه الأمة جهنم؟!

فأين قول الله تعالی: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِی جَهَنَّمَ خَالِدُونَ.(المؤمنون:۱۰۳)وعشرات الآيات التی تدفع هذا الزعم وتردهذه الأمانی، ومنها قوله تعالی: لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أهل الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا. (النساء:۱۲۳)

وأين قول رسول الله صلی الله عليه وآله الذی تقدم فی أكثر أصحابه: (قلت: ماشأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك علی أدبارهم القهقری! فلا أراه يخلص منهم إلا مثل هَمَل النعم)!

إنه لامناص لمن جعل المصطفيْن ورثة الكتاب كل الأمة، من تخريب قانون الجزاء والعقاب الإلهی! كما لامناص له من تمييع معنی التوريث، وجعله توريثاً شكلياً لايتعدی توريث أوراق القرآن، لأنه لايعترف بمركز لهذا التوريث، وإن سألته عن علم القرآن الذی ورثه الله للأمة أين هو؟ لقال عند جميع الأمة! وهو يعرف أن كبير الصحابة عمر لايعرف معنی مفردات القرآن مثل(وفاكهةً وأبًا)؟!

وثالثاً، إن روايات أهل البيت عليهم السلام

التوريث الإلهی للكتاب مقام عظيم

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أين الذين زعموا أنهم الراسخون فی العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم! بنا يستعطی الهدی، ويستجلی العمی إن الأئمة من قريش، غرسوا فی هذا البطن من هاشم، لا تصلح علی سواهم، ولاتصلح الولاة من غيرهم). (نهج البلاغة:۲/۲۷).

وقال عليه السلام: (والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم فی حيِّزنا، فكانوا كما قال الأول:

أدمتَ لعمری شُرْبَك المحْضَ صابحاًوأكلك بالزبد المقشرةَ البُجْر

ونحن وهبناكَ العلاءَ ولم تكن علياً وحُطنا حولك الجُرْدَ والسُّمْرا).

(نهج البلاغة:١/٨٢)

وقال الإمام الباقر عليه السلام:في قوله تعالى: أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً: نحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلق الله أجمعين! فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عظيماً، يقول: جعلنا منهم الرسل والأنبياءوالأئمة، فكيف يقرُّون به فى آل إبراهيم عليه السلام وينكرونه فى آل محمد صلى الله عليه وآله؟!

قال الراوى بريد العجلى: قلت: وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً؟ قال: الملك العظيم أن جعل فيهم أئمةً مَن أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله، فهوالملك العظيم). (الكافى:١/٢٠٥)

آيات الإستخلاص والإجتباء الإلهى

اخلاص الدين لله تعالى

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. أَلا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إلى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِى مَنْ هُوَكَاذِبٌ كَفَّارٌ. (الزمر:٢-٣).

قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لأن أَكُونَ أَوَلَ الْمُسْلِمِينَ. وَأُمِرْتُ لأن أَكُونَ أَوَلَ الْمُسْلِمِينَ. قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمِ عَظِيم. قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِى. فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. (الزمر:١١-١٥).

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِى اللهِ وَهُوَرَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُم أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ. (البقرة:١٣٩).

إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا. (النساء:١٤۶)

وَمَاتَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ. وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلوةَ وَيُؤتُوا الزَّكوةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَة.(البيّنة:۴- ۵).

دعاء الله بانقطاع و إخلاص

وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ. (الأعراف:٢٩).

فَادْعُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. (غافر:١۴).

هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. (غافر:۶۵).

وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. (يونس:٢٢).

فَإِذَا رَكِبُوا فِى الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إلى الْبَرِّ إذَا هُمْ يُشْرِكُونَ. (العنكبوت:۶۵).

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إلى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إلا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ. (لقمان:٣٢).

المخلصون المستخلصون

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ. (يوسف:٢۴).

وَقَالَ الْمَلِکُ ائْتُونِی بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِی فَلَمَّا کَلَّمَهُ قَالَ إِنَّکَ الْیَوْمَ لَدَیْنَا مَکِینٌ أَمِینٌ. (یوسف:۵۴).

فَلَمَّا اسْتَیْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِیًّا قَالَ کَبِیرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنْ أَبَاکُمْ قَدْ أخذ عَلَیْکُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِی یُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأرض حَتَّی یَاذَنَ لِی أبی أَوْ یَحْکُمَ اللهُ لِی وَهُوَخَیْرُ الْحَاکِمِینَ. (یوسف:۸۰).

ابراهیم وموسی وغیرهما من المخلصین علیهم السلام

وَاذْکُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِیمَ وَإِسْحَاقَ وَیَعْقُوبَ أُولِی الأَیْدِی وَالأبصار. إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِکْرَی الدَّارِ. وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَیْنَ الأخیَارِ. (صاد:۴۵-۴۷).

وَاذْکُرْ فِی الْکِتَابِ مُوسَی إِنَّهُ کَانَ مُخْلَصًا وَکَانَ رسولاً نبیاً. (مریم:۵۱).

المخلصون ناجون من الضلال والهلاک

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَکْثَرُ الأولینَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِیهِمْ مُنْذِرِینَ. فَانْظُرْ کَیْفَ کَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِینَ. إلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِینَ. (الصافات:۷۱-۷۴).

أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِینَ. اللهَ رَبَّکُمْ وَرَبَّ آبَائِکُمُ الأولینَ. فَکَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. إلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِینَ. (الصافات:۱۲۵-۱۲۸).

المخلصون مقربون من الله و لیسوا أبناءه

وَجَعَلُوا بَیْنَهُ وَبَیْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا یَصِفُونَ. إلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِینَ. (الصافات:۱۵۸-۱۶۰).

المخلصون ناجون من العذاب مکرمون فی الجنهٔ

إِنَّکُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِیمِ. وَمَا تُجْزَوْنَ إلا مَا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. إلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِینَ. أُولَئِکَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ. فَوَاکِهُ وَهُمْ مُکْرَمُونَ. (الصافات:۳۸-۴۲).

یتمنی غیر المخلصین أن یکونوا منهم

وَإِنْ کَانُوا لَیَقُولُونَ. لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِکْرًا مِنَ الأولینَ. لَکُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِینَ. (الصافات:۱۶۷-۱۶۹)

معنی الإخلاص والمخلص

قال الراغب فی المفردات ص۱۵۴:(الخالص کالصافی، إلا أن الخالص هو ما زال عنه شوبه بعد أن کان فیه، والصافی قد یقال لما لا شوب فیه، ویقال خلصته فخلص....وقوله: ونحن له مخلصون. إنه من عبادنا المخلصین، فإخلاص المسلمین أنهم قد تبرؤوا مما یدعیه الیهود من التشبیه والنصاری من التثلیث، قال تعالی: مخلصین له الدین، وقال: لقد کفر الذین قالوا إن الله ثالث ثلاثهٔ، وقال: وأخلصوا دینهم لله، وهو کالأول، وقال: إنه کان مخلصاً وکان رسولاً نبیاً. فحقیقهٔ الإخلاص: التبری عن کل ما دون الله تعالی). انتهی.

والظاهر أن تسمیهٔ الشئ خالصاً لیس بسبب تخلیصه من الشَّوْب، بل بسبب أنه فی معرض الشَّوْب، وإن کان من أصله خالصاً لم یَمَسَّه شَوْب فی وقت ما.

ومعنی إخلاص الدین لله تعالی:توحیده توحیداً کاملاً، قال أمیر المؤمنین علیه السلام:

(وکمال معرفته التصدیق به، وکمال التصدیق به توحیده، وکمال توحیده الإخلاص له، وکمال الإخلاص له نفی الصفات عنه، لشهادهٔ کل صفهٔ أنها غیر الموصوف، وشهادهٔ کل موصوف أنه غیر الصفهٔ). (نهج البلاغهٔ:۱/۱۴)

هـذا هو الإخلاص النظرى العقـدى، أما الإخلاص العملى فهو الطاعـة الكاملـة لله تعالى بالقيام بما أوجبه وترك مانهى عنه، وإخلاص النية له فى كل ذلك.

فى تحف العقول لابن شعبة الحرانى ص۸۶ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (رأس الدين صحة اليقين، وتمام الإخلاص تجنبك المعاصى).

وفى معانى الأخبار للصدوق ص۲۶۰:(أن جبرئيل عليه السلام جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى أرسلنى إليك بهدية لم يعطها أحداً قبلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قلت: وما هى؟ قال: الصبر وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: الرضا وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال قال: الإخلاص وأحسن منه، قلت: وما هو؟ قال: اليقين....الى أن قال:

قلت: يا جبرئيل فما تفسير الإخلاص؟ قال: المخلص الذى لا يسأل الناس شيئاً حتى يجد، وإذا وجد رضى، وإذا بقى عنده شئ أعطاه فى الله، فإن من لم يسأل المخلوق فقد أقر لله عز وجل بالعبودية، وإذا وجد فرضى فهو عن الله راض والله تبارك وتعالى عنه راض، وإذا أعطى لله عز وجل فهو على حد الثقة بربه عز وجل. قلت: فما تفسير اليقين؟ قال: الموقن يعمل لله كأنه يراه فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه، وأن يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهذا كله أغصان التوكل ومدرجة الزهد). انتهى.

وفى الكافى:۱/۱۸۱:(عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إنكم لاتكونون صالحين حتى تعرفوا، ولا تعرفوا حتى تصدقوا، ولا تصدقوا حتى تسلموا. أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها، ضل أصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً بعيداً. إن الله تبارك وتعالى لا يقبل إلا العمل الصالح ولا يقبل الله إلا الوفاء بالشروط والعهود، فمن وفى لله عز وجل بشرطه واستعمل ما وصف فى عهده نال ما عنده، واستكمل ما وعده، إن الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون، فقال: وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى، وقال: إنما يتقبل الله من المتقين، فمن اتقى الله فيما أمره لقى الله مؤمناً بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله، هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا، وأشركوا من حيث لا يعلمون.

إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى، ومن أخذ فى غيرها سلك طريق الردى، وصل الله طاعة ولى أمره بطاعة رسوله، وطاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله، وهو الإقرار بما انزل من عند الله عز وجل، خذوا زينتكم عند كل مسجد، والتمسوا البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فإنه أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.

إن الله قد استخلص الرسل لأمره، ثم استخلصهم مصدقين بذلك فى نذره، فقال: وإن من أمة إلا خلا فيها نذير. تاهَ من جهل، واهتدى من أبصر وعقل، إن الله عز وجل يقول: فإنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور، وكيف يهتدى من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبر؟

إتبعوا رسول الله وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وأقروا بما نزل من عند الله، واتَّبعوا آثار الهدى، فإنهم علامات الأمانة والتقى). انتهى.

دلالة الإستخلاص الإلهى على العصمة

يدل لقب المُخْلَص بالفتح، على عصمة صاحبه، لأن الله تعالى استخلصه، أى أنه استحق بعمله وتخليصه لفكرَه ونياته من الشوائب، أن يتقبله الله تعالى لنفسه فيجعله من المخلَصين له، وذلك يقتضى أنم يحميه حماية تامة من شوائب نية المعصية فضلاً عن فعلها.

وهذا معنى المعصوم فقد قال الإمام الصادق عليه السلام فى تعريفه: (المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم). انتهى.(معانى الأخبار للصدوق: ص۱۳۲).

وقد بيَّن الله تعالى أن عباده المخلَصين لهم علاقة خاصة معه، لكن ليست علاقة نسب ومصاهرة كما يتصورها بعض الناس! قال تعالى:

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ. إلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ. (الصافات:١٥٨-١٦٠).

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رسولاً نبياً. (مريم:٥١).

وقال عن يوسف عليه السلام:وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ. (يوسف:٢۴).

فقوله: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ، تعليلٌ لصرف السوء والفحشاء عنه، ومعناه أن يوسف عليه السلام لمَّا كان عبداً مخلَصاً مستخلصاً لنا، فقد صرفنا عنه الضرر والمعصية، فمقام الإستخلاص يستوجب هذه الدرجة العالية من العصمة والرعاية!

ومع هذا النص الإلهي، فلا قيمة لكل ما رووه من أن يوسف عليه السلام قد همَّ بالمعصية وفكر بالزنا، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة! معاذ الله!

فكل ذلك إسرائيليات اليهود وطعنهم بيوسف عليه السلام، تلقفها عنهم رواة السلطة!

بل همَّت به لنفسها، وهمَّ بها أن يضربها، فرأى برهان ربه يقول له: أهرب ولا تضربها! فلو ضربها لرآه زوجها الذى كان لدى الباب، ولادَّعت عليه بأنه أرادها فلم تقبل فضربها! وللحق به السوء أى القتل! فدفع الله عنه بإخلاصه واستخلاصه السوء والضرر من زوجها، كما دفع عنه الفحشاء من أول ما راودته عن نفسه، وبقيت نيته خالصة لله تعالى، لم يشبها عمل ولا تفكير ولا نية بالفحشاء والزنا.

وقد تقدم قول الإمام الرضا عليه السلام من العيون:٢/١٧٠: (وأما قوله عز وجل فى يوسف: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا، فإنها همت بالمعصية وهمَّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما تداخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عز وجل: كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ.(يوسف: ٢۴) يعنى القتل والزنا).

أما جواب من تخيل أن معنى (همَّ بها) فكَّر بالمعصية، فهو:

أن معنى فعل(همَّ به) فى اللغة: أراد به الضرر، فإن وُجدت قرينة صُرِف عن معناه بحسبها، وإلا بقى عليه. ومراودة زليخا ليوسف عليه السلام قرينةٌ على أن معنى (همَّتْ به) أرادته لنفسها، لكن لاقرينة توجب صرف (همَّ بها) فى يوسف عليه السلام عن معناها الأصلى، فيبقى معناه: هم أن يضربها كما ورد به الحديث.

وينبغى الغلفات إلى أن نوع الضرر المقصود بـ(همَّ به)قد يُصَرَّح به كقوله تعالى: وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ،(التوبة:١٣)، وقد يعرف بالقرينة كقوله تعالى:يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا. (التوبة:٧۴) أى بقتل النبى صلى الله عليه وآله كما دل الحديث.

وفى مسند أحمد:٢/۴١٦ والبخارى٣/٦١: (أن رجلاً أتى رسول الله يتقاضاه فأغلظ له قال فهمَّ به أصحابه، فقال: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً). انتهى.

أى همَّ المسلمون بطرده أو ضربه أو إيذائه، حيث لم يرد أن المسلمين هموا بقتل أحد فى حضور النبى صلى الله عليه وآله بدون أمره. وفى البحار:٣٠/٨٥، فى قصة يهودى مع أبى بكر: (فوقف عليه وقال: إنى أريد أن أسألك عن أشياء لايعلمها إلا نبى أو وصى نبى. فقال أبو بكر: سل عما بدا لك؟ فقال اليهودى: أخبرنى عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لايعلمه الله؟ فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة! يا يهودى أو فى السماء شئ لا يعلمه الله؟ وهمَّ به المسلمون، وكان فى القوم ابن عباس فقال: ما أنصفتم الرجل! قال أبو بكر: أوَما سمعت ما تكلم به؟! فقال ابن عباس: إن كان عندكم جواب، وإلا فاذهبوا به إلى من يجيبه، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلى بن أبى طالب: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه...). انتهى.

فقوله (وهم به المسلمون) أى هموا بضربه، أو إيذائه.

على أن قوله تعالى: لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ، كافٍ لتفسير معنى همَّ بها، فمَن استخلصه الله تعالى لايمكن أن يهمَّ بالفحشاء!

وهنا يأتى دور فهم الفعل الإلهى فى الإستخلاص وغيره، وأنه فعلٌ من عالم حكيم رحيم، بالعلم المطلق والحكمة المطلقة والرحمة الشاملة، فلا يصح أن نتصوره كأفعالنا القاصرة المحدودة!

وقد كشف لنا عز وجل أن استخلاصه عز وجل ليوسف عليه السلام يستوجب صرف السوء عنه، أى منع الغير من الإضرار به، وصرف الفحشاء عنه، أى جعل عقله وتقواه عليه السلام هما المسيطرين الحاكمين على نوازعه الجسدية.

ولئن صح الإستثناء فى صرف الله للسوء عن الأنبياءوالأوصياء عليهم السلام أو السماح به تجاههم لحِكَمٍ يعلمها سبحانه، فإن الإستثناء فى صرف الفحشاء لايمكن، لأنه أمر يتعلق بفعل المستخلص فهومن لوازم الإستخلاص دائماً.

أما كيف تتم عصمة المستخلَص، فقد يكون من وسائلها (رصد الملائكة)، وقد يكون البرهان الذى أراه الله ليوسف عليه السلام أن الملك هتف به كما فى الرواية.

وقد بيَّن الله تعالى أنه يستعمل رصد الملائكة لحفظ معلومة عن الغيب يخبر بها رسوله، فقال: قُلْ إن أدرى أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أم يَجْعَلُ لَهُ ربى أَمَدًا. عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً. إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فإنه يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أن قَدْأَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْ‌ءٍ عدداً. (الجنّ:۲۵-۲۸)

والإستخلاص مقامٌ أعظمُ من حفظ ما يخبر به الله رسوله من الغيب، فلا بد أن تكون وسائل حفظ المستخلص أكثر تفصيلاً من حفظ الغيب المخبر به.

هذا، وفى هذه الآيات أبحاث أخرى لايتسع المجال لاستيفائها.

آيات الإجتباء تشبه آيات الإستخلاص

اجتبى الله آدم عليه السلام وعصمه

قال تعالى: وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى. (طَه:۱۲۱-۱۲۲).

إبراهيم صلى الله عليه وآله أبو المجتبين وأبو الأنبياء

قال تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. (النحل:۱۲۰-۱۲۱).

المجتبون الهداة عليهم السلام شخصيات وأسر هم قدوات البشرية

قال تعالى: وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ. وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَإِلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ. (الأنعام:۸۳-۹۰).

وقال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا. (مريم:۵۸).

إجتباء يوسف عليه السلام وتعليمه من علم الغيب

وقال تعالى: قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأحاديث وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ. (يوسف:۵-۶)

اجتباء بعض الأنبياء عليه السلام يعنى رفع درجتهم

وقال تعالى: لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَمَذْمُومٌ. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. (القلم:۴۹-۵۰).

إجتباء المؤمنين مستمر فى هذه الأمة بعد النبى صلى الله عليه وآله

قال الله تعالى: شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ.(الشورى:۱۳).

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَجَاهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَسَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَوةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَمَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ. (الحج:۷۷-۷۸).

وقال تعالى: مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِى مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ. (آل عمران:۱۷۹).

فى مفردات الراغب ص۸۷: (واجتباء الله العبد تخصيصه إياه بفيض إلهى يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعى من العبد وذلك للأنبياءوبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء كما قال تعالى: وكذلك يجتبيك ربك. فاجتباه ربه فجعله من الصالحين. واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم. وقوله تعالى: ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. وقال عز وجل: يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب. وذلك نحو قوله تعالى: إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار).

وفى أساس البلاغة لزمخشرى ص۱۷۲: (واجتباه: اختاره. مستعار منه لأن من جمع شيئاً لنفسه فقد اختصه واصطفاه، وهو من جبوة الله وصفوته). انتهى.

والإجتباء على مقام عظيم لكنه أعم من الإستخلاص فى موضوعه، لأنه يشمل غير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام كالمؤمنين من هذه الأمة، قال تعالى: وَجَاهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ.

ولا بد أنه أعم من الإستخلاص فى وسائله أيضاً، ولذلك لا يدل على العصمة إلا بقرينة، كما فى آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام.

ونكتفى بغيراد بعض الأحاديث فى الإجتباء والمجتبيْن:

ففى الكافى:۱/۴۴۴: من خطبة للإمام الصادق عليه السلام:(فلم يمنع ربنا لحلمه وأناته وعطفه ما كان من عظيم جرمهم وقبيح أفعالهم، أن انتجب لهم أحب أنبيائه إليه وأكرمهم عليه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله فى حومة العز مولده، وفى دومة الكرم محتده، غير مشوب حسبه ولا ـ ممزوج نسبه، ولا ـ مجهول عند أهل العلم صفته، بشرت به الأنبياء فى كتبها، ونطقت به العلماء بنعتها، وتأملته الحكماء بوصفها...الخ.)

وفى الكافى:۸/۳۷۰: (عن إبراهيم بن أبى زياد الكرخى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثى ربا وكان أبوه من أهلها وكانت أم إبراهيم وأم لوط سارة وورقة أختين وهما ابنتان للاحج وكان لاحج نبياً م نذراً ولم يكن رسولاًـوكان إبراهيم فى شبيبته على الفطرة التى فطر الله عز وجل الخلق عليها، حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباه، وإنه تزوج سارة ابنة لاحج وهى ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملَّكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثى ربا رجل أحسن حالاً منه).

وفى الإحتجاج:۱/۱۳۳، من خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام قالت:

(وأشهد أن أبى محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بما يلى الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بموقع الأمور. ابتعثه

الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه).

وفى تفسير الثعالبى:۱/۲۲۱: (قوله تعالى: وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى. فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وقيل بل أكلها، وهو متأول، وهو لا يعلم أنها الشجرة التى نهى عنها، لأنه تأول نهى الله تعالى عن شجرة مخصوصة لاعلى الجنس، ولهذا قيل: إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة، وقيل: تأول أن الله تعالى لم ينهه عنها نهى تحريم).

وفى تفسير الثعالبى:۳/۱۰۲: (وينزه آدم وحواء عن طاعتهما لإبليس، ولم أقف بعد على صحة ما روى فى هذه القصص، ولو صح لوجب تأويله، نعم روى الترمذى عن سمرة بن جندب، عن النبى(ص)قال: لما حملت حواء، طاف بها إبليس وكان لايعيش لها ولد، فقال لها سميه عبد الحارث، فسمته عبد الحارث فعاش ذلك، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره! قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب انفرد به عمر بن إبراهيم عن قتادة، وعمر شيخ بصرى. انتهى. وهذا الحديث ليس فيه أنهما أطاعاه، وعلى كل حال: الواجب التوقف والتنزيه لمن اجتباه الله وحسن التأويل ما أمكن، وقد قال ابن العربى فى توهين هذا القول وتزييفه: وهذا القول ونحوه مذكور فى ضعيف الحديث فى الترمذى وغيره، وفى الإسرائيليات التى ليس لها ثبات، ولا يعول عليها من له قلب، فإن آدم وحواء وإن كانا غرهما بالله الغرور فلا يلدغ المؤمن من حجر مرتين، وما كانا بعد ذلك ليقبلا له نصحاً ولا يسمعاً له قولا، والقول الأشبه بالحق: أن المراد بهذا جنس الآدميين). انتهى.

آيات نفى سلطان الشيطان على المخلصين

قال الله تعالى: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِى لأزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأرض وَلأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إلا عِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلا مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْغَاوِينَ. (الحجر:۳۹-۴۲).

وقال تعالى: قَالَ فَبِعِزَّتِکَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين. إلاعِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ.(ص:۸۲-۸۳).

وقال تعالى: قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَکَ مِنْهُمْ فإن جَهَنَّمَ جَزَاؤُکُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا. وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِکَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِکَ وَرَجِلِکَ وَشَارِکْهُمْ فِى الأمْوَالِ وَالأولادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلا غُرُورًا. إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَکَفَى بِرَبِّکَ وَکِيلاً. (الإسراء:۶۳-۶۵).

وقال تعالى:فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم. إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَکَّلُونَ. إنما سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِکُونَ. (النحل:۹۸-۱۰۰).

وقال تعالى: إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إلا شَيْطَانًا مَرِيدًا. لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لاتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِکَ نَصِيباً مَفْرُوضاً. (النساء:۱۱۷-۱۱۸).

وجه دلالتها على العصمة

نصت الآيات الكريمة على أن عباد الله المخلصين لاسبيل للشيطان عليهم، وهذا يعنى عصمتهم. أما الإشكالات التى قد تورد على هذا الإستدلال فهى مردودة، وهذه خلاصة لها ولأجوبتها:

الأول: أن مصادر الشر ثلاثة: الشيطان والنفس والناس، فنفى تأثير الشيطان عن إنسان لايعنى نفى تأثير مصادر الشر الأخرى، فيبقى فى معرض المعصية.

وجوابه: أن المفهوم من آيات نفى تأثير الشيطان وأحاديثها، أن هذه الدرجة لاتعطى لإنسان إلا بعد أن يكون غالباً لهواه قوياً إمام تأثير الناس، فبها تكتمل نعمة الله على الإنسان المخلَص بالعصمة. وسنورد طرفاً من أحاديثها.

والإشكال الثانى: أن نفى سلطان الشيطان فى قوله تعالى: إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، وقوله تعالى: إلاعِبَادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ،

یعنی نفی سلطنته الکاملة علی سلوک الإنسان ولاینفی بقاء تأثیره إلی حد، وهذا ینافی العصمة.

وجوابه: أن الله تعالی نفی سلطان الشیطان عن جمیع الناس فی قوله تعالی: وَمَا کَانَ لِی عَلَیْکُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إلا أنْ دَعَوْتُکُم فَاسْتَجَبْتُمْ لِی فَلا تَلُومُونِی وَلُومُوا أَنْفُسَکُمْ، (ابراهیم:۲۲) وقوله تعالی: فَاتَّبَعُوهُ إلا فَرِیقًا مِنَ الْمُؤْمِنِینَ. وَمَا کَانَ لَهُ عَلَیْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ.. (سبأ:۲۰-۲۱). ثم نفاه فی الآیة عن عباد الله الخاصین المستخلصین، فدل ذلک علی أنه معناه نفی مطلق التأثیر، وإلا لکان تخصیصه بعباده الخاصین لغواً.

والإشکال الثالث:أن عبادی فی قوله تعالی: إنَّ عِبَادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطَانٌ (الحجر:۴۲والإسراء:۶۵)، لاتعنی عباد الله الخاصین بل کل العباد، فلا تبقی میزة للمخلصین فی نفیها عنهم لتدل علی امتیازهم بها، فضلاً عن عصمتهم.

قال صاحب المیزان:۱۲/۱۶۶: (فإذا أمعنت فی الآیة وجدتها ترد علی إبلیس قوله لأغوینهم أجمعین إلا عبادک منهم المخلصین، من ثلاث جهات أصلیة:

إحداها، أنه حصر عباده فی المخلصین منهم ونفی عنهم سلطان نفسه وعمم سلطانه علی الباقین. والله سبحانه عمم عباده علی الجمیع، وقصر سلطان إبلیس علی طائفة منهم، وهم الذین اتبعوه من الغاوین، ونفی سلطانه علی الباقین.

والثانیة، أنه لعنه الله ادعی لنفسه الإستقلال فی إغوائهم کما یظهر من قوله لأغوینهم فی سیاق المخاصمة والتقریع بالإنتقام. والله سبحانه یرد علیه بأنه منه مزعمةٌ باطلة وإنما هو عن قضاء من الله وسلطان بتسلیطه، وإنما ملکه إغواء من اتبعه وکان غاویاً فی نفسه وبسوء اختیاره، فلم یأت إبلیس بشیء من نفسه، ولم یفسد أمراً علی ربه، لا فی إغوائه أهل الغوایة فإنه بقضاء من الله سبحانه أن یستقر لأهل الغوایة غیهم بسببه.

وقد اعترف لعنه الله بذلک بعض الإعتراف بقوله رب بما أغویتنی ولا فی استثنائه المخلصین فإنه أیضاً بقضاء من الله نافذ فلا حکم الا لله. وهذا الذی تفیده الآیة الکریمة أعنی تسلیط إبلیس علی إغواء الغاوین الذین هم فی أنفسهم غاوون وتخلیص المخلصین وهم مخلصون فی أنفسهم من کیده، کل ذلک بقضاء من الله مبنی علی أصل عظیم یفیده التوحید القرآنی المفاد بأمثال قوله تعالی: إن الحکم إلا لله،(یوسف:۶۷) وقوله: وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فی الأولی والآخرة وله الحکم، (القصص:۷۰) وقوله: الحق من ربک (آل عمران:۶۰) وقوله: ویحق الله الحق بکلماته، (یونس:۸۲)، وغیر ذلک من الآیات الدالة علی أن کل حکم إیجابی أو سلبی فهو مملوک لله نافذٌ بقضائه.

ومن هنا یظهر ما فی تفسیرهم قوله: إلا من اتبعک من الغاوین، من المسامحة فإنهم قالوا إنه إذا قبل من إبلیس واتبعه صار له سلطان علیه بعدوله عن الهدی إلی ما یدعوه إلیه من الغی، وظاهره أنه سلطان قهری یحصل لإبلیس عن سوء اختیارهم لیس من عند نفسه، ولا بجعل من الله سبحانه.

وجه الفساد: أن فیه أخذ الإستقلال والحول الذاتی من إبلیس وإعطاؤه ذوات الأشیاء، ولو کان إبلیس لایملک شیئاً من عند نفسه وبغیر إذن ربه، فالأشیاء والأمور أیضاً لاتملک لنفسها شیئاً ولا حکماً حتی الضروریات ولوازم الذوات، إلا بإذن من الله وتملیک فافهمه.

والثالثة، إن سلطانه علی إغواء من یغویه وإن کان بجعل وتسلیط من الله سبحانه، إلا أنه لیس بتسلیط علی الإغواء والإضلال الإبتدائی غیر الجائز إسناده إلی ساحته سبحانه، بل تسلیط علی الإغواء بنحو المجازاة المسبوق بغوایتهم من عندهم وفی أنفسهم. والدلیل علی ذلک قوله تعالی: إلاـ من اتبعک من الغاوین فإبلیس إنما یغوی من اتبعه بغوایته، أی أن الإنسان یتبعه بغوایته أولاًـفیغویه هو ثانیاً، فهناک غوایة بعدها إغواء والغوایة إجرام من الإنسان والإغواء بسبب إبلیس مجازاة من الله سبحانه. ولو کان هذا الإغواء إغواء ابتدائیاً من إبلیس لمن لا یستحق ذلک لکان هو الألیق باللوم دون الإنسان، کما یذکره یوم القیامة علی ما یحکیه سبحانه بقوله: وما کان لی علیکم من سلطان إلا أن دعوتکم فاستجبتم لی فلا تلومونی ولوموا أنفسکم. إبراهیم: ۲۲، فاللوم علی الإنسان المجرم وهو مسؤول عن معصیته دون إبلیس. نعم إبلیس ملوم علی ما یتلبس به من الفعل بسوء اختیاره وهو الإغواء الذی سلطه الله علیه، مجازاةً لما امتنع من

السجود لآدم لما أمر به. فالإغواء هو الذى استقرت ولايته عليه كما يشير سبحانه إليه فى موضع آخر من كلامه إذ يقول: إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون، الأعراف: ۲۷، وقال تعالى وهو أوضح ما يؤيد جميع ما قدمناه: كتب عليه انه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير.(الحج:۴).). انتهى.

وجوابه: أن كلمة عبادى فى الآية وأمثالها كقوله تعالى:يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إرْجِعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي. (الفجر:۲۷-۳۰) تعنى عباد الله الخاصين، وإضافة العباد اليه تعالى إضافة تشريف من قبيل (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) (الحجر:۲۹) فهى روح مخلوقة نسبها الله سبحانه إلى نفسه. كما نسب البيت الحرام والمسجد اليه.

وقد أجمع المفسرون واللغويون وأحاديث النبى وآله صلى الله عليه وآله على ذلك، لكن الأمر اشتبه على صاحب الميزان رحمه الله فعمم كلمة عبادى! لأنه تصور أن تخصيصها يعطى لإبليس سلطاناً على الباقين، وهذا ينافى توحيد الله تعالى بالفاعلية، وينافى قانون حرية الإنسان ومسؤوليته عن عمله.

والصحيح أنه لايلزم شئ من ذلك. أما السلطان الذى أعطى لإبليس ونصَّ عليه الله تعالى بقوله: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ.(النحل:۱۰۰) وقوله: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ. (الحجر:۴۲). فلم يقل أحد إنه سلطان ابتدائى بلا أرضية من نياتهم وعملهم تجعلهم مستحقين لتسلطه عليهم، فيزدادون غواية إلى غوايتهم، ومعنى نفى سلطانه عن عباد الله الخاصين أنهم بلطف ربهم لاتوجد فيهم أرضية استعمار للشيطان.

فقوله رحمه الله: (وجه الفساد: أن فيه أخذ الإستقلال والحول الذاتى من إبليس وإعطاؤه ذوات الأشياء، ولو كان إبليس لايملك شيئاً من عند نفسه وبغير إذن ربه، فالأشياء والأمور أيضاً لاتملك لنفسها شيئاً ولا حكماً حتى الضروريات ولوازم الذوات، إلا بإذن من الله وتمليك) انتهى.

هذا القول، يصلح رداً على الثنوية القائلين بشراكة إبليس مع الله تعالى، أو على الماديين القائلين بألوهية الأسباب والأشياء أو شراكتها مع الله تعالى!

أما الأحاديث وعامة المفسرين الذين فسروا الآية بوجود سلطان ما للشيطان على قسم من الناس، وعدم وجوده على عباد الله الخاصين، فإنما قصدوا سلطانه الذى نص عليه الله تعالى، وهو سلطان مترتب على غواية الإنسان نفسه وليس فى عرضها، وسلطان تحت سيطرة الله تعالى وليس فى عرضها.

والإشكال الرابع: أن تفسير الآية بعصمة المخلَصين، ونفى سلطان الشيطان وكل أنواع تأثيره عليهم، يستوجب نفى نزغه ووسوسته ومسِّه لهم، مع أن القرآن نص على وسوسة الشيطان لآدم وزوجه فقال: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى. (طَهَ:۲۰).

وقال: فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأرض مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ. (البقرة:۳۶).

ووصف آدم وحواء بأنهما تأثرا بوسوسة الشيطان: فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. (طه:۱۲۱). ونص على مسِّ الشيطان لأيوب عليه السلام فقال: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أيوب إِذْ نَادَى رَبَّهُ إنى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ. اُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ. (صاد:۴۱-۴۲).

ووصف يوسف بأنه أنساه الشيطان فقال: وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ. (يوسف:۴۲).

ووصف إنساءه لموسى عليه السلام فقال: قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً. (الكهف:۶۳). ووصف قتل موسى عليه السلام لعدوه بأنه من عمل الشيطان، فقال: وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ

مِنْ أهلها فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَأن هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ أنه عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ. قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ أنه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. (القصص:۱۵–۱۶).

وأخبر أن النبى صلى الله عليه وآله قد يصيبه نزغٌ من الشيطان، وطائفٌ منه فقال له: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ أنه هُوَالسَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (فُصِّلَتْ:۳۶).

وقال له: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إنهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. (الأعراف:۲۰۱).

وقال له: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.(الأنعام:۶۸).

وجوابه: مع ما سنذكره من تفسير الآيات، أنا لو سلمنا أن الشيطان يمكنه أن يوسوس أو ينزغ أو يمس المعصوم عليه السلام، فلا يدل ذلك على تأثيره عليه وتسبيبه وقوعه فى المعصية، فلا يقدح فى عصمته.

فالنزغ هو محاولة تخريب الأمر، قال الراغب ص۴۸۸: (النزغ دخول فى أمر لإفساده، قال: مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي). انتهى. فالسماح له بالنزغ لايعنى تأثيره على المعصوم عليه السلام إلى حد إيقاعه فى المعصية.

ومسُّ الشيطان يعنى أذاه أو محاولته الأذى، ولا يدل أيضاً على تسبيبه وقوع المعصوم فى المعصية، قال الراغب ص۴۶۷: (المس كاللمس لكن اللمس قد يقال لطلب الشئ، وإن لم يوجد كما قال الشاعر: وألمسه فلا أجده. والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس. وكنَّى به عن النكاح فقيل: مسها وماسها....وكنى بالمس عن الجنون قال:كالذى يتخبطه الشيطان من المس. والمس يقال فى كل ما ينال الإنسان من أذى نحو قوله: وقالوا لن تمسنا النار. مستهم البأساء والضراء. ذوقوا مس سقر. مسنى الضر. مسنى الشيطان. مستهم إذا لهم مكر فى آياتنا. وإذا مسكم الضر). انتهى.

وكذلك الوسوسة، فهى تعنى أن الشيطان يُحدث فى ذهن الإنسان خطورات رديئة، ولو سلمنا إمكان ذلك فى ذهن المعصوم فلا نسلم أن المعصوم عليه السلام يخضع لها بل يطردها. قال الراغب ص۵۲۲: (الوسوسة: الخطرة الرديئة، وأصله من الوسواس وهو صوت الحلى والهمس الخفى، قال: فوسوس إليه الشيطان. وقال: من شر الوسواس. ويقال لهمس الصائد: وسواس). انتهى.

على أن التفسير الذى افترضه الإشكال للآيات غير دقيق، وقد تقدم جواب الإمام الرضا عليه السلام عن وسوسة الشيطان لآدم وحواء عليهما السلام ومعصيتهما وأنها كانت فى الجنة وليست فى الأرض، قال عليه السلام:(فإن الله عز وجل خلق آدم حجة فى أرضه وخليفة فى بلاده لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم فى الجنة لا فى الأرض، وعصمته يجب أن تكون فى الأرض لتتم مقادير أمر الله، فلما أهبطه إلى الأرض وجعله حجة وخليفة عصمه بقوله عز وجل: إن الله اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إبراهيم وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. (آل عمران: ۳۳) انتهى.

وفى مسند الإمام الرضا عليه السلام:۲/۱۲۵: (وإنما كان من الصغائر الموهوبة التى تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحى عليهم، فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبياً كان معصوماً، لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عز وجل:وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه، فتاب عليه فهدى). انتهى.

أقول: إن صح الحديث بأن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الصغائر قبل البعثة فهو يصح فى بعضهم كآدم عليه السلام، ولا يصح فى كبارهم كنبينا وأوصيائه صلى الله عليه وآله، لأنه ثبت أن عصمتهم اعلى درجة من عصمة جميع الأنبياء عليهم السلام.

وأما قول أيوب عليه السلام: وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أيوب إِذْ نَادَى رَبَّهُ إنى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ، فلا يدل على تأثيره عليه فى معصية، بل هو كقوله تعالى: وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.(الأنبياء:۸۳).

قال فی مجمع البیان:۸/۳۶۴: (أی بتعب ومکروه ومشقة. وقیل: بوسوسة فیقول له: طال مرضک ولا یرحمک ربک، عن مقاتل. وقیل: بأن یذکره ما کان فیه من نعم الله تعالی من الأهل والولد والمال، وکیف زال ذلک کله، وحصل فیما هو فیه من البلیة، طمعاً أن یزله بذلک، ویجد طریقاً إلی تضجره وتبرمه فوجده صابراً مسلماً لأمر الله).انتهی.

وأما قوله تعالی: أذْکُرْنِی عِنْدَ رَبِّکَ فَأَنْسَاهُ الشَّیْطَانُ ذِکْرَ رَبِّهِ، فمعناه أن یوسف علیه السلام قال للناجی من السجن: أذکرنی عند سیدک، أی عزیز مصر، فنسی الناجی أن یذکره عنده، فلا علاقة له بإنساء الشیطان لیوسف علیه السلام.

وأما قوله تعالی: وَمَا أَنْسَانِیهُ إِلا الشَّیْطَانُ أَنْ أَذْکُرَهُ، فالذی أنساه الشیطان أن یذکر قصة الحوت لموسی علیه السلام، هو فتاه المرافق له، ولیس موسی علیه السلام.

وقال فی المیزان:۱۳/۳۱: (ولاضیر فی نسبة الفتی نسیانه إلی تصرف من الشیطان بناء علی أنه کان یوشع بن نون النبی والأنبیاءفی عصمة إلهیة من الشیطان، لأنهم معصومون مما یرجع إلی المعصیة، وأما مطلق إیذاء الشیطان فیما لا یرجع إلی معصیة فلا دلیل یمنعه قال تعالی: وَاذْکُرْ عَبْدَنَا أَیُّوبَ إِذْ نَادَی رَبَّهُ أَنِّی مَسَّنِیَ الشَّیْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ). انتهی.

وأما قوله تعالی عن موسی علیه السلام: قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّیْطَانِ، فقد تقدم جواب الإمام الرضا علیه السلام للمأمون:(إن موسی دخل مدینه من مدائن فرعون عَلَی حِینِ غَفْلَةٍ مِنْ أهلها، وذلک بین المغرب والعشاء، فَوَجَدَ فِیهَا رَجُلَیْنِ یَقْتَتِلانأن هَذَا مِنْ شِیعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِی مِنْ شِیعَتِهِ عَلَی الَّذِی مِنْ عَدُوِّهِ، فقضی موسی علی العدو، وبحکم الله تعالی ذِکْره فَوَکَزَهُ، فمات! قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّیْطَانِ، یعنی الإقتتال الذی کان وقع بین الرجلین، لا ما فعله موسی علیه السلام من قَتْلِهِ. أنه عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِینٌ، یعنی الشیطان. فقال المأمون: فما معنی قول موسی: رَبِّ إِنِّی ظَلَمْتُ نَفْسِی فَاغْفِرْ لِی؟ قال: یقول: إنی وضعت نفسی غیر موضعها بدخولی هذه المدینة، فَاغْفِرْ لِی، أی أسترنی من أعدائک لئلا یظفروا بی فیقتلونی، فَغَفَرَ لَهُ أنه هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِیمُ، قال موسی علیه السلام: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَیَّ، من القوة حتی قتلت رجلاً بوکزة، فَلَنْ أکون ظَهِیراً لِلْمُجْرِمِینَ، بل أجاهد سبیلک بهذه القوة حتی ترضی.فَأَصْبَحَ موسی علیه السلام فِی الْمَدِینَةِ خَائِفاً یَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِی اسْتَنْصَرَهُ بِالأَمْسِ یَسْتَصْرِخُهُ علی آخر، قَالَ لَهُ مُوسَی إنک لَغَوِیٌّ مُبِینٌ، قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا الیوم، لأوذینک، وأراد أن یبطش به فَلَمَّا أن أراد أن یَبْطِشَ بِالَّذِی هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا وهو من شیعته قَالَ یَا مُوسَی أَتُرِیدُ أن تَقْتُلَنِی کَمَا قَتَلْتَ نفساً بِالأَمْسِ أن تُرِیدُ إلا أن تَکُونَ جَبَّاراً فِی الأرض وَمَا تُرِیدُ أن تَکُونَ مِنَ الْمُصْلِحِینَ.

قال المأمون: جزاک الله عن أنبیائه خیراً یا أبا الحسن، فما معنی قول موسی لفرعون: فَعَلْتُهَا إذا وأنا مِنَ الضَّالِّینَ؟قال الرضا علیه السلام: إن فرعون قال لموسی لما أتاه: وَفَعَلْتَ فَعْلَتَکَ الَّتِی فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْکَافِرِینَ، بی! قال موسی: فَعَلْتُهَا إذا وأنا مِنَ الضَّالِّینَ، عن الطریق بوقوعی إلی مدینه من مدائنک، فَفَرَرْتُ مِنْکُمْ لَمَّا خِفْتُکُمْ فَوَهَبَ لِی رَبِّی حُکْماً وَجَعَلَنِی مِنَ الْمُرْسَلِینَ، وقد قال الله عز وجل لنبیه محمد صلی الله علیه وآله: أَلَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآوَی، یقول: ألم یجدک وحیداً فآوی إلیک الناس. وَوَجَدَکَ ضَالاً، یعنی عند قومک، فَهَدَی، أی هداهم إلی معرفتک. وَوَجَدَکَ عَائِلاً فَأَغْنَی، یقول: أغناک بأن جعل دعاءک مستجاباً). (العیون:۲/۱۷۷والإحتجاج:۲/۲۱۸).

وأما مجرد خطاب الله تعالی لنبیه صلی الله علیه وآله فی الآیتین: وَإِمَّا یَنْزَغَنَّکَ مِنَ الشَّیْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ، وقوله له: وَإِمَّا یُنْسِیَنَّکَ الشَّیْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّکْرَی مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِینَ، فهو من باب مخاطبة المسلمین من خلال النبی صلی الله علیه وآله، ولایدل علی أن النبی صلی الله علیه وآله فی معرض النزغ والإنساء من الشیطان.

فتبین بذلک، أن کل ما یتصور أنه تسلیط للشیطان علی المعصومین صلوات الله علیهم، لا یصحُّ، وإن صحَّ فهو محدودٌ لایؤدی إلی وقوعهم فی المعصیة، فتبقی آیة: إِنَّ عِبَادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطَانٌ (الحجر:۴۲والإسراء:۶۵)، علی ظهورها فی تحقق عصمتهم، ومنع تأثیره علیهم علیهم السلام.

الحکمة من نزول آیات متشابهة فی عصمة الأنبیاء

سؤال یرد فی الذهن: لماذا جعل الله تعالی بعض الآیات المتعلقة بعصمة أنبیائه علیهم السلام من المتشابهات التی توهم وقوعهم فی المعاصی؟

والجواب: نعم، لقد تضمنت الآیات المتعلقة بسلوک الأنبیاء علیهم السلام آیات محکمة کقوله تعالی عن نبینا صلی الله علیه وآله: وَمَا یَنْطِقُ عَنِ الْهَوَی.إِنْ هُوَ إِلا وَحْیٌ یُوحَی، والذی یعصم الله منطقه فلا یفتح فمه عن کلمة إلا بوحی وعصمة إلهیة، لایمکن أن یصدر منه فعلٌ ولا حرکةٌ ولا سکونٌ إلا بعصمة إلهیة!

وفی نفس الوقت توجد آیات تُوهم وقوعه فی الذنب والمعصیة کقوله تعالی: لِیَغْفِرَ لَکَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَمَا تَأَخَّرَ وَیُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَیْکَ وَیَهْدِیَکَ صِرَاطًا مُسْتَقِیمًا. (الفتح: ۲). والحکمة المتصورة من ذلک:

أولاً، لعله سبحانه أراد أن یؤکد بشریتهم حتی لایعبدوا من دونه، وأن یبین أن عصمتهم الکاملة محاطة بغلاف وحجاب. ویؤید ذلک ما رواه الطوسی فی کتاب الغیبة ص۳۲۴، قال رحمه الله (وأخبرنی جماعة، عن أبی جعفر محمد بن علی بن الحسین قال: حدثنی محمد بن إبراهیم بن إسحاق الطالقانی رحمه الله قال: کنت عند الشیخ أبی القاسم الحسین بن روح رضی الله عنه مع جماعة منهم علی بن عیسی القصری، فقام إلیه رجل فقال: إنی أرید أن أسألک عن شیء؟ فقال له: سل عما بدا لک، فقال الرجل: أخبرنی عن الحسین علیه السلام أهو ولیُّ الله؟ قال: نعم، قال: أخبرنی عن قاتله لعنه الله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال الرجل: فهل یجوز أن یسلط الله عز وجل عدوه علی ولیه؟

فقال له أبو القاسم قدس سره: إفهم عنی ما أقول لک، إعلم أن الله تعالی لا یخاطب الناس بمشاهدة العیان، ولا یشافههم بالکلام، ولکنه جلت عظمته یبعث إلیهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشرا مثلهم، ولو بعث إلیه رسلاً من غیر صفتهم وصورهم لنفروا عنهم ولم یقبلوا منهم، فلما جاؤوهم وکانوا من جنسهم یأکلون ویمشون فی الأسواق قالوا لهم: أنتم مثلنا لا نقبل منکم حتی تأتوا بشئ نعجز عن أن نأتی بمثله فنعلم أنکم مخصوصون دوننا بما لا نقدر علیه، فجعل الله عز وجل لهم المعجزات التی یعجز الخلق عنها.

فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإعذار والإنذار، ففرق جمیع من طغی وتمرد.

ومنهم: من ألقی فی النار فکانت علیه برداً وسلاماً.

ومنهم: من أخرج من الحجر الصلد الناقة وأجری من ضرعها لبناً.

ومنهم: من فلق له البحر، وفجر له من الحجر العیون، وجعل له العصا الیابسة ثعباناً تلقف ما یأفکون.

ومنهم: من أبرأ الأکمه والأبرص وأحیا الموتی بإذن الله، وأنبأهم بما یأکلون وما یدخرون فی بیوتهم.

ومنهم: من انشق له القمر وکلمته البهائم مثل البعیر والذئب وغیر ذلک.

فلما أتوا بمثل ذلک وعجز الخلق من أممهم أن یأتوا بمثله، کان من تقدیر الله جل جلاله ولطفه بعباده وحکمته، أن جعل أنبیاءه مع هذه المعجزات فی حال غالبین وأخری مغلوبین، وفی حال قاهرین وأخری مقهورین، ولو جعلهم عز وجل فی جمیع أحوالهم غالبین وقاهرین، ولم یبتلهم ولم یمتحنهم، لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عز وجل! ولما عُرف فضل صبرهم علی البلاء والمحن والإختبار! ولکنه جعل أحوالهم فی ذلک کأحوال غیرهم، لیکونوا فی حال المحنة والبلوی صابرین، وفی حال العافیة والظهور علی الأعداء شاکرین، ویکونوا فی جمیع أحوالهم متواضعین غیر شامخین ولا ـ متجبرین، ولیعلم العباد أن لهم علیهم السلام إلهاً هو خالقهم ومدبرهم، فیعبدوه ویطیعوا رسله، ویکونوا حجة لله ثابتة علی من تجاوز الحد فیهم وادعی لهم الربوبیة، أو عاند وخالف وعصی وجحد بما أتت به الأنبیاء والرسل، لِیَهْلِکَ مَنْ هَلَکَ عَنْ بَیِّنَةٍ وَیَحْیَی مَنْ حَیَّ عَنْ بَیِّنَةٍ وَإِنَّ اللهَ لَسَمِیعٌ عَلِیمٌ! قال محمد بن إبراهیم بن إسحاق رضی الله عنه: فعدت إلی الشیخ أبی القاسم الحسین بن روح قدس سره من الغد، وأنا أقول فی نفسی: أتراه ذکر لنا یوم أمس من عند نفسه؟! فابتدأنی فقال: یا محمد بن إبراهیم لئن أخرَّ من السماء فتخطفنی الطیر أو تهوی بی الریح من مکان سحیق، أحبُّ إلیَّ

من أن أقول فی دین الله برأیی ومن عند نفسی! بل ذلک من الأصل ومسموع من الحجة صلوات الله وسلامه علیه). (ورواه فی الاحتجاج:۲/۲۸۴).

ثانیاً، ابتلاء المسلمین لکی یتوفق بعضهم فینفذ من حجاب المتشابه ویصل إلی نور المحکم، ویبقی المتخلف یعیش فی خطأ تصوره عن مقام النبی صلی الله علیه وآله.

معجزة الجغرافیة القرآنیة

لماذا تکلم القرآن فی هذا الموضوع، ولم یتکلم فی ذاک؟

ولماذا تکلم فی هذا مرتین، وفی ذاک مرة واحدة؟

وأطال فی هذا، واختصر فی ذاک؟

وأجمل فی هذا، وبین فی ذاک؟

وذکر هؤلاء بأسمائهم، ولم یذکر أولئک؟

واستعمل التصریح هنا، والکنایة هنا؟

وقال هنا کذا، وهناک کذا؟

وهذا الأسلوب، وذاک الأسلوب، وهذا التعبیر وذاک، وهذه الکلمة وتلک؟

ولماذا أقیم بناؤه علی المحکم والمتشابه، والعام والخاص، والمجمل والمبین والمطلق والمقید، والناسخ والمنسوخ؟

الجواب علی ذلک: أن القرآن بناءٌ ربانیٌّ یحیر عنده الذهن، ویخشع له العقل! وکما یتمیز عن کل ما قرأت وسمعت ببلاغته، فکذلک بمقاصده وأهدافه!

لقد أتقن الله تعالی بناء القرآن بدقة متناهیة وإعجاز کبناء السماء! (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُوم. وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ. إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ). (سورة الواقعة: ۷۵ـ۷۷)

والتناسب القرآنی بین عناصر القسم یدل علی التشابه فی دقة بناء السماء ومواقع نجومها، ودقة سور القرآن وآیاته وکلماته وحروفه!

وإلی الیوم لم یکتشف العلماء من بناء الکون إلا القلیل، وکلما اکتشفوا جدیداً خضعت أعناقهم لبانیه عز وجل! ولم یکتشفوا من بناء القرآن إلا القلیل، وکلما اکتشفوا منه جدیداً خضعت أعناقهم لمعماره عز وجل!!

والحدیث التالی یکشف لنا عجائب فی البناء القرآنی، ففی دعائم الإسلام:۲/ ۱۴۶:

(عن علی علیه السلام قال: اعتلَّ الحسین فاشتد وجعه، فاحتملته فاطمة فأتت به النبی صلی الله علیه وآله مستغیثة مستجیرة فقالت: یارسول الله أدع الله لابنک أن یشفیه، ووضعته بین یدیه، فقام صلی الله علیه وآله حتی جلس عند رأسه، ثم قال: یا فاطمة یا بنیة، إن الله هو الذی وهبه لک، هو قادر علی أن یشفیه. فهبط علی جبرئیل فقال: یا محمد، إن الله لم ینزل علیک سورة من القرآن إلا فیها فاء وکل فاء من آفة، ما خلا (الحمد لله) فإنه لیس فیها فاء، فادع بقدح من ماء فاقرأ فیه الحمد أربعین مرة ثم صبه علیه فإن الله یشفیه، ففعل ذلک فکأنما أنشط من عقال)! (وجامع أحادیث الشیعة:۱۵/۸۳).

یعنی ذلک: أن ما یبدو لنا من القرآن عادیاً بسبب سذاجتنا، کله تابعٌ لحساب بل حسابات، إلهیة لا بشریة، وأن هذه الحروف الثمانیة والعشرین فی القرآن عوالم من الریاضیات والعلوم والحقائق، ولیست حروف کتاب بشری!

فوجود الحرف له دلالة بل دلالات، وعدم وجوده، وعدده، وتوزیعه فی الآیة، وفی السورة، وفی کل القرآن!

الله أکبر.. فحیثما کانت الفاء فی سورة أو موضوع، فهی تدل علی وجود آفة! وحیثما وجدت الباء، والسین، وکل الحروف، تدل علی حقائق أخری!

ثم ما معنى الآفة؟ وما معنى خلو سورة الحمد منها؟ وما معنى قراءة كلام الله الذى ليس فيه آفة على قدح ماء؟ وماذا يؤثر تكرار القراءة؟ وهل يتغير تركيب الماء بذلك؟ ثم هل تؤثر فيزياؤه المطورة فى بدن المريض وتذهب منه الآفة؟!

من المؤكد أنه يوجد ارتباط بين النظام الفيزيائى والروحى للكون، وبين نظام القرآن، وأن للقرآن إمكانات تأثير متنوعة على عالمى الروح والمادة، هى لون أو ألوان من فاعليات الله تعالى فى الكون، لأن القرآن كلامه سبحانه!

ومن المؤكد أن النبى صلى الله عليه وآله أعطى من معرفة ذلك أقصى ما يمكن أن يعطاه إنسان ويحتمله، لأنه صلى الله عليه وآله أفضل بنى الإنسان، بل أفضل المخلوقات والمصطفى منها جميعاً، ولقد أجاد الشاعر الأزرى بقوله:

قلَّبَ العالمين ظهراً لبطنفرأى ذات أحمد فاصطفاه

ولكن النبى صلى الله عليه وآله لم يكن يستعمل ذلك إلا بأمر الله تعالى أو إجازته، وهذه قضية مهمة فى شخصيته وسلوكه صلى الله عليه وآله، حيث أعطى وسائل العمل الإعجازى، ومع ذلك كان يعمل فى كل أموره بالأسباب والقوانين الطبيعية العادية، ولا يستعمل الإعجاز إلا عندما يؤمر، أو عند (الضرورة).

إن الفرق بينه وبين موسى والخضر أن الخضر أعطى العلم اللدنى أو علم الباطن فهو يعمل بموجبه، وموسى أعطى الشريعة أو علم الظاهر فهو يعمل بموجبها. أما نبينا صلى الله عليه وآله فقد أعطى العلمين معاً، ولكنه يعمل بالظاهر إلا عندما يؤمر أو عند الضرورة! وهذه هى سنة الله تعالى، فهو لا يطلع على غيبه أحداً إلا من ارتضاه، ولا يرتضيه حتى يستوعب مسألة العمل بالقوانين الطبيعية والغيبية ويسلم لإرادة الله فيها! ثم يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا!

والقرآن أكبر، أو من أكبر، تلك الوسائل التى أعطاها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله، وقد كان له ترتيب نزل به منجماً فى بضع وعشرين سنة، وكان يؤدى فيه إدارة أحداث النبوة وصناعة الأمة وتوجيه النبى والأمة، وتسجيل كل ذلك للأجيال. ثم صار له ترتيب ككتاب تقرؤه الأجيال، كتاب له مقدمة وفصول وفقرات. أحدث من كل ما أنتجه وينتجه المؤلفون فى منهجة التأليف والأسلوب!

فما المانع أن يكون للقرآن ترتيب ثالث، ورابع، وخامس، أملاه النبى صلى الله عليه وآله على على عليه السلام وادخره عنده مع وصيته المحفوظة وعهده المعهود إلى ولده المهدى الذى بشر به الأمة والعالم؟ والذى يظهر الله على يديه صدق دين جده على الدين كله، فتخضع لبراهينه العقول والأعناق!

أرواحنا فداه وعجل الله ظهوره.

وإذا كان نظام حروف القرآن كذلك، فما قولك فى جغرافيته العلمية، وما ذكره الله فيه وما لم يذكره، ومحكمه ومتشابهه، ومجمله ومبينه...؟!

العصمة و قاعدة اللطف

معنى العصمة فى القرآن واللغة والحديث

وردت العصمة فى القرآن بمعنى المنع من عذاب الله فى الدنيا: (قَالَ سَآوِى إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاعَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إلا مَنْ رَحِمَ) (هود:۴۳).

والمنع من عذابه فى الآخرة: قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً. (الأحزاب:۱۷). وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ (يونس:۲۷). والأعم منهما: يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ. (غافر:۳۳).

وفى الإمتناع عن الحرام: وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ. (يوسف:۳۲).

أما قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إنَّ اللهَ لا يَهْدِى

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. (المائدة:۶۷)، فقد بينا فى كتاب (آيات الغدير) أن العصمة فيها ليست بمعنى عصمة الأنبياء المصطلحة، فهى عصمة من الناس وليست عصمة عن المعاصى، وقد نزلت فى آخر سورة قبل وفاة النبى صلى الله عليه وآله بنحو ثمانين يوماً، و كان صلى الله عليه وآله قبلها معصوماً عن المعاصى.

فلا بد أن يكون المقصود فيها عصمته صلى الله عليه وآله من أن يطعن الناس بنبوته أو يرتدوا عن الإسلام، إن بلغ ما أنزل اليه فى على عليه السلام.

وقال الراغب فى مفرداته: (العَصْمُ: الإمساك، والإعتصام: الإستمساك...والعصام ما يعصم به أى يشد. وعصمة الأنبياء عليهم السلام حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسمية والنفسية، ثم بالنصرة وبتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق، قال تعالى: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.

قال الخليل فى كتاب العين: العصمة أن يعصمك الله من الشر، أى يدفع عنك. واعتصمت بالله أى امتنعت به من الشر، واستعصمت أى أبيت، وأعصمت أى لجأت إلى شئ اعتصمت به... وأعصمت فلاناً: هيأت له ما يعتصم به. والغريق يعتصم بما تناله يده، أى: يلجأ إليه... والعصمة: المنع. يقال عصمه الطعام، أى منعه من الجوع. والعصمة: الحفظ. يقال: عصمته فانعصم. واعتصمت بالله، إذا امتنعت بلطفه من المعصية). انتهى

وفى الفروق اللغوية ص۴۶۴: الفرق بين اللطف والتوفيق: أن اللطف هو فعل تسهل به الطاعة على العبد، ولا يكون لطفاً إلا مع قصد فاعله وقوع ما هو لطف فيه من الخير خاصة، فأما إذا كان ما يفعل عنده قبيحاً وكان الفاعل له قد أراد ذلك، فهو انتقاد وليس بلطف.

والتوفيق فعل ما تتفق معه الطاعة، وإذا لم تتفق معه الطاعة لم يسم توفيقاً ولهذا قالوا إنه لايحسن الفعل...

واللطف قد يتقدم الفعل بأوقات يسيرة يكون له معها تأثير فى نفس الملطوف له، ولا يجوز أن يتقدمه بأوقات كثيرة حتى لايكون له معها فى نفسه تأثير، فكل توفيق لطف وليس كل لطف توفيقاً....

والعصمة هى اللطيفة التى يمتنع بها عن المعصية إختياراً، والصفة بمعصوم إذا أطلقت فهى صفة مدح وكذلك الموفق، فإذا أجرى على التقييد فلا مدح فيه، ولا يجوز أن يوصف غير الله بأنه يعصم.

ويقال عصمه من كذا ووفقه لكذا ولطف له فى كذا، فكل واحد من هذه الأفعال يعدَّى بحرف، وهاهنا يوجب أيضاً أن يكون بينهما فروق من غير هذا الوجه الذى ذكرناه، وشرح هذا يطول فتركته كراهة الإكثار. وأصولهما فى اللغة واشتقاقاتهما أيضاً توجب فروقا من وجوه أخر فاعلم ذلك).

وفى مجمع البحرين:۱/۲۴۱: (روى أن إبليس لعنه الله تمثل ليحيى عليه السلام فقال له: أنصحك. قال: لا أريد ذلك ولكن أخبرنى عن بنى آدم. قال: هم عندنا على ثلاثة أصناف: صنف منهم وهم أشد الأصناف عندنا نقبل على أحد منهم نفتنه عن دينه ونتمكن منه ثم يفزع إلى الإستغفار والتوبة فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك حاجتنا فنحن معه فى عناء. وأما الصنف الآخر منهم فهم فى أيدينا كالكرة فى أيدى صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا، قد كفونا مؤنة أنفسهم!

وأما الصنف الثالث فهم معصومون لا نقدر منهم على شئ).

وفى مجمع البحرين:۳/۳۹۳: (وفى الحديث: ما اعتصم عبدٌ من عبادى بأحد من خلقى إلا قطعت أسباب السماوات من يديه وأسخت الأرض من تحته. قال بعض الشارحين: هاتان الفقرتان كناية عن الخيبة والخسران. وفيه: أعوذ بك من الذنوب التى تهتك العصم، وهى كما روى عن الصادق عليه السلام: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وفعل ما يضحك الناس من المزاح واللهو، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب.

والمعصوم: الممتنع من جميع محارم الله، كما جاءت به الرواية.

وعن على بن الحسين عليه السلام الإمام منا لايكون إلا معصوماً، وليست العصمة فى ظاهر الخلقة فتعرف، قيل: فما معنى المعصوم؟

قال: المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدى إلى القرآن والقرآن يهدى إلى الإمام، وذلك قوله تعالى.(أن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم). وفى الدعاء إن عصمة أمرى كذا، أى وقايتى وحافظى من الشقاء المخلد. واعتصمت بالله: امتنعت به. وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله:أربع من كن فيه كان فى نور الله الأعظم وعد، منها: من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله " أى ما يعصم من المهلك يوم القيامة. والمعنى: من كانت الشهادتان ويعنى بهما الإيمان، عصمة ووقاية له من المعاصى تحجزه وتمنعه من اقتراف سخط الله وسخط رسوله. ومنه قول أبى طالب: ثمال اليتامى عصمة للأرامل، أى حفظ لهم ووقاية يمنعهم من الضياع والحاجة).

وفى نهج البلاغة:۲/۴۹:(وعليكم بكتاب الله، فإنه الحبل المتين والنور المبين، والشفاء النافع، والرى الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق، لايعوج فيقام، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تخلقه كثرة الرد، وولوج السمع).

وفى نهج البلاغة:۲/۲۳: (وإنما ينبغى لأهل العصمة والمصنوع إليهم فى السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الذى عاب أخاً وعيره ببلواه...).

وفى الصحيفة السجادية ص۹۰: (اللهم صل على محمد وآله، وقنى من المعاصى، واستعملنى بالطاعة، وارزقنى حسن الانابة، وطهرنى بالتوبة، وأيدنى بالعصمة، واستصلحنى بالعافية، وأذقنى حلاوة المغفرة). انتهى.

وقد تقدم قول الإمام الصادق عليه السلام فى تعريف المعصوم: (المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال الله تبارك وتعالى: وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم). (معانى الأخبار: ص۱۳۲).

وفى الصراط المستقيم:۱/۱۱۶: قالوا: معصوم إسم مفعول، فيكون مجبوراً على ترك العصيان فى كل آن ولافخر فى ذلك على إنسان. قلنا: العصمة الملجئة من الله إنما هى من الغلط والنسيان وأما العصمة التى لايقع منها عصيان فهى لطف يفعله الله، لايوجب الإجبار، بل يجامع الإختيار، والإنسان يعلم أنه يترك ذنوباً بحسب اختياره فالمعصوم يترك الجميع كذلك).

من تعريفات المتكلمين للعصمة

قال المفيد رحمه الله فى النكت الإعتقادية ص۴۵: (فإن قيل: ما حدُّ العصمة؟

الجواب: العصمة لطف يفعله الله بالمكلف، بحيث يمنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما).

وقال فى تصحيح الإعتقادص۱۲۸: (العصمة من الله تعالى لحججه هى التوفيق واللطف، واعتصام من الحجج بها عن الذنوب، والغلط فى دين الله تعالى.

وقال فى أوائل المقالات ص۱۶۴: (العصمة فى موضوع اللغة هى: المنع، وقد خُصت فى اصطلاح المتكلمين بمن يمتنع باختياره عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذى يحصل من الله تعالى فى حقه.

وعرفه صاحب كتاب (الياقوت) من قدماء الإمامية بأنه: لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية، ولا يمنعه على وجه القهر، أى إنه لا يكون له حينئذ داع إلى فعل المعصية وترك الطاعة، مع قدرته عليهما). انتهى.

وقال الشريف المرتضى رحمه الله فى رسائله:۳/۳۲۶:(إعلم أن العصمة هى اللطف الذى يفعله تعالى، فيختار العبد عنده الإمتناع من فعل القبيح، فيقال على هذا إن الله عصمه بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح، ويقال إن العبد معتصم، لأنه أختار عند هذا الداعى الذى فعل الإمتناع عن القبيح). انتهى.

قاعدة اللطف الإلهى التى استدل بها علماؤنا على العصمة

قاعدة اللطف عقلية و شرعية

معنى قاعدة اللطف: أن العقل يحكم بأن الله تعالى لم ولن يترك عباده سدى، فلا بد أن يلطف بهم فيبعث فيهم أنبياء ويجعل لهم أوصياء، ويكون له على الأرض حجة فى كل عصر، وأن يكون هذا الحجة هادياً مهدياً معصوماً.

وقد ورد هذا المعنى صريحاً وضمناً، فى آيات وروايات عديدة، منها قوله تعالى:أَيَحْسَبُ الإنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. (القيامة:۳۶). وقوله تعالى: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ. (المؤمنون:۱۱۵).

وفى الكافى:۱/۱۶۹: (على بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن يعقوب قال:كان عند أبى عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام ابن سالم، والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام ألا تخبرنى كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟ فقال هشام: يا ابن رسول الله إنى اجلك وأستحييك ولا ـ يعمل لسانى بين يديك، فقال أبو عبد الله: إذا أمرتكم بشئ فافعلوا. قال هشام: بلغنى ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه فى مسجد البصرة فعظم ذلك على فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزر بها من صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لى، ثم قعدت فى آخر القوم على ركبتى ثم قلت: أيها العالم إنى رجل غريب تأذن لى فى مسألة؟ فقال لى: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال يا بنى أىُّ شئ هذا من السؤال؟ وشئ تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت هكذا مسألتى فقال يا بنى سل وإن كانت مسألتك حمقاء! قلت: أجبنى فيه قال لى سل: قلت ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك إذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس.

قلت: أوليس فى هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهى صحيحة سليمة، قال: يا بنى إن الجوارح إذا شكت فى شئ شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك.

قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لابد من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم.

فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم فى حيرتهم وشكهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشككك؟! قال: فسكت ولم يقل لى شيئاً! ثم التفت إلى فقال لى: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا، قال: أمن جلسائه؟ قلت: لا، قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذا هو، ثم ضمنى إليه، وأقعدنى فى مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت.

قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: يا هشام من علمك هذا؟ قلت: شئ أخذته منك وألفته، فقال: هذا والله مكتوب فى صحف إبراهيم وموسى). انتهى.

ومعنى كون اللطف قاعدة عقلية: أن العقل يدرك بقطع النظر عن نصوص الدين أنه يستحيل على العليم الحكيم القدير عز وجل، أن يترك مخلوقاته بدون هداية بل إن من أفعال الله الثابتة، بمقتضى صفاته، أنه يلطف بعباده فيبعث الأنبياء والأوصياء لهدايتهم، وهذا معنى قولهم: يجب اللطف على الله تعالى. وتعبيرهم وإن كان ثقيلاً وكأنه يفرض شيئاً على الله تعالى، لكنه يعنى أن ذلك مما يدركه العقل من قوانين فعله تعالى.

ومعنى كونها قاعدة شرعية: أن القرآن والسنة يدلأن على أن الله لطيف بعباده، فلا يتركهم بدون أنبياء وهداية، كما نبهت إلى ذلك آيات القرآن، وأحاديث النبى وأهل بيته صلى الله عليه وآله، وبينت حدودها وتفاصيلها التى لايدركها العقل وحده.

وينبغى الإلفات إلى أن الشرع قد ينبه العقل البشرى إلى بعض الأمور المركوزة فيه فيصل اليها، فتكون من المدركات العقلية ولايضر بذلك أن الشرع ألفته اليها وأثار فيه كامنها. وقد قلنا فى العقائد الإسلامية:۱/۲۶: (سمى الله عز وجل القرآن الكريم: الذكر، ووصف

عمل النبی صلی الله علیه وآله بأنه تذکیر، واستعمل مادة التذکیر فی القرآن للتذکیر بالله تعالی، والتذکیر بالیوم الآخر، والتذکیر بالفطرة والمیثاق.

ووصف أمیر المؤمنین صلی الله علیه وآله عمل الأنبیاء علیهم السلام بأنه مطالبة الناس بالإنسجام مع میثاق الفطرة، فقال علیه السلام فی خطبة طویلة فی نهج البلاغة:۱/۲۳،یذکر فیها خلق آدم علیه السلام وصفته: (فأهبطه إلی دار البلیة، وتناسل الذریة. اصطفی سبحانه من ولده أنبیاء، أخذ علی الوحی میثاقهم، وعلی تبلیغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أکثر خلقه عهد الله إلیهم فجهلوا حقه واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشیاطین عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فیهم رسله وواتر إلیهم أنبیاءه، لیستأدوهم میثاق فطرته، ویذکروهم منسی نعمته، ویحتجوا علیهم بالتبلیغ، ویثیروا لهم دفائن العقول، ویروهم آیات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع...). انتهی.

وعلی هذا یمکن أن نعتبر قاعدة اللطف عقلیة، لأن العقل البشری یدرک بقطع النظر عن الدین، أن هذا الخالق العظیم سبحانة لایمکن أن یترک خلقه سدی، بل یجب بمقتضی حکمته أن یعرفهم ما یریده منهم لتحقیق هدفه السامی فیهم.

وقد ذکر أبو الفتح الکراجکی رحمه الله فی کنز الفوائد ص۱۹۵ أن لأفلاطون کتاباً إسمه (کتاب اللطف) ونقل عنه قوله: (نقل الطبع عسیر الإنتزاع)، وقد یکون موضوع الکتاب اللطف الإنسانی، ولکنه علی أی حال من جوِّ اللطف الإلهی.

اللطف الإلهی فی القرآن

ورد هذا الإسم المقدس فی القرآن فی سبعة مواضع، تشمل لطف ذاته المقدسة، وأنواع ألطافه بمخلوقاته:

۱- لطف الذات الإلهیة

قال الله تعالی: لاتُدْرِکُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَیُدْرِکُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ. (الأنعام:۱۰۳).

وقد ورد عن أمیر المؤمنین علیه السلام أن الله تعالی لطیف لکن لایوصف باللطف، ومعناه أن ذاته تعالی من غیر نوع المادة والمخلوقات، لکن لایوصف باللطف حتی لاستصور أن ذاته المقدسة مادة شفافة!

ففی التوحید للصدوق/۳۰۵، من خطبة لأمیر المؤمنین علیه السلام: (ثم قال: سلونی قبل أن تفقدونی، فوالله الذی فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتمونی عن آیة آیة فی لیل أنزلت أو فی نهار أنزلت، مکیها ومدنیها، سفریها وحضریها، ناسخها ومنسوخها، محکمها ومتشابهها، وتأویلها وتنزیلها لأخبرتکم!

فقام إلیه رجل یقال له ذعلب وکان ذرب اللسان بلیغاً فی الخطب، شجاع القلب فقال: لقد ارتقی ابن أبی طالب مرقاةً صعبة، لأخجلنه الیوم لکم فی مسألتی إیاه فقال: یا أمیر المؤمنین هل رأیت ربک؟

قال: ویلک یا ذعلب لم أکن بالذی أعبد رباه لم أره، قال: فکیف رأیته صفه لنا؟ قال: ویلک لم تره العیون بمشاهدة الأبصار، ولکن رأته القلوب بحقائق الإیمان، ویلک یا ذعلب إن ربی لا یوصف بالبعد، ولا بالحرکة، ولا بالسکون، ولا بالقیام قیام انتصاب، ولا بجیئه ولا بذهاب، لطیف اللطافة لا یوصف باللطف، عظیم العظمة لا یوصف بالعظم، کبیر الکبریاء لایوصف بالکبر، جلیل الجلالة لایوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا یوصف بالرقة، مؤمن لا بعبادة، مدرک لابمجسة، قائل لاباللفظ، هو فی الأشیاء علی غیر ممازجة، خارج منها علی غیر مباینة، فوق کل شئ فلا یقال شئ فوقه، وإمام کل شئ فلا یقال له إمام، داخل فی الأشیاء لا کشئ فی شئ داخل، وخارج منها لا کشئ من شئ خارج! فخرَّ ذعلب مغشیاً علیه، ثم قال: تالله ما سمعت بمثل هذا الجواب، والله لا عدت إلی مثلها). انتهی.

۲- لطفه فی إدارة الطبیعة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأرض مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِیفٌ خَبِیر. (الحج:۶۳)

۳- لطفه فی التخطیط لأنبیائه علیهم السلام وعباده المؤمنین

وَرَفَعَ أَبَوَیْهِ عَلَی الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ یَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِیلُ رُؤْیَایَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّی حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِی إِذْ أَخْرَجَنِی مِنَ

السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَالْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. (يوسف:۱۰۰)

۴- لطفه فی إدراة أرزاق عباده

اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَالْقَوِيُّ الْعَزِيزُ. (الشوری:۱۹).

۵- لطفه فی مراقبة عمل نساء النبی صلی الله علیه وآله والناس

وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا.(الأحزاب:۳۴).

۶- لطفه فی الإطلاع علی خفایا خلقه

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَاللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (الملک:۱۳-۱۴).

۷- لطفه فی الحساب یوم القیامة

يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأرض يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. (لقمان:۱۶).

وفی التوحید للصدوق ص۲۱۷: (اللطیف معناه أنه لطیف بعباده، فهو لطیف بهم بار بهم، منعم علیهم. واللطف البر والتکرمة یقال: فلأن لطیف بالناس بار بهم یبرهم ویلطفهم إلطافاً. ومعنی ثان: أنه لطیف فی تدبیره وفعله یقال: فلأن لطیف العمل، وقد روی فی الخبر أن معنی اللطیف هو أنه الخالق للخلق اللطیف کما أنه سمی العظیم لأنه الخالق للخلق العظیم). انتهی.

وفی کل واحدة من هذه الآیات بحث مفصل لایتسع له المجال.

اللطف فی أحادیث النبی و آله

فی الکافی:۱/۱۵۹: أن رجلًا سأل الإمام الصادق علیه السلام (أجبر الله العباد علی المعاصی؟ قال: لا، قلت: ففوض إلیهم الأمر؟ قالقال: لا، قال: قلت فماذا؟ قال: لطف من ربک بین ذلک).

وفی عیون أخبار الرضا علیه السلام:۲/۱۱۳: (عن عبد العظیم بن عبد الله الحسنی رضی الله عنه عن إبراهیم بن أبی محمود قال: سألت أبا الحسن الرضا علیه السلام عن قول الله تعالی: وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ. (البقرة:۱۷) فقال: إن الله تبارک وتعالی لا یوصف بالترک کما یوصف خلقه، ولکنه متی علم أنهم لا یرجعون عن الکفر والضلال منعهم المعاونة واللطف، وخلی بینهم وبین اختیارهم). انتهی.

وفی المقنعة ۳۳۹، من دعاء کل یوم من شهر رمضان: (وکذلک نسبت نفسک یا سیدی باللطف، بلی إنک لطیف فصل علی محمد وآله، والطف لما تشاء). انتهی.

وفی الکافی:۱/۱۲۰، عن الإمام الرضا علیه السلام أنه قال: (إعلم علمک الله الخیر أن الله تبارک وتعالی قدیم، والقدم صفته التی دلت العاقل علی أنه لا شئ قبله ولا شئ معه فی دیمومیته، فقد بان لنا بإقرار العامة معجزة الصفة أنه لا شئ قبل الله، ولا شئ مع الله فی بقائه، وبطل قول من زعم أنه کان قبله أو کان معه شئ، وذلک أنه لو کان معه شئ فی بقائه لم یجز أن یکون خالقاً له، لأنه لم یزل معه، فکیف یکون خالقاً لمن لم یزل معه! ولو کان قبله شئ کان الأول ذلک الشئ لا هذا، وکان الأول أولی بأن یکون خالقاً للأول.

ثم وصف نفسه تبارک وتعالی بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم وتعبدهم وابتلاهم إلی أن یدعوه بها فسمی نفسه سمیعاً، بصیراً، قادراً، قائماً، ناطقاً، ظاهراً، باطناً، لطیفاً خبیراً، قویاً، عزیزاً، حکیماً، علیماً، وما أشبه هذه الأسماء. فلما رأی ذلک من أسمائه القالون المکذبون، وقد سمعونا نحدث عن الله أنه لا شئ مثله ولا شئ من الخلق فی حاله، قالوا: أخبرونا إذا زعمتم أنه لا مثل لله ولا شبه له، کیف شارکتموه فی أسمائه الحسنی فتسمیتم بجمیعها! فإن فی ذلک دلیلًا علی أنکم مثله فی حالاته کلها أو فی بعضها دون بعض، إذ جمعتم الأسماء الطیبة!

قیل لهم: إن الله تبارک وتعالی ألزم العباد أسماء من أسمائه علی اختلاف المعانی وذلک کما یجمع الإسم الواحد معنیین مختلفین.

والدليل على ذلك قول الناس الجائز عندهم الشائع، وهو الذى خاطب الله به الخلق فكلمهم بما يعقلون، ليكون عليهم حجة فى تضييع ما ضيعوا، فقد يقال للرجل: كلب وحمار وثور وسكرة وعلقمة وأسد! كل ذلك على خلافه وحالاته. لم تقع الأسامى على معانيها التى كانت بنيت عليها، لأن الإنسان ليس بأسد ولا كلب، فافهم ذلك رحمك الله.

وإنما سمى الله تعالى بالعلم، بغير علم حادث علم به الأشياء استعان به على حفظ ما يستقبل من أمره، والروية فيما يخلق من خلقه، ويفسد ما مضى مما أفنى من خلقه، مما لو لم يحضره ذلك العلم ويغيبه كان جاهلاً ضعيفاً، كما أنا لو رأينا علماء الخلق إنما سموا بالعلم لعلم حادث إذ كانوا فيه جهلة، وربما فارقهم العلم بالأشياء فعادوا إلى الجهل. وإنما سمى الله عالماً لأنه لايجهل شيئاً، فقد جمع الخالق والخلوق إسم العالم واختلف المعنى على ما رأيت.

وسمى ربنا سميعاً لا ـ بخرت فيه يسمع به الصوت ولا ـ يبصر به، (الخِرْت: ثقب الإبرة والأذن والعين ونحوها وجمعه خروت (العين:۱/۲۳۶) كما أن خرتنا الذى به نسمع لا نقوى سبه على البصر، ولكنه أخبر أنه لايخفى عليه شئ من الأصوات، ليس على حد ما سمينا نحن، فقد جمعنا الإسم بالسمع واختلف المعنى.

وهكذا البصر لا بخرت منه أبصر، كما أنا نبصر بخرت منا لا ننتفع به فى غيره ولكن الله بصير لا يحتمل شخصا منظورا إليه، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى. وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق فى كبد كما قامت الأشياء ولكن قائم يخبر أنه حافظ كقول الرجل: القائم بأمرنا فلأن، والله هو القائم على كل نفس بما كسبت، والقائم أيضاً فى كلام الناس: الباقى والقائم أيضاً يخبر عن الكفاية كقولك للرجل: قم بأمر بنى فلأن، أى أكفهم، والقائم منا قائم على ساق، فقد جمعنا الإسم ولم نجمع المعنى.

وأما اللطيف فليس على قلة وضآلة وصغر، ولكن ذلك على النفاذ فى الأشياء والامتناع من أن يدرك، كقولك للرجل: لطف عنى هذا الأمر ولطف فلأن فى مذهبه وقوله: يخبرك أنه غمض فيه العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفا لا يدركه الوهم فكذلك لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحد أو يحد بوصف. واللطافة منا الصغر والقلة، فقد جمعنا الإسم واختلف المعنى). انتهى.

من كلمات علمائنا فى قاعدة اللطف

قال المفيد عليهم السلام فى النكت الإعتقادية ص۳۵: (فإن قيل: ما الدليل على أن نصب الأنبياء والرسل واجب فى الحكمة؟ فالجواب: الدليل على ذلك أنه لطف واللطف واجب فى الحكمة فنصب الأنبياء والرسل واجب فى الحكمة.

فإن قيل: ما حد اللطف؟ فالجواب: اللطف هو ما يقرب المكلف معه من الطاعة ويبعد عن المعصية ولاحظ له فى التمكين ولم يبلغ الالجاء.

فإن قيل: ما الدليل على أن اللطف واجب فى الحكمة؟ فالجواب: الدليل على وجوبه توقف غرض المكلف عليه فيكون واجباً فى الحكمة وهو المطلوب.

فإن قيل: من نبى هذه الأمة؟ فالجواب: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف صلى الله عليه وآله. فإن قيل: ما الدليل على نبوته؟

فالجواب: الدليل على ذلك أنه ادعى النبوة وظهر المعجز على يده وكل من ادعى النبوة وظهر المعجز على يده فهو نبى حقاً). انتهى.

وقال فى ص۳۹: فإن قيل: ما الدليل على أن الإمامة واجبة فى الحكمة؟

فالجواب: الدليل على ذلك أنها لطف واللطف واجب فى الحكمة على الله تعالى فالإمامة واجبة فى الحكمة.

وقال فى ص۱۶۱: (عرف المتكلمون اللطف بما أفاد هيئة مقربة إلى الطاعة ومبعدة عن المعصية بحيث لم يكن له حظ فى التمكين ولا يبلغ حد الإلجاء.....

والقول بوجوب اللطف يختص به العدلية من المعتزلة والإمامية والزيدية ويخالفهم فيه الأشعرية، وقد نسب الخلاف فيه أيضاً إلى بشر

بن المعتمر من قدماء المعتزلة وإن حكى رجوعه عن ذلك أخيراً بعد مناظرة سائر المعتزلة إياه، لكن تعليل المعتزلة بوجوبه من جهة أنهم أوجبوه من جهة العدل وأن الله تعالى لو فعل خلافه لكان ظالماً، والإمامية إنما أوجبوه من جهة الجود والكرم وأنه تعالى لمَّا كان متصفاً بهاتين الصفتين اقتضى ذلك أن يجعل للمكلفين ما دام هم على ذلك الحال أصلح الأشياء لهم، وأن لا يمنعهم صلاحا ولا نفعاً). انتهى.

لكن يبدو أن المحقق الحلى رحمه الله يقول به من باب العدل وليس من باب الكرم، فقد قال فى المسلك فى أصول الدين ص۳۰۱: (ومن الواجب فى الحكمة اللطف للمكلفين، وهو أن يفعل معهم كل ما يعلم أنه محرك لدواعيهم إلى الطاعة، لأنه لو لم يفعل ذلك لكان ناقضاً لغرضه، إذ لا مشقة عليه فى فعله، وهو مفض إلى غرضه). انتهى.

وقال الشريف المرتضى رحمه الله فى الشافي:۱/۳۹: (والنبوة طريق وجوبها أيضاً اللطف لم يجب عندهم أن تكون المعرفة نبوة، ولا النبوة معرفة لاستبداد كل واحدة منهما بصفة لا يشركها فيها الأخرى، والنبى لم يكن عندنا نبيا لاختصاصه بالصفات التى يشرك فيها الإمام بل لاختصاصه بالأداء عن الله تعالى بغير واسطة، أو بواسطة هو الملك، وهذه مزية بينة).

وقال الشيخ الطوسى رحمه الله فى الإقتصاد ص۷۷: (وأما الكلام فى اللطف فيحتاج أن نبين أولاً ما اللطف وما حقيقته. واللطف فى عرف المتكلمين: عبارة عما يدعو إلى فعل واجب أو يصرف عن قبيح، وهو على ضربين: أحدهما أن يقع عنده الواجب ولولاه لم يقع فيسمى توفيقاً، والآخر ما يكون عنده أقرب إلى فعل الواجب أو ترك القبيح.....

واللطف على ثلاثة أقسام: أحدها من فعل الله تعالى، والثانى من فعل من هو لطف له، والثالث من فعل غيرهما. فما هو من فعل الله تعالى على ضربين: أحدهما يقع بعد التكليف للفعل الذى هو لطف له فيوصف بأنه واجب، والثانى ما يقع مع التكليف للفعل الذى هو لطف فيه فلا يوصف بأنه واجب، لأن التكليف ما أوجبه ولم يتقدم له سبب وجوب، لكن لا بد أن يفعل به لأنه كالوجه فى حسن التكليف.

وأما ما كان من فعل المكلف فهو تابع لما هو لطف فيه، فإن كان واجباً فاللطف واجب وإن كان لطفاً فى فعل نفل فهو نفل.

وإذا كان اللطف من فعل غيرهما فلا بد من أن يكون المعلوم من حاله أنه يفعل ذلك الفعل على الوجه الذى هو لطف فى الوقت الذى هو لطف فيه، ومتى لم يعلم ذلك لم يحسن التكليف الذى هذا الفعل لطف فيه.

هذا إذا لم يكن له بدل من فعل الله يقوم مقامه، فإن كان له بدل من فعل الله تعالى جاز التكليف لذلك الفعل إذا فعل الله تعالى ما يقوم مقامه).

وقال ابن البراج الطرابلسى رحمه الله فى جواهر الفقه ص۲۴۷: (اللطف على الله واجب، لأنه خلق الخلق، وجعل فيهم الشهوة، فلو لم يفعل اللطف لزم الإغراء، وذلك قبيح، والله لا يفعل القبيح، فاللطف هو نصب الأدلة، وإكمال العقل، وإرسال الرسل فى زمانهم، وبعد انقطاعهم إبقاء الإمام، لئلا ينقطع خيط غرضه).

وقال المحقق الحلى رحمه الله فى المسلك: ص۱۰۱: (وهل يجب على البارئ سبحانه فعل اللطف أم لا؟ الأكثرون يقولون بوجوبه، واحتجوا على ذلك بوجوه:

أحدها: أن اللطف مفض إلى غرض المكلف، وليس فيه وجه من وجوه القبح ولا يؤدى إلى ما لا نهاية له، وكل ما كان كذلك فهو واجب فى الحكمة.

أما أنه مفض إلى غرض المكلف، فلأنا نتكلم على هذا التقدير، وأما أنه ليس فيه وجه من وجوه القبح، فلأن وجوه القبح مضبوطة، وليس فيه شئ منها.

وأما أن كل ما كان كذلك كان واجباً فى الحكمة، فلأن داعى الحكمة متعلق به، والصوارف منتفية عنها، وكل ما تعلق به الداعى وانتفى الصارف عنه، فإنه يجب أن يفعل.

الوجه الثانی: لو لم یفعل الباریٔ سبحانه وتعالی اللطف علی هذا التقدیر، لکان ناقضاً لغرضه، ونقض الغرض قبیح.
بیان أنه یکون ناقضاً لغرضه، أن من دعا غیره إلی طعام له وعلم أنه یحضر إن أرسل رسولاً إلیه لا غضاضهٔ علیه فی إرساله، ولم یرسل رسوله، فإنه یکون غیر مرید لحضوره، والعلم بذلک ظاهر.
الوجه الثالث: لو لم یجب فعل اللطف، لکان الباریٔ مخلاً بما یجب علیه فی الحکمهٔ، إذ لا فرق بین منع اللطف وعدم التمکین.
احتج المخالف بأنه: لو وجب اللطف لوجب أن یفعل بالکافر.
والجواب: لا نسلم أن للکافر لطفاً. وتحقیق ذلک أن اللطف هو ما یعلم المکلف أن المکلف یطیع عنده، أو یکون أقرب إلی الطاعهٔ، مع تمکنه فی الحالین، والکافر قد لا یکون له لطف یحرکه إلی فعل الطاعهٔ. ویجری هذا مجری رجل له ثلاثهٔ أولاد، أحدهم یطیعه بالإکرام، والآخر بالإهانهٔ، والثالث لا یؤثر فیه أحد الأمرین، فلا یکون لذلک لطف، فالکافر الذی لا یطیع یجری مجری الثالث). انتهی.

رد الفقهاء للإستدلال بقاعدهٔ اللطف فی الفقه

رأینا أن أصل قاعدهٔ اللطف الإلهی ثابتٌ بحکم العقل والکتاب والسنهٔ، وأن موردها بعثهٔ الأنبیاء ونصب الأوصیاء علیهم السلام وعصمتهم.
وقد توسع فیها بعض علمائنا فاستعملوها فی حجیهٔ خبر الواحد (رسائل المرتضی:۱/۷۴). وفی حجیهٔ الإجماع (فرائد الأصول:۱/۱۸۸، ومنیهٔ الطالب:۲/۳۳۷ ومصباح الفقاههٔ للخوئی:۲/۱۷۰، و:۵/۶۴۵).
وفی نفی الحرج فی الأحکام: (هدایهٔ المسترشدین:۲/۷۳۷، وعوائد ۱۹۶).
وفی وجوب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر: (جواهرالکلام:۲۱/۳۵۸ ومصباح الفقاههٔ للسید الخوئی:۱/۲۹۸).
وفی وجوب القضاء بین الناس (جواهرالکلام:۴۰/۱۰، والقضاء للسید الکلبایکانی:۱/۱۴)، وغیرها.
وفی کل هذه الموارد رد العلماء الإستدلال بها إلا نادراً، مثل أصل القضاء کما هو عند السید الکلبایکانی، وعدم خلو الواقعهٔ من حکم کما عند الشهید الصدر (دروس فی علم الأصول:۱/۱۴۸)
وقد توسع بعضهم فی ردها حتی لحق الحیف بأصل قاعدهٔ اللطف، وتحامل بعضهم علیها وکأنها من مبتدعات الشیخ الطوسی رحمه الله، مع أن أستاذه المرتضی استدل بها، وأستاذهما المفید، وغیرهم، رحمهم الله.
نعم یصح القول إن الشیخ الطوسی أکثر فقهائنا استدلالاً بقاعدهٔ اللطف فی الفقه والتفسیر، کما نلاحظ ذلک فی مبسوطه وتبیانه رحمه الله.
وقد نبه السید الخوئی رحمه الله الی ضرورهٔ أن لایسبب الهجوم علی موارد القاعدهٔ فی الفقه مساساً بها فی العقائد، فقال فی أجود التقریرات:۲/۳۷:
(الجههٔ الثانیهٔ فی بیان أن العقل هل یدرک الحسن والقبح بعد الفراغ عن إثبات أنفسهما أم لا؟ والتحقیق أن یقال إن العقل وإن لم یکن له إدراکُ جمیع المصالح والمفاسد، إلا أنَّ إنکار إدراکه لهما فی الجملهٔ وبنحو الموجبهٔ الجزئیهٔ مناف للضرورهٔ أیضاً، ولولا ذلک لما ثبت أصل الدیانهٔ، ولزم إفحام الأنبیاء علیهم السلام! إذ إثبات النبوهٔ العامهٔ فرع إدراک العقل لقاعدهٔ وجوب اللطف، کما أن إثبات النبوهٔ الخاصهٔ بظهور المعجزهٔ علی ید مدعیها فرع إدراک العقل قبح إظهار المعجزهٔ علی ید الکاذب، ومع إنکار إدراک العقل للحسن والقبح بنحو السالبهٔ الکلیهٔ، کیف یمکن إثبات أصل الشریعهٔ فضلاً عن فروعه). انتهی.
وکلامه رحمه الله واضح فی أنه لایقبل قاعدهٔ اللطف فی الفقه، ولکنه یقبلها فی العقائد، غیر أن موقفهم العام منها فی الفقه یبقی أکثر تأثیراً علی الفقیه، ولذا قال السید الخوئی رحمه الله فی جواب سؤال کما فی صراط النجاهٔ:۲/۴۴۵:
(سؤال ۱۴۰۳: قاعدهٔ اللطف التی ناقشتموها فی الأصول صغری وکبری، علی ما فی مصباح الأصول، فی مناقشتکم لشیخ الطائفهٔ التی

استدل بها جمع من أصحابنا على وجوب الإمامهٔ، لأنها من صغرياتها، هل يمكن الإستدلال على هذه الكبرى، بما دل من القرآن الكريم على أنه لطيف بعباده، فتكون الإمامهٔ من صغريات ما دلت على الكبرى المستفادهٔ من الكتاب العزيز، أم أن اللطف المشار إليه فى القرآن الكريم غير اللطف المصطلح الذى تكون مسألهٔ وجوب الإمامهٔ من صغرياته؟

الخوئى: نعم هو كما كتب، لايدل على صحهٔ الإستدلال بالقاعدهٔ إن تمت القاعدهٔ، ولا دلالهٔ للآيهٔ الشريفهٔ فى أدلهٔ الأحكام كما زعم). انتهى.

ولعل أهم إشكالاتهم على تطبيقات قاعدهٔ اللطف فى الفقه أن اللطف الواجب على الله تعالى، إنما هو اللطف الواقعى وليس ما نتصوره لطفاً!

ثم إن اللطف الواجب هو اللطف التى تمت مقتضياته وفقدت موانعه، ولا ـ علم لنا بتحقق ذلك، بعكس الأمر فى أصل النبوهٔ والإمامهٔ والعصمهٔ. (راجع هدايهٔ المسترشدين للشيخ محمد تقى الرازى:۲/۷۳۷).

ضرر الإغراق فى التأصيل بقاعدهٔ اللطف

كان الطابع العام لخطاب علماء المسلمين سنهٔ وشيعهٔ الإستدلال بـ(النقل)، أى بنصوص الكتاب والسنهٔ، إلى أن ظهر فى مطلع القرن الثالث الأسلوب الكلامى الفلسفى، بسبب اتساع ترجمهٔ الكتب اليونانيهٔ، خاصهٔ فى عهدى الرشيد والمأمون، فأخذ علماء السنهٔ يستعملونه فى خطابهم، ويكتبون فيه مؤلفاتهم، فى الكلام والفقه والتفسير!

وقد بقى علماء الشيعهٔ متمسكين فى تآليفهم وخطابهم بالأسلوب التقليدى فحفظوا مؤلفاتهم وخطابهم لقرنين بعيدهً عن التأثر بالأسلوب الفلسفى اليونانى.

لكن بحلول القرن الخامس حدثت ثلاثهٔ تطورات على أسلوب علماء الشيعهٔ:

الأول، ظهر على يد المفيد رحمه الله الذى كان يعيش فى العاصمهٔ بغداد، حيث رأى أن اللازم أن يكتب علماء الشيعهٔ بأسلوب العصر، ويردُّوا الشبهات عن المذهب بنفس أسلوبها الذى كتبها فيه علماء السنهٔ فى عصره وقبلهم!

من هنا اتجه هو وتلاميذه الكبار كالسيد المرتضى والشيخ الطوسى رحمهم الله إلى التأصيل بلغهٔ عصرهم، وكان رحمه الله ينتقد مَن قبله بأنهم اقتصروا على النقل فقلدوا ولم يتعمقوا ولم يحتهدوا!

قال عن الشيخ الصدوق رحمه الله فى مسألهٔ الإرادهٔ والمشيئهٔ: (قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله: نقول: شاء الله وأراد، ولم يحب ولم يرض، وشاء عز اسمه ألا يكون شئ إلا بعلمه، وأراد مثل ذلك.

فعلق عليه المفيد رحمه الله بقوله: الذى ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله فى هذا الباب لايتحصل، ومعانيه تختلف وتتناقض، والسبب فى ذلك أنه عمل على ظواهر الأحاديث المختلفهٔ ولم يكن ممن يرى النظر فيميز بين الحق منها والباطل، ويعمل على ما يوجب الحجهٔ، ومن عول فى مذهبه على الأقاويل المختلفهٔ وتقليد الرواهٔ كانت حاله فى الضعف ما وصفناه. والحق فى ذلك: أن الله تعالى لا يريد) (تصحيح اعتقادات الإماميهٔ ص۴۸).

وقد اشتبه الأمر على المفيد رحمه الله فإن الصدوق رحمه الله لم يقل ذلك تقليداً، بل عمل بأحاديث غفل عنها المفيد، وهى تجعل الإرادهٔ الإلهيهٔ أنواعاً منها الإرادهٔ بمعنى السماح التكوينى، وهذا معنى أنه لايكون شئ فى الكون إلا بإرادهٔ.

ففيالكافى:۱/۱۵۰: (عن أبى بصير قال قلت لأبى عبد الله عليه السلام: شاء وأراد وقدر وقضى؟ قال: نعم، قلت: وأحب؟ قال: لا، قلت: وكيف شاء وأراد وقدر وقضى ولم يحب؟قال: هكذا خرج إلينا).(راجع: تعليق الطباطبائى على الحديث، والكافى:۱/۱۵۷، والمحاسن للبرقى:۱/۲۴۴، والحدائق الناضرهٔ:۱۳/۴۵۲، وتفسير الميزان:۱۳/۷۴ و: ۱۹/۹۰).

فالملاحظهٔ الأولى على المتجددين، أن التقليديين أكثر إحاطهٔ منهم بأحاديث النبى وأهل البيت عليهم السلام، وهذا ما ينبغى ملاحظته

عند إشكالاتهم عليهم.

والملاحظة الثانية، أن المتجددين مع جهدهم المشكور في التأصيل، واستعمالهم لغة الخطاب العصرية، إلا أنهم قد يبالغون في الإعتماد على ما أصَّلوه، ثم يكررونه حتى يتخيل المخالف أن هذا كل دليلهم في المسألة!

وهذا ماحدث في قاعدة اللطف حيث تراها في مؤلفات المفيد وتلاميذه رحمه الله،

أبرز ما استدلوا به على بعثة الأنبياء والأوصياء وعصمتهم عليهم السلام، حتى جاء بعدهم الفخر الرازي فتخيل أنه إن رد قاعدة اللطف فقد رد مذهب الشيعة بكامله!

قال في المحصول ص١٢۴: (فهذا ما على هذه الطريقة من الإعتراضات ومن أحاط بها تمكن من القدح في جميع مذاهب الشيعة أصولاً وفروعاً، لأن أصولهم في الإمامة مبنية على هذه القاعدة، ومذاهبهم في فروع الشريعة مبنية على التمسك بهذا الإجماع. والله أعلم) انتهى.

طبعاً نحن لانصدق ما زعمه الفخر الرازي، وقد ظهر شكه هو في تعميمه بقوله(والله أعلم)، لكنه قرأ للسيد المرتضى والشيخ المفيد فوجد قاعدة اللطف محور استدلالهم على الإمامة والعصمة، فدبَّج صفحات في مناقشتهما دون أن يسميهما، وطمع في أن يصدق القارئ كلامه هذا.

ولو وجد أن المحور في استدلالهم الآيات والأحاديث كآية التطهير وحديث الثقلين وحديث على مع القرآن والقرآن مع على، والعشرات من أمثالها،، وأن قاعدة اللطف ليست إلا تأصيلًا عقلياً مكملًا للدليل، لما طمع بذلك!

والنتيجة: أن قاعدة اللطف قاعدة عقلية، يدرك أصلها العقل ويقطع به، لكنه لايدرك تفاصيلها، ولذلك لا بد من الإقتصار في الإستدلال على القدر المتيقن منها، وعدم تجاوزه إلى الإستحسانات والإحتمالات.

أما ما دل عليه القرآن والسنة من أصلها أو تفاصيلها، فيرتقي عن كونه استحساناً واحتمالاً عقلياً، ويكون وحياً من خالق العقل سبحانه.

أما التطور الثاني، على أسلوب علماء الشيعة، فهو تأثير احتكاكهم بثقافة الروم عن طريق علماء حلب، والذي ورثه علماء جبل عامل بشكل خاص.

والتطور الثالث، تأثير الفلسفة اليونانية بعد أن اجتهد فيها المسلمون وحاولوا إخضاعها لثقافة الإسلام، واستعملوا أسلوبها في خطابهم ومؤلفاتهم، واتجاهاتهم العقدية والعرفانية.

ولايتسع المجال لبسط الكلام في صفات وإيجابيات وسلبيات هذه الإتجاهات في أسلوب الفهم والخطاب، وتأثيرها أحياناً على المضمون.

كيف يلطف الله تعالى بالمعصوم

اتفق علماؤنا على أن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام معصومون، عن كل معصية وكل ما يشين شخصيتهم الربانية السامية.

وبحثوا في حدود العصمة، وأدلتها، والموارد التي فيها إشكال أو سؤال.

ثم بحثوا في ماهية العصمة فاتفقوا على أنها من فعل الله تعالى، وبما يحفظ حرية اختياره ومسؤوليته عن عمله.

وعندما تأملوا في كيفية حصولها للمعصوم عليه السلام، والوسائل التي يستعملها الله تعالى لتحقيقها، وجدوها متعددة وأكثرها مجهولاً لنا، فقالوا إنها ألطافٌ إلهية من الله تعالى لعبادة المكرمين، وعرَّفوا العصمة بأنها لطفٌ إلهي بالمعصوم يمنعه من الوقوع في المعصية وما يشين.

وهذا موقف علمي صحيح من كيفية عصمة الله تعالى لخاصة عباده عليهم السلام، لكنا لانعدم نصوصاً تعطينا أضواءً مهمة على

الوسائل الربانية في العصمة، منها:

١- ينبغي أن نتذكر السلطة الإلهية والهيمنة الكاملة على كل الوجود، وهي سلطة أعمق، وأكثر تنوعاً، من كل ما نعرف من سلطات. قال الله تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لايَعْلَمُهَا إلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرض وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ. وَهُوَالَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ. ثُمَّ رُدُّوا إلى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَأَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ. (الأنعام:٥٩-٦٢).

وقال تعالى: سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ. (الرعد:١٠-١١).

وقال تعالى: أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلامُ الْغُيُوبِ. (التوبة:٧٨).

وفي حديث النبي وأهل بيته صلى الله عليه وآله من تفصيل هذه الآيات وتفسيرها ما يخشع له العقل القلب. قال الشريف المرتضى في الأمالي:٢/٢: (إن سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي(ص)يقول: إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله(ص)عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك. وعما يرويه أنس قال قال رسول الله(ص) ما من قلب آدمي إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى فإذا شاء أن يثبته ثبته وان شاء أن يقلبه قلبه.

وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأم سلمة زوج النبي(ص): ما كان أكثر دعاء النبي(ص)؟ قالت: كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقالت قلت: يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؟ فقال: يا أم سلمة ما من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله عز وجل، ما شاء أقام، وما شاء أزاغ. فقال ما تأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه؟ أوليس من مذهبكم أن الأخبار التي يخالف ظاهرها الأصول ولا تطابق العقول، لا يجب ردها والقطع على كذب راويها، إلا بعد أن لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل....

ثم استعرض معنى الإصبع وأنها تستعمل بمعان مجازية في لغة العرب وشعرهم، وقال:(فكأنه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة، وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا يتمكن منه، فقال إنها بين إصبعين من أصابعه، كناية عن هذا المعنى واختصاراً للفظ الطويل، وجرياً على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى).انتهى.

وفي قصص الأنبياء للجزائري ص٤٧١:(بينما عيسى بن مريم جالس وشيخ يعمل بمسحاة ويثير الأرض، فقال عيسى عليه السلام: اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع، فلبث ساعة فقال عيسى عليه السلام: اللهم أردد إليه الأمل، فقام يعمل بمسحاته، فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا اعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير! فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لي نفسي: والله لابد لك من عيش ما بقيت، فقمت إلى مسحاتي). (وتاريخ دمشق:٤٧/٤٦٨، ومستدرك سفينة البحار:١/١٨٥، عن مجموعة ورام).

٢- إن كل شخص منا يحيط به بضعة ملائكة يعملون بأمر الله تعالى، فكيف بالمعصوم؟ قال الله تعالى: إنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ. (هود:٥٧) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ. (الإنفطار:١٠-١٢). إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ.(الطارق:٤). لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ (الرعد:١١).

٣- وسائل الفعل الإلهي كثيرة، وهي أوسع وأعمق مما نتصور! قال الله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلله جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً. (الفتح:٤)،

وقد ذکر فی الآیة إنزال روح السکینة علی قلوب المؤمنین، وهی کما فی الأحادیث روح خاصة ترافق المؤمن وتوجب الیقین فی فکره والطمأنینة فی نفسه، وهی نوع من أنواع جنود السماوات والأرض، التی تشمل أنواعاً کثیرة من المخلوقات، والقوی المنظورة وغیر المنظورة، المتصورة لنا وغیر المتصورة!

۴- من وسائل العصمة أن الله یبعث ملکاً یرافق المعصوم ویکلمه ویرشده، قال علی علیه السلام یصف رسول الله صلی الله علیه وآله:(ولقد قرن الله به صلی الله علیه وآله من لدن أن کان فطیماً أعظم ملک من ملائکته یسلک به طریق المکارم، ومحاسن أخلاق العالم، لیله ونهاره). (نهج البلاغة:۲/۱۵۷).

وفی حلیة الأبرار للسید البحرانی:۱/۳۴: (قرن جبرائیل بنبیه محمد صلی الله علیه وآله ثلاث سنین، یسمع حسه ولا یری شخصه، ویعلمه الشیئ بعد الشیئ، ولا ینزل علیه القرآن فکان فی هذه المدة مبشراً بالنبوة غیر مبعوث إلی الأمة).(عن المناقب:۱/۴۳).

۵- ومن وسائل العصمة أن الله تعالی یلقی حالة خاصة علی شخصیة المعصوم من الخشوع والإحساس بوجود الله تعالی، فیعیش کل حیاته حالة استحضار لربه عز وجل وحضور بین یدیه، وکفی بذلک عاصماً له عن معصیته. وتحدث هذه الحالة له فی آخر دقیقة من حیاة المعصوم السابق علیهم السلام.

ففی بصائر الدرجات ص۴۹۷: (باب الوقت الذی یعرف الإمام الأخیر ما عند الأول. حدثنا محمد بن الحسین، عن علی بن أسباط، عن الحکم بن مسکین، عن عبید بن زرارة وجماعة معه قالوا: سمعنا أبا عبد الله علیه السلام یقول: یعرف الإمام الذی بعده علم من کان قبله فی آخر دقیقة تبقی من روحه). (وروی حدیثین آخرین مثله. وروی الکلینی فی الکافی:۱/۲۷۴، ثلاثة أحادیث):

وفی بصائر الدرجات ص۴۸۶: (باب فی الإمام متی یعلم أنه إمام. حدثنا محمد بن الحسین عن صفوان بن یحیی قال قلت لأبی الحسن الرضا علیه السلام: أخبرنی عن الإمام متی یعلم أنه إمام حین یبلغه أن صاحبه قد مضی أو حین یمضی؟ مثل أبی الحسن علیه السلام قبض ببغداد وأنت هاهنا؟ قال: یعلم ذلک حین یمضی صاحبه. قلت: بأی شیئ؟ قال: یلهمه الله ذلک.....

حدثنا محمد بن عیسی....قال: بینا أبو الحسن علیه السلام جالس مع مؤدب له یکنی أبا زکریا وأبو جعفر علیه السلام عندنا أنه ببغداد وأبو الحسن یقرأ من اللوح إلی مؤدبه، إذ بکی بکاء شدیداً، سأله المؤدب ما بکاؤک؟ فلم یجبه، فقال: إئذن لی بالدخول فأذن له، فارتفع الصیاح والبکاء من منزله، ثم خرج إلینا، فسألناه عن البکاء فقال: إن أبی قد توفی الساعة. فقلنا: بما علمتَ؟ قال: دخلنی من إجلال الله ما لم أکن أعرفه قبل ذلک، فعلمت أنه قد مضی! فتعرفنا ذلک الوقت من الیوم والشهر، فإذا هو قد مضی فی ذلک الوقت....

عن هارون بن الفضل قال: رأیت أبا الحسن علیه السلام فی الیوم الذی توفی فیه أبو جعفر علیه السلام فقال: إنا لله وإنا إلیه راجعون، مضی أبو جعفر! فقیل له: وکیف عرفتَ ذلک؟ قال: تداخلَنی ذلةٌ لله لم أکن أعرفها). انتهی.

۶- أن المعصوم تحدثه الملائکة وتوجهه عند اللزوم، ففی الکافی:۱/۲۷۱:

(عن محمد بن إسماعیل قال: سمعت أبا الحسن علیه السلام یقول: الأئمة علماء صادقون مفهمون محدثون..... عن محمد بن مسلم قال: ذکر المحدث عند أبی عبد الله علیه السلام فقال: إنه یسمع الصوت ولا یری الشخص. فقلت له: جعلت فداک کیف یعلم أنه کلام الملک؟ قال: إنه یعطی السکینة والوقار حتی یعلم أنه کلام ملک.....

ثم روی عن الإمام الباقر علیه السلام أن علیاً علیه السلام کان محدَّثاً فسأله حمران:من یحدثه؟ فقال: یحدثه ملک، قلت: تقول: إنه نبی؟ قال: فحرک یده هکذا: أو کصاحب سلیمان أو کصاحب موسی أو کذی القرنین، أوَما بلغکم أنه صلی الله علیه وآله قال: وفیکم مثله).

۷- أن الله یؤید المعصوم بملک خاص. والأحادیث فی ذلک عدیدة، منها ما رواه فی الکافی:۱/۲۷۳: (عن أبی بصیر قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن قول الله تبارک وتعالی: وَکَذَلِکَ أَوْحَیْنَا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتَابُ وَلا الإیمان؟ قال:خلقٌ

من خلق الله عز وجل أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده...

عن أسباط بن سالم قال: سأله رجل من أهل هيت وأنا حاضر عن قول الله عز وجل: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا؟ فقال: منذ أنزل الله عز وجل ذلك الروح على محمد، صلى الله عليه وآله ما صعد إلى السماء وإنه لفينا....

عن أبى بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة وهو من الملكوت.

عن أبى حمزة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم، أهو علمٌ يتعلمه العالم من أفواه الرجال، أم فى الكتاب عندكم تقرؤنه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عز وجل: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلا الإيمان؟ثم قال: أىُّ شئ يقول أصحابكم فى هذه الآية، أيقرون أنه كان فى حال لايدرى ما الكتاب ولا الإيمان؟فقلت: لا أدرى جعلت فداك ما يقولون، فقال: بلى قد كان فى حال لايدرى ما الكتاب ولا الإيمان حتى بعث الله تعالى الروح التى ذكر فى الكتاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهى الروح التى يعطيها الله تعالى من شاء، فإذا أعطاها عبداً علمه الفهم....

عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى، قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى، غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم، وليس كل ما طلب وجد). انتهى.

وفى الكافى:۱/۲۷۴:(عن سعد الإسكاف قال أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟فقال له أمير المؤمنين:جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل، فكرر ذلك على الرجل فقال له: لقد قلت عظيماً من القول ما أحد يزعم أن الروح غير جبرئيل فقال له: أمير المؤمنين: إنك ضال تروى عن أهل الضلال، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ، والروح غير الملائكة صلوات الله عليهم).انتهى.

وفى الكافى:۱/۲۷۱: (عن جابر الجعفى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا جابر إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ثلاثة أصناف وهو قول الله عز وجل: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً. فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُون.(الواقعة:۷-۱۱) فالسابقون هم رسل الله عليهم السلام وخاصة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس فبه عرفوا الأشياء، وأيدهم بروح الإيمان فبه خافوا الله عز وجل، وأيدهم بروح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وأيدهم بروح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله عز وجل وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح المدرج الذى به يذهب الناس ويجيئون. وجعل فى المؤمنين وأصحاب الميمنة روح الإيمان فبه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة فبه قدروا على طاعة الله، وجعل فيهم روح الشهوة فبه اشتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذى به يذهب الناس ويجيئون....

عن جابر، عن أبى جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم فقال لى: يا جابر إن فى الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلا روح القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب...

عن المفضل بن عمر عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام بما فى أقطار الأرض وهو فى بيته مرخى عليه ستره؟ فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل فى النبى صلى الله عليه وآله خمسة أرواح:روح الحياة فبه دب ودرج، وروح القوة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه آمن وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة فإذا قبض النبى صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام. وروح القدس لاينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو. والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به). انتهى.

۸- قلنا فى دلالة الإستخلاص الإلهى على العصمة: وقد بيَّن الله تعالى أنه يستعمل رصد الملائكة لحفظ معلومة عن الغيب يخبر بها رسوله، فقال: قُلْ إن أدرى أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أم يَجْعَلُ لَهُ ربى أَمَدًا. عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً. إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ

فإنه یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِیَعْلَمَ أن قَدْأَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَیْهِمْ وَأَحْصَی کُلَّ شَیْءٍ عدداً. (الجنّ:۲۵-۲۸) والإستخلاص مقامٌ أعظمُ من حفظ ما یخبر به الله رسوله من الغیب، فلا بد أن تکون وسائل حفظ المستخلص أکثر تفصیلاً من حفظ الغیب المخبر به.

۹- وردت أحادیث عدیدة فی صفات ومقامات للنبی والأئمة صلی الله علیه وآله، تُعتبر کل واحدة منها من وسائل الله تعالی فی عصمتهم، صلوات الله علیهم، ویطول الکلام لو أردنا عرضها ولو إجمالاً، لذا نکتفی بالإشارة إلی بعضها:

فمنها: عرض الأعمال علی النبی صلی الله علیه وآله والأئمة علیهم السلام، فقد روی الکلینی فی الکافی تحت هذا العنوان:۱/۲۱۹، عدة أحادیث، منها: (عن أبی بصیر، عن أبی عبد الله علیه السلام قال: تعرض الأعمال علی رسول الله صلی الله علیه وآله أعمال العباد کل صباح أبرارها وفجارها فاحذروها، وهو قول الله تعالی: إعْمَلُوا فَسَیَرَی اللهُ عَمَلَکُمْ وَرَسُولُهُ. وسکت.... عن یعقوب بن شعیب قال: سألت أبا عبد الله علیه السلام عن قول الله عز وجل: إعْمَلُوا فَسَیَرَی اللهُ عَمَلَکُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ؟قال: هم الأئمة....

عن عبد الله بن أبان الزیات وکان مکیناً عند الرضا علیه السلام قال: قلت للرضا علیه السلام: أدع الله لی ولأهل بیتی، فقال: أو لست أفعل؟ والله إن أعمالکم لتعرض علیَّ فی کل یوم ولیلة! قال: فاستعظمت ذلک فقال لی: أما تقرأ کتاب الله عز وجل: إعْمَلُوا فَسَیَرَی اللهُ عَمَلَکُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ؟ قال: هو والله علی بن أبی طالب علیه السلام). انتهی.

وفی الکافی:۱/۳۸۷: (عن محمد بن مروان قال: سمعت أبا عبد الله علیه السلام یقول: إن الإمام لیسمع فی بطن أمه، فإذا ولد خط بین کتفیه: وَتَمَّتْ کَلِمَتُ رَبِّکَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِکَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ، فإذا صار الأمر إلیه جعل الله له عموداً من نور، یبصر به ما یعمل أهل کل بلدة). انتهی.

ومنها: أن الله تعالی أعطاهم من إسمه الأعظم أضعاف ما أعطی غیرهم، ففی الکافی:۱/ ۲۳۰: (عن علی بن محمد النوفلی، عن أبی الحسن صاحب العسکر علیه السلام قال: سمعته یقول: إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، کان عند آصف حرف فتکلم به فانخرقت له الأرض فیما بینه وبین سبأ فتناول عرش بلقیس حتی صیَّره إلی سلیمان، ثم انبسطت الأرض فی أقل من طرفه عین! وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً. وحرف عند الله مستأثر به فی علم الغیب). انتهی.

ومنها: أن قوة نفس المعصوم علیه السلام وقربه من الله تعالی، یجعل رغبته وتوجهه النفسی إلی الشئ کافیاً لأن یکشفه الله له: ففی الکافی:۱/۲۵۸: (عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إذا أراد الإمام أن یعلم شیئاً أعلمه الله ذلک).

ومنها: أنهم أصحاب لیلة القدر الذین تتنزل علیهم الملائکة بأمر الله فیها. ففی الکافی:۱/۲۴۷، عن الإمام الصادق علیه السلام فی حدیث: (إن لیلة القدر فی کل سنة، وإنه ینزل فی تلک اللیلة أمر السنة، وإن لذلک الأمر ولاة بعد رسول الله صلی الله علیه وآله فقلت: من هم؟ فقال: أنا وأحد عشر من صلبی أئمة محدثون). انتهی.

أقول: وهذا باب واسع، یفهم منه الکثیر من عطاءات الله وأفعاله عز وجل فی عصمة أنبیائه وأوصیائهم علیهم السلام، وإن کان الکثیر منه منه مختصاً بالنبی وآله صلی الله علیه وآله لایشرکهم فیه غیرهم، فالمعصومون درجات.

درجات العصمة واللطف بالمعصومین

نص القرآن الکریم علی أن الله تعالی جعل مخلوقاته درجات، وفضَّل بعضها علی بعض، لأسباب وحکم وأسرار یعلمها عز وجل. وهذه أهم آیات التفضیل:

تفضیل بنی آدم علی کثیر من المخلوقات

قال الله تعالی: وَلَقَدْ کَرَّمْنَا بَنِی آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّیِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِیلاً. (الإسراء:۷۰).

تفضیل بعض الناس علی بعضهم فی الرزق والتکوین

(وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَکُمْ عَلَی بَعْضٍ فِی الرِّزْقِ فَمَا الَّذِینَ فُضِّلُوا بِرَادِّی رِزْقِهِمْ عَلَی مَا مَلَکَتْ أَیْمَانُهُمْ فَهُمْ فِیهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ یَجْحَدُونَ). (النحل:۷۱).

(وَهُوَالَّذِی جَعَلَکُمْ خَلائِفَ الأرض وَرَفَعَ بَعْضَکُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِیَبْلُوَکُمْ فِی مَا آتَاکُمْ إِنَّ رَبَّکَ سَرِیعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِیمٌ). (الأنعام:۱۶۵).

(أَهُمْ یَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّکَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَیْنَهُمْ مَعِیشَتَهُمْ فِی الْحَیَاةِ الدُّنْیَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِیَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِیًّا وَرَحْمَةُ رَبِّکَ خَیْرٌ مِمَّا یَجْمَعُونَ. وَلَوْلا أَنْ یَکُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ یَکْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُیُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَیْهَا یَظْهَرُونَ. وَلِبُیُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَیْهَا یَتَّکِئُونَ.وَزُخْرُفًا وَإِنْ کُلُّ ذَلِکَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَیَاةِ الدُّنْیَا وَالآخرة عِنْدَ رَبِّکَ لِلْمُتَّقِینَ). (الزخرف:۳۲-۳۵).

تفضیل الرجال علی النساء

(أَلرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَی النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَی بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَیْبِ). (النساء:۳۴).

(وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَکُمْ عَلَی بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِیبٌ مِمَّا اکْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِیبٌ مِمَّا اکْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ کَانَ بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیمًا).(النساء:۳۲).

تفضیل المجاهدین علی القاعدین

(فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِینَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَی الْقَاعِدِینَ دَرَجَةً وَکُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَی وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِینَ عَلَی الْقَاعِدِینَ أَجْرًا عَظِیمًا. النساء:۹۵ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَکَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِیمًا. النساء:۹۶

(یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا مَنْ یَرْتَدَّ مِنْکُمْ عَنْ دِینِهِ فَسَوْفَ یَاتِی اللهُ بِقَوْمٍ یُحِبُّهُمْ وَیُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ أَعِزَّةٍ عَلَی الْکَافِرِینَ یُجَاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللهِ وَلا یَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِکَ فَضْلُ اللهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِیمٌ. المائدة:۵۴

تفضیل العلماء علی غیرهم

(یَرْفَعِ اللهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَالَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِیرٌ). (المجادلة:۱۱).

التفضیل فی الآخرة أکبر منه فی الدنی

•وَمَنْ أَرَادَ الآخرة وَسَعَی لَهَا سَعْیَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِکَ کَانَ سَعْیُهُمْ مَشْکُورًا. کُلًّا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّکَ وَمَا کَانَ عَطَاءُ رَبِّکَ مَحْظُورًا. انْظُرْ کَیْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَی بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَکْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَکْبَرُ تَفْضِیلًا. (الإسراء:۱۹-۲۱).

(وَمَنْ یُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَالصِّدِّیقِینَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِینَ وَحَسُنَ أُولَئِکَ رَفِیقًا. ذَلِکَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَکَفَی بِاللهِ عَلِیمًا. (النساء:۶۹-۷۰).

(فَأَمَّا الَّذِینَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَیُدْخِلُهُمْ فِی رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَیَهْدِیهِمْ إِلَیْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِیمًا. (النساء:۱۷۵).

تَرَی الظَّالِمِینَ مُشْفِقِینَ مِمَّا کَسَبُوا وَهُوَوَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِی رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا یَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِکَ هُوَالْفَضْلُ الْکَبِیرُ. (الشوری:۲۲).

إِنَّ الْمُتَّقِینَ فِی مَقَام أَمِینٍ. فِی جَنَّاتٍ وَعُیُونٍ. یَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِینَ. کَذَلِکَ وَزَوَجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِینٍ. یَدْعُونَ فِیهَا بِکُلِّ فَاکِهَةٍ آمِنِینَ.لا یَذُوقُونَ فِیهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأولی وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِیم. فَضْلًا مِنْ رَبِّکَ ذَلِکَ هُوَالْفَوْزُ الْعَظِیمُ. (الدخان: ۵۱-۵۷).

(سَابِقُوا إِلَی مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا کَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأرض أُعِدَّتْ لِلَّذِینَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِکَ فَضْلُ اللهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیم. الحدید:۲۱

تفضیل بعض الأنبیاء علیهم السلام علی بعض

(وَرَبُّکَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِی السَّمَوَاتِ وَالأرض وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِیِّینَ عَلَی بَعْضٍ وَآتَیْنَا دَاوُدَ زَبُورًا. (الإسراء:۵۵)

تفضیل بعض الرسل علیهم السلام علی بعض

(تِلْکَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَی بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ کَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَیْنَا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّنَاتِ وَأَیَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِینَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَیِّنَاتُ وَلَکِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ کَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَکِنَّ اللهَ یَفْعَلُ مَا یُرِیدُ. (البقرة:۲۵۳).

تفضیل إبراهیم وآل إبراهیم ومن معهم علیهم السلام

(وَتِلْکَ حُجَّتُنَا آتَیْنَاهَا إِبْرَاهِیمَ عَلَی قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّکَ حَکِیمٌ عَلِیمٌ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَیَعْقُوبَ کُلًّا هَدَیْنَا وَنُوحًا هَدَیْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّیَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَیْمَانَ وَأَیُّوبَ وَیُوسُفَ وَمُوسَی وَهَارُونَ وَکَذَلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ. وَزَکَرِیَّا وَیَحْیَی وَعِیسَی وَإِلْیَاسَ کُلٌّ مِنَ الصَّالِحِینَ. وَإِسْمَاعِیلَ وَالْیَسَعَ وَیُونُسَ وَلُوطًا وَکُلًّا فَضَّلْنَا عَلَی الْعَالَمِینَ. (الأنعام:۸۳-۸۴)

تفضیل آل إبراهیم عامة

(أَمْ یَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَی مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَیْنَا آلَ إِبْرَاهِیمَ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَةَ وَآتَیْنَاهُمْ مُلْکًا عَظِیمًا. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَکَفَی بِجَهَنَّمَ سَعِیرًا. (النساء:۵۴-۵۵).

تفضیل داود وسلیمان علیهما السلام خاصة

(وَلَقَدْ آتَیْنَا دَاوُدَ وَسُلَیْمَانَ علماً وَقَالا الْحَمْدُ للهِ الَّذِی فَضَّلَنَا عَلَی کَثِیرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِینَ. وَوَرِثَ سُلَیْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ یَا أَیُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّیْرِ وَأُوتِینَا مِنْ کُلِّ شَیْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَالْفَضْلُ الْمُبِینُ. (النمل:۱۵-۱۶).

(وَلَقَدْ آتَیْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا یَا جِبَالُ أَوِّبِی مَعَهُ وَالطَّیْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِیدَ. سبأ:۱۰

أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِی السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّی بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِیرٌ. سبأ:۱۱

وَلِسُلَیْمَانَ الرِّیحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَیْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ یَعْمَلُ بَیْنَ یَدَیْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ یَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِیرِ. (سبأ:۱۰-۱۲).

تفضیل نبینا صلی الله علیه وآله

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ. وَوَضَعْنَا عَنْکَ وِزْرَکَ. الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ. وَرَفَعْنَا لَکَ ذِکْرَکَ). (الشرح:۱-۴) (إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ إِنَّ فَضْلَهُ کَانَ عَلَیْکَ کَبِیرًا). (الإسراء:۸۷).

(وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَیْکَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ یُضِلُّوکَ وَمَا یُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا یَضُرُّونَکَ مِنْ شَیْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَیْکَ الْکِتَابَ وَالْحِکْمَةَ وَعَلَّمَکَ مَا لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَکَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَیْکَ عَظِیمًا). (النساء:۱۱۳).

تفضیل آل محمد صلی الله علیه وآله

(ذَلِکَ الَّذِی یُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبَی وَمَنْ یَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِیهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَکُورٌ). (الشوری:۲۳).

(إِنَّمَا یُرِیدُ اللهُ لِیُذْهِبَ عَنْکُمُ الرِّجْسَ أهل الْبَیْتِ وَیُطَهِّرَکُمْ تَطْهِیراً). (الأحزاب:۳۳).

(سَلامٌ عَلَی إِلْیَاسِینَ). (الصافات:۱۳۰).

(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْکِتَابَ الَّذِینَ اصْطَفَیْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَیْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِکَ هُوَالْفَضْلُ الْکَبِیرُ). (فاطر:۳۲).

تفضیل الیهود علی الأمم المعاصرة لأنبیائهم

(يَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ). (البقرة:۴۷ و۱۲۲) (قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ). (الأعراف:۱۴۰).

تفضيل أمة رسول الله صلى الله عليه وآله

(هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِينٍ. وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم. مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). (الجمعة:۲-۵).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.لِئَلا يَعْلَمَ أهل الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم).(الحديد:۲۸-۲۹). (قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ). (آل عمران:۷۳– ۷۴)

عصمة نبينا و آله أرقى أنواع العصمة

أجمع المسلمون على أن نبينا محمداً صلى الله عليه وآله أفضل الخلق عند الله تعالى، وأنه صاحب لواء رئاسة المحشر يوم القيامة، وقد روى ذلك جميعهم.

لكن رواة السلطة وقعوا فى التناقض، فرووا ذلك ورووا ضده أيضاً! وفضلوا بعض الأنبياء على نبينا صلى الله عليه وآله كما فى البخارى! وقد بحثنا ذلك فى كتاب (ألف سؤال وإشكال على المخالفين لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام)، مسألة ۱۳۷.

فقد امتاز الشيعة بالقول إنه صلى الله عليه وآله أفضل الخلق على الإطلاق، وإن درجة عصمته أعلى من درجة عصمة جميع الأنبياء عليهم السلام، فالأفضلية استحقاق بالعمل وبعمق الوعى والعبودية، والعصمة استحقاق يتناسب مع مستوى العمل.

ويكفى دليلًا عليه قوله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلا وَحْىٌ يُوحَى، فهذه رتبة عظيمة لم تثبت لأحد من الأنبياء عليهم السلام، ومَن عصم الله منطقه عن الهوى فجعله وحياً يوحى، فقد عصم فعله أيضاً، أو بطريق أولى! حيث لا يمكن تصور عصمة لسان أحد عن المعصية والخطأ بدون عصمة بقية جوارحه!

هذا مضافاً إلى الآيات الأخرى، والأحاديث الصحيحة المتواترة، التى نصَّت على مقامه الفريد صلى الله عليه وآله ودرجة عصمته الخاصة، ودلت على أن درجة عترته الطاهرين عليهم السلام تلى درجته صلى الله عليه وآله مباشرةً.

وقد رواها معنا رواة الخلافة أيضاً، ولكنهم عملوا على تأويلها أو تضعيفها، ومنها الحديث الصحيح المعروف: (نحن ولدَ عبد المطلب سادةُ أهل الجنة، أنا، وعلى أخى، وحمزة عمى، وجعفر بن عمى، والحسن، والحسين، والمهدى). وقد استوفينا مصادره وتصحيحه عند الطرفين فى معجم أحاديث الإمام المهدى عليه السلام:۱/۱۹۸، ومن ذلك تصحيح الحاكم له على شرط مسلم:۳/۲۱۱.

وينبغى الإلفات إلى أن مقام حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبى طالب، يلى مقام المعصومين من العترة عليهم السلام ولا يتقدم على أحد منهم، كما قد يُتوهم من ظاهر الحديث، فهما مرضيَّان غير معصومين رضى الله عنهما، والعصمة عندنا مختصة بمن دل عليهم النص النبوى فقط، وهم العترة، أو أهل البيت بالمعنى الأخص: على وفاطمة والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين آخرهم المهدى عليهم السلام. وهم المعنى النبوى المصطلح لأهل البيت، وآل محمد، والعترة، فى مقابل المعنى اللغوى الأوسع منهم.

ومنها، حديث النبى صلى الله عليه وآله لفاطمة الزهراء عليها السلام، الذى رواه الصدوق فى كمال الدين ص۲۶۲، عن سلمان قال: (كنت جالساً بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله فى مرضته التى قبض فيها فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: مايبكيك يا فاطمة؟ قالت:يارسول الله أخشى

على نفسي وولدي الضيعة بعدك! فاغرورقت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا، وأنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى اطَّلع إلى الأرض إطلاعة فاختارني من خلقه فجعلني نبياً، ثم اطلع إلى الأرض إطلاعة ثانية فاختار منها زوجك، وأوحى إليَّ أن أزوجك إياه، وأتخذه ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمتي. فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي.

ثم اطَّلع إلى الأرض إطلاعة ثالثة فاختارك وولديك، فأنت سيدة نساء أهل الجنة وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدي أخي علي، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم! أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي، أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً. فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله...الحديث). (ورواه في شرح الأخبار: ۱/۱۲۲، عن أبي سعيد الخدري، والطبري في المسترشد ص۶۱۳، بتفصيلات أخرى..الخ.).

وروت منه مصادر الخلافة فقرات مهمة بسند صحيح، كالطبراني في الكبير:۳/۵۷ والصغير:۱/۶۷، وابن عساكر:۴۲/۱۳۰، والطبري في ذخائر العقبى ص۱۳۵،وابن الأثير في أسد الغابة:۴/۴۲، والهيثمي في مجمع الزوائد: ۸/۲۵۳ ولم يضعفه أحد منهم غير الذهبي في القرن الثامن! بحجة ضعف أحد رواته (الهيثم بن حبيب) الذي قال عنه الهيثمي في الزوائد:۳/۱۹۰: وأما الهيثم بن حبيب فلم أرَ من تكلم فيه غير الذهبي اتهمه بخبر رواه، وقد وثقه ابن حبان).انتهى.

بل وثق الهيثم هذا كبار أئمة الجرح والتعديل عندهم كأحمد وأبي عوانة وشعبة وأبي حاتم وأبي زرعة وغيرهم، كما بيناه في (جواهر التاريخ:۱/۱۱۵) ووقع الهيثمي والذهبي فيه في التناقض أو الكذب!

ونكتفي بهذا القدر في تفضيل نبينا صلى الله عليه وآله على بقية الأنبياء عليهم السلام، وقد تعرضنا له في مؤلفاتنا الأخرى، وبينا أن مقام عترته وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يلي مقامه مباشرة، بل هو ملحق به، وجزءٌ لايتجزأ منه.

النبي و عترته المعصومون منظومة خاصة لا يقاس بهم أحد

العصمة هي الإمتناع بالله تعالى عن جميع معاصي الله، على حد تعبير الإمام الصادق عليه السلام، وهي مقام ربانيٌّ عظيم دون شك، غير أن مقام النبي وآله صلى الله عليه وآله أعلى منها بكثير! ويكفي لذلك قوله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وآله: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى، وهي أعلى مرتبة يمكن أن يصل اليها إنسان.

وقول النبي صلى الله عليه وآله في الحديث المتواتر عن أهل بيته عليهم السلام: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. فقد جعلهم عِدلاً للقرآن الذي لايَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ، فهم مثله لايأتيهم الباطل، وهم ورثة القرآن، وحجة الله في بيانه وهداية الأمة به.

وقد روت مصادر الخلافة قليلًا، وروت مصادرنا كثيراً، من الأحاديث التي تكشف عن مقامهم العظيم، وأنهم مشروع رباني مميز، منذ تكوين الكون، وفي مسيرة وجوده، إلى ختامها بالحياة الآخرة.

ولا يتسع المجال لبحث مفرداتها ولا لعرضها، فنكتفي بالإشارة إلى أهمها:

۱- صحت الأحاديث بأن الله تعالى أول ما خلق أنوارهم عليهم السلام من نور عظمته قبل خلق الخلق.

۲- وأن وجود المعصوم على الأرض ضرورة، ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً، وإلا لساخت الأرض بأهلها.

۳- وأن الله تعالى جعلهم واسطة في فيض عطائه على الوجود.

۴- وأعطاهم ما شاء من الولاية التكوينية والتشريعية.

۵- وفرض ولایتهم علی الأنبیاء والأوصیاء السابقین علیهم السلام.

۶- وفرض ولایتهم علی هذه الأمهٔ، فلا یقبل من أحد عملاً إلا بها.

۷- وأن دولهٔ العدل الإلهی ستقوم علی یدهم، وتستمر إلی یوم القیامهٔ.

درجهٔ شیعهٔ النبی و آله فی أحادیث الطرفین

بل دلت الأحادث الصحیحهٔ علی أن شیعهٔ أهل البیت ومحبیهم علیهم السلام ملحقون بدرجتهم یوم القیامهٔ، ومن ذلک الحدیث المشهور الذی رواه أبو داود والترمذی، وأحمد، والطبرانی وغیرهم، وهو حدیث صحیح لایمکن لأحد أن یطعن فی أحد من رواته. وقد رویناه نحن بنفس السند کما فی کامل الزیارات ص۱۱۷: (عن أبی سعید قال: حدثنا نصر بن علی قال: حدثنا علی بن جعفر، عن أخیه موسی بن جعفر قال: أخذ رسول الله صلی الله علیه وآله بید الحسن والحسین فقال: من أحب هذین الغلامین وأباهما وأمهما فهو معی فی درجتی یوم القیامهٔ). (ورواه الصدوق فی الأمالی ص۲۹۹، وغیره).

ورواه منهم کثیرون کالترمذی:۵/۳۰۵، قال: (حدثنا نصر بن علی الجهضمی أخبرنا علی بن جعفر بن محمد بن علی قال أخبرنی أخی موسی بن جعفر بن محمد عن أبیه جعفر بن محمد عن أبیه محمد بن علی عن أبیه علی بن الحسین عن أبیه عن جده علی بن أبی طالب أن النبی(ص)أخذ بید حسن وحسین وقال: من أحبنی وأحب هذین وأباهما وأمهما کان معی فی درجتی یوم القیامهٔ. هذا حدیث حسن غریب لا نعرفه من حدیث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه).

ورواه الطبری فی الکبیر:۳/۵۰، والصغیر:۲/۷۰، وابن عساکر:۱۳/۱۹۵و۱۹۶، وفی هامشه:مسند أحمد:۱/۷۷، وأسد الغابهٔ:۴/۲۹.

ورواه الخطیب فی تاریخ بغداد:۱۳/۲۸۹ وقال: قال أبو عبد الرحمن عبد الله: لما حدث بهذا الحدیث نصر بن علی أمر المتوکل بضربه ألف سوط، وکلمه جعفر بن عبد الواحد وجعل یقول له: هذا الرجل من أهل السنهٔ، ولم یزل به حتی ترکه، وکان له أرزاق فوفرها علیه موسی). انتهی.

ورواه المزی فی تهذیب الکمال:۲۰/۳۵۴، وقال: (رواه عن نصر بن علی، فوافقناه فیه بعلو، وقال: غریب لا نعرفه من حدیث جعفر إلا من هذا الوجه. وقد کتبناه من وجه آخر عن نصر بن علی فی ترجمهٔ الحسین بن علی). انتهی.

(ورواه المزی فی:۲۹/۳۶۰، وذکر قصهٔ المتوکل. وأسنده القاضی عیاض فی الشفا:۲/۴۹، بنحو القطع إلی النبی صلی الله علیه وآله، ورواه کنز العمال:۱۲/۱۰۳، و۱۳/۶۳۹، عن مصادر أخری.وأسنده البیهقی فی لباب الأنساب:۱/ ۲۶ بنحو القطع إلی النبی صلی الله علیه وآله).

ورواه الهیتمی فی الصواعق:۲/۴۰۶، وقال: (ولیس المراد بالمعیهٔ هنا المعیهٔ من حیث المقام بل من جههٔ رفع الحجاب نظیر ما فی قوله تعالی: فَأُولَئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَالصِّدِّیقِینَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِینَ وَحَسُنَ أُولَئِکَ رَفِیقاً).

ورواه الذهبی فی سیره:۱۲/۱۳۵، وشهد بوثاقهٔ رواته، لکنه رده بخلاً بدرجهٔ النبی صلی الله علیه وآله علی الذین یحبون عترته! قال: (قلت: هذا حدیث منکر جداً.... ثم ذکر قصهٔ المتوکل عن عبد الله بن أحمد بن حنبل وقال: قلت: والمتوکل سنی، لکن فیه نصب. وما فی رواهٔ الخبر إلاـ ثقهٔ! وما کان النبی(ص)من حبه وبث فضیلهٔ الحسنین لیجعل کل من أحبهما فی درجته فی الجنهٔ، فلعله قال: فهو معی فی الجنهٔ. وقد تواتر قوله علیه السلام: المرء مع من أحب. ونصر بن علی، فمن أئمهٔ السنهٔ الأثبات). انتهی.

والعجیب أن الذهبی قَبِلَ أن یکون محب العترهٔ مع النبی صلی الله علیه وآله، ولم یقبل أن یکون فی درجته! وکان علیه کما وسَّع معنی المعیهٔ، أن یقبل توسیع الدرجهٔ!

ولم یطعن الذهبی فی علی بن جعفر الصادق علیه السلام، لکنه شکک فی حفظه بدون دلیل! إلا أنه لم یعجبه حدیثه فشکک فی حفظه!

كما ارتكب الذهبى تضعيف هذا الحديث فى سيره:۳/۲۵۴، فقال: (إسناده ضعيف والمتن منكر). انتهى. ولم يبين سبب حكمه بضعفه، لأنه لايستطيع أن يضعف أياً من رواته! فهل هذا إلا هوى!

وتبعه الألبانى فضعفه فى ضعيف الترمذى ص۵۰۴، والضعيفة ۳۱۲۲، وتخريج المختارة۳۹۲، تقليداً بإسم الإجتهاد، وتعصباً بإسم البحث العلمى!

ومن عسى أن يضعف الألبانى والذهبى من رجال رواته، التى تبدأ بنصر الذى اتفقوا على وثاقته وأنه من أئمة السنة، عن على بن جعفر الصادق عليه السلام الذى هو من رجال الترمذى، ولم يجرحه أحد من علماء الجرح، ثم يصل إلى سلسلة الذهب الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين قال أحمد بن حنبل عن إسنادهم: (لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه)!!

قال فى هامش مسند زيد بن على ص۴۴۰: (أورد صاحب كتاب تاريخ نيسابور أن علياً الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، لما دخل نيسابور كان فى قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق، فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسى ومعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحصى فقالا: يا أيها السيد الجليل ابن السادة الأئمة، بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكرمين إلا ـ ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك أن نذكرك به. فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلايق برؤية طلعته، وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه، والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ، ومتمرغ فى التراب، ومقبل حافر بغلته وعلا الضجيج، فصاحت الأئمة الأعلام: معاشر الناس، أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم، وكان المستملى أبا زرعة ومحمد بن أسلم الطوسى، فقال على الرضا رضى الله عنه: حدثنى أبى موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه زين العابدين، عن أبيه شهيد كربلا، عن أبيه على المرتضى، قال حدثنى حبيبى وقرة عينى رسول الله صلى الله عليه وآله قال حدثنى جبريل عليه السلام قال حدثنى رب العزة سبحانه وتعالى قال: لا إله إلا الله حصنى، فمن قالها دخل حصنى، ومن دخل حصنى أمن من عذابى. ثم أرخى الستر على المظلة وسار، قال فعد أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً. قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه)! انتهى.

وقال أبو نعيم فى الحلية:۳/۱۹۱، بعد أن رواه بتفاوت يسير: (هذا حديث ثابت مشهور بهذا الإسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين، وكان بعض سلفنا من المحدثين إذا روى هذا الإسناد قال: لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق).

وقال ابن الشجرى فى الأمالى ص۲۵، والقزوينى فى التدوين:۳/۴۸۱، بعد حديث بسند مشابه: (قال على بن مهرويه: قال أبو حاتم محمد بن إدريس الرازى: قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروى: لو قرئ هذا الاسناذ على مجنون لأفاق). وقال الزمخشرى فى ربيع الأبرار ص۶۷۳: (كان يقول يحيى بن الحسين الحسنى فى إسناد صحيفة الرضا: لو قرئ هذا الإسناد فى أذن مجنون لأفاق).

وقال الإربلى فى كشف الغمة:۱/۱۳۴: (هذا الحديث نقله أحمد فى مواضع من مسنده، وهو حديث خطره عظيم، ومجده كريم، ووجده وسيم، وشرفه قديم فإنه جعل درجة محبيهم مع درجته، وهذا محل يقف دونه الخليل والكليم، وههنا ينقاد المنقول والمعقول، وهو صلى الله عليه وآله أعلم بما يقول).انتهى.

وأغرب من الألبانى والذهبى: ابن تيمية الذى قال فى منهاجه:۷/۳۹۷: (فصل. قال الرافضى: الحادى عشر، ما رواه الجمهور من وجوب محبته وموالاته. روى أحمد بن حنبل فى مسنده أن رسول الله(ص)أخذ بيد حسن وحسين فقال: من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما فهو معى فى درجتى يوم القيامة ...وأورد عدة أحاديث أوردها العلامة الحلى رحمه الله فى كتابه منهاج الكرامة الذى ألف ابن تيمية كتابه للرد عليه، ثم قال:

(والجواب من وجوه: أحدها، المطالبة بتصحيح النقل وهيهات له بذلك!

وأما قوله رواه أحمد فيقال: أولاًـ أحمد له المسند المشهور وله كتاب مشهور فى فضائل الصحابة روى فيه أحاديث لايرويها فى المسند لما فيها من الضعف، لكونها لا تصلح أن تروى فى المسند لكونها مراسيل أو ضعافاً بغير الإرسال.

ثم إن هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات، ثم إن القطيعى الذى رواه عن ابنه عبد الله زاد عن شيوخه زيادات، وفيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة. وهذا الرافضى وأمثاله من شيوخ الرافضة جهال، فهم ينقلون من هذا المصنف فيظنون أن كل ما رواه القطيعى أو عبد الله قد رواه احمد نفسه، ولا يميزون بين شيوخ أحمد وشيوخ القطيعى، ثم يظنون أن أحمد إذا رواه فقد رواه فى المسند، فقد رأيتهم فى كتبهم يعزون إلى مسند أحمد أحاديث ما سمعها أحمد قط، كما فعل ابن البطريق وصاحب الطرائف منهم وغيرهما، بسبب هذا الجهل منهم! وهذا غير ما يفترونه من الكذب فإن الكذب كثير منهم.

وبتقدير أن يكون أحمد روى الحديث، فمجرد رواية أحمد لا ـ توجب أن يكون صحيحاً يجب العمل به، بل الإمام أحمد روى أحاديث كثيرة ليُعرِّف ويبين للناس ضعفها، وهذا فى كلامه وأجوبته أظهر وأكبر من أن يحتاج إلى بسط، لاسيما فى مثل هذا الأصل العظيم.

مع أن هذا الحديث الأول من زيادات القطيعى، رواه عن نصر بن على الجهضمى، عن على بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر.الخ.). انتهى.

وأول سؤال يرد فى الذهن: لماذا افترض ابن تيمية أن راوى الحديث ابن حنبل وحده؟ ألا يعرف أن له رواة آخرين عديدين؟!

والجواب: أن هذه عادة ابن تيمية! فهو يعرف أن للحديث مصادر عديدة غير مسند أحمد، وأنه لايمكنه تضعيف سنده! لكنه تصور أن نقل العلامة الحلى له عن مسند أحمد نقطة ضعف، لأن الحديث من زيادات عبد الله بن أحمد وتلميذه القطيعى على مسند أحمد تحت نظره، فركز هجومه عليها! وصوَّر الأمر كأنه: هل كتب أحمد هذا الحديث بيده؟ أو أضافه ولده أو تلميذه؟

فلو قلنا لابن تيمية: حسناً، إعتبره من رواية ابن أحمد أو القطيعى، فما رأيك فيه؟ هل تطعن فى واحد منهما، وهل تستطيع تضعيف رواة الحديث؟!

ثم نلاحظ أن ابن تيمية قال: (فقد رأيتهم فى كتبهم يعزون إلى مسند أحمد أحاديث ما سمعها أحمد قط! كما فعل ابن البطريق وصاحب الطرائف منهم وغيرهما، بسبب هذا الجهل منهم). انتهى.

وهذا يعنى أنه قرأ الطرائف لابن طاوس رحمه الله، وقرأ العمدة لابن البطريق رحمه الله ورأى أنهما نقلا الحديث عن مسند أحمد!

أما فى الطرائف ص۱۱۱فقال:(ومن ذلك ما رواه أحمد بن حنبل فى مسنده) انتهى، فقد اقتصر فى روايته على أحمد، ونسبها اليه كغيره من علماء السنة!

لكن ابن البطريق رواه فى العمدة فى ص۲۷۴ عن عبد الله بن أحمد عن الجهضمى..الخ. ورواه بعده فى ص۲۸۳، فقال: (ومن الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدرى فى الجزء الثالث فى باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، وبالإسناد المقدم من سنن أبى داود قال: عن على عليه السلام قال: كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أعطانى وإذا سكت ابتدأنى وأخذ بيد الحسن والحسين يوماً وقال: من أحب هذين وأباهما وأمهما ومات، كان متبعاً لسنتى كان معى فى الجنة). انتهى.

فقد قرأ ابن تيمية روايته عن الجمع بين الصحاح أيضاً، فلماذا أهملها؟!

إنه لايريد أن يبحث بحثاً علمياً، لافى سند الحديث ولا فى متنه! بل همه أن يفتش عن شئ يتصوره نقطة ضعف ليهرج به ويترك كل ما سواه!

وهو حاضر لذلك أن يطعن فى أحمد ومسنده وعبدالله بن أحمد والقطيعى، من أجل أن يردَّ فضيلة للنبى وعترته صلى الله عليه وآله، لمجرد أن عالماً شيعياً استدل بها!

زيادة رزين العبدرى عن أبى داود

قال ابن حجر الهيتمى فى الصواعق المحرقة:۲/۵۰۰: (من أحبنى وأحب هذين يعنى حسناً وحسيناً، وأباهما وأمهما، كان معى فى الجنة

فی درجتی. زاد أبو داود (ومات متبعاً لسنتی). وبها یعلم أن مجرد محبتهم من غیر اتباع للسنة كما یزعمه الشیعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم للسنة، لا یفید مدعیها شیئاً من الخیر بل تكون علیه وبالاً وعذاباً ألیما فی الدنیا والآخرة). انتهی.

أقول: بقطع النظر عن تفسیر ابن حجر المتوتر لهذه الزیادة، فقد أخذها هو وغیره من رزین العبدری، صاحب كتاب الجمع بین الصحاح، حیث نسبها هو إلی سنن أبی داود، ولا وجود للحدیث فی سنن أبی داود!

قال السید البحرانی فی غایة المرام:۶/۴۸: (الخامس عشر: الجمع بین الصحاح الستة لرزین العبدری فی الجزء الثالث، فی باب مناقب الحسن والحسین من سنن أبی داود عن علی، قال: كنت إذا سألت رسول الله أعطانی وإذا سكت ابتدانی، وأخذ بید حسن وحسین یوماً وقال: من أحب هذین وأباهما وأمهما ومات متبعاً لسنتی كان معی فی الجنة). انتهی.

ونص صاحب البحار:۳۷/۷۶، علی أن الزیادة من رزین نفسه، فقد نقل الحدیث عن ابن الأثیر عن الترمذی، ثم قال: (وذكر رزین بعد قوله: وأمهما: ومات متبعا لسنتی غیر مبتدع). انتهی.

وكذا السید المرعشئ فی شرح إحقاق الحق:۹/۱۷۸، قال: (رزین العبدری فی الجمع بین الصحاح(مخطوط) قال: إن النبی أخذ بید حسن وحسین یوماً وقال: من أحب هذین وأباهما وأمهما ومات متبعاً لسنتی كان معی فی الجنة).انتهی.

وأدق ما وجدناه قول الأذرعی فی بشارة المحبوب بتكفیر الذنوب ص۶۶، بعد نقل الحدیث: (رواه الترمذی. زاد رزین: ومات متبعاً لسنتی غیر مبتدع).انتهی.

فكیف یصح نسبة الزیادة إلی أبی داود والحدیث لایوجد فی سننه أصلًا! وحتی لو قلنا بنقص نسخة أبی داود الموجودة فلا یمكننا نسبة الزیادة الیه، فیتعین أن تكون لرزین تعلیقاً منه علی روایة الترمذی، كما ذكر الأذرعی.

علی أن هذه الزیادة لو ثبتت لا تغیر من الأمرشیئاً، ولا تحتمل ما حملها إیاه ابن حجر فجعل اتباع سنة النبی صلی الله علیه وآله بمعنی اتباع أبی بكر وعمر! لأن اتباع سنة النبی صلی الله علیه وآله لایتحقق إلا بحب أهل بیته علیهم السلام ولایتحقق حبهم إلا بطاعتهم دون من خالفهم، وأخذ سنة النبی صلی الله علیه وآله منهم دون ما خالفهم.

تعریف مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَیْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َیَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ یوم.

مرکز" القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأ أنشِطتَهُ من سَنةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثّقلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّـة الحالیّـة لهـذا المرکز، شـَعبیّـة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتـُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّـها لا تُـوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّـة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.